

جامعة الجزائر 2، أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ

العلاقات الإصلاحية- الطرقية في الجزائر (1900-1954)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر

إشراف الأستاذ الدكتور

إعداد الطالب

مولود عويمر

محمد عبد الحليم بيثي

أعضاء لجنة المناقشة			
الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
مصطفى نويصر	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	رئيسا
مولود عويمر	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	مقررا
عبد المجيد بن عدة	أستاذ التعليم العالي	المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة	عضوا
علال بيتور	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	عضوا
فضيلة علاوي	أستاذ محاضراً	جامعة الجزائر 2	عضوا
مقيدش علجية	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجلفة	عضوا

السنة الجامعية: 1443-1444هـ / 2022-2023م

الإهداء

إلى كل حملة القرآن الكريم في النجود والوهاد

إلى كل حماة الهوية الإسلامية في بلاد الجهاد والاستشهاد

إلى أهل الأقالام والمحابر في كل جامعات ومعاهد وزوايا البلاد

الشكر

إلى كل من اغترفت من مناهلهم، وكرعت من حياضهم، أساتذتي ومعلمي في
مدارس الجزائر وجامعتها.

إلى المشرف المفضل الكريم الأستاذ الدكتور مولود عويمر، الذي له من
اسمه نصيب من ولادة الأفكار الجميلة والعامة بالجد والاجتهاد، وخدمة
العلم وأهله، والجزائر وعلمائها.

إلى زوجتي الكريمة أم عبد الله التي قاسمتني هموم البحث ومشاغله، وكانت
خير معين في الحضر والسفر.

إلى أصدقائي وخلاني الذين أمدوا هذا البحث بما تحت أيديهم ولم يكونوا
من المقترين

لكم جميعا كل التحايا الكريمة والدعوات الخالصات.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، محمد وآله وصحبه وحزبه، وسلم تسليما كثيرا
إلى يوم الدين.

1-توطئة:

شهدت الجزائر المعاصرة سنوات الاستعمار الفرنسي البغيض تقلبات فكرية كثيرة، فوفدت إليها تيارات ورست فيها أفكار، وتناسلت فيها أحزاب تباينت أطاريحها بين المحافظة والتجديد، وبين الالتزام بالهوية والانسلاخ عنها، وبين هذا وذاك كان التيار الديني دائم الحضور في المقاومة والترشيد والتفعيل والتحريك للقوى الكامنة والظاهرة في المجتمع الجزائري.

وقد أدى هذا التيار بمختلف أطيافه المحافظة والتجديدية أدواره البالغة في الحفاظ على الهوية الوطنية والذاكرة الجماعية للجزائريين المحروبين، وذلك بعد تجربة حافلة بالمقاومة العسكرية استمرت قرابة السبعين سنة، حيث لم تتمكن فرنسا من طرق أعماق الصحراء والوصول إلى عين صالح إلا مطلع القرن العشرين.

قاد تلك المقاومات العسكرية في الجملة رجال الدين من شيوخ الزوايا، فإما مباشرين للقيادة والتنفيذ أمثال الأمير عبد القادر وبوزيان وبوعمامة وغيرهم، وإما مؤطرين وموجهين أمثال الشيخ الحداد وشيوخ الزوايا الرحمانية، وكانت النتائج فادحة في حق الجميع بالقتل والنفي والتهجير ومصادرة الأراضي وغلق الزوايا، وتجفيف مواردها المالية، ومضاربتها بالتعليم المدني المنزور، وماكينة التنصير الذي حقق بعض النجاحات الظرفية نتيجة التفجير والتجهيل وسنوات المسغبة والمجاعات والأوبئة.

ثم كانت الفاجعة الكبرى والطامة العظمى بتوالي السياسات الاستعمارية بالتجريف الثقافي والتصحير العلمي وسد أبواب التواصل مع العالم الإسلامي بمنع الحج ومراقبة طرق التواصل بين المسلمين، والإطباق على الجزائر كلية لتبقى رهينة المحبس الفرنسي المظلم طوال المائة عام.

وكانت النتيجة الأبرز للوضع الدينية العقم الذي أصاب معاهد العلم القديمة، وتدجين بعض الزوايا وإدخالها في الماكينة الفرنسية لتؤدي أدوارا غير التي رسمها لها مؤسسوها، فشاع الجهل والدجل، وانتشرت الخرافة، وعم الفلكور، وأوى الناس إلى حزن تصوف خادع هربا من المسخ الفرنسي، فاستغشى الناس ثيابهم، ووضعوا أصابعهم في أذانهم حتى لا تطرقها دقات الحداثة الغربية التي جرفت بعض النخبة إليها،

فتبدلت الأرض غير الأرض، وتراجع اللسان العربي لصالح الأعجمي، وانقسمت الأمة إلى قطعان متنافرة، بعضها يريد اللحاق بسرعة بالقطار الغربي، وبعضها يحن إلى صافرات القطار الشرقي، وبينهما مفاوز وفيافي وقفار من الرؤى الثقافية المتنافرة.

لقد كانت الصدمة الحضارية كبيرة وفارقة بين عالم غربي أبهر غيره بالمخترعات، وشرق لا يزال في غيبوبة سادرة مجتر لأحوال ما بعد الموحدين، فنشأت نخب متفرجة رامت التماهي مع الصورة الغربية فشاع الإلحاد والعلمنة والتجافي عن ميراث الأولين، وهو ما رعته فرنسا اللاتكية عدوة الأديان، وهو ما ولد صدمة لدى الدوائر العلمانية التي رامت معالجة الوضع، فكانت اتجاهاتها متخالفة بين المحافظة والتجديد، وهنا سيبرز لدينا خطان متوازيان قلما التقيا في علاقاتهما بعد هذه الولادة غير العادية، فالأول تيار المحافظين، من الذين راموا وصل ما انقطع بتراث الجزائر العثمانية، وما كان عليه الشيوخ الصالحون في مختلف المعاهد والزوايا والمدارس التي حوت السند العلمي الجزائري في العقائد والفقه والتصوف، ويشمل هذا التيار بالأصالة رجال الطرق الصوفية المختلفة التي أطرت المجتمع الجزائري لقرون، وكذلك ينضوي تحت هذا التيار جملة من العلماء المحافظين والإصلاحيين في ذات الوقت، والذين لم ينخرطوا في الطرق، وإنما كانوا قيومين على التعليم ويرنون إلى التجديد والاستجابة لدعوات النهضة الحديثة التي صدع بها رواد الجامعة الإسلامية وخاصة السيد جمال الدين الأفغاني ورجال جمعية العروة الوثقى، ويظاهروهم في هذا بعض حملة العلم في جناحي المغرب الأوسط، وهما تونس والمغرب.

وأما التيار الثاني الذي برز على الساحة وولد مطلع القرن العشرين مع النواة التي تكونت في حلق الصف الثاني من المحافظين، فهو التيار الإصلاحي الذي استوى على سوقه مع الرجل الركيزة فيه، وهو عبد الحميد بن باديس، والذي قفز بهذا التيار من العمل المبعثر والمشتت إلى حزب ديني بلور رؤية فكرية واضحة ورسم خريطة مكتملة الخطط والبرامج والأهداف، وترسم الوسائل الممكنة لجعل هذا الحزب واقعا فاعلا في الحركة الوطنية الجزائرية. والأطروحة المقدمة للتحكيم تحاول دراسة التيارين، والعلائق التي كانت بينهما، وتقييم المسار لكليهما، والكشف عن وفائهما بالوظيفة الحضارية المناطة بهما، والاستجابة لحاجات الوقت في التاريخ الوطني.

2- دوافع اختيار البحث:

ليس من مكرور القول إن اختيار البحث تعترك فيها مؤثرات ودوافع ذاتية وأخرى موضوعية، بعضها سببي، وبعضها نسبي، وتضل تلك الأسباب في اعتلاج إلى أن يولد المولود كاملا أو منقوصا، ويمكن أن نجمل تلك الأسباب العلنية والعلل الخفية في الآتي:

أ-الدوافع الذاتية:

- انتمائي في دراساتي القاعدية إلى حقل العلوم الدينية، وعليه فقد آثرت أن يكون عملي تجديرا لمعارفي فيه، عن طريق دراسة الأطاريح والمقالات الدينية لفريقي الإصلاحيين والمحافظين في الجزائر.

-شغفي بدراسة حركات النهضة، والتحوللات الفكرية الجارية، واهتمامي بالقضية الحضارية في عالمنا الإسلامي.

-حضور لي بعض ذبول تلك العلاقات منذ الصغر بين الفريقين، حيث شهدت تقلب الوالد رحمه الله من التيار المحافظ إلى الإصلاحي الذي كان من أكبر المنافحين والمدافعين عنه، وقد ترك بصمة كبيرة في تفكيري اللاحق.

-محاولة نشر ثقافة الوفاق والاجتماع، ولم شمل الخصوم ما أمكن بالعمل في المشترك، والعذر في المختلف، وجمع الجهود لمواجهة تحديات الثقافة الإسلامية، وكذا الحفاظ على الذاكرة الجماعية للجزائريين.

ب-الدوافع الموضوعية:

وهي كثيرة جدا، ولكن الفاعل والمهم منها في خطاطة هذا البحث في التاريخ الحديث هو ما يأتي ولأ:

-الانخراط في حقل البحث في التاريخ الثقافي الجزائري، وهو حقل لما يستوي بعد، ولما يؤتى أكله، على الرغم من الجهود الجبارة التي افتتحها شيخ المؤرخين الجزائريين الدكتور أبو القاسم سعد الله عليه رحمة الله.

-الكشف عن الجهود الوطنية التي أدها بجدارة رجال الزوايا وأعضاء جمعية العلماء في بناء الذاكرة الوطنية والحفاظ على الهوية الإسلامية أيام قوة الماكنة الاستعمارية التي رامت إلحاق الجزائر بالغرب الاستعماري.

-إعادة قراءة تاريخ العلاقات الإصلاحية الطرقية برؤية علمية موضوعية مع توفر عديد الوثائق، وبروز بعض الشهادات، حيث إن التاريخ الرسمي أو المعلن عنه في العقود الماضية كتب من جهات وفيه لمدارسها، وقد حاد في بعض الأحيان عن الحقيقة، وغمط بعض الجهود، مما يستوجب الاستدراك، خاصة مع انفراج الوضع وتراجع الرؤى الإيديولوجية القاهرة.

-محاولة رسم الخارطة الدينية في الجزائر المستعمرة، وبيان أساليبها ووسائلها، واستجاباتها للتحديات القائمة.

-الإسهام في بناء توافق فكري جديد يستثمر كل الشرعية الدينية، ويقلص من الشنآن الموروث بين الفريقين من أجل الوقوف ضد التيارات التي تريد أن تختطف الجزائر من عمقها وحضنها العربي والإسلامي.

3- إشكالية الأطروحة:

تتركز إشكالية الأطروحة حول سؤال محوري متعلق بالعلاقات بين التيارات الإصلاحية والطرفي في الجزائر في النصف الأول من القرن العشرين، وذلك بالبحث في طبيعتها وتجلياتها ومظاهرها وآثارها، ويتفرع عن هذا التساؤل المركزي أسئلة وليدة أخرى متعلقة بالتطور التاريخي والثقافي لكلا التيارين من حيث الوجود والنشأة والجذور، وثانيا من حيث التموقع والإسهام في الحقل الثقافي والاجتماعي الجزائري، وثالثا من حيث كشف طبيعة العلاقات، وهل هي توافقية أم صدامية أم حيادية، ونتائج تلك العلاقات في تطور الحركة الوطنية، ودور الإدارة الاستعمارية فيها، وكذا مواقف النخب الأخرى منها، ومن المستفيد منها في حالي الوفاق والصدام، وما هي آفاق استثمارها في بناء الوعي التاريخي المعاصر، وهي أسئلة مثكثرة يعسر حصر إجاباتها، ولكن الأطروحة تنغيا بناء صورة متكاملة قدر الطاقة والمساحة الممكنة للإجابة في مقاربات علمية تفيد الدارس.

4- أهمية البحث:

إن القيمة العلمية لكل إضافة في البحث والحقل الأكاديمي تبرز من أهمية المخرجات منه، ومن تلك المخرجات المتوخاة من هذه الأطروحة المتعلقة بفترة بالغة الأهمية من التاريخ الجزائري الحديث ما يأتي:

أ- الكشف عن العطاءات الهامة للنخبة الدينية في الجزائر، وأدوارها البارزة في الحركة الوطنية.

ب- محاولة إغناء المكتبة التاريخية الجزائرية ببحث علمي يتوخى الموضوعية والدقة والتوثيق.

ج- الإسهام في تعميق الهوية الإسلامية العربية للجزائر في ظل موجات الانتقاص والهدم الموجه إليها.

د- محاولة إنصاف بعض التيارات والنخب العلمانية التي تعرضت للتشويه والحط من جهودها.

هـ- بناء الذاكرة التاريخية الجزائرية بجهد يستوفي الوفاء لكل رجالها الذين أسهموا في الاستقلال.

و- استثمار الوثائق والأرشيف، والاستدراك على نقائص الأطاريح المنجزة في الفترة الماضية.

ز- الاستفادة من تشريح العلاقات بين التيارات الإصلاحية والطرفي لتجاوز عقبات ومشاكل الراهن.

5- أهداف البحث:

أهداف البحث كثيرة بعضها مما يمكن تحقيقه، وبعضها متروك للاستكمال والاستدراك، وأهمها:

أ- الإسهام في خدمة التاريخ الثقافي والديني العريض والواسع للجزائر المعاصرة، والذي لا يزال منقوصا.

- ب-الكشف عن الجهود الجبارة التي بذلها العلماء من مختلف المشارب في المقاومة الثقافية للمستعمر.
- ج- استثمار النهضة الأدبية الجزائرية المعاصرة في صناعة الذاكرة التاريخية للمجتمع الجزائري.
- د-إعادة الاعتبار للجهود المجهولة لعدد الرجال من الإصلاحيين والطرقين في الفترة السابقة.
- ه-تشریح الواقع الاستعماري الفرنسي البغيض الذي انتهك الذاكرة والهوية الإسلامية للجزائر.
- و-مد الباحثين بإسهام علمي يخدم البحث العلمي في الجامعات ومراكز البحث الجزائرية.
- ز-تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة التي روجها البعض عن أدوار التيارين الإصلاحي والطرق.
- ح-استثمار مسار العلاقات السابقة في خلق توافق ديني واجتماعي بين الأوفياء للتيارين السالفين.

5- مناهج البحث:

وباعتبار شساعة الموضوع وتعدد أطرافه وسعة مدته، فقد تعددت المناهج المتبعة في الأطروحة في الآتي:

- أ- المنهج الوصفي التاريخي: وضرورته لائحة في الدراسات التاريخية من حيث ترتيب الأحداث كرونولوجيا، ثم وصفها وتوثيقها، والوصول ما أمكن لفاعلها المباشرين أو البعيدين، واستعراض تجلياتها، والأهم الكشف عن آثارها وعقابيلها.
- ب- المنهج التحليلي النقدي: وضرورته نابعة من الحاجة إلى القراءة الفاحصة، ودراسة الأسباب والنتائج المتعلقة بالحوادث، وفحصها ونقدها وسبر أغوارها لمحاولة الاقتراب من التفسير الصحيح للوقائع، وحسن الفهم للخطاب السائد، خاصة وأن جل المادة المدرسة في الرسالة متعلقة بالتاريخ الثقافي ومرتبطة بالسياقات الفكرية.
- ج- المنهج المقارن: وذلك بحكم طبيعة الأطروحة المرتكزة بالأساس على فهم صيرورة العلاقات بين الإصلاحيين والطرقين، مما يجعل المقارنة بين المواقف والأطاريح الفكرية مهمة، هذ فضلا عن مقارنة نتائج البحث ببعض مثيلاتها من الدراسات السابقة.

6-مساحة البحث: ستكون المساحة التي يشتغل عليها البحث محكومة بالآتي:

- أ-مكانيا: الجزائر المستعمرة، وبالأساس العملات الثلاث (قسنطينة، الجزائر، وهران)، فأكثر المكتوبات والحوادث كانت بها، في حين خفتت تلك الأحداث والعلائق في الأقاليم العسكرية (الجنوب) باستثناء مناطق ميزاب ذات الخصوصية، والتي كانت تشهد صراعا قويا وعلائق جد متوترة بين المحافظين والإصلاحيين، وأما باقي المناطق وخاصة الجنوب الشرقي فكان مشغولا أيضا بآثار تلك العلاقات وربما انخرط فيها في أحيان

كثيرة، وبحكم طبيعة التواصل مع أقطار العالم الإسلامي فقد مس البحث بعضا من تلك العلاقات في تونس والمغرب.

ب- زمانيا: الفترة الممتدة بين مطلع القرن وبداية الثورة التحريرية، والسبب في ذلك أن نواة تشكل أطراف الدراسة كانت في مطلع القرن العشرين بعد خفوت بل وانتهاء المقاومة الشعبية، وهو ما اضطرنا إلى فصل تمهيدي درسنا فيها جذور حركة الإصلاح الجزائرية، فضلا عن الواقع الطرقي في القرن التاسع عشر، والذي يعسر القفز عليه لكونه الحاضنة المهمة لتشكيل مسار واختيارات الطرق الصوفية في القرن العشرين.

وأما اختيار النهاية بالثورة التحريرية فباعتبار سكوت الجميع لصالح مشروع التحرير الذي انخرط فيه الأغلب راغبين أو راهبين، مقتنعين أو مترددين، ثم كان الحسم الكلي بحشد كل القوى لإنجاز مشروع الاستقلال.

وستظهر بعض الثغرات الزمنية في التحقيب للعلاقات، بسبب ضمور العمل وخفوت الجدل أيام الحربين العالميتين الأولى والثانية، ففي الفصل الأول كان التركيز على العشرية الأولى للفراغ الظاهر في التي تليها، وكذا في الفصل الرابع حيث خلا نصفها الأول من ذلك الجدل لانشغال الكل بعقائيل الحرب، مما جعلنا نمد هذه العشرية للثلث الأول من الخمسينيات للحفاظ على توازن الرسالة.

7- الدراسات السابقة.

وبحكم انتماء الموضوع لتاريخ الجزائر في حقبة مهمة لاهية منه، وفي حقل ينتمي له أغلب الدارسين وهو الحقل الثقافي، فقد تناثرت عديد الدراسات في الموضوع من دراسات أو كتب أو مقالات أو شهادات، ولكن الذي يهمننا هو ما كان تحت التحكيم الأكاديمي من رسائل وأطاريح ومذكرات جامعية، ويمكن إيراد البعض بحكم الاستقراء الناقص لفحصها كلها لكونها في حكم المخطوط المكون في المكتبات الجامعية، ولعسر الوصول إليها كلها، ولكن المهم المتعلق مع موضوعنا بالأصالة الدراسات الآتية:

-علي مراد: الحركة الإصلاحية الجزائرية الإسلامية في الجزائر (1925-1940)، وهي من أوائل الدراسات الجادة حول التيار الإصلاحي، حيث عرض بقوة للجذور والمقالات والمرجعيات، وقيمتها في الأرشيف والدراسات الفرنسية حول الموضوع، ودور الجوانب الاقتصادية والاجتماعية في الفترة، إلا أنه لم يعرض بالتدقيق للتيار الطرقي الذي تحامل عليه كثيرا، وكانت الدراسة مقتصرة على فترة قيادة ابن باديس.

-بوصفاف عبد الكريم: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الوطنية الأخرى (1931-1945)، وهي دراسة موثقة مهمة عن تطور الحركة الإصلاحية ممثلة في جمعية العلماء وخاصة في مرحلة الثلاثينيات، وقد تعرض لمواقف التيار الطرقي منها، ولكنه لم يدرس كل العلاقات، ولم يشرح واقع التيار الطرقي في تلك الفترة، والدراسة تغلب عليها نزعة إيديولوجية مناصرة للإصلاحيين.

-غزالة بوغانم: الطريقة العلوية في الجزائر ومكانتها الدينية والاجتماعية (1909-1934)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث بجامعة منتوري، قسنطينة، سنة 2008، وأشرف عليها الدكتور عبد الكريم بوصفصاف، وقيمة الرسالة في الدراسة المستوفية للطريقة العلوية وميراث الشيخ العلوي، وقد عرضت في بعض مباحثها لعلاقتها بالتيار الإصلاحي، ولكنها اكتفت بمرحلة حياة الشيخ العلوي، ولم تعرض لما بعده من علاقات.

-بوكسيبة محمود: التطور الثقافي والسياسي بزوايا الطريقة الرحمانية في عمالة قسنطينة (1870-1954)، وهي رسالة ماجستير بجامعة الجزائر، طبعت مؤخرا، وقيمتها العلمية في تشريح واقع الزوايا الرحمانية وتطورها وعلاقة بعضها بالحركة الإصلاحية، ولكنها اختصت بزوايا الشرق الجزائري فقط.

-بولحية نور الدين: جمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية وتاريخ العلاقة بينهما، وهي في الأصل أطروحة دكتوراه في جامعة باتنة، قسم العلوم الإسلامية سنة (2016)، وهي دراسة حول العلاقات بين الجمعية وغيرها من الطرق، واعتمد فيها النصوص الأدبية للطرفين، ولكنها لم تعرض لما قبل ذلك، فضلا عن وجود وغلبة نزعة مرافعة لصالح الطرفين، وانتقاد كثير للإصلاحيين، وهو ما أثر على بعض نتائجها.

-مليكة مزار: جمعية علماء السنة الجزائريين (1932-1933) مذكرة ماستر في التاريخ المغرب العربي المعاصر بجامعة حمة لخضر الوادي، نوقشت سنة 2019 بإشراف أحمد بلعجال، وهي مذكرة ماستر اهتمت فقط بجمعية علماء السنة، وتعرضت قليلا لعلاقاتهم بجمعية العلماء في الثلاثينات.

-صادق بلحاج، الصحافة العربية بين التيارين الإصلاحي والتقليدي، (1919-1939)، ماجستير تاريخ حديث، بجامعة وهران، 2011-2012. واهتمت بواقع الصحافة الإصلاحية بالأساس، ولم تعرض للعلاقات من كل النواحي، واقتصرت على فترة ما بين الحربين، ولم تعد كثيرا للجدل المتنامي بين الطرفين في قضايا عدة.

-موسى بن موسى، الحركة الإصلاحية بوادي سوف نشأتها وتطورها (1900-1939)، رسالة ماجستير بإشراف أحمد صاري، بجامعة منتوري، سنة 2005-2006. وقيمة الرسالة في فحص ميلاد وتطور الحركة الإصلاحية وبعض علاقاتها بالطرق الصوفية في وادي سوف، ولكن الرسالة اقتصر على منطقة واحدة فقط.

8- العوائق:

صاحبت عدة عوائق إنجاز هذه الأطروحة بالوجه العلمي اللائق، وتنوعت العوائق بين الذاتية والموضوعية.

أ- العوائق الموضوعية:

-شساعة الموضوع: وتغطيته لفترة طويلة لمدة ربع قرن، فضلا عن الفصل التمهيدي الضروري لفهم واقع الطرق الصوفية باعتبارها الفاعل الأهم في القرن التاسع عشر، فضلا عن كثافة المادة المدونة فيما بعده.

-تعدد الفاعلين: فالدراسة تكاد تكون مقارنة بين المنتج الأدبي والمادي لتيارين عريضين في المجتمع الجزائري، إضافة إلى تعالق ذلك بمواقف النخب الأخرى غير الدينية، وحضور الفعل الاستعماري في ذلك كله.

-الأرشيف: وهو معضلة أخرى، فكثير من التقارير والتوصيفات الإدارية الاستعمارية لا تزال محجوبة عن الباحثين، وهو ما يجعل الدراسات منقوصة النتائج، فضلا عن انتقائية المنشور لغايات غير علمية.

-المخطوطات: فعلى الرغم من حداثة الفترة التي تجعل دراستها ممكنة ميسورة، إلا أن بعض الشرائح والمكتوبات لا تزال حبيسة خزائن بعض الفاعلين وورثهم، وخاصة ما تعلق بالطرق الصوفية.

أزمة كورونا: والتي أعاقَت الباحث عن طرق دور الأرشيف والمكتبات، وعطلت عديد المؤسسات عن فتح أبوابها، أو تعسر السفر داخل الوطن وخارجه لما يقارب الحولين، وهو ما حاولت استدراك بعضه بالمكتبات.

-الحضور الخافت للمكتبة الجزائرية خارج ديار الوطن: فعديد الأطاريح والكتب المتعلقة بالتاريخ الجزائري لا تزال في قيد المطبوع غير المرفوع على الشبكة، وهو ما يعسر البحث ويكلف الباحث عنتا في التصوير والتجميع.

ب-العوائق الذاتية: ليست بالقليلة، ولا تدخل في دوائر الاعتذار عن النقص، ولكن كاهلها ثقل، ومنها:

-التفرد العلمي: يعاني كثير من الباحثين في الحقول العليا في الدكتوراه صعوبة بالغة في التفرد للبحث نتيجة مزاجتهم لأعمال التدريس والتقييم والبيداغوجيا، وهو ما يعود عليهم بالإجهاد، ومن ثم تراجع جودة البحث.

-البيئات الحاضنة: إن التحلي بالموضوعية يوجب الانفكاك عن أسر البيئات الفكرية الحاضنة التي نما فيها الباحث وترعرع، وهو ما يشكل سدودا نفسية يصعب تخطيها إلا بما مزيد من التجرد الفكري.

-الاغتراب المكاني: فعندما يزاول البحث عملا في التاريخ الجزائري وهو خارج وطنه يزداد شعوره بحرج الاغتراب، وقلة الاهتمام، وعدم المساندين من المراجعين والقارئين الذين يمكنهم إسعافه حال النكوص والتولي.

-الرغبات الصعبة: فبحكم الهم الرسالي الذي يحاول الباحث أن ينخرط فيه خدمة لدينه وأمتة، وهو هم يحتم عليه خيارات متناقضة كالاصطفاف، أو الحياد، أو التجاوز، أو محاولة التوفيق والاستفادة من جهة أولى، ثم الاعتراف بالفضل لأهله، وتكوين جسور الصلة بين الفريقين، وقبر أيام الشنآن والعداوة لغير رجعة، خاصة مع تغول تيارات حداثة أخرى ترمي تحييد الجميع، وإحلال هوية أخرى مزاحمة للهوية الإسلامية الأصيلة.

-الراهنية الحرجة: كانت ولادة هذه الفكرة والأطروحة في عشرية متميزة في التاريخ المعاصر، وهي عشرية حاول القائمون فيها على إدارة البلد سياسيا استغلال الطرق الصوفية لتبرير ممارسات غير رشيدة في الحكم، ومن تم كان التوظيف لبعضها لضرب الحركات الإسلامية المعتدلة لتمرير بعض المشاريع، وهو ما أوحى للباحث بوجود الدراسة المتأنية لأفكار الطرق الصوفية، وكذا إنجازات الحركة الإصلاحية لأجل عدم تكرار الأخطاء.

9- نقد المصادر والمراجع.

يعتبر نقد المصادر والمراجع وفحصها مهما في أي عمل أكاديمي، والإخلال بذلك يقدر في أصالة النتائج وسلامتها، وباعتبار الأطروحة متمحورة حول دراسة العلاقات بين التيارين الإصلاحي والطرق، فقد اعتمد الباحث على مصادر ومراجع أصلية، وأخرى تبعية لاستكمال بناء الحقيقة التاريخية، أو رسم المشهد بصورة قريبة لا تخل بصيرورة الأحداث ومنطقيتها، وعليه فإنه يمكن تقسيم المصادر كالآتي:

أ-المصادر الأصلية:

وهي التي أنتجها رواد وبناء التيارين من أقلام الصف الأول أو من بعدهم، ففي فترة ما قبل تأسيس الجمعية اعتمدت مكتوبات المحافظين ذاتهم أمثال المجاوي وابن زكري وابن مهنا والكمال بن الخوجة وعمر بن قدور والزربي وغيرهم. حيث جمعت أعمال الكثير منهم في كتب وأعمال كاملة.

وبالنسبة للتيار الطرقي الخالص فاعتمدت ما حصلت عليه من مطبوعات للشيخ الشاعر عاشور الخنقي والعربي بن قشوط، وبعض رسائل أسرة ابن المطميطية، أو قدور المستغاني، ومحمد بن سليمان، والإرث الأدبي المتداول داخل الطرق الصوفية الرحمانية والتجانية والقادرية والشيخية.

كما أن بعض كتب التراجم والأنساب حوت مادة ثرة في الموضوع نحو كتاب المرأة الجليلة لبن عبد الحكم، أو مجموع النسب لابن بكار. أو الكتب المناقبية المتناثرة حول مزايا وأعمال شيوخ الطرق الصوفية.

وكان الأمر أسهل في التعامل مع المصادر فيما بعد تأسيس الجمعية، إذ أن أكثر الوثائق والمكتوبات صارت متداولة ميسورة نحو كتابات ابن باديس والإبراهيمي والعقبي والميلي والتبسي. وكذا سجل جمعية العلماء لسنة (1935)، وقد أسهم كثير من الباحثين في تجميع المقالات المتناثرة في الصحف لهؤلاء الأعلام.

ومما أسهم في يسر الموضوع بعد الثلاثينيات وجود أغلب الصحافة الإصلاحية وجمع تراثها، كما أن فترة العشرينيات زهت بولادة بعض الصحف الإصلاحية كالمنتقد والشهاب، والطريقة كلسان الدين والبلاغ، وهو ما جعل الصورة تكون أحسن في استقراء المواقف وتحليلها، باعتبار الصحافة خير معبر عن الآراء والمواقف.

كما استفاد الباحث من وجود مؤرخين من داخل البيت الإصلاحي مثل الشيخ أحمد حماني في كتابه " صراع بين السنة والبدعة"، أو مذكرات الشيخ محمد خير الدين، أو ابن عتيق، فضلا عن كثرة الدراسات حولها.

ولكن الأمر يزداد عسرا مع مصنفات ومؤلفات التيار الطريقي، وهي قليلة إذا ما قورنت بمكتوبات الإصلاحيين باستثناء الطريقة العلوية التي جدّ أتباعها في نشر تراث شيوخها. وكان لأدب الرحلات والإجازات دور في استكمال بناء المشهد الأدبي والتاريخي.

ب- المصادر والمراجع التبعية:

وجلبها من المصادر والمراجع المتابعة والناقدة والمؤرخة للوضع في الجزائر في تلك الفترة، سواء من المؤرخين الجزائريين أو الفرنسيين، أو من الدراسات الأكاديمية المعاصرة، والملاحظ أن أكثر تلك الدراسات متحيزة في الغالب لصالح التيار الإصلاحي بحكم هيمنة رجاله على التربية والتعليم في الاستقلال، مما جعل التلاميذ ينتصرون في الغالب لآراء مشايخهم، والنماذج في ذلك كثيرة، وسيلحظ الباحث ذلك بجلاء في التوثيق والتمهيش، وخاصة الحضور الطاغي للدكتور أبي القاسم سعد الله (وريث الإصلاحيين)، باعتباره المدار الأهم في التاريخ الثقافي الجزائري، ولكن الباحث حاول قدر الطاقة الانعطاف من أسره بالرجوع إلى المصادر والمراجع الأولى التي بدأت تظهر تباعا وتطبع في أعمال كاملة أو منقوصة في السنوات الأخيرة كأعمال المجاوي والزربي وعمر بن قدور وعاشور الخنقي وابن عبد الحكم ورجال الزاوية الهاملية الرحمانية، مع ملاحظة القصور في تتبع نشاطات الطرقيين لقلة المكتوبات أولا، نتيجة غلبة الثقافة الشفوية، ولتأخر ظهور بعض المدونات في التاريخ المناطقية، كما استفاد الباحث من بعض الدراسات الأكاديمية المحكمة المنجزة في الجامعات حول الوضع الإصلاحي والطريقي، والذي انصب في أكثره على جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، في حين رامت الأطروحة البحث في أغلب الجهود الإصلاحية من داخل الجمعية وخارجها، من قبل ميلادها، وسيلحظ الناقد طغيان المصادر الأصلية وتراجع الدراسات الفرنسية والاستشراقية بتعلة التعامل المباشر مع نصوص صانعي الحدث من التيارين الإصلاحي والطريقي في محاولة لصنع لوحة تاريخية ذاتية بعيدة عن القراءات المنحازة.

ج- الشهادات واللقاءات:

وأقصد بها الصورة التاريخية التي تراكمت أجزاءها في ذهن الباحث من خلال ما سنذكره ولاء:

-النشأة في حقل العلوم الإسلامية، وهو ما مكنه من التعايش الدائم مع كتابات التيارين المختلفين.

-الزيارات الميدانية للزوايا والطرق الصوفية في ربوع مختلفة: (زاوية الهامل، طولقة، مازونة، عبد الرحمان اليلولي، الشيخ بلخير في أدرار، الزاوية العلوية بمستغانم، الزوايا التجانية بعين ماضي وتماسين... إلخ)

- الزيارات المختلفة للأضرحة والمزارات والأحفال والجمع الطرقي في مناسبات مختلفة (الأبيض سيدي الشيخ، محمد بن عبد الرحمان الجرجري، بن يوسف الملياني، سيدي بومدين بتلمسان، ... إلخ).
 - لقاءات مباشرة مع بعض شيوخ الطرق (محمد الصالح آيت علجت الرحماني، محمد الحبيب التجاني، مراد بن تونس العلوي، الشيخ محمد آيت عيسى الرحماني، وغيرهم ممن ذكر في ثنايا الأطروحة).
 - المعرفة المباشرة بالثقافة الطرقية من خلال الثقافة الشفوية والذاكرة الجماعية في بلد المنشأ.
 - التلمذ المباشر لورثة التيار الإصلاحي أمثال الدكتور عبد الرزاق قسوم ومحمد الهادي الحسني وغيرهم.
 - الجلسات واللقاءات مع بعض الفاعلين في الحقل الإصلاحي مثل الشيخ الأخضر الدهمة الرجل الإصلاحي العتيد في مدينتي متليلي وغرداية والذي أمدني بمعلومات وافرة عن الوضع الذي أدركه في علاقات الطرفين.
 - المعايشة لعلاقات التيارين الإصلاحي والمحافظ الإباضيين في ولاية غرداية، في دراسات موازية منجزة.
 - الزيارات الميدانية للآثار المادية والشخص القائمة الباقية من جهود الحركة الإصلاحية كالمدارس وغيرها.
- 10-كيفية التحرير والتوثيق.**

وقد اتبعت فيه منهجية علمية رافقتني طوال البحث وحاولت فيها إبراز الآتي:

- كثرة التوثيق والتمهيش في القضايا المدروسة حتى تكون أرضية مهيئة لمن يأتي بعد للاستكمال.
- الاستكثار من الشواهد والمنقولات للتدليل على المقالات، والبعد عن التعميم أو الارتكان لمقالات سابقة، وهو ما جعل القلم ينسحب قليلا لصالح الشواهد، وذلك بغية تكوين صورة أوضح عن الحادثة التاريخية.
- إبراز المطبوعات الجديدة التي ظهرت محققة في العشرين سنة الماضية من أجل الإغناء والإرواء والتجويد.
- محاولة الاقتصار على النصوص الدالة، على الرغم من عجز القلم عن الانكسار أمام روعة البيان العربي للعلماء الجزائريين كابن باديس والورثاني والزاهري وخاصة البشير لإبراهيمي الذي يخضع له كل بنان.
- الصحف والجرائد التي جمعت وطبعت أثبتتها من طبعتها محافظا على تواريخها وصفحاتها، كالشهاب والبصائر والبلاغ، وأما الأخرى فقد عدت إليها وأثبتت بياناتها في الهوامش مثل صحف النجاح والإصلاح والثبات والمرصاد والمعيان والرشاد وغيرها، والتي يوجد بعضها في الأرشيف الجزائري، وأكثرها وضع حديثا على الشبكة.

-اقتصرت في الهوامش على المؤلف، عنوان الكتاب، الجزء والصفحة، وأبقيت بقية البيانات إلى آخر الأطروحة في الفهارس، بغرض عدم إثقال الرسالة، خاصة وأنني اعتمد طبعة واحدة لكل ما استفدته من نقول.

-إلحاق الأطروحة ببعض الملاحق المهمة في الموضوع، مثل الرسائل وصور الصحف، وبعض الوثائق المذهبية.

- ختم الأطروحة ببعض الفهارس والمفاتيح كفهرس الأعلام، ثم الهيئات والجمعيات والزوايا والنوادي، والأماكن والبلدان، وأخيرا المصادر والمراجع والأرشيف واللقاءات، وأخيرا فهرس المواضيع المفصل لتيسير البحث.

11-الخطاطة العامة للأطروحة:

توزعت على أربعة فصول، وفصل تمهيدي، وحوث أجمعها على أربعة مباحث لكل فصل تفاوتت مطالها ومساحاتها بسبب وفرة المادة العلمية من قتلها أو ندرتها، ونتيجة طغيان العلاقات في فترة دون أخرى.

وكانت البداية بفصل تمهيدي عرضت فيه للواقع الديني الطرقي بالأساس في القرن التاسع عشر، حيث لا يمكن لأي قارئ أن يستوعب موضوع الأطروحة ولا مراميها من غير الاطلاع على هذه الفرشة التاريخية الضرورية.

وكانت البداية بدارسة دينية واجتماعية للطرق الصوفية، ومرجعياتها ومساراتها، وذلك بالتنقيب في أصول التصوف الجزائري وجذوره وقناطره، وخاصة الفترة التأسيسية للمؤسسة الصوفية في العهد الزياني، ثم كان الحديث عن أسباب قوة الطرق الصوفية في الجزائر العثمانية، ثم التعرّيج على الطقوس الروحية الطرقية، وتصنيفات الزوايا والطرق، كما عرضت اجتماعيا وثقافيا للرموز المختلفة للزوايا والطرق الصوفية. والوظائف المختلفة لها، وأخيرا المسار البيداغوجي للزوايا (طرائق التعليم والتلقين والإجازات).

ثم جاء المبحث الموالي في الاستفصال عن أنواع الطرق الصوفية الجزائرية، وخاصة الكبيرة منها كالقادرية والرحمانية والتجانية والشيخية، والدرقاوية، وأهم منتجاتها المادية والأدبية، والتأريخ لشخصياتها، ودورها في المقاومة العسكرية، وأخيرا بعض الطرق الصغيرة المتفرعة عن المشربين القادري والشاذلي.

وكان المبحث الثالث متعلقا بتشريح الفعل الفرنسي تجاه التصوف والزوايا من حيث كشف وسائله في معرفتها وطرائقه في اكتشافها، وأساليبه في تحجيمها وتدميرها، وخاصة قضايا منع الحج والحرب على الأوقاف، والقضاء على القضاء، وممارسة التجهيل بالحرب على التعليم، وتجفيف منابع الزوايا، وهيكلة

الهيئة الدينية، ومحاولة استحداث قيادات وزوايا خانعة بإجراءات وإغراءات التحضير الفرنسي، إضافة إلى التنصير الذي أعقب التفجير بالقبائل الفرنسية الجائرة التي رافقت وأعقبت المقاومات العسكرية.

وختمت الفصل بموضوع آخر متعلق بالبحث والحفر في جذور الفكر الإصلاحية بالجزائر، بالعودة إلى الأصول الأولى ممثلة في الملكية لإصلاحية، والصراع بين الفقهاء والمتصوفة بالغرب الإسلامي، وتأثير المجاور الإباضي، ثم عرجت على لحظات الإصلاح للوضع الصوفي عبر محطات ابن الفكون والأخضري وابن أبي محلي والشيخ التجاني، وختمته بالتوقف مليا مع الحركة السنوسية التي مثلت نموذج التصوف السني الحركي الرائد.

ثم جاء الفصل الأول عن العلاقات الإصلاحية الطرقية في العقدين الأولين من القرن، وافتتحته بمبحث أول متعلق بالكلام عمن سميتهم بالإصلاحيين المحافظين، وعرضت فيه لنشأة الإصلاح الجزائري وأهم مسبباته من الزيارات العلمانية وتأثير الجامعة الإسلامية، والصوت العبدوي، ثم تكلمت عن أهم رجال الإصلاح المحافظين أمثال المجاوي وابن زكري وابن سماية وابن مهنا، وكذا الشخصيات العائدة مبكرا من المشرق كالزيري وعمر بن قدور، وعرضت لأهم القضايا الإصلاحية الأولى كالتعليم والمرأة والصحة ومجافة البدع، وتكلمت عن دواعم الإصلاح كالمطابع والمدارس والنوادي، ثم وسائله، وصحفه ومنشوراته واهتماماته العامة.

وكان المبحث الثاني عن الطرقيين في العقدين الأولين، وبدأت بالعودة إلى وسائل فرنسا في التعامل مع الطرق الجزائرية، وعن أهم الزوايا النشطة في العقد الأول، وكذا دواعم الطرقية مطلع القرن العشرين، وتكلمت بالأساس عن نشأة الطريقة العلوية، ومسار الشيخ العلاوي العلمي والروحي، ثم الحديث عن الشخصيات الطرقية البارزة بدء من الشيوخ المنظرين للتصوف الجزائري. ثم رجال الدين الرسميين من المفاتي والقضاة والأئمة. وأخيرا المتصوفة المحافظين كعاشور الخنقي وحمدان الونيسي وقدرور بن سليمان المستغاني وغيرهم.

ثم جاء المبحث الثالث في الجدل الفكري كقضايا الشرف والأشرف والتجنيد والموقف من الحرب الأولى والعثمانيين، والجدل الصوفي العقدي في مثل شرعية الطرق ودعوى الصلاح ونبوة خالد بن سنان، والجدل الفقهي في مثل القبض والسدل والهجرة والجهاد العسكري، وأشكال الذكر وقضايا المرأة والأعراف الفاسدة.

وختمت الفصل بالحديث عن العلاقات السياسية الفرنسية والوضعية الدينية بالجزائر، ثم العلاقات الوفاقية بين المحافظين الإصلاحيين والطرقيين حيث خفتت الخلافات كثيرا نتيجة جثوم الصدر الفرنسي على الجميع، ثم عرضت لبعض العلاقات والمواقف الخلافية، والتحولات الفكرية الطارئة نحو السلفية أو الطرقية، وختمته بالكلام عن ملامح الوضع ب بدايات تراجع الطرق وصعود النخبة، ودور الإدارة الفرنسية في

تأطير الهيئة الدينية، وكان العقد الثاني ضئيلا في دراسة العلاقات والقضايا نتيجة مباغته الحرب العالمية الأولى للجميع.

الفصل الثاني، وتعلق بدراسة العلاقات الإصلاحية الطرقية في العشرينيات، وكان مبحثه الأول متعلقا بواقع الإصلاحيين في العشرينيات، وتناولت فيه بالأساس أسباب صعود الإصلاح بعد الحرب العالمية الأولى، ثم كان الكلام عن المرجعيات الفكرية للإصلاحيين، ومنها الميراث المالكي الإصلاحي، وبوارق النهضة الإسلامية الحديثة، والتأثر الجزئي والنوعي بالحركة الوهابية، والأثر البالغ للسلفية الإصلاحية للأفغاني، وخاصة الإرث التربوي والفكري لتلميذه محمد عبده، ثم كان التفصيل للمناهجيات العلمية للإصلاحيين من العودة إلى الأصول وتجديد الدرس العقدي، والحملة على البدع الصوفية، وإحياء الشخصية والتاريخ الجزائري في مثل أعمال مبارك الملي وتوفيق المدني. كما تناولت التحديات التي واجهت حركة الإصلاح وخاصة الثقافة الفرنسية المهيمنة على النخبة، وما يظاهرها من قوانين فرنسية مجحفة بحق التعليم العربي، وتحديات التبشير المسيحي.

كما عرضت وشرحت الوسائل الإصلاحية من الصحافة المختلفة، والمؤسسات التربوية والتعليمية الناشئة في قسنطينة والزيان والعاصمة، وخاصة نادي الترقى، وتأسيس المطابع وغيرها، وختمته بالتعريف بأهم رجالات الإصلاح الفاعلين في العشرينات من الرجال المؤثرين في الواقع الثقافي آنذاك، وهم الرواد لمن جاء بعدهم.

وتلا ذلك المبحث الثاني المتعلق بالتعريف بالخارطة الطرقية في العشرينيات بالتعريف بأهم الطرق الفاعلة وخاصة العلوية، ووسائلها من الصحافة والسياحة والأحفال، وكذا اهتماماتها المختلفة كالتيقلم وإنكار الانحرافات والتفرنج، ومحاربة التنصير، والاهتمام بالشأن الديني والطرقى عامة، وختمته بالتعريف بأهم رجالات الطرق ومنتجهم الثقافي ومكتوباتهم، وأدوارهم في استمرارية الزوايا، وموقف الإدارة الاستعمارية منهم.

ثم كان الاستفصال بالجدل الإصلاحي الطرقى حول عديد القضايا العقدية والفقهية، باعتباره الوجه الفكرى لتأزم العلاقات بين التيارين، وتم ذلك بتشريح القضايا الفكرية في مثل الموقف من البدع الدينية ونقد الفلكور الصوفى، وكذا بعض القضايا في التطبيقات العقدية والجدل الصوفى وتشعباته الكثيرة، ثم الجدل الفقهي حول بعض القضايا المستجدة، وأخيرا الجدل الاجتماعى في مثل قضايا التجنيس والسفور، وختمت المبحث بإيراد الصناديق الحاوية لهذا الجدل المتعدد في مثل المؤلفات الجزائرية والمغربية وغيرها.

وتوقفت مليا حول محاولة اغتيال ابن باديس باعتبارها الحدث الأبرز المبين عن تأزم العلاقات، وهو ما عرضنا له بالتشريح في المبحث الأخير، حيث تحدثت عن العلاقات الوفاقية ومظاهرها، ثم نقيضها من

العلاقات الخلافية والصراعية، ووسائلها المادية والأدبية والدينية كالشحن العاطفي، والشعر والمقالة، كما عرضنا لتجلياتها وآثارها كدعوات التصفية والاعتقال والاستظهار بالإدارة والنواب، ودور الإدارة الفرنسية في ذلك.

وأما الفصل الثالث المتعلق بالعلاقات الإصلاحية الطرقية في الثلاثينيات، فهو الأهم في كل الأطروحة، نظرا لتميزه الجلي في صيرورة هذه العلاقات في إطار القضية الوطنية، وكانت البداية في التفصيل لواقع الإصلاحيين في الثلاثينات وهو العهد الذهبي لهم، باعتبار أيلولة قيادة الجمعية لهم، فتكلمت عن خطوطهم الفكرية ومنهجياتهم المتعمدة، ثم وسائلهم من الصحافة والمدارس والجمعيات والنوادي المختلفة، وعملهم في فرنسا، وكذا اهتماماتهم الوطنية والاجتماعية، وعرضت لأهم رجالهم آنذاك. ودورهم في تأسيس جمعية العلماء.

وعلى غرار الفصل السابق عرضت للواقع الطرقيين بالتعريف بمرجعياتهم الفكرية، ووسائلهم في العمل والدعوة، وخاصة جمعياتهم المحلية والوطنية، ونواديهم وصحافتهم، وكذا خلافاتهم وآثارهم، وشخصياتهم الفاعلة. كما توسعت في بيان دورهم في التأسيس لجمعية العلماء، والأصوات الداعية لذلك، ومراحل التأسيس والروايات الطرقية، ثم الانقسام وتأسيس جمعية علماء السنة، وعاقبيل ذلك، ودور الإدارة الفرنسية في كل ما سبق. وسيلحظ القارئ الحضور الطاغي للطريقة العلوية بحكم ريادتها في الكتابة والصحافة والطباعة آنذاك.

ولا يعني ذلك تغييب الطرق الأخرى التي جنت عليها ثقافتها الشفوية، وإن كانت الإشارات المتناثرة هنا وهناك كافية تقريبا لرسم صورة قريبة للواقع التاريخي في انتظار جهد آخر متمم لنقائص الأطروحة وما أكرهها.

ثم كان التشريح للجدل بين التيارين في القضايا المنهجية والعقدية والصوفية والفقهية، والتي تشعبت كثيرا، وأثمرت نهضة أدبية سامقة، وهو ما فصلته في آثار الجدل على الواقع الديني والثقافي والاجتماعي في الجزائر.

وكان الختام مع المبحث المتعلق بالعلاقات وهو الأهم والأطول في كل الأطروحة، حيث سادت العلاقات الصراعية خلا العام الأول من تأسيس الجمعية، فتناولت التهم المتبادلة بين الطرفين، والأساليب الأدبية والمادية المستخدمة في ذلك، ومظاهر ذلك النزاع من الصراع القلبي والصحفي والشعري، والاستقواء بالإدارة الفرنسية، ودعوات الوفاق والصالح المتفاوتة المشارب، وأخيرا آثار ذلك الصراع في مثل ضياع فرصة المؤتمر الإسلامي، ومقتل المفتي كحول، وانقسامات الإصلاحيين، وموقف النخبة الجزائرية والإدارة الاستعمارية منه.

وأخر فصل هو الفصل الرابع، أي العلاقات الإصلاحية الطرقية في الأربعينيات، وتناولت في المبحث الأول منه واقع الإصلاحيين بعد الحرب الثانية، وقيادة الإبراهيمي لجمعية العلماء، وأهم الوسائل المعتمدة لهم،

وخاصة الانطلاقة المحمومة في تأسيس المدارس ومعهد ابن باديس، وتنظيم عمل الجمعية، والاهتمامات الوطنية للإصلاحيين وتحالفاتهم السياسية، وعرضت لميلاد التيار العقبي وأهم واجهاته ورجاله وآثاره.

وفي المبحث الثاني كان الكلام عن التيار الطريقي وتراجع عما كان عليه، وعرفت بأهم وسائله ومناشطه وعلاقاته ومواقفه من القضايا الراهنة، مؤسساته التعليمية والجمعوية، وأهم رجاله الفاعلين في ذات الفترة. وكان المبحث الثالث عن الجدل الفكري العقدي والفقهي بين الطرفين، وأهم الانشغالات كتمثيل الجماعة الإسلامية، وصلاحيية الأئمة الرسميين، والأعراف القبائلية، وأخيرا آثار هذا الجدل على الواقع الديني في الجزائر.

وكان الختام بتشريح وضع العلاقات بين التيارين، والتي استمرت على خط الصراع مع خفوته عما كان عليه ممن قبل، فعرضت لعلاقات الوفاق والتقارب في مثل قضايا الحج والوقاف والتعليم العربي وتأسيس المجلس الإسلامي الأعلى، ثم قضايا الخلاف حول التمثيل الرسمي للهيئة الدينية ومشيخة الإسلام، والانتخابات، والتمم المتبادلة بين الفريقين والوسائل الأدبية المستخدمة في ذلك، وأخيرا امتدادات الصراع إلى أقطار المغرب العربي.

ثم كانت الخاتمة التي تضمنت الخلاصات، وأهم النتائج والتوصيات والمخرجات المستفادة من الأطروحة. وختمت ذلك ببعض الملاحق للصيقة بالأطروحة، ثم الفهارس المسهلة للولوج للمواضيع، فكان هناك فهرس للأعلام، والأماكن، والجماعات والجمعيات والطرق والنوادي والمذاهب، وأخيرا فهرس المراجع، والمواضيع. والله الكريم أسأل أن يكون العمل مقبولا نافعا في بناء الذاكرة الجزائرية، ومساهما في إعادة الاعتبار للرجال الأبرار الأماجد الذين صنعوا المجد العلمي وحموا الهوية العربية والإسلامية من الذوبان، وأن يجعل يوم الجزائر خيرا من أمسها، وغدها خيرا من يومها، وأن يجزي القائمين على العلم في الجامعات خيرا الجزاء، وأن يتقبل جهدهم ورباطهم، وينفع بهم في الحل والترحال، وأن يرحم مشايخنا ومن علمنا، ومن له فضل علينا خير الجزاء، أنه ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله في البدء وفي الختم.

الفصل التمهيدي

الواقع الديني في الجزائر خلال

القرن التاسع عشر.

المبحث الأول: الطرق الدينية مرجعياتها ومساراتها في الجزائر

المبحث الثاني: أنواع الطرق الصوفية في الجزائر.

المبحث الثالث: الفعل الفرنسي تجاه الوضعية الدينية.

المبحث الرابع: جذور الإصلاح الديني في الجزائر.

المبحث الأول: الطرق الدينية مرجعياتها ومساراتها في الجزائر.

الطرق الصوفية مدراس في السلوك والتهديب الروحي انتشرت كمؤسسات اجتماعية دينية بعد القرن الثامن الهجري في أعقاب الصدمتين الصليبية والمغولية، وشكل بعضها بديلاً للسلط المتهاوية في العالم الإسلامي، كما أن بعضها أتبع مشروعه الديني بآخر سياسي كما فعلت التجانية مع عمر الفوتي في غرب إفريقيا، أو السنوسية في ليبيا وتشاد، أو المهدية في السودان، بل إن عديد المقاومات ضد الاستعمار الأوربي تسعرت نارها في أركان الزوايا.

ومن المعلوم أن الطرق الصوفية ترجع في الغالب إلى مشربين مهمين هما المشرب القادري والآخر الشاذلي، وأخير المشرب الأكبر مع الطريقة التجانية التي استفادت من الجميع، ويبقى أهم مرجع مشرق للتصوف هو أبو القاسم الجنيد (ت298هـ)⁽¹⁾، في حين كان أبو مدين التلمساني (ت594هـ)⁽²⁾ أهم مرجع مغربي لصوفية الغرب الإسلامي.

المطلب الأول: التصوف الجزائري، الجذور والقناطر والنشأة.

أولا جذور التصوف الجزائري.

تعود الجذور الأولى للتصوف في الجزائر إلى الأيام الأولى للفتح الإسلامي، مع انسياح زهاد التابعين وتابعهم الذين وطدوا الإسلام، وأنشأوا حلقاتاً للعلم ومدارس القرآن الكريم، وتابعهم العلماء المفردون الذين انزوى بعضهم عن السلط المتناحرة، وكانوا قيومين على الشريعة أمناء عليها، وخاصة أيام العسف المذهبي في دولة الفاطميين، حيث قاوموا سلطة الإكراه الواقع على التشيع، وأزهقت أرواح بعضهم، وبعد انصرام عصر الفرق المذهبية التي أنشأت دولاً لها بالغرب الإسلامي من الإسماعيليين والإباضية والصفيرية استقر المذهب المالكي، وكان لهؤلاء الأفاضل دور في صبغ الواقع الديني بصبغة صوفية تتأسى بحال الكبار كمالك والثوري والجنيد، والمستعرض لتراجم علماء الدولة الحمادية والفترة المرابطية بالمغرب الأوسط يجد بجلاء ذلك في مثل مدونة الغبريني عن علماء بجاية.

(1) الجنيد: أبو القاسم الجنيد بن محمد القواريري البغدادي شيخ الصوفية توفي ببغداد سنة (298هـ) وقد جمعت تراثه الدكتوراة الحكيم سعاد، تاج العارفين الجنيد البغدادي الأعمال الكاملة، انظر: ابن كثير أبو الفداء، البداية والنهاية، ط6، بيروت، دار المعارف، 1986. ج11 ص113. الذهبي شمس الدين، سير أعلام النبلاء، القاهرة، مكتبة الصفا، 2003، ج9 ص38.

(2) أبو مدين الغوث: فقيه صالح وولي كامل انتهت إليه الرئاسة في التصوف، ولد بالأندلس قرب إشبيلية وتعلم بفاس ونزل بجاية، ورحل إلى المشرق ولقي الشيخ عبد القادر الجيلاني (ت560هـ). ولما شاع ذكره وكثر تلاميذه استدعاه الخليفة يعقوب المنصور الموحي فمات بتلمسان، ودفن بالعباد سنة (594هـ). من آثاره: أنس الوحيد ونزهة المريد في علم التوحيد، رسالة في آداب المريد، عقيدة أبي مدين، رسالة فيما يجب على المريد، الحكم. انظر: مغلوب محمد، شجرة النور الزكية، بيروت، دار الفكر، د. ت. (508)، ص164. ابن مريم المديوني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1985، ص108. الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، ط1، الجزائر، دار البصائر، 2007. عنوان الدراية، ص7.

وأما مع الدولة الموحدية ⁽¹⁾ وتعاضم شأن الطلبة والفقهاء كانت الانطلاقة الجادة لحركة التصوف، وتوسع دوائر وجوده ونفوذه، ثم جاءت مرحلة الانتشار وموازة الفقه والفقهاء في الدولة الزيانية، حيث التأسيس لشرعية التصوف مع السنوسي في خلافه مع العقباني وأبي الحسن الصغير، وأخيرا التأسيس الفعلي لسلطة الطرق والزوايا في الفترة العثمانية.

وكانت أهم الكتب الصوفية المتداولة هي: إحياء علوم الدين، وقوت القلوب لأبي طالب المكي، والرسالة القشيرية، والرعاية للمحاسبي، وكتب عبد الحق الإشبيلي، وعبد الرحمان الثعالبي.

ثانيا: أهم قناطر التصوف الجزائرية.

1-الوارد المشرقي: كان المشرق وما يزال منطلقا لحركات المتصوفة منذ العهود الأولى، فأخبار وآثار أعلامه من طبقة الجنيد ومن بعده كانت ملهمة لمتصوفة الغرب، وكان الوارد المشرقي يتخذ من القيروان قنطرة لعبوره لباقي المغرب، ويكفي استعراض مدونة "رياض النفوس في طبقات علماء إفريقية وزهادهم ونساکهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم" للمالكي، لكشف حال حركة الزهد المصاحبة لحلقات العلم ففي وصف مجلس سحنون: "قال: كان الذين يحضرون مجلس سحنون من العباد أكثر ممن يحضره من طلبة العلم، كانوا يأتون إليه من أقطار الأرض"⁽²⁾.

ولم يكن علماء الغرب الإسلامي بمعزل عن هذه النزعة الصوفية الزهدية، ويكفي التذكير بمكانة الغزالي وإحيائه، حتى إن أبا علي الحسن بن علي المسيلي (580هـ)⁽³⁾ تلميذ أبي مدين، الملقب بأبي حامد الصغير كان يحفظ الإحياء عن ظهر قلب، وأهم مرجع متقدم مؤرخ للمتصوفة الجزائريين هو كتاب المغدور الغبريني (704هـ) في عنوان الدراية.

2- الوارد الأندلسي: وهو ذو صبغة فلسفية في الغالب كابن عربي الذي استقر فترة بفاس ثم بجاية، وابن سبعين الذي: "سكن بجاية مدة، وله أتباع كثيرون من الفقهاء ومن عامة الناس"⁽⁴⁾، في حين لجأ الحلوي إلى تلمسان ومها توفي⁽⁵⁾، ونظرا للنزوع الفلسفي لهؤلاء ومقارعة الفقهاء لهم خلت الأسانيد الصوفية في لبس المرقعات أو رواية المسلسلات عن هؤلاء المتصوفة الفلاسفة، ولكن هذا لم يمنع كتب ابن عربي من الحضور في الدرس الصوفي المتأخر كما هو عند ابن عجيبة المغربي، أو الأمير عبد القادر، ومن قبله أحمد التجاني،

(1) الكتب والأبحاث قليلة جدا فيما قبل العثمانيين، ومنها ما كتبه بارجيس، "تممة بني زيان ملوك تلمسان"، واعتمد فيه كتاب التنسي "نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان"، وألفرد بل، التصوف في الغرب الإسلامي من القرن الثاني عشر الى القرن الثالث عشر الميلادي" نشر بمركز الدراسات الشرقية سنة 1934، وأميل درمنغهام "تقديس الأولياء في الغرب الإسلامي" طبع سنة 1954.

(2) أبو بكر المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء إفريقية، ط 2، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1994، (147)، ج 1 ص 443.

(3) انظر عن المسيلي عنوان الدراية، مرجع سابق، ص 33. عادل نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر، ط2، بيروت، مؤسسة نويهض، 1980، ص 299 / أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، الجزائر، موفم للنشر، 1991، ج 1 ص 68.

(4) الغبريني، المرجع سابق، ص 209. وانظر عبید بوداود، ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجري دراسة في التاريخ السوسيو-ثقافي، الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2003، ص 68.

(5) ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مصدر سابق، ص 68.

وفيه جزء سني مثله عبد الحق الإشبيلي قاطن بجاية (ت581هـ)⁽¹⁾، وأهم شخصية هي أبو مدين (594هـ)⁽²⁾ الذي يُعد واسطة العقد في متصوفة المغرب الأوسط.

3- **الوراد المغربي**: وهو وارد قوي بدأ من أيام المرابطين والموحدين، واستطار بعد ذلك أيام المرينيين والزيانيين، ويمكن التمثيل لذلك بشخصية محتسب الصوفية أحمد زروق، دفين مصراتة (899هـ)، والذي أقام فترة ببجاية، وشكل تيارا صوفيا سنيا تأثر به ابن الفكون⁽³⁾ والأخضري، وكان من تلامذته أحمد بن يوسف الملياني، ولكن الشكل المؤسسي سيكون متأخرا مع الطرق الطيبية والجزولية والعيساوية وأخيرا طريقة الشيخ محمد العربي الدرقاوي.

4- **التصوف المحلي**: والذي تعود جذوره إلى حركة الزهد المصاحبة للمذهب الإباضي أيام الدولة الرستمية وما بعدها، وترسخ الأمر في سلوك الفقهاء المالكية، ومن نماذج ذلك أحمد بن قاسم التميمي التاهرتي (309-395هـ) محدث من الزهاد قصد الأندلس⁽⁴⁾، في حين يحيل التشوف للزيات التادلي لقلّة من الجزائريين في مدونته، وربما يرجع الأمر لقلّة التواصل المغاربي قبيل الموحدين. إلا أن أهم الشخصيات المحلية في المغرب المتوسط التي ستنتقل معها شعلة التصوف هو أبو مدين، ثم سيكون سمة عامة للطبقة المتفقهة مع عبد الرحمان الثعالبي، كما يبرز في الشرق أبو مروان البوني، وفي الغرب الشيخ الهواري⁽⁵⁾، وفي تلمسان محمد بن يوسف السنوسي، وفي القبائل ستطير شهرة الشيخ يحيى العيدلي⁽⁶⁾.

والقول العلمي هو أن كل الطرق الصوفية الجزائرية تعود إلى مشربين مهمين هما القادري والشاذلي، فالقادريّة تنسب إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني، والشاذلية إلى أبي الحسن الشاذلي، وطريقته هي الأكثر انتشارا وتفرعت عنها طرق كثيرة.

أ- عبد القادر بن موسى بن عبد الله أبو محمد الكيلاني، ولد بجيلان في شمال فارس سنة (470هـ/1077م)، وانتقل لبغداد ليؤسس مدرسة علمية تربوية سنة (528هـ)، درّس فيها مختلف العلوم وكان واعظا مشهورا، من آثاره: الغنية لطالبي الحق، إغاثة العارفين، آداب السلوك، توفي ببغداد (561م)⁽⁷⁾.

ب- أبو الحسن الشاذلي: علي بن عبد الله الضهير (593-656هـ) من بلد غمارة بالمغرب، استوطن شاذلة بتونس ونُسب إليها، رحل إلى المشرق، ولقي أبا الفتح الواسطي تلميذ العالم الرباني أحمد الرفاعي (578هـ)،

(1) انظر الغبريني، عنوان الدراية، مصدر سابق، ص18. تعريف الخلف، مرجع سابق، ج 2 ص 1.

(2) التادلي ابن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق أحمد التوفيق، ط2، الرباط، منشورات كلية الآداب، 1997. (162)، ص319. وأفرده ابن قنفذ القسنطيني (ت810هـ) بترجمة كاملة في كتابه أنس الفقير وعز الحقيّر في التعريف بالشيخ أبي مدين وأصحابه.

(3) ابن الفكون عبد الكريم، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تحقيق أبو القاسم سعد الله، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1987، ص 144. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1998. ج 4 ص 85.

(4) عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص34.

(5) انظر ابن سعد، روضة النسرّين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، (الهوري والتازي والغماري التلمساني، والشيخ أبركان).

(6) يحي العيدلي: فقيه صوفي ولد قرب بني عباس بالصومال بالجزائر، نشأ زاهدا وأخذ العلم عن شيوخ الوقت من حلقة عبد الرحمان الوغليسي (786) واختار المسلك الشاذلي وأسس مدرسة بتمقرة حيث توفي سنة (881-1476م)، انظر تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 364.

(7) انظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج 20 ص 439. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ط6، بيروت، دار الكتاب العربي، ج 9 ص 270.

فأشار عليه بالعودة للمغرب فتتلمذ هنالك لعبد السلام بن مشيش (622هـ). وفي تونس حيث أقام اصطدم بالسلطة الزمنية فتوجه إلى مصر واستقر بالإسكندرية، وكثر أتباعه وطلبته، وأسهم في رد الحملة الصليبية على مصر (648هـ)، وتوفي في منطقة "حميثرا" قرب البحر الأحمر في طريقه للحج، وخلفه على مدرسته الروحية أبو العباس المرسى، ومن بعده ابن عطاء الله السكندري، انتشرت طريقته في الأفاق. من آثاره: المقدمة العزية، عمدة السالك على مذهب الإمام مالك، أسرار الجليل، حزب الفلاح، حزب البحر⁽¹⁾، واشتهرت الطريقة بالبساطة، وعدم إنكار الدنيا بالكلية، والتوسط وعدم المغالاة، وكانت توصي بتجنب المحرمات، ومحبة الإخوان وإنكار الذات، والقيام بالفرائض الدينية.

ثالثا: الفترة التأسيسية للمؤسسة الصوفية في العهد الزياني.

يمكن الوقوف أمام أسباب عديدة وراء قوة الموقف الصوف ومؤسساته الناشئة، فمن ذلك توتر الفعل الصوفي الجزائري نتيجة ضعف الدولة المركزية في السيطرة على الأقاليم، وبقاء أكثرها خارج رسوم السلطة إلا في أيام جمع الضرائب، كما أن من العوامل التي شددت من أزر المتصوفة أمام السلط الدنيوية شيوع فكرة المظلومية منذ أمد بعيد مع السلط المتعاقبة، وخاصة أيام المرابطين، وإحراق كتاب الإحياء للغزالي، والتضييق على رموز التصوف أمثال ابن برجان وابن العريف، وأبي يعزى وغيرهم⁽²⁾، وفشل السلطة المرابطية في تقويض السلطان الروحي للمتصوفة، وأما في الزمن الموحد فقد تصاعدت دعوات بعضهم بالانشداد للمهدية والخلاص، كما هي تجربة المهدي بن تومرت، والماسي، وغيرهم⁽³⁾.

ولما جاء العصر الزياني حُسمت معركة الفقهاء والمتصوفة بالتصالح، واندماج الفقه والتصوف مع محمد بن يوسف السنوسي الذي خاض معركة فكرية مع عصريه العقباني وأبي الحسن الصغير⁽⁴⁾. وفي أواخره علت سلطة المتصوفة، وذلك بالتلاحم الذي حصل بين الفقه والتصوف، ويمكن التمثيل لذلك بأنموذجين:

أ- نموذج عبد الرحمان الثعالبي: وهو المشهور بسلطان العاصمة وسيدها وحاميها، وقد نشأت حول ضريحه زاوية كبيرة كانت محجا لأهل الوسط، ومنها ينطلق الحضور أي قراءة البخاري في (27 رجب)، ليختم بالجامع الكبير، ورمزية الثعالبي كبيرة في مواجهة الإسبان، وله رسالة جهادية تعبوية لأهل بجاية⁽⁵⁾.

ب- نموذج ابن يوسف الملياني: أحمد بن يوسف الملياني الراشدي (ت 931هـ/1524) ولد ببني راشد بسهل الشلف ودرس بتلمسان، وأخذ عن الشيخ زروق ببجاية، وأسس زاوية في رأس الماء بالشلف، وعارض حكام بني زيان وانتصر للعثمانيين، وألف عنه القلعي كتاب منقبيا بعنوان "بستان الأزهار في مناقب زمزم الأخيار

(1) انظر: ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د-ت، ج 5 ص 278. معجم مشاهير المغاربة، جامعة الجزائر، طبع الملكية للطباعة والنشر، 1995، ص 299. عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ط 1، بيروت، دار الرسالة، 1993، ج 2 ص 467.

(2) إبراهيم، القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، المجتمع والذهنيات والأولياء، ص 111.

(3) انظر: عبد الرحمان ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، تحقيق خليل شحادة، ط 2، بيروت، دار الفكر، 1988، ج 1 ص 407. بل ألفرد، الفرق الإسلامية في شمال إفريقيا، تحقيق عبد الرحمان بدوي، ط 2، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1981، ص 392.

(4) السنوسي، نصرة الفقير في الرد على أبي الحسن الصغير، ملحق بكتاب الإمام ابن يوسف السنوسي وعلم التوحيد، ص 312.

(5) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ط 3، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1990، ج 1 ص 201. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4 ص

ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار⁽¹⁾، وقد انتسبت إليه طائفة كتب العلماء عن انحرافها وتسمى باليوسفية أو الشراقة، وبالمغرب الأقصى يعرفون بالعكاكزة، وذكر الشاوي: "ومنهم جماعة في بلاد عمرواوة وجماعة في متيجة، وأما المدينة فثلثا أعرابها على هذه العقيدة بألوهية الشيخ أحمد بن يوسف، وأنه لم يلد ولم يولد، وأكثر هؤلاء بأطراف المغرب الأقصى بفاس وهم العكاكزة وغيرهم، وبأطراف مليانة منهم كثير"⁽²⁾. وترجع أهمية الملياني في دعمه للأتراك في جهادهم ضد الإسبان، وإزاحة بني زيان حلفائهم، فقد استطاع بجهوده وانبثات تلامذته في الغرب الجزائري أن يسحب بساط الشرعية من تحت الزيانيين، وبقيت ذكراه حية في الأرجال والأمثال والأساطير، وكتبت عنه كتب منقبية متأخرة مثلما فعل علي بن الحاج موسى قيم ضرح الثعالبي في كتابه "ربح التجارة"⁽³⁾.

رابعا: أسباب قوة الطرق الصوفية في الجزائر.

1- ميراث الجزائر العثمانية: لعب المتصوفة أدوارا هائلة في ضبط التماسك الاجتماعي في غياب السلطة المركزية القوية، ويمثل لنا شاهدا الثعالبي ومحمد بن يوسف الملياني خير دليل على ذلك، إضافة للمغيلي بالجنوب، وذلك قبل الوجود العثماني، وبعد ذلك كان وهج التجارب الصوفية في إقامة دول بالجار المغرب الأقصى كما هو الحال مع السعديين والعلويين، وبعض التجارب الأخرى كالزاوية الدلائية⁽⁴⁾، وثورة ابن أبي محلي بالجنوب والذي نجح ظرفيا في إقامة دولة⁽⁵⁾، ويكفي التذكير بمصنّف كعبة الطائفين لمحمد بن سليمان التلمساني⁽⁶⁾. الذي شحنه بأخبار صلحاء الجزائر والتصوف الطاغي في تلك الفترة، حيث ترسخت الطرق وجودا واقعا في عهد العثمانيين⁽⁷⁾.

2- التلاحم الفقهي الصوفي: فأكثر المترجم لهم في كتب الطبقات من الفقهاء كانوا يجمعون بين الفقه والتصوف، فيقال فلان المالكي مذهبا، الأشعري اعتقادا، الشاذلي طريقة⁽⁸⁾.

3- عدم مركزية الجامعة العلمية: فبغيا ب جامعة علمية موحدة في الجزائر خفتت الأصوات العلمية أو القضائية ضد متصوفة الوقت، حيث توزعت السلطة العلمية بين عديد الزوايا والمراكز، على العكس من التجريبتين المجاورتين في تونس والمغرب حيث جامعتا القرويين والزيتونة.

(1) انظر ابن عسكر الشفشاوني، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشائخ القرن العاشر، تحقيق محمد حجي، ط3، الدار البيضاء، مركز التراث الثقافي، 2003، رقم 123 ص112. الحفناوي، تعريف الخلف، مرجع سابق، ج 1 ص 355.

(2) ليليا شنتوح، الجهود الكلامية ليجي الشاوي، ص55/ عبد الله نجمي، التصوف والبدعة بالمغرب طائفة العكاكزة، الرباط، منشورات كلية لأداب، 2000. التصوف والبدعة بالمغرب طائفة العكاكزة، ص325.

(3) علي بن الحاج موسى: (1833-1913). انظر عنه تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 488.

(4) انظر محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، الرباط، مطبعة فضالة، 1964. ص 161.

(5) عبد الله حمادي، السلطان السجلماسي الفقيه الصوفي المفتى عليه أحمد بن أبي محلي، ط1، الجزائر، دار بوسعادة، 2013، ج 1 ص 111.

(6) محمد بن سليمان بن الصائم التلمساني (ق 11هـ) صاحب كتاب "بهجة الطائفين وكعبة العارفين في الكلام على قصيدة حزب العارفين" وهو شرح لقصيدة شيخه لموسى بن علي الملالي التلمساني. انظر سعد الله، أبحاث وأراء، مرجع سابق، ج 1 ص 159.

(7) مختار فيلالي، نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني، دار الفن القرافيكي، باتنة، د، ت، ص34.

(8) انظر نموذجا لذلك تراجم الحفناوي في موسوعته "تعريف الخلف بالسلف"، وغيرها.

4- جهادية الطرق الصوفية: أسهمت الطرق الصوفية في الغرب الجزائري في الفعل الجهادي المتوتر والدائم مع إسبانيا خاصة، فقد عرفت الجزائر حركة جهادية واسعة ضد الإسبان المحتلين لمدينتي وهران والمرسى الكبير المحتلين منذ (1509). حتى كان التحرير الأخير على يد الباي محمد عثمان الكبير سنة (1792)، تحرير أسهم فيه الطلبة والعلماء المتصوفة بجلاء من خلال مشاركتهم الفاعلة بالحال واللسان والسنان كما هو شأن العلامة أبي راس المعسكري مع العديد من طلبة الزوايا وأتباع الطرق في الغرب الجزائري⁽¹⁾.

وقد شاع أدب تحرير وهران وذاع في الحضرات والجموع الصوفية، ومن ذلك شرح أرجوزة الحلفاوي محمد بن أحمد متولى الخطابة في تلمسان وهي تتناول استرجاع وهران الأول سنة (1708)، وكذا قصيدة الانتصار على الإسبان في مزغران للشاعر المتصوف بن خلوف، كما برزت في العاصمة الرمزية المتدولة في الذاكرة الشعبية لحماة مدينة الجزائر أمثال الولي دادة حاميا في غزوة شارلكان (1541)، وسيدي بولقدور، وسيدي بتقة (أبو التقى)، وسيدي يوسف الزنجي، حيث كانت لمقاماتهم أوقاف كثيرة، وكان الغزاة يتبركون بهم قبل الذهاب إلى أي غزوة جديدة⁽²⁾.

ومن هؤلاء المبرزين: أبو طالب المازوني: محمد بن علي شارح صغرى السنوسي، والذي شارك في معارك وهران مع الباي محمد الكبير وقد جاوز الثمانين ومعه مائتان من طلبة مازونة، وقد استشهد ولده هني في البلدة المعروفة اليوم ببوهني بوهرا، وبعد فتح وهران الثاني سنة (1792) بنى له باي وهران زاوية كبيرة بمازونة، وتوفي سنة (1233هـ/1814م)⁽³⁾. وكذا أبو القاسم توزنيت المستشهد عند حاسي الأحرش بوهرا (1118هـ)، وترجم له بوراس في رحلته. وهو شيخ أحمد بن ثابت التلمساني المقرئ المتوفي (1158) صاحب "الرسالة الغراء في ترتيب اختلاف وجوه القراء"⁽⁴⁾. ومن هذه الكتب المشيدة بشيوخ الوقت ما دونه محمد العربي بن مصباح في "توشيح طراز الخياطة بشمائل شيخ شلاطة" وهو عن حياة الشيخ "محمد بن علي الشريف" الذي مدح بوضع وثلاثين قصيدة، وهو الذي ألف في الفلك "معالم الاستبصار بتفصيل الأزمان ومنافع البوادي والأمصار" وشارك الشيخ في الدفاع عن الجزائر في معركة شارلكان (1541)⁽⁵⁾.

5- الثورات ضد النظام العثماني: حضرت بعض الطرق الصوفية في الحراك السياسي والاجتماعي أيام العثمانيين الذين أخذوا شرعية حكمهم من جهادهم للإسبان، ومن دعم شيوخ التصوف لهم، ولكن مع

(1) انظر الراشدي أحمد بن سحنون، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق المهدي بوعبدلي، الأعمال الكاملة، الجزائر، عالم المعرفة، 2013، ص 474. أبو راس المعسكري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار ط1، وهران، منشورات مركز البحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية. 008، ج 2 ص 174. مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، د، ت، ج 3 ص 238.

(2) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 62، ص 115.

(3) أرخ لذلك التحرير علماء كثر، ونشأ ما يسعى بأدب تحرير وهران بالثر والشعر والأزجال والشعر الملحون. وفي ذلك يمكن العودة إلى مثل مصطفى بن زرفة الدحاوي "الرحلة القمرية في السيرة المحمدية-محمد باي الكبير-، أو كتاب عبد الرحمان الجامعي "فتح مدينة وهران"- مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية رقم 2521-انظر أيضا: أبو راس المعسكري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، مرجع سابق، ج 2 ص 174. أحمد بن سحنون، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني-المقدمة للبوعبدلي-، مرجع سابق، ص 68-71.

(4) المهدي البوعبدلي، الأعمال الكاملة، جمع عبد الرحمان دويب، ط1، الجزائر، عالم المعرفة، 2013. الحياة الثقافية في الجزائر، ص 73.

(5) البوعبدلي، الأعمال الكاملة، التعريف بالكتب، المرجع السابق، ص 143.

تقلبات الحكم، والسيرة السيئة لبعضهم انخرطت بعض الطرق في حركات مسلحة ضد الجور التركي الذي أرقق الساكنة بالضرائب، فكانت ثورة أهل تلمسان ضد الأتراك سنة (1035هـ)، وثورة محمد بن أحمد السوسي سنة (1037هـ) بتلمسان، وقد اتهم بأنه يعمل لصالح السلطة المغربية، كما أشار لذلك صاحب كعبة الطائفين وابن الفكون في المنشور⁽¹⁾.

لكن أهم ما أرقق العثمانيين هي ثورات الدرقاويين في الغرب الجزائري مع عبد القادر الفليتي، والشرق مع ابن الشريف الأحرش، وكانت الإدارة تتهمها بالولاء للمغرب حيث مقر الطريقة الدرقاوية، وأخيرا كانت ثورة التجانيين ضد بايليك الغرب، مما انجر عن ذلك تشديد الرقابة على الطرق والزوايا والشيخوخ كما هو الأمر مع مكي الدين وابنه عبد القادر.

6- رمزية الزعماء الشهداء: تدين الذاكرة الجزائرية الجمعية في مخيالها التحرري لسلطة الشيخ الشهداء وغيرهم الذين كانوا سلطا روحية موازية وعاتية الحضور في مقابل السلطة العثمانية أو قل التركية بالأحرى. ومن هؤلاء الشيخ الشهداء الشيخ سيدي بلقندوز الذي يرجع نسبه لسيد محمد أقدار الذي حوى مسلمي الأندلس الوافدين، وهو من تلاميذ الشيخ أبي عبد الله محمد بن الطالب بن سودة المري الفاسي (ت 1207هـ)، قال الجبرتي: ومنهم سيبويه زمانه سيدي محمد ابن الحسن الجندوز قرأ عليه الألفية فكان يملئ من حفظه في اثنا عشر الشروح والحواشي وشروح الكافية والتسهيل والرضي والمعنى والشواهد وغير ذلك مما يستجاد ويستغرب وقرأ عليه السلم والتلخيص⁽²⁾.

وقد قتله القائد حسن بن موسى قائد فليته، والذي صار بايا لوههران سنوات (1826-1830)، حيث هاجم زاويته سنة (1829)، وشتت طلبتها القادمين من قبائل بني عامر والحشم والبرجية والزماله وفليته ومجاهر وبني شقران، وتمت الفعلة الشعبية على يد ابن دهماء العامري الذي قتل الشيخ بلقندوز في منطقة وايرزان، وقيل أعدم بمارونة. وهو شيخ أبي راس الناصري، وقد أسس زاوية بمنطقة تحمدا بالمطمر بغليزان، وكان قادري الطريقة، كما أنه شيخ الشارف بن تكوك مؤسس الزاوية التكوكية السنوسية، الذي رثاه بغوتية شهيرة عقب قتله من قبل الأتراك. وجاء فيها⁽³⁾:

ارحم شيخي بالقدوز.....مريد الشيخ المعزوز/ عبد القادريه نفوز.....عند الرجال للزوميا

يارب عذب حسن.....بركت بيت الله تعيان/ الطلبة قعدت تنهان.....و افترقوا في بكريا

كما قتل شيوخا آخرين مناصرين للدرقاويين والتجانيين الثائرين عليه، ومن هؤلاء الشيخ محمد بن حواء، ومحمد بن أحمد الصدمي، داود المزالي، والشيخ فرقان الفليتي⁽⁴⁾.

(1) أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم ابن الفكون داعية السلفية، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1986، ص 17. ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر ومفتيها، تحقيق فارس كعوان، الجزائر، بيت الحكمة، 2009، ص 48.

(2) عبد الرحمان الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، بيروت، دار الجيل، د، ت، ج 2 ص 150.

(3) محمد مفلح، أعلام من منطقة غليزان، الجزائر، دار المعرفة، 2009، ص 31. المهدي البوعبدلي، مقدمة دليل الحيران وأنيس السهران للزياني، مصدر سابق، ص 22.

(4) الأغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود، تحقيق يحي بوعزيز، ط 1 بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1990، ج 1 ص 326. ص 368.

المطلب الثاني: الطقوس الروحية الطرقية.

اعتمدت الطرق وسائل للتواصل وشعائر لتلبية الحاجات الروحية والمجتمعية للمنتسبين لها من الإخوان والأحباب والمريدين، من أجل تمتين الروابط المؤسسية وتنظيم الشعائر الدينية داخل الطرق الصوفية.

لكن كل الطرق تعتمد مرتكزين اثنين هما: السلسلة أو السند الصوفي للنبي صلى الله عليه وسلم، وثانيهما القول بالكشف بالرؤى أو بالمباشرة بالتلقي كفاحا عن النبي صلى الله عليه وسلم أو عن الخضر عليه السلام، هذا فضلا عن رموز دينية خاصة بكل طريقة، ومن أهم الطقوس ما يأتي:

أولا: الأوراد: وهي مجموعة من الأذكار والأدعية والصلوات وسور وأجزاء من القرآن يلتزم المريد بأدائها، ويؤخذ العهد منه على ذلك، ولأغلب الطرق أوراد وتسمى وظائف أو أحزاب، بعضها يومي وآخر أسبوعي، وهي تختلف من طريقة إلى أخرى، فمثلا:

أ/ ورد القادرية: الاستغفار مائة مرة، الصلاة على النبي مائة مرة، الفاتحة، المعوذات، ولها أحزاب وأوراد أسبوعية كحزب الإشراق، النور، الوسيلة وغيرها.

ج/ أوراد الرحمانية: نص الإجازة الخلوتية: "قد أجزت العارف بالله أن يعطي أورادنا أي أوراد طريقتنا البركة الخلوتية لسائر المسلمين، كما أذن لشيخه أن يعطيها، أي شيخه الذي هو الكاتب لهذه الإجازة بالبنان، محمد بن عبد الرحمان الأزهري مجاورة، أوله: "لا إله إلا الله، ثم الله، ثم حق، ثم حي، ثم قيوم، ثم قهار"⁽¹⁾.

أوراد الطريقة الخلوتية الأربعة، وتباشر بعد قراءة الصلاة الأمية المشروعة بعد صلاة عصر يوم الجمعة⁽²⁾.

د/ الشاذلية: الصلاة الشاذلية: "اللهم صل وسلم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه" ثمانين مرة. كما تتميز الطرق الصوفية في نظر البعض بميزات خاصة، فالقادرية تتميز بالإحسان والصدقة، والرحمانية بالعزلة والانفرادية -الخلوة-، والعيساوية الغموض والتصرف الخشن بما يوحي بعدم أهمية الإحساس البدني عندها، والدرقاوية بتفضيل الفقر والابتعاد عن طلاب السلطة، والطيبية تلج على احترام آل البيت والإخلاص إليهم، والتجانية عرفت بالتسامح والاعتدال، والسنوسية بإعطاء الأولوية للسلطة الدينية والدعوة للجامعة الإسلامية"⁽³⁾.

(1) انظر ماجدة القاسمي الحسني، الطريقة الرحمانية أركانها وأصولها، ماجستر عقيدة، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإسلامية، 2000، ص 74.

(2) هي الصلاة الشاذلية: "اللهم صل وسلم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه" ثمانين مرة. نفسه ص 74. ثم من عصر يوم الجمعة إلى عصر يوم السبت، ذكر "لا إله إلا الله" بالقوة والشدة والثبت، وهو ذكر مقام النفس الأمانة بالسوء ويقال له مقام سجين، ومقام الأغيار وأسفل سافلين، ومن عصر يوم السبت إلى عصر يوم الأحد، ذكر لفظ الجلالة، وهو "الله" الاسم المفرد، وهو ذكر مقام النفس اللوامة، التي تأمر صاحبها بفعل السوء وترجع عليه باللوم والإنكار، ويقال له مقام الأنوار. ومن عصر يوم الأحد إلى عصر يوم الاثنين ذكر اسمه تعالى "هو"، بالتشديد والقوة، وهو ذكر مقام النفس الملهمة، التي تلهم فجورها وتقواها، بحيث ترى الحق حقا فتتبعه وترتكبه، والباطل باطلا فتتركه وتجتنبه، ويقال له مقام الأسرار والهيات، وفيه ترى الهوية الإلهية سارية في جميع الموجودات. ومن عصر يوم الاثنين إلى عصر يوم الثلاثاء ذكر اسمه تعالى "حق"، بالرفع والتشديد كما يستحق، وهو ذكر مقام النفس المطمئنة ويقال له مقام الوصال، وهو أول مقامات الكمال. ومن عصر يوم الخميس إلى عصر يوم الجمعة يكون ذكرهما الصلاة والسلام، على النبي عليه وآله الصلاة والسلام.

(3) Louis Rinn: Marabouts Et Khouans, Etude sur L'Islam En Algéri. p76.

ثانيا: التراتبية الصوفية: الطريقة هي المنهج الصوفي المتبع في تربية وتسليك المريدين على طريق الأوراد والوظائف والذكر والالتزامات الدينية التي يفرضها الشيخ المربي أو من ينوبه من المقدمين. ويعتد المتصوفة لمصطلحهم بما ورد في القرآن الكريم: ﴿وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ [سورة الجن، 16] والطرق الصوفية مذاهب في التربية والزهد وأغلبها يعود إلى الشيخين عبد القادر الجيلاني (561هـ)، أي الطرق القادرية، وأبي الحسن الشاذلي (656هـ) أي الطرق الشاذلية، وفي العهد الحديث برزت طريقة مغايرة للمشربين وهي طريقة أبي العباس أحمد التجاني الجزائري (1230هـ-1815م)⁽¹⁾.

وهذه التراتبية الطرقية توازي التنظيم المخزني السائد في البلاد المغربية، وكأنه أريد لها أن تكون سلطة معوضة، أو بديلا ومنافسا للسلطة الدنيوية. ويراد بالمخزنية العاملون في الوظائف السلطانية الحربية والمالية، وأصل الكلمة يعود إلى جمع الضرائب في مخزن أو خزينة السلطان، ثم شاع استعماله من عهد السعديين كدلالة على الملتحقين بالوظائف الحكومية. وتسمى البلد الخاضعة للضرائب الملكية بلاد المخزن، وغيرها بلاد السبية، أي السائبة التي لا تخضع لسلطان، وكانت بلاد القبائل في أغلبها في عهد الأتراك بلاد سبية لا تخضع إلا لسلطة المرابطين الدينية. أما دار السلطان وبايليك التيطري والشرق (قسنطينة)، والغرب (معسكر ثم وهران) فهي بلاد مخزن⁽²⁾.

والزوايا مكان متكامل في التدريس والقيام بالشؤون الاجتماعية وفي بعض الأحيان الطبية، فهي على الجملة مؤسسة شاملة، فهي مسجد للعبادة، ومدرسة للتعليم، وملجأ للمهاجرين، ومأوى للغرباء، ومركز للفقراء، وهي "مدرسة دينية ومجانية للضيافة، وهي بهذين الوصفين تشبه كثيرا في العصور الوسطى للدير"⁽³⁾. وقد ساعدت الزوايا في تمتين الروابط الاجتماعية بالفصل في الصراعات القبلية بحكم نفوذها الروحي الذي كان عامل استقرار للقبيلة، وعامل انسجام لمجتمع الريف، وبذلك ألغت الزاوية شبكة اجتماعية ذات فعالية ومصداقية حافظت من خلالها على الاقتصاد القبلي المحلي، مستندة إلى مبدأ التكافل الاجتماعي⁽⁴⁾. والزوايا من حيث التأسيس والوظيفة والغاية أنواع، يمكن إجمالها في الآتي:

المطلب الثالث: تصنيفات الزوايا والطرق الجزائرية.

أولا- أنواع الزوايا من حيث العمران.

1- الزوايا الحضرية: وهي التي تنشأ في الحواضر الكبرى مثل تلمسان والجزائر وبجاية وقسنطينة، وهي متأخرة النشأة مقارنة بغيرها، والغالب أن تكون للتدريس، مثل زاوية الثعالبي بالعاصمة، وزاوية آل الفكون بقسنطينة.

2- الزوايا الريفية والجبلية: وهي الأكثر انتشارا في الجزائر، وذلك لأنها تؤطر الهيئة الاجتماعية نظرا لبعدها عن مراكز السلطة، ونماذج ذلك زوايا بلاد القبائل، مثل زاوية سيدي منصور وعبد الرحمان اليلولي، وزاوية

(1) انظر عبد المنعم الحفني، الموسوعة الصوفية، ط1، القاهرة، دار الرشاد، 1992، ص264.

(2) انظر في ذلك حمدان خوجة، المرأة، تحقيق محمد العربي الزبيري، ط2، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982، ص111.

(3) محمد نسيب، زوايا العلم والقرآن بالجزائر، الجزائر، دار الفكر، د، ت، ص27. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج3 ص171.

(4) ناصر الدين سعيدوني، في الهوية والانتماء الحضاري، مؤسسة الزوايا، دار البصائر الجديدة، 2013، ص41.

الهامل ببوسعادة، الزاوية الخيرانية بالأوراس، ويمكن إدراج الزوايا القارة في القصور الصحراوية في هذا القسم مثل زوايا توات وتيديكلت.

3- الزوايا الصحراوية: وهي في الغالب مترابطة مع المدارس المتنقلة، وهي التي ترحل برحيل القبائل تتبعاً للكلاً والعشب والماء، وحسب حركات القبائل في الصيف والشتاء، وكانت القبائل تتنافس في تحصيل أجود المعلمين، وتدفع لهم بسخاء وربما زوجوه، ومن المعلمين الذين مارسوا التعليم تقي الدين الهلالي عند قبائل حميان⁽¹⁾، ومن نماذج ذلك زوايا آل سيد الشيخ بالجنوب الوهراني، والتي كانت ترحل برحيل شيوخها أمثال الحاج بحوص بن سيدي الشيخ⁽²⁾. وكانت هذه الزوايا المتحركة والمتنقلة من الكثرة بمكان أيام سيادة الطابع الرعوي على كثير من القبائل والأعراس⁽³⁾.

ثانياً- من حيث التعليم والتصوف.

تنقسم الزوايا في الوظيفة التعليمية والتربوية إلى أنواع متعددة يتداخل بعضها مع بعض، أو ينفصل في أحيان، مع ملاحظة تغير الوظائف أو ضمور بعضها بتغير الهيئة المشرفة، أو بعوامل الضغط السياسي كما هو الأمر أيام الاستعمار.

1- الزوايا الصوفية التربوية: وهي التي تتبع الطرق الصوفية، وتختص بمهام التربية والتسليك ومتابعة المريدين، وفي الغالب تشتمل على مكان الصلاة والمبيت وخلوات الذكر وساحات الحضرة، ونماذج ذلك زاوية عبد الرحمان بوقبرين بالعاصمة، أو الزاوية التجانية بعين ماضي، أو الزاوية الدرقاوية بتيارت، أو الشاذلية بقصر البخاري.

2- الزوايا التعليمية: وهي الأعرض انتشاراً، ومهامها مقتصرة على تحفيظ القرآن الكريم والعلوم الدينية، وقد تكون مرتبطة بالطريقة، أو مقتصرة على التعليم، كما هو الشأن في معاهد الغرب الجزائري في سهل الشلف ومازونة ومعسكر، حيث يقوم الشيوخ المؤهلون بفتح مدارس لهم يأتىها الطلبة للاستزادة من التعليم، ويُطلق عليهم المسافرون، وهم في الغالب يتنقلون بين هذه المعاهد لاستكمال دراستهم، وبعد إجازتهم يخلفون أو يساعدون شيوخهم، أو يفتحون مدارس أخرى في قراهم وقبائلهم.

3- الزوايا العائلية: وهي الزوايا التي تتبع عائلات شرفية ومرابطية معينة، يتوارث أهلها المشيخة فيها، وهي تباشر التعليم أو التربية، وأكثر هذه الزوايا تضمحل عملياً بسبب الضعف الذي يطرأ على الأحفاد المكتفين بالشرف أو سمعة الأولين، وربما تؤول السلطة العلمية فيها إلى شيوخ آخرين مستقدمين لسدّ هذا الفراغ.

ثالثاً: من حيث مستوى التعليم.

1- الزوايا العليا: وهي الزوايا التي تخصصت بتدريس القسم العالي من الفقه والتوحيد واللغة⁽⁴⁾، ويأوي إليها الطلبة الذي أنهموا المسارات السابقة، وذلك مثل الزاوية القشاشية بالعاصمة، أو مدرسة مازونة، أو زاوية آل

(1) عبد القادر خليفي، التعليم القرآني في الجنوب الغربي الجزائري قبل 1962، الجزائر، منشورات وزارة الشؤون الدينية، 2015، ص 73.

(2) أبو سالم العياشي، ماء الموائد الرحلة العياشية للبقاع الحجازية، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2011، ج 1 ص 67.

(3) المدارس التعليمية في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي، كتاب جماعي، مركز الأغواط 2020، ج 1 ص 58.

(4) سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 1 ص 263.

الفكون بقسنطينة، أو الزاوية القاسمية بالهامل، أو الزاوية اليلولية ببلاد القبائل الكبرى، وبعضها يتخصص في فن من الفنون دون غيره، مثل الدراسات القرآنية في زاوية اليلولي التي تختص بطرق نافع العشرة. وبعضها بمختصر خليل كزاويتي مازونة وشلاطة، وبعضها باللغة كزاوية آل الفكون بقسنطينة.

2- الزوايا المتوسطة: وهي التي تزوج بين تحفيظ القرآن الكريم، وأخذ القسم الابتدائي والمتوسط في العلوم الدينية، ويكون الاقتصار فيها على المتون الابتدائية كابن عاشر والأجرومية، ومتن الأخضر، مع الاهتمام بالرسم والضبط للقرآن الكريم، وهي تؤهل خريجها للالتحاق بالزوايا العالية التكوين.

3- الكتاتيب والمحاضر الابتدائية: وهي التي تهتم أصالة بتحفيظ القرآن الكريم وضبطه ورسمه، وكان عملها القاعدي في التعليم قويا ظلل المجتمع كله، حتى أننا نجد في إحدى الشهادات الأجنبية قبيل الاستعمار الفرنسي مقولة لويليام شيلر: "لقد بحث قصدا عن جزائري واحدا يجهل القراءة والكتابة غير أنني لم أعث عليه، في حين أنني وجدت ذلك في بلدان جنوب أوروبا، فقلما يصادف المرء هناك من يستطيع القراءة من بين أفراد الشعب"⁽¹⁾.

رابعاً- من حيث الدور والنظام.

1- الزوايا المرباطية: وهي التي تخضع لإشراف الأسر الشريفة والمرباطية، ويمتزج فيها التعليم بالأدوار الاجتماعية من الضيافة وإصلاح ذات البين، وتنظيم شبكة العلاقات الاجتماعية، ومراكزها تعتبر من أنوية إدارة المجتمع.

وهذه الزوايا الشرفية كثيرة، وغالب الزوايا الصوفية تنمي للأشراف إلا نادرا، وتعد مناطق القبائل أكثر المناطق المأهولة بالزوايا في كل القطر الجزائري⁽²⁾. ومنها: زاوية سيدي عمرو الشريف الحسني، الذي أسسها في القرن الحادي عشر الهجري، وقد أغلقت الزاوية سبع سنين كاملة بعد ثورة الرحمانيين سنة (1871م)، كما أغلقت أيام ثورة التحرير، وزاويته شهيرة في سيدي داود بنواحي وادي يسر، وبها تخرج كثير من الحفاظ⁽³⁾.

وزاوية السيد منصور بتميزار بعززاقة ببلاد القبائل الكبرى، وله مقام بعكورن، واشتهرت بتعليم القرآن ودرس ودرّس بها كثيرون من أمثال الشيخ محمد السعيد أيت يوسف الجنادي، وقد تنازع على الإشراف على الزاوية كل من بني جناد وبني منيع القاطنين بسهل حمزة (البويرة)⁽⁴⁾.

2- الزوايا الطرقية: المهتمة بالتربية والتسليك وهي مختلفة في اقتربها من الروح الصوفية أو بعدها عنه حسب أحوال ومقامات شيوخها، فبعضها رصين، والآخر لصيق بالفلكور ونحوه، وفيها تقام المواسم والوعادات، والزوايا الطرقية كثيرة جدا مثل الزوايا القادرية والشاذلية والتجانية.

(1) أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان (1830-1855)، الجزائر، دار الأمة، 2009، ص 14.

(2) انظر بعض الإحصاءات عند محمد نسيب، زوايا العلم والقرآن بالجزائر، 217. يسلي مكران، الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل، تيزي وزو، دار الأمل، 2006، ص 242. وانظر في كثرة الزوايا بالقبائل: أحمد ساهي، أعلام من زاوية، الجزائر، مطبعة الثورة الإفريقية، ص 31.

(3) انظر تعريف الخلف، مرجع سابق، ج 2 ص 120. محمد نسيب، زوايا العلم والقرآن بالجزائر، مرجع سابق، ص 110.

(4) انظر تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3 ص 190.

3- الزوايا العلمية المستقلة: وهي الزوايا العلمية المحضة التي يديرها الشيوخ والمعلمون، وغالب الزوايا العلمية كذلك، وتوجد استثناءات لذلك مثل زاوية اليلولي والتي يديرها الطلبة بأنفسهم، حتى سميت بجمهورية الطلبة⁽¹⁾.

4- زوايا الفلكور: وهي بعض الزوايا المختصة في الأحفال والحضرات، ويمارس فيها المجتمع أشكالاً من الفلكور الصوفي، مثل الدق بالطبول، أو أكل الأفاعي والزجاج، والمشي على النار، وحفلات الزار، والختان، ومن ذلك نماذج الزوايا العيساوية، وبعض زوايا قناة أو ما يصطلح عليهم بالإسلام الإفريقي أو الأسود، ويمكن أن نضم إلى هذا بعض الزوايا التي تمارس التطبيب الشعبي والروحي، وكتابة العزائم والحروز، وهي ظواهر انتشرت في المجتمع في أيام الاستعمار الفرنسي، وأبانت عن تأخر للزوايا العلمية الرصينة، وتوسع لمثل زوايا الفلكور مما انسحب أثره الفادح على التعليم، وفي تقييم متأخر لأنصار الإصلاحيين: "لقد كرست فرنسا ذلك الضعف في التعليم سعياً منها لتهديم دور الطرق المرابطية التعليمي، وأعانت المشايخ واستجابت لكل من يرغب في فتح زاوية، وربما أعانتها بالمال جزاء قتلهم العقول، وتعطيلهم المواهب، في وقت ناهضت فيه العلماء الناهضين لإصلاح الأمة"⁽²⁾.

المطلب الرابع: الرموز المختلفة للزوايا والطرق الصوفية.

أولاً- الرموز الشخصية: تعتمد الطرق الصوفية تراتبية دقيقة في تنظيماتها الدينية والاجتماعية، والعلاقات قائمة على الاحترام بله التقديس أحياناً، وتزداد القداسة للشيوخ الذين قضوا والذين غالباً ما يتم رسمهم في قباب ومقامات خاصة مشيرة لمكانتهم الدينية، وقد يدفنون حول أضرحة من هم أكبر منهم مقاماً أو علماً. ويمكن الحديث عن بعض الرموز الشخصية ولأد:

أ- الشيخ: أي مرشد الطريقة وزعيمها، ومرجع الأمور الدينية والاجتماعية والسياسية فيها، فهو المرجعية العليا للطريقة كلها، ويشبه في ذلك مرجع التقليد عند الشيعة، والغالب أن يكون الشيخ على قدر كبير من العلم مثل الجرجري، أو يكون مجتهداً كحال الشيخ التجاني، وفي كل الأحوال فلا بد أن يحوز الرضا في الترقى والسلوك الصوفي الذي تظهر آثاره في طاعة الأتباع باعتباره صاحب كرامات وخوارق وبركات، وهو من يمنح البركات ويعين خلفاءه ومقدميه ونوابه عند الناس: "فبعضهم يعتبره ظل الله في الأرض، والنائب عنه في نظر البعض، وعلى الإخوان الطاعة، لأن الله يحكم بطريق الشيخ"⁽³⁾، وقد شاع عند الأتباع نظرية الأقطاب، فالعالم كله يقع تحت تصرف الغوث الأعظم الذي يدير ديواناً فيه سبعة أقطاب يليهم الأغواث الأربعة والأبدال ثم الأولياء⁽⁴⁾.

(1) هانوتو ولوتورنو، منطقة القبائل الكبرى العادات القبائلية، ترجمة مزيان الحاج أحمد أقاسم، الجزائر، منشورات كرجا، 2013، ص 183.

(2) محمد ناصر، المقالة الصحفية في الجزائر (1903-1931)، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1978، ج 1 ص 29.

(3) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 11.

(4) انظر محمد حلي عبد الوهاب، ولاية وأولياء السلطة والمتصوفة في إسلام العصر الوسيط، ط 1، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2009، ص 94.

ولأجل ذلك نسبوا السلطنة الحقيقية للأولياء لا للحكام الزمنيين، فالمدن تنسب لهم دون غيرهم، فالجزائر مدينة سيدي عبد الرحمان، ووهران مدينة سيدي الهواري، وتلمسان مدينة سيدي بومدين، وهكذا، فالكل محروس بالأولياء والصلحاء.

ب- المقدم: في الاستعمال الطرقي من ينوب الشيخ، أو من يكلف بإدارة الزوايا الفرعية للطريقة والزوايا الأم، وسُمي مقدما لتقدمه أو تقدّمه على غيره من المريدين، ويجب أن يكون سالكا لا مجذوبا، وتجمع على المقاديم، وهم نواب الشيخ في تسيير الزوايا الفرعية، ولهم جمع الزكوات والهدايا، وهم الرابطة المتينة بين الشيخ والمريدين، فهم سفراؤه، ويجتمعون به، وينقلون رسائله ووصاياه وتعاليمه⁽¹⁾.

ج- المرباط: الأصل في المرباط هو المجاهد الملازم للثغور البحرية لصد هجمات الأعداء من الإسبان والبرتغاليين والجنوبيين وغيرهم. وهو اصطلاح شرعي إسلامي، والمرباطون جمع مرباط وهو في الأصل من الرباط الذي ورد في فضله أحاديث عدة، وقد ألفت كتب عديدة في فضل المرباطة والجهاد مثل كتاب الجهاد لعبد الله بن المبارك عبد الله، وقدوة الغازي لابن أبي زمنين الألبيري، وكانت هذه الكتب تدارس في الأربطة. واختص الرباط بالثغور والحدود المقابلة للعدو، وبما أن المغرب الإسلامي كان في حالة عداء مستمرة مع دول الشمال الأوروبية النصرانية مثل إسبانيا، فرنسا، جنوة، البندقية، صقلية النورماندية، مالطة، نشأت ربط عديدة على السواحل وفي الداخل أشهرها رباط: المنستير، عنابة، بجاية، تنس، وهران، تازة، أصيلا، طنجة... إلخ ولا أدل على ذلك تسمية الرباط عاصمة المغرب الأقصى⁽²⁾. وكانت الإسكندرية تسمى رباطا وثغرا، وبها أقام الطرطوشي، وكذلك بيروت وطرابلس.

لكن الاستعمال الأكبر لاسم المرباطين يعود إلى الرباط الذي أسسه عبد الله بن ياسين (استشهد سنة 451هـ) ومنه كانت انطلاقا دولة المرباطين في المغرب ثم الأندلس، ومع الهجرات الأندلسية من إسبانيا لسواحل الجزائر، وبعد احتلال بجاية من طرف الإسبان سنة (1510م) بدأ العلماء ينتشرون في قمم جبال جرجرة وحوض الصومام واتخذوا لهم زوايا ومدارس، وعكفوا على التربية والتعليم، فشاعت تسمية المرباطين، ونشأت أسر علمية داخل التجمعات السكانية توارث أهلها حمل لواء العلم والتصوف، وشكل بعضهم سلطا بديلة عن الدولة الغائبة⁽³⁾. وإن انحدر بعضهم عن ميراثه الديني ورضي بالسلطة الزمنية، وهو ما لاحظته رين من ضمور التعصب عند المرباطين بعد فشل الثورات⁽⁴⁾.

د- الشريف: لقب يحيل على المنتسبين للذرية المصطفوية من العلويين أبناء الحسن والحسين، وأغلب أشراف المغرب الإسلامي ينحدرون من السبط الحسني ومن الأدارسة خصوصا، والذين تمكنوا من إنشاء أول

(1) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 22.

(2) انظر محمد الأمين بلغيث، الربط بالغرب الإسلامي ودورها في عصر المرباطين والموحدين، ماجستير في الوسيط بجامعة الجزائر. منشور بالأعمال غير الكاملة له في الجزائر، دار القافلة، 2017.

(3) انظر سعيدوني ناصر الدين، في الهوية والانتماء الحضاري (مؤسسة الزوايا في الجزائر العثمانية نموذج بلاد القبائل)، مرجع سابق، ص 125. بوداود عبيد، ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجري، مرجع سابق، ص 93.

(4) سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 305.

دولة لآل البيت في المغرب على يد إدريس الأكبر [ت177هـ]. ثم إدريس الأصغر [213هـ]. ومن أشهر دولهم إمارات السليمانيين في تلمسان ومتيجة وسهل حمزة⁽¹⁾، كما كان للأشراف في الجزائر دور مهم في السياسة والتعليم وإنشاء الزوايا والربط، وسيكون أغلب القائمين على الطرق الصوفية منهم.

هـ- المجذوب: في الاصطلاح الصوفي المجذوب من جذبه الحق إلى حضرته، والمراد عندهم من غلبته الواردات على عقله، فصار لا يقدر على ممارسة التكليف الظاهرة، أو ينطق بما لا يفهم أو يُقبل عند الفقهاء⁽²⁾. ومنه اللفظة الشعبية "الجذبة"، أي الحضرة الصوفية التي يتواجد فيها الذاكرون، ومن الأسماء المغربية البارزة عبد الرحمان المجذوب (ت1568) الذي يتداول المتصوفة والناس أقواله وأزجاله الرباعية المشهورة⁽³⁾.

و- السالك: السالك عند المتصوفة الذي يترقى في المقامات، أو هو السائر إلى الله المتوسط بين المريد والمنتهي. وعند الجرجاني: "السالك الذي مشى على المقامات بحاله لا بعلمه وتصوره، فكان العلم الحاصل له عينا يأبى من ورود الشبهة المضلة له"⁽⁴⁾ وهو يقابل المجذوب الذي تتغلب عليه الأحوال.

ز- الدرويش، البوهالي: مرادف للمجذوب، ويقصد به الرجل الناطق بالسطح والأمثال الصوفية.

ح- القداش: أقداش وتعنى بالبربرية الخادم الصغير، والعادة أن الطلبة المكلفين بالخدمة في الزاوية يسمون بهذا الاسم، وبعد ذلك صار علما على الطلبة المنتسبين للزوايا والمشتغلين بحفظ الذكر الحكيم. وفي بعض الزوايا يعتبر القداديش رجال الأمن الداخلي للزاوية كما في زاوية أحمد بن إدريس، وللصورة المنطبعة عنهم من الجلد والقوة في صورة قريبة للصعاليك والحرافيش في مصر أو الفتوات في تركيا وبلاد العجم⁽⁵⁾، وقد ارتبطت بهم ثورة الرحمانيين سنة (1871)، فكانت تسمى ثورة القداديش لاقتدارهم على السلاح، وهذه الصورة تذكرنا بصورة العيارين والشطار في بغداد العباسية.

ط- الشواش: مرتبة تتراوح بين الخدمة المباشرة للشيخ بما يوازي في لغة عصرنا بمدير المكتب.

ك- الخدم: الخدام في المتداول الشعبي الجزائري قسمان، الأول المباشرون لخدمة الزاوية ومريديها وزوارها مباشرة، والثاني المنتسبون لها، والذين يجوبون لها الأرزاق والندور من الحبوب والماشية والزيت وغير ذلك، والتي التزم بها أجدادهم أو هم أنفسهم، والمعنى الثاني هم الخدام الروحيون أي المنتسبون بالولاء لإحدى الزوايا، كما هو الحال عند بعض قبائل الصحراء خدم الزاوية الشيخية.

(1) انظر سليمان بهلولي، الدولة السليمانية والإمارات العلوية في المغرب الأوسط (173-342هـ)، الجزائر، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2011، ص 103.

(2) انظر ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ج 1 ص 138.

(3) نور الدين عبد القادر البسكري، القول المأثور من كلام الشيخ عبد الرحمان المجذوب، طبع في الجزائر في المطبعة الثعالبية.

(4) انظر الشريف الجرجاني، التعريفات، اسطنبول، مكتبة الفاتح، د.ت، ص 116.

(5) الفتوة مفهوم صوفي قائم على المروءة وبذل الخير للخلق، وفي اصطلاحهم "هي إثارة الخلق على نفسك في الدنيا والآخرة" تعريفات الجرجاني ص 165. ويستند المتصوفة فيها لقصة أصحاب الكهف: ﴿إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾ [الكهف، 13] وقوله في حق إبراهيم عليه السلام: ﴿قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم﴾ [الأنباء، 60]. كما جعلوا من علي بن أبي طالب قدوتهم في الانتصار للحق، والفتوة قامت عليها طرائق وجماعات، وكانت مدخلا لمفاهيم الرباط والجهاد عند الصوفية. انظر أسعد الخطيب، البطولة والفداء عند الصوفية، ط 3، دمشق، دار الفكر، د.ت، ص 79. وللتوسع انظر كتاب أبو العلا عفيفي "الملامتية والصوفية وأهل الفتوة".

ل- الطالب: الإمام أو المكلف بالتدريس القرآني، ولللفظ جذوره من العهد الموحدى، ففي تنظيماتهم " طلبية الموحدين"، أي المتولين نشر المذهب وتدريسه.

م- لـخونى: ومنه المصطلح الشعبى الدارج "لاخوان" أي مجموعة السالكين فى طرق صوفية الذين يتميزون عن غيرهم بسبح معينة دالة على الطريقة. وفى ذلك العهد اشتهر الرحمانيون بكونهم الإخوان المسلمين الرحمانيين، وقد أخذ حسن البنا (ت1948) هذا الإرث الصوفى وسمى جماعته بالإخوان المسلمين.

ن- أهل التصريف: من الأقطاب والأولياء المتصرفين فى الكون بمشيئة الله على ما يعتقد المتصوفة⁽¹⁾.

س- أهل الديوان: يعتقد المتصوفة أن الديوان مكون من الغوث والأقطاب الأربعة والأبدال والأوتاد، ولهم قدرة على التصريف، ويشيع هذا المصطلح كثيرا فى الأدبيات الشعبية، كما هو الحال عند القناوة فى الجنوب. ثانيا- الرموز المكانية للزوايا: تتعدد الرموز المكانية التى تنسب للزوايا الطرقية أو العلمية أو الشرفية، ومنها: أ- المعصرة: ويراد بها فى بلاد القبائل وما جاورها الكتاب الرئيسى لتحفيظ القرآن الكريم، ومهمة المعمرات هى تخرج حفظة كتاب الله تعالى، وغالبا ما تكون ملحقة بالمقرات الرئيسية للزوايا أو فروعها الأخرى التى يديرها المقاديم.

ب- المحاضرة: وهو اسم يطلق على الكتابات الرئيسية فى الجنوب الجزائرى، ومهمة المحاضرة تعليمية بحثية، واللفظ شائع فى بلاد شنقيط ويراد به المعهد العالى لتعليم العلوم الدينية المختلفة.

ج- المسيد: وهو الكتاب الملحق بالمسجد بلغة الحضر، وربما هى تحريف من كلمة المسجد بلكنة أندلسية.

د- الخلوات: وهى مقار النسك والزهد والبعد عن الخلائق، وغالبا ما تكون فى الجبال والبوادي، وإليها ينقطع السالكون الراغبون فى الصفاء، أو الوصول لحالات السكر الروحي ومعرفة الاسم الأعظم.

هـ- الأضرحة والقباب: وهى قبور الشيوخ والصالحين، حيث جرى العمل الطرقي على دفنهم والبناء على قبورهم التى تختلف حجما وعمارة وزخرفة حسب مكانة الشيخ أو وضعية الطريقة، وغالبا ما تقام المواسم والوعادات حولها، كما تكون منفصلة أو فى مقار الزوايا، ومن أمثلة ذلك ضريح الثعالبي بالعاصمة، وسيدى الهوارى بوهـران، وسيدى بومدين بتلمسان، أو سيدى الشيخ بالبيض، وربما يكون للشيخ مقامات متعددة حسب الرؤى والأحلام كما هو الأمر فى مقامات عبد القادر الجيلانى، والثقافة الشعبية قائمة على تقديس مقامات الصالحين، ومن شواهد ذلك أن جنودا فرنسيين لجئوا إلى قبة سيدى إبراهيم قرب الغزوات، فأمنهم جنود الأمير عبد القادر⁽²⁾. وكانت الأضرحة كثيرة فى المدن والقرى، قد أحصى ديفوكس فى العاصمة وأحوازها سنة (1830) اثنين وثلاثين قبة، واثنين عشر زاوية، أشهرها الثعالبي والجيلالى والكتانى⁽³⁾.

(1) ذكر ابن خلدون هذا الرأي ونسبه للممد الإلهي: "وقد يوجد لبعض المتصوفة وأصحاب الكرامات تأثير أيضا فى أحوال العالم، وليس معدودا من جنس السحر، وإنما هو بالإمداد الإلهي لأن طريقتهم ونحلتهـم من آثار النبوة وتوابعها، ولهم فى الممد الإلهي حفظ على قدر حالهم وإيمانهم وتمسكهم بكلمة الله "انظر تاريخ ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ج 1 ص 662.

(2) المهدي البوعبدلي، الحياة الثقافية فى الجزائر، مرجع سابق، ص 293.

(3) Albert Devoux: Les Edifices Religieux de Lancien Ager. Revue Africaine, N6, A 1862, P 372.

و- المزارات: وهي المواضع التي يعتقد المريدون أن الشيخ نزل فيها أو صلى بها، ويجرى التبرك بها، كما يشيع أيضا التبرك ببعض العيون والأشجار والاعتقاد بخواصها في دفع الأمراض أو جلب السعود كما هو الرائج في التدين الشعبي. وفي المجلة الإفريقية عديد الوقفيات للأضرحة والزوايا المسجلة في السجل الوطني⁽¹⁾.

ثالثا- الرموز الزمانية: للزوايا والطرق مواسم زمانية مهمة، تسهم في تنشيط دورها وتقوية نفوذها، ومن تلك المواسم:

أ- المولد النبوي الشريف: ويحتفل به في ربيع الأول، وهي عادة سارية من أيام حكم العزفيين في سبته، ثم سرت إلى باقي الديار المغربية والجزائرية أيام المرينين، وأهم ما يتلى فيها الأمداح والأشعار وقراءة كتاب الشفا للقاضي عياض⁽²⁾، وقصائد البوصيري، وخاصة قصيدة البردة⁽³⁾، في حين خلت الساحة الطرقية من إقامة موالد للمشايخ كما هو الشائع في الساحات الشيعية، ولكن بعض الطرق تستعيز عن ذلك بالذكريات السنوية لموت شيوخها.

ب- الزيارات: جمع زيارة وهي مواسم دينية متعددة في الذكريات المختلفة مثل المولد النبوي، وذكرى وفاة الشيخ المؤسس ونحوه، والعادة أن يجلب المريدون فيها للزاوية نذورهم واشتراكاتهم وصدقاتهم، وقد أفرد بعضهم مصنفات في الزيارة آدابها وأوقاتها كما في كتاب "المبشرات" المنسوب لأحد شيوخ زاوية الصادق بلحاج بالأوراس⁽⁴⁾، وكانت التقليدية الطرقية تركز على الزيارة لتمتين الروابط وضمان الولاء واستدرار النذور والأموال، وشاعت العبارة "زورو تنورو"⁽⁵⁾.

ج- الأركاب والرايات: اختصت الطرق الصوفية في مواسمها الدينية بنوع من السفر يسمى الركب حيث يجتمع المسافرون في وفد واحد يجوب القرى والقبائل، وتنشد فيه الأشعار والأهازيج تعبيرا عن الولاء للطريقة، وهو ما يقابل ركب الحجيج. وأما الرايات فلكل طريقة أعلامها الخاصة المميزة، ولشرف حامل راية الشيخ يشيع هذا الاسم عند الجزائريين "بوعلام"، وكانت الرايات مختلفة الأشكال والألوان والرموز، وتسمى "السنجق" في بعض المناطق، والعادة أن تبرز الرايات في الوعدات والجموع، وتقدم في المعارك تبركا، فالباي محمد الكبير استجلب رايات الثعالي وأبي مدين والجيلالي وبن عودة الفليتي أثناء الحشد لتحرير وهران الثاني في (27 فيفيري 1792م)⁽⁶⁾.

(1) انظر بل ألفرد، الفرق الإسلامية في شمال إفريقيا، مرجع سابق، ص 410 عن المجلة الإفريقية، ع 31 (جانفي 1862)، ص 16.

(2) محمد عبد الحليم بيثي، "مكانة القاضي عياض وكتابه الشفا عند الجزائريين"، مجلة الذخيرة، مج 1، ع 3، (جوان، 2019)، ع 4، ص 3-29.

(3) وقد اعتنى بها الجزائريون كثيرا، من أحسن وأجمل الشروح شرح ابن مرزوق التلمساني أبي عبد الله الحفيد الذي وضع ثلاثة شروح أكبرها بعنوان: إظهار صدق المودة في شرح قصيدة البردة، وللإمام أحمد بن عبد الله الزواوي الجزائري تذييل على البردة. ولغيرهم شروح وتخصيصات، وجرت عادة الجزائريين بإنشادها مع أختها الهمزية في أيام المولد النبوي الشريف في المساجد والزوايا. انظر: بشير ضيف، فهرست معلمة التراث الجزائري، الجزائر، دار ثالة، 2007، ص 381.

(4) إبراهيم بن الصادق "حكمة في البلوى في جميع المغانم" ويقال إنه ألفه سنة (1862)، انظر عبد الحميد زوزو، الأوراس، إبان فترة الاحتلال الفرنسي، ترجمة الحاج مسعود، الجزائر، دار هومة، 2005، ج 1 ص 152. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 130.

(5) مبارك الملي، رسالة الشرك ومظاهره، ط2، الجزائر، مكتبة النهضة، د. ت. ص 301.

(6) انظر ابن سحنون الراشدي، الثغر الجمانى في ابتسام الثغر الوهراني، مصدر سابق، ص 284.

يقول ابن زكري في وصف ذلك: وأما الزائرون فالمراد بهم مطلق الناس من الرجال والنساء الواردين إلى الزاوية وفودا وجماعات وأركابا بتحسين الظن بالله تعالى وقصد التوسل بذلك الولي الصالح إلى ربهم سبحانه جل شأنه في قضاء حوائجهم الدنيوية والأخروية، فهؤلاء يقومون لهم قياما لا تكليف معه بأزيد مما وُجد في حال، بل يأكلون من المؤونة المعتادة للطلبة لكن مع قرائن قولية أو فعلية أو حالية تدل على الاعتناء أو الترحيب بهم والمبالغة في إكرامهم بياتا أو نهارا، والأدعية الصالحات والتوسلات إلى الله تعالى في قضاء مآربهم حتى ينصرفوا فرحين مسرورين مطمئنين⁽¹⁾.

د- الجمع: والجمع في عرف المتصوفة المغاربة هو اللقاء السنوي لأحباب الطريقة ومريديها، فهو عبارة عن مؤتمر سنوي عام للطريقة، ويكون عادة في الزاوية الأم، وغالبا ما يجري في الصيف بعد الحصاد، أو في مقبل الخريف.

هـ- الحج: وهو موسم مهم جدا للطرق الصوفية، حيث جرت العادات أن يخرج ركب الحاج للحجاز من مقار الزوايا⁽²⁾، وكان اجتماع ركب الحج ينطلق غالبا من ضريح سيدي خالد في الزيبان الغربي ببسكرة. المطلب الخامس: الوظائف المختلفة للزوايا والطرق الصوفية.

أولا- الوظائف القضائية والعدلية.

أ- فصل الخصومات: امتازت الزوايا بكونها محاكم ابتدائية وعالية لتحقيق أحكام الشرع، وإنفاذ الصلح بين الخصوم، وهو الغالب، لأن المعارض على حكم الشيخ عاص وعاق وتلحقه دعوة الشر، وقد حكى الورثاني في رحلته نماذج كثيرة من ذلك أنه عقد صلحا في قرية أولاد الشيخ سيدي بهلول الذين حرقوا أعداءهم وقتلوا منهم ثلاثين، واشترك في الفتنة قراء القرآن بالزاوية، وذكر بأن: "أولاد الشيخ كثيرون، غير أن فهم من يقرأ القرآن ومن يفهم العلم، وكثير منهم على طبع العامة من تقليدهم سيف الفتنة وأحكام العوائد"⁽³⁾.

وهو ما لفت انتباه الكاتب الفرنسي Leheraux Leon ، خلال زيارته إلى الجزائر حيث يقول: "تعتبر الزاوية مقرا للقضاء، فهي تختص بالفصل في القضايا المدنية والجنائية، حيث كانت تحلّ من قبل الشيخ بحكم مكانته العلمية والاجتماعية وما هو مشهود عنه من عدل وحكمة وعلم، ويكون فصله إمّا بالصلح والتراضي، أو بالتعويض، أو الفدية، فالقضايا المدنية متمحورة في النزاعات حول الأراضي، والمباني أو الميراث، والقضايا الجنائية تتمثل في جرائم القتل وتدخل الأعراس للثأر. كما تعتبر الزاوية مقرا لعقد القران، والتعاقد بين الأفراد"⁽⁴⁾.

(1) محمد السعيد ابن زكري، أوضح الدلائل على وجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل، تحقيق محمد عبد الحليم بيثي، الجزائر، دار البصائر، 2016، ص 132، مع العلم أن الإدارة الفرنسية ضيققت بعد سنة (1880) في منح رخص التجمعات والزيارات، وبعد تفتيش ومراقبة للزاوية من قبل ضباط المكتب العربي، ولم تكن تمنح إلا للطرق المرضي عنها من قبل فرنسا، انظر تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 287.

(2) انظر الحسين الورثاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، ط1، الجزائر، دار المعرفة الدولية، 2011، ج 1 ص 201. رحلة العياشي، مصدر سابق، ج 2 ص 527.

(3) الحسين الورثاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، مصدر سابق، ج 1 ص 57.

(4) نقلا عن حنفوق إسماعيل، الطرق الصوفية في الأوراس، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، تخصص تاريخ الأوراس، إشراف الدكتور صالح فركوس، سنة 2010، ص 150.

ب-أداء اليمين: كانت الزوايا مركزا للتقاضي وأداء الحقوق، وفيها تنعقد الأيمان والحلف بالله أو بغيره من الصالحين، ومن ذلك ما ذكره ابن زكري في تقاليد زاوية اليلولي، وأنها كانت مقرا لأداء اليمين: "ولما كان صاحب الترجمة أعني سيدي عبد الرحمن مهبا محترما عند جميع القبائل وترتعد فرائسهم عند سماع ذكره، عينته- أي مقامه- الحكومة الحالية-الفرنسية- لأداء اليمين الشرعية الموجهة على أحد الخصمين وكثير من الناس يسلمون حقوقهم بعد تحققها فرارا من الوقوف عند ضريحه لأداء اليمين الواجبة عليهم شرعا"⁽¹⁾.

ج-دعوة البشر: وهي من الممارسات الشائعة في الدعوة على أحدهم أو على قبيلة كلها بدعوة البشر، وذلك عند تجاوز الأعراف القائمة أو التمرّد عليها، ومن ذلك ما يشيع في بعض المناطق من دعوات ابن يوسف الملياني، أو دعوة اليلولي على أهله كما قال ابن زكري عنه: "ومات ولم يعقب ذكرا ولا أنثى، ودعا على إخوته وأعمامه وكل أقاربه أن من سعى باسمه عبد الرحمن، أو دخل زاويته وسكن فيها ولو للقراءة، أو أراد أن يتصرف فيها بوجه من الوجوه يموت إن شاء الله كلاله أي من غير ولد من صلبه حتى يورث ميراث كلاله"⁽²⁾، وكثيرا ما يهرب العوام الجزائريون من دعوة الشر وخلاء الدار، ولذلك يجتهدون في أداء ما تقرر في حقهم من غفارات وزكوات للزاوية.

د-العناية: وهو تقليد اجتماعي قائم على حماية الزاوية لمن التجأ إليها، وكثيرا ما يتداول العوام مصطلح العناية كعتاق روجي بالخلاص على يد الولي الفلاني بقولهم: "في عنايتك سيدي"، وبعض القبائل تبسط العناية والحماية لبعض الزوايا، وعليه فالعناية ذات مدلول روجي أو زميني⁽³⁾.

ثانيا- الوظائف العلمية والدينية.

أ-تلاوة القرآن الكريم: وخاصة الحزب الراتب هو اجتماع الطلبة على قراءة وتكرار الحزب من القرآن في جمع واحد وبصوت واحد وهي عادة سرت في بلاد الغرب الإسلامي، وتعود إلى الصحابي أبي الدرداء الذي كان يقرأ الناس حلقا في الشام، ثم انتشرت مع الشيخ محرز بن خلف العابد (ت413هـ)⁽⁴⁾، والراتب يكون بقراءة المد بأوجهه الكاملة من المد اللازم والمتصل والمنفصل ومد الصلة، وتسمى في حوض الحضنة بقراءة المحمول كالحال في زاوية الهامل القاسمية ببوسعادة، ونظيرها قراءة الشدّ والمدّ في سهل الشلف، والأكثر إغرابا قراءة أهل معسكر في المد الطويل مع ترك قارئ واحد يكمل بقية المد وسكوت الآخرين ثم الإكمال جماعة وهكذا دواليك.

ب- ختم الدروس العلمية: وخاصة مختصر خليل، أو الشفا لعياض، أو صحيح البخاري، وهذا في الزوايا العلمية، ويكون الختم في آخر الموسم الدراسي أو الديني مثل المولد أو رمضان، والعادة أن يحضر الختم غير الطلبة من العوام الذين يحضرون هداياهم واشتراكاتهم للزاوية، وتكريماتهم للطلبة المتخرجين مما يعد أحد

(1) ابن زكري، أوضح الدلائل، مرجع سابق، ص 108.

(2) ابن زكري، أوضح الدلائل، مرجع سابق، ص 109.

(3) هانوتو ولوتورنو، منطقة القبائل الكبرى، العادات القبلية، مرجع سابق، ص 99. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3 ص 188.

(4) انظر الوثنيرسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب تحقيق محمد حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1981، ج 11 ص 60-69، وقد ترجم لمحرز القاضي عياض في ترتيب المدارك، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1998، ج 2 ص 287.

مصار الدخل للزاوية،" وبعد الفراغ من الدرس يأتي دور تقديم الصدقات نقدا، وكلما قدم أحدهم مبلغا جأر الجميع له بالدعاء، وهكذا حتى يتم الحفل⁽¹⁾.

ج- **الحضرة والعمارة:** الحضرة: مصطلح يطلق على حلقة الذكر الجماعي الذي تقيمه الطرق الصوفية حيث يردّد المريدون أذكارا وأورادا، وبعض السماع الصوفي، وقد تكون بالدفوف ونحوها كما عند القادرية، وقد تكون بغير ذلك كما عند التجانية والسنوسية. وفي أثناء الحضرة يحدث الوجد والغيبة للبعض، وينطق آخرون بالشطح، وبعضهم يسمي ذلك الاجتماع الروحي بالعمارة لأن القلوب تعمر بالطمأنينة من الذكر والوجد.

وتمنع الطرق في الغالب مسألة الاشتراك والاختلاط في الحضرة بين الرجال والنساء، وهذا من البدع الدخيلة التي طرأت على بعض الطرق، وفي ذلك نقراً نقدا لعمر بن قنبر التجاني الجزائري: "تحقق أن ما يجريه غالب الناس وأخصهم المتصوفة من شد الرحال وتأليف القوافل إلى زيارات الأولياء والصالحين مع ما هو مشاهد من اختلاط الرجال والنساء وحدوث منكرات لا يرضاها الله ورسوله من الأمور التي لم يفعلها الصوفية المحققون ولا يرضون بها بحال"⁽²⁾.

وقد ألمح هانوتو إلى شيوع ذلك الاختلاط في زاوية سيدي عبد الرحمان بوقبرين، وأنه انجرت عنه مساوئ شديدة أبلغ عنها⁽³⁾، ولكن أغلب الطرق تتشدد في ذلك في حضراتها، وتعيّن للنساء مقدمات مأذونات من الشيخ.

د- **الغوثرات:** شاع أدب الغوثرات في الجزائر في نهاية العهد التركي وفي فترة الاحتلال الفرنسي، وكان المداحون يتغنون بها في المواسم والزيارات والأسواق، وكانت علامة على مقاومة للأوضاع السائدة، ومن أشهر الغوثرات غوثية أبي مهدي التوجيني ضد الأتراك، وغوثية مصطفى بن أحمد التهامي رفيق الأمير عبد القادر في محنته بسجن أمبواز بفرنسا⁽⁴⁾، وأغلب الطرق لها قصائد غوثية خاصة مستجيرة من ظلم الزمان وانحراف الإنسان.

وكان المرجع في هذه الأدعية الغوثية ما سنّه العالم الجزائري أبو الفضل النحوي يوسف بن محمد التوزري (513هـ)، والذي اشتهر بقصيدته المنفرجة التي شرحها جزائريون كثر⁽⁵⁾.

هـ- **السبحة:** جرت عادة المنتسبين للتصوف على تمييز طرقهم بأنواع الألوية والعكاكيز والسيح، فلكل هيئته الخاصة، إذ تميز بعض أتباع الشيخ سيدي أحمد بن يوسف الملياني (ت 931هـ) باتخاذ العكاز ويعرفون بالمغرب بطائفة العكاكيز. والسبح أنواع متعارف عليها، وبها يتمايز أصحاب الطرق، ولها أنواع كالباكورية،

(1) من تقاليد زاوية بوقشايبة بعنابة، حسب رواية السعيد أهلول، انظر محمد الطاهر فضلاء، أعلام الجزائر الشيخ السعيد أهلول الورثاني في مجموعة من رسائله وفتاويه ومجالسه، دار هومة، 2004، ص 172.

(2) عمر بن قنبر، الإبداء والإعادة في شرح مسلك سائق السعادة، تحقيق عبد الحليم بيثي، الجزائر، دار البصائر، 2011، ص 252.

(3) انظر هانوتو ولوتورنو، العادات القبائلية، مرجع سابق، ص 149.

(4) انظر المهدي البوعبدلي، الأعمال الكاملة، قسم التراجم، مرجع سابق، صص 125-135.

(5) عن النحوي: انظر البستان، مصدر سابق، ص 299. معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 328. معجم مشاهير المغاربة، ص 537.

والسبح الصغيرة الحجم التي يتخذها العامة، ومنها السبحة البيضاء التي يتميز بها أتباع العزوية في أعناقهم، وحمل السبح من مميزات المتصوفة.

و-العهد والبيعة: ويتم ذلك بإمساك اليد، أو التصافح وقراءة الفاتحة وصلاة الطريقة، وتلقين الذكر والأوراد اللازمة، وهذه الطرائق في البيعة علامة على انخراط المريد، والتزامه بأوراد الطريقة وإرشاداتها، وأما النساء فبعض الطرق تفرض عليهن وضع اليد في إناء من الماء، أو الإمساك بطرف السبحة⁽¹⁾، أو أخذ العهد عليهن من طرف زوجة الشيخ أو من ينتدبها من المريدات السابقات.

ثالثا- الوظائف المالية والتمويلية.

تعتمد الزوايا والمدارس موارد متخصصة لإعالة طلبتها ومريديها وأهل ضيافتها، وبعض الموارد أصيل كالزكاة والأوقاف، وبعضها لصيق بالفلكور ككتابة الحروز والطب الشعبي، ومن أهم الموارد المالية الأوقاف القارة أو المتنقلة.

أ-الحبس: والمحبسون هم أهل الوقف على الزاوية، والوقف هو تحبیس أصل المنافع على ما وقفت له، فيحبس الأصل لله تعالى وتسبّل منافعه على شروط الواقفين. والأحباس على الزوايا كثيرة تشمل المحصود من الزرع أو المعصور من الزيت، أو التمر، فضلا عن تحبیس أصل الأرض أو أشجارها وما يخرج منها عليها، للزوايا والأضرحة والمساجد، وحتى للمظاهر والمضيئات⁽²⁾، وكانت الأوقاف من الكثرة بمكان حتى أن أكثر عشر المحاصيل يذهب إلى الزاوية، هذا فضلا عن التزامات القبائل والقرى بضمان معيشة الطلاب والشيخوخ في الزوايا.

ب- الرتبة: وهو مصطلح شائع في الغرب أكثر، ويراد به الوجبة التي يلتزم بها أهل الإحسان للطلبة المنقطعين والمسافرين، كواجب ديني لإعانة أهل العلم والقرآن، وقد استعادت جمعية العلماء هذا النظام في تبسة عندما انتقل طلبة الجامع الأخضر من قسنطينة لها سنتي (1943-1944)⁽³⁾.

ج-الغفارة: وهي مثل النذر أو اللازمة التي يدفعها المريدون والأحباب لشيخ الزاوية، واشتهر المصطلح في الغرب وفي الصحراء عند النوائل، وخاصة عند أتباع أولاد سيد الشيخ⁽⁴⁾.

د-النشرة: نوع من النذر تذبح فيه أبقار أو ماعز بلون مخصوص كالسواد وغيره، وتستعمل لدرأ الشر والسحر.

هـ-الزردة والوعدة: اجتماع عام على الطعام وغيره، وتعتبر كالمؤتمرات الفصلية والموسمية لأتباع الطريقة⁽¹⁾.

(1) octave dépont et copolan :confréries religieuses musulmanes en Algérie. P 193.

(2) في أوقاف المطاهر انظر تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 134.

(3) فضلاء، المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر، ج 1 ص 47. وعن الرتبة انظر البصائر، ع 136 (1938-10-21)، ص 3.

(4) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 21، ص 109. الميلي، رسالة الشرك، ص 269، مرجع سابق، وقال بأنها انتقلت من الخفارة وهي حراسة القوافل من الأسر الكبيرة صاحبة السيف، فلما تل مجدها انتحلت المجد الديني بدعوى التصرف بالغيب، فصارت تأخذ الأموال بالغفارة. وأما الديسي فيجعلها خدمة من التلاميذ لمشايخهم من غير طلب منهم. انظر تحفة الافاضل في ترجمة سيدي نائل، مجموعة أعمال الديسي، ج 5 ص 45. في حين يرى أبو يعلى أنها كلمة بربرية بمعنى الزيارة. انظر جريدة البصائر، ع 44 (1936-11-20)، ص 7. ورد عليه الميلي في البصائر، ع 48 (1936-12-25)، ص 4، وقد تعرض لها سلفا في الأعداد (42-43).

ز-الشامخة أو الفاتحة: أو الدعاء الجماعي الذي تختتم به الأحفال، والشامخة نوع منها، وهي دعاء خاص لرفع البلاء وإهلاك الأعداء، أو استئزال المطر أو دفع الجراد، والغالب أن صيغها مسجوعة موروثة، وتنتشر كثيرا في سهل الشلف، ويجري بعدها جمع التبرعات، مما يشكّل موارد إضافية للزوايا والمدارس القرآنية. إن هذه الطقوس والمؤتمرات والحضرات والجموع وسيلة كبرى في التواصل بين أعضاء الطرق، وضمان استمراريتهما وفعاليتها وحضورها في المجتمع، فمثل: "هذا التنظيم بشعبه المختلفة من تعليم ومناسك دينية، وجمع (الوعدة) ووعظ وإرشاد من شأنه أن يوجد وسائل اتصال دائم ومتنوع بين القيادة ممثلة في شيخ الزاوية أو من يمثلها من مقدمين يعتمدهم في كل منطقة وبين القاعدة ممثلة في جمهور المريدين والأتباع الإخوان والطلبة"⁽²⁾.

المطلب السادس: المسار البيداغوجي للزوايا (طرائق التعليم والتلقين والإجازات)

تختلف طرائق التعليم في الزوايا العلمية حسب الاختصاص الاهتمام، فبعضها يركز على التعليم القرآني والقراءات، وبعضها على الفقه المالكي، وبعضها يمازج بين ذلك، ومن نماذج تلك الزوايا المختصة والمزاوجة ما يأتي:

أولا- نموذج الزاوية القرآنية المختصة.

1-الزاوية اليلولية: التي تعتبر أهم الزوايا القرآنية الكثيرة في بلاد القبائل المعروفة ببلاد زاوية⁽³⁾ وهي تنسب إلى الشيخ عبد الرحمان اليلولي(ت1691م)⁽⁴⁾، وتمثل القمة السامقة في الزوايا المختصة بالقرآن الكريم وعلومه من حفظ وإقراء ورسم وتجويد دون بقية الزوايا والمعمرات التي تزوج فيها تعليم القرآن بغيره من فنون الآلة والعلوم النقلية والعقلية.

ولمنهجها الرائد في تحفيظ القرآن الكريم كانت مقصد الطالبين لهذا الأمر، واشتهرت بنظامها الإداري الفريد من حيث عدم خضوعها لمشيخة موروثة، إذا كانت الإدارة فيها متداولة بين طلبتها، وظلت ذات تاريخ علمي، ولها بيداغوجيا مميزة (القوانين، الآداب)، وأعراف خاصة في الأكل، والتعامل مع الحيوانات، ونظام الخدم القدايش⁽⁵⁾.

والدرجات العلمية أو التقسيم الرتبي للطلبة هو ما يلي:

أ-المبتدئ: كل طالب لم ينه سورة البقرة، أو المحجر عليهم (ايحجارن).

ب-المتوسط: كل طال ختم القرآن الكريم، وشرع في الإعادة.

(1) ابن عبد الحكم الجيلالي، المرأة الجليلة، ط1، تلمسان، مطبعة ابن خلدون، 1372هـ.1953، ص 288، حيث تكلم عن وعدة زاوية سي الأحول بعليزان، وانظر تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4 ص 23. والمعلومات مستقاة من زوايا الغرب في زيارات شخصية مختلفة الزمان.

(2) محمد الميلي، الشيخ مبارك الميلي حياته العلمية ونضاله الوطني، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2001، ص 57.

(3) في تعداد الزوايا ببلاد القبائل انظر زوايا العلم والقرآن بالجزائر، مرجع سابق، ص 169. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 139.

Kamel Chachoua : l'Islam kabyle religion, état et société en Algérie Edition Maisonneuve et larose. Paris, 2001. p 69

(4) عن عبد الرحمان اليلولي انظر ابن زكري، أوضح الدلائل على وجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل، مرجع سابق، ص 105.

(5) انظر ابن زكري، أوضح الدلائل، مرجع سابق، ص 137.

ج-المنتهي: الحافظ للقرآن والمتفرغ لعلوم القراءة والتجويد، ودرجة المنتهي في الزوايا تتحصل بتلقي القراءات وخاصة طرق نافع العشرة، أما غير ذلك من العلوم كالفقه والنحو، فالانتهاء يكون بتحصيل متن خليل، وألفية ابن مالك، وابن أبي عاصم في العقود والوثائق. والمنتهم هم المعيدون مساعدو الشيخ وهم صنفان: (أ) السباقون: يتلقون الدروس صباحا أو مساء، ويختصون بتلقي الدروس والقرآن للهجائين أو الحجارين. (ب) الدوالون: المنتهم المختصون بقراءة متن خليل بصوت عال، والشرح للشيخ فقط⁽¹⁾.

وتسيير الزاوية فريد من نوعه، فلها مجلس خاص، وهو بمثابة الهيئة التنفيذية العليا في مقابل المجلس العام الذي يشمل كل الطلبة بمراتبهم المختلفة (المبتدأ، المنهي، السابق، الدوال..) والذي هو بمثابة الجمعية العامة الاستشارية⁽²⁾، والمجلس الخاص المكون من اثني عشر مقدم -يسمى القديم- ذو دلالة قرآنية من قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ [المائدة، 12] وقد قدم هانوتو ولوتورنو وصفا ونقلا للقوانين الزاجرة والردعية ومقادير العقوبات والسخرة ضد الطلبة المنتهكين للأعراف والقوانين في المعمرة -الزاوية- حيث "لا توجد قوانين أكثر صرامة وشدة مما هي عليه في المعمرة"⁽³⁾.

وأما الإدارة العامة لتسيير الزاوية فهي ثنائية لمقدمين من الطلبة القدماء هما:

أ-مقدم الثمن: يقوم مقام المقتصد أو المسير الداخلي للشؤون المالية والعلمية، وقد يسمى في اصطلاح حضر العاصمة برئيس جماعة الحزابين، والثمن هو التقسيم المعروف عند المغاربة في أن القرآن ينقسم إلى أربعة أرباع، فيها ستون حزبا وكل حزب ينقسم إلى النصف، ثم الربع، ثم الثمن. أما المشاركة فهم يقسمونه إلى ثلاثين جزء فيها ستون حزبا ويقفون في القسمة عند الربع.

ب- مقدم العسكر: يشبه ما يسمى في الأنظمة البيداغوجية الحديثة المراقب الإداري العام، وفي زاوية أحمد بن إدريس المجاورة لزاوية اليلولي نظام غريب مقابل لهذا النظام حيث إن الطلبة ينقسمون إلى صنفين: طلبة اللوح أي المشتغلون بحفظ القرآن الكريم، وطلبة الدبوز أو الهرواة، وهم الصعاليك الذين يقومون بجلب الموارد المالية للزاوية والإشراف على الانضباط بها وردع المعتدين عليها، وقد اختفى نظام الصعاليك بها بعد احتلال فرنسا للمنطقة سنة (1857)⁽⁴⁾.

2- زوايا ومدارس الأوراس: وهي كثيرة متناثرة لصغر التجمعات السكانية، وأكثر الزوايا كانت تتبع الرحمانية لتأثير زوايا الخنقة والزيبان ونفطة، وبلغت المداس القرآنية الصغيرة قرابة السبعين، وحسب تقارير الإدارة

(1) هانوتو ولوتورنو، منطقة القبائل الكبرى، ص 167. ساهي، أعلام من زواوة، مرجع سابق، ص 95. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3 ص 204.

(2) وانظر في قوانين زاوية اليلولي ابن زكري، أوضح الدلائل، مرجع سابق، ص 103. أحمد ساهي، أعلام من زواوة، مرجع سابق، ص 99. هانوتو ولوتورنو، منطقة القبائل الكبرى العادات القبائلية، وقد وصفا معمرة اليلولي بكونها جمهورية الطلبة، ص 183.

(3) هانوتو ولوتورنو، منطقة القبائل الكبرى العادات القبائلية التنظيم السياسي والإداري، مرجع سابق، ص 183.

(4) انظر هانوتو ولوتورنو، المرجع نفسه، ص 185. أحمد ساهي، أعلام من زواوة، مرجع سابق، ص 88. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3 ص 188.

الفرنسية: "أن عدد التلاميذ الذين يتابعون دروسهم لدى مختلف الأساتذة يتضاعف بشكل معتبر كل سنة خاصة في أولاد عبدي ومنعة وأولاد داوود ومدوكال وتبرماسين وقد مسّ حتى الكبار لضرورة العبادة⁽¹⁾.
ثانيا- نموذج الزوايا العلمية العالية المزوجة.

وهي الأكثر في بلاد الجزائر حيث يتمازج فيها التعليم القرآني بالعلمي الفقهي المتدرج من الابتدائي إلى العالي، ومن أشهر هذه النماذج زاوية الهامل ببوسعادة⁽²⁾، وزاوية الشيخ يحيى العيدلي، وهي زاوية علمية صوفية درس بها الشيخ أحمد زروق وعبد الرحمان الصباغ شارح الوغليسية، وأحمد بن يوسف الملياني، ومحمد بن علي الخروبي، واستمرت في عملها التعليمي طويلا، وقد تعرضت الزاوية للتعطيل والتدمير أيام الثورة التحريرية، واستشهد كثير من أبنائها، ولا تزال الزاوية قائمة لحد الساعة⁽³⁾.

ثالثا- الزوايا العلمية الخالصة.

وهي التي يأوي إليها الطلبة لاستكمال الدراسات العليا في الفقه والنحو، بعدما سبق لهم حفظ القرآن الكريم في الزوايا الأخرى، وهذا النموذج قليل، ولكنه كان بمثابة المعاهد العليا للعلوم الشرعية واللغوية، ومن نماذجه:

- 1- زاوية مازونة: حيث اشتهرت بالريادة في حفظ مختصر خليل، وشرحه، وكانت الرحال تشد إليها من كل أقطار الغرب الإسلامي⁽⁴⁾، وقد تخرج منها علماء أفذاذ، وكانت منارة العلم الأولى في سهل الشلف والغرب كله.
 - 2- زاوية ابن أبي داوود: وهي الزاوية الشهيرة في تاسلنت بأقبو، واعتبرت أم الزوايا العلمية، واشتهرت منذ القرن الماضي بتدريس الفقه والنحو⁽⁵⁾، واهتمت بالتدريس وخاصة لمختصر خليل، وكانت أوقافها كثيرة وهي من الضرائب العرفية المفروضة على القبائل الخدم لها.
- هذه هي الأطر النازمة لعمل الزوايا والطرق الصوفية، والتي سنتناول شخوصها ورموزها وفعاليتها في المقاومة والتأطير الاجتماعي والروحي والمؤسسي وأدوارها المختلفة في القرن التاسع عشر في المبحث الموالي.

(1) عبد الحميد زوزو، الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي التطورات السياسية والاقتصادية، مرجع سابق، ج 1، ص 360.

(2) انظر عنها عبد المنعم القاسمي، زاوية الهامل مسيرة قرن من العطاء والجهاد (1862-1962)، ط1، بوسعادة، دار الخليل، 2009، ص 110.

(3) انظر تعريف الخلف، مرجع سابق، ج 2 ص 463. علي أمقران السحنوني، "هذا الشيخ المجهول الشيخ أبو زكريا يحيى العيدلي"، مجلة الدراسات التاريخية، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، ع 4، 1988م، ص 39. ويرأسها الآن الشيخ محمد الطاهر آيت علجت.

(4) انظر المهدي بوعبدلي، الأعمال الكاملة، جوانب من الحياة الثقافية في العهد العثماني من القرن (10-13هـ)، مرجع سابق ص 83.

(5) الحفناوي، تعريف الخلف، مرجع سابق، ج 2 ص 188. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3 ص 193.

المبحث الثاني: أنواع الطرق الصوفية في الجزائر.

تعددت مشارب ومناهج الطرق الصوفية في التسليك والتربية والأداء الاجتماعي والمشاركة السياسية، كما اختلفت مراجعها ومرجعياتها، وسنتناول في هذا المبحث أهم الطرق الفاعلة في الواقع الجزائري أيام الاحتلال الفرنسي.

المطلب الأول: الطريقة القادرية.

من أكثر الطرق انتشارا واشتهار في الجزائر كلها، وهي تعود في أصولها إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني الحسني الحنبلي الذي انتشرت طريقته في شرق العالم الإسلامي وغربه، ولا يجزم الباحثون في التاريخ الدقيق لدخولها للجزائر، ولكن المقطوع به ظهورها المبكر في القرن الثامن الهجري.

وللجيلاني مقام كبير في المتداول الشعبي شعرا وحكايات وتآليف عديدة، فهو سلطان الأولياء، ومولى بغداد، والغوث، وقطب الأقطاب، وقد تسمى الجزائريون باسمه تبركا بمثل أسماء (الجيلاني، جلول، بوعلام، بغداد، بغداد، عبد القادر، قدور، قويدر)، وشاع له في الجزائر مقامات وقباب ومزارات، وبُنيت عشرات الزوايا للقادرين، ولكن الثابت أنه لم يكن للطريقة في العهد العثماني قيادة واحدة، أو مشيخة متبعة، وإنما شيوخ يأخذون العلم والأوراد القادرية عن بعضهم، ويذكرون أن المغيلي (911هـ) نقل الطريقة لإفريقيا ما وراء الساحل، حيث حملت قبيلة كنتة لواءها، وجمعت عديد قبائل الصحراء حولها.

أولا- مراكز القادرية في الجزائر: وأهم مراكز القادرية في الجزائر:

1- الجنوب الجزائري:

-ورقلة: الزاوية الكبرى بالرويسات، والتي تعتبر أم الزوايا بالجنوب، وإليها تنتهي الخلافة هذه الأيام⁽¹⁾.
-وادي سوف: وخاصة زوايا "عيمش" و"قمار" وزاوية "صحن الشعانبة"، ولهم ارتباط كبير بزوايتي نفطة والكاف القادريتين حيث كان التواصل العلمي والأدبي والجهادي قويا بين الزوايا القادرية.
-الأغواط وأفلو: انتشار عريض يضاهي التجانية، وقد تحدث بن نبي عن دور القادرية في تلك النواحي⁽²⁾.
-متليلي والمنيعية: وبهما زاوية قادرية ينتهي عديد السكان لهما، وشاع المثل "علوشي وقادري، وشيخي وقادري" كتعبير عن عمق الانفصام بين الانتماء القبلي والطرق بين السكان⁽³⁾.
-الهقار: حيث انتشرت بين قبائل كنتة، ومن شيوخها الكبار في تلك الأقاليم الشيخ المختار الكبير الكنتي القادري المتوفي (1826م)، ومن المحدثين الشيخ عابدين الذي طوّع كثيرا من الطوارق لتعاليم الطريقة وأورادها، وكان إخوان الطريقة يرتبطون بالزاوية العلمية بتمبوكتو بمالي⁽¹⁾.

(1) يعتبر إبراهيم بن أحمد الشريف النفطي ذا تأثير كبير في نشأة عديد الزوايا القادرية في تونس والجزائر، في حين أسس أبناؤه عديد الفروع، فابنه محمد تولى مشيخة الزاوية الأم بنفطة، والهاشمي تأسيس زاوية في عيمش بالوادي، ومحمد الطيب أسس زاوية ورقاة، والحسين زاوية قمار، ومحمد الإمام زاوية صحن الشعانبة بسوف، وآخر زاوية تبسة، ومحمد العربي زاوية قفصة، ومحمد الأزهر زاوية الكاف، ومحمد الحاج زاوية قابس. انظر تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 48.

(2) مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، بيروت، دار الفكر، 1985، ص 181.

(3) انظر محمد عبد الحليم بيشي، تطور الثورة الجزائرية في ناحية غرداية، ط2، الجزائر، عالم المعرفة، 2015، ص 59.

2- الغرب الجزائري:

-معسكر: وقد تأسس فرعها القوي على يد الشيخ مصطفى بن المختار الغريسي سنة (1200هـ)⁽²⁾. وسيكون لأتباعه دور في ترسيخ الطريقة، ومنهم ولده محي الدين العالم الصوفي الذي سجنه الباي حسن في وهران عقب ثورة الدرقاوين، وفرض عليه الإقامة الجبرية، وقد حجّ مع ولده عبد القادر سنة (1927م) وزارا بغداد مقر الطريقة⁽³⁾، وكان لابنه محمد السعيد خليفة والده على الطريقة، وأخيه الأمير عبد القادر الدور الأبرز في المقاومة.

-غليزان: ومن أبرز الشيوخ سيدي محمد بن عودة، والذي يعتبره السكان سلطان وحاوي سهل مينة⁽⁴⁾.

- يلل (غليزان): الشيخ سي الأحول، والذي ذاع صيته وكان يتبعه آلاف الإخوان⁽⁵⁾.

- تهرت: ولها زوايا كثيرة ومن شيوخها وعائلات المقاديم فيها أولاد قدور بن مسعودة، وآل تريش، وآل سيدي علي، ولهم مواسم ووعادات وطعم وزيارات يجتمع فيها الفقراء والإخوان. ومن المعروف أن مقامات الجيلانية توجد في الغرب الجزائري أكثر من شرقه لنفوذ الطريقة الكبير هناك⁽⁶⁾.

3- الشرق الجزائري: زاوية "منعة" بالأوراس المعروفة بزاوية بلعباس، كما كان للقادرية حضور بتبسة⁽⁷⁾.

ثانيا-أهم الشخصيات العلمية القادرية في الجزائر:

1- عبد القادر بن محي الدين الحسني الأمير الجزائري (1807-1883م) أمير مجاهد فقيه صوفي شاعر. قاد المقاومة ضد الفرنسيين (1832-1847)، ثم نفي إلى فرنسا واستقر بالشام أين توفي بدمشق، وقد ترك آثارا شهيرة في التصوف وغيره منها: كتاب المواقف، المقرض الحاد لقطع لسان الطاعن في دين الإسلام، ذكرى العاقل⁽⁸⁾.

2- علي بن الحفاف الجزائري: فقيه مقرئ، ولد بالجزائر وبها درس، وحج، والتحق بالأمير وعمل في منصب في ديوان الإنشاء، وبعد الاستسلام تولى منصب إفتاء البليدة، وتوفي سنة (1307هـ/1890م). من آثاره: الدقائق المفصلة في تحديد آية البسملة، منّة المتعال في تكميل الاستدلال⁽⁹⁾. ومن تلامذته أحمد المجاهد بوطالب

(1) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 279.

(2) صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، دار البراق 2002، ص 143. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 43

(3) محي الدين بن مصطفى بن المختار الحسني الغريسي المعسكري (1776م-1834م) عالم صوفي، سجنه الباي حسن في وهران عقب ثورة الدرقاوين، ثم حج مع ولده عبد القادر سنة (1927م)، وبعد احتلال وهران بايعه أمعسكر على الجهاد، فقدم ولده عبد القادر، وشارك في المعارك الأولى قرب وهران وخاصة معركة خنق النطاح الأولى (29 ماي 1932)، انظر معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 114. محمد باشا، تحفة الزائر، بيروت، المكتبة العلمية، 1998، ج 1 ص 31. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 1 ص 223.

(4) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 44.

(5) الهاشي بن بكار، مجموع النسب، تلمسان، المطبعة الخلدونية، 1381-1961، ص 158. ابن عبد الحكم، المرأة الجليلة، مرجع سابق، ص 285. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 46.

(6) الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، مرجع سابق، ص 244.

(7) بن نبي، مذكرات شاهد القرن، مرجع سابق، ص 185.

(8) انظر معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 103. تعريف الخلف، ج 2 ص 139. معجم المؤلفين، مرجع سابق، ج 2 ص 198.

(9) انظر تعريف الخلف، مرجع سابق، ج 2 ص 260. معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 121.

الحسني الغريسي له: "الإنصاف في نصرة نجل ابن الحفاف ورد اعتراضات السفساف"⁽¹⁾، واشتهر ابن الحفاف بالفتوى التي حكم فيها بردة من بقي في عاصمة الجزائر تحت حكم الفرنسيين.

3- الشيخ إبراهيم بن أحمد الشريف: والذي أسس زاوية بنفطة، وكانت هذه الأخيرة مركزا علميا ولوجستيا للمقاومين في الجزائر، ولكن تأثيرها امتد إلى الجنوب كله وحتى إلى غدامس والبقار، ومن أشهر مقدميه هناك الشيخ عابدين الكنتي، ويعد الشيخ إبراهيم من أغواث الطريقة، وعاش بين (1812-1875)، وكانت زاويته مزارا سنويا للإخوان القادريين⁽²⁾. والمهم في هذه الزاوية أنها عادت لتأطير المناطق المجاورة، إذ انتشر أبنائها ليؤسسوا الزوايا الآتية في تونس وهي زاوية الكاف وأسسها محمد الأزهر، ومحمد العربي أسس زاوية قفصة، والحاج أحمد في توزر. والأهم هي زاوية نفطة مع ابنه الأكبر محمد الهاشمي (1853-1923)، وهو وارث البركة والأكثر نشاطا في الطريقة.

أما في الجزائر فقد أسسوا الزوايا الآتية⁽³⁾:

أ/ عيمش بالوادي: أسسها ابنه الهاشمي، وقد نشط كثيرا في تجنيد الأتباع والإخوان، وسيكون لابنه عبد العزيز دور في الحركة الإصلاحية ويكون سندا لابن باديس في وادي سوف، ويعتقل بعد ذلك كما سيأتي.
ب/ ورقلة: محمد الطيب، وستؤول مشيخة الطريقة في الجزائر لهذه الزاوية.

ج/ قمار: الحسين. د/ تبسة: أخ خامس، ه/ صحن الشعانبة بسوف: محمد الإمام.

4- المختار الكنتي الكبير (1730-1811)⁽⁴⁾: وهو من شيوخ كتنة الذين ورثوا الورد القادري عن عبد الكريم المغيلي، وورثه في الطريقة حفيده أحمد البكاي (1803-1865)، والذي دخل في صراع مع عمر الفوتي (ت1865) المؤسس للدولة التجانية في غرب إفريقيا، إذ اعتبره خارجا عن الدين وتعاليم السنّة النبوية⁽⁵⁾. ظللت هذه الزاوية جنوب الجزائر وشمال مالي، وأسهمت في ضبط القبائل البدوية العربية والطوارقية.

ثالثا- الآثار العلمية والأدبية للطريقة في الجزائر:

ليس للطريقة القادرية في الجزائر تأليف كثيرة إذا استثنينا ميراث الكنتيين في الجنوب، ولكن يمكن أن نذكر أهم التأليف النازمة للفكر القادري في الجزائر، وبعضها من شيوخ الطريقة في العالم أو في تونس خاصة ومنها:

(1) انظر عبد الرحمان دويب، تحقيق الإنصاف. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 101.

(2) انظر عبد الباقي مفتاح، أضواء على الشيخ عبد القادر الجيلاني، ط1 الجزائر، دار الهدى، 2008، ص 281. انظر مذكرات إيزابيل إبراهيم، ترجمة عبد القادر ميهي، ط2، مطبعة الرمال، الوادي، 2015، 114.

(3) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 47.

(4) له الرسالة في التصوف، ألفية العربية، تفسير البسملة والفتحة، فتح الودود شرح المقصور والممدود لابن مالك، هداية الطلاب في الفقه، نزهة الراوي وبغية الحادي، الشموس المحمدية في التوحيد، يتيمة اللآلي في الرد على علماء تيمبالي، الكوكب الوقاد في ذكر المشائخ وحقائق الأوراد، وديوان شعري، المنة في اعتقاد أهل السنة، وأعمال ومناقب في كتاب "الطرائف والتلائد في كرامات الشيخين الوالدة والوالد" لابنه محمد. انظر بول مارتى: كتنة الشرقيون تعريب وتعليق محمد محمود بن ودادي، مكتبة زيد بن ثابت. دمشق، سوريا 1985، ص 39. أحمد بن الأمين الشنقيطي، الوسيط في تراجم أدياء شنقيط، ط 5، مصر، الشركة الدولية للطباعة، 2002، ص 361.

(5) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 279.

1- كتاب السفينة القادرية: وهو مجموع أقوال ووصايا عبد القادر الجيلاني، وفيه أمداح وأشعار يتغنى بها المريدون. إضافة إلى كتاب غنية المريد، كما أن للطريقة اعتناء بكتب الغزالي، وأبي طالب المكي.

2- النصيحة القادرية المعروفة بمنظومة آداب المريدين، للإمام المنزلي التونسي⁽¹⁾، ونالت شهرتها بشرح الشيخ عبد القادر المجاوي⁽²⁾.

3- مناقب الشيخ عبد القادر الجيلاني لابن باديس الحسن بن أبي القاسم القسنطيني (787هـ-1385م)⁽³⁾.

وقد درس الفرنسيون الطريقة وآثارها وأذكارها⁽⁴⁾، وخاصة بعد المقاومة العنيفة التي بدأتها بها في كل من الغرب على يد الأمير عبد القادر، وفي الصحراء بعد ذلك على يد الشريف بن عبد الله وغيره.

امتازت القادرية بوحدة القيادة الأولى في بغداد مع انفتاح كبير في تأسيس الزوايا، وديمقراطية في انتخاب المقاديم، وهو ما ولّد بعض الخلافات الظرفية بين أعضاء زواياها⁽⁵⁾. ومن الطرق التي تنتسب للقادرية العمارية، نسبة إلى الشيخ عمار بوسنة، والمكاحلية، والحمداوية التي كانت لها زاوية بسبدو بتلمسان.

رابعا- الميراث السياسي والعسكري للقادرية.

1- المقاومة العسكرية: ممثلة بالأصالة في الأمير عبد القادر (1932-1947)⁽⁶⁾، وكذلك في بعض المقاومات المتفرقة في الشرق والجنوب، حيث دعم قادرية سوف وورقلة ومتليلي الشريف بن عبد الله (1854). ويبرز اسم وافد آخر هو محمد بن عبد الله البغدادي القادم من العراق، والذي انضم للأمير وأكرمه والده، وبعد توقيع معاهدة التافنة (1837) رجع للجزائر من المغرب معارضا للأمير، وانضم للثائر بن عودة المختاري، وحارهما خليفة الأمير محمد بن علّال في المدية وأولاد نائل والزناخرة، وبعد أسره عفا عنه الأمير⁽⁷⁾.

كما يبرز في السبعينيات اسم الأمير محي الدين (1843-1918) في الحدود التونسية والذي حاول تعبئة الجزائريين للثورة، وممن استجاب له الثائر ناصر بن شهرة، واستمرت الثورة في الصحراء مع حركات المدفقات من شعانية متليلي والمنيعية، وكانت أصداءها قد استطارت شررا بعد الثورة الوطنية العارمة سنة (1871)⁽⁸⁾.

(1) محمد بن محمد المنزلي نسبة إلى بلدة منزل بوزلفة، (ت 1248هـ/1832م)، من آثاره: خزينة الأسرار، تخاميس على رائية البوصيري، سعادة الدارين في الصلاة والسلام على سيد الثقلين، منظومات في مدح الشيخ عبد القادر الجيلاني. انظر تراجم المؤلفين التونسيين، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1994، ج 54.

(2) طبعت بتونس سنة (1314هـ)، ثم نشرت في ذاكرة الجزائر بتحقيق دويب عبد الرحمان سنة (2011).

(3) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 1 ص 88. وتعرف بالسينية، وبالنفحات القدسية، وعليها شروح كثيرة.

(4) ترجم القسيس الفرنسي (جيا كوبيتي) كتابي النسب للعشماوي وكتاب العرف العاطر لعبد السلام القادري إلى الفرنسية ونشر الترجمة في المجلة الإفريقية سنة (1908م). انظر تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 43.

(5) Octave dépont et Xavier Coppolani: Les confréries religieuses musulmanes. P291.

(6) انظر سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ط4، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1992، ج 2 ص 40.

(7) تحفة الزائر، مرجع سابق ج 1 ص 186. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 558.

(8) انظر يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين (19-20)، ط2، الجزائر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1996، ج 1 ص 218. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 517.

2- المقاومة الثقافية: وذلك بالجمع والحضرات وحشد الأتباع في المواسم، والتغني بأمجاد الأمير ورموز الطريقة، والتسبيح بأسمائهم، وهو ما شكّل حصانة معنوية ضد الغايز الفرنسي، إضافة إلى التعليم في الزوايا والكتاتيب.

إحصاءات تقريبية للقادرية في الجزائر، أي ما وقع تحت المسح الفرنسي⁽¹⁾

السنة	عدد الإخوان	عدد المقدمين	الخونيات	عدد الزوايا
1982	14574	268	--	29
1897	24578	558	2695	33
1906	25.000	--	2800	33

المطلب الثاني: الطريقة الرحمانية.

أهم الطرق الصوفية في الجزائر المستعمرة، وقد أخذت شهرتها من سيرة شيخها ومؤسسها محمد بن عبد الرحمان الأزهري، ومن جهود دعائها وعلمائها الذين لم يألوا جهداً في التأسيس لمراكزها وأفرعها في مناطق القبائل وغيرها، ثم من جهاد زعمائها ضد الاحتلال الفرنسي، وهي طريقة جزائرية خالصة، وكانت أكبر الطرق تابعا في الجزائر كلها، وقبل الكلام عن زواياها وإرثها الأدبي فإنه يحسن بنا التعرض لسير أهم شيوخها وزواياها، وهم:

أولاً- زوايا القبائل الكبرى والصغرى.

1- الزاوية الأم بآيت إسماعيل بجرجرة: وقد تداول عليها شيوخ كثيرون بدءاً من المؤسس وهم:

أ- محمد بن عبد الرحمان القشتولي الجرجري الزواوي الأزهري، ولد حوالي (1133هـ/1722م) حفظ القرآن بزاوية الحسين بن أعراب، ثم انتقل مجاوراً بالأزهر عشرين سنة، وتلمذ لمحمد بن سالم الحفناوي الخلوتي (ت1181هـ) ثم زار السودان ودارفور، وعاد إلى الجزائر سنة (1177هـ/1758م)، وأنشأ زاوية بآيت إسماعيل، ناشراً مبادئ الطريقة الخلوتية⁽²⁾. وقد اصطدم مع فقهاء الوقت وحُوكم من قبل المجلس العلمي بالعاصمة، وثبتت براءته أيام الداي محمد عثمان باشا (1766-1791م)، وكان الأتراك يتوجسون خيفة من حركته بحكم انتمائه إلى حلف قشتولة المناوىء لهم في بلاد القبائل. نشر الطريقة في حياته، وأتاب عنه بشتارزي في قسنطينة، ومحمد بن عزوز بالزيبان، وتوفي بزاوية سنة (1208هـ/1793م)، ونقل الأتراك جثمانه للحامة بالعاصمة، فسمي ببوقبرين⁽³⁾.

(1) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 58 نقلاً عن رين. وانظر دراسة عميراي احميده، الطريقة القادرية في الجزائر.

(2) نسبة إلى محمد بن أحمد بن محمد كريم الدين الخلوتي المتوفى بمصر (986هـ)، له: النصيحة الجلية للسالكن في الطريقة الخلوتية، الحكم في التصوف، الفتح القدسي والكشف الأنسي، الورد السحري، سير السلوك إلى ملك الملوك، السيوف الحداد في أعناق أهل الزندقة والإلحاد. انظر خير الدين الزركلي، بيروت، دار العلم للملايين، 2002، ج 8 ص 414. عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات، تحقيق إحسان عباس، ط2، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1982، ج 1 ص 159. معجم المؤلفين، مرجع سابق، ج 3 ص 876.

(3) عبد الباقي مفتاح، أضواء على الطريقة الرحمانية الخلوتية، ط1، الأردن، عالم الكتب، 2016، ص 74. فيلاي مختار الطاهر، نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني، مرجع سابق، ص 44. صلاح العقبي، مرجع سابق، ص 155.

ب- علي بن عيسى المغربي: المتوفى (1252هـ/1836م)، تولى الخلافة من (1208-1794) إلى غاية وفاته وبقي على رأسها ثلاثة وأربعين سنة⁽¹⁾. وقد تمكن من تعميم الطريقة على ربوع القبائل⁽²⁾، وبلغت شهرته إلى حد أن النساء كن ينسلن شعر ذيل ذابته للتبرك بها⁽³⁾. وقد عاصر الاحتلال الفرنسي وندب مريديه إلى مقاومته ومنعه من التمدد والتوغل شرق الجزائر، ومن مقاديمه في العاصمة الشيخ محمد العمالي والد الشيخ أحمد العمالي مفتي مالكية العاصمة⁽⁴⁾، ثم خلفه بلقاسم بن الحافظ المعاتقي، ثم الحاج البشير المغربي حتى توفي (1841)، ثم محمد بن بلقاسم نايت عنان، وأخيرا الحاج عمر الذي تم في عهده احتلال بلاد القبائل، وهجرته هو للحجاز سنة (1857).

2-زاوية صدوق: وقد أخذت شهرتها من الشيخ الحداد، وصارت منارة للرحمانية، وقصدها الطلبة بعد نكبة القبائل الكبرى في الخمسينيات، واستطاعت بعث وتنظيم الطريقة من جديد، ليكون مقاديمها وقداديشها وقود ثورة (1871)⁽⁵⁾، وأهم شيوخها الشيخ الحداد محمد أمزيان (1790-1873م)، ولد بصدوق ببجاية، وكان ظهيرا ومحرضا لثورة (1871م) التي قادها محمد المقراني والإخوان الرحمانيون، وكان ولده سي عزيز من قادتها. سجن الفرنسيون الشيخ الحداد، وصادروا أمواله، وحكموا عليه بالسجن في الكدية بقسنطينة، أين توفي ودفن عن ثلاثة وثمانين عاما⁽⁶⁾.

3- زاوية بوجلليل: فمن أشهر الشيوخ المقتدرين بوادي الصومام أبو القاسم البوجليلي: (1826-1898م) وهو علامة القراءات، وقد أسهم في ثورة المقراني حيث كان قاضيا للعسكر ومعبئا للجهاد. إذ كان رحمانى الطريقة، وتلمذ للشيخ محمد أمزيان الحداد الذي أجازه: "كل ما فتح الله به عليه على أيدينا، من فقه وطريقة رحمانية، بل وجميع ما يؤذن فيه شرعا في حياتي، واستخلفته في ذلك بعد مماتي. فمن أخذ عنه في ذلك كان كمن أخذ عني، ومن خالفه فقد خالفني.... ورقمه ببنانه الفانية الفقير إلى المالك الجواد، محمد أمزيان ابن الحداد، رحم الله ضعفه"، وأرسلت الإجازة من سجن قسنطينة، مع الشيخ الطاهر اليتورغي⁽⁷⁾، كما تلمذ البوجليلي للشيخ محمد بن علي بن مالك الثقابي(1855م)⁽⁸⁾ ومحمد العربي الأخداشي مدير الزاوية اليلولية

(1) انظر تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 140.

(2) octave dépont et copolan :confréries religieuses musulmanes en Algérie. p 414.

(3) علي رضا بن حمدان خوجة، ذكريات رحلة من مدينة الجزائر إلى قسنطينة عبر المناطق الجبلية، الجزائر، دار تالة، 2015، ص 17.

(4) حميدة العمالي (1812-1873)، تولى القضاء ثم إفتاء المالكية، له رسالة في مياه البادية، تأليف في القضاء، وكان من شراح البخاري. وهو شيخ حسن براهيمات وابن زاكور، انظر تعريف الخلف، مرجع سابق، ج 1 ص 416. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3 ص 79. معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 242. معجم أعلام الجزائر في القرنين، مرجع سابق، ج 2 ص 402.

(5) الحركة الوطنية الجزائرية (1860-1900)، ج 1 ص 327. ثورات الجزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 249.

(6) انظر يعي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين (19-20)، مرجع سابق، ج 1 ص 241. لويس رين، تاريخ انتفاضة 1871. ترجمة مسعود حاج مسعود، الجزائر، دار الرائد، 2013، ص 287. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 168. معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 120.

(7) نص الإجازة في مكتبة بن أبي داود، ولم نطلع عليها، وحسب سعد الله إنها إذا صحت فإنها تجعله الخليفة للطريقة وليس ابن الحملاوي، وأما رين فرأى من الحكمة أن يكون الحملاوي هو الخليفة. انظر تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 64.

(8) نص إجازة الثقابي: "أما بعد، فأنا أعلم الواقف على كتابنا هذا من الأمة العاملين بالسنة والكتاب، بأي قد أجزت تلميذنا ... في جميع ما أخذه عني من القراءات نحوا، وتجويدا، فهما وأداء، وما أخذه عني عهدا ووردا صحيحا، لوقوع حقيقته على شريعة كاملة وأحكام نافذة. ومن أخذ عنه

التي أدارها حتى أقعده المرض سنة (1846م)⁽¹⁾. وتولى البوجليلي التدريس باليلولية ثلاثين سنة بعد قضائه أربع سنوات بها من التحاقه بها سنة (1845)، ثم استقل بزاويته⁽²⁾. وكان الإبراهيمي من المنوهين بمكانة البوجليلي، إذ كان يمنح الإجازات العلمية وليس البركات الصوفية، وله تلاميذ كثر أمثال ابن زكري ووالد أبي يعلى، ومحمد بن عمر السازيلجي، ومحمد الصالح القلي، وكانت بينه وبين الشيخ سليم البشري (1832-1916) مفتي مصر مراسلات⁽³⁾.

ثانيا-الزاوية العزوزية بالزيبان: ومن أشهر شيوخها الآتي ولأ:

1- محمد بن عزوز البرجي: ولد ببرج بن عزوز بطولقة سنة (1170هـ)، ونال حظه من العلوم ثم صحب الشيخ محمد بن عبد الرحمان صاحب الطريقة، وبعده الشيخ عبد الرحمان باش تارزي، وعاد لبلده ليؤسس زاوية، واشتهرت طريقته بالعزوزية، حج سنة (1232)، ومعه علي بن عمر الطولقي، وعبد الحفيظ الخنقي ومبارك بن خويدم وذلك في ركب الأمير عبد الرحمان العلوي، وتوفي بالوباء سنة (1232)، وقد هاجر ابنه مصطفى بسكرة بعد احتلالها سنة (1844) ليؤسس أهم زاوية عزوزية في نفطة، وقد اشتهر بالصالح والزهد، وخلف: قواطع المريد، وشرح على التلخيص⁽⁴⁾.

2- المبروك بن عزوز (1815-1886م)، ولد بالبرج بالزيبان، وعنه أخذ ولده المدني الطريقة الرحمانية، ومختصر خليل، وقد توفي بالأغواط. وكان أخوه الحسن بن عزوز خليفة الأمير عبد القادر على الزيبان. ثالثا- الزاوية المختارية: أسسها المختار بن عبد الرحمان الجلالي (1784-1862م)، وأخذ عن محمد بن عزوز البرجي (1233هـ)، وأسس زاويته بسيدي خالد سنة (1830م) ثم أخرى في أولاد جلال، ساند ثورة الزعاطشة وزعيمها الشيخ بوزيان سنة (1849م)، وعنه أخذ محمد بن أبي القاسم الهاملي والشيخ عطية النايلي. وترجم له ابنه محمد الصغير في كتاب "تعطير الأكوان بنشر شذا نفحات أهل العرفان"، كما رثاه المكي بن عزوز⁽⁵⁾. رابعا-الزاوية الباشتارزية: أسسها عبد الرحمان باش تارزي القسنطيني: أخذ الطريقة عن الشيخ المؤسس، ونشرها بقسنطينة التي أسس بها زاوية شهيرة، واشتهر بالصالح والزهد والديانة، وكان حنفي المذهب فهو من الكراغلة.

تتلمذ له محمد السيارى، ومحمد بن الحبيب القسنطيني، وابنه مصطفى، ومحمد بن عزوز البرجي.

الورد كأنه أخذ عني، بل هو أفضل مني، وإنما أسعفته بذلك لحسن ظنه. بتاريخ (1275-1859)، وعليه فتكون وفاته متأخرة عن (1855)، انظر تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 64.

(1) ساهي أحمد، أعلام من زاوية، الجزائر، مرجع سابق، ص 102. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 199.

(2) خلف البوجليلي: شرح شواهد أبي يعلى على الأجرومية، النور السراجي في إعراب مقدمة الصنهاجي، الخطب المنبرية، نعمة المريد في التصوف، المبنيات في النحو. انظر أعلام الفكر الجزائري، ج 2 ص 97. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 170.

(3) حسين وعلي، مقدمة تحقيق كتاب التبصرة لأبي القاسم البوجليلي التبصرة، في قراءة العشرة، ص 62. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3 ص 211. يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1995، ج 1 ص 237.

(4) تعريف الخلف، ج 2 ص 329. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 146. معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 232.

(5) انظر تعريف الخلف، مرجع سابق، ج 2 ص 439. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 150.

وخلف من الكتب: عمدة المريد، وغنية المريد في شرح نظم مسائل كلمتي التوحيد (45 مسألة)، والمنظومة الرحمانية التي شرحها ابنه مصطفى، توفي (1806م)⁽¹⁾. ثم خلفه على الزاوية مصطفى بن عبد الرحمن باش تارزي الذي تولى إفتاء وقضاء الأحناف، والخطابة بمساجد سوق الغزل والقصبه والكتاني، وتوفي سنة (1836)، وترك من الآثار العلمية: المنح الربانية في بيان المنظومة الرحمانية، ورسالة تحفة الناظرين في إبطال القول بنقض الحكم بصحة الوقف بعد موت الواقفين، شرح منظومة الأخضر في الحساب، رسالة تحرير المقال في مسألة الانتقال (بين المذاهب)⁽²⁾.

توالى الخلفاء على زاوية باش تارزي بدء من ابنه محمود، ثم ابن عمه محمد بن محمد بن عبد الرحمن، ثم السعيد بن أحمد باش تارزي (ت 1911م)، وبعده الحاج أحمد باش تارزي (1917م)⁽³⁾. وكان للزاوية تأثير على قبائل الحدرية مثل بني حبيبي، ومرابطوها هم بني العابد، ومنهم عمار بن فيالة الذي قاد الثورة سنة (1871)⁽⁴⁾.

خامسا- الزاوية الحفيظية بالخنقة: أسسها عبد الحفيظ بن محمد بن أحمد الوانجلي الهجرسي، ولد بخنقة سيدي ناجي (1203هـ/1789م)، وبها درس العلوم عن الشيخ الصديق الونجي، ثم بطولقة عن الشيخ سيدي محمد بن عزوز البرجي الذي لازمه وأخذ عنه الطريقة الرحمانية، وبقي في خدمته إلى غاية وفاته سنة (1818م)، ثم عاد إلى الخنقة وأعاد بعث الزاوية الرحمانية، وعند دخول الفرنسيين قاد المقاومة سنة (1849م) مع الصادق بلحاج وثورة الزعاطشة، ثم توفي سنة (1850م)، أخذ عنه ابنه الأزهرى الخنقي، الحفناوي بن عبد الحفيظ، الصادق بن مصطفى البسكري، الهاشمي بن علي دردور، من آثاره: التعريف بالإنسان الكامل، مصباح الأرواح، الحكم الحفيظية، غنية المريد، الجواهر المكنونة في العلوم المصونة، المجموع الفائق والدستور الرائق، سر التفكير⁽⁵⁾.

سادسا- زاوية نفطة الرحمانية: أسستها الأسرة العزوزية بعد هجرتها من الزيبان بعد الإطباق الفرنسي عليه، ازدادت شهرة نفطة في القرن التاسع عشر بزوايتها العلمية التي كانت ملاذا علميا وموئلا للشوار الهاربين من القمع الفرنسي⁽⁶⁾، وأسهم رجالها في نشر الطريقة بتونس⁽⁷⁾، ومن أشهر شيوخها المقتدرين:

(1) انظر: تعريف الخلف، مرجع سابق، ج 2 ص 6. معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 30. الأعلام، مرجع سابق، ج 3 ص 298.

(2) تعريف الخلف، مرجع سابق، ج 2 ص 6. معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 31. معجم المؤلفين، مرجع سابق، ج 3 ص 869.

(3) عبد القادر عثمانى، الطريقة الخلوتية الرحمانية طريقة قرآن وعلم وجهاد، د.ط.، ت، ص 4.

(4) البصائر، مبارك الميلي، مقال "تفقد الشعب"، ع 31 (7-8-1936)، ص 5.

(5) انظر معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 102. معجم المؤلفين، مرجع سابق، ج 2 ص 57. الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، ج 1 ص 331. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4 ص 151. البغدادي إسماعيل باشا، هدية العارفين بأسماء المؤلفين وآثار المصنفين، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت، ج 5 ص 410. عبد الحليم صيد، معجم أعلام بسكرة، الجزائر، دار النعمان، 2014، ص 83.

(6) لجأ إلى نفطة كل من ناصر بن شهرة والشريف بن عبد الله، وأنصار بوشوشة من متبلي الشعانبة وتوات. انظر تاريخ الجزائر الثقافي ج 5 ص 490. وبها نزل محي الدين بن الأمير عبد القادر (1870-1871م). انظر: تاريخ الجزائر الثقافي ج 4 ص 153. كما كانت مزارا للإخوان القادريين يزورها كل سنة لمقام الشيخ إبراهيم بن أحمد الشريف القادري كما جاء في مذكرات إيزابيل إبراهيماردت، ص 114. عبد الباقي مفتاح، أضواء على الشيخ عبد القادر الجيلاني وانتشار طريقته، مرجع سابق، ص 281.

(7) انظر التليبي العجيلي، الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية، تونس، منشورات كلية الآداب، منوبة، 2009، ص 44.

أ-مصطفى بن محمد بن عزوز: (ت1282هـ/1865م) من طولقة بالزيبان انتقل إلى تونس، وأسس زاوية عظيمة بنفطة انتشرت منها الطريقة الرحمانية التي أخذها عن الشيخ علي بن عمر وهو عن الشيخ محمد بن عزوز وهو عن صاحبها محمد بن عبد الرحمان الأزهرى الجرجري، من آثاره: بهجة العاشقين وروضة الأنوار للعارفين، رسالة في السلوك إلى طريق الخلوتية، رسالة في مناقب علي بن عمر الطولقي، وممن مدحه شيخ الإسلام إبراهيم الرياحي التجاني⁽¹⁾. وقد خلفه على الزاوية الحفناوي، وأسس ابنه محمد زاوية بالقيروان، وهاجر ابنه إلى المشرق.

ب-محمد المدني بن المبروك أحمد بن إبراهيم بن عزوز (ت1285هـ-1865م) علامة تونس والجزائر⁽²⁾. وجاء في وصيته لتلميذه عاشور الخنقي: "واعلموا أني شارطت الله فيكم شرطا تقبله مني، فاسمعوا وعوا وخذوه عني، وهو ألا يولى أحد من تلامذتي الوظيف، حتى لا يتلوث علمي بما يقتضيه هذا الوقت السخيف، ولا سيما أنتم يا طلبة الغرب، فإياكم وطلب الوظيف على البعد والقرب، واستحفظكم دينكم وأمانتكم وخواتم عملكم"⁽³⁾.

ج- أحمد الأمين بن محمد المدني بن عزوز (1860-1935م) ولد بنفطة وتوفي بالمدينة المنورة. تتلمذ لأبيه، وعلماء نفطة والزيتونة وفي زاوية الهامل عن الشيخ محمد بن أبي القاسم، وبالمدينة عن عثمان الداغستاني، وحسب الله المكي، وعلي بن ظاهر المدني. درّس في الحرم المدني وأشرف على أوقاف الزاوية بالمدينة المنورة⁽⁴⁾. ه-محمد بن محمد بن عزوز البرجي (1813-1891م) ولد بالبرج قرب طولقة، وتتلّمذ للشيخ علي بن عمر، وانتقل لتونس والقيروان حيث توفي⁽⁵⁾.

سابعا- زاوية الهامل ببوسعادة، ومن أشهر شيوخها:

1- محمد بن أبي القاسم الشّريف الحسني: [1824-1897م]، ولد بالحامدية بالجلفة، تتلمذ في زاوية الشيخ علي الطيار بالبيبان، ولأحمد بن أبي داوود [1819-1861م] بتاسلينت، وأخذ التصوف عن شيخه المختار بن خليفة الجالّي، وبعدها تفرغ لتأسيس زاوية رحمانية جديدة بالهامل، كما التقى الأمير عبد القادر بالبيرين، وأزاده للبقاء في التدريس بدل الالتحاق بالجنديّة، وكان مسالما في ثورة المقراني واحتضن أتباع الطريقة الرحمانية المكلومين واللاجئين. أسس زاويته بالهامل سنة (1862م)، حيث تخرّج عليه كثيرون أمثال عبد

(1) انظر شجرة النور، رقم (1593) ص391. معجم أعلام الجزائر، ص232. وهو ولد الشيخ محمد بن عزوز البرجي (1233هـ-1818م) تلميذ الشيخ الأزهرى محمد بن عبد الرحمان صاحب الطريقة. انظر تعريف الخلف، مرجع سابق، ج 2 ص329. معجم أعلام الجزائر، ص232. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4 ص146. عبد المنعم القاسمي، القاسمي عبد المنعم: الطريقة الرحمانية، بوسعادة، دار الخليل القاسمي، 2013، ص453.

(2) انظر فهرس الفهارس، مصدر سابق، ج 1 ص414. عبد المنعم القاسمي، الطريقة الخلوتية الرحمانية، مرجع سابق، ص450.

(3) عاشور الخنقي، منار الإشراف على فضل عصاة الأشراف، تحقيق عبد الحليم بيثي، بوسعادة، دار الخليل القاسمي، 2022، ص248. وهذا الموقف منه في رفض الوظيفة يعبر عن العداء الشديد من شيوخ الطريقة الرحمانية للاستعمار والتعامل معه. ويذكرنا بموقف الشيخ حمدان النوبسي في وصيته لتلميذه ابن باديس بعدم الانتساب للوظيفة الحكومية.

(4) انظر فهرس الفهارس، مرجع سابق، ج 1 ص87. زاوية الهامل، مرجع سابق، ص338. عبد المنعم القاسمي، الطريقة الرحمانية، ص461.

(5) القاسمي، انظر الطريقة الرحمانية، مرجع سابق، ص485. وهو عم وشيخ محمد المكي بن مصطفى بن محمد بن عزوز البرجي (1854-1915م). انظر شجرة النور، (1683) ص423. فهرس الفهارس، مصدر سابق، ج 2 ص229. معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص231.

الرحمان الديسي، وكانت له مراسلات مع الوالي العام "تيرمان"⁽¹⁾. توفي الشيخ بن أبي القاسم أثناء عودته من الجزائر العاصمة ببلدة بويرة السحاري (2 جوان 1897م)، وكانت غاية تعليمه إحداث نهضة علمية سبق بها مشاريع الإصلاح القادمة⁽²⁾.

2- السيدة زينب بنت الشيخ محمد بن أبي القاسم: عاشت بين (1850-1904م)، شاركت في الحياة الاجتماعية، وأدارت شؤون الزاوية والطريقة الرحمانية بعد والدها باقتدار بعد خلاف مع ابن عمها الشيخ محمد بن الحاج محمد صاحب كتاب الروض الباسم، زارها الفنان الفرنسي قيومي، والمغامرة ابراهارد، والرحالة بامبر⁽³⁾. وتوالى الشيوخ بعدها ولاء:

- محمد بن امحمد بن أبي القاسم الهاملي- ابن أخ الشيخ أبي القاسم القطب-⁽⁴⁾: (1904-1913م)⁽⁵⁾.

- الحاج المختار بن الحاج محمد (1913-1915م)، وتولاها لسنة واحدة إلى أن توفي.

- الشيخ أبو القاسم بن الحاج محمد (1915-1928م).

- الشيخ أحمد بن الحاج محمد (1928م) سنة واحدة.

- الشيخ مصطفى القاسمي (1928-1970). وهو الشيخ الأهم في موضوعنا إذ كانت له أدوار في تنظيم الطرق الصوفية في اتحاد الزوايا، وإصدار صحيفة الرشاد، وبعض المناكفات مع الإصلاحيين.

ثامنا- الزاوية العمرية بطولقة: أسسها علي بن عمر⁽⁶⁾ سنة (1780)، أخذ الطريق عن الشيخ المؤسس ومحمد بن عزوز، وصارت زاويته من مراكز التعليم الكبيرة في الزيبان والصحراء⁽⁷⁾، وتولي المشيخة فيها تباعا:

- مصطفى بن عزوز (1803-1866) لمدة ستة أشهر ثم انتقل لزاويته الجديدة في نفطة.

- علي بن عثمان بن علي بن عمر (1232هـ/ 1898-1316)، وقد كتب عنه أخوه إبراهيم بن علي رسالة منقبية بعنوان "رسالة إلى كافة الإخوان في مناقب الشيخ عثمان"، وكذا محمد المكي بن مصطفى "وسيلة الأمان في مناقب الشيخ علي بن عثمان"⁽⁸⁾، وخلف هو رسالة "النبتة المنيفة في منهج الحقيقة".

- عمر بن علي بن عثمان: (1857-1920).

(1) جريدة الرشاد، العدد 53 (25-9-1939). محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، من 1847 إلى 1954، الجزائر، المطبعة العربية، ص 251.

(2) انظر: مجموع النسب، ص 157. المرأة الجليلة، ص 323. زاوية الهامل، ص 136. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 158.

(3) انظر: تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 163، ج 6 ص 341. زاوية الهامل، مرجع سابق، ص 302.

(4) امحمد بن أبي القاسم (1825-1898م) شقيق الشيخ محمد بن أبي القاسم، والذي كان عوناً لأخيه في تسيير شؤون الزاوية، وابنه الشيخ محمد بن الحاج محمد (1862-1913م)، له: "الزهر الباسم في ترجمة الشيخ محمد بن أبي القاسم"، المطلب الأسنى في خواص أسماء الله الحسنى"، انظر زاوية الهامل، مرجع سابق، ص 371.

(5) تعريف الخلف، ج 2 ص 178. المرأة الجليلة، ص 324. فهرس الفهارس، ج 1 ص 190. زاوية الهامل، مرجع سابق، ص 313.

(6) ولد علي بن عمر سنة (1166هـ) وتوفي في حادثة إصلاح البين من قبل خليفة الأمير عبد القادر سنة (1258هـ/ 1842)، انظر مفتاح، نظرات حول الطريقة الرحمانية، مرجع سابق، ص 151. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 147.

(7) كوبلاني، مرجع سابق، ص 454.

(8) نشرها علي الرضا الحسني في "المكي بن عزوز حياته وشعره"، وترجم له عبد الرزاق الرزاق البيطار في حلية البشر. رسائل ابن عزوز، ص 132. محمد بسكر، أعلام الفكر الجزائري، الجزائر، دار كردادة، 2013، ج 2 ص 5. معجم أعلام بسكرة، مرجع سابق، ص 153.

- الحاج بن علي بن عثمان (ت1948): وهو صاحب منظومة في التصوف جاوزت (800 بيتا)، ورثاه عبد القادر بن عثمان بقصيدة نشرتها النجاح في العدد (1607) ⁽¹⁾، ثم عبد الرحمان بن الحاج بن علي، ولد بطولقة (1909)، ودرس بالزاوية وصار شيخها، اعتقل أربع سنوات (1957-1961)، وتوفي بطولقة، سنة (1966) من آثاره: الدر المكنوز في حياة سيدي علي بن عمر وسيدي بن عزوز، طبع بمطبعة النجاح بقسنطينة (1350هـ/1931) ⁽²⁾.

تاسعا- الزاوية الحملاوية: أسسها الشيخ علي بن الحملاوي بن خليفة المتوفي (1317هـ/1897م)، تتلمذ للحداد، ودرس بطولقة على يد علي بن عمر، وصار معلما ومقدما في زاوية أولاد عبد النور، شارك في ثورة الرحمانيين، ونفي إلى كاليدونيا أربع سنوات، ثم أعيد وسجن بتبسة ثلاث سنوات، وبعد خروجه أسس زاويته المشهورة في نواحي التلاغمة ⁽³⁾، ازدهرت الزاوية وعمّ صيتها الشمال القسنطيني كله ⁽⁴⁾. ثم خلفه ابنه الحفناوي (1320هـ)، ثم أحمد بن علي (ت1332هـ) ثم عبد الرحمان بن علي (ت1942)، ثم عمر بن عبد الرحمان (ت1966) ⁽⁵⁾.

عاشرا- الزاوية السالمية بوادي سوف: أسسها سالم بن محمد المتوفي (1861م)، سلسل سيدي المحجوب دفين القيروان، الذي تتلمذ للشيخ محمد بن عزوز ثم للشيخ علي بن عمر بطولقة، وهو الذي ندبه لتأسيس زاوية بوادي سوف، وكان ذلك سنة (1226هـ)، واشتهرت بالتعليم، وتخرج منها علماء كثر أمثال الطاهر العبيدي.

حادي عشر- ثورات الرحمانيين: اشتهرت الرحمانية بالمقاومة المستمرة للمستعمر، وكان إخوانها ومقدموها قادة لثورات عديدة، ولقوتها وانضباطها سميت بالكنيسة الإسلامية الجزائرية، ومن أشهر المقاومات الرحمانية ما يأتي:

1- ثورة المتيجة الأولى: والتي اشترك فيها الرحمانيون كأفراد مدفوعين بهاجس الجهاد ضد المحتل، وساروا خلف القيادات الدينية والقبلية كالشيخ السعدي والحاج ابن زعموم، إلى غاية انتظام الجميع تحت راية الأمير ⁽⁶⁾.

2- ثورة القبائل الأولى: وذلك لصدّ الحملة التي قادها المارشال راندون سنة (1857م) والتي شارك فيها (35000 جندي)، وأخمد بها بقية المقاومة المسلحة التي ابتدأت سنة (1850) مع الحاج عمر، والشريف

(1) مفتاح، أضواء على الطريقة الرحمانية، مرجع سابق، ص 157.

(2) عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص 159. صيد، معجم أعلام بكرة، مرجع سابق، ص 154.

(3) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 168. تعود أصول الأسرة إلى تازة بالمغرب، سكنت "بوفولة" قرب شلغوم العيد في القرن (15م).

(4) من تعظيم الجزائريين للشيء أنهم يقولون "كابن الحملاوي"، وذكر الميلي أن كلابه هامت سنة، فكان الناس يكرمونها بالذبائح والضيافات، وينزعون شعرها تبركا. انظر رسالة الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، مرجع سابق، ص 300.

(5) مجموع النسب، مرجع سابق، ص 160. أضواء على الطريقة الرحمانية، مرجع سابق، ص 117. وأما أخوه عبد المجيد فانتقل للهبرية (ت 2009)، وكان قد درس بفاس وهناك تزوج ابنة الشيخ عبد الحي الكتاني ثم طلقها. والتحق بالزيتونة، وفي سنة (1958)، التحق بالثورة.

(6) انظر الحركة الوطنية الجزائرية (1830-1900)، مرجع سابق، ج 1 ص 123. والشيخ السعدي صاحب زاوية بالعاصمة، وصار خليفة للأمير في سهل متيجة حتى حدود البيبان حتى سنة (1837)، حيث عين الأمير أحمد بن سالم بعد زيارته للبويرة.

الأمجد بوبغلة الذي قتل يوم (26 سبتمبر 1854). ثم قادت المقاومة لالا فاطمة نسومر، وهُدمت على إثرها الزاوية الأم بآيت إسماعيل، ونال بني راتن النصيب الأكبر من التنكيل الفرنسي حيث غزا الفرنسيون قاعدتهم مدينة الأربعاء وذلك يوم (26 ماي 1857) وفرضوا عليهم مغارم باهضة، وفي تلك الحملة كانت معركة ايشريضن الشهيرة في (24 جوان 1857م)⁽¹⁾. في حين أسرت لالا فاطمة في (11 يوليو 1857م)⁽²⁾ وتبعاً لذلك " أنشأ المارشال راندون حصن نابليون بسوق بالأربعاء بني راتن تخليداً لانتصاره على قبائل بني راتن. وذلك في ذكرى الإنزال الفرنسي في سيدي فرج يوم (14 جوان 1857)، وبعد قيام الجمهورية الثالثة تحول إلى اسم الحصن الوطني-fort national. ثم استعادت المدينة اسمها بعد الاستقلال أي الأربعاء نات ايرتن.

3- ثورات الشرق: وهي عديدة قام بها الرحمانيون لوحدهم أو مع طرق أخرى، ومن تلك الثورات ثورة سي زغدود (1841)، والشيخ الحسناوي (1852)، وثورة زواغة وفرجيوة (1864)، وسي الصادق بلحاج في (1858) في واحة المصمودي حيث أسر ونفي إلى كورسيكا، ثم مات بسجن الحراش سنة (1862)⁽³⁾.

4- الثورة العامة (1871م): الثورة العارمة الأشهر في القرن التاسع عشر، وقد أخذت شهرتها من اتساعها، ومن نتائجها على الجزائريين حيث قتل وهُجّر الألاف إلى ما وراء البحار وصودرت الأراضي وكانت نتائجها كارثة على النسيج الاجتماعي⁽⁴⁾، من النفي المحاكمات الجائرة، التي أذهلت الأحرار فسعى بعض الفرنسيين الشرفاء إلى المناداة بإلغاء نتائجها، ولم يتم ذلك إلا بالعفو عن بعض المنفيين (1895)⁽⁵⁾.

قادها المقراني والإخوان الرحمانيون، وانطلقت بعد واحد وأربعين سنة من الاحتلال الفرنسي للجزائر⁽⁶⁾، وسميت بثورة القداديش لكونهم وقودها المتحرك، وأزرها مقدم فرجيوة ابن سي السعدون، وابن الشريف بالشقفة، والشيخ الحملوي، والشيخ الجعدي بذراع الميزان، ومحمد بن محي الدين بدلس، وفي الجنوب ناصر بن شهرة بالأغواط، وبوشوشة في متليلي والمنيعية وورقلة، والبركاني بمناصر وشرشال وغيرهم⁽⁷⁾.

وممن أسهم فيها الشيخ الحداد شيخ زاوية صدوق فهو المعبىء الروحي، وكذا الشيخ محمد الجعدي شيخ الرحمانيين في قرية آيت إسماعيل بذراع الميزان، الذي اختاره الإخوان الرحمانيون بعد هجرة شيخ الطريقة السادس الحاج عمر إلى تونس سنة (1957)، فدفع إخوان الطريقة لخوض الجهاد ضد الفرنسيين في هذه

(1) انظر سي يوسف، مقاومة القبائل، ص 184. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، ج 1 ص 353.

(2) سي يوسف، مقاومة القبائل، ص 178. الحركة الوطنية الجزائرية، ج 1 ص 351. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 124.

(3) أطلق سراح ابنه إبراهيم سنة (1872)، وأسس زاوية تبرماسين انظر زوزو، الأوراس، نفسه، ج 1 ص 150-161. محمود بوكسية، التطور الثقافي والسياسي بزوايا الطريقة الرحمانية في عمالة قسنطينة، الجزائر، دار الإرشاد، 2015، ص 103. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4 ص 155.

(4) شارل روبر أجرون، المسلمون الجزائريون وفرنسا (1871-1919) الجزائر، دار الرائد، 2007، ج 1 ص 50. سعيدي مزيان، السياسة الفرنسية في منطقة القبائل، ومواقف السكان منها (1871-1914)، الجزائر، دار سنجاق الدين، 2010، ج 1 ص 146.

(5) انظر سعيدي مزيان، المرجع سابق، ج 1 ص 160.

(6) انظر لويس رين، تاريخ انتفاضة 1871، مرجع سابق، ص 286. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 168.

(7) يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين، ج 1 ص 255. الطاهر أوصديق، ثورة 1871، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985، ص 19.

الثورة الكبرى⁽¹⁾. التي يقول مؤرخها لويس رين: "وكانت تحت إمرة إخوان الطريقة الرحمانية التي بلغ نفوذها في هذه المرحلة منطقة الأوج"⁽²⁾.

ولم تكن كل الزوايا مع الثورة، فقد عارضتها زاوية ايت علي الشريف، وزاوية سيدي الموهوب بالبابور كما قيل، وحارب آخرون مع الفرنسيين كالشريف محمد صالح بن شيبان ببني منصور⁽³⁾، وكذلك تحفظ البعض الآخر ولم ينخرط فيها بالقوة، وبعضها بالدعم المعنوي أو السكوت والحياد بغرض حماية البقية كما هو الأمر مع الهامل.

5- ثورة (1876) بواحة العامري: وعلى الرغم من كون الثورة مناطقية ضد عتو الإدارة وأذناها، فقد وجدت دعما قويا من مريدي الطريقة الرحمانية وغيرها من الطرق، وممن خلّدها الشاعر عاشور الخنقي في أشعاره، فافتخر ببطولات البوازيد ضد المستعمر الفرنسي، وقد خربت الواحة كسابقتها الزعاطشة، وفرض العدو على الكثير النفي والتغريب ومصادرة الأموال، والقيام بأعمال السخرة في مد الطريق بين بسكرة وباتنة، ولم يصدر العفو عن البوازيد إلا سنة (1890م) بعدما فقدوا كل شيء⁽⁴⁾.

6- ثورة (1879): قادها فرع الرحمانية بالأوراس بزعامة وتعبئة من الشيخ محمد أمزيان بن عبد الرحمان الملقب ببوبرمة، والشيخ الهاشمي بن علي الدردوري بمدرونة تلميذ الخنقة، الذي أسس فروعا لزاويته، ونفي إلى كورسيكا بعد الثورة⁽⁵⁾، وظل أتباعه معارضين للوجود الفرنسي، ومن تلك الثورات الثورة الأخيرة سنة (1916) ببريكة والأوراس⁽⁶⁾، والتي على إثرها سحبت الإدارة امتيازات زاوية طولقة لما قيل إنها حرّضت عليها⁽⁷⁾، وقد كانت المغارم والعقوبات جد فادحة لدفن أي تحرك ثوري، ولكن هذا الألق الثوري لم تنخرط فيه كل الزوايا التي تشردمت وتشتت، فبعضها كان سلبيا، أو محايدا، أو ساكتا خائفا من الرد الفرنسي، ومن ذلك رحمانية قسنطينة التي ظلت على الحياد⁽⁸⁾، وأكثر زوايا الجنوب الرحمانية كالهامل وطولقة، وخلفاء عبد الحفيظ في الخنقة، وكذا الزاوية الحملوية، هذا فضلا عن معضلة عدم وحدة المشيخة التي آلت لها الطريقة بعد وفاة الحداد ونفي ابنه سي عزيز.

(1) انظر يعي بوعزيز، كفاح الجزائر من خلال الوثائق، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986، ص 221. عبد الباقي مفتاح، نظرات حول الطريقة على الرحمانية، ص 76.

(2) رين، ثورة 1871، مرجع سابق، ص 11. وهو يتكلم عن مرحلة (8 أفريل حتى 5 ماي 1871)

(3) رين، نفسه، ص 282، ص 326. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3 ص 190-193.

(4) انظر الحركة الوطنية الجزائرية ج 1 (1860-1900)، مرجع سابق، ص 301. بوعزيز، ثورات الجزائريين، مرجع سابق، ج 1 ص 266. أبحاث وأراء، مرجع سابق، ج 5 ص 255. حرز الله، منطقة الزاب، ص 374. أجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا، مرجع سابق، ج 1 ص 110.

(5) زوزو، الأوراس، ن مرجع سابق، ج 1 ص 171. أجرون، مرجع سابق، ج 1 ص 115. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 157. ثورات الجزائر في القرنين، مرجع سابق، ج 1 ص 266. الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، ج 1 ص 303. أو محمد جار الله الملقب بالمهدي.

(6) انظر بوعزيز، ثورات الجزائر، مرجع سابق، ج 2 ص 46. أجرون، مرجع سابق، ج 2 ص 821.

(7) بوكسية، التطور الثقافي والسياسي بزوايا الطريقة الرحمانية في عمالة قسنطينة، مرجع سابق، ص 155.

(8) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 167-168.

ثاني عشر-الميراث الأدبي والعلمي للرحمانية: تمتاز الرحمانية كصنوها التجانية والسنوسية بميزات مهمة، وهي:

أ- النشأة الجزائرية الخالصة، والاهتمام بالسنة والعلم والتعليم، وهي المهمة التي نجحت فيها كثيرا مما أكسب الجزائريين حصانة وهوية قوية، إضافة إلى البعد عن الخرافات والفلكور الملتصق بالتصوف، كما امتازت بالتربية الفردية والجماعية للمريدين، والدعوة لمباشرة الحياة والعمل ورفض مفاهيم الزهد السلبي.

ب- الوقوف ضد السلطة: مثلما فعل بن عبد الرحمان بوقبرين الذي ضايقه الأتراك كما سبق⁽¹⁾.

ج- تعدد تسمياتها من الخلوتية والرحمانية والعزوزية، أو الدردورية كما هو حال أتباع الهاشي دردرور في الأوراس.

د- العناية بالتربية الجهادية مع التربية الروحية، وهو ما سيكون أثرا بارزا في كثرة ثورات الرحمانيين على المستعمر، حيث شاع في بعض الأدبيات الرحمانية أن مجرد لمس الفرنسي أو حتى رؤيته ناقض للوضوء.

هـ- القيام بالأعباء الاجتماعية عقب الثورات والمجاعات كما هو شأن زاوية الهامل وطولقة، والتي انتهجت منهج المهادنة للمستعمر⁽²⁾، بغية الحفاظ على الخط التعليمي قائما، وحتى لا يأتي عليها ما أتى على الزوايا السابقة.

وأهم مؤلفات هذه الطريقة الجزائرية ما يأتي:

أ- مؤلفات المؤسس الشيخ محمد بن عبد الرحمان بوقبرين: شرح لامية الزقاق، دفتر الدفاتر، خلوة الجمل، شرح على الريفراوي، زلزلة النفوس، خلوة السرداب، طي الأنفاس والأسماء السبعة.

ب- مؤلفات الشيخ عبد الرحمان باش تارزي: المنح الربانية في بيان المنظومة الرحمانية للشيخ مصطفى بن عبد الرحمان باشتارزي (1836م)⁽³⁾، وهي شرح لمنظومة أبيه عبد الرحمان (1807م) "المنظومة الرحمانية في الأسباب الشرعية المتعلقة بالطريقة الخلوتية"، وغنية المريد في شرح نظم مسائل التوحيد.

ج- مؤلفات الشيخ الحداد: التقييد المحل للتعقيد⁽⁴⁾، أطوار الطريقة الرحمانية⁽⁵⁾، شرح مسائل ابن رشد.

د- مؤلفات الشيخ عبد الحفيظ الخنقي: التعريف بالإنسان الكامل، مصباح الأرواح، الحكم الحفيظية، غنية المريد، الجواهر المكنونة في العلوم المصونة، المجموع الفائق والدستور الرائق، سر التفكير⁽⁶⁾.

هـ- مؤلفات الشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي: ومن أهمها: الأسمائية، وهي منظمة في التوسل بالأسماء الحسنى، وقد شرحها الديسي في "فوز الغانم"، وكذا ابن أخيه محمد بن الحاج محمد في "بيان خواص أسماء

(1) البوعبدلي، الحياة الثقافية في الجزائر، مرجع سابق، ص 140.

(2) زوزو عبد الحميد، الأوراس، مرجع سابق، ج 1 ص 356.

(3) معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 31. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 130.

(4) حققه ونشره أستاذنا الدكتور عمار طالبي ومعه فريد زيداني وبراهم واعلي، وهو كتاب فيه نزعة إصلاحية واضحة مثل انكار البدع وتقديس الأشجار وادعاء الشرف والمشيخة، وظهور الدجل. وانظر معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 120.

(5) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 131. البوعبدلي، مجلة الأضالة، ع 29-30 (جانفي، فيفري 1976)، ص 142. المهدي البوعبدلي، الأعمال الكاملة تاريخ المدن، ص 522، التراجم، ص 155، وقال إنه أخذ رياسة الطريقة عن المهدي السكلاوي اليراتي. ولعله نفس الكتاب السابق.

(6) طبعت أعماله في قسنطينة عاصمة الثقافة العربية. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 127.

الله الحسنى"، وله أيضا: رسالة في الهجرة، رسالة في تحريم الدخان، رسالة في مقامات الأنفس السبعة، رسالة إلى بني ميزاب⁽¹⁾.

و- مؤلفات زاوية طولقة: علي بن عمر الطولقي المتوفى بتونس سنة (1309): فاكهة الحلقوم في نبذة قليلة من أحوال القوم"، وقيل هو للحسين بن علي بن عمر (1830-1891)⁽²⁾، وعلي بن عثمان الطولقي (ت 1898) النبذة المنيفة في منهج الحقيقة⁽³⁾.

ز- مؤلفات وادي سوف: إبراهيم بن عامر السوفي (1934): البحر الطافح في بعض مناقب شيخ الطريق سيدي محمد الصالح، وهو ترجمة لمحمد الصالح بن سيدي سالم الأعرج، وناقش فيه صاحبه قضايا الذكر الجماعي، والسبحة وغيرها⁽⁴⁾. واستغرب سعد الله تأليف رجل إصلاحي لكتاب في التصوف والكرامات.

ح- مؤلفات الأوراس: حكمة المغانم في البلوى في جميع النعائم لإبراهيم بن الحاج الصادق الأوراسي صاحب ثورة (1859)، والذي توفي في سجن الحراش، بعدما أسر هو وأبناؤه وبعض أنصاره⁽⁵⁾. وكذا "الفيوضات الربانية والتدرجات الإنسانية في نشر الطريقة الخلوتية" للمغازي علي بن محمد الزواوي (1301)⁽⁶⁾.

المطلب الثالث: الطريقة التجانية.

أولا- تأسيس الطريقة: أسست الطريقة من قبل الشيخ أبي العباس التجاني، الذي: ولد سنة 1150هـ- 1737م⁽⁷⁾ في بلدة عين ماضي بنواحي الأغواط، وهي بلدة عامرة اختطها العرب الهلاليون، وتعود نسبتها إلى ماضي بن يقرب الرياحي الذي أسكنها أهله وذريته في القرن الرابع الهجري.

عاصر الشيخ التجاني أوج عهد الدايات الذين حكموا الجزائر من دار السلطان (الجزائر العاصمة) ومدوا حكمهم على باقي الجزائر بنظام البايلك (قسطنطينة، التيطري، معسكر) إلا أن هذا النظام لم يكن ملتحما بالشعب المغلوب الذي لا يعرف قاداته إلا بقنطرة الضرائب والمكوس والغرامات، وعيبه الأكبر كان في

(1) انظر محمد بن أبي القاسم، الزهر الباسم في ترجمة الإمام محمد بن أبي القاسم، تونس، ط1، 1308هـ. تعريف الخلف، مرجع سابق، ج 2 ص 171. معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 335. معجم مشاهير المغاربة، مرجع سابق، ص 545. زاوية الهامل، مرجع سابق، ص 95.

(2) انظر تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 129. معجم أعلام الجزائر، ص 69. تراجم المؤلفين التونسيين، مرجع سابق، ج 3 ص 286.

(3) الإجازة: "من خديم شيخه علي بن عثمان بن علي بن عمر الطولقي إلى كافة أحبائنا وإخواننا الواقفين على جوابنا هذا ... أما بعد، فإني أذنت وأجزت إجازة تامة شاملة الحامل المنور الصالح العامل الحاذق الأديب العارف بربه، ولدنا قلبا لا صلبا، سيدي. أن يعطي أوراد طريقتنا الخلوتية (الرحمانية) المتصل سندها إلى خير البرية، صلى الله عليه وسلم. وصفة التلقين هي أن يمسك إبهام يمين الطالب وتقول له: غمض عينيك واسمع إلهي وتبعني. وبعد أن ذكر في عدة سطور طريقة التلقين وما يقوله الملقن وما يردده التابع، وعدد المرات، ختم الشيخ إجازته بقوله: ومن أخذ عنه كأنما أخذ عني. وعليكم بطاعته، ومداومة الحضرة، صباحا، ومساء مجتمعين ليحصل المدد النبوي، وعليكم بمؤخاة بعضكم بعضا، وعليكم أيضا بالصبر والتسليم لخلق الله، وتعاونوا على البر والتقوى، وجدوا واجتهدوا في ذكركم لتدخلوا في حزب الطريقة المنورة، فإن من دخلها دخل في حزب وضمانة المصطفى صلى الله عليه وسلم، ومن دخلها كمن دخل سفينة نوح، وكمن دخل مقام إبراهيم... بتاريخ 28 جمادي الثانية 1302" انظر ديبون وكوبولاني، 1897، مرجع سابق، ص 401.

(4) معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 181. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 447. وطبع الكتاب بتونس سنة (1323هـ)

(5) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 154. ج 7 ص 129

(6) معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 161. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 133. وقد طبع الكتاب بمصر.

(7) في ترجمة التجاني انظر: تعريف الخلف برجال السلف، مرجع سابق، ج 1 ص 281. معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 62.

السياسة المالية الضرائبية التي ضجّ منها السكان، والتي قادت إلى حملة احتجاجات كان أعنفها ما قامت به الطريقة الدرقاوية في ثورتها المعروفة في الغرب بقيادة عبد القادر بن الشريف الدرقاوي، وفي الشرق مع الداعي بلحرش الدوقاوي⁽¹⁾. ولأسفصال مسار الشيخ التجاني، فيحسن بنا عرضه في الآتي:

1- المسار العلمي للشيخ: يمكن تلخيصه بعد مرحلة الطلب في بلده على يد محمد بن حمو التجاني والمبروك ابن أبي العافية المضاي، ثم في رحلاته العديدة إلى حواضر تلمسان وفاس، ثم رحلة الحج التي عرف فيها أحوال العالم الإسلامي، ولقي فيها الشيوخ المبرزين الذين أجازوه في علوم الفقه والحديث والتصوف. استكمل التجاني معارفه العلمية والعملية التربوية في فاس التي بقي فيها ستة عشرة سنة كاملة، وبعدها عاد منها شهاباً واريّاً من العلم والدين، فتصدّر للتدريس في:

أ- بلدة الأبيض سيدي الشيخ -مقر الطريقة البوشيفية- التي مكث فيها خمس سنوات مدرسا (1762-1767). ثم خرج منها لخلاف بينه وبين سي سليمان بن قدور مؤسس زاوية سيد الحاج عبد الحاكم⁽²⁾.

ب- تلمسان: تصدّر للإقراء والتعليم بجامعها الكبير. ثم تصدّر بها ثانية للتدريس بعد عودته من الحج.

ج- سوسة: مكث بها سنة كاملة مدرسا للحكم العطائية أثناء سفره للحج (1186-1188هـ-1774م)

د- الشلالة: (قرية جنوب البيض) درّس بها بعد تضيق الأتراك عليه في تلمسان.

هـ- أبو سمغون: وهي مدينة جنوب البيض، حيث استقر وتصدّر المشيخة، وبها جاءه الفتح العرفاني، ومكث بها ثلاثة عشرة سنة كاملة (1199-1212).

و- فاس: التي هاجر إليها عقب هجوم الأتراك على مدينة عين ماضي سنة (1213هـ-1797م) ومكث بها مدرسا وشيخاً ومربياً سبعة عشر سنة كاملة إلى أن وافاه الأجل سنة (1230هـ/1815م).

لم يترك الشيخ مؤلفات كثيرة في التصوف والعلم، حيث انصرف إلى إعداد الدعاة والمربين إلا أن أهم الآثار المتداولة لدى التجانيين من تراث الشيخ هي: الكناش، وهو مجموعة وصايا وأوراد يتداولها خلفاء الطريقة، وشرح همزية البوصيري أملاه على تلميذه علي حرازم، ويسمى "الإرشادات الربانية بالفتوحات الإلهية من فيض الحضرة الأحمدية التيجانية"، وفتاوى متفرقة في كتاب جواهر المعاني لعلي حرازم وكتاب الجامع لمحمد بن المشري، وآراء عقديّة وصوفية تضمنها كتاب علي حرازم: جواهر المعاني وبلوغ الأماني من فيض أبي العباس التجاني⁽³⁾.

2- المسار الصوفي: نشأ أحمد التجاني في بيئة صوفية سنيّة، سادت فيها الطرق الصوفية التي كانت ملجأ وملاذ الناس من جور السلط السياسية المتعاقبة، حيث ينذر أن تجد عالماً غير منتسب لأحد المشارب

(1) ناصر الدين سعيدوني، وركات جزائرية، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2000، ص308. أحمد الشريف الزهار، مذكرات نقيب الأشراف 1754-1830، تحقيق أحمد توفيق المدني، ط2، الجزائر، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع، 1980، ص84-87. المزاوي، طلوع سعد السعود، مرجع سابق، ج1 ص299.

(2) الطيب بن إبراهيم، إمارة أولاد سيدي الشيخ، (1580-1881)، ط1، الجزائر، متليلي، دار صبيحي، 2006، ص174.

(3) عبد الباقي مفتاح، أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2008، ص130.

الصوفية، وعلى مسلك من سبقه فقد اجتهد التجاني في رحلاته إلى لقاء شيوخ التصوف، ففي فاس أخذ الأوراد عن الطرق المعروفة منها:

-الطريقة الطيبية: حيث التقى صاحبها مولاي الطيب بن محمد في مدينة وزان.

-الطريقة القادرية: التي أخذها عن شيوخها بفاس وبجامع القرويين، وعن أحمد بن حسان القادري.

-الطريقة الناصرية: عندما التقى الولي الصالح أحمد بن عبد الله التزاني.

-الطريقة الرحمانية: حيث التقى صاحبها محمد بن عبد الرحمن الأزهرى بجرجرة أثناء مسيره لأداء فريضة الحج⁽¹⁾. وقد سبق أنه أخذ فيما بعد الخلوتية بمصر من الشيخ محمد الخضيرى أيام عودته من الحج.

لكن أهم الشيوخ الذين تأثر بهم هم عبد الله بن العربي المعني الأندلسي (1188هـ) بمدينة فاس، والولي الملامتي أحمد الطواش (1204) بتازة بالمغرب، والشيخ محمد الكردي المصري بمصر، والذي أخذ عنه عديد المعارف الصوفية، والشيخ محمد بن عبد الكريم السمان بالمدينة المنورة أثناء أداء فريضة الحج⁽²⁾.

أما المرحلة الأخيرة من التصوف فتتمت في بلدة أبو سمغون حيث جاءه الفتح سنة (1196-1781م) حيث تأسست رسميا الطريقة الأحمدية التجانية التي قامت على فكرة خاتمية الولاية في شخص أبي العباس، والتزام الذكر والعبادة بالتربية وأكل الحلال والحفاظ على الصلوات واجتناب المحرمات.

إن المتصفح للطريقة يجدها تتميز عن غيرها من الطرائق الصوفية بجملة أشياء أكسبتها ذلك الانتشار الواسع على الرغم من تأخرها الزمني نسبيا وهي: الاهتمام بالعلم الشرعي، والدعوة إلى فتح باب الاجتهاد والاستدراك على السابقين، ورفع الحرج وعدم التكليف بالأنقال في التربية من حيث قلة الوظائف والأوراد إذا ما قورنت بغيرها، والاهتمام بالسنة ومجانبة البدع والخرافات ومحاربة الفلكور الذي أحاط بالتصوف.

أسهمت الطريقة التجانية أيضا بثورتها ضد بايلك الغرب في أواخر العهد العثماني، والتي قادها محمد الكبير بن أحمد التجاني ضد بايلك الغرب في (1827)⁽³⁾، مما دفع إلى تلك القطيعة التي ستكون نتائجه وخيمة في الاستعمار الفرنسي الذي وجد سلطة هشة مقطوعة الأواصر عن باقي الساكنة الجزائرية.

ثانيا- أسس الطريقة وميراثها الروحي الصوفي: الطريقة التجانية طريقة مفردة لا تنتهي لأي من المشربين الصوفيين الكبيرين والذين تناسلت منهما أغلب الطرق الصوفية أي القادرية والشاذلية، وهي أقرب في المشرب العقدي إلى نهج الشيخ الأكبر محي الدين في الحقائق العلوية، كما أنها أقرب إلى السلوكات السنية في الشعائر والعبادات، مع القول بخاتمية الولاية للتجاني⁽⁴⁾.

والشروط الملزمة لمريد الطريقة التجانية هي: دوام المحافظة على الصلوات الخمس في الجماعات والقيام بالتكاليف الشرعية، وعدم مقاطعة الخلق وخاصة المريدين التجانية، واحترام العلماء والصالحين والشيوخ

(1) عبد الباقي مفتاح، أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه، المرجع السابق، ص72.

(2) أكنسوس محمد بن أحمد، الجواب المسكت في الرد على من تكلم في طريقة الإمام التجاني بلا تثبت، الجزائر، تغزوت، 1999، ص6

(3) انظر مذكرات الشريف الزهار، مرجع سابق، ص 159. دليل الحيران وأنيس السهران، مرجع سابق، ص 313. المزاري، طلوع سعد السعود، مرجع سابق، ج 1 ص352. بن بكار، مجموع النسب، مرجع سابق، ص 349. وانظر تلمساني بن يوسف، الطريقة التجانية وعلاقتها ببائلك الغرب.

(4) انظر محمد العربي السائح الشرقي العمري التجاني، بغية المستفيد لشرح منية المريد، بيروت، دار الفكر، 1973، ص 225.

ومن انتسب إليهم، واعتماد عقائد أهل السنة والجماعة والالتزام بمذاهبهم الفقهية، وعدم الأمن من مكر الله تعالى إلى الممات⁽¹⁾. وكذلك مداومة الالتزام بالورد إلى الممات بعد أخذه من قدوة في الطريق وهذه الأوراد تختلف بين اللزوم والاختيار.

الأوراد اللازمة: الورد المعلوم يقرأ كل يوم بعد صلاتي الصبح والعصر، ويشمل قراءة الفاتحة، ثم الاستغفار مائة مرة، ثم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة، والهيللة مائة مرة. الوظيفة الصغرى: تقرأ مرة أو مرتين جماعة وفرادى، وهي: الفاتحة، ثم الاستغفار ثلاثين مرة، وصلاة الفاتح: خمسين مرة. الهيللة: مائة مرة، وصلاة جوهرة الكمال: اثنا عشرة مرة ثم يختم بالدعاء. تتضافر الكتب التربوية في الطريقة على مركزية التزكية القائمة على العلم الشرعي المطهر من الأدران في السلوكات، ولهذا تشيد بالعالم والمربي والشيخ المزي، وهو ما يقود إلى الترقى في الكمالات.

ثالثا- الأعلام الجزائريون الناشرون للطريقة في إفريقيا.

على الرغم من الولادة المتأخرة للطريقة التجانية في سلسلة الطرق الصوفية الكثيرة المتفرعة من القادرية والشاذلية، وعلى الرغم من كثرة المعارضين لها من داخل حقل المتصوفة ومن خارجها، إلا أنها وجدت لها قدما راسخة في السودان الأوسط والغربي، أي من إفريقيا جنوب الصحراء، والتي لم تكن خلوا من طرائق صوفية تعيش فيها، بل وتدين بها ممالك وإمارات إسلامية متعددة⁽²⁾. إن عمل الأعلام الجزائريين والمغاربة يتمثل في التبشير بالجديد الصوفي في الطريقة عن طريق مسارين تناسلت منهما الزوايا والمدارس التجانية.

1-المسار الأول: رحلة الحج: أي خط فاس - عين ماضي- تماسين- القاهرة- مكة- وفي هذا المسار برز لدينا أعلام كثر اعتنقوا الطريقة وصاروا من أعلامها المنافحين عنها، ويمكن الاستشهاد هنا بشخصية شيخ الاسلام ابراهيم الرياحي أبي اسحاق ابراهيم عبد القادر الطرابلسي العلوي، (1180-1266هـ)⁽³⁾، والذي أخذ العلوم بتونس وبرز على أقرانه، وعند وفود علي حرازم تلميذ الشيخ التجاني على تونس قاصدا الحج التقاه وأخذ عنه الطريقة، ثم انتدبه حمودة باشا باي تونس سفيرا للمغرب لأجل جلب الميرة لتونس أيام المجاعة سنة (1218هـ)، وهناك التقى الشيخ أحمد التجاني، وقد ألف الرياحي كتبا كثيرة في الطريقة وفي غيرها منها "مبرد الصوامر والأسنة في الرد على من أخرج الشيخ التجاني من أهل السنة"⁽⁴⁾.

ومما جاء في توصيف الشيخ الزيتوني "محمد مناشو" في ردوده على رشيد رضا صاحب المنار في انتقاده للتجانية ما يبرز دور العلماء في نشر الطريقة: "إن طريقة التجاني لم تنتشر بواسطة الملوك بل بواسطة العلماء، فقد كان أول ناشر لها بيننا رأس الفتوى والإمام الأكبر بالجامع الأعظم شيخ شيوخ القطر مولانا الشيخ سيدي إبراهيم الرياحي مجيز علماء المشرق والمغرب، وتداول سنده بعده من شيوخ الفتوى والقضاء

(1) عبد الرحمان طالب، الشيخ سيدي أحمد التجاني ومنهجيته في التفسير والفتوى والتربية، وهران، 2004، ص 17.

(2) انظر مسعود عمر، تأثير الشمال الإفريقي على الحياة الفكرية في السودان الغربي، ليبيا، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، 2003، ص 70.

(3) كحالة، معجم المؤلفين، مرجع سابق، ج 1 ص 37. التليلي العجيلي، الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية، نفسه، ص 38.

(4) أحمد سكبرج، كشف الحجاب عن تلاق مع الشيخ التجاني من الأصحاب، بيروت، المكتبة الشعبية، 2002، ص 132.

بالمذهبيين الحنفي والمالكي ما يزيد عن الأربعين من آل بيرم، وآل النيفر، وآل الخوجة، وآل الشاهد، وآل الشريف، وآل حسين، وآل جعيط وسواهم جمهور عظيم من أئمة ومدرسين وأمراء ووزراء وسراة فضلاء.⁽¹⁾

2-المسار الثاني: الرحلات الدعوية: وذلك من قبل الرجال الجزائريين الذين ساروا بالطريقة قدما إلى الأعماق الإفريقية من خلال مؤلفاتهم أو رحلاتهم للدعوة إلى الاسلام بين الوثنيين أو المسلمين حديثي العهد بالإسلام، وهم من العدد بمكان. إلا أنه يمكننا الوقوف عند جملة نماذج علمية صوفية من علماء الطريقة نحو الآتي:

أ-محمد المشري السائحي: من قبيلة أولاد السائح الأشراف المرتادين للعرق الشرقي، والمتوزعين اليوم على نواحي تقرت والطيبات وورقلة، وقد التقى الشيخ التجاني عند عودته من الحج بتلمسان سنة (1188هـ)، وصار يؤم الشيخ في الصلوات وعاد إلى موطنه الأولى، وأسهم في نشر الطريقة في الجنوب الشرقي، وفي تونس، وعنه أخذ علامة قسنطينة محمود بن المظمطية، وقد توفي في حياة الشيخ التجاني بعين ماضي سنة (1224هـ)، وعزاه الشيخ ونعاه بنفسه، وترك أحد أهم المؤلفات في التصوف وهو: الجامع لدرر العلم الفائضة من القطب المكتوم، كما خلف كتابا في شرح الصلوات النبوية. وهو "السراج الوهاج لاقتطاف ثمرة ياقوته المحتاج"⁽²⁾.

ب-محمد بن الفضيل التواتي: من أوائل رواد الشيخ وأصحابه، حيث أن الشيخ التجاني وبعد ضغط الأتراك في الشمال نزل إلى واحات توات إلى تيكورارين، وهناك أخذ عنه وصار من مقدمي الطريقة، وقد اهتم التواتي بنشر الطريقة بين بدو الطوارق الذين نقلوا الطريقة إلى مالي والنيجر⁽³⁾ بفضل القوافل التجارية التي كانت تسري بين مدن توات وشمال مالي، وهي خطوط تجارية قديمة أسهمت في ربط الصحراء الجزائرية ببلاد الفلان والتكرور⁽⁴⁾.

ج- محمد الأخضر التواتي: من تلامذة بوطيبة الطاهر التلمساني، والذي نشر الطريقة في الأعماق الصحراوية.

رابعا- الحضور التجاني في إفريقيا ومظاهره: برزت التجانية بقوة في القرن التاسع عشر، وأسهمت في نشر الإسلام بسرعة فائقة على الرغم من الوافد الاستعماري الذي تزواج فيه المدفع بالصليب، والذي كانت أرتاله العسكرية تحوي في مؤخرتها وفود القسس والرهبان والمبشرين، ورغم القوة العسكرية الكاسحة إلا أن الدعوة الإسلامية انسابت بين جموع الوثنيين⁽⁵⁾، وقد تنوع هذا الحضور التجاني الجزائري إلى وجهتين:

1-الحضور العلمي التربوي: برز للطريقة شيوخ كثر في إفريقيا الغربية ومنهم آل أنياس، ومنهم إبراهيم شيخ الإسلام (ت1975م) الذي أسس عديد المعاهد الإسلامية التي يتزواج فيها التعليم الديني بالمدني، واشتغل

(1) مناشو محمد، رسالة فتح الأبصار على مواقع عثار صاحب المنار، الجزائر، تاغزوت، سلسلة الكتاب التجاني، 1999 ص 17، (الرد على مجلة المنار، ج 26 ص 766).

(2) سكيج، كشف الحجاب، مرجع سابق، ص 149.

(3) عبد الباقي مفتاح، أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه، مرجع سابق، ص 181.

(4) عبد القادر زبادية، الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية، الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب، 1998، ص 27.

(5) أرنولد توماس، الدعوة إلى الإسلام، ط3، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1971، ص 370.

بدحر افتراءات المبشرين في مثل كتابه "الرد على المطران ليفيري في هجائه للإسلام"⁽¹⁾. وكذا أخوه الحاج محمد بن عبد الله (1881-1959م) الشاعر المشهور الذي خلف ديوان مرآة الصفا في مدح النبي، وكذلك الحاج عباس صل الشاعر الذي مدح النبي بأزيد من ثلاثة آلاف بيت شعري. وكذلك الحاج مالك سي (ت 1922م)، وغيرهم من العلماء الذين خدموا الدعوة الإسلامية في القارة الإفريقية المنسية. والشاهد على ذلك ما قاله مؤلف حاضر العالم الاسلامي: "ولقد تبع الطريقة التجانية عدد كبير من أهل ماسينة في السودان، وأهالي فوتاتور وفوتاجالون، وصاروا من أشد أنصار الإسلام، وانظموا تحت راية الحاج عمر، فكانوا طيلة أربعين سنة هم سادة السودان من تمبوكتو إلى الأقيانوس الأطلنطي"⁽²⁾

2- **الحضور العسكري الجهادي:** ويمكن التمثيل بهذا الحضور الجهادي بأنموذج لإمارات ودول مسلمة ولدت في حوض النيجر والسينغال، وخاضت حروبا عديدة ضد الوافد الاستعماري الفرنسي خاصة، وذيله في إفريقيا الغربية.

وأبرز مثال على هذا الدولة الإسلامية التجانية التي أقام أركانها الشيخ عمر الفوتي المولود سنة (1213-1796)، حيث نال حظا من علوم اللغة والشريعة -في بلاده فوتاتور- واجتمع في رحلة الحج سنة (1826م) بالشيخ محمد الغالي (خليفة الشيخ التجاني في بلاد الحرمين)، وصحبه ثلاث سنين، وتأثر بالوهابيين وتحول من القادرية للتجانية⁽³⁾. ثم عاد إلى إفريقيا ووضع نصب عينيه إحياء للإسلام دينا ودولة في تلك الأصقاع المشتتة، وهنا كان الألق للجهادي للتجانية في السيرة العملية للمجاهد عمر الفوتي⁽⁴⁾. والذي ابتدأ الجهاد بسبب إعلان ملك طامبا "يامبا سافو" الحرب على التجانيين سنة (1852)، وكانت بدايتها انتصارات متوالية ضد الفرنسيين وحلفائهم، كما أخضع إمارة "كارثا" إلا أن إمارة "ماسينا القادرية" أعاقته في كثير من أعماله. وفي مفارقة جد غريبة في أن القادرية التي كانت مجاهدة في الجزائر صارت مهادنة، والتجانية المهادنة في الجزائر كانت مقاومة في الغرب الإفريقي⁽⁵⁾.

وعند اشتداد التغلغل الفرنسي في السنغال خلال أعوام (1857-1859) اضطر الحاج عمر أن يوقف تقدمه غربا، ويستكمل بناء دولته شرقا بفتح مدينة تومبكتو عام (1863)⁽⁶⁾، إلا أنه وفي غمار حروبه ضد إمارتي البامبارا والفلولاني في سيقو اغتيل سنة (1865)، بعدما خلف سلطنة إسلامية عظيمة في وسط بلاد الزنوج الفتشيين⁽⁷⁾.

(1) عبد الباقي مفتاح، أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه، مرجع سابق، ص 252.

(2) لوتروب ستودارد، حاضر العالم الإسلامي، ترجمة عجاج نويهض، بيروت، دار الفكر، د، ت، ج 2 ص 397.

(3) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 195.

(4) انظر محمد الحافظ التجاني، الحاج عمر الفوتي سلطان الدولة التجانية لغرب إفريقيا، مصر، الزاوية التجانية، 1383هـ، ص 67.

(5) سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 195.

(6) يحي بوعزيز، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، الجزائر، دار البصائر، 2009، ص 138.

(7) لوتروب ستودارد، حاضر العالم الإسلامي، ترجمة عجاج نويهض، بيروت، دار الفكر، د، ت، ج 2 ص 397.

خامسا-التجانية ومواقفها المختلفة من الاستعمار الفرنسي.

التبست مواقف الطريقة من الاحتلال الفرنسي، واختلطت بين مواقف الحياد والجهاد والسكوت والمداورة، أو الانتظار والقبول بالوافد، وهذه المواقف المختلفة نتجت بسبب اختلاف فرعي عين ماضي وتماسين، ومن جهة أخرى إلى اختلاف طبيعة الشيوخ والمقدمين والخلفاء.

1- مواقف الحياد: وخير من يمثله الشيخ محمد الحبيب التجاني الذي ظن بأن يد فرنسا لن تمتد للجنوب، فلم ينخرط في دولة الأمير على الرغم من الماضي العسكري لأخيه محمد الكبير الذي قتل على يد الأتراك (1829)، وقد استغلت فرنسا بشدة الخلاف الذي وقع بين الأمير عبد القادر ومحمد الحبيب التجاني الذي رفض التسليم ببيعة الأمير، مما انجر عنه الحصار المعروف لعين ماضي بعد معاهدة التافنة وذلك سنة (1838) ⁽¹⁾. وانتهى الحصار باستسلام الشيخ محمد الحبيب التجاني، ولا يخفى دور الجاسوس المتأسلم "ليون روش" في تأجيج الصراع بين الطرفين، الذي أفضى إلى احتلال عين ماضي سنة (1844) بقيادة سانطارنو، ثم الأغواط (1854).

ويبدو أن موقف الأمير تجاه التجانيين لا ينم عن عدواة طرقية كما يزعم البعض، بل هو رغبة منه في توحيد البلاد سياسيا، ولأجل ذلك كان قاسيا في قضية المشور بتلمسان، وحارب بوحمار الدرقاوي وبومعزة الطيبي، وعزم على غزو ميزاب لما رفضت إعلان الطاعة له، وكان حصار عين ماضي حسب سعد الله مضيعة للوقت والجهد والسمعة، وقد افتعل الفرنسيون العداوة بين الأمير والتجانيين ليستفيدوا منها ⁽²⁾. والأمر نفسه سرى على زاوية تماسين التي لم يشهر شيوخها العداء في وجه المحتل بسبب القوة العسكرية الفرنسية، وكان شيوخها يوصون الأتباع بالصبر للقدر النافذ.

ولأجل هذه المواقف اقترح بعض منظري الوضع الاستعماري إعادة منصب شيخ الإسلام الملغى منذ (1830)، واقترح "لويس رين" إسناده لشيخ الطريقة التجانية (1884) ⁽³⁾، ولكن المشروع لم يجد طريقه للتنفيذ. وفي مفارقة جد غريبة في أن القادرية التي كانت مجاهدة في الجزائر صارت مهادنة، والتجانية المهادنة في الجزائر كانت مقاومة في الغرب الافريقي ⁽⁴⁾. ودلائل ذلك كثيرة بدء من جهاد عمر الفتوي، وأنصار الطريقة الحموية التجانية في موريتانيا ومالي ⁽⁵⁾.

(1) تحفة الزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 252. بن يوسف تلمساني، الطريقة التجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر، ص 197.

(2) رفض الميزابيون طاعة الأمير، فبعث لهم مهديدا، فردوا عليه بأن لديهم من التمر والبارود ما يكفهم عشرين عاما، وقد انصرف الأمير عن غزو مزاب بعد نقض معاهدة التافنة. انظر حاج سعيد يوسف بن بكير، تاريخ بني مزاب ونضالهم من أجل الحق في التباين، ط1، غرداية، المطبعة العربية، 1992، ص 69. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 203.

(3) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 351.

(4) سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 195.

(5) علي تراوري، الإسلام والاستعمار في إفريقيا، الشيخ حماد الله رجل الدين والمقاومة، ص 15. نقلا عن ولد محمد الأمين إخلينا، الطريقة الحموية في الساحل الإفريقي جزء من الحالة الصوفية بموريتانيا ومالي، ضمن كتاب الطرق الصوفية في غرب إفريقيا، ط1، الدوحة، مركز الجزيرة، 2021، ص 47. والشيخ حماد الله (1882-1943). وتتميز طريقته التجانية بأمر منها: فكرة عودة المهدي والذي هو حماد الله، والقول بالقصر في الصلاة وإسقاط الجمعة في زمن الاستعمار وانعدام الأمن، والاقتصار في الورد على جوهرة الكمال أحد عشر مرة بدلا من اثنا عشر.

2- موقف المقاومة: لم تمنع السلوكات السالفة بعض شيوخ الطريقة من منع مريدي التجانية من الانخراط في الثورات الشعبية، فوجدنا أحمد بن سالم الأغواطي التجاني ينظم إلى ثورة للدرقاوي بوحمار⁽¹⁾، وانضم الكثير إلى أولاد سيدي الشيخ الأولى، ويقال أن من أسباب القبض ثم نفي الشيخ أحمد عمار لفرنسا هو دعمه لهذه الثورة، حيث اعتقل سنة (1869)، ليستسلم أولاد زياد التجانيون بعد ذلك⁽²⁾. ولم يطلق سراحه إلا في سنة (1881)، ولكن الرجل نفسه اتهم بمساندة ثورة بوعمامة، فاستُدعي للجزائر، على الرغم من رسائله لأتباعه بالانكفاف عن الثورة، وإرساله بعض الأدلاء للبعثات الفرنسية مثل بعثة فلاترز التي قضى عليها الشعانبة والتوارق (1881)⁽³⁾. وكان الإنهاك العسكري لثورة أولاد سيدي الشيخ قد جعل التجانيين في عين ماضي يراجعون حساباتهم، ويركنون إلى التفاهم مع المستعمر للحفاظ على الزاوية وأتباعها في الصحراء. وممن قادوا المقاومة أيضا الشيخ الطاهر بوطيبة التلمساني الذي نُفي إلى جزيرة "سانت مرغريت" سنوات (1863-1871)، وكذلك تلميذه يعقوب بن العربي، ثم تلميذه بوعزة البكوش التجاني الذي ثار ضد الاحتلال في نهاية الخمسينيات، ثم لجأ إلى المغرب، وهناك انخرط في جملة الثائرين ضد المخزن والسلطان الحسن، وقبض عليه ليقتل في الطريق إلى سجنه في مراكش سنة (1875)⁽⁴⁾. وكان الكلام يدور عن مؤامرة سبدو وانخراط التجانيين فيها كما جاء في تقرير رئيس المكتب العربي لتلمسان: "إن الفئة التجانية تواصل طرد الفرنسيين، وإنها ستعتمد إلى الإطاحة بالحكومات الإسلامية في شمال إفريقيا"، وجاء رد الإدارة بأن شيخها حليف وفي لها⁽⁵⁾.

يعيد سعد الله الاستغلال الفرنسي لمواقف التجانية من الأمير إلى محاولة تطويع الطريقة واهتبال نفوذها في الصحراء وإفريقيا: "فقد كان من الممكن أن يدخل حصار عين ماضي التاريخ ويمش كما دخل التاريخ وهمش حادث الدوائر والزمانة، وحادث المشور، وحادث موسى الدرقاوي، وحادث أبي معزة، لأنها جميعا كانت أحداثا متشابهة، ولكن لحاجة ما وقع تهميش كل هذه الأحداث بينما بقي حصار عين ماضي يُنسف جمره كلما جاء ذكر الأمير والتجاني والفرنسيين، أليس في ذلك سرا يحير الألباب غير الواعية للتاريخ؟"⁽⁶⁾.

وشهرة الطريقة وقبولها لدى الأوساط الشعبية هي التي جعلت بعض رجال الاستخبارات الفرنسية يلبسون لباسها لينفذوا إلى الأعماق كما حصل مع الضابط "فورو" الذي استنجد بشيخ زاوية قمار محمد العروسي بن محمد الصغير التجاني (ت1920) ليكتب لزعماء توارق أزجر طاسيلي، ويريد تسهيل المهمة لكونه محسوبا عند الشعانبة والطوارق من "الإخوان التجانيين"⁽⁷⁾. وفي ذلك يسوق سعد الله انتقاده للسلوك السياسي

(1) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 211.

(2) إمارة أولاد سيدي الشيخ، مرجع سابق، ص 331. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 212.

-Charles Robert Ageron. Histoire de L algeir Contemporaine. 1871-1954.P173.

(3) بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين، ج 1 ص 311. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4 ص 216. الحركة الوطنية الجزائرية (1860-1900)، ص 211.

(4) أضواء على الشيخ أحمد التجاني، مرجع سابق، ص 190. كشف الحجاب، مرجع سابق، ص 414. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4 ص 327.

(5) أجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا، مرجع سابق، ج 1 ص 568. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 327.

(6) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 204.

(7) سعد الله، آراء وأبحاث، مرجع سابق، ج 2 ص 345. والرسالة في 12-6-1895.

للتجانية:"كان موقف التجانية بالذات، لأهميتها وكثرة أتباعها في الأرياف وحتى المدن موقفا لا مبرر له من الوجهة الوطنية، ذلك أن رفضها في المشاركة السياسية لم يكن صحيحا دائما، فقد رأيناها تساند أعداء الوحدة الوطنية من طلاب السلطة، كما رأيناها لا تعترض طريق العدو في الصحراء"⁽¹⁾.

سادسا- بعض رموز التجانيين في الجزائر:

-الحرار: الشيخ مصطفى بن أحمد المعروف بابن الأمين الحرار، وهو صهر حسن بريهمات، وعنه أخذ علي بن عبد الرحمان مفتي وهران، توفي سنة (1273هـ/1856م)، واشتهر الحرار بأن له تبثا بسنده للبخاري⁽²⁾.

- الشيخ الطاهر أبو طيبة التلمساني: تتلمذ للشيخ وصاهره، وتوفي سنة (1292هـ-1875م)⁽³⁾.

- أسرة ابن المظمطية القسنطينيين: وهم مجموعة علماء من أسرة حسنية مشيشية من أشهرهم محمود بن محمد بن المظمطية (ت 1292هـ/1876) صاحب كتاب "شرح منظومة السيف الحاسم في مناقب وسلوك سيدي أحمد بن سالم (التجاني)، ومحمود بن محمد بن محمود ابن المظمطية ، ولد بقسنطينة (1298هـ/1880)، وتتلذ لحمدان الونيسي، وهو خطيب مسجد سيدي عفان، خلّف أثارا كثيرة تربو على المائة منها: سفينة السكينة بتراجم كبراء التجانيين بقسنطينة، دلائل الحق المتينة في الرد على من أنكر طريقتنا بقسنطينة، أنياب القسورة لكسر عظام من حرّف الجوهرة، أشرف الأوصاف في التعريف بأهل عين ماضي الأشراف، وجلال العلوم في رسائل ونصائح القطب المكتوم، وقد توفي سنة (1952)⁽⁴⁾.

ومحمد بن المظمطية: له غرائب البراهين في مناقب صاحب تماسين، ومجالس الأنس في تراجم الخمس، أي أبناء علي التماسيني⁽⁵⁾.

ومن علماء قسنطينة التجانيين أبو حفص عمر بن الكشكاش، ومصطفى بن أوزينة، وكان للتجانية زاويتان بقسنطينة، الأولى زاوية بن نعمون، والثانية زاوية الفقون المعروفة بالزاوية الفوقانية⁽⁶⁾.

سابعا- الميراث المادي والأدبي للتجانية.

1- الميراث المادي: ونقصد به زوايا الطريقة وأماكن وجودها ونشاطها، فللزاوية مركزان كبيران في الصحراء، ظلا يتبادلان المشيخة والمنافسة في الولاء، فالأولى يعود لها ولاء زوايا الجزائر وإفريقيا، وأما الثانية أي فرع تماسين فتقود زوايا الجنوب الشرقي.

أ- زاوية عين ماضي: تأسست بعناية الحاج علي التماسيني الذي رعى ولدي أحمد التجاني محمد الكبير الذي قتل على يد الأتراك سنة (1829)، ثم خلفه أخوه محمد الحبيب (ت 1217هـ-1853)، الذي دخل في صراع مع

(1) سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، ج 1 ص 301.

(2) نشر في مجموع إجازات علماء الجزائر ورسائل حديثة، بعناية عبد الرحمان دويب، الجزائر، دار التوفيقية، الجزائر 2011. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 53. مفتاح، أضواء على الشيخ أحمد التجاني، مرجع سابق، ص 240.

(3) مفتاح، أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه، ص 190. سكيح، كشف الحجاب، ص 414.

(4) كشف الحجاب، مرجع سابق، ص 478. رياض المعارف القدسية في ترجمة محمود بن المظمطية. محمد الحجوي، فتح الملك العلام بتراجم بعض علماء الطريقة التجانية الأعلام، ط 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2018، رقم (158).

(5) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 446.

(6) محمد شغيب، أم الحواضر، قسنطينة، دار البعث، 1980، ص 255.

الأمير، وبعد استسلامه لهذا الأخير ورجوعه لبلده⁽¹⁾، بقي مقبدا إلى غاية وفاة الحاج علي الينبوعي (ت1844)، حيث تولى الخلافة، ليتوفي سنة (1852م) ثم خلفه أحمد عمار إلى غاية (1897م).

ب- فرع تماسين: أسسه الشيخ علي الينبوعي (ت1844)، تلميذ أحمد التجاني، وبعده تورا ث أبنائه وأحفاده المشيخة، وظل الفرع مستقلا عن عين ماضي، بل إنه شكل الجناح الأهم في تسيير الطريقة ومد نفوذها في الجنوب الشرقي طوال العهد الاستعماري.

ج- فرع قمار: وكان هذا الفرع نشيطا جدا ويظل كل الصحراء الشرقية وخاصة وادي سوف، وله علاقات قوية بتونس والجريد، وحتى أعماق بلاد التوارق، ومن دلائل ذلك مراسلة الضابط فورو لمحمد العروسي بن محمد الصغير التجاني شيخ قمار (ت1920م) يخبره برحلته لبر العبيد أي -السودان الفرنسي- ويخبره بهجومات أنصار بوعمامة، ويريد منه إرسال رسالة عن طريق غدامس إلى سلطان توارق أزجر والطاسيلي أخنوخ وكبار الأزجر، والشاهد أنه يخبره بكونه محترما عند الشعانبة والطوارق لكونه من أتباع التجانية، والرسالة مؤرخة في (12-6-1895)، ورعى الشيخ العروسي عديد بعثات الميعاد التارقية التي سهلت التوغل الفرنسي في الصحراء⁽²⁾.

2- الميراث العلمي: على الرغم من تأخر الطريقة تاريخيا، فإنها تعد من الطرق المكثرة من التأليف، سواء من ابتداء تأسيسها، ثم في كمية الردود مع الطرق الأخرى ابتداء، ومع الإصلاحيين انتهاء. فمن القبيل الأول، المراسلات والردود بين التجاني ذاته وزميله شيخ الجماعة بمعسكر الجالي، وكتاب محمد المشري السائي "الجامع لدرر العلم الفائضة من القطب المكتوم"⁽³⁾، ومن ذلك ردود سكيح⁽⁴⁾ على محمد بن سليمان المستغني (ت1927م) في رسالة "عقد المرجان الموجه إلى الشيخ محمد بن سليمان"⁽⁵⁾. وقد لسكيح حضور في الجدل الصوفي الإصلاحي فيما بعد. ومؤلفات القاضي عبد الله بن محمد حشلاف⁽⁶⁾: الروض العاشق في شمائل ابن المشري الصادق، الإرشاد في تجديد العهود والأوراد، القول الفصل في جواز زيارة الأولياء الكامل. والقاضي أحمد بن محمد دغمان القماري المتوفي (1308هـ) الذي كانت له مراسلات مع المكي بن عزوز⁽⁷⁾، ومحمد العروسي صاحب كتاب المخدرة والكناش في التصوف والطريقة التجانية⁽⁸⁾. وأخيرا أحمد ابن رابع الندرومي- صاحب النظم الكبير في التجويد والرسم (3015 بيت) - وهو والد الدكتور عالم الحديث طالب عبد الرحمان مؤلف كتاب الطريقة التجانية في ضوء الشريعة الإسلامية.

(1) محمد باشا، تحفة الزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 196. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 207.

(2) سعد الله أبو القاسم، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ج 2 ص 348. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 233.

(3) مطبوع طبعات كثيرة. انظر أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه، مرجع سابق، ص 147.

(4) أحمد بن الحاج العياشي سكيح (1877-1940م). انظر بن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ط 1، بيروت، دار الفكر، 1997، ص 179.

(5) مفتاح، أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه، مرجع سابق، ص 172.

(6) سنعود لترجمته في المبحث الثاني من الفصل الثاني، وانظر أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه، ص 309.

(7) مفتاح، أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه، مرجع سابق، ص 307.

(8) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 123.

المطلب الرابع: الطريقة الدرقاوية.

تُنسب هذه الطريقة ذات المشرب الشاذلي إلى الشيخ مولاي العربي الدرقاوي، وهي مغربية الأصل، ولكنها ستمتد إلى الجزائر العثمانية، وستكون كبريات الثورات الصوفية على الدولة من هذه الطريقة، إلا إذا استثنينا ثورة التجانية في الغرب، والشابية في أقصى الشرق، ومن هذه الطريقة ستتناسل الطرق البوعبدلية والغلامية، والعلاوية، والبودليمية وأخيرا الهيرية.

والدرقاوي من الشمال المغربي، (1737-1823م)، خلف رسائل صوفية، وزاوية مركزية ببوبريج في بني زروال شمال المغرب⁽¹⁾. وطار صيته الصوفي، واعتبر مجُددًا للشاذلية، وانتسب له الكثيرون من الناقمين على الطرق الخامدة، وكذا الموتورون من سلطة المخزن، وكانت زواياها مراكز تربوية وسياسية في الوقت نفسه، فزاوية تفيلالت كانت ملجأً لأنصار بوعمامة، وبها أعلن أحمد الهاشم الجهاد ضد الفرنسيين سنة (1888)⁽²⁾.

تتسم الدرقاوية بتعاليمها وسلوكاتها المتشددة إذا ما قورنت بغيرها، حيث امتازت بالصرامة الأخلاقية، والزهد الظاهر⁽³⁾، ومجافاة مظاهر الحياة الحضرية، إضافة إلى العقيدة الجهادية. حيث كان من تعاليمها مجانية السلطان وأصحاب الحكم، وقد تخرّج منها علماء مقتدرون أشهرهم أحمد بن عجيبة صاحب إيقاظ الهمم، وتفسير البحر المديد، وأحمد البوزيدي صاحب "الأداب المرضية لسالك الطريقة الصوفية، ومحمد الحراق التطواني، وأبو عزة المهاجر، وأحمد البدوي.

أولا-ثورات الدرقاوية قبل الاحتلال: امتد تأثير الدرقاوية للجزائر العثمانية، وانتسب لها كثيرون، ولخلفيتها الناقمة على الفساد الاجتماعي والسياسي قام أتباعها بثورتين ضعفتا نفوذ الأتراك في الجزائر وهما:

1- ثورة الغرب⁽⁴⁾: بقيادة عبد القادر بن الشريف الكاساني الفليقي، والتي انتصروا في كثير من معاركها، وخاصة معركة فرطاسة (1805)، ووصلوا إلى أبواب وهران إلى أن أخمده الأتراك هذه الثورة بالقوة، التي أمتحن بسببها عديد العلماء ومنهم من قضى كالشيخ محمد القندوز، وأرخ لهذه الثورة أبو راس في كتابه "درأ الشقاوة في فتنة درقاوة"، وذلك في أيام الباي "المقلش"، واستمرت الثورة متقطعة إلى سنة (1827).

2- ثورة الشرق (1804): قادها بلحشر البودالي الدرقاوي في جبال سكيكدة والقل ضد بايلك الشرق، وعاضده مقدم الرحمانية بنواحي قسنطينة عبد الله الزيوشي ومولاي الشقفة، واستطاع الثوار هزيمة الباي عصمان وقتله في معركة وادي الزهور، ثم أخفقت الثورة وقُضي عليها بعدما استنفرت السلطة قوتها نتيجة التهديد الكبير لأغنى بايليك في الإيالة الجزائرية⁽⁵⁾.

(1) انظر محمد بن جعفر الكتاني، سلوة الأنفاس ومحادثه الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، ط1، الدار البيضاء، مكتبة الثقافة، 2004، ج 1 ص 129. التليدي، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، ط4، الأمان، 2004، ص 210.

(2) مصطفى العشعاشي، السلسلة الذهبية في التعريف برجال الطريقة الدرقاوية، تحرير وتعليق مصطفى يلس شاوش، تلمسان، مطبعة سقال، د، ت، ص 6. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 113.

(3) يشيع في الجزائر اسم "بودريالة" أي الثياب المرقعة التي اشتهر بها أتباع الطريقة، دائرة المعارف الإسلامية، ج9 ص 199.

(4) انظر تحفة الزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 111. طلوع سعد السعد، مصدر سابق، ج 1 ص 302. مجموع النسب، مرجع سابق، ص 346.

(5) سعيدي، وركات جزائرية، مرجع سابق، ص 308. طلوع سعد السعد، مصدر سابق، ج 1 ص 29. تحفة الزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 113.

ثانيا-المسار السياسي للدرقاويين بعد الاحتلال.

انتفض الدرقاويون ضد الاحتلال الفرنسي، وسار كثير من مريديهم في جيوش الأمير عبد القادر، الذي اتخذ من أهم شيوخهم ومراجعهم وهو الشيخ العربي بن عطية الونشريسي قاضيا في الدولة. ويمكن التمييز بين اتجاهين في التعامل مع الاحتلال بالنسبة للدقاوية، اتجاه فضل الانكفاف عن العمل الثوري، وآخر انغمس فيه إلى النهاية.

1-الاتجاه المهادن، ويمثله كل من:

أ-العربي بن عطية: من أشهر شيوخ المتصوفة في سهل الشلف، وقد استقضاه الأمير، ولكن الأخير لم يوافق على أعمال الأمير ضد القبائل المناوئة له، فاستعفى من القضاء، وخلفه تلميذه غلام الله، وحاول موسى بوحمار إقناعه بإعلان الجهاد لكنه رفض، وهاجر أين منعه الفرنسيون من إكمال رحلته للمشرق، فتوفي بتونس سنة (1855م).

ب-محمد بن إبراهيم: في معسكر وبلعباس، وقد جاءت به بيعة الحشم والأحرار وفليطة للجهاد، ولكنه فضل البقاء في التربية والتسليك وتوفي سنة (1840)، وذكر الفرنسيون أن الأمير كان ينوي خطف محمد بن إبراهيم للتأثير على الدرقاويين، في حين هرب بعض المقدمين إلى المغرب أمثال محمد ولد الصوفي والحبيب بن أميان⁽¹⁾. لينتصر فريق السلم على فريق الحرب.

2-الاتجاه الثوري، ويمثله كل من:

أ- عبد الرحمان العامري الطوطي: تلميذ الشيخ محمد بن إبراهيم، الذي أعلن الجهاد سنة (1845) في بلعباس⁽²⁾، وقامت قبائل أولاد ابراهيم وبعض بني عامر بمناصرتهم، على الرغم من الشراسة الفرنسية في أواخر ثورة الأمير.

ب- موسى الدرقاوي: موسى بن علي بن حسين المصري الأصل والأغواطى النسبة، ولد حوالي (1796م) بمصر، وانتقل إلى ليبيا منتسبا لزاوية الحاج محمد جعفر بن حمزة المدني الذي انتدبه للاتصال بالشيخ العربي الدرقاوي، فمكث بالمغرب سنتين، ثم عاد إلى الجزائر فاعتقله الأتراك بمعسكر سنة (1829)، ثم انتقل إلى الأغواط وصار مؤذنا بمسجد الأحلاف، ولم يفلح في نشر الطريقة الدقاوية لمعارضة ابن سالم له، واتصل بالشيخ العربي بن عطية الونشريسي الدرقاوي، ومع الاحتلال انظم للمقاومة الأولى في المتيجة مع البركاني وابن زعموم، ودخل في خلافات مع الأمير في المدينة، ثم عاد للجنوب ولم يجد الدعم من غرداية ولا من بريان، فتوجه إلى الأغواط ومسعد بالجلفة، وانتقل إلى متليلي الشعانبة مؤلبا القبائل على الثورة، ليختم جهاده بالاستشهاد في واحة الزعاطشة، ومعه مقدم الدقاوية بالزيان الحاج بوزيان سنة (1849م)⁽³⁾.

(1) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 115.

(2) سعد الله، الحركة الوطنية، مرجع سابق، ج 1 ص 278. أحمد الشقراني، القول الأوسط في أخبار من حل بالمغرب الأوسط، ط 1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1991، ص 26. حنفي هلايلي، صفحات من تاريخ منطقة بلعباس، دار الأصول، بلعباس، 2013، ج 1 ص 33.

(3) الحركة الوطنية الجزائرية، ج 1 ص 336. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4 ص 115. ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج 1 ص 55. محمد العربي حرز الله، منطقة الزاب مائة عام من المقاومة، ص 244. مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا، مرجع سابق، ص 153.

ج-سيدي الأزرق بلحاج⁽¹⁾: ولد سنة (1809) بالحمومية قرب منداس بغيلزان، من عرش أولاد سيدي أحمد بن محمد من قبيلة فليطة الكبرى. وكان من مدرسي مختصر خليل، حجّ وأسس زاوية درقاوية بالحمومية، عباً الناس للجهاد وأعلنه في صلاة الجمعة، وعمّت ثورته منداس وسفوح الونشريس وحوض مينا وسهل الشلف الغربي، حيث فرّ المعمرون من غليزان، وسقط برج الروحية العسكري يوم (20-5-1864)، وأطلق عليه أنصاره اسم السلطان، ولكن فرنسا استدركت الأمر فدفعت بقواتها من مستغانم بقيادة الجنرال "روز"، وقادت حرب تدمير وحرق في أيام الحصاد، وقاومها سيدي الأزرق إلى أن سقط شهيدا يوم (5-6-1864)⁽²⁾. ولأجل ذلك بقيت صورة الطريقة مخيفة في الأعين الفرنسية حتى نهاية القرن، ففي عهد كامبون تم إغلاق الزوايا الدرقاوية⁽³⁾، ولكن الحياة عادت إليها مع الطرق التي تفرعت عنها فيما بعد.

ثالثا-الميراث الأدبي والعلمي للدرقاوية:

- العربي بن عطية العماري (ت1855م): الاستمدادات الربانية فيما منّ الله علي من بحر الوحدانية⁽⁴⁾.
 - العربي المشرفي "دراً الشقاوة عن السادات درقاوة"⁽⁵⁾، ولعله نقد لكتاب شيخه العلامة أبي راس المعسكري "دراً الشقاوة في فتنة درقاوة"، وقد شكل موقفه من الأمير عبد القادر مثار نقاش لحد الساعة، حيث كان مسانداً له وشاهداً على بيعته، بل ومؤرخاً لبعض انتصاراته، ولكن وبعد انكسار الأمير في عين طاقين والهجرة القسرية للمغرب سنة (1943م)، والتي عانى فيها وبعدها مصاعب جمة، كتب ناقداً بقسوة لثورة الأمير كتابه "طرس الأخبار بما جرى آخر الأربعين من القرن الثالث عشر للمسلمين مع الكفار وفي عتو الحاج عبد القادر وأهل دائرته الفجار"⁽⁶⁾، وكان الكتاب محاكمة للأمير لما جرى على يديه للدرقاويين أتباع الحاج موسى بوحمار في المدينة، بل إنه ساق النقد ذاته لأبيه محي الدين الذي زعم أنه ساند الأتراك ضد الدرقاويين أتباع الشريف بن عبد القادر⁽⁷⁾.

رابعا- انقسامات الطريقة: انتقلت مشيخة الطريقة بعد الشيخ العربي بن عطية إلى عدة بن غلام الله، ثم إلى الشيخ الميسوم بن محمد⁽⁸⁾، وتفرعت الدرقاوية إلى طرق فرعية أخرى منها الغلامية والهبيرية والبوعبدلية، وأخيرا العلوية، التي سنفردها بمبحث خاص.

(1) مفلح، أعلام منطقة غليزان ص 31. مفلح، سيدي الأزرق بلحاج رائد ثورة 1864 المندلعة في منطقة غليزان، 2005.

(2) انظر طلوع سعد السعود، مصدر سابق، ج 2 ص 259. الحركة الوطنية الجزائرية (1860-1900)، مرجع سابق، ج 1 ص 188.

(3) أجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا، مرجع سابق، ج 1 ص 920. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 328.

(4) السلسلة الذهبية في التعريف برجال الطريقة الدرقاوية، مرجع سابق، ص 111. المرأة الجليلة، مرجع سابق، ص 271. معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 189، وقد حققه بومدين بوزيد وخاين محمد، وصدر سنة (2015) في تظاهرة قسنطينة عاصمة الثقافة العربية.

(5) المراكشي العباس بن إبراهيم، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، الرباط، المطبعة الملكية، 1978، ج 9 ص 27.

(6) ابن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، مرجع سابق، ص 460. وذكر سعد الله أن ابن أبي شنب شرع في تحقيقه، ج 7 ص 407.

وقد حققه يوسف أخليص بكلية الآداب جامعة ابن مسيك، الدار البيضاء، سنة (2000)

(7) العربي المشرفي، طرس الأخبار، ص 185 نقلا عن حسن الفرقان، الأوبنة في المغرب، الرباط، دار التوحيد، 2014، ص 86.

(8) Rinn Louis Marabouts Et Khouan. Etude de L'islam EN Algérie. Jourdan. P236.

-Octave dépont et copolan :confréries religieuses musulmanes en Algérie. P447.

1- الطريقة العداوية الغلامية: أسسها عدة بن غلام الله (1202هـ - 1787 / 1283هـ - 1866م)⁽¹⁾: ولد ببطحاء الشلف، ودرس بمازونة الفقه على يد أبي طالب، والمنطق والفلك والبيان على يد محمد بن عبد الرحمان شيخ الطيبية أيام وفوده على مازونة، وأخذ القادرية عن عبد القادر الأحول، وأسس زاوية أولاد الأكراد الجرقاوية، وتولى القضاء للأمير عبد القادر، ثم اعتزل، وألف كتباً كثيرة منها: دليل النجاة يشبه دلائل الخيرات، مفتاح القلوب، جمع فيه مختصر خليل، نتيجة الفتاح جمع فيه الأحاديث النبوية، كتاب الصبيان في قواعد الإسلام والإيمان (جمع فيه العقائد السنوسية)، رحمة الأموات، العاشورية، المنفرجة، الطيفية، وله من كتب القوم: النبرون، رسالة الكراس، الحضرة والوجدان.

تتلمذ له الشيخ محمد الميسوم - صاحب زاوية قصر البخاري-، وسيدي محمد الحراق الكريتلي (ت 1922م)، والشيخ بن الشرقي صاحب العطف، وسيدي قدور بن سليمان المستغاني وغيرهم⁽²⁾. ومن رجالات الدرقاوية الذين أخذوا عنه محمد بن قدور الوكيل الحسني أبو المواهب، وهو تلميذ الشيخ الهبري (ت 1317هـ)، ومحمد الحبيب البوزيدي المستغاني شيخ ابن عليوة، ثم عبد الباقي الشعاعي (1890م)⁽³⁾. خلفاء زاويته: سيدي محمد بلمختار: ثلاث سنوات في حياة الشيخ وتسعاً بعد وفاته. ثم ابنه الحاج أحمد بن عدة (1852_1902)، عشرون سنة، وبعده ابن أخيه محمد بن الحاج محمد الكبير بن عدة (1880-1942) الذي شارك في السياسة ودخل المجلس البلدي سنة (1919)، ثم المجلس المالي سنة (1923).

ولا يمكننا إغفال الوجود المهم للطريقة الدرقاوية في ندرومة والتي كان من رجالها حمزة بن رجال وابنه المناضل محمد الذي بنى مسجداً لإخوان الطريقة ببلده، والمعروف أنه أوى إلى عزلة صوفية آخر أمره⁽⁴⁾.

2- الطريقة الهبرية: ذات مشرب درقاوي، أسسها محمد بن أحمد الهبري (1823-1899)، الذي أخذ عن موسى بن أحمد الكرزازي، وبوعزة الشريف المهاجي، وقدور بن محمد الوكيل في الريف المغربي، ثم أسس الطريقة في دوار بني سناسن، وامتدت في وهران وتلمسان وسعيدة، واشتهر هو بالصالح والالتزام، وخلفه ابنه محمد، ولم يكن لها أثر سياسي إلا الانخراط رغبة أو رهبة في دعم فرنسا في الحرب الأولى⁽⁵⁾.

* تعداد الدرقاويين في القرن الثامن عشر:

تعداد لوييس رين ⁽⁶⁾	تعداد كوبولاني وأوكتاف ⁽⁷⁾
32 زاوية - 268 مقدم - 14574 إخوان	10 زوايا - 72 مقدم - 9567 إخوان

(1) مجموع النسب، مرجع سابق، ص 155. المرأة الجليلة، مرجع سابق، ص 275. سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 116.

(2) جريدة النجاح، ع 151 (1924-3-21). جريدة البلاغ، ع 102 (1929-1-11). عيسى بخيتي، جبهة الرحلات الجزائرية الحديثة في الفترة الاستعمارية 1830-1962. ط 1، أبو ظبي، دار السويدي، 2017، رحلات طرقية، ج 3 ص 7.

(3) العشعاشي، السلسلة الذهبية، مرجع سابق، ص 15. حسني بليل، الزاوية الدرقاوية ودورها في الحركة الوطنية، نفسه، ص 173.

(4) الزرهوني محمد، "ذكرى الذاكر والمذكور الشيخ قدور بن عاشور مداح النبي المبرور" الجزائر، مجلة الثقافة، ع 103، ص 138.

(5) انظر العشعاشي، السلسلة الذهبية، مرجع سابق، ص 18. المرأة الجليلة، ص 307. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 118.

-Octave dépont et copolan : confréries religieuses musulmanes en Algérie. P 509.

(6) Rinn Louis Marabouts Et Khouan. Etude de L'islam EN Algérie. P264

(7) Depant et Coppalani. Les Confréries Religieuses Musulmanes. Jourdan. Alger. P 503.

المطلب الخامس: الطريقة الشيعية.

أولا- حياة سيدي الشيخ: يعود تأسيس هذه الطريقة الشاذلية المشرب إلى الشيخ عبد القادر بن محمد بن سليمان بن أبي سماعة البكري⁽¹⁾، والذي يعود في أصوله إلى الشيخ معمر أبو العالية مؤسس الأسرة⁽²⁾.

ولد عبد القادر بن محمد بن سليمان بن أبي سماعة، بقرية الشلالة الظهرانية سنة (951هـ-1544م)، ودرس بفجيج وغيرها، وتوفي سنة (1023هـ-1615م)، وتنقل بين مدن وبوادي الجزائر، وأسس خلوات وزوايا عديدة، وتتلذذ له كثيرون منهم امحمد بن عودة، والذي هو تلميذ سيدي امحمد بن علي المجاجي، ومن آثاره المكتوبة الباقية قصيدة الثائية الياقوتة.

تصاهر سيدي الشيخ مع الزعيم المغربي أبي العباس أحمد بن عبد الله بن أبي محلي⁽³⁾، واختلف معه حول بعض المشارب الصوفية، إذ كان الأخير شديد النكير على اليوسفيين المنتسبين لأحمد بن يوسف الراشدي الملياني، وكان لهم نظراء في المغرب يعرفون باليوسفيين أو العكاكزة، وهم متهمون من الفقهاء بالتساهل في الأحكام الشرعية⁽⁴⁾.

وقد خلف بن أبي محلي (967-1022هـ) ردودا على صهره عبد القادر بوسماحة في مثل كتب: القسطاس المستقيم في معرفة الصحيح من السقيم، المنجنيق لرمي البدعي الزنديق. مهراس رؤوس الجهلة المبتدعة ومدراس نفوس السفلة المنخدعة. سم ساعة في تقطيع أمعاء مفارق الجماعة. منجنيق الصخور لهدم بناء شيخ الغرور ورأس الفجور الإصليت الخريت في قطع بلعوم العفريت النفريت⁽⁵⁾. ووقعت بين الرجلين خصومات ومناظرات، وكتب عبد الرحمان بن بودي مدافعا عن الشيخ محمد بن عبد القادر، ورثاه بعد وفاته بقصيدة "روضة الأحران"⁽⁶⁾.

عاد بعدها الشيخ عبد القادر لنواحي البيض ليؤسس طريقتة الجديدة، ومع الانتشار المطرد للطريقة في منطقة تشكو الفراغ السياسي والتنظيمي تنامت قوة الأسرة التي اعتضدت بإرثها الصوفي وبانتسابها لأبي بكر الصديق⁽⁷⁾.

(1) سليمان بن أبي سماعة تلميذ محمد بن عبد الرحمان الساحلي (السهيلي) مريد الشيخ أحمد بن يوسف الملياني، ولد بالشلالة الظهراوية (البيض) حوالي (865-1461م) ودرس بفجيج حيث تزوج عائشة بنت عبد الجبار الفجيحي، ويقال إنه درس بفاس ورحل للأندلس، وله منها أحمد المجذوب، ومن أخرى ولد له محمد والد عبد القادر المتوفى حوالي 1539م) وقبره ببني ونيف بشار. له من المؤلفات: الأسئلة الكتابية والأجوبة السماحية، انظر الطيب بن إبراهيم، إمارة أولاد سيدي الشيخ (1580-1881). تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 103.

(2) تقول الروايات بأنه من قدم من تونس واستقر بأرباوات في البيض في العهد الزياني، وكان معلما ومرشدا لقبائل حميان. انظر خليفة بن عمارة، سيرة البوبكرية، وهران، مكتبة جودي مسعود، 2002، ص 12. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 107.

(3) انظر عبد الله حمادي، السلطان السجلماسي الفقيه الصوفي المفتري عليه الإمام أحمد بن أبي محلي مهدي وادي الساوره.

(4) انظر عبد الله نجعي، العكاكزة أو التصوف والبدعة في المغرب، مرجع سابق، ص 274.

(5) انظر المهدي البوعبدلي، التعريف بالكتب والمخطوطات، مرجع سابق، ص 32. بن علي محمد بوزيان، واحة فجيج تاريخ وأعلام، المغرب، ط 1، 1987. ص 66. نجعي، العكاكزة أو التصوف والبدعة في المغرب، مرجع سابق، ص 274.

(6) انظر عبد الله طواهيرية، مخطوطة سلوة الأحران في مناقب سيدي الشيخ "لأحمد السكوني، ص 193. نقلا عن الطيب بن إبراهيم، ص 158.

(7) Louis Rinn: marabouts et khouan: étude sur l'islam en Algérie. P 349.

وقد تمكن أبنائهم الكثيرون وأحفاده، وخاصة ابنه أبو حفص⁽¹⁾ من نشر الطريقة واكتساب دعم القبائل لها. واستطاعوا تشكيل شبه كنفدرالية في الجنوب الوهراني⁽²⁾، وتشكلت حول ضريح الشيخ في قرية الأبيض مراكز الطريقة التي اتبعها عديد القصور والقبائل البدوية من حميان والعمور والمجاديب، ووصلت إلى الساور والمنيعة ومتيلي. حيث كان أفراد الأسرة مراجع سياسية وقضائية للقبائل والقرى في جبال القصور والعمور، واشتهروا باللقاب: الزوا، أولاد سيدي الشيخ، البوبكريون، الصديقيون، وكانوا يشكلون شبه إمارة تتولى تدبير شؤون المناطق البدوية في البيض والنعامة وشمال الساور، وجمعوا بين نبل الدين والسياسة، وقوتهم كانت في عزلتهم وبداهتهم⁽³⁾.

ثانيا- الأسرة البوشيخية وانقساماتها:

ولكن الأسرة ومع كثرة العدد والخلاف حول اقتسام موارد الطريقة انقسمت إلى فرعين كبيرين هما أولاد سيد الشيخ الشراقة، وأولاد سيد الشيخ الغرابة، واللذان دخلا في خصومات طويلة المدى، مما جعل الفرنسيين يستغلون هذه الصراعات في مد نفوذهم إلى الصحراء، وإفشال ثوراتهم. والشاهد على ذلك ما يأتي:

أ- النزعات الدموية بين الشراقة والغرابة حول الميراث الروحي والديني للزاوية، إلى أن وقع الصلح بينهما سنة (1766م) لاقتسام موارد الزاوية، ثم تجدد الصراع بين الصفيين، ففي سنة (1829)، كانت معارك التواجير وأم الفئران بين سي بوبكر بن العربي زعيم الشراقة، والطبيب بن سليمان بن قدور زعيم الغرابة، ثم وقعوا صلحا ثانيا، ولكن بعضا من أفراد الفرع الغربي هاجروا إلى المغرب الأقصى⁽⁴⁾، ثم عاد بعضهم مع اندلاع ثورة بوعمامة، والذي لم يلق كل الترحيب من الفرع الشرقي الذي تسالم مع فرنسا⁽⁵⁾.

ب- في سنة (1834) توفي أبو بكر بن النعيمي بن العربي وخلفه سي حمزة الذي صالح الغرابة، وأنهى صراعا دام قرنين، وهو الذي احتل المنيع سنة (1861)، وتوفي في ذات السنة، ويقال إنه مات مسموما بتدبير من فرنسا في الجزائر العاصمة⁽⁶⁾، ثم خلفه ابنه أبو بكر الذي سيحمل لقب الباش أغوية، ويحارب الشريف بن عبد الله ويلقي القبض عليه، ويحتل مدنا كمتيلي والمنيع لصالح الفرنسيين⁽⁷⁾.

ثالثا- ثورة أولاد سيد الشيخ (1864-1869): قادها سليمان بن حمزة بعد الوفاة المفاجأة لحمزة ولد أبو بكر في (21 أوت 1861)⁽⁸⁾، وبعده تم تعيين ابنه أبي بكر الذي حارب الشريف بن عبد الله، وقد توفي هذا الأخير في نفس السنة. فعينت فرنسا سي سليمان بن حمزة الذي قام بإعلان الثورة بتأثير من عمه سي الأعلى بن أبي بكر، هذا الأخير الذي كان له الدور الأول في التحريض والتخطيط للثورة، واستشهد سي سليمان في معركة "

(1) اشتهر أبو حفص بكثرة رحلاته الحجبة، ووصف العياشي موكبه بأنه شبيه بمواكب الأمراء. انظر الرحلة العياشية، مصدر سابق، ج 1 ص 67.

(2) Louis Rinn: marabouts et khouan: étude sur l'islam en Algérie. P 349

(3) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 105.

(4) عبد القادر خليفي، الطريقة الشيوخية، مرجع سابق، ص 22. الطبيب بن إبراهيم، إمارة أولاد سيدي الشيخ، مرجع سابق، ص 193.

(5) انظر أجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا، مرجع سابق، ج 1 ص 125.

(6) أجرون، نفسه، ج 1 ص 122. عبد القادر خليفي، الطريقة الشيوخية، مرجع سابق، ص 23. الطبيب بن إبراهيم، المرجع السابق، ص 297.

(7) دوفيريه، نفسه، ص 315. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 106.

(8) الطبيب بن إبراهيم، نفسه، ص 305. يحيى بوعزيز، ثورات الجزائر، مرجع سابق، ج 1، ص 169. وجعل الوفاة سنة (1862).

عوينة بوبكر" في (8-4-1864)، وتلاه في المقاومة إخوته محمد الذي استشهد في (22-2-1865)، وأحمد الذي توفي بتفيلالات سنة (1868)، ثم سي قدور الذي تحالف مع الزاوية التجانية، وشاركهم في الثورة الشيخ بن الطيب زعيم الغرابة، وكانت الحرب سجالا، ثم انتهت بصلح مدينة بريزينة الذي وقعه سي الدين بن حمزة في (20 ماي 1883)، والذي تضمن الضبط الإداري والمرحلة الجديدة من السلوك غير الجيد بين أفراد هذه الأسرة وسائر القبائل، التي زاد من مأسها سنوات المجاعة والأوبئة الفتاكة والجراد في (1867-1869)⁽¹⁾.

وفي تقييم سعد الله: "لقد كان أولاد سيدي الشيخ يثورون بدون برنامج، ويتراجعون بدون نتيجة رغم مكانتهم الكبيرة التي استغلها العدو لصالحه، وثقافتهم الروحية ووزنهم السياسي والجغرافي"⁽²⁾.

وهو ما أدى في نظر البعض إلى القول بتدجين الطريقة، حيث عمل بعض أفراد الأسرة لصالح فرنسا، فقد تولى الباشاغا بوبكر بن حمزة احتلال متليلي وطرد أتباع الشريف بن عبد الله منها، ثم ملاحقته والقبض عليه في ورقلة. وسي حمزة الذي أخضع المنيعة لصالح الفرنسيين سنة (1861)، بأمر من الحاكم العام⁽³⁾، وفي زيارة جول كامبون للمنيعة سنة (1892) قدم له سي قدور بن حمزة -مناهض بوعمامة- حصانه بعد سنوات من التمرد والغضب⁽⁴⁾.

وفي تقييم آخر لسعد الله: "نحن أمام طريقة صوفية لا نعرف أنها دين أم دولة، وقد اختلط أمرها على أتباعها، بدون شك، فلم يعودوا يعرفون، وأمامهم الطرق الصوفية الأخرى، هل تجبى منها الغرامات أو تفرض عليهم الغفارات أو تطلب منهم الصدقات للفقراء والمساكين، وكيف يكون الرجل من أولاد سيدي الشيخ خليفة باسم الحكومة الفرنسية وخليفة باسم الطريقة الشاذلية في نفس الوقت، هذا على الأقل قبل أن تشاركهم طرق صوفية أخرى نفس المصير"⁽⁵⁾.

- انقسامات الطريقة: أو بالأحرى انقسامات الأسرة التي لا تنتهي تبعا لما ذكرناه من اختلاط الديني بالسياسي، فلم تبرأ الأسرة من اختلاف فرعها الشرقي والغربي، حتى وصل الانشقاق إلى داخل الصف الشرقي ذاته، وكان الانقسام يخدم ويظهر حسب الأوقات، وفرنسا لا تزيده إلا تذكية لضمان نفوذها، ومن أمثلة ذلك الخلاف على تسيير الطريقة واستثمار مواردها، ففي سنة (1949) كان الصراع بين سي العربي بن الدين بن حمزة باشاغا أولاد سيد الشيخ وبين سي حمزة بوبكر، وعقدت الأسرة الشرقية اجتماعا في (5-8-1949)، وقرروا إبقاء العربي رئيسا على الزاوية، وحمزة بوبكر أمينا عاما للطريقة، ومحمد بن الحاج بحوص مقدم

(1) يحي بوعزيز، كفاح الجزائر من خلال الوثائق، مرجع سابق، ص 163. الطيب بن إبراهيم، مرجع سابق، ص 336

(2) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 106.

(3) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 106.

(4) انظر أجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا، مرجع سابق، ج 1 ص 125. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 111.

(5) تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4 ص 112. وانظر الحركة الوطنية الجزائرية (1860-1900)، مرجع سابق، ج 1 ص 324.

السخونة شيخا للطريقة لزعامته الروحية⁽¹⁾. وذلك قبل أن يدخل حمزة بوبكر في اللعبة الفرنسية والانتخابات، ويكون له دور في قضية فصل الصحراء⁽²⁾.

رابعا- الميراث الأدبي والاجتماعي للطريقة:

تعتبر الشيخية من الطرق ذات الميراث الأدبي والعلمي القليل، إذ لم يبرز منها علماء ولا منافحون علميون يكتبون عنها. ولم تكن لها زاويا علمية راسخة مثل باقي الطرق، وربما يرجع ذلك إلى بداوة أولاد سيد الشيخ، وجمعهم بين السلطين الدينية والسياسية، ولا نعثر في الميراث العلمي إلا القصيدة التائية المعروفة بالياقوتة للشيخ عبد القادر بن محمد⁽³⁾، وهي التي تنشد في الحضرات والاجتماعات الصوفية للطريقة. أو كتب أبي حفص بن سيد الحاج عبد الحاكم (المتوفى بالإسماعيلية بمصر) كمفاتيح الخيرات والبركات، بهجة الهاج في أسماء الله الحسنى⁽⁴⁾، ولأجل ذلك لن يكون لها كبير دور في الأطاريح الطرقية المناهضة لحركة الإصلاح. أما اجتماعيا فإن للطريقة تقاليدھا التي جعلتها تهمين ردحا من الزمن على المجال القبلي في الصحراء، ومن تلك التقاليد والالتزامات ما يأتي:

- الأوراد: الأوراد الشيخية متوسطة مقارنة بغيرها، ففيها اليومي، وفيها الأسبوعي.
- الركب السنوي لزيارة ضريح الشيخ، ويكون غالبا في أواخر الربيع غالبا في الأبيض. إضافة إلى وعدات سيد أحمد المجذوب، ووعدة سيد التاج في مغرار التحتاني، والبنود، ومتليلي في الخريف⁽⁵⁾.
- الغفارة: وهي لازمة سنوية على الأتباع الذين يدفعون الربع من منتجاتهم الحيوانية، وبعض الهدايا من القمح، والألبسة، وهذه المداخل الضخمة كانت سببا في الانقسام والخصومة بين فروع الزاوية⁽⁶⁾.
- لازمة الخدم: وهم عبيد أولاد سيدي الشيخ المتفرغون لخدمة الضريح والزاوية والزوار.
- لازمة المطر: حيث كان الزوا يدعون بأن سقوط الغيث ببركتهم ودعائهم: "النوء بوبكرية".
- ولأجل هذه السلوكات المرابطية لأولاد سيد الشيخ فقد ظلوا في مرمى النقد الاجتماعي، فيتهمهم الناس في أمثالهم بالطمع: "الزواي خاوي"، "ما خليتلك عود تعلقه، ولا زاوي تعرفه"، وصدارتهم المجتمعية تجعلهم عرضة للنقد⁽⁷⁾. وازداد هذا النقد مع الموجة الإصلاحية التي لم تستنكف عن نقد السلوكات المشبوهة لبعض أفراد الأسرة الذين تعاونوا مع فرنسا في نهايات القرن التاسع عشر، والذين استجلبوا غضب المقاوم الجديد الشيخ بوعمامة، وفي القرن العشرين سبرز مثال إمام مسجد باريس حمزة بوبكر الذي خلف قدور بن غبريط، وكان من الفاعلين في مشروع فصل الصحراء.

(1) خليفي، الطريقة الشيخية، مرجع سابق، ص 44.

(2) محمد بيثي، تطور الثورة الجزائرية في ناحية غرداية، مرجع سابق، ص 172.

(3) عبد القادر بن محمد، الياقوتة التائية في التصوف. والتائية تحيل على تائية الغزالي وابن الفارض وغيرهما.

(4) عبد الله طواهرية، تحقيق مفاتيح الخيرات، ص 10. نقلا عن الطيب بن إبراهيم، إمارة أولاد سيدي الشيخ، مرجع سابق، ص 187.

(5) عبد القادر خليفي، الطريقة الشيخية، مرجع سابق، ص 40. وانظر الملي، رسالة الشرك، مرجع سابق، ص 269.

(6) ديبو وكبولاني، ص 244. رين، نفسه، ص 362. سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 109.

(7) عبد القادر خليفي، الطريقة الشيخية، مرجع سابق، ص 53.

والمهم أن الطريقة الشيخية في فرعها الشرقي لن يكون لها كبير دور في العلاقات الطرقية الإصلاحية، إلا إذا استثنينا التجيش الشعبي لأتباعها ضد الإصلاح، خاصة وأن لقب الذم الشائع في تلك المناطق هو "الباديبي"، وهو ما تشهد عليه عديد الأدبيات التي أدركها الجيل السابق لنا. ولكنه يحسب لها أنها ملئت الفراغ السياسي قبيل الاحتلال، واستطاعت إعاقة سنين قبل أن يتمدد في الصحراء، وكانت زواياها وأضرحة شيوخها ملاذا للثقافة الإسلامية المناهضة للمسح الفرنسي، واستطاعت أن تُكسب المريدين حصانة دينية تكسرت أمامها مشاريع التنصير والتغريب والفرنسة.

خامسا- الطريقة الشيخية البوعمامية.

بعد الانكسارات التي تعرضت لها ثورة أولاد سيد الشيخ الشراقة وتراجع دور الأسرة ونفوذها نتيجة الإطباق الفرنسي والترويض لبعض زعاماتها قام رجل من الفرع الغربي بالتجديد الديني وتصحيح المسار السياسي للطريقة، بل وإبداع طريقة أخرى ستسمى بالشيخية البوعمامية أو الإيمانية، وهو الشيخ بوعمامة محمد بن العربي بن إبراهيم من فرع أولاد التاج الغرابية، الذي ولد عام (1838) في عز أيام مقاومة الأمير⁽¹⁾، وقد تلقى علومه ومعارفه في قصور النعامة (مغارر الفوقاني والتحتاني)، ووالده الشيخ العربي مدفون بفجيج بالحمام الفوقاني.

جدّ بوعمامة في التربية الصوفية حتى صار مقدما سنة (1875)، واشتهر أمره كأحد الصالحين الزاهدين الذين جدّدوا مجد الشيوخ الصوفيين، وشاع عند العامة أنه خليفة سيدي الشيخ، وأنه قطب الزمان وصاحب الساعة⁽²⁾. وبعد انكسار ثورة (1871) وعقابيلها المشينة على الجزائريين بدأ بوعمامة بالتفكير في الثورة، وقد دفعه إلى ذلك الأصداء الجيدة لعمل الطريقة السنوسية في ليبيا وتشاد⁽³⁾، وقد أثمر عمل مقدميه ومبعوثيه إلى القبائل والأعراش، وخاصة الشعابنة⁽⁴⁾ في وسط الصحراء إلى حشد القبائل وإعلان الجهاد سنة (1881)، وتوسعت حركته لتشمل الصحراء الغربية والوسطى.

سادسا- ثورة الشيخ بوعمامة: لا يمكن إغفال الأسباب الخارجية التي تجعل من الثورة البوعمامية صدى لذلك الرجوع القريب في احتلال تونس سنة (1881)، وللأصداء الجميلة للحركة السنوسية في ليبيا، والتي هدفت إلى مقاومة التوسع الغربي في إفريقيا، وكانت الاتصالات معها عن طريق مقدمها في عين صالح "الحاج المهدي باجودة"، وكان لهذه الجهة الدور الهام في تشجيع بوعمامة ورجاله على الوقوف في وجه الاستعمار الفرنسي والتصدي لتوسعاته في المنطقة⁽⁵⁾، وقد ذهب مؤرخا الطرق دوبون وكوبولاني إلى أن البوعمامية

(1) يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين، مرجع سابق، ج 1 ص 289. الطيب بن إبراهيم، نفسه، ص 359. خليفي عبد القادر، الطريقة الشيخية، مرجع سابق، ص 115. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 108.

(2) أدركت جدتي مباركة دهان بنت مقدم الطريقة البوعمامية بمتليلي إذا شددت يمنها تقسم به "حق سيدي بوعمامة بن العربي".

(3) انظر محمد الأمين بلغيث، تاريخ الجزائر المعاصر دراسات ووثائق، ط1، الجزائر، دار البلاغ، 2000، ص 71.

(4) Louis Vignon- La France en Algérie. Paris. Librairie hachette. 1893. P387.

(5) زوزو عبد الحميد، ثورة بوعمامة، ثورة بوعمامة، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1983، ج 2 ص 136.

(5) إبراهيم مياشي، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1999، ص 165.

المنتحلة من الشيخية قد اتخذت من السنوسية أسوة ومثالا لها⁽¹⁾. ويمكن تلخيص مسارات الثورة في الآتي:

أ- مرحلة العمل العسكري المباشر: سنوات 1881-1883.

ب- مرحلة المواجهات غير المباشرة: أثناء إقامته في لدول بتوات، وكانت المغازي والبعوث والتحركات لأنصاره تشمل الصحراء، وتعيق الجيوش الفرنسية عن التوغل في الصحراء، وخاصة مع مقتل بعثة فلاتر من قبل الشعانبة المواليين لبوعمامة، ولكن الشيخ ضيق عليه عقب اتفاق (1883) الذي أعاد للطريقة شيئا من امتيازاتها السابقة، ثم جاء اتفاق زعيم الشراقة قدور بن حمزة مع فرنسا سنة (1892)، ليقضي على إمكانيات نجاح بوعمامة⁽²⁾. ولكن عمل حركة بوعمامة أعاق الاستعمار عن التمدد، فلم تنشئ فرنسا مركزا عسكريا متقدما في المنية إلا سنة (1891)⁽³⁾. وأثناء ذلك حاول بوعمامة مرارا وتكرارا أن يضمن الأمان لأتباعه ولإخوان الطريقة الذين تعرضوا للمصادرة والتنكيل، ولكنهم استمروا بحركتهم وهجوماتهم على الخطوط الفرنسية⁽⁴⁾، وهاجر كثير منهم إلى أقاصي العرق الغربي، بل وإلى المغرب⁽⁵⁾.

ج- المرحلة المغربية: حيث رفض بوعمامة عروض الأمان المتكررة من فرنسا عليه، ولجأ إلى المغرب ليموت هناك سنة (1908) بعد ثورة متقطعة دامت ربع القرن، وليختم حياته بوصية مؤيديه وأتباعه بالبقاء على الخط المستقيم⁽⁶⁾. وحتى في تلك الفترة بقي وهج الثورة مرعبا للفرنسيين، ففي تحقيقات ثورة عين التركي (26-1901)، تبين أن مؤججها يعقوب محمد بن الحاج كان ينوي الالتحاق ببوعمامة في المغرب⁽⁷⁾.

(1) Octave dépont et Xavier Coppolani : Les confréries religieuses musulmanes. P 476.

(2) انظر الجزائريون المسلمون وفرنسا، مرجع سابق، ج 1 ص تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 111.

(3) إبراهيم مياشي، المرجع السابق، ص 107.

(4) انظر رسالة الضابط فورو لشيخ تجانية قمار يخبره فيها بهجومات أنصار بوعمامة. والرسالة مؤرخة في 12-6-1895. انظر سعد الله: أبحاث وأراء، مرجع سابق، ج 2 ص 345.

(5) انظر رسالته إلى حاكم غرداية في (26-4-1888) ورسالته في جويلية 1894. لضمان الأمان لأتباعه الشعانبة. انظر زوزو عبد الحميد، المرجع السابق، ج 2، ص 49، 89. وعلى الرغم من ذلك فإن بعض الثائرين رفضوا الأمان، وبقوا في تمرد مع فرنسا كما هو الحال مع بعض ثوار الشعانبة. انظر عبد الحميد زوزو، ثورة بوعمامة، مرجع سابق، ج 2 ص 79.

(6) وجاء فيها: "الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد، حفظ الله بمنه، وعم بجميل ستره مقام إخواننا الفقراء أهل الزاوية، وأهل المسجد، وكل من أصحاب النازلين معها القرباء والبعداء.... وكافة أهل الدائرة بالزاوية، وكذلك جماعة الشعانبة، وكذلك جماعة سيدي عبد الحاكم، وكذلك جماعة أولاد سيدي التاج، وجماعة أولاد سيدي عيسى، وجماعة أولاد سيدي الحاج أحمد وجماعة الاعمور....أوصيكم بتقوى الله في السر والإعلان وعمارة المساجد دبور كل صلاة، وتلاوة القرآن صباحا ومساء وكونوا عباد الله إخوانا، وعبد القادر بن محمد ما هو لا بنا ولا بكم، فهو لله لا لغيره" وكانت الوصية في (2 شعبان 1326)، وقد توفي بعدها في (10 رمضان 1326هـ) في (7 أكتوبر 1908). والوصية كاملة في ذاكرة الجزائر، ج 5 ص 11، بتحقيق عبد الرحمان الكتبي). وانظر سعد الله، أبحاث وأراء، مرجع سابق، ج 2 ص 347.

(7) كريستان فيلين، انتفاضة مارغريت (عين التركي)، ترجمة أحمد بكلي، الجزائر، دار القصة، 2012، ص 82-84.

سابعا- الإرث الاجتماعي والأدبي للبوعمامية: امتازت الطريقة البوعمامية بالصرامة العالية في التسليك الصوفي والالتزام الديني، خاصة وأنها طريقة جمعت بين العلم والعمل والتربية والجهاد، ويمكن إبراز جديد البوعمامية الإيمانية في:

1- وضوح الأهداف: يظهر ذلك في وضوح المعركة في عين الشيخ بوعمامة، فهي مع الفرنسيين فقط، ولذلك لم يدخل في صراع مع أبناء عمومته من الشراقة، وحيد سيفه عنهم، على الرغم من حيف بعضهم على القبائل الثائرة معهم، فكثيرا ما رفض عقود الأمان وضممان الرواتب السخية من فرنسا، وقد كاتب زعيم الشراقة سي قدور بن حمزة سنة (1888) بأنه لا ينازعه ويرفض الخصومة بين المسلمين⁽¹⁾. ومن أجل هذه القدرة التنظيمية والنقاء الأخلاقي الذي امتزج فيه الوهج الصوفي والتقليد الفروسي طارت سمعة الشيخ بوعمامة (الذي اعتبره بعضهم عبد القادر الثاني)، وشاع في حلق الذكر "لا إله إلا الله، بوعمامة ضيف الله".

2- التنظيمات البوعمامية الاجتماعية: وذلك في القوانين التأديبية والزجرية التي فرضها على الأتباع والمريدين⁽²⁾، من أجل الالتزام التنظيمي في جماعته للحد من تفلّت القبائل البدوية من الانضباط في حركته الثورية التي تميزت بصرامة أخلاقية عالية، وإشراك النساء بقوة في عمله التعبوي ضد الاحتلال الفرنسي. ويضاف إلى هذا أن الزكوات والهدايا والاشتراكات الإلزامية في تمويل الثورة كانت تصرف في مصارفها، ولم تمتد إليها الأيدي مما جعل مريدي الطريقة يجلبونه ويقدمونه على أفراد الأسرة الآخرين، والدليل على ذلك شيوع اسمي "الشيخ بوعمامة" بكثرة عند القبائل الصحراوية، وانكفاف الكثيرين عن التعليم الفرنسي خوفا من "دعوة الشر" التي تركها مقادير الطريقة ضد من ينتسب للمدرس الفرنسية، أو يتحاكم لقضاتها.

3- الانكفاف عن النزاعات الإصلاحية الطرقية عند ظهورها في مطلع القرن الجديد، بل إن بعض شيوخ البوعمامية كانوا يميلون إلى الإصلاح، وقد تدخل ابنه سي الطيب بن بوعمامة في ذلك الصراع بنصيحة وجهها للعلويين، وأثنى فيها خيرا على ابن باديس، واعتبره عالما قابضا على جمر السنة⁽³⁾، وهو موقف أثر من تجديدية الشيخ بوعمامة الذي كان نصيرا للجامعة الإسلامية وللعثمانيين وعدوا لدودا للاستعمار وأذنا به.

المطلب السادس: بعض الطرق الصغيرة.

أولا- الشاذلية: على الرغم من كونها أما لعديد الزوايا، فإنها انحصرت في نسخها الأولى في بعض الزوايا القليلة، ومنها زاوية الشيخ محمد الميسوم، الذي ولد سنة (1820) بغريب قرب قصر البخاري، وبها درس العلوم الأولى ثم انتقل إلى مازونة على يد الشيخ أحمد بن هني، وأخذ الطريق عن الشيخ عدة بن غلام الله الدرقاوي الشاذلي، وأسس زاوية في قصر البخاري سنة (1865) معطيا الورد والإجازات، ومثابرا على التعليم، وأزره أولاد

(1) عبد القادر خليفي، الطريقة الشيعية، مرجع سابق، ص 104.

(2) من أمثلة تلك التنظيمات ما جاء في تغريم وتخطئة المعتدين على الحقوق: "في إنصاف الفقراء من حلف بالحرام فنصافه 8 دورور، من دخل خيمة بغير إذن فنصافه 20 دورو وقصعة بشاتها، من نايف أخاه -غاضبه- ثلاثة أيام فنصافه 6 دورو، من صافح أخاه بيده اليسرى فنصافه 4 دورو... وكل ما يلزم الرجال يلزم النساء لأنهن شقائق الرجال". انظر خليفي، المرجع السابق، ص 127.

(3) رسالة الحاج الطيب بن بوعمامة الى الباديسيين والى العلويين الصوفيين، المرجع: خليفي، الطريقة الشيعية، مرجع سابق، ص 136.

عنتر وأولاد هلال، وكان له مقدمون، ففي مستغانم قدور بن سليمان⁽¹⁾، وفي معسكر محمد بن عبد الله، وأراد الفرنسيون استمالته بعرض إدارة مدرسة الجزائر الشرعية، إلا أنه اعتذر، فضيقوا عليه بتفتيش الزاوية والالتهام بمعارضة الحكم المدني، ولكنه نجا وتوفي سنة (1883)، ولكن الزاوية ضمرت أيام ورثته⁽²⁾، خلف تأليف منها: التحفة المختارة في آداب الزيارة، عصا موسى في الرد على من أنكر وأساء.

ثانيا- الطريقة الحنصالية: وهي من فروع الشاذلية لصاحبها سعيد بن يوسف الحنصالي المتوفي بالمغرب (1702)، وحملها للجزائر سعدون الفرجيوي، واشتهرت بالهدوء وعدم المشاركة في الثورات، ولها زوايا بقسنطينة، وممن انتهى إليها الشيخ صالح بن مهنا وكان مدرسا بزاويتها، وله كتاب "فتح الرحيم الرحمان بشرح نصيحة الإخوان" للشيخ أحمد المبارك القسنطيني الحنصالي (1790-1870)⁽³⁾، وذكر بأنه أتم الشرح سنة (1295هـ/1878م)⁽⁴⁾. وكذلك الشيخ بوحجر صاحب الزاوية.

ثالثا- الكرزائية الأحمديّة: أسسها أحمد بن موسى (1608) بكرزاز في الجنوب الغربي، وهي شاذلية، وتميزت بالإطعام وإصلاح ذات البين، وفض خصومات القبائل، وتأمين الخائفين ومنقطعي السبيل، وكانت محايدة تجاه الفرنسيين، وتعرضت لهجوم أنصار بوعمامة من الشعانية ردا على اقتراح شيخها أحمد بن الكبير بوحجاجة سنة (1896) إعادة بعض الهاربين من الثوار لفرنسا⁽⁵⁾. وتقترب منها منهجا ومكانا الطريقة الزيانية بالقنادسة، التي أسسها محمد بن عبد الرحمان بن بوزيان (1733)⁽⁶⁾، وهي شاذلية متأثرة بالطريقة الناصرية الدرعية المغربية، وكانت علاقاتها متأرجحة مع الاستعمار، فأوت أنصار بوعمامة، ثم المنشقين منهم من أتباعها وأتباع التجانية سنة (1881)⁽⁷⁾.

رابعا- البكائية: مؤسسها أحمد البكاي القادري في تمبكتو، وانتشرت بين قبائل كنتة والطوارق، وفي قصور توات، وكانت مهتمة بالتعليم والتربية، ومن شيوخها المختار الكنتي (1826)، ومن زعمائها الشيخ عابدين الذي دعا للجهاد في بلاد الطوارق، ولكنهم دخلوا في تنافس مع التجانيين وقائدهم عمر الفتوي حيث اتهمه أحمد البكاي (1803-1865) بالخروج عن الإسلام والسنة، مما أضعف الجميع أمام الغزو الفرنسي للصحراء⁽⁸⁾.

(1) انظر محمد بن سليمان الندرومي، النفحة الربانية في التلميزة المختارية ضمن كتاب حمدادو بن عمر، عرفانية الخطاب من خلال رسائل علماء المغرب الأقصى والأوسط، الجزائر، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2011، ص 39.

(2) انظر تعريف الخلف، مرجع سابق، ج 2 ص 370. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3 ص 227.

(3) تولى منصب الإفتاء المالكي بقسنطينة سنة (1850)، والتدريس بها، وهو صاحب تاريخ قسنطينة والتعليق على السلم، والسلسلة في طريقة الشيخ الزواوي. معجم أعلام الجزائر في القرنين، مرجع سابق، ج 1 ص 153.

(4) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 86، وص 295. البوعبدلي، قسم التراجم، ص 23. ونحن نعكف على تحقيقه.

(5) رين، نفسه، ص 342. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4 ص 89.

(6) كتب عنه مصطفى بن الحاج البشير كتابا منقبا هو "طهارة الأنفاس"، اطلع عليه المستشرق الفرنسي "أوغست كور" انظر سعد الله: المترجمون الجزائريون وأفريقية" مجلة الثقافة، 1996، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 91.

(7) لويس رين، نفسه، ص 408. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 92، ص 297.

(8) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 277.

خامسا- البوعلية: تنسب إلى أبي علي السني النفطي المتوفى (610هـ) وهو تلميذ أبي مدين الغوث، وألف عنه الحسن بن أحمد البجائي كتابا منقيبا، وكان له أثر في تقليص النفوذ الإباضي والصفري في الجريد التونسي، ولها وجود محتشم في خنشلة وأربع زوايا بإقليم قسنطينة، والظاهر أنها تراجعت أمام الطرق الأخرى⁽¹⁾.

سادسا- الشابية: مؤسسها أحمد بن مخلوف بالقيرون، وتصادمت مع الحفصيين أيام عرفة الشابي، ثم مع العثمانيين، وتسربت إلى الشرق الجزائري في سوف وتبسة والأوراس، ففي خنشلة زاوية المسعود الشابي، ولكنها فقدت وهجها الثوري وسالت الفرنسيين، مما أدى إلى تراجعها أمام الطرق الأخرى⁽²⁾.

سابعا- الناصرية: في خنقة سيدي ناجي، وازدهرت في القرن الثامن عشر واشتهرت زاويتها بتعليم النحو، ولكنها ضعفت أمام دخول الرحمانية، وسالت الفرنسيين، ودخل رجالها في الوظيفة الرسمي⁽³⁾.

ثامنا- الطيبية: ذات الامتداد المغربي، وكان لها حضور في الغرب الجزائري، وتراوحت بين المقاومة كما هو شأن بومعزة في الظهرة، ثم سارت في ركب المهادنة، بعدما انخرط بعض شيوخها من أشرف وزان بالمغرب في الخضوع للمشروع الفرنسي⁽⁴⁾، وكان لها في القرن العشرين زاوية بين تلمسان وندرومة، ويشرف عليها علي بن عمر، وقد وصفها ابن بكار⁽⁵⁾.

والخلاصة: إن هذا الميراث الطريقي كان تكأة للارتكاز في مشاريع المقاومة للمستعمر، والتي قاد أكثرها شيوخ الطرق ومقدمو الزوايا، والذين أدوا واجب الوقت في الجهاد، وعدم الركون للمحتل على الرغم من عدم تكافؤ الإمكانيات، ولكن الدّين قد استوفى بحفر الأخاديد في وجه المستعمر حتى لا يأتي على حصون الثقافة الجزائرية الباقية.

(1) Louis Rinn: Marabouts Et Khouans, Etude sur L'Islam En Algérie. P 120.

(2) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 277. وانظر عنهم العدواني، تاريخ العدواني، ص 110.

(3) تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4 ص 281. محمد الأمين بلغيث، تاريخ الجزائر المعاصر دراسات ووثائق، ص 104.

(4) محمد الأمين بلغيث، المرجع السابق، ص 66.

(5) بن بكار، مجموع النسب، مرجع سابق، ص 165. صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا، مرجع سابق، ص 226.

المبحث الثالث: الفعل الفرنسي تجاه الوضعية الدينية.

مرت الجزائر المحروبة بمراحل عديدة في التاريخ الاستعماري البغيض، وتأرجحت بين أنظمة مختلفة متفاوتة في الصورة متشابهة في سواد الليل الحال ك السائد، حيث اعتمدت ذات الأنظمة في مختلف مراحل الدولة الفرنسية⁽¹⁾ التي تعاقبت لفهم الوضعية الدينية، ويمكن كتابة خطاطة تطورات الاحتلال والقضم للأراضي كالاتي:

- الاحتلال الأول: إلحاق الجزائر رسميا بفرنسا سنة (1934)، ثم اعتبارها جزء من فرنسا سنة (1848).
- مرحلة الحرب العوان والأرض المحروقة، ثم مرحلة التهدئة والمناوشات، واستمرت إلى غاية إخماد ثورة (1871).

- مرحلة التوسع في الصحراء، ميزاب (1882)، الجنوب الوهراني (1883)، عين صالح وتوات (1900).
وهكذا مرت سبعون سنة سوداء كالحة على الجزائريين الذين لم يغمدا سيوفهم، وقادهم في المقاومات الشيوخ والمرابطون والأجواد، وكلما أتمدت مقاومة قامت أختها، وتزوج ذلك مع سنوات المجاعة والتهجير وحرق المحاصيل.
والمهم في موضوعنا الكشف عن تعامل فرنسا مع الطرق الصوفية التي حاربتها، وكيف تقلبت سياستها معها، وذلك باستعراض الآتي:

المطلب الأول: الاكتشاف العلمي للطرق.

اهتم الفرنسيون بتتبّع الطرق الصوفية، ومعرفة وسائل قوتها ومصادر تمويلها، وسرّ نجاحها في تأطير المجتمع الجزائري، ووقوفها الجاد وراء انتشار التعليم وكثرة مراكزه وتعدد وسائله⁽²⁾، وكانت البواكير الأولى لمعرفة شبكة الطرق الصوفية مع تقارير الضباط العسكريين الذين حاربوا الجزائريين على مختلف الجهات والمقاومات، مما يمكن تسميته بعهد المؤرخين العسكريين حتى قيام الجمهورية الثالثة⁽³⁾.
توالى الأبحاث والدراسات والتقارير وتراكمت، مما شكّل رصيذا وبنكا معرفيا للدارسين وراسي السياسات وممتني الاستشراق إلى أن استوت على سوقها مطلع القرن العشرين بعدما خبت جذوة المقاومة العسكرية للطرق الجزائرية.

وسيكون لمسؤول الشؤون الإسلامية "لوسيان" مطلع القرن العشرين دور مهم في إتمام المعرفة الفرنسية لما كان يعرف بالإسلام الجزائري أي الطريقي، ولا يخفى أن لحركة الطباعة التي نشطت آنذاك دور في تقريب

(1) تقلبت فرنسا منذ ثورتها سنة (1789) بين الأنظمة الجمهورية والملكية والإمبراطورية. وعرفت خمس جمهوريات هي: الأولى (1792-1804)، الثانية (1848-1852)، ثم النظام الإمبراطوري (1852-1870)، ثم الجمهورية الثالثة (1870-1940) الرابعة (1946-1958) الخامسة (1858- حتى الراهن). انظر: سوبول ألبير، تاريخ الثورة الفرنسية، ترجمة جورج كوسي، ط4، بيروت، منشورات عويدات، 1989، ص598.

(2) Germain Roger- La politique indigène de Bugeaud. Paris. 1955.p 25

(3) سعد الله، أبحاث وأراء، مرجع سابق، ج 1 ص 19.

المعارف الصوفية لجمهور المستشرقين والباحثين في الإسلاميات لفهم أعمق لخصائص هذا الإسلام الذي قاومهم أكثر من سبعين سنة كاملة.

ويمكن تلخيص وسائل الدراسات العلمية الاستعمارية للوضع الديني في الآتي:

1- تعلم اللغة العربية والبربرية: ظهر هذا التعليم المبكر من قبل متمرسين مستشرقين، أو مستقدمين من مصر ولبنان، وظهر هذا التعليم الموجه في شكل حلقات أو كراسي في العاصمة والمدن الكبرى، وصدر مرسوم (15-4-1845) بإجبارية تعلم العربية للمتدربين للتوظيف المدني، وهذا التشجيع الإداري لهذا التعليم لم يكن حبا في العربية، بل لأنه الوسيلة المهمة لضبط الشعب والإمساك بخناقعه، وقد خبا هذا الاهتمام الرسمي بالعربية بعد الجمهورية الثالثة⁽¹⁾.

2- الروايات الأدبية: التي كتبها الرحالة والمكتشفون والمغامرون الراغبون في معرفة الأوضاع الجزائرية⁽²⁾.

3- الرحلات: التي تركها القادة العسكريون المتوغلون في الشمال أو الجنوب، والذين أروا لمجازرهم الاستعمارية⁽³⁾. أو التي قام بها المبشرون وبعض المكتشفين، وبعض العملاء المنهريين بالغازي الأوربي⁽⁴⁾.

4- نهب الكتب: فالمستشرقون العسكريون كانوا يهبون المخطوطات، وأمثلة ذلك موثقة مثل مخطوطات قسنطينة بعد احتلالها سنة (1837)، وهو ما فعله الجنرال يوسف اللقيط كما يسمى في الأدبيات الجزائرية، والذي صار جنرالا، وعينه الحاكم كلوزيل بابا على قسنطينة، فاحتل عنابة، وتتبع حركة موسى الدرقاوي، وقام بفضائح في احتلال الأغواط، وأثناء حملته على القبائل في صائفة (1856) وصل إلى زاوية محمد بن عبد الرحمان ونهب مخطوطاتها⁽⁵⁾.

5- الدراسات عن الطرق: والتي باشرها العسكريون والمترجمون والمستشرقون وهواة الرحلات، ومن هؤلاء:

- دو نوفو إدوارد: (1845): له الإخوان "الطرق الصوفية عند مسلمي الجزائر"⁽⁶⁾، بين فيه خطورة الطرق، وقدم رؤاه وتوصياته حول الرحمانية والطيبية والدرقاوية.

(1) انظر الطبيب بن إبراهيم، الاستشراق الفرنسي، الجزائر، المجلس الإسلامي الأعلى، 2007، ص 260. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3 ص 312

(2) اشتهر القرن التاسع عشر بكثرة الوافدين للجزائر من الأوروبيين والذين كتبوا عن عاداته وتقاليده وطبيعته، ومن تلك الروايات والرحلات والمذكرات: ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا للألماني هاينريش فون مالتسان، ومذكرات جزائرية عشية الاحتلال لسيمون بفايفر، والطب الشعبي الجزائري في بداية الاحتلال لشونبيرغ، وقسنطينة أيام أحمد باس لفنزلين شلوصر، والتي عرّها أبو العيد دودو، وروايات إيزابيل هربرت المعروفة بأثر على الرمل، وغيرها كثير.

(3) مثل مذكرات كوك عن الأمير عبد القادر، أو المأسورين مثل مذكرات يوهان كارل بيرنت عضو الفرقة الأجنبية الذي وقع أسيرا بيد جيش الأمير، انظر مقدمة أبو العيد دودو، الترجمات التاريخية، ج 2 ص 5، أو كتاب فليكس جاكو "حملة الجنرال كافينيك في الصحراء الجزائرية" أو كتاب "الصحراء الجزائرية" للمشير دو دي دوماس. أو مذكرات سانت أرنو وغيرهم.

(4) في تونس لدينا مثال محمد بن عثمان الحشايشي الذي طاف الجنوب التونسي والليبي وساح في زوايا السنوسيين. انظر الحشايشي، الرحلة الصحراوية عبر أراضي طرابلس وبلاد الطوارق، ترجمة وتقديم محمد المرزوقي، تونس، 1988.

(5) انظر عنه أبو القاسم سعد الله، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ج 1 ص 39. سي يوسف، مقاومة القبائل، مرجع سابق، ص 170.

(6) دو نوفو إدوارد، الإخوان، دراسة سيوسيلوجية حول الجماعات الدينية عند مسلمي الجزائر، (ترجمة كمال فيلاي)، الجزائر، دار الهدى، 2003. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 301.

- شارل بروسار: مؤلف "المؤسسات الدينية بتلمسان"، و"الإخوان" سنة (1859)، وتكلم عن أوقاف سيدي بومدين وحدها، والتي قدرها العدو الفرنسي بربع أملاك تلمسان، وكيف نالها النهب والتحويل⁽¹⁾.

- لويس رين: كتب "المرابطون والإخوان" سنة (1884م)⁽²⁾، وقدم فيه إحصاءاته عن الطرق ومراكزها، وأوصى باحتوائها، وعدم مجابته، وشدد على خطورة الرحمانية والدرقاوية، كما وضع رين دراسة مستفيضة عن ثورة المقراني.

- أوكتاف ديبون، وإيكزافييه كوبولاني⁽³⁾: كتب أهم دراسة عن الطرق الصوفية نهاية القرن سنة (1897)، وأوصى بالتقرب منها ومراقبتها، وإنشاء مشاريع مجاورة لها، وأوصى بالبحث عن بدائل لها، ومواصلة تفتيتها حتى الاضمحلال والتلاشي، وتعتبر الدراسة الطويلة مادة ثرة لكل دارس للطرق الصوفية، واعتبر كتابهما مرجعا لكل من يدرس الطرق، باعتبار ما قدماه من إحصاءات استقاهما من سجلات المكاتب العربية.

- هنري دوفيري (1860-1914): صاحب كتاب اكتشاف الصحراء، طوارق الشمال (1864)، كشف عن أهمية الطرق الصوفية بالصحراء ودورها سيما التجانية والسنوسية.

- ألفرد لوشاتلييه: "الطرق الإسلامية في الحجاز" سنة (1887)، وكان ضابطا بورقلة بالمكتب العربي، وهو مؤسس مجلة العالم الإسلامي، وتكلم عن علاقات بعض الطرق في الحجاز والجزائر⁽⁴⁾.

- دراسات القرن العشرين مثل ألكسندر جولي (1910)، والذي قال إن الطرق قد أدت مهمتها، ولا بد من اختفائها، وتعويضها بقوى أخرى نظرا لتغيرات المجتمع الجديدة.

- دراسات هنري قارو: دراسة عن فروع الرحمانية حتى (1909).

- راسة آدمون دوتيه (1901)، ومن بعده أوغسطين بيرك، وابنه جاك يرك، ودراسات أوغست كور في حوليات العالم الإسلامي، وألفرد بل، وإيميل غوتيه، وأخيرا إيميل برمنغهام "الجزائر الدينية" الصادر سنة (1957)⁽⁵⁾.

ومن المعروف أن الدراسات حول الوضع الديني لها بواكيرها منذ العهد العثماني، ولكنها كانت في شكل تقارير كتبها الجواسيس والمأسورون، وإن كانت مزورة مثل دراسة الأب "دييغو دو هايدو"، وهو إسباني زار الجزائر (1605م)، الذي كتب عن الأسرى في الجزائر، وكتب عن المرابطين (رجال الدين)⁽⁶⁾.

6-دراسة العادات واللهجات المحلية: ومن ذلك بالخصوص تلك الدراسات على منطقة القبائل مثل الدراسة المطولة لهانوتو ولوتورنو: العادات والأعراف الاجتماعية والدينية في بلاد القبائل⁽¹⁾. وانطلاق مشروع المسألة

(1) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 30، ص 301 وج 5 ص 107.

(2) تاريخ الجزائر الثقافي، 4 مرجع سابق، ص 302، وأما كتابه عن ثورة (1871) فقد ترجم وطبع بالجزائر عن دار الرائد.

Louis Rinn : Marabouts Et Khouans, Etude sur L'Islam En Algérie. P 12.

(3) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 302.

(4) تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج 4 ص 303.

(5) العقيلي، المستشرقون، ط 4، القاهرة، دار المعارف، 1980، ج 1 ص 246. بوكسية، التطور الثقافي والسياسي للزوايا الرحمانية في عمالة قسنطينة، مرجع سابق، ص 63. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 236.

(6) ترجمه "ملينيه فيول" وطبع بالجزائر 1911. انظر سعيدوني، ذاكرة مدينة الجزائر من خلال النصوص التاريخية، الجزائر، دار البصائر الجديدة، 2016، ج 1 ص 131. وانظر تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 45.

القبائلية أو الأسطورة القبائلية، وفرنسة بلاد القبائل لإحداث الشرخ داخل اللحمة الوطنية⁽²⁾، وبث النزعة البربرية، والقول بأن البربر: "هم أرباب البلاد الأصليين، أما العرب الهمج أبناء الصحراء، رعاة البقر والغنم، وأحلاس الإبل، فإنهم أغراب طارؤون"⁽³⁾، إضافة إلى الدراسات المطولة عن تاريخ الجزائر "اكتشاف الجزائر"، والدراسات عن تلمسان والصحراء وميزاب والأوراس، وعديد البحوث من ذلك منشورة بالمجلة الإفريقية.

المطلب الثاني: محاصرة الطرق الصوفية.

1- الهدم والتدمير: تراوح الفعل الفرنسي تجاه الزوايا والطرق الصوفية بين التدمير والاحتواء والتدجين والتهميش والغلق والمصادرة والتحريق، فبعد نهاية كل مقاومة كان التحريق أو الغلق نصيبا للزوايا المحرصة والداعمة للثورة على اعتبار أن أغلب ألوية المقاومة كانت تعقد فيها، والبيعة على الموت كانت تجري عندها وعند قبور الصالحين.

فعلى الرغم من بقاء زوايا القبائل قائمة حتى وسط الخمسينات لتأخر الاحتلال، إلا أن الهدم كان نصيبها بعد احتلال راندون للقبائل مثل الزاوية الرحمانية الأم بأث اسماعيل، ثم جاء الدور على البقية في ثورة القداديش والمقرانيين.

وفي الأوراس كان الهدم والإغلاق نصيب أغلبها، فزوايتا الصادق بلحاج وسيدي المصمودي أحرقتا (1858)، وقرقور هدمت (1864)، وزاوية مدونة أغلقت سنة (1880)، ولم تسلم إلا القلة القليلة التي لاذت بالحياد أو المداينة لغاية انكشاف الغبار، وكان القادة الفرنسيون يسخّرون الأهالي لهدم الزوايا نكاية فيهم وتشفيا⁽⁴⁾.

وربما لم يكن الوطأ كبيرا على الغرب الجزائري، بحكم أن أغلب المدارس كانت متنقلة مع القبائل التي يغلب عليها طابع الارتحال، باستثناء الحواضر القارة كمازونة ومستغانم وتلمسان وقلعة بني راشد، ومع احتلال المدن تباعا⁽⁵⁾ خيم على الزوايا الانكسار السياسي، ولكنها عادت لمهمتها التعليمية بصعوبة بالغة.

ومن تلك السياسية أيضا هدم الرموز المكانية للطرق، فقد هدمت فرنسا ضريح سيدي الشيخ في البيض تشفيا في الأتباع، ويقول أجرون: "إن ثورة (1866) -أولاد سيدي الشيخ- الأوسع انتشارا والأشد قساوة على فرنسا التي اضطرت لمواجهتها حتى (1971م) اتخذت طابع تمرد تقوده الجمعيات الدينية"⁽⁶⁾.

ولم يكن نصيب المساجد أحسن إذ طالها التدمير والتحويل إلى كنائس ومراكز داعمة للجيش الفرنسي، والشاهد الأكبر مساجد العاصمة التي كانت تبلغ (122)، ولم يبق منها إلا أربعة هي الكبير والجديد وصفر وسيدي رمضان، وبعض الزوايا كالثعالبي وسيدي أمحمد الشريف⁽¹⁾.

(1) طبعت موجزة بترجمة مزيان الحاج أحمد قاسم سنة 2013، طبعة كاملة في ثلاث مجلدات بترجمة مخلوف عبد الحميد.

(2) انظر أجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا، مرجع سابق، ج 1 ص 433-465. الطيب بن إبراهيم، الاستشراق الفرنسي، ص 283.

(3) الفضيل الورثاني، الجزائر الثائرة، ط 4، الجزائر، دار الهدى، 2009، ص 136.

(4) عبد الحميد زوزو، الأوراس إبان الاحتلال التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية (1837-1939)، مرجع سابق، ج 1 ص 358. تاريخ

الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 150. بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين، مرجع سابق، ج 1 ص 141.

(5) تم احتلال المدن الغربية تبعا: مليانة وشرشال (1840)، معسكر وتلمسان (1842)، تيارت (1843).

(6) الميلي، الشيخ مبارك الميلي، مرجع سابق، ص 36.

2- التدجين والقهر الفرنسي: ظلت خطورة الجمعيات الدينية وشبكتها التنظيمية والتمويلية والدعائية هاجسا مقلقا مؤرقا لفرنسا، فالتوصيات الأولية للاحتلال كانت تقول بوجود التقرب من المرابطين نظرا لوزنها السياسي⁽²⁾.

وبعد الاحتلال وعنف المقاومة أدرك الاحتلال الخطورة الكبرى للطرق، فهي في نظرها البعيع المخيف: "إن عددا كبيرا من أعوان تلك الطرق ينتقلون بعنوان التعريف بالإسلام، أو الحج، أو توزيع الصدقات بين أرجاء عالم الإسلام هذا الذي لا حدود له ولا وطن، ويربطون بروابط دائمة بين مكة والجغوب، واسطمبول أو بغداد مع فاس، تمبكتو، الجزائر، القاهرة، الخرطوم، زنجبار، كلكتا أو يافا، وسواء اتخذ كل من الدعاة صفة تاجر أو واعظ ديني، أو طالب علم، أو عامل، أو متسول، أو تظاهر بالجنون، أو توهم أنه احب رسالة، أو كان مهرجا، فإنهم كانوا يستقبلون في كل جهة من طرف الأتباع ويحظون بحمايتهم"⁽³⁾.

وهو ما أوصى به خبيرا الطرق الصوفية ديبون وكوبلاني: "إن المطلوب مراقبة الطرق وليس إزعاجها مهما كان السبب، وحتى الطرق التي تناصبنا العداء فلا ينبغي اضطهادها، لأنه يؤدي إلى تأجيج الحماسة الدينية"⁽⁴⁾. من أمثلة ذلك الترابط المخيف لفرنسا شبكة العلاقات القوية بين زاوية نفطة والزيان والواحات والأوراس، وشبكة العلاقات بين الزوايا الدرقاوية في الجزائر والمغرب، وشبكة زوايا كنتة في الجنوب الأقصى، وخط الجغوب غدامس ورقلة بالنسبة للسوسيين، فضلا عن الوجود الوطني للزوايا القادرية، أما الزوايا الرحمانية فلا تكاد تحصر.

وقد ازداد هذا الترابط في أعقاب الهجرات المتتالية للجزائريين في الهجرة نحو المشرق والمغرب، وما أعقب ذلك من سيل من المراسلات بين الزوايا الجزائرية الناشئة في المشرق وأخواتها القديمة في الجزائر، بل إن حرب القرم التي شارك فيها الجزائريون بجانب العثمانيين أحييت الصلات وجددت العهد، وكتب الشاعر امحمد بن إسماعيل قصيدة في مدح الخلافة الإسلامية، وكتب محمد بن شنب مقالا عن رد الفعل الجزائري لحرب القرم في الأدب الشعبي، ويقال إن فرنسا أعادت الفرقة الجزائرية بعد شهرين فقط من مشاركتها في تلك الحرب⁽⁵⁾.

لقد أدرك الفرنسيون أنهم أمام عدو قوي مهيكّل هيكلة دقيقة وفعالة، فالزوايا كانت مصليات، ومدارس ومشافي، وملاجئ ومكتبات ودور رعاية وقضاء⁽⁶⁾، وبالتالي فالمجابهة معه تتطلب ليس نصرا عسكريا فقط،

(1) نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر، جامعة الجزائر، نشر كلية الآداب، 1965، ص 150. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 11.

(2) من توصيات القنصل الفرنسي (ديبواتانفيل)، انظر جمال قنن، نصوص ووثائق من تاريخ الجزائر الحديث، الجزائر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1987، ص 200.

(3) محمد الميلي، الشيخ مبارك الميلي، مرجع سابق، ص 40.

(4) Octave dépont et Xavier Coppolani: Les confréries religieuses musulmanes. P276.

(5) حرب القرم سنوات (1853-1856) / الحركة الوطنية، مرجع سابق، ج 1 ص 39. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 517.

(6) آجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا، مرجع سابق، ج 1 ص 500. محمود بوكسيبة، مرجع سابق، ص 57. أيفون تورين، المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة، المدارس والممارسات الطبية والدين، (1832-1880)، الجزائر، دار القصبة، 2005، ص 144.

وإنما وسائل أخرى للاحتواء أو التدجين، أو حتى القضاء على التعصب الديني. وعليه فقد احتوت الخطة الفرنسية لمحاصرة الإسلام الجزائري التقليدي واستبداله بآخر مدجن مسالم على:

أ- محاربة الطرق الصوفية، وهدم زواياها، وعرقلة أنشطتها، ولو اقتضى الأمر إغلاق الزوايا التابعة لها، ومنعها من استقبال الطلاب والأتباع، ومضارة التعليم، وقصره على تحفيظ القرآن الكريم، وكذا منع خريجها من التوظيف. وهي السياسة التي عبر عنها كامبون: "إن العقيدة الدينية هي القوة الروحية الوحيدة التي ما زالت قائمة في هذا البلد، ولها وحدها قدرة خارقة على تحريك الجماهير"⁽¹⁾.

ب- تسليط العقوبات القاسية على الشيوخ المقاومين، بالقتل والتهجير وقطع الرؤوس كما حصل مع الشيخ بوزيان وموسى الدرقاوي في الزعاطشة (1849)، ثم ما حصل لبوغلة (1854)، والقداديش بعد ذلك في ثورة الرحمانيين، والمصير المؤلم للشيخ الحداد وأبنائه⁽²⁾.

ج- الزجّ ببعضها في التحالفات وحرب الصفوف والعدوات، وأمثلة ذلك كثيرة منها في الخنقة حيث اتكأ الفرنسيون على الزاوية الناصرية وصقّها ضد أتباع عبد الحفيظ، أو في متليلي في خلافات الصف الشرقي والغربي وتوزع القادريين والشيخيين عليهما.

د- السعي إلى تدجين بعضها تمهيدا لتوظيفها لفائدة مصلحة فرنسا، وتم ذلك منذ بدايات الاحتلال، حيث منح القائد الفرنسي "بيير تيزين" الحاج محي الدين بن المبارك شيخ زاوية القليعة قيادة منطقته برتبة آغا، ولكن ذلك لم يدم طويلا إذ التجأ الحاج محي الدين للأمير بعد مجيئ الجنرال الدموي "روفيكو"⁽³⁾. أو مثل ما فعلوا مع شيخ شلاطة ابن علي الشريف الذي منح رتبة الباشاغا مع مرتب شهري، وذلك سنة (1869)⁽⁴⁾، أو مثل توظيف الأبناء كما هو الحال مع آل باشتارزي بقسنطينة، والشيخية بالجنوب الوهراني⁽⁵⁾، أو تدجينها وتشتيتها ونسبتها للعائلات الحفيظية والعزوزية والعثمانية والبلحملاوية والباشتارزية بدلا من الطريقة الرحمانية الأم⁽⁶⁾.

هـ- استغلال البعض لمشاريعها الاستعمارية: وتم السير في هذه الخطة في أواخر أيام مقاومة الأمير، وخاصة عند صدور كتاب "دو نوفو" عن الإخوان سنة (1845)، والذي أوصى بضرورة احتواء الطرق وإغرائها بالمشاركة في السلطة، أو خلق شبكات بديلة⁽⁷⁾، ومن ذلك تشجيع الزواج المختلط بين الشيوخ والفرنسيات لكسر عداائم للحضارة الفرنسية، كما حصل مع أحمد التجاني وأوريلي بيكار والتي تزوجها بعده أخوه البشير، أو ابن الشيخ البودالي الهبري الذي تزوج فرنسية، أو حتى الشيخ محمد الشرقي العطافي الذي تزوج

(1) أجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا، مرجع سابق، ج 1 ص 921.

(2) بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين، مرجع سابق، ج 1 ص 241. وانظر دراسة الطاهر أوصديق عن ثورة (1871).

(3) حكم الجزائر من (21- فيفري حتى 6 ديسمبر 1831). انظر الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، ج 1 ص 48.

(4) يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين، مرجع سابق، ج 1 ص 244.

(5) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 170، وج 4 ص 311.

(6) زوزو، الأوراس إبان الاحتلال الفرنسي، مرجع سابق، ج 1 ص 365.

(7) دونوفو إدوارد، الإخوان، دراسة سيوسولوجية حول الجماعات الدينية عند مسلمي الجزائر، مرجع سابق، ص 12.

علجية رومية، أو حمزة بوبكر الذي تزوج فرنسية، كما أن عبد السلام بن الطيب شيخ الطيبية تزوج إنجليزية⁽¹⁾. والغرض كسر هيبة المرابطين، وتشجيع الدروشة والتدجيل بدلا من التزكية والتعليم.

و- تأجيج حركة التجسس والمراقبة الدائمة ورفع التقارير الفصلية عن نشاط الطرق الصوفية، بل وتسليط البعض على البعض كما فعلت مع الزوايا التي قبلت التعامل مع الإدارة الاستعمارية⁽²⁾. واستعملت لذلك أساليب عديدة كادعاء الإسلام كما فعل ليون روش مع الأمير⁽³⁾.

يقول أجرون: حاول كامبون⁽⁴⁾ جهده ربط صلات ودية مع أكبر الزوايا والطرق الدينية في الجنوب الجزائري، ولقد بادر منذ سنة (1891م) إلى استضافة شيخ زاوية الطيبية (مولاي عبد السلام وابنه مولاي العربي)، كما تمكن بفضل لباقته من تمتين علاقاته بأحد أشرف وزان الذي كانت تربطه به صداقة قديمة⁽⁵⁾.

فلم تغفر فرنسا للقادريين عنف المقاومة لها، وظل شبح الأمير حاضرا في رسم كل السياسات الفرنسية طوال القرن التاسع عشر، فكلفة سبعة عشر عاما كانت ثقيلة والدماء المدارة من الجنود الفرنسيين كانت جمرا لم ينطفأ في بناء الاستراتيجية الفرنسية في محق القدرات الجزائرية. وكل هذه الأساليب ترافقت مع حملة دعائية مباشرة وغير مباشرة في الصحف والمنشورات التي أنشأتها فرنسا باللغتين العربية والفرنسية كما هو الحال مع صحيفة المبشر⁽⁶⁾.

3- التفكيك وخلق النزاعات: عمدت فرنسا نتيجة دراساتها للواقع الجزائري إلى تفكيك النواة الصلبة في المجتمع وهي الزوايا عن طريق بت النزاعات واستغلال الفروق الدينية والاجتماعية والمناطقية بينها، ومن تلك الطرق بث الشقاق داخل الطريقة الواحدة، وبينها وبين الطرق الأخرى، مستغلة انتصاراتها الميكانيكية وضغط الواقع المعيش الذي سلب الجمع الحرية والانتقال واستغلال الموارد الموروثة عن الأجداد، إضافة إلى قطع الأواصر بين الزوايا والمراكز الأم للطرق في بغداد، وتونس، وليبيا، والمغرب. ومن تلك النماذج ما يأتي:

أ- خلافت الأمير عبد القادر مع الدرقاوين (بوحمار)، ومع الطريقة الطيبية، ثم التجانية في عين ماضي، ويمكن أيضا التذكير بخلافه الشديد مع ميزاب الممتنعة عن الدخول في طاعته.

ثم خلفه مع الطريقة الشيخية مع سي حمزة منذ سنة (1835) بسبب إعدام الأمير عبد القادر للشيخ الغمري زعيم قبيلة الأنجاد بسبب عدم دفع الزكاة، وهو حليف زاوية أولاد سيدي الشيخ⁽⁷⁾، وقد عمدت

(1) انظر ابن بكار، مجموع النسب، ص 162. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 312، وج 3 ص 173.

(2) الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، ج 2 ص 75. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 180.

(3) انظر يوسف منصورية، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب (1832-1847)، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1990، ص 12.

(4) جول كامبون: الحاكم العام للجزائر (1891-1997م) دعم جهود الاستيطان للفرنسيين وغيرهم من الإسبان واليهود، وقاد جهود تكوين نخبة جزائرية موالية لفرنسا، وخاصة من الأعيان. انظر سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1860-1900)، مرجع سابق، ج 1 ص 508. أجرون شارل رويير، الجزائريون المسلمون وفرنسا (1871-1919)، مرجع سابق، ج 1 ص 512.

(5) أجرون، نفسه، ج 1 ص 918. وانظر تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 98.

(6) المبشر: جريدة فرنسية إدارية تأسست في 15 سبتمبر 1847، واستمرت إلى سنة 1927. بأمر من الملك لوي فيليب. وكانت تنشر فيها القرارات الإدارية الفرنسية، إضافة إلى الأخبار الدولية والمحلية. انظر محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، ص 21. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5 ص 221.

(7) الطيب بن إبراهيم، إمارة أولاد سيدي الشيخ، مرجع سابق، ص 281. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 106.

فرنسا على التركيز على قادرية الأمير لتشكيل مخيال مخيف بابتلاع الطرق الأخرى، مما سبب له خلافات مع التجانية والشيخية وغيرها، رغم أن المبايعة كانت وطنية على الجهاد وطرد الاستعمار.

ب-خلافات الفرعين التجانيين في عين ماضي وتماسين، وتسابق البعض لإبداء الولاء لمزيد النفوذ الوهمي على الأتباع، مما أفقد النزعة الوطنية ومواتها لصالح الطريقة، وفي هذا يقول سعد الله: "كان موقف التجانية بالذات، لأهميتها وكثرة أتباعها في الأرياف وحتى المدن موقفا لا مبرر له من الوجهة الوطنية، ذلك أن رفضها في المشاركة السياسية لم يكن صحيحا دائما، فقد رأينا تساند أعداء الوحدة الوطنية من طلاب السلطة، كما رأيناها لا تعترض طريق العدو في الصحراء"⁽¹⁾.

ج-خلافات زوايا القبائل الصغرى بين مسابير للاستعمار، ورافض له، ومن ذلك الصراع بين زاوية الحداد بصدوق التي ناصرت بوبغلة مع زاويتي العراش وشيخها محمد أمزيان بن الموهوب، ومع زاوية شلاطة وشيخها ابن علي الشريف⁽²⁾.

د- تفتيت الزاوية الرحمانية بعد القضاء على ثورة (1871)، حيث تشتتت إلى خمسة وعشرين فرعا بعدما آلت البركة إلى الشيخ الحملاوي، وقطعت الطريق أمام عزيز بن الحداد المنفي الذي بقي في الحجاز يطالب بحقه في الخلافة حتى (1881)⁽³⁾، وبث النزاع في الهامل بين لالا زينب وابن عمها سي امحمد، في حين أقفلت الزاوية الأم بآث اسماعيل.

هـ- خلافات رحمانى الزيبان، فزاوية بن عمر بطولقة التزمت الحياد منذ (1844)⁽⁴⁾، ضد زاويتي الخنقة أيام عبد الحفيظ الخنقي وسي الصادق بلحاج المقاومين للاحتلال، كما كانت مختلفة مع زاوية نفطة التي يرأسها الشيخ الحفناوي.

و- خلافات زوايا الأوراس: بإثارة النزاعات بين الزاوية الناصرية الموالية لفرنسا ضد زاويتي سي الصاق بلحاج وعبد الحفيظ الخنقي، وزاوية أولاد العباس القادرية مع الدرديرية الرحمانية⁽⁵⁾. أو الخلافات بين فرع سوق أهراس وزاوية طولقة⁽⁶⁾.

و-تسليط بعض الزوايا على بعض، وضربت البعض ببعض بتوزيع النفوذ والولاءات ومنح الألقاب، واستعمال حرب الفتاوى بين الطرق، ومن ذلك الكتابات ضد ثورة بوعمامة من قبل الشقراني، أو مراسلات

(1) الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، ج 1 ص 301.

(2) انظر بوعزيز، نفسه، ج 1 ص 243. وكان الشيخ الحداد هاجم زاوية ابن الموهوب في (5 مارس 1951) لمعارضتها ثورة بوبغلة، ثم هاجمها ابنه عزيز في (5 أبريل 1871). كما هاجم الشيخ الحداد زاوية بن علي الشريف في (18 مارس 1851).

(3) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 31، ج 4 ص 170. بوكسية، نفسه، ص 72. P285. Depont et copolani: Op.cit.

وعن تفتيت الرحمانية انظر أجرون، نفسه، ج 1 ص 921.

(4) وعلى غرار الحسين بن علي بن عثمان لما تولى خلافة زاوية نفطة بعد وفاة مصطفى بن عزوز في (1866)، تراسل مع الفرنسيين وأخبرهم بقدوم الأمير محي الدين سنة (1871م). انظر يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين، مرجع سابق، ج 1 ص 242.

(5) زوزو عبد الحميد، الأوراس، مرجع سابق، ج 1 ص 361. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 181.

(6) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 154.

رحمانية الهامل في رفض التمرد عندما أعرب الشيخ الهاملي عن رفض الثورة والدعوة للسلم الأهلي الذي تضمنه فرنسا⁽¹⁾، وشاعت ألقاب المشوشين في أدبيات تلك الفترة.

وتعدى الأمر حدود الجزائر، فكثرت الكتابات الفرنسية عن الأمير عبد القادر من أجل الحط من دوره الوطني وجعله شخصا متعصبا دينيا في البداية وصديقا لفرنسا في النهاية، وأما ابنه الأمير عبد الملك، فقد قُتل في (أغسطس 1924)، وقد ادعى الريفيون أن الإسبان قتلوه، وقال الآخرون بالعكس، ولكن المؤكد أن عبد الملك تقاتل مع الخطابي ودعمه الإسبان وهزم الخطابي أولا، ثم عاد للإسبان ليطلب منهم قوة ومدا⁽²⁾. في حين يؤكد الحسن البغدادي كاتب الخطابي أنه قتل تحت الراية الإسبانية.

4- اقتراح استحداث زوايا وقيادات جديدة: وهو ما اقترحه بعض دهاقنة الاستعمار باستحداث زوايا ضرار أو جديدة تسير في الفلك الفرنسي، ومن ذلك رؤية الخبيران "ديبون وإكزافييه كوبولاني" سنة (1897) بخلق زوايا تكون تحت تصرف الاستعمار وتوضع القديمة تحت مراقبته ثم الاستغناء عنها⁽³⁾.

وهو ما تم عن طريق التقرب من التجانية الذين آثروا الحياد، ولكن الإدارة القائمة ابتلعهم، فقد حضر الحاكم العام كامبون جنازة سي أحمد التجاني بالجامع الجديد (3-5-1897)⁽⁴⁾.

والأمر ذاته بعد كسر الطريقة الشيخية التي سار خلفاؤها الشرقيين ضد بوعمامة، حيث أوصي سي قدور بالحفاظ على العلاقات الطيبة مع فرنسا، وكانت الصفقة مزيدا من الألقاب والمهام الإدارية، والأمر مع الطيبة التي زار شريفها مولاي عبد السلام وابنه مولاي العربي الجزائر مرات، وتقلد وسام جوقة الشرف في الزيارة الثانية في (1892)، وتوطدت العلاقات بين فرنسا وأشرف وزان⁽⁵⁾. ومعروف أن الطريقة الطيبية، تأرجحت بين المقاومة والاستسلام، فالشريف بومعزة ثار في جبال الظهرة (شمال الشلف) سنة (1854م) وامتدت ثورته لتشمل مجال الونشريس والتيطري وحتى الحضنة، ونسب له الأتباع الخوارق وتسمى بالمهدي محمد بن عبد الله⁽⁶⁾، ولكنها بعد ذلك صارت مطية لسياسات فرنسا، والرسائل والدلائل على دورها المشبوه في احتلال قورارة كثيرة جدا⁽⁷⁾.

(1) زوزو، محطات في تاريخ الجزائر، دراسة في الحركة الوطنية والثورة التحريرية على ضوء وثائق جديدة، الجزائر، دار هومة، 2004، ص 177.

(2) وعبد الملك بعد مغادرة دمشق سنة (1903)، دخل المغرب ودعم بوعمامة حتى سنة (1904)، ثم ناصر ثورة بوحمار، وعين سنة (1906) قائدا للشرطة الشريفة بطنجة، وانضم إلى السلطان عبد العزيز ضد أخيه عبد الحفيظ المتحالف مع الفرنسيين، وخطط مع الألمان والإسبان لحرب الفرنسيين لأجل إقامة مملكة موحدة في الجزائر والمغرب، ودخل في صراعات مع قادة الريف، وتحارب مع الخطابي حتى قتل سنة (1924). انظر سعد الله، أبحاث وأراء، مرجع سابق، ج 1 ص 105.

(3) Depont et coppolani: Op.cit. P285

(4) أجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا، مرجع سابق، ج 1 ص 919. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 215.

(5) أجرون، نفسه، ج 1 ص 918. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4 ص 99. بلغيت، تاريخ الجزائر المعاصر، مرجع سابق، ص 66.

(6) انظر ابن عودة المزاري، طلوع سعد السعود، مصدر سابق، ج 2 ص 222.

(7) دخل شريف وزان تحت الحماية الفرنسية بالمغرب الأقصى. انظر تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 99.

ويذهب سعد الله إلى أن البدائل توفرت في النخب العصرية المتفرنجة، أو الإصلاحية الدينية، أو حتى في بعض الطرق الجديدة التي تبنت "تصوفا عصريا" حسب الفرنسيين، كالطريقة العلوية⁽¹⁾. وتساق كل ذلك مع التحطيم المتدرج للمجتمع، والقضاء على رموزه الدينية وقيادته الاجتماعية المعروفة بالخيام الكبيرة.

5- إغراءات التحضير الفرنسي: فبعد المسخ والتطويع والتذويب بمثل قانون الإندجينا وأمثاله من المراسيم والقرارات التي شرّعت الإهانة الأدبية للجزائريين، حيث كان الاستعباد للجزائريين قائما بالقوة والفعل في القوانين الفرنسية الاستثنائية الجائرة مثل الإندجينا ومصادرة الأراضي والتغريم الجماعي ونفي الأحرار⁽²⁾.

ومن ذلك تشريع فرنسا لقانون التجنيس في (14 جوان 1865)، ولكن محاولات التجنيس فشلت بسبب تمسك الجزائريين بهويتهم، وحتى سنة (1885) لم يتجنس إلا قرابة (667) فردا⁽³⁾، فضلا عن العزوف عن الزواج المختلط، وتركيز الجزائريين على المفاصلة مع المحتل والوافد.

وكان من أهم نتائج ثورة (1871)⁽⁴⁾ تضيق سبل العيش على القبائل بفعل المصادرات والضرائب والغرامات الجماعية (اللازمة، الخطايا، البزرة)⁽⁵⁾ مما عجل بحركة الهجرة الكبيرة إلى فرنسا من أجل العمل، ولذلك كانت الجالية القبائلية أهم الجاليات في فرنسا، وقد تصاعدت الهجرة الجزائرية القبائلية لفرنسا كثيرا مطلع القرن للبحث عن القوت⁽⁶⁾. وتساق هذا مع جريمة النفي الفرنسي للآلاف إلى ما وراء البحار في بيئات قاسية لا يعرفها الجزائريون الذين هلك أكثرهم، ومن بقي منهم قُطعوا عن أصولهم هم وأعقابهم، ومن أمثلة ذلك كالديونيا التي أقيمت بها السجون والمعتقلات، ومثلت قمة الفظاعة في مأساة المنفيين⁽⁷⁾.

جاءت الخطة الثانية وهي تطويع الأجواد، ونموذج ذلك عوائل آل سيدي الشيخ، وآل عبد المؤمن، وآل بن الأحرش بالجلفة، وآل بن قانة بالزيبان، ولم تخل مدينة من مثل هذه الخطة.

ومن النماذج الشهيرة أولاد أقاسي، وهم عائلة شهيرة تولت القيادة بوادي سيباو في عهد الترك والفرنسيين، ومنهم بلقاسم أوقاسي باشاغا سيباو الذي استسلم سنة (1847)، وزار معرض باريس سنة (1852)، كما ساند بعضهم ثورة الأمير عبد القادر، ثم الثورة العارمة سنة (1871)⁽⁸⁾.

(1) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 329-330.

(2) محفوظ قداش، جزائر الجزائريين، الجزائريين 1830-1954. ترجمة محمد المعراجي، الجزائر، منشورات المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، 2008، ص 227. أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1860-1900)، ص 448.

(3) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 472.

(4) كانت بداية الحملات الفرنسية على بلاد القبائل قد ابتدأت باحتلال بجاية 1833. وتوسّطت بحملات الجنرال راندون الذي عين حاكما عاما على الجزائر في سنة 1851. وقاد حملة شهيرة سنة 1854. أنهى بها آثار مقاومة الشريف الأمجد بوبغلة.

(5) انظر الأرقام عند ميزان سعدي، السياسة الفرنسية الاستعمارية في بلاد القبائل، مرجع سابق، ج 1 ص 147.

(6) انظر عبد الحميد زوزو، الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحريين، ط2، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985، ص 12. سعدي ميزان، المرجع نفسه، ج 2 ص 98. أجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا، مرجع سابق، ج 2 ص 399.

(7) سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1860-1900) ص 267. الصديق تاوتي، المبعدون إلى كالديونيا الجديدة، مأساة هوية منفية، الجزائر دار الأمة، 1997. وجزر كالديونيا تبعد عن الجزائر 22000 كلم واكتشفها جيمس كوك سنة (1774).

(8) انظر سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1860-1900) مرجع سابق، ص 123 و165.

كانت فرنسا تحرص على استدعاء الأعيان والأجواد لمعرض باريس وتستغل المناسبة لإظهار تفوقها الحضاري على الشعوب المغلوبة، وتتخذ من تلك الرحلات والمعارض وسيلة دعائية لها في مستعمراتها، إذ تقوم جريدة المبعثر الرسمية بنشر الاستطلاعات والانطباعات والرحلات في أعدادها ليقراها القاصي والداني مثل رحلة ابن صيام وابن علي الشريف سنة (1852) والشاذلي القسنطيني. ورحلة محمد ولد القاضي "الرحلة القاضية في مدح فرنسا وتبشير البادية" سنة (1878)⁽¹⁾. وتعكس هذه الأدبيات الجو الذي كان يعيشه بعض النخبة العلمانية في استدعاء الأدبيات السلطانية القديمة وإسقاطها على الأجسام السياسية الحديثة في مفارقة غريبة جدا تعكس الانفصام بين الموروث الأدبي والواقع السياسي الجديد، ونجد مثل تلك الأدبيات في بعض الرحلات والعرائض المرفوعة للسلطة الفرنسية. ومثال ذلك ما ذكره محمد بن الحسن الفكون القسنطيني في رحلته: "وحيث أن هذه الدولة الفخيمة الفرنسية المشهورة بالعدل والإحسان"⁽²⁾، ووجدنا بعضهم يكتب عن أمجاد فرنسا، فهذا أحمد بن الفكون يكتب "التاريخ المتدارك في أخبار جان دارك"⁽³⁾.

والنتيجة هي هز الصورة والمخيال الشعبي عن بعض رموز الطرق والعائلات التقليدية، حيث "استغل الاستعمار هذا الحلف مع مشايخ الزوايا استغلالا مزدوجا، فهو من ناحية يسمح بتأمين ولاء الجماهير المسلمة، وهو من ناحية أخرى يؤدي عن طريق استمرار الزوايا على نهج تعليمي منغلق جامد إلى خلق وضعية ثقافية هزيلة يسهل نقدها والتخلص منها بواسطة فتح عيون "الأهالي" على مباحج الثقافة الفرنسية وتقدميتها وتعاطيها مع العصر وبعبارة أخرى إن الاستعمار قد خلق عمليا ظروف اصطدام ثقافي كان هو الذي اختارها ورتب أوضاعها، ظروف اصطدام بين نظام ثقافي متحجر وثقافة متطورة"⁽⁴⁾.

المطلب الثالث: الوسائل الفرنسية في ضرب الرموز الإسلامية.

تعددت الوسائل الفرنسية لضرب ما تسميه بالإسلام الجزائري المتعصب، عن طريق التنصير والتعليم ومحاصرة الأوقاف، وضرب القضاء، ومنع الحج، ومن تلك الوسائل المباشرة ما يأتي:

1- التنصير: أدرك الاستعمار الخطورة الكبرى للزوايا والطرق على مشروعه الاستعماري، فسعى إلى محاربتها، والتضييق عليها، وتحجيم جهدها الكبير في تعليم القرآن الكريم، فكان السعي إلى محاربة الدين الإسلامي أولوية لا تقل عن أهمية الغزو العسكري والاستيطان، وتم ذلك بخطوات مهمة منها:

- تأسيس الكنيسة الإفريقية: التي تولاهها أولا "أنطوان أودلف دوبوش"، الذي نادي بالتنصير، وقد خلفه "بافي" الذي باشر التأسيس للمدارس التبشيرية، لكن الرجل الأخطر والأكثر عملا هو "الكاردينال لافجيري"⁽⁵⁾.

(1) انظر تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 6 ص 200. وج 7 ص 474.

(2) انظر خالد زيادة، ثلاث رحلات جزائرية إلى باريس، ط 1، أبو ظبي، دار السويدي، 2005، ص 82.

(3) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 229.

(4) محمد الملي، الشيخ مبارك الملي، مرجع سابق، ص 64.

(5) لافجيري (1825-1892) تنقل إلى الشام وتعلم العربية، وعين أسقفا بالجزائر (1867)، ثم كاردينالا (1882).

- الحرب على المساجد: بالهدم والتحويل لكنائس كما حصل لكثاوة، ومحاربة التعليم القرآني، حتى صرح لافجيري: "لقد وجب إعادة بناء الشعب، وفصم وقف حياته عن القرآن الذي ارتبط به منذ زمن بعيد"⁽¹⁾.

- الإرسالات التنصيرية: التي جاءت للتبشير من مختلف الأخويات الكاثوليكية مثل "الترايبست"⁽²⁾.

- الجمعيات الأخوية: الآباء البيض، الأخوات البيض، إخوان الصحراء المسلحين، سنة (1891) وذلك لمجابهة بقايا حركات التمرد في الصحراء كالمداقنات وأنصار بوشوشة وبوعمامة في متبلي والمنيعه⁽³⁾.

- الاستيطان التبشيري: بإنشاء مزارع ومشغل ومدارس ومشافي للتطبيب، وخاصة في زاوة⁽⁴⁾.

- التعليم التبشيري: في كل من بلاد القبائل، والشلف⁽⁵⁾، وبسكرة والأغواط وغرداية والواحات⁽⁶⁾.

وقد عبرت لغة الاستعمار والمستشرقين عن العزيمة في التنصير، فقد هالهم صمود الزوايا في حرب المسخ والتنصير، ويمكن التذكير بما قاله "دونوفو" عن شيوخ زوايا القبائل: "إن المعلمين الأهالي المتشبعين بمبادئهم والذين يغدهم حقد لا هوادة فيه ضد النصارى، ويعميهم التعصب الأعشى، يحاولون دائما أن يلقنوا الجيل الصاعد هذه المبادئ، وهو الجيل الذي خرج ضدنا وقاومنا"⁽⁷⁾. فحركة التنصير التي اجتاحت بعض المناطق من الكنيسة الكاثوليكية أيام الكاردينال لافيجري وخلفائه وخاصة عقب المجاعة الرهيبة في سنوات (1867-1869م)⁽⁸⁾ لا مثيل لها في تاريخ الإرساليات إلا ما جرى في أمريكا اللاتينية، أو في الشمالية.

كان التركيز على القبائل كثيرا بحكم ما روجته الدراسات الأنثروبولوجية الفرنسية الزاعمة بانحدارهم من الرومان أو الغاليين، ولكونهم اعتنقوا المسيحية بزعمهم في القرون البيزنطية، ولذا فقد علق المبشرون آمالهم بإعادتهم إلى إيمانهم المسيحي الغابر⁽⁹⁾، وهي الآمال التي تجسدت في أعمال تنصيرية متتالية، ولكنها لم تفلح إلا قليلا بحكم صلابة الهوية الدينية التي كانت تغذيها الزوايا والمعمرات في كل ربوع بلاد القبائل.

وردا على ذلك صرح بعض رؤساء القبائل في الرد على حملة التنصير: "لن نتخلى أبدا عن ديننا وإذا أرادت الحكومة أن ترغمنا على ذلك سنطلب منها الوسيلة لمغادرة البلاد، فإن لم نجد وسيلة فإننا نفضل الموت على اعتناق دينكم"⁽¹⁰⁾.

(1) حلوش عبد القادر، "حركة التنصير في الجزائر"، مجلة الرؤية، ع 1، (1996/2-1)، ص 72. وانظر الفضيل الورثاني، مرجع سابق، ص 101.

(2) محمد الطاهر واعلي، التعليم التبشيري (1830-1904)، الجزائر، مطبعة دحلب، 1997، ص 54. و"الترايبست" جاؤوا سنة (1843)، ومنح لهم دير وأراض في اسطاولي، وبلغ أعداد رهبانهم (108 راهبا)، ص 39.

(3) شارل أجرون، المجتمع الجزائري في فجر الأيديولوجية الكولونيالية مقاومة القبائل للإدماج والتفكيك وفشل مشاريع التنصير والتجنيس ترجمة محمد العربي ولد خليفة، الجزائر، منشورات ثالة، 2004، ص 127. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3 ص 172.

(4) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 6 ص 127. محمد الميلي، مرجع سابق، ص 44. وانظر مزيان سعيدي، الكاردينال لافجيري.

(5) أنشأ قريتين في العطف، و جلب اليتامى لهم، انظر أجرون، نفسه، ج 1 ص 558.

(6) مركز بسكرة (نصفه مشفى، نصفه ككنة). وفي ورقلة أنشأ الآباء مركزا (1873)، ومزارع وورش للتعليم. انظر حلوش، نفسه، ص 72.

(7) انظر ناصر الدين سعيدي، في الهوية والانتماء الحضاري، مرجع سابق، ص 140.

(8) انظر عن التنصير سعيدي مزيان، النشاط التنصيري للكاردينال لافيجري في الجزائر (1867-1892)، رسالة ماجستير جامعة الجزائر، 1999.

خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر (1830-1970)، الجزائر، منشورات دحلب، 1992، ص 56.

(9) أجرون شارل روبر، تاريخ الجزائر المعاصرة، مرجع سابق، ص 108.

(10) انظر محفوظ قداش، جزائر الجزائريين (1830-1954)، مرجع سابق، ص 210.

وردا على الحملات اليسوعية التي لم تفلح في كثير من أهدافها بسبب الصلابة الدينية للقبائل الذين قالوا للمبشرين: "إنهم يؤكدون أنه من الخير لنا أن نرى أبناءنا يموتون من أن نراهم تحولوا إلى المسيحية"⁽¹⁾. يقول الميلي: "وإذ فشلت نظرية التمسح، فقد أصبح تدجين الطرق أو بعضها على الأقل مطلبا ملحا، وهكذا أحيطت الزوايا بحراسة بوليسية مشددة ترأب حركاتها وترصد أنشطتها"⁽²⁾.

كتب "دي جوركي دي لاسال" في مجلة "تاريخ الإرساليات": "إن السماح للمسيحية بأن تؤثر في الروح البربرية يعني ولا شك تسهيل تفتيت الكتلة العربية والقضاء عليها بقوة، ويعني تبعا لذلك القضاء على الإسلام في أرضنا بشمال إفريقيا لفائدة حضارتنا وعرقنا"⁽³⁾.

2- محاربة الحج: شكلت رحلات الحج خطوطا متحركة وينابيع دفاقة لربط الجزائر بالعمق الإسلامي، فمن المشرق تأتي المؤلفات وأخبار الجناح الشرقي العربي والإسلامي الذي لا يزال تحت الراية العثمانية عدوة أوروبا، ولذلك سعت السلطات الفرنسية إلى تضيق سبل الحج عن الجزائريين، الذي ظل متعثرا طوال سنوات الاحتلال والمقاومة، ومنع سنوات (1838 حتى 1858)، ثم بدأ الأمر عسيرا باستصدار الرخص، خوفا من الوقوع في الدعاية العثمانية والسنوسية، وعودة الدولة السعودية الوهابية الثانية، وقد توقّف الحج سنوات عديدة مثل (1874-1877)⁽⁴⁾، وخاصة في أيام الحاكم البغيض جول كامبون (1891-1997م) بحجج الوباء، والأوضاع غير المستقرة بمصر بعد احتلالها من الإنجليز، ولم يكن عهد سلفه "تيرمان" (1881-1991) بالأحسن إذ كانت أعداد الحجيج منزورة⁽⁵⁾.

يقول رين في كتابه مرابطون وإخوان: "كما أنها كانت تمنع الناس من أداء فريضة الحج من حين لآخر، سواء بعنوان الخوف من انتشار الأمراض المعدية، (وهو ما لا يمكن أن يفهمه الجزائريون إلا ذريعة أو تبريرا) أو بعنوان الخوف من الأفكار الانقلابية التي يحملها الحجاج بعد عودتهم، وهكذا منع الحج في موسمي (1874-1877)⁽⁶⁾.

3- القضاء على القضاء الشرعي: سعت فرنسا إلى إحلال قوانينها في الحياة اليومية، ومن أجل محاصرة الزوايا التي كانت هي الجهاز العدلي للجزائريين في الأرياف والجبّال والبوداي، فقد أرادت أن تفقدها هذه القوة عن طريق محاصرة هذا القضاء الشعبي، وإبداله بآخر رسمي، وبدأت ذلك بإجراءات متوالية لتحقيق الغرض السابق، ومن ذلك:

(1) انظر شارل روبير أجرون، المجتمع الجزائري في مخبر الإيديولوجية الكولونيالية، مرجع سابق، ص 59. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 6 ص 121. محمد الطاهر واعلي، التعليم التبشيري في الجزائر 1830-1904، مطبعة دحلب، 1997، ص 62. سعيدوني ناصر الدين، في الهوية والانتماء الحضاري، مرجع سابق، ص 245. خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر، (1830-1870)، مرجع سابق، ص 73.

(2) محمد الميلي، الشيخ مبارك الميلي، مرجع سابق، ص 44. من كتاب الاحتلال المثنوي للجزائر.

(3) محمد الميلي، المرجع السابق، ص 62.

(4) الجزائريون المسلمون وفرنسا، مرجع سابق، ج 1 ص 564. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 403.

(5) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 404.

(6) الميلي، نفسه، ص 41، نقلا عن مقدمة رين "مرباطون وإخوان".

أ- إفراغ البلاد من القضاة المبرزين، كرسالة قاسية لكل معارض، ومنهم الكبايطي، وابن رويلة⁽¹⁾.
ب- قصر الاستئناف على المحاكم الفرنسية بموجب قانون (28-2-1841)، ونزع الجنايات والجنح من صلاحيات القضاء الإسلامي، ومزيد من إجراءات التضييق ومنع الصلاحيات.

ج- إصلاحات نابليون الثالث، وتم ذلك بطريقتين هما:
الأول: إنشاء المدارس الفرنسية العربية العليا في تلمسان والمدينة وقسنطينة بمقتضى المرسوم السلطاني (14-7-1850)⁽²⁾ لتخريج جيل ذي ثقافة مزدوجة لتسهيل التعامل مع السكان، وذلك طبقا لرؤية نابليون الجديدة⁽³⁾.

الثاني: تشكيل مجلس قضائي أعلى للقضاء وتوحيد الفتيا المالكية في (1854)، ولكن هذه المحاولة وئدت من قبل عسكري الجزائر بمرسوم (1859). وتوالت المراسيم وتضاربت وتعثرت، وكانت النتيجة التضييق على القضاء وقصره على الأحوال الشخصية، ومزاحمة العرف له في مناطق زواوة⁽⁴⁾.

د- مرسوم سنة (1875) القاضي بإلغاء المجالس الاستشارية والمجلس الأعلى للقضاء الإسلامي الذي تأسس سنة (1866)، وهي من نتائج ثورة واحد وسبعين ومن المظاهر الكريهة لقانون الأهالي البغيض سنة (1871)⁽⁵⁾.
هـ- مرسوم (13-12-1899): بإجبار المسلمين على التقاضي أمام قضاة الصلح الفرنسيين⁽⁶⁾.

ولكن تلك السياسة لم يكتب لها النجاح التام، فقد تغيرت السياسة القضائية بسبب التورط السخيف في الميكسيك، ومشاكل أوروبا، وثورة أولاد سيد الشيخ، فقبلت فرنسا بتولي المترشحين من مدارسها أو الزوايا والقرويين والزيتونة وجرت الامتحانات في (1869)⁽⁷⁾.

ولأجل ما سبق من محاصرة القضاء الشرعي التقليدي أنشأت فرنسا المدارس العدلية في تلمسان والجزائر وقسنطينة بغرض تخريج رجال العدالة (قضاة باش عدل، عدل، مترجم)، والذين هم الواسطة بين

(1) أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 2 ص 11. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5 ص 496. المدني، كتاب الجزائر، دار البصائر، 2009، ص 419.

(2) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3 ص 174. وج 4 ص 372. وج 4 ص 429. وعن مدرسة قسنطينة التي تولاهما محمد الشاذلي (ت 1877) ثم ابنه محمود الشاذلي (ت 1905)، ودرّس بها محمد المكي البوطالي، والحاج أحمد بن المبارك (ت 1880) والمجاوي والسعيد بن داوود الزموري، انظر شغيب، أم الحواضر، مرجع سابق، ص 294. جريدة البصائر، ع 126 (8-12-1938)، ص 2.

Ernet Mercier : L'Algérie en 1880. Editeure, Challamel Aine, Paris, 1880. p 180

(3) رام مشروع نابليون احتواء الساكنة في مشروع المملكة العربية، وعدم تكرار مأساة الهنود الحمر في الجزائر، وذلك عندما قال: "أنا إمبراطور العرب والفرنسيين". انظر أجرون شارل روبر، تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمة عيسى عصفور، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، 1983، ص 56.

(4) أجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا، نفسه، ج 1 ص 516. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4 ص 454، وانظر عن العرف القبائلي محمد السعيد ابن زكري، أوضح الدلائل على وجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل، مرجع سابق، ص 186.

(5) وهو من نتائج قانون الأهالي الصادر سنة (1874) أو ما يسميه أجرون بقانون التبعية الأهلية، وقنون السيناتوس كونسلت الذي أصدره نابليون الثالث في سنة (1865) والقاضي بأن الجزائريين رعايا فرنسيون ولكنهم يخضعون لأحكام الشريعة إلا إذا تجنسوا فيخضعون للقانون الفرنسي، انظر أجرون، نفسه، ص 104. الحركة الوطنية، ج 2 ص 25. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4 ص 447.

(6) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 435. عبد الحميد زوزو، تاريخ الاستعمار والتحرر في إفريقيا وآسيا، مرجع سابق، ص 73.

(7) البوعبدلي، الأعمال الكاملة، التعريف بالكتب، مرجع سابق، ص 101.

السكانة الجزائرية والمحتل الفرنسي⁽¹⁾، ورفضت الإدارة توظيف خريجي الزوايا في المناصب العدلية، ثم عدلت عن ذلك سنة (1869) حيث حازوا أغلب المناصب، وهو ما يؤكد ضعف حصائل المدارس السابقة⁽²⁾، وكان هذا الاستدراك خوفا من ملئ الفراغ من عودة المتعصبين الذين يلبون الحاجات الروحية للسكان، كما جاء في أحد التقارير: "يجب العمل على ملئ الفراغ الذي تركه تهديم الزوايا تهديما يكاد يكون كاملا. لقد أدى ذلك إلى تعطيل كبير في الدراسات الفقهية حتى أننا لم نجد من أين نوظف القضاة، وإذا لم نملاً نحن هذا الفراغ فسيأتي غيرنا ويقوم به كالدول المجاورة، فيأتي حينئذ من ينشر الفوضى والتعصب خارج رقابتنا مستغلا جهل الناس"⁽³⁾.

4- الحرب على الأوقاف: أدركت فرنسا أهمية الأوقاف المختلفة (أوقاف المساجد والزوايا والحرمين والقدس وموارد مجلس سبل الخيرات) في دعم النسيج الاجتماعي، ولذلك كان من أوائل القرارات الصادرة عن الاحتلال قرار دي بورمون في (8 سبتمبر 1830) بالتصرف فيها كراء وتأجيرا، ثم كانت المصادرات والتصرف فيها، وهو ما أدى إلى صدام المفتي الكبابطي مع فرنسا وهجرته لمصر. والذي يدل على التوجس الدائم من المؤسسات الدينية وكثرة المساجد على الأقل في العاصمة، ما قاله "موريل" سنة (1854): "إن عدد المساجد يفوق الحاجة"⁽⁴⁾.

تتابعت القرارات الفرنسية الجائرة ضد الأوقاف مما أدى إلى نزيف حاد في موارد المساجد والزوايا، وتكتمل هذا بإباحة الأوقاف للأوروبيين لتملكها والانتفاع من مواردها كما هو قانون أكتوبر (1858)، ثم كان قانون فارني سنة (1873)، والذي قضى بتصفية الأملاك الوقفية لصالح الاستيطان الأوروبي⁽⁵⁾. ومن جهة أخرى أخضعت موارد الزوايا للمراقبة والمنع بقانون "الوالي العام قريفي" في (31-8-1881)، إلا للزوايا التي أعلنت طاعتها وخضوعها، إذ استثنيت زاويتا عين ماضي وطولقة، والزاوية الطيبية من المغرب، والزاوية الزيانية بالقنادسة⁽⁶⁾. وهكذا توجهت هذه القرارات لتجفيف منابع المالية والركائز الاقتصادية للزوايا والطرق الصوفية⁽⁷⁾، لأجل كسر هيبتها، وإفقادها قوة التأثير على السكان، وهو ما نجحت فيه فرنسا إلى حد بعيد.

المطلب الرابع: الموقف الفرنسي من الوضعية التعليمية في الجزائر.

1- تقويض التعليم الإسلامي السابق: من المعلوم أن الزوايا قامت بدور تعليمي ممتاز قبل الاحتلال، وبشهادات معاصرة، إذ كانت الأمية منتفية، وظلت الزوايا أقطابا علمية ومراكز عامرة لطلبة العلم، تعمل

(1) انظر سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3 ص 367.

(2) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 361، 445.

(3) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3 ص 175، من سجلات طابلو (1852) ص 201.

(4) موريل، الجزائر وإفريقيا الفرنسية، ص 86 نقلا عن بوكسية، مرجع سابق، ص 44. سعد الله، أبحاث وأراء، مرجع سابق، ج 4 ص 112.

(5) صالح عباد، المعمرون والسياسة الفرنسية في الجزائر (1870-1900)، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1983، ص 77.

الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج 1 ص 568. P95. Depont et copolani: Op.cit.

(7) M Simian- les confréries islamique en Algérie Rahmania. Tidjania. Alger. Adolphe Jourdan. 1910. p 32

بتعليمها على حفظ الشخصية الجزائرية⁽¹⁾، ودلائل ذلك متناثرة في كثرة المؤلفات، وبراهين ذلك في كتب الفهارس والتراجم والرحلات، وفي دراسة هانوتو ولوتورنو عن القبائل أكدا انتشار التعليم، واعتزاز زاوّة باللغة العربية، وقدا إحصاءات مذهلة عن الزوايا والمعمرت⁽²⁾. ولذلك تواطأ الفرنسيون على إهمال التعليم الشرعي، وعدم ردّ أوقافه لأهلها، وإنشاء آخر مزدوج مع سيادة اللغة الفرنسية كما هو تقرير لجنة "دي طوكفيل في (1948)، وعلى الرغم من المحاولات المحتشمة من إنشاء مدارس فرنسية قليلة (36 مدرسة) وإدخال مادة حفظ القرآن فيها، إلا أن مجيئ الجمهورية الثالثة ألغى ذلك كله، وتكمّل الأمر في التضييق على التعليم العربي بشروط الصحة وعدم مخالفة الأوامر أو العداء كما هو مرسوم (18 أكتوبر 1892)⁽³⁾.

وإضافة لهذا حاولت فرنسا خلق حالة من التعليم الديني مرتبط بالمساجد الرسمية وبعيد عن تأثير الزوايا بما فرضته من تعيينات وإعانات مالية للمدرسين الرسميين الذين كانوا تحت رقابة مخابراتها، وقد ذكر سعد الله أعدادا من المدرسين الرسميين، ففي شهادة لعضو لجنة مجلس الشيوخ التي ترأسها جون فيري قال عن سبب تدمير السكان من منع التعليم بالمساجد من قبل فرنسا: "إن هذه المراكز - المساجد والزوايا- لا يرجى من التعليم فيها أية فائدة، بل رأّت السلطات التي أخذت قرار منع التعليم المذكور أن هذه المراكز تبث في تعليمها بذور العداوة والبغضاء لفرنسا، ولهذا حطمتها الواحدة بعد الأخرى ومنعنا التعليم بها"⁽⁴⁾.

ولكن شيئا من الاستمرارية العلمية ظلت في الغرب الجزائري، ففي شهادة نادرة عن تغير التعليم الديني يقول المشرقي: "سألني علماء فاس عن طلبة الجزائر اليوم (أي سنة 1882م) فأخبرتهم بأنهم على هدى من ربهم، وأنهم يدرسون المعقول والمنقول، ومساجدهم عامرة في أوقات الصلوات، ويحيون تراويح رمضان...."⁽⁵⁾.

2- التجهيل: لم تكن لفرنسا سياسة تعليم وإنما التجهيل والتفكير، والمكاتب القليلة التي فتحت كانت للنخبة والعائلات الخدومة لفرنسا، والحال أن الجزائر العثمانية كانت أحسن حالا في التعليم من فرنسا، وإذا وجد تعليم فرنسي فهو بغرض مسح الهوية الحضارية للجزائريين. بل وسياسة للتفرقة، ففي زاوّة فرضوا التعليم الإجباري على جزء قليل منها فقط، وسلّطوا المبشرين على جزء آخر، وحتى إلى سنة (1914)، كان هناك أقل من خمسة بالمائة من المتمدرسين⁽⁶⁾.

(1) انظر سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، مرجع سابق، ص 106. المدني، كتاب الجزائر، مرجع سابق، ص 378.

(2) هانوتو ولوتورنو، مرجع سابق، ص 157. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3 ص 29.

(3) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3 ص 21. ص 37، ص 53. ص 176.

(4) البوعبدلي، الحياة الثقافية في الجزائر، ص 295.

(5) المشرقي، ذخيرة الأوائل، ص 3، نقلا عن نقلا عن حسن الفرقان، أدبيات الأوبئة في مغرب القرن 19، الرباط، دار التوحيد، 2014، ص 81. وعنه انظر أبحاث وأراء، مرجع سابق، ج 2 ص 175. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 574.

(6) انظر محفوظ قداش، جزائر الجزائريين مرجع سابق، ص 236. سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1860-1900)، مرجع سابق، ص 391. محمد الطاهر واعلي، التعليم التبشيري في الجزائر، مرجع سابق، ص 119. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 294.

وازداد التجهيل أمام العراقل الموضوعة على التعليم تبعا لمراسيم الجمهورية الثالثة التي منعت التعليم إلا بالرخصة مثل مرسوم (18-10-1888) والذي أُتبع بمرسوم آخر يمنع الجزائري من إدارة أية مؤسسة عربية إلا برخصة من عامل العمالة أو الحاكم في المناطق العسكرية، وذلك في (24-12-1904)⁽¹⁾.

وهذا الوضع المزري دفع القلة اليسيرة للهجرة إلى الجنوب وتونس والمغرب لمواصلة الدراسة نظرا لحالة التعليم البئيسة في ظل الاحتلال⁽²⁾. وسيكون لهذا الوضع عواقبه الثقافية الوخيمة من انتشار الخرافة والدجل والشعوذة التي سيتلبس بها أنصاف المتعلمين الذين يقومون بواجبات الحياة الروحية، مما سيكون مطية للإنكار الشديد من الإصلاحيين بعد ذلك.

3- هيكلية التعليم الديني الجديد: وذلك بإنشاء المدارس العدلية الثلاثة العليا في كل من قسنطينة وتلمسان، والمدينة التي تحولت فيما بعد إلى الجزائر، وصارت تسمى بالثعالبية⁽³⁾، وكان المنتسبون لهذه المدارس يدرسون دراسة مزدوجة تؤهلهم فيما بعد إلى تبوء المناصب القضائية، مما جعل الخنق المعيشي يضيق على منتسبي الزوايا والمدارس الحرة، وهي سياسة اعتمدتها فرنسا لإفراغ الزوايا مما بقي لها من الهيمنة المعنوية على السكان، إذ ظلت الذاكرة الشعبية تحوي وإلى عهد قريب حالة الإمام ومعلم القرآن الذي يتكفّف غيره، ويعيش عالة على زكوات وأعطيات غيره، وكانت المحصلة من هذا كله الكسر النفسي لحاملي اللسان والثقافة العربية، والحق أن هذا الحل الترقيعي كان بعد اكتشاف فرنسا لفداحة الوضع العدلي بعد كسر مرجعية الزوايا، مما جعلهم يستدكون ذلك بهذا الإنجاز الأعرج.

4- هيكلية الهيئة الدينية: فمند التفكيك الفعلي لها بإلغاء منصب شيخ الإسلام، ونفي المفاتي المعارضين أمثال ابن العنابي ومصطفى بن الكبايطي⁽⁴⁾، وهجرة الآخرين طواعية أو قسرا، ثم الاستيلاء على الأوقاف وإلحاقها بالدومين نتيجة قرار كلوزيل الذي نفذ في (7-12-1930)⁽⁵⁾ خلت الساحات الرسمية من علماء مقتدرين، وبرز رجال الطرق في المقاومة لفرنسا.

عمدت فرنسا عقب استقرار الحكم المدني إلى الاستيلاء على باقي الأوقاف العامة والخاصة⁽⁶⁾، وترتيب الهيئات الدينية المشرفة على المساجد، فأصدرت قرارات إدارية واعتمادات مالية لهذه الفئة من المفاتي والأئمة والمؤذنين والحزابين، لتشكل منهم فيما بعد ظهيرا يساند شرعيتها في حكم بلاد مسلمة، وتتشكل الهيئة من: المفتي، والقاضي، والإمام، والمدرس، والخطيب إمام الجمعة والعيدين، والباش حزاب، والطلبة، والباش

(1) شارل أجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا، مرجع سابق، ج 2 ص 581. تركي رابح، الشيخ ابن باديس رائد الإصلاح والتربية، ط4، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص 155.

(2) أيفون تورين، المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة، المدارس والممارسات الطبية والدين، (1880-1832)، ص 136.

(3) سميت في عهد الحاكم جونا الذي أعاد تشييدها قرب ضريح الثعالبي، وافتتحت يوم (06-10-1904)، وبها درس علي العمالي، عمر برهمات، ابن سماية، ابن أبي شنب، قدور بن رويلة، عمر راسم، محمد السعيد ابن زكري، عبد القادر المجاوي، أبو القاسم الحفناوي، غوتيه.

(4) انظر الحركة الوطنية الجزائرية، (1900-1830)، ج 1 ص 301. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 350.

(5) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 161.

(6) أجرون، نفسه، ج 1 ص 541. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 169.

مؤذن أو المؤقت، والمؤذن، وقراء كتاب تنبيه الأنام، والحضور (قراء البخاري)، والشعالين، والكناسين، والوكلاء، والمؤدبين⁽¹⁾، وكانوا في الأغلب مدجنين لا يستطيعون معارضة الإدارة.

وعلى المدى البعيد سيتشكل حزب من رجال الدين الرسميين، والذين سيكون بعضهم عبئا ثقيلا على الحركة الإصلاحية من حيث وقوف بعضهم مع القرارات الفرنسية، بل إنهم سيشكلون معارضة كبيرة لجمعية العلماء المسلمين، وخاصة في محن قانون ميشال، ومقتل المفتي بن دالي كحول، وأخيرا مع محمد العاصمي.

وقد استموى هذا التنظيم الإداري والمالي للهيئة الدينية بعض زائري الجزائر نهاية القرن، ففي شهادة للمشرقي العائد من مهجره بالمغرب سنة (1878م) يقول مثنيا على فرنسا في عنايتها بمساجد تلمسان: "فلذلك أقاموا مساجدها ومدارسها، ونوهوا بقدر علمائها، ففيها نحو ثلاثين مسجدا دون مسجدها الأعظم الذي تقام فيه الجمعة، ودونه مكاتب الصبيان، وكل مسجد من المساجد له إمام وجماعة تصلي به،.... فإمام المسجد الأعظم وخطيبه السيد بن عودة بن غبريط مرتبه الشهري خمسة عشر ريال دور، وكبير الحزابين الذين يقرأون بها الحزب القرآني مرتبه الشهري اثني عشر ريال دور، ومؤذنها واحد له ست ريالات دور في الشهر"⁽²⁾.

ومن تلك الوسائل: رفع مرتبات رجال السلك الديني والموظفين من أئمة وقضاة ومفتين، ولكن هذه الطريقة لم تنتج عنها ثمرات إيجابية، "إذ كل ما جنيناه من طرفهم التبسم في وجوهنا بدلا من التكشير، أما التعصب الديني فيشملهم جميعا"⁽³⁾. وكذلك توشيح صدور العلماء والمعلمين بالأوسمة في محاولة لشراء الذمم والسكوت، وقد نال هذه الأخيرة العديد من أيام عهد التنوير في حكم "جول كامبون" (1891-1897) أمثال ابن زكري وعلي بن الحاج موسى قيم ضريح الثعالبي، والقطب اطفيش، ومحمد بن أبي القاسم الهاملي.

والنتيجة ما قاله سعد الله: من المفهوم أن التوظيف الرسمي، وتقاضي الأجور من الإدارة الفرنسية، ثم هذه التبعية الناعمة لرجال الدين-الفقهاء والعلماء- هي التي جعلتهم لا يقنعون مواطنهم بنزاهتهم وخدمتهم للدين، وسيؤكد الفرنسيون من أن سياستهم تلك قد أدت إلى تخلي المسلمين عن الهيئة الدينية الرسمية والاتجاه نحو المرباطين المقاومين في البداية ثم نحو الطرق الصوفية كبداية لرجال الدين، فقد كان علماء الإسلام يعتبرون حراس الدين وحماة ومصايح الظلام وأهل العلم والحكمة، أما في العهد المدرس فقد أصبحوا أدوات في يد السلطة الفرنسية تقولهم ما تشاء وينطقون باسمها ما تريد، ولم يكن يشاطرهم في سمعتهم ومكانتهم سوى رجال التصوف والمرباطين، وقد أدى تعاون فرنسا ورجال الدين الرسميين إلى ابتعاد الناس عنهم، وهكذا بقيت الهيئة الدينية بدون نفوذ ولا تأثير، وكان دورها يقتصر على إقامة الصلوات الخمس وأداء الجمعة والأعياد، دون أن ينسوا أنهم موظفون رسميون مأجورون من قبل الإدارة الفرنسية"⁽⁴⁾.

(1) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 361.

(2) المشرقي، ذخيرة الأواخر، ص 19، نقلا عن حسن الفرقان، أدبيات الأوبئة في مغرب القرن 19، ص 82.

(3) البوعبدلي، الأعمال الكاملة، الحياة الثقافية في الجزائر، مرجع سابق، ص 295.

(4) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 358. ج 4 ص 379.

5- قهر اللغة العربية: اعتبر الاستعمار الفرنسي اللغة العربية الحاضنة الأهم للدين الإسلامي المقاوم للوجود والثقافة الغربية والرافض الأقصى للتبشير المسيحي، فسعى إلى محوها وتقليص وجودها ومحاربة مراكز تعلمها من كتاتيب وزوايا، ومساجد ومعاهد، وكان القرارات محصلة لدراسات اجتماعية وتاريخية قضت بأن امتداد الثقافة الفرنسية القنطرة الكبرى للاحتلال لن تكون إلا بتكوين نخبة موالية مندمجة بهذه اللغة لتحقيق أهدافهم الاستعمارية⁽¹⁾.

كما كان القرار استجابة لدهاقنة الاحتلال الأوائل أمثال رو فيغو: "إن إيالة الجزائر لن تكون حقيقة من الممتلكات الفرنسية إلا بعد أن تصبح لغتنا لغة قومية، والمعجزة التي ينبغي تحقيقها هي إحلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية"⁽²⁾.

ومنذ الإلحاق الرسمي للجزائر بفرنسا سنة (1834) صارت الفرنسية اللغة الرسمية في الإدارة والمكاتب والمراسلات، وجرى تحييد العربية وإزالتها من المدارس، ولم تكن تدرس إلا في المعاهد العليا من أجل تكوين جيش من الوسطاء الإداريين أو العدليين قصد التعجيل بالاندماج⁽³⁾. وذلك: "لأن منظري الاستعماري زعموا أن ليس للجزائر ماض تاريخي ولا حضارة ولا هوية ثقافية متميزة، وإنما هي عبارة عن فسيفساء تتألف من مجموعات عرقية خضعت على مر العصور لشتى الغزوات الأجنبية"⁽⁴⁾. وفي سنة (1849) صدر تقرير من الإدارة الاستعمارية جاء فيه: "لا ننسى أن لغتنا هي اللغة الحاكمة، فإن قضاءنا المدني والجزائي والعقابي يصدر أحكامه على العرب، وهذه اللغة يجب أن تصدر القرارات.. وبها يجب أن تكتب جميع العقود، وليس لنا أن نتنازل عن حقوقنا، فإن أهم الأمور التي يجب أن نعتني بها قبل كل شيء هي السعي للقضاء على اللغة العربية، وجعل اللغة الفرنسية دارجة وعامة بين الناس"⁽⁵⁾.

ولتنفيذ هذه الخطة الطويلة المدى قضت الإدارات الفرنسية المتعاقبة بالعمل على الآتي:

أ- محاربة مصادر العربية من كتاتيب وزوايا ومعاهد، والتضييق على الشيوخ والمعلمين.

ب- إنشاء المدارس الفرنسية العربية العليا في تلمسان والمدينة وقسنطينة في (14-7-1850) لتخريج جيل ذي ثقافة مزدوجة لتسهيل التعامل مع السكان، وكان الغرض الحد من الهجرة للزيتونة والقرويين والأزهر⁽⁶⁾.

ج- مرسوم (15-8-1975) الذي منح الحكومة حق إنشاء مدارس إسلامية، وهي المدارس الشرعية الفرنسية - ثانويات- ومنها تخرج مالك بن نبي، وبقيت حتى سنة (1944) وصارت تسمى فرنكو ميزلمان.

(1) انظر محمد الطاهر واعلي، التعليم التبشيري في الجزائر (1830-1904)، مرجع سابق، ص 63.

(2) محمد التبشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد التبشير الإبراهيمي، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1997، ج 3، ص 332.

(3) انظر سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1930-1900)، مرجع سابق، ج 2 ص 63.

(4) بن يوسف بن خدة، جذور أول نوفمبر، ترجمة حاج مسعود محمد، ط 2، الجزائر، دار الشاطبية، 2012، ص 53.

(5) تركي رابح عامرة، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، ص 108. سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، ج 2 ص 61.

(6) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3 ص 370 عن ألفرد بل، مؤتمر شمال إفريقية 1908، باريس، ج 2 ص 219. وانظر عنها أيضا محمد فريد، من مصر إلى مصر رحلة عام (1901)، القاهرة، مطبعة الموسوعات، 1319هـ، ص 79.

د- الترويج للدخول للمدارس الفرنسية كما هي رسالة مصطفى بن السادات "النصيحة الدرية في تأديب الذرية"، أو رسالة محمود بن الشيخ "نصيحة عمومية لأهل الحضر والبادية"، ونشرتهما جريدة المبعثر سنة (1866)⁽¹⁾.

هـ- الاهتمام بالعامية لإزاحة الفصحى الضامنة لوحدة التعليم والمرتبطة بالتراث الإسلامي.

و- توجيه الدراسات للاعتناء باللهجات البربرية للغاية نفسها من التواصل مع الأهالي وإزاحة العربية، وكذا للاستعمالات العسكرية في التواصل مع المغلوبين من الأهالي والمعتقلين.

ومن نماذج الاهتمام بالعامية والبربرية أن الاحتلال دَعَم تعليم الضباط للعربية ورصد لها جوائز وكتب عنهم شارل فيرو "مترجمو الجيش الفرنسي" وطبعه سنة (1876)، ومنهم مترجمون رافقوا الاحتلال مثل جون فرعون السوري المصري الذي كتب "النحو الابتدائي للعربية الدارجة"⁽²⁾. ومن هؤلاء المهتمين بالبحوث التي عنيت بالعامية والبربرية:

- جاك أوغست شربونو (1813-1882): قاموس مزدوج عربي فرنسي، تعليم العربية الدارجة للأوروبيين، الدروس العملية في قواعد اللغة العربية، وكتاب: كيفية التدريب على اكتساب العربية بواسطة حكايات المسلمين (1847)⁽³⁾، وهو الذي نشر الفارسية لابن قنفذ، والنبذة المحتاجة في أخبار صنهاجة لابن حماد الصنهاجي. إضافة إلى دراسة عن سلاطين بني جلاب والأدب العربي بالسودان.

- لويس برنييه: "موجز اللغة العربية الدارجة في مدينة الجزائر وفي الإيالة الجزائرية".

- شارل دو فوكو⁽⁴⁾: كتب أول معجم للغة التارقية، لما استقر بالهقار، وأسس ديرا في أعالي تمنراست.

- علاوة بن يحيى: مجموع في العربية الدارجة، طبع سنة (1980).

- الغوثي بن محمد بن أبي علي التلمساني: مقدمة في قواعد اللغة الدارجة، طبع (1904).

- الدكتور ابن علي فخار التلمساني: دروس في العربية المراكشية والجزائرية، طبع (1913).

والحاصل أن هذه الحرب الضروس على اللغة العربية جعلت رد الفعل عكسيا من المراد الفرنسي، فازداد الحرص على تعلم المتون في الزوايا، وكان القضية محل إجماع من الاتجاهات الإصلاحية والطرقية، وبرز ذلك في البعثات الفردية والجماعية للجامعات المجاورة في الزيتونة والقرويين، وستظهر ثمار هذا الحرص في النهضة الجزائرية التي برز فيها كتاب مقتدرون نافسوا، بل وبزوا المشاركة، وكفى بالبشير الإبراهيمي شاهدا.

(1) جريدة المبعثر (1966-12-27)، عن تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3 ص 411.

(2) اسلام بلام، "العامية الجزائرية في لسان العرب وجدل التاريخ"، جريدة البصائر، ع 964، في (10-19 جوان 2019) ص 22.

(3) ناصر الدين سعيدوني، ذاكرة مدينة قسنطينة، الجزائر، دار البصائر الجديدة، 2016، مج 3 ص 303.

(4) الراهب الجاسوس شارل أوجين دو فوكو، ولد بفرنسا (1858) وتخرج ضابطا من كلية سان سير (1878)، عمل جاسوسا بالمغرب الأقصى، ثم دخل الجزائر، وصار نشطا بالكنسية منذ (1886)، وتعين راهبا (1901)، جاب واحات الساورة، ثم دخل بلاد الهقار، ليقتل على يد الإخوان

السنوسيين في (1916). انظر الحركة الوطنية الجزائرية (1860-1900)، مرجع سابق، ج 1 ص 410

6- نشر التعليم الفرنسي: وذلك بالتدريج وحسب الحاجات، وكانت تلك السياسية متغيرة حسب الأنظمة، وفي ترسيخ ما سلف يقول وزير التعليم الفرنسي " ألفرد رامبو " سنة (1897): "كان الغزو الأول قد تم بالسلاح وانتهى (1871م) بانتزاع السلاح من بلاد القبائل⁽¹⁾، ويتمثل الغزو الثاني في حمل الأهالي على أن يقبلوا بإرادتنا وبعدالتنا، وسوف يتحقق الغزو الثالث عن طريق المدرسة، إذ يجب أن تكون سيطرة لغتنا على اللهجات المحلية المختلفة مضمونة، وأن تدخل في أذهان المسلمين الفكرة التي نحملها نحن أنفسنا عن فرنسا ودورها في العالم، وأن تحل محل الجهل والأفكار المسبقة المنغلقة المفاهيم الابتدائية والمدققة للعلم الأوروبي"⁽²⁾. وقد كتبت دراسات كثيرة عن التعليم الفرنسي وتوظيف المعلمين، ومنها دراسة ايفون تيران: المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة، المدارس والممارسات الطبية والدين (1830-1880)⁽³⁾.

الخلاصات: لم ينصرم القرن التاسع عشر إلا بتغير كبير في إيديولوجية الزوايا، وصار الكثير منها راضيا أو ساكتا، أو متربصا، أو منظرًا ساعة الفرج، ولكن الطرق لم تستسلم، وإنما انهزمت أمام الكاسحات الفرنسية، وهذا ما جعل الفرد يتعلق بها لتحقيق الخلاص الأخروي بعد فشل الخلاص الدنيوي، وهو السرّ في تعلق عموم الجزائريين بالطرق وشيوخها بعد إقفار البلاد من السلطة السياسية ومن الأجواد ورجال الميعاد، ومن نتائج ما سلف من الموقف الفرنسي من الوضعية الدينية والتعليمية ما يأتي:

أ- أدى إفقار الزوايا من الشيوخ الواصلين لفقدان الشعب لقيادته الروحية بعدما خسر قياداته الدنيوية⁽⁴⁾.

ب- ظهور مدعي المهديّة ورجال الساعة، أو من يعرفون بالأشراف المزيّفين الذين قادوا المقاومة في مغامرات لم تتحمس لها الطرق المهيكلّة⁽⁵⁾، وبروز ظاهرة المدّاحين المتغنين بأمجاد الأبطال والشيوخ.

ج- كثرة الهجرة خارج الجزائر، فكثير من القادرين إلى المشرق في الشام والحجاز، والدردقاويون والطيبيون إلى المغرب، والرحمانيون إلى تونس والشام، والسنوسيون إلى ليبيا، وهو ما جعل البلد تعاني فقرا علميا.

د- فشل محاولات التجنيس، فالنتائج لم تكن مشجعة منذ البداية، فعدد المتجنسين من الجزائريين لم يتجاوز (371) م خلال عشر سنوات (1865-1875)⁽⁶⁾، وهو ما يدل على عمق الحصانة الدينية للجزائريين.

هـ- أدت المجاعات والأوبئة⁽⁷⁾، ومخلفات الحروب إلى تغير ديمغرافي كبير في بنية المجتمع الجزائري.

و- الارتباط المعنوي والمادي بالطرق بقي قائما، فالضغط والمحق الفرنسي لم يزد الجزائريين إلا التحاما بطرقهم الصوفية المعبرة عن روح استقلالية ثقافية تجاه الوافد الغازي، كما يقول أجرون: "إنه من المستحيل

(1) غير صحيح، فتورة بوعمامة انطلقت سنة 1881 وشملت الصحراء الوسطى والجنوب الوهراني.

(2) الميلّي، الشيخ مبارك الميلّي، مرجع سابق، ص 56.

(3) ايفون تيران، المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة، المدارس والممارسات الطبية والدين، مرجع سابق، ص 256.

(4) انظر الحركة الوطنية الجزائرية (1860-1900)، مرجع سابق، ج 1 ص 312.

(5) تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4 ص 38، أمثال: بوعود، ببورمة، بوسيف، لابس القشّابية، محمد بن عبد الله، بوبغلة.... إلخ.

(6) الميلّي، الشيخ مبارك الميلّي، مرجع سابق، ص 66.

(7) القرن التاسع عشر مليء بالجوائح التي أصابت الجزائريين. انظر ابن العنّري، مجاعات قسنطينة (1804-1876)، تحقيق رابح بونار، 1974، ص 12. يوهان كارل بيرنت، الأمير عبد القادر، ط 2، الجزائر، دار هومة، 1996، ص 78. عبد الحميد زوزو، الأوراس، مرجع سابق، ج 1 ص 247.

التأكيد كما يفعل الفرنسيون عادة أن مظاهر التعصب الديني والإقبال على الطرق الصوفية قد تضاعف منذ 1830"⁽¹⁾.

ز- الطرق التي بدأت مقاومة للاستعمار أدت رسالتها وواجب الوقت، ولكنها انتهت مهادنة أو مدجنة أو منكفئة سادة أبوابها على نفسها في انتظار الفرج من المهدي أو صاحب الساعة، أو تصرف رجال الديوان، وانتهت إلى جبرية قاتلة ورضا بالمقدور وهو السيف المصلت من المستعمرين. وفي هذا يقول محمد الميلي: "لا خلاف على أن الزوايا الطرقية قد تصدت للاحتلال الفرنسي بقوة، وقادت ضده أعنف الثورات والتمردات، الأمير عبد القادر، والشيخ الحداد، وأولاد سيدي الشيخ، ... ألم يحمل المسئولون الفرنسيون مسؤولية ثورة بوبغلة إلى الطريقة الطيبية، التي كان هو مقدمها وممثلها، إذن فتاريخ الزوايا في الكفاح ضد الاستعمار لا غبار عليه"⁽²⁾.
ح- تقارب الفعل الفرنسي تجاه الزوايا في كل مراحل الملكيات والجمهوريات وعند كل التيارات السياسية⁽³⁾، التي اتفقت على محو الدين من الخارطة الجزائرية تبعا لرؤيتها العلمانية المتطرفة الكارهة للدين من الثورة الفرنسية وصراعها مع الإكليروس الرسمي، بل وتسليطه على رقاب الجزائريين لأغراض المسخ والتنصير.

ويحسن بنا أن نختم هذا بالتقييم الجيد لسعد الله: "لقد نمت الطرق الصوفية في آخر القرن الماضي بالجزائر نتيجة عدة عوامل، إن فكرة الخلاص الروحي على يد الشيخ كانت أبرز هذه العوامل، لقد وضع الاستعمار، بجيشه واستيطانه وإدارته وقوانينه الاستثنائية، كلكه على صدر الجزائر فلم يعد لأهلها من طريق للخلاص إلا العقيدة في الشيخ، فالتحرك السياسي كان منعما والتدخل الخارجي غير وارد والثورات قد فشلت، وهكذا كانت الطرق الصوفية هي الملجأ، وقد لاحظ ذلك علماء الاجتماع الفرنسيون، ورأوا أن ذلك كان لفائدة الإدارة الفرنسية ولصالح الهدوء والاستقرار، ولقد شجع الفرنسيون ذلك فأكثرُوا من الطرق المستقلة، ومنحوا الشيخ سلطات روحية على أتباعه بشرط أن يكون مواليا ومخلصا لفرنسا، وزاد الجهل الذي تولد عن سبعين سنة من الإهمال للتعليم وتدجين العلماء الموظفين، من تعميق التخلف العقلي لدى العامة فارتَموا في أحضان الطرق الصوفية باعتبارها تمثل الدين وتعد بالخلاص بينما ارتمت الطرق الصوفية نفسها في أحضان السلطة الفرنسية"⁽⁴⁾.

الخلاصة: انتهت تلك الدورة التاريخية في نهايات القرن التاسع عشر بانتصار ظاهري للمستعمر الفرنسي، ولكنه نصر منقوص الأركان، حيث لم يفلح في هزيمة العقيدة أو محو الذاكرة الجماعية للجزائريين، وهو ما سببهم لخوض جولة ثانية من المقاومة الثقافية التي ستثمر ميلاد حركات ونخب جديدة، بل وطرق وتنظيمات دينية تعيد المعركة إلى أساسها الأول وهو الرفض للاحتلال، والإعداد بالمفتاح والممكن للإعداد ليوم المفاصلة في ثورة التحرير الكبرى.

(1) محمد الميلي، الشيخ مبارك الميلي، مرجع سابق، ص 38.

(2) محمد الميلي، المرجع السابق، ص 35.

(3) تقلبت الجزائر في عهود ملكية شارل العاشر، ثم نظام الاسترجاع للويس فيليب، وكان فيها القادة: كلوزيل، بيرترين، دي روفيجو، بيجو، ثم جمهورية (1852-1948)، أما النظام في الجزائر فكان يسمى بالحكومة العامة للجزائر، وفي سنة (1858) أنشئت وزارة الجزائر والمستعمرات.

(4) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 299.

المبحث الرابع: جذور الإصلاح الديني في الجزائر.

تستند الحركة الإصلاحية في الجزائر على أقدام راسخة جعلتها تنقل أفكارها من القوة إلى الفعل وفي ظرف وجيز قلبت به المفاهيم، وانتشلت المجتمع الجزائري من أحوال ما بعد عصر الموحدين، ذلك العصر التي انقلبت فيه القيم، وتشبىء فيه الإنسان، وأوى إلى حضن التصوف وسربال الزهد، واستعاض بالأسمال والحروز عن غيرها، كما يقول مالك بن نبي⁽¹⁾.

إن تلك الهجعة التي اتخذت من المؤسسة الطرقية ملاذا لها كان لها ما يبررها من الانكفاف على الذات خوفا من استلاب العقيدة بعدما سلب الإسبان السواحل وقضموها، وحاولوا التمدد إلى الداخل طوال ثلاثمئة سنة منذ احتلال سبتة (1507)، ثم وهران (1509)، ولم يفلحوا إلى أن أتم هذا المشروع الفرنسيون.

المطلب الأول: الجذور البعيدة للإصلاح الجزائري.

يمكن العودة بالجذور القوية للإصلاح الجزائري إلى الآتي:

أولاً: المالكية الإصلاحية: تستند الإصلاحية الحديثة إلى تراث فقهي دائم داخل المدرسة المالكية متوتر ضد بعض السلوكات الصوفية وتمظهراتها الطرقية، وهذا ما نجده بجلاء عند المالكية المتقدمين الذين كانوا يتوجسون من التصوف وأهله، ولذلك نماذج عديدة من المواقف والمؤلفات:

أ- موقف الإمام مالك من البدع وما لم يكن عليه عمل السلف، فقد نقل القاضي عياض عن المسيي قال: كنا عند مالك وأصحابه حوله، فقال رجل من أهل نصيبين: يا أبا عبد الله، عندنا قوم يقال لهم: الصوفية، يأكلون كثيراً، ثم يأخذون في القصائد، ثم يقومون فيرقصون، فقال مالك: أصبيان هم؟ قال: لا، قال: أمجانين؟ قال: لا، قوم مشايخ، قال مالك: ما سمعت أن أحداً من أهل الإسلام يفعل هذا⁽²⁾.

ب- حرق كتب أبي حامد الغزالي أيام المرابطين نتيجة فتاوى مجتهدي مالكية العصر كابن حمدون وغيره⁽³⁾.

ج- محن ابن العريف الذي قتل⁽⁴⁾، وكذا زميله ابن برجان⁽⁵⁾، ومتصوفة الأندلس مع الفقهاء. حيث كانت الفتاوى تترى من الفقهاء ضد المتصوفة الفلاسفيين كابن عربي وابن سبعين والعفيف التلمساني وغيرهم من الموغلين في التفسير الباطني كما نقل القرطبي عن شيخه أبي العباس القرطبي: ذهب قومٌ من زنادقة الباطنية إلى سلوك طريقٍ تلزم منه هذه الأحكام الشرعية، فقالوا: هذه الأحكام الشرعية العامة إنما يحكم بها على الأنبياء والعامة، وأما الأولياء وأهل الخصوص فلا يحتاجون إلى تلك النصوص، بل إنما يُراد منهم ما يقع في

(1) انظر مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دمشق، دار الفكر، 1985، ص 28.

(2) القاضي عياض، ترتيب المدارك، مصدر سابق، ج 3 ص 35.

(3) محمد الأمين بليغ، الحياة الفكرية في الأندلس في عهد المرابطين، ط1، الجزائر، دار القافلة، 2014، ج 1 ص 383.

(4) ابن العريف أحمد بن محمد بن موسى أبو العباس الصنهاجي المري الأندلسي (481-536هـ/1088-1141م) صوفي مقرئ له: محاسن المجالس، مطالع الأنوار ومنابع الأسرار. انظر شذرات الذهب، مصدر سابق، ج 4 ص 112. الأعلام، مرجع سابق، ج 1 ص 215.

(5) ابن برجان: أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمان الإشبيلي (536هـ/1141م) امتحن من فقهاء مراكش. أيام علي بن يوسف بن تاشفين، من آثاره: شرح أسماء الله الحسنى، تفسير القرآن "تنبيه الألفهام إلى تدبر الكتاب والتعرف على الآيات والأنباء العظام". انظر البداية والنهاية، مصدر سابق، ج 12 ص 326/ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 199، ج 4 ص 230. الأعلام، مرجع سابق، ج 4 ص 6.

قلوبهم، ويحكم عليهم بما يغلب عليهم من خواطرهم. وقالوا: وذلك لصفاء قلوبهم عن الأكدار، وخلوها عن الأغيار، فتجلى لهم العلوم الإلهية والحقائق الربانية، فيقفون على أسرار الكائنات، ويعلمون أحكام الجزئيات، فيستغنون بها عن أحكام الشرائع الكليات، كما اتفق للخضر، فإنه استغنى بما تجلى له من العلوم عما كان عند موسى من تلك الفهوم. وقد جاء فيما ينقلون: استفت قلبك وإن أفثاك المفتون. قال شيخنا رضي الله عنه: وهذا القول زندقة وكفر يقتل قائله ولا يُستتاب؛ لأنه إنكار ما علم من الشرائع، فإن الله تعالى قد أجرى سنته وأنفذ حكمته بأن أحكامه لا تعلم إلا بواسطة رسله السّفراء بينه وبين خلقه، وهم المبلّغون عنه رسالته وكلامه، المبينون شرائعه وأحكامه، اختارهم لذلك، وخصّهم بما هنالك⁽¹⁾.

د- فتاوى مختلفة ضد بعض الصوفية كما هو الحال من الطرطوشي الذي سئل عن رقص الصوفية ومواجههم فقال: "مذهب هؤلاء بطالة وجهالة وضلالة، وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلاً جسداً له خوار، قاموا يرقصون حواليه، ويتواجدون، فهو دين الكفار وعباد العجل، وأما القضيب فأول من أحدثه الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله تعالى، وإنما كان يجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه كأنما على رؤوسهم الطير من الوقار، فينبغي للسلطان ونوابه أن يمنعمهم من الحضور في المساجد وغيرها، ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم، ولا يعينهم على باطلهم. هذا مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل، وغيرهم من أئمة المسلمين"⁽²⁾.

هـ- مؤلفات ناقدة للوضع الديني وبدع متصوفة العصر كما هو الحال مع ابن الحاج⁽³⁾. صاحب الكتاب الشهير: "المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبيه على كثير من البدع المحدثه والعوائد المنتحلة". ثانياً: المعارك الصوفية الفقهية: وهي كثيرة توزعت بين الأندلس والمغرب بأقطاره الثلاثة، ولكننا سنقتصر على واحدة متأخرة، وهي المتعلقة بانقسام فقهاء تلمسان إلى فريقين، واحد مناصر للتصوف ويرأسه الإمام التوحيدي السنوسي، وآخر سلفي يقوده العقباني، وذلك في الرد على ما جرى من نقول عن الفقيه المغربي أبو الحسن الصغير الزرويلي (ت 719)، والذي هاجم متصوفة الوقت، فكان رد السنوسي عليه "نصرة الفقير في الرد على أبي الحسن الصغير"، وأمر طلبته بإحراق فتاويه⁽⁴⁾. وأسهم ابن مرزوق الحفيد⁽⁵⁾ في هذه المعارك

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1964، ج 11 ص 40.

(2) ابن الحاج العبدري، المدخل، بيروت، دار التراث، د. ت. ج 3 ص 100.

(3) ابن الحاج أبو عبد الله محمد بن محمد الفاسي العبدري ولد بفاس وتوفي بالقاهرة (737هـ) انظر ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تحقيق محمد الأحمدى أبو النور، ط2، القاهرة، مكتبة دار التراث، 2005، ج 2 ص 255. شجرة النور، مرجع سابق، (769)، ص 218. الأعلام، مرجع سابق، ج 7 ص 264. معجم المؤلفين، مرجع سابق، ج 3 ص 682.

(4) الإمام السنوسي، نصرة الفقير في الرد على أبي الحسن الصغير، ص 404. البوعبدلي، الحياة الثقافية بالجزائر، مرجع سابق، ص 118.

(5) ابن مرزوق الحفيد محمد بن أحمد العجيسي التلمساني (766-842هـ) فقيه مشارك أصولي حجة. لقي بالمشرق ابن حجر وابن خلدون، والنويري. من آثاره: نهاية الأمل في شرح الجمل، شرح الشقراطسية، نظم ابن البناء، أنوار الدراري في مكررات البخاري، المنزع النبيل في شرح خليل، عقيدة أهل التوحيد، شرح البخاري، والروضة ومختصرها الحديقة في علم الحديث، شرح البردة، انظر: البستان، مصدر سابق، ص 201. شجرة النور، ص 253. فهرس الفهارس، مصدر سابق، ج 1 ص 382. معجم أعلام الجزائر، ص 291. معجم المؤلفين، مرجع سابق، ج 3 ص 97.

فقد: "كان من أشد الناس إنكارا على طائفة أهل البدع الذين كانوا في زمنه، ففي سيرتهم ما يمدح وما يذم حسبما نقل في طريقته، ومع ذلك كان أشد الناس إنكارا عليهم في الأصل والفرع"⁽¹⁾. وقد كتب ضد قاسم العقباني كتاب "النصح الخالص في الرد على المدعي رتبة الكمال الناقص". حيث صوّب هذا الأخير بعضا من صنيع فقراء المتصوفة.

ومن رواد السلفية تلميذ زروق الشيخ محمد بن علي الخروبي، وكان سفيرا للأتراك ووقعت بينه وبين علماء المغرب مناظرات⁽²⁾، ويقابله في الانتصار للمتصوفة شريكه في الأخذ عن زروق الملياني بن يوسف.

ومن تونس برز أبو القاسم العبدوسي الفاسي نزيل تونس (ت837هـ) الذي هاجم مبتدعة المتصوفة الذين: "يصرحون فيهم بأمور كالرافضية والسحر، ويرون أن من عصى الله بالزنى وشرب الخمر أيسر أمرا ممن اتبع طريقته"⁽³⁾.

وفي المجال ذاته سجد أقلاما جزائرية ترد وبقوة على أصحاب الاتجاه الصوفي الفلسفي والحلولي، فقد كتب ابن أبي حجلة أحمد بن يحيى بن أبي بكر التلمساني (776هـ-1375م) كتابا في الاعتراض على ابن الفارض في "فيض العارض في معارضة ابن الفارض"⁽⁴⁾، وفي المجال ذاته نجد ردا للوزان عمر بن محمد الكماد القسنطيني (965هـ-1558) على الطريقة الشاذلية في تونس، في كتابه: "الرد على الشاذلية أصحاب المراتب عرفة القيرواني"⁽⁵⁾.

وفي العهد التركي كلف الباي محمد عثمان الكبير رئيس المجلس العلمي محمد بن عبد الله الجلاي بمناقشة آراء أحمد التجاني، والذي رد عليه بكتاب، فرد عليه محمد بن حواء بن يخلف بكتاب مطول في قضايا التقليد والكشف⁽⁶⁾، وكذا كان الأمر مع داي الجزائر الذي عقد محاكمة علمية للشيخ محمد بن عبد الرحمان من قبل المجلس العلمي برئاسة علي بن الأمين مفتي المالكية⁽⁷⁾.

ثالثا- المجاور الإباضي: يمتاز الإباضية في الغرب الإسلامي بظاهريتهم الشديدة، ووقوفهم عند النصوص، ولذا كانت مواقفهم متشددة ضدّ التصوف وطرائقه، فقد خلت ساحاتهم العلمية من وجود طرائق صوفية نتيجة لبنية المذهب المنشد للقضايا العملية، ونتيجة لبنية التجمعات الإباضية التي كانت قصورها مشغولة بتدبير هيئات العزابة لها، مما جعلها خالية من تسلل الطرائق الصوفية إليها، ولكن هذا لا ينفي وجود متزعم زهدي صوفي كما هو في تأليف الوردجاني والجيطالي وغيرهم.

(1) عبد الكريم الفكون، منشور الهداية، مصدر سابق، ص 144. انظر البوعبدلي، الحياة الثقافية بالجزائر، لقطات من ظهور السلفية بالجزائر انطلاقا من أوائل القرن 9هـ. مرجع سابق، ص 117.

(2) له رسالة الفقراء انتقد فيه التوسع في الكرامات، وأكل أموال الناس بها: انظر حركات إبراهيم، السياسة والمجتمع في العهد السعدي، السياسة والمجتمع في العهد السعدي، الدار البيضاء، دار الرشاد، 1987، ص 367.

(3) الفكون عبد الكريم، منشور الهداية، مصدر سابق، ص 144.

(4) المقري، نفح الطيب، مصدر سابق، ج 2 ص 200. معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 364. الأعلام، مرجع سابق، ج 1 ص 267.

(5) تعريف الخلف، ج 1 ص 88. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1 ص 390. أم الحواضر، ص 138. معجم أعلام الجزائر، ص 342.

(6) البوعبدلي، جوانب من الحياة الثقافية بالجزائر في العهد العثماني، مرجع سابق، ص 72-76.

(7) انظر البوعبدلي، الحياة الثقافية بالجزائر، لقطات من ظهور السلفية بالجزائر انطلاقا من أوائل القرن 9هـ. مرجع سابق، ص 124.

وسيسهم الإباضية في الحركة الإصلاحية مساندين الإصلاح ضد خصومه الطرقيين، وسينقسمون هم أيضا إلى محافظين وإصلاحيين، وسيكون الجدل بينهم شديدا في القضايا التي جدّت على الساحة الإسلامية في القرن العشرين. وسيظهر هذا النموذج الجدلي الحاد مع مفتي ميزاب الشيخ حمو بن باحمد (1957) في كتابه "الحجج الدامغة لبدع الفئة الزائغة" أي الإصلاحيين أتباع الشيخ إبراهيم بيوض.

رابعا: نماذج الفقهاء المتصوفة المقتصدين: وهم في الحقيقة الكثرة الغالبة من علماء الجزائر الذين زاجوا بين الفقه المالكي والاعتقاد الأشعري والسلوك الصوفي السني البعيد عن الشطحات والخرافات التي نحا إليها التفكير المرباطي المتأخر، وما ألصق به من بدع وفلكور شأن بها الوجه الحقيقي للتصوف.

ويمكن التمثيل هنا لثلاثة أعلام مهمين تركوا آثارهم الكبيرة في متصوفة الجزائر وهم:

1- عبد الحق الإشبيلي البجائي⁽¹⁾: صاحب كتب الحديث الممتزجة بالنظرات الصوفية.

2- أحمد زروق الفاسي البرنسي⁽²⁾ الذي استقر بالجزائر مدة، وكان يعرف بمحتسب الصوفية.

وقد نقد زروق البدع الشائعة: "تبعّت الطرق الاصطلاحية الموجودة بأيدي الناس فلم أجد عند أهلها نفحة ولا نورا ولا حقيقة ولا علما ولا ذوقا ولا فهما جاريا على القياس الأول، إلا لذّة نفسية غالها من استشعار الرئاسة والالتذاذ بالامتياز والاختصاص بالنسبة"⁽³⁾، كما قال بوجوب الاحتساب عليهم بالقوة وتغيير منكرهم، ومن ذلك كلامه عن جماعة من الفاسيين، فقال: تهدم ديارهم وتُفرّق جموعهم ويسامون سوء العذاب حتى يقلعوا عن ذلك، ووافقه جماعة على ذلك من شيوخ وقته وذلك سنة (873هـ)⁽⁴⁾.

ونقل الفكون تطبيقات فقهية عن زروق في هجر أهل البدع: "أفتى بعض العلماء الفاسيين بأن من جلس معهم أو مشى معهم أو تعلم منهم أو أكل معهم أو حضر في مجلسهم، فقد نقض الإسلام عروة عروة، وقال: وكان أهل السنّة وأهل الشرع وأهل الورع إذا نظروا إليهم يثبون منهم كوثب البعير إذا انحل عقاله"⁽⁵⁾.

وس يظهر أثر زروق في اعتداد أبي حفص عمر الوزان به، وبأنه من أتباع دعوته، لأن أحمد زروق كان يتردّد على قسنطينة ولأبيه معرفة به، وكان هناك مسجد بها ينسب إليه ويسمى جامع الجوزة⁽⁶⁾، وقد ظهرت إصلاحية الوزان في اهتمامه بكتب الحديث والعودة لأصول، وإذ كان يحفظ البخاري بأسانيد⁽⁷⁾.

(1) البجائي: أبو محمد عبد الحق الأزدي البجائي ابن الخراط (514-581هـ) له: الأحكام الكبرى والوسطى والصغرى، الجامع الكبير، المرشد، العاقبة، علم التذكير، التوبة، الرقاق. انظر: الغبريني، عنوان الدراية، مرجع سابق، ص 18. الديباج، مرجع سابق، ج 2 ص 60.

(2) أحمد زروق البرنسي: ولد بفاس (864هـ)، تتلمذ للثعالبي والمشدالي والرصاع وابن زكري، حج مرات، واستقر ببجاية، ثم بليبيا أين توفي بمصراته (999هـ) من آثاره: النصيحة الكافية، شرح الرسالة، القواعد في التصوف، عدة المريد الصادق، انظر البستان، مصدر سابق، ص 50.

شجرة النور، (988) ص 267. معجم مشاهير المغاربة، ص 250. معجم المؤلفين، مرجع سابق، ج 1 ص 98. الأعلام، مرجع سابق، ج 1 ص 91.

(3) البوعبدلي، الأعمال الكاملة، التعريف بالكتب، مرجع سابق، ص 57.

(4) عبد الكريم الفكون، منشور الهداية، مصدر سابق، ص 144.

(5) زروق، الرد على أهل البدع، عن الفكون، المصدر نفسه، ص 190.

(6) الفكون، منشور الهداية، مصدر سابق، ص 36. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 85.

(7) عبد الكريم الفكون، منشور الهداية، مصدر سابق، ص 36.

ومن الأثر البالغ للشيخ زروق البرنسي في إصلاح التصوف ما نقله عنه الفكون من أن أمر التربية الحقيقي ارتفع في سنة (824)، ولم يبق شيوخ ناهون واصلون، وأوصى باتباع السنّة⁽¹⁾. كما سيظهر أثر زروق في الأخضرى الذي تتلمذ عليه والده.

وستظهر هذه الآثار الزروقية في حركات بعض المتصوفة الناقمين على فقراء الوقت ممن تخلوا عن العلم الشرعي كما هو الحال مع عبد الرحمان أهلول المجاجي أخو علي أبو الحسن الذي قُتل غدرا، وهو شيخ سعيد قدورة الذي رثاه، كما رثاه عبد الكريم الفكون، وكان عبد الرحمان أهلول المجاجي قد أرسل قصيدة في الرد على أهل البدع للفكون ليشرحها⁽²⁾.

كما سيبز الأثر الزروقي مع الحسين الورثاني (1780م) شارح وظيفة الشيخ العبدلي في نقده المتكرر لصوفية الوقت في رحلته الشهيرة، والتي ذكر فيها نقودا ونقوضا وامتعاضا من المظاهر الشائنة التي لحقت بالتصوف، ومما يؤكد إصلاحية الورثاني هو شرحه لقدسية الأخضرى "الكواكب العرفانية والشوارق الأنسية في شرح ألفاظ القدسية"⁽³⁾.

3- عبد الرحمان الثعالبي⁽⁴⁾: الإمام الذي ترك آثاره المعرفية فيمن بعده، وخاصة وأنه جمع إلى الفقه الحديث، حيث انتهت إليه أسانيد البخاري، وترك تأثيره الواضح في تلميذه محمد بن عبد الكريم المغيلي حامل لواء الإصلاح في توات وإفريقيا الغربية، كما كان له دور رائد في إدارة الجماعة في العاصمة قبيل الدخول التركي، وأسهم بجلاء في الحض على الاستعداد للجهاد ضد الأساطيل الإسبانية التي كانت تهاجم سواحل الجزائر، ويحتفظ لنا التاريخ برسالة مهمة منه لأهل بجاية في هذا المجال⁽⁵⁾. ومما يذكر للمغيلي هنا نقده الكبير للدخلاء على التصوف في كتابه "تنبيه الغافلين من مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين".

ولا يمكننا إغفال بعض الأصوات المتأخرة في الغرب الجزائري كمحمد بن حواء في منظومته: "سبيكة العقيان فيمن حل بمستغانم وأحوازاها من الأعيان" حيث تعرض إلى كشف فضائحهم وانحرافاتهم عن تعاليم الدين⁽⁶⁾.

كما تدول الفقهاء والمتصوفة المقتصدون النصيحة العمرسية لمحمد حرم العمروسي، ومطلعها: تمسك بحبل الشرع واضرب بسيفه.... رؤوس المعاصي واتخذ منه جوشنا⁽¹⁾. ومما جاء فيها:

(1) عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص 143.

(2) عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص 226.

(3) تعريف الخلف، مرجع سابق، ج 1 ص 397. معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 340. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 2 ص 230. وقد نشره الدكتور محمد بن عبد الكريم الجزائري في الجزائر بدار الخلدونية سنة (2012).

(4) الثعالبي (786-875-1384-1470م) انظر شجرة النور الزكية (976)، ص 264. تعريف الخلف، ج 1 ص 73. معجم المؤلفين، ج 2 ص 122. الأعلام، ج 3 ص 313. معجم أعلام الجزائر، ص 90. عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، الجزائر، دار الأمة، 2014 ج 2 ص 360.

(5) سعد الله، أبحاث وأراء، مرجع سابق، ج 1 ص 201.

(6) البوعبدلي، التعريف بالكتب، مرجع سابق، ص 55.

جعلتم طريق القوم رقصا وصيحة... ومنكر أصوات يهيجها الغنا
وحرفتم التهليل عن وضعه الذي..... أتانا به التنزيل من عند ربنا
وطرقتم فيه طرائق لم يكن..... عليها رسول الله والقوم قبلنا
فما زدتم المردان إلا تمردا.... وما زدتم السيبان إلا تشيطنا

المطلب الثاني: إصلاحات الوضع الصوفي في العهد العثماني.

أولا- اللحظة الأخضرية: يشكل عبد الرحمان الأخضرى⁽²⁾ لحظة فارقة في انتقاد الوضع الديني الذي آلت إليه بعض المسلكيات الصوفية في عهده، وقد اشتهر بقصيدته " القدسية " التي غدت أنجيل الفقهاء والإصلاحيين من بعد في نقد الواقع الطرقي. بل وحتى الطرقيين الذين راعهم كثرة التلبس بلباس التصوف من غير أهله من المبطلين⁽³⁾.

والأخضرى متأثر بزروق بطريق والده الذي درس عليه بتمقرة بالقبائل الصغرى، كما أنه متأثر حتما بأصداء حركة سعادة الرياحي الطولقي⁽⁴⁾، والذي سعى لإعادة الدين إلى نصابه في واقع قبلي متفلت من الالتزامات الشرعية والنظامية.

أشار الإمام عبد الرحمان الأخضرى إلى شيوع ادعاء الولاية في زمانه، وألف القصيدة القدسية في الرد على انحرافات أدعياء التصوف في زمانه، والذين تناسلت أعدادهم مما جر بعضهم إلى مخالفة الشريعة⁽⁵⁾.

وللدلالة على خطورة اللحظة الأخضرية فإننا ننقل بعض ما جاء في هذه القصيدة القدسية التي يقول فيها:

وقال بعض السادة الصوفية--- مقالة جليلة صافية

إذا رأيت رجلا يطير--- أو فوق ماء البحر قد يسير

ولم يقف عند حدود الشرع--- فإنه مستدرج أو بدعي

وأسفا على الطريق السابلة--- أفسدها طائفة الدجاجة

قد أحدثوا طريقة بدعية--- ورفضوا الطريقة الشرعية

وفي نقد الطبقة العلمائية يقول في لاميته التي جاوزت مائتين وخمسين بيتا، وجاء فيها⁽⁶⁾:

واحدروا علماء السوء فقد--- خُصوا بالإفك والخطل

(1) انظر السعيد أهلول الورثاني، الرد على العوام القائلين بوجوب تلقين الأوراد على الكافة، رسالة منشورة ضمن كتاب محمد الطاهر فضلاء، الشيخ السعيد أهلول الورثاني في مجموعة من رسائله ومجالسه وفتاويه، مرجع سابق، ص 137.

(2) الأخضرى (910-983هـ-1512-1575م): فقيه مالكي جزائري متفنن له آثار كثيرة منها السلم في المنطق، المختصر الفقهي، القدسية. انظر: شجرة النور (1181)، ص 285. تعريف الخلف، مرجع سابق، ج 1 ص 72. تاريخ الجزائر العام، ج 3 ص 79. معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 14. معجم المؤلفين، مرجع سابق، ج 2 ص 119. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 2 ص 73. معجم أعلام بسكرة، مرجع سابق، ص 26.

(3) يحيل ابن قشوط عليه في كتابه الإرشاد كثيرا، وهو من مناصري الطرق الصوفية، انظر كتاب محمد العربي بن قشوط، الإرشاد إلى سبيل الرشاد، ط2، الجزائر، دار كردادة، 2013، ص 66.

(4) انظر تاريخ ابن خلدون، مصدر سابق، ج 6 ص 51.

(5) انظر المهدي البوعبدلي، "عبد الرحمان الأخضرى وأطوار السلفية في الجزائر" الجزائر، مجلة الأصاله، العدد 53، يناير 1978، ص 21.

(6) انظر البوعبدلي، الأعمال الكاملة، التراجم، مرجع سابق، ص 92.

حفظوا الأقوال وما عملوا—بالعلم فساء القوم قل

ما حرفتهم إلا لعب--- ولحوم الناس بلا قلل

ثانيا- اللحظة الفكونية: يمثل شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون⁽¹⁾ أحد الركائز القوية للقول بوجود جذور إصلاحية جزائرية قوية، وذلك في كتابه الفريد "منشور الهداية في حال من ادعى العلم والولاية"، وهو كتاب ثوري في زمانه، إذا ما قورن بمؤلفات العصر التي غاب عنها التجديد، وكانت في أغلبها حواش وتقارير وتكرار لما ألفه السابقون.

كانت نقود شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون القسنطيني (1662م) إلى كثرة مدعي الولاية والكرامة في زمن الجزائر العثمانية وألف كتابه هذا للرد على هؤلاء⁽²⁾.

تظهر فرادة الفكون في كونه مجددا للرؤية السنية في القول بالكرامات والخوارق والرؤى المنضبطة بالشرع وحده: "والطريق الحق والقسطاس المستقيم في كل من أشير إليه بإشارة الولاية أو ظهرت على يديه الخوارق أن نعتبره بمعيار الشرع: فمن رأيت على الجادة قولا وفعلا واعتقادا عارفا به وبما جاء عنه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم مجانباً للحرام وتناوله، تاركا للشبهات محافظا على دينه مباعدا للصووص ومخالطهم... فهذا إذا ظهرت عليه لوايح الخوارق.. فيعتقد في صاحب ذلك، وأما من خالف هذه الأوصاف.. فالزندقة أقرب إليه من الإسلام"⁽³⁾.

وقد قسم الكتاب إلى ثلاثة فصول: فصل في العلماء الذين لقيهم، والثاني في المتشبهين بالعلماء، والأخير في المبتدعة الذين شوهوا الدين وأفسدوا التصوف، وأخيرا في إخوان العصر الذين عاشهم وعاصروهم من العلماء والصلحاء⁽⁴⁾.

والكتاب حملة جارفة على مدعي الصلاح ومنتسبي العلم الذين لم يوفوه حقه، وأغلب تراجمه كانت سلقا لهؤلاء، ففي الصنف العلمائي العادي رمى بعضهم بتعاطي علم أسرار الحروف⁽⁵⁾، وهو مدخل مهم لمتصوفة الوقت الذين يأكلون أموال الناس بدعوى الشفاء ومعرفة الغيب.

كما انتقد بعض العلماء الموغلين في العلوم الخفية بما يسمونه التخديم -استخدام الجن والعزائم واستعمال الطلاسم كحال أحمد الجزيري الذي كان يتعاطى حرفة البحث عن الكنوز وتخديم الروحانية⁽⁶⁾.

(1) عبد الكريم بن محمد التميمي القسنطيني (988-1073هـ/1580-1662م) تتلمذ ليعي الأوراسي، ومحمد التواتي المغربي، محمد بن راشد الزواوي، محمد الفاسي المغربي، وتتلمذ له أبو مهدي الثعالبي، يحيى الشاوي، بركات ابن باديس، أبو عمران الفكيين، من آثاره: محدد السنان في نحور إخوان الدخان، منشور الهداية، فتح اللطيف في التصريف، حوادث فقراء الوقت، سربال الردة فيمن جعل السبعين لرواة الإقرا عدة، الدرر في شرح المختصر للأخضري، شرح لامية المجرادي، انظر تعريف الخلف، ج 1 ص 192. أعلام الجزائر، ص 254. البوعبدلي، عبد الكريم الفكون والتعريف بمؤلفه منشور الهداية، مجلة الأضالة العدد 51، ص 15.

(2) سعد الله، مقدمة منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، مصدر سابق، ص 12. البوعبدلي، التراجم، مرجع سابق، ص 175.

(3) عبد الكريم الفكون، منشور الهداية، مصدر سابق، ص 146.

(4) سعد الله، مقدمة منشور الهداية، مصدر سابق، ص 17.

(5) انظر ترجمته يحيى بن سليمان الأوراسي في منشور الهداية، مصدر سابق، رقم 17، ص 54.

(6) عبد الكريم الفكون، منشور الهداية، ترجمة عبد الله بن غرارة، مصدر سابق، ص 70.

وهي ممارسات شائعة في مغارب ذلك الزمن نتيجة تأخر علوم الطب عما كانت عليه في الأزمنة الأولى. وهي الممارسات التي سينتقدها ابن مهنا بعد ذاك كثيرا، وستجلب ردودا عنيفة من علماء المغرب الأقصى. ومما انتقده على علماء زمانه استظهارهم بالعامية وتأليفهم الأشياء والأحزاب واستغوائهم بدعوى الصلاح والكرامة: "وأما استعمال أعوان السوء وأنصار الباطل، وارتضاؤه (ابن نعمون) خصلة الظلمة طريقة فلا يكاد يخفى أمرها إلا على غبي، فتراه يجمع حثالة الناس يزخرف لهم ناديمه بأكاذيب وترهات وتقولات ينسبها لمن سلف، ويتجراً على الله بدعاوى ومرائي لكي يصرف بها وجوه العامة وبعض الخاصة إليه، ويقطع زمانه ما بين حديث خرافة وتزكية النفس"⁽¹⁾.

وإذا كانت هذه بعض آرائه في المعتدلين من الفقهاء، فإنه عقد فاصلا جارفا " فيمن ادعى الولاية من الدجاجة الكذابين والمتشدقة والمبتدعة الضالين المضلين، فقد ذكر أن عبد الرحمان الأخضرى أمر تلامذته بضرب علي الغراب: "وكان الأخضرى فيما يقال يُظهر التكبر على مثل هؤلاء، وجعل قصيدة -القدسية- فيهم وفي نظائرهم من مبتدعة زمانه، وكان يطعن على جد قاسم بن أم هانئ ولا ينسبه للولاية"⁽²⁾.

بل إن الفكون يدّعي أن هؤلاء المتصوفة كانوا يدعون الكرامات لصرف اللصوص عن أموالهم، فقال: "والرعايا -أي الأتباع- المذكرون يشنعون- أي يروجون- أمره ويظهرون للصّوص خبره، ويتقولون على اللصوص تقاويل من كرامات ينسبونها له ليردعوا بذلك اللصوص عنهم، وليأمنوا في أموالهم وأهلهم". والكلام السابق عن قاسم بن أم هانئ الذي فشل في تبوء مكانة اجتماعية على الرغم من تنسكه وابتعاده، فضلا عن فشل ثورة أبيه بنقاوس⁽³⁾.

وانتقد الفكون أيضا اصطلياد الجهلة بفلكور الحضرة التي هاجمها فقال: "وجعل تلامذة وسماهم الفقراء على طريقة أهل البدع، واتخذوا الحضرة، وهي لعبة يتخذونها يراؤون بها الناس ولا يستخفون من الله، بها يأكلون ومنها يتمولون، وعلمها في قضاء أوطارهم يعولون، يجتمعون لذكر المولى جلّ جلاله فيغيرون اسمه ويشطحون ويرقصون، وربما يتضاربون، فتراهم ككلاب نابحة ولعابهم كمياه طافحة، وأنفاسهم كنيران نافحة"⁽⁴⁾.

ويسوق خبر علي خنجل المغربي الذي نزل ببونة (عنابة) وكان مسافرا بالبحر للمشرق: "فاجتمع له أهل البلدة شريفهم ومشروفهم، وكيف لا ورئيسهم المعتقدون فيه القطبانية والصلاح هرع إليه، فهل يسع أحد أن يتخلف عليه؟ فذكر لي الحاكي أنه جُعِلت له ليالي ممن آلات وتصفيق وشطح وإنشاد، وما مثلهم إلا كنادي جماعة الشرب في زعقاتهم وآلات طربهم واهوهم الي يجعلونه بابا لدخول الحضرة"⁽⁵⁾.

(1) عبد الكريم الفكون شيخ الإسلام، منشور الهداية، ص 87.

(2) عبد الكريم الفكون، المرصد السابق، ص 118.

(3) عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص 119.

(4) عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص 119.

(5) عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص 166.

وفي ثنايا النقد والنقض يستدعي الفكون قدسية لأخضري التي كانت إنجيلا للفقهاء ضد الصوفية⁽¹⁾

وأسفا على الطريق السالبة--- أفسدها طائفة الدجاجة

قد أحدثوا طريقة بدعية--- ورفضوا الطريقة الشرعية

كما يستدعي أيضا أرجوزة المباحث الأصلية في التصوف لابن البنا السرقسطي⁽²⁾، والتي اعتمدها الفقهاء في نقدهم لبعض مسلكيات المتصوفة، ومن ذلك قوله:

وقولنا الشيوخ والإخوان ----هم الذين سلفوا وبانوا

ماتوا ولم يتركوا موارث ----إذ هؤلاء القوم كالبواغث

إذ نقضوا الأصول والأركانا ----وصيروه في الورى ضهبانا

ففي نبرة غاضبة مكتبئة من زمانها يستدعي الفكون أقوال زروق في زمنه ويقول: "هذا كلامه-أي زروق- في أهل زمنه وهو بين أظهرهم وأنوار الولاية لم تسقط كل السقوط، فكيف بزماننا الذي انقلبت فيه السنة بدعة، وجُعِلت البدعة سنة يعضون عليها بالنواجذ، فقد أظلم الخافقان بظلمات أهل البدع والأهواء، وامتألت الأرض بهم فلا ترى أو تسمع إلا مخالفا للكتاب والسنة"⁽³⁾.

بل إنه ينتقد بعض الطلبة العوام وأكلهم أموال الناس بالباطل بدعوى أن ما يأخذونه من الأرزاق والهبات يصرفونه على متعلمي القرآن من الصغار والطلبة، فضلا عن تأجير أنفسهم على الإقراء في المناسبات والمآثم⁽⁴⁾.

كما تكلم الفكون عن ابتداع ظاهرة الأركاب -الركب الطرقي- ففي ترجمة أحمد بوعكاك يقول: "وصار أهل بلد قسنطينة يتجمعون له نساء ورجالا مع فقير من فقرائه ويقصدونه ركبا ويسمونهم الركب، وكل مهدي على قدره"⁽⁵⁾.

وستشيع ظاهرة الركب المضاهية للركب الحجي، وتصير مواسم مشهودة لحشد الأنصار والاستكثار من الأتباع، كما سبق من الكلام عن الظاهرة الركبية عند كل الطرق وخاصة الرحمانية في الشمال، والشيخية في الجنوب.

بل إنه ينتقد تصرفاتهم الاجتماعية مع النساء وكونها مخالفة للشريعة وذلك في ترجمته لبعض مدعي التصوف⁽⁶⁾، ومما انتقده في زمنه وهو بدايات تكوين الطرق الصوفية كمؤسسات مجتمعية ذات حضور في

(1) عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص 124 و 132.

(2) السرقسطي هو أحمد بن محمد بن يوسف التجيبي (ت 821هـ) والمنظومة في (454 بيتا)، وقد شرحها أحمد زروق في "اللوائح الفاسية في شرح المباحث الأصلية"، ثم أحمد بن عجيبة في "الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية".

(3) عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص 143.

(4) عبد الكريم الفكون، المرجع السابق، ص 128.

(5) عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص 134.

(6) انظر التراجم في منشور الهداية، رقم 60 ص 172، رقم 61 ص 176.

النسيج الاجتماعي ومنافسة لسلطة الفقهاء ظاهرة استكثار الأتباع الجهلة: "كثرة الأتباع والخدام، إلا أن الكثرة قل أن يكون معها إنتاج"⁽¹⁾.

وفي نظرة طريفة أشار الفكون إلى بدايات تشكل السلط الزمنية للمتصوفة بدعوى السلطنة على الأمكنة بحفظها روحيا: "وقد بلغ من أمر هذه الطائفة الدجاجة الكذابين أنهم يقولون: أرسلني الأولياء لحفظ هذا المكان، وبعضهم يقولون: أنا شاوش الصالحين، وبعضهم يقول: تنازعت أنا وفلان صاحب هذه المدينة أو هذا القطر فغلبته وأخرجته منه وأنا الآن مولاه"⁽²⁾.

وفي لغة قاسية خاتمة على مدعي التصوف في الوقت يقول الفكون: "وأما طائفة زماننا وجماعة بدع قطرنا فيما أعلمه، فقد تمحضت أمورهم في خالص البدع ونقضوا عرى السنة بمعاول أهوائهم الفاسدة، فلا تجد لهم في سيرتهم ما يلم أو يقارب حى الله ورسوله في أوامره، بل لا تراهم إلا خائضين في بحار المناهي والمنكرات، والتكالب على الدنيا والتفاخر بالشبهوات والتسبب في كثرة الأتباع السوء لاقتناص رتب الرئاسة، فلا يختلف اثنان في طردهم وردعهم ويجلبون عليهم بخيلهم ورجلهم في الله ولله حتى يظهروا التوبة ويعلموا الأوبئة"⁽³⁾.

وممن عاصر الفكون في هذه اللحظات الإصلاحية الشيخ المجاجي عبد الرحمان بن محمد بن علي في منظومته "قارعة الأسماع والقلوب في محاربة مبتدعة الدين المدعية علم الغيوب" وقد أهداها للفكون الذي كان ينوي شرحها⁽⁴⁾.

والخلاصة أن شيخ الإسلام عبد الكريم بن محمد الفكون كان علامة فارقة في التاريخ العقدي في الجزائر، وكان كتابه العاصف سدا كبج من جماح غلاة المتصوفة، واستطاع تقويم المعوج من المسلكيات ولكن إلى حين.

ثالثا- لحظة ابن أبي محلي السجل ماسي: صاحب الإمارة المشهورة بصحراء سجل ماسة⁽⁵⁾، وصاحب الجدل مع الشيخ عبد القادر بن محمد، والذي كتب في الرد على الأول رسالة في "إنكار دعوى الولاية والاجتهاد". كان سيدي الشيخ صهر ابن أبي محلي وتلميذه في ذات الوقت، ووقع الخلاف بينهما سنة (1010هـ)، حيث رد عليه ابن أبي محلي بسبب ما رآه بدعا منه في خمسة كتب، وممن ناظر سيدي الشيخ أيضا عالم الجزائر

(1) عبد الكريم الفكون، منشور الهداية، ص 138.

(2) عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص 139.

(3) عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص 145.

(4) البوعبدلي، التعريف بالكتب، مرجع سابق، ص 55.

(5) ابن أبي محلي أحمد (967-1022هـ-1560-1613) فقيه صوفي ثار على السعديين بعد فراغ السلطة وتقاتل أبناء المنصور، واستغل واقعة تسليم العرائش للبرتغال فأعلن الجهاد على السلطان زيدان، واحتل مراكش، وقتل بعد إمارة قصيرة ثلاث سنوات، وقال الإفرائي أن أصحابه بالساوره يعتقدون غيبته، الإفرائي، النزهة، ص 207. وانظر: السلاوي، الاستقصاء الأخبار دول المغرب الأقصى، ط2، بيروت، دار الكتب العلمية، 2010، ج 2 ص 394. له آثار كثيرة منها: تهيج الأسود السود لتهيج القردة والفهود، انظر البوعبدلي، الحياة الثقافية، ص 160.

سعيد قدورة أيام سياحته في الصحراء⁽¹⁾، ويظهر أن سيدي الشيخ اقتنع بجوابه، وممن رد على سيدي الشيخ أيضا المشرفي المعسكري ومحمد بن علي المجاجي، وممن هاجمه أيضا أبو القاسم بن عبد الفجار الفجيجي⁽²⁾. ومن هذا الجدل الإصلاحي المالكي الردود الكثيرة التي تناثرت على المنتسبين زورا إلى الشيخ أحمد بن يوسف الملياني⁽³⁾، وقال فيها ابن القاضي: "وإليه رحمه الله تنسب الطائفة اليوسفية بالمغرب الملعونة، وحاشاه أن يقول بمقاتلتهم، إذ هم أحلوا ما حرم الله تعالى، وقد اختلقوا بدعوتهم من ترك الصلاة والصوم واستباحة الزنى والديانة والقيادة، أذلهم الله وأخزاهم"⁽⁴⁾.

عرفت النحلة في المغرب بطائفة العكاكزة، واتهمت بالحلول والإباحية، ووجدنا ردا لأبي القاسم بن سلطان القسنطيني-التطواني- (ت بعد 995هـ)⁽⁵⁾ كتاب من مجلدين بعنوان "الانتصار للسنة والرد على الطائفة الأندلسية"، قال ابن سودة: "هو تأليف في العكاكزين الطائفة الملعونة"⁽⁶⁾. وكان لهم وجود بالمدينة، وبالمغرب مثل أولاد زكري قرب وجدة، والقضاضة-البضاوضة-على نهر أزكار على نهر أسبو⁽⁷⁾.

وفي المنوال ذاته نذكر كتاب الشيخ محمد بن أحمد بوتشنت المتأخر (1316هـ-1899)، وهو تلميذ للحاج الزراق، في: "كشف الغطا في الرد على إخواننا المليانيين الحاملين لنا على الخطا"⁽⁸⁾، ولا ندري مضمونه الآن. وفي الجدل ذاته يبرز عبد الله بن عزوز التلمساني (1204هـ-1792) والذي كان داعية إلى جمع الفقه والتصوف، في كتابه: "إظهار البدع وأرهاط المبتدعة"، وقد نادى فيه بنبذ البدع والعودة إلى الكتاب والسنة، وقال: "إن البدع في هذا الزمان لا نهاية لها، لكنهم كذا منحصرين في اثنين وسبعين بدعة، وكل بدعة عملت فرقة وافترقت بهذه الأمة على اثنين وسبعين فرقة كلهم ضالين مضلين يدعون إلى النار، وأصل هذه البدع هم أربعة طوائف: طائفة بعض المؤلفين وطائفة الفقهاء المدعون للولاية بالوهم، وطائفة الملوك المتجبرين، وطائفة القضاة الباغين"، ثم أوضح ما ابتدعته كل طائفة بالتفصيل وأنكر عليهم أفعالهم جميعا⁽⁹⁾.

(1) الشبهات المطروحة هي: الخلوة بالنسوان أثناء التلقين، تأخير صلاة العصر، الكذب في تقديم شخص للبيعة على أنه المولى زيدان ابن المنصور السعدي. انظر عبد الله حمادي: السلطان السجلماسي الفقيه الصوفي المفترى عليه، ج 1 ص 327. المهدي البوعبدلي، الأعمال الكاملة، قسم التراجم، مرجع سابق، ص 391. وحسبه فقد كان أبو القاسم بن عبد الجبار الفجيجي أستاذ أبي محلي من خصوم عبد القادر بن محمد أيضا، وكذلك الشيخ علي بن محمد صاحب معهد مجاجة.

(2) البوعبدلي، جوانب من الحياة الثقافية بالجزائر في العهد العثماني من ق 10 إلى ق 13، مرجع سابق، ص 65.

(3) ينسب للملياني أتباع إباحيون اتهموا بالزندقة، فدعا عليهم: من قال عنا ما لم نقله ابتلاه الله بالعلة والقلعة والموت على غير ملة". انظر البوعبدلي، جوانب من الحياة الثقافية بالجزائر، ص 67. معجم أعلام الجزائر، ص 315. الأعلام، ج 1 ص 275. ابن عسكر، دوحة الناشر، مرجع سابق، رقم 123 ص 112. معجم مشاهير المغاربة ص 513. تعريف الخلف، ج 1 ص 355. تاريخ الجزائر الثقافي. مرجع سابق، ج 1 ص 495.

(4) بن القاضي المكناسي، درة الحجال، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2002. (190)، ص 85.

(5) انظر معجم أعلام الجزائر، ص 263. ابن القاضي، درة الحجال، (1366)، ص 426. معجم المؤلفين، مرجع سابق، ج 2 ص 642.

(6) ابن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، مرجع سابق، ص 487. وانظر عبد الله نجبي، طائفة العكاكزة، مرجع سابق، ص 308.

(7) نقله ابن بكار في مجموع النسب من كتاب "تسهيل المطالب" لمحمد الغريسي على "بغية الطالب" لعيسى بن محمد التوجيني، ص 206.

(8) تعريف الخلف، مرجع سابق، ج 2 ص 179. ونسبه محمد بن إسماعيلي إلى وشان عبد القادر بن محمد: كشف الغطا في الرد على إخواننا المليانيين لنا على خطأ. انظر مشايخ خالدون ص 135. وربما لا تكون للكتاب علاقة بموضوع اليوسفية.

(9) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 2 ص 143.

رابعاً- اللحظة التجانية:

يعتبر الانتاج العلمي للشيخ أبي العباس أحمد التجاني معلماً مهماً في نقد متصوفة وقته، حيث دعا إلى العودة إلى السنّة ومجافاة المظاهر الدخيلة على السلوك الصوفي في قضايا زيارة الأولياء والاجتماع على الطبل والزمر، والانكفاف عن العلم، بل إنه دعا إلى الاجتهاد، وخالف مشهور المذهب المالكي في أحايين عديدة، وهو ما جر عليه عدااء الصوفية والفقهاء في الوقت نفسه، وإن كان هذا النفس التجديدي لم يستمر مع أتباعه لانغماس الطريقة في الثورة على الأتراك ثم الخلاف مع الأمير، وإن كانت جهودها قد أثمرت في إفريقيا الغربية. وقد وجدنا أن المولى سليمان ذي النزعة السلفية احتضن الشيخ التجاني وآزره في رفض الفلكور الصوفي، وهو ما أشار اليه الزاهري من بعد في تأثر التجاني ببعض أطاريح الوهابية كما سيأتي.

ولأجل هذه الروح السنية السلفية اعتبر بعض الباحثين الموقف العلمي متقارباً بين الحركة الوهابية والطريقة التجانية، وهو ما يفسر لديهم احتضان السلطان سليمان أبو الربيع سليمان العلوي ملك المغرب للطريقة التجانية وانخراطه فيها، وترحيبه بقدم الشيخ التجاني هرباً من اضطهاد الأتراك بالجزائر⁽¹⁾، كل ذلك يعود إلى تشبته بتعاليم الكتاب والسنة الرافضة لكل أشكال البدع، مما جعله يقدم على اتخاذ قرارات جريئة ضد رجال الطرق والزوايا لما ثبت لديه أن الكثير من ممارساتهم خارجة عن السنّة⁽²⁾، وقد كان هذا السلطان معروفاً بشدة ورعه وحبّه للحديث واستقدامه لمشايخ القراء وأعيان العلماء لشرح الحديث⁽³⁾.

وتتمة لكل ما سبق، فقد دخل رجال الطريقة في خلاف وجدل علمي حول بعض القضايا التي انفردت بها الطريقة مثل القول بخاتمية الولاية في شخص أبي العباس، وكذا الفضل الوارد في صلاة الفاتح، ومنع انتساب المريد التجاني لغير هذه الطريقة، واستعرّ الجدال بينهم وبين باقي الطرق وبعض الفقهاء، والشاهد في الموضوع أن الكتب التجانية وعلى خلاف المتداول الصوفي حفلت بالنصوص القرآنية والحديثية في الانتصار لمقالاتها، وشواهد ذلك كثيرة مثل كتب إبراهيم الرياحي، والحافظ التجاني المصري، وسكيج العياشي.

وعلى الرغم من الأطاريح الجديدة للتجانية في العودة إلى السنة والتربية الصحيحة، وعلى الرغم من الجديد الذي حصل في الحقل الطريقي، إلا أن هذه الأخيرة أصابها ما أصاب الطرق الأخرى في الانكفاف عن المنهج المرسوم من قبل الشيخ، والارتكاس إلى بعض الممارسات في مثل توارث المشيخة داخل البيت الواحد بل والانقسام المؤسسي بين فرعي عين ماضي وتماسين، وعدم الإعداد لقيادات دينية علمية، والارتكان إلى اللحظات التاريخية الحرجة، ومحاولة الحفاظ على النفوذ السياسي المحدود، كل ذلك أوهى من وضع الطريقة في الجزائر، على خلاف فروعها الأخرى في إفريقيا الغربية، والتي قدمت نماذج ناجحة في الدعوة إلى الإسلام ومقاومة المستعمر، بل وإبراز قامات علمية سامقة كعمر الفوتي. وهو ما يجب أن نتوقف عنده لإبراز تمايز الطرق في الاستجابة للتحديات، وأن ذلك راجع في الغالب لكاريزما الشخصيات الفاعلة.

(1) السلاوي، الاستقصا الأخبار دول المغرب الأقصى، مصدر سابق، ج 3 ص 213.

(2) أحمد الأزمي، الطريقة التجانية في المغرب والسودان الغربي، ط 1، المغرب، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2000. ج 1 ص 132.

(3) السلاوي، المصدر السابق، ج 3 ص 200.

المطلب الرابع: إصلاحات الوضع الصوفي، الطريقة السنوسية أنموذجا.

تعتبر اللحظة السنوسية مهمة لكونها نبتت في بدايات الاحتلال الفرنسي في الحجاز، ثم أبنعت ثمارها في ليبيا وتشاد، وامتد تأثيرها المحدود إلى الداخل الجزائري في حركات مقاومة مثل ثورة الشيخ بوعمامة، ولكن فرداتها في كونها حركة صوفية إصلاحية استند إليها الإصلاح الجزائري في نقد نظيراتها من الطرق الصوفية المترهلة، وهو ما يجب أن نتوقف عنده باعتباره أحد مستندات الإصلاح الحديث.

أولا- حياة محمد بن علي السنوسي: يمكن التمييز في حياة محمد بن علي الخطابي الإدريسي بين أربعة مراحل مهمة هي الجزائرية، ثم المغربية، ثم الحجازية، وأخيرا الليبية:

1- المرحلة الجزائرية: حيث ولد بمستغانم سنة (1202هـ/1787م) وبها تلقى علومه الأولى بزوايا سهل الشلف ومازونة، ومن شيوخه: محي الدين بن شهلة، ومحمد بلقندوز، ومحمد بن علي الشارف، وبوطالب المازوني، وبوراس المعسكري.

2- المرحلة المغربية: رحل إلى فاس حوالي سنة (1805) وبقي هناك ثمان عشر سنة، واستكمل دراساته العالية على يد الطيب بن كيران، والتاودي بن سودة، ومحمد العربي الدرقاوي⁽¹⁾، والأكد أنه تلقى عن أحمد التجاني الذي توفي بفاس (1815).

3- المرحلة الحجازية: حيث غادر المغرب سنة (1823) إلى الحج مارا بالجزائر من شمال صحرائها، حيث مر بالقنادسة وكرزاز ثم عين ماضي، وأخذ الأوراد عن شيوخها، ثم استقر مدة بمسعد حيث تزوج، ثم بوسعادة، ومر بتماسين، والوادي، ثم الجريد، ثم ليبيا، ثم مصر حيث دخل في نقاش مع شيوخها أمثال عليش المالكي الذي لم يتحمل بعض آرائه⁽²⁾، وأخيرا التحق بمكة حيث وجد شيخه أحمد بن إدريس الفاسي⁽³⁾. وهناك تعرف على طرق المشرق، وعلى أطاريح الوهابية، وبعد وفاة شيخه أسس طريقتة وزاويته بجبل أبي قبيس، وكثر نشاطه وتعرفه على أنباء العالم الإسلامي، وهناك تصدى للجاسوس روش في فتواه المشهورة. وممن تلمذ له من الجزائريين أنداك بالحجاز محمد بن أبي سيف البحيري الصابري، والذي صار من مدرسي مدرسة تلمسان الشرعية، وسكن العباد⁽⁴⁾.

(1) الكتاني، فهرس الفهارس، مصدر سابق، ج 2 ص 1040/ تاريخ الجزائر العام، ج 5 ص 125. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 246.

(2) الخلاف كان بين عليش والفاسي في الأساس، في معاملة أتباعه له كالمملوك، ودعوته لفتح باب الاجتهاد، وانكفاه عن التعاليم المالكية. انظر تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 259. وهو نقل عن ديبون وكوبلاني، ص 558.

(3) أحمد بن إدريس الفاسي اليملي أبو العباس العرائشي (1172-1253هـ/1758-1837م) درس بفاس وتبرز في العلوم ثم رحل إلى مكة (1214هـ)، وانتقل إلى المخلاف السليمان جنوب عسير، حيث أقام وتوفي بصوبيا بجبال عسير، وعنه أخذ محمد صالح المرغني مؤسس الطريقة بالسودان. وصالح الجعفري وعبد الرحمان الأهمل، من آثاره: كيمياء اليقين، رسالة روح السنة، رسالة القواعد، أعطار أزهار أغصان حدائق التقديس، المنتقى النفيس. وكان ذا نزعة تجديدية في الفقه والتصوف. انظر معجم المؤلفين، ج 1 ص 99. الأعلام، مرجع سابق، ج 1 ص 90.

(4) درس على والده بوهرا ثم انتقل إلى زوايتهم بالعين الكبيرة بجبل أترار بولهاصة لشيخها عمه "أبو العباس أحمد بن أبي سيف"، ثم درس بمازونة ومعسكر على فقهاء المشاركة، وحج وجاور وأخذ عن سراد الدين المدني، ولزم مجلس الأدب والتربية للعلامة شيخ الإسلام والصوفية أبي عبد الله سيدي محمد بن علي السنوسي"، انظر تعريف الخلف، مرجع سابق، ج 2 ص 170.

4- المرحلة الليبية: وتبتدأ من سنة (1943)، حيث استقر بالجبل الأخضر مؤسسا طريقته السنوسية التي قامت بجهود ضخمة في نشر الإسلام بإفريقيا، ثم محاربة الاستعمار، وتوسعت زواياه في حياته، وغير الوجه الاجتماعي لبرقة⁽¹⁾، توفي بزاوية الجغبوب سنة (1276هـ/1859م)⁽²⁾، وخلفه ابنه المهدي.

وشهد له الأكثرون بالصلاح والنبل والإخلاص ووزارة التأليف، واستمرت حركته قوية في ليبيا وتشاد والسودان، وظهر أثرها الكبير في مقاومة الغزوين الإيطالي لليبيا، والفرنسي لتشاد. فلم يكن السنوسي مؤسس زاوية أو طريقة فقط، بل كان رائدا في التجديد، وباعثا لأفكار ثورية أقضت مضاجع الاستعمار في كل إفريقيا، ولا غرو أن عد أحد مؤسسي النهضة الإسلامية الحديثة.

ثانيا- الميراث السياسي للسنوسية:

تركز العمل السياسي والعسكري للطريقة في ليبيا وتشاد، وقليل منه في الجزائر، ومنه:

أ- دعم حركة الشريف بن عبد الله: حيث كان الشريف قد التقاه في مكة، وقد أعلن ثورته بالصحراء الشرقية وناصره الشعابنة والأرباع، وترواح أمر ثورته بين نصر وانهزام، ولكنه تحرك مرات ومرات، وانتهى الأمر إلى الإخفاق بدخول أولاد سيد الشيخ لورقلة، ثم اعتقاله وتسليمه للفرنسيين سنة (1861)، ولكنه ظهر مرات أخرى في ثورات متقطعة داخل الجزائر وفي الجريد التونسي حتى وفاته (1895)⁽³⁾.

ب- الدعم المعنوي لثورة بوعمامة: حيث شاع بأن بوعمامة تأثر في تعاليمه وحركته بالسنوسية، بل إن بعضهم مثل "لويس فينيون" اتهم التجانية بالتعاون مع السنوسيين، وطالب من فرنسا مراجعة سياستها مع الطريقة⁽⁴⁾. كما يقال بأن الثائر محمد بوشوشة الذي ناصر الشعابنة في متليي كان من أتباع السنوسية⁽⁵⁾.

ج- التصدي للتوغل الفرنسي في الصحراء: حيث تشير التقارير إلى قيام إخوان السنوسية بعدد العمليات ضد البعثات الاستكشافية، ومن ذلك أن أتباع بوعمامة من الشعابنة قضوا على بعثة فلارتز في (1881)⁽⁶⁾، وكذا اغتيال بعض المخبرين والرهبان، ويقال إن قتل شارل دو فوكو كان من إخوان السنوسية (1916)⁽⁷⁾.

د- دعم حركات التمرد أيام الحرب الأولى كحركة خليفة بن عسكر في إقليم طرابلس والجريد التونسي⁽⁸⁾. وقيام التوارق والشعابنة بطرد الإيطاليين من فزان على الرغم من الدعم الفرنسي لحاميات غدامس وغات⁽⁹⁾.

هـ- التأثير المعنوي في ثورات الشرق الجزائري والأوراس وخاصة ثورة سنة (1879)⁽¹⁾.

(1) ابن مهنّا، حاشية على الرحلة الورثانية، للحسين الورثاني، ط1، الجزائر، دار المعرفة الدولية، 2011، ج2 ص8.

(2) شكيب أرسلان، حاضر العالم لإسلامي، مرجع سابق، ج2 ص140. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج4 ص251.

(3) الحركة الوطنية الجزائرية، ج1 ص355. ثورات الجزائر في القرنين، مرجع سابق، ج1 ص158. تاريخ الجزائر الثقافي، ج4 ص254.

(4) لويس فينيون، مرجع سابق، ص221. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج4 ص262.

(5) انظر بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين، مرجع سابق، ج1 ص218 عن لوشاتليه "حركة المدافعات" المجلة الإفريقية.

(6) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج4 ص262.

(7) سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1860-1900)، مرجع سابق، ج1 ص410.

(8) أجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا، مرجع سابق، ج2 ص847.

(9) عن نشاط السنوسيين في الحرب الأولى، وتحرير مدينة جانت في (مارس 1916) انظر بوعزيز، المرجع السابق، ج2 ص58.

السنوسية التكوكية: لم يكن للطريقة في الجزائر إلا زاوية واحدة أسسها الشيخ طكوك الشارف، والذي هاجر للمغرب أواخر حكم الأتراك بعد قتل العلماء كبلقندوز⁽²⁾، ثم عاد بعد هزيمة الأمير، حيث أسس الزاوية سنة (1859)، وقد اعتقل مرتين بسبب الشكوك في دعمه لثورات ابن الأزرقي شيخ قبيلة فليته، والشك في دعمه للطريقة البوعمامية في الجنوب الجزائري، والتواصل مع السنوسيين، واتهامه بإخفاء السلاح، وتوفي سنة (1890)⁽³⁾.

خلفه أحمد بن طكوك الذي قصد الجغبوب وتزوج من ابنة الخليفة المهدي، وفي سنة (1893) ألقى القبض ثانية على الشيخ أحمد بن طكوك بتهمة السفر إلى عاصمة السنوسيين في الجغبوب، لأن فرنسا كانت تعتبر الطريقة امتدادا للدعاية العثمانية، فنفي إلى كورسيكا مدة، ثم عاد للجزائر⁽⁴⁾، ثم سي أحمد بن الشارف بن الجيلالي بن طكوك، الذي درس ببوقيراط وبالجغبوب، ثم عاد للجزائر ليؤسس زاوية ببوقيراط (زاوية العرعار) سنة (1911)، توفي سنة (1924)، وقد شارك في رسالة تهدئة للأتباع أيام الحرب الأولى⁽⁵⁾.

-زاوية بوسعادة، وأسسها الشيخ أحمد بن شبيبة، والذي رافق السنوسي في مكة، وأعانه في تأسيس زاوية الجغبوب، ثم عاد ليؤسس زاوية بوسعادة، وفر إلى تقرت أيام الشيخ سليمان الجلابي، ثم غادر بعد دخول الفرنسيين لتقرت إلى دقاش قرب توزر حيث توفي (1865)، وخلفه عليها ابنه عمار بن أحمد بن شبيبة⁽⁶⁾.
-زاوية عين صالح: أسسها المقدم الحاج أحمد بن التواتي، ثم آلت إلى الزعيم عبد القادر بن الحاج باجودة، وكان لعائلة باجودة دور في عرقلة الاستعمار، وخاصة في احتلال عين صالح⁽⁷⁾.

-زاوية الأغواط، ترأسها الشيخ ابن الدين قاضي الأغواط السابق، وبمسعد أيضا زاوية أخرى⁽⁸⁾.
-زاوية أفركان قرب نقرين بتبسة، وكانت على اتصال بزوايا الجريد التونسي.

ثالثا-الميراث الأدبي للسنوسية:

1-مؤلفات رجال الطريقة: ومنها مؤلفات السنوسي المؤسس الذي خلّف مؤلفات كثيرة تضمنت رؤيته العقدية والمذهبية، ومنها ما يرسخ نزعته التجديدية السلفية، ومنها: إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن، بغية السؤل في الاجتهاد والعمل بحديث الرسول، إزالة الأكنة في العمل بالكتاب والسنة، رسالة في مسائلتي القبض والتقليد، البدور السافرة في عوالي الأسانيد الفاخرة، المنهل الرائق في الأصول والطرائق، الكواكب الدرية في أوائل الكتب الأثرية، سيف النصر والتوفيق وغاية السلوك والتحقيق، منظومة السلوك

(1) انظر أجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا، مرجع سابق، ج 1 ص 118.

(2) بن بكار، مجموع النسب، ص 167. وانظر حشلاف، شجرة الأصول في شجرة أبناء الرسول، الجزائر، دار الذاكر والمذكور، 2006، ص 113.

(3) أجرون، مرجع سابق، ج 1 ص 309-516. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4 ص 269. أعلام الجزائر، ص 63. بن بكار، نفسه، ص 167.

(4) أجرون، نفسه، ج 1 ص 568 و921. المرأة الجليلة، مرجع سابق، ص 293. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 270.

(5) مجلة العالم لإسلامي، ديسمبر (1914)، ص 230. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4 ص 273. معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 62.

(6) محمود براهيم، العلامة محمد بن علي السنوسي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2009، ص 88. وص 168. دفايري: ص 73

(7) بلغيث محمد الأمين: تاريخ الجزائر المعاصر، ص 71. الحركة الوطنية الجزائرية (1860-1900)، مرجع سابق، ج 1 ص 324.

(8) محمود براهيم، العلامة محمد بن علي السنوسي، ص 170.

إلى ملك الملوك. رسالة الفلاح في الفتح والنجاح، شذور الذهب في محض محقق النسب، ربحانة الجيوب في عمل السطوح والجيوب⁽¹⁾.

وأما حفيده أحمد الشريف مناصر الجامعة الإسلامية ومقاتل الفرنسيين والطلليان ودفين المدينة (1933)، فترك مؤلفات منها: الأنوار القدسية في مقدمات الطريقة السنوسية، والفيوضات الربانية في إجازات الطريقة الأحمدية السنوسية⁽²⁾، وأما الخلفاء والمقاديم في الجزائر فلا نعلم لهم إنتاجا مميزا لا في الطريقة ولا آدابها إلا ما ألفه محمد بن عيسى السعيد القاسي "المواهب الجليلة في التعريف بإمام الطريقة السنوسية"⁽³⁾.

2- الأوراد والأذكار: لا إله إلا الله مائة مرة، ومائة للاستغفار، ومائة للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، كما ترشد الطريقة في هذا إلى منع تعليق السبحة في الرقبة، وعدم استعمال الطبول في الذكر والحضرة، ومنع التدخين والقهوة، أما الوظيفة الكبرى فأسبوعية يشرف عليها الشيخ أو وكلاؤه.

ولأجل هذه النزعة التجديدية ومنافاة البدع ورفض الغلو في الشيخ، بل واختيار آراء أخرى فقهية كالقبض في الصلاة، اعتبر كثيرون السنوسية ذات نزعة إصلاحية سلفية داعية إلى العودة للإسلام وأخلاقه. واعتبرها المستشرقون ودهاقنة الاستعمار حركة احتجاجية مضادة للنفوذ الغربي وتوجهاته في المنطقة، وقد ضخموا منها وكتبوا في التحذير منها والاستعداد لها لتخويف الغربيين منها⁽⁴⁾.

3- التراتبية في الطريقة: يبدأ رأس الهرم من شيخ الطريقة، وهو المجتهد في أعلاها، ثم المجتهد الثاني، ثم الثالث، والرابعة للعامة. ويلتزم الأتباع بالطهارة، والتدرب على السلاح، والمشاركة التطوعية في أعمال الزاوية من الزراعة والصناعة والحراسة، والزاوية محصنة جيدا، ولها نظام إداري وشرطي صارم، وبريد منضبط، وشبكة علاقات عامة، وقد تكاثرت على طول خطوط القوافل، وبلغت قرابة مئة زاوية سنة (1884)⁽⁵⁾.

والمهم أن اللحظة السنوسية لم تشهد كبير صدى في الجزائر نتيجة انغماس الطريقة في ليبيا في مقارعة المستعمر الإيطالي، ولكن وهجها الإصلاحي الداعي لنبد الخرافات والعودة للأصول من كتاب وسنة سيكون معينا لوقود المعارك الإصلاحية، وذلك أن السنوسي يعتبر من المجددين في هذا المضمار وتجديده يتجلى في:

أ- الخط العلمي: وذلك بإنشاء الزوايا العلمية في كامل منطقة برقة وجنوب ليبيا وتشاد، والتي خرجت آلاف المتعلمين الذين غيروا تلك الأصقاع، وكفي التذكير بالمكتبة السنوسية الكبيرة في زاوية البيضاء⁽⁶⁾.

وهو خط أثمر في تغيير جذري لمدن شرق ليبيا التي كانت عرية عن العلم، بل إن قبائل شديدة المراس كأولاد علي تهبوا بدعوته حسب وصف ابن مهنا لهم أيام رحلته للأزهر ومروره بديارهم⁽⁷⁾.

(1) انظر معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 179. معجم المؤلفين ج 3 ص 514. فهرس الفهارس ج 1 ص 68. الأعلام، ج 7 ص 192. معجم مشاهير المغاربة، مرجع سابق، ص 288. تاريخ الجزائر العام، مرجع سابق، ج 5 ص 123. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 244.

(2) الأعلام، ج 7 ص 76. معجم المؤلفين، ج 1 ص 243. فهرس الفهارس، ج 2 ص 927. وانظر عنه حاضر العالم الإسلامي، ج 2 ص 145.

(3) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 126.

(4) Louis Rinn: Marabouts Et Khouans, Etude sur L'Islam En Algérie. p 496.

(5) حاضر العالم الإسلامي، مرجع سابق، ج 2 صص 402-407. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 261.

(6) انظر الكتاني، فهرس الفهارس، مصدر سابق، ج 2 ص 1041. براهيم محمود، العلامة محمد بن علي السنوسي، مرجع سابق، ص 105.

(7) ابن مهنا، حاشية على الرحلة الورثانية، مرجع سابق، ج 1 ص 430.

ب- الخط العملي: وذلك عن طريق التجنيد الدائم للأتباع، وشراء العبيد وتثقيفهم وتعليمهم ثم إعتاقهم، وإرجاعهم إلى قبائلهم، وقد أثمر هذا الخط في إنشاء كونفدرالية سنوسية قادت الجهاد ضد التوسعات الفرنسية والإنجليزية ثم الإيطالية، مما هو مستوفى في مظهره.

والخلاصة أن الإصلاح الذي ظهر في القرن العشرين كانت له جذوره الممتدة في عمق المدونات المالكية والجزائرية، وشكلت تلك المكتوبات رصيذا ثقافيا مهما لعمل الإصلاحيين في تقزيم الظاهرة الطرقية المرباطية في الجزائر. كما ألهمته القراءات الناقدة للوضع الصوفي في العهد العثماني بعضا من نفسه الحاد في مقارعة التخلف والفلكور الصوفي، في حين شكلت بعض الحركات الصوفية التصحيحية مثل السنوسية شيئا من الجراءة على الانتفاضة على الوضع المتردي للثقافة السائدة، والتي انحدر إليها المجتمع فيما يعرف بالتدين الشعبي بسبب من التجهيل والتفكير الذي مارسه الاستعمار طوال المائة سنة على الجزائريين المحروبيين.

وفي تقييم مهم لسعد الله عن وضع الطرق في الجزائر في العهد العثماني، وهو تقييم مؤثر على ما بعده يقول: "هكذا يتضح أن الجزائر خلال العهد العثماني كانت غنية بالمرباطين والطرق الصوفية، ولكن مرباطيها قد ابتعدوا شيئا فشيئا عن العلم والعمل به واقتربوا في أغلبهم من التدجيل والخرافة. ولم تكن لديهم فلسفة في التوحيد ولا عقيدة واضحة في الدين، وكل ما كانوا يفعلونه هو بناء الزوايا وادعاء الكرامات وإعطاء العهود والأوراد وتلقين الأذكار وجمع المال والهدايا من الفقراء واستغلال العامة ماليا. وقليل منهم من سلك طريق الزهد والتصوف لله وعاش لدينه وعلمه. ومعظم الطرق الصوفية كانت نسخة مكررة لبعضها، ولا تكاد تختلف سوى في الزمن والبيئة أو في الاعتدال والمبالغة. ولا نكاد نجد طريقة أصيلة نابعة من ظروف سياسية أو دينية استوجبت ظهورها محليا. فقد كانت جميع الطرق مستوردة الأفكار من أجزاء العالم الاسلامي الأخرى، إما من المغرب (الدرقاوية، الطيبية، الزيانية الخ ..) وإما من المشرق (القادرية، الخلوتية، الخ ..) يضاف إلى ذلك الشابية التي انتشرت من تونس، ومع ذلك فإن المرباطين وطرقهم قد لعبوا دورا بارزا في الحياة الثقافية والسياسية للبلاد. ذلك أن كثيرا من الأشعار والتأليف في المناقب والتصوف والسير قد ظهرت خلال هذا العهد. وكانت معظم الزوايا، كما عرفنا، مراكز للتعليم ومخازن للكتب، كما كانت الطرق الصوفية مصدر قلق للولاة الظالمين يخشون بأسها وثورتها، وكثيرا ما هددت كيانهم"⁽¹⁾.

كل ما سبق ذكره كان تكأة لأن تأخذ حركة الإصلاح أدوارها التاريخية لإعادة الأمم إلى نصابها، ولم يكن الأمر باليسير، ولكنها الدورة التاريخية التي أوجبت على الجميع مراجعة المناهج والمقالات والانخراط في التحديات.

(1) سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج 1 ص 525.

الفصل الأول

العلاقات الإصلاحية الطرقية

في العقدين الأولين (1900-1919)

المبحث الأول: الإصلاحيون المحافظون في العقدين الأولين (1900-1919).

المبحث الثاني: الطرقيون في الجزائر في العقدين الأولين (1900-1919).

المبحث الثالث: الجدل الإصلاحي الطرقي في العقدين الأولين.

المبحث الرابع: تجليات العلاقات الإصلاحية الطرقية في العقدين الأولين

المبحث الأول: الإصلاحيون المحافظون في العقدين الأولين (1900-1919)

يتناول المبحث مظاهر وشخص الإصلاح الوليد في هذا العقد، والذي تميز بكون أكثر رجاله من المحافظين على الإرث الإسلامي التقليدي مع نزوع نحو التجديد والتطوير في الأطاريح الفكرية والوسائل التعليمية، وعرض أهم مؤهلاتهم وأساليبهم، والعوائق المختلفة الذاتية أو الموضوعية من حاضنتهم الفكرية أو من الفعل الفرنسي.

المطلب الأول: نشأة الإصلاح الجزائري.

ولدت النهضة العلمية ونشأ الإصلاح الذي بدأ يدلج الديار الجزائرية بعد عقود سبعة حالكة بفعل الجرافة الفرنسية التي قضت على الثورات تباعا، وجعلت النخب العلمية تأوي لزواياها لاسترجاع الأنفاس والتفكير في كيفيات أخرى للمقاومة غير المسلحة التي لم تفد إلا في بناء حاجز نفسي قوي مع الثقافة الوافدة، ومضت ثلاثون سنة من نهايات القرن والكل يضمّد جراحه، أو يتداوى بالمراهم الفرنسية التي ولّدت نخبة مثقفة جديدة أرادت أخذ الثقافة الفرنسية بشراهة كبيرة، وهي ما سيعبر عنه بتيار "الشبان الجزائريون"، وهم من سيكونون نواة للإندماجين الذي شكلوا خطرا على الهوية، مما جعل بعضا من العلماء يخرجون للساحة بخطاب جديد هو المحافظة والإصلاح، أو من سنسميهم "المحافظين الإصلاحيين"، وهم من سيمهد الحقل لحركة الإصلاح بعد الحرب العالمية الأولى، وابتدأ هذا التيار في نهايات القرن التاسع عشر، وعلا صوته في العقد الأول من القرن العشرين، ثم خفت صوته بسبب موت أغلب رجالاته قبل الحرب الأولى أو عشيتها⁽¹⁾. ولظهور هذا التيار أسباب كثيرة منها:

أولا: الزيارات العلمانية الخارجية:

1: زيارة محمد عبده للجزائر (1903): وهي من الزيارات الثقافية الهامة⁽²⁾، حيث التقى النخبة العلمانية أمثال عبد الحليم بن سماية، والكمال بن الخوجة وغيرهم، وألقى دروسا في الإصلاح، وكثر الوافدون والمرحبون به، وأقيمت له الحفلات والتكريمات، حتى عنّ للبعض القول بوجود حزب عبدوي، وسيكون من أهم مناصري أفكاره عبد الحميد بن باديس والإصلاحيين عموما، وقد سبق لمحمد عبده أن زار تونس سنة (1884)، ودامت أربعين يوما، بدعوة من محمد السنوسي صاحب جريدة الحاضرة⁽³⁾، حيث أسس فرعا

(1) من المفارقات الغربية أن أغلب العلماء في هذه الفترة يموتون في سنوات متقاربة، من (1910 إلى 1914)، وهو ما يحيلنا إلى استرداد نظرية محمد علي ديبوز في تسميم الاستعمار لهؤلاء تباعا (ابن زكري، المجاوي، اطفيش). انظر محمد علي ديبوز، نهضة الجزائر وثورتها المباركة، الجزائر، المطبعة التعاونية، 1965، ج 1 ص 105.

(2) انظر المهدي البوعبدلي، "جوانب مجهولة من آثار زيارة الشيخ محمد عبد للجزائر"، مجلة الأصاله، العدد 54 سنة 1987، ص 72. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 583. الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، ج 2 ص 115. أجرون، نفسه، ج 2 ص 511. وكانت الزيارة قد ابتدأت يوم (27-8-1903).

(3) أنور الجندي، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، القاهرة، دار الطباعة، 1965، ص 41.

للعروة الوثقى، ثم زارها في (1903)، والتقاء الطاهر ابن عاشور ومحمد النخلي وطلبة الجمعية الخلدونية، وأحدث مقدمه رجة في الأوساط العلمية⁽¹⁾.

زار الأستاذ الإمام محمد عبده الجزائر، ورافقه الحفناوي من مرسيليا في عهد الحاكم العام شارل جوناك المنفتح نسبيا على التراث الإسلامي، وذلك تدعيما للنخبة الجديدة ضد ما كان يسمى بالإسلام الجزائري - إسلام الطرق والزوايا-، وقد أثبت رشيد بن أبي شنب أن ابن زكري والمجاوي وابن أبي شنب حضروا لقاءات محمد عبده، وكانت هذه الزيارة الحافلة حديث الخاص والعام مطلع القرن العشرين⁽²⁾. وترافق معها زيارة وفد رسمي من المغرب حضر بعضهم دروسه⁽³⁾، وقد طلب منه ابن سماية عدم التعرض للسياسة الفرنسية حتى لا تمنع مجلة المنار التي تعتبر شريان الحياة للنخبة الجزائرية آنذاك حيث إنها في نظرهم: "مدد الحياة لنا، فإذا انقطع انقطعت الحياة عنا"⁽⁴⁾. وقد كتبت دراسات عديدة عن آثار زيارة محمد عبده للجزائر.

ولكن الإجماع واقع على تأثير محمد عبده ومدرسة المنار، وأنها كانت لسان الإسلام الأكبر ومنبر الإصلاح⁽⁵⁾، وذكر مالك بن نبي بأن من أسباب تكوينه الفكري دراسته لرسالة التوحيد لمحمد عبده⁽⁶⁾.

والمهم أن ما يسمى بالحزب العبدوي قد وقف على أرضية صلبة، وصار له منافحون وناطقون أمثال الكمال ابن الخوجة⁽⁷⁾ وعمر راسم، وابن علي فخار الذي كتب بحوثا عالية عن الربا في الشريعة⁽⁸⁾.

أحدثت الزيارة صدى في الجزائر، ووجدت بعضا من قلة الاكثارات أو عدم الترحيب من بعض رجال الزوايا المطلعين على الجدل العبدوي الطرقي الصوفي في المشرق⁽⁹⁾، وقد نقل لنا الزيري شررا من ذلك الامتعاض في تقييمه للزيارة بقوله: "ولما وفد الأستاذ المذكور-محمد عبده- انغمس الجميع في عميق تياره، وانكسفوا

(1) قوبع، الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان ووادي ميزاب، بين سنتي (1920-1954)، الجزائر، دار طليطلة، 2013، ص 61. رشيد الداودي، "محمد عبده والمشهد الإصلاحي التونسي" مجلة الهداية، تونس، ع 106 أبريل 2004، ص 30. أجرون، مرجع سابق، ج 2 ص 513.

(2) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 588. وفي دراسة لأحمد صاري، أنه زار قسنطينة عندما كان مارا إلى تونس، والتقى بعلمائها مثل المفتين المالكي والحنفي والشيخ باش تارزي، انظر أحمد صاري، "الجديد في زيارة محمد عبده إلى الجزائر وقسنطينة"، جامعة الأمير عبد القادر، كلية الآداب، مجلة الأدب والعلوم الإنسانية، ع 2 (2003-3-6)، ص 8.

(3) مجلة المنار، مرجع سابق، ج 6 ص 571، ج 6 ص 608. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 199.

(4) عمار طالبي، ابن باديس حياته وآثاره، ج 1 ص 34. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5 ص 587. سعد الدين ابن شنب، "نهضة العربية بالجزائر في النصف الأول من القرن الرابع عشر للهجرة"، جامعة الجزائر، مجلة كلية الآداب، العدد 1، 1964، ص 42.

(5) ديبوز، نهضة الجزائر، مرجع سابق، ج 2 ص 29.

(6) بن نبي، مذكرات شاهد القرن، بيروت، دار الفكر، 1985، ص 66.

(7) أوردت مجلة المنار، قصيدة لابن سماية في مدح محمد عبده، ج 6 ص 917، وأخرى في ج 3 ص 377 من أحد أدباء الجزائر في مدح محمد عبده، للسيد كمال الدين مصطفى المرغناني "ولعله هو ابن الخوجة، ومما جاء فيها: هل من طريق إلى مصر وأزهرها ... أم هل وصول إلى الأستاذ مفتها. محمد عبده فذ المشارق بل ... شيخ المغارب دانيها وقاصيها. ركن الحنيفية البيضاء حجتها ... صدر الشريعة كهفها وحاميها. حكيم أمتنا العظلى ومرشدنا ... إلى سبيل الهدى حقًا وداعها.

(8) كان موضوع رسالته عن الدكتوراه في الشريعة "الربا في الشريعة الإسلامية وعواقبه العملية" بجامعة ليون (1908)، ثم دكتوراه في القانون عن القراض في الشريعة الإسلامية. انظر تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 82.

(9) تعرض الشيخ محمد عبده إلى معارضة كبيرة من بعض شيوخ الأزهر، ومن شيوخ التصوف كالدجوي والشيخ عlish وغيره، ومات وفي قلبه غصة من تلك الأوضاع. وكانت مجلة المنار قد بدأت بالصدور سنة (1898).

بكهرباء أنواره، حتى إذا بارحهم أخذوا ينبشون طمه ورمه، وينهشون لحمه، ولا عجب إذا مضى سليمان وانحل الشياطين؟ هب أن الأستاذ صدر منه مالا يقبل عقلا أو نقلا، فقد روي عن مالك مع جلالة قدره وعلمه: "ما منا إلا مأخوذ من قوله ومترك إلا صاحب هذا القبر"⁽¹⁾. والمهم أن الاحتفاء بمحمد عبده استمر في الجزائر، وامتألت جرائد الإصلاح من بعد بمقالات عن محمد عبده⁽²⁾، ومصطفى الرافعي.

2- زيارة أحمد شوقي (1905): شاعر العروبة الذي وفد إلى الجزائر للنقاهة من مرضه سنة (1905)، وأزعجته حركة التغريب والفرنسة، وقد انتقده ابن باديس من بعد على هذا الحكم الناقص الاستقراء⁽³⁾، إلا أن أحمد شوقي هاجم فرنسا بعد ذلك في قصيدة دمشق عقب قصفها من قبل القوات الفرنسية سنة (1922)، وفيها أبياته الشهيرة التي يقول فيها⁽⁴⁾.

وللمستعمرين	وإن	ألانوا----	قلوبٌ	كالحجارة	لاترقُ
دم	الثوار	تعرفه	فرنسا	-----وتعلمُ	أنّه
نور	حقٌ	و	نور	حقٌ	و

والذي يهمننا من هذه الزيارة الخاطفة هو الآثار القوية في الدفع بتصاعد الألق والوهج العربي، حيث كان العلماء يتنافسون في حفظ شعر شوقي، وقد ذكر الإبراهيمي في أثناء سفره للمشرق المرة الأولى أنه لقي شوقي وأسمعه قصائده، مما جعل شوقي يطرب لذلك⁽⁵⁾، وقد احتفت الشهاب به بعد وفاته، وخصصت له عددا كاملا، فضلا عن نشرها لكل جديد من أشعاره. كما قدم الإبراهيمي عنه محاضرة رائقة في بعنوان "الدين في شعر أحمد شوقي"⁽⁶⁾، وعندما توفي أمير الشعراء نعتته جريدة الشهاب على لسان الإبراهيمي "مات شاعر العربية الذي تشرب روحها وتملكت هي روحه، فحى أسلوبها ونغمتها، وعرضها على أهل هذا القرن معربة عنه، كما أعربت عما قبله بليغة فصيحة، فحمل لواءها خفاقا في الآفاق، كما توج على شعرائها في الأقطار باستحقاق. ...فعزاء فيه للإسلام والعربية والشرق، وعزاء فيه لمصر كنانة الله من الإسلام والعربية والشرق"⁽⁷⁾.

3- الزعيم محمد فريد⁽⁸⁾: خليفة مصطفى كامل في رئاسة الحزب الوطني، وكانت الزيارة الأولى سنة (1901)، وذلك بوهران، وزار بها المفتي علي بن عبد الرحمان التجاني، الذي اشتكى له من التأخر العلمي للأهالي بسبب سوء الأحوال الاقتصادية⁽⁹⁾، واستقبله مدير الشؤون الأهلية "دومينيك لوسيان"⁽¹⁾، وكذا الشيخ شعيب

(1) المولود الزريبي، علم الأخلاق، عناية عبد الرحمان دويب، الجزائر، دار كنوز الرشيد، 2015، ص 52.

(2) باعزیز بن عمر، "الأستاذ الإمام محمد عبده"، مولود عويمر، تراث الحركة الإصلاحية الجزائرية، الجزائر، دار قرطبة، 2011، ج 3 ص 225.

(3) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 615.

(4) أحمد شوقي، الشوقيات، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2007، مج 1، ج 2، ص 74.

(5) الإبراهيمي، الآثار، خلاصة تاريخ حياتي العلمية والعملية، ج 5 ص 275. من أنا، ج 5 ص 165.

(6) الإبراهيمي، آثار الإمام الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 5 ص 201.

(7) الشهاب المجلد 8، عدد (نوفمبر 1932)، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 106.

(8) محمد فريد: سياسي حقوقي مصري من أصل تركي ولد بمصر (1868م)، ودرس الحقوق، شارك في الحياة السياسية توفي بألمانيا سنة (1919)،

من آثاره: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تاريخ الرومانيين. انظر معجم المؤلفين، مرجع سابق، ج 3 ص 586.

(9) محمد فريد، من مصر إلى مصر رحلة عام (1901)، مرجع سابق، ص 59.

الجليلي، قاضي تلمسان، ومفتي الحنفية بوقندورة، والكمال بن الخوجة الذي وصفه بالتضلع في العلوم وشغفه بمصر⁽²⁾، وقدم محمد فريد انتقاداته لفرنسة الحياة وسلخ الجزائر عن هويتها العربية⁽³⁾. حيث عرض لنقص المساجد، وطغيان الحياة الأوروبية، ومنع الجرائد الشرقية من دخولها.

4- عبد العزيز جاويز⁽⁴⁾: قدم إلى الجزائر في مؤتمر المستشرقين الرابع عشر سنة (1905)، وقدم محاضرة هناك مع الشيخ سلطان محمد الذي قدم محاضرة عن المرأة المسلمة، وقد التقت النخبة العلمية بهذين العلمين، وخاصة محمد بن أبي شنب، ويقال أن آراء عبد العزيز جاويز أسخطت الفرنسيين.

5- الشيخ طاهر الجزائري⁽⁵⁾: رائد النهضة العربية بالشام، والذي عارض الأتراك الطورانيين، وهرب إلى مصر، وتلمذ له أبو يعلى الزواوي، واستكتبه عن تاريخ زواوة، الذي ألفه في مصر سنة (1918)⁽⁶⁾، ففي أواخر القرن التاسع عشر زار الشيخ طاهر السمعوني موطن آبائه بالقبائل الصغرى، والتقى الشيخ محمد السعيد ابن زكري⁽⁷⁾، وترك اللقاء أثرا في النزعة الإصلاحية لهذا الأخير كما يظهر في اقتراحاته لتطوير التعليم التقليدي بالزوايا.

6- زيارة محمد الخضر حسين⁽⁸⁾: زار ديار الجزائر قادما من تونس وذلك في (رمضان 1322هـ/1904)، وهدف منها إلى التعرف على الأحوال العلمية والثقافية في الجزائر المحروبة، والرحلة قصيرة، ولكنها تنبئ عن شيء من البدايات الأولى لحركة التعليم التي بدأت تحبو في الجزائر.

(1) لوسيان (1851-1932م) مستشرق وسياسي نشر العديد من الكتب مثل: الفوائد الشنشورية سنة (1890) وبغية الباحث عن جميل الوارث للسرجي سنة (1896) وأم البراهين للسنوسي، وتوحيد الباري لابن تومرت، والإرشاد للجويني (بباريس 1930) وكتب الوصية والبيوع من البخاري، وكتاب البيع من الموطأ. انظر نجيب العقيقي، المستشرقون، مرجع سابق، ج 1 ص 210.

(2) محمد فريد، من مصر إلى مصر رحلة عام (1901)، مرجع سابق، ص 70.

(3) محمد فريد، المرجع السابق، ص 75. وانظر تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 580.

(4) عبد العزيز جاويز (1876-1929م)، أصله من تونس، وولد بالإسكندرية وتوفي بمصر. شيخ وصحافي وسياسي مصري لامع، مدافع عن الجامعة الإسلامية، وتلميذ لمحمد عبده، رأس تحرير صحيفة اللواء المصرية، وأصدر الهلال العثماني، الهداية، الحق يعلو. من آثاره: الإسلام دين الفطرة، غنية المريد في الطرق الحديثة للتربية والتعليم، أثر القرآن في تحرير الفكر البشري، الحجاب في الإسلام، انظر معجم المؤلفين، مرجع سابق، ج 2 ص 160. الأعلام، مرجع سابق، ج 4 ص 17. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 581.

(5) طاهر الجزائري (1851-1919) من آثاره: الجواهر الكلامية في العقائد الإسلامية، تسهيل المجاز إلى فن المعنى والألغاز، التقريب لأصول التعريب، شرح خطب ابن نباتة، توجيه النظر إلى أصول الأثر، مدخل الطلاب إلى علم الحساب، حقائق الأفكار، تفسير القرآن، التذكرة الطاهرية، جلاء الطبع في معرفة مقاصد الشرع، التقريب لأصول التعريب. انظر معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 101. الأعلام، ج 3 ص 221. محمد الصالح الصديق، أعلام من المغرب العربي، الجزائر، موفم، 2000، ج 1 ص 45.

(6) نشر بدمشق سنة (1924)، وأهداه إلى أحمد بن علي الشريف. انظر تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 8 ص 101.

(7) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 523.

(8) ولد في نفطة التونسية سنة (1876)، وهو أصيل طولقة بالزيبان، وتحصل على شهادة التطويع من الزيتونة سنة (1898)، وأسس مجلة السعادة العظمى سنة (1904) والتي تعطلت سنة (1905) بعدما صدر منها 21 عددا، سافر إلى دمشق سنة (1912) ودرس بالمدرسة السلطانية- التي درس بها الإبراهيمي-، وسجن من سنة (1912 إلى 1914) لتعاطفه مع الوطنيين ضد الأتراك، أرسله العثمانيون بعد ذلك لألمانيا أيام الحرب للدعاية في صفوف الأسرى المسلمين لتحريضهم ضد فرنسا، وبعدها عاد لدمشق وعين عضوا بالمجمع العمي العربي، ثم هاجر لمصر ونال العالمية من الأثر وصارا أستاذًا لأصول الدين، ثم عضوا بالمجمع الغوي، وأخيرا تبوأ مشيخة الأثر سنة (1952)، ليتوفي (1958)، له: رسائل الإصلاح، آداب الحرب في الإسلام، ديوان خواطر الحياة، تعليقات على الموافقات للشاطبي، القياس في اللغة العربية، نقض الإسلام وأصول

وصل الشيخ الخضر الجزائر قادما من تونس بالقطار، ونزل بسوق أهراس، ثم عرج على تبسة التي ذكر بأنها منفوذة الجراب من آثار التعليم سوى أن بعض طلبة الجريد التونسي يجاورون بها للتعليم⁽¹⁾ - الابتدائي - لأشهر قليلة ثم يعودون، ثم وصل عين البيضاء والتقى بها محمد العربي بن قشوط (وهو من المحافظين)، والشيخ المسعود بن علي، والشيخ أحمد بن ناجي الذي يدرّس خليل، كما زار قسنطينة ومساجدها والكتانية، والتقى بها الشيخ حمدان الونيسي الذي ألفاه في درس للتفسير⁽²⁾، ثم زار باتنة، وأخيرا العاصمة التي زار بها ضريح الثعالبي والمسجد الكبير الذي وافق فيه وظيفة الحضور⁽³⁾، وهي سرد البخاري كما هي العادة من (27 رجب إلى 27 رمضان)، وكان القائم بذلك مفتي الحنفية بوقندورة. وأهم ما سجله الخضر هو لقاءه بعبد الحليم بن سماية: "غمرنا بنفحات خلقه الناضر، واحتلب ألبابنا بفصاحة لسانه الساحر"⁽⁴⁾، كما التقى بابن الخوجة والمجاوي والشيخ أحمد البوعوني.

وقد سُبقت هذه الزيارة بأخت لها ولكنها كانت خاطفة وذلك سنة (1903). ولكننا لا ندري خلفياتها، وهل لها علاقة بزيارة محمد عبده، والذي يُعد الخضر من أهم المناصرين لنهجه التجديدي، وتلتها زيارة ثانية لسوف (1905)، والتقى الشيخ إبراهيم البخري التوزري، ومبارك بن المازق، ومحمد اللقاني بن السائح⁽⁵⁾. ومن المعلوم أنه أسس جمعية الهداية الإسلامية سنة (1928)، ومجلة باسمها، وترسم فيها الخط العبدوي، وقد اهتمت بقضايا المغرب العربي، وكانت أعدادها تصل إلى الجزائر لتضيف جرعات إلى الفكر الإصلاحي الناهض، حيث كانت بعض أعدادها موجودة في زاوية طولقة⁽⁶⁾. وسيشيد به ابن باديس في مقال له "وحدة الشمال الإفريقي أبناء المغرب العربي في الشرق العربي"⁽⁷⁾، حيث نقل فيه كلاما مشرقا من صاحب الفتح محب الدين الخطيب.

كما سيسهم الخضر حسين بعد ذلك مع الفضيل الورتلاني وإبراهيم اطفيش وأحمد بن المليح في تأسيس "جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية"، والتي ضمت شخصيات مرموقة مثل الأمير مختار الجزائري، والأمير عبد الكريم الخطابي، وكان الفضيل أمينها العام، وأصدرت جريدة النذير الإخوانية عددا خاصا للتعريف بالجبهة، وقامت جريدة الإخوان المسلمون أيضا بنشر مقالات متتابعة نشاطاتها والدعاية لها⁽⁸⁾. وفي السياق ذاته

الحكم، نقض الأدب الجاهلي لطفه حسين، ورأس مجلة "نور الإسلام". انظر معجم المؤلفين ج 3 ص 274. الأعلام، ج 6 ص 113. رجب البيومي، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، ط 1، دمشق، دار القلم، 1995. ج 1 ص 51. محمد مواعدة، الخضر حسين حياته وآثاره، ص 35.

(1) محمد الخضر حسين، الرحلات، (تحقيق علي الرضا الحسيني)، تونس، 1976، ج 2 ص 27، الرحلة الأولى، مجلة السعادة العطى، ع 20/19 (ديسمبر، 1904، جانفي 1905)، ص 34 و 44. وانظر سعد الله، أبحاث وآراء، مرجع سابق، ج 3 ص 104.

(2) رحلات جزائرية، ج 1 ص 32. لحسن بن علجية، الشيخ حمدان الونيسي، القسنطيني المدني، الجزائر، دار مساحات المعرفة، 2015، ص 48.

(3) عن وظيفة الحضور انظر محمد بن أبي شنب، "الرجال الذين رويوا صحيح البخاري وبلغوه لأهل مدينة الجزائر" دراسة مصطفى حميداتو، جامعة الوادي، مجلة المنهل، المجلد 5، العدد 1، جوان 2919، ص 97.

(4) محمد الخضر حسين، الرحلات، ص 33. سعد الله، أبحاث وآراء، مرجع سابق، ج 3 ص 104.

(5) علي غنابزية، مجتمع وادي سوف (1882-1954)، دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 2009، ص 73.

(6) عويمر مولود، الشيخ محمد الخضر حسين مسار التواصل بين المشرق والمغرب، المجلة الخلدونية، ع 8، سنة 2010، ص 95.

(7) الشهاب، ع (10 جويلية 1937)، مج 13، ص 247. عمار طالبي، ابن باديس حياته وآثاره، مرجع سابق، ج 4 ص 144.

(8) مولود عويمر، الإمام حسن البنا وحركات التحرر المغاربية، الكويت، مجلة المجتمع، العدد 1490، (23-2-2002) ص 43.

عمدت جمعية الشبان المسلمين التي رأسها أحمد تيمور باشا وأسهم فيها الخضر بدعوة سيد قطب في (5 مارس 1951) لإلقاء محاضرة انتقد فيها الاستعمار الفرنسي وعبيد فرنسا⁽¹⁾، وفي ربط العلاقات مع المشرق نشرت البصائر تهنئة له لتوليه مشيخة الأزهر سنة (1952) بقلم محمد العيد آل خليفة⁽²⁾. والمهم أن زيارة الخضر حسين ومدد كتاباته الإصلاحية العديدة في مجلتي الهداية ولواء الإسلام ومن قبلها السعادة العظمي ستكون منهلا لا ينضب للإصلاحيين في الترويج لمشروعهم الفكري الجديد الذي يجد سنداً له في أعمال الجزائري محمد الخضر حسين.

7- محمد المكي بن عزوز البرجي⁽³⁾: الفقيه المحدث الفلكي ولد بنفطة، وتوفي باسطنبول التي ولي بها التدريس في دار الفنون ومدرسة الواعظين، وقد درس بالهامل وتونس أيضاً، وهاجر لتركيا، ثم زار الجزائر مرات بحكم أن أحواله من الدير ببوسعادة، إذ هو حفيد الشيخ الديسي والد أبي القاسم الحفناوي. ومن زيارته المسجلة ما كان (1889)، حيث عرّج على وادي سوف وألقى بها دروساً، واستجاز علمائها، وكانت له مراسلات مع الشيخ علي بن صابر، وأحمد دغمان الذي تولى القضاء للتجانية بقمار⁽⁴⁾، وكانت له صحاح في مقاومة الاستعمار.

ومن الجدير بالذكر أن أهل الزيبان كانوا متعلقين بالمكي بن عزوز، حتى أنهم تحمسوا لفتح فرع لجمعية "جمعية الشرفاء"⁽⁵⁾. وعندما توفي رثاه العقبي، وكذا محمد الخضر حسين.

كما يبرز دوره في كونه من دعاة التجديد في الدرس الفقهي كما هو رأيه في معركة القبض والسدل التي حرك بها القلم الفقهي المالكي موافقة ومخالفة، فضلاً عن كونه سليلاً لمدرسة نفطة المعادية للفرنسيين، وقد أسس ابنه الكامل زاوية رحمانية بسوق أهراس⁽⁶⁾.

8- عبد العزيز الثعالبي: زار الجزائر مرارا سنوات (1895)، و(1903)⁽⁷⁾، ولا يخفى أنه كان من مناصري الإصلاح والجامعة الإسلامية، ويقال بأنه كان علوي الطريقة عندما كان منفياً في عنابة⁽⁸⁾.
ثانياً: أصداء حركة الجامعة الإسلامية.

(1) أبو الحسن الندوي، مذكرات سائح في الشرق العربي، دمشق، دار ابن كثير، 2001، ص 136.

(2) البصائر، ع 208، (1-12-1952)، ص 5.

(3) محمد المكي بن عزوز (1270-1334هـ/1854-1915م) شجرة النور، ص 423. فهرس الفهارس، مرجع سابق، ج 2 ص 229. الأعلام، ج 7 ص 33. معجم المؤلفين، مرجع سابق، ج 3 ص 733. معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 231. نهضة الجزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 144. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3 ص 217. الشهاب، مقال لعبد الرحمان الجيلالي، (رجب 1346-ديسمبر 1930)، ج 6 ص 731.

(4) علي غنابزية، مجتمع وادي سوف (1882-1954)، مرجع سابق، ص 72.

(5) رثاه العقبي بقصيدة ميمية، انظر الطيب العقبي، الأعمال الكاملة، جمع كمال عجالي ومحمد زمران، ط 1، الجزائر، دار رواي، 2015، ج 2 ص 346. محمد الهادي السنوسي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ط 2، قسنطينة، دار بهاء الدين، 2007، ج 1 ص 236.

(6) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 182.

(7) انظر خير الدين شترة، إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية، الجزائر، دار البصائر، 2009، ص 103. بوكسيبة، مرجع سابق، ص 258.

(8) بن نبي، مذكرات شاهد القرن، مرجع سابق، ص 134، حيث قال "اتجه الثعالبي نحو عنابة حيث كانت طريقة ابن عليوة مزدهرة فيها، فسلط الطرق، وأضحى على ما اعتقد أحد شيوخها"، وانظر غزالة بوغانم، الطريقة العلوية، نفسه، ص 189.

مما لا شك فيه أن أصداء حركة الجامعة الإسلامية قد وصلت الأراضي الجزائرية، وكان لها تأثيرها الواضح في تحريك السواكن، فقد كانت الدعاية لها رائجة، وذلك عبر مسارات عديدة أهمها:

أ- الرصيد الفكري: ممثلاً في دعوة الأفغاني في التحرر من الاستعمار في الهند من الإنجليز، ومن الفرنسيين في الشمال الإفريقي، وكان لجريدته العروة الوثقى صدًى في الجزائر، كما أن الأمير عبد القادر كان من أعضاء جمعية العروة الوثقى⁽¹⁾، ولا شك أن التيار العبدوي كان يستبطن هذه الرغبات، ولكنه قدم عليها العمل التربوي التعليمي كإلزامية ومقدمة لهذا التحرير القادم، وقد وجدنا شيئاً من تلك النبذة الأفغانية في مقالات عمر بن قدور في الجرائد التونسية، وفي جريدته الفاروق، وهو ما سنتبينه بعد حين.

ب- الرصيد الصوفي الجديد: وهو ما نجده بجلاء في حركات بعض المتصوفة الجدد الذين راموا تجديد التجمعات الصوفية لصالح مشروع الجامعة الإسلامية، ومن نماذج ذلك:

شيخ الإسلام أبو الهدى الصيادي، ويوسف الدجوي الأزهري عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر. والشيخ يوسف النبهاني رئيس محكمة الحقوق في بيروت، والشيخ محمد عlish علامة الأزهر الشريف.

ومن الغريب أن يكون عاشور الخنقي من أبرز المنافحين عن الأتراك وعن السلطان عبد الحميد، وهو ما سيكلفه سنوات السجن والإقامة الجبرية، وكذلك خصيمه الديسي الذي كتب قصيدة غراء تسمى "الحميدية" في الدفاع عن السلطان عبد الحميد بعد خلعه، وهجومه الواضح على حزب الاتحاد والترقي⁽²⁾.

د- الرصيد السياسي: ممثلاً في السلطان عبد الحميد، والذي كان له جهاز استخباراتي قوي لبث نشاط الجامعة الإسلامية، واستعادة هيبة الخلافة في الولايات المحتلة (تونس، الجزائر)، وكانت فرنسا بالمرصاد لذلك بتقييد حركة الحج والرحلة نحو المشرق، ومراقبة المطبوعات، وسيكون للجامعة الإسلامية ومولاة الدولة العثمانية أنصار كثر⁽³⁾، وهو ما كانت تخشاه فرنسا المراقبة لأي وافد شرقي تركي أو مصري يلج الجزائر، كما أشار لذلك محمد فريد بك في رحلته إلى الجزائر سنة (1901)⁽⁴⁾.

ومن آثار هذه الحركة الموقف السلبي للجزائريين تجاه التجنيد الإجباري، وهجرة العديد من العائلات نحو المشرق، والمغرب في سنوات (1908-1911)، ثم ستأتي الحرب الأولى لتكشف للفرنسيين عقم سياساتهم في فصل الجزائر عن عمقها الإسلامي.

المطلب الثاني: أهم رجال الإصلاح المحافظين.

تمهيد: يعسر علينا أن نصنف الاتجاهات الدينية مطلع القرن العشرين إلى إصلاحين وطريقين، فأغلب العلماء كانوا ذوي نزعات صوفية ظاهرة بالانتماء والبيعة والوفاء لشيخوهم، أو التزماً بالتصوف كمنهج جاد في التربية الروحية.

(1) أحمد حماني، محاضرات ومقالات أحمد حماني، جمعها عبد الرحمان دويب، الجزائر، عالم المعرفة، 2012، ج 3 ص 119.

(2) الديسي، ديوان منة الحنان المنان، اعتنى به أحمد بن روان، في قصيدة بمناسبة خلع السلطان عبد الحميد، ومما جاء فيها:

تسميتهم حزب الترقى سفاهة—وصنعكم للانحطاط بريد، انظر الشيخ الديسي، الأعمال الكاملة للديسي، دار كرادادة، 2014، ج 1 ص 209.

(3) انظر سعد الله، الحركة الوطنية، مرجع سابق، ج 2 ص 109.

(4) محمد فريد، من مصر إلى مصر رحلة عام (1901)، مرجع سابق، ص 60.

كما أن العسر يزداد تعمقا، خاصة وأن الزوايا هي المهاد الرسمي للتعليم، وقد انتقلت منها فرنسا أيما انتقام لما أداه قادتها وشيوخها من قيادة وتصدر الثورات الشعبية التي اشتعلت بها أرض الجزائر ضد الغريب الفرنسي الكافر، فكانت الماكينة الفرنسية قائمة على معاقبة الإسلام الطرقي الجزائري بوسائل التفجير والتدجين والتهميش، وتجفيف المصادر المالية من جهة أولى، وشراء الذمم والإغراء من جهة أخرى، وقد نجحت هذه الطرائق مع البعض، وفشلت مع الكثير. وعلى الرغم من كل ذلك فقد ولد من رحم هذه الزوايا والمعاهد علماء قادوا حركة الإصلاح والتجديد، ويمكن أن نطلق عليهم اسم المحافظين الإصلاحيين، وسنعرض بايجاز لتراجمهم وإسهاماتهم، ثم مواقفهم، وجديد آرائهم. فمن هؤلاء ما يأتي:

أولا: عبد القادر بن عبد الله بن محمد المجاوي.

ولد بتلمسان سنة (1264هـ/1848م) وكان أبوه قاضيا في تلمسان ثم طنجة، واستكمل ابنه دراساته العليا بجامع القرويين، ثم عاد مدرسا بقسنطينة سنة (1870م)، وواعظا بالجامع الكتاني، ثم انتقل للعاصمة سنة (1998م) مدرسا بالثعالبية، وفي سنة (1908م) عُين إماما بجامع سيدي رمضان، توفي بقسنطينة سنة (1914م). من آثاره: إرشاد المتعلمين، نصيحة المريدين في التصوف، أو نصيحة الإخوان، وهي شرح لمنظومة المنزلي في التصوف⁽¹⁾، شرح الجمل النحوية، القواعد الكلامية، تحفة الأخيار في الجبر والاختيار، المرصاد في مسائل الاقتصاد، الفريدة السنية في الأعمال الجيبية في الفلك، شرح منظومة ابن غازي في التوقيت⁽²⁾.

يُحسب للمجاوي ريادته للتعليم الإسلامي في قسنطينة، حين كان أستاذا للتعليم العالي بالمدرسة الإسلامية، بما أحدثه من توطيد وإحياء للدرس العلمي الذي اندرس بفعل المحق الفرنسي للزوايا التي انخرطت في العمل المقاوم، مما أدى إلى هجرة علماءها، أو انكفاءهم وانعزالهم نتيجة قطع الموارد المالية عنها بفعل المصادرات والمغارم التي سُلطت عليهم، وخاصة بعد ثورة الرحمانيين.

وللدور الخطير في النهضة العلمية التي كرسها المجاوي، فإن مبارك الميلي وفي تقييمه للحركة العلمية يقسم هذه الأخيرة إلى دورين هما: الدور المجاوي القروي، والدور الباديبي الزيتوني. ويعود بهذه النهضة سبعة سنين، وذلك في مقال طويل كتبه لمجلة المنهل بالحجاز⁽³⁾.

ومن نماذج ريادته الإصلاحية تأليفه لكتاب "إرشاد المتعلمين"، الذي نشره بمصر سنة (1877)، وحث فيه الجزائريين على وجوب الأخذ بوسائل التقدم الحضاري، وقد أحدث كتابه رجة، إذ كتب الحاكم العسكري في قسنطينة رسالة للوالي العام في الجزائر في (15-11-1877): "إن عبد القادر التلمساني المعروف لنا بالمجاوي

(1) طبع بتونس سنة (1314-1897)، ثم أعيد طبعه ضمن أعماله الكاملة بدار المدى بعناية عبد الرحمان دويب، ج 3.

(2) انظر معجم مشاهير المغاربة، ص 473. دبوز، نهضة الجزائر ج 1 ص 82. تعريف الخلف، ج 2 ص 297. أم الحواضر، ص 299. معجم أعلام الجزائر، ص 286. الحركة الوطنية الجزائرية، ج 2 ص 148. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7 ص 146. أعلام من المغرب العربي، ج 1 ص 30.

(3) محمد الميلي، مبارك الميلي، مرجع سابق، ص 177. وانظر عمار طالبي، مقدمة آثار ابن باديس، مرجع سابق، ج 1 ص 19.

الذي اشتغل في ذلك الوقت إماما بجامع قسنطينة أي سيدي الكتاني، والذي كان مرشحا لوظيفة في المدرسة الرسمية قد نشر كتيباً في القاهرة، وأكد القائد للوالي أن الكتيب أثار سكان قسنطينة إثارة خطيرة⁽¹⁾. ومما قاله المجاوي في تقييم التعليم التقليدي: "التعليم القديم غير نافع في زماننا لنقصانه إذ تعليم القرآن العظيم وحده على الكيفية المألوفة عندنا بهذه الأقطار لا يفيد المتعلم ولا أباه، فلا بد من معرفة العلوم النافعة في الدين والدنيا، أما إذا اقتصرنا على أحد العلمين ضاع ما يفتقر لذلك العلم المجهول، ولكن أهل زماننا تركوا العلمين معا".

كان المجاوي وفيما للميراث العثماني الجزائري المعتد بالطرق الصوفية السنية التي تتخذ من التسليك والتربية الفردية والشعبية وسيلة لتهديب النسيج الاجتماعي، وقد أسهم المجاوي في مد المكتبة الصوفية الإسلامية بشرح جميل لمنظومة المتزلي في الآداب والأوراد القادرية.

ثانياً: الصالح ابن مَهَنَّا القسنطيني الأزهري⁽²⁾: ولد بقرية كركرة بنواحي القل حوالي (1838م) درس بالزيتونة ثم الأزهر عند شيوخ كثير بعدما مكث قرابة الثلاثين سنة، فمن شيوخه المشاهير الشيخ الدراجي الجزائري، والشيخ عليش المالكي، والباجوري والمرصفي وغيرهم، وعاد إلى الجزائر سنة (1887)، ليقوم بالتدريس والإمامة في زاوية الشيخ بلقاسم بوحجر⁽³⁾، ثم بقسنطينة، حيث انتقل إماماً إلى بالمسجد الكبير بطلب من الشيخ محمود بن محمد الشاذلي البوزيدي⁽⁴⁾. إضافة إلى دروس في الزاوية الحنصالية للعوام، كما كان يسرد كل يوم عند الفجر صحيح البخاري في الجامع الكبير بقسنطينة⁽⁵⁾.

كان متصوفاً مصلحاً على الطريقة الحنصالية، وله فيها كتاب فتح الفتوح القدير بشرح حزب الفلاح والحزب الكبير وهذا الأخير لمحمد بن عيسى المكناسي مؤسس الطريقة العيساوية، والذي هو تلميذ الجزولي صاحب دلائل الخيرات.

(1) آلان كرسستليو، "حول بداية النهضة الجزائرية، كتيب لعبد القادر المجاوي"، الجزائر، مجلة الثقافة، ع 46 (أوت-سبتمبر)، 1978، ص 55. محمد بسكر، "دور النخب المثقفة في مواجهة سياسة التعليم في عهد الاحتلال الفرنسي"، جريدة البصائر، العدد 964، (10-16 جوان 2019) ص 11. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 196.

(2) من آثاره: تنبيه المغترين والرد على إخوان الشياطين، الفتح الرباني في الرد على المهدي الوزاني. ومن آثاره أيضاً: القول السديد على متن القصيد في علم التوحيد، الفتحات الأزهريّة في الخطب المنبرية، شرح الجزائرية الكبير والصغير، زجر الكلاب والرد على مسيلمة الكذاب، تحقيق للدعوى في الرد على أعداء أهل التقوى، إظهار الحق، حاشية على الرحلة الورتلانية. انظر معجم أعلام الجزائر، ص 323. معجم مشاهير المغاربة، ص 521. المهدي البوعبدلي، صالح بن مهنّا ناشر السلفية في الجزائر ومحتنه، الأعمال الكاملة، قسم التراجم، ص 9-28. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 331. معجم أعلام الجزائر في القرنين، مرجع سابق، ج 1 ص 189.

(3) الزاوية أسسها الشيخ سي الشريف بن بلقاسم بوحجر، انظر الصيد: نفسه، ص 48. ومن الزاوية برز الشيخ عبد الرحمان بوحجر (1280-1345هـ) الذي التحق بالأزهر، ثم هاجر للحجاز والسودان، وختم حياته واعظاً ومدرساً بالحرم المكي ثم جدة. انظر سمير سمراد، أعلام منسية عبد الرحمان بوحجر، منشور بموقع راية الإصلاح بتاريخ (4-4-2015).

(4) الشيخ محمود بن محمد بن عيسى الشاذلي البوزيدي مدير المدرسة المزدوجة، توفي (1905م). من علماء الجزائر، وجاء وصفه في البصائر بأنه "علامة عصره"، ع 126 (8-12-1938)، ص 3. وانظر تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 8 ص 66.

(5) انظر سليمان الصيد، صالح بن مهنّا القسنطيني، حياته وتراثه، ط 1، قسنطينة، دار البعث، 1983، ص 52-54.

تعرض ابن مهنا لمحنة شديدة أواخر القرن التاسع عشر، ولعلها سنة (1897م)، فعزل عن الإمامة وصُودرت مكتبته وحملت لدار العمالة الفرنسية بقسنطينة، وربما تعود المحنة إلى آرائه الإصلاحية في مواجهة الفلكلور والزردات الملتصقة بالتصوف، وآراؤه الصادمة للمجموع في قضية ارتباط الشرف بالتقوى، وطعنه في الميراث الأدبي الذي يجعل الأشراف فوق المسألة الشرعية، وكذا غمزه للأنساب المدعاة لعدد الأشراف، ولبعض ساكنة قسنطينة. واستمرت الخصومة حامية الوطيس بالكتابات المباشرة والردود العنيفة من رجال الوظيف الرسمي وغيرهم حتى أن ابن مهنا ألف غوثية (قصيدة استغاثة لرفع الضيم).

لم تترك الإدارة الفرنسية وسيلة للإيقاع بالرجل إلا وركبتها، حتى أنها استدعت النائب المستشرق ألبان روزي - (ALPIN ROZE) - الذي طلب من السلطة أن ترجع المكتبة لصاحبها، وبعد مدة طويلة عن هذه الحادثة حاولت السلطات الفرنسية تبرير فعلتها، "وادعت جريدة (الأخبار) الفرنسية شبه الرسمية أن ابن مهنا قد أوقفته الإدارة عن عمله (1905)، لأنه انتقد انتقادا شنيعا على الحكومة، وعلى كثير من فضلاء المسلمين"⁽¹⁾. والمهم أن ابن مهنا استمر في عمله مواجه الغول الاستعماري، والمنائين من حضر قسنطينة، وبعض الموظفين الدينيين، فضلا عن خصومته العلمية الشهيرة مع عاشور الخنقي، ولكن ذلك لم يثنه عن المثابرة وصناعة الوعي، وسيثمر عمله نهضة علمية في جزائر القرن العشرين.

توفي الشيخ محمد الصالح بن مهنا بمدينة قسنطينة يوم (11 أبريل 1910م)، وشيعت جنازته في موكب مهيب ودفن بمقبرة مدينة قسنطينة، وفي شهادة نادرة سجلها مالك بن نبي في مشروعه الرائد "شروط النهضة" ما يلي: "وإنه من الواجب علينا أن ننوه ببعض ما كان من أمر مناجاة الشيخ (صالح بن مهنا) الضميرية الفردية، فإن صوت مناجاته كاد يوقظ أهل قسنطينة كلها سنة (1898)"⁽²⁾.

ثالثا: محمد السعيد بن زكري الجنادي [1852-1914م]: عالم فقيه مشارك، درس في زاوية عبد الرحمان اليلولي، وانتقل إلى العاصمة فولي خطة الخطابة بجامع سيدي رمضان، ثم ولي إفتاء المالكية بالعاصمة. من آثاره المهمة في الإصلاح كتابه الرائد في الدعوة لتجديد المناهج البيداغوجية للزوايا "أوضح الدلائل على وجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل"⁽³⁾. وأهم ما في الرجل أنه أول من افتتح النقد العلني للطرق الصوفية والعوائد المرباطية، في نقده العلني لثورة الرحمانيين التي حملها أوزار الخسائر الفادحة التي لحقت بالجزائريين، كما أن اقترح أول مشروع لتطوير التعليم في الزوايا بحكم تلمذته الطويلة لأهم معهد علمي بزواوة وهو معهد اليلولي، كما أنه دعا لمراجعة الأعراف السائدة في قضية المرأة وحرمانها من الميراث في بلاد القبائل. وهو ما سنعود له في القضايا الثقافية الجدلية.

رابعا: الشيخ عبد الحليم بن سماية (1866-1933م): عالم جزائري فذ مشارك، تتلمذ لأبيه علي، وللشيخ السعيد بن زكري، وأبي القاسم الحفناوي، استقبل محمد عبده في زيارته للجزائر سنة (1903م)، واشترك في

(1) سليمان الصيد، ابن مهنا، نفسه، ص 104. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 8 ص 119.

(2) مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 23.

(3) انظر تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 379. وانظر مقدمة الكتاب، تحقيق محمد عبد الحليم بيثي، صص 5-26.

مؤتمر المستشرقين بالجزائر (1905) بمحاضرة عن الحضارة الإسلامية والفلسفة⁽¹⁾، ودرّس بالمدرسة الثعالبية منذ (1896)، ونشر مقالات في الصحف الجزائرية والتونسية.

عارض السياسات الفرنسية ووقف ضد التجنيد الإجباري، وكان مقدا في الطريقة التجانية⁽²⁾، تتلمذ له كثيرون أمثال عمر بن قدور رائد الصحافة الجزائرية، وعبد الرحمان الجيلالي⁽³⁾.

يظهر أثر ابن سماية في رعايته للإصلاحية العبودية، وانخراطه في العمل الاجتماعي، وحتى السياسي وخاصة في معارضته للتجنيد الإجباري، وكان نشاطه محمومًا قبل الحرب العالمية الأولى، وقد ذكروا بأن السلطات عارضت طبع كتابه "فلسفة الإسلام" لما يحمله من قضايا تجديدية مناهضة للفكر الغربي، كما اهتم بعلم الكلام والفلسفة، وكان حريصًا على نيل إجازة لكتاب المواقف للعضد الإيجي.

وقد اعتلت حياته في آخر عمره، فكان يتظاهر بالجنون، وكانت فيه حدة تداري، وقد سجل لنا توقيق المدني مرور موكب بن سماية السلطاني، وكيف أملى عليه درسًا كاملاً في المنطق لم يخطئ فيه شيئًا، وعرض عليه منصب الخزناجي في حكومته المتخيلة⁽⁴⁾، والتي هي احتجاج على حكومة الوضع الاستعماري القائم.

خامسًا: محمد بن مصطفى ابن الخوجة الحنفي (1865-1915)⁽⁵⁾: من أهم العبوديين في الجزائر، ومن رواد النهضة باتفاق لما أحدثته مؤلفاته من دوي كبير تناول أهم الحقوق المعرفية المتداولة، ومن تطرقه الجريء للتعليم ووضع المرأة والموقف من الحضارة الغربية الغالبة.

اشتغل بالعمل الصحفي مصححًا ومحررًا بجريدة المبشر، ولكن جهده الأكبر كان في تعليم العربية والاعتداد بها، إضافة إلى دروس في الجامع الكبير، وبناء على تقارير المفتشين الفرنسيين التي نقلها سعد الله فإنه كان

(1) دبوز، نهضة الجزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 106. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 165. وروى دبوز عن عمر راسم في مخطوطته "تراجم علماء الجزائر" أن الحكومة لم ترض عن بحثه، فلم يطبع كغيره" انظر دبوز، نفسه، ج 1 ص 124. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 165. جيلالي صاري، بروز النخبة المثقفة الجزائرية (1850-1950)، ترجمة عمر المعراجي، الجزائر، منشورات anep، 2007، ص 45.

(2) نشرت له جريدة الرشاد مقالًا نادرًا حول التصوف، ع 16 (13-9-1938)، ص 1.

(3) من آثاره اهتزاز الأطواد والربا في مسألة تحليل الربا، الكنز المدفون والسر المكتون، وله اهتمامات موسيقية، أصيب أو ادعى الجنون في آخر أيامه، ودفن بترية الثعالبي انظر: نهضة الجزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 126. معجم مشاهير المغاربة، مرجع سابق، ص 283. معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 178. وذكر الجيلالي أن التجانيين عارضوا كتاب الكنز المدفون، وأحرقوا نسخه، تاريخ الجزائر العام، مرجع سابق، ج 5 ص 284. وكتب عنه تلميذه المغربي أبو العباس التجاني مقالًا رثائيًا نشرته مجلة التلميذ، ع 3-4 (جانفي-فيفري 1933). انظر مقدمة طالبي لأثار ابن باديس، مرجع سابق، ج 1 ص 31. معجم أعلام الجزائر في القرنين، مرجع سابق، ج 1 ص 109.

(4) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، (1925-1954)، الجزائر، دار البصائر، 2010، ج 2 ص 87.

(5) من آثاره: الاكتراث بحقوق الإناث، إقامة البراهين العظام في نفي التعصب عن دين الإسلام-قرظه المجاوي كتابة ووافقه ابن زكري، ومحمد بن زاكور مفتي المالكية، وأحمد بوقندورة مفتي الحنفية وعلي بن الحاج موسى وبن سماية عبد الحليم-المدرس بالمدرسة والجامع الجديد-، للباب في أحكام الزينة والحجاب، تنوير الأذهان في الحث والتحرز وحفظ الأبدان، السمط الدرّي في مسائل تتعلق بالجذري، وله رسالة في تراجم علماء الجزائر كتبها للمكي بن عزوز، حكم الذبائح والنذور للأولياء المبرور، الجوهر المنظوم، نسيمات الأسحار، فتح العلام، نشر الجواهر الحسان للثعالبي، إثبات العين بالبرهان العقلي، عقود الجواهر في حلول الوفد المغربي بالجزائر، فتح العلام في علم الكلام، انظر نهضة الجزائر، ج 1 ص 128. معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 138. تاريخ الجزائر العام، مرجع سابق، ج 5 ص 319. معجم مشاهير المغاربة، ص 200. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3 ص 83. الأعلام، ج 7 ص 101. معجم المؤلفين، ج 3 ص 719. معجم أعلام الجزائر في القرنين، مرجع سابق، ج 1 ص 89.

نصيرا لحرية الفكر في موضوع العقيدة، وكان يدعو إلى التخلص من الدجل والخرافة، ومن ثمة فإن الفرنسيين سيجنون من دروسه فائدة كبيرة إذ كان نصيرا قابلا للاستعمال لعملنا الحضاري⁽¹⁾.

ولا يبعد هذا، فإن الرجل كان واعيا بلحظة التحدي الحضاري التي يتوجب معها طرح القديم الذي لا يناسب السلاح المكافئ لمواجهة الهجمة الغربية، والأمر كله ترديد لدعوات محمد عبده في التجديد، فقد أدخل مذهبه وشغف به، وما من رسالة إلا ويقتنها ويشرحها في درسه للعموم، حتى إنه درّس تفسير العصر-لمحمد عبده- مرات، وكان يكتب محمد عبده ويخبره بذلك⁽²⁾.

وهو صاحب نزعة تجديدية تتغيا العودة للأصول وإحياء الاجتهاد، ولا أدل على ذلك من عمله الذي لم يتم في تحقيق كتاب السيوطي "الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض"، وتحقيقه لكتاب الجواهر الحسان للثعالبي الذي نشرته الثعالبية سنة (1904)، ويحسن بنا استذكار مقولة عمر راسم: "شاعر الجزائر في وقته، وأفصح علمائهم وأعلمهم بتراجم علماء الجزائر، كان شغوبا بمحبة الشيخ محمد عبده، وهو الذي أدخل مذهبه إلى الجزائر، وعرف الناس به"⁽³⁾.

سادسا: محمد بن أبي شنب (1869-1929)⁽⁴⁾: أصيل مدينة المديّة، التحق بالتعليم منذ (1888) ونال الدكتوراه (1920)، وكان عضوا بالمجمع العلمي بدمشق (1920) حضر عديد مؤتمرات المستشرقين، وأسهم في الحركة العلمية بقوة، وأهمية ابن أبي شنب إضافة إلى نشاطه العلمي والتعليمي كونه قد أدى خدمات جليلة بنشره لعدد المؤلفات الجزائرية كرحلة الورثاني في إحالة قوية على جزائر ما قبل الاستعمار، إضافة إلى نشاطه المفرط في الاعتناء بالأدب العربي في مواجهة ثقافية كبيرة ضد الفرنسية التي استغوت النخبة المثقفة آنذاك. كما كتب دراسة رائدة عن تأثر دانتى في الكوميديا الإلهية بالتراث الإسلامي وخاصة المعري في رسالة الغفران في تذكير للأوروبيين في جحودهم الكبير لجذور نهضتهم الحديثة.

ولمكانته الرائدة في إحياء الدرس العربي الأدبي والإسلامي قام الجزائريون بإحياء ذكره وتأيينية، وأوكلت رئاسة لجنة الاحتفال به للشيخ الإبراهيمي الذي أشاد به وبمكتبته، وذلك في حفل أقيم بنادي الترقى⁽⁵⁾.

سابعا: عمر راسم: الخطاط المشهور الذي ولد بالعاصمة سنة (1883) من أصل بجائي، تلقى علومه الأولى بكتاتيبها ومساجدها، وكان حزا با بجامع سفير، حيث درس على الكمال بن الخوجة، ودخل الثعالبية أيضا، وتابع ونشر بالصحافة التونسية في جرائد التقدم والمرشد، وهاجم الاندماج وشراء ذمم الجزائريين بمنح

(1) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3 ص 87.

(2) طالبي، آثار بن باديس، ج 1 ص 34. عبد الكريم ابن العقون، الكفاح القومي السياسي، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ج 1 ص 158.

(3) ابن أبي شنب، النهضة الأدبية، نفسه، ص 52. رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام، ج 1 ص 871. دبوز، نفسه، ج 1 ص 128.

(4) له: تحفة الأدب في ميزان أشعار العرب، أبو دلامة وشعره، الألفاظ التركية والفارسية الباقية في اللهجة الجزائرية، تحقيق رحلة الورثاني، فهرس خزانة الجامع الأعظم، تحقيق الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق "طرس الأخبار للمشرقي"، طبقات ابن أبي العرب، عديد المواد في دائرة المعارف الإسلامية. انظر معجم أعلام الجزائر، ص 189. أعلام من المغرب العربي، مرجع سابق، ج 1 ص 130. الأعلام، مرجع سابق، ج 6 ص 266. معجم المؤلفين، مرجع سابق، ج 3 ص 486. وانظر كتاب عبد الرحمان الجيلالي عن محمد بن أبي شنب.

(5) الشهاب، ع (ماي 1929)، ج 5 ص 157. الشهاب، ع (ذو القعدة 1347/ أفريل 1929)، ج 5 ص 123. آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 45.

معجم أعلام الجزائر في القرنين، مرجع سابق، ج 1 ص 221.

النياشين، وأصدر جريدة الجزائر سنة (1908)، وعمل بجريدة المبشر، كما سافر إلى مصر سنة (1912)، وأصدر جريدة "ذو الفقار" أوائل (1914)، حيث جعل رئيسها الشرفي كلا من محمد عبده والفرنسي هنري الروشفور، وكان من معارضي التجنيد الإجباري، وأسهم في الترجمة لمعاصريه من الرواد كابن سماية والكمال وغيرهم في "تراجم بعض زعماء النهضة الأولين بالجزائر"⁽¹⁾.

ولنزعتة الإسلامية سجن أيام الحرب العالمية الأولى بتهمة التخابر مع العدو والانتصار للعثمانيين، وحكم عليه بالأشغال الشاقة (1915-1921)، وبعد خروجه انزوى على نفسه ليدركه الأجل سنة (1959)⁽²⁾.

وأما توفيق المدني فقد نقل لنا صورة قاتمة عن اكتئاب عمر راسم اليأس من الأوضاع، وذلك في نهاية العشرينات، وكيف أنه يحن لراية الدولة العثمانية⁽³⁾. ويعتبر عمر راسم من أوائل المنتهين للخطر الصهيوني، وتأثير اليهود على القرارات الفرنسية، وهو ما تجسد في وعد وزير الخارجية الفرنسي "ستيفان بيشون" بوطن قومي لليهود في فلسطين⁽⁴⁾.

ومن المفيد نقل شهادة الزاهري: "راسم رجل من أبرأ الناس بالإسلام ومن أكثرهم علما به، وأنا لست أعرف من الإسلام أكثر مما يعرف الأستاذ راسم، وقد فسر الجزء الأول من القرآن الكريم تفسيراً إذا قرأته عرفت أن العلم موهبة يهبها الله من يشاء من عباده، وهو يعد من قادة الفكر في الجزائر، جاهد في سبيل الجزائر المسلمة، وأوذي في الله، ودخل السجن، ولبث فيه سبع سنين، وهو أول رجل في الجزائر -فيما نعلم- حارب التفرنج والإلحاد بما كتبه بلغة القرآن وبلغة الفرنسيين"⁽⁵⁾.

المطلب الثالث: الشخصيات الجزائرية العائدة من المشرق.

أولاً: عمر بن قدور الجزائري⁽⁶⁾: من الشخصيات الرائدة في العمل الإصلاحي، إذ هو بلا منازع رائد الصحافة الوطنية الحرة، وسيكون مساره مهماً لنا باعتباره ابتداءً إصلاحيًا، وانتهى صوفياً طريقاً تجانياً.

ولد عمر بن قدور في العاصمة في (1886) وبها تلقى تعليمه الأولي وسافر إلى تونس سنة (1904) ثم مصر واتصل بزعماء الحركة الوطنية وكتب في الجرائد الشرقية (اللواء، الحضارة)، والتونسية مثل "الحاضرة" و"التقدم" اللتان كتب فيهما مقالات حارة عن الوطنية، والإصلاح، والوحدة الإسلامية، والتعليم. ثم عاد في (1907) للجزائر، ورأس القسم العربي لجريدة الأخبار، وكانت ميوله قومية إسلامية، ولديه رؤية واضحة عن حالة العالم الإسلامي، وانتصار جلي للجامعة الإسلامية، وله موقف مشهود في رفض التجنيد الإجباري كلفه

(1) دبوز، نهضة الجزائر، مرجع سابق، ج 2 ص 73. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7 ص 441. الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، ج 2 ص 115.

(2) الجبالي، تقويم الأخلاق، ص 53. المدني، كتاب الجزائر، مرجع سابق، ص 458. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 282. محمد ناصر، "عمر راسم المصلح الثائر"، الجزائر، مجلة الثقافة، ع 30 (ديسمبر-جانفي 1976)، ص 11.

(3) المدني، حياة كفاح، مرجع سابق، ج 2 ص 992. وانظر معجم أعلام الجزائر في القرنين، مرجع سابق، ج 2 ص 205.

(4) علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، 1925-1940، ترجمة محمد يحياتن، الجزائر، دار الحكمة، 2007، ص 39.

(5) الزاهري، الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير، ط 2، الجزائر، دار الكتب، 1983، ص 34.

(6) محمد ناصر، الصحف العربية، ص 40. معجم أعلام الجزائر، ص 243. محمد عبد الحليم بيثي، مقدمة تحقيق الإبداء والإعادة في مسلك سائق السعادة، مرجع سابق، ص 5. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5 ص 276. المدني، الجزائر، ص 458، وقال إنه كتب بها أول مقال في حياته.

الكثير من الضغط والنفي، حيث يشير علال الفاسي إلى الاعتقال المتزامن لكل من بن قدور في الجزائر، وتوفيق المدني والجزيري في تونس لما وجدته السلطات من مراسلات بينهم⁽¹⁾.

أهم حدث دوى به ابن قدور في الحياة الجزائرية هو إصداره لأول صحيفة عربية خالصة هي جريدة الفاروق الأسبوعية التي أصدرها بجهده الفردي سنة (1913)، وعطلت بجور الإدارة سنة (1915). حيث نفي بقسوة راجلا إلى مدينة الأغواط، أين عوضه الإمام محمد التاوتي محن الغرب والحاجة واحتضنه في منفاه، وهناك ترسخت قناعاته الصوفية أين انخرط في الطريقة التجانية، وأسهم بكتابه الإبداء والإعادة في الدفاع عنها، والرد على منتقديها من مدرسة الإمام محمد عبده، وخاصة رشيد رضا في مجلته المنار، وبعد سنة (1919) كانت نهاية النفي بعد انقضاء أوجاع الحرب العالمية الأولى، والعودة للعاصمة، فتولى سنة (1920) رئاسة تحرير جريدة الصديق، ثم أصدر مجلة الفاروق (الثانية) ذات التوجه التربوي الاجتماعي، وفي سنة (1928) تولى إدارة أول مدرسة حرة وهي مدرسة الشبيبة الإسلامية بالجزائر العاصمة، وطبع كتابه: "الإبداء والإعادة في مسلك سائق السعادة"، وفي أوائل شهر فيفري من سنة (1932) توفي ابن قدور في العاصمة⁽²⁾، قبيل أشهر من وفاة أستاذه عبد الحليم بن سماية.

تنوعت آراء ابن قدور التي بثها في الصحف التي كان يرأسها وهي الحضارة العثمانية، واللواء المصرية، والنديم التونسية، ويمكن إيجازها في الدعوة إلى إنشاء جامعة لتعارف شعوب شمال إفريقيا، ومناصرة القضية الليبية والوقوف ضد سقوط آخر صقع في يد الاستعمار شمال إفريقيا، والدعوة إلى مناهضة البدع والخرافات والفلكور الذي شل الحياة الاجتماعية، والعودة إلى التصوف الصحيح المرتقي بالأخلاق والمجانف لسوءات الحياة الغربية.

وفي تقييم سعد الله عن تحول بن قدور نقراً: "هل هناك عوامل أخرى جعلته يخمد بعد نشاط ويعود إلى الحرم الذي عاد إليه محمد العيد أيضا بعد عقدين؟ إن وراء مصير كل واحد قدرا يسيره، ويبدو أن مصير عمر بن قدور في الإصلاح والاهتمام بالنهضة ورفض الصهيونية والاستعمار قد توقف سنة (1915) ليبدأ مصير آخر، وهو ليس بدعا في ذلك، ولنعتبر بمصير الأمير خالد نفسه، والطبيب العقبي، ومصالي الحاج ... والعبرة بما كان يتلجلج في الصدور وليس بما تبوح به الألسنة والأقلام"⁽³⁾.

ثانيا: المولود الزريبي الأزهري: (1887-1925)⁽⁴⁾: الرجل القصير العمر الكبير الأثر، والذي يعد رائد الإصلاح النضالي الحقيقي قبل ابن باديس. ولد بالزيبان الغربي سنة (1887)، ودرس بالزاوية الرحمانية بليانة، ثم

(1) علال الفاسي، الحركات الاستقلالية، مصر، 1948، ص 48. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 280.

(2) أئنه المفتي العاصمي ودفن بمقبرة سيدي امحمد بالحامة بالعاصمة، انظر المرصاد، "وفاة عالم"، ع 6 (5-2-1932)، ص 2.

(3) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 281.

(4) من آثاره: بدور الأفهام، علم الأخلاق، شرح القدسية، شرح كتاب البيوع من خليل، شرح الأجرومية. انظر الترجمة الواسعة لمحمد العلمي في النجاح، ع 200 (20-3-1925)، ص 3، بعنوان "ترجمة فقيه العلم والعمل العلامة المبرور الشيخ المولود الزريبي الأزهري". وثناء الهادي السنوسي له في النجاح، ع 201 (27-3-1925)، ص 2. وانظر عمار هلال، العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية، فيما بين القرنين 9-20، ص 339. معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 158. زهير إحداث، أعلام الصحافة الجزائرية، الجزائر، مؤسسة أهدن للنشر، 2002، ج 3 ص 38. الزاهري، شعراء الجزائر، مرجع سابق، ج 2 ص 155. أعلام من المغرب العربي، مرجع سابق، ج 1 ص 97.

هاجر للأزهر ومكث أربع سنوات، وتتلّمذ لبخيت المطيعي ومحمود السبكي وغيرهما، وعاد حوالي (1911)، وكتب في الفاروق الأولى، ثم تولى رئاسة تحرير جريدة الصديق سنة (1920)، ودّرس في الجامع الكبير، ثم صار إماما لمدينة بوفاريك في (1922) إلى أن توفي سنة (1925).

تظهر مركزية الفعل الإصلاحي للزبيبي أنه دلف بصوت حذر داخل الزيبان والجزائر، فهو من بواكير الأصوات التي حاولت التغيير تأسيا بما رآه في المشرق أيام دراسته الأزهرية، ويظهر الحذر في وسائله وأهمها كتبه التي بثها آراؤه، وإحياؤه للمرجعيات الإصلاحية كالأخضري، وابن الحاج العبدري، في حين يرى سعد الله أنه كان صريحا " مندفعاً غاية الاندفاع في حين كان غيره يترث ويقتصد"⁽¹⁾، وأن وريثه هو الطيب العقبي، وقد روى أن ابن باديس كان ينصح تلامذته بعدم الاقتداء بالزبيبي في الاندفاع في علاج المسائل الدينية والاجتماعية، بل كان ينصح بالصبر والنفس الطويل للوصول إلى الهدف البعيد وهو إصلاح المجتمع، وفي أولية الزبيبي في آرائه الصريحة المباشرة يقول الزاهري السنوسي: " ما كنت أعلم أن أحدا صدع بدعوة المصلحين في ذلك الوقت قبله، صدع بذلك غير وجل، وهو الغريب كل الغربة فيما صدع به، ولست أنسى ما كان يطرق آذاني في صباي من أنه معتزلي، وفي بعض الأحيان: ملحد وزنديق معا، ولقد كان أمثالي إذاك يتجنبونه خوفا من أن يمسهم بإلحاده وزندقته"

وأهم كتابين بثما آراؤه هما اثنان: الأول شرح قدسية الأخضري⁽²⁾، ومن المعلوم أن القدسية كانت ثورة على التقاليد الطرقية.

والثاني شرح عقائد ابن عاشر، وهو الكتاب المهيمن على الدرس الفقهي الابتدائي في المحاضر والمعاهد والزوايا الجزائرية. وقد ألفه حوالي (1914) وطبعه بتونس سنة (1916)⁽³⁾، وقامت جريدة الصديق بالدعاية له، وأهمية الكتاب تظهر في تجديدية الدرس العقدي، وشحنه بالآراء الإصلاحية. يقول سعد الله: " وقد جعله -بذور الأفهام- وسيلة لطرح أفكاره في الإصلاح، وفي دعوته إلى تعلم المنطق والتعمق في العلوم، وأفاض في الحديث عن التصوف قديما وحديثا، ودعا فيه إلى الإصلاح واتباع السنة كما فعل الأخضري، ولكن في أسلوب حديث ولهجة مباشرة"⁽⁴⁾

وفي مقدمات الكتاب التي نوه فيها بالعلم وبمرجعية الأشعري ومالك والجنيد، معتبرا آراؤه لا تمس بأصل التصوف، وإنما بالبدع التي ألحقت بها وعايرت طريق القوم، فيقول: "ومهما شنعت فيما يأتي في بعض مبتدعات أهل الطرق، فإنما الكلام في الطائفة التي بدلت وغيّرت في أصل الطريقة، ولست أريد القدح من أصلها، وإلا فإنها مبنية على مقتضى العمل بكتاب الله وسنة رسول الله فهي ثمره الظاهر"⁽⁵⁾.

(1) أبو القاسم سعد الله، خارج السرب، ط2، الجزائر، دار البصائر، 2009، ص170.

(2) الشرح في حكم المفقود، وحسب محمد العلمي فقد اطلع عليه، في حين ذكر سليمان الصيد أنه بمكتبة عبد الرحمان الجيلالي، انظر مقدمة عبد الرحمان دويب الشيخ المولود الزبيبي حياته وأثاره، ج 1 ص 61.

(3) انظر الزبيبي، بذور الأفهام وشموس الأحلام على عقائد ابن عاشر العبر الهمام، الجزائر، دار كنوز الرشيد، 2015، ص 19.

(4) سعد الله، المرجع السابق، ص 180.

(5) الزبيبي، بذور الأفهام، نفسه، ص 46.

ولأجل هذا استدعى في كتابه مواقف الصوفية من الحلول وأهله كفتوى قتل الحلاج، وهاجم مظاهر الفلكور الشائعة بالرقص والتصفيق في الذكر، وهاجم بقوة عقيدة التصريف للأولياء⁽¹⁾، وهي مطية للتمكّن من رقاب وجيوب العوام.

وقد استعاد في نكيره لطرقية وقته أبيات الأخضري التي هاجم فيها الفلكور الطرقي والسماع المفرط، والحضرات المبتدعة في نظره، ومن الواقع الذي هاجمه وضعيته بلدته -الزربية- التي سماها بالبلدة التعيسة بكثرة الجهل والمنكرات بين أهلها، وتوزعهم وتفرقهم بسبب العصبية القبلية والدينية إلى ثلاث مساجد على الرغم من صغرها⁽²⁾.

المطلب الرابع: القضايا الإصلاحية الأولى مطلع القرن العشرين.

تشكلت القنوات الإصلاحية الأولى والمولودة من رحم العلماء المحافظين أمثال المجاوي وابن سماية والكمال بن الخوجة والسعيد بن زكري على جملة قضايا كإصلاح التعليم والتجديد للدرس العلمي، والتنبيه على تأخر وضع المرأة، فضلا عن العلاقة مع المستعمر، وسنلاحظ بأن الصوت الأصدح في هذه الفترة ستكون للإصلاحيين، وجلهم محافظون، في حين لا نجد كبير أثر للطرفيين الخلّص، نتيجة الجراح التي أتختنهم جراء المقامات الشعبية التي قادتها زواياهم، وإن وجدنا لهم ردود فعل منابذة للمستعمر في قضية التجنيد الإجباري، وأخرى مسالمة مهادنة نتيجة تدجين البعض، وسنشهد ذلك في الموقف من الدعاية العثمانية والحرب العالمية الأولى، ومن أهم القضايا المثارة في مطلع القرن العشرين ما يأتي:

أولا: الدعوة للتزقي ومجافاة الجهل والبدع: حيث ركز هؤلاء على ذلك، ومنهم المجاوي شارع المنصفة إلى العودة للسنة⁽³⁾، ومجافاة البدع، ونقل قول أبي مدين: "أضر الأشياء صحبة عالم غافل، أو صوفي جاهل"⁽⁴⁾، كما عرض لحفلات الزار والذبح للجن، وأكل الدم، وتكلم عن شيخاته ودجلاته، وأرجعها إلى تقاليد الزنوج المجلوبين من إفريقيا، وأفاض في الكلام عن تقاليد الزار بما يدل على إطلاعه على ما يعرف بالتدين الشعبي، وفسر ما يقع للناس بعدها من انتشاء وارتخاء بأنه تفريغ لطاقات سيئة بالبندير والطبل والغناء المثير، وتكلم عن سوق العجول وأكل أفئدة النسور وبعض الطقوس الغريبة في حوض السلاحف المنسوب لمحمد الغراب⁽⁵⁾، في شرحه للبيت:

وسل زارا ونسر مسيد طبل—وزينتنا تبيع التابعينا

وسل عنا السلاحف في غراب—وأعطارا تراق وعائمينا

(1) الزريبي، بذور الأفهام، ص 198.

(2) الزريبي، المرجع السابق، نفسه، ص 113.

(3) المجاوي، اللمع في نظم البدع، مقدمة، مطلب في العمل بالسنة، ذاكرة الجزائر، الجزائر، دار كردادة، 2011، ج 3 ص 101. وفي فضل الحديث، ص 168.

(4) المجاوي، اللمع، ص 127.

(5) محمد الغراب الذي ثار ضد صالح باي، فقتله، ثم بنى له قبة تكفيرا عن ذنبه، انظر تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 1 ص 220.

كما عرض لظواهر طلب الكنوز بالتباخير والعزائم والطلاسم، وهي مظاهر تكلم عنها ابن خلدون منذ زمن، ولا تزال سارية لحد الآن في قوله⁽¹⁾:

ونطلب بالعزائم كنز أرض—ونبطل نصرة للكاذبين

ثانيا: الموقف من إصلاح التعليم: ويتعلق الأمر بشقين هما إصلاح المناهج الحالية، والدعوة إلى تعميم التعليم.

1-الدعوة إلى إصلاح التعليم التقليدي: يعتبر إصلاح التعليم في الزوايا الجزائرية حجر الأساس عند الكثير من الرواد، ومنهم:

أ-شيخ الجماعة عبد القادر المجاوي في كتابه "إرشاد المتعلمين"⁽²⁾.

ب-ابن أبي شنب: "النصائح المفيدة في اقتناء العلوم والاشتغال بما يرقى العقول من المعارف والآداب وينهض بها من حضيض الكسل" وقد نشرها بجريدة المغرب في (24-4-1903)، ومما جاء فيها⁽³⁾:

أفيقوا بني عمي برقي المشارف—وجدوا وكدوا في اكتساب المعارف

فقد ذهب الأعلام والعلم بينكم---ولم يبق إلا كل غمر وخالف.

ج-أبو يعلى الزواوي في كتابه تاريخ زواوة، والذي أورد في فصوله الأخيرة مقترحات لإصلاح التعليم الابتدائي والعالي، وأنواع البرامج الملائمة في مختلف العلوم، وكذا اقتراح منظومة إدارية وبيداغوجية لها⁽⁴⁾.

دون أن ننسى دعوات عمر بن قدور الجزائري والمولود بن الموهوب وأضرابهم أمثال محمد بن الحاج إبراهيم الطرابلسي، الذي ولد (1887)، وهاجر والده لطرابلس الغرب، ثم عاد آخر حياته، داعيا إلى نهضة التعليم، فمما قاله باكيا على تردي وضعية التعليم وانحراف الأوضاع⁽⁵⁾:

إن لج قوم في الجهالة وارتضوا---جهلا فكن للعلم كالعشاق.

أما أهم مشروع إصلاحي فهو عمل ابن زكري في رسالته "أوضح الدلائل"، وكان منصبا على الزوايا باعتباره ابنا لها، بها تفقه وتعلم وبلغ المناصب العلمية السامقة، فكان عارفا بها وبخباياها، حيث شدد على ضرورة إبقائها مع مواردها وأوقافها، وقدم اقتراحاته للحكومة الاستعمارية الفرنسية في عدم المساس بأوقاف الزوايا القريبة والبعيدة. وتدور أهميته في أنه أول مشروع إصلاحي بيداغوجي مكتوب منشور يتناول التعليم التقليدي، وقد تمحور الإصلاح المقدم على جملة أمور أهمها:

أ-الإصلاح الإداري: في التنظيم والتسجيل وشروط القبول، حيث شدد على قضايا التوثيق والسجلات حتى تكون مراقبة الإدارة شديدة على الرواد لعدم تكرار استقلالية الزوايا التي كانت وقود ثورة (1871م).

(1) المجاوي، اللمع، مرجع سابق، ص 223. وانظر تاريخ ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ج 1 ص 485. محمد عبد الحليم بيثي، الإمام ابن مهنا وقضايا الشرف والأشراف، تحقيق رسالة الفتح الرباني في الرد على المهدي الوزاني، الجزائر، دار البصائر، 2021. ص 207.

(2) المجاوي، إرشاد المتعلمين، تحقيق عادل همال، ط1، بيروت، دار ابن حزم، 2008، ص 31.

(3) المجاوي، إرشاد المتعلمين، نفسه، ص 123. وانظر ركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، الجزائر، دار الكتاب العربي، 2011، ص 691.

(4) أبو يعلى الزواوي، تاريخ زواوة، تحقيق سهيل الخالدي، ط1، الجزائر، وزارة الثقافة، 2005، ص 149.

(5) الزاهري، شعراء الجزائر، مرجع سابق، ج 2 ص 128.

ب- الإصلاح البيداغوجي: في قضايا التوقيت والعطل المدرسية، وتحديد مستويات الدراسة وقضايا العقوبات.
ج- الإصلاح المنهجي: وذلك بإدخال العلوم الحديثة كالجغرافيا والحساب والرحلات والتاريخ من أجل تمكين الطلبة من الإطلاع على الجديد.

د- الإصلاح الاجتماعي: وذلك بإبقاء وظائف الزوايا المستقلة والموروثة في الضيافة والإيواء وإصلاح ذات البين وخدمة الفقراء وعابري السبيل⁽¹⁾.

والشاهد أن عمل ابن زكري هذا يعد أول خطة تعليمية تطبيقية لإنقاذ الزوايا من الانهيار القادم عليهما من المدارس الحديثة، وقد كانت هذه الزوايا محط سخط الفرنسيين الذين حاولوا رمي ما يسمى بالإسلام الجزائري -إسلام الزوايا- بكل النقائص حتى يخلو الجو لتعليمهم وحضارتهم وكنيستهم، فهل كان ابن زكري بعمله هذا مراوفاً أراد إنقاذ الباقي حتى لا يتعرض للجرافة الفرنسية الكاسحة؟، أم أنه كان مكلفاً من إدارة الشؤون الأهلية بهذا العمل لإماتة هذه القلاع وتدجينها لتساوق الوافد الأوروبي الجديد؟.

2- الدعوة إلى تعميم التعليم: ونجدها بجلاء وبصوت أصرخ مع ابن زكري في نقد الوضعية التعليمية في منطقة القبائل، حيث يقول في مشروعه الإصلاحي ناقداً الموروث المرباطي: "فإن قيل لم كان الفرق بين الشريف وغيره مع أن التعلّم مطلوب شرعاً من الجميع وقصد الكل محمود؟ قلت: الأمر مبني على العرف وموكل للطبع، فإن عرف القبائل من قديم الزمان أن قراءة القرآن وتعلم العلوم طريق لا يسلكه إلا أبناء شرفائهم، ووصف لا يقوم إلا بساداتهم، ولو قلت لبعض القبائل مطلقاً: هل تعلمت شيئاً أو لا؟ ما جوابه إلا قوله: أنا لست من المرباطين⁽²⁾ أي الشرفاء، فغير الشرفاء كلهم أميون لا يكتبون ولا يقرءون إلا من كان من النادر القليل جداً⁽³⁾.

ومن الرواد في هذا المضمار الزريبي الذي دعا للتزود بالمعارف العصرية والعلوم النافعة، ودافع عن تجديدية محمد عبده في تلك الثورة التي أقامها في مصر ضد دعاة الجمود والتقليد⁽⁴⁾.

وفي هذا المجال انتقد الزريبي طرائق التعليم في الكتاتيب الجزائرية، وما يشيع فيها من الضرب والوعيد والاستخدام، وخاصة في البوادي والزوايا البعيدة التي تعاني من التعليم العقيم، وتوهان التلميذ بين خليل والأجرومية فقط دون باقي الفنون⁽⁵⁾. وكان كثيراً ما يردد أبيات محمد عبده:

ولكن ديناً قد أردت صلاحه—أحاذر أن تقضي عليه العمائم

(1) ابن زكري، أوضح الدلائل، مرجع سابق، ص 153. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 163.

(2) هذا يدل على انحدار المستوى التعليمي الذي كرسه بعض الأعراف المذمومة الملتصقة بالتصوف السليبي الذي هيمن على الجزائر العثمانية. في حين كانت بجاية في العهود السالفة موطناً لكل العلوم حتى أن الغبريني يحكي العجائب في وفرة العلم وكثرة الواردين على بجاية حيث ترجم لقراءة مائة وعشرين من الجهابذة الأفاضل من حملة العلم وشيوخ الرواية وأساطين المذهب المالكي. انظر اعنوان الدراية حيث نقل عن الشريف التلمساني(771هـ) قال: "دخلت بجاية في القرن الثامن فوجدت العلم ينبع من صدور رجالها كالماء الذي ينبع من حيطانها... وقد سمعنا أن بجاية فيها خمسمائة صبية يحفظن المدونة، وأما اللاتي يحفظن ابن الحاجب فلا يحصي عددهن إلا الله". انظر رحلة الورثاني، ج 1 ص 87.

(3) ابن زكري، أوضح الدلائل، مرجع سابق، ص 113.

(4) الزريبي، علم الأخلاق، مرجع سابق، ص 48.

(5) الزريبي، الرجوع السابق، ص 50-51.

ثالثا: الدعوة لإصلاح الصحة: تتكرر الدعوة إلى إصلاح الصحة في دعوات بعض العلماء للاهتمام بالطب الحديث، والانكفاف عن الطب التقليدي الذي كان في عديد الأحيان مرتبطا بالمرايطين، وبالمشعوذين، وكتابة الحروز والتمايم (اليقشة)، والعزائم والسحر. فقد كتب الرواد في الدعوة إلى الطب الحديث واتباع الإجراءات الصحية لتفادي موجات الأوبئة، ومن ذلك أن ابن زكري قام بتقريب كتاب "الطب والحجر الصحي" لمحمد بن مصطفى الخوجة، وممن قرظه أيضا ابن زاكور مفتي المالكية، وأحمد بن بوقندورة مفتي الحنفية، وعلي بن الحاج موسى قيم ضريح الثعالي (1). كما أسهم ابن الخوجة في هذا المجال بتأليفين هما: تنوير الأذهان في الحث والتحرز وحفظ الأبدان، والسمط الدرّي في مسائل تتعلق بالجذري. وهو مجال غاب عنه الجزائريون من أيام ابن حمادوش. والأمر ذاته عند الحفناوي بن الشيخ الذي كتب "القول الصحيح في منافع التلقيح" (2).

رابعا: إصلاح المرأة: كثرت الدراسات والمؤلفات حول وضع المرأة في الجزائر، حيث وجدنا المستشرق ميرسييه "يصدر كتابا عن المرأة المسلمة في شمال إفريقيا" (1895) و"ليون ميو" كتابا آخر: المرأة المسلمة في المغرب (3)، وكذا كتابات إسماعيل حامد "مسلمات شمال إفريقيا" والسيدة بوجيجا، فضلا عن إجابات الأمير عبد القادر عن إشكالات وضع المرأة في الشريعة الإسلامية (4).

فقد كتب الكمال بن الخوجة "الاكتراث في حقوق الإنث"، الذي ألفه سنة (1895) وترجم إلى الفرنسية، واهتمت به الصحافة، وأشاد به محمد فريد بك في رحلته (5)، ويعتبر الكمال بن الخوجة من الأوائل الذين خاضوا غمار تغيير وضع المرأة المسلمة من الجهالة إلى العلم ومن البطالة إلى العمل، ومن الاحتجاب إلى السفور لا التبرج والتهتك، وذهب إلى أن التبرقع ليس من العادات الإسلامية الأصيلة، وإنما هي من عادات الشعوب الأخرى، وقال إن التشديد فيه إنما هو رأي متأخري الشافعية لفساد الزمان، ولم ير في ذلك عيبا في الجزائر: "لأن غالب نساء البربر وعرب البادية لا يسترن وجوههن عن الأجانب، ومع ذلك فهن لسن بخارجات بهذه العادة عن دائرة الدين الإسلامي" (6). كما هاجم عادة منع الخاطب من رؤية مخطوبته، وهي عادة سارية في المجتمع، وكان ضررها كبيرا من حيث شيوع العضل والطلاق بسبب ذلك. والكمال بهذا الرأي من رواد فتح القضية شأنه شأن قاسم أمين بمصر، والطاهر الحداد بتونس (7). بل إن أجرون اعتبره مثل محمد عبده من

(1) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 255.

(2) المرجع السابق، ج 7 ص 257.

(3) المرجع السابق، ج 4 ص 538.

(4) كتب ابنه محمد أيضا "كشف النقاب عن أسرار الاحتجاب"، "الفاروق والترياق في تعدد الزوجات والطلاق" (1327)، وكان الموضوع مشتغلا ملتهبا في المشرق الإسلامي كذلك، وأسهمت مدرسة المنار في الموضوع بمقالات وكتب عديدة.

(5) محمد فريد بك، من مصر إلى مصر رحلة عام (1901)، مرجع سابق، ص 70.

(6) الكمال ابن الخوجة، اللباب، ضمن أعماله الكاملة، الجزائر، منشورات جامعة الجزائر، 2012، ص 148.

(7) الحداد الطاهر (1899-1935): مفكر وأديب ونقابي تونسي، وصديق للشاعر أبي القاسم الشابي، تحصل على شهادة التطويع الزيتونة سنة (1920)، من مؤسسي الحزب الدستوري، كتب في صحف الأمة، مرشد الأمة، إفريقيا، من آثاره: العمال التونسيون والحركة النقابية، امرأتنا في الشريعة والمجتمع سنة (1930)، والذي رد عليه محمد الصالح بن مراد "الحداد على امرأة الحداد"، والشيخ عمر البري المدني "سيف الحق على

دعاة المساواة بين الجنسين⁽¹⁾، ولكنه شدد على الحقوق الثابتة الشرعية: "ثم إن الشرع الإسلامي أعلن حرية المرأة وخولها كل حقوق الإنسان، واعتبر لها كفاءة لا تنقص عن كفاءة الرجل في جميع الأحوال المدنية⁽²⁾، ولم ير مانعا من مشاركة المرأة للرجل في العمل وإعانة زوجها على مكاره الحياة بما لا يخل بالحشمة والحياء⁽³⁾. وفي سبيل التأييد لأرائه وفتح النقاش في هذا الموضوع المعضل المغلق في تلك الأيام أحال على كتاب حديث لزينب فواز الشامية " الدر المنثور في طبقات ربات الخدور"⁽⁴⁾، كما عرض الكمال لمسألة بطالة المرأة الحضرية، وأن حبسها عن الخروج والعمل مضر بصحتها موهن لبدنها على العكس من حالة المرأة الجبلية والبدوية⁽⁵⁾.

وفي هذه المقارنة بين وضع المرأة الحضرية والبدوية نستدعي ذلك النقد اللاذع من الزاهري لما يراه تعديا على الحدود في عادات نساء قمار، حيث قال: "ترتكب حوادث الحب والغرام، وأعيانها حجبوا نسائهم..." ولكن شيخ طريقة صوفية دعا بالشر على كل امرأة تبقى في خدرها وكل فتاة تحتجب لعنا كثيرا، فعاد النساء إلى السفور وتركن الخدور"⁽⁶⁾، وهو نقد مبطن لغلبة الطرقيين على تلك الجهة.

ومن الرواد الذين راموا تغيير وضع المرأة المولود الزريبي، الذي دعا في وقت مبكر إلى تعليم المرأة، ونقل التجربة الشرقية في ذلك: "وقد استحسن ذلك جميع الأمم الشرقية والغربية، وقد ظهرت نتيجة التعليم العظيمة في البلاد الشرقية، وتخرج من نسوتهن كاتبات بارعات ووطنيات"⁽⁷⁾، وذكر تجربة استلام امرأة لوزارة المعارف في حكومة أنقرة. وكذلك عمر بن قدور في مقاله الشهير عن المرأة المسلمة⁽⁸⁾.

خامسا: بناء اللحمة الوطنية: وذلك بنقد الموروث الشعبي القائم على مفاهيم العصبية والعروشية والقبلية الضيقية، وكذا الصراع الحضري الجبلي، وهو ما نشهده في نقود نماذج علمائية لهذا الوضع وهم: أ- قسنطينة: وذلك بنقد ابن مهنا للتعالي الحضري بها في ردوده المتعلقة بالأشراف، وكذا المولود بن الموهوب وتعليقات الشريف بن حبيلس على محاضراته في نادي صالح باي على ذات الوضع، ومما يدل على شيوع هذه التقاليد إنشاء العائلات التقليدية بقسنطينة جمعية خاصة بها، وهي جمعية العائلات الكبيرة الإسلامية بقسنطينة ورئسها عمر بن الموفق"⁽⁹⁾، ولن تنمحي هذا الفوارق أو تخف إلا مع اشتداد العمل الحزبي لحركة

من لا يرى الحق"، كما أصدر محمد الطاهر بن عاشور فتوى بحجز الكتاب. انظر عن الحداد الأعلام، مرجع سابق، ج 3 ص 220. معجم المؤلفين، مرجع سابق، ج 2 ص 10. وقد ناله نقد الشيخ عطوي في مذكرات تلميذه عبد الرحمان العقون.

(1) أجرون، نفسه، ج 2 ص 509. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 163.

(2) الكمال ابن المضربة، الباب، مرجع سابق، ص 157.

(3) نصوص نقلها من حمزة فتح الله المصري (ت 1336) في كتابه "باكورة الكلام على حقوق النساء في الإسلام" ص 161.

(4) زينب بنت علي فواز العاملي، ولدت بلبنان ونشأت بالإسكندرية، من آثارها: طبقات ربات الخدور، مدارك الكمال في تراجم الرجال، توفيت سنة (1323-1914) انظر الزركلي، الأعلام، مرجع سابق، ج 3 ص 67.

(5) الكمال ابن الخوجة، الباب، مرجع سابق، ص 149.

(6) الزاهري، لإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير، ص 66. وعن العادة انظر سعد الله، حياتي، ط1 الجزائر، عالم المعرفة، 2015، ص 43.

(7) الزريبي، علم الأخلاق ص 39. جريدة الصديق العدد 22 في (21-2-1921)، ص 3.

(8) الفاروق، ع 38 (1-15-1915)، محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية، مرجع سابق، ج 2 ص 239.

(9) الشهاب (ع ربيع الأول 1350/ جويلية 1931)، مج 7 ص 526.

الانتصار أو بالجهد التوعوي العلمي لشعب جمعية العلماء، ثم لتأتي الثورة لتخمد الأنفاس العنصرية، ولكن إلى حين.

ب-العاصمة: في مثل نقد ابن زكري لحضرها، حيث يشير إلى الصورة التي أنتجها المخيال الاجتماعي للحضر والأتراك والكراغلة بدار السلطان (الجزائر العاصمة) ⁽¹⁾ من حيث اتهامهم لبربر الجبال بصنوف التخلف والوحشية وحتى الغباء والجهل، وهي أوصاف تندرج في الصراع بين الحضر والبدو، وقد أشار وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824) إلى تلك الصور النمطية في مذكراته.

ج-تلمسان: اهتم الزريبي بالمسألة الاجتماعية بها، فكان من أوائل من أشار للشرخ الاجتماعي في تلمسان بين حضرها العرب والكراغلة، ودعا إلى تصحيح هذه الأوضاع النشاز ⁽²⁾، وهو ما سيأتي عليه توفيق المدني بعد ذلك، إذ أشار في مذكراته إلى عمق الهوة بين الكراغلة والعرب في مدينة تلمسان، حتى أن كل فريق اتخذ ناديا إصلاحيا له الشبية للكراغلة، والنادي الإسلامي للحضر ⁽³⁾، وقد استطاع أن يؤلف بين الفريقين حسبما ذكر في مذكراته ⁽⁴⁾. وهو ما أدركه الإبراهيمي أيضا بعد ذلك غداة استقراره بتلمسان ممثلا للحركة الإصلاحية.

ونتيجة لهذا العمل التوعوي الذي قام به علماء تلك الفترة خفت غلواء تلك العصبية، ثم جاءت الحركة الإصلاحية فعمقت الوعي الجمعي تجاه المستعمر، وأخيرا جاءت الحركة الوطنية والثورة التحريرية لتقطف ثمار هذا الجهد التربوي الطويل المدى.

سادسا: نشر التراث الجزائري: أسهم المحافظون في نشر كتب التراث لترسيخ الهوية الدينية الجزائرية، ومنهم:

أ- ابن الخوجة، وتحقيقه لكتاب الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي الذي نشرته الثعالبية سنة (1904) ⁽⁵⁾.

ب- ابن زكري، ودعمه لجهود المؤلفين والمحققين سواء كانوا جزائريين أو مستشرقين، وحتى مسؤولي الشؤون الأهلية، ومن ذلك إعانته لدومنيك لوسيان (مدير الشؤون الأهلية) في إخراج بعض المتون مثل: الرحبية في الفرائض، والتي ترجمت ونشرت على يد لجنة الترجمة والنشر التي ألفتها الحكومة العامة ⁽⁶⁾، ونشر كتاب الحوض في الفقه بالبربرية لمحمد بن إبراهيم، وأشعار الشيخين: اسماعيل أزيكيو، ومحمد بن محمد سي محند، ومن المعروف أن اسماعيل الزيكي من مناصري الرحمانيين في ثورتهم، وقد نعي آل المقراني وآل الحداد وآل أوقاسي، وهي مرثي معبرة عن الألم الكبير الذي حاق بالجزائريين والمغارم التي حملوها والمنافي التي

(1) فمثلا حمدان عثمان خوجة أحد أعيان الحضر في العاصمة يقول عن القبائل: "هؤلاء السكان هم على العموم أناس رحل قريبون من التوحش". كتاب المرأة، مرجع سابق، ص 68. وانظر عن ذلك مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا بالجزائر (1816-1824م) تعريب وتعليق إسماعيل العربي، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982. ص 117.

(2) جريدة الصديق، الزريبي، "رحلتنا إلى المقاطعة الوهرانية"، ع 38 (18-7-1921). مقالات الزريبي، الجزائر، كنوز الرشيد، 2015. ج 1 ص 220.

(3) انظر خالد مرزوق ومختار بن عامر، مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان، الجزائر، دار زمورة، 2013، ص 269.

(4) توفيق المدني، مذكرات كفاح، مرجع سابق، ج 2 ص 188.

(5) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 8 ص 98. ج 7 ص 255.

(6) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 109.

سكنوها. وقد قدم ابن زكري نصوصها بالحرف العربي إلى لوسيانى الذي نشر بعضها في المجلة الإفريقية⁽¹⁾. كما ترجم له حياة الشاعر وأعانه على الترجمة إلى اللغة الفرنسية.

ومن جهود ابن زكري تقريظ كتاب تاريخ زواوة لأبي يعلى الزواوي الذي ألفه في الشام، والذي شجعه على تأليفه الشيخ طاهر الجزائري أيام منفاه في مصر، وكتب له ابن زكري شهادته في ذلك بقوله: "علمت أن القول قول فصل وما هو بالهزل، وأقسمت برب السماء والأرض أنه لحق مثل ما أنتم تنطقون، وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون لله دركم من إحاطتكم علما بتلك الجمل التاريخية المفيدة.."⁽²⁾. وكذا ترجمة تاريخ ابن خلدون، وخاصة ما تعلق منه بالجزائر من طرف ديسلان، وصدر على نفقة الحكومة⁽³⁾.

ج- ابن الموهوب الذي نشر قصيدة المنصفة التي شرحها شيخه المجاوي تحت عنوان اللمع على نظم البدع. ونشرتها مطبعة فونتانا سنة (1912). وقد بشر بصدور الشرح شريف بن حبيلس وأشاد بالمجاوي وابن الموهوب⁽⁴⁾.

د- ابن أبي شنب ونشره لعدد المؤلفات الجزائرية كرحلة الورثاني وكتاب المشرفي "طرس الأخبار". ه- الحفناوي، ونشره لكتاب تعريف الخلف، الذي نشرته مطبعة الاعتماد سنة (1906)⁽⁵⁾، وبستان الأزهار للقلعي، وغيره من الكتب حيث كان معاونا للمستشرق أرنو.

و- التقاويم الجزائرية: وهي مجموعة من النشرات الحولية المتنوعة الحقل الثقافية التراثية والحديثة، والتي كانت تزين بالصور والمنمنات، والإعلانات، ومتابعة جديد المنتج العالمي، ومنها التقويم الجزائري للشيخ كحول، والذي صدر سنة (1911-1913)⁽⁶⁾، وكذا تقويم المنصور الذي أصدره توفيق المدني بتونس قبل الحرب الأولى، ثم واصل إصداره في الجزائر سنة (1929)، وكان موسوعة متنوعة من الأخبار والمعلومات والنصوص والمطبوعات والحوادث والتراجم، وكتب فيه توفيق المدني، ومحمد العاصمي ومصطفى بن شعبان، وغيرهم⁽⁷⁾.

المطلب الخامس: دواعم ووسائل الإصلاح والنهضة الجزائرية مطلع القرن.

تنوعت الوسائل التي دفعت بحركة الإصلاح الأولى، والتي نقلت الجزائر إلى عالم آخر غير عالم الحروب والمجاعات والأوبئة والحكم العسكري المباشر القاهر، وولد جيل جديد لم يشهد المآسي السابقة، وشهدت الجزائر انفتاحا نسبيا مع الحاكم جوناو (1900-1912)، فبدأت تنشأ بعض الهيئات والنوادي والنخب التي أسهمت في ميلاد هذه النهضة، ومنها:

(1) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 8 ص 327.

(2) أبو يعلى الزواوي، تاريخ زواوة، مرجع سابق، ص 161.

(3) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 230. سعد الله، القاضي الأديب محمد الشاذلي القسنطيني، 1985.

(4) شريف بن حبيلس، الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي، ترجمة فيصل الأحمر، الجزائر، دار لمسات، 2012، ص 113.

(5) الحركة الوطنية الجزائرية، (1900-1930)، مرجع سابق، ج 2 ص 137.

(6) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 295.

(7) حياة كفاح، مرجع سابق، ج 1 ص 439. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 296.

أولاً: نشأة المطابع: وهي المطابع القليلة التي نشأت بجهود محلية أو استعمارية، ومنها:

1- المطبعة الثعالبية:

لصحابها قدور وأخوه مراد رودوسي التركي نسبة إلى جزيرة رودس. أنشئت سنة (1896م)، واشتهرت المطبعة بمصحفها الجزائري المتميز، الذي وصل إلى أقاصي إفريقية (نيجريا، بنين)⁽¹⁾، وقد طبعت العديد من كتب التراث الجزائري، ومنها تفسير الثعالبي الذي أشرف على تصحيحه الكمال بن المضرية، وطبعت مختصر الأخصري، وكتاب الرؤى والمنامات للثعالبي⁽²⁾، إضافة إلى بعض كتب الأدب الشعبي كالكنز المدفون في الشعر الملحون وقصائد المجدوب⁽³⁾. وكانت تنشر للجميع محافظين وطرقين وغيرهم. واشتهر بالخطوط السفطية للشيخ الخطاط السفطي، الذي أشاد به عاشور الخنقي في مقدمات كتابه "منار الإشراف"⁽⁴⁾.

2- مطبعة فوناتنة الشرقية:

من أهم المطابع الفرنسية التي نشأت في عهد الجمهورية الثالثة، وأسهمت في طبع بعض الكتب لرواد الإصلاح ورجال الدين الرسميين، وقد طبعت مثلاً منصفة ابن الموهوب، وغيرها من الكتب. إضافة إلى مطبعة براشيه وباستيد التي نشرت سنة (1833) كتاباً في النحو العربي، ثم أشرف عليها أدولف جوردان، وصار اسمها "مطبعة باستيد وجوردان"⁽⁵⁾. وهي التي نشرت كتاب "مرايطون وإخوان"، كما طبعت رحلة ابن عمار (1904) وغيره كالغبريني وابن مريم والورثاني، وهو ما شكل إحياء للذاكرة وتوصلاً مع السلف⁽⁶⁾. وأشهرت ذو الفقار لمطبعة الإقبال الجزائرية لعبد الرحمان بوركايب، التي تطبع الكتب باللغتين⁽⁷⁾.

ثانياً: النوادي والمدارس والمعاهد:

1- النوادي الرائدة:

تداعت النخبة الجزائرية إلى فتح نواد ثقافية في الحواضر الكبرى تأسيساً بالمثل المشرقي في مصر والشام، وقد تداول فيها صفوة المجتمع من نخب تقليدية وإصلاحية ومحافظة على الاهتمام بالمعطى الثقافي وإحياء الهوية وترديد أفكار الجامعة الإسلامية وجدل القومية العربية الصاعدة، ولكن الناشط الأكبر والمدير لها كان من النخبة الحداثية التي عالجت قضايا النهضة والعلوم والاختراعات، وهي الأساس للفعل السياسي الذي

(1) وقد حفظت القرآن في صغري بمحضرة الطالب علي بن الذيبية والشيخ بوصيحة بمدينة متليلي، وكان المرجع في التكرار هو "المصحف الرودوسي" كما كان يردد ولي نعمتي والدي الكريم عبد الله بن موسى عليه رحمت الله الواسعات.

(2) طبعته سنة (1328) وأعيد نشره في ذاكرة الجزائر، ج 5 بتحقيق دويب

(3) انظر عن المطبعة ابن أبي شنب، النهضة العلمية، ص 64. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 308.

(4) عاشور الخنقي، منار الإشراف على فضل عصاة الأشراف، تحقيق عبد الحليم بيثي، بوسعادة، دار الخليل القاسمي، 2022، ص 114.

(5) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 308.

(6) انظر سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، ج 2 ص 136. تعريف الخلف، مرجع سابق، ج 2 ص 49.

(7) جريدة ذو الفقار، ع 3 (14-1-1914)، ص 8.

سيتمظهر في جمعيات وأحزاب وكتل فاعلة، ومن تلك النوادي⁽¹⁾: الجمعية الرشيدية بالعاصمة (1902)، ودداية العلوم الجديدة، ونادي التقدم، وجمعية الهلال، ونادي صالح باي بقسنطينة (1908)، والاسم له رمزيته التاريخية، وفي العاصمة برز نادي التوفيقية بالعاصمة (1908)، وفيه نشط المجاوي بعض المحاضرات عقب انتقاله للعاصمة، وبتلمسان نادي الشباب الجزائري (1909)⁽²⁾، وقد ألقى فيه شعيب الجليلي بعض المحاضرات.

والحقيقة أن بعض هذه النوادي حملت روحا تحديثية تغريبية معادية للتراث الإسلامي، ولما كان يسمى بالإسلام الجزائري، إذ رأسها بعض المتجنسين أمثال الدكتور بلقاسم بن التهامي رئيس جمعية التوفيقية (1908)⁽³⁾، ومحمد صوالح والطيب مرسل ومختار الحاج سعيد، وهنا يحسن بنا أن نذكر رأي البوعبدلي في إحداث نادي صالح باي لمحاربة الطرق، فالمولود بن الموهوب ألقى فيه 13 محاضرة، وترجمها لنا الشريف بن حبيلس للفرنسية ضمن تأليفه "الشباب الجزائري" وكان موضوعه الحياة الثقافية بقسنطينة حيث حمل حملة شعواء على الشباب المدلل والوسط الحضري المتعفن⁽⁴⁾.

2- جامع الكتاني أو معهد الكتانية:

أنشأه صالح باي بقسنطينة سنة (1776م)، في سوق العصر، وأوقف عليه حبوسا كثيرة، ثم صارت المدرسة التابعة له في زمن الاحتلال الفرنسي مقرا للمدرسة العدلية العليا سنة (1850م)، وبعد سنة (1947م) تولت الإشراف عليه الزاوية الحملاوية وصار منافسا لمعهد ابن باديس⁽⁵⁾.

3- مدرسة تبسة:

أول مدرسة نظامية ينشؤها الجزائريون، وقد أشرف عليها عباس بن حمانة (1878-1914)⁽⁶⁾، وأزره الحاج عمر العنق وتجار بني ميزاب⁽⁷⁾، وذلك في (13-7-1913)، وسميت بالمدرسة الصديقية⁽⁸⁾، وربما كان ذلك تأثرا بالتجربة التونسية القريبة حيث أسس الشيخ بشير صفر والشاذلي المورالي مدرستين قرآنتين عصريتين، وكانت عصرية بامتياز تحوي مكتبة وصيدلية ومطبخا، واعتمدت منهجا يزواج بين العلوم الشرعية وغيرها من الإنسانية والاجتماعية، إضافة للرياضيات والفرنسية والتربية البدنية، واعتبره مالك بن نبي أول جزائري يعمل على بعث اللغة العربية في البلاد، ومن أوائل من أشاد بها الزبيري حيث قال: "فكان من أعظم نتائجها

(1) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 314. الحركة الوطنية الجزائرية، (1900-1930)، مرجع سابق، ج 2 ص 137. سعد الدين بن أبي شنب، النهضة العلمية. نهضة الجزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 33. وانظر أطروحة عبد المجيد بن عدة، مظاهر الإصلاح الديني والاجتماعي والتربوي في الجزائر من خلال جهود الرواد المصلحين (1900-1925)، جامعة الجزائر، معهد التاريخ، (1992).

(2) ويعرف أيضا بنادي الشبيبة الجزائرية، انظر مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان، مرجع سابق، ص 67.

(3) ابن التهامي (1881-1940)، طبيب وسياسي وصحفي، انظر معجم أعلام الجزائر في القرنين، مرجع سابق، ج 1 ص 70.

(4) البوعبدلي، الحياة الثقافية في الجزائر، مرجع سابق، ص 296.

(5) من خريجها الرئيس هواري، انظر تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5 ص 82. شغيب، أم الحواضر، مرجع سابق، ص 43.

(6) انظر نهضة الجزائر، ج 1 ص 389. أحمد عيساوي أحمد، مدينة تبسة وأعلامها، الجزائر، مؤسسة البلاغ، 2013، ص 289.

(7) تبرع بها الحاج بكير بن عمر المرموري.

(8) جريدة الصديق، الجمعية الصديقية في إحياء اللغة العربية، ع 30 (18-4-1921)، ص 1.

تأسيس مدرسة أهلية على نظام بديع، فكانت أول مدرسة حرة نظامية أنشئت بالقطر الجزائري للتعليم والتربية⁽¹⁾. ولكن المؤامرة الاستعمارية كانت كبيرة، وتبغى تعويق النهضة الجزائرية، فأغلقت المدرسة بضغط من الكولون، وذهب عباس حمادة ضحية مؤامرة أدت إلى قتله على يد مجهول سنة (1914)، في حين اختلفت الآراء حول مواقفه من التجنيد⁽²⁾.

ثالثا: الفرنسيون المهتدون:

وهي ظاهرة جديرة بالدراسة، لأنها حركت الكامن من الأقاليم الجزائرية في الدفاع عن الإسلام ضد الهجمة الغربية والمسيحية والاستشراقية، ولا ننسى كتاب ابن الخوجة⁽³⁾ الدلائل العظام في نفي التعصب عن الإسلام، الذي دافع فيه عن التسامح الإسلامي وملاه بالشواهد على ذلك⁽³⁾، ومن هذه النماذج:

- إيزابيل أيرهارت (1877-1904)⁽⁴⁾، وهي مغامرة مشهورة بحب الصحراء، وكانت ترأسل جريدة الأخبار الرسمية في العاصمة⁽⁵⁾، وكتبت مذكراتها، وشهادتها على نشاط الطرق الصوفية التجانية والقادرية.

- عبد الحق تايبي: مدير تحرير جريدة الحق الوهراني (1911-1912)، وكان متحمسا في إسلامه، مهاجما لتيار الشبان المتفرنج ولجماعات المبشرين المسيحيين، كما عارض التجنيد الإجباري، وهو من منتسبي الطريقة العلوية، ويعتبره بعضهم المرشد السياسي للشيخ ابن عليوة⁽⁶⁾. وقد اقترح مشاريع مثل: ودداية وهران للمعلمين، رابطة مكافحة الإدمان، نزل إسلامي، بنك إسلامي، نادي الشباب الوهراني مما اعتبره إحدادن مشروع دولة حوله شبهات⁽⁷⁾.

- محمد شريف جوكلازي: فرنسي الجنسية، أسلم، وكان إصلاحي النزعة، وقد رعى وأسس صحفا كثيرة⁽⁸⁾.
- ناصر الدين ديني (1861-1929): الفنان الفرنسي الذي اعتنق الإسلام سنة (1927)، وكتب عن حياة النبي صلة الله عليه وسلم مع رفيقه سليمان بن إبراهيم، وخلد الهوية الجزائرية في أعمال فنية رائعة⁽⁹⁾.
- الحاج محمد الهولاندي: الذي أسلم، واستقر ببسكرة، ونوه به ابن باديس عند زيارته لها⁽¹⁰⁾.

(1) جريدة الصديق، ع 30 (18-4-1921)، ص 1. مقالات المولود الزبيري، مرجع سابق، ج 1 ص 77.

(2) دبو، زهضة الجزائر، ج 2 ص 269. مالك بن نبي، مذكرات، مرجع سابق، ص 31. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3 ص 241.

(3) الكمال، إقامة البراهين العظام، ضمن الأعمال غير الكاملة لمحمد الأمين بلغيث، مرجع سابق، ج 7 ص 20. انظر أجرون، نفسه، ج 2 ص 509. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 163.

(4) عن إيزابيل انظر مقال مجلة الثقافة، العدد 15، (15-6-1973)، ص 25.

(5) محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، مرجع سابق، ص 30.

(6) محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، مرجع سابق، ص 39. بوغانم، الطريقة العلوية، مرجع سابق، ص 46.

(7) Ihdaden Zohir: Histoire De La la presse indigène en Algérie de origines jusqu en 1930. P 225.

(8) محمد ناصر، المرجع السابق، ص 132.

(9) ترجم هذه السيرة الشيخ عبد الحليم محمود، وخلف ديني آثارا أخرى منها: أشعة خاصة بنور الإسلام، الشرق كما يراه الغرب، الحج إلى بيت الله الحرام. انظر تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7 ص 313، وقد وهم حين قال إنه أسلم على يد علي يد الشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي، وأنما على يد ابن أخيه الحاج امحمد المتوفي (1913). انظر العقيلي، المستشرقون، مرجع سابق، ج 1 ص 228.

(10) الشهاب، ع (شوال 1350- فيفري 1932)، مج 8 ص 121. رحلات جزائرية، مرجع سابق، ج 2 ص 95.

رابعاً: أهم الصحف الجزائرية في العقدين الأولين.

ابتدأ العمل الصحفي الوطني هزيلاً وبإمكانات محدودة، ولكن أحداث العالم الإسلامي ستحرك الكوامن فحسب المدني فإن: " النهضة التركية والانقلاب العثماني، قد أحدثا تغييراً في حالة البلاد المعنوية، وكان العدوان الإيطالي على ولايتي طرابلس وبرقة ضغتنا على إباله، فأخذ المسلمون يتململون ويتدمرون، ونشأت في البلاد صحافة ضعيفة أخذت تعبر عن استياء الرأي العام لإسلامي من حالته الوضيعة"⁽¹⁾.

تتابعت الصحف في الظهور والاختفاء في جزائر الجمهورية الثالثة الفرنسية، فبعد المبدشر الرسمية، ظهرت المنتخب في قسنطينة (1882-1883)، وكانت تدعو إلى الاندماج، وكتب فيها احميدة بن باديس، وظهرت الحق في عنابة (1893-1894)، التي دافعت عن مصالح الجزائريين، وكتبت عن العدل، وهاجمت التجنيس، واعتبرته خيانة، واشتهرت بمعاداة اليهود، وتوقفت بعد سنة واحدة بخنق الإدارة لها أيام كامبون⁽²⁾. وفي العاصمة ظهرت النصيح (1899-1900)⁽³⁾، وفي دلس ظهرت صحيفة "المسلم" في (1909)، ولم يطل عمرها⁽⁴⁾ كما أصدر الناشر بيير فونتانا جريدة المغرب (1903)، واهتمت بالجانب الديني والاجتماعي، وكتب فيها محافظون أمثال ابن سماية، والمجاوي، وابن زكري، ومحمد بن أبي شنب، وابن الخوجة، كما نقلت بعض المقالات المشرقية من جريدة المؤيد للشيخ علي يوسف⁽⁵⁾.

ومن الصحف المعتدلة التي كتب في صفحتها العربية كل من عمر بن قدور جريدة الهلال (1906-1907)، كما كتب فيها المحامي "سبيلمان" المدافع عن الأهالي، والأمير خالد فيما بعد، وكانت تدعو إلى نهضة الجزائريين ومساواتهم في الحقوق مع الفرنسيين⁽⁶⁾. ولكن أهم الصحف التي ستحرك كوامن الطرح الإصلاحية هي: أ- مجلة الإحياء (1906-1907): وهي أول مجلة عربية كاملة أسستها مستشرقة فرنسية هي "جام ديراو" وتسمى "جمانة رياض أو فاطمة الزهراء"⁽⁷⁾، وريادتها هي في دعوتها الصريحة للإصلاح والحماسة للنهضة والقومية الإسلامية، والانتصار للعربية كلغة ثقافية، ورفض الإدماج، بل إنها تجاوزت المتداول الدعوة للعودة للإسلام الأصل الخالي من البدع والخرافات، ففي افتتاحية العدد السابع قالت: "أيها المسلمون حافظوا على عوائدكم المحمدية، وشعائركم الدينية لباساً ومعاشاً وديانة، ولا تتبعوا الأوربيين، إلا فيما هو موافق لدينكم وصالح لأحوالكم الوقتية"⁽⁸⁾. وقد صدر من هذه المجلة المهمة (34 عدداً)، وكتب فيها المجاوي وابن سماية.

(1) أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، دار البصائر، 2009، ص 131.

(2) محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، ص 25. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5 ص 243. دبور، نهضة الجزائر، ج 2 ص 7.

(3) محمد ناصر، المرجع السابق، ص 26. المدني، كتاب الجزائر، مرجع سابق، ص 368.

(4) علي مرحوم، "نظرة على تاريخ الصحافة العربية الجزائرية" الجزائر، مجلة الثقافة، ع 42 (ديسمبر، 1974)، ص 27.

(5) الصحف العربية الجزائرية، ص 29. ابن أبي شنب، النهضة العربية، ص 60. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 234.

(6) محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، مرجع سابق، ص 33.

(7) أحرزت الجائزة الأولى في آداب اللغة العربية سنة (1911)، توفيت بالعاصمة (1914). انظر علي مرحوم، نظرة على تاريخ الصحافة العربية الجزائرية" مجلة الثقافة، ع 42 (ديسمبر، 1974)، ص 21. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 237.

(8) ناصر، المرجع السابق، ص 33. ناصر، المقالة الصحفية، ج 1 ص 357. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 237.

ب- المغرب: ظهر أول عدد منها في (13-4-1903) من قبيل "بيير فونتانا"، وأرادت ملأ الفراغ الثقافي، وهدفت إلى دفع الجزائريين نحو العلم والمعرفة، مجارة لخطاب النهضة الصاعد، واطلاعا على الكشوفات العلمية الهائلة مطلع القرن، وكانت تحاول كسر الحواجز، وتروج لاعتناء فرنسا بالحالة الدينية مثل بناء المساجد في الإيالة الوهرانية وغيرها⁽¹⁾، وهذا ما يرجح دعم الإدارة لها كما يقول ابن أبي شنب الذي نقل لنا تعليق محمد عبده لما رآها: "وهي على قبح ورقها وسوء طبعها نافعة للجزائريين المحرومين من الصحف العربية التي تعرفهم أحوال الناس وشؤون الاجتماع، فنتمنى لها دوام القصد والرواج في تلك البلاد"⁽²⁾، ولكنها توقفت بعد حوالي عشرين عددا⁽³⁾، والظاهر أنها كانت مدعومة من جوناو ولوسيانى مدير الشؤون الأهلية⁽⁴⁾.

ج- كوكب إفريقية: جريدة أصدرها الشيخ بن دالي كحول في (17 ماي 1907م)، واهتمت بنشر المقالات الاجتماعية والدينية، ومتابعة النشاط الثقافي للجزائريين، وخاصة الأوسمة والنياشين الممنوحة من فرنسا، كما اهتمت بالسياسة الاستعمارية والدعاية لها، وتوقفت سنة (1914م)، قال عنها عمر بن قدور سنة (1922م) في جريدة الصديق: "وأما كوكب إفريقية فإنها لم تكن إلا جريدة شبيهة بالرسمية، عارية عن كل صبغة وطنية"⁽⁵⁾.

د- الحق الوهراني: ظهرت على يد عبد الحق تايي سنتي (1911-1912)، ودافعت عن الحقوق، وخاصة رفض التجنيد، وكتب فيها عمر بن قدور وعمر راسم، ومثلت نقدا وهدما لأطروحات النخبة المتفرنجة، وتوقفت بعد (46) عددا⁽⁶⁾.

و- الفاروق: أهم جريدة عربية على الإطلاق، وأهميتها تبرز من إسلاميتها وإصلاحيتها وتعلقها بالمشرق العربي. صدر أول عدد منها في (18-2-1913)، وقد أبدع فيها عمر بن قدور بعدد مقالاته، وما كان ينقله فيها من الصحف المشرقية، وما يكتبه فيها صحافيون تونس كحسين الجزيري والطيب بن عيسى، وكذا في عمق مواضيعها التي نددت بأفكار المنسلخين من النخبة الجديدة، ومناصرة الجامعة الإسلامية والدعوة للتعارف الإسلامي، والالتحاق بركب النهضة والمعارف، وقد صدر منها (95) عددا⁽⁷⁾، ثم عطلت مع مطلع الحرب.

ز- ذو الفقار: أصدرها عمر راسم بجهوده الذاتية، وصدر عددها الأول في (5-10-1913)، والاسم له دلالاته الإسلامية، فهو اسم سيف علي بن أبي طالب ذو الحمولة الجهادية في الذاكرة الجزائرية، وعرفت نفسها بأنها

(1) جريدة المغرب، مقال "إحسان مؤيد وثناء مغلد"، ع 31 (24-7-1903)، ص 2.

(2) سعد الدين بن أبي شنب، النهضة العربية في الجزائر، مجلة كلية الآداب، العدد 1، 1964، ص 60.

(3) علي مراد، الحركة الإصلاحية، مرجع سابق، ص 56. سعد الله، الحركة الوطنية، مرجع سابق، ج 2 ص 135. محمد ناصر، نفسه، ص 30. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 241. وقال إنها استمرت سنوات (1903-1913). ولكن الموجود منها أكثر من عشرين عددا.

(4) نشرت كثيرا من إعلانات الكتب المطبوعة في الجزائر في مطبعة فونتانا نحو العقيدة السنوسية بتحقيق وترجمة لوسيانى، والرحبية في الفرائض، والخزرجية في العروض، والعقيقة للمنداسي وغيرها، انظر جريدة المغرب، ع 32 (28-7-1903).

(5) انظر محمد ناصر، الصحف العربية، مرجع سابق، ص 34. مفدي زكريا، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، ص 37. ابن أبي شنب، النهضة العربية في الجزائر، مرجع سابق، ص 60. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 246.

(6) محمد ناصر، الصحف العربية، ص 39. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5 ص 249. آجرون، نفسه، ج 2 ص 1260.

(7) ناصر، نفسه، ص 41. عبد المالك مرتاض، نهضة الأدب العربي، ط 2، الجزائر، 1983، ص 117. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5 ص 245.

جريدة انتقادية اشتراكية تهاجم الظلم والاحتكار البرجوازي مذكرة بسيرة أبي ذر الغفاري⁽¹⁾، وقد جعل محمد عبده " مدير الجريدة الديني" وقال بصراحة: " ذو الفقار جريدة عبدوية إصلاحية، وأنها لا تخرج عن الطريقة التي خطها لها رجال الإصلاح المخلصين"⁽²⁾، وكانت رسماؤها ومنمنماتها موحيتان بالحنين الدافق للماضي الإسلامي⁽³⁾، ورسمت خطتها الإصلاحية بكل وضوح: " أنشئت ذو الفقار للدفاع عن السنة المحمدية ومحاربة البدع الشيطانية التي أدت إلى أوقع المسلمين والمسلمات في المهالك"⁽⁴⁾، فهي جريدة إصلاحية تتبع نزعة محمد عبده"⁽⁵⁾، كما تميزت بمهاجمتها المبكرة للصهيونية⁽⁶⁾، واهتمت بإخراج المنمنمات والخط الأندلسي في إحياء قوي للتراث الجزائري ردا على المسخ الثقافي الفرنسي، وقد عطلت مع اندلاع الحرب العالمية الأولى.

خامسا: المدد المشرقي (مصر نموذجا):

شكلت البلدان الإسلامية، وبالأخص مصر معينا لا ينضب لمد الجزائر برواد النهضة العلمية المعاصرة في الجزائر، والمسألة قديمة نسبيا، فقد شكلت مصر محطة مهمة للمنفين والرافضين للاحتلال الفرنسي، فمنذ القديم: "كان الجزائريون يعجبون إعجابا خاصا بمصر، ويعتبرونها كعبة العلم لأنهم كانوا يعرفونها أكثر مما كانوا يعرفون العراق وسورية، لوقوع مصر في طريق الحج"⁽⁷⁾، فإلى مصر نُفي وهاجر أركان الإدارة العثمانية بعد الاحتلال أمثال الداي حسين، والباي حسن باي وهران، ومصطفى بومرزاق باي التيطري، ومن العلماء نُفي المفتي الحنفي بعنابة محمد بن العناني⁽⁸⁾، الذي ولاه محمد علي باشا الكبير خطة الفتوى للأحناف بالإسكندرية، كما نُفي المفتي المالكي بالعاصمة مصطفى الكبابطي الذي نفاه الماريشال السفاح "بوجو" لمعارضته تجريد المسلمين من أوقافهم سنة (1843م)⁽⁹⁾.

ويذكر الإبراهيمي في سيرته الذاتية أن أفراد عائلته العلمية العريقة كثيرا ما سموا أبناءهم بأسماء الشيوخ الأزهرين اللامعين فقال: "وأنا أدركت في فروع بيتنا من تسمى بالأمر، والصاوي، والخرشي، والسنهوري"⁽¹⁰⁾.

(1) جريدة ذو الفقار، مقال "الاشتراكية من الإسلام، نفي أول الاشتراكيين"، ع 3 (14-1-1914)، ص 6.

(2) المدني، الجزائر، مرجع سابق، ص 458. محمد ناصر، نفسه، ص 45. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 247.

(3) ذو الفقار، ع 3 (14-1-1914)، ص 1، حيث صورة فارس عربي يعود فوق صهوة جواده ليدخل الجزائر دار الإسلام.

(4) ذو الفقار، الافتتاحية، مقاصد الجريدة، ع 1 (5-10-1913)، ص 2.

(5) علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، مرجع سابق، ص 39. ع 3 (14-01-1914).

(6) عرفت الجزائر حركة مناهضة للصهيونية من قبل اليمين الفرنسي، حيث أصدر سليمان بنقي وعمر السمار و خليل قائد العيون بعنابة جريدة الحق سنوات (1893-1894) والتي هاجمت اليهود والمرايين. انظر محمد ناصر، نفسه، ص 25.

(7) تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5 ص 496. وعرض ذو الفقار للقضية في مثل مقال "اليهودي المنتقم"، ع 1 (5-10-1913)، ص 7. ع 2 (26-10-1913)، ص 7، مقال "المسألة الصهيونية"، ع 4 (14-1-1914)، ص 6.

(8) محمد بن محمود بن العناني: ولد بالجزائر سنة (1775م)، ولي قضاء الحنفية، وسفارة الجزائر للمولى أبي الربيع سليمان بالمغرب سنة (1816م)، رحل إلى المشرق وحج وعاد، نفي إلى الإسكندرية وتوفي (1850م) له: السعي المحمود في نظام الجنود، شرح الدر المختار، العزيز في علم التجويد، ثبت الجزائري. انظر معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 245. الأعلام، مرجع سابق، ج 3 ص 311. الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، ج 1 ص 108. ودراسة سعد الله المفتي الجزائري ابن العناني رائد التجديد الإسلامي.

(9) انظر سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، ج 1 ص 301. سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 30.

(10) الإبراهيمي، آثار الإمام محمد اليشير الإبراهيمي، خلاصة تاريخ حياتي العلمية والعملية، مرجع سابق، ج 5 ص 273.

ويمكن التمييز هنا بين مرحلتين من مراحل دراسة الأزهريين، الفردية والمنظمة، والتي هي البعثات المرسلّة من الجمعيات، وكانت الأولى في القرن التاسع عشر وأوائل العشرين، والثانية بعد الحرب العالمية الثانية.

أ- مرحلة الجهود الفردية: وأصحابها معدودون، وأغلبهم هاجر من الجزائر لتحصيل العلوم أولاً، والبعث عن الصلف الفرنسي، أو التفكير في الهجرة بعد ذلك من الأرض التي اغتصبها الكفار كما هي الفتاوى الذائعة آنذاك، ولا يمكننا إلا أن نذكر هنا بأعمال المنفيين قهراً لمصر أمثال المفتي مصطفى الكبايطي.

ولشهرة الأزهر كان الجزائريون يسمون أولادهم بالأزهري، والأزهر، ومن أوائل الأزاهرة محمد الصالح بن مهنا، والذي جاور في الأزهر عشرين سنة، وعاد سنة (1887) شهاباً واريّاً من العلم، وترك أثره الكبير في النهضة العلمية بقسنطينة، واعتبرت أعماله ودعوته ممهدة لحركة الإصلاح الجزائرية، حيث اشتهر بمناكفاته لقضايا دعوى النجاة بمجرد الانسحاب للشرف، ومن الأزهريين البارزين الشيخ المولود الزريبي الأزهري الذي جاور في الأزهر وتلمذ للشيخ محمد بخت المطيعي، ثم عاد للجزائر لنشر العلم والعربية، وترك أثره في الحركة الإصلاحية الصاعدة في الزيبان، كما رأس تحرير جريدة الصديق.

ومن هؤلاء أيضاً الشيخ المولود الحافظي الأزهري الذي مكث بالأزهر عشرين سنة، وعاد بعد الحرب الأولى سنة (1922م)، وبرز في الفلك وعلم الجيب، مدرساً بمنطقة بني حافظ وبني ورثيلان، وهو صاحب الدعوة المشهورة لتأسيس جمعية وطنية للعلماء الجزائريين، وكانت له إسهاماته الصحفية، وقد ترأس جمعية علماء السنة المعبرة عن الاتجاه المحافظ والطريقي في الجزائر، كما لا يمكن إغفال الشيخ الأزهري أرزقي الشرفاوي، الذي كان أهم أساتذة معهد عبد الرحمان اليلولي، ولتعلقه بالأزهر لم يترك الزي الأزهري، وكان مبرزاً في الفقه والنحو والفلك، كما أمد الصحف بمقالاته الفذة في الإصلاح والحفاظ على الهوية العربية الإسلامية للجزائر. تذكر التقارير الفرنسية أسماء تسع وعشرين طالباً في الأزهر مطلع القرن، ومن هؤلاء الأفاضل الذي عرفهم رواق المغاربة بالأزهر الشريف: سعيد بن محمد، وإسماعيل بن علي الجيجلي، وعبد القادر الونشريسي، ومحمد العربي السوفي، والحواس البوزيدي البسكري وسعيد بن محمد الخنشلي⁽¹⁾. والذين خضعوا لمراقبة كبيرة من مصالح الوزير المفوض فوق العادة للجمهورية الفرنسية في القاهرة السيد "دو فرانس" الذي عمد إلى اختراق الأزهر بإنشاء قسم للغة الفرنسية، ووظّف فيه مدرّسين مرتبطين بجهاز الاستخبارات الفرنسية لمراقبة هؤلاء المتعصبين والمشاعبين الذين اختاروا الدراسة في المشرق بدل الجامعات الأوروبية⁽²⁾. وأهم هؤلاء الأزهريين عثمان الراشدي الذي قاد ثورة في بلده بني شقران بإقليم الراشدية سنة (1915م)، وحكم عليه الفرنسيون بالإعدام هو وأفراد أسرته من أبنائه وأقاربه، ووقف موقفاً مشرفاً أثناء تنفيذ الحكم الجائر⁽³⁾.

(1) انظر قائمة الطلبة في بحث: "الطلبة الجزائريون بجامع الأزهر وعيون المخابرات الفرنسية بين الحربين من خلال وثائق جديدة" للدكتور محمد الأمين بلغيت، تاريخ الجزائر المعاصر دراسات ووثائق، مرجع سابق، ص 76.

(2) انظر عمار هلال، الطلبة الجزائريون في المشرق (1871-1918م). تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 497.

(3) المهدي بوعبدلي، علاقات الجامع الأزهر بالجزائر بمناسبة عيده الألفي، (الأعمال الكاملة، المتفرقات) ص 73. وقد ذكر ابن عبد الحكم في المرأة الجليلة بعض الطلبة المجاورين من الغرب الجزائري، وإن كانوا قلة، انظر نموذج محمد بن عبو، ص 303. والحاج عبد الرحمان بن سليمان المتوفى (1337هـ) تلميذ عيش، المرآة الجليلة، مرجع سابق، ص 306.

ومن الأزهر كانت تأتي المطبوعات الجديدة، كما أسهمت صحف المؤيد والمهاجر وغيرها في بث دعاية مسمومة-حسب الفرنسيين- ضد فرنسا، وكان هذا الضخ الإعلامي مدعوما من الجامعة الإسلامية.

ب-صحافيون وسياسيون جزائريون في مصر:

انتال على مصر رواد الصحافة الجزائرية الذين وجدوا في صحفها ومجلاتها متنفسا لهم من التضييق الفرنسي على الحرف العربي، ومن هؤلاء عمر بن قدور رائد الصحافة الجزائرية العربية، والذي كتب في صحف اللواء، والتقى الزعيم المصري مصطفى كامل، وعاد للجزائر سنة (1907) شهبا واريبا من الغيرة والوطنية⁽¹⁾. ومن هؤلاء الذين أنشأوا صحفا خاصة أبو إسحاق اطفيش⁽²⁾ صاحب مجلة "المنهاج"⁽³⁾ التي كانت اللسان الناطق باسم الجزائريين، وشاركت في الهموم المغاربية، وأسهم مع سليمان الباروني في نشر كتب ذات صلة بتاريخ وأمجاد الجزائر، وقرظها ابن باديس⁽⁴⁾. وكذا أبو يعلى الزواوي⁽⁵⁾، الذي حلّ بمصر ومكث بها مدة، ونشر مقالاته في صحفها، وخاصة في "المؤيد" للشيخ علي يوسف، والتقى هناك الشيخ طاهر الجزائري رائد نهضة الشام أيام محنته وفراره من الأتراك بسوريا.

ويمكن أن ندرج هنا عديد السياسيين الذين اتخذوا من مصر منبرا للدفاع عن القضية الجزائرية أمثال الأمير خالد الذي حضر مؤتمر الخلافة الإسلامية سنة (1924)، وقبله تمكّن الأمير محمد من طبع "تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر" سنة (1903)، وهو كتاب معرّف بالمحنة الجزائرية وجهاد الأمير⁽⁶⁾.

والخلاصة: أن هذا العقد في مطلع القرن تميز بحركية متوسطة تجاه تطوير الذات والإحساس بالأزمة الثقافية، والنزوع نحو التجديد ومجاراة أصداء النهضة العربية الوليدة في المشرق، وكانت جل الجهود فردية، أو تحت المظلة الاستعمارية التي كانت ترقب كل شيء في الجزائر المستعمرة، وستلد البذور المزروعة هنا ثمارها بعد الحرب الأولى.

(1) محمد عبد الحليم بيشي، مقدمة كتاب الإبداء والإعادة في مسلك سائق السعادة لعمر بن قدور، مرجع سابق، ص 12. صالح خرفي، عمر بن قدور الجزائري. الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص 33.

(2) اطفيش إبراهيم بن محمد أبو إسحاق: ولد ببني يسقن بميزاب (1888)، درس على عمه القطب محمد بن يوسف إلى غاية وفاته سنة (1914)، ثم رحل إلى تونس، ودرس بالزيتونة، شارك مع عبد العزيز الثعالبي في العمل السياسي، فنفي إلى مصر سنة (1923)، وأسس مجلة المنهاج، عمل ممثلا لدولة الإمامة في عمان في الجامعة العربية، كما عمل محققا في دار الكتب المصرية. توفي سنة (1965)، من آثاره: الدعاية إلى سبيل المؤمنين، موجز تاريخ الإباضية، الفرق بين الإباضية والخوارج، النقد الجليل للعبث الجميل، تحقيق مسند الربيع بن حبيب، تحقيق مقصورة ابن دريد، شامل الأصل والفرع للقطب. انظر معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 19. الزركلي، الأعلام، مرجع سابق، ج 1 ص 73. معجم أعلام الإباضية، ط1، القرارة، جمعية التراث، 1999، رقم 37 ج 2 ص 44.

(3) انظر مجلة المنهاج، طبعة المطبعة العربية بغرداية، مجلدان. (1930-1925م).

(4) عبد الحميد ابن باديس، جريدة المنتقد، بعناية وجمع الهادي قطش، الجزائر، دار الهدى، 2112، ع 7 (13 أوت 1925)، ص 117.

(5) أبو يعلى محمد السعيد الزواوي: انظر معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 16. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3 ص 106.

(6) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 499.

المبحث الثاني: الطريقيون في الجزائر في العقدين الأولين (1900-1919)

تمهيد: ركنت الطرق الصوفية بعد انكسار المقاومات المسلحة في عموم الجزائر والفدائح التي أعقبت ثورة (1871)، وانتهاء آخر ثورة عامة وهي ثورة بوعمامة (1883) إلى الانعزال واستجماع الأنفاس، وبدأت مرحلة المقامة الثقافية والاجتماعية، فأوت إلى الزوايا متدثرة بلباس التصوف بكل ما له وما عليه، ولسان حالها يقول "اتركونا لوحدها"، وهو ما استنتجه "جول فيري" الذي ترأس البعثة البرلمانية للجزائر، وخلص إلى أن هذه العزلة السياسية أو المقاومة السلبية سلكها الجزائريون بعدما عرفوا من سنوات الدم والجوع أن الاستمرار في المقاومة المسلحة يعني الفناء⁽¹⁾.

ولأجل ذلك أطبق المجتمع الجزائري يحتج بالطرق الصوفية خوفا من المسخ القادم، فكثرت الزوايا بعدما أريد لها الفناء، ووجد الناس في المقادير والشيخوخة عزاء لهم عن فقدان قيادتهم الدينية والاجتماعية والقتالية أي الأجواد، المرابطين الفرسان، ورجال الميعاد. يقول سعد الله: "في وقت فقدت فيه البلاد كل القيادات عدا قيادة المرابطين والطرق الصوفية، حاملة البركة ووارثة الأشراف والأنبياء، أما الباقون فمخازنية يخدمون من يدفع أكثر، ويهتمون ببطونهم قبل دينهم ووطنهم، أو حضريون دجنهم المدينة وبطهرهم العيش الرخي، ففقدوا الشهامة والغيرة، وأخلدوا إلى الراحة والسكون"⁽²⁾.

نعم، لقد كان الجو خانقا، والقوانين الاستثنائية الاستعمارية تبيح لأي رئيس مجلس بلدي فرنسي تعقب وسجن ونفي من يشاء، ولذلك اتسم عمل شيوخ الطرق بالحذر، ومن جابه منهم تعرض للتضييق والنفي والتغريب كما هو الأمر في محنة عاشور الخنقي⁽³⁾.

ولأجل ذلك أيضا بقيت الطريقة تسكن المخيال الشعبي، وفي شهادة عن قوة الدين والطريقة من قبل "موريس واهل وأوغستان برنارد في كتاب الجزائر المطبوع سنة (1903):" إن الذي يجمع بين سكان الصحراء وفلاحي التل هو الدين، فكلهم مسلمون، فالمساجد والزوايا والقباب هي مراكز تجمعاتهم، إن الكثير منهم منخرطون في الطرق الصوفية الرحمانية، الطيبية، التجانية، السنوسية، والقادرية وهذه الطرق قوية وأخطرها السنوسية.....فهذه الروح الحماسية في التعلق بالدين هي العائق الوحيد الذي وجدناه في طريقنا، فهي التي تغدي الروح الوطنية لإيقاد نيران الغضب، وتشجيع المقاومة. إذ معظم الثورات التي اجتاحت البلاد كانت نتيجة لدعاياتهم، والأنكى أنهم بمجرد إعلانهم لحرب ضد العدو الكافر تزول الخلافات بين الأفراد والقبائل، فهذه هي الحقيقة دائما والتي لربما نصل إلى التخفيف من مفعولها، إلا أن القضاء عليها صعب"⁽⁴⁾. إنها لغة الاستعمار والمستشرقين الذين هالهم صمود الزوايا في حرب المسخ والتنصير وهذا القول شبيه بما قاله "دونوفو" عن شيوخ زوايا القبائل: "إن المعلمين الأهالي المتشبعين بمبادئهم والذين يغذيهم حقد لا هوادة

(1) سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930)، مرجع سابق، ج 2 ص 97.

(2) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 196.

(3) المهدي البوعبدلي، الأعمال الكاملة، قسم التراجم، مرجع سابق، ص 21.

(4) البوعبدلي، الحياة الثقافية بالجزائر، ص 294. انظر عن قوة الزوايا آجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا، نفسه، ج 2 ص 483.

فيه ضد النصارى ويعممهم التعصب الأعشى، يحاولون دائما أن يلقنوا الجيل الصاعد هذه المبادئ، وهو الجيل الذي خرج ضدنا وقاومنا"⁽¹⁾.

وفي شهادة متأخرة للفضيل للورثاني يعترف بها بالدور الإيجابي للمرابطين في تقويم الأخلاق وتليين القلوب في الجبال العالية: "في تلك الجبال التي نزلوا فيها، وهي تناطح السحاب، وسكانها يومذاك أشبه بالوحوش..."⁽²⁾ نعم إنها النتيجة التي انتهى إليها المجتمع الجزائري في نهايات القرن التاسع عشر، ولأجل ذلك وُضعت الخطط لإماتة الإسلام الجزائري، أو تدجينه، أو تفكيكه حتى لا يقف في وجه فرنسا مجددا، ويكفي التذكير هنا بما عرضناه سابقا من وصايا خبري الطرق الصوفية أي ديبون وكوبولاني في كتابهما الطرق الدينية الإسلامية الصادر سنة (1897) حيث كتبوا في المقدمة الوصايا للسلطات الفرنسية لوضع برنامج يأخذ بزمام القوة الوحيدة التي بقيت للأهالي أي الطرق، لكي تخدمنا إلى اليوم الذي نعارضها فيه بقوة أخرى أكثر تنورا وأكثر تمدنا، عندئذ نواصل تفتيت هذه الطرق"⁽³⁾.

المطلب الأول: وسائل فرنسا في التعامل مع الطرق الجزائرية.

وعطفا على ما سلف من توصيات وتحذيرات وإجراءات، يتوجب علينا معرفة الوسائل التي اعتمدتها فرنسا لإفراغ الجزائر من صلابة وفاعلية الحضور الطرقي، ويمكن تلخيصها في الآتي:

1- تدجين الزوايا وتفكيكها: اكتفت الزوايا بعد سبعين سنة من المقاومة بسلطانها الروحي الذي بدأ يتآكل أمام زحف المدنية، ولم يبق في الذاكرة الجمعية إلا تلك الرموز الدينية التي فشلت في حماية المدن من الاستعمار، فالحمولة الشعبية كانت تعتقد بسلطة الأولياء الروحية وحتى الزمنية على المدن، فلكل بلدة ولها وحامها "سيدي فلان مولى البلد الفلاني"⁽⁴⁾.

ولتكسير ما بقي من هيمنة عمدت السلطة الاستعمارية إلى خطط بديلة من النفاذ إلى أعماق الزوايا لتدجينها وترويضها، وهو ما تطفن إليه الإبراهيمي من بعد في كشف السياسة الفرنسية لأغراضها من إفراغ الطرق من محتواها الحقيقي التربوي إلى آخر تدجيلي دنيوي، فقال: "ولقد قال قائد عسكري فرنسي معروف، كلمة أحاطت بالمعنى من جميع أطرافه قال: "إن كسب شيخ طريقة صوفية أنفع لنا من تجهيز جيش كامل، وقد يكونون ملايين، ولو اعتمدنا في إخضاعهم على الأموال والجيش لما أفادتنا ما تفيده تلك الكلمة الواحدة من الشيخ، على أن الخضوع لقوتنا لا تؤمن عواقبه لأنه ليس من القلب، أما كلمة الشيخ فإنها تجلب لنا القلوب والأبدان والأموال أيضا"، ... هذا معنى كلمة القائد الفرنسي وشرحها، ولعمري إنها لكلمة تكشف الغطاء عن حقيقة ما زال كثير من إخواننا الشرقيين منها في شك مريب، وهم لا يدرون أن أول من خرج عن جماعة الأمير عبد القادر الجزائري في أيام جهاده شيخ طريقة معروف، وأن من أكبر أسباب هزيمته استعانة فرنسا عليه

(1) انظر ناصر الدين سعيدوني: في الهوية والانتماء الحضاري، مرجع سابق، ص 140.

(2) الشهاب، ع (ربيع الأول 1353-جوان 1934)، ج 7 مج 10.

(3) Octave dépont et Xavier Coppolani: Les confréries religieuses musulmanes. Op.cit. P 25

(4) الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، مرجع سابق، ص 123.

بمشايخ الطرق الصوفية، وإعلان كثير من أتباعهم الخضوع لفرنسا، فهل نحتاج بعد هذا إلى دليل؟ وإن تاريخ تلك الوقائع لم يزل مداده طريا، وما زال الاستعمار بالجزائر يسمي هؤلاء المشايخ أحباب فرنسا⁽¹⁾.

استمرت السياسة الفرنسية على تفكيك الزوايا وبث الفرقة بينها، خاصة وأن قوة الماسونيين كانت رائجة في تفتيت الدين وتحييده، وكلما اندلعت حرب تركية عثمانية مع غيرها، إلا وكان التخويف بهذا البعبع قائما⁽²⁾.

2- دعم الزوايا والطرق البدعية: التي تمتن الفلكور والرقص والخرافات وممارسة السحر، وذلك بالترويج لها، وحضور أحفائها، وتصويرها بأنها الإسلام لتنفيذ رواد الحضارة الحديثة منه، ومن تلك الطرق الطريقة العمارية⁽³⁾ التي شاع فيها طقوس الإسلام الزنحي من الطبل والبندير والغيطة وغيره، ودعمت فرنسا هذه الطريقة وسمح لشيخها وأتباعها بالتجوال⁽⁴⁾، وسيكون لجمعية العلماء دور في منازلة هذه الطريقة. وكذلك العيساوية، والتي تميزت بمظاهر التهريج والرقص والسحر وتسخير الأفاعي، وكان أتباعها يقومون بحركات غريبة، ولها زواياها في وزرة بالمدينة، ومستغانم، وقسنطينة وغيرها⁽⁵⁾، وأطبقت الإدارة الفرنسية على غض الطرف عنها، والسماح لها بمهرجاناتها.

كان الجو الثقافي العام جو الطرق والأولياء والكرامات، والدلائل كثيرة في استعراض المصنفات القليلة في الحياة الدينية، أما الاجتماعية فكذلك، ففي توصيف للشاعر أحمد مكي الجنيد⁽⁶⁾ أصيل الخنقة يقول عن سكانها: "شدة ميلان الأهالي كبارا وصغارا إلى أفكار صوفية، أو تصوفية مملوءة بالخرافات الواهية التي لا صلة لها بالدين، كم قضيت من الليالي الطوال في سرد أخبار وكرامات من نعتقد فيهم الصلاح وسماع كتاب الشيخ العروسي، لا سيما إذ كان أبي من جملة المترنمين بتلك الأناشيد التي لا أدري من أي البحار جمعت، وهذيان المداحين ومن شاكلهم، وبينهم جملة المقادير ممثلي الحضرة الأهلية في زعمهم"⁽⁷⁾.

كما أسفر الجو البئيس للجزائر في بروز ظاهرة الهاليل المتجولين والقادمين من تونس والمغرب لأغراض التكسب أو الجوسسة أو غيرها، فقد أشار مراسلو الصحف بعد الحرب الأولى إلى هذه الظاهرة، وكانت من الكثرة بمكان، فيحكي ابن باديس عن رجل من الجريد التونسي يلبس لباسا وسخا ومستقدرا، وكان مُعظما بقسنطينة⁽⁸⁾. وهذه الظواهر من الكثرة بمكان، والمذكرات والرحلات تنبئ عن بعض منها.

(1) آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 5 ص 143.

(2) انظر أيضا أجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا، مرجع سابق، ج 2 ص 483.

(3) أسسها مبارك بن يوسف البخاري (1812-1883) القادم من مراكش، ودعمه يوسف اللقيط، وبنى له زاوية قرب قالمة، وقد نسبها إلى الشيخ عمار بوسنة (1712) وأسس طريقته سنة (1862). وعرفت انتشارا لها في الشرق.

(4) Louis Rinn: Marabouts Et Khouans. Op.cit, P118.

(5) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 81.

(6) ولد بخنقة سيدي ناجي سنة (1893) وبها تعلم، ونال الابتدائية الفرنسية (1909)، ثم التحق بقسنطينة، ثم تخرج من المدرسة العليا بالجزائر، سنة (1917)، درس في وادي الزناتي ثم بسكرة، وانتقل سنة (1922) إلى مستعمرات فرنسا بإفريقيا الغربية من آثاره "روح آداب عصرية عربية". انظر شعراء الجزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 175.

(7) السنوسي الزاهري، شعراء الجزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 181.

(8) الشهاب، ع (أكتوبر-1929)، مج 5 ص 468. رحلات جزائرية، مرجع سابق، ج 2 ص 66.

كما ضيقت فرنسا على الزوايا في قضايا الحج والترخيص للوعادات والاجتماعات، وتعطيل التواصل مع الخارج،⁽¹⁾ وذلك بغرض قطع صلات التواصل مع الجيران، وإبقاء الجزائر معزولة حتى يسهل القضم الثقافي لها.

3- مراقبة الأوقاف والتعليم: استمرت فرنسا في مراقبة الموارد والأوقاف للتضييق على عمل الزوايا وخنق ما بقي لها من أنفاس، حتى لا تعيد كرة المقاومة التي قادتها في القرن الماضي، لما لهذه الأوقاف والحبوس والندور والزيارات من أثر في رفع المكانة المعنوية للشيوخ، وتتميمها لذلك دفعت بفتح بعض المدارس للتعليم الحديث حتى تستقطب النخبة من أبناء البيوت الكبيرة والعائلات التقليدية، فالتعليم الحديث قلّص من حضور الزوايا وهيمنها الاجتماعية، وجعلها تكتفي بالحد الأدنى نتيجة هجرة الأساطين، والتضييق على موارد الباقيين. فقد أعلن ألفريد بيل سنة (1908): "يجب ألا نزرع من تناقص التعليم في الزوايا، ذلك أن المدرسين الرسميين بالمساجد -التنظيم الجديد- قد حلوا محل معلمها كما حلت المدارس الابتدائية والتحضيرية الفرنسية محل المكاتب -المدارس القرآنية- إن الزوايا مآلها أن تصبح للعبادة فقط ولزيارة الغرباء والإخوان، وستختفي منها المدرسة الملحقة بها بحكم انقطاع التلاميذ عنها"⁽²⁾.

وليس الأمر بتلك الصورة الوردية، ففرنسا هي من رعت مشروع التصحير الثقافي، ففي مرسوم (24 ديسمبر 1904) سمح الحاكم جوناك بجعل رخصة التعليم تقتصر على القرآن دون تفسيره⁽³⁾، وبلغت نسبة الأمية 90 للرجال و98 للنساء، وهي نسبة بالغة السوء، مبينة عن مستوى الانحدار الذي هوى إليه المجتمع. يقول الورثلائي: "ثم التفتوا إلى المدارس العلمية فمنعوها من التدريس والتفهم، ولكن أذنوا لها بالأول، في تحفيظ القرآن غيبا على شرط أن يكون عن غير فهم، ثم تدرجوا بعد قليل إلى منع التحفيظ البغائي نفسه، إلا بإذن لا يحصل عليه الراغبون إلا بشروط"⁽⁴⁾.

وعلى الرغم من كل هذا فقد قامت الزوايا بوظيفتها في التعليم، ولنا شهادة مهمة للإبراهيمي يصف فيها مخرجات الزوايا في أول القرن العشرين: "والكثرة الغالبة في علماء الجزائر قبل اليوم تعلمت بالزوايا أو علمت العلم في الزوايا، فمن الزوايا المبدأ وإليها المصير. وزوايا الطرق في باب العلم كمدارس الحكومات هذه معامل لتخريج الموظفين، وتلك معامل لتخريج المسبحين بحمد الزوايا والمقدسين، أما العلم وحقيقته وصراحته وحرية فلا رائحة لها في هذه ولا في تلك"⁽⁵⁾.

والحقيقة أن الزوايا كانت المرجع الأول للتعليم، ولكن القصور أصابها على الرغم من تخريج أمثال الإبراهيمي وعاشور الخنقي وغيرهما. والسؤال المشروع في هذا: هل حملة الإصلاح العنيفة القادمة، قد اعتبرها الفرنسيون جزء من إضعاف القوة الوحيدة التي بقيت للجزائريين كما يقول سعد الله؟.

(1) أجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا، مرجع سابق، ج 2 ص 467. عبد الحميد زوزو، الأوراس، نفسه، ج 1 ص 364.

(2) بل، مؤتمر (1908)، عن تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3 ص 176.

(3) فرحات عباس، ليل الاستعمار، ترجمة أبو بكر رحال، المغرب، مطبعة فضالة، د ت، ص 25.

(4) الورثلائي، الجزائر الثائرة، مقال "فرنسا تحارب الإسلام علنا" مرجع سابق، ص 101.

(5) الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 186.

المطلب الثاني: الزوايا النشطة في العقد الأول.

يصعب علينا تتبع الوضع الطرقي في بدايات القرن العشرين، لندرة الوثائق المباشرة، ولكثرة الزوايا والطرق المنتشرة في كل أصقاع الوطن، ولكننا سنركز على مناطق معينة كالزيبان وقسنطينة والقبائل وتلمسان، أما المناطق الصحراوية العميقة في توات والهقار والساورة فلم ينلها كبير تغيير، إذ أن جهدنا سينصب على المناطق التي كانت فاعلة في العلاقات الإصلاحية الطرقية، ولم تكن بقية الطرق كلها في ذلك الدرك ولا بتلك السلبية السابقة الذكر، فأكثرها حافظ على التعليم والتهديب وربط للحملة الاجتماعية من نماذج الزوايا الناشطة:

1- زاوية بن علي بشلاطة: تأسست حوالي (1700م) على يد الشيخ موسى الشريف الحسني المشيشي، وهي قادية التصوف⁽¹⁾، واشتهرت بتدريس علوم الفقه والفرائض والفلك والحساب، وكان الكتاني يسميها أم الزوايا العلمية، لاشتهارها بتدريس خليل، قال: "وهي زاوية من أكبر زوايا القطر الجزائري، انتشر عنها العلم لا سيما الفقه المالكي، حتى قال بعضهم: "هي أم الزوايا العلمية في القرون الثلاثة الأخيرة ومنها انتشر الفقه والنحو والفلك والحساب في بلاد زاوادة وما والاها إلى قسنطينة شرقاً وإلى الأغواط جنوباً وإلى المدية غرباً"⁽²⁾، وهي من أقدم الزوايا التعليمية في المنطقة، ولو أنها فقدت بالتدريج مكانتها العلمية في العهد الفرنسي نظراً لقبول رئيسها محمد السعيد بن علي⁽³⁾ الوظيفة الرسمي، ومع ذلك بقيت الزاوية تؤدي مهمة التعليم في العهد الفرنسي، كما أن وظيفة صاحب الزاوية قد حمت معلمها وطلابها من شر الإدارة الفرنسية، وقد درس فيها عدد من العلماء ومنهم محمد البشير الإبراهيمي قبل هجرته إلى المشرق، وعرفت بتخصصها في حفظ القرآن وقراءته وتفسيره، وكانت مدرسة لعلوم الدين والفلك والحساب والنحو⁽⁴⁾.

2- الزاوية السحنونية: أسسها عمرو الشريف، ومن أبرز رجال هذه الزوايا محمد السعيد السحنوني، وظهرت أيام ضعف التعليم العربي الإسلامي في الجزائر وتوغل الإدارة الفرنسية في نواحي البلاد سيما منذ ثورة (1871)، أما ما تميزت به فهو إرسال البعثات من التلاميذ إلى تونس للتعليم واستقبالها للتلاميذ من البلدان المجاورة في إطار تشجيع الحصول على العلوم الإسلامية، ولم تكتف الزاوية بإرسال التلاميذ بل إنها جلبت إليها بعض الشيوخ من تونس للتدريس فيها أمثال الشيخ إبراهيم صمادح، وقد كثر الطلبة بالزاوية حتى بلغوا نحو 300 طالب⁽⁵⁾.

3- زاوية ابن أبي داوود: وهي الزاوية الشهيرة في تاسلنت بأقبو، ويسميه الخنقي "جبل النور"، واعتبرت أم الزوايا العلمية، واشتهرت منذ القرن الماضي بتدريس الفقه والنحو، ومن أشهر شيوخها عبد القادر بن أبي

(1) عبد الباقي مفتاح، أضواء على الشيخ عبد القادر الجيلاني وانتشار طريقته، مرجع سابق، ص 289.

(2) عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، ترجمة رقم (570) ج 2 ص 1001.

(3) ابن علي الشريف (1820-1896)، تولى منصب الباشاغا سنة (1844)، وعن الزاوية كتب محمد العربي مصباح: طراز الخياطة، انظر عنه تعريف الخلف، مرجع سابق، ج 2 ص 402. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3 ص 182، وج 7 ص 116.

(4) صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا، مرجع سابق، ص 454. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3، ص 182.

(5) جريدة البصائر، ط 1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2005، 184 (3-10-1952)، ص 7. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3 ص 198.

داوود، وهو عالم فقيه متصوف من أسرة الشيخ أحمد بن أبي القاسم بن السعيد بن أبي داوود (1819-1861م)، وبها درس الهاملي والحفناوي، وشاعت العبارة "من لم يدرس القرآن بشلاطة، ولم يتعلم الفقه في تاسلنت، ولو قرأ وتعلم في غيرهما يعتبر ناقص السر"⁽¹⁾، واهتمت بتدريس خليل، وكانت أوقافها من الضرائب العرفية المفروضة على القبائل الخدم لها.

4-زاوية العموري بالتيطري: زاوية متوسطة قرب مدينة سيدي عيسى، أسسها الشيخ سيدي بن يوسف بن النذير (1835-1920)، وذلك سنة (1895)، واهتمت بالتعليم القرآن والعلوم الابتدائية، وحافظت على الحد الأدنى من التوجيه والتخريج للأئمة والمعلمين بنواحي التيطري⁽²⁾.

5-الزاوية الحمالوية: وهي الزاوية التي أسسها ابن الحمالوي وارث البركة من الشيخ الحداد، واشتهرت في النصف الأول من القرن العشرين بالعمل التعليمي، واستقدام أساتذة من تونس⁽³⁾.

6-زاوية سيدي الحسين القشي بحاسي خليفة: أسسها الحسين بن محمد بن الصالح الإدريسي، جاء قادما من الغرب، ومنحه الباي علي بن يوسف أرضا، وبني مسجدا وزاوية سنة (1815)، واشتهرت الزاوية بتعليم العلوم الشرعية، وبرز منها علماء أكفاء أمثال: الفقيه مرزوق بن الشيخ الحسين، ومن المتأخرين العباس بن الشيخ الحسين، وعلي الونيسي شارح صحيح البخاري في اثني عشر جزء، إضافة الى ختمات مقروءة على مسلم والشافعية⁽⁴⁾، وبها درس بها حمدان الونيسي الذي كتب كتابا منقبيا عن مؤسسها هو "قرة العين في التعريف بالقطب سيدي الحسين" ومدحه بقصائد⁽⁵⁾، ونظم وفاته أيضا سنة (1263هـ)⁽⁶⁾:

وغوثنا سليل خير الأنبياء... سيدنا الحسين تاج الأصفياء

7- الزوايا الرحمانية في الجنوب: من المفيد أن الزوايا الرحمانية في الجنوب كانت نشطة لتعويض الدمار الذي حصل لزوايا الشمال، وهو ما حذا بشيوخها إلى الترقب، وعدم المجابهة والاكتفاء بالمقاومة في التعليم، إذ كانت التجارب مريرة ومكلفة، فحتى بوسعادة البعيدة نال معلمها شرر القهر والإبعاد كما حصل في نفي الشيخين محمد وأحمد ابنا علي بن شبيرة إلى تونس عقب مشاركتهما في دعم ثورة الزعاطشة⁽⁷⁾، ويشير سعد الله إلى أن سكوت الفرنسيين عن زوايا الهامل وطولقة لأجل انتزاع الشعلة من زاوية نفطة المعارضة والتي كانت ملجأ للعلم وللسياسة أيضا⁽⁸⁾. ومن هذه الزوايا:

(1) تعريف الخلف، مرجع سابق، ج 2 ص 402. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3 ص 193.

(2) العقبي، الطرق الصوفية والزوايا، ص 379. بوكسية، التطور الثقافي والسياسي بزوايا الطريقة الرحمانية، ص 222.

(3) انظر العقبي، الطرق الصوفية والزوايا، مرجع سابق، ص 338.

(4) تعريف الخلف، ج 2 ص 113. معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 346. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 44.

(5) جريدة النجاح، عبد المجيد بن إبراهيم "الضالة المنشودة"، ع 272 (12-2-1926)، ص 2.

(6) حمدان الونيسي، قرة العين في التعريف بالقطب سيدي الحسين، ص 181، بن علية، الشيخ حمدان الونيسي حياته وآثاره ص 54. بن علية، ثلاث رسائل نادرة لابن باديس. كما ذكرها الزباني في الترجمانة الكبرى.

(7) توفي في حدود (1270هـ-1850) انظر محمود براهيم، السنوسي، ص 88. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3 ص 21.

(8) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3 ص 217.

أ- زاوية الهامل⁽¹⁾: أسسها الشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي⁽²⁾. وكان بمثابة كلية إسلامية مشرفة على التعليم الشرعي في الوسط الجزائري وبلاد الحضنة، وخاصة في الفترة الاستعمارية، وفي مطلع القرن الماضي رسم المدني صورة جيدة عن الأثر العلمي والتروي لمعهد القاسمي بالهامل الذي كان به مائتان وخمسون طالبا يتلقون علوم القرآن والسنة والفقه والتاريخ والرياضيات والفلك وعلوم المعقول، ووصفه " بأنه روضة من رياض الجنة"⁽³⁾.

ويرتب الطلبة علميا فيها إلى مستويين: التعليم القرآني، ثم التحصيل العلمي:

1- التعليم القرآني: الحفاظ المتقنون، ثم المعيدون الذين ختموه ويعيدونه للإتقان، ثم المبتدؤون.

2- الترتيب التعليمي للعلوم الشرعية، ونظامها قريب من نظام زاوية اليلولي تبعا للانتماء المشترك للطريقة الرحمانية.

-النظارون: كبار الطلبة ممن ختم الكتاب ثلاث مرات، ويخلفون الأستاذ، فهم المبرزون، أو المعيدون.

-السباقون: أصحاب الشرح ممن يؤذن لهم بمطالعة الشروح واستعمالها، وقد يؤذن لهم بتقديم الدرس للمبتدئين.

-الحجارون: المتوقفون في حفظ المتن الفقهي كالرسالة أو خليل، أو اللغوية كالألفية.

وهذا الترتيب المتفاوت بيداغوجيا صارم جدا، فالتوازي في التحصيل ضروري، فلا يمكن أن تكون سباقا في علم، ونظارا في آخر، وحجارا في آخر.

ب-الزاوية العمرية بطولقة: تأسست على يد علي بن عمر (ت 1842)، واشتهرت بالتعليم أيام علي بن عثمان (1842-1896)، وظلت في حياد تجاه المقاومات والسياسة، وكانت تعليمها قويا، واشتهرت بمكتبتها العامة- والوحيدة في الإيالة القسنطينية⁽⁴⁾، وحافظت على الهوية العربية بالزيبان التي ظلت متميزة على سواها في التعليم العربي بفضل وفرة الزوايا والمدارس والمدرسين، ولا غرو أن تكون الزيبان المضخة الكبرى لتخريج رجالات الحركة الإصلاحية.

ج- الزاوية المختارية: من الزوايا الرحمانية المهمة في الزيبان الغربي، وكان يتخرج منها المئات بعد استكمال الحفظ للقرآن الكريم، ثم تأتي مراحل استكمال الفقه والنحو والمنطق والبلاغة، وحتى الفلك، وعلم الجيب، وغيره، وقد ضمنت التعليم في تلك الأيام الحالكة في حدوده الدنيا⁽⁵⁾.

د- الزاوية الديلمية بالمسيلة: زاوية تعليمية أسسها محمد بن عبد الله الديلمي المولود (1264هـ)، درس ببجاية على يد السعيد الأحريزي، ثم زاوية اليلولي وزاوية أحمد أويحي بني كوفي، كما التحق بقسنطينة وأخذ عن المجاوي، ونال البركة من الشيخ الحداد أيام سجنه بها، وأخذ عن الشيخ عمارة بن أبي الديار بجبل

(1) انظر عنها عبد المنعم القاسمي، زاوية الهامل مسيرة قرن من العطاء والجهاد (1862-1962)، مرجع سابق، ص 110.

(2) عن محمد بن أبي القاسم، انظر تعريف الخلف، ج 2 ص 171. معجم أعلام الجزائر، ص 335. زاوية الهامل، مرجع سابق، ص 95.

(3) المدني، حياة كفاح، مرجع سابق، ج 2 ص 147.

(4) جريدة النجاح، ع 185 (5-12-1924)، ص 3. رحلات جزائرية، ج 1 ص 63. انظر عبد الحميد زوزو، الأوراس، مرجع سابق، ج 1 ص 358.

(5) صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر، مرجع سابق، ص 390.

الناظور، ثم حج مرتين وجاور بالحرم، وعاد إلى المسيلة ليفتح مدرسة مهمة تكاثر تلاميذها، إلى أن توفي سنة (1942)⁽¹⁾.

8- زوايا الغرب الجزائري: وهي كثيرة جدا منها القارة ومنها المتنقلة، ومنها الحضرية كمازونة ومعسكر، ومنها القروية في المدن الصغيرة، ويمكن التمثيل لها بالآتي:

أ-معهد غريس: والذي درّس فيه الحاج عبد القادر بن مصطفى ابن فريجة، وذكر ابن بكار: "أنه قد أعطي مالا فألتفه في وجه الله، وأعطى علما فبثه بين الناس. فهذا الشيخ ابن فريجة قد جعل بيته مدرسة في غريس فكان يدرس لتلاميذه مختصر الشيخ خليل وينفق على طلبته من ماله الخاص" لمدة ثلاثين سنة، ثم انتقل إلى تغنيف معلما وخطيبا عشرين سنة، وبلغ عدد تلاميذه وخريجيه حوالي 400 طالب، وتوفي بن فريجة عن سن عالية حوالي (1930)⁽²⁾، ونظير هذا الجهد التعليمي كان يمارس في سهل الشلف وحواضر الراشدية.

ب-معهد سيق: تولى التدريس فيه الحاج علي بن البشير التجاني الطريقة، وهو أزهرى التكوين جاور بالأزهر ثماني عشرة سنة، وبعد رجوعه لمعسكر أسس مدرسة ملحقة بالجامع الكبير بسيق، ومكتبة عامرة، وقصده الطلبة من أرجاء الغرب كله، وبعد وفاته تولى التدريس أخوه الحاج المنور⁽³⁾.

9-مساجد العاصمة: والتي استمرت على بعض النشاط العلمي المحدود كالجامع الكبير، وسيدي رمضان، والجديد الحنفي، وقد ظل أغلب علمائها أوفياء لنمط التدريس القديم فيها، ومن أشهرهم الشيخ علي بن الحفاف الذي سبق وانضم للأمير في مليانة، ثم رجع إلى الجزائر ونال وظيفة حزاب أيام المفتي مصطفى القديري، ثم وكيلا لمسجد سيدي رمضان، ثم مفتيا للبلدية، ثم تولى افتاء المالكية سنة (1873)، وقد نصحه بيرم بالبقاء وعدم الهجرة⁽⁴⁾. وعلى أثره سار باقي الشيوخ مثل ابن الأمين الحرار وحميدة العمالي وأحمد بوقندورة المفتي الحنفي وغيره.

المطلب الثالث: دواعم الطريقة مطلع القرن العشرين.

أولا-الزيارات العلمانية: وهي زيارات نادرة الوقوع، وقد عرضنا لزيارة المكي بن عزوز والخضر حسين، ويمكن أن نضيف زيارة العلامة الحجوي، الذي كان يشغل منصب وزير المعارف المغربي، ففي طريقه لتونس، مر بالهامل، وكذا زيارة أحمد سكيج المرجع التجاني المغربي المشهور الذي زار الجزائر سنة (1911)، وألف في ذلك "الرحلة الحبيبية الوهرانية"⁽⁵⁾، ثم زار نادي الترقى (1927)⁽⁶⁾، إضافة إلى العلائق القوية بين زاوية نفطة

(1) بن بكار، مجموع النسب، مرجع سابق، ص 171. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3 ص 234. ولعل علي البودليبي درس عنده.

(2) بن بكار، نفسه، مرجع سابق، ص 140. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3 ص 123.

(3) بن بكار، مجموع النسب، ص 55. المرأة الجليلة، مرجع سابق، ص 339. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3 ص 124.

(4) تعريف الخلف، مرجع سابق، ج 2 ص 82. بيرم، صفوة الاعتبار، ج 4 ص 16. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3 ص 80.

(5) أحمد سكيج العياشي، الرحلة الحبيبية الوهرانية الجامعة للطائف العرفانية، تحقيق محمد الرضي كنون، الرباط، دار الأمان، 2011، ص 12.

(6) أحمد سكيج، رسائل العلامة للقاضي أحمد سكيج الأنصاري، تحقيق محمد الرضي كنون، ط، 1997، ج 1 ص 399.

(6) أحمد سكيج، رسائل سكيج، تحقيق محمد الرضي كنون، مرجع سابق، ج 1 ص 281.

التي كان يرد منها علماء على زاوية سيدي سالم الرحمانية، وزاوية طولقة والهامل وتماسين⁽¹⁾. فقد كان ذلك المثلث يشمل الزوايا التجانية والقادرية والرحمانية موارا بعدد الزيارات المتبادلة بين تلك المراكز العلمية الملحقة بالزوايا مما أسهم في الألق العلمي لها.

وعلى الرغم من هذا النشاط المقبول، فإن الإنتاج العلمي لمتصوفة القرن قليل جدا بسبب الاتكاء على موارث السابقين وشيوع ذهان الخوف من الكتابة أو التنظير، فلم نجد تأليفا قويا ككتاب الشيخ الحداد "التقعيد"، ويرجع سعد الله ذلك إلى: "كان علينا أن ننتظر إنتاجا غزيرا في التصوف نتيجة ازدهار الطرق، ولكن الحصيلة، كما سنرى قليلة وضعيفة، فظهر أن التصوف كان ممارسة بطريق الذكر والحضرة ومنح الإجازات وادعاء الكرامات أكثر منه تصوفا نظريا قائما على التفكير في الكون وخالقه والإنسان ومصيره ودوره في الحياة"⁽²⁾.

ثانيا- تأثيرات الجامعة الإسلامية: بدأت جرثومة الجامعة الإسلامية في الجزائر منذ انكسارات الجزائريين أمام الاحتلال، وكان الحنين لدار الإسلام الكبرى كامنا في النفوس، وبدأت تباشيره مع حرب القرم، ومع احتلال فرنسا لتونس، وعبر الأدب الشعبي عن تلك العواطف الداعمة لخليفة اسطمبول⁽³⁾، ومن المعلوم أن السلطان عبد الحميد الثاني رعى مشروع الجامعة الإسلامية، وحشد له القدرات، وأنشأ شبكة علاقات واسعة ضمت شخصيات وطرقا صوفية، ومن تلك الطرق التي نفذت للجزائر الطريقة المدنية لمحمد ظافر المدني الذي ولد بمصراتة (1828-1903)، وكان أبوه قد أخذ الطريقة على يد مولاي العربي الدرقاوي، وأما محمد ظافر فقد التقى محمد بن علي السنوسي وإبراهيم الرياحي التجاني، وأقام باسطمبول وظل مستشارا للسلطان، وكان شعار الطريقة "وحدة كل المسلمين لطرد المسيحيين من إفريقيا وآسيا"، وجند أتباعا كثيرا ومنهم المقدم يحيى بن أحمد بأولاد نايل⁽⁴⁾، وربما كان عاشور الخنقي من مناصريها لإشاداته الدائمة بالعثمانيين، كما وجدنا العلّوين ينخرطون ويدعمون المشروع، وكذا عمر بن قدور وعمر راسم في مكتوباتهم، وغيرهم ممن هاجروا وانضموا إلى خلاياها في المشرق، وكان لبس الطربوش التركي في الجزائر مظهر مقاومة وحنين، والمهم أن الحماس للجامعة لإسلامية انكسر مع ضغوط فرنسا على الطرق لتأييدها في حربها ضد تركيا والألمان.

ثالثا- نشأة الطريقة العلّوية: من أحدث الطرق الصوفية نشأة ومن أكثرها تأثيرا في المنتصف الأول من القرن العشرين، وهي تعود إلى السلسلة الدرقاوية الشاذلية. وسنتكلم الآن عن مؤسسها فقط، ونرجئ الحديث عن آثارها إلى اللاحق لكونها أشد الطرق اشتباكا مع الحركة الإصلاحية.

(1) إبراهيم مياشي، دور الزوايا في نشر التعليم الأصلي، دور الزوايا أثناء المقاومة، ص 333 عن بوكسية، نفسه، ص 259.

(2) كتاب التقعيد المحل للتقعيد نشره عمار طالبي عن دار البصائر (2015). وانظر تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 113.

(3) انظر الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، ج 2 ص 39. ونموذج ذلك أشعار محمد بن إسماعيل. وانظر أجرون، ج 2 ص 499.

(4) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 124. رين، نفسه، ص 243. وعن الدعاية لسلطان انظر أجرون، نفسه، ج 2 ص 489.

1- حياة الشيخ العلاوي: ولد الشيخ في مدينة مستغانم الساحلية سنة (1291هـ/1873م) من عائلة قديمة في العلم وخطط القضاء والفتوى⁽¹⁾، وحفظ أجزاء من القرآن على يد والده معلم القرآن الشيخ مصطفى، ولظروف اجتماعية قاهرة بسبب وفاة والده توجه للتجارة، مع الالتزام بتلقي الدروس الدينية عن مشايخ مستغانم، كما أخذ الطريق الصوفي عن محمد بن الحبيب البوزيدي الشاذلي الدرقاوي (1825-1909)⁽²⁾، ولأزمه خمسة عشر سنة كاملة وأورثه السر الصوفي⁽³⁾، وبعد وفاة الشيخ تولى هو الإشراف على زاويته، وقد نال الخطوة لدى متصوفة مستغانم كما هي شهادة مفتيها "عبد القادر بن قارة مصطفى التلمساني" (1862-1956)⁽⁴⁾. ومع مطلع (1909) هاجر إلى المشرق، ولا ندري الأسباب أي الهجرة العامة الرافضة للتجنيد أم لغرض آخر، وتنقل بين تونس وطرابلس، ثم تركيا حيث شهد الانقلاب العثماني، فرجع إلى الجزائر، وبدلاً من أن يتبنى آراء سلفية وإصلاحية رأى أن ما عليه الشعب الجزائري من التشبث بالعقائد والعوائد خير من النهوض والوطنية والإصلاح التي كان يرددها جماعة تركيا الفتاة⁽⁵⁾، ويقال إنه زار إيران والهند، وفي مصر التقى أبا يعلى الزواوي، والشيخ طاهر الجزائري أيام منفاه هناك⁽⁶⁾. واشتهر أمره في العشرينيات، وحضر افتتاح مسجد باريس (1926)، وتوفي الشيخ أحمد بن عليوة سنة (1934)، ودفن بزاويته في حي تجديد بمستغانم.

2- نشأة الطريقة: أنشأ العلاوي الطريقة عام (1910)⁽⁷⁾: وكانت انطلاقها قوية، وخاصة بعد الحرب الأولى، واستطاعت في فترة وجيزة أن تكتسح الغرب الجزائري، ثم بلاد القبائل الصغرى، وامتدت إلى الريف المغربي، ثم توسعت مشرقاً، وكانت له زوايا بفلسطين واليمن وتركيا، ثم فرنسا.

3- آثاره: تعددت آثار الشيخ العلمية وخاصة في علوم التصوف التي يجمع معاصروه على تبخره فيها، وعلى سعة الفتوح التي له فيها، فعلى الرغم من الاتفاق على قلة عارضته في العلوم اللغوية والآلية إلا أن كتبه تتم عما يسميه القوم بالعلم اللدني⁽⁸⁾، ويمكن إيراد بعض المؤلفات وهي كالآتي:

(1) من أسلاف العائلة: جده محمد القاضي، وأبوه محمد أبو شنتوف ذكره محمد بن أبي حواء في منظومة: سبيكة العقيان في مستغانم وأحوالها من العلماء والأعيان بأنه: والحنفي اللازم التعبد * نجل عليوة الفقيه المهتدي. وجده الرابع المعروف بمديوغ الجبهة. وجده الخامس علي المعروف بعليوة، والذي ينتسب إلى القاضي الفاضل ابن غانم الوافد من العاصمة الجزائرية لتولي خطة القضاء بها أيام الأتراك.

(2) مصطفى العشعاشي، السلسلة الذهبية في التعريف برجال الطريقة الدرقاوية، مرجع سابق، ص 10. مجموع النسب، مرجع سابق، ص 168. المرأة الجليلة، مرجع سابق، ص 295. حشلاف، شجرة الأصول، مرجع سابق، ص 116. ناصر الدين موهوب، الشيخ العلاوي المستغاني، حياته ومآثره، ط 1، الجزائر، منشورات العالمين، 2015، ص 54.

(3) ابن عبد الباري التونسي، الشهادت والفتاوى فيما صح لدى العلماء من أمر الشيخ العلاوي، ط 1، المطبعة التونسية، 1925، ص 12. عدة بن تونس، الروضة السنوية في المآثر العلوية، ط 1، مستغانم، المطبعة العلوية، 1936، ص 18.

(4) الشهادت والفتاوى، ص 7. وانظر المرأة الجليلة، ص 398. وعنه انظر سكيح، الرحلة الحبيبية، مرجع سابق، ص 157.

(5) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 127. وج 5 ص 505. انظر فصل التاريخ والرحلات.

(6) الشهاب، أبو يعلى "إلى الكاتب السلاوي الفاسي" ع 83 (1927-2-10)، مج 2 ص 808.

(7) الشهادت والفتاوى، مرجع سابق، ص 3، ويجعلها محمد عبد الباري سنة (1909-1327هـ).

(8) بن بكار، مجموع النسب، ص 169. في حين يقول المدني وحمامي ونعيم النعيمي وغيره بأن الأتباع هم من كانوا يكتبون هذه الكتب، انظر المدني، كتاب الجزائر، ص 465. حياة كفاف، مرجع سابق، ج 2 ص 109. لانغر مارتن، الشيخ العلوي.

أ- التفسير والحديث والفقه:

- الرسالة العلوية في البعض من المسائل الشرعية: (الألفية في الفقه).
- مبادئ التأييد في بعض ما يحتاج إليه المريد: في معرفة ضروري الأحكام.
- القول المعتمد في مشروعية الذكر بالاسم المفرد: في جواز الذكر بالاسم المفرد⁽¹⁾.
- نور الإثمد في سنة وضع اليد على اليد في الصلاة (1914): في سنية السدل والقبض عند المالكية، والقضية شغلت بها الدوائر الفقهية مطلع القرن، وكانت جوابا عن سؤال من الشيخ محمد بن خليفة بن الحاج عمر المداني القصبيني.
- البحر المسجور في تفسير القرآن بمحض النور: تفسر لسورة البقرة حتى الآية (207).
- منهل العرفان في تفسير البسملة وسور من القرآن: تفسير معاني باء الاستعانة.
- لباب العلم في تفسير سورة والنجم (1916)، مفتاح علوم السر في تفسير سورة والعصر.
- ب- التصوف والعرفان.

- الأنموذج الفريد الموصل لعين التوحيد في شرح النقطة المشيرة إلى الوحدة، وطبع بتونس (1913)، وفيه استعمل مصطلح وحدة الوجود، وعند إعادة طبعها سنة (1926) غير العنوان إلى "الأنموذج الفريد المشير لخالص التوحيد"⁽²⁾.

- رسالة الناصر معروف في الذب عن مجد التصوف: الرسالة التي أحدثت ضجة في زمنها، إذ كانت ردا على أحد علماء المدينة الذي نشرت له الشهاب طعنا في التصوف⁽³⁾، فكتب الشيخ جملة مقالات في البلاغ سنة (1927) وقام محمد بن الهاشمي التلمساني بجمعها وتقريضها. وسنعرض لها في الجدل.
- القول المقبول فيما تتوصل إليه العقول سنة (1921)، الرسالة 24 من كتابه أعذب المناهل، ما يجب على المكلف العمل به ثم الشعور به ثم التسليم له، والكلام عن أقسام الدين من إسلام وإيمان وإحسان كتبه سنة (1913).

- رسالة القول المعروف في الرد على من أنكر التصوف (طبع 1921)⁽⁴⁾: رد على الفقيه التونسي عثمان بن مكي صاحب "المرآة لإظهار الضلالات" وهي الرسالة التي كان العقبي والزريبي يحيليان عليها كثيرا.
- دوحة الأسرار في معنى الصلاة على النبي المختار: في الصلوات النبوية ومعانيها.
- معراج السالكين ونهاية الواصلين: شرح منظومة محمد بن الحبيب البوزيدي في الطريق⁽⁵⁾.
- منهاج التصوف والتعرف إلى حقيقة التصوف: منظومتان لابن عليوة وآخر ما ورد في متن ابن عاشر.

(1) وهي مقالات نشرها بالبلاغ في الأعداد (69-70-71)، (1927). وجمعها محمد بن الهاشمي التلمساني.

(2) انظر غزالة بوغانم، الطريقة العلوية ومكانتها الدينية في الجزائر، ص 100. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 143.

(3) وذلك بعد نشر الشهاب سلسلة مقالات متتالية لتقي الدين الهلالي عن الطرق في الحجاز وغيره. انظر اشهاب، ع 151 (14-6-1926)، مج 4 ص 30، أو مقالات "بين حنيف وطرق"، ع 152 (21-6-1928)، مج 4 ص 62.

(4) طبعت بتونس بإشراف من الشيخ الحسن البغدادي وأخيه. انظر بوغانم، نفسه، ص 102.

(5) طبع في المطبعة العلوية طبعة ثانية بمستغانم سنة (1992)، ويقال إنه ألفه سنة (1901)، انظر بوغانم، نفسه، ص 72.

1-المنح القدوسية في شرح المرشد المعين بطريق الصوفية: كتاب غريب في شرح متن ابن عاشر بالطريقة الإشارية المعتمدة في تفسير الصوفية كتفاسير القشيري والسلي و ابن برجان وابن عجيبة.
-النور الضاوي في حكم ومناجاة الشيخ العلاوي: وهي من الوظائف الأسبوعية لمريدي الطريقة.
- مبادئ التأييد في بعض ما يحتاج إليه المريد، أتم جزئه المتعلق بأصول الدين والطهارة سنة (1926).
ج- الفكر والفلسفة:

- قواعد الإسلام بالفرنسية: في الأحكام لازمة للمسلم في العبادات والفضائل.
- أعذب المناهل في الأجوبة والرسائل: مجموعة أسئلة (93)، و (37 رسالة) جمعها محمد الغماري.
- الديوان: أشعار وقصائد مولدية، وطبع (1920)، وهو الذي سثير بعض أشعاره معركة كبيرة مع ابن باديس.
-المواد الغيثية الناشئة عن الحكم الغوثية: شرح حكم أبي مدين الغوث (1910)، وطبع منه جزء سنة (1942).

-الأبحاث العلاوية في الفلسفة الإسلامية: مجموعة أبحاث فلسفية وصوفية جمعها جمعية أحباب الإسلام بفرنسا سنة (1984). تناولت المعرفة والحاجة إلى التدين، وضرورة المدنية ومقاصد الشريعة.
- مظهر البينات في التمهيد بالمقدمات: ضرورة الدين، والرد على الفلاسفة والدهريين.
- مفتاح الشهود في مظاهر الوجود: كتاب في علم الهيئة والفلك الدالة على العظمة الإلهية.
وسنعود بالتفصيل لنشاط الطريقة العلاوية ووسائلها وإمكانياتها وجدلها مع الإصلاح في الفصول الآتية.

المطلب الرابع: أهم الشخصيات الطرقية.

يمكن التمييز هنا بين الشيوخ المؤسسين والمؤطرين للرؤية الصوفية، والآخرين الرسميين من رجال الدين، وكذا المحافظين على الإرث العثماني، وكل هؤلاء شكلوا تيارا محافظا عنيذا تقاطع مع التيار الإصلاحية المحافظ الداعي إلى بقاء الحالة الراهنة لمعارضة الأفكار الغربية والتجديد الإجباري، والإبقاء على النظم الإسلامية والتعليم العربي والقيم القديمة⁽¹⁾.

أولا: الشيخ المنظرون والمؤطرون للتصوف الجزائري.

1- قدور بن محمد بن سليمان المستغانمي: تلميذ الشيخ محمد الموسوم، الذي أخذ عنه أوراد الشاذلية، ثم دخل في التجانية، وهاجر للمشرق سنة (1889)، وتوفي سنة (1905) بزاويته بمستغانم، اعتبره الكثيرون هرما في التصوف وغوثا في تراتبيته، وأسهم بقوة في حركة التأليف، فله: ياقوتة الصفا في حقائق المصطفى، شرح الياقوتة، جلاء الران وتنوير الجنان في الموارث، درر الفيض اللدني فيما يتعلق بالكسب العياني والسني، المرائي، لآلي العرفان في نظم قصائد ابن سليمان، أنوار اليقين بل السيف المتين في قطع أسنة من نقص الأئمة المجتهدين⁽²⁾.

(1) سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930)، مرجع سابق، ج 2 ص 145.

(2) تعريف الخلف، مرجع سابق، ج 2 ص 154. معجم أعلام الجزائر، ص 297. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5 ص 485، وج 7 ص 161.

ولا يمكن إغفال ابن عمه وتلميذه محمد بن سليمان (ت 1927)، والذي أسس زاوية بندرومة، حيث كان منكفئاً عن زمنه، وكان صوفياً عرفانيا خلف ديواناً مشهوراً أعاد فيه معاني وفكر أبي مدين الغوث في عديد رسائله⁽¹⁾.

2- علي بن عبد الرحمان الجزائري مفتي وهران⁽²⁾: الملقب بالشويوش، ولد بالعاصمة في (1251-1835)، وتلمذ لابن الأمين الحرار وحميدة العمالي، والمفتي المالكي علي بن الحفاف، ومحمد العربي بن السائح العمري التجاني، وتلمذ له وأخذ عنه ابن سماية، وبلقاسم بن الطيب بن كابو، والحاج عبد القادر بن مصطفى بن قارة مفتي مستغانم، والحفناوي، ومن أشهر إجازاته إجازة عمر الطالب بن سودة له، وأجاز سكيرج، وشعيب الجليلي مفتي تلمسان وقاضيها⁽³⁾، أسند له إفتاء وهران سنة (1870) بعد وفاة مفتيها حميدة بن قايد عمر، وكان مقدماً في التجانية، من آثاره: لقطة المبتدي في العروض، وهو من مقررات جامعة القرويين، إضافة إلى مراسلات وتثبت لشييوخه. توفي (1906م)، وفي مراسلة منه لصديقه ومريده عبد الحليم بن سماية وهو تجاني⁽⁴⁾ - وهو شيخ عمر بن قدور - أيضاً وكلاهما تخرج من معهد حميدة العمالي أثنى علي محمد عبده في زيارته للجزائر، وردّ عما يشاع عنه في القضايا العقديّة⁽⁵⁾.

3- عبد الله الدراجي الجزائري: وعلى الرغم من كونه من أبناء القرن الماضي، وممن هاجر لتونس مبكراً، فإن أثره الصوفي المحافظ والإصلاحي يظهر في تلميذه ابن مهنا، وهو ينتمي إلى أولاد دراج الهلاليين بأحواز الحضنة⁽⁶⁾، فهو ممن هاجر الجزائر بعد دراسته في قسنطينة، ويعد من أساتذة ابن مهنا في تونس⁽⁷⁾، وذكر بأنه كان يشرح البخاري في جامعي الزيتونة، وجامع "سبحان الله"، وقال فيه أيضاً: "شيخنا العلامة الورع الزاهد الولي الصالح المربي المكاشف سيدي وسندي الحاج عبد الله الدراجي نزيل تونس، ثم نزيل المدينة المنورة، حيث التقاه وقال إنه مال للعزلة"⁽⁸⁾، توفي الدراجي بالمدينة المنورة سنة (1296هـ-1878م)، وألف

(1) ركيبي، الشعر الجزائري الديني الحديث، مرجع سابق، ص 326. حمدادو، عرفانية الخطاب، مرجع سابق، ص 19. وحقق ديوانه العربي دحو ونشر بتلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011.

(2) انظر فهرس الفهارس، مرجع سابق، ج 1 ص 342. المرأة الجلية، مرجع سابق، ص 316. الرحلة الحبيبية الوهرانية، مرجع سابق، ص 115. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 75. معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 191.

(3) انظر مقالا عنه لحسني بليل في موسوعة أعلام الجزائر، ص 234-241. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3 ص 124. مفتاح، أضواء على التجاني، مرجع سابق، ص 302. الرحلة الحبيبية، مرجع سابق، ص 115. محمد فريد بك، رحلة من مصر إلى مصر، مرجع سابق، ص 59.

(4) أضواء على الشيخ أحمد التجاني، ص 204. ابن عبد الحكم، المرأة الجلية، ص 316. تعريف الخلف، مرجع سابق، ج 2 ص 118.

(5) البوعبدلي، الأعمال الكاملة، الحياة الثقافية في الجزائر، مرجع سابق، ص 297. وقال إن الرسالتين نشرتا بمجلة الأصاله.

(6) علامة جزائري درّس بقسنطينة ثم تونس بالجامع المعمور، ثم صار من شيوخته، وكان مشهوراً بالحدة، رحل إلى المشرق وتوفي بالمدينة (1296هـ-1878م)، من آثاره: إتحاف المريدين بتحقيق رابطتهم بالحضرتين، إرشاد أهل الهمم العلية بما يطلب منهم من الأدعية النبوية على اختلاف أحوالهم الزكية. انظر تعريف الخلف، مرجع سابق، ج 2 ص 52. معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 141. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 146. الأعلام، مرجع سابق، ج 4 ص 252.

(7) انظر ابن مهنا، حاشية على الرحلة الورثانية، ج 2 ص 270.

(8) حاشية على الرحلة الورثانية، مرجع سابق، ج 1 ص 196. ج 2 ص 113. نفسه، ج 3 ص 257.

عنه ابن مهنا كتابا منقبيا بعنوان "إسعاف الراجي في بعض مآثر الشيخ عبد الله الدراجي"، كما أنه نسب نفسه إليه في صدر كتابه "رسالة لطيفة" بأنه تلميذه⁽¹⁾.

والمهم أن الرجل من الشخصيات التي افتتحت الهجرة إلى الحجاز بعد اليأس من الوضع الجزائري، ولكن آثاره ستظهر في تلميذه ابن مهنا الذي وإن كان متصوفا في سلوكه وشروحه، ولكنه كان منابذا للخرافة والفلكلور الذي هيمن على الطرق في القرن العشرين.

4- حمدان الونيسي⁽²⁾: ولد بقسنطينة (1272هـ/1856م) من عائلة تجانية، إذ كان أبوه أحمد المتوفى سنة (1319هـ) من مقدميها⁽³⁾، وطلب العلم بقسنطينة وبزاوية آل الشيخ الحسين بسيدى خليفة، زار الهامل وزاوية علي بن عمر، وعُين مدرسا بالجامع الكبير بقسنطينة (1881م)، ثم طرد منه لأسباب استقلاليتها ونفوذه العلمي⁽⁴⁾، وعوضه بعد الطرد عبد المجيد بن عبد الله بوجمعة سنة (1910) مدرسا بالجامع الكبير وبالمدرسة أيضا⁽⁵⁾، فهاجر حمدان إلى المدينة المنورة (1908م)، وبها توفي سنة (1920م)، كما أن الطبيب العقبي لقيه وأخذ عنه بالحجاز.

خلف الونيسي آثارا علمية تنم عن محافظته المالكية حيث شهد في الحجاز تصاعد النبرة الوهابية المناهضة للتقليد والالتزام بالمذاهب الأربعة، فمن آثاره: القول العنيف في الرد على من أجاز الفتوى بالقول الضعيف، قرة العين في التعريف بسيدى الحسين، فتح اللطيف الخبير في جواز التعزير بالمال وفيه والحكمة والتسعير، ويعتبر الونيسي من رجال التصوف المحافظين بنزعة إصلاحية ورثها من الإرث التجاني المناهض للخرافات والتزبد في الدين⁽⁶⁾، ولذلك تأثر به ابن باديس واصفا إياه بالأستاذ الكبير مولانا الشيخ حمدان⁽⁷⁾، حيث ذكر بأن رجلين لهما الأثر في حياته العلمية وهما الشيخ النخلي، والشيخ حمدان الونيسي. ومن تلامذته أيضا سليمان الطيار إمام تبسة (ت 1947)⁽⁸⁾، والسعيد أبهلول الورتلاني الذي حلاه بأوصاف عالية: "حضره ذي المعارف

(1) ابن مهنا، رسالة لطيفة في الأجوبة التي أجبت بها الدولة الفرنسية، تحقيق محمد عبد الحليم بيثي، مرجع سابق، ص 131.

(2) انظر عنه الحجوجي، إتخاف أهل المراتب العرفانية بذكر بعض تراجم رجال الطريقة التجانية، وكان قد التقاه بالحجاز، وترجمته أهم ترجمة، وقد قرظها حمدان الونيسي، وأكد انتسابه للتجانية بقوله: "الذين أنهلهم مولانا القطب المكتوم والغوث المختوم سيدنا وعمدتنا أحمد التجاني" انظر لحسن بن علجية، الإمام حمدان الونيسي القسنطيني المدني، حياته وآثار، مرجع سابق، ص 130. شغيب، أم الحواضر، ص 318. حماني، صراع بين السنة والبدعة، قسنطينة، دار البعث، 1984، ج 2 ص 252. معجم أعلام الجزائر، ص 346. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3 ص 129. عمار طالبي، مقدمة آثار ابن باديس، مرجع سابق، ج 1 ص 37.

(3) محمود بن المطماطية، سفينة السكينة بتراجم كبراء التجانيين بقسنطينة، مخطوط، نقلا عن لحسن بن علجية، مرجع سابق، ص 21.

(4) في رسالة لوالي الجزائر طلب حمدان الونيسي منصب الإفتاء المالكي بعد وفاة علي بن الحفاف المتوفى سنة (1307هـ-1886) والرسالة مؤرخة بتاريخ (10-11-1889)، وهي مسألة تحتاج إلى تحقيق، انظر بن علجية، نفسه، ص 44.

(5) تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3 ص 141. مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، ص 47. وعين عبد المجيد بن جامع مفتيا للمالكية بقسنطينة لعد ذلك في (1939)، انظر النجاح، احتفال شيق بالجامع الأعظم، ع 2290 (3-6-1939)، ص 2.

(6) ذكر مبارك الميلي بأن الشيخ حمدان الونيسي حضر مع المجاوي زردة سيدي عاتي بقسنطينة، وقال لرجل ملتصق البركة من طعامها: أي بركة فيها، إن طعامها حرام، ومجيئنا إليها حرام". انظر الميلي، الشرك ومظاهره، مرجع سابق، ص 59.

(7) في مراسلة للعقبي يذكره بأنه وإياه تلميذان له، إذ أن العقبي حضر بعض دروس حمدان بالحجاز. سهيل شنوف وشكيب بليلي، الطبيب العقبي وعبد الحميد بن باديس، مراسلات وأحداث، رسالة ابن باديس في (21-9-1924)، ص 48.

(8) الشهاب، ع (جمادى الثانية 1348/نوفمبر-1929)، ج 5 ص 531. وعنه انظر مدينة تبسة وأعلامها، ص 210.

الربانية والنفحات الرحمانية وارث علم الأولين ونخبة العلماء العاملين، إمام التحقيق وعلم التحرير والتدقيق"⁽¹⁾.

5- عاشور الخنقي: عاشور بن محمد بين عبيد، ولد عام (1848)، ونشأ نشأة دينية بين الكتاتيب والمدارس العلمية في الخنقة، بعيد الإطباق الفرنسي على الزيبان وقهره لأهله بقوة البارود والنار، وقد هاجر عاشور الخنقي بإشارة وبإذن من شيخه الحسن الناجي إلى الجنوب التونسي حيث مدينة نفطة أين تتلمذ لأبو عبد الله الشيخ محمد المدني ابن عزوز⁽²⁾ (صهر الشيخ مصطفى)، ومحمد الصالح الشريف الحسني العبيدي الحمادي. وإبراهيم بن صمادح النفطى العلقمي. وأما شيوخه في التصوف والطريق الرحماني الخلوتي فهم الحسن بن الصديق الخنقي المنصوري الناجي تلميذ الشيخ وعبد الحفيظ الخنقي، والشيخ محمد ابن الحداد والذي أخذ عنه العهد أيام سجنه بقسنطينة، حيث ورث الشيخ الحداد بركة الطريقة، بعد الشيخ علي بن عيسى خليفة الشيخ محمد بن عبد الرحمان مؤسس الطريقة.

أ- المرحلة القسنطينية الأولى: بعدا ملأ وطابه من مختلف العلوم التي جاوزت الأربعين وخاصة علوم اللغة والبيان عاد عاشور إلى بلدته الأولى خنقة سيدي ناجي حوالي سنة (1866م)، فلم يرقه حال العلم، وضافت عليه أبواب الرزق في أيام كانت المسغبة والحاجة والفقر سربالا يكسو حياة الجزائريين حيث توالى المجاعات والجوائح والأوبئة نهاية ستينيات القرن التاسع عشر⁽³⁾، فشد الرحال إلى قسنطينة حوالي (1867م)⁽⁴⁾، وهناك افتتح التدريس الحر، وانتسب إلى المعلمين الأحرار⁽⁵⁾، فكان ينتقل بين مساجدها وزواياها مدرسا، وبرز في علوم اللغة والبيان، وبها كانت معاركه الأدبية والفكرية الأولى مع علمائها، واشتهر منها مناكفاته للصالح بن مهنا وعبد القادر المجاوي شيخ الجماعة، كما تعرض فيها لتضييق السلطات الفرنسية لكونه تخرج من المعاهد الإسلامية الأجنبية (نفطة)⁽⁶⁾.

ب- مرحلة زاوية الهامل: بعد وفاة الشيخ الحداد وتغير أحوال المسلمين بقسنطينة سنوات (1871-1891م)⁽⁷⁾ وبدايات التضييق على المدرسين الأحرار الذين كان أكثرهم معارضين للسياسات الفرنسية ومنهم عاشور الذي افتخر بثورة أصوله من البوازيد في الزيبان الغربي وأشاد ببطولاتهم مما أغاظ فرنسا⁽⁸⁾، وجعلها

(1) محمد الطاهر فضلاء، الشيخ السعيد أهلول الورثاني في مجموعة من رسائله ومجالسه وفتاويه، مرجع سابق، ص 175.

(2) محمد المدني بن المبروك أحمد بن إبراهيم بن عزوز (1868م) أجازه السنوسي بمكة، وأبو المعالي السناري بثبت الأمير، ومصطفى الكبابي. والبرهان الباجوري. من آثاره: رسالة في أصول الحديث، رسالة في الرد على اعتراضات حول الطريقة الخلوتية، رسالة حسنات الأبرار سيئات المقربين. انظر أعلام زاوية مصطفى بن عزوز، ص 15. فهرس الفهارس، مرجع سابق، ج 1 ص 414. الطريقة الرحمانية، مرجع سابق، ص 450.

(3) انظر عن المجاعات والأوبئة سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية ج 1 (1860-1900) ص 148.

(4) تاريخ الجزائر الثقافي ج 8 ص 75. أما شغب فيجعلها سنة (1870م)، انظر أم الحواضر، مرجع سابق، ص 337.

(5) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3 ص 128.

(6) المرجع السابق، ج 3 ص 70.

(7) انظر سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، (1860-1900)، مرجع سابق، ج 1 ص 448.

(8) افتخر عاشور ببطولات البوازيد ضد المستعمر الفرنسي، والإشارة هنا إلى ثورة واحة العامري سنة (1876م)، والتي خربت كسابقتها الزعاطشة، وفرض العدو على الكثير النفي والتغريب ومصادرة الأموال، والقيام بأعمال السخرة في مد الطريق بين بسكرة وباتنة، ولم يصدر

تضييق الخناق عليه، وفي تلك الأجزاء المكفهرة ارتحل عاشور الخنقي إلى الجنوب⁽¹⁾ حيث زاوية الهامل، وكانت له مراسلات مع أبي الهدى الصيادي الرفاعي الطريقة و مستشار السلطان عبد الحميد، وقد مدحهما كليهما، وهو ما جر عليه الغضب الفرنسي الذي انهال عليه بالنفي والسجن⁽²⁾، وقد أنهى حياته الأخيرة بقسنطينة، وأضر فلم يكن يمشي إلا بقائد، وحضر جنازة الشيخ بن معنصر الميلي (1347)، وحكى الميلي مشنعا عليه دفاعه عن التوسل بالصالحين وطلب الوساطة منهم في الدعاء⁽³⁾.

6- محمد بن يلس بن شاويش: ولد بتلمسان سنة (1854)، أخذ الطريق الدرقاوي عن محمد البوزيدي، وأخذ الذكر عن الشيخ الهبري الذي حج معه سنة (1887)، ومكث بوهرا ن ثلاث سنوات تتلمذ عليه فيها الطيب المهاجي وأبو عبد الله البوعبدلي⁽⁴⁾، وكان ممن بايع العلوي على خلافة شيخه البوزيدي، واشتهر بحركة الهجرة الكبيرة إلى الشام عقب التجنيد الإجباري، وهناك صار شيخا في دمشق للزاوية العمادية، وتلقى عنه الشوام العلم والتصوف، وضيق عليه فرنسا بالشام وعلى تلاميذه، وتوفي سنة (1927)، ومن أشهر تلامذته محمد بن عبد الرحمان الهاشمي صاحب "معراج التشوف"⁽⁵⁾، وجميل الشطي مفتي الحنابلة⁽⁶⁾.

7- الحاج محمد بن الشرقي (1239-1341هـ): عالم العطار، ومرجع العلم والتصوف الشاذلي في سهل الشلف، وهو تلميذ عدة بن غلام الله⁽⁷⁾، جاء في وصف تلميذه البوعبدلي له: "قصدت الغوث الحمداني المتخلي عن الدنيا والمعرض عنها بكليته، المتخلي بحلى أهل الجلال من رجال الكمال الشيخ العارف بالله صاحب الإشارات الخفية والدلالات السنية محمد المشرفي قدس الله سره، وقد حصل لي بحمد الله الإذن والتيسير والتنوير وحسن التأثير"⁽⁸⁾. وقد نعتة جريدة لسان الدين ووصفت جنازته الكبيرة⁽⁹⁾.

8- علي بن الحاج موسى: (1830م-1913م): أصيل جبل بوزقزة، أخذ عن مصطفى الحرار والكبابطي والمناجلاتي، وأجازه الرضوي وأبو حامد المشرفي (1878) وغيرهم من المغرب، وكان فقيها صوفيا شاذليا، ترك

العفو عن البوازيذ إلا سنة (1890م) بعدما فقدوا كل شيء. انظر الحركة الوطنية الجزائرية ج 1 (1860-1900)، مرجع سابق، ص 301. بوعزيز، ثورات الجزائريين، مرجع سابق، ج 1 ص 266. أجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا، مرجع سابق، ج 1 ص 109.

(1) يجعل الديسي قدوم خصمه عاشور على الزاوية سنة (1884م)، أي بعد مدة من وفاة الحداد. انظر الديسي، هدم المنار وكشف العوار، الأعمال الكاملة للديسي، دار كردادة، 2014، ص 138.

(2) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 513. وج 5 ص 599.

(3) الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، مرجع سابق، ص 195.

(4) مصطفى العشعاشي، السلسلة الذهبية، مرجع سابق، ص 40.

(5) توفي الهاشمي سنة (1962) بالشام، وهو صاحب متن عقدة أهل السنة من (49 بيتا) الذي شرحه فيما بعد في كتاب "مفتاح الجنة في شرح عقيدة أهل السنة"، انظر العشعاشي، السلسلة الذهبية، مرجع سابق، ص 71.

(6) مصطفى العشعاشي، السلسلة الذهبية، مرجع سابق، ص 37. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 528-572.

(7) المرأة الجليلة، ص 220، وقد مدحه بقصيدة منقبة شرحها القاضي حشلاف، وأفاض في كراماته، ص 247. مجموع النسب، ص 161-165. وذكر بأنه تزوج عجيبة رومية، وعند وفاته صلى عليه امحمد ابن عشيظ.

(8) البوعبدلي بوعبد الله البطيوي، الديوان، تحقيق العربي دحو، الجزائر، وزارة الأوقاف، 2011، مقدمة بومدين بوزيد، ص 5.

(9) جريدة لسان الدين، ع 5 (1-30-1923)، ص 1. وقالت إنه دفن يوم الثلاثاء 28 جمادى الأولى 1341.

كتاباً منقيباً هو: "رجح التجارة في سيرة الشيخ أحمد بن يوسف الملياني" في الرد على من أنكر الزيارة، وتولى منصب وكيل ضريح الثعالبي⁽¹⁾.

9- أحمد بن الحرمة البرياني: (1835-1924) من بريان في غرداية، من آل سيدي يحي الأشراف، وهو حفيد "سيدي السماحي" درس بالأغواط على "الحاج البشير" مقدم القادرية أيام إقامته صغيراً عند أخواله الأربع⁽²⁾، واشتهر بشعره في المدائح النبوية، وله تراث شعري كبير في التوسلات بأولياء الجزائر، كرموز وشخص للذاكرة الجمعية المعبرة عن الارتباط الوجداني بالأولياء والصلحاء في الجزائر، ويعتبر نموذجاً للشعراء الشعبيين المتصوفة.

وعلى غرار الشاعر بن يوسف (ت 1901) من سيدي خالد وله قصائد تربو عن التسعين في مدح الجيلاني⁽³⁾.
10- الحاج بن عمر بن محمد الكبير التجاني: ولد في مطلع القرن العشرين وأخذ العلوم الشرعية ببلدة عين ماضي، وبعد الحرب العالمية الثانية في سنة (1948) خرج في بعثة علمية تجانية وساح في الأعماق الإفريقية ثلاث سنوات، وأسلم على يديه خلق لا يحصون، وأجاز الكثيرين في الطريقة. وفي ثورة الجزائر اعتقل سنة (1957) حتى الاستقلال، ثم اعتكف معتزلاً الخلق إلى أن توفي سنة (1967)، وقد ألف كتباً عن هذه الرحلة الدعوية العلامة أحمد العناية⁽⁴⁾ بعنوان الرحلة العمرية، كما ألف هو كتابين مترجمين بالإنجليزية والفرنسية هما: الجواب الواضح، ومفتاح الجنة⁽⁵⁾.

11- محمد بن امحمد بن أبي القاسم الهاملي⁽⁶⁾: ولد بالهامل (1860م) ودرس عند عمه الشيخ محمد بن أبي القاسم، وخصه بترجمة وافرة في كتابه "الروض الباسم في ترجمة الشيخ محمد بن أبي القاسم"، كما أخذ عن الديسي وعاشور الخنقي، تولى مشيخة زاوية الهامل بعد لالا زينب سنة (1904)، فقام بالزاوية خير قيام، وجلب لها كتباً من أنحاء العالم الإسلامي، وكانت له مراسلات وإجازات، وتوفي بالهامل سنة (1331هـ-1913م)⁽⁷⁾.

(1) ابن عبد الحكم، المرأة الجليلة، مرجع سابق، ص 317، وقال بأن له ذيلاً على نيل الابتهاج للتنبكي. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 488، ج 7 ص 71. معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، مرجع سابق، ج 2 ص 28.

(2) مطلق عمار، ديوان الشاعر الفحل أحمد بن الحرمة البرياني، ص 13. وأما ابنه إبراهيم الذي درس على الشيخ السماحي بن محمد شطفور وبالزيتونة فحضر تأسيس الجمعية سنة (1931).

(3) عبد الله ركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، مرجع سابق، ص 857.

(4) حضر حفل علمياً بتماسين ليلة القدر برمضان (1347) وغطاه الشاعر محمد اللقاني بن السائح بعنوان "ليالي بزاوية تماسين" النجاح، ع 724 (4-12-1929)، ص 3، وذلك أيام خلافة أحمد بن محمد التجاني الخليفة السابع (1898-1978).

(5) عبد الباقي مفتاح، أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه، مرجع سابق، ص 263.

(6) امحمد بن أبي القاسم (1825-1898م) شقيق القطب الشيخ محمد بن أبي القاسم، والذي كان عوناً لأخيه في تسيير شؤون الزاوية والطريقة، وابنه الشيخ محمد بن الحاج محمد (1862-1913م)، له: "الزهر الباسم في ترجمة الشيخ محمد بن أبي القاسم"، المطلب الأسنى في خواص أسماء الله الحسنى، انظر عبد المنعم القاسمي، زاوية الهامل، ص 371.

(7) تعريف الخلف، ج 2 ص 178. المرأة الجليلة، ص 324. فهرس الفهارس، ج 1 ص 190. زاوية الهامل، مرجع سابق، ص 313.

ثانيا: رجال الدين الرسميون من المفاتي والقضاة والأئمة.

من أسباب بروز هذه الطائفة التي ستسهم في الحفاظ على الهوية الدينية وتؤطر الواقع الشعائري، وتدفع بحركة التعليم هو الحماية الفرنسية لها، وقد بدأت تنظيماتها تبرز بعد تأطير التعليم، وصدر قانون (1892) والذي نص على إمكانية فتح المدارس الحرة بشرط موافقة الإدارة الفرنسية، وقد كان لهؤلاء دالة على الإدارة⁽¹⁾، وهو ما أسهم في تأطير الهيئة الدينية التي أريد لها أن تكون بديلا للزوايا وخريجها المتعصبين في نظر فرنسا، إضافة إلى تأطير بقايا الأوقاف لمراقبة الزوايا والنشاط التعليمي بالمساجد التقليدية، ولكن المنبع الذي سيتخرج منه رجال الدين في الغالب هو المدارس العدلية، وهي المدارس التي نشأت وسط القرن التاسع عشر في كل من تلمسان وقسنطينة والمدينة ثم تحولت إلى العاصمة⁽²⁾، والحدث المهم هو تأسيس المدرسة الثعالبية سنة (1903)، والتي درّس فيها ابن زكري وابن أبي شنب، ولكن هذه المدرسة لم تكن تتغيا إخراج جيل من الإصلاحيين بقدر ما أرادت خلق نخبة تخدم المصالح الفرنسية، وتكون وسيطا هجينا بين الأهالي والدولة، أي موظفون وظيفيون لا رسالة لهم إلا تسيير الشؤون العدلية والإدارية والتعليمية، وكان من خريجها عبد الرحمان بن دالي، ومزيان عبد السلام، وابن مليس التلمساني⁽³⁾. كما أسهم هؤلاء في تدريس الدين في المؤسسات الرسمية، ومن هؤلاء ابن الموهوب الذي يذكر عنه مالك بن نبي: "كان لهذا الاتجاه أن يأخذ بي أبعد من ذلك، لولا دروس الشيخ مولود بن الموهوب في التوحيد وسيرة النبي، وتلك التي للشيخ بن العابد في الفقه، فقد كانت هذه مذكرا قويا يعود بروحي إلى الطريق الصحيح"⁽⁴⁾.

وهؤلاء الرجال يتنازعهم الوظيف الرسمي، والانتماء المحافظ، والرغبة في التجديد والإصلاح، ووضعهم في هذا المبحث حرج، فمنطلقات بعضهم إصلاحية، ولكن مصب آرائهم ومواقفهم يتماهى ورجال الطرق، ومنهم:

1- القاضي شعيب بن علي الجليلي⁽⁵⁾: ولد ببلدة الفحول بتلمسان سنة (1835)، وأخذ علوم الدين واللغة عن علماء الوقت أمثال: أحمد المختار بن البشير، محمد بن دحمان العبادي، بن عبد الله بن العيدوني، وأجازه ابن الحفاف وعبد الكبير الكتاني، والورد القادري عن ابن سليمان، وقد انتسب للمدرسة العدلية الفرنسية بتلمسان ومارس القضاء (1869-1927)، وكذا الإمامة بسيدي بومدين بالعباد والجامع الكبير، كما حضر مؤتمر المستشرقين باستوكهولم (1889) ببحث "الأصل في تدوين علوم الإسلام"، وتوفي سنة (1928) بتلمسان، ودفن بروضة سيدي بومدين⁽⁶⁾.

(1) أحمد مريوش، الحركة الطلابية الجزائرية ودورها في الحركة الوطنية وثورة التحرير، دكتوراه تاريخ 2005*2006، ص 57.

(2) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3 ص 329.

(3) دبوز، نهضة الجزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 121. أحمد مريوش، الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، ط1، الجزائر، دار هومة، 2007، ص 112.

(4) مالك بن نبي، شاهد على القرن، مرجع سابق، ص 66.

(5) انظر تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4 ص 506. فهرس الفهارس، مرجع سابق، ج 1 ص 483. معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 69/ معجم المؤلفين، مرجع سابق، ج 1 ص 816. الأعلام، مرجع سابق، ج 3 ص 167.

(6) من آثاره: الرمز الكفيل في عقائد أهل الدليل، وشرحه محمد بن عبد الرحمن الديسي، وقرظه الشيخ محمد عبده، والمعلومات الحسان في مصنوعات تلمسان، المقام والتيسير المرام إلى حفظ مال المحاجير من سفهاء وأيتام، مجموعة قصائد مدحية، نشر الأعلام النورانية في ذكر مآثر

لم يشترك القاضي شعيب في القضايا النقاشية حول الشرف أو ضرورة المشيخة، ولكنه أسهم في الحركة العلمية في تلمسان، وأدركته موجة الإصلاح وقد بلغ من الكبر عتيا، وقد أجاز ابن باديس أثناء زيارته لتلمسان (1919)، وكناشته شاهدة على قوة مداركه العلمية ومشاركته النشطة في الحياة الاجتماعية مع مداينة واضحة للإدارة، إضافة إلى كثرة أسانيده الصوفية ومدحه لمشايخ العلم والطريق الذين أدركهم⁽¹⁾.

واشتهر من بعده ابنه أبو بكر عبد السلام خريج مدرسة تلمسان الشرعية، والذي كان قريبا من السلطة الإدارية والقضائية، وأسهم ببعض البحوث والأعمال والترجمات، مثل ترجمته للبيقونية في علم الحديث إلى الفرنسية، والتي نشرها سنة (1908)⁽²⁾.

2- أحمد بوقندورة: المفتي الحنفي الذي تولى وظيفة الفتوى (1877)، وكان من رجال العلم بها وله ديوان بالجامع الحنفي⁽³⁾، وهو من أبين الشيخ أحمد التجاني بالجامع الجديد، ولكن ذكر كريستلو أنه كان من معارضي التجنيد الإجباري⁽⁴⁾.

قال سعد الله: "وكان يلبس اللباس العربي الإسلامي ويعتز به، كما كان يفعل ابن أبي شنب والمجاوي وابن الكبابطي وغيرهم، وهذا التقليد كانت تشجع عليه الإدارة أيضا لأنه في نظرها يزيد من تأثيرهم على العامة والتلاميذ بخلاف ما إذا قلدوا الفرنسيين في ذلك إذ تذهب هيبتهم وينتفي تأثيرهم"⁽⁵⁾. وقد اعتبره شيخ المؤرخين الجزائريين من العلماء المدجنين، وهو ما أثر على سمعتهم وانصراف الناس إلى بقايا المرابطين: "ولعل تدجين العلماء على النحو الذي كان عليه بوقندورة هو الذي جعل بعض الفرنسيين يندبون حظهم بعد ذلك إذ نزع الناس ثقتهم من علماء فرنسا ومالوا إلى المرابطين والطرق الصوفية. ذلك أن هؤلاء العلماء في نظر الرأي العام قد أهانوا الدين، وانفصلوا عن المسلمين، وأصبحوا طلاب عيش وخبز ومن الذين تنهبوا إلى ذلك، ولكن بعد فوات الأوان ديبون وكوبولاني، ولوشاتلييه وأوغسطين بيرك وديبارمي⁽⁶⁾.

3- المولود بن الموهوب، (1863-1939 م)⁽⁷⁾: نشأ وتلقى العلوم بقسنطينة، حيث لم يكن من حضرها وهو ما سبب له نزاعات مع آل بن باديس، وتتلמד للمجاوي ومحمد المكي بن الصحراري، ثم تولى التدريس بالكتانية

اللغة العربية والسريانية زهرة الريحان في علم الألحان. انظر فهرس الفهارس، ج 1 ص 483. محمد فريد، من مصر إلى مصر رحلة عام (1901)، ص 60-61. معجم أعلام الجزائر، ص 69. معجم المؤلفين، ج 1 ص 816. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4 ص 506. الأعلام، ج 3 ص 167.

(1) كناشة شعيب، مخطوط الخزامة العامة بالقرويين، نسخة قيد الإخراج لدى الباحث.

(2) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 46.

(3) محمد فريد، من مصر إلى مصر رحلة عام (1901)، ص 69.

(4) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3 ص 75.

(5) المرجع السابق، ج 3 ص 95.

(6) المرجع السابق، ج 3 ص 75.

(7) من آثاره: نظم مقدمة ابن آجروم، مختصر الكافي في العروض والقوافي، شرحه إبراهيم بن عوامر السوفي "مواهب الكافي على التبر الصافي في نظم الكتاب المسمى بالكافي"، آداب الطريق في التصوف. انظر معجم أعلام الجزائر، ص 324. السنوسي، شعراء الجزائر، مرجع سابق، ج 2 ص 80-81. نهضة الجزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 134. أم الحواضر، مرجع سابق، ص 321. تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، ج 2 ص 382. تاريخ الجزائر الثقافي ج 7 ص 173. معجم أعلام الجزائر في القرنين، مرجع سابق، ج 1 ص 200.

سنة (1895م)، وصار مفتيا للمالكية بقسنطينة سنة (1908م)⁽¹⁾، ساهم في تأسيس نادي صالح باي، وأصدر عديد المقالات الصحفية بجرائد كوكب إفريقيا، الإقدام، الصديق. وكان موظفا رسميا. وشهرة ابن الموهوب في هذا جاءت من إحيائه للفكر الأخضري والفكوني في قصيدته الشهيرة التي انتقد فيها الأوضاع الطرقية، وهي قصيدة البدع أو المنصفة، ولأهميتها شرحها شيخه المجاوي تحت عنوان "اللمع على نظم البدع"، ونشرتها مطبعة فونتانا سنة (1912). وقد شطّرها الشيخ إبراهيم بن عوامر السوفي، ونشر التشطير بجريدة الفاروق لعمر بن قدور، مما يدل على الصدى الذي أحدثته القصيدة في الوسط العلمي. ولكن مشكلة ابن الموهوب كونه مقيدا بالوظيف الرسمي في حين كان مصلحو القرن العشرين طلقاء، إضافة إلى كونه من خارج من قسنطينة وليس من حضرها⁽²⁾، وهو ما عقد من اندماجه في الواقع الجديد، وعدم استناده لقاعدة شعبية في مدينة الإصلاح الأولى. في حين كان المحامي ابن حبيلس معجبا به، وناقما على النخبة الحضرية عدم اعتدادها به⁽³⁾.

فنظرا لكونه موظفا رسميا فإنه لم يستطع مجاراة حركة الإصلاح الصاعدة أيام ابن باديس، وكانت له مواقف سندرستها في حينها، ولكن هذا لا ينفي الأثر الكبير الذي أحدثته حركة المحافظين الإصلاحيين في تهئية الأجواء لحركة الإصلاح المنظم والذي سيتطور ويتشكل في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

4- محمود كحول بن دالي: (1870-1936): ولد بقسنطينة وتلقى علومه بها على يد المجاوي وابن الموهوب والونيسي، اشتغل مدرسا بالمدرسة العربية الفرنسية سنوات (1896-1905م)، ثم محررا بجريدة المبشر الرسمية، أصدر التقويم الجزائري في ثلاثة أعوام (1911-1913م)، كما أصدر "كوكب إفريقيا" (1907-1914)، ونشر فيها مقالات اجتماعية ودينية، ودعا إلى التحديث والتقدم، وفي (1914) انتقل إلى العاصمة، وصار محررا بقسم الترجمة بالولاية العامة. تولى إفتاء الحنفية، ثم المالكية وإمامة مساجد سيدي امحمد، ثم سيدي رمضان، وأخيرا الجامع الكبير، وأسهم في التدريس، وكان مبرزا في اللغة وعلم الفلك، ومن معارضي جمعية العلماء وخصوم الشيخ الطيب العقبي الذي اتهم بتدبير مقتله يوم (02 أوت 1936م) الذي وافق اجتماع المؤتمر الإسلامي ببلكور، ودفن في قسنطينة⁽⁴⁾.

5- أبو القاسم الحفناوي: ولد بقرية الديس (1852)، ودرس بها ثم بطولقة، ثم زاوية ابن أبي داوود ثم الهامل، التحق بالعاصمة (1883)، وأسهم في ترجمة عديد الكتب للفرنسية، وقد رافق محمد عبده من مرسليليا إلى الجزائر سنة (1903)، وعمل كاتبا في جريدة المبشر إلى غاية توقفها⁽⁵⁾، وشارك في ندوات جمعيتي الرشيدية

(1) سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ج 2 ص 193. وقد نشر خطبته، ص 197.

(2) سعد الله، آراء وأبحاث، ج 2 ص 193. وعن تأثيره انظر أيضا بن نبي، مذكرات شاهد القرن، مرجع سابق، ص 64.

(3) انظر شريف بن حبيلس، الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي، صص 177-222. وانظر ص 114 في مشاكله مع ساكنة قسنطينة.

(4) ابن عبد الحكم، المرأة الجليلة، مرجع سابق، ص 415. ابن أبي شنب، النهضة العربية في الجزائر مطلع القرن العشرين، مرجع سابق، ص 61.

تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 384. مجلة المنار، ج 16 ص 789. معجم مشاهير المغاربة، مرجع سابق، ص 453.

(5) الزبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة في الجزائر، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985، ج 5 ص 144.

والتوفيقية، ودرّس بالجامع الكبير منذ (1897)، وتولى الإفتاء في العاصمة سنة (1925)⁽¹⁾، ثم إفتاء المالكية بعد مقتل كحول، وإمامة الجامع الكبير، إلى أن توفي سنة (1943) ببلده الديس. وقد التقى توفيق المدني أبا القاسم الحفناوي الذي عرض عليه العمل بجريدة المبشر، واعتبر الأمر مصيدة له، ولكنه رفض ورثى للشيخ الطيع لفرنسا حسب تعبيره⁽²⁾. واشتهر بتأريخه لعلماء الجزائر في كتابه "تعريف الخلف"، ثم منصب إفتاء المالكية بعد اغتيال كحول لغاية وفاته (1943)، وترك من المؤلفات كتباً اقتبسها من النهضة الأوروبية الحديثة مثل: القول الصحيح في منافع التلقيح، الخير المنتشر في حفظ صحة البشر، رفع المحل في تربية النحل⁽³⁾.

ثالثاً: الفقهاء المتصوفة المحافظون: وهم الذين مارسوا التعليم والتنظير والحفاظ على الميراث الجزائري، ومنهم:

1- الشيخ العربي بن محمد الساسي بن قشوط: ولد بعين البيضاء، ومن المعروف أنها كانت مركزاً حضرياً، وبها حركة علمية نشطة إذا ما قورنت بغيرها، فابن باديس يحكي عن رموز علمية بها أمثال: العدل العربي موسى الصائغي، وعبود الونيسي- أخو حمدان الونيسي- وعبد الرحمان بن الشيخ الكامل بن عزوز، وحسن بولحبال، والزواوي بن معطي، والسعيد الزموشي⁽⁴⁾. من أهم آثار بن قشوط "كتاب الإرشاد إلى سبيل الرشاد"، وهو كتاب كبير شحنه بالرد على الإصلاحيين، ورد عليه الزواوي أبو يعلى في الشهاب⁽⁵⁾، وله "المباحث الرائقة في أجزاء حكم النقدين على مالك الكارطة"، طبعه بتونس سنة (1911)، وقرضها الخضر حسين في رحلته للجزائر، وذكره في مجلة السعادة⁽⁶⁾. وله "الحجج المسلمة في حكم من طلق امرأته ثلاثاً في كلمة"⁽⁷⁾ انتصر فيها لمذهب الجمهور، وذلك في رد مبطن على الإصلاحيين الجانحين للاجتهاد والأخذ من غير المالكية، وفيها دعم لتيار المحافظين، كما نشر بالبلاغ رداً على حسن بولحبال في الخروج إلى المصلى⁽⁸⁾.

وممن تصدى للرد عليه الإبراهيمي الذي اتهم الحافظي بممالاته في دعاويه، وقال: "فما أبغض الوهابية إلى نفوس أصحابنا وما أثقل هذا الاسم وإذا لم يفهم أصحابنا من معنى الوهابية إلا أنه محو البدع، فقد استقام لهم هذا المنطق الغريب على هذا النحو الغريب وهو أنه ما دامت الوهابية هي محو البدع، ... وما دام

(1) مدحه محمد الهادي السنوسي بعد تولي إفتاء مالكية العاصمة سنة (1925)، ونشرها في النجاح، ع 215 (2-7-1925) شعراء الجزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 307.

(2) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، نفسه ج 2 ص 76.

(3) بن شنب، النهضة العربية، ص 67. عمر بن قينة، صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1993، ص 126. معجم أعلام الجزائر في القرنين، ج 2 ص 69. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3 ص 88. وج 7 ص 192. ومصادره في تعريف الخلف كثيرة كالبيستان ونيل الابتهاج وابتسام العروس في التعريف بالشيخ أحمد بن عروس لعمر بن أحمد الراشدي الجزائري.

(4) الشهاب (ع جمادى الأولى 1348-أكتوبر 1929)، ج 5 ص 469.

(5) الشهاب، الأعداد 117 (10-13-1927)، ج 3 ص 351، ع 118 (20-10-1927) ج 3 ص 366.

(6) الأعمال الكاملة للخضر حسين، الرحلات، الرحلة الجزائرية، ج 11 ص 30. أعمال الشيخ محمد العربي بن قشوط، المباحث الرائقة، ص 82. وانظر بسكر، أعلام الفكر الجزائري، الجزائر، دار كردادة، 2013، ج 2 ص 338.

(7) طبعت بالمطبعة الجزائرية الإسلامية بقسنطينة سنة (1343-1924) وأعيدت بذاكرة الجزائر بتحقيق دويب، ج 4.

(8) البلاغ، العدد 295-296، ضمن رسالة المحلى، انظر ذاكرة الجزائر، ج 4 ص 84. مجلة السعادة، ص 292.

المصلحون ينكرون البدع فهم وهابيون، وإن لم يؤمنوا للحجاج سبيلاً ولم يأتوا بآبى سعود وقومه قبلاً اهـ من كتاب ابن قشوط⁽¹⁾. وسنعود له في الفصل الموالي.

2- محمد بن عبد الرحمان الديسي (1854-1921م)⁽²⁾: درس على الشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي، وهو عالم مشارك في مختلف الفنون من قرية الديس قرب بوسعادة الجزائرية، وبرز في كل العلوم، وأجاز واستجاز، وكان يلقب بالشمس، وقد أضر عليه رحمة الله. وهو أهم مدرسي الزاوية القاسمية وشهرته جاءت من كونه أحد أهم المناقضين للوضع المرباطي الشرفي عندما رد بقوة على عاشور الخنقي في قضايا الشرف والأشراف، على الرغم من كونه منتصراً للتصوف والطرق، حيث رد على الزريبي، وأسهم في حركة التأليف بقوة، وتخرج عليه عديد النخبة العلمانية في مطلع القرن العشرين.

3- الإحريزي السعيد بن عبد الله السطوري: ولد حوالي (1830) بقرية الساطور في مجانة، ودرس بزاوية العبدلي عن محمد بوجمعة القلي، ويحيى بن أحمد حمودي، ومحمد بن الصادق الزواوي، والحسن القرطسي الأخليفي ومحمد الطاهر بن المختار المايي، وعلم بزاويا الصومام، ثم صار إمام مسجد سيدي الصوفي ببجاية، أجاز السعيد الجري سنة (1334هـ)، وهو شيخ البودليي، والسعيد أبهلول الورثاني الذي أجازة أيضاً سنة (1298هـ)، وتوفي أوائل العشرينيات⁽³⁾. وهو واحد من نماذج مشايخ القبائل الصغرى والكبرى الذين حافظوا على سند التعليم في الجزائر في تلك الفترة.

4- الشيخ الطاهر العبيدي السوفي (1886-1968م)⁽⁴⁾: أصيل بير العاتر، ولد بالوادي سنة (1304هـ-1886)، حفظ القرآن وتلمذ لعبد الرحمان العبيدي، ومحمد العربي بن موسى، والصادق بلهادي العقبي (1869-1939)، وقد زامله إبراهيم بن محمد الساسي العوامر (1881-1934)⁽⁵⁾. وممن أجازته من مشاهير العصر المكي بن عزوز، هاجر سنة (1904)، لتونس، ودرس عند ابن عاشور والنخلي ومحمد النجار وصالح الهواري، وغيره وزامل ابن باديس، وعاد واستقر بتقريت معلما ومرشدا منذ (1907) إلى غاية وفاته، وقد ختم التفسير بها في (10 محرم 1353هـ-17-4-1934) وعقد له بها مهرجان عظيم بها⁽⁶⁾، وتوفي (28 جانفي 1968م).

(1) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 124.

(2) ومن آثاره: درة الجيد في عقائد علم التوحيد، الفرائد الحسان في شرح تحفة الإخوان، الموجز المفيد في شرح درة عقد الجيد، فوز الغانم في شرح قصيدة الإمام محمد بن أبي القاسم، القهوة المرتشفة في شرح الزهرة المقتطفة، توهين القول المتين في الرد على الشماخي الإباضي، وهدم المنار وكشف العوار في نقض كتاب الخنقي، وقد حقق الباحث هذه العقيدة وشرحها، ونشرت في جملة أعماله الكاملة سنة (2014). وممن شرحها محمد بن يوسف الكافي، وطبعت بالشام، انظر المرأة الجليلة، ص 322. معجم أعلام الجزائر، ص 142. تعريف الخلف، ج 2 ص 240.

(3) دبوز، من أعلام الإصلاح في الجزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 33. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 62.

(4) سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983، ص 97. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 85.

(5) له: الصروف في تاريخ الصحراء ووادي سوف، مواهب الكافي على التبر الصافي في علم العروض والقوافي، حد السنان في عنق المنكر لخالد بن سنان، النفحات الربانية على القصيدة المدنية، البحر الطافح في بعض فضائل شيخ الطريق سيدي محمد الصالح. منظومة رجزية لعقيدة الست والستين لمحمد العربي بن مصباح. انظر معجم أعلام الجزائر، ص 181. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7 ص 448.

(6) ذاكرة الجزائر، مقدمة ذويب لرسالة حسن العوم في بحر مسائل الصوم، ص 11. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 74.

من آثاره: النصيحة العزوية في نصرة الأولياء والصوفية (66 بيت مطبوعة في مصر) رسالة في مسألة تطويل الصلاة، رسالة في الجبر والاختيار، رسالة في ستر العورة قرضها الديسي، نصيحة الشباب المريحة للسحب والضباب⁽¹⁾، رفع الإبهام عن مسائل الصيام، رسالة في الرد على الطبيعيين، التخويف والتخوف على إيمان منكر الصوفية والتصوف، جريان المدد في الاعتصام برجال السند (176 بيت في رجال الخلوتية)، رسالة في الجبر والاختيار، النصوص الصريحة في رد شبه غير صحيحة، انكشاف الدمعة لانكشاف مسألة الجمعة، نظم قطر الندى قرضها ابن باديس⁽²⁾. ولدينا رسالة مبينة عن مكانته العلمية، أرسلها له ابن باديس (ربما سنة 1917): "إلى حضرة علم العلم والفضل، ومعلم الكرم والنبيل، التقي الطاهر، الأثواب السري البارع للأدب، مستحق الشكر منا بما له علينا من سابق الأيدي العلامة الشيخ سيدي أبي الطيب الطاهر العبيدي، أدامه الله بدرا طالعا في هالة درسه، وغيثا هامعا في ريع العلم،....."⁽³⁾

5- الشيخ محمد البخاري بن الصادق الزاري العقبي⁽⁴⁾: ولد سنة (1265هـ-1850) بسيدي عقبة، وبها تعلم وبرع وولي الإمامة والقضاء ثم عُزل لمعارضته الإدارة الفرنسية، وله صداقة وزمالة مع الشيخ إبراهيم العوامر، وقد قرظ كتابه "مواهب الكافي على التبر الصافي في علم العروض والقوافي" توفي رحمه الله بمدينة قالم سنة (1334-1916م). كانت له مراسلات مع النيهاني صاحب كرامات الأولياء، والذي سرد بعضا من كتبه ورسائله⁽⁵⁾ مما يدل على نيهاته العلمية، وبعد صيته. كما أجابه ابن باديس عن سؤال طرح في كوكب إفريقية ع 199 (24-2-1911) في تفسير أية الجودي، وأجاب باسم "ع باديس القسنطيني".

ومن آثاره الجدلية التي رد فيها على ابن مهنا: رسالة في المناضلة على أهل البيت فيما تقوله ابن مهنا، رسالة في الرد على من استخف بمحمد وآله كصالح بن مهنا، رسالة في الحكم على ابن مهنا القائل بعدم نفع الأبوين والأقارب، ورسالة في قصر الباع والفهم في فتوى طلاق الثلاث لأهل العلم، و"كشف اللثام فيما شغل قلوب الخواص والعوام" وهي في قضية حلية شحوم وشموع وزيت أهل الكتاب، وقد وضع عليها الشيخ إبراهيم بن عامر السوفي حاشية، وطبع الكتاب بالمطبعة الشرقية بمصر سنة (1901م)⁽⁶⁾.

الخلاصات: تبرز إيجابيات الطرق والزوايا في تدويرها للنزعات الجبهوية والمناطقية في اجتماعاتها وجموعها وزيارتها السنوية، وهو ما كانت تسعى فرنسا لتأجيله، ففي بداية الحرب دعا أحد الكتاب إلى تشجيع النزعة

(1) حفظتها في المحاضرة عند الشيخ الطالب بوصيحة سنوات (1880-1885)، وهي تقوم مقام رسائل تأديب الولدان.

(2) انظر سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، مرجع سابق، ص 97.

(3) عبد القادر عثمان، الزوايا والتعليم الديني، مجلة الامام مالك بن أنس، الجزائر- عين مليلة، دار الهدى، 2002، ص 20.

(4) صيد، معجم أعلام بسكرة، مرجع سابق، ص 179. البصائر، ع 63 (17-9-2001)..

(5) النيهاني يوسف بن إسماعيل الفلسطيني (1849-1932م) قاض بالدولة العثمانية، له الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية، جامع كرامات الأولياء، انظر فهرس الفهارس، مرجع سابق، ج 2 ص 427. معجم المؤلفين، مرجع سابق، ج 4 ص 145.

(6) له أيضا: الفتوح العقبية على الأجرومية، شرح وإعراب لا إله إلا الله محمد رسول الله، الحكم على من نفى الوسيلة والشفاعة على صاحب الشفاعة، مواهب العلي القادر في تفسير سورة أهاكم التكاثر، رسالة في تأويل قوله تعالى: فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله ورسوله، رسالة في تأويل "فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم"، رسالة في تأويل "ما زاغ البصر وما طغى"، رسالة في تأويل "ذري ومن خلقت وحيدا"، نزهة السامع في فتح تهودة الزاب على يد عقبة بن نافع. انظر معجم أعلام بسكرة، مرجع سابق، ص 197.

البربرية لمنع الجزائريين من التأثير بدعوة الجامعة الإسلامية⁽¹⁾، وهو الأمر الذي لم ينجح كثيرا إذ ظلت العواطف مكنونة على حب الإسلام والعثمانيين وسلطانهم عبد الحميد الذي سموه الكبريت الأحمر⁽²⁾، والشعر الشعبي شاهد على ذلك.

والحقيقة أن الطرق وعلى سلبياتها حافظت على الجذوة الدينية، وأخرت تمكين المشروع الاستعماري من محق الهوية الثقافية على الرغم مما سلط عليها من قهر وتدجين، ومارست المقاومة الثقافية ضد التحديث الغربي⁽³⁾، وفي هذا نستذكر نتائج دراسات غلاة الاستعمار أمثال لويس رين الذي كتب سنة (1884): إن الدول الأوروبية قضت نحو خمسين عاما وهي تحاول جر الشرق القديم إلى الحضارة الحديثة، ولكن النتائج كانت غير معتبرة. ثم إن ما حصل من تقدم قد أدى إلى تحرك رؤساء الدين الإسلامي في العمق لمعارضة اتجاهات التقدم والإصلاح، وقد حاول هؤلاء الرؤساء - رؤساء الطرق - إثارة المشاعر الدينية لمكافحة ما يرونه خطرا. كما حاولوا توحيد الروابط الروحية بين الأمة الإسلامية، وإذا كانت مقاومتهم في البداية محتشمة وغير منظمة فإنها سرعان ما أصبحت في غاية التنظيم والتطور وشملت جميع البلدان الإسلامية، وقد توصلت اليوم إلى إنشاء جامعة إسلامية أصبحت خطرا يهدد جميع الشعوب الأوروبية التي لها مصالح في كل من أفريقية وآسيا، وهذه الجامعة الإسلامية تتمثل قوتها ووسيلة تحريكها وتنفيذها في الجمعيات السرية أو الطرق الصوفية التي تمارس تأثيرا، عظيما على الجماهير⁽⁴⁾.

وقد دفع بعض هؤلاء الرجال إلى الهجرة الجماعية التي شكلت هاجسا مؤرقا عبر عنه فكتور ديمونتي: "إنه الهلع الحقيقي، إنه يوشك أن يكون وباء أخلاقيا"⁽⁵⁾، فقاومتها فرنسا بتضييق حركتها ومراقبة المراسلات، والأخطر هو دعم الحركات القومية العربية، وفي هذا الإطار ساندت فرنسا ثورة الشريف حسين، وأرسلت بعثة من (290) حاجا لتأييد خطوة الانفصال، ومن جهة ثانية تأكيد فصل مسلمي الجزائر عن الدولة العثمانية، وقد أشاد بذلك الحاكم العام "شارل لوتو"، واعتبر ذلك خطوة دبلوماسية مهمة لفرنسا⁽⁶⁾.

ومن المتداول أن سياسة دهاقنة الاستعمار كانت توصي بعدم استفزاز الطرق بعد فشل المقاومات منعا وقطعا للعلاقات الخارجية، والتسرب إلى الأهالي عن طريق التسامح وشراء الذمم، وخلق زوايا جديدة عصرية وزرع أطباء فيها للمراقبة، وعدم معارضة الشيوخ في تعيين مقدمهم، والسير قدما في تجريد الزوايا من نفوذها الديني بتوظيف خريجي المدارس العدلية⁽⁷⁾، ولكن ذلك كله تراجع مع ساعة الحقيقة ودق طبول الحرب، حيث جاءت فاجعة التجنيد الإجباري لتجبر الجميع على مراجعة المواقف.

(1) سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، ج 2 ص 239.

(2) آجرون، المسلمون الجزائريون، نفسه، ج 2 ص 498. حيث شاعت عبارات "الله ينصر مولى اسطمبول"، وكان ينظر للسلطان عبد الحميد بأنه "مولى الساعة" انظر الحركة الوطنية الجزائرية (1930-1900)، مرجع سابق، ج 2 ص 114.

(3) Djghloul Abdelkader. Eléments Histoire Culturelle Algérienne.Op.cit, P 13.

(4) تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5 ص 507. Louis Rinn : Marabouts Et Khouans.Op.cit, P5.

(5) انظر سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1930-1900)، مرجع سابق، ج 2 ص 119.

(6) ا علي مراد، الحركة الإصلاحية، ص 41. مريوش، نفسه، ص 49. سعد الله، على خطى المسلمين، ط1 الجزائر، عالم المعرفة، 2009. ص 66.

(7) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 316-318.

جدول الطرق والزوايا في الجزائر في مطلع القرن العشرين:

الطرق الجزائرية المنشأ قبل الاحتلال	الطرق الوافدة من المشرق قبل الاحتلال	الطرق الوافدة من المغرب الأقصى قبل الاحتلال
الرحمانية-اليوسفية الزروقية-التجانية الشيخية-البكائية-الأحمدية الكرزانية	القادرية-الشاذلية البكداشية-الشابية من تونس البوعلية من تونس	الدرقاوية-العيساوية-الطيبية الجزولية-الناصرية-الحنصالية
الطرق الجزائرية المنشأ بعد الاحتلال	الطرق الوافدة من المشرق بعد الاحتلال	الطرق الوافدة من المغرب الأقصى بعد الاحتلال
السنوسية-العليوية-البوعمامية- الغلامية البوعبدلية-الهيرة-العمارية بقالمه	المدينية	

2- الزوايا الرحمانية:

جدول توزيع الزوايا الرحمانية	
القبائل الكبرى	أيت يحي ببي كوفي، بوقبرين ببوغني، سيدي منصور بتمزار، اليلولي وبغزاقة، جمعة الصهاريج
القبائل الصغرى	صدوق، بوجليل الحسني محمد بن بلقاسم بأقبو،
زوايا الوسط	الهامل ببوسعادة، المرزوقية بالبيرين ⁽¹⁾ ، العموري بسيدي عيسى، الشيخ الحمامي بقرومة الأخضرية، الديلمية بالمسيلة، الجلالية بالجلفة ⁽²⁾ ، الطاهرية بمسعد ⁽³⁾ .
زوايا الشرق	الحملوية بميلة، زاوية عمارة بديار الناظور، عنابة، زاوية الصادق بلحاج بترماسين، الدردورية،
زوايا الزيبان	العمرية بطولقة، المختارية بأولاد جلال، الحفيظية بالخنقة
زوايا الغرب	مازونة، كاشرو، بلونيس العربي بوهرا، بلزرق في غليزان،
زوايا سوف	سيدي سالم بالوادي
زوايا تونس	نفطة، الكاف ⁽¹⁾ ، طبرقة، الفراشيش ⁽²⁾ ، تالة، سليانة، أحمد الزاير بكذية الحلفاء.

(1) عامر محفوظي، تحفة السائل بباقة من تاريخ سيدي نائل، الجزائر، مطبعة النعمان، 2002، ص 30.

(2) أذن الشيخ الهاملي للشيخ عطية بيض الغول بتأسيس زاوية بالجلالية قرب عين معبد سنة (1870)، وتوفي (1919). انظر عامر محفوظي، تحفة السائل بباقة من تاريخ سيدي نائل، ص 26/ مفتاح، نظرات في الطريقة الرحمانية، مرجع سابق، ص 251.

(3) طاهر بن محمد من عرش أولاد عيسى سنة (1832)، درس عند علي بنعمر بطولقة، ودرس عند الشيخ المختار الجلاي. (مهاينة مع الشيخ محمد معاش إمام الزاوية يوم 13-7-22)

3- خلفاء الطريقة التجانية في عين ماضي وتماسين:

خلفاء الطريقة التجانية فرع عين ماضي		
سنة الوفاة	سنة تولي الخلافة	خليفة الطريقة
1897	1853	³ أحمد عمار بن محمد الحبيب)
1911	1897	محمد البشير بن الحبيب
1919	1911	علال بن محمد الحبيب
1931	1919	محمد الكبير بن محمد البشير
1934	1931	محمود بن محمد البشير
1937	1934	سيدي الطيب

خلفاء الطريقة التجانية فرع تماسين			
سنة الوفاة	سنة الخلافة	سنة الميلاد	شيخ الطريقة
1844	1815 (انخرط 1789)	1766	الحاج علي التماسيني
1875	1844	1815	محمد العيد الأول بن الحاج علي
1892	1875	1817	محمد الصغير بن الحاج علي
1893	1892	1826	معمر بن الحاج علي
1912	1893	1844	محمد حمة بن العيد الأول
1918	1912	1861	محمد البشير الأول بن محمد حمة
1927	1918	1892	محمد العيد الثاني بن محمد البشير
1978	1927	1898	أحمد بن سيدي محمد حمّ
2000	1978	1918	محمد البشير الثاني

(1) التليلي العجيلي، الطرق الصوفية، مرجع سابق، ص 51. وأسسها مصطفى الطرابلسي ثم خلفه أحمد بن علي بوجهر (ت1785). انظر لطيفة لخضر، الإسلام الطرقي، تونس، دار سراس، 1993، ص 46. وهذه الزاوية نزل الحاج عمر بعد هجرته من الجزائر.

(2) لطيفة لخضر، المرجع السابق، ص 46.

(3) نفي إلى فرنسا واعتقل سنة (1859)، ثم عاد ليتزوج أوليري بيكار سنة (1872) إلى غاية وفاته بزاوية قمار. انظر سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 210. مفتاح، أضواء على الشيخ التجاني، مرجع سابق، ص 210.

المبحث الثالث: الجدل الإصلاحي الطريقي في العقدين الأولين.

من الصعب تتبع القضايا التي ثار حولها الجدل نظرا لقلّة الوثائق والمكتوبات، أو لخفوت الصوت المعارض خاصة وأننا في فترة حرجة خرج الجميع فيه منها من التجريف الفرنسي للثقافة الجزائرية، ولذلك قلّت الكتابة، خاصة وأن الطباعة لم تزدهر بعد، وأن الصحف كانت منزورة، وأغلبها باللسان الفرنسي كما أسلفنا، ولكننا يمكن أن نتبع أهم القضايا التي شغلت الدوائر الدينية في الجزائر، ومنها:

المطلب الأول: الجدل الفكري.

أولا: قضية الشرف والأشراف:

وهو الموضوع الذي افتتح بقوة في أواخر القرن التاسع عشر ثم استعر بعد ذلك، في القضية التي رفع منارها وأشعل أوارها محمد الصالح بن مهنا، فكانت نقوده عارمة وطار شررها، واتصل بالمغرب الأقصى. لم يخرج الشيخ محمد الصالح ابن مهنا عن الرأي العقدي السني القائل بوجوب حفظ حق النبي صلى الله عليه وسلم في آل بيته وعترته وذريته، وإنما كان اعتراضه كان على اتخاذ الشرف مطية للتفلّت من الأحكام والآداب الشرعية، ولكن الشيخ الصّالح ابن مَهَنّا أثار حملة شعواء على الأشراف المتعلقين بأذيال النسب والتعسف على الناس، في تعليقاته التي نشرها على رحلة الشيخ الحسين الورثاني، وكانت قاسية على أشراف وعلماء الوقت، فجرح شهادتهم، وأسقطهم من عين الاعتبار كما قال عن عصاة الأشراف: "والمراد بعدم اعتباره أنه لا تجوز شهادته ولا إمامته ولا الرواية عنه ولا أخذ العلم عنه"⁽¹⁾، بل إنه في كثير من الأحيان يغمز الهوى الكامن في بعض الأشراف للتشيع والرفض، مما جعله سنانا حادا تجاه الشيعة والرافضة الذين لم يستنكف عن رميهم بالكفر في بعض المواضع⁽²⁾، في استجابة متأخرة لمواقف المالكية الأوائل، مما يجعله وفيًا للأوائل من أصحاب الخط المالكي المتشدّد تجاه المخالفين، بل إنه اتهم بعض معاصريه بمحاولة إحياء مذهب الرافضة فقال: "ظهر بعض الدجاجة من المغاربة بهذه الديار، فحاول إظهاره وإحياء مذهب أسلافه- الرفض-، فقيض الله لنا من أهل السنة من دفع في شكيمته، ولطخ وجهه بسخيمته، وأراح الله منه البلاد والعباد"⁽³⁾، كما ربت تعقبات ابن مهنا ضد المغاربة الذين يشيع عندهم النسب الحسيني كثيرا، والذي اتخذه البعض مطية للتفلّت من أحكام الشريعة والتعالي على الخلق، وقد أسهم المغاربة في شن حملة مضادة على ابن مهنا، وقد توالى الردود والنقوض في هذا الموضوع من قبل:

1- شيخ الإسلام أبو عيسى محمد المهدي العمراني الوزاني⁽⁴⁾: استنجد خصوم ابن مهنا بالوزاني صديق المجاوي وشعيب الجليلي، حيث زار الوزاني تلمسان، ثم ثنى بقسنطينة، وبعدها تونس سنة (1323هـ/1905)

(1) محمد عبد الحليم بيثي، قضايا الشرف والأشراف عند ابن مهنا، تنبيه المغترين والرد على إخوان الشياطين، مرجع سابق، ص 85.

(2) حاشية على الرحلة الورثانية، مصدر سابق، ج 3 ص 10-11.

(3) حاشية على الرحلة الورثانية، ج 3 ص 12. نفسه، ج 3 ص 209.

(4) ولد بوزان (1266هـ-1850م) وتوفي بفاس (1342هـ-1923م)، من آثاره: المعيار الجديد (النوازل الكبرى)، شرحان على العمل الفاسي صغير وكبير، حاشية على التاودي على التحفة، حاشية على ميارة على ابن عاشر، حاشية على المكودي، كراهية القبض في الصلاة، الرد على محمد عبده

واطلع على القضية الناشئة فكتب "السيف المسلول باليد اليمنى في الرد على ابن مهنا"⁽¹⁾، وطبع بفاس سنة (1324هـ/1906م)، وأشبعه بالردود على ابن مهنا، وقد صُدّر هذا الرد بتعليقات وتقریظات أهمها تقریظ نقيب الأشراف العلويين عبد الرحمان بن زيدان⁽²⁾ الممثل للسلطة الزمنية حيث أقذع في حقه إذ قال:

الجهل فيه فضيحة الإنسان ---- ويقود لمواطن الكفران
وتجره أسبابه لمهامة ----- وعراء يسلكها ذوو الخسران
مثل ابن مهنا الجاهل الغمر الذي ---- قام يرمي الغرب باليهتان
فمن اسمه صار الهوان لنفسه ---- تعسا له من مارق فتان

كما نقل لنا المهدي البوعبدلي قصيدة هجائية أخرى أُجّجت بها هذه النار بين الجزائريين والمغاربة، وذكر أنها تجاوزت الثمانين بيتا⁽³⁾، وقد رد ابن مهنا على الوزاني بكاتبين مهمين هما: السيف المهند المسلول لقطع رأس المهدي المغربي الجهول"، والفتح الرباني لقطع رأس المهدي المغربي الوزاني" وهي الرسالة الصغرى المختصرة من الكبرى المسماة "السيف المهند"، وقد أشبعها ابن مهنا نقدا لادعا للمهدي الوزاني،⁽⁴⁾.

2- محمد العابد بن سودة الفاسي (1855-1940): في رسالته الموسومة "سنان اليراع وبنادق القرطاس في نحر من جازف وشتّم الناس" ألفه سنة (1326هـ/1908م)⁽⁵⁾، وفيه هجوم على ابن مهنا في انتقاصه للمغاربة وذمه لأهل فاس، حيث ردّ ابن مهنا ما كان يُشاع بين المصريين من ولوع المغاربة بالسحر والشعوذة، والقضية لها ذيول في الدعاية التي كان المستعمر يؤجّجها بين طرفي العالم الإسلامي.

3- عبد السلام العمراني⁽⁶⁾: ألف كتابا في الرد على ابن مهنا عضد به تأليفا الوزاني وابن سودة، وعنوانه: "الكي بمحاور البغال وقتل العقرب بالنعال في رد ما فاه به بعض الأندال الذي جهل أنه من أهل الضلال"⁽¹⁾.

في مسألة التوسل، بغية الطالب القاصد في إباحة صلاة العيدين في المساجد، جواز الذكر مع الجنازة ورفع الصوت بالهيلة، السيف المسلول باليمنى لقطع رأس ابن مهنا، انظر سركيس، معجم المطبوعات، مصر، مكتبة الثقافة الدينية، د، ت، ص1915. شجرة النور، رقم (1715) ص 435. الأعلام، مرجع سابق، ج 7 ص335. معجم المؤلفين، مرجع سابق، ج 3 ص 740.

(1) ابن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، مرجع سابق، قم 2352، ص344.

(2) عبد الرحمان بن محمد العلوي (1295هـ-1878م/1365هـ-1946م) مؤرخ فقيه جمع ظواهر الدولة العلوية، من آثاره: إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس، الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلوية بفاس الزاهرة، النهضة العلمية في عهد الدولة العلوية، انظر دليل مؤرخ المغرب الأقصى، مرجع سابق، ص 13. الأعلام ج 4 ص 11. معجم المؤلفين، مرجع سابق، ج 2 ص 112.

(3) المهدي البوعبدلي، صالح بن مهنا ناشر السلفية في الجزائر ومحتنه، الأعمال الكاملة، قسم التراجم، مرجع سابق، ص 9-28.

(4) طبعت بمطبعة التقدم بمصر سنة (1327هـ/1909م) بتحرير تلميذه عبد المجيد بستانجي. وقد حققها ضمن كتاب "قضايا الشرف والأشراف عند الإمام محمد الصالح بن مهنا" الجزائر، دار البصائر، 2021، ص 187-273.

(5) عبد السلام بن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، رقم 2350 ص 344. وهو محمد العابد بن سودة الفاسي المري (1272هـ-1855م/1359هـ-1940) من آثاره: بغية الأدياء الأكياس في معرفة قسمة وادي فاس، انظر دليل مؤرخ المغرب الأقصى، رقم 32 ص 19، وسانان القلم لتنبیه وديع كريم، نفسه، رقم 3349 ص 343، مقامة في تفضيل فاس على سائر مدن المغرب، رقم 140 ص 35. إزالة اللبس والشبهات عن ثبوت الشرف من قبل الأمهات. انظر معجم المؤلفين، مرجع سابق، ج 3 ص 375. الأعلام، مرجع سابق، ج 6 ص 180.

(6) عبد السلام بن محمد بن المعطي العمراني المراكشي (ت 1931م) له: اللؤلؤة الفاسية في الرحلة الحجازية. انظر دليل مؤرخ المغرب الأقصى، مرجع سابق، رقم 1581، ص 247. معجم المؤلفين، مرجع سابق، ج 2 ص 150.

والذي زاد من حنق علماء وأشرف المغرب طعن ابن مهنا في أصول الشرف الأولى، والتشكيك في نسب الأدارسة، وكونهم بغاة خارجين على الخلافة العباسية.

4- هيان بن بيان: اسم مجهول أخفى نفسه، فكتب رسالة "كشف النقاب في الرد على الوسلائي الكذاب"⁽²⁾، ولعله من أهل قسنطينة، أو من أهل المغرب الأقصى وذكر ابن مهنا في رده على الوزاني في الفتح الرباني: نقله من رسالة هيان بن بيان وهي رسالة مجهولة ألفها بعض الحسدة، ولم يصرح فيها باسمه، وهي تدل على أن مؤلفها إباحي لأنه أباح فيها المحرمات، ولو كان مؤلفها على حق لصرح باسمه، ولم يجعل نفسه لقيطا بين المؤلفين"⁽³⁾.

5- الشيخ عاشور الخنقي⁽⁴⁾: أهم منتقد لابن مهنا حيث أثار معركة الشرف ودوره في النجاة يوم القيامة في كتابه منار الإشراف، وقد بالغ وجاوز الغلو، وطاول المشروع المقرر في مذاهب أهل السنة في قضايا الأسماء والأحكام والتوبة، بل خالف مشهور المذهب في عدم إسلام أبي طالب، مما جعل البعض يرميه بالتشيع، وقد حشد في الكتاب عديد النصوص والنقول والروايات لدعم رأيه⁽⁵⁾، ومن المعروف أن المعركة مع ابن مهنا قديمة منذ صدور تعليقاته على الرحلة الورثانية والتي امتحن بها وبغيرها، وكان لفرنسا يدها الخفية والعنيفة في ذلك⁽⁶⁾، وتركت البعض يضرب البعض لتستفرد بالجميع بعد ذلك خاصة وأن الرجلين درسا خارج الجزائر، ويُفهم من كتاب المنار وقصائده في هجو ابن مهنا أنه نقد كتاب "ضوء الشمس" لأبي الهدي الصيادي نقيب الأشراف ومعارض السلطان عبد الحميد الثاني في سياسته، مما يدل على أن القضية أخذت أبعاد كبيرة في العشرية الأخيرة من القرن التاسع عشر أين اهتمت فرنسا كثيرا بالعالم الإسلامي⁽⁷⁾. ولكن لا يمكن التسليم بكل هذا، فربما نقد ابن مهنا مواضع من الكتاب، ولكنه استفاد منه في بعض التعليقات على

(1) دليل مؤرخ المغرب الأقصى، رقم 2215 ص 328. وقال إنه عنده. ولكني وجدت المهدي البوعبدلي نسبة لمحمد بن مصطفى المشرفي الغريسي. انظر المقال السابق ص 17. والغريسي محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي (1254-1334هـ/1838-1916م) ولد بمعسكر وتوفي بمكناس، تتلمذ للمهدي بن سودة ومحمد بن المدني بن كنون. له: الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية، وإظهار العقوق في الرد على منع التوسل بالله تعالى بالنبي والولي الصدوق، وقصائد كثيرة منها واحدة في ذم شرب الشاي، وكان هجاء. انظر الأعلام، مرجع سابق، ج 7 ص 76. وجعل وفاته سنة (1906). وانظر معجم الشيوخ وإتحاف المطالع.

(2) الوسلائي نسبة إلى وسلات، جبل بتونس شمال غرب القيروان. وقد يكون هيان بن بيان جزائرياً لأن حضر قسنطينة إذا أردوا الحط من أحد نسبوه لوسلات. كما أن الأدب الشعبي في تونس حفيظ بنقد الجبل وأهله، مرد الأمر إلى الصراع الحضري الجبلي. ولا علاقة لابن مهنا بالجبل، فهو جزائري أصيل من قرية كركرة بالقل. انظر سليمان الصيد، صالح بن مهنا، مرجع سابق، ص 29.

(3) ذكر الصيد أنه وقف على الرسالة وأنها طبعة حجرية باسم المؤلف صحيح الإيمان هيان بن بيان في 28 صفحة.

(4) عاشور بن محمد الخنقي (1848-1929م). انظر معجم أعلام الجزائر ص 136. معجم أعلام بسكرة، مرجع سابق، ص 79.

(5) انظر محمد عبد الحليم بيثي، قسم الدراسة من تحقيق كتاب منار الإشراف في فضل عصاة الأشراف، مرجع سابق، ص 63.

(6) انظر تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 416، ج 5 ص 598.

(7) انظر تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7 ص 333. أما البوعبدلي فيقول إن كتاب ضوء الشمس للشيخ أحمد بن دادا المشهور بأبي الهدي، وأصله من العلمة، تخرج من القرويين وانتصب بعد رجوعه في معهد آل حمودي ببني وهران، وورد عليه ابن مهنا في كتابه "تنبيه المغترين في الرد على إخوان الشياطين". انظر البوعبدلي، الأعمال الكاملة، قسم التراجم، مرجع سابق، ص 25.

الحاشية، مما يدلّ على أن التعقّب كان على الغلو في قضايا الشرف فقط⁽¹⁾. والمهم أن عاشور سدّد سهام الهجاء لبن مهنا في جلّ قصائده في مثل:

مِنْ أَيْنَ تَقْرُبُ مِنْهُ تُغْلَبُ كَرْبَلَا----- حَتَّى تُلَوِّثَهُ بِسَلْحٍ فِي الْمَقَرِّ
تَبًّا لَهُ مِنْ صَالِحٍ بَلْ طَالِحٍ ----- بَلْ سَالِحٍ فِيمَا بِهِ دَمُهُ هَذَر.

ولم يترك نقيصة خلقية أو خلقية إلا رماه بها مثل التشكيك في نسبه، وأنه وسلاتي من تونس، وبأنه مالطي في الصفات الدنية⁽²⁾، وطعن في حياته الأسرية، بل وتعدى الأمر إلى الطعن في ديانتته وأهليته للإمامة.

6- الشيخ عبد الرحمان الديسي: أسهم الشيخ عبد الرحمان الديسي⁽³⁾ في معركة الشرف مع ابن مهنا ضد زميله في هيئة التدريس بزاوية الهامل الشيخ عاشور، وقد انتفض الديسي ضد غلو عاشور فردّ عليه بكتاب نقض فيه أدلته وهو: "هدم المنار وكشف العوار" مما جعله عرضة لتمالء أشراف الهامل عليه: "الذين أثارهم عنوان "هدم المنار" فأخذوا في التهجم على الديسي، والتعريض به، والتنديد بوجوده، واتهامه بنكران الجميل الذي أسدته له الزاوية التي تمثل رأس الشرف في المنطقة"⁽⁴⁾، ولكن الكتاب قطعة أدبية سامقة في فن المناظرات الذي ازدهر في الجزائر مطلع القرن بين الإصلاحيين والطرفيين في قضايا الفقه والتصوف والسياسة، وكانت الصحافة مجالا خصيا وبیدرا لتبادل الردود والنقوض والسجلات الفكرية، مما أثري الملكة الأدبية للجزائريين في غسق الظلمة الفرنسية⁽⁵⁾.

7- محمد البخاري بن الصادق الزراري العقبي⁽⁶⁾: علامة تجاني من الزيبان الشرقي، ولي الإمامة والقضاء ببلدة سيدي عقبة، ودرس بزاوية تماسين، وله مواقف شديدة مع الاحتلال الفرنسي أدت لعزله من القضاء، وكانت له مراسلات وإجازات من الشيخ يوسف النيهاني. أسهم العقبي برسائل في النقاش الذي أثاره ابن مهنا والذي وصلت أصداؤه إلى الزيبان، وبحكم انتماء الشيخ محمد البخاري إلى دوحة الشرف الإدريسية، فقد خلّف لنا جملة من الردود منها: رسالة في المناضلة عن أهل البيت فيما تقوّله ابن مهنا، ورسالة في الرد على من استخف بمحمد وآله، صالح ابن مهنا، ورسالة في الحكم على ابن مهنا القائل بعدم نفع الأبوين للأقارب.

8- المولود الزريبي⁽⁷⁾: دخل المعركة متأخرا نتيجة عودته مطلع القرن السابق من مصر، ففي مناصرة بيّنة لابن مهنا، ونقد واضح لصوت عصره عاشور الخنقي في دفاعه عن موروث الأشراف، يقول الزريبي: "وأشنع من ذلك أنهم إذا ارتكبوا المعاصي والفسوق، ونقد عليهم في ذلك علماء الشريعة الغراء، وبلغهم ذلك من

(1) ابن مهنا، حاشية على الرحلة الورثانية، مصدر سابق، ج 3 ص 75.

(2) المالطي: كان المستقدمون من مالطا مضرب المثل في التحقير، فكانت العادة عند الجزائريين إذا أردوا الخط من قدر إنسان نسبوه لمالطا تحقيرا لمكانته. انظر قصيدته "ترقيص أطفال الكتاب بابن مهنا الكذاب" في آخر كتاب منار الإشراف، ص 228.

(3) الديسي: محمد بن عبد الرحمان (1854-1921م) انظر معجم أعلام الجزائر، ص 142. تعريف الخلف، مرجع سابق، ج 2 ص 240.

(4) انظر عمر بن قينة، الشيخ الديسي حياته وأثاره، الجزائر دار كردادة، 2014، ص 58.

(5) انظر مولود عويمر، السجلات الفكرية في الجزائر (1936-1956) (جمع وتحقيق)، الجزائر، دار أيدكوم، 2013، ص 5.

(6) الشيخ محمد البخاري بن الصادق بن المبارك. انظر عبد الحليم الصيد، معجم أعلام بسكرة، مرجع سابق، ص 179.

(7) انظر عمار هلال، العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية، بين القرنين 9-20، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية 1995، ص 339. معجم أعلام الجزائر، ص 158. شعراء الجزائر، مرجع سابق، ج 2 ص 155. أعلام من المغرب العربي، مرجع سابق، ج 1 ص 97.

طريق إخوانهم قالوا: "ولو وقع من ذلك، الواجب عليكم أن تخدمونا وتزورونا وتشاورونا في المسائل المهمة مراعاة لخطر أجدادنا المشهورين عندكم بالصلاح والعمل، فقد كفونا مئونة تكاليف الشريعة ومشاقها، فنحن إذا مثلهم ولو قصرنا في العمل"⁽¹⁾. وقد كرر الزبيري هذه النقود في عديد مقالاته التي نشرها في الفاروق والصديق، وكان قذى في أعين المناوئين للأطاريح الجديدة في علاقة الإيمان والعمل والنسب، والتي افتتح الكلام فيها ابن مهنا.

وقد وجدنا القضية تتكرر في الجدل اللاحق لارتبط الطرق بالسلالة العلوية، كما في مقال "إلى الشرفاء"⁽²⁾، أو في تأليف أو نشر بعض الرسائل في الموضوع مثل: نصرة الشرفاء في الرد على أهل الجفاء، للإمام محمد بن المشري السائحي التجاني⁽³⁾، ومجموع النسب والحسب والفضائل والتاريخ والأدب في أربعة كتب للهاشي بكار مفتي معسكر، و"السلالة الوافية والياقوتة الصافية في أنساب أهل البيت المطهر أهله بنص الكتاب" للإمام أحمد بن محمد العشماوي المكي⁽⁴⁾، و"القول الأعم في بيان أنساب قبائل الحشم" للشيخ الطيب المختار الغريسي (ت1320هـ)⁽⁵⁾، و"سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول" لعبد الله بن محمد بن الشارف حشلاف الجزائري⁽⁶⁾.

ثانيا: التجنيد الإجباري.

القضية التي أثارت جدلا ظاهرا أو مضمرا، وحملت أبعادا فكرية في الموقف من المستعمر الفرنسي الكافر بالأصالة، فغداة هبوب رياح الحرب العالمية الأولى سعت فرنسا لتجنيد الجزائريين فيها، واختلفت النظرة العلمائية في ذلك بين مجيز أو معارض أو ساكت، وتوزعت المواقف كالاتي:

1- المؤيدون: وأغلبهم من المفاتي الذين كان دورهم سلبيا، فعلى عكس كثير من رجال الطرق الذين هاجروا أو سكتوا أو دعموا الدولة العثمانية كعاشور الخنقي.

2- الساكتون: ومنهم ابن زكري الذي لزم الصمت أو الرضى بالتجنيد الطوعي والقسري الذي جرى للقبائل عقب الثورة، حيث نُج بالعديد من الشباب في أدغال الهند الصينية ومدغشقر سنة (1895). واستمر سكوته في الأزمة الجديدة سنة (1912م)، والتي هزت أركان المجتمع الجزائري لأن نذرها بدأت منذ (1908)، ويقال بأن "لوسيان" نصح المفتي ابن زكري بالسفر إلى الشام سنة (1911) حتى يتجنب الحرج الشعبي⁽⁷⁾.

(1) الزبيري، بذور الأفهام في شرح عقائد الحبر الهمام ابن عاشر، مرجع سابق، ص 247.

(2) جريدة البصائر، مقال عبد القادر بن الفقيه التلمساني، ع 150 (27-01-1939)، ص 8.

(3) نشره عبد القادر موهوبي في: آل البيت في الجزائر والعالم العربي والإسلامي (تحفة الأولاد في سند الأجداد)، ط1، الأغواط، مطبعة بن سالم، 2009، ص 484. وعن السائحي انظر تعريف الخلف، مرجع سابق، ج 2 ص 186. معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 256.

(4) طبع ضمن كتاب مجموع النسب لبن بكار، وأورد كحالة العنوان "الاعتبار في نسب النبي المختار والتعريف بأولاده وزوجته. انظر معجم المؤلفين، مرجع سابق، ج 1 ص 244.

(5) طبع ضمن كتاب مجموع النسب لبن بكار، وانظر عنه تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 324.

(6) طبع بتونس أولا سنة (1929م) ثم نشرته دار الذاكر والمذكور، البليدة، 2006.

(7) بيشي، مقدمة أوضح الدلائل لابن زكري، مرجع سابق، ص 15. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3 ص 97.

3-المعارضون: وعلى رأسهم الشيخ عبد الحليم بن سماية المعارض الشرس لقرار التجنيد هو وتلميذه عمر بن قدور الجزائري الذي نفي للأغواط، والذي كتب: "إنا قوم لنا قومية عروقه متينة، وملة قيمتها ثمينة. وإن أصيبت أعضاؤها بخدر نتيجة الحوادث، فإن الأمل أنه خدر قصير المدة سينقطع وتتحرك أعضاؤنا بنشاط تام، فمالنا من رغبة في الاندماج بفرنسا ولا بغيرها من الأجناس، ومالنا رغبة في نيل حقوق تجر علينا الويل والدمار. إنا لا نريد من فرنسا أن تمنّ علينا بتمدها وعدلها، لأن لنا تمدنا وعدلا ذقناهما فصار كل شيء عندنا بعدهما مرا" (1).

وكذا أكثر شيوخ وأتباع الطرق من هذا التيار، ومن هؤلاء شيخ الدرقاوية محمد بن يلس، والذي قاد هجرة جماعية من تلمسان، وذلك سنة (1911) حيث هاجر الكثير إلى المغرب ثم سوريا، والتحقت كذلك مجموعات من زواوة وقسنطينة (2).

ولتفايدي تأثير رجال الطرق على العامة قامت فرنسا بنفي الشيخ محمد بن محمد الهبري إلى أفلو طوال مدة الحرب على الرغم من إغراءاتها الكثيرة له، ثم نفتته إلى عنابة، ولم يطلق سراحه إلا مع انتهاء الحرب (3) وقد تسبب الضغط الاستعماري وتجفيف منابع العلم والرزق في رحلة العلماء كما حصل لحمدان الونيسي، وآل الإبراهيمي، وفضلاء زواوة، وغيرهم، وهو ما أشار إليه الإبراهيمي: "ومن رحلة أسرة الشيخ المختار الشوثر العياضي إلى هجرة قريبنا الشيخ سعد قطوش السطيفي في العقد الثالث من هذا القرن الهجري" (4).
ثالثا: الموقف من الحرب العالمية الأولى والجهاد مع العثمانيين.

كانت الحرب العالمية الأولى صدمة لكل الطبقة العاملة بالجزائر، وتمايزت المواقف تجاهها من الهيئة الدينية المحافظة والطرقية والرسمية إلى اتجاهات التأييد لفرنسا، أو السكوت وإضممار القلوب على نصرة العثمانيين، واختلفت المواقف الفقهية في هذا بين المفاتي ورجال الدين الرسميين، ورجال الطرق الذين انقسموا في الموضوع، وإن ظلت الحاضنة الشعبية على ولائها للدولة العثمانية، وتتمنى انكسار فرنسا حسيما عبر عنه الشعر الشعبي الكثير، ويمكن الممايزة بينها:

1- المؤيدون للحرب مع فرنسا: أمثال المفاتي ابن الموهوب، والمفتي الحنفي عبد الكريم باش تارزي اللذان أصدرتا فتوى لصالح فرنسا ضد العثمانيين، وسميت بالوصية للمسلمين، وفيها: "هذه رسالتنا ننصح بها أنفسنا معشر الواضعين خطوط أيدينا فيها، وننصحكم بها وفاقا للدين والعقل والسياسة والعادة، فكونوا

(1) مسألة التجنيد لمسلمي الجزائر المنشور بمجلة الحضارة العدد 70 (أغسطس 1911)، انظر نجم الشمالي الإفريقي (1937/1926) لمحمد قناش ومحفوظ قداش. مسألة تجنيد الجزائريين، جريدة التقدم التونسية (9 جانفي 1908).

(2) انظر أجرون، نفسه، ج 2 ص 749. الحركة الوطنية الجزائرية، ج 2 ص 119. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 481.

(3) مصطفى العشعاشي، السلسلة الذهبية، ص 49. وقد توفي محمد بن محمد الهبري سنة (1939).

(4) البصائر، مقال عن "مبارك الميلي"، ع 26 (8-3-1948)، ص 1. آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 183.

ومن العياضيين نجد الشيخ محمد السعيد بن الأطرش، ولد بـرج الغدير سنة (1836)، ودرس على العلامة أحمد خباية، ثم زاوية سيدي بن المرسل، وحج ولقي عليلش، وبقي ثمان سنوات، ثم عاد مدرسا بسطيف، ثم حج ثانية ومكث خمس سنوات وأخذ عن حسونة النواوي، وحج (1289)، ومكث ثلاث سنين، ثم حج رابعة وخامسة، وسادس (1893) وتوفي (1335-1917). من آثاره: الدرر الهمية في القراءة الأصلية، رسالة في العروض، رسالة في التوحيد. انظر ذاكرة الجزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 6.

صادقين مخلصين لدولتنا الفرنسية الفخيمة، قائمين على ساق الجد لإعانتها على أعدائها دمرهم الله، وأراح منهم الحلفاء، وتمتعوا بعافيتكم في دياركم تحت قوة دولتنا نصرها الله، واسمعوا واصدقوا لتكونوا من المسلمين الكاملين العارفين... اللهم أعن فرنسا التي هي أمنا ونحن أبنائها إنك على كل شيء قدير"⁽¹⁾.

ومن هؤلاء المؤيدين الشيخ الونوغي بومزراق بن أحمد، وأبوه هو أخ المقراني الباشاغا، الذي ولد بمجانة (1862) وتخرج من الهامل، وتقلد إفتاء مدينة الأصنام، وسافر لباريس أيام الحرب، وأسهم مع المفتي قطرانجي في رد دعوة شيخ الإسلام باسطمبول للجهاد⁽²⁾، فقد جندت فرنسا المفتين الونوغي بن بومزراق⁽³⁾، وقطرانجي (إمام بالعاصمة) كمرشدين للمجندين الجزائريين في الحرب الأولى، وعندما تنامت الأنباء بذلك للأستانة قام مفتيها بكتابة بيان (المسلمون في الجيش الفرنسي) سنة (1915)، ورد عليه الوانوغوي برسالة "القول الناصح في مجادلة المائن الكاشح"⁽⁴⁾.

ومن الطريقين المساندين لفرنسا بعض زوايا الشرق كالباشتارزية والحملوية، وبالقبائل أرسلت زاوية سيدي منصور ببني جناد نداء لأتباعها بتأييد فرنسا، وفي الجنوب أيضا حصلت فرنسا على تأييد زوايا الهامل (مختار بن الحاج امحمد)، وذهب بعض الفرسان للقتال هناك، والزاوية الجلالية والعثمانية، إضافة الى الزاوية الحفيظية بليانة⁽⁵⁾، كما أيد التجانيون فرنسا، وتبرؤا من الأتراك حسبما ورد في وصية محمود بن محمد البشير إلى أحباب الطريقة⁽⁶⁾.

وفعلت كذلك الزوايا الكبرى للشاذلية، مثل زاوية محمد الموسوم بقصر البخاري⁽⁷⁾، حيث أصدر عبد الرحمان بن الموسوم بلاغا لإخوان الطريقة بنصرة فرنسا التي شيدت لنا المساجد وفتحت لنا المدارس وبنّت لنا المستشفيات وعلمتنا الصنائع، واحترمت ديننا وعوائدنا، في حين فإن أن دولة تركيا الآن هي بأيدي بعض الأوباش"⁽⁸⁾.

2- المواقف المعارضة: وهو موقف غالب الأتباع والأحباب والفقراء الذين لم تستهوههم المواقف المعلنة من شيوخ الطرق المغلوبين أو المتلاعب بهم، أو الواقعيين تحت ضغوط الأحكام والأعراف العسكرية، فالأدب الشعبي المتداول يدل على شماتة بانهمزام فرنسا أمام الألمان، وفرحة بانتصارات العثمانيين الأولى، حيث لم

(1) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 380.

(2) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3 ص 107. معجم أعلام الجزائر في القرنين، مرجع سابق، ج 1 ص 251.

(3) تتلمذ في الهامل على الديسي وغيره، وعمل في جريدة الميشر، ثم إماما في القليعة، انتدب لفرنسا أيام الحرب الأولى للقيام بشؤون جنازات القتلى المسلمين، ثم ولي التدريس في الأصنام، والإفتاء حتى (1363) كما أرخ لذلك في المرأة الجليلة، مرجع سابق، ص 162.

(4) تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7 ص 103، وهو موجود بالمكتبة الجامعية لجامعة الجزائر.

(5) انظر بوكسية، التطور الثقافي والسياسي بزوايا الطريقة الرحمانية، مرجع سابق، ص 158. سعد الله، الحركة الوطنية، ج 2.

(6) R.M.M: op.cit, P 202 عن بوكسية، نفسه، ص 160.

(7) محمد الموسوم (1820-1883) تتلمذ لعدة بن غلام الله الدرقاوي تلميذ العربي بن عطية، وتتلمذ له الحاج ابن الشرقي العطاوي، أسس زاويته سنة (1865)، وترك مؤلفات مثل شرح السنوسية، النور الوقاد في تعزية الأولاد، الغوثية، عصى موسى في الرد على من أنكر وأساء، التحفة المختارة في ثواب الزيارة، انظر تعريف الخلف، مرجع سابق، ج 2 ص 370. مجموع النسب، مرجع سابق، ص 159. المرأة الجليلة، مرجع سابق، ص 25. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4 ص 70. وعن ابنه عبد الرحمان انظر ابن عبد الحكم، المرأة الجليلة، مرجع سابق، ص 412.

(8) مجلة العالم الإسلامي، (ديسمبر 1914) ص 246، نقلا عن تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 81.

تكن مسارح المعارك بليبيا بعيدة عن الجزائريين، وقد عبر عن هذا بأشكال الرفض والخروج على القانون، كما يعبر عن هذا مواقف شيوخ التصوف بتلمسان والذين عارضوا التجنيد، ودعوا إلى الهجرة من أرض الظلم. ودارت نصائح بعض الشيوخ ووصاياهم وأشعارهم للشعب الجزائري بالوقوف مع الخلافة، حيث كان المسلمون الجزائريون يتخرجون من القتال ضد المسلمين، وخاصة حامية الخلافة تركيا⁽¹⁾، وبرز من هؤلاء المحرضين على الولاء العثماني عاشور الخنقي في قصائده المادحة للدولة والسلطان عبد الحميد الثاني.

3- المواقف المناهضة والمحرضة: وتمثلها بعض الحركات والتمردات المتناثرة هنا وهناك، ومن أهمها ما كان ذا خلفية وظهير طرقي مثل:

أ- ثورة عين التركي سنة (1901)، وثورة عين بسام سنة (1906) التي قادها الشيخ عمر بن عثمان، وثورة بريكة والأوراس وحدود تونس سنة (1916)، وكان وقودها من مريدي ومنتسبي الطريقة الرحمانية⁽²⁾.

ب- انتفاضات السنوسيين في الجنوب والطاسيلي، ومقتل الأب دو فوكو في تمنراست.

ج- عثمان الراشدي: أزهري ثار في أول الحرب الأولى، وقاد ثورة في بني شقران (1915)، وحكم عليه بالإعدام، وهو تلميذ عlish⁽³⁾. المعروف بمناصرته لثورة عرابي، ومعارضته الشديدة للإصلاحية العبدوية والأفغانية.

استمرت الثورة في الناحية طوال الحرب الأولى، وراج فيها الكتاب المنسوب لأبي راس الناصري وهو "أقوال التأسيس فيما سيقع بالمسلمين من دولة الفرنسيين" وهو كتاب مليء بالمرائي والتنبؤات" وكانت فرنسا تلاحق هذا الكتاب -الحامل للصبغة المهدوية- وتعتقل كل من يملك منه نسخة لاحتوائه على الدعاية المضادة لها⁽⁴⁾

د- الشيخ عبد الرحمان طاهري النائلي: أصدر فتوى بالعصيان، وتجمع معه بعض المقاومين، فنفي إلى "الغرب عند قبيلة حميان" فترة الحرب، ولكنه عاد، وأقام مؤتمرا بمنطقة "بريش قرب مسعد- وحضره اطفيش أبو إسحاق، ودعا لمقاومة مغربية، وراسل السنوسيين وعمر المختار، وقد لوحق الشيخ وحوكم، ثم أعدم في عيد الاستقلال الفرنسي (14-7-1931)⁽⁵⁾.

وقد أدرك أغلب شيوخ الطرق المرامي الفرنسية من هذا التحريض على الدولة العثمانية التي كانوا يدينون لها بالولاء الروحي، فتوالت الوصايا والأشعار وارتفعت الدعوات بالنصر لها على الرغم من القسوة الفرنسية في التسخير والتجنيد للجزائريين في جبهات القتال⁽⁶⁾.

وقد أشار محمد فريد في رحلته إلى الجزائر بأن الجزائريين كانوا يتخوفون من ملاقات أي مصري أو تركي لعلمهم بأن الإدارة ستنقم عليهم لكون هؤلاء من دعاة السلطان، ومن المناديين بالرابطة الإسلامية⁽¹⁾.

(1) غلال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، تطوان، 1984، ص 9.

(2) بوكسية، التطور الثقافي والسياسي بزوايا الطريقة الرحمانية، مرجع سابق، ص 150.

(3) المهدي البوعبدلي، الرحلات، ص 53. مقال علاقات الجامع الأزهر بالجزائر". تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 479.

(4) البوعبدلي، مقدمة دليل الحيران، ص 27. بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين، (انتفاضة بني شقران)، مرجع سابق، ج 2 ص 34.

(5) عامر محفوظي، تحفة السائل، مرجع سابق، ص 25، بوكسية، ص 253. اطفيش القطب مات سنة 1914، فلعله أبو إسحاق.

(6) بلغ عدد المجندين من الأهالي (173000)، و(119000) للعمل فيها. انظر

المطلب الثاني: الجدل الصوفي العقدي.

1- شرعية الطرق وانتقاد الطريقة:

وهو ما بدأ يظهر بقوة في صوت الشيخ محمد السعيد ابن زكري، ولا ندري مصادره في ذلك النقد، حيث خالف مشرب أكثريه علماء الوقت المنتمين للطرق الصوفية العديدة، ولعله تأثر بحركة الإصلاح المشرقية حيث إن في الكتاب نقدا مبطنا غير صريح لها في مثل الموقف من الحرية عند المرابطين تجاه الأتباع. وفيه نزعة تأصيلية واضحة والعود إلى القرآن والسنة دون التعرّيج على مؤلفات التصوف كعادة معاصريه. وهذه النزعة الإصلاحية غريبة في نقده لمتصوفة الوقت كقوله في ذم بدعهم: "كإرضاء للمتصوفين المتمسكين بما ليس أصلا ولا فرعاً في الدين القائمين بحفظ ما ابتدعه، إذ الدين والشرع عند هؤلاء القوم مبني على التحسين والتقبيح النفسيين، وليس لهم من النقل إلا نقل الأحجار والخشب لبناء ما يسكنون، أو العقل إلا عقل الدواب في مرقدها ومرعاها"⁽²⁾.

ولم يكن ابن زكري بدعا في ذلك، فالمجاوي وابن الموهوب فعلا ذلك قبل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. فهل حملة ابن زكري على ثورة (1871م) أوحى له بالهجوم على حاضنتها الطريقة الرحمانية؟، وهل يمكن أن ندرج في ذلك حملته على فكرة المهديّة التي تجاوز فيها فكر المتصوفة مع عقائد الشيعة، إذ أن أبا يعلى الزواوي قال أن ابن زكري أيده في انتقاض فكرة المهديّة في كتابه الإسلام الصحيح⁽³⁾. وهي الفكرة التي شاع استخدامها عند قادة الثورات الشعبية في مصطلحات: الشريف، مولى الساعة، المهدي.. إلخ.

وقد تجدد النقد لشرعية الطرق مع المولود الزريبي، الذي صحّح أصل الطرق والنسبة إلى الجنيد، ولكن المشكلة في الخلفاء والأتباع المحرفين، كما ناقش موضوع الوجد وجوازه، ولكنه نهى عن تقليد الشيوخ الأوائل فيه لكمالهم العقلي وضعف من بعدهم" وبهذا اغتر بهذا أناس فرغموا أن الرقص والصراخ والتصفيق حيث اشتهر من بعض الصوفية، فهو جائز لتلامذتهم"⁽⁴⁾، وقد رد عليه إيماء الشيخ الطاهر العبيدي في منظومة: النصيحة العزوزية في نصرة الأولياء والصوفية"، ومما جاء فيها:

إن ترد عزة، وفضل مزية ... فتلق الطريق عزوزية.

قال سعد الله: "وهاجم العبيدي، أولئك الذين درسوا قليلا من العلم في المشرق، ثم رجعوا ممتلئين كبرا، مدعين الاجتهاد والعلم، وهم لا يحملون السبحة ولا الكتب، وإنما يحملون المجلات الشرقية والجرائد. ولعله كان يعرض بذلك بمعاصره مولود الزريبي الذي رجع من مصر مملوءا حماسا وداعية إصلاح"⁽⁵⁾. وممن تصدى للرد على الزريبي أيضا الشيخ عبد الرحمان الديسي في آخر مؤلفاته وهو "إفحام الطاعن برد المطاعن"، وعلى الرغم من ذلك الرد الناقد لمنتقد الطرق، فقد رثاه الزريبي بقصيدة هائية حارة⁽¹⁾.

(1) محمد فريد، من مصر إلى مصر رحلة عام (1901)، مرجع سابق، ص 60.

(2) ابن زكري، أوضح الدلائل، مرجع سابق، ص 180.

(3) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 341.

(4) الزريبي، بدور الأفهام، مرجع سابق، ص 241.

(5) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 133.

وممن أسهم في النقاش الصوفي الشيخ محمد بن راشد المايي، في "نصرة السني ردا على ذي الوهم البدعي" وفيها انتصر للشيخ الحداد، والمنظومة في الصوم والفطر، وبلغت هذه المنظومة (161) بيتا⁽²⁾. ومن المؤلفات المشيدة بالطريق الصوفي ما كتبه قدور بن محمد المستغاني (1904) "درر الفيض اللدني فيما يتعلق بالكسب العياني والسني"⁽³⁾، وهو صاحب ديوان عقد لآلي العرفان في نظم قصائد بن سليمان، أو "دقائق النكت"، وكذا رسالة "فاكهة الحلقوم في علوم القوم" للحسين بن علي بن عمر (1309) "⁽⁴⁾".

2- دعوى الصلاح والنبوة:

في فترة من تدهور الدرس التربوي، وتراجع الحضور العلماني في المجتمع نتيجة التجريف الثقافي الذي مارسه فرنسا تجاه الجزائريين ظهرت بعض الدعاوى الشاذة لمعتوهين ومتلبسين بالتصوف ادعى بعضهم الولاية الكاملة والقطبانية، بل إن بعضهم ادعى النبوة، ومن نماذج ذلك أن رجلا بمدينة عين عبيد ادعى بأن النبي محمد نبي وليس برسول، وأزره في دعواه بعض منتسبي الطرق، فكان الهجوم عنيفا من قبل المولود الزريبي الذي اتهم الرجل ومن معه بالدجل⁽⁵⁾، ولا ندري لحد الساعة علاقة الرجل بدعوى الجماعة القاديانية في الهند، إذ أن لها أراء مشابهة في عدم ختم النبوة؟

3- النقاش مع التجانيين:

من أوائل الردود على الطريقة التجانية رد الزريبي على الغلاة في شيخها أبي العباس التجاني، ففي مقال "تأثير الجهل على العامة"⁽⁶⁾ تكلم عن مقدم للتجانيين في دوار الزناتية بعين عبيد أنه جعل التجانية أفضل الطرق مستدلا بكتاب "تنبيه الناس على شقاوة ناقضي بيعة أبي العباس" لعبد الله أنياس السنغالي-الذي طبع بالجزائر بالثعالبية سنة (1910)-، مدعيا أن كل مقدم تجاني أفضل من جميع الأولياء ومن جميع الخلق غير الأنبياء، وإن صاحبه وصاحب صاحبه ولو بوسائل متعددة ناج من عذاب الله وإن زنا وإن سرق وإن قتل سبعين نفسا بغير حق؟.

وقد رد التجانيون على هذه الفرية، وكتبوا جريدة الفاروق ما يفند هذا الاتهام، وأنهم في عين عبيد يزدون على مائة مريد، وهم محافظون على دينهم مواظبون على صلواتهم وناقمون على أهل البدع، ولا يتعاطون التبغ⁽⁷⁾. ولكن الزريبي نشر تعقيبه واعتذر بأن المذكور كان شاذليا ثم صار تجانيا، ولما عجز انتسب للعمارية⁽⁸⁾، ولكن وفي الجدل ذاته انتقد الزريبي كتاب الشيخ التجاني محمد إيناس قائلا: "الذي خرج به مؤلفه عن الموضوع وهلك به الأتباع والمتبوع"، أي الغلو في مقام التجاني، ولكنه عاد وتوسط ومدح استقامة التجانيين

(1) جريدة الصديق، الزريبي "قصيدة دموع الفريض"، ع 44، (19-9-1921)، ص 3.

(2) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 132.

(3) تعريف الخلف، مرجع سابق، ج 2 ص 154. معجم أعلام الجزائر، ص 297. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 138.

(4) معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 205. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 129.

(5) جريدة الفاروق، ع 63 (1 جوان 1914)، مقالات الزريبي، ج 1 ص 52.

(6) الفاروق 65 (15 جوان 1914)، مقالات الزريبي، ج 1 ص 62. وانظر مفتاح، أضواء على الشيخ التجاني، مرجع سابق، ص 250.

(7) رد التجانيين في جريدة الفاروق، ع 67 (30 جوان 1914)، مقالات الزريبي، ج 1 ص 75.

(8) العمارية فرع من القادرية منسوبة للشيخ عمار بوسنة المولود 1717. انظر تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 60.

وقال: "إلى ذلك أسعى، ويسعى المتنورون"⁽¹⁾. وهو الجدل الذي سيتجدد داخل البيت الطرقي نفسه، وبينهم وبين الإصلاحيين كما هو الحال بين عمر بن قدور ومحمد رشيد رضا.

ومن الجدل الذي ظل قائما في حق التجانيين مخالفتهم للمذهب المالكي في إيجاب البسملة في الفاتحة في الصلاة، وهي ذات القضية الفقهية التي أحيا النقاش فيها بين المذهبيين المالكي والشافعي الشيخ علي بن الحفاف، الذي حج وتحاور مع مفتي الشافعية زيني دحلان - المعادي للوهابية- وعند رجوعه كتب رسالة "الدقائق المفصلة في تحرير آية البسملة"، وقال البوعبدلي: قال إنه ديل رسالته برد على عليش المالكي الذي أيد دحلان وذلك سنة (1279هـ-1862)، ولا ننسى أن ابن الحفاف كان من علماء القراءات المبرزين، وله تصنيف كبير فيها كان عمدة للحزبين والدارسين في الجامع الكبير⁽²⁾. ولا ندري هل لخلفية ابن الحفاف القادرية علاقة بالتصنيف في الموضوع أم أن المسألة فقهية بحثة.

4- الردود على عقيدة التصريف:

يعتقد جمهور المتصوفة بكرامات الأولياء، وإقدار الله لهم على التصرف في الأشياء والموجودات استجابة لدعائهم، وتثبيتا لقلوبهم، وكانت هذه العقائد رائجة فيما يسمى بديوان الصالحين وحكومة القطب والأبدال، وفي الأدب الشعبي ما يروج لذلك، ووجدنا أصواتا عالمة تدافع عن ذلك، ففي قصيدة أخرى للزريبي معبرة عن الصراعات الأولى الإصلاحية الطرقية سجاله ونقوضه مع صوت طرقي من مدينة ندرومة، وهي القصيدة المعنونة بـ "صوت من الشرق وقفة العامي الندرومي"⁽³⁾:

نبكي عليك العلم قد لعبت - بك العوام وشيخهم بما اختلقوا
وظل يعوي فأسرعت له فئة--- إجابة وبما افتري لهم نطقوا.
استغفر الله واترك العناد وتب--- ما أنت أول أعمى كبه الزلق.

كما ثارت النقاشات حول عقيدة التصريف والغلو في الكرامات، وهذا تردد لأصداء ذات المجالات في المشرق بعد صعود نجم الوهابية، ومن ذلك أن شيخ الإسلام شعيب الدكالي لما زار الغرب الجزائري دارات المناقشات معه حول كرامات الجيلاني والمولى إدريس، ودعاه مفتي معسكر عبد القادر بن الصديق بالإنكار على من يسجد لقبر المولى إدريس بدلا من انتقاده لأهل بوحنيفية (معسكر) بالغلو في الجيلاني⁽⁴⁾.

(1) مقالات الزريبي، مرجع سابق، ج 1 ص 76.

(2) البوعبدلي، التراجم، ص 76. تعريف الخلف، ج 2 ص 82. هدية العارفين، ج 1 ص 778. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7 ص 38.

(3) ونشرها في الفاروق، ع 56 (3 أفريل 1914) مقالات الزريبي، ج 1 ص 40. ولا ندري من هو الندرومي، ولعله الشيخ قدور بن عاشور الندرومي (1850-1938) مباح الرسول عليه السلام، والشيخ ابن عليوة، وقد لقيه في تلمسان. وكان مشهورا بالجذب. انظر: عبد الله التباع البيضاوي، مطالع اليقين في مدح الإمام المبين، ص 16. وجعل ركيبي حياته (1860-1938)، وقال بأن في ديوانه المطبوع "كنوز الأنهار والبحور في ديوان السر والنور" (ج 1، مطبعة وجدة، د، ت) شطحات حتى اتهمه معاصروه بالإلحاد، فكتب قصائد في هجومهم والرد عليهم، انظر ركيبي، نفسه، ص 860. وعنه بن عاشور انظر محمد بن عمر الزرهوني، ذكرى الذاكر والمذكور الشيخ قدور بن عاشور مداح النبي المبرور، مجلة الثقافة، العدد 103 (يوليو-أغسطس 1994)، ص 137.

(4) بن بكار، مجموع النسب، مرجع سابق، ص 213/ تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 578.

5- نبوة خالد بن سنان العبسي:

اهتم الجزائريون بنبوة ومدفن خالد بن سنان العبسي، فذهب الأخضرى إلى تصحيح قبره في المكان الذي يوجد اليوم بالزيبان الغربى، وكذا بركات ابن باديس في "مفتاح البشارة في فضل الزيارة"، وللشيخ علي الونيسي رسالة في نبوته⁽¹⁾، ثم جاء إبراهيم بن العوامر السوفي فكتب "الرمح والسنان في كبد من طعن في سيدنا خالد بن سنان"، واستوفى العلامة عبد المجيد بن حبة ذلك في كتابه: "قيد الأوابد من حياة خالد بن سنان".

وقد أسهم الطرقيون في تأكيد مكان الدفن ودافعوا عن نبوته، ولهم ميراث عريض من قصائد ومراثي في التوسل والدعوة لشدة الرحال لزيرة المقام في مدينة سيدي خالد، ومن هؤلاء عاشور الخنقي في النونية في إثبات نبوة خالد بن سنان العبسي، والديسي له أيضا مدح ودعوة للزيارة⁽²⁾، ومن المتأخرين مؤيد العقبي في دراسته "أضواء على حياة خالد بن سنان".

وقد تحسر مراسل النجاح مامي إسماعيل بعد على هذا قائلا "والذي يتعجب منه الإنسان أن سكان الإيالة لا يعتقدون الرحلة إلى زيارة هذا النبي الكريم ذي المعجزات الساطعة، والحال أن الطرقات متواصلة"⁽³⁾. وأما العقبي فسيحمل راية النكير على من يزعم نبوته وشفاعته، وينكر على من يتخذون قبره مزارا ومناسك للحج، وميقاتا للحج عندهم هو السابع والعشرون من رمضان، وسيظاها في هذا النفي السعيد الزاهري⁽⁴⁾.

6- الجدل حول الدروشة والخرافات:

إن شيوع الخرافات والتعلقات الخاطئة بالصالحين أدت إلى انبراء أقلام مهمة لنقد وضع التخلف المزري المهمين على الجزائر، ففي قسنطينة: كانت النساء المسلمات متعلقات في قبة سيدي عبد القادر كثيرا ويعتقدن في الماء الجاري هناك عقائد خرافية كالبراء من بعض الأمراض، وطلب الحمل، وطرده الأرواح الشريرة. وكانت في هذه القبة بئر يعتقد العامة أن سيدي عبد القادر الجيلاني حفرها عندما زار الجزائر ورغم أنه غير مدفون بها"⁽⁵⁾.

وشاعت ظواهر الشعوذة مع انتشار الجهل وضمور الطب، وأصبح الشفاء يطلب من الأحجار والأشجار وكل غريب في الطبيعة، وانتشرت التماائم والحروز المقبول منها والمردود، وكذا أنواع النشرة والذبح للجن وغيرهم، ودعاوى إخراج الجن، ويحكي مبارك الميلي صورا عن العزائم والتعويذات والنشرة⁽⁶⁾، مما يمكن أن نسميه بالطب السحري، وهو ما أعطى المشتغلين بذلك سلطة روحية كبيرة مكنت من استغلال البلداء والمتعلقين

(1) تعريف الخلف، مرجع سابق، ج 2 ص 113، وانظر عنه معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 346.

(2) الديسي، ديوان منة الحنان المنان، مجموع أعمال الديسي، مرجع سابق، ج 1 ص 128.

(3) جريدة النجاح، ع 186 (13-12-1924)، ص 3. رحلات جزائرية، مرجع سابق، ج 1 ص 66.

(4) جريدة البرق، الزاهري، وفد الشعراء يزور طولقة، فرفار، البرج، ع 8 (25-4-1927)، رحلات جزائرية، ج 1 ص 92.

(5) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 132.

(6) انظر مبارك الميلي، رسالة الشرك، ص 165. شريف بن حبيلس، الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي، مرجع سابق، ص 114.

بكل فرج، وهو ما جعل المجتمع يرتكس إلى صور من الوثنية الأولى كما قال مالك بن نبي⁽¹⁾. ولأجل ذلك حمل البعض على هذه المظاهر، ومن ذلك بعض شيوخ التجانيين المنابذين لهذه التصرفات اللاسنية⁽²⁾. يقول سعد الله: "إذا كان فشل الثورات قد أدى إلى ظهور الشاعر الشعبي أو المداح، وظهور الطرق الصوفية المدججة التي أصبحت أداة للإدارة الفرنسية في السيطرة على المواطنين، فإن هناك ظاهرة أخرى لجأ إليها التعبير الشعبي قبل عصر الأحزاب السياسية والمنظمات والنوادي، ونعني بها الدروشة والدراويش، والحقيقة أن هذه الظاهرة ليست غريبة على المجتمع، فقد عرفنا منها حتى في العهد العثماني النصيب الكبير، ..، إنما نعني بالدراويش هنا أولئك الذين جمعوا بين الدين والسياسة بالمستوى الشعبي، فهم في لحظة يائسة يدعون الكرامة بعدم اختراق الرصاص لأجسادهم، أو بعدم إصابتهم بالأمراض أو بأي سوء، وقد سبق القول إن العامة كانت لا تفرق بين الشريف والمرباط والدرويش، فكلهم مرابطون ما داموا يأتون بالكرامات والمعميات، وقد كان الفرنسيون يراقبونهم خشية أن يتحولوا إلى مهيجين للعامة، مستغلين الجهل والخرافة"⁽³⁾.

7-الجدل حول تعدد المشيخة الصوفية:

شغلت بعض الدوائر العلمائية منذ القرن الماضي بشرعية بعض الاختيارات الطرقية، وذلك في أثناء ردود بعض الفقهاء على بعض الأقوال والشطحات المنسوبة لبعضهم، ومن هؤلاء أبو حامد المشرقي الغريسي نزيل فاس (1313هـ) الذي كتب "الدر المكنون في الرد على العلامة جنون". قال فيه ابن سودة: انتصر فيه لأصحاب الطرق، ورد على المخالف ردا شنيعا"⁽⁴⁾، كما انتصر للقادرية على التجانية في رسالته "الحسام المشرقي لقطع لسان الساب الجعري في الناطق بخرافات الجعسوس سيئ الظن الكنسوس"، ومحمد أكنسوس التجاني هو مؤلف "الجيش العرمم"، وهو معروف بكتاباتة الحادة كرسالته في ذم أهل فاس، ولعلها من مصادر ابن مهنا في نقده للفاسيين. كما أن لأبي حامد مواقف متضاربة سياسيا، فمرة يدافع عن الأمير في "عجيب الذاهب"، ومرة ينعتيه وأتباعه بالفجور في "طرس الأخبار"⁽⁵⁾.

وفي ثنايا خلاف الأمير مع أحمد الحبيب التجاني برزت بعض النقاشات الاعتقادية، ففي الانتصار لرأيه ذكر الأمير موجبات القتال مثل انتهاك التجانيين لحرمة الدماء، وقد برر الأمير قتاله للتجاني بأمور: منها قتل تسعة عشر رجلا من عين ماضي، وهروب عشرين محصنة استجارت به وسبي نساء قرية-تولالة- بالعمور وتخريبها، وقال: "فكيف بأمر سفك فيه دماء المسلمين، وأما ما ارتكبه هو وأصحابه من البدع في الدين، فقد كاد أمرهم أن يجوز الملحدين، ولو قصصنا عليك ما اطلعنا عليه من اعتقاداتهم الفاسدة لقال العالم هؤلاء أحق باسم الملاحدة...."⁽⁶⁾.

(1) مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 28.

(2) عمر بن قنور، الإبداء والإعادة في مسلك سائق السعادة، مرجع سابق، ص 252.

(3) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 40

(4) ابن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ص 316. معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 304.

(5) سعد الله، أباحت وأراء، مرجع سابق، ج 2 ص 178.

(6) انظر البوعبدلي، الحياة الثقافية بالجزائر، الثقافة والتوجيه بالجزائر في العهد التركي، مرجع سابق، ص 194.

والأمر ليس جديداً، فمنذ ظهور التجاني، والخلاف ممتد منذ زمن الأتراك، حيث أن الباي محمد عثمان كلف رئيس مجلسه العلمي محمد بن عبد الله الجلاي رئيس المدرسة المحمدية بمعسكر - وهو زميل التجاني في الدراسة بفاس- الذي شارك وتلامذته في فتح وهران- ليناقش التجاني في دعوته، ورد على التجاني محمد بن حواء وتحير في دعوى الفتح عليه: "تحيرنا في قولك: من آخر عصر الصحابة إلى يوم ينفخ في الصور ما قاربني ولي من أولياء الله فيما أعطاني الله"، فأوقعت الناس في أمر هائل وجدل طائل ومعارضة في لكلام ومخالفة فيه، حتى وجد المعترض فسحة وفرصة للاعتراض، ولا يدري المجيب بماذا يجيب لا سيما من يحبك من الإخوان⁽¹⁾، ومن العلماء السابقين الذين انتقدوا التجاني علي بن محمد الميلي الجمالي المتوفى بمصر (1833)⁽²⁾ في رسالته: "الصوارم والأسنة في الاعتراض على أحمد التجاني"⁽³⁾. ورد عليه شيخ الإسلام إبراهيم الرياحي التونسي في "مبرد الصوارم والأسنة في الرد على من أخرج الشيخ التجاني من أهل السنة"⁽⁴⁾. وقد تجدد النقاش في بعض المواضيع اللصيقة بالنقاش السابق في القرن الماضي في الجدل الذي ثار بين التجانيين القائلين بوحدة التلقي والانسلاخ من غيرهم، وبين محمد بن سليمان الذي أجاز تعدد الأوراد والأشياخ، وكانت له ردود ومناقضات مع سكيرج، وتعصب من تجاني ندرومة ضده، وألف في ذلك رسائل مثل: تحجيم أهل الإنكار من صاد الغزالة بركوب الحمار⁽⁵⁾.

8- شرعية الزيارة للأولياء:

كان الصوت المعارض لذلك خفياً في القرن التاسع عشر من قبل بعض الفقهاء المنكرين للفلكور الناشئ حول الأضرحة، وكذا من قبل منتسبي التجانية الرافضين لذلك أيضاً والمحرمين للزيارات لما فيها من بدع النساء والدجالين، ووجدنا قيم ضريح الملياني ثم الثعالبي الشيخ علي بن الحاج موسى يتكلم عن منكري زيارة الأولياء، فيكتب في "ريح التجارة في آداب الزيارة" وذلك أثناء سدانته لمقام بن يوسف الملياني سنة (1273هـ- 1853م)⁽⁶⁾. وهو ما يدل على صعود نجم الإنكار في تلك الفترة، وإن كان خافتاً، ولعل الجدل استمر همساً بعد ذلك، ولم ينفجر بالكلية إلا في العشرينيات مع صعود حركة الإصلاح.

(1) البوعبدلي، الحياة الثقافية في الجزائر، ص 124-ص193-ص72. مفتاح، أضواء على الشيخ التجاني وأتباعه، مرجع سابق، ص 191.

(2) له: الحسام السمهري في تكذيب ما نسب إلى الإمام الأشعري، الصمصام الفاتك في الرد على القادح في مذهب الإمام مالك. انظر تاريخ الجزائر العام، مرجع سابق، ج 5 ص 187. الأعلام، مرجع سابق، ج 5 ص 17.

(3) معجم أعلام الجزائر، ص 121. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7 ص 96. ومن الرسائل المتأخرة في الجدل داخل التجانية ما ألفه السلطان عبد الحفيظ-التجاني الطريقة- "كشف القناع عن اعتقادات طوائف الابتداع المتقولين الذين حادوا عن منهاج السنة، وأحدثوا اعتقادات لم ترد عن شرح الدين والسنة"، ألفه سنة (1909)، انظر دليل مؤرخ المغرب الأقصى مرجع سابق، رقم (2211)، ص 328.

(4) سكيرج، كشف الحجاب، مرجع سابق، ص 132.

(5) محمد بن سليمان الندرومي، تحجيم أهل الإنكار من صاد الغزالة بركوب الحمار، ورسالة: عقد الرجان الموجه إلى الشيخ محمد بن سليمان الندرومي، ضمن كتاب عرفانية الخطاب لحمدادو بن عمر، مرجع سابق، ص 97. ص133.

(6) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 147.

المطلب الثالث: الجدل الفقهي.

1- الاجتهاد والتقليد:

يعتبر الطرقيون من المدافعين الأشداء على التقليد الفقهي، ووجدناهم ينتقدون كل منتقص للمذاهب الفقهية الأربعة، ومن أوائل من شيد صرح هذا البناء المحافظ قدور بن محمد بن سليمان المستغاني في كتابه: "أنوار اليقين، بل السيف المتين في قطع ألسنة من نقص الأئمة المجتهدين"⁽¹⁾، وقد عبر عن هذا التوجه عبد الرحمان الديسي الذي هاجم شيخا إباضيا انتقد تقليد المذاهب الأربعة في كتابه "نقض القول المتين" في الرد على قاسم بن سعيد الشماخي (ت 1916)⁽²⁾. معتبرا الدعوة إلى نبذ المذاهب الأربعة إلحادا وزندقة⁽³⁾. ولكن بعض الإصلاحيين دعا إلى فتح باب الاجتهاد، ومنهم الكمال مصطفى ابن الخوجة، والذي كان متحمسا لفتح باب الاجتهاد تأثرا بالمدرسة العبدوية، ولذلك شرع في تحقيق كتاب السيوطي: "الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض"⁽⁴⁾.

ومن المتداول أن القضية اشتبكت مع الهجمة الغربية ضد الإسلام واتهامه بالجمود ومنافاة الحرية والاجتهاد، مما جعل بعض الكتاب الجزائريين يمتنعون من ذلك ويؤلفون في نقض ذلك كما فعل محمد بن رحال⁽⁵⁾ في مقاله "مستقبل الإسلام" الذي ألقاه في مؤتمر المستشرقين بباريس (1897).

ودخلت مسألة التقليد في العقائد الميدان أيضا، ومن جملة الردود التي افتتحها الزريبي آنذاك نقض دعاوى بعض متعصبي الاتجاه السنوسي في العقائد، والذي يوجب الاجتهاد ويرفض إيمان التقليد، مما جعل أحدهم ببني نواردة بقالة يكفر العامة بالتقليد، والذين لا يعرفون العقائد الستة والستين السنوسية⁽⁶⁾. وقد حكم الزريبي بردة الرجلين.

2- تقنين الفقه الإسلامي:

حاولت فرنسا تأطير القضاء الإسلامي بتوحيد الفتوى والمواد العدلية، وكانت هذه القرارات تبعا لسلسلة أخرى في التدخل في القضاء الإسلامي، ومحاولات تجريده لصالح الفرنسي منذ إنشاء "المجلس الفقهي" ليكون بمثابة محكمة استئناف إسلامية سنة (1855)⁽⁷⁾، كما تلى ذلك محاولات عديدة لتقنين الفقه الإسلامي سنة (1906)، والذي لقي معارضة كبيرة من الفقهاء وتعثر أمره، وعطفا على التحولات الكبرى التي عرفها القضاء

(1) تعريف الخلف، مرجع سابق، ج 2 ص 154. معجم أعلام الجزائر، ص 297. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 161.

(2) الشماخي كاتب أديب من جبل نفوسة بليبيا وهو صاحب آثار: القول المتين في الرد على المخالفين، بغية الطالب فيما يحتاج إليه الكاتب، مسألة في البراءة والتولية، الظهور المحتوم، رد الحجة على أهل الغفلة، الحكمة، مجلة نبراس المشاركة والمغاربة. انظر الأعلام، ج 5 ص 176.

(3) الديسي، الأعمال الكاملة، توهين القول المتين، مرجع سابق، ج 5 ص 30.

(4) دبوز، نهضة الجزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 131. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 163.

(5) محمد بن رحال الندرومي: كان والده قاضيا عند الأمير، وتعلم اللغتين، ونشر ترجمة للسودان الغربي من كتاب الأفراحي "نزهة الحادي" وكان من المدافعين عن العربية أمام لجنة فيري سنة (1892) انظر تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 166.

(6) العقائد الستة والستون هي مجموع العقائد التي أوردها السنوسي في متنه الشهير أم البراهين أو العقيدة الصغرى.

(7) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 440. وأعضائه: بلقاسم بن البزغي، وحسن بريهمات، وحميصة بن العمالي، والطاهر بن غراس، وأحمد بن عباد، والحاج أحمد بن المبارك، والمكي البليدي، ومحمد بن العياشي بن برنو مفتي مستغانم.

الإسلامي في الجزائر، والتي ختمت بتشكيل لجنة رأسها مارسيل موران، ومعه مصطفى الشرشالي وعبد الرزاق الأشرف، والتي انتهت إلى إصدار "مجلة الأحكام الإسلامية" في عهد دومنيك لوسيان، واستفادت من ترجمة الدكتور بيرون لمختصر خليل، وصدرت سنوات (1907-1913)⁽¹⁾، وثار حولها جدل كبير، فممن وافق التقنين خريجو المدارس العدلية كأبو بكر شعيب، ويظهر أن ابن زكري كان من أنصار المشروع، حيث لم يصدر عنه ما يفيد معارضة لذلك.

وكان أغلب الطرفين وعلماء الزوايا ضد المشروع⁽²⁾ الذي يسلب المرجعية المالكية مكانتها في الفتوى والقضاء نتيجة مزاحمة المذاهب الأخرى وكذا القانون الفرنسي لها، وقد استمرت معارضتهم لها حتى نهاية العشرينيات.

وحاول فيوليت في العشرينيات إحياء المشروع مع لجنة جديدة ضمت: أحمد لعيمش، محمد بلحاج، عبد الرحمان الصديق، محمود كحول، الحفناوي، المولودن الموهوب، ولكن المشروع فشل أيضا⁽³⁾.

3- شرعية الجهاد العسكري:

وهي القضية الطويل الذيل التي ترافق صوته الناقد بخفوت مع فداحة نتائج المقاومات العسكرية التي قادتها الزوايا الرصينة في القرن التاسع عشر، ويمكن القول بأن الصوت الأعلى كان وجوب الجهاد، فقد تواردت الزوايا والطرق عموما على التحريض على الجهاد ضد الفرنسيين، لأنه من جهاد الدفع، بل إن المتداول الفقهي يرى الجهاد الطلبي مشروعا مرة في العام على الأقل لتخويف العدو وكسر شوكته، وإذلال الكفر وأهله سواء كان المسلمون في حالة أمن مع العدو أو خوف منه اعتمادا على أدلة كثيرة، والظاهر أن الجهاد يتكرر بموجب سببه من العدوان أو الخوف على الأمن وليس موقوتا بالمرة في السنة أو غيرها لأن الأمر بالقتال مشروط بالعدوان، وأما الحالة الجزائرية فقد كان الجهاد فيها فرض عين بالاتفاق لأنها دار إسلام غزاها الكفار، فوجب على الجميع دفع العدوان، وهو ما ورد من جواب التسولي على الأمير عبد القادر⁽⁴⁾.

ولأجل خطورة هذا المتداول الفقهي منعت فرنسا تدريس أبواب الجهاد من مختصر خليل المالكي وغيره في الزوايا والمدارس، وخصوصا بعد ثورة 1871⁽⁵⁾.

لم يترك الفرنسيون أي حيلة لتثبيط الجهاد، وهم لم يجنحوا للسلم أبدا، إذ أن وجودهم في الجزائر غير شرعي، والتكليف القانوني للوجود الفرنسي هو الاحتلال الذي تشرع مقاومته، ولكن الفرنسيين سيروا رسلا لاستجلاب فتوى بشرعية وجودهم، ومن ذلك:

(1) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 105.

(2) من نماذج ذلك مقالات يحي بن محمد الدراجي إمام مسجد الدار بقسنطينة وعين البيضاء الذي كتب عشرات المقالات الفقهية حولها في جريدة النجاح. ع 304 (8-6-1926)، ص 1، وانظر بن علجية، الشيخ حمدان الونيسي، نفسه، ص 70. وكذلك القاضي مقداد العابد بتبسة، انظر النجاح، انتقاد مجلة موران، ع 291 (23-4-1926)، ص 1.

(3) المدني، كتاب الجزائر، ص 319. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 106.

(4) أجوبة التسولي عن مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد، ط 1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1996، ص 251. سامية بن قوية، وقائع وأحكام الجهاد في الفقه الإسلامي، الاحتلال الفرنسي للجزائر نموذجا، دكتوراه في أصول الفقه، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، 2010، ص 92.

(5) انظر عمار هلال، الطلبة الجزائريون بالأزهر (1916)، مجلة الثقافة، ع 79 (1984)، ص 128. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3 ص 98.

أ- فتوى طاعة فرنسا والتعايش معها إذا ما احترمت المؤسسات الدينية والقضائية سنة (1942)، وهي الفتوى التي سافر من أجلها ليون روش من الجزائر إلى الحجاز مارا بالقيروان والقاهرة، وحصل فيها على تصديق من مجلس الطائف العلمائي التابع للشيخ عون، والذي عارضه محمد بن علي السنوسي، وكانت الرحلة بدعم من مقدمي الطريقتين التجانية والطيبية، حيث رافقه ميلود بن سالم الأغواطي ويعي البوزيدي، واستقبلهم في القاهرة محمد بن عمر التونسي صاحب كتاب "تشحيد الأذهان بسيرة العرب والسودان" وكاد أن يفتضح أمر ليون روش بعرفات بعد تعرّف جزائريين عليه لولا أن أنقذه الشريف عون⁽¹⁾.

ب- فتوى قورارة سنة (1893م) أيام الحاكم العام "جيل كامبون" والتي بعثها السلطات الفرنسية إلى شيوخ الإسلام وفيها: "ما قولكم في أهل بلدة مسلمين قد استولى عليهم الكافر وصار حاكما عليهم، ولم يتعرض لهم في أمور دينهم، بل يحثهم على إجراء أحكامهم الدينية، ووظف عليهم قاضيا من أهل دينهم يجري عليهم الأحكام الشرعية، وجعل له معاشا وافرا يأخذه على رأس كل شهر، فهل مع هذا تجب عليهم الهجرة أم لا؟ وهل تجب عليهم مقاومته و محاربتة مع عدم قدرتهم على ذلك أم لا؟ وهل بلدهم التي استولى عليها يقال لها دار حرب أم دار إسلام؟ بينوا لنا بيانا شافيا". وجاءت توقيعات الشيوخ عبد الرحمان بن عبد الله سراج الحنفي، والشيخ محمد سعيد بن محمد بابصيل مفتي الشافعية، ومفتي السادة المالكية محمد عابد بن المرحوم الشيخ حسين بمكة المكرمة، وخلاصة الفتاوى الإقرار بأن الجزائر ليست دار حرب وأنه لا تجب مقاومة الكفار مع عدم القدرة، وإمكانية إظهار الشعائر. وقد استغلت فرنسا الفتوى لإخماد جذوة الجهاد في السودان الغربي عقب جهاد الشيخ عمر الفتوي التجاني في السنغال ومالي⁽²⁾.

والمهم أن النقاش الفقهي في تقييم الجهاد المسلح في القرن الماضي كان محسوما في الأغلب لصالح الرأي المقاوم⁽³⁾، ولكن شيئا من النقد والاستدراك بدأ يعلو بعد فداحة حصائل الثورات، وخاصة ثورة الرحمانيين سنة (1871)، ووجدنا بعض الأصوات التي اعتبرتها عبثا وفسادا لعدم تكافؤ الموازين، ومن ذلك:

أ- ابن زكري: حيث كان موقفه ناقدا للثورة، قائلا: "فقد بان لك من هذه الحقيقة أن الثورة الحادية والسبعين ليست من الشرع بشيء، فيحرم انعقادها والسعي في إيقاد نارها. وعلى تقدير التنازل وفرض التسليم بأنها جهاد بمعنى أن مطلق الثورة أمام الكفار يسمى جهادا، فحكمها في حق القبائل بالنظر لما هم عليه وما فعلوه المنع والتحريم من وجوه ثلاثة:..... والثاني منها: لأن الغالب من قادتهم الجهلاء الصم، ومن سادتهم البكم العبي⁽⁴⁾.

(1) ليون روش، اثنان وثلاثون عاما في الإسلام، ترجمة محمد خير البقاعي، ط1، بيروت، دار جسر، 2011، ص 38-48. سعد الله، بحوث في التاريخ العربي والإسلامي، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2003، ص 322.

(2) انظر أجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا، مرجع سابق، ج 1 ص 918. محمد الأمين بلغيث، تاريخ الجزائر المعاصر دراسات ووثائق، مرجع سابق، ص 300. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 6 ص 365.

(3) ترافق الأمر أيضا مع امتعاض البعض من فرض الضرائب الحربية الخاصة، وهي من القضايا التي ثار فيها الجدل بعد فرض الأمير لها على القبائل. انظر أجوبة التسولي، مصدر سابق، ص 286. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 596.

(4) ابن زكري، أوضح الدلائل، مرجع سابق، صص 70-77.

والظاهر أن هذا الموقف تبقي لمعارضة بعض زوايا القبائل للثورة كما هو شأن زاوية سيدي منصور، في حين عارضتها زاوية الشريف الإفليسي (ت 1917)، التي قاد كتيبته الشيخ الطيب الإفليسي⁽¹⁾.

ب- الشقراني: كان ضد الأشراف الثائرين، ومع المتصوفة المهادنين، وشنَّ على بوعمامة متهما إياه بحرق الفرنسيين والتمثيل بهم، وأنه لم يحصل على البيعة الشرعية، واعتبر ثورات بوعمامة وسي لخضر الأزرق زعيم فليته، والطوطي الدرقاوي⁽²⁾، والخويدي من علامات الساعة، وأنهم الستون الكذابون الذين يسبقون المهدي⁽³⁾.

والحل عنده هو إتباع المتصوفة المنكفئين عن الثورة، فهم: "كسائر المسلمين ينتظرون الفرج وزوال الحرج وانتظار الفرج واجب، والعسر لا يدوم على أحد"⁽⁴⁾.

ج- ابن مهنا: وهو كذلك من منتقدي ثورة الرحمانيين، قائلا: "وهذا تعلم أن هؤلاء الموجودين ليس فيهم الشروط التي ذكرها العلماء، بل ولا بعضها، فلا يصلحون للمشايخة حتى إن بعضهم من جهله يهلك نفسه ويهلك العامة، كما وقع ذلك من أولاد الشيخ ابن الحداد مقدم ابن عبد الرحمان عام واحد وسبعين، فأهلكوا أنفسهم وأهلكوا الحرث والنسل، وشقوا عصا الطاعة وحملوا السلاح على الدولة، هذا كله أصله شيخ الطريقة الجاهل، وشيعة ابن الحداد في قسنطينة كثيرون دمرهم الله وأخلى الأرض منهم، ما منهم إلا جاهل أحمق أو ضال مطلق في يد الشيطان يقوده حيث يشاء"⁽⁵⁾.

د- الكمال بن المضربة: فالجهاد الحقيقي ما كان ضد الجهل والفساد بالأساس، وتابع في هذا رأي محمد عبده الذي عده "عالم علماء الدنيا"، وكتاب الكمال المعنون بـ "البراهين العظام على نفي التعصب عن دين الإسلام" ونشر مسلسلا في مجلة فرنسية عن الإسلام (L Islam) سنة (1902)، وتلقت القنصليات الفرنسية نسخا من الكتاب لترويجه⁽⁶⁾، يدور في هذا الفلك من التركيز على التربية والتعليم بدلا عن المواجهة العسكرية.

ولعل الحصائل الثقيلة لهذه الثورات وجسامة الرد الفرنسي جعلت هؤلاء الفقهاء يلوذون بالمأثورات السنية في التوقي من الفتن والاعتصام بمنطوقات النصوص في أحكام الجهاد، ولكن المناطق مختلف فشتان بين الأمرين، بين الغزو الطليبي، وبين الدفاع الشرعي من أمة محروبة في دينها من الاستعمار الفرنسي الفادح.

(1) مقابلة مع الشيخ محمد الصالح الصديق، يوم (11-3-23)، والشيخ الطيب تسمى باسمه مقبرة في الحراش.

(2) عن الثورة انظر ولد أحمد عبد القادر، "مقاومة الشيخ العامري عبد الرحمان الطوطي الدرقاوي بمنطقة سيدي بلعباس 1845"، الجزائر، كلية العلوم الإسلامية، جامعة باتنة، مجلة الإحياء، المجلد 20، العدد 27، 2020، ص 633.

(3) الشقراني الراشدي، القول الأوسط في أخبار من حل بالمغرب الأوسط، ص 18. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7 ص 366.

(4) الشقراني، نفسه، مرجع سابق، ص 18.

(5) بيثي محمد عبد الحليم، قضايا الشرف والأشراف ابن مهنا، رسالة لطيفة في الأجوبة التي أجبت بها الدولة الفرنسية، ص 170.

(6) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 162.

4- الهجرة من الجزائر:

عاشت الجزائر محنة عسيرة مع الاستعمار الفرنسي في القرن التاسع عشر، وتمثلت تلك المحنة في حرث الأرض من مقومات الهوية والوجود، وقد قوبل ذلك بمقاومة استمرت خمسين سنة عاش فيها الجزائريون الولايات والليالي الحالكات، وتزامن ذلك الفعل الجهادي مع نقاشات فقهية نوازلية تمثلت بعض نماذجها في قضايا كثيرة مثل الهجرة والإقامة بين الكفار، حيث ثارت نازلة الإقامة بين المستعمر الفرنسي، وهو كافر بنصوص الشرع، ومن المعروف أن هذه النازلة كانت لها مماثلات في المشرق والمغرب، ولكن النقاش فيها أكثر في المغرب الثلاث، وذلك بعد حروب الاسترداد الإسبانية، ومحنة الموريسكيين المغلوبين من قبل الإسبان المتعصبين للكاتوليكية، ففي تصفحنا للمعيار المعرب وجدنا فتاوى مهمة في تشريح الوضع العقدي والقانوني لهؤلاء المدجنين، ويمكن أن نأبرز بين اتجاهين فقهيين هما:

- الاتجاه المتشدد الموجب للهجرة وعدم الإقامة بين أظهر الكفار، ويمثله الونشريسي في فتواه "أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصراني ولم يهاجر"⁽¹⁾.

- الاتجاه المترخص: والذي راعي عسر الهجرة، وفضاعة القهر المانع من الهجرة، ويمثل هذا الاتجاه الفقيه ابن أبي جمعة المغراوي الوهراني. لأنه ومنذ سقوط طليطلة سنة (1085م) حتى سقوط غرناطة عام (1492م) وما بعدها نشطت محاكم التفتيش في متابعة المسلمين واستخراج الإقرارات تحت آلات التعذيب الجهنمية التي تملكها الكنيسة⁽²⁾.

ولهذا ليس مبالغا القول بأن الأمر كان اجتثاثا مفرطا للوجود الإسلامي في الأندلس، حتى صحّ أن تسمى الأمة هناك بالأمة الشهيذة، والتي لم تنج بقاياها من تلك المسلكية الجنونية إلا باللجوء إلى العدو المغربي، بعدما أصدرت الملكة "إيزابيلا" مرسوما في (12-2-1502) مرسوما ملكيا يخير المسلمين بين التنصّر، أو الرحيل⁽³⁾. ويحسن أن نسوق فتوى لأبي جمعة المغراوي الوهراني⁽⁴⁾ للمتّصّرين بالسيف والإرهاب، ورد في الفتوى التي صدرت سنتين بعد مرسوم التنصير أي سنة (1504م)⁽⁵⁾، ومع كارثة الاستعمار الإسباني واحتلاله لوهـران

(1) الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1981، ج 1 ص 117.

(2) يراجع المقرر العسكري الذي أصدره جيش نابليون عند غزوه لإسبانيا سنة 1809م. في وصف المشاهد المروعة لقاعات التعذيب ووسائلها الجهنمية في انتزاع الاعترافات من المتهمين بالردة من المسلمين وغيرهم، فقد كشفوا في دهاليز الكنائس غرقا ضيقا في حجم جسد الإنسان عمودية وأفقية يقضي فيها المدان حتى يموت، وأخرى فيها آلات لتكسير العظام وطحن الجسم، وآلة تسمى السيدة الجميلة عبارة عن تابوت ملهى بالسكاكين لتقطيع من يوضع بها، وآلات لسل اللسان، وأخرى لتمزيق أنداء النساء، وأخرى للإصابة بالجنون بتقطير الماء البارد. انظر عادل سعيد بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيذة، ط1، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2000، ص 269.

(3) عادل سعيد بشتاوي، المرجع السابق، ص 137.

(4) أحمد بن أبي جمعة، فقيه مالكي توفي حوالي سنة 920هـ من آثاره: جامع جوامع الاختصاص التبيان فيما يعرض بين المعلمين وأبناء الصبيان. انظر: معجم المؤلفين، مرجع سابق، ج 1 ص 115. معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 347.

(5) نص الفتوى "اعلموا أن الأصنام خشب منجور، وحجر جلود لا ينفع ولا يضر، وأن الملك ملك الله ما اتخذ من ولد وما كان معه من إله، فاعبدوه واصطبروا لعبادته فالصلاة ولو بالإيماء، والزكاة ولو أنها كهيدة لفقركم، لأن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن إلى قلوبكم، والغسل من الجنابة ولو عوما في البحر، وإن منعتم فالصلاة قضاء بالليل حق النهار، وتسقط في الحكم طهارة الماء فعليكم بالتيّم ولو مسح بالحيطان.... وإن أكرهوكم في وقت الصلاة إلى السجود للأصنام، أو حضور صلواتهم، فأحرموا بالنية، وانووا صلاتكم المشروعة، وأشيروا إلى ما يشيرون إليه من

تجددت النازلة حول القبائل المتعاونة مع الإسبان، والذين صدرت فتاوى بتكفيرهم، ومن ذلك مصنف المشرفي "بهجة الناظر في أخبار الداخلين من الأعراب تحت ولاية الإسبان كبني عامر"⁽¹⁾. ومع دخول الاستعمار الفرنسي، وغلبته على بعض المدن كالجزائر ووهران ومستغانم، وانحياز الجزائريين للأمير عبد القادر تجدد النقاش أيضا حول الإقامة تحت سلطة الكفار الفرنسيين، ولنا هنا أن نمايز بين اتجاهين هما:

- الاتجاه المانع من الإقامة ووجوب الهجرة: ويمثله الأمير ومن معه من أمثال وقذور بن رويلة⁽²⁾، وخاصة بعدما أفتاه التسولي بوجوب الهجرة⁽³⁾. وقد كتب الأمير رسالة قاطعة في وجوب الهجرة سنة (1258هـ- 1843م)⁽⁴⁾، وأيده ابن الحفاف⁽⁵⁾، وعلماء غريس وغيرهم، وقد تراجع ابن الحفاف عن فتواه وعاد للعاصمة⁽⁶⁾، وممن كتب فيها أيضا المشرفي⁽⁷⁾ الذي رفض الدخول تحت الحماية الأجنبية في "الرسالة في أهل البصبر الحثالة".

وربما يكون من هؤلاء محمد بن عيسى الجزائري⁽⁸⁾ الذي رحل إلى تونس سنة (1855)، وتولى رئاسة الكتابة العامة على عهد الصادق باي.

صنم ومقصودكم الله، وإن أجبروكم على شرب الخمر فاشربوه لا بنية استعماله، وإن كلفوكم خنزيرا، فكلوه ناكرين إياه بقلوبكم ومعتقدين تحريمه.... انظر: محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، ط3، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة، 1966، ص333.

(1) نشره محمد بن عبد الكريم الجزائري، بيروت 1971. وانظر أيضا ابن بكار، مجموع النسب، مرجع سابق، ص 135.
(2) ابن رويلة: من أهل العاصمة، كان أبوه وكيل ضريح النعالي، التحق بالأمير كاتبا، أسر بعد معركة الزمالة بعين طاقين (16-4-1843)، وبعد الأفراد عنه هاجر للحجاز ثم الشام أين توفي ببغروت (1855). من آثاره "شائع الكتاب وزينة الجيش المحمدي الغالب". انظر: تحفة الزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 356. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 6 ص 205. معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 107.
(3) التسولي (ت 1842م)، أجوبة التسولي عن مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد، ص301. تحفة الزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 273.
(4) محمد باشا، تحفة الزائر، ج 1 ص 339-352. "جواب سؤال المحبين قطعاً لشبه المرتدين"، وطبع باسم "حسام الدين بقطع شبه المرتدين". وانظر محمد بن عبد الكريم، ثلاث رسائل في الهجرة، الجزائر، ش و ن ت، ص 45.

(5) ابن الحفاف علي بن عبد الرحمان، ولد بالعاصمة، تتلمذ لإبراهيم الرياحي، وأجازته الرضوي البخاري، تولى ديوان الإنشاء للأمير، ثم افتاء البليدة (1859هـ) ثم ولي الافتاء المالكي وإمامة الجامع الكبير بالجزائر خلفا لحميدة العمالي سنة (1865)، من آثاره: منة المتعال في القراءات، وقد أجاز المكي بن عزوز بالبخاري. توفي بالعاصمة (1307-1890م) انظر تعريف الخلف، ج 2 ص 82. معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 121.
(6) ذكر بيرم الخامس في الصفوة أنه تراجع معه في القضية، وأقنعه بعدم الهجرة، وخاصة وأن من كان يفتي من علماء تونس بذلك مثل الشيخ النيفر الأكبر تراجع عن الفتوى بعد احتلال تونس (1881)، وقد ترجم لابن الحفاف في الصفوة، وقال إنه تتلمذ لإبراهيم الرياحي. انظر بيرم الخامس، صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، تونس، بيت الحكمة، 1999، ج 2 ص 1282. ولبيرم الخامس كتاب في أحكام الأشراف.

(7) المشرفي: أبو حامد العربي بن علي الحسني الغريسي، ولد أول القرن بنواحي معسكر، تتلمذ لأبي راس المعسكري، وعاصر ثورات الدرقاوين والتجانيين، وشارك في ثورة محي الدين وابنه الأمير، ثم هاجر للمغرب، وزار الجزائر سنتي (1849)، و(1877) أثناء حجته، وتوفي (1313هـ-1895). من آثاره: الآيات والحوادث، أئمة الجفون فيمن بعهد الله يوفون، أقوال المطاعين في الطعن والطواعين، تاريخ الدولة العلوية، تقييد في ذم أهل فاس، الحسام المشرفي لقطع لسان الساب الجعفي، الدر المكنون في الرد على العلامة قنون، ديوان، تقييد على المكودي، ذخيرة الأواخر والأوائل فيما يتنظم من أخبار الدول، ياقوتة النسب الوهاجة، الرسالة في أهل البصبر الحثالة. طرس الأخبار عجيب الذاهب والجائي في فضيحة الغالي اللجائي. انظر أبحاث وأراء، مرجع سابق، ج 2 ص 175. معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 304.

(8) محمد بن عيسى الجزائري (1828-1892)، ولد بالعاصمة وبها تعلم، رحل إلى تونس (1855) وتولى الكتابة في الوزارة الكبرى سنة (1859)، من آثاره: الثريا لمن كان بعجائب القرآن صفيا، الماس في احتباك يحجز الجنة والناس، الوسيلة في مدح أهل الفضيلة (طبع بتونس 1899). انظر معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، مرجع سابق، ج 2 ص 29.

وتركزت حجة هؤلاء على الفعل النبوي، وعلى فتوى ابن عربي الطائفي في منع زيارة بيت المقدس أثناء الاحتلال الصليبي⁽¹⁾، وقد اعتبر الأمير الباقيين الراضين بحكم الكفار من المرتدين، ودعاهم إلى ترك أراضيهم والحقاق به. ومن هؤلاء الموجبين للهجرة الشيخ المهدي السكلاوي الرحماني الطريقة⁽²⁾ الذي يلقيه الفرنسيون بالمتعصب الديني، والذي هاجر ومعه خليفة الأمير أحمد بن سالم⁽³⁾، وقد حرّم السكلاوي الإقامة وأوجب الهجرة، فالتحق به كثير من أهل زواوة، ومنهم بلقاسم أوقاسي والشيخ صالح السمعوني⁽⁴⁾.

ومن العلماء المهاجرين قدور بن سليمان المستغاني التجاني، وعمار بن الأزعر القماري، وعديد علماء الزيبان وزواوة وسوف، وتعددت أسباب الهجرة من سياسية كفشل المقاومة، واقتصادية كانتزاع الأراضي، ودخول قانون الأندجينا البغيض، أو انتزاع الحدود الشرعية من القضاء الإسلامي⁽⁵⁾، ولكن السبب الأرفع هو رفض العيش تحت ظل الحكم الكافر، وكانت بعض الطرق مثل السنوسية تحض على الهجرة إلى أرض الإسلام، ولأجل ذلك هاجر عديد المقاومين للزوايا السنوسية والرحمانية بتونس، كما هو الأمر في زاوية نفطة التي لجأ إليها أنصار بوشوشة الشعانية من متليلي وغيرها عقب سنة (1872)⁽⁶⁾.

وقد استجاب العديد من الجزائريين لهذه الفتاوى فتوالت الهجرات الفردية والجماعية سرا وعلانية، بترخيص أو بدونه، وشكّل الجزائريون جاليات كبيرة في فلسطين والشام وتونس والمغرب، واستمرت ولم تنقطع إلى تونس حتى بعد احتلالها، والدراسات حول الهجرة الجزائرية كثيرة جدا⁽⁷⁾، وهي تنبئ عن فداحة الوضع النازل بالجزائريين.

- الاتجاه المترخص للضرورة: وهو المتعلق بالفتاوى التي أصدرها شيوخ العاصمة خصوصا ابن الكبابي⁽⁸⁾، وغالب الهيئة العلمانية بها أمثال المفتي ابن الشاهد التي كتبها سنة (1253هـ-1937)⁽⁹⁾، والذي ساق حججا كثيرة من القرآن والسنة، واستشهد بفعل علماء الأزهر الذين لم يهاجروا عند احتلال نابليون لها، وانتقد

(1) محمد باشا ابن الأمير، تحفة الزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 216.

(2) الشيخ المهدي السكلاوي، ولد بدلس (1784)، فقيه رحماني الطريقة، هاجر إلى الشام (1843)، وعنه أخذ علماءها، توفي بدمشق (1862). انظر سهيل الخالدي، الإشعاع المغربي بالشرق، ط 1، الجزائر، دار الأمة، 1997، ص 270. معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 353.

(3) أحمد الطيب بن سالم: خليفة الأمير على القبائل الكبرى، استسلم سنة (1847)، وهاجر إلى الشام، أين توفي (1867). انظر تحفة الزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 399. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 509.

(4) أبحاث وآراء، ج 1 ص 194. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5 ص 509. وصالح السمعوني (1824-1868) هو والد الشيخ طاهر الجزائري، وله "رسالة في اختلاف المذاهب". انظر معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 101.

(5) ممن همّ بالهجرة بسبب ذلك القاضي محمد الشرقي المعسكري، واختار المدينة بدلا عن الشام، انظر مجموع النسب، ص 142.

(6) الحركة الوطنية الجزائرية (1860-1900)، ج 1 ص 276. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 490.

(7) عمار هلال، هجرة الجزائريين إلى بلاد الشام، (1847-1919)، ص 10-11. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 473.

(8) ابن الكبابي مصطفى: فقيه مالكي، ولد (1189هـ-1775م)، وبها درس وكذا بالقرويين، ولي القضاء (1827)، ثم ولي إفتاء العاصمة، وهو شيخ مصطفى الحرار وعبد الرحمان بن أحمد الأمين، عارض سياسة الاحتلال في مصادرة الأوقاف، نفي سنة (1843)، وتوفي بالإسكندرية، سنة (1860). معجم أعلام الجزائر، ص 273. الحركة الوطنية الجزائرية (1830-1900) ج 1 ص 301. أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 1 ص 30.

(9) محمد بن عبد الكريم، ثلاث رسائل في الهجرة، ص 107. جمال قنن، نصوص من الجزائر الحديث (1830-1500)، ص 137. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7 ص 96. البوعبدلي، الأعمال الكاملة، التراجم، ص 71. مخطوط ملحق بدكتوراه سامية بن قوينة ص 446.

الأمير وغيره في تكفير مخالفه، وأن الهجرة تلزم القادر لا العاجز من المستضعفين والمغلوبين، خاصة إذا تمكّنوا من إقامة الدين وفروضه، ولم يفتنوا فيه، كما اعترض عليهم بحجة هدم بعض المساجد بأنها أماكن وسائل وليست هي الدين، فضلا عن عسر السفر وقلة الأمن.

وممن أفتى بالبقاء الحاج البشير بن حواء المعسكري (تلميذ عدة بن غلام الله) الذي قال بأن صيانة الشريعة والبقاء وتكثير الجماعة أفضل من الهجرة⁽¹⁾.

وممن تراجع عن رأيه أيضا المشرفي في كتابه: "طرس الأخبار بما جرى آخر الأربعين من القرن الثالث عشر للمسلمين مع الكفار في عتو الحاج عبد القادر وأهل دائرته الفجار، حيث هاجم الأمير، وقال بعدم تكفير من لم يهاجر: "فصل بعنوان: فيمن عاير أخاه بالتنصر، وقال فاهجر معي إني مهاجر، وإن بقيت فأنت كافر"⁽²⁾، ولكنه تعاطف معه في: "عجيب الذاهب والجائي في فضيحة الغالي اللجائي"⁽³⁾. أي الغالي بن محمد العمراني اللجائي المنتطع على ثورة الأمير.

ومن المعلوم أن هذه النازلة في وجوب الهجرة من عدمها متعلقة بنازلة خلو الأرض من الحاكم المسلم، وتلك النازلة تداولها علماء الزائر والمغرب بعد سقوط الحكم التركي، ومراسلة أهل تلمسان المولى عبد الرحمان بالبيعة، ورفض علماء فاس لذلك لأن للجزائريين بيعة للخليفة العثماني، ورد الجزائريين على تلك الفتوى، ومن أشهر الفتاوى الموجبة للانضواء تحت السلطة المسلمة ما ورد في المعيار الجديد للوزاني⁽⁴⁾.

والمفيد أن هذه الفتاوى شكلت مقاومة أو مواجهة رمزية واستعادة لمفاهيم دار الإسلام ودار الحرب. استمر النقاش حول شرعية البقاء في الأرض التي احتلها الكفار، فقد تابع بعض علماء الطرق فتوى الأمير عبد القادر الأولى بوجوب الهجرة، وكانوا يتحنون الفرص، فلما جاءت نازلة التجنيد الإجباري هاجر الكثيرون، ومن أشهر الهجرات هجرة (1908-1911)، ومن رموزها الشيخ بن يلس والذي هاجر ومعه ثمانمائة عائلة⁽⁵⁾.

ومن الاتجاه الأخير الرفض للهجرة والمحبذ للبقاء في الجزائر عبد القادر المجاوي المتأثر بتراجع علي بن الحفاف عن الهجرة، وكذلك محمد بن عبد الرحمان الديسي الذي كتب فتوى في هذه النازلة قبيل الحرب العالمية الأولى، وسمها "أنفس درة في مسألة الهجرة"، وقد أدرك الحرج بين تياري إيجابها وجوازها، حيث قال:

(1) انظر ابن بكار، مجموع النسب، مرجع سابق، ص 135.

(2) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 97. وهو من دعاة النفوذ الشريفي المغربي على الجزائر، وهو صاحب كتاب ياقوتة النسب الوهاجة في مولى مجاجة.

(3) سعد الله، أبحاث وأراء، مرجع سابق، ج 1 ص 187. وانظر أيضا تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 368.

وفي المغرب كانت التعليقات كثيرة وانظر أيضا: في نوازل الوزاني المعروفة بالمعيار الجديد قضية بيعة الجزائريين للسلطان المغربي. انظر الوزاني المهدي، المعيار الجديد، ط 1، المغرب، منشورات وزارة الأوقاف، 1996، ج 3 ص 56. الأمير محمد، تحفة الزائر، ج 1 ص 319. وفيها سؤال عن حكم الخوارج الإباضية المعروفين في مغربنا ببني مزاب، وأسئلة عن حكم من قاتل تحت فرنسا هل هو مرتد أم لا؟ وعن الهجرة ج 1 ص 341.

(4) الوزاني، المعيار الجديد، بيعة الجزائريين للسلطان المغربي، النوازل الجديدة، ج 3 ص 56. أجوبة التسولي، مرجع سابق، ص 399.

(5) عمار هلال، أصداء الهجرة الجزائرية نحو بلاد المشرق في بعض التقارير الفرنسية، مجلة الثقافة، العدد (جوان-جويلية) 1985. عمار هلال، الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام (1847-1918)، الجزائر، دار غرناطة، 2013، ص 28.

كلام الفريقين دائر بين التشديد والتخفيف، والتثقيل والتلطيف"⁽¹⁾، وقد فضل هو البقاء والتمسك بالإسلام والأوطان على الهجرة لما رأى من عودة بعضهم وقد تغيرت أحوالهم وضاعت ممتلكاتهم، وكان تحرير فتواه سنة (1913).

5- قضايا الردة:

من المعلوم أن قضايا الردة لصيقة بالجدل الفقهي حول الإقامة بين الكفار والرضا بحكمهم، وقد استعرت في القرن الماضي، والذي افتتح ببعض القضايا الغريبة عن المجتمع الجزائري ففي سنة (1834) طرحت نازلة ارتداد امرأة - اسمها اللوز بنت نوار من حجوط- ثم تعميدها وتهريبها للتزوج بأحد العسكريين الفرنسيين، مما تسبب عنه انتهاك لحرمة محكمة الكبابطي الذي هدد بالاستقالة، وحصلت إضرابات في المحاكم لإسلامية، في حين هاجر القاضي عبد العزيز (سي وعزيز) الذي حكم بردة المرأة وإعدامها لكونها محصنة تبعا لفتوى الكبابطي إلى المغرب، وخلفه أحمد بن جعدون، والمهم أن حركة شعبية احتجاجية تمت ضد انتهاك حرمة القضاء وتهريب النساء في هذه السابقة الخطيرة⁽²⁾.

ومن ذلك الحكم بالردة على المخالفين، أو الرافضين للمقاومة، أو المحتممين بالكفار مثل قبائل وجماعات الزمالة والدوائر، وهم ممن سماهم الأمير عبد القادر بالمتنصرة، وذلك في رسالة كتبها في عز الحرب العوان سنة (1843)⁽³⁾. والموضوع مستوفى في رسالة "حسام الدين لقطع شبه المرتدين". ومما ترتب على هذا القول بتكفير الدوائر والمتعامل مع الفرنسيين، كفتوى الفقيه أبو علي محمد بن مزيان-الذي درس بتلمسان وفاس، واستقضى بندرومة- وفر من تلمسان إلى ييدر، وبها قتله رجل كرغلي- بأمر من الأغا المزاري - لأنه كان يفتي بكفر أهل الدوائر، سنة (1250-1834م)⁽⁴⁾.

ويلحق بهذا الخلاف مع بني مزاب، والحكم عليهم في عدم تعاونهم مع الأمير، وقد أرسل هذا الأخير لقاضي فاس عبد الهادي العلوي أسئلة تتعلق بهم، كعدم صلاتهم مع المسلمين، والأقوال الواردة في المذهب بتكفيرهم أو بغيمهم وخروجهم⁽⁵⁾.

والمهم أن النقاش أعيد جذعة مع بروز ظواهر المتنصرين تحت سيف الفاقة والحاجة والاضطرار أيام المجاعات التي نكب بها الجزائريون، ووجدنا فتاوى متداولة في الذاكرة الشعبية مثل "اللي يروح لباري-باريس- من أمتي باري"⁽⁶⁾، وتحريم لقاء الفرنسي، وإعادة الوضوء من لمسه بل وحتى من رؤيته، وتجدد النقاش بقوة مع أفواج المتجنسين الأولى في مطلع القرن، وهو ما سنعود إليه في الفصل الثاني والثالث.

(1) الديسي، أنفس درة في مسألة الهجرة، منشور ضمن ذاكرة الجزائر، مرجع سابق، ج 3 ص 27.

(2) أعلام من المغرب العربي، ج 1 ص 26. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4 ص 424. البوعبدلي، الأعمال الكاملة، التراجع، ص 67.

(3) تحفة الزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 268. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7 ص 94.

(4) الزقاي، إتمام الوطر، ذاكرة الجزائر، ج 7 ص 127. والكتاب أتمه سنة (1867)، انظر تعريف الخلف، مرجع سابق، ج 1 ص 417.

(5) تحفة الزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 319.

(6) محمد عبد الحليم بيشي، تطور الثورة الجزائرية في ناحية غرداية، مرجع سابق، ص 27.

ومع نازلة التجنيد الإجباري سنة (1911) أفق الشيخ محمد بن يلس التلمساني الدرقاوي الطريقة برودة وكفر من استجاب للتجنيد⁽¹⁾، ونتيجة لذلك فر الكثير من الشباب وهاجرت عديد العائلات خارج الوطن.

6- القبض والسدل:

مع مطلع القرن العشرين اهتم الجزائريون والمغاربة بالتأصيل لمذهب مالك بعد طباعة كتب المذاهب الأخرى، وكانت قضية القبض والسدل مثار نقاش، وابتدأ الأكر من قبل مع السنوسي محمد بن علي في رسالة "القبض والتقليد"، ثم وجدنا المكي بن عزوز يؤلف "هيئة الناسك في أن القبض في الصلاة هو مذهب مالك"⁽²⁾، ولمحمد الخضر الشنقيطي (1351هـ) "إبرام النقض لما قيل في أرجحية القبض"، وألف محمد بن قاسم القادري (1331هـ) رسالة في كراهية القبض، وأحصى محمد العلي ثلاثا وعشرين رسالة في الموضوع⁽³⁾. وممن أسهم في هذا الجدل عاشور الخنقي في "شرح الويل الصباح على بيتي الكلب النابح"، وقد تضمن الدفاع عن سنية السدل عند المالكية، وهو رد على المولود بن الموهوب مفتي قسنطينة التي انتقص من الشيخ حمدان الونيسي الذي رد على المكي بن عزوز في أرجحية القبض، فمما جاء فيه⁽⁴⁾:

فعن ابن القاسم الطود القرط عنه لا أعرف هذا القبض قط

بل أنا أنكره فهو غلط في صلاة الفرض والنفل المحط

لحديث فيه عندي فافهما

وقد قرظ حمدان الونيسي كتاب "نصرة الفقير السالك على من أنكر مشهورية السدل في مذهب مالك" لمحمد بن يوسف الكافي التونسي، وانتصر لهذا الرأي وكتب هذا لتقريظ سنة (1328)⁽⁵⁾ وممن شارك في النقاش وانتصر للسدل عند المالكية الشيخ محمد الخرنشي النابقي الأزهري (من قرية تلمان ببني ورتلان) بمنظومة "السيف المسلول في الرد الوجيع على منكري سدل الرسول"⁽⁶⁾، ولا يخفى أن هذا الجدل الفقهي حول القبض والسدل يخفي خلفه موقفا فكريا تجاه التجديد والإصلاح والالتزام بالتقليد أو النزوع نحو الانفتاح والاجتهاد، حيث وقف الطرقيون في الجهة المحافظة على التراث والتقليد المالكي، في حين كانت توجهات الإصلاحيين مع التجديد والانفتاح على المذاهب الأخرى، مما جعل الأولين يرمونهم بالعبودية وبالوهابية كما هو الحال في القصيدة الهجائية الألفية التي صاغها عاشور الخنقي والموسومة "عصا موسى والأشعرية في هجاء الطائفة العبودية".

(1) خالد مرزوق، المختار بن عامر، مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان، مرجع سابق، ص 39.

(2) انظر الحسيني محمد علي الرضا، رسائل بن عزوز، ط 1، د، ط، 1984، ص 31.

(3) محمد العلي، الدليل التاريخي لمؤلفات المذهب المالكي، ط 1، الرباط، الرابطة المحمدية للعلماء، 2012، ص 357.

(4) بيثي، مقدمة منار الإشراف، مرجع سابق، ص 39. لحسن بن علجية، الإمام حمدان الونيسي، حياته وآثاره، مرجع سابق، ص 166.

(5) الكافي التونسي، نصرة الفقير السالك على من أنكر مشهورية السدل في مذهب الإمام مالك، ط 1، المغرب، دار الأمان، 2003، ص 55. بن

علجية، الشيخ حمدان الونيسي، مرجع سابق، ص 127.

(6) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 102

7- الصلاة المبتدعة في آخر جمعة من رمضان:

وهي الصلاة التي طلب الشيخ أبو القاسم البوجلبي من تلميذه ابن زكري إبطالها لكونها مخالفة للسنة⁽¹⁾ وهي فتوى نهي عن البدعة من أحد رموز التصوف الجزائري وشيخ الرحمانيين في زمانه، والذي كان قاضي العسكر في ثورة المقراني والحداد.

وهي سابقة ستكرر مع هجوم رموز الإصلاحيين على أنواع من البدع الشعائرية في العشرينيات كما سيأتي.

8- ثبوت الهلال:

وهي معركة فقهية بدأت في القرن الماضي، ومن رجالها محمد بن مصطفى المشرفي صاحب "الكي بمحاور البغال وقتل العقرب بالنعال في رد ما فاه به بعض الأندال الذي جهل أنه من أهل الضلال"، في الرد على علي بن الحفاف وتلميذه القليل أحمد بن محمد بن أبي طالب⁽²⁾ الذي ألف "الإنصاف في نصرة نجل الحفاف ورد اعتراضات السفساف"⁽³⁾. وستمند المعركة في هذا القرن وتتطور بعد دخول رجال الإفتاء الرسميين في الموضوع، ووجدنا مكتوبات وفتاوى للقاضي شعيب التلمساني في الموضوع بعنوان "المقالة المسهبة الحسنة في عدم اعتبار الأخبار المفاضة على الألسنة إذا لم يوجد لها أصل ولا بيئة"، وهي حسب رسالة في اختصاص المفتين والقضاة في إثبات شهر رمضان، وكان تأليفها ربما مطلع القرن العشرين، والظاهر أنها إجابة عن شكوى أحد المفتين ردا على شكوى متعلقة باختصاصات القضاة في مرسوم (17-4-1899)⁽⁴⁾. وله رسالة في الرد على من قال إن هلال رمضان يحكم به المفتي لا القاضي. ووردت بهذا العنوان أيضا، وربما هي ذات الرسالة السابقة. وسيتجدد الأمر في صراع جمعية العلماء مع رجال الهيئة الرسمية، أو في جدل المحافظين والإصلاحيين الإباضية في ثبوت الهلال بالهاتف والتلغراف.

9- الكد والسعاية:

وجدنا هذه النازلة الغريبة في استفتاء طرح على جريدة كوكب إفريقيا، من قبل مواطن جزائري من شاطودان (شلغوم العيد)، واستشكله كما ورد: "في إمكانية اشتراك المرأة مع زوجها في التصرف داخل البيت وخارجه، وهل هذا الإمكان محمول على الوجوب أو على الاستحالة أو على الإساءة فقط، وإذا أوجب العلماء مشاركتها فما هي النتيجة التي تنجر من وراء ذلك، وهل مشاركة الزوجين متساوية، أم هناك فرق؟" وانتدبت الجريدة من يفتي في النازلة، وجعلت له هدية قيمتها ساعة فضة من خمس وعشرين فرنكا. واشترك في الإجابة حسبها

(1) جريدة البصائر، مقال أبي يعلى، ع 130 (9-9-1938)، ص 4. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3 ص 206.

(2) البوعبدلي، قسم التراجم، ص 17. وهو أبو طالب أحمد المدعو المجاهد بن محمد بن عبد القادر بن علي أبو طالب أخو محي الدين والد الأمير.

(3) في الرد على بلديه محمد المصطفى المشرفي. الذي ألف رسالة سماها "الإشراف في الرد على الحمار الهفاهف". في قضية ثبت هلال رمضان، ثم رد المشرفي برسالة سماها (السهام الصائبة في رد الدعاوى الكاذبة)، ورد أحمد المجاهد برسالة: "الحسام في تكسير السهام". تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 101.

(4) كناشة شعيب ص 28. عبد الحفيظ الفاسي، معجم الشيوخ، رياض الجنة أو المطرب المدهش، تحقيق عبد المجيد خيالي، ط 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2003، ج 2 ص 238.

كل من: الشَّيخ عبد الحميد ابن باديس، والشَّيخ البوعبدلي بوعبد الله البطيوي، والقاضي حشلاف، وغيرهم⁽¹⁾. ولا ندري لحد الساعة الأجوبة؟

10- أشكال الذكر والقراءة.

وهو ما نجده في النقد المبكر للمولود الزريبي في انتقاد بعض العوائد الفقهية من قراءة المعقبات جهرا وجماعة، وقراءة البردة في الجنائز، والقراءة جهرا في المساجد جماعة⁽²⁾. وهو في ذلك يستند إلى بعض مقولات المدرسة المالكية الأولى المجافية للمحدثات، وهو ما كان في بعض فتاوى الشاطبي أو ما خطه في كتابه الاعتصام، أو ردود مفتي غرناطة ابن لب عليه كما هو الوارد في كتاب المعيار للونشريسي. ووجدنا عمر راسم ينشر الموشح الجزائري لسعد الدين بلقاسم خمار يدعو فيه لركوب أسباب العلم ورفض الاختلاف، وترك المبتدعات ظهريا، ومن ذلك بدع الذكر والفلكور الملاصق له، في قوله⁽³⁾:

فهل ما نحن عليه — من جمود وخمود وخمول
يكرم الدجال بل يسعى إليه — ويهان علماء وفحول
فهل الذكر بتصفيق هل الدين بنقر الطبول

11- العادات واللباس.

شغلت قضية اللباس والعادات الموروثة من العمائم والطرايش العقل الفقهي للعلماء الأوائل، إذ مع الصدمة الحضارية الأوروبية انغمس بعض الجزائريين في الثقافة الفرنسية واستبدلوا الألبسة التقليدية بالإفريقية، مما جعل المواقف تتباين ووصلت إلى حد القول بالردة، ووجدنا بعض العلماء يستمسك بالأنماط القديمة في اللباس كما هو حال ابن أبي شنب وابن سماية، ولكن معاصرهما الكمال ابن الخوجة كان متوسطا ويريد للجيل الجديد أن يبقى داخل الرسوم الإسلامية، فكتب مشروعا " اللباس في أحكام الزينة واللباس والاحتجاب"، ورمى فيه إلى القول بأن الشريعة الإسلامية سهلة لا عسر فيها ولا تضيق ولا تشديد⁽⁴⁾. وندب إلى النظافة والتجمل، والاقتداء بالرسول في اللباس الحسن.

ولم يعتبر لبس البرنيطة والقبعة من دلائل الردة، بل قال إنها من عادات المسلمين كما هو الحال عند الأفغان، وكذلك المضلات عند المغاربة والجزائريين⁽⁵⁾، وأيد رأيه بجواب محمد عبده له في زيارته للجزائر (1903)، وأفتاه بالجواز لأنها ليست رمزا دينيا، وشفع ذلك بذكر الفتوى الترنسفالية في رسالته هذه⁽⁶⁾.

(1) جريدة كوكب إفريقيا ع 199 (24 صفر 1329هـ- 24 فيفري 1911م).

(2) جريدة كوكب إفريقيا ع 348، السنة 8، (2 جانفي 1914) ص 3، مقالات الزريبي، مرجع سابق، ج 1 ص 24.

(3) ذو الفقار، قصيدة الموشح الجزائري، ع 4 (1-14-1914)، ص 8.

(4) الكمال بن المضربة، اللباس، ص 108. كما أن لمحمد ابن الأمير كتبا تصب في الموضوع مثل: كشف النقاب عن أسرار الاحتجاب، الفاروق والترياق في تعدد الزوجات والطلاق، ذكرى ذوي الفضل في مطابقة أركان الإسلام للعقل. انظر أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 2 ص 122.

(5) الكمال بن الخوجة، اللباس، مرجع سابق، ص 100.

(6) الكمال، نفسه، ص 104. محمد رشيد رضا، مجلة المنار، إرشاد الأمة الإسلامية إلى أقوال الأئمة في الفتوى الترنسفالية، ج 7 ص 427.

12- نقد الأعراف الفاسدة في ميراث المرأة:

ابتدأ ذلك النقد عالياً عند الشيخ محمد السعيد ابن زكري-مفتي المالكية- الذي حمل حملة شعواء على الأعراف الاجتماعية القبائلية في الموقف من ميراث المرأة وحرمانها من حقوقها الشرعية، وقضايا الطلاق والعضل وإكراه النساء، وبعد كتابه أوضح الدلائل على وجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل توثيقاً مهماً للصورة الاجتماعية التي كانت تحياها المرأة في منطقة القبائل، فقد دعا إلى العودة إلى أحكام الشريعة بدلاً من العرف الجائر الذي سيكون مطية للبعض للانسلاخ من ربة الدين الإسلامي وعدالته الرشيدة، والارتقاء في الوافد الأوروبي الجديد بما يحمله من وعود خلافة لتحرير المرأة.

كما يشير ابن زكري في كتابه هذا الصادر سنة (1903) إلى الاجتماع الذي عقده مشائخ آث بترون سنة (1162-1749م) وقرروا فيه منع المرأة من الميراث والشفعة واسترجاع صداقها كله إن طلقت قبل الزواج⁽¹⁾. وفي قانون مملكة كوكو لا ترث المرأة، ولكنها معوضة مدى الحياة لباساً وأكلاً وإقامة من الميراث المكفول لغير المتزوجة وللمطلقة على السواء⁽²⁾. وهي أعراف لم تكن خاصة بالجزائر، بل لها نظائر في جبال المصامدة بالمغرب الأقصى⁽³⁾.

والظاهر أن هذه الدعوات لاستعادة ميراث المرأة بدأت تدخل أورقة المحاكم، كما هو الأمر في إخطار القسم القبائلي من النيابة المالية الذي وجه استفتاء للحكومة في (22-5-1902) في إبطال عادات دوازي بني فليق وأموزن من بلدية أزفون المختلطة، وقضى بعدم بقاء المرأة تحت سلطة ورثة المتوفي⁽⁴⁾. الخلاصة: كان هذا الجدل الفكري والفقه في بعضه استمرار لجدل القرن التاسع عشر، وفي بعضه الآخر كان جديداً، واتسم بالاختزال نظراً لعسر التواصل، وقلة المطبوعات، ولكنه سيكون مؤهلاً لأن ينفجر بشكل أكبر وأعمق في العقدين القابلين بين تيار الإصلاحيين والطرقين كما سيأتي لاحقاً.

(1) انظر محمد عبد الحليم بيثي، تحقيق أوضح الدلائل لابن زكري، مرجع سابق، ص 186.

(2) انظر ساهي، أعلام من زواوة، ص 144. وانظر في تحليل عدم التوريث أبو يعلى الزواوي، تاريخ زواوة، ص 169.

(3) الظاهر والشائع أن حرمان النساء من الميراث لم يختص به القبائل في تيزي وزو بل كان شائعاً عند بربر الأطلس الكبير في المغرب، بحجة عدم إدخال الغرباء إلى ما تحوزه القبائل البربرية، وقد ألف في إنكار هذه البدعة الإمام محمد الكيكي في كتابه "مواهب ذي الجلال في نوازل البلاد السائبة والجبال" قضى فيه ببطلان الهبة والحيابة التي يحتال بها لمنع الإناث من الميراث ودعم رأيه في نقض هذه الأعراف البائسة بنصوص مطولة من المدونات المالكية.

(4) جريدة المغرب، مقال "إبطال عادة"، ع 30 (25 ربيع الثاني 1321هـ--19-7-1903)، ص 1.

المبحث الرابع: تجليات العلاقات الإصلاحية الطرقية في العقدين الأولين (1900-1919).

أطبقت فرنسا خناقها على الجزائر، وأخمدت بقوة المدفع المقاومات الشعبية التي قادها في الأغلب شيوخ الزوايا والثائرون المرابطون والأجواد وأبناء الخيام الكبيرة، وكانت المصارع متعددة والمنافي بعيدة والمصادرات والتهجير والتفكير سمة القرن الماضي، وتوالت القوانين الجائرة من قانون "سانتو كونسلت" سنة (1865)، وقانون الأهالي (1881) ومحاكم الاضطهاد (1902)، وما بينها من قوانين ومراسيم ضد التعليم والقضاء الإسلامي والأوقاف كافية لتسكين حركية المجتمع وإدخاله في سبات الجهل والخرافة، والتعلق بالأوهام انتظارا للفرج أو خروج المهدي مولى الساعة لإنقاذ الجزائريين من هذا الليل الاستعماري الحالك.

المطلب الأول: السياسة الفرنسية والوضعية الدينية بالجزائر.

مع تصاعد قوة الجمهورية الثالثة التي زحفت على إفريقيا الغربية واحتلت تونس المجاورة، والهدوء النسبي في السياسة الدولية بعد استقرار مناطق نفوذ القوتين الاستعماريتين الكبيرتين فرنسا وإنجلترا وتمدد نفوذهما في المنطقة العربية بتراجع وترهل الخلافة العثمانية، وكذا استقرار الكولون وتوطنهم واعتيادهم على الحياة في الجنة الجديدة واطمئنانهم إلى كسر سيف الجزائريين، كل ذلك أدى إلى التالي:

1- التغير النسبي للسياسة الفرنسية:

بعد الاطمئنان إلى انتهاء نفس المقاومة من الطرق الصوفية، ولشرعنة الاحتلال بدأ الاستعمار بالاستجابة الضئيلة للحاجات الروحية للسكان، حتى يثبت شرعيته وعدم عدائه لدين السكان، فكانت السياسة تقتضي الآتي:

أ- حكام منفتحون على الحضارة العربية: مثل شارل جوناك الذي حكم طوال العقد الأول، وكان مساندا للإصلاحات في الجزائر مواكبا لما سمي بالحكم الذاتي أو اللامركزية⁽¹⁾، واهتم ببعث الطابع الموريسكي، وترك بصمة في خطط العاصمة في مثل البريد المركزي، وأنشأ المدرسة الثعالبية، وطور المدارس الثلاث لتصبح في هيئة عمرانية إسلامية تنافس الزيتونة والقرويين، وأصدر قرارات باعتماد بعض المعالم آثارا تاريخية، وكان من المؤيدين لفلسفة تطور الجزائريين داخل حضارتهم بدعم وغطاء من فرنسا⁽²⁾، ومرجعية ذلك أنه من الحقوقيين، وقد ناله مديح الرسميين، فمن ذلك ما قاله فيه أبو القاسم الحفناوي⁽³⁾:

في كل جيل من الأجيال أختيار---وخيرهم من له في العلم أخيار
واستخلفوا دول الجمهور قائمة---لكل علم له في العصر أنوار
وهذه آية العرفان مشرقة-----بالثعلبية نعم الاسم والجار
شيدت وتاريخها لحينا فتحت----وذو الولاية نجم العصر جوناك.

(1) سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 2 ص 83. وجوناك (1857-1927)، حكم الجزائر لفترات ثلاث (1900-1901)، ثم (1903-1911)، ثم (1918-1919). وعن اهتمامه بالآثار الإسلامية انظر تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 146.

(2) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 239.

(3) صالح خرفي، شعر المقاومة الجزائرية، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د. ت.، ص 170.

وقد ذكر الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد أنه اشتكى له عدم وجود الجرائد الإسلامية في الجزائر وذلك عندما التقاه بباريس سنة (1903)، فرد جونار: "بأنه لم يوجد من يستحق الامتياز لإدارة جريدة، وتكون فيه أهلية لذلك فيمنحه إياها"⁽¹⁾.

ولكن هذه السياسات الانفتاحية كانت محل تشكيك من بعض المستوطنين، وحتى من بعض المستشرقين الرافضين للتراجع عن الإساءة، والذين قال بعضهم: "لقد اصطنعنا إسلاما فذا في العالم في الجزائر، بدون أوقاف، وبمساجد إدارية، وأهل دين ورعين، وقضاة موظفين، وحج بالترخيص"⁽²⁾.

اتضحت الصورة باستقرار الحكم الفرنسي بقرار (23-8-1898) الذي قرر الحكم الذاتي للجزائر بإنشاء منصب الحاكم العام، ومجلس استشاري (مجلس الحكومة الأعلى) ثم بقرار الاستقلال المالي للجزائر بقرار (19-9-1900) بنواب مالين فرنسيين وجزائريين موالين⁽³⁾، والنتيجة استمرار الفرنسيين في ذات السياسة التي أوصى بها دهاقنة الاستعمار أمثال رين وديبون وكوبولاني في تفتيت الطرق دون مواجهاتها أو الانتقام منها، حتى لا تفقد قوتها، أو يتحول زعمائها إلى شهداء: "فقد أخذت هذه السياسة تتحدد، وذلك عن طريق أخذ إجراءات تضمن تفتيت الطرق وإضعافها والاستفادة منها، دون القضاء عليها أو مواجهتها، وسيكون لهذه السياسة عواقبها خلال العشرينات والثلاثينات من هذا القرن عندما ظهر وكأن هذه الطرق قد استنفدت طاقتها وأدت دورها، وكان عليها أن تترك المجال لموجة جديدة من حماة الدين وهم رجال الحركة الإصلاحية"⁽⁴⁾.

ب- الفتح النسبي للأبواب الجزائرية أمام بعض العلماء كمحمد عبده، أو بعض الوفود الرسمية مثل الوفد المغربي الذي قاده محمد الجباس سنة (1319هـ-1901)⁽⁵⁾، رئيسا للوفد الذي ابتعثه السلطان عبد العزيز العلوي (1908-1994). وسجل الكمال بن الخوجة تحركات الوفد وزياراته في كتاب خاص قرظه المجاوي.

ج- تمويل المساجد: وذلك بتمويل ضئيل لبنائها وصيانتها، وعلى الرغم من ضآلة عدد المسيحيين فإن ميزانية الكنائس كانت ثلاثة أضعاف المساجد⁽⁶⁾، وبقيت المساجد تؤدي الحد الأدنى من المهام والمناشط الدينية كالتهليل القرآني والصلوات وإحياء المناسبات، والحفاظ على بعض التقاليد كالحضور وهو قراءة البخاري، وقراءة كتاب "تنبيه الأنام". وكانت المساجد قد صُنفت منذ منتصف القرن الماضي إلى خمس درجات، والأولى لا تكون إلا في المدن (ثلاثة في العاصمة، واثنان في قسنطينة، وواحد في تلمسان) وهي المسموح لها بالتدريس، وفي عهد جونار صدر مرسوم (5-5-1900) بتنظيم برنامج موحد للمدرسين الذين لم يتجاوزوا واحدا

(1) جريدة الصديق، أبو يعلى "ما هي الجرائد وما هي وظيفتها"، ع 50 (20-2-1922)، ص 2. الشهاب، أبو يعلى الزواوي "تكرار الاعتداء على أصحاب الشهاب"، ع 92 (14-4-1927)، ج 2 ص 980. حماني، صراع بين السنة والبدعة، مرجع سابق، ج 1 ص 145.

(2) مجلة العالم الإسلامي (سبتمبر 1910) ص 79، نقلا عن تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 535.

(3) سعد الله، الحركة الوطنية، ج مرجع سابق، 2 (1900-1930) ص 86. وكان المجلس المالي يتكون من (27 جزائريا و33 فرنسي)، أما مجلس الحكومة الأعلى فيتكون من (7 جزائريين و53 فرنسي).

(4) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 292.

(5) ابن الخوجة، عقود الجواهر في حلول الوفد المغربي بالجزائر، ص 163. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7 ص 199. ج 5 ص 578.

(6) أجرون، المسلمون الجزائريون وفرنسا، ج 2 ص 468. ميزانية (356.900 فرنك)، مقابل (812.200) للكنائس.

وعشرين، وعليهم تفتيش دائم من الفرنسيين لتطهير الدروس من المواد الخطرة كما هو توصيف المستشرق ألفرد بل مدير مدرسة تلمسان⁽¹⁾.

كما برزت ظاهرة تقليص رجال الهيئة الدينية، وألحق المدرسون بسلك المعلمين وأخرجوا من السلك الديني، واقتصرت دروسهم على الوعظ وبعض الفقه والتوحيد⁽²⁾. وكان يطلق عليهم "رجال الإكليروس الإسلامي" وبلغ عددهم سنة (1900) مائة وتسعة وأربعين إماما فقط⁽³⁾، وكان هذا استجابة لما طرحه بعضهم منذ أواخر القرن الماضي بتعيين أئمة موظفين، قصد إدماجهم في المنظومة، وجعلهم مخبرين، وتسليط بعضهم على بعض، والغرض امتصاص التعليم المسجدي، وتوجيه العدد الأكبر للمدارس الفرنسية والعدلية.

د- قانون فصل الدين عن الدولة في (27-9-1905)، والقاضي بفصل الديانتين المسيحية واليهودية عن الدولة، في حين تبقى المؤسسات الإسلامية تحت رقابتها، وفي مقابل ذلك سمحت الدولة بتأسيس جمعيات دينية للإشراف على المساجد بموجب مرسوم جوناو (30-3-1909)⁽⁴⁾. فنشأت بعض الجمعيات الأولى لذلك كما في تلمسان، والتي رأسها المفتي جلول شلي⁽⁵⁾، والغريب أن فرنسا اللاتينية المعادية للأديان في الظاهر لم تقف الموقف ذاته في استقلالية الديانتين النصرانية واليهودية، وعاملت الإسلام بموقف المتسلط المراقب لمساجده وزواياه، بل إنها بنت الكنائس من أموال الأوقاف الإسلامية، وكانت من الكثرة بما لا يوازي تعداد المتدينين بالنصرانية.

المطلب الثاني: العلاقات الوفاقية بين المحافظين الإصلاحيين والطرقين.

من الصعوبة بمكان تصنيف العلماء في هذه الفترة إلى هذا التصنيف المتقابل بحكم أن من نسميهم إصلاحيين هم في الغالب من العلماء المحافظين ذوي النزعة التجديدية من جهة أولى، ومن جهة ثانية فإن أكثرهم ينتمون إلى طرق صوفية، ولكن المستفاد هو غلبة الصوت التجديدي عندهم على الصوت المحافظ، ويمكن التمثيل لذلك بالآتي:

أ- المحافظون الإصلاحيون: المجاوي (قادري الطريقة)، وابن سماية (تجاني الطريقة)، والديسي (رحماني الطريقة)، ابن مهنا (حنصالي الطريقة)، عمر بن قدور (إصلاحي محافظ ثم تجاني).

ب- التجيديون: ابن أبي شنب، الكمال بن الخوجة، عمر راسم، المولود الزيري، وهم عبدويو النزعة.

ج- الرسميون: ابن زكري، المولود بن الموهوب، أبو القاسم الحفناوي، الوانوي، شعيب الجليلي، قدور بن غبريط.

(1) تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3 ص 62-65. وصدر قرار (6-5-1905) بتنظيم الدروس المسجدية، نفسه، ج 3 ص 67. وكان بل يهتم باستغلال جهود الغوثي بوعلي وعبد السلام بن القاضي شعيب، ويهتم بل أيضا بمعاداة الإبراهيمي والإصلاحيين والوطنيين بتلمسان. انظر مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان، مرجع سابق، ص 331.

(2) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 363. ج 4 ص 346.

(3) آجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا، مرجع سابق، ج 2 ص 469.

(4) انظر بوكسيبة، نفسه، ص 55 عن حسين بوزهار، نفسه، ص 103.

(5) خالد مرزوق ومختار بن عامر، مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان، مرجع سابق، ص 289.

د-الطريقيون: عاشور الخنقي، ابن قشوط، الطاهر العبيدي في الشرق، وابن عليوة وغيره من شيوخ الغرب الجزائري في زوايا مازونة ومعسكر وتلمسان وغيرها.

لا يمكننا تجلية علاقات الوفاق أو الخلاف بظهور واضح لقلّة المكتوبات، ولعدم تمايز الصفوف التنظيمية كما هو الشأن في العشرينيات والثلاثينيات والأربعينيات، ولكننا يمكن تلمس القضايا والعلاقات الوفاقية فيما يأتي:

1-الثناء المبادل: وبرز ذلك في ظواهر الإجازات والزيارات المتبادلة، والمدائح والقصائد الإخوانية، والنماذج من ذلك قليلة، ولكننا يمكن أن نستشهد بالشيخ عبد الرحمان الديسي الذي مدح ابن باديس وعائلته، وتوسل بهم قائلا: ⁽¹⁾

ووالده وأخوته وصنهم-----بسر القطب والسبع المتاني

ومرجع ذلك يعود إلى انتماء الجميع آنذاك للطريقة الرحمانية التي تتبعها عائلة ابن باديس أو زاوية الهامل. ومن شواهد ذلك الثناء الرسائل الإخوانية بين ابن باديس والشيخ الطاهر العبيدي، حيث زار ابن باديس تقرت سنة (1913)، ومن مكتوباته للعبيدي: "سلام كما تفتحت الأزهار في نسمات الأسحار، وتحية تحيي قديم التذكار وإن شطت الديار، فإني كتبته إليكم من حضرة قسنطينة، يوم قدومي من رحلة كنت أعملتها من ناحية الجزائر وتلمسان، لزيارة الأحياء والأموات من العلماء والصلحاء وأعيان الزمان، فتشرفت بسادات كثيرين منهم العلماء والصالحين، ومن أعظم الجميع قدرا وأشهرهم ذكرا، سيدي أبي مدين الغوث، وسيدي محمد السنوسي بتلمسان، وسيدي محمد بن عبد الرحمن، وسيدي عبد الرحمن الثعالبي بالجزائر، ودعونا للمؤمنين عامة وإخواننا، بما نرجو من الله تعالى فيه القبول وبلوغ المأمول، وذكرت لكم هذا لما أعلمه فيكم من محبة الصالحين..⁽²⁾

ومن ذلك إجازة ابن باديس لشعيب الجليلي بسنده للبخاري عن شيخه حمدان الونيسي والتونسي سالم بوحاجب، وذلك أثناء زيارة ابن باديس لتلمسان في (5 مارس 1919)⁽³⁾.

2-الدفاع عن التصوف المعتدل: وهي سمة عامة في مكتوبات ذلك العقد، والشواهد من ذلك ما خطه شيخ الجماعة المجاوي في مختلف كتبه، فعلى مهييع المتوسطين من متصوفة الجزائر كتب شرحا مقتصدا لمنظومة المنزلي في التصوف القادري، ودعا فيه إلى الالتزام بالذكر والآداب الشرعية ⁽⁴⁾، وإلى اختيار شيخ الطريقة العابد الوثيق، وذلك في نقد مبطن لشيخ الوقت: "وهكذا ينبغي أن تكون شيوخ الطرق بخلاف ما نشاهده اليوم في بعض مشايخ الطريق، فنسأله سبحانه النجاة والله أعلم"⁽⁵⁾.

(1) ديوان الديسي، منة الحنان المنان، ضمن الأعمال الكاملة، ج 1 ص 164، اعتنى به أحمد بن روان.

(2) عبد القادر عثمان، الزوايا والتعليم الديني، مجلة الامام مالك بن أنس، ع، دار الهدى، 2002، ص 20.

(3) كناشة شعيب، و194. والإجازة مصورة في موقع عبد الحميد ابن باديس.

(4) المجاوي، شرح منظومة آداب المريدين، ضمن ذاكرة الجزائر، مرجع سابق، ج 5 ص 31.

(5) المجاوي، شرح منظومة آداب المريدين، نفسه، ج 5 ص 37.

وفي التقاليد التراتبية الطرقية تابع المجاوي السالفين في وجوب البيعة الصوفية لمزيد التزام السالك بالأذكار والآداب⁽¹⁾، وحشى شرحه بمناقب وفضائل عبد القادر الجيلاني الذي هو (الباز الأشهب، الراوي من سر الله، إمام المعتبرين، وسيد المربين، ومصباح العارفين)، واعتبر طريقته أصل الطرق كلها، ومنها تفرعت باقي الطرق الصوفية⁽²⁾.

وفي سياق الترسخ للمفهوم السياسي الموازي للطرقية كزّر المجاوي عقائدهم في الهيكلة الغيبية للديوان الصوفي المشكل من (قطب الأقطاب، قطب الإرشاد قطب البلاد، قطب المتصرفين، الأوتاد الأربعة، الإمامان، الأبدال السبعة، النقباء الاثني عشر، النجباء الثمانية، الحواريون، ختم الأولياء، رجال الغيب، رجال الحنان، رجال الهيبة والفتح، رجال المعارج العلى، الإلهيون الرحمانيون، رجل الاستطاعة، إلخ⁽³⁾)، وفي ثنايا الشرح يشيد المجاوي بالمعاصرين من شيوخ الطريقة كالشيخ ماء العينين⁽⁴⁾ الذي يعتبره شيخه ووسيلته، ونقل له قصيدة في المقامات السلوك، كما أنه لم يستنكف عن مهاجمة بعض المعاصرين الطاعنين في النسب الشريف لعبد القادر الجيلاني⁽⁵⁾.

3- رفض القهر والإذلال: تنادت بعض الأصوات العلمانية لمجافاة القهر الديني والإذلال الاجتماعي، والنقد الخفي للمحتل الفرنسي، والذي عبرت عنه بعض المقولات والأشعار المتداولة، ومرجع ذلك عدم براءة الجمهورية الثالثة من السلوكات المشينة أيام الحكم العسكري، فقد استمرت الأحكام القضائية القاسية، ونشأت المحاكم الرادعة بعد ثورة عين التري (1901)⁽⁶⁾، وربما خفّ النفي خارج البلد مطلع القرن العشرين، ولكن السجون كانت جحيما للمعارضين، وتكشف المذكرات أهوالها مثل سجن تعصميت، والذي هو سجن شهير في منطقة جد باردة بين مدينتي الجلفة والأغواط في شمال الصحراء الجزائرية، وكان منفي للأحرار والخارجين على القانون الفرنسي الجائر الذي سجن به عاشور الخنقي وغيره، وبقي فيه تسعة أشهر إلى أن خرج بشفاعة المفتي محمد السعيد ابن زكري، والسيدة لالا زينب بنت محمد بن أبي القاسم، وصفت إيزابيل إبراهيمت السجن بقولها: "تعصميت السجن الإداري المخفي بغربة في الأعالي غير المضيفة، والأكثر بردا في الهضاب العليا، والذي ذكر اسمها يكفي لجعلك ترتعش.... المدانون يذهبون حزينين، العين معتمة،

(1) المجاوي، شرح منظومة آداب المريدين، ضمن ذاكرة الجزائر، مرجع سابق، ج 5 ص 50.

(2) المجاوي، المرجع السابق، ج 5 ص 52.

(3) المجاوي، المرجع السابق، ج 5 ص 71-78.

(4) ماء العينين مصطفى بن محمد فاضل الشنقيطي أبو الأنوار (ت 1328هـ/1910م)، انظر الأعلام، مرجع سابق، ج 7 ص 243.

(5) يشير إلى ما ذكره شيخ المتصوفة في الدولة العثمانية أيام السلطان عبد الحميد الثاني وهو الشيخ أبو الهدى الصيادي الرفاعي الذي نشر رسالة "رسالة الحق الظاهر في شرح حال الشيخ عبد القادر" باسم علي بن محمد القرماني الحنفي، ورد عليها الشيخ المكي بن عزوز برسالة "السيف الرباني في عنق المعتز على الغوث الجيلاني" انظر مجموع رسائل المكي بن عزوز، جمع علي الرضا الحسيني، ص 140-340. وقد طبع بتونس سنة 1310، وألحقها بتقاريط من علماء كثيرين. وإتهم أبو الهدى بكونه يؤلف بعض الكتب وينسبها لغيره كما قال الغماري أنه مؤلف "الروض النضير في مناقب السيد أحمد الرفاعي الكبير" الذي طبع باسم عبد الرحمان البكري القرشي. وهو ما يعيد النقاش حول مؤلف كتاب "ضوء الشمس" الذي انتقده ابن مهنا. انظر أحمد الغماري، الجواب المفيد للسائل والمستفيد، بيروت، الكتب العلمية، 2002، ص 53.

(6) انظر أجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج 2 ص 104. الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930)، مرجع سابق، ج 2 ص 102.

يغمر وجوههم الغبار والعرق نحو جهنم المظلمة في الجنوب أين يقاسون العذاب دون شاهد، ودون أن يكون لأنبيهم صدى، تكذيب صارخ في وجه تبجح وكبرياء الحضارة المنافقة"⁽¹⁾.

4- نقد الفساد الاجتماعي: تنادت الأصوات كلها لرفض ظاهرة الإفساد الاجتماعي، وجَرّ الساكنة لموبقات الخمر والمخدرات والدعارة، والتي كسرت من هيبة التقاليد الإسلامية، وأحدثت تغيرات مفصلية في الحياة الجزائرية، وذلك مثل ظاهرة الخمر والقمار التي أشار لها صاحب المنصفة⁽²⁾

رمت أمواج بحر اللهو منا --- أناسا للخمر ملازمينا
فكم أكل العقار عقار قوم — أصولهم له أفنوا سنينا
وكم رقم القمار على بيوت — ديونا فوق قول القائلينا

ولهذا انكب كل من المحافظين الإصلاحيين والطرقين على اللوم والإزراء بالقعود الاجتماعي والانحدار الأخلاقي الذي أوت إليه بعض فئات المجتمع الجزائري، فابن قدور يتحسر في وصف رحلته إلى الشرق الجزائري على الجهالة والتناكر والفحشاء: "من استحسنوا الجهل على العلم، فأصبحوا في هذا العصر قوما للجهالة، ينعنون بذلك في كل قطر أنهم لم يتهذبوا بعلم، لا، ولم يتدربوا على مكارم الطباع، وقلهم شب في البادية صحبة الوحوش والنعم، كل فرد منهم استأنس بالانفراد، ونزع إلى البداوة في الطبع، والغشاوة في العقل..... لقد خالف المسلمون أوامر دينهم وهم به يعترفون، واتبعه الأجانب وهم له مدركون"⁽³⁾.

كما تحسر على ظاهرة الفحش وسب الدين التي قال إنها زحفت على العاصمة من مناطق البرج وسطيف، ولكنه أثنى على قسنطينة التي اعتبرها محافظة على رونق العوائد العربية، ومدح تدين أهلها الذين لم يمسخهم التفرنج، واحترامهم للمساجد بعدم النوم أو البيع أمامها بهمة المفتي المولود بن الموهوب⁽⁴⁾، وهو ما سيذكره مالك بن نبي مما علق بذهنه من أيام جميلة في قسنطينة، وتشبت العائلات التقليدية بميراث الجزائر العثمانية⁽⁵⁾. والأمر ذاته في جريدة ذي الفقار التي حملت على الفساد الاجتماعي والتفرنج والتقليد الأعمى للغربيين، في عديد صفحاتها التي نقلت بعض المقالات ذات العلاقة عن جريدة المنار⁽⁶⁾.

5- الموقف من تسييس الحج: رافع الجميع ضد التحجير والتعسير على الجزائريين في الحج، وذلك لأن فرنسا منعت الحج سنوات عديدة لاعتبارات تتحجج بها، ومنها الاعتبارات الصحية، ولم يكن موقفها متسامحا، وبدأ

(1) إيزابيل إبراهيم، مذكرات على الرمل أثر، مرجع سابق، ص 320.

(2) المجاوي، اللع على نظم البدع، ضمن ذاكرة الجزائر، مرجع سابق، ج 3 ص 128.

(3) الفاروق، ع 33 (1913-10-13) عن رحلات جزائرية، ج 1 ص 33.

(4) الفاروق، ع 34 (1913-12-13)، وع 40 (1913-12-13)، رحلات جزائرية، مرجع سابق، ج 1 ص 35.

(5) مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، الطفل، مرجع سابق، ص 17.

(6) ذو الفقار، مقال "مفاسد المتفرنجين في أمر الاجتماع والدين"، ع 3 (1914-1-14)، ص 6.

الترخيص مطلع القرن، واتخذ طابعا رسميا واحتفاليا لترسيخ شرعية الإشراف الديني الفرنسي على الجزائريين⁽¹⁾. وقد أشارت جريدة المنار إلى سماح فرنسا بالحج من جديد مطلع سنة (1901)⁽²⁾.

وتشدد الأمر وتوسع مع قضية التجنيد الإجباري حتى لا يهاجر الجزائريون ولا ينظمون إلى حروب السنوسيين في ليبيا أو يلتحقون بالجيش العثماني، ثم منع الأمر كلية في سنوات الحرب الأولى⁽³⁾. وكان التضيق على الحجاج كبيرا، حتى أن من تمكن من الحج هربا من غير جواز ثم عاد يحكم عليه بالتغريم والنفي لشهرين⁽⁴⁾. ووجدنا بعضا من العلماء يهاجرون ويحجون مختفين أو بطرق خاصة أمثال حمدان الونيسي والإبراهيمي وعائلته، وبعض العياضيين⁽⁵⁾ من البرج وغيرهم.

إلا أن انعطافا مهما حصل في موسم حج (1916) في عنفوان الثورة العربية وأبرز الحرب العالمية الأولى، حيث سعت فرنسا لكسب قلوب الجزائريين، فكانت الرحلة الحجية للوفد الجزائري المبتعث من فرنسا، والذي رأسه مصطفى الشرشالي وابن غبريط لتهنئة الشريف حسين وتلميع صوة الاحتلال في نظر المشاركة: "أما عن الجزائر فإن محدثينا أظهروا رغبة في التعرف على ما يدور فيها لأنه يظهر أن شعبها في أعينهم شعب سيئ الحظ اغتصبت منه أملاكه، وأنه مضطهد في عقيدته وتقاليده"⁽⁶⁾.

وقد برز قدور بن غبريط التطوع الجزائري في الجيش الفرنسي والذي بلغ (80000)، وهاجم الوجود التركي السابق في الجزائر بأنه كان سلبيا، وأن الجزائريين كانوا في حرب دائمة معه، وتمنى على مناقشيه من علماء مكة ألا يصل ميكروب الاستقلال: "وأن الجزائريين يعرفون جيدا أنهم لا يستطيعون أن يحكموا أنفسهم في أية لحظة من تاريخهم، وأنهم راضون كل الرضى عن الإدارة الفرنسية"⁽⁷⁾. كما رأس الوفد المغربي دينيا أحمد سكيرج، وحضرها مؤيدا أيضا الشيخ رشيد رضا⁽⁸⁾. ومن المعروف أن فرنسا كانت حذرة من التواصل مع المشرق والعثمانيين، وقد نمت إليهما معلومات عن ذلك بتداول الجزائريين لجريدة "الجوائب"-الصادرة بالأستانة لأحمد فارس الشدياق- وتساعد نبرة الولاء للإمامة والخلافة عند بعض الطرق الصوفية⁽⁹⁾. كما

(1) آجرون، المسلمون الجزائريون وفرنسا، مرجع سابق، ج 2 ص 480. وحتى في عهد الانفتاح منع جوناك الحج سنة (1908) لأسباب قيل إنها وبائية، ولكن الظاهر هو الخوف من امتدادات الثورة التركية والانقلاب العثماني على السلطان عبد الحميد. انظر الحركة الوطنية (1900-1930)، مرجع سابق، ج 2 ص 106.

(2) مجلة المنار، مقال الإذن بالحج لمسلمي الجزائر، ج (6-2-1901)، ج 3 ص 355.

(3) انظر تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 410.

(4) ومن ذلك التضيق الذي وقع على الشيخ الهبري ومرافقيه في حج سنة (1893) انظر العشعاشي، السلسلة الذهبية، ص 89.

(5) زاوية عياض تقع جنوب البرج، وصارت علوية المشرب مع الشيخ السعيد بن البشير المكّي، انظر عدة بن تونس، الروضة السنية، ص 86.

(6) سعد الله، على خطى المسلمين، مرجع سابق، ص 69. الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930)، ج 2 ص 255. وهو نفس ما روج له ليون روش في كتابه (ثلاثون عاما في الإسلام). تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 483.

(7) سعد الله، على خطى المسلمين، مرجع سابق، ص 114.

(8) نفسه، ص 123. وانظر أيضا عبد الجليل التميمي، "حكومة الشريف حسين بالحجاز والبعثة السياسية والعسكرية الفرنسية بالجزيرة العربية 1916-1918". المجلة التاريخية المغربية، العددان 83-84، يوليو-تموز، 1996. صص 203-223.

(9) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 313.

ختمت هذه المحاولات الفرنسية في النفاذ للمشرق الإسلامي بإنشاء "جمعية الأحياس والأماكن المقدسة الإسلامية" سنة (1917) ورأسها قدور بن غبريط⁽¹⁾.

6- رفض التجنيس: تقاربت آراء الجميع في رفض موضوع التجنيس والتخلي عن الأحوال الشخصية الإسلامية، ومن المعروف أن قضية التجنيس التي رمت فرنسا بشراكها في الجزائر أكلت بعض المغرمين أو المغلوبين فيها، ولم تنج حتى الجارة تونس من هذه المصيبة، حيث أصدرت وزارة الخارجية قرارا في (20 ديسمبر 1923) بمنح الجنسية الفرنسية للتونسيين المستحقين لها بشروط فرنسا⁽²⁾، وثارت حوادث عديدة مُنع فيها المتجنسون من الدفن في مقابر المسلمين، بينما قال محمد بن يوسف شيخ الإسلام إنه ردة ولكنه لا يستطيع الجهر برأيه، في حين ذهب صغار علماء المجلس الشرعي إلى القول بالكفر والخيانة⁽³⁾.

تزامنت دعوات التجنيس في الجزائر بصعود سياسة التفرقة بين السكان العرب والبربر، وظهر ذلك في أعمال نيابية⁽⁴⁾، وتعليمية، وثقافية برزت في مؤلفات متحيزة مثل كتاب "جرجرة" للسعيد بوليفة سنة (1925). إضافة إلى جرائد ناطقة باسم المتجنسين مثل "المطورنين" التي أصدرها متجنس قبائلي هو "جوزيف زنتار"، أو جريدة صوت المتواضعين [La voie humbles] للمعلم الفاسي، وصوت الأهلي [La voie indigenes] للمعلم الزناتي، كما انتشرت نشرات بالبربرية بحروف لاتينية، وكان غرضها دعم حركة التجنيس التي لم يكن الاتحاد الكاثوليكي بعيدا عنها، وأثمرت هذه الجهود في بروز أعمال متنكرة للهوية الدينية مثل "رسائل جزائرية" للمتجنس حسني لحق، والذي قال فيه أنه أقرب إلى أوغستين من سيدي عقبة، وأن مستقبل فرنسا في الجزائر يتجسد في البربر⁽⁵⁾. كما برزت كتابات اندماجية داعية للقطيعة والذوبان في الثقافة الغربية، ومارس بعضها التقية، كما هو الأمر في كتاب القاضي الشريف بن حبليل "الجزائر كما يراها أحد الأهالي" والذي نشره سنة (1914)⁽⁶⁾.

والشاهد أن الصوت العلمائي المحافظ والطرق كان رافضا للتجنيس، بل وجدنا بعض الفتاوى الطرقية بمنع الدراسة عند الفرنسيين، أو حتى إعادة الوضوء لمن مس فرنسيا أو حتى رآه. وكانت هذه الفتاوى تنغيا صناعة حاجز نفسي ضد الذوبان في الثقافة الغربية، وشواهد ذلك كثيرة من رفض بعضهم دخول المساجد بالسراويل الحديثة، والتأكيد على اللباس العربي والطربوش التركي وغير ذلك من مميزات الهوية الرمزية.

7- رفض دعوات الاندماج: قاوم الضمير الجمعي العلمائي والشعبي دعوات المسخ التي ارتفعت من قبل أصوات قليلة من النخبة الداعية للاندماج والتقارب مع الفرنسيين والاستفادة من الحضارة الغربية وترك البالي من التقاليد الموروثة، ومن الأصوات المهمة في هذا العقد إسماعيل حامد- المترجم العسكري-، الذي

(1) المرجع السابق، ج 4 ص 411.

(2) المدني، حياة كفاح، مرجع سابق، ج 1 ص 379.

(3) حياة كفاح، مرجع سابق، ج 1 ص 381-382.

(4) في سنة (1898) أعطي للقبائل تمثيلا في المجالس المالية، انظر سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، ج 2 ص 139.

(5) انظر بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى، مرجع سابق، ص 170.

(6) الشريف بن حبليل، الجزائر كما يراها أحد الأهالي، ص 26. الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930)، مرجع سابق، ج 2 ص 95.

كتب "المسلمون الفرنسيون في شمال افريقية"⁽¹⁾، وحاول في هذا الكتاب نقض أطروحة عدم قابلية الجزائريين للتحديث والتعليم التي كان يروجها بعض الكولون، وحول: "تكذيب هذه الأطروحة، فالجزائريون تزوجوا بفرنسيات، وتجنس منهم البعض، وأظهر من درسوا في المدارس الفرنسية تسامحهم الديني والسياسي، ولم يعد الجزائريون متعصبين، حتى أن الممارسات الدينية أصبحت عندهم في دعواه ضعيفة، وقلّ عدد الحجاج، وأول من تعامل مع الفرنسيين هم رجال الدين الخ"⁽²⁾. وعضد الرجل رأيه بوجود نخبة متعلمة أمثال الطيب مرسلّي ومحمد بن رحال، وصحافيون، ومحامون، وغيرهم.

وقد دعمت فرنسا هذه الدعوات بخلق صحف دعائية لها مثل "صحيفة فرنسا الإسلامية" لمقاومة دعوات الجامعة الإسلامية قبيل الحرب الأولى سنة (1913)، وهي إضافة نوعية إلى جريدتها الرسميتين المباشرة والأخبار⁽³⁾.

8- هم التعليم: حمل الإصلاحيون المحافظون والطرقيون التقليديون على السواء هم التعليم على تفاوت فيما بينهم، فبينما حافظ الأخيرون على الطرائق القديمة، سعى الإصلاحيون المحافظون إلى التجديد واقتباس تجارب الأزهر ومحمد عبده في الإصلاح التربوي والتعليمي، وازداد الولع بهذا مع التجربة الفرنسية في التعليم، والتي رأى هؤلاء بعضها من ثمارها في المدارس العدلية الثلاث، أو في الثانويات الشرعية، والمهم أن الكل سعى للصدع بضرورة التعليم.

وفي هذا يقول سعد الله: "لذلك كان موقف الجزائريين الأولين بطوليا وداخلا في برنامج المقاومة، وهم لم يبقوا مكتوفي الأيدي إزاء تعليم أبنائهم، الذي هو واجب مقدس، بل تصرفوا بما في طاقتهم، فعلموهم في بيوتهم وفي الكتاتيب الباقية، وأرسلوا بهم إلى زوايا المرابطين في رؤوس الجبال والمناطق النائية، وهاجروا بهم إلى المغرب وتونس وغيرهما، وطالبوا السلطات الفرنسية أن تعلمهم بلغتهم تعاليم دينهم، ثم أصبحوا يطلبون الرخص بفتح المدارس الابتدائية لأبنائهم وتحت إدارتهم"⁽⁴⁾.

ولكن تلك المطالبات ستقف أمامها المصداقات الفرنسية التي أقامت مئات العراقل أمام التعليم العربي الحر، بل ورقته إلى جريمة يحاسب عليها من يباشرها دون رخصة كما هو تهكم الورثاني فيما بعد: "وإلا فإن فتح مدرسة لتعليم اللغة العربية في الجزائر، كان ولا يزال في نظر الفرنسيين، أخطر من فتح محششة يدار فيها الأفيون والكوكايين وبقية السموم، فلقد شهدت المحاكم في الجزائر مناظر مخجلة يساق فيها معلم العربية في موكب اللصوص والقتلة والمجرمين، لمحاكمتهم على صعيد واحد، وقد تنال رحمة القضاة الفرنسيين، بعض القتلة واللصوص، ولكن ما جربت يوما أن تنال معلم اللغة العربية أبدا"⁽⁵⁾.

(1) قدم له ألفريد لوشاتلييه، أستاذ علم الاجتماع الإسلامي في الكوليج دي فرانس.

(2) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 208.

(3) سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930)، مرجع سابق، ج 2 ص 248.

(4) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3 ص 323.

(5) الورثاني، الجزائر الثائرة، مرجع سابق، ص 97.

المطلب الثالث: العلاقات والمواقف الخلافية في هذين العقدين.

1- نقد الوضع الطرقي: ابتدأ النقد المبكر للتراتبية الطرقية وزواياها ومريديها من قبل بعض العلماء أمثال ابن زكري وابن مهنا، والذين نعوا التأخر العلمي المهيمن على الطرق، وشيوع الجهل والخرافة، وكان ذلك النقد متوجهاً إلى المنتسبين الجهلة، ومنطلقه مقارنة الأوضاع الداخلية بمثيلاتها في تونس ومصر والشام، حيث سبق لابن مهنا الدراسة بمصر، وابن زكري جاب الشام ولقي أساطين النهضة بها.

ففي نقد ابن مهنا للوضع العلمي نقرأ عن طلبة قسنطينة: "هذا شيء شاهدته بنفسي، ومارسته منذ ثلاثين سنة، فوجدت الكثير منهم يقرأ الواحد منهم عشرين سنة ولا يحسن الوضوء فضلاً عن غيره، وهذا بالنسبة إلى المنقول، وأما بالنسبة إلى المعقول فإن الواحد منهم لا يعرف معنى اسمه في مدة عمره، ونعني بهم الذين قرؤوا على إبليس، وتفقهوا على أشعب، والذي يدلّك على تأخرهم في الفهم جداً"⁽¹⁾.

وامتد نقده إلى الهيئة العلمائية والعدلية والصوفية: "كل من كان بقسنطينة عالماً، أو مدرساً، أو قاضياً، أو عادلاً، أو باش عادلاً، أو خطيباً، أو طالباً، أو مقدم إخوان، فليجاوبني على هذه الرسالة، أو يعارضها، فإن لم يفعلوا فدلّ عجزهم على أن جميع ما قلته حق، وأن من خالفني هو الجاهل المبطل قاتل الحسد والبغض"⁽²⁾. كما نعى ابن مهنا على صوفية الوقت استزاقهم بالدين بوسائل غير مشروعة: "نعم لهم ملكة جيدة في الطمع والشحاذة، والطواف في البادية، وسؤال الناس، والتكفّف لما في أيديهم، وتلقين الأخصام الزور، والسمسرة في إيصال الرشوة إلى من هي له ورد المبتوتة، وربما جعل أحدهم نفسه تيساً مستعاراً ليحصل دربهات، فاستوجبوا بذلك اللعنة على كل حال ومن كل جهة إما في الفتوى، أو في العقد، أو في الجعل المذكور، أو في السمسرة"⁽³⁾.

ومن افتتح النقد للتراتبية الطرقية محمد السعيد ابن زكري على الرغم من كونه خريجاً لبيئة طرقية صارمة، ففي ثنايا نعيه على هيمنة الطرق على الزوايا يقول في نقد صوفية الوقت من الصف الثاني من بعد المتصدرين من الشيوخ: "وأما الصنف الثاني الأدنى منه درجة فحالته بين الحالتين ظاهرة ليس من الصنف الأعلى من هذا القسم، ولا من المستضعفين الآتي ذكره لك. تأنّس قلبه بانتظار الترقّي إلى الدرجات العلى بموت بعض من أهلها، أو تنزله اختياراً أو إجباراً على احتمال ضعيف. ولذلك تراه يترشح باستعداد الآلات اللازمة في الطريق كالعكازة الخضراء والسبحة (الباكورية)، وتعلمه وتعاطيه للهيئة الجاذبة بالقوة المميلة لقلوب الناس إليه مثل المثنى هنيئاً، وتنكس الرأس دائماً، وقلة الكلام مع مطلق الناس، ورفع عينه إلى السماء تارة وخفضهما إلى الأرض الأخرى على وجه يوهّم الغافل والمعتوه أنه يفعل ذلك لسر غميض لا تدركه العقول، وما أشبه ذلك"⁽⁴⁾.

(1) محمد بيثي، قضايا الشرف والأشراف عند ابن مهنا، رسالة لطيفة في الأجوبة التي أجبت بها الدولة الفرنسية، ص 148.

(2) ابن مهنا، رسالة لطيفة، مرجع سابق، 174.

(3) ابن مهنا، رسالة لطيفة، 150.

(4) ابن زكري، أوضح الدلائل، مرجع سابق، ص 175.

بل عمم ابن زكري نقده لما يراه مبتدعات نماها ما يراه حرية دينية ممنوحة من فرنسا: "في اعتبار ما منحتة الدولة الجمهورية للمتصوفين من حرية في دينهم، وتوسيع طوقه، وفسحة رحبه، وإبقاء مسجد كان، وإحداث ما لم يكن، ومراعاة حرمة، وتفويض الأمر إليهم في الزيادة والنقصان فيه حتى أحدثوا ما لم يرد في الكتاب والسنة من الجموع والزيارات، والأسفار إليها في البر والبحر بالأركاب والرايات وبدونها، واختلاط الرجال والنساء في الحضرة الذكرية وغيرها، وما أشبه ذاك من النعم عليهم التي لا تحصى عددا⁽¹⁾. وسيكون لهذا الدعوات أثر كبير في حملة الإصلاحيين على التراتبية الطرقية وهياكلها ومشايخها في العقود القادمة.

ومن الأقلام الناقدة المبكرة للطرقية نقد أبي بكر عبد السلام بن شعيب الجليلي والذي اقترب من الأطاريح الحدائية على الرغم من محافظة أبيه، فقد كتب " الدين الإسلامي والحضارة " معتبرا الطرق ديانة لا بتزاج الأموال والتجهيل⁽²⁾.

2-نقد الفلكور والبدع الصوفية: استمرت الإدارة الفرنسية في دعم وترويج الخرافات، فبعد تجفيف منابع العلم وتقليل دور العبادة، شاعت الخرافة والطقوس الشركية والخزعبلات والفلكور، إذ يحكي فيكتور بيرار (1858) أن المساجد التي تقام فيها الجمعة في العاصمة أربعة فقط، وهي: الكبير، الجديد، صفر، سيدي رمضان، وتكلم عن الطرق الإسلامية هي العيساوية بشارع كليبر، ويأكل المنتمون لها العقارب والثعابين والحديد الأحمر والزجاج، وطريقة مولاي الطيب، في حين ويجتمع الزنوج الوثنيون - يقصد القناة حسب وصفه- في بيوت يسمونها زوزو حيث يقومون بطوقوس غريبة في مواسمهم التي يسمونها " دور دوبا " وفيها يحضرون الشياطين وأرواحا شريرة⁽³⁾، ولا شك أن هذه الممارسات استمرت وشهداها الكثيرون مثل مالك بن نبي.

بدأ النقد مبكرا لهذه الثقافة الشعبية، وكان الصوت خافتا، ثم بدأ يعلو مع ابن مهنا وابن زكري وابن الموهوب والمجاوي، ومن أوائل الكتابات فيه قصيدة " المنصفة " للمولود بن الموهوب التي شرحها شيخه المجاوي، في كتابه " اللمع على نظم البدع "⁽⁴⁾، وقد جاوبه بعضهم، فمن أعماق سوف كتب إبراهيم بن محمد الساسي العوامر السوفي تشظيرا لها نشرت بعضه الفاروق بعنوان " مطالع السعود في تشظير أدبية الشيخ المولود "⁽⁵⁾. كما يقال إن الزريبي وضع شرحا على قدسية الأخضر، وقال: "كان أملي أن أضع رسالة تتكفل بذلك (البدع)، والله يسعفنا في الأقوال والأفعال..... في قالب هذا الشرح الشريف "⁽⁶⁾.

(1) ابن زكري، أوضح الدلائل، مرجع سابق، ص 179.

(2) أجرون، نفسه، ج 2 ص 510. ونشر مقال "حرب ضد الشعوذة" في مجلة الأهالي سنة في (ماي 1909).

(3) Victor berard- indicateur général de l'Algérie description géographique historique et statistique. Alger. Basitide. ed 1858.

نقلا عن ذاكرة الجزائر، ج 2 ص 424-171-P104.

(4) عبد الله ركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، مرجع سابق، ص 676. شعراء الجزائر، ج 2 ص 69. الفاروق، الأعداد 56-57-58-60.

نشرها همال ملحقة بإرشاد المتعلمين، وأخطأ بنسبتها للزريبي. وانظر أجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا، مرجع سابق، ج 2 ص 513.

(5) الفاروق، ع 50 (1914)، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 173.

(6) الشيخ المولود الزريبي حياته وأثاره، مرجع سابق، ج 1 ص 60. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 174.

يعتبر الزبيري رائدا في هذا المجال، فقد هاجم بقوة مظاهر الفلكور الشائعة بالرقص والتصفيق في الذكر: "وممن سمعنا في هذا الزمان من الطوائف المنتسبة للصوفية الذين تنوعوا في البدع والمحدثات الشنيعة، بل إنهم يأتون بالمنكرات الفظيعة، حتى إنهم في حرمان صلاتهم المردودة يصيحون ويرقصون ويضربون بعضهم بعضا، وربما سبوا الدين القويم، وكفروا بربههم الكريم، فرقة ينبغي لنا التحاشي عن التصريح باسمها استغناء بذكر رسمها، فهم لا زالوا إلى هذا الوقت يتطورون في أنواع الفواحش، وقد بلغني أن من أنكر عليهم رموه بالزندقة"⁽¹⁾.

استدعى الزبيري العلامة المالكي ابن الحاج في كتاب المدخل كثيرا لأنه عمدة الإصلاحيين في الهجوم على البدع والمحدثات، وخاصة الذكر المحدث واستعمال المعازف في الحضرات⁽²⁾، وهاجم الزبيري عادة جبي الصدقات للشيوخ ولأولادهم، واتخاذ ذلك وراثة واجبة على مريدي العوام⁽³⁾، وهي العادة التي هاجمها بقوة الإبراهيمي في قوله عن الطريقين "اشتكت منهم الجيوب إلى علام الغيوب"، واستعاد في مقالاته وشرحه لابن عاشر ذات المنقولات لابن مهنا في نقد متصوفة وأشراف الوقت.

وفي مقال في الفاروق الأول بعنوان "موبقات الدجاجة"⁽⁴⁾ يقول الزبيري عن فرض الزيارات على الأتباع: "وعلى هذا النحو صُبت علينا المصائب والنكبات من أقوام ملئوا القطر بجهلهم، وجعلوا الإفك واليهتان مصيدة يختلسون بها أرزاق الخلق، وهم على الحرام يثبون وثوب المفترس على الفريسة، فيحلون ما حرم الله ورسوله، وينتشر صيتهم في البقاع، فيأتيهم الناس من كل فج عميق، ويقدمون لهم الزيارات والندور، والكباش والنعاج، وإنهم جهلة تسلطوا على قوم من أجهل العالمين"، ونحن نعلم أن المقالات الإصلاحية بدأت في الشرق قبل الغرب والوسط، فالزبيري كان رائدا في انتقاد العوائد الطرقية مثل الهبات والصدقات، ونشر قصيدة كاملة في انتقاد متصوفة وقته في الفاروق الأولى⁽⁵⁾.

وقالوا إنهم بلغوا المقاما----وقد كشف الحجاب لهم فهموا

أينكشف الحجاب لقوم سوء-- فلا وعلى الفسوق مضوا وداموا

وإن فعلوا حراما حللوه-----لأنفسهم فليس لهم فطام

ويحصل ذا بشعوذة وجن-----ومزمار أحل ذا أم حرام

واتهمهم بأنهم إخوان الشياطين وأنهم جهلة مارقون، بل وشكك في التزامهم الأخلاقي والقصيدة رائدة في بابها، قبل قصيدة العقبي المشهورة "الدين الخالص"، كما دعا إلى الاستزادة من العلوم الحديثة وتقليد الشرقيين

(1) الزبيري، بذور الأفهام، مرجع سابق، ص 71.

(2) الزبيري، بذور الأفهام، نفسه ص 244. ابن الحاج العبدري، كتاب المدخل، مصدر سابق، ج 2 ص 8.

(3) الزبيري، بذور الأفهام، نفسه، ص، 244، 247، 258، 250.

(4) جريدة الفاروق، ع 51 السنة 2، (9 مارس 1914). مقالات الزبيري، مرجع سابق، ج 1 ص 32.

(5) جريدة الفاروق، ع 52 (16 مارس 1914).

في ذلك في مقال "أسباب العمران ووسائل التقدم"⁽¹⁾، وكان من أوائل منتقدي الإدارة الفرنسية ومكاتبها العربية، كما هو خطابه للوالي العام بكف زبانية "بيرو أراب" في مقال "حتى بني يسقن وخنشلة أيضا"⁽²⁾. وقد ترك تأثيرا بالغا في المغربي محمد بن عبد الرحمان العلوي الذي لازم الزيربي بعد هجرته من المغرب ولزومه الجزائر، وكان يصفه "شيخنا"، ونشر بعض قصائده ومقالاته في جريدة النجاح⁽³⁾.

ومن الأصوات الناقدة لهذا الفلكور صوت عمر بن قدور فيما ساقه في رد ترهات بعض منتسبي الطرق، مثل ما سرده في القواعد المنقولة عن أبي العباس التجاني نحو قوله: "لنا قاعدة واحدة تنبئ جميع الأحوال عليها أنه لا حكم إلا لله ورسوله، ولا عبرة في الحكم إلا بقول الله أو قول رسوله (صلى الله عليه وسلم)، وأن أقاويل العلماء كلها باطلة إلا ما كان مستندا لقول الله ورسوله"⁽⁴⁾. وقوله في تأييد مقالته ما أثر عن الشيخ التجاني: "إذا سمعتم عني شيئا فزنوه بميزان الشرع فما وافق فخذوه وما خالف فاتركوه"⁽⁵⁾، ولأجل ذلك وقف التجانية موقف المعارض لما شاع من بدع وخرافات وادعاءات ألصقت بالتصوف⁽⁶⁾ نحو البدع العالقة بزيارة الأولياء: "والتي هي عمل مندوب إذا تجرد من كافة المحظورات والممنوعات شرعا، والمؤدية إلى الإشراك بمقام الربوبية كالاعتقاد في الولي القدرة على النفع والضرر وتقديم الهدية له بهذه النية الفاسدة، وكالتمسح بالآثار والأعتاب وتقبيليها"⁽⁷⁾. ونحو ذلك المبالغة في بناء القبر والأضرحة والزوايا، وفي ذلك يقول عمر بن قدور موضحا موقف الطريقة السني: "فالمشايع الكمل غير راضين بما بني على مقابرهم العالية والثوابت المزخرفة، وإنما بلاء الابتداء عم العامة والملوك وأحبار السوء فعملوا بغلبة آرائهم على إقامتها، ولم ينفع فيهم نصح صالح متمسك بما ورد في صريح السنة"⁽⁸⁾.

وفي السياق كانت الحملة على الخرافات التي شاعت في العصر المتأخرة والتي هي منابذة لروح التصوف، يقول بن قدور: "ودليل ذلك ما هو مشاهد من انكباب العامة على الأماكن الخالية وينابيع المياه الحارة من سكنى الأرواح والجن والشياطين، والرحلة إلى زيارتها والتبرك بحجارتها وأشجارها، وذبح القران عندها وتبخيرها، وطلب قضاء الحاجات منها، وكزيارة كثير من الأضرحة ومنها ما هو مجهول الأصل أو مزور وذبح القران لها لأغراض في النفوس، وكالاعتقاد في الزنوج والسحرة والكهان وما جرى مجراهم من كتبة الحروز وأرباب الرموز. كل تلك الاعتقادات والخرافات سارية في العامة ومالكة لقلوبها من غير داع طرقي ولا عامل صوفي"⁽⁹⁾.

(1) جريدة الصديق، ع 13 (20-12-1920)، ص 1. مقالات الزيربي، مرجع سابق، ج 1 ص 122.

(2) جريدة الصديق، ع 29 (11-4-1921)، ص 1. مقالات الزيربي، مرجع سابق، ج 1 ص 176.

(3) النجاح، ع 768 (29-7-1929)، ص 3، ومحمد بن عبد الرحمان العلوي، ولد (1888) درس بالقرويين، وعمل بالمخزن.

(4) عمر بن قدور، الإبداء والإعادة في مسلك سائق السعادة، (تحقيق محمد عبد الحليم بيشي)، مرجع سابق، ص 290.

(5) المرجع نفسه، ص 278.

(6) سكيرج العياشي، طرق المنفعة بالأجوبة عن الأسئلة الأربعة، مرجع سابق، ص 2.

(7) عمر بن قدور، الإبداء والإعادة في مسلك سائق السعادة، مرجع سابق، ص 251.

(8) عمر بن قدور، المرجع السابق، ص 253.

(9) المرجع السابق، ص 271.

3- فتاوى الحرب والوقوف مع فرنسا: شنت فرنسا حملة دعائية كبيرة قبيل الحرب الأولى وأثناءها ضد الألمان والأتراك، وانخرطت الصحف الدعائية في ذلك، والتي اتخذ بعضها أسماء إسلامية، مثل: فرنسا الإسلامية⁽¹⁾، وماجت الضغوط على الأئمة والمفتاي الرسميين وشيوخ الزوايا بدعم فرنسا وتسويد صورة العثمانيين ومكافحة دعايتهم.

وقد أصدر المفتاي ابن الموهوب والحنفي عبد الكريم باش تارزي ومعهم ثلاثة عشر من قسنطينة فتوى ووصية للمسلمين جاء فيها: "هذه رسالتنا ننصح بها أنفسنا، معشر الواضعين خطوط أيدينا فيها، وننصحكم بها وفاقا للدين والعقل والسياسة والعادة، فدوموا صادقين مخلصين لدولتنا الفرنسية الفخيمة، قائمين على ساق الجد لإعانتها على أعدائها، دمرهم الله! وأراح منهم الحلفاء، وتمتعوا بعافيتكم في دياركم تحت قوة دولتنا، نصرها الله! واسمعوا وأطيعوا واصدقوا لتكونوا من المسلمين الكاملين العارفين، اللهم أعن فرنسا التي هي أمتنا ونحن أبناؤها، إنك على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير"⁽²⁾، وكذلك نداء الشيخ الهاشي بن إبراهيم القادري بوادي سوف: "إن مسلمي الجزائر وإخوان الطريقة لا يفرطون في خدمة دولتنا الفرنسية العزيزة.....وكون الأتراك ظلموا الجزائريين قديما ظلما تتفطر منه الأكباد بينما في العهد الفرنسي أصبحت الجزائر وقد شيدت فيها المساجد والمدارس ونورتها بالعلم وفتحت طرق السعادة"⁽³⁾، ولكن ذات الشيخ المتحمس للجامعة الإسلامية قاد مظاهر ضد تجنيد العمال للخدمة في فرنسا في نوفمبر (1918) بوادي سوف مما أدى إلى نفيه إلى تونس ثم وفاته سنة (1923).

تعددت النداءات من مشايخ الطرق لذلك، حتى الطرق البعيدة مكانيا كالزيرية ببشار⁽⁴⁾، كما فعل الأمر ذاته شيخ الطيبي بوهان أحمد بن الحسين الشريفي الذي قال: "إن الله قد وضع غشاوة على عيني دولة تركيا، واعتبر الأتراك لنا ما لأنهم أنكروا خير فرنسا عليهم، واللئيم لا يريح، ودعا على ألمانيا بالدمار، وفرنسا بالانتصار"⁽⁵⁾، والأمر ذاته من مشايخ التجانية الذين قال قائلهم عن فرنسا أنها: "صاحبة الفضل والفضائل، شاكرين نعمها العظيمة، ومزاياها الجسيمة التي لا تعد ولا تحصى، فهي أمتنا الحنينة ... ويجب علينا معاشر المسلمين أن نعينها بنفوسنا وأموالنا وأولادنا على عدوتها ألمانيا وحليفها النمسا وحليفها تركيا"⁽⁶⁾، فقد: "عمدت الإدارة الفرنسية إلى تعميم عدد من الفتاوى بعض مشايخ الطرق تطلب من المسلمين في الجزائر أن يظلوا على الولاء لفرنسا ولا يتأثروا بدخول تركيا في الحرب ضد فرنسا وحلفائها"⁽⁷⁾. والظاهر أن الرسائل

(1) أسبوعية، لسنتي (1913-1914)، انظر أجرون، نفسه، ج 2 ص 260. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 241.

(2) مجلة العالم الإسلامي، (ديسمبر، 1914) ص 184، نقلا عن تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 380.

(3) مجلة العالم الإسلامي، (ديسمبر، 1914) ص 240، نقلا عن تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 54.

(4) مجلة العالم الإسلامي، (ديسمبر، 1914) ص 258، نقلا عن تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 93.

(5) مجلة العالم الإسلامي، (ديسمبر، 1914) ص 234، نقلا عن تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 103.

(6) مجلة العالم الإسلامي (ديسمبر، 1914)، ص 192 عن تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 243.

(7) محمد الميلي، الشيخ مبارك الميلي، مرجع سابق، ص 64.

والوصايا المتشابهة أنجزتها الإدارة ووقع عليها الشيوخ المغلوبون على أمرهم، أو الغائبون عن فهم السياسات العالمية.

4- الجدل حول جدوى مقاومة القديم: دار جدل كبير بين الإصلاحيين ذاته حول جدوى الانغماس في التجربة الحديثة للتعليم أو التوسط فيه، فالشيخ محمود كحول وهو المعروف بنزعاته الإصلاحية وقربه من منتج الحضارة الغربية وعمله في الدوائر الرسمية انتقد شيخه المجاوي شارح المنصفة لتلميذه المولود بن الموهوب، فمما قاله في نقده: أنا النصوح وما أبدية كالدرر⁽¹⁾، ورد عليه عمار العطوي مهري -الطريقي المنزع-⁽²⁾ بقصيدة أخرى⁽³⁾:

أنت الغرور وما تبديه مختلق..... وهل يشين الكرام قول من نهقوا
تبدي زخارف أقوال لمن ألفوا..... حب المناكر والكحول قد عشقوا
ما قلت إلا اختلاقا فيه شبه.... من الدينء وبالمعيار ينبثق
فالحق حق وقد ضاءت مذاهبه.... والزور زور وبالبرهان ينمحق
ماذا القريض الذي حشوته كذبا..... وقمت تعوي به وهزك النزق
يا من يعيب الألى بقولهم نصحوا.... لقد فريت وأهل العلم قد صدقوا
إن الذين تعيهم لقد ملأوا..... برشدهم أفقا وغيكهم سحقوا

ومن ذلك النكير المتبادل حول الرؤية الجديدة هجو عاشور الخنقي لعصريه عبد القادر المجاوي بديوان كبير "الديوان الباوي في هجو المجاوي"، حيث قال دبوز: "هجاه بأكثر من ألف بيت حسدا وحقدا"⁽⁴⁾، والأكيد من استنطاق النصوص هو نعي الطرقيين على طرائق التجديد العصرية عند رموز المحافظين الإصلاحيين، فقد وقف الطرقيون مع إبقاء الطرائق التقليدية والحفاظ على الموروث، ووجدنا ذلك في نعيم على النزعات التجديدية والغرام بالجديد، كما قال عاشور الخنقي: "تاركا سبيل عبارات أهل العصر الجديد، الحادة مبانيها حدة نار شرارات الحديد، النادة معانيها ندة النعام في الفضاء المديد. يُنادي عليها لسان حالها بشدة التكلّف، وعلى صاحبها بقوة التصلّف"⁽⁵⁾.

5- نجاعة التعليم الحديث: رافع المحافظون الإصلاحيون على قضايا تجديد الدرس العلمي والمنهج التدريسي، ودعوا إلى الاستفادة من العلوم العصرية، ومما يجدر ذكره أن معدلات الانتساب للمدارس الفرنسية كانت ضئيلة جدا، بسبب التعويق الفرنسي أولا، وبسبب المقاومة الثقافية التي جعلت شيوخ الطرق الصوفية

(1) العقون، الكفاح القومي السياسي، مرجع سابق، ج 2 ص 43.

(2) ولد سنة (1878)، وهو إمام مسجد واد الزناتي سنة (1926) توفي سنة (1933)، كتب في جريدة الفاروق.

(3) العقون، نفسه، ج 2 ص 44. ولكني وجدت دويب نسبها للزربي في مقالاته، وقال بأنه نشرها في الفاروق، ع 56 (13-4-1914)، وذلك اعتمادا على إمضائه (م، ع)، انظر مقالات الزربي، مرجع سابق، ج 1 ص 40. والقصيدة فيها نفس إصلاحي غريب.

(4) دبوز، نهضة الجزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 91.

(5) عاشور الخنقي، منار الإشراف على فضل عصاة الأشراف (تحقيق محمد عبد الحليم بيشي)، مرجع سابق، ص 103.

يثبطون الناس عن الدخول إليها، ومن هؤلاء إبراهيم العوامر السوفي (1881-1934) الذي كان متأثرا بكتاب الشيخ يوسف النبهاني "إرشاد الحيارى وتحذير المسلمين من تعليم أولادهم في مدارس النصارى"⁽¹⁾. وقفت الإدارة الفرنسية وقفات متأرجحة تجاه بواكير النهضة العلمية والتعليمية، وكانت قراراتها مختلفة حسب الحكام العامين وحكام العمالات والجنوب العسكري، ومن بين اللحظات الفارقة الراضة لتجديد التعليم العربي قضية اغتيال المصلح عباس حمادة صاحب أول مدرسة حرة بتبسة سنة (1914)⁽²⁾، كما مارست فرنسا نشاطا تحذيريا من الطلبة الجزائريين المجاورين في الأزهر حيث ذكرت التقارير سنة (1916) أسماء 29 طالبا⁽³⁾.

والنتيجة من هذا التعويق للتعليم التقليدي وغيره هو التدمير الفظيع للمؤسسات الدينية وتحطيم للمرجعيات الطرقية وتقزيمها وتدجينها وتهجيرها، وقد عبر أحدهم في مجلة العالم الإسلامي (1910) بقوله: "إن فرنسا قد اصطنعت في الجزائر إسلاما فريدا خاصا بهما، كما اصطنعت له رجالا من نوع خاص، وكل هذا الاصطناع جاء عن طريق اضطهاد المؤسسات الإسلامية، إن فرنسا قد دخلت إلى إفريقية الإسلامية عن طريق الجزائر، وخلال ثمانين سنة اصطنعنا إسلاما فذا في العالم، بدون أوقاف، وبمساجد إدارية، وأهل دين ورعين Dévôt Résansés، وقضاة موظفين، وحج برخصة، وها نحن نصوغ الآن كودا لقيطا من إنتاج الفقه الإسلامي والقانون الفرنسي، إننا خلال أربعين إلى خمسين سنة من الحملات والجيوش يمكننا أن ننسب نصفها على الأقل إلى اضطهاد المؤسسات الإسلامية، إنه لا يمكن الآن الرجوع إلى الوراء لكي نؤسلم الجزائر من جديد، إن الإساءة قد وقعت"⁽⁴⁾.

بل حتى التعليم التقليدي الذي كان قويا في الغرب أيام العثمانيين والأمير أصابه التراجع والضمور فماتت زوايا مازونة ومعسكر والقلعة، وسيدي محمد بن عودة، وأبو عبد الله المغوفل، وسيدي دحو، وسيدي عمار بن دوبة، وهو ما استبشر به ألفرد بل، الذي قال: "أنه يمكنه ذكر العديد من الزوايا التي كانت تعلم العلوم كالنحو والأدب والتوحيد والفقه بالإضافة إلى تحفيظ القرآن، ولكنه لاحظ سنة (1910) أن هذا النوع من الزوايا أخذ يضمحل ويختفي ولم يبق إلا النوع الذي لا يعلم إلا القرآن، أي أن الزوايا أصبحت مجرد كتاتيب"⁽⁵⁾.

(1) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 506.

(2) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص

(3) بلغيث، الطلبة الجزائريون بجامع الأزهر وعيون المخابرات الفرنسية بين الحريين من خلال وثائق جديدة، تاريخ الجزائر المعاصر، ص 76.

(4) مجلة العالم الإسلامي، RMM، (سبتمبر 1910)، ص 79، نقلا عن تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4 ص 349. ورجح أن يكون لوشاتلييه.

(5) ألفرد بل، مؤتمر 1908، ص 216، نقلا عن تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3 ص 238.

والحق أن فرنسا كسبت جيلا جديدا خاضعا وراغبا في الاندماج بالتعليم والمدرسة، كما هو الأمر في التنصير الذي تسرب ليس عن طريقة الكنيسة كما يشاع، ولكن بطرائق التعليم الحديث والتأثير المعنوي، والانهيار بالمنتج الغربي⁽¹⁾.

ولم يكن ذلك بعناء كبير حيث إن الفعل الفرنسي اعتمد بالأساس الضغط العسكري والقوانين الجائرة، وأما التعليم فكان ضئيلا، وميزانيته قليلة، وتوجهت بالأساس للكلولون وأبنائهم، وتركز في المستويات الدنيا، وأما العالي فظل في فرنسا، وفي سنة (1879) تأسست المدارس العليا وهي الطب والآداب والحقوق والعلوم، ثم تأسست جامعة الجزائر سنة (1905) التي ضمت مخابر متخصصة لخدمة الاستعمار مثل معهد البحوث الصحراوية، ومعهد الدراسات الشرقية المهتم بالاستشراق⁽²⁾.

وفي تقييم آخر لأنصار الإصلاحيين في هذا التعويق للتعليم في الجزائر يقول: "لقد كرست فرنسا ذلك الضعف في لتعليم سعيا منها لتهديم دور الطرق المرابطية التعليمي، وأعانت المشايخ واستجابت لكل من يرغب في فتح زاوية، وربما أعانتها بالمال جزاء قتلهم العقول، وتعطيلهم المواهب، في وقت ناهضت فيه العلماء الناهضين لإصلاح الأمة"⁽³⁾.

6-الخلافات الطرقية الطرقية:

شكل التنافس بين بعض الطرق والرغبة في اكتساب المزيد من الأتباع مزيدا من التشرذم والانقسام الذي وصل إلى حد امتناع البعض عن الصلاة خلف الآخر، بل ووجود مساجد متحيزة، كما هو الحال في وادي سوف، وتنقل لنا المذكرات شيئا من هذا، فالمغامرة إيزابيل ايرهاد (1877-1904)، والتي استقرت بالوادي (1900) كادت تشعل فتنة بين القادريين والتجانية، بين شيخهما العروسي التجاني والهاشمي القادري⁽⁴⁾، واستمر هذا التنافس حتى الثلاثينيات، حيث سيتدخل الإصلاحيون لرأب هذا الصدع الطرقي.

وكانت الزيبان ووداي سوف محطة مهمة لخلافات التجانيين والقادريين، فالقادرية لها 1620 مرید وأربع زوايا، والرحمانية 13870 مرید وثمان زوايا، والتجانية لها 2330 مرید وزاويتين، والطيبية لها 164 مرید وزاويتين، أما الشاذلية فلها 205 مرید وزاوية واحدة⁽⁵⁾. وأهم الزوايا في المنطقة هي الرحمانية بطولقة، وزاوية عبد الحفيظ الخنقي، وكذا سيدي الحفناوي المنفي لتونس.

ومن مظاهر الرجعية في بعض المناطق التحالف مع رجال السلطة والقياد، فخلفاء علي بن عمر تعاونوا مع الإدارة، وكذلك محمد الأزهرى بخيران بالأوراس دفعا لشر المحق الذي أصاب بقية الزوايا، وفي قضية التجنيد الإجباري سائر مقدمو بعض الزوايا الإدارة فيه على الرغم من اعتراض الشعب حسب العرائض

(1) مرت المدارس المزدوجة (العربية الفرنسية) للتعليم بثلاث مراحل: الأولى (1830-1850)، الثانية (1850-1870)، الثالثة (1870-1892)، الأخيرة (1892-1962)، وهناك المدارس الحضرية الفرنسية، ثم المدارس الخاصة بالأهالي. انظر تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3 ص 322.

(2) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3 ص 309.

(3) محمد ناصر، المقالة الصحفية في الجزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 29.

(4) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 55.

(5) Les confréries religieuses étude sur l'islam en Algérie. Op.cit, p 569

المقدمة كما هو الوضع في الأوراس والزيبان، كما نشهد من مواقف عبد الحفيظ بن الحفناوي مرابط خيران والطيب الحفناوي مقدم ليانة وعمر بن علي شيخ طولقة⁽¹⁾. وكان الموقف الشعبي مضادا للتجنيد بالهروب والاختفاء والشغب والعرائض والوفود، ثم الهجرة الفردية والجماعية⁽²⁾. وشهدنا أدبيا شعبيا مناهضا للتجنيد كما تدل عليه قصائد الصوفي قدور بن عاشور الندرومي، ومنها قصيدة "أولاد بوحمصه"⁽³⁾.

7-التحولات الفكرية: وهو ما برز من انعطاف بعض رموز التصوف نحو السلفية، أو العكس، ويمكن أن نرصد ذلك في أنموذجين:

أ-التحول نحو السلفية، نموذج المكي بن عزوز⁽⁴⁾: وهو وإن كان ذا أصول صوفية وذا مشرب رحمانى الطريقة، فإنه شارك في الدفاع عن رموز التصوف أمثال الجيلاني الذي كتب عنه "السيف الرباني في عنق المعترض على الغوث الجيلاني" في الرد على منتقدي القادرية.

وأهمية المكي بن عزوز أنه كان قنطرة لنقل أفكار الجامعة الإسلامية، وقد أسس في المدينة المنورة "جمعية الشرفاء" سنة (1913) ⁽⁵⁾، وهو من العلماء الذين تأثر بها عبد العزيز الثعالبي الذي سيزور الجزائر سنة (1895) ⁽⁶⁾.

تبرز أهمية المكي بن عزوز في انتصاره للخط الاجتهادي المنفتح على باقي المذاهب الإسلامية، ودفاعه عن الخط الأصيل في التصوف، وهذا ما جعل بعضهم يؤكد على هذا الخط الجديد في التصوف النازع للإصلاح، والذي كان من رموزه مشرقا الشيخ عlish وأبو الهدى الصيادي، ومن شواهد هذا دفاعه المستميت عن كرامات الشيخ الجيلاني، في كتابه "السيف الرباني في عنق المعترض على الغوث الجيلاني"⁽⁷⁾، كما كانت له ردود على بعض مقالات الوهابية في التوسل والاستغاثة ضمنها هذا الكتاب وغيره⁽⁸⁾.

هذا بالإضافة إلى أمداحه في شيوخ الرحمانية مثل علي بن عثمان الذي خصه بقصيدة: "وسيلة الأمان في مناقب الشيخ علي بن عثمان"، ومنها كشيخنا طود الأسانيد علي---هو ابن عثمان زكي العمل. وغيرها⁽⁹⁾ إضافة إلى ردوده على رواد المدرسة العقلية، حيث انتقد رشيد رضا في موقفه الرافض للتوسع في الكرامات: "أنتم تعلمون أن الكرامة ثابتة عند أهل السنة قاطبة حتى الإسفرايني والقشيري المروي عنهما البحث في شأن

(1) عبد الجميد زوزو، الأوراس، نفسه، ج 1 ص 365.

(2) الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930)، مرجع سابق، ج 2 ص 177.

(3) محمد الزرهوني، "ذكرى الذاكر والمذكور الشيخ قدور بن عاشور مداح النبي المبرور"، الجزائر، مجلة الثقافة العدد 103، ص 138.

(4) محمد المكي بن عزوز (1854-1915م) له: رفع النزاع في بيان معنى التقليد ومعنى الإتياع، المسألة المهمة في سبب اختلاف الأئمة، الهلال في بيان حركة الإقبال في الميقات، النفحات الرحمانية في مناقب رجال الخلوتية، هيئة الناسك في أن القبض هو مذهب الإمام مالك، رسالة في أصول الحديث، عقيدة الإسلام، تلخيص الأسانيد، انظر: شجرة النور، مرجع سابق، ص 423. فهرس الفهارس، مرجع سابق، ج 2 ص 229. معجم المؤلفين، مرجع سابق، ج 3 ص 733. معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 231. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3 ص 217.

(5) تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5 ص 603. وقال إن الفرنسيين كانوا يتهمونها بإثارة الجنوب الجزائر ضدهم.

(6) علال الفاسي، الحركات الاستقلالية، مرجع سابق، ص 41.

(7) طبع ضمن رسائل بن عزوز من اعتناء علي الرضا الحسيني، ط 1، 1984، صص 137-252.

(8) انظر المكي بن عزوز، السيف الرباني في عنق المعترض على الغوث الجيلاني، د. ط. د. ت. ص 176.

(9) جريدة النجاح، عبد المجيد بن إبراهيم "الضالة المنشودة"، ع 272 (12-2-1926)، ص 2.

الكرامة ما أنكرها، وإنما قالاً أنها لا تبلغ مبلغ المعجزة، وبعضهم اشترط أن لا تتوالى ولا تترادف ترادفا يجعلها عادة وفيه نظر، وكلاهما الآن في جواز وقوعها إمكاناً وسنة لا في عوارضها، وإرشاداتكم على طريقة السلف الصالحين في الاعتقاد، وهل نطق بذلك أحد من أهل القرون الثلاثة ؟ فتأملوا المسألة فإن خطرها كبير، والماديون والطبيعيون بالمرصاد، فإذا سمعوا علماء الملة يقولون بعدم خرق العادة، فيا بشراهم يبنون على هذا الأساس الموهوم ما شاءوا لأن مذاهبهم انعزال الخالق جل جلاله عن التصرف في العالم استغناء بالطبيعة، أعاذنا الله وإياكم من الضلالة وبالله التوفيق".

ويذهب البعض إلى أن الشيخ تحول جذرياً إلى الخط السلفي بشواهد عديدة منها مراسلات الشيخ محمود شكري الألوسي السلفي التوجه الذي ناصحه بعد قراءة كتابه عن الجيلاني، وأنه تغير بعد ذلك، ويضعون لذلك فترة انتقاله للأستنانة وهجرته من تونس، وكذا مراسلات جمال الدين القاسمي مع الألوسي، ومما جاء فيها: "إن حضرة العالم النحرير، سليل العلماء الأفاضل السيد محمد المكي بن عزوز التونسي نزيل الأستنانة كان من أشدّاء المتعصبين للجهميين والقبوريين، ثم بصّره الله تعالى الحق فاعتنقه، وأصبح يدافع عنه"⁽¹⁾ ورد الألوسي على القاسمي في رسالة جاء فيها: "فأرسلت له كتاب "منهاج التأسيس" مع التتمة المسماة "بفتح الرحمن"، وذلك سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة وألف، وكان إذ ذاك في تونس لم يهاجر بعد، ولم أعلمه بالمرسل، ويخطر لي أنني كتبت له كتاباً أيضاً التمسست منه أن يطالع الكتاب كله مع التمسك بالإنصاف، ولم أذكر أسمى ولا ختمته بختمتي، وأرسلت كل ذلك إليه مع البريد الإنكليزي، وبعد ذلك بمدة هاجر إلى القسطنطينية، وكان يجتمع كثيراً مع ابن العم علي أفندي ويسأله عن كتب الشيخين ويتشوق إليها.. وقد اجتمع به ابن العم في هذا السفر الأخير وأخبرني عنه أنه الآن تمذهب بمذهب السلف قولاً وفعلماً وأصبح يجادل أعداءه، ويخاصم عنه"⁽²⁾.

ومن شواهد ذلك مراسلاته مع عبدالعزيز الرشيد صاحب مجلة (الكويت) ومما جاء فيها: "أني لست أعني بالدين الدين الذي قنع به أكثر طلبة العصر والمنتسبين إلى العلم في الشرق والغرب من كل مذهب من مذاهب أهل السنة...ولكني أعني بالعلم والدين علم السنة، وما الدين إلا اتباعها وإيثارها على عصارات الآراء وهجومه المتفقهة، وما التوحيد إلا توحيد السلف الصالح، وأما غيره فأشبهه بالضلالات وزلقات الهفوات"⁽³⁾. كما يؤكد ابن باديس تحوله في الشهاب: "كان قبل رحلته المشرقية من أساطين الطريقة، فلما رحل إلى المشرق وطالع كتب السنة أصبح سلفياً مصلحاً من كبار السلفيين المصلحين"⁽⁴⁾.

وعلى الرغم مما سبق، فإن الراجح أن الرجل اختط خطاً جديداً قوامه التصوف المعتدل والإصلاح والانتصار للجامعة الإسلامية، وقد كان ولده الكامل مؤسس زاوية رحمانية بتونس⁽⁵⁾، وقد احتفظ له الطريقون بالود

(1) محمد العجبي، الرسائل المتبادلة بين جمال الدين القاسمي ومحمود شكري الألوسي، ط1، بيروت، دار البشائر الإسلامية، 2001، ص 101.

(2) المرجع السابق، ص 113-115.

(3) على الرضا الحسيني: المكي بن عزوز - حياته وآثاره، ص 12.

(4) الشهاب، ع (14-3-1937)، ج 1 ص 26. المرصاد، مقال "الشيخ التبريزي بن عزوز"، ع (8-7-1932)، ص 1.

(5) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 182.

كما هو رثاء الشيخ عبد الرحمان الديسي، وكذا الإصلاحيون فيما بعد بذلك، فعند وفاته رثاه الطيب العقبي بقصيدة جاوزت خمسين بيتا، وقال في تقديمها: "وهذه قصيدة قلتها بالمدينة المنورة أرثي بها العلامة الشيخ محمد المكي بن عزوز دفين دار السعادة لما بلغني خبر وفاته، وكان مما يعز علي كثيرا لما بيني وبينه من المؤانسة وعظيم الوداد، ولم أرث أحدا قبله فهي أول مرثية لي، وجاء في مطلعها⁽¹⁾:

هي الدار في أحداثها تتجرم-----سرور فأحزان، فعرس فمأثم.

ب-التحول نحو التصوف، نموذج عمر بن قدور: الرجل الذي أضاع الجزائر بآرائه الإصلاحية الكثيرة في مکتوباته في الصحف التونسية، وفي جريدة الفاروق، ولكنه بعد محنة النفي إلى الأغواط أيام الحرب الأولى، والتقائه بالشيخ التاوتي مقدم التجانية بها، انعطف كلية نحو التصوف، وناصح عن التجانية وآرائها في ردوده على مدرسة المنار⁽²⁾، وفي تأليفه في الدفاع عن التصوف وكونه سبيلا للإصلاح، وهو ما جر عليه نقودا متوالية في العشرينيات⁽³⁾.

8-نقد الوهابية: وذلك مجارة لجملة ردود المغاربة والتونسيين على الحركة الوهابية ومواقفها السلبية تجاه الطرق والتصوف، حيث كتبت عديد الرسائل في ذلك⁽⁴⁾، ومن الجزائريين الذين بكروا في هذا المشروع بلقاسم بن كابو (1863-1653)، الذي درس بالقرويين خمس سنوات، ثم سافر للحج وجاور بالحرم فدخل في صراع معهم، وبه أدخل السجن، ثم سافر إلى الشام، والتقى يوسف النبهاني المشهور أيضا بردوده على الوهابية، وقد أجاز به بمسموعاته ومروياته وأسانيده الصوفية والحديثية⁽⁵⁾.

المطلب الرابع: ملامح وخلاصات العلاقات في مطلع القرن.

يمكن الخلوص بعد هذا العرض لبعض العلاقات بين الفريقين إلى النتائج الآتية:

1-بدايات تراجع الطرق:

وهو ما لاحظته الدراساتون الراصدون للوضع الديني بالجزائر مطلع القرن، فقد انتهى الإسكندر جولي من دراسته إلى أن الطرق الصوفية تموت تلقائيا بموت العضو الحي، إذ يعتريها الهرم والفناء، ومن رأيه أن الطريقة تعيش شبابها وكهولتها بحياة شيخها المؤسس ثم يخلفه خلف أضعف منه وأقل حماسا، فتضعف الزاوية وتنكمش سمعتها عند العامة ويكثر التنافس بين الفروع، ومن ثمة تتحلل وتنتهي⁽⁶⁾.

ومما لاحظته أوغسطين بيرك أن التصوف الجزائري غير المشرقي، وأنه يعتمد على الأشخاص أكثر من الأفكار، وأنه يهتم بالكرامة والمحسوس المعبود، فالطرق الصوفية ذات طابع منغلق ومستتر وليست طرقا مفتوحة مستقطبة، ولخصها في ثلاث مراحل: الأولى حتى (1990) وخلالها كانت معارضة للاحتلال، والثانية حتى

(1) السنوسي، شعراء الجزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 142. الطيب العقبي الأعمال الكاملة، مرجع سابق، ج 2 ص 346.

(2) بن قدور، الإبداء والإعادة، مرجع سابق، ص 318.

(3) المنتقد، ع 10 (3-9-1925)، ص 186.

(4) انظر حمادي الرديسي وأسماء نويرة، الرد على الوهابية في القرن التاسع عشر، نصوص الغرب الإسلامي، ص 125-322.

(5) سكيروج، الرحلة الحبيبية، من هامش المحقق الرازي كنون، مرجع سابق، ص 114.

(6) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 74.

(1920) حيث أعلنت خضوعها لفرنسا، والثالثة فقد أظهرت الخروج عن الخط في بعض المناطق، وأن الإصلاحية حلت محلها فيما سماه بعملية التطهير الدوري للمجتمع⁽¹⁾. وتماشت هذه السياسة مع ما سبق في القرن الماضي من تكثير الزوايا في الغرب بعد الستينيات لأن فرنسا "حاولت إخراج المرابطين من مخابئهم لتعرفهم بسيماهم، ولتضرب بهم رجال السيف الذين أخذت تنتزع منهم ما أعطتهم مؤقتا من جاه وسلطان وثروات"⁽²⁾.

هذه السياسية هي مخرجات لتحذيرات راصدي الطرق التي اعتبروها القوة النضالية في الإسلام، فقد كانت الإدارة والمختصون في الإسلاميات (Islamologie) يهابون الطرق إلى بدايات الحرب الأولى⁽³⁾، وكان هؤلاء يستذكرون تعليمات الحاكم كامبون في مداخلة له أمام مجلس الشيوخ عن تطور الزوايا وتطور التعصب، والذي اقترح بقوة إنشاء مؤسسات أخرى تضمن التسيير الديني والأخلاقي للأهالي، بل إن القريبين من الكنيسة اعتبروها بؤرة التعصب الإسلامي كما قال من بعد روبرت مونتاني سنة (1937): "استمرار الشجرة المغاربية القديمة (المرابطية) مستودع التقليد المعادي للمسيحية"، كما اعتبرها اللائكيون حجر عثرة أمام التقدم كما قال مدير شؤون الأهالي سنة (1931) "هؤلاء الدجالون الكبار الذين يشوهون الدين ويثيرون باستغلال سذاجة الجماهير، ويقاومون بشدة الروح الجديدة للفضيلة والتسامح التي سينهار تحتها وبشكل مبرم تأثيرها وتورثهم"⁽⁴⁾.

2- تأطير الهيئة الدينية وإغرائها:

وهو المسعى الذي نجحت فيه فرنسا بغية الحد من تأثير وتأطير رجال الطرق للمساجد والهيكل الدينية، فبسبب هذه السياسة التي عاضدها تخريج نخبة من المدارس الثلاث، وانتقاء بعض الخريجين من الزوايا تشكلت الهيئة الدينية المنضبطة بالقوانين الفرنسية والخاضعة لها، والتي زاد من التصاقها بالإدارة بعض الامتيازات الكاذبة والإغراءات الزائفة بالنياشين وغيرها، وهو ما سجله الإبراهيمي في التأريخ للنهضة وأسبابها: "الثالث: التطور الفكري الفجائي الذي خرج به الجمهور من ثمرات الحرب العظمى، ومن آثار ذلك التطور انحطاط قيمة المقدسات الوهمية في نظر كثير من الناس. ومما أعان على نمو هذا الأثر في النفوس تطور زعماء التخريف وأساطين التدجيل بالانكباب على المال، والتكالب في جمعه والانهماك في الملذات ومزاحمة العامة في الوظائف والنياشين بعد أن كانوا وكان سلفهم القريب يتظاهرون بالبعد عن هذه المواقف، ويتصلون من النياشين إذا عرضت لهم، ويكثرون في مجالسهم من مثل هذه الجملة "لا شيعية إلا شيعية ربي" إغراقا منهم في التلبيس على العامة، واستبقاء لطاعتها وتجنبنا لنفورها، ولكن الحرب العظمى فضحتهم بآثارها وأطوارها⁽⁵⁾. وسيكون لهذه الهيئة الدينية دور سلبي ومعيق لحركة الإصلاح فيما يأتي.

(1) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 324

(2) المرجع السابق، ج 4 ص 151.

(3) علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية، مرجع سابق، ص 63.

(4) علي مراد، نفسه، ص 63.

(5) آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 182.

3- الاختراق الفرنسي لمنظومة التعليم التقليدية:

وهو ما برزت بواكيره عند بعض الموظفين الرسميين من القرن الماضي أمثال محمود بن المفتي علي بن الأمين⁽¹⁾ في رسالته " نصيحة عمومية لأهل الحضرة والبادية" يرغب في تحبذ العلم الحديث، ويدعو إلى الإقبال على العلوم والصنائع الدنيوية التي هي محمودة ووسيلتها باللغة الفرنسية: " ولا يتأتى الإنسان أن ينكر براعة أهل فرنسا في جميع هذه الفنون – أي الرياضيات والطبيعات والتنجيم والجغرافية والطب والهندسة والحساب- مع صناعات غريبة جديدة اخترعتها، فلا يمكن الوصول إلى ما ذكرنا إلا باللغة الفرنسية وكتابتها لعدم وجود اللفظ العربي"⁽²⁾، ثم يذكر تمجيد لفرنسا أن باريس هي مركز الصنائع والاختراعات، ويثني على استعانة محمد علي باشا وبعثاته العلمية بها، ويمضي في تمجيد فرنسا: "مع أن الدولة لحنانتها سعت فيما ينفعنا بحسن رعايتها وأقامت المدارس بكل عمالة بل في كل قرية لتعليم اللغة والكتابة وغيرها من العلوم"⁽³⁾ ويعلق سعد الله على هذا بقوله: " خلال الخمسينيات والستينيات لا توجد إلا اثنان وأربعون مدرسة ابتدائية لا تكفي حتى لأبناء المخلصين لفرنسا"⁽⁴⁾.

وكان الغرض من هذا التمدد التعليمي القضاء على الزوايا" بؤر التعصب والجهالة" ووضعها تحت المراقبة مع الحرص على استبدالها بالمدارس الفرنسية، حيث " يكمن المستقبل كله" حسب التوصيف الفرنسي⁽⁵⁾. استمر الاختراق وتوطد مع الجمهورية الثالثة، وبدأ يمتد مطلع القرن، وكانت نتائجه بروز تيار النخبة الآتي رامت الاندماج مع فرنسا، وكان بعض من هذه النخبة أيضا من السدود التي واجهت حركة الإصلاح الديني فيما بعد.

4- الإحساس بالأزمة:

لم ينصرم العقدان إلا وقد توفي أكثر الجيل الأول من المحافظين الإصلاحيين أمثال المجاوي، ابن مهنا، ابن زكري، وهو ما جعل الجيل الثاني يشعر بالمرارة⁽⁶⁾، ويستعد لخوض معركة جديدة لم تسعفهم فيها القدرات ولا الإمكانيات، ولكنهم تركوا البذور التي سيسقيها جيل آخر ولج الحقل قادما من المشرق وتونس. ولكن يجب التذكير بأن المقاومة الثقافية بقيت جذواها مشتعلة على الرغم من الوضع البائس للجزائريين نتيجة التفجير والتجهيل وتشتيت القبائل والأعراس مما كان حمله ينوء على الهيئة العلمية، حيث وصل

(1) الإمام في المدرسة السلطانية الكوليج، والذي تولى التدريس في الجامع الكبير، وتوفي في (17-2-1897م)، وترك تعليقا في الطب، ومقالا في تحبذ الانتخابات وطلب الاقتداء بها من المسلمين، نشر بجريدة الجوائب المشرقية ثم بالمبشر وله ترجمة في الحفناوي.

(2) محمود بن المفتي، نصيحة عمومية لأهل الحضرة والبادية، ص 93.

(3) محمود بن المفتي، نصيحة عمومية لأهل الحضرة والبادية، ص 95.

(4) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 6 ص 216.

(5) عبد الحميد زوزو، الأوراس، مرجع سابق، ج 1 ص 357.

(6) عمر بن قدور في قصائد كثيرة مثل "دمعة على الملة"، وفي "أنين الضمير" وفي "إلى الأمة الإسلامية"، انظر مقدمة تحقيق الإبداء والإعادة، مرجع سابق، ص 7. والمولود الزريبي في "زفرات العشي" مقالات الزريبي، مرجع سابق، ج 1 ص 69.

الأمر ببعض المناطق أن فقدت رسوم الإسلام، حتى أن بعضهم كان يدفن الموتى بدون صلاة⁽¹⁾، واستطاعت بعض المعاهد والزوايا ملأ الفراغ بتأطير الشعب وربطه بهويته الدينية أمام المشروع الاستعماري الغالب.

5- خفوت الخلافات الإصلاحية الطرقية:

حيث أن أكثر المنتسبين للحقل العلمائي سواء كان محافظاً أو طريقياً كان منشداً إلى امتصاص الصدمة الاستعمارية، والإمساك بتلابيب الهوية من الضياع، فتضافرت الجهود لأجل هذا الهدف، باعتبار المستهدف الواحد، وفي هذا نستذكر شهادة بن نبي عن حال قسنطينة أول الأمر: "كان جدي من مؤيدي الشيخ (بن مهنة) أحد رواد رجال الإصلاح الجزائري في نهاية القرن الماضي، وكان اندفاعه لتأييد الإصلاح يعادل ارتباطه بالطريقة العيسوية، ولم يكن الخلاف بين هذين التيارين المتعارضين قد اتخذ ذلك الطابع العنيف الذي عرفه جيلنا خصوصاً بعد سنة 1922، مع ظهور الصحافة المعبرة عن الرأي العام كصحيفة (المنتقد) التي ظهرت في مدينة قسنطينة"⁽²⁾.

6- حضور الإدارة الفرنسية:

ممثلة بمكاتب شؤون الأهالي وجحافل الإداريين وبضعة من المستشرقين الذين كانوا يرقبون الأوضاع بعين فاحصة، والذين راموا إبقاء الأوضاع كما هي دون ترك لفرص للجميع عله ينهض من كبوته أو يتحرر من خناقه، فقد رسمت الإدارة الفرنسية سياستها في إبقاء الجميع تحت خطوط مسطورة، وحسب عديد الراصدين فإن الخلافات الإصلاحية الطرقية بعد هذين العقدين لم تبلغ حدتها في أي بلد إسلامي آخر مثل الجزائر، "لم تبق الإدارة مكتوفة الأيدي أو غير مكترثة، إذا بدا لها أنه من الضروري بمكان التدخل في هذا الصراع، ومن المحتمل أن تكون قد فعلت ذلك بقصد إبقاء الجماعة الإسلامية في توازن اجتماعي وديني من شأنه أن يحفظ على النظام العام".

وهو ما سنجده مطبقاً بجلاء كسياسة ناظمة في تعامل الإدارة مع الفرقاء بمكاييل متعددة تضمن لها السيادة، وهو ما اختل نوعاً ما في باقي العقود اللاحقة.

(1) ابن عبد الحكم، المرأة الجليلة، مرجع سابق، ص 252، والكلام هنا عن بعض قرى جبل الونشريس، والأمر مثله كان في جبال الناظور وجيجل حسب ابن مهنا.

(2) مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، مرجع سابق، ص 35.

الفصل الثاني

العلاقات الإصلاحية الطرقية في العشرينيات (1931-1920)

- المبحث الأول: الإصلاحيون في العشرينيات (1931-1920).
- المبحث الثاني: الطرقيون في العشرينيات (1931-1920).
- المبحث الثالث: الجدل الإصلاحي الطرقي في العشرينيات.
- المبحث الرابع: تجليات العلاقات الإصلاحية الطرقية في العشرينيات.

المبحث الأول: الإصلاحيون في العشرينيات (1920-1931).

يتناول هذا المبحث واقع الإصلاح وقضاياها ومواقفه التي بدأت تظهر معالمها وقضاياها بقوة، ووسائله المتاحة، ويفحص منتجه الفكري والأدبي، والحقول التي تحرك فيها، بعد البدايات الباهتة فيما قبل الحرب العالمية الأولى.

المطلب الأول: أسباب صعود الإصلاح بعد الحرب العالمية الأولى.

هناك أسباب كبيرة جعلت جنين الإصلاح الذي تكوّن قبيل الحرب العالمية الأولى، يولد أثناءها في ظروف عسيرة، ويدلج طور الشباب وبسرعة هائلة هيأته لأن يكون حزبا وعصبة كبيرة مع نهايات العشرينيات من القرن المنصرم، فما هي أسباب ذلك؟، يمكن أن نجمل الأسباب الرئيسة لانطلاقة الإصلاح فيما يأتي:

أ- التغيرات الكبرى الناتجة عن الحرب الأولى، ومن أهمها التغيرات السياسية التي ذهبت بالإمبراطوريات القديمة (العثمانية، النمساوية)، وصعود قوى جديدة كأمريكا، ولعل الحدث الأبرز هو سقوط الخلافة العثمانية، وما رافقها من تجدد النفس المقاوم للاحتلال في مثل انتفاضة الريف ضد الاحتلال الإسباني سنة (1925)⁽¹⁾، وكذا أصداء الحرب السنوسية الإيطالية في ليبيا المستمرة منذ احتلالها سنة (1911).

ب- أصداء الثورات المختلفة في العالم، كالثورة البلشفية (1917)، والثورة العربية في المشرق (1916).

ج- عودة المجندين من جبهات القتال المختلفة، والذين نقلوا صورا عن الأحداث والشعوب الأخرى، وعن صعود النماذج السياسية المعاصرة في المعارضة وإنشاء الأحزاب والنقابات والجمعيات⁽²⁾.

د- العودة الحاشدة من المشرق⁽³⁾، فمن تونس عاد ابن باديس، ومن الحجاز العقبي والإبراهيمي⁽⁴⁾، ومن الشام أبو يعلى الزواوي⁽⁵⁾، ومن مصر المولود الزريبي، والمولود الحافظي، وأرزقي الشرفاوي وغيرهم.

هـ- قانون (4 فيفري 1919)، والذي منح شيئا من الحقوق، وفتح باب المواطنة، ومن ذلك ما نصته مادته القائلة بأن الأهالي لهم حق شغل الوظائف والأعمال العمومية وحق الترشح والتصويت، وإمكانية التجنس، وبعض الحقوق المدنية، مما أدى إلى وصف الجزائر بالمستعمرة الهادئة خلال العشرينيات⁽⁶⁾.

و- بدايات النهضة الصحفية والقلمية في الجزائر، وتأسيس مطبعة النجاح بقسطينة سنة (1919)⁽⁷⁾.

(1) انظر بن يوسف بن خدة، جذور أول نوفمبر، مرجع سابق، ص 63.

(2) انظر زوزو، الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين، مرجع سابق، ص 16. الحركة الوطنية، مرجع سابق، ج 2 ص 119.

(3) علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، مرجع سابق، ص 20.

(4) انظر الإبراهيمي "فلسفة جمعية العلماء"، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 182. وكذا محمد الطاهر العنيزي، ابن حمدان الونيسي عاد من الحجاز بعد هجرة والده وكان يلبس الكوفية والعقال، ويتكلم العربية الحجازية، انظر مذكرات شاهد القرن، ص 10.

(5) سعد الله، آراء وأبحاث، ج 2 ص 146. وانظر الحركة الوطنية الجزائرية (1930-1900)، ج 2 ص 389.

(6) علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، ص 21. سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، ج 2 ص 272.

-Charles Robert Ageron: Histoire De L'Algérie Contemporaine 1830-1973-que sais-je-op-cit. p74.

(7) سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 311. المدني، الجزائر، مرجع سابق، ص 459.

ز- نتاج المدارس العدلية، والتي خرجت حسب العمودي: "شبيبة مهبدة تتوقد غيرة وهياما بالنهوض والرقى"⁽¹⁾، وهي نخبة سيكون لبعضها دور في تغيير الأوضاع الثقافية، وتعضيد أطروحات الإصلاحيين.

ح- الجمعيات الناهضة: مثل جمعية "المهذبة" للتمثيل والأدب العربي، والتي رأسها الشريف الطاهر سنة (1921)، وجمعيات الأندلسية والطليعة الموسيقية، وبواكير حركة المسرح الوطني مثل تمثيل رواية "في سبيل الوطن"، ورواية "المصلح" سنة (1923)، أو مسرحيات علي سلاي علالو مثل: حلاق قرطبة، عنتر الحشائسي، الخليفة والصيد"⁽²⁾، وهي حركة بدأت تدب في أوصال الجسم الجزائري، وتدفعه لمحاكاة النهضة المشرقية.

ط- الوافد الثقافي المشرقي: ففي العشرينيات حلت فرقة جورج أبيض المصرية، وقدمت مسرحيات عديدة بالعربية الفصحى، ونالت إعجاب الطبقة المثقفة، وكانت رافدا لإنشاء المسرح الجزائري⁽³⁾. ومن بعدها وردت فرقة السيدة فاطمة رشدي سنة (1934)، وكانت موضع احتفاء المثقفين الجزائريين، وكتبت عنها الصحف الجزائرية، وجاءت بعد الاحتفال المئوي الفرنسي باحتلال الجزائر، مما شكل ضربة موجعة للتأثير الثقافي الفرنسي⁽⁴⁾. ويضاف لذلك زيارات فنية تونسية: مثل "جوق الأدب الأندلسي" الذي مثلت روايات: "عطيل، العباسة، صلاح الدين" وقد حضرها الجزائريون، وأحرزت نجاحا حسب الفرنسيين⁽⁵⁾.

ك- بدايات الجمعيات الدينية المهتمة بالتعليم والمساجد والحالة الاجتماعية والخيرية، وإن كانت البدايات محتشمة، فإن الأمر سيتحول إلى ظاهرة بارزة في الثلاثينيات وما بعدها، حيث لا يخلو تجمع مدني من جمعية قائمة⁽⁶⁾.

ل- قرب النخب العلمانية من السكان ومشاركتهم إياهم في ذات الثقافة ونفس اللسان، على العكس من نخبة الفتيان الجزائريين، والذين كانوا شديدي الاقتراب من الأطارح الاندماجية، ومن الثقافة الفرنسية، فضلا من أن بعضهم غيّر دينه وارتقى في أحضان الحياة الغربية، مما جعل تأثيرهم خفيفا على الشعور العام الذي كان يرى بعين السوء لكل منقلب أو مرتد (تورز، متورز)⁽⁷⁾.

ويمكن التمثيل لبواكير الاتجاه الجديد الشاعر بالتمايز عن الغربي الفرنسي بتأسيس الجمعية الودادية لطلبة شمال إفريقيا (1919)، والتي كانت تعقد اجتماعاتها بفرنسا، وذلك بعدما رفض الفرنسيون دخول الطلبة الجزائريين إلا أن يتفرنسوا، وتبعاً لذلك أسس طلبة المغرب العربي حولية عبرت عن آراء جديدة خارج

(1) جريدة الإصلاح، العمودي "الحركة الإصلاحية سيرتها ونتيجتها، مستقبلها"، ع 4 (3-10-1929)، ص 1.

(2) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 316، وج 5 ص 424.

(3) انظر بن نبي، مذكرات شاهد القرن، مرجع سابق، ص 186. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 582.

(4) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 582.

(5) المرجع السابق، ج 5 ص 417.

(6) من نماذج الجمعيات المبكرة جمعية باتنة التي وقف وراء تأسيسها الشيخ الطاهر بن المبارك والمحامي سيسبان، انظر الشهاب، ع 6 (17-12-1925) ج 1 ص 117. زوزو، الأوراس، نفسه، ج 2 ص 36. وكان تأسيس مسجد باتنة سنة (1924).

(7) جاءت من اللفظ الفرنسي -tourner- والذي يدل على الدوران والعودة. وفي استعمال سهل ميزاب "طورن" على من انتقل من المذهب المالكي إلى المذهب الإباضي، حيث كانت هناك حالات محدودة من ذلك نتيجة التثاقف والتزواج والانتقال.

الشرنقة الفرنسية⁽¹⁾، وصارت الجمعية تعقد مؤتمراتها كل سنة في إحدى بلدان المغرب العربي بعد (1931). وأشارت المرصاد إلى حفل أقامته جمعية التلاميذ المسلمين بالكليات الفرنسية بنادي الترقى (1932)⁽²⁾. وقد دعم الإصلاحيون الأوائل كل ما يجلب لهم أطيايف النخبة المتغربة، فالزاهري يقول: "اقتُرحت عليهم محاضرات بالعربية ألقيتها أنا، وبالفرنسية اقترحت عمر راسم، ولم تتم محاضراته نتيجة سفر الزاهري قبل أن يحادثه"⁽³⁾.

والمهم أن هذه الفترة امتازت بالدعوة لمبادئ الإصلاح، وبدايات الصراع مع خصومه، والنهج المختط هو الإصلاح قبل السياسة، "فالإصلاح في الجزائر ارتبط فيه الفكر بتنظيم يخضع للقيادة، عكس المشرق فأفراده متناثرون، إضافة إلى احتضان الجماهير له"⁽⁴⁾. ويمكننا تمييز الاتجاهات الفكرية في جزائر ما بعد الحرب العالمية الأولى إلى:

- أ- المحافظون المتدينون: وهم رجال الطرق، أو ورثة الاتجاه الإصلاحي المحافظ قبل الحرب الأولى.
- ب- الاتجاه الإصلاحي الإسلامي: وهم رجال الإصلاح الخالصون، وبعض ورثة الاتجاه المحافظ، وهو اتجاه سار على النهج العبدوي القائم على التمسك بالهوية الدينية دون إيغال في التقليد المذهبي، والعودة إلى الأصول، وربما تمّاس في أحيان مع الاتجاه التجديدي البحث الذي رام الاقتراب من المنتج الغربي.
- ج- الاتجاه الإصلاحي الوطني: الذي ينادي بالحقوق الجزائرية بوسيلة المطالبة بالحقوق الفرنسية وعدم التفريط في الأحوال الشخصية الإسلامية، وقد مثل هؤلاء الأمير خالد⁽⁵⁾، واستطاع بواسطة الصحافة وخاصة جريدة "الإقدام" وشعارها المثير "الدفاع عن مصالح المسلمين في شمال إفريقية" وكذا العرائض والانتخابات هزّ الكيان الاستعماري مما عجل بنفيه عن الجزائر (1923)⁽⁶⁾، وستتطور أفكاره إلى أن يرثها حزب النجم في فرنسا، ويستثمر رؤاه لصالح الاستقلال التام كما هو عند مصالي الحاج.
- د- الاتجاه النخبوي الحداثي: من المتأثرين بالأطروحات التغريبية وممن لا يمانعون في التجنيس والتخلي عن التراث، ومن يقولون بضرورة الاندماج مع الفرنسيين أمثال الدكتور تامزالي، وابن التهامي، وعبرت عنهم جرائد النصيح والتقدم⁽⁷⁾.

(1) صدر العدد العاشر سنة (1928)، انظر الحركة الوطنية الجزائرية، ج 3 ص 105. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 274.

(2) جريدة المرصاد، حفل جمعية التلاميذ، ع 5 (1-29-1932)، ص 3.

(3) الزاهري، الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير، وربما يشير الزاهري إلى سفره إلى الأغواط سنة (1925).

(4) عبد الله ركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، مرجع سابق، ص 675.

(5) الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، ج 2 ص 362. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 251. آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 5 ص 130، ويضيف له الإبراهيمي الدكتور موسى بقسنطينة وابن رجال.

(6) زوزو، الهجرة ودورها في الحركة الوطنية بين الحربين، ص 55. قنان، قضايا ودراسات في المقاومة والاستعمار، ص 182.

(7) جمال قنان، قضايا ودراسات في المقاومة والاستعمار، الجزائر، المتحف الوطني للمجاهد، د، ت، ص 111. وانظر أيضا بوصفصاف، نفسه، حيث قسمها إلى ثلاثة اتجاهات: مصلحون، محافظون تقليديون، دعاة الفرنسة والتغريب، ص 76. وانظر تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5 ص 251.

المطلب الثاني: المرجعيات الفكرية للإصلاحيين.

1- الميراث المالكي: أظهر الإصلاحيون أنهم من صميم السلالة المذهبية الجزائرية، وظلوا يصرون على الانتماء المالكي، إلا أنهم كانوا أقرب إلى المدرسة المالكية التأصيلية المهمة بالدليل، ولأجل ذلك اعتنوا بإخراج مؤلفات أعلامه مثل ابن العربي المالكي في كتابه العواصم، واحتفوا بمن كتب ضد البدع أمثال ابن الحاج في المدخل، وخاصة الإمام الشاطبي في كتابيه الموافقات والاعتصام، حيث نجد الإحالات الكثيرة على آرائه في البدعة⁽¹⁾. وظلت محاولات إيجاد السند العلمي لحملات الإصلاح على البدع قائمة من كتب المتقدمين المالكية خاصة، وهو ما عمد إليه ابن باديس قولاً وكتابة عندما كتب من بعد مقالات "إنكار العلماء المتقدمين على المدعين المبتدعين" ونقل نصوص الطرطوشي والشاطبي وأبي حيان الأندلسي والأخضري وابن الفكون والقلصادي في كتابه (لباب الأزهار اليمينية على الأنوار السنية)، ومن المتأخرين نقل عن العروسي الشافعي شيخ ابن مهنّا في الأزهر الشريف⁽²⁾.

وعلى الرغم من هذا الاعتزاز والوفاء للميراث المالكي⁽³⁾، فإن ذلك لم يمنع الإصلاحيين من الانفتاح على المذاهب الأخرى والاستمداد منها لتخريج بعض الفتاوى، كما فعل ابن باديس في جواز التأبين في المساجد عملاً بالمذهب الحنفي⁽⁴⁾، أو تدريب تلامذته على الفقه المقارن لاعتماده على "بداية المجتهد" لابن رشد في التدريس العالي⁽⁵⁾.

بل إن الإصلاحيين انتقدوا في مواضع كثيرة طرائق التعليم المتأخرة المعتمدة على المتون والمنفصلة عن الأصول، ودعوا إلى إحياء النقد والارتباط بالأدلة في القرآن والسنة، مستعدين صيحات أئمة سابقين في هذا المضمار⁽⁶⁾.

2- النهضة الإسلامية الحديثة: وهي نهضة نجد تباشرها الحديثة في أواخر العصر العثماني التي تنشرت أقلامها من الهند شرقاً إلى المغرب الأقصى غرباً، ومن جامع الفاتح بتركيا إلى جامع صنعاء باليمن، وهنا تبرز أسماء عديدة أمثال ولي الله الدهلوي (1703-1762) في الهند، ومحمد بن علي الشوكاني (1785-1834م) في اليمن.

أثمرت هذه النهضة انقلاباً في تدريس العلوم الشرعية في كل من الأزهر والزيتونة، وقد أشار ابن باديس إلى تأثيره بشخصيات علمية صقلت فيه العارضة العلمية الحجاجية القوية، ومنها محمد الطاهر ابن عاشور،

(1) جريدة السنة النبوية، ابن باديس "مقال عبداويون ثم وهابيون، ثم ماذا، لا ندري والله"، ع 3 (29 ذي الحجة 1351-25 ديسمبر 1933). وانظر الملي، رسالة الشرك ومظاهره، مرجع سابق، ص 103.

(2) جريدة السنة النبوية، ع 4 (6 محرم 1352هـ). آثار ابن باديس، جمع عمار طالبي، مرجع سابق، ج 3 ص 45.

(3) انظر علي مراد، الحركة الإصلاحية الجزائرية، مرجع سابق، ص 264.

(4) ابن باديس، التأفين لمنكر التأبين، ثلاث رسائل نادرة لابن باديس، نشرها لحسن بن علجية، الجزائر، دار الهدى، 2005، ص 55.

(5) جريدة النجاح، الدروس الباديسية بالجامع الأخضر"، ع 127 (9-28-1923)، ص 2. انظر السنوسي الزاهري، شعراء الجزائر (ترجمة محمد الهادي السنوسي)، ج 1 ص 310.

(6) الشهاب، ابن باديس، "صلاح التعليم أساس الإصلاح"، ع (رجب 1353-أكتوبر 1934)، ج 10 ص 535.

والعلامة محمد النخلي القيرواني، وستظهر تلك الاستقلالية في رد ابن باديس على ابن عاشور في قضية القراءة على الأموات.

اعتبر الإصلاحيون أنفسهم الأبناء الشرعيين للنهضة الحديثة، ويعتبر ركيبي فترة العشرينيات متميزة بمفردات النهضة، الإصلاح التقدم، رفض الفكر الغيبي، وأنها فترة مدّ نسبي للفكر الإصلاحي المعتدل"، وقد امتازت بتزاوج خطين، واحد وطني، والآخر مشرق لا يريد عزل الجزائر عن محيطها العربي⁽¹⁾. ولأجل ذلك تكررت مصطلحات الإحياء للأمة في مواجهة المسخ والطمس الفرنسي للهوية الثقافية الجزائرية.

لكن الخيط الذي فتل جميع الأصوات هو الدعوة إلى النهضة، بكل ما تحمله الكلمة من مصاديق ثقافية واجتماعية، فالدعوة للإفاقة والنهوض نجدها عند الجميع، فمثلا لدى الزاهري في قصيدة مبكرة بعنوان: "يا ويح الجزائر"⁽²⁾

ما كان لي من حاجة ومراد-----إلا تيقظ أمتي وبلادي.

هبت جميع الناس من نوم----ولم تزل الجزائر في لذيذ رقاد

وأیضا العقبي في قصدته الرائعة "الجزائر تحي الجزائر"، إذ يبكي فيها الأيام الزاهرة، ويدعو الشعب للنهضة⁽³⁾:

هذي بلادكم ترنو لهضتكم -----وكنز ثروتكم لا يزال مخزوناً

لا تهملوا خدمة الأوطان واتحدوا----فباتحادكم الأوطان تديننا

3- الحركة الوهابية: التي حركت هوامد الأقلام وأثارت الكثير من الجدل في المشرق والمغرب، حيث توالى الردود والنقود على الأطاريح الوهابية، وكان للجزائر نصيبها، إذ كان الطيب العقبي أهم رجالات الجمعية الذين رافعوا بشدة لتبني المقالات الوهابية في قضايا التطبيقات العقدية في القبور والدعاء والندور وغير ذلك، وقصيدته "الدين الخالص" خير معبر عن هذا التوجه الوهابي داخل الحركة الإصلاحية⁽⁴⁾. وكثرا ما كان يوقع مقالاته باسم السلفي.

والأمر نفسه وبدرجة أقل نجده عند أبي يعلى الزواوي حيث ينتصر للتأصيل الوهابي في العودة إلى السلفية الأولى، في ثنايا كتابه "الإسلام الصحيح"، ومن ذلك ما نشره في الشهاب: "وإني أعلنت أنني سلفي، وأعلنت أنني تبرأت من كل ما يخالف الكتاب والسنة، ورجعت عن كل قولة قلتها لم يقلها السلف الصالح"⁽⁵⁾.

ولكن الأثر الأبرز للأطاريح الوهابية سنجده عند الميلي في رسالة الشرك، التي استعان في إبرازتها الثانية بكتاب فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد لعبد اللطيف آل الشيخ، وقد ذكّر بتوافق آرائه مع الشوكاني في الدر النضيد وكتاب تطهير الاعتقاد للصنعاني مع إقراره بعدم الأخذ منهما⁽⁶⁾.

(1) عبد الله ركيبي، الشعر الجزائري الديني الحديث، مرجع سابق، ص 686.

(2) السنوسي الزاهري، شعراء الجزائر، مرجع سابق، ج 2 ص 172.

(3) شعراء الجزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 130.

(4) العقبي الطيب، الدين الخالص نشرت بجريدة المنتقد، العدد 8 (20-8-1925)، ص 135.

(5) مجلة الشهاب، ع (محرم 1355-أفريل 1936)، ج 12 ص 52.

(6) مبارك الميلي، رسالة الشرك، مرجع سابق، ص 15.

ومما يدل على شيوع الكتب العاضدة التي تنهل منها الوهابية ما خطه عمر بن البسكري لبن باديس: "وأما توغلنا في العلم الصحيح السلفي فهو ضالتنا المنشودة التي ظفرنا بها وسعادتنا العظمى التي أرجو بها الفوز عند الله والزلفى والتي نفثت في روعنا- والحمد لله - توحيدا خالصا من شوائب الشرك، وإيماننا ناشئا عن نظر صحيح، ومن الكتب التي طالعناها مطالعة تحصيل الاحكام للآمدي، بداية المجتهد، والاعتصام للشاطبي، منهاج السنة، وغيره من كتب الامام ابن تيمية، وإعلام الموقعين واغاثة اللفان، وغيرهما للإمام ابن القيم، والدر النضيد، وغيره من كتب الشوكاني، وغير هذا من كتب العلم الصحيحة بعدما طالعنا الموطأ، وصحيح البخاري، وبعض التفاسير الصحيحة، ولم يفتنا من مجلتكم الزاهرة بمجالس التذكير عدد واحد، فكم أفادتنا من علوم أدام الله حياة منشئه للإسلام"⁽¹⁾.

جعل الإصلاحيون من الوهابية ومسارها التغييري أنموذجهم الباطن في الفعل، مفتخرين على خصومها بإنجازاتها التي "هدمت أنصاهم ومحت بدعهم"، وكانت ثنائيات التوحيد والشرك غالبية على الجدل في ذلك الخطاب⁽²⁾.

4- السلفية الإصلاحية: وهي المعين الأبرز الذي نهل منه المنظرون الكبار للجمعية، وخاصة الشيخان ابن باديس والإبراهيمي، وكان الصوت الأعلى هو جمال الدين الأفغاني، الذي كان دائم الذكر في أدبيات الجمعية⁽³⁾، كما كانت فكرة الجامعة الإسلامية من شواغل الإصلاحيين في كل أدبياتهم ومواقفهم، وقد كتب الإبراهيمي في أسباب رحلته المشرقية الأخيرة: "إن السبب الأكبر لرحلتي هذه بعد الدراسة والتعارف هو السعي في إحياء الجامعة الإسلامية التي هي خير ما يجتمع عليه الشرق وأممه ومملته"⁽⁴⁾. ونجد الإشادة الدائمة بأعمدة هذا الاتجاه التجديدي في مكتوبات الإصلاحيين، فابن باديس يشيد بالشيخ طاهر الجزائري: "هذا الأستاذ العظيم من أبناء الجزائر الذين ظهر نبوغهم في غير وطنهم، فدلوا على أن الطينة الجزائرية طينة علم وذكاء إذا واتها الظروف"⁽⁵⁾.

5- التوجه العبدوي: وهو التوجه الأبرز الذي نصره ابن باديس وبنى عليه سياساته الإصلاحية في الاهتمام بالتربية والتعليم قبل الولوج للاصطلام السياسي مع الاستعمار كما هو الشأن مع خطة الأفغاني، ولقد برز تأثير رواد الجمعية بالخط العبدوي في مسارين اثنين هما:

الأول: التركيز في العملية الإصلاحية على التعليم وإصلاح مناهجه، وتوسيع مساحاته في الاعتناء بالبنين والبنات أولا، ثم تثقيف الفئات الشعبية الواسعة، وهو ما نجد له تنزيلا في عمل ابن باديس الأول في الجامع الأخضر قبل تأسيس الجمعية وانتشار مدارسها.

(1) جريدة البصائر، ع 44.

(2) عبد اللطيف الهرماسي، المجتمع والإسلام والنخب الإصلاحية في تونس والجزائر، ط1، الدوحة، المركز العربي للأبحاث، 2018، ص 315.

(3) آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 5 ص 192.

(4) آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 4 ص 99. سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، ج 2 ص 378.

(5) آثار ابن باديس، مرجع سابق، ج 4 ص 152.

الثاني: الاهتمام بالتراث الإسلامي الأصيل والقفز على الميراث المملوكي والعثماني، والعودة للأصول، وهو مسار بدأته مدرسة المنار وفارسها محمد رشيد رضا (1865-1935م)، وهو ما نجده في مطبوعات المطبعة الإسلامية التي نشرت بعض أعمال ابن العربي المالكي.

هذه المرجعية العبدوية ظهرت بجلاء في الإشادة الدائمة بالأستاذ الإمام في أدبيات رجال الجمعية، فابن باديس في مقالات عديدة يشيد بالنهج العبدوي، والأمر ذاته عند الإبراهيمي في إمامة محمد عبده، واعتباره أعجوبة الأعاجيب في الأملعية وبعد النظر وعمق التفكير⁽¹⁾.

المطلب الثالث: المهاجيات العلمية للإصلاحيين.

يمكن إيجاز المهاج العلمي للإصلاحيين في الآتي:

1- العودة إلى الأصول: ارتأى الإصلاحيون في مطارحاتهم الفكرية العودة إلى النصوص المؤسسة وتوتير باب الاجتهاد بالقفز على مواريث العصور المتأخرة، ولأجل ذلك شحنت مدوناتهم بالنصوص بدلا عن النقول، ولهذا ارتفع اعتناؤهم بالقرآن والسنة، ومن حيث العمل كانت حملاتهم جارفة على البدع والخرافات، وتفصيل ذلك في الآتي:

أ- القرآن الكريم: ففي مركزية القرآن ودوره في النهضة المعاصرة يعود ابن باديس دوما لمحمد عبده في الاهتمام بالدرس التفسيري وفي اعتماد الخطة الإصلاحية على القرآن يقول: "لأن الرجوع إلى القرآن شفاء للبشرية من أمراضها، ولا حل لأزمة الإنسان الروحية إلا بأخلاق القرآن وعقائده"⁽²⁾.

والأمر نفسه نجده ذا مركزية واضحة في حججيات الإبراهيمي الذي يقول: "هذا هو القرآن الذي صلح عليه أول الأمة، وهو الذي لا يصلح آخرها إلا عليه، فإذا كانت الأمة شاعرة بسوء حالها جادة في الإصلاح، فما عليها إلا أن تعود إلى كتاب ربها فتحكمه في نفسها وتحكم به، وتسير على ضوئه وتعمل بمبادئه وأحكامه، والله يؤيدها ويأخذ بناصرتها، وهو على كل شيء قدير"⁽³⁾. وفي الترجمة ذاتها عن حضور القرآن في العمل الإصلاحي يقول أبو يعلى: "مذهب أهل الحق في ذلك هو مذهب القرآن العظيم، (قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) وهو مذهب السلف"⁽⁴⁾.

عمد الإصلاحيون إلى نقد طرائق الطرقيين في اعتماد القرآن مطية للتكسب في القبور والوعادات، ونعوا عليهم انكفافهم عن الدرس التفسيري، هذا الأخير الذي برع الإصلاحيون في الاعتناء به تفسيرا كما هو الشأن عند ابن باديس الذي ختم تفسيره بعد عشر سنوات سنة (1939)⁽⁵⁾، وهو تفسير مرتبط بالواقع، ومنشّد

(1) آثار الإمام البشير الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 4، ص 183. وج 1 ص 181.

(2) ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ط 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1995، ص 190.

(3) الإبراهيمي، آثار الإمام، مرجع سابق، ج 4 ص 94.

(4) أبو يعلى الزواوي، الإسلام الصحيح، مصر، مطبعة المنار، 1345هـ، ص 4.

(5) في ختم ابن باديس انظر مقال الإبراهيمي في الشهاب، ع (ربيع الثاني وجمادى 1357، 1-جوان، جويلية 1938)، ج 14 ص 171. علي مراد، ابن باديس مفسرا للقرآن، ط موتون، لاهاي، 1971. وقد طبع ما نزل منه في الشهاب بعنوان "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير"، ويهتم الجامعان محمد الصالح رمضان وتوفيق محمد شاهين بالتصرف بالحذف والتقديم والتأخير. انظر تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7 ص 19.

إلى مشاكل المسلمين، مما دفع البعض إلى تسميته بمدرسة الشهاب، وهذا الختم أمر لم يعرفه الجزائريون منذ ابن مرزوق التلمساني، ومن المفسرين أيضا الشيخ العربي التبسي الذي ختمه متفرقا بين المدن التي كان يعمل بها مثل تبسة وسيق وقسنطينة، ودام تفسيره اثنين وعشرين سنة⁽¹⁾، وكذا في تفسير عبد المجيد بن حبة الذي دام (1940-1952)⁽²⁾. وسيتبع معهم الشيخ أحمد سحنون في السنوات الأخيرة، والشيخ بيوض عند إصلاحي الإباضية.

نقل لنا الميلي مواقف بعض الطريقين في رفض الخوض في التفسير بدعوى أن صوابه خطأ وخطأه كفر، ووقف بعضهم في مسجد سيدي عقبة معارضا بن باديس في التفسير طالبا منه درسا في خليل، بل إن بعضهم كتب في النجاح أن الرجوع إلى الكتاب والسنة ضلال مبین وخسارة كبيرة⁽³⁾.

كما أدخل بعض الإصلاحيين الأساليب الشرقية في التجويد التي لم يعرفها الجزائريون⁽⁴⁾، وإنما كانت طرائقهم المقامات الأندلسية المتداولة في مساجد العاصمة العتيقة، أو طرائق قراءة المحمول والشرقي والمعسكري في غيرها.

ب- السنة النبوية: حظيت السنة باهتمام عظيم عند الإصلاحيين من حيث الاعتناء بها وإيرادها في مقالاتهم ومدوناتهم، ودعوتهم إلى الارتكاز على الصحيح منها، وذلك في نبر ظاهر للطريقين المتهمين بإيراد الضعيف والتالف الذي تمتلئ به كتب المتصوفة الأخيرة، وخاصة كتب مناقب الأولياء ودواوين الطرق.

وكان الإصلاحيون في هذا أوفياء للتوجه السلفي الإصلاحي مع رشيد رضا ومدرسته التي أحيت كتب السنة، وجعلتها مدار استشهادها في عديد الفتاوى التي تمتلئ بها مجلة المنار.

يقول ابن باديس في التأسيس لهذا النهج: "فأخذنا على أنفسنا دعوة الناس إلى السنة النبوية المحمدية وتخصيصها بالتقدم والأحجية فكانت دعوتنا- علم الله- من أول يوم إليها والحث على التمسك والرجوع إليها، ونحن اليوم على ما كنا سائرون وإلى الغاية التي سعينا إليها قاصدون"⁽⁵⁾. والأمر نفسه في التأكيد على مركزية السنة نجده عند خطيب الإصلاح بالعاصمة أبو يعلى الذي يقول: "أما أنا ومن على شاكلتي من إخواني الكثيرين فلا شريعة ولا دين ولا ديوان إلا الكتاب والسنة وما عليه محمد صلى الله عليه وسلم"⁽⁶⁾.

(1) دبوز، أعلام الإصلاح، مرجع سابق، ج 2 ص 44. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 13.

(2) فوزي مصمودي، أعلام بسكرة، ص 75. ويمكن التذكير بتفسير الطاهر العبيدي للطريقين.

(3) الميلي، رسالة الشرك، مرجع سابق، ص 83، أحوال على جريدة النجاح العدد (272) في (رجب 1344). تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7 ص 11. وأدركت الشيخ علي بن الذبيبة في مسجدنا بمطليي يمنع طلبته من مدارس التفسير المتوفر في مكتبة المسجد (تفسير الخازن) مرددا ذات العبارة، كما أخبرني والذي عبد الله بن موسى رحمهما الله جميعا، وفي السبعينيات كان البعض يضيق بدروس التفسير لشيخ الإصلاحيين المالكية بغرداية الشيخ الأخضر الدهمة.

(4) اشتهر العقبي بأنه من كبار المجودين، وقد أخذ الطريقة المشرقية من الحجاز. انظر مريوش، الطيب العقبي، مرجع سابق، ص 35.

(5) جريدة السنة النبوية المحمدية، ع 1 (8 ذو الحجة 1351هـ)، ص 1. آثار ابن باديس، مرجع سابق، ج 3 ص 25.

(6) أبو يعلى، الإسلام الصحيح، مصر، مطبعة المنار، 1345، ص 5.

والأعلى صوتا في هذا هو العقبي القائل: "فما وجد عقلاء المفكرين وحكماء المرشدين مثل قرع باب الإصلاح والرجوع بالأمة من حيث الدين والعقائد إلى ما كان عليها سلفها، ورد كل خلاف أو نزاع بين طوائفها ومذاهبها إلى أصل الدين الذي هو الكتاب والسنة وعمل السلف"⁽¹⁾.

وتأكيدا على هذا المنزع الحديثي أسست الجمعية جريدة "السنة النبوية"⁽²⁾، إضافة إلى اهتمام ابن باديس بالحديث النبوي في دروسه ومقالاته ومناظراته، كما هو الشأن في ردوده على ابن عاشور وابن عليوة والشيخ أحمد التجاني، أو ما نشر في "مجالس التذكير من كلام البشير النذير"، وهو تجميع لمقالاته في الحديث النبوي التي نشرها في الشهاب، وتوخى بها الإصلاح واستنتاج العبر حول الحاضر والظروف السياسية والثقافية التي يحياها المسلمون⁽³⁾.

وقبل ذلك عمد النهج الباديسي منذ العهود الأولى للتعليم الحر بقسنطينة لنشر الحديث في قطيعة معرفية مع الموروث العثماني الذي غاب عنه درس الحديث، والذي لم يكن يعرف إلا سرد البخاري في مواسم رجب ورمضان⁽⁴⁾، أو قراءة الشفا للقاضي عياض في المولد النبوي الشريف، فابن باديس فضلا عن دروسه في تفسير الحديث في الجامع الأخضر كان ينشر تفاسير الحديث ويختارها بحيث تمس جمهورا عريضا⁽⁵⁾.

2- تجديد الدرس العقدي: فتح الإصلاحيون باب القول العلمي في تجديد الدرس العقدي، والقفز به عن الموروث في الدراسة المتنية لعقائد السنوسي المهيمنة على المعاهد والزوايا الجزائرية⁽⁶⁾، ولأجل ذلك تتالت الدعوات لتجديد الدرس العقدي، فهذا ابن باديس يقول: "أدلة العقائد كلها مبسوبة في القرآن العظيم بغاية البيان ونهاية التيسير، فحق على أهل العلم أن يقوموا بتعليم العامة لعقائدها الدينية، وأدلة تلك العقائد من القرآن العظيم، ولن يجد العامي الأدلة سهلة قريبة إلا في كتاب الله، أما الإعراض عن أدلة القرآن والذهاب مع أدلة المتكلمين فإنه من الهجر لكتاب الله، وتصعيب العلم على العباد، وهم في أشد الحاجة إليه، وقد كان من نتيجته ما نراه اليوم في عامة المسلمين من جهل بعقائد الإسلام وحقائقه"⁽⁷⁾.

وهو ما سنجده عند الإبراهيمي والعقبي والميلي في الدعوة إلى ترك الأساليب الكلامية والدعوة إلى تبسيط العقائد.

(1) صدى الصحراء، العقبي، "فكرة حرة"، ع 3 (7-12-1925). مقالات العقبي، مرجع سابق، ج 1 ص 25.

(2) تأسست الجريدة في قسنطينة واستمرت من (1-4-1933) وتوقفت بعد أربعة أشهر يوم (3-7-1933م).

(3) ابن باديس، مجالس التذكير من كلام البشير النذير، المقدمة، ص 16. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7 ص 46.

(4) عن ختم البخاري وعاداته انظر محمد بن أبي شنب، "الرجال الذين روى صحيح البخاري وبلغوه لأهل مدينة الجزائر" دراسة مصطفى حميداتو، جامعة الوادي، مجلة المنهل، المجلد 5، العدد 1، جوان 2919. ص 105.

(5) علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية، ص 348. وأول كتاب درسه بالجامع الأخضر كان الشفا لعياض. انظر مقال "أبعد عشرين سنة في التعليم نسأل هل عندنا رخصة" جريدة الصراط، ع 7 (30-10-1933).

(6) محمد عبد الحليم ببشي، "جهود الجزائريين في العناية بالعقائد السنوسية"، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جمعية كليات الشريعة، الجزائر، العدد 12، السنة التاسعة، 2017.

(7) جريدة السنة النبوية، ابن باديس "بواعثنا عملنا خطتنا غايتنا"، ع 1 (9 أفريل، 1933)، ص 1.

وفي هذا المضمار اهتم الإصلاحيون بالتيارات المعادية للإسلام، فكثرت نقودهم للدعوات العلمانية الصاعدة، فالزاهري يلتحق بركب المهاجمين لطله حسين وسلامة موسى الملحدين -في نظره- المقلدين أعوان الاستعمار، وذلك في أيام الجدل حول كتاب "في الشعر الجاهلي"⁽¹⁾، وهذا الاهتمام منبئ عن توسع المدارك الفكرية للإصلاحيين.

3- الحملة على الشريكات والفلكور الصوفي: وكانت بواكير ذلك في تسمية ابن باديس لأول جرائده بالمنتقد في نقض لخطة المتصوفة في قولهم "اعتقد ولا تنتقد"، والتي اعتبرها الميلي أول صحيفة لتحرير الأمة من ضغط "ديوان الصالحين"، هذا الأخير الذي اعتبرت مقالته "العقل الجزائري في خطر" أول استخفاف وسخرية بحكومة القطب وديوانه، مما فتح استياء الدوائر الطرقية⁽²⁾.

وفي هذا التوصيف لبدایات تلك الحملة الضاربة على المورث الطرقي يؤرخ الابراهيمي لمرحلة العشرينيات: "في هذه الفترة ما بين سنتي (1920-1930) كانت الصلة بيني وبين ابن باديس قوية وكنا نتلاقى في كل أسبوعين أو كل شهر على الأكثر، يزورني في بلدي -سطيف- أو أزوره في قسنطينة، فنز أعمالنا بالقسط ونزن آثارها في الشعب بالعدل، ونبني على ذلك أمرنا، ونضع على الورق برامجنا للمستقبل بميزان لا يختل أبداً، وكنا نقرأ للحوادث والمفاجآت حسابها، فكانت هذه السنوات العشر كلها إرهاصات لتأسيس جمعية العلماء الجزائريين. كملت لنا على هذه الحالة عشر سنوات كانت كلها إعداداً وتهيئة للحدث الأعظم وهو إخراج جمعية العلماء من حيز القول إلى حيز الفعل، وأصبح لنا جيش من التلامذة يحمل فكرتنا وعقيدتنا مسلح بالخطباء والكتاب والشعراء، يلتف به مئات الآلاف من أنصار الفكرة وحملة العقيدة يجمعهم كلهم إيمان واحد، وفكرة واحدة، وحماس متأجج، وغضب حاد على الاستعمار. كانت الطريقة التي اتفقنا عليها أنا وابن باديس في اجتماعنا بالمدينة في تربية النشء هي ألا نتوسع له في العلم، وإنما نربيّه على فكرة صحيحة ولو مع علم قليل، فتمت لنا هذه التجربة في الجيش الذي أعدناه من تلامذتنا"⁽³⁾.

4- إحياء الشخصية الإسلامية: وذلك بالاهتمام بنشر سير السلف الصالح من الصحابة والتابعين، حيث نافح الإصلاحيون عن طريقة السلف الصالح في الأمر والنهي، واعتبروا أنفسهم من القائمين بهذه الفريضة، ولعلمهم كانوا يستلهمون التجربة الوهابية في حدها الأدنى، ولأجل ذلك ذكر مبارك الميلي نماذج من احتساب السلف ضد الحكام، ونعى على الرسميين سكوتهم واعتصامهم بالمبدأ المتخاذل "وافق، أو نافق، أو فارق"⁽⁴⁾. وأكد الإصلاحيون على الشخصية العربية، وعروبة الجزائر، وكانت مقالات ابن باديس مترعة بهذه المعاني⁽⁵⁾.

(1) الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير، مرجع سابق، ص 30. الصراط، ع 4 (9-10-1933). تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 613.

(2) مبارك الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، مرجع سابق، ص 304.

(3) آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 5 ص 280.

(4) مبارك الميلي، المرجع السابق، ص 315.

(5) كتب ابن باديس ثلاث مقالات عن العرب في الشهاب بدء من هذا العدد، انظر الشهاب ع (محرم 1358-فيفري، 1939)، ج ص 23. انظر عبد اللطيف الهرماسي، المجتمع والإسلام والنخب الإصلاحية في تونس والجزائر، مرجع سابق، ص 307.

وفي هذا المضمار حرص الإصلاحيون على إحياء باللباس الجزائري الأصيل، والتزمه أغلب رموزهم في محاكمة رمزية للنخبة المندمجة في الثقافة الغربية، ويحكي حمزة بكوشة عن مظاهر الانقلاب الديني في العاصمة: "إنها في العامين الأخيرين حدث بها انقلاب لم يكن في الحسبان، حيث ظهرت العاصمة بمظهر ديني لم يعهد بها من قبل، ذلك منذ حل بها الداعية العظيم الأستاذ الطيب العقبي، فآثر في الأمة بدروسه المعطلة الآن، وبمحاضراته التي يلقيها على الجماهير يوم الأحد من كل أسبوع، فانتفع به خلق كثير في العاصمة وضواحيها، واتبعوا الصلاة وتركوا الشهوات"⁽¹⁾.

واستفاد الإصلاحيون من كل المناسبات لتعميق الشخصية الإسلامية، فكانت تظاهراتهم كثيرة في المولد النبوي، والذي تستعد له الجمعية -فيما بعد- بكل شعبها تعميقا للروح الدينية عند الجزائريين، وربطهم بالسيرة العطرة، وكانت نوادي الجمعية تشهد الاحتفالات والسهرات والأشعار، بل يذكر محمد الميلي أن الشيخ مبارك كان يصطحب معه من قسنطينة الشماريخ والمحارق⁽²⁾.

5- إحياء التاريخ الجزائري: هدف الإصلاحيون إلى إحياء الشخصية الجزائرية التي محقتها فرنسا، وسعوا إلى إصلاح التاريخ والعقيدة والعودة بالمجتمع إلى حاضنته المشرقية الإسلامية، وخلق السدود الثقافية مع الآخر الغازي، أو بعبارة أخرى خلق تاريخ مضاد ينقض رؤية الاحتلال⁽³⁾.

توالى الكتابات التاريخية المبكرة في التاريخ الجزائري، فتوفيق المدني كتب "كتاب الجزائر"⁽⁴⁾ مؤرخا لها من العصور القديمة حتى سنة (1930) لإبراز شخصية الجزائر، وذكر فيها الحالة الدينية، وكتب بتوسع عن الإباضيين، مركزا على مذهبهم وتفاصيل حياتهم قطعاً لدابر الفتنة الاستعمارية القائمة على "فرق تسد"، والتي تجعلهم في نظر السنين شرا من اليهود⁽⁵⁾.

وقد احتفى الإصلاحيون بصدور كتب المدني (الجزائر، قرطاجنة..)، وأقاموا الندوات والأحفال لذلك⁽⁶⁾، والظاهر أن الميلي اهتم بالقديم، بينما اهتم المدني بالحاضر، كما قام الإبراهيمي بتأليف أرجوزة تاريخ الجزائر (36000) بيت، وهي في حكم المفقود لحد اللحظة.

لكن أهم عمل باهى به الإصلاحيون هو كتاب الميلي "تاريخ الجزائر القديم والحديث"، ويعتبر الميلي مدرسة مهمة في التاريخ الجزائري، فهو الرائد في كتابة التاريخ الوطني، في مؤلفه السالف، وقد صدر الجزء الأول منه سنة (1928)، أي قبل سنتين من الاحتفال المئوي باحتلال الجزائر، وابتهاج الفرنسيين بالإطباق السياسي والثقافي على الجزائر بعد كدحهم الدؤوب في محاربة اللغة العربية ومحق التاريخ الجزائري بشتى الخطط.

(1) جريدة الوزير، حمزة بكوشة، الرحلة الخامسة، (سبتمبر-أكتوبر 1932)، ص 118. ذاكرة مدينة الجزائر، مرجع سابق، ج 2 ص 569.

(2) محمد الميلي، الشيخ مبارك الميلي، مرجع سابق، ص 108.

(3) عبد اللطيف الهرماسي، المجتمع والإسلام والنخب الإصلاحية في تونس والجزائر، ص 305.

(4) كتب فيه محمد العيد قصيدة في المرصاد، ع 7 (1932-2-19)، ص 3. وع 10 (1932-3-18)، ص 2.

(5) المدني، حياة كفاح، مرجع سابق، ج 2 ص 288.

(6) الإصلاح، ع 3 (1929-9-12)، ص 3. قوبع، الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان وميزاب، مرجع سابق، ص 269.

وهنا تجدر الملاحظة بأن الميلّي كان يصدرّ لقبه بالنسب الهلالي دفعاً للفرية الفرنسية التي تجعل قبائل بني هلال والعرب من علل تأخر الغرب الإسلامي الذي ادعت فرنسا أنها جاءت به بشمس الحضارة.

وقد أرسل ابن باديس له مقرضاً مهنناً: "الحمد لله أخي مبارك سلام ورحمة، حياك الله تحية من علم وعمل وعلم، وقفت على الجزء الأول من من كتابك "تاريخ الجزائر في القديم والحديث" فقلت لو سميت "حياة الجزائر" لكان بذلك خليقاً. فهو أول كتاب صوّر الجزائر في لغة الضاد صورة تامة سوية، بعدما كانت تلك الصورة أشلاء متفرقة هنا وهناك. أخي مبارك: إذا كان من أحيا نفساً واحدة فكأنما أحيا الناس جميعاً، فكيف بمن أحيا أمة كاملة؟ أحيا ماضيها وحاضرها، وحياتها عند أبنائها حياة مستقبلها، فليس - والله - كفاء عملك أن تشكر الأفراد، ولكن كفاءه أن تشكر الأجيال وإذا كان هذا الجيل المعاصر قليلاً، فسيكون في الأجيال الغابرة كثيراً" (1).

ولا غرو أن ريادة الميلّي تتجلى في كون كتابه مرجعاً في الوطنية وفي مقارعة السياسة الاستعمارية، وأن يصير مرجعاً أوحداً للمدارس الإصلاحية ينهل منه تلامذتها لبان الوطنية، وأن يصير صخرة تتكسر عليها الدعاوى الاستشراقية.

ومن الأعمال التاريخية المبكرة ما كتبه أبو يعلى الزواوي عن تاريخ زواوة، وهو تاريخ مناطقي شرع فيه أبو يعلى منذ سنة (1912) أيام عمله بالقنصلية الفرنسية بدمشق، وقد شجعه عليه أيضاً الشيخ طاهر الجزائري هناك وأيام منفاه بمصر، وكان غرضه تذكير القبائل بمجدهم العلمي في ظل الإسلام، في قطع لدعاوى الفرنسيين والمنصرين بكونهم أقرب إلى الروح الغربية في كل تقلباتها، وقد قرض ابن زكري كتاب تلميذه "تاريخ زواوة"، بقوله: "علمت أن القول قول فصل وما هو بالهزل، وأقسمت برب السماء والأرض أنه لحق مثل ما أنتم تنطقون، وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون لله دركم من إحاطتكم علماً بتلك الجمل التاريخية المفيدة.."(2). ويعتبر سعد الله أبا يعلى من المتحولين ثقافياً، ومن الذين انتقلوا من التاريخ العرقي إلى التاريخ الجهوي، ومنه إلى مبدأ التاريخ العام، أو من الطائفة إلى الأمة (3). وطبع الكتاب بدمشق سنة (1924)، وعلى كل فالكتاب مهم في بابه، وفي أوانه من حيث البناء الثقافي للمنطقة داخل الهوية الإسلامية.

المطلب الرابع: تحديات الإصلاح في العشرينيات.

1- الثقافة الفرنسية المهيمنة: لاستفصال فداحة الوضع الثقافي الفرنسي المهيمن يهمننا أن نستعير أدبيات كتاب الزاهري "الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير" (4)، وهو كتاب مهم في فهم بواكير الحركة الإصلاحية، وواقع التيارات الفكرية في الجزائر، ففي مقالة صديقي عمار عرض للحالة الثقافية، وقسم الأمة إلى فئتين: أ- فئة قرأت العربية: وتربت تربية إسلامية، وهم جماعة "الإصلاح الديني".

(1) محمد الميلّي، الشيخ مبارك الميلّي، مرجع سابق، ص 110.

(2) أبو يعلى الزواوي، تاريخ زواوة، مرجع سابق، ص 161.

(3) انظر تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7 ص 308. أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ج 2 ص 145.

(4) نشر بعض مقالاته في مجلة الفتح لمحج الدين الخطيب، وجمعها في كتاب نشر سنة (1348) ثم نشر في دمشق في مطبعة الاعتدال، ط 2، 1933.

ب- فئة قرأت بالفرنسية وتربت تربية غير إسلامية ... فئة جاهلة بالتاريخ واللغة، وتقرأ لما كتبه أئمة اللغة الفرنسية من الهزؤ بالأديان⁽¹⁾. وأرجع الزاهري هذا التأثير المشين لبعض المفكرين الفرنسيين العلمانيين، حيث ذكر بأن عمار اختلط بأساتذة جامعة الجزائر مثل "سكفالي"، وحاول الزاهري أن يباشر شيئاً من العمل التثقيفي لطلبة العاصمة، ولكنه لم تتم نتيجة قلة الاستعداد من هاته الفئة المتغربة، والتي كانت تستحي من تاريخها ودينها بدليل أنه ذكر ظاهرة غريبة أعقبت حركة الهجرة العمالية في العشرينيات، وهي أن عمال زواوة يذهبون إلى فرنسا عملة كاسبين ويرجعون إلى الجزائر متزوجين غربيات، وهم من العامة ويهدونهم إلى الإسلام، وقال: "أما أنتم الشباب المثقف، فلم أجد شخصاً واحداً قد اهتدى إلى الإسلام على يد شاب متنور منكم"⁽²⁾، وهو ما يبين عمق الأزمة الهوياتية لدى الفرنسيين، واستثنى منهم مالك بن نبي، في حكايته عن مهندس جزائري يقطن في فرنسا وتخرج من كلية الرياضيات، ولا يزال يقيم الصلاة⁽³⁾. وفي المجال ذاته ينتقد محمد الصالح خبشاش بشدة وضع النخبة المتفرنجة: "الشبيبة المتفرنجة.. هل أفادتنا؟ نعم أفادتنا كيفية الجلوس بالحانات والرقص في المنتزهات"⁽⁴⁾. كما هاجم عمر راسم الوضع الديني للنخبة والعامة: "كيف يكون المسلم مسلماً في بلد خلت مساجده من الراكعين الساجدين، وامتألت شوارعه من اللصوص والفجار والسكيرين"⁽⁵⁾.

ومن قبلهم هاجم الزيربي تلك النخبة المنسلخة عن الدين والأمة، وحذرهم من براءة الدين منهم، قائلاً⁽⁶⁾:

قووم أعاروا للسياسة جانباً *** ولكن أمام الدين أضحوا عوارياً

وإن عرفوا كل اللغات وجاوروا *** فرنسا وزاروا لندنا وإيطاليا

2- ضعف الوسائل التعليمية: لم توجد في الجزائر جامعات ولا كليات كالزهر أو القرويين أو الزيتونة تسد الفراغ العلمي الرصين، صحيح أن عدة من الزوايا كانت معاهد عالية كاليلولي والهامل وبن علي بشلاطة، وقد عانى بعض الإصلاحيين في أثناء عودتهم من تغيير بعض التقاليد العلمية، وحصل لهم عنت في تطويرها كما هو الحال مع الإبراهيمي في زاوية ابن علي الشريف⁽⁷⁾.

ولكن الخريجين لم يكونوا سواء في الاستجابة لمشاكل الوقت، وخاصة أمام زحف الثقافة الفرنسية، ومن تلك النقود القوية ما وجهه المولود الزيربي الذي عاد من المشرق ناقداً للوضع التعليمي العقيم للزوايا، لأنه يقفز بالطالب من حفظ القرآن إلى الأجرومية، ثم القفز مباشرة لمختصر خليل، مما يجعله يتخرج بعد سنين لا يحسن شيئاً... كما أن الطالب قد يطالع بعض كتب الصوفية الذين يخوضون في الكشف وما وراء الحس

(1) الزاهري، الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير، مرجع سابق، ص 25.

(2) الزاهري، المرجع السابق، ص 56. ومثلاً إسلام خديجة زوجة مالك بن نبي، انظر مذكرات شاهد القرن، مرجع سابق، ص 236.

(3) الزاهري، الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير، ص 122.

(4) المنتقد، ع 4 (23-1925)، ص 69.

(5) محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية، نشأتها، تطورها، أعلامها (1903-1931)، مرجع سابق، ج 1، ص 79.

(6) السنوسي، شعراء الجزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 113.

(7) يقال بأن الإبراهيمي فصل من زاوية ابن علي الشريف بحكم قضائي فرنسي، لما وقع الخلاف بينه وبين شيخ الزاوية، انظر العقون، نفسه، ج 1 ص 223. ولا ندري ملابسات القضية، مما يشير إلى أن الإبراهيمي درس فيها بعد عودته سنة (1920).

بعبارات لو لم تؤول لكان الدين في واد، وهي في واد، فأخذها من غير تأويل، فضلّ بها وأضل، وهدم قول المصلحين، وأكّد قيل الملحدّين⁽¹⁾.

ولأجل ما سبق باشر ابن باديس التدريس مبكرا بالجامع الأخضر وسيدي قموش بما تيسر من الوسائل، وأحدث نهضة علمية جذبت إليه الطلاب الذين صاروا يؤمنون قسنطينة بدلا من الزوايا العريقة، وذلك بفضل تجديديته في الدرس العلمي الذي أدخل فيه العلوم العصرية: "لما عدت من الحجاز سنة (1912) أدخلت في العلم اللغة وآدابها، والتفسير والحديث، والأصول، ومبادئ التاريخ والجغرافيا والحساب، ووضعت للصغار كتب وزارة المعارف المصرية"⁽²⁾، وعلى الرغم مما ذكر من ضعف الوسائل التعليمية ابتداء، فإنها قويت مع مر الزمن ونشأة مدارس جمعية العلماء فيما بعد.

3- القوانين الفرنسية: التي ضيقت على الثقافة العربية، وجعلت الوصول إلى المشرق عسيرا، وقد أنحى العلماء باللائمة على فرنسا، وذلك في مقارنتهم للوضع العلمي مع مصر مثلا، فهذا الزبيري يحنّ إلى مصر: "فقد ظهر لي الآن أن مصر هي معدن الأدباء ونادي الظرفاء، وما لها بدل فيما رأت عيني، فقد رأيت بها من المحاسن مالا تحيط به العقول، سيما المدارس الفخيمة التي هي منبع الفحول، ولا أظن أنه يحاكمها في هذا الوقت في العلوم قطر من الأقطار، وسائر المطبوعات العلمية المستعملة عندنا اليوم لا تصدر الآن إلا منها إلا نادرا". كما تعرض الإعلام العربي لحمولات تضييق الإدارة، فهذا الزبيري يهاجم منع الصحف العربية كالصديق والنجاح والإقدام، منتقدا الإدارة وأذنابها الذين يهددون المشتركين في عمالة قسنطينة⁽³⁾.

والأمر نفسه شكا منه العقبي في منع المكتب العربي التابع لفرنسا لجرائد النهضة والصواب التونسيّتين من التوزيع في الزيبان⁽⁴⁾. وقد حاول ابن باديس أن يصرح مرارا بأن الإصلاح لا يهدف إلى مصادمة الحكومة، وإنما الاستفادة منها في الرقي والنهوض: "إن الأمة الجزائرية أمة ضعيفة ومتأخرة، فترى من ضرورتها الحيوية أن تكون في كنف أمة قوية عادلة متمدنة لترقيها في سلم المدينة والعمران، وترى هذا في فرنسا التي ربطتها بها روابط المصلحة والوداد، فنحن نخدم للتفاهم بين الأمتين، ونشرح للحكومة رغائب الشعب الجزائري، ونطالبها بصدق وصراحة بحقوقه لديها، ولا نرفع مطالبنا أبدا إلا إليها، ولا نستعين عليها إلا بالمنصفين من أبنائها، وفي جدنا وإخلاصنا وشرف الشعب الفرنسي وحريته ما يقرب كل أمل بعيد"⁽⁵⁾.

(1) جريدة الصديق، الزبيري "علم الأخلاق"، ع 27 (28-3-1921)، ص 3. قوبع، مرجع سابق، ص 216.

(2) جريدة السنة النبوية، ع 3 (29 ذو الحجة 1351هـ)، ص 8.

(3) الصديق، الزبيري "حتى بني يسقن وخنشلة"، ع 29 (11-4-1921)، ص 1. جريدة الصديق، الزبيري، رحلتنا إلى المقاطعة القسنطينية"، ع 47 (30-1-1922)، ص 1. حيث تكلم ع تحجير الإدارة على الجرائد الجزائرية والتونسية.

(4) جريدة المنتقد، ع 13 (24-12-1925)، ص 242.

(5) جريدة المنتقد، ع 1 (2-7-1925)، ص 7. آثار ابن باديس، مرجع سابق، ج 3 ص 279.

4- تحدي التبشير المسيحي: وهو تحد لجميع المسلمين إصلاحيين وغيرهم، فقد تابعت الشهاب تمدد الكنيسة البروتستانتية على حساب الكاثوليكية في مقالات متسلسلة عن جماعة المبشرين الميثوديست ببلاد القبائل-روني فانلاند-(1)، مذكرة بخطر النشاط التنصيري الذي يلتهم بعض أبناء المسلمين.

كما هاجمت الصحف الإصلاحية دعوات الانتقاص من الإسلام التي باشرها بعض المستشرقين، ومن ذلك ردود صحيفة "صدى الصحراء" على "روبير آشيل" بكتابات من مستشرقين مناقضين له، وفعلت الشهاب ذلك بنشرها مقالات متسلسلة لابن باديس تحت عنوان "الفكرة الإسلامية"، إضافة إلى القصيدة الشهيرة لمحمد العيد "ما بال آشيل يهذي"، والتي مدح فيها ابن باديس بقوله (2):

عبد الحميد رعاك الله من بطل.. ماضي الشكيمة لا يلويك تهويل

دمغت أقوال آشيل كما دمغت.. أبطال أبرهة الطير الأبايل

وفي المضممار ذاته برزت تحذيرات جريدة البرق من دعوات الانسلاخ والتفرنج التي بدأ قرنهما يطلع من تونس، وذلك في ردها على (لاديباش دالجي) عندما غطت حالة إحدى التونسيات المتمرعات على الأعراف (3). ولأجل تجاوز هذا الانسلاخ دعا الإصلاحيون إلى تعليم المرأة متابعة لمحمد عبده في الإصلاح التربوي، ومما قاله العقبي (4):

ما حياة المرأة مع -----زوج له ليست أدبية

غير سجن أبدي -----عظمت فيه المصيبة

5- تشتت الجهود الإصلاحية: كان الإصلاحيون بعد عودتهم من المشرق غرباء عن بعضهم باستثناء حالي ابن باديس والإبراهيمي، ووجدوا أنفسهم مشتتين في قطر شاسع (5)، ولهذا سعوا وتداعوا لتنظيم حركة الإصلاح، واعتبروا هذا من الضرورات لتسريع الوثيرة، ولذلك كثرت مقالاتهم وتنادت أصواتهم للتعجيل بالتنظيم والاجتماع، ففي مقال: "الإصلاح المنشود وأساليب الدعوة إليه" رصد الكاتب اختلاف الإصلاحيين في وسائل الإصلاح، والاضطراب والفوضى، فلا وجود لحزب إصلاحي يركن إليه الجميع (6).

يُبرز الإبراهيمي في هذا خطتين للإصلاح أحدهما معتدلة قائمة على:

الأولى: صرف القوة كلها وتوجيه جهود متضافرة إلى التعليم المثمر، وتكوين طائفة جديدة منسجمة التعليم مطبوعة بالطابع الإصلاحي علماً وعملاً، مسلحة بالأدلة، مدربة على أساليب الدعوة الإسلامية والخطابة

(1) الشهاب، ع (ذو الحجة 1347- ماي 1929)، ج 5 ص 163.

(2) روبر آشيل: معمر فرنسي نشر مقالات في جريدة "لاديبش القسنطينية" اتهم فيها الإسلام والقرآن بإثارة الحروب والتعصب الديني، انظر: صدى الصحراء، مهمة الإسلام، إفلاس الحضارة الغربية، ع 10 (2-8-1926). الشهاب، ع 6 (12-17-1925)، ج 1 ص 124. والأعداد 7 (24-12-1925) ج 1 ص 142. والعدد 8-9-10. السنوسي، شعراء الجزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 88.

(3) جريدة البرق، التفرنج الأثم، ع 4 (28-3-1927)، نقلا عن قوبع، الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان وميزاب، مرجع سابق، ص 263.

(4) الشهاب، العقبي "أقول وأقول"، ع 17 (4-3-1926)، ج 1 ص 362.

(5) علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية، مرجع سابق، ص 20.

(6) الشهاب، ع صفر 1349-جويلية 1930)، ج 6 ص 382.

العربية، حتى إذا كثّر سواد هذه الطائفة وكان منها الخطيب ومنها الكاتب ومنها الشاعر ومنها الواعظ ومنها الداعي المتجول، استخدمت في الحملة على الباطل والبدع على ثقة بالفوز⁽¹⁾.

والثانية متشددة ناقمة على الأوضاع تريد تغييرها بالقوة والسرعة اللازمة وذلك: "بأخذ المبطلين مغافصة والهجوم عليهم وهم غارّون، وإسماع العامة المغرورة صوت الحق فصيحاً غير مجمم" ويبرر ذلك بأن: البدع والمنكرات التي يريد الإصلاح أن يكون حرباً عليها هي أمور قد طال عليها الأمد، وشاب عليها الوالد، وشبَّ عليها الولد وهي بعد شديدة الاتصال بمصالح ألفها الرؤساء حتى اعتبروها حقوقاً لهم، وأنس بها العامة حتى اعتقدوها فروضاً عليهم، فلا مطمع في زوالها إلا بصيحة مخيفة، تزلزل أركانها، ورجة عنيفة تصدع بنيانها واعصار شديد يكشف الستر عن هذا الشيء الملفف، والسر الذي يأبى أن يتكشف، ليتنبه الناس على حقيقته، وأقل ما يكون من التأثير لهذا العمل أن تضعف هيئته في نفوسهم وتضؤل رهبته في صدورهم، وهنالك يسهل العمل في نقضه، وتخف المثونة في هدمه⁽²⁾.

وسيظل الرأيان متفاوتين في الحضور في المواقف والتصريحات والسلوكات لدى الإصلاحيين، وستراوح مواقفهم بين ذلك، وربما ترجح في أحيان الخطة الثانية، والتي كان ينشد إليها البعض بسبب أصداء نجاحات الوهابيين في تلك الأيام التي شهدت اندحار حكم أشراف الحجاز أمام جيوشهم التي حطمت المقابر والمشاهد في مكة والبقيع.

المطلب الخامس: المؤسسات الصحفية والتربوية الإصلاحية في العشرينيات.

أولاً: الجرائد الإصلاحية الخالصة والمرافقة: ظهرت في فترة عصيبة من الحياة العامة، والعالم سيستقبل الأزمة المالية والكساد العالمي، كما أن الجزائر شهدت في آخر العشرينيات واليا يمينا معاديا للجزائريين هو "بيار بورد" الذي حكم بين (1927-1931)⁽³⁾. ومن الصحف الإصلاحية ما يأتي:

1- المنتقد (1925): صدرت تحت هذا الشعار "سعادة لأمة الجزائرية بمساعدة فرنسا الديمقراطية"، وهي مقولة ترمي الشراك للإدارة الفرنسية حتى لا تتد الجريدة، وذلك وفاء بمقالات الحرية والديمقراطية التي تدعيها فرنسا.

وكان شعارها "الحق فوق كل أحد، والوطن قبل كل شيء"، وهو ما يحيل إلى وضوح مفهوم الوطنية عند ابن باديس، وأولوية حضور مفهوم الحقوق، واكتسابها أو استردادها في الجمهورية الثالثة، وصدر العدد الأول منها في عيد الأضحى من سنة (1343هـ) الموافق (2 جويلية 1925).

وهي أول جريدة يصدرها ابن باديس من قسنطينة، ويدل اسمها على خطها القائم على نقد الأوضاع الدينية والثقافية والاجتماعية في جزائر ما بعد الحرب الأولى، والمهم أن خط الجريدة قد رسمه ابن باديس بقوله: "مبدؤنا التهذيبي: ترمي إلى رقي العقول وتقويم الأخلاق، ونقاوم كل معوج من الأخلاق وفاسد من العادات،

(1) آثار الإبراهيمي (نشوء الحركة الإصلاحية، ضمن مقال فلسفة جمعية العلماء)، ج 1 ص 183.

(2) آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 183.

(3) ناصر، الصحف العربية، ص 18. إحدادن، الصحافة الإسلامية الجزائرية من بدايتها إلى 1930، مرجع سابق، ص 38.

ونحارب على الخصوص البدع التي أدخلت على الدين الذي هو قوام الأخلاق فأفسدته، وعاد وبال ذلك الفساد علينا وتأخرنا، من حيث يكون تقدمنا، وسقطنا بما لا نرفع إلا به لما شوهناه بإدخال ما هو ضده عليه"⁽¹⁾. في حين يعتبرها الإبراهيمي إعلان حرب على المعتقدات البالية التي ران عليها ليل المرباطية: "فأنشئت جريدة (المنتقد) بقسنطينة لهذا الغرض، وكان اسمها نذيرًا بالشر لأهل الضلال فإنه مُتَحَدِّ لما نهوا عنه، وهاتك لحرمة ما شرعوه في كلمتهم التي حذروا بها العامة وهي قولهم: (اعتقد ولا تنتقد)، وانبرت للكتابة في (المنتقد) أقلام كانت ترسل شواظًا من نار على الباطل والمبطلين"⁽²⁾.

2- الشهاب: صدرت بعد تعطيل المنتقد كجريدة أسبوعية في (12-11-1925)، وهي من الوسائل الإعلامية التي أخذت الجهد من ابن باديس، إذ كان راعمها والمحرر لافتتاحياتها، وكثير من مختاراتها، وتقلبت من جريدة أسبوعية إلى مجلة شهرية في (فيفري 1929)، وهي من الجرائد التي طال أمدها نوعا ما (13 سنة)، ويعلل محمد ناصر ذلك: "وربما كان لنفوذ شقيق ابن باديس لدى الدوائر الحكومية حماية لها"⁽³⁾.

3- الإصلاح ببسكرة للعقي: بادر بالإعلان عنها ابن باديس: "ستصدر تحت الاسم أعلاه جريدة لخطيب السلفيين وشاعرهم الزعيم الكبير الشيخ الطيب العقبي، بحسبي التنويه بما ستجمل به الإصلاح الصحافة الجزائرية من آيات البيان، وغرر البلاغة، وفنون الكلام، وبديع الأساليب، وما تخدم به حزب الإصلاح الديني من آيات الحكمة وقواطع الحجة في أبواب الدعوة ومطارح الجدل، بحسبي ذلك أن أقول إنها للأستاذ العقبي، فقد عرفه الناس في مجالسه وما نشرته الصحف من كلامه، الخطيب المفوه، والكاتب الضليع"⁽⁴⁾. وصدر عددها الأول في (8-9-1927)، وتعثرت بعد أربعة عشر عددا في (1930)، وظلت تتعثر كثيرا، فلم يصدر عددها الثاني إلا بعد سنتين من العدد الأول⁽⁵⁾. وكانت شديدة في نقدها للطرقين، "فتحت منذ البداية جبهة واسعة لملاحقة الخرافات والأوهام، وفضح ما في الزوايا من خبايا"⁽⁶⁾. ووصفها الإبراهيمي بالجسارة على النقد اللاذع: "أسست جريدة الإصلاح ببسكرة، فكان اسمها أخف وقعا، وإن كانت مقالاتها أسد مرمى وأشد لذعا، وأسماء الجرائد كأسماء الأناسي يظن الناس أنها وليدة الاختيار المقتضب والشعور الطافر، وغلطوا. إنما هي وليدة شعور متمكن وتأثر نفساني عميق تزجيه مؤثرات قارة"⁽⁷⁾.

الجرائد المرافقة: أي الجرائد التي تدلي بنسبة غير أصلية للإصلاح، وإنما كتب فيها العلماء بحسب المتاح، أو لأن محرريها يقتربون منهم فكريا أو غير ذلك، ومن هذه الجرائد التي كانت مجالا خصبا لنشر الأفكار الإصلاحية ما يأتي:

(1) جريدة المنتقد، العدد 1 (2-7-1925)، ص 07. وانظر علي مرحوم، "نظرة على تاريخ الصحافة العربية الجزائرية"، الجزائر، مجلة الثقافة، ع 43 (فيفري-مارس 1978)، ص 23.

(2) آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 184.

(3) محمد ناصر، الصحف العربية، ص 17. مجلة المنار، مرجع سابق، ج 29 ص 794. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 253.

(4) الشهاب، ع 106 (21 جويلية 1927)، ج 3 ص 119.

(5) العدد الأول في (12 ربيع الأول 1346 هـ) والثاني في (2 ربيع الثاني 1348 هـ). انظر ناصر، الصحف العربية، مرجع سابق، ص 93.

(6) محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية، نشأتها وتطورها، مرجع سابق، ج 1 ص 112.

(7) آثار الإبراهيمي، ج 1 ص 184. وقال العقبي بأن محمد العيد شريكه فيها، انظر مقالات العقبي، مرجع سابق، ج 1 ص 248.

1- **جريدة البرق:** اجتماعية أدبية سياسية حملت شعار "خدمة الوطن والمصلحة العامة واستثمار المال" وصاحب امتيازها "رحموني محمد عبد المجيد"، وصدرت بقسنطينة في (7 ماي 1927) ⁽¹⁾، وعطلت بعد صدور (22 عددا) في (سبتمبر 1927) ⁽²⁾. ورأس تحريرها السعيد الزاهري، وقد وصفه مديرها بأن المؤثر الفاعل فيها: "فرجال الإصلاح يحسبونه هو القوة الفاعلة في هذه الحركة الناهضة إلى التجديد والإصلاح، لأن الله رزقه الجرأة والاقتدار ما لم يتم لأحد سواه من شباب الجزائر الناهض" ⁽³⁾. وكان الزاهري يوقع أحيانا فيها باسم "تأبط شرا" بعض المقالات الحارقة، وله ركن خاص سماه "قوارص" خصص بعضه لنقود غليظة ضد حسين الجزائري صاحب النديم التونسية، وكان لهذه المهارات والإسفاف أثر في تصدع الأوساط الإصلاحية في البلدين، مما جعل الإدارة تعطلها بدعوى رفعها ضدها ابن التهامي ومورينو، فعطلت بسبب "أنها تثير النزاعات بين الأفراد" ⁽⁴⁾، كما كتب فيها جلة من الأعلام الإصلاحية مثل الأمين العمودي الموقع باسم "سمهري"، والميلي باسم "بيضاوي"، والعقبي باسمه أحيانا، وباسم "سلفي" ⁽⁵⁾.

2- **صدى الصحراء:** لأحمد بن العابد العقبي ⁽⁶⁾، ظهرت سنة (1925) ببسكرة، وكان شعارها "درا المفسدة قبل جلب المصلحة"، وتناولت قضايا النهضة ونقد البدع، والاتجاهات الانتفاعية من الإدارة الفرنسية، ونشر فيها العقبي والعمودي والفرقد ومحمد آل خليفة ومحمد اللقاني، وأبو يعلى الزواوي، ودخلت في مهاترات مع جريدة النجاح ومامي إسماعيل الذي اعتبرته "ميكروب النجاح"، وعبد الحفيظ الهاشمي (رشيد النجاح) ⁽⁷⁾، ولأسباب وخلافات شخصية توقفت بعد (2-29-1926) بعد أن صدر منها ثلاثة عشر عددا فقط ⁽⁸⁾، واستعود في الثلاثينيات بغير وجهتها الأولى.

3- **جريدة الجزائر:** (1925) وشعارها الجزائر للجزائريين، ورأس تحريرها الزاهري، وقال إنها جاءت لتكمل رسالة جريدة الإقدام التي عطلت في مارس (1926) ⁽⁹⁾، وقد قرضها ابن باديس في المنتقد ⁽¹⁰⁾، ثم عطلت

(1) علي مرحوم، "الصحافة العربية في الجزائر"، الجزائر، مجلة الثقافة، ع 46 (أغسطس-سبتمبر 1978)، ص 35.

(2) جريدة الميدان، ع 4 (18-7-1937)، ص 1. محمد ناصر، نفسه، ص 90. مفدي زكريا، تاريخ الصحافة العربية الجزائرية، ص 153. في حين قال مرحوم بأنه صدر منها عدد واحد. انظر "نظرة على تاريخ الصحافة العربية الجزائرية"، مجلة الثقافة، ع 42، ص 31.

(3) جريدة البرق، محمد رحموني "محمد السعيد الزاهري"، ع 16 (18-7-1927)، نقلا نور الدين بولحية، جمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية وتاريخ العلاقة بينهما، ط 2، الجزائر، دار الأنوار، 2016، ص 161.

(4) الشهاب، الزاهري "هل حوكم البرق" ع 122 (17-11-1927)، ج 3 ص 442. محمد ناصر، نفسه، ص 93.

(5) أحمد مريوش، الشيخ الطيب العقبي، مرجع سابق، ص 96.

(6) أحمد العابد العقبي (1897-1950)، أديب شاعر نشر قصائده بجريدة الصديق سنة (1921)، بدأ إصلاحيا وانتهى صوفيا علويا انظر معجم أعلام الجزائر، ص 238. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5 ص 257. معجم أعلام بسكرة، مرجع سابق، ص 167.

(7) صدى الصحراء، مقال "انتخاب النيابة المالية لقسم باتنة، بسكرة"، ع 6 (11-01-1926)، ص 1.

(8) مفدي زكريا، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، ص 152. محمد ناصر، نفسه، ص 68. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5 ص 254. شعراء الجزائر، ج 1 ص 118. مرحوم، "نظرة على تاريخ الصحافة العربية الجزائرية"، مجلة الثقافة، ع 42، ص 30.

(9) محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، مرجع سابق، ص 61. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 258.

(10) المنتقد، ع 5 (30-7-1925)، ص 95. ومدحها محمد اللقاني "تحية الجزائريين بصحيفة الجزائر"، شعراء الجزائر، ج 1 ص 115. وانظر مرحوم علي، "نظرة على تاريخ الصحافة العربية الجزائرية"، مجلة الثقافة، ع 42، ص 30.

الجريدة بعد صدور ثلاث أعداد فقط بسبب تعرضها لقضية المساواة وانتقادها للسياسة الفرنسية في قصة "المساواة، فرانسوا الرشيد"، ومما جاء فيها من أبيات رائدة داعية للنهضة والعمل على التحرر قوله⁽¹⁾:

فيا ويح أحرار الجزائر كم وكم ----- يهيج عليهم من هموم البال

لقد كسر الناس القيود وحطموا----- ونحن بقينا في قيود وأغلال

ومن الغريب أن الزاهري راسل الشيخ العلوي لدمج جريدتي البلاغ والجزائر لأن مراميهما واحدة في توحيد جهود الفئتين الإصلاحية التي تنشد الإصلاح الوطني السياسي، والطرقية التي تنشد الإصلاح الديني⁽²⁾، ولعل الزاهري استهدف بهذا ديمومة صدور جريدته لما شاع أن الشيخ العلاوي يريد تحبيس المطبعة العلوية في الجزائر، والمهم أن هذه الرغبة لم تجد طريقا للتجسيد نظرا لسلطة لسان الزاهري تلك الأيام ضد الطرقيين. 4- وادي ميزاب لأبي اليقضان: أصدرها أبو اليقضان⁽³⁾، وفي افتتاحيتها "جريدة وطنية إسلامية باسم وادي ميزاب، وهي وإن كانت كلسان حال الأمة الميزابية، إلا أنها قبل كل شيء لسان حال الفكر الإسلامي عموما، والجزائري خصوصا"، وكانت تطبع بتونس بمساهمة من مكتبة الاستقامة، ورجلي الإصلاح الميزابيين محمد الثميني وقاسم بن عيسى، ومؤازرة تاعموت عيسى بالجزائر، واستمرت من (1-01-1926) حتى (18-1-1929)، وتناولت الإصلاح، والدعوة إلى الاتحاد والتآزر الإسلامي⁽⁴⁾، وكانت شديدة على محافظي الإباضية بما كانت تنشره من نقد دائم لمرجعياتهم ومقالاتهم، وتنزل مرات إلى مهارات كلامية تشبه ما نزل إليه الإصلاحيون مع خصومهم الطرقيين.

الصحيفة	بداية الصدور	النهاية	الأعداد
المنتقد	1925-7-2	1925-10-29	18
الجزائر	1925-7-7	مارس 1926	3
الشهاب	1925-11-12	-----	
صدى الصحراء	1925 -	1926-2-29	13
البرق	1927-5-7	1927-9 -	22
الإصلاح	1927-9-8	1930-9-25	14
وادي ميزاب	1926-1-1	1929-1-18	119
ميزاب	1930-1-25	--	1

(1) الزاهري محمد الهادي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، مرجع سابق، ج 1 ص 145.

(2) محمد الصالح آيت علجت، صحف التصوف الجزائرية، (1920-1955م)، ديوان المطبوعات الجامعية، 2001، ص 111. أضماميم المد الساري من جريدة البلاغ، تحقيق وجمع عبد السلام بن أحمد الكونوني، ط 1، طنجة، 1986، ج 2 ص 469.

(3) أبو اليقضان إبراهيم بن الحاج عيسى الحسيني الإباضي، ولد بالقرارة (1888)، ودرس بها عند الحاج عمر بن يحيى (توفي بزياء عام بالقرارة سنة 1339هـ)، ثم عند اطفيش أيضا، هاجر لتونس وترأس بعثة الطلبة المزابيين (1912-1925)، شارك في تأسيس معهد الحياة، صحفي وشاعر، له: ديوان أبي اليقضان، سليمان باشا الباروني، سلم الاستقامة في الفقه توفي رحمه الله بعد إصابته بالشلل سنة (1973) انظر شعراء الجزائر، ج 1 ص 197. دبوز، من أعلام الإصلاح في الجزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 87. معجم أعلام الإباضية، مرجع سابق، رقم (42).

(4) محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، ص 72. وبعدها صدرت جريدة ميزاب في عدد واحد يوم (1-25-1930)، وتعطلت أيضا.

ثانيا: المؤسسات التربوية والاجتماعية:

1-مؤسسات العاصمة:

شكل الوضع الكارثي تحديا للجهود الإصلاحية التي وقفت على الحصائل السلبية للمدارس الفرنسية بعد أربعين سنة، حيث لم تزد على أربع وثلاثين مدرسة في المناطق المدنية، وخمسة في المناطق العسكرية، وبعد ثورة المقراني لم يبق منها سوى عشرة⁽¹⁾، إذ أن الأهالي رفضوا قانون (1883) للتعليم الإجباري للجزائريين⁽²⁾، وذلك من باب الحفاظ على الهوية الدينية للأطفال الجزائريين. ولم يطل القرن العشرين حتى كانت الوضعية التعليمية فادحة، إلا إذا استثنيا الحد الأدنى الذي كانت تقوم به الزوايا، أو يؤطره معلمو الكتاتيب الدائمون أو المؤقتون الذين يتنقلون مع القبائل، ولهذا تداعي العلماء محافظين وإصلاحيين لإحياء التعليم باعتباره ركيزة النهضة الأولى، ومن تلك النماذج:

أ-مدرسة الشبيبة الإسلامية: تأسست رسميا (1927)⁽³⁾، وتولى إدارتها الأولى عمر بن قدور، ثم خلفه محمد العيد آل خليفة، وأزرها الإصلاحيون والطرفيون في الوقت ذاته، والمهم أن المدرسة لقيت الدعم من محسني العاصمة، وكان منهم محمود بن قدور رودوسي- أمين مالها-، ورسم المدني صورة ناصعة لعمل المدرسة وجنودها: محمد علي دامرجي، رئيسها، ورشيد بطحوش مراقب التعليم، وقد مضى عليها أربعة أعوام وكتبها مأخوذة عن المدرسة التونسية⁽⁴⁾. وكان لجمعية الشبيبة احتفالها السنوي الذي غطته الشهاب مرة، وكذا المرصاد⁽⁵⁾. وقد استمرت في عملها التربوي، وممن درّس فيها في الأربعينيات عبد الرحمان الجيلالي، وأبو بكر جابر، وكذا الهادي السنوسي، وباعيز بن عمر، وجلول البدوي، وفرحات بن الدراجي، ويحي جعفري⁽⁶⁾.

ب-إنشاء جمعية الفلاح: نشأت رسميا بنادي الترقى سنة (1932)، بغاية شراء مقر جديد لمدرسة الشبيبة الإسلامية التي كانت تعاني ضيق المقر⁽⁷⁾، وكانت المدرسة تقوم بحفلات في رمضان والمولد لجمع تبرعات المحسنين.

ج-الجمعية الخيرية الإسلامية: وربما خلفت ما كان يعرف قديما بالمكتب الخيري الإسلامي، الذي أنشأته الإدارة الفرنسية لسد بعض الحاجات، وكان يستثمر واردات أوقاف الحرمين في تمويله، وقد حُلّ بعد (1905)⁽⁸⁾، مما حدا بالمحسنين في العاصمة إلى إنشاء هذه الجمعية، وقد رأسها في الثلاثينيات العقبي وينوبه

(1) عبد الله ركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، ضمن الأعمال الكاملة، مرجع سابق، مج 1، ص 38.

(2) ركيبي، الشعر الديني الجزائري، ص 37، عن نشرة الجمعية الجغرافية الجزائرية ص 52-عدد 42-43(1937-1938).

(3) ربما كانت نواتها مدرسة مصطفى حافظ في القصبة، لأن العقبي أشار في احتفالها سنة (1936) أنه مر عليها 17 سنة بما يعني أنها بدأت سنة (1919). انظر جريدة الأمة، ع 102 في (15-12-1936)، عن مريوش، الشيخ الطيب العقبي، مرجع سابق، ص 298.

(4) المدني، حياة كفاح، مرجع سابق، ج 2 ص 66.

(5) الشهاب، (ع ذو القعدة 1349/ مارس 1931)، ج 7 ص 204. المرصاد، حفل جمعية الشبيبة، ع 7 (19-2-1932)، ص 2.

(6) انظر حياة كفاح، ج 1 ص 415. تركي، التعليم القومي، ص 233. سعد الله، شاعر الجزائر محمد العيد، ص 31.

(7) الشهاب، (ذو القعدة 1348-أفريل 1930)، ج 6 ص 209. حياة كفاح، ج 2 ص 279. فضلاء، المسيرة رائدة الحر بالجزائر، ط 1، الجزائر، دار الأمة، 2000، ج 2 ص 45. وعن حفل افتتاح المقر الجديد انظر جريدة المرصاد، أسبوع سرور وأفراح بالجزائر، ع 31 (4-11-1932)، ص 1.

(8) سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 186.

المدني، وكان من عاداتها أن تقيم في كل عيد فصيح مسيحي بالاثنتين احتفالاً بقاعة الماجستيك التي تسلم لهم مجاناً لجمع مال غزير لفائدة المطعم الذي تشرف عليه في الدار التي اشترتها بشارع العبادرة (رقم 14)، وكان به مأوى لنحو مائة معدم⁽¹⁾. وظلت جهودها محل تقدير من الجميع موافقين ومخالفين.

2- مؤسسات عمالة قسنطينة:

أهم ما اشتغل عليه الإصلاحيون هي المساجد لنشر الأفكار والوعي، إذ هي الملتقى الرئيس للشعب، وتأثير الخطاب المسجدي كبير في صناعة الوعي وتحشيد الأنصار، وهو ما وعاه ابن باديس كثيراً إذ قال في أهميتها: "إذا كانت المساجد معمورة بدروس العلم فإن العامة التي ترتاد المساجد تكون من العلم على حظ وافر، وتتكون منها طبقة مثقفة الفكر صحيحة العقيدة وبصيرة بالدين"⁽²⁾. ومن أهم المساجد التي شكلت انطلاقة الإصلاح في الشرق ما يأتي:

أ- الجامع الأخضر: يعود تأسيسه للعهد العثماني ونسب لأول إمام فيه⁽³⁾، ودرس فيه عبد القادر الراشدي في العهد العثماني، وقد اتخذه ابن باديس مركزاً لدروسه التعليمية الأولى مباعداً الكتانية التي لا يليها إلا الموظفون من الإدارة الفرنسية، وكان ذلك سنة (1913)، ومن خريجيهِ مبارك الميلي، والسعيد الزاهري⁽⁴⁾، وباعزيز بن عمر، ومحمد الصالح بن عتيق، وعشرات الكوادر ممن رفع هام جمعية العلماء، والأحزاب الوطنية بعد ذلك، ولم ينافسه في ذلك إلا معهد الهامل والزواوية الحملاوية، أو بعض الزوايا والمعاهد القائمة في الغرب الجزائري، أو معهد الحياة في القرارة. ومدح جهده الرائد محمد العاصمي في زيارته لقسنطينة⁽⁵⁾. وصف إبراهيمي الانطلاقة المذهلة للتعليم الحر به من قبل الرجل الفذ الأمة ابن باديس: "وشرع الشيخ بعد رجوعه من أول يوم في تنفيذ الخطوة الأولى من البرنامج الذي اتفقنا عليه، ففتح صفوفاً لتعليم العلم، واحتكر مسجداً جامعاً من مساجد قسنطينة لإلقاء دروس التفسير، وكان إماماً فيه، دقيق الفهم لأسرار كتاب الله، فما كاد يشرع في ذلك ويتسامع الناس به حتى انهال عليه طلاب العلم من الجبال والسهول إلى أن ضاقت بهم المدينة، وأعانه على تنظيمهم وإيوائهم وإطعام المحاويع منهم جماعة من أهل الخير ومحبي العلم، فقويت بهم عزمته"⁽⁶⁾.

وذكر تلامذته أن مجموع ما كان يلقيه ابن باديس من الدروس به من صلاة الفجر إلى العشاء ثلاثة عشر درساً في مختلف الفنون، وبعد العشاء يلقي درساً في التفسير والتوجيه للعامة من التجار والعمال.

(1) المدني، حياة كفاح، مرجع سابق، ج 2 ص 372.

(2) الشهاب، ع (رجب 1349هـ-ديسمبر، 1930)، ج 6 ص 764.

(3) كمال غربي، المساجد والزوايا في مدينة قسنطينة الأثرية، الجزائر، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2011، ص 110.

(4) محمد خير الدين، مذكرات محمد خير الدين، ط2، برج الكيفان الجزائر، مؤسسة الضحى، 2002، ج 1 ص 70.

(5) جريدة النجاح، محمد العاصمي، "الجزائر"، ع 133 (1923-11-16)، ص 2.

(6) آثار إبراهيمي، مرجع سابق، ج 5 ص 279.

وقد كانت الدروس به منتظمة، وطلبتة من سائر القطر، وفي الغالب هم من حفظة القرآن ابتداء، ولهم نظام اجتماعي يشبه نظام الزوايا في التغذية والمبيت والإنفاق، ولمجموعاتهم عريف يضبط شؤونهم⁽¹⁾. وكانت دروسه متنوعة، بل إن ابن باديس وظف بعض مناهج وزارة المعارف المصرية الابتدائية للصغار⁽²⁾. وكان يعينه في الثلاثينيات السعيد الزموشي والشريف الصائغي والسعيد الصائغي، وعبد العلي الأخضر، والشيخ محمد الأخضر الفيلاي، والفضيل الورتلاني، ومحمد مهبوبي، ومحمد الملياني⁽³⁾، وكان جهد ابن باديس في التدريس مضمناً استنزف من الإمام صحته، التي لم تصمد أمام عواصف المرض الذي أودى به، وهو في مقتبل الكهولة، إذ توفي عن عمر واحد وخمسين عاماً فقط، عليه الرحمة والرضوان.

ولكن هذا الجهد أثمر وبسرعة مباركة طليعة من الرواد قلبوا الوضع الثقافي والعلمي في الجزائر وانبثوا في المدارس المختلفة التي أنشأتها جمعية العلماء، ولتأكيد نتيجة هذا العمل المبارك يجدر بنا أن نستعيد ما قاله الإبراهيمي: "ورأيت شاباً ممن تخرجوا على يد هذا الرجل وقد أصبحوا ينظمون الشعر العربي بلغة فصيحة وتركيب عربي حرّ، ومعان بليغة، وموضوعات منتزعة من صميم حياة الأمة، وأوصاف رائعة في المجتمع الجزائري، وتشريح لأدوائه، ورأيت جماعة أخرى من أولئك التلامذة وقد أصبحوا يحبرون المقالات البديعة في الصحف، فلا يقصرون عن أمثالهم من إخوانهم في الشرق العربي، وآخرون يعتلون المنابر فيحاضرون في الموضوعات الدينية والاجتماعية، فيرتجلون القول المؤثر، والوصف الجامع، ويصفون الدواء الشافي بالقول البليغ"⁽⁴⁾. وكم تمنى ابن باديس، وعلماء قسنطينة أن تنشأ كلية إسلامية⁽⁵⁾، تضارع مثيلاتها في المشرق والمغرب، وهو ما تحقق شيء منه في معهد عبد الحميد ابن باديس في نهاية الأربعينيات.

وللزبيري من قبله دعوة مهمة لتأسيس كلية إسلامية في الجزائر مطمئناً فرنساً بأنها لأن تضيئها: "وليس في الكلية العربية ما يمس بقدر الدولة العادلة -فرنسا- حليفة العلوم والمعارف، بل هذا مما يبرهن على جميل إحسانها وجليل اكتنائها عن أبناء وطنها، ويكون أخف وطأة من تعليم الجزائريين في البلاد التونسية أو المصرية، شتان بين ما يكون تحت نظر الحكومة الجزائرية وبين ما يكون تحت نظر غيرها"⁽⁶⁾، والدعوة نفسها اقترحها الزاهري ناطقاً باسم الإصلاحيين عندما التمس سنة (1927) من النواب السماح لخريجي الزيتونة والأزهر بالتدريس في المساجد، وإحياء الوظائف الدينية الملغاة، وإنشاء شبه كلية لتدريس الديانة الإسلامية وأدائها"⁽⁷⁾.

(1) انظر جريدة الصراط السوي، السنة الأولى، ع 4 (9-10-1933) ص 3.

(2) جريدة السنة النبوية، ابن باديس "عبداويون، ثم وهابيون"، ع 3 (29 ذي الحجة 1351-25 ديسمبر 1933)، ص 1.

(3) حماني، صراع بين السنة والبدعة، ج 2 ص 315. النجاح، نهضة قسنطينة العلمية، ع 1269 (17-201932)، ص 1.

(4) الإبراهيمي، أثار الشيخ الإمام، مرجع سابق، ج 1 ص 279.

(5) الشهاب، ع (جمادى الثانية 1348-سبتمبر 1929) ج 5 ص 522.

(6) قوبع، الحركة الإصلاحية في الزيبان ووادي ميزاب، مرجع سابق، ص 202.

(7) الشهاب، الزاهري "في النيابة المالية" ع 154 (5-7-1928)، ج 4 ص 88.

ب-مدرسة الإبراهيمي في سطيف: وهي ليست مدرسة قارة، ولكنها نواة علمية صاحبت تجارة الشيخ في سطيف، ولم يكن لها مناهج وصفوف واضحة، وإنما نواة تستفيد من الشيخ، وصفها بقوله: "وحللت بلدي، وبدأت من أول يوم في العمل الذي يؤازر عمل أخي ابن باديس... بدأت أولاً بعقد الندوات العلمية للطلبة، والدروس الدينية للجماعات القليلة، فلما تهيأت الفرصة انتقلت إلى إلقاء الدروس المنظمة للتلامذة الملازمين، ثم تدرّجت لإلقاء المحاضرات التاريخية والعلمية على الجماهير الحاشدة في المدن العامرة والقرى الأهلة، وإلقاء دروس في الوعظ والإرشاد الديني كل جمعة في بلد، ثم لما تمّ استعداد الجمهور الذي هزّته صيحاتي إلى العلم، أسّست مدرسة صغيرة لتنشئة طائفة من الشبان نشأة خاصة وتمرينهم على الخطابة والكتابة وقيادة الجماهير بعد تزويدهم بالغذاء الضروري من العلم"⁽¹⁾.

وكانت غالب جلساته في مقهى "الشرشار" قرب عين الفوارة، وقد أشاد بها عبد الحميد معيزة، ومحمد بن الحاج إبراهيم السطيفي، وأحمد الغزالي في قصائد وتشطيرات⁽²⁾.

كما أشاد محمد بن العابد الجلاي بأهالي العلمة ومدرسة إحياء العلوم الإسلامية لمحمد بن الموفق، وفي الإطار ذاته انتقد مجاورهم من أهل سطيف في غفلتهم من الاستفادة من الإبراهيمي: "وإني لأرى أهالي سطيف في غفلة كبيرة حيث لم يأخذوا حظهم من بحر الزاخر وهم في ظمأ لسلسبيله مع ما نعرفه من شهامتهم وشدة ذكائهم، ولعلمهم يلتفتون إلى نصيحتي فيتداركون ما فاتهم.... فالرجل -الإبراهيمي- سواء كان ماشياً أو جالساً في المدرسة أو في القهاوي الفرنجية يفيدك من الدروس الممتعة والنكات اللطيفة مالا تستفيده من غيره في دهر"⁽³⁾.

وبأشر الإبراهيمي حملة دؤوبة لتأسيس مساجد بعمالة سطيف، فأسس واحدا برأس الوادي، وحضر افتتاحه ابن باديس، وأسس مسجدا كبيرا آخر بسطيف سنة (1930)⁽⁴⁾.

ج- تأسيس جمعية التربية والتعليم الإسلامية: أسسها ابن باديس رسمياً سنة (1930)⁽⁵⁾، وهي أم الجمعيات التعليمية بالشرق، وبدأت نواتها مع مكتب التعليم العربي الذي افتتحه ابن باديس منذ عودته من المشرق في مسجد سيدي بومعزة، وبدأ يتوسع ويغير تقليدية الكتاتيب القديمة⁽⁶⁾، إلى أن اشترت الجمعية دار رسمية سنة (1936)، وتولى أحمد بوشمال رئاسة قسم الشبان (تأسيا بالنمط المشرقي)، وبعد وفاة ابن باديس ترأسها بوشمال لغاية وفاته (1957)⁽⁷⁾. وكان مكتبها اليوم في دار الجمعية الخيرية الإسلامية، وقد

(1) الإبراهيمي، أثار الأستاذ الإمام، خلاصة حياتي العلمية والعملية، مرجع سابق، ج 5 ص 297. ج 1 ص 27.

(2) النجاح، ديوان الأدباء، ع 144 (1924-2-1)، ص 3، ع 145 (1924-2-8)، ص 3، انظر أثار الإبراهيمي، ج 1 ص 28. فضلاء، المسيرة الرائدة، ج 1 ص 165. وأحمد كاتب بن الغزالي (1873) شاعر ترجم لنفسه في شعراء الجزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 267.

(3) جريدة المنتقد، ع 6 (1925-8-6)، ص 109. وهو ما نعاه الورثاني من بعد على تدهور الحالة الأخلاقية، وشيوع الخنا والسباب والاشتغال بالدومينو التي لو شغلت بالعلم لفاقت الزيتونة. انظر الشهاب، ع (جوان 1934)، ج 10 ص 355.

(4) الشهاب، ع (رمضان 1348 - فبراير 1930)، ج 6 ص 52. أثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 64.

(5) من مقاصدها المسجلة في القانون الأساسي: تأسيس مكتب للتعليم، ملجأً للأيتام، معمل للصنائع، ناد للمحاضرات، إرسال التلامذة على نفقتها إلى الكليات والمعاهد الكبرى، وعند انحلالها تؤول ممتلكاتها للجمعية الخيرية. انظر فضلاء، المسيرة الرائدة، ج 1 ص 66.

(6) اشتراه عمار بوصاع من سيدي مزغيش ووقفه على التعليم، وصار ملحقا فيما بعد بمعهد ابن باديس. انظر فضلاء، نفسه، ج 1 ص 59.

(7) الشهاب، ع (شوال 1349 - مارس 1931)، ج 7، ص 124. حماني، صراع بين السنة والبدعة، مرجع سابق، ج 1 ص 121.

أثمرت نهضة علمية كبيرة في قسنطينة حيث ولدت فروعاً أخرى، إضافة إلى فروع المدن الأخرى والتي جاوزت عشرين فرعاً مثل باتنة والميلية، وغيرها.

د- الجمعية الخيرية الإسلامية في تبسة، ورأسها عمر نابي (والد مالك بن نبي)، وكان أمين مالها الشيخ سليمان طيار⁽¹⁾، ولعلها قديمة التأسيس منذ انتهاء الحرب الأولى.

3- مؤسسات الزيبان:

تعتبر حركة الإصلاح في الزيبان متقدمة على غيرها من حيث الشخصيات والوسائل والآثار، ففيها كانت النواة الصلبة للإصلاحيين (العقبي، الزاهري، خير الدين، عباسية)، وقد جاهدوا بالقضية مع الإرث الطرقي ودخلوا في صدمات مبكرة مع الطرقيين بالكتابة والشعر، ثم بزوهم بالمدارس والجمعيات، ومرجع ذلك يعود إلى وجود نخبة مرتبطة بالزيتونة، إضافة إلى بعد بسكرة عن المراكز الطرقية، إلا إذا استثنينا زاوية طولقة وكانت منكفئة على التعليم، ولم تكن تمتلك الوهج القيادي الذي كان للهامل أو تماسين أو قمار.

تعددت صور هذا النشاط الإصلاحي في بسكرة بين تعليم ووعظ وصحف ومطابع وجولات علمائية، من قبيل: أ- إنشاء الصحف كالبرق وصدى الصحراء والإصلاح لغرس بذور الإصلاح ونشر آرائه.

ب- شراء مطبعة لجريدة الإصلاح التي يديرها الشيخ العقبي بمساهمات من الخيرين وكانت تسمى بالمطبعة العلمية، وطبعت بها أعداد الإصلاح القليلة (عدد واحد في سنتين، واثنان عشر عدداً في السنة الثالثة)، ولكنها تعرضت بعد ذلك للإهمال حسب توصيف المدني⁽²⁾.

ج- تأسيس جمعية الإخاء ورأسها الحاج الحفناوي دبابش النائب العمالي⁽³⁾، ومن نتائجها تأسيس المدرسة الإخاء.

د- تأسيس مدرسة الإخاء للتربية والتعليم ببسكرة سنة (1931)⁽⁴⁾، وقد عرفت الزيبان التعليم العصري مبكراً مع تجربة الشاعر أحمد جنيد المكي في سنة (1918)⁽⁵⁾.

هـ- العمل المسجدي، ومن ذلك نشاط العقبي الذي ضاق به مسجد سيدي منصور "فتحول إلى مسجد جامع بركات، ثم إلى جامع "بكار" حيث درس القطر والجواهر المكنون وتفسير المنار⁽⁶⁾، وكذلك مسجد فرفار

(1) جريدة النجاح، ع 193 (1-30-1925)، ص 3. ع 136 (7-12-1923)، ص 4.

(2) كان يعلن عنها في جريدة الإصلاح، انظر نموذجاً، الإصلاح، ع 4 (3-10-1929)، ص 4. مذكرات خير الدين، مرجع سابق، ج 1 ص 78، وقد أرفق صورة للاكتتاب والعقد. مريوش، الشيخ الطيب العقبي، ص 101. جريدة الإصلاح، الإصلاح في سنته الرابعة، ع 14 (25-9-1930)، ص 1. حماني، نفسه، ج 2 ص 306. المدني، الجزائر، مرجع سابق، ص 461. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 312.

(3) عن المدرسة انظر النجاح، ع 411 (23-2-1927)، ص 2، والحفناوي بن محمد دبابش، ولد ببسكرة (187)، ودرس بطولقة، اشتغل بالسياسة والتجارة وكان نائباً عمالياً في العشرينيات، أشرف على أول مدرسة عصرية تسابق لها أعيان بسكرة سنة (1927)، والتي لم تعمر، ترأس جمعية الإخاء ثم عادى جمعية العلماء بعد انتخابات (1934) بسبب ترشح سعدان، وقف أمواله كلها للصالح العام سنة (1946)، توفي في (10-4-1957). انظر سليمان الصيد، مدرسة الإخاء في بسكرة ودورها في نشر الثقافة العربية والإسلامية، 2003 عن قوبع، نفسه، ص 204.

(4) مذكرات خير الدين، ج 1 ص 78.

(5) السنوسي، شعراء الجزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 95. قوبع، نفسه، ص 201.

(6) مريوش، الشيخ الطيب العقبي، مرجع سابق، ص 87. محمد الطاهر فضلاء، "من أعلام النهضة الوطنية الشيخ الطيب العقبي"، الجزائر، مجلة الثقافة، ع 66 (نوفمبر-ديسمبر 1981)، ص 35.

بسكرة، ومن الطلبة النابيين فيه أحمد سحنون، وفرحات بن الدراجي، وعلي بن العرافي المغربي، والطاهر بن بخوش، والشيخ الطيب أبو عبد الله الذي التحق بالأزهر، والشهيد في حرب التحرير المولود بن لشهب⁽¹⁾.
و- المناسبات الدينية مثل إحياء صلاة العيد الواحدة، واتخاذ منبرها مكانا لنشر الأفكار الإصلاحية.

ز- الجولات العلمائية مثل استقبال الشيخ ابن باديس في بسكرة وسيدي عقبة سنة (1931)⁽²⁾.

ح- النشاط الحوارى مع النخب الفرنسية العلمانية والمسيحية، فقد فتحوا باب النقاش والحوار مع المبشرين كما فعل محمد خير الدين مع رئيس المركز الثقافى للمبشرين في مدينة ورقلة سنة (1932).

وقد أثمر النشاط الإصلاحي المحموم في بسكرة إلى نهضة علمية أدبية جعلت الزيان من معاقل الإصلاحيين الرائدة في الجزائر، ويحكي الصحفي التونسي "سعيد أبو بكر" الذي زار بسكرة في (1927) عن آثار تلك النهضة في تغير عادات القراءة والاهتمام بالصحافة والمستجدات⁽³⁾.

4- مدرسة الأغواط:

وهي من المدن الصحراوية المبكرة التي طرقها الإصلاح، حيث تداعى أنثياؤها إلى إنشاء مدرسة تعليمية أشرف عليها الزاهري أولا، ثم مبارك المليلى ثانية⁽⁴⁾، يقول علي مراد عن نشاط المليلى: "أقام بالأغواط سبع سنوات (1928-1934) حيث طبع حياة هذه الواحة بعمق، وخلال هذه الفترة عمل على نشر تعليم عربي عصري استهوى الشبيبة، وسعى إلى تبسيط المذهب الإصلاحي بتصميم نادر، ونشره في وسط تقليدي شديد الارتباط بالزوايا الطرقية"⁽⁵⁾.

5- إنشاء نادي الترقى:

تداعت النخبة الجزائرية إلى فتح نواد ثقافية في الحواضر الكبرى تأسيا بالمثلال التركي والمشرقي في مصر والشام، وقد تداول فيها صفوة المجتمع من نخب تقليدية وإصلاحية ومحافظة على الاهتمام بالمعطى الثقافى وإحياء الهوية وترديد أفكار الجامعة الإسلامية وجدل القومية العربية الصاعدة، وهي الأساس للفعل السياسى الذى سيتمظهر فى جمعيات وأحزاب وكتل فاعلة، ومن تلك النوادي التي نشأت من قبل فى بداية القرن: الجمعية الراشيدية بالعاصمة (1902)، ونادي صالح باي بقسنطينة (1908)، ونادي التوفيقية بالعاصمة (1908)، ونادي الشباب الجزائري بتلمسان (1909). ولكن نشاطها ضمير مع الحرب العالمية الأولى، ثم جاء نادي السعادة بتلمسان الذي جمع شمل الكراغلة وناديهم الشبيبة، والحضر وناديهم النادي الإسلامى، ونشط فى أواخر العشرينيات، ومثلت عنده فرقة "ناصر الدين ديني" القسنطينية مسرحية باللغة

(1) مذكرات خير الدين، 1 مرجع سابق، ج 3 ص 73.

(2) محمد خير الدين، المرجع السابق، ج 1 ص 79.

(3) الجابري، من تاريخ التواصل الثقافى، ص 15 نقلا عن مريوش، مرجع سابق، ص 106.

(4) جريدة البلاغ، ع 69 (11-5-1928). رحلات جزائرية طرقية، مرجع سابق، ج 3 ص 21.

(5) علي مراد، نفسه، 105. محمد المليلى، الشيخ مبارك المليلى، مرجع سابق، ص 121. الشهاب، ع 85 (24-2-1927)، ج 2 ص 855.

الفصحى هي " طارق بن زياد" ⁽¹⁾ بما لها من حمولة تاريخية في انتصار الإسلام على أوروبا الوسيطة، وقد دعم الإصلاحيون خطة إنشاء النوادي التي تبارى بعض النخبة في تأسيسها، وذلك مثل نادي السعادة بقسنطينة (1926)، والذي ألقى فيه ابن باديس محاضرة يتيمة فيه عن تاريخ النوادي ودورها، ولكن هذا النادي وُئد ولم يستمر ⁽²⁾، ولكن أهم نادي سينشأ وسيكون له التأثير البالغ، هو نادي الترقى.

اعتبر أحمد توفيق المدني نفسه أهم المنادين لتأسيس نادي الترقى منذ (1926) حيث حضّ أثرياء العاصمة كمحمد بن المرباط، ومحمود بن ونيش، ومحمد علي المانصالي ⁽³⁾ ومحمود بن التركي، وحمدان بن رضوان، وعمر بوضربة، ومحمد بن الحفاف، ومحمد ازميزلي، ومحمود بن صيام والزواي الحاج، والذين اكتتبوا له، وكان الافتتاح في (13-7-1927) ⁽⁴⁾، وقد نشط النادي وصار معلما ثقافيا للجزائر، ونظم ثلاثين محاضرة سنّية (1927-1929)، وانتسب له مائتان وسبعون عضوا ⁽⁵⁾، وهو رقم مهم في تلك الأزمان القاحلة، وذكر الصحفي التونسي الطيب بن عيسى اندهاشه به لما زاره سنة (1927) حيث قال: "وأحسن مظهر يدل على رقي ذوق الجزائري وكمال استعدادده إلى الأخذ بأسباب النهوض هو تأسيسه لناد ضخم "نادي الترقى" ولا أبالغ إن قلت أن لا نظير له بالشمال الإفريقي على الإطلاق، وإن وُجد فيكون ناديا فرنسيا لا وطنيا" ⁽⁶⁾، وأسفرت بعض نتائج عمل النادي عن:

أ- تأسيس جمعية الفلاح، والجمعية الخيرية الإسلامية، ثم تأسيس جمعية العلماء بمقره، ومحاولة تأسيس بنك إسلامي.

ب- مقاومة سياسة التجنيس والإدماج، ومحاولة تكوين "الإتحاد الديني السماوي"، ومن مناصري الفكرة ابن باديس ⁽⁷⁾ والميلي والعقبي، ومن المسيحيين بيرني، ومن اليهود الدكتور غزلان، لأجل مقاومة الاتحاد والمادية ⁽¹⁾.

(1) خالد مرزوق ومختار بن عامر، مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان، مرجع سابق، ص 73. المدني، الجزائر، مرجع سابق، ص 456. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 425. وقد استقبل النادي ورئيسه ابن علي بوعبيد ضيوف افتتاح دار الحديث بتلمسان خريف (1937) انظر تقرير ابن حلوش في الشهاب (ع شعبان 1356 - أكتوبر 1937)، ج 13 ص 388.

(2) أسسه الطيب زرقين، وجرى انتخاب مكتبته ورئيسه، وحسب السنوسي فإنه انقطع عن العمل. انظر شعراء الجزائر (قصيدة محمد اللقاني بن السائح) ج 1 ص 113. المنتقد، ع 8 (20-8-1925)، ص 145. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 315.

(3) محمد المنصالي، هاجر للمشرق بعد قانون التجنيد الإجباري (1912)، واستقر ببيروت، ثم الحجاز، وعاد للجزائر بالعديد من المؤلفات الحديثة. رأس نادي الترقى وجمعية الفلاح وجمعية الزكاة، توفي في أوائل جانفي (1932)، انظر المرصاد، مأتم مشهود، ع 3 (15-1-1932)، ص 3. مريوش، نفسه، ص 69. نقلا عن مذكرات معي الدين باشتارزي (1919-1939) ص 42.

(4) الشهاب، محمد العاصبي " أعظم ناد بالجزائر وإن كان بعد مائة عام"، ع 108 (4-8-1927)، ج 3 ص 152. حياة كفاح، ج 2 ص 169. وعن النادي وعن النادي انظر عمر عيشون، نادي الترقى قلعة الإصلاح الأولى، الجزائر- موفم- 1987. والوناس الحواس، نادي الترقى ودوره في الحركة الوطنية (1927-1954)، الجزائر، كنوز الحكمة، 2012.

(5) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 315.

(6) جريدة الوزير التونسية، تونس، (سبتمبر، أكتوبر، 1828)، ص 110، عن ذاكرة مدينة الجزائر، ج 2 ص 556. والطيب بن عيسى التونسي (1891-1965)، له تحرير المرأة، مذكرات سجين، خواطر حاج، المغرب الأقصى بن عهدين.

(7) في شهادة سليمان داود بن يوسف العطاوي: أن ابن باديس دخل في لجنة يهودية عالمية، أسسها "برنارد لوكاش" Ligue internationale contre le racisme et l'antisémitisme، وهو الذي حى الحركة العلمية والإصلاحية من (صليب النار) وهي الحركة التي جاءت تقضي على الحركة الإصلاحية، وأقامت لهم مأدبة غداء في قسنطينة، وحضر ابن باديس وابن شيكو وابن لفخون ومحمد بن معيزة وباش تارزي ومحمد الشرح

ج-استقبال قادة الفكر من العالم العربي، ومنهم الشاعر التونسي الشاذلي خزندار الذي قدم في سبتمبر (1928)، واهتزت له العاصمة، وأقاموا له حفلات، وأنشد الشعراء فيها أمثال السنوسي ومحمد العلمي⁽²⁾. وهكذا ابتدأ النادي عمله، وكان شمعة أضاءت ليل الجزائر الحالك، وقُدِّر له أن يحتضن أهم الجهود النهضوية، ومنها ميلاد جمعية العلماء، ولولا الانقساعات التي لحقت بها إلى إصلاحيين وطرفيين، ثم الانقساعات التي حاقت بالحركات الإصلاحية وتفرعها إلى باديسيين وعقبين، لكان أداؤه أحسن.

المطلب السادس: الوسائل المادية والأدبية عند الإصلاحيين.

أولاً: الوسائل المادية:

1- تأسيس المطبعة الإسلامية: سبق لابن باديس أن كتب في النجاح التي يديرها إسماعيل مامي باسم مستعار، وكانت الإدارة الاستعمارية تمنع بعضاً منها، ففكر في إنشاء مطبعة مستقلة، وتشكلت أول نواة للتفكير في ذلك وسميت باسم "عصبة المطبعة الإسلامية الجزائرية" وكان فيها ابن باديس، أحمد بوشمال، وإسماعيل صحراوي، وعبد الحفيظ صويلح، وخليل بن القشي الزواوي⁽³⁾.

وبعد تأسيس المطبعة أصدر ابن باديس المنتقد، ثم جريدة الشهاب التي تحولت إلى مجلة، وطبعت هذه المطبعة البصائر، وصدى الصحراء، وكانت تجارية تطبع الكتب والبطائق، فقد طبعت تاريخ الجزائر ورسالة الشرك للميلي، وتقويم الأخلاق لمحمد بن العابد الجلاي سنة (1927)، والمنظومة الرحمانية لبشتارزي⁽⁴⁾، وقد عضدها في عملها المطبعة العربية لأبي اليقضان، التي طبعت صحفه كلها، إضافة إلى بعض الكتب⁽⁵⁾.

2- الزيارات الميدانية: جدّ رجال الإصلاح في التطواف بالحوضر لنشر أفكارهم، وخاصة في الزيبان ثم العاصمة، فضلاً عن قسنطينة وأحوازها، ومن تلك الزيارات النموذجية، والتي كان أكثرها في عمالة قسنطينة ما يأتي:

أ- زيارة إبراهيمي لبسكرة سنة (1925)⁽⁶⁾. وبها شرح حديث: "إذا وسد الأمر لغير أهله فانتظر الساعة".

والدكتور زرقين، والمترجم بين ابن باديس ولوكاش هو الشيخ حموش، والمحادثة بينهما غريبة وأعطيت لي بطاقة العضوية ممضاة من ابن باديس. انظر مرجعيات جمعية العلماء، ج 2 ص 108، مع التذكير بأن البعض يشكك في هذه الشهادة، وإن كان علي مراد وغيره لاحظوا أن ابن باديس ظل يرافع من أجل التسامح والتعايش والتقارب، وترقية التصالح بين المسلمين واليهود الجزائريين، وكان يستعمل عبارة "دون تفريق في العدل والإحسان بين الأجناس والأديان" انظر الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، ص 204. وأشارت الرشاد فيما بعد إلى ارتقاء ابن باديس في أحضان لوكاش. ولكن الدافع لابن باديس في هذا هو ما تمليه القيم الإسلامية من وجوب الإحسان للجميع ما داموا مسلمين، ومحاولة منه لفصل اليهود عن المعمرين، وإن باءت تلك المحاولات بالفشل بسبب معضلة فلسطين.

(1) المدني، حياة كفاح، ج مرجع سابق، ص 177.

(2) حياة كفاح، ج 2 ص 230. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5 ص 582. وكان للخزندار صلات ثقافية بالشيخ حسن البغدادي.

(3) حماني، صراع بين السنة والبدعة، مرجع سابق، ج 2 ص 119، ج 2 ص 259.

(4) سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 310.

(5) تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5 ص 311. دبوز، نهضة الجزائر، ج 2 ص 271، ونسب نشأتها الأولى لمحمد بن بكير ومجموعة من تجار بني ميزاب، وقال إنها دامت لسنة (1932)، ولعلها آلت إلى أبي اليقضان، وعنه انظر ناصر، أبو اليقضان وجهاد الكلمة.

(6) جريدة النجاح، ع 193 (1-30-1925)، ص 3. قوبع نفسه، ص 113. وقال إنه زار وادي سوف أيضاً.

ب- زيارة ابن باديس والميلي وبوشمال للزيبان (1926)، حيث زاروا بسكرة وطولقة وبرج بن عزوز والزاوية العثمانية، وكانت فرصة لشرح رؤية الإصلاحيين، وختمت الزيارة بدرس في التفسير ألقاه ابن باديس في مسجد بكار⁽¹⁾.

ج- زيارة ابن باديس لقنرات بالقبائل حيث التقى الشيخ أرزقي الصالحي (ت 1930)، وذلك سنة (1927)⁽²⁾.

د- زيارة الزيبان الثانية شتاء (1927)، وحكى فيها الزاهري عن وفد الإصلاح الذي طاف الزيبان الغربي، وقال فيها: "وبعد الفراغ من مأدبة الغداء شرع الأستاذ الطيب العقبي يدعو الناس إلى النجاة ويهديهم إلى سبيل الرشاد، ويجاهد الذين يجعلون لله أندادا ويدعون مع الله آلهة كثيرة بالقرآن جهادا كبيرا، ومضى العقبي في هذا الموضوع وتغلغل فيه بشدة كأنه التيار الجارف الذي جرف طرق القوم وخرافاتهم، أو كأنه إعصار فيه نار تأكل ضلالات المشركين أكلا مآ، فلم يبق في مجلسه ذلك أحدا إلى وخضع لكتاب الله وسلم لله ورسوله تسليما، ولم يخرجوا من هناك حتى عادوا لا يجدون في أنفسهم حرجا مما قضى الله ورسوله"⁽³⁾.

هـ- زيارة العقبي لعين فكرون بدعوة من أعيانها، وقدم محاضرات عن أهداف الإصلاح⁽⁴⁾، وكان قد زار قبل الأوراس حيث نزل بأريس بباتنة⁽⁵⁾. فضلا عن زيارات علماء الزيبان لطولقة وبرج بن عزوز لإبطال بعض العادات كذبح التيوس أمام القبور⁽⁶⁾.

و- زيارة أحمد توفيق المدني لبسكرة سنة (1927)، وقد استقبله محمد العيد ومحمد العزوزوي حوحو، ومكي إسماعيل⁽⁷⁾، وهي ضمن جولة المدني للتعرف على بلده الجزائر بعد عودته من تونس.

ثانيا: الوسائل الأدبية العلمية للإصلاحيين:

1- بعث الحركة الأدبية (المقالية والشعرية): ارتبط الشعر بالفكر الإصلاحي، كما ارتبط بالفكرة ثم بالحركة بعد اتصاحها بجريدة المنتقد، وهو ما أدى إلى مراجعة التراث وترقية أساليب العربية تأسيسا بإصلاحي المشرق، ولأجل ذلك برزت ظاهرة الشعر الإصلاحي التي اعتبرها ركيبي مرتبطة بالحركة الإصلاحية وليس بالأحزاب السياسية⁽⁸⁾.

يعتبر الزاهري من أوائل من أبرزوا المقالة الأدبية إلى الفضاء العربي، فقد جاءته التقريظات والإشادات من شكيب أرسلان، ومحمود ياسين الدمشقي، وكتب ابن باديس عن رسالته "الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير" قائلا: "عرفنا الشيخ السعيد الزاهري شاعرا خنذيذا، وعرفناه كاتباً رحب البيان، وعرفناه في هذا الكتاب، داعية إسلاميا كبيرا، فقد خاض في مسألة الحجاب والمرأة الجزائرية ومسألة الإسلام والتغريب

(1) صدى الصحراء، الوفد العلمي القسنطيني، ع 11 (11-3-1926)، نقلا عن عبد القادر قوبع، مرجع سابق، ص 113.

(2) فضلاء، المسيرة الرائدة، مرجع سابق، ج 1 ص 186.

(3) البرق ماي 1927. نقلا عن نور الدين بولحية، مرجع سابق، ص 192.

(4) الشهاب، ع 164 (20-9-1928)، ج 4 ص 296.

(5) الشهاب، ع 12 (28-1-1926)، وانظر أيضا في زيارات العقبي، مريوش، نفسه، ص 91.

(6) صدى الصحراء، وفد العلماء يزور طولقة وفرفار، ع 8 و9 (2-5-1927)، نقلا عن قوبع، مرجع سابق، ص 143.

(7) المدني، حياة كفاح، مرجع سابق، ج 2 ص 153.

(8) ركيبي، الشعر الديني الجزائر الحديث، مرجع سابق، ص 673.

والشبيبة المتعلمة، فأبان من الحقائق، وأقام من الحجج ما لا يلقاه أشد الخصوم - إذا أنصف - إلا بالإكبار والتسليم، وساق ذلك كله في أسلوب من البلاغة الشبيه بالروائي سهل جذاب، لا تستطيع إذا تناولت أوله أن تتركه قبل أن تأتي على آخره"⁽¹⁾.

2- تجديد الدرس التفسيري: على فترة من ضمور الدرس التفسيري بالجزائر، باشر ابن باديس التفسير في الجامع الأخضر، وصار الأمر ركنا في الفعل الإصلاحي، وعندما زار سيدي عقبة وألقى درسا في التفسير على عادته، فقام له أحد المدرسين التقليديين مطالبا إياه بالكف عن التفسير، والكلام بدلا من ذلك في شرح خليل، لأن التفسير خطر عظيم، فصوابه خطأ وخطأه كفر⁽²⁾، كما ابتدأ العقبي دروسا التفسير في جامع "بكار" ببسكرة⁽³⁾. وكان هذا غير معهود في الحلقات العلمية، من حيث تهيب العلماء التقليديين للدرس التفسيري.

3- طبع الكتب: اهتم الإصلاحيون بجلب الكتب المطبوعة في المشرق، بل وباشروا طباعة بعض الكتب هنا مثل العواصم من القواصم لابن العربي، وقالت الشهاب أنه طبع لكونه يفضح الباطنية: "لأنه خصم الباطنية، وقد أقام عليهم حربا شعواء في كتاب العواصم الذي قامت عليه قيامة بقاياهم لما قدم للطبع"⁽⁴⁾. وطباعة الكتاب تدور في فلك محاربة الفكر والتأويل الباطني الذي يتهم الإصلاحيون به خصومهم من غلاة المتصوفة، وهو ما جعل الغماري يتهم ابن باديس بالنصب ومعاداة أهل البيت "لطبعه ذلك الكتاب الخبيث كمصنفه ابن العربي الناصبي الخبيث"⁽⁵⁾.

وكذا إعادة نشر كتاب شكيب أرسلان: "لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم" في الشهاب⁽⁶⁾، وهو الرجل الذي ورث الأفغاني مصدر إلهام للإصلاحيين، بسحره الأخاذ وبيانه الراقى، فكان مصدر جذب لهم نحو القومية العربية⁽⁷⁾.

4- التأليف الخالص: نشط الإصلاحيون لإبراز قدراتهم العلمية بالتأليف والطبع، ومن نماذج ذلك: أ- مؤلفات المولود الزريبي: بذور الأفهام وشموس الأحلام على عقائد ابن عاشر الحبر الإمام⁽⁸⁾، وشرح قدسية الأخضر، والتي سيتخذها الإصلاحيون وسيلة لمهاجمة انحرافات التصوف. ب- السعيد الهلولي فضلاء: في رسالته "الرد على العوام القائلين بوجوب تلقين الأوراد على الكافة"، وهو وإن كان من الطرفين، فإن بعض آرائه كانت تصب في الاختيارات الإصلاحية، ولأجل ذلك قرظها إبراهيمي، واعتبر صاحبها من أنصار الحركة الإصلاحية وقد طبعت بالثعالبية سنة (1926)⁽¹⁾.

(1) الشهاب، ع (شعبان 1350- ديسمبر 1931)، ج 7 ص 862.

(2) انظر مبارك الميلي، رسالة الشرك، ص 38.

(3) جريدة صدى الصحراء، ع 3 (10-2-1926)، ونشرت البصائر بعض تفسيره، انظر ع 33 (17-1-1936) ص 1.

(4) الشهاب، الزواوي، مقال "مجلس المناظرة"، ع 105 (14-7-1927)، ج 3 ص 100.

(5) الغماري أحمد بن محمد بن الصديق، الجواب المفيد للسائل والمستفيد، مرجع سابق، ص 66.

(6) الشهاب، ع ذو القعدة 1349. أبريل 1931)، ج 7 ص 225.

(7) انظر علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، مرجع سابق، ص 203.

(8) طبع مبكرا في تونس (1334هـ-1914)، انظر شعراء الجزائر، ج 1 ص 99. أعلام من المغرب العربي، مرجع سابق، ج 1 ص 104.

ج- ابن باديس: رسالة جواب عن سوء مقال، في الرد على شطحات الشيخ أحمد العليوي⁽²⁾.

د- محمد بن العابد الجلاي: كتاب "تقويم الأخلاق" وطبعته المطبعة الإسلامية (1926) وتنوعت مواضيعه في الشريعة والأخلاق⁽³⁾، ومن أهم مبادراته دعوته لتأسيس هيئة إسلامية علمائية خالصة لتدوين وتقنين الفقه، وتقريب وجهات المذاهب الفقهية وتوحيد الأحكام في المسائل الخلافية لتحرير الجزائريين من هيمنة القضاء الفرنسي.

هـ- مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث. وقد احتفى به الإصلاحيون وأقاموا حفلات تكريم له في قسنطينة حيث خطب محمد الطاهر العنيزي وعبد الحفيظ الجنان ومحمد السعيد الصائغي وغيرهم⁽⁴⁾ و- العقبي: قصيدة إلى الدين الخالص: وهي قصيدة عاصفة في حينها ضد الوضع الطرقي، ومما قاله الميلي في أثرها: "ولكن أتى الوادي فطم على القرى، إذ حمل العدد الثامن في نحره المشرق قصيدة (إلى الدين الخالص) للأخ في الله وداعية الإصلاح وخطيب المصلحين الشيخ الطيب العقبي. أمد الله في أنفاسه. فكانت تلك القصيدة أول المعول المؤثر في هيكل المقدسات الطرقية، ولا يعلم مبلغ ما تحمله هذه القصيدة من الجراءة ومبلغ ما حدث عنها من انفعال الطرقية، إلا من عرف العصر الذي نشرت فيه وحالته في الجمود والتقديس لكل خرافة في الوجود⁽⁵⁾. وكذا قصيدة "عليكم بنهج الصالحين"، والتي طبعت، ووزعت مجانا سنة (1927)⁽⁶⁾

ز- محمد الهادي السنوسي⁽⁷⁾: كتاب "شعراء الجزائر" طبع بتونس سنة (1926)، وأحيا به الأدب العربي مُعرِّفاً بشعراء الجزائر الجدد⁽⁸⁾، وهي سابقة جميلة في الاهتمام بالأحياء، وأقام أهل بسكرة بحض من العقبي حفلا كبيرا بمناسبة صدوره، وذلك يوم (4-2-1927)، والأمر ذاته في تونس حيث احتفت به جمعية قدماء الصادقية⁽⁹⁾.

(1) محمد الطاهر فضلاء، الشيخ السعيد أهلول الورثاني، مرجع سابق، ص 167.

(2) وكانت تطبع، وروجت لها الشهاب عقب محاولة الاغتيال، ع 81 (27-1-27)، ج 2 ص 780.

(3) الشهاب، ع 104 (7-7-1927)، ج 3 ص 80. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4 ص 537.

(4) المرصاد، ليلة تاريخية في قسنطينة، ع 22 (22-7-1932)، ص 2. وع 23 (5-8-1932)، ص 1.

(5) الميلي، رسالة الشرك ومظاهرة، مرجع سابق، ص 304.

(6) صالح خرفي، الشعر والانحراف الديني، مجلة الثقافة، ع 44 (أفريل-ماي، 1978)، ص 63. قويع نفسه، ص 125.

(7) محمد الهادي السنوسي، ولد بليانة ببسكرة (1902)، درس بقسنطينة عند ابن باديس، وأسهم في توزيع جرائد المنتقد والشهاب، درس في الشبيبة الإسلامية بالعاصمة، توفي (14-10-1974)، انظر شعراء الجزائر، ج 1 ص 307. معجم مشاهير المغاربة، ص 290. مريوش، الشيخ الطيب العقبي، مرجع سابق، ص 87. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7 ص 435. ديوز، من أعلام الإصلاح في الجزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 178.

(8) تكلم في جزئه الأول عن (آل خليفة، محمد اللقاني بن السائح، محمد السعيد الزاهري، الجنيد أحمد مكي، الطيب العقبي، أبو اليقضان، مفدي زكريا، رمضان حمود، إبراهيم امتياز، أحمد كاتب بن الغزالي، وفي الثاني: المولود بن الموهوب، العمودي، بولحبال، الزربي، محمد العلمي، محمد الحاج بن إبراهيم الطرابلسي، أحمد الأكحل، محمود بن دويده، .. إلخ.

(9) الشهاب، ع 84 (17-2-1927)، ج 2 ص 833. مريوش، مرجع سابق، ص 90، وممن خطب في الحفل محمد الطاهر بن حمدان الوينيسي، انظر بن علجية، الشيخ حمدان الوينيسي، مرجع سابق، ص 31.

ح- محمد السعيد الزاهري: "الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير"، مجموعة مقالات نشرها في مجلة الفتح لمحِب الدين الخطيب، وجمعت وطُبعت في القاهرة، ودارت أغلب المقالات حول النهضة والتنصير والمرأة⁽¹⁾.

ط- أبويعلى الزواوي: كتاب "الإسلام الصحيح"، وقد طبعه أولاً بمصر بمطبعة المنار سنة (1335) (2)، بدعم من مِماد المانصالي، ووضح آراءه في الاجتهاد والتزام المذاهب، وأبان عن رأيه في التصوف والمرأة والحجاب.

5- الاستعانة بالمؤلفات والردود غير الجزائرية: استعان الإصلاحيون في تقرير قضاياهم وتأكيد رؤاهم بالمنتج العلمي غير الجزائري القديم والحديث من مؤلفين معاصرين وقدماء لتعضد رؤيتهم في الإصلاح، وذلك عن طريق استيراد مقالات، أو نشر كتب، في توهين قضايا الطرفين، ومن ذلك ما يأتي:

- نشر أجزاء من كتاب بدر الدين النعساني "الدر النضيد"⁽³⁾، في جريدة صدى الصحراء⁽⁴⁾.

- كتاب الشيخ عثمان المكي التونسي المشهور "المرآة لإظهار الضلالات"، الذي طبع (1912).

6- الاهتمامات الإسلامية والعالمية للإصلاحيين.

أ- التطلع للقضايا الإسلامية العالمية: وهي الكوة التي بز فيها الإصلاحيون غيرهم، من حيث اهتمام جرائدهم بالأحداث العالمية والإسلامية خاصة، فابن باديس وزملاؤه تابعوا وبشدة الأخبار الآتية:

أ- الخلاف في الحجاز بين الأشراف والسعوديين⁽⁵⁾، وانتصارات الأخيرين، والاحتفاء بعبد العزيز واعتباره ملك الإسلام، وتابعوا نزاعه مع أئمة اليمن، بل إن الإصلاحيين اهتموا بالصراع الداخلي الوهابي، واحتفوا بانتصار عبد العزيز على إخوان من أطاع الله، في معركة السبلة، فقد نشرت الشهاب مقالا حول انتصار دولة الحرمين على الثائرين المخدوعين -خوارج فيصل الدويش-⁽⁶⁾، وممن كانوا يكتبون الحركة الإصلاحية الشيخ عبد الرحمان بوحجر (ابن زاوية بوحجر) المدرس بجامع جدة، والذي أمضى سنوات بالسودان الغربي⁽⁷⁾.

ب- تركيا وآسيا الوسطى: تابعوا انقلاب الأوضاع الدينية في تركيا، وأخبار مسلمي آسيا الوسطى، وتغول الشيوعيين، حيث تكلموا عن هدم معهد في طشقند وإقامة لئين زعيم البلاشفة، واضطهاد المسلمين بأوزباكستان⁽⁸⁾.

ج- قضية فلسطين: بدأت الكتابات فيها مبكرا بمتابعة أخبار الانتداب البريطاني، والتحذير من الصهيونية⁽⁹⁾.

(1) انظر مقدمة الكتاب، ص 7، ووعد في آخره بطبع كتب أخرى له مثل: حاضر تلمسان، بين النخيل والرمال، حديث خرافة، شؤون وشجون، ص 122. الشهاب، ع (شعبان 1350-ديسمبر 1931)، ج 7 ص 862.

(2) سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ج 2 ص 147.

(3) محمد بن مصطفى بدر الدين النعساني الحلبي (1298هـ-1881م/1362هـ-1943م)، طبع بمطبعة التقدم سنة (1322هـ)، والكتاب هو "الدر النضيد في مجموعة الحفيد" لأحمد بن يحيى الهروي الشافعي (906هـ).

(4) صدى الصحراء، إلى العلماء، ع 5 (1-2-1926)، نقلا عن قويع، نفسه، ص 123.

(5) جريدة المنتقد، ع 2، (9-7-1925) ص 32.

(6) الشهاب (عدد شوال 1348-مارس 1930)، ج 6 ص 127.

(7) انظر البصائر، ع 159 (31-3-1939)، ص 2. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 528.

(8) جريدة المنتقد، ع 1 في (2-7-1925)، ص 20.

(9) الإصلاح، مقال "فضائع الصهيونية في فلسطين، الاكتتاب الغوث"، ع 9 (12-12-1929)، ص 1. قويع، نفسه، ص 273.

د-شمال إفريقيا: فتح الإصلاحيون ملف وحدة شمال إفريقيا، واعتبر الزاهري الوحدة ممكنة بالإصلاح، وذلك باستنهاض همم المصلحين للكتابة في القضايا الاجتماعية، ومن ذلك ما كتبه أيضا في عروبة البربر⁽¹⁾.

المطلب السابع: أهم رجالات الإصلاح في العشرينيات.

1- عبد الحميد بن باديس: يعتبر ابن باديس بإجماع مؤرخي الحياة الثقافية في الجزائر الرائد الأول والمؤسس الحقيقي لحزب الإصلاح الديني، وهو من الأفراد القلائل الذين حصلوا لقب الإمام، وهو لقب يدل على التقدم والريادة والزعامة، بل إن زميله الإبراهيمي يعتبره باني النهضة الجزائرية كلها: "وبدروس الأستاذ عبد الحميد بن باديس، ومجلته الشهاب، استحقّ لقب باني النهضة الجزائرية بجميع فروعها"⁽²⁾.

أولا- النشأة والتكوين: ولد ابن باديس يوم (4-12-1889)، وكان بكر أبويه في عائلة قسنطينية عريقة ظاهرة الغنى، فجده المكي بن باديس كان قاضيا وأول مستشار عام تقلّد وساما من يد الامبراطور نابليون الثالث (1852-1870)، وأبوه مصطفى كان مندوبا ماليا، وباش أغا شرقي، ومن وجهاء قسنطينة وأعيانها، وأما أخوه الزبير فكان محاميا ومثقفا عاليا في الثقافة الفرنسية⁽³⁾.

درس ابن باديس القرآن الكريم على يد الشيخ محمد المداسي، والتزم دروس حمدان الونيسي منذ سنة (1903)، ثم رحل إلى الزيتونة سنة (1908)، ودرس عند الشيخ محمد الصادق النيفر، ومحمد الطاهر بن عاشور، ومحمد النخلي وبلحسن النجار، وتخرّج منها بشهادة التطوع في السنة (1911)، ليباشر التعليم بالجامع الكبير سنة (1914)، وفي سنة (1913) قام بأداء فريضة الحج، ومكث هناك أشهرا، ولقي الشيخ الوزير التونسي، وحسين أحمد الهندي، وشيخه حمدان الونيسي، وزار مصر ولقي بها بخيت المطيعي بالقاهرة، وأبا الفضل الجيزواي بالإسكندرية⁽⁴⁾.

اهتم بالتعليم الابتدائي، فكان يدرّس الصغار بكتّاب "سيدي فتح الله" برحلة الصوف، وكذا بكتّاب الزاوية القادرية، وكان يلقي دروسا للعامة بمسجد "سيدي قموش"، ثم افتتح التعليم المتوسط والعالي بالجامع الأخضر، وأقبل عليه الطلبة من نواحي الشرق والزيان والوسط والقبائل، ولم يتقلّد طوال حياته منصبا أو وظيفة، وإنما نذر نفسه لبعث التعليم والإصلاح والنهضة في جهد خارق متتابع أتى على صحته، حتى نال منه المرض فتوفي عليه رحمت الله يوم (16-4-1940).

(1) خرفي، الزاهري، ص 273. نشر الزاهري المقال بالوزير التونسية في (1929). وبحث عروبة البربر بالمقتطف المصرية.

(2) آثار الإبراهيمي، ج 5 ص 144. انظر محمود قاسم، الإمام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية، مصر، ص 9. وانظر ابن باديس، مقال "لمن أعيش أنا" الشهاب، ع (شوال 1355-جانفي 1937)، ج 13 ص 483.

(3) بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها بالحركات الوطنية الأخرى (1931-1945)، مرجع سابق، ص 80.

(4) عمار طالبي، ابن باديس حياته وآثاره، ج 1 ص 75. صراع بين السنة والبدعة، ج 2 ص 255. وانظر الإجازات في كتاب فيلالي عيد العزيز، ابن باديس مرحلة التحصين والتكوين، إجازة الونيسي والافيض أبادي وعبد العزيز الوزير وأبي الفضل الجيزواي والمطيعي، ص 140-151. وحسبه فقد دخل الزيتونة في جانفي 1914، ونال التطوع في جوان 1911، ثم التحصيل في جوان 1913 وحج في (20-10-1913). محاضرات أحمد حماني، مرجع سابق، ج 3 ص 145. محمد الصالح الصديق، أعلام من المغرب العربي، مرجع سابق، ج 1 ص 240.

وأما حياته الاجتماعية فقد تميزت بزواجه من " زهرة بن جلول"، والتي أنجب منه ولده الوحيد "عبده إسماعيل" الذي توفي صغيراً، ثم طلقها لعدم قدرته على الوفاء بالاحتياجات الزوجية بما زاحمها من أعباء التعليم والحركة الدائمة⁽¹⁾.

ثانياً: المسار الفكري من المحافظة إلى الإصلاح.

تطور ابن باديس في حياته الفكرية، إذ يمكن أن يُحسب في بداياته على التيار المحافظ، ثم كان توجهه المتدرج إلى الإصلاحية، وذلك بعد رجوعه من تونس واحتكاكه بالتجديدية الصاعدة، ثم رحلته إلى المشرق في الحج، وعودته لمباشرة العمل الإصلاحي، وسيكون مقتصدًا في نقد الحقل الطريقي لكونه حاضنته الأولى، كما سنتبين إلى أن دخلت عوامل أخرى فرقت، ثم جمعت، ثم كان الفراق الأخير.

ويطلق البعض لفظ "الفترة الباديسية"⁽²⁾ على مسار الحركة الإصلاحية، ويعتبرونها دوراً متميزاً بكثرة أعماله، ويمكن التمييز بين تطوريته الفكرية كالآتي:

أ- المرحلة المحافظة: أي انتماء ابن باديس للحاضنة الصوفية وللزاوية الرحمانية، ودلائل ذلك كثيرة، منها:
- تعليقاته على المنظومة الرحمانية، والتي قام بطبعها ومراجعتها⁽³⁾. وقد قال الشيخ عبد الحميد في آخر تصحيحه للطبعة: "ندبني الشيخ المذكور مصطفى باش تارزي إلى إعانته على نشر المنظومة الرحمانية في الأسباب الشرعية المتعلقة بالطريقة الخلوتية" بالوقوف على تصحيحها، فلبيت طلبه راجياً من وراء ذلك أن يتذكر الإخوان ما عليهم في هذا الطريق الشرعي من الأدب العملي والعلمي، ويعلموا أنهم لا يكفهم في ترقية

(1) في كتاب جمعية العلماء، وجزئته الثاني عن ملتقى مناقشة المدني في ما أورده في مذكرات حياة كفاح، حيث قال أحمد حماني أن اسمها يمينه بن باديس، في رده على المدني، انظر مرجعيات جمعية العلماء، ج 1 ص 31، ورد على بعض اللزم الصادر بحقها من قبل العلويين ومن المدني نفسه، وقد أشار عبد الحق ابن باديس إلى أن ابن باديس طلقها بذاته، وأن اسمها يمنية، وقد زوجها أبوها له لما بلغ (15 سنة)، وكان الوالد متكفلاً برعايتها مع أخ وأخت لها في بيت العائلة، وأن ابنه عبده إسماعيل ليس متبنياً، وأن ابن باديس ترك لها البيت قال: "ولما بلغت سن 15 من العمر زوجها لابنه البكر، وكان من عادة عائلتهم الكبيرة أن يستقل الأبناء الكبار بحياتهم ويتركون مكانهم لغيرهم، حيث انتقل أخوه للإقامة بمدرسة التربية والتعليم مع زوجته، ولما أراد العودة من جديد إلى بيت العائلة بعد شغور عدد من الغرف، رفضت الاستجابة لرغبته، فحاول إقناعها عدة مرات على أمل تغيير رأيها، وأمام تمسكها بموقفها طلقها. لكنه لم يطردها من البيت، وفضل أن يغادره هو ليرتكها تقيم به، ولما حاولنا أن نعرف كم استمر زواجهما، قال إنه لا يتذكر ذلك، كما أنه لا يعلم إن كانت أعادت الزواج أم لا، لأنها هاجرت مع أخيها وأختها إلى تونس، حيث أقاموا هناك إلى أن وافهم الأجل". وانظر محاضرات حماني، مرجع سابق، ج 3 ص 59.

وفي شهادة لجلول محمد الملياني أنه تزوج وعمره خمسة عشر سنة (1904)، وطلقها سنة (1934)، وأن ابنه مات في حادثة بعد ركوبه حصاناً وسقوطه منه بانطلاق رصاصة بالخطأ من بندقيته، وذلك في مدينة الحروش، وأن الشيخ كان يلقي درساً في الحديث وسمع بالخبر، وحاول واستمر في درسه. انظر مرجعيات جمعية العلماء، مرجع سابق، ج 2 ص 101.

وأما قضية الطلاق: فسببه يوم خطب السيد العربي أخت ابن باديس لابنه، وفي أثناء حفل الزفاف خرجت زوجته مع النساء وزلقت وسقطت على الأرض، وأصيب بكسر، وأن "السعيد بن حافظ" قال إنه رآها كيف سقطت، لأنها التفتت إلى شخص كان يمشي وراءها؟ وأن ابن باديس أخبر، ولكنه وترك العرس يمضي، وأمرها أن تذهب إلى دار والده تلك الليلة، فقالت: إنني متخاصمة مع زوجة أبيك، فقال: أنت طالق إن لم تذهبي، فطلقها. انظر مرجعيات جمعية العلماء، ج 2 ص 103.

(2) علي مراد، الحركة الإصلاحية الجزائرية، مرجع سابق، ص 22. محمد الملي، الشيخ مبارك الملي، مرجع سابق، ص 177.

(3) طبع بمطبعة النجاح (1341هـ-1923م). وانظر العقون، الكفاح القومي السياسي، مرجع سابق، ج 1 ص 163. والمنظومة الرحمانية للشيخ عبد الرحمان باشتارزي (ت 1221-1806م)، وعنه انظر تعريف الخلف، مرجع سابق، ج 2 ص 6.

نفوسهم مجرد الانتساب الإسمي، فيدعوهم ذلك إلى العلم والتعلم، للذين لا سعادة في الدارين بدونهما ولا تقدم، فيفقهوا حينئذ حقيقة الدين وينتفعوا بنصائح المرشدين، ويكونوا يوم ذلك إن شاء الله تعالى من المهتدين، والله المسؤول أن يهب التوفيق والنفع والثواب لكل ساع في خير المسلمين آمين⁽¹⁾

وفي ختام الطبعة قال الشيخ عبد الحميد بن باديس: تم طبع المنظومة الرحمانية ذات الأسرار الربانية الجامعة لأصول الطريقة الخلوتية، وآداب التربية الشرعية الدالة على علم ناظمها وبركتها بما نفع الله بها من أتباعه وتلامذته، حتى نفذت طبعتها الأولى مع شرحها، فكثرت الرغبات، وتوالت الطلبات في إعادة طبعها لتعميم نفعها، فقام بذلك على نفقته العالم البركة الخير الثقة شيخ شيوخ الطريقة الخلوتية بقسنطينة اليوم المتحلي من أخلاق أسلافه بالنفائس الغالية السوم، الشيخ سيدي مصطفى ابن الشيخ سيدي محمود ابن الشيخ سيدي الحاج محمد ابن الشيخ سيدي محمود ابن الشيخ الأكبر سيدي الحاج عبد الرحمن باش تارزي زاده الله من بره وتوفيقه وسدده في سلوك طريقه بمنه آمين⁽¹⁾.

- ملازمته للشيخ مصطفى بن الشيخ محمود باشتارزي شيخ الخلوتية بقسنطينة، وترجمته له بترجمة زاكية دالة على عمق الاتصال الروحي بين ابن باديس والطريقة الخلوتية، فمما جاء في هذه الترجمة: "لا زال هذا الرجل - مصطفى باشتارزي - معروفا من شبابه بجمال العفة، وحسن السمات، ومكارم الأخلاق، والحياء التام، والتواضع الفطري مع جميع الناس. اعتنى بتربيته أبوه الشيخ سيدي محمود، ثم ابن عم جده الشيخ سيدي الحاج السعيد، فحفظ القرآن الكريم، وقرأ العلم وتأدب بآداب الطريق وشبَّ على الأخلاق الكريمة اللائقة بمثله، في كرم مجده وشريف تربيته، وما هو مترشح له من الجلوس على سجادة الطريق، وتهذيب الإخوان حتى نال بذلك المنزلة الرفيعة من قلوب عارفيه عموما، وأهل الطريقة خصوصا، وفي رجب عام (1329هـ). ولي خطة الخطابة والإمامة بالجامع الأخضر الحنفي، بعد وفاة الشيخ سيدي السعيد الذي كان إماما خطيبا بالجامع الكتاني الحنفي، وفي شوال (1335هـ). جلس على سجادة الطريقة الخلوتية بعد وفاة عمه الشيخ البركة سيدي الحاج أحمد عليه الرحمة والرضوان، وله في الإذن بتلقين ذكر الطريقة الخلوتية إجازتان تتصلان بالقطب الأكبر والغوث الأشهر الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن القشطلوي الأزهرى دفين الجزائر، الذي أتى بالطريقة الخلوتية إلى وطن الجزائر من ديار مصر"⁽²⁾.

- مشاركته في الزيارة السنوية لقبر الشيخ محمد بن عبد الرحمان بوقبرين: أيام المولد النبوي الشريف حيث تجري طقوس الاحتفالات بمقام سيدي امحمد وروضة الثعالي، حيث كان يتولى قراءة مولد البرزنجي، وكان يقرؤه بالزاوية الرحمانية بقسنطينة⁽³⁾. وقد صور المدني ركب الطريقة الرحمانية وحفلتهم الذكرية بمقبرة بوقبرين، وكيف أنه قال لابن باديس إن حضوره لنادي الترقى أفضل من الحفلة الصوفية⁽⁴⁾، وهو ما

(1) انظر المنظومة مصححة بيد ابن باديس، ونشرت مصححة يوم (1341هـ-1923م) وهي وقف لا تباع ولا تشتري، انظر موقع مدونة ابن عزوز على النت. <https://albordj.blogspot.com/>

(2) ابن باديس، خاتمة وتذييل وتقريظ المنظومة الرحمانية. عبد القادر عثمانى، الطريقة الخلوتية الرحمانية، نفسه، ص 5.

(3) جريدة النجاح، الاحتفالات بالمولد النبوي. ع 131 (19-11-1923)، ص 2.

(4) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج مرجع سابق، ص 175.

يحيل إلى أن ابن باديس ربما بقي يحضر الركب الرحماني حتى أوان تأسيس النادي سنة (1927)، ومما يشير إلى صدقية رواية المدني ما ورد في جريدة الإقدام في عنوان "نيل المرام، أو زيارة الركبين القسنطيني والملياني"، وجاء فيه: "في خلال هذا الأسبوع المبارك شرف العاصمة وفد عظيم من فضلاء وأعيان الطريقة الرحمانية التارزية لزيارة القطب الرباني سيدي محمد بن عبد الرحمان، .. فنرحب بالجميع وخصوصا الأجلاء الكرام: الثقة الفقيه الشيخ مصطفى باشتارزي، والعلامة الشهير المدرّس الشيخ عبد الحميد بن باديس، والفاضل الوجيه عبد الرحمان بن دالي مقدم الرحمانية بمليانة"⁽¹⁾. وهناك شهادات بأنه كان طريقا صميما، ويحضر حلق الذكر في تونس وقسنطينة⁽²⁾.

-مرسلاته العديدة لشيخو الوقت: والتي تحمل نفسا صوفيا عاليا، ومن ذلك رسالة إلى سيدي السعيد أهلول المعظم⁽³⁾، وأخرى إلى الشيخ الطاهر العبيدي الرحماني⁽⁴⁾، وقصائد في زيارة ومدح زاوية طولقة لما زارها⁽⁵⁾، وإجازته للقاضي شعيب، ومما جاء فيها "ثم قصدت بالزيارة الخاصة الغوث الذي تفتخر تلمسان بقبره وتعاظم، وحق لها ذلك بعظم جاهه وقدره، شيخ المشايخ العارفين، وقدوة الأقطاب السالكين، سيدنا ومولانا أبي مدين شعيب بن الحسين، تلميذ شيخنا، الذي إلى طريقته ننتمي وبسره نحتمي، الجامع بين علم الباطن الخفي وعلم الظاهر الجلي، الغوث سيدي عبد القادر الجيلي الحنبلي، نفعنا الله ببركاتهم"⁽⁶⁾.

ومن ذلك تأبينه شعرا ونثرا للشيخ الطيب بن الشيخ الحسين سنة (1337-1917) واصفا جدهم بأنه "القطب الغوث"⁽⁷⁾، ورده برسالة كاملة على المولود بن الموهوب الذي اعتبره بدعة، فكتب رسالة "التأفين لمنكر التأين"، وعلاقات ابن باديس بزاوية آل الشيخ الحسين كبيرة جدا.

-النشأة الأسرية لعائلة ابن باديس: المنتمية لحضر قسنطينة الذين تتوزعهم الطرق الصوفية، فحين بزغت المنتقد بقضاياها التجديدية هاجم بعض الطرقيين والده بكونه ورائها، مما جعله يكذب بأنه يدير المنتقد في الخفاء، لأن الجريدة كانت تهاجم الطرقيين، وذكر بأن ابنه عبد الحميد ابن باديس كان يزور الأولياء⁽⁸⁾.

(1) جريدة الإقدام، ع 6 (أكتوبر 1920) عن مقدمة عبد الرحمان دويب لأعمال المولود الزريبي، ج 1 ص 36. وهو ما استشكله الميلي عندما وجه تساؤلا لابن باديس من غرض الزيارة. انظر الشهاب، مقال "نقد العلماء"، ع 2 (1925-11-19)، ج 1 ص 37. ورد عليه أحمد بن بوداود بن محمد بن عبد الرحمان في الشهاب، ع 6 (1925-12-17) ج 1 ص 119.

وكذلك استشهدت النجاح بشرعية زيارة القبور بزيارة المكي بن عزوز، ثم ابن باديس لقبور الأخضرية وسيدي عقبة ومحمد بن عزوز، انظر النجاح، مقال "الضالة المنشودة" ع 272 (1926-2-12).

(2) الرشاد، مقال "ابن باديس في الميزان"، ع 47 (1939-7-7)، ص 4.

(3) محمد الطاهر فضلاء، قال الشيخ الرئيس، ص 414. العقون، مرجع سابق، ج 1 ص 161.

(4) انظر سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، مرجع سابق، ص 98-102.

(5) النجاح، عبد المجيد بن إبراهيم "الضالة المنشودة"، ع 272 (1926-2-12)، ص 2.

(6) لحسن بن علجية، تحقيق مجموعة من إجازات الإمام عبد الحميد بن باديس، مرجع سابق، ص 154.

(7) ابن باديس، التأفين لمنكر التأين، ضمن ثلاث رسائل نادرة لابن باديس، نشرها لحسن بن علجية، مرجع سابق، ص 39.

(8) جريدة المنتقد، مصطفى بن باديس، تكذيب إشاعة، ع (1925-9-10)، ص 202. مع العلم أن ابن باديس أشار إلى أن أباه أعلن البراءة منه لما استمر في نقوده في الشهاب. انظر شنوف سهيل وبليلي شكيب، الطيب العقبي وعبد الحميد بن باديس مراسلات وأحداث، الجزائر، منشورات تالة، 2014، رسالة (1926-8-13)، ص 58.

- وقوفه مع التصوف المعتدل: وذلك في مواقف عديدة في المنتقد والشهاب، ومنها لما اشتط محمد السعيد الزاهري في الهجوم على الطرقيين بقوله:

أمة لا ترى لذي الفضل فضلا ---- لا.... ولا تعنى بعلم العليم.

من يكن صوفيا كذوبا خبيثا ----- فاز منها بكل خير عميم.

فرد عليه ابن باديس بقوله: "الصوفي الحقيقي لا يكون كذوبا خبيثا، والكذوب الخبيث لا يكون صوفيا، ولا نرى الشاعر يعني إلا المنتسب للتصوف بالباطل"⁽¹⁾، وهو ما سيقود إلى القول بوجود اتجاهات ثلاثة داخل الحركة الإصلاحية، أولها المعتدل مع ابن باديس، أبو يعلى الزواوي، وآخر متطرف يمثلُه العقبي، والزاهري، والميلي والابراهيمي باقتصاد، وآخر طرقي إصلاحي يمثلُه آل خليفة، وقدور الحلوي⁽²⁾، والمهاجي وآخرون.

ب- الفترة الإصلاحية: وهي الفترة التي ترسخت في وسط العشرينيات، وخاصة مع جريدة المنتقد التي يدل عنوانها على الثورة على الموروث التقليدي للطرقية المرابطية، وارتباطه بالتوجه العبدوي الصاعد، كما هو الأمر في مقاله "عبدًاويون ثم وهابيون ثم ماذا" والذي نشره في مجلة السنة بعد ذلك.

يرجع توفيق المدني انقلاب ابن باديس عن الطرقية إلى تأثيره هو، وهو مستعبد جدا لمكانة ابن باديس العلمية أولا، أو لأنه رام إصلاح الطرق من داخلها، وآخر مشروعه لغاية توفر الدواعي من قدوم عضيدته الإبراهيمي من المشرق، وأما أحمد حماني فيعتبر شيخه ابن باديس إصلاحيا من البداية⁽³⁾. في حين اعتبره صالح خرفي صوفيا في أول عهده⁽⁴⁾.

والحق أن ابن باديس ومنذ دراسته في الزيتونة على مشايخ كثر أهمهم محمد النخلي وابن عاشور، بدأ ينحو نحو الإصلاح الذي رآه السلم الأوحده للانعتاق من الاستعمار، والكلمة السواء عنده هي التحرير الثقافي قبل السياسي، وترسّخ هذا التوجه بعد زيارته المشرقية وتعرّفه القريب على تراث محمد عبده ومدرسته الصاعدة في مصر، وعليه فإن الرجل الأقرب منهجا له هو محمد عبده⁽⁵⁾ لاهتمامها المشترك بتصحيح المفاهيم وتنقية العقائد، والاهتمام بالقرآن والعناية بالتربية والتعليم، ومناهضة التقليد والتعصب المذهبي، واعتماد العمل التنظيمي في إنشاء الجمعيات، والتسلّح بالصحافة. مع اختلافهما في كون عمل محمد عبده نخبويًا، في حين توجّه ابن باديس للعمل العام، ومما ساعده على إنجاح عمله بسرعة عدم وجود مؤسسة دينية رسمية تعرقل نشاطه كما حصل لمحمد عبده مع الأزهر.

(1) العقون، نفسه، ج 1 ص 163. الشهاب، (رمضان، 1346-فيفري 1931)، مج 7 ص 26.

(2) توفي سنة (1932)، حسب معجم أعلام الجزائر في القرنين، ج 2 ص 75. ولكننا وجدنا له مقالات في جريدة الرشاد في مثل عدد 36 (27-3-1939)، ص 4. بعنوان "عالم التدجيل" في الرد على حمزة بكوشة في انتقاد ابن سماية وكونه تجانيا.

(3) أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة، مرجع سابق، ج 1 ص 57.

(4) صالح خرفي، الشعر والانحراف الديني، مجلة الثقافة، ع 44 (أفريل-ماي، 1978)، ص 63.

(5) بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الوطنية الأخرى (1931-1945)، مرجع سابق، ص 85.

2-الطيب العقبي : علامة جزائري من أصل أوراسي، ولد بمدينة سيدي عقبة ببسكرة سنة (1890م)⁽¹⁾، هاجر مع أسرته للحجاز سنة (1895م)، وبالمدينة تلقى علومه وتطلع في اللغة، شارك في السياسة فنفاه العثمانيون للأناضول سنتي (1916-1918م)، ثم عاد للمدينة المنورة، وكان متأثرا الوهابية كثيرا⁽²⁾، حيث الحجاز في عهد دولة الأشراف الثانية التي كانت تعصف بها رياح الوهابية التي كان لها أنصار منذ دخول الوهابيين الحجاز في دولتهم الأولى سنة (1217هـ)، وقد عمل العقبي في جريدة القبلة⁽³⁾ التي كان يرأسها محب الدين الخطيب⁽⁴⁾، وكان ذا هوى سلفي منابذ للتقليد والموراث القديمة، ومن دعاة النهضة العربية.

عاد إلى الجزائر في (4-3-1920)⁽⁵⁾ واستقر ببسكرة وأسس صحيفتي صدى الصحراء ثم الإصلاح، وكتب في الشهاب، انتقل إلى العاصمة سنة (1929م) واعظا ومصلحا بنادي الترقى⁽⁶⁾، ونال عضوية جمعية العلماء ثم رئاسة تحرير جريدة البصائر، اعتبره جوليان قطبا من أقطاب الإصلاح، وشارك بقوة في المؤتمر الإسلامي (1936م)، ولكنه اتهم بتدبير اغتيال المفتي كحول، فسجن ثم برأ، وقد تعرض لإغراءات الإدارة في الثلاثينيات بمنحه منصبا في الإدارة، ولكنه رفض، واشتهر بمعاداة منشور ميشال، مما جعل فرنسا تصفه بأنه الناطق باسم جمعية العلماء⁽⁷⁾، ثم اختلف مع أعضاء الجمعية في دعم فرنسا في الحرب العالمية الثانية، فانسحب من الجمعية وأصدر جريدة الإصلاح الثانية، وشارك في لجنة الإصلاحات الإسلامية التي أنشأها ديغول، رأس الجمعية الخيرية، ودعم التعليم العربي، وله أثره الكبير في دفع حركة الإصلاح والتهديب في العاصمة، توفي رحمه الله في (21 ماي 1960م)⁽⁸⁾.

أهم آثاره الإصلاحية: قلب أوضاع العاصمة الاجتماعية، فبسبب مثابرته وعمله الدؤوب لجذب القوة العاملة للإصلاح والتدين، وانتشل الكثير منها من مواخير العاصمة، حتى صار له أتباع في كل محافله عرفوا بالجيش

(1) جريدة النجاح، ع 1884 (8-12-1936)، نشرت ترجمته بعد اغتيال كحول. نهضة الجزائر، ج 2 ص 106. شعراء الجزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 219 وقال إن ولادته سنة (1307). مريوش، مرجع سابق، ص 28. الحسن فضلاء، من أعلام الإصلاح في الجزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 14.

(2) مولود عويمر، مالك بن نبي رجل الحضارة، الجزائر، دار الأمل، 2007، ص 37 ص 120.

(3) جريدة رسمية أصدرتها دولة الشريف حسين بمكة سنة (1916).

(4) محب الدين الخطيب، ولد بدمشق (1886)، وفي (1906) التحق بكلية الآداب والقانون باسطنبول، وكان من مؤسسي جمعية النهضة العربية، لجأ إلى اليمن، ثم عاد عند إعلان الدستور العثماني (1908) إلى دمشق، استدعاه الشريف حسين لرئاسة جريدة القبلة (1916)، لجأ إلى مصر عند دخول الفرنسيين لسوريا (1920)، أسس مجلة الفتح، وطبع العديد من الكتب كرسائل ابن تيمية. توفي بالقاهرة (1969). من آثاره: الغارة على العالم الإسلامي، الخطوط العريضة التي قام عليها دين الشيعة، من الإسلام إلى الإيمان حقائق عن التجانية، تعليقات على عواصم ابن العربي، الهائية. انظر الأعلام، مرجع سابق، ج 5 ص 282.

(5) الشهاب، ع 7 (24-12-25)، ج 1 ص 151. مقالات العقبي، ج 1 ص 93. شعراء الجزائر، ج 1 ص 219. محمد الطاهر فضلاء، "من أعلام النهضة الوطنية الشيخ الطيب العقبي"، مجلة الثقافة، ع 66 (نوفمبر-ديسمبر 1981)، ص 35.

(6) جريدة المرصاد، ليالي رمضان بنادي الترقى، ع 6 (5-2-1932)، ص 2.

(7) بوصفصاف، المرجع السابق، ص 97.

(8) انظر معجم أعلام الجزائر ص 238. معجم مشاهير المغاربة، ص 367. شعراء الجزائر ج 1 ص 148. نهضة الجزائر، مرجع سابق، ج 2 ص 105. الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، ج 3 ص 83. فضلاء، من أعلام الإصلاح في الجزائر، ج 1 ص 18، وقال دفن بسبيدي امحمد؟.

الأزرق الذي اعتبره فضلاء منظمة شبه فدائية من شباب الإصلاح الذين يتابعون الشيخ ويحرسونه، والذين ربما انجروا إلى استعمال العنف ضد البعض سواء من خصوم الشيخ، أو من زعماء العصابات العاملة⁽¹⁾.

3- أبو يعلى محمد السعيد الزواوي: السعيد بن محمد الشريف بن العربي ولد في (1279هـ/1862م) في " إغيل نزكري" من شرفاء عزازقة⁽²⁾، درس بزاوية اليلولي، وكان خلوتي الطريقة، ثم هاجر إلى الشام، وتراسل مع الشيخ طاهر الجزائري أيام منفاه، والتقى ابن زكري هناك، وعمل بالقنصلية الفرنسية، ثم زار مصر أيام منفى الشيخ طاهر، واطلع على تراث مدرسة المنار، ثم عاد إلى الجزائر سنة (1920)، وتولى إمامة سيدي رمضان، وباشر عمله العلمي والإصلاحي بالخطب والكتابة الصحفية، فقد كان صحفيا بارزا وعضوا في جمعية العلماء، وتولى الفتوى بجريدة البصائر، وكان العقبي يلقبه بشيخ الشباب، وشاب الشيوخ. وتوفي يوم (1-6-1952).

من أهم شيوخه الأوائل في بلاد القبائل: الحاج أحمد أجذيد، الذي درس عليه المختصر والأجرومية والسنوسية، والشيخ أحمد آل يوسف جناد، وأخذ عنه القراءات وطرق نافع العشر، والفقه والفرائض والبيان والمنطق، والإمام أحمد بن أبي القاسم البوجليلي الذي كان مبرزاً في القراءات وغيرها، وكان أبوه شيخ زواوة وشيخ ابن زكري أيضاً⁽³⁾.

من آثاره: تاريخ زواوة، الإسلام الصحيح، الخطب المنبرية، جماعة المسلمين، الفتاوى، جماعة المسلمين، ومن المخطوطة: مرآة المرأة المسلمة، تعدد الزوجات في الإسلام، الأمم الغربية، الفرق بين المشاركة والمغاربة في اللغة، الخلافة قرشية، فصول في الإصلاح، الكلام في علم الكلام، الغنى والفقر، ذبائح أهل الكتاب⁽⁴⁾.

4- الشيخ محمد بن أحمد الشريف الزهار: نجل آخر نقيب لأشراف الجزائر الذي عاصر الاحتلال الفرنسي، وانضم للأمير عبد القادر وكان كاتب سره، ثم رحل إلى المغرب ومكث بتطوان، ثم عاد للجزائر صحبة ولديه قدور ومحمد ليتولى نقابة الأشراف من جديد سنة (1843م)، وتوفي سنة (1872م)، وكان من آثاره المذكرات التي أرخ فيها لأواخر العهد التركي، وسيرة محمد عثمان باشا. وبرز ولده سيدي قدور في بداية القرن حيث كان ذا علاقة وطيدة بمدير الشؤون الأهلية لوسيان، وقد تولى القضاء ونقابة الأشراف، وتوفي سنة (1910م)⁽⁵⁾.

وأما محمد فقد كان عالماً أشرف على مسجد آبائه بالقصبة، وكان مقصدا للطريقين حيث كان العلويون يعقدون جمعهم بمسجد أجداده، وكان يثني على الشيخ ابن عليوة، ولكنه تراجع عن ذلك بعد حادثة محاولة الاغتيال، حيث ورد لجريدة الشهاب سؤال⁽⁶⁾ تحت عنوان: (طلب الحقيقة)، من سائل مستبين: "... منذ اجتماع

(1) مريوش، نفسه، ص 131. محمد الطاهر فضلاء، الطيب العقبي رائد الإصلاح الديني بالجزائر، مرجع سابق، ص 57.

(2) انظر محمد أرزقي فراد، الأفكار الإصلاحية في كتابات أبي يعلى الزواوي. أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ج 2 ص 145. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 8 ص 121. فضلاء، من أعلام الإصلاح في الجزائر، 1 ص 65. البصائر، ع 193 (9-6-1952)، ص 3.

(3) الشهاب، أبو يعلى "شيوخ الطرق ليسوا بعلماء" ع 90 (31-3-1927)، ج 3 ص 949. أحمد حماني، نفسه، ج 2 ص 85.

(4) نويهض، معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 164. أبحاث وآراء، مرجع سابق، ج 2 ص 153. محمد الحسن فضلاء، من أعلام الإصلاح في الجزائر، 1 ص 69. محاضرات ومقالات أحمد حماني، مرجع سابق، ج 3 ص 166.

(5) انظر تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4 ص 492. معجم مشاهير المغاربة، مرجع سابق، ص 257.

(6) جريدة الشهاب، ع 82 (30 رجب 1345 هـ - 3 فيفري 1927م)، ج 2 ص 796.

العلويين في جامع سيدي رمضان ونحن في حيرة والتماس حقيقة مما صدر من أحد أعيان العاصمة وهو الشيخ محمد الشريف الزهار الإمام بجامع جده من وقوفه بذلك المحفل وإلقائه لتلك الخطبة التي كادت أن تنشق لها السموات ومدحه لذلك الشيخ مدحا مفرطا أدهش الحاضرين، ودونك أيها القارئ ملخص قوله: (أيها السادة إني قد كنت قبل الاجتماع بهذا الرجل العظيم أنكر عليه أقواله وأفعاله وأقدح فيه وأسبّه وأقول لأتباعه: إن شيخكم لَدعي زنديق بل كافر، وما أشبه ذلك والآن لما اجتمعت به، والحمد لله فقد ظهر لي ما كان خافيا عني من الأسرار والأنوار، وها أنا تائب مما قلته واشهد انه ولي كامل زاهد... الخ)، فبالله متولي السرائر هل كانت حقيقة اعتقادك أيها الإمام في ذلك القطب ما فهمت به الجمهور، أم كان نطق لسانك مغائرا لجنانك، فأصدقنا أرشدك الله حتى ترتفع عنا الحيرة ونجو من الوقوع في المحذور اقتداء بك حيث كنت إمام مسجد شريفا بل نقيب الأشراف، وابن عائلة موصوفة بالصدق والكمال، فكيف محضت في هذا المجال فعجل بالجواب على كل حال)

وقد رد محمد الشريف الزهار: "الشهم الغيور مدير جريدة الشهاب الأغر. اطلعت في جريدتكم السمحا عدد 82 على سؤال عنوانه (طلب الحقيقة) مضمونه اجتماع العلويين بمسجد سيدي رمضان، وخطبتي في ذلك الاجتماع ومدحي لذلك الشيخ مدحا مفرطا وطلب مني الكاتب حقيقة اعتقادي... فأقول ولا أخشى لومة لائم لتظهر الحقيقة وضاحة الجبين، وأشهد الله الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور أنني برئ من بدع المبتدعين وخزعبلات المتصوفين وشعوذة المشعوذين ونصرة السفاكين... أحب العلماء العاملين والأولياء المتقين طريقتي الكتاب والسنة شاذلي رحماني بلغني عن الطائفة العلوية وشيوخهم (المربي) من الأسرار والأنوار ما شوقني إلى مشاهدة رؤيتهم فاجتمعت بالشيخ وأصحابه في مسجد جدي محمد الشريف الزهار (رضي الله عنه)، فكان كلامه في الصلاح والإرشاد والوقوف على حدود الشريعة ونفع العباد... فأعجبني ذلك وحمدت الله على وجود رجل مثل هذا في هذا الزمان، خطبت خطبتي التي لا أنكرها، ولكن لما أطلعت على حقيقة أمرهم وحللتها تحليل الحكيم الكيماوي، تمثلت بالمثل السائر (ما أنت أول سار غره قمر) فتبين لي الرشد من الغي، وظهر الأمر على خلاف ما كنت أظن من أمور مصادمة للشريعة لا ينبغي السكوت عنها، ولا يسع إنكارها، وبختمهم عليها مشافهة وحذرتهم من سوء عاقبتها فأبو وأصروا على فعلها، فتكلمت مع الشيخ نفسه ليزجرهم عن ذلك فتبسم وسكت، فلما علمت أن القوم اتفقوا على الضلالة نبذتهم نبذ النواة، وهجرتهم وقطعتهم، وقلت لهم: هذا فراق بيني وبينكم لأن الحب في الله والبغض في الله،..."⁽¹⁾.

ثم ثنى على المقال السابق بمقال آخر نافح فيه عن الإصلاح، وهاجم الطريقة في مقال له بالشهاب تحت عنوان "شر المغرورين أو الغرورين"⁽²⁾، قَبَّح فيه متمشيخة الوقت وانحراف بعض أولادهم في مخازي الشرب وترك الفرائض وتمسكهم بالكاذب بالنسب الشريف.

(1) الشهاب، محمد الزهار "الجواب بالبراءة"، ع 83 (10-2-1917)، ج 2 ص 813. حماني، صراع بين السنة والبدعة، نفسه، ج 2 ص 113.

(2) انظر الشهاب، ع 88، (17 مارس 1927)، ج 2، ص 907.

5- محمد السعيد الزاهري: ولد بالزيبان بليانة سنة (1899)، درس بمسقط رأسه عند عمه عبد الرحيم الزاهري، ومحمد بن ناجي، وعلي بن العابد السنوسي، ثم التحق بقسنطينة، ومكث عند ابن باديس أربعة عشر شهرا، ثم تخرج بالتطوع من تونس، أسس أول مدرسة عربية حرة بالأغواط سنة (1925)، حيث أُرُخ لذلك: "سافرت في (شوال 1344) إلى الأغواط مندوبا من بعض سراياها فأنشأت بها مدرسة الشبيبة القرآنية، ثم خلفني مبارك الميلي"⁽¹⁾.

يعتبر الزاهري من أبرز دعاة الإصلاح وأقلامه الجارحة التي ناصبت الطرقيين العداء في بدايات حياته، ابتداء حياته الأدبية كاتباً مهتماً بالقضايا الاجتماعية والثقافية في الجزائر، ومثل كتابه "الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير" الذي هو خلاصة لمقالاته السامقة التي نشرها في مجلة الفتح لصاحبها الإصلاحي محب الدين الخطيب، والذي صدر لكتابه هذا باستيراد مقولة شكيب أرسلان بأن أركان الأدب العربي في الجزائر أربعة: الزاهري، وباديس، والعقبي، والميلي⁽²⁾.

كتب في البرق مقالات "قوارص" وفي صدى الصحراء، وأسس صحيفة الجزائر التي انقطعت، كما كتب في الشهاب، وكان الصوت الجريء للإصلاحيين طوال العشرينيات، بل كان ذا مواهب أدبية غير عادية، وكانت مساهماته ثمينة للحركة الإصلاحية، ولكنه ابتعد عن الجمعية وأسس جريدة الوفاق سنة (1938)، ثم جريدة "المغرب العربي" سنة (1948) والتي كانت قريبة من المصاليين مما أدى إلى اغتياله في (19-5-1956)⁽³⁾.

6- مبارك الميلي الهلالي⁽⁴⁾: إبراهيمي مبارك بن محمد، ولد قرب الميلية في (23 ماي 1897م) في أسرة متواضعة، وتلقى تعليمه الابتدائي بالكتاب حيث حفظ القرآن الكريم، والتحق بزاوية الشيخ الحسين بسيدي خليفة، ثم انتقل إلى ميلة سنوات (1912-1918) ليدرس عند الشيخ محمد بن معنصر الميلي⁽⁵⁾، الذي رعاه وزوجه ابنته، واستمر يرعاه في دراسته في قسنطينة على ابن باديس، إضافة لأحد أثرياء ميلة وهو الشيخ مصطفى بوالصوف والذي افتداه من نظام الخدمة العسكرية، واستمر يؤازره بالنفقة وهو يعاني

(1) الزاهري، الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير، ص 14. شعراء الجزائر، ج 1 ص 137. فضلاء، من أعلام الإصلاح في الجزائر، ج 1 ص 115.

(2) الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير، مرجع سابق، ص 7.

(3) علي مراد، الحركة لإصلاحية الإسلامية، مرجع سابق، ص 132. معجم أعلام الجزائر في القرنين، مرجع سابق، ج 2 ص 219.

(4) عنه انظر كتاب ابنه محمد الميلي. عبد الكريم بن صفصاف، رواد النهضة والتجديد في الجزائر (1889 - 1965)، ص 98-110. محمد الصالح بن عتيق، أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية للحركة الوطنية بالجزائر، ص 49-54. دبوز، أعلام الإصلاح، مرجع سابق، ج 3 ص 12. فضلاء، من أعلام الإصلاح في الجزائر، ج 1 ص 24. بوصفصاف، جمعية العلماء وعلاقاتها بالحركات الوطنية الأخرى، مرجع سابق، ص 106. بوصفصاف، معجم أعلام الجزائر في القرنين، مرجع سابق، ج 2 ص 620.

(5) محمد بن معنصر أصيل الأوراس، ولد (1870)، دخل الكتانية، وتلمذ لمجاوي والونيسي، وسكن في الزاوية التجانية بمسجد ابن المظماطية، وبعد التخرج دخل السلك القضائي، فكان عدلا بشلغوم وميلة، ثم أسس مدرسة ومسجدا بميلة سنة (1901)، وكان من مفسري القرآن الكريم، قتل الشيخ محمد الميلي بن معنصر سنة (1928) من طرف مستفت لم يفته بما يوافق هواه، وهو ما يدل على تردي الحالة الأخلاقية والأمنية في تلك الظروف. انظر محمد الميلي، نفسه، ص 107. وقد أرسل الشيخ محمد الميلي تقريرا بمناسبة صدور الجزء الأول من كتاب تاريخ الجزائر في رسالة مؤرخة يوم (24-7-1928). انظر محمد الميلي، نفسه، ص 111. دبوز، أعلام الإصلاح، ج 3 ص 15. بن علجبة، الشيخ حمدان الونيسي، مرجع سابق، ص 70. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 410.

مشقة الدراسة في الزيتونة⁽¹⁾، ونال من الجامع الأعظم شهادة التطويع سنة (1924)، ثم عاد لقسنطينة ليباشر التدريس بها سنة (1925) تحت إشراف الشيخ ابن باديس، وفي سنة (1926) انتقل إلى الأغواط ليفتح بها مدرسة للتعليم العربي الحر، وسميت بمدرسة الشيبية" وبقي هناك سبع سنوات⁽²⁾، وأسس بها أيضا "الجمعية الخيرية الإسلامية". وفي الأغواط كان التنافس شديدا بين عائلة ابن سالم الحضرية وعائلة فرحات البدوية التي احتى بها الميلي، وكذا الحضور القوي للطريقة التجانية⁽³⁾، وفي سنة (1933) ترك الأغواط وحاول الاستقرار ببوسعادة، ثم فضل العودة لموطنه.

وفي سنة (1934) عاد لميلة ليباشر عمله التعليمي والإصلاحي، وأشرف على مالية الجمعية في مكتبها الأول، ثم رأس تحرير البصائر سنة (1937)، وفي سنة (1940) تولى مهام الإشراف على الجمعية بقسنطينة بعد وفاة ابن باديس، وتوفي رحمه الله (9 فيفري 1945م) بعدم معاناة مستمرة مع مرض السكري⁽⁴⁾.

كتب في صحف عديدة كالبصائر، ومجلة الرابطة العربية المصرية، ومجلة المهمل التي تصدر بالمدينة المنورة. يعتبره ولده محمد وعلي مراد أحد أركان الثلاث الأقوى والأكثر فاعلية في الإصلاح، وهم ابن باديس والإبراهيمي والميلي⁽⁵⁾، فهم يشكلون "حقيقة النواة المذهبية للحركة الإصلاحية". وهو باكورة المدرسة الباديسية في الشرق الجزائري، وأنه الرأس المفكر للحركة الإصلاحية وفيلسوفها⁽⁶⁾. انفرد الميلي بوضع وثيقتين أساسيتين وهما: تاريخ الجزائر في القديم والحديث⁽⁷⁾، وبه تمكن من إعادة الاعتبار للتاريخ الوطني، وقد أشاد ابن باديس بهذا الإنجاز الرائد الذي أعاد للجزائر هويتها التاريخية التي حاولت فرنسا طمسها بمختلف السبل، وإعادة الاعتبار للمذهب السلفي في الاعتقاد برسالته "الشرك ومظاهره"، والتي شنّ فيها حملة شعواء على مظاهر الزردة والاعتقاد في الشيخ، وسائر مظاهر الفلكور الطرقي.

7- أحمد توفيق المدني (1899-1983)، ولد بتونس في كنف عائلة صوفية، حيث كان أبوه إماما لزاوية شيخ الإسلام إبراهيم الرياحي التجاني، وقد ذكر المدني رؤيا رافقته في كفاحه في كل حياته، وهي أن الرياحي وضعه في حجر أحمد التجاني الذي وضعه بدور في حجر النبي صلى الله عليه وسلم الذي ضمنه دنيا وآخرة⁽⁸⁾.

تابع دراسته بالزيتونة والصادقية، عاصر وتفاعل مع الانقلاب الدستوري العثماني (1909) والحرب الإيطالية السنوسية (1912) والحماية على المغرب، وشاهد الصلف الفرنسي في معركة الزلاج بتونس (1911) مما جعل الحمية الوطنية تتفجر فيها، وبدأت ثمارها تتجلى في مقالاته التي كان يرسلها لعمر بن قدير لتنشر في الفاروق سنة (1914)، ومنها: الإدمان أول وزير للموت، دعوة للواجب أو المرأة التونسية والتعليم، بين لجج الهواجس،

(1) الميلي، الشيخ مبارك الميلي، مرجع سابق، ص 105-107. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 407.

(2) انظر محمود علالي، الحركة الإصلاحية بالأغواط، الجزائر، دار اللواء، 2013، ص 103.

(3) علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، مرجع سابق، ص 106. 245.

(4) دفن بميلة قرب شيخه ابن معنصر، وقد صلى عليه الإبراهيمي، وأبنه، انظر حماني، صراع بين السنة والبدعة، ج 2 ص 16.

(5) محمد الميلي، الشيخ مبارك الميلي، ص 68. وانظر علي مراد، الحركة الإصلاحية، مرجع سابق، ص 105.

(6) بوصفصاف، جمعية العلماء وعلاقاتها بالحركات الوطنية الأخرى، مرجع سابق، ص 107. وص 111.

(7) أنجز الجزء الأول منه في مدينة الأغواط، سنة (1928م)، وصدر الجزء الثاني منه سنة (1932م).

(8) المدني، حياة كفاح، مرجع سابق، ج 1 ص 41. ج 1 ص 172.

كيف ننقذ وطننا⁽¹⁾، وكانت كانت الكتابة في الفاروق مطية للسجن، حيث سجن هو وأيضا الصحفي القدير حسين الجزيري⁽²⁾، أيام الحرب العالمية الأولى، عاد إلى الجزائر (صائفة 1926)، كما لقي بتونس رواد الإصلاح الإباضيين، مثل أبي اليقضان وتدارسوا قضية ميزاب وأنها بلد حماية كصنوها تونس، وقد ذهب الشيخ صالح بن يحي لميزاب يجمع المال لوفد تونس في موضوع الحماية، ورأى أن حل قضية تونس سيحل قضية ميزاب⁽³⁾.

ناضل المدني في الحزب الدستوري مع الثعالبي، وكان أمينا مساعدا بالقلم العربي باللجنة التنفيذية العليا للحزب سنة (1921)، ولكنه يحكي عن الانتكاسات والمؤامرات - حسبه- من قبل المحامي الجزائري الأصل حسن قلاتي أصيل قصر البخاري الذي هاجرت عائلته لتونس بعد الاحتلال⁽⁴⁾، وبدأ إصدار تقويم المنصور سنة (1922)⁽⁵⁾، ونتيجة كتاباته ومناصرته لعبد الكريم الخطابي أبعد من تونس إلى الجزائر نهائيا في صائفة (1925)⁽⁶⁾. ويعطينا المدني صورة عن التيارات الوافدة على الجزائر ومنها الشيوعية ويذكر من هؤلاء محمود بن الأكحل الذي تثقف بدمشق، وقام بانتفاضة في الشمال الشرقي لفرنسا وحكم عليه بالسجن إلى أن عفت عنه الجبهة الشعبية⁽⁷⁾، كما رسم لنا صورة عن حالة العائلات التقليدية كبن ونيش، وآل بن عمار، وبن المرابط، وعائلة نقيب الأشراف الزهار، ورودوسي والذين سيكون لهم دور في دعم الإصلاح الناهض، ورسم أيضا صورة التفسخ والإغراق في الخمر والغانيات للشباب، وصورة مضادة لمحافظة المرأة الجزائرية، في حين يقول بأن قسنطينة نجت من هذا التيار الجارف⁽⁸⁾.

وهو من المؤسسين لنادي الترقى، شارك في الحياة الصحفية، وكتب في الإصلاح للعقبي في الأربعينيات، ثم تولى الأمانة العامة لجمعية العلماء (1951)، ورأس تحرير البصائر، ثم كان رئيس مكتب الثورة بالقاهرة، وبعد الاستقلال تولى أول وزارة للأوقاف (1962)، ثم عارض نظام هواري بومدين، وفرضت عليه الإقامة الجبرية ليتوفي في (18-10-1983)⁽⁹⁾.

(1) المدني، حياة كفاح، مرجع سابق، ج 1 صص 120-133.

(2) حسين الجزيري: زيتوني صحافي كتب في اللواء والمنار، وراسل الفاروق لعمر بن قنور، وفي سنة 1921 أصدر جريدة النديم، كما كتب في المضحك. توفي سنة (1974)، له: تنبيه الغلام إلى سيم الكرام (طبع بالجزائر)، ديوان شعري. انظر تراجم المؤلفين التونسيين، مرجع سابق، رقم 93 ج 2 ص 29. حياة كفاح، مرجع سابق، ج 1 ص 182. الفاسي، الحركات الاستقلالية، مرجع سابق، ص 48.

(3) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، مرجع سابق، ج 1 ص 219.

(4) المرجع السابق، ج 1 ص 306.

(5) جريدة الإصلاح، تقويم المنصور، ع 4 (3-10-1929)، ص 2.

(6) حياة كفاح، مرجع سابق، ج 1 ص 457.

(7) المدني، المرجع السابق، ج 2 ص 62.

(8) حياة كفاح ج 2 ص 56-57. وانظر عن تغيرات عادات قسنطينة بن ني، مذكرات شاهد القرن، مرجع سابق، ص 17.

(9) من آثاره: تقويم المنصور، كتاب الجزائر (1931)، مسرحية حنبعل (1950)، الحرية ثمرة الجهاد، عن نضال إيرلندا ضد الإنجليز سنة (1923)، المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا (1946)، محمد عثمان باشا (1938)، هذه هي الجزائر (1957)، حرب الثلاثين سنة (1968)، مذكرات الشريف الزهار (1974)، حياة كفاح (3 أجزاء). انظر أيضا محمد الطاهر العدواني، مجلة التاريخ، ع 18 (موفم، الجزائر، 1985) ص 169. فضلاء، من أعلام الإصلاح في الجزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 96.

8- أحمد بوشمال: (1899 - 1958م)، ولد بقسنطينة وبها حفظ القرآن الكريم بجامعة سيدي ياسمين، ثم امتحن صناعة الأحذية، لازم دروس بن باديس، وكان عضده في شؤونه، حتى أنه تبرع بمحله ليكون مقرا للمطبعة الإسلامية الجزائرية، ثم صار صاحب الامتياز لبعض صحف الجمعية، ورأس جمعية التربية والتعليم بقسنطينة، وكان الرجل الخفي لأعمال الجمعية، اغتالته فرنسا بعد اختطافه أيام الثورة⁽¹⁾.

9- محمد العيد آل خليفة⁽²⁾: ولد بعين البيضاء سنة (1904)، وبها تلقى علومه الأولى ثم رحل مع أسرته إلى بسكرة، واصل دراسته بتونس (1921-1923)، وكتب في الجرائد الإصلاحية المختلفة، وفي سنة (1927) ذهب إلى العاصمة أين أصبح مديرا لمدرسة الشبيبة الإسلامية لمدة اثني عشر سنة، ورأس شعبة الجمعية بالعاصمة، وكان شاعر الجمعية بلا منازع على الرغم من نزعتة الصوفية التجانية، حيث كان مقتنعا بمشروع الجمعية الإصلاحي أكثر من توجهاتها الفكرية. انتقل لباتنة أيام الحرب العالمية الثانية مشرفا على مدرسة التربية والتعليم حتى سنة (1947)، ثم مديرا لمدرسة العرفان بعين مليلة حتى (1945) اعتقل أول الثورة، وظل تحت الإقامة الجبرية إلى الاستقلال أين أوى إلى عزلة صوفية إلى أن توفي سنة (1979).

10- محمد بن العابد الجلاي: ولد بأولاد جلال سنة (1893)، وبها درس، وأخذ عن عاشور الخنقي وعبد الحفيظ السماتي ومصطفى مبروكي، التحق بآبن باديس في قسنطينة، ودرّس بمدرسة العلمة سنة (1925)، ثم درّس ببسكرة في مدرسة التربية والتعليم سنوات (1943-1947)، وسجن في أغلب سنوات الثورة، ليتوفى (2-1967). وهو من رواد المسرح والقصة القصيرة، فقد نشرت له الشهاب قصص: في القطار، السعادة البتراء، مسرحية مضار الجهل والخمر والحشيش والقمار، وله كتاب تقويم الأخلاق، وقد أراد أن يكون على شاكلة تقويم كحول والمدني، ولم يتم المشروع، كما أصدر صحيفة "أبو العجائب"⁽³⁾.

11- محمد البشير الإبراهيمي: ولد في (1889) في قبيلة أولاد إبراهيم، برأس الوادي وموجز حياته في الآتي:
أ- المرحلة الجزائرية الأولى: (1889-1911): وفيها درس عند عمه المكي الإبراهيمي أغلب العلوم العربية والدينية، وحفظ المختصرات والمطولات، ثم انتسب إلى زاوية ابن علي الشريف بجبال القبائل الصغرى.

ب- المرحلة الشرقية الأولى: (1911-1920): هاجر إلى الحجاز ملتحقا بأبيه السعدي، وأقام بمصر ثلاثة أشهر، ولقي أحمد شوقي وحضر بعض دروس الأزهر، ثم استقر بالمدينة مدرسا ومتعلما، وفي (1917) رحل إلى دمشق مدرسا بالمدرسة السلطانية، وبها تزوج، وفيها دفن والده وحماه وابنه. وكان يتردد على أصحابه بتونس⁽⁴⁾.

ج- المرحلة الجزائرية الثانية (1920-1952): عاد الإبراهيمي للجزائر، ومارس التعليم والوعظ والتجارة بسطيف، وأسس بها مدرسة ابتدائية شعبية، وحضر إحدى جلسات المجلس المالي بالعاصمة سنة (1921)

(1) أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة، مرجع سابق، ج 1 ص 121. محاضرات أحمد حماني، مرجع سابق، ج 3 ص 319.

(2) معجم أعلام الجزائر في القرنين، مرجع سابق، ج 2 ص 103. مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، مرجع سابق، ص 257.

(3) انظر محمد الصالح رمضان، محمد بن العابد الجلاي، مجلة الثقافة، ع 82 (جويلية-أوت، 1984)، ص 191. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5 ص 297. وطبع بالمطبعة الإسلامية بقسنطينة (179 ص). فضلاء، من أعلام الإصلاح في الجزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 199.

(4) آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 4 ص 89. وج 5 ص 163. وانظر معجم أعلام الجزائر في القرنين، مرجع سابق، ج 1 ص 19.

(1)، ثم أسهم في تأسيس جمعية العلماء وكان نائب رئيسها، ومشرفاً على الغرب وتلمسان، وأسس بها دار الحديث (1937)، وتولى رئاسة الجمعية سنة (1940)، واعتقل إبان الحرب الثانية، ونفي إلى أفلو⁽²⁾، حيث أطلق سراحه سنة (1943)، ثم سجن سنة (1945)، وعاد بعدها ليحرك شعب الجمعية، ويعيد جريدة البصائر للوجود.

د- المرحلة الشرقية الثانية: (1952-1962): استقر بمصر في مهمة تيسير البعثات العلمية للجمعية، وتعاون مع الإخوان المسلمين، وعباد الرحمان في لبنان، والجماعة الإسلامية في الهند، وانتخب في المجمع اللغوي بالقاهرة، وعاضد الثورة الجزائرية، وأسهم بقوة في دعمها معنويًا، كما سال قلمه ببديع الخطب والرسائل في ذلك.

هـ- المرحلة الجزائرية الأخيرة: (1962-1965): حيث خطب أول خطبة في جامع كتشاوة بعد استرجاعه، ولقى العنت من القيادة الجديدة التي تبرأ من سيرها الاشتراكي في بيان (16-4-1964)، مما جعلها تسلمه لإقامة جبرية ليلقى الله تعالى يوم (20-5-1965م)، ويدفن بروضة سيدي محمد بوقبرين بالحامة⁽³⁾. أهم آثاره: عيون البصائر، سجل مؤتمر جمعية العلماء (جمعه سنة 1935)، أسرار الضمائر العربية، الاطراد والشذوذ في العربية، التسمية المصدر، الصفات التي جاءت على وزن "فعل"، رواية كاهنة أوراس، حكمة مشروعية الزكاة، شعب الإيمان.

12- محمد العربي بن بلقاسم التبسي: ولد سنة (1895) بدوار اسطح بتبسة، وبه تعلم مبادئ الدين وحفظ أجزاء من القرآن الكريم، ثم التحق بزاوية أولاد رشاش بالزوي، ثم زاوية خنقة سيدي ناجي، ومكث بها ستة أعوام، ثم انتقل سنة (1910) إلى نفطة إلى سيدي مصطفى بن عزوز النفطي، ثم عاد إلى دوار اسطح سنة (1912)⁽⁴⁾، وقد زكاه شيوخ الزوايا للالتحاق بالزيتونة فالتحق بها سنة (1915) وتخرج منها بالأهلية بعد ثلاث سنوات، ثم نال شهادة التحصيل، وقد كدح في حياته فجمع بين الزراعة والدراسة حتى في إجازاته الصيفية من جامع الزيتونة⁽⁵⁾.

سافر إلى مصر ومكث بالأزهر الشريف سنوات (1920-1927)، ثم عاد إلى تبسة ليمارس التعليم والوعظ، وقد أثر في جمهور تبسة بشهادة المعاصرين⁽⁶⁾، بعد عودته من الأزهر أسهم في دفع حركة الإصلاح قدما، ففي أكتوبر (1935) شغل منصب الأمين العام لجمعية العلماء خلفا للأمين العمودي، وبعد وفاة ابن باديس تولى رئاسة الجمعية بالنيابة لظروف اعتقال إبراهيمي، وناله الاعتقال والأذى مرات كثيرة طوال الحرب الثانية

(1) المجلس المالي (1900-1947) يشرف على توزيع ميزانية الجزائر، وثلاثه من المعمرين. انظر آثار إبراهيمي، ج 5 ص 129.

(2) أحمد قصبية، الشيخ إبراهيمي في منفاه بمدينة أفلو، مجلة الثقافة، ع 87 (ماي-جوان 1985)، ص 278.

(3) انظر آثار إبراهيمي، ج 1 ص 9. مجلة الثقافة، الذكرى التاسعة لوفاة إبراهيمي، ع 21 (جويلية، 1974) ص 137.

(4) دبو، أعلام الإصلاح، ج 1 ص 39. أحمد عيساوي، مدينة تبسة وأعلامها، مرجع سابق، ص 331. معجم مشاهير المغاربة، مرجع سابق، ص 107. فضلاء، من أعلام الإصلاح في الجزائر، 1 ص 19. مقدمة شرقي الرفاعي لمقالات التبسي في الدعوة إلى النهضة الإسلامية. بوصفصاف، معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، مرجع سابق، ج 2 ص 5.

(5) بوصفصاف، جمعية العلماء نفسه، ص 113. محمد علي دبو، أعلام الإصلاح في الجزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 43.

(6) مالك بن نبي، شاهد على القرن، مرجع سابق، ص 100، 124. بوصفصاف، نفسه، ص 115.

سنة (1943)، واعتقل في قسنطينة بعد حوادث ماي، وأطلق سراحه سنة (1946)، وبعد انتقال إبراهيم إلى المشرق سنة (1952) وبحكم نيابته للإبراهيمي صار المدير الفعلي للجمعية والقائم بأعبائها، ومع اشتداد الثورة ولمواقفه القوية اعتقل واختطف يوم (4-4-1957)، ليلقى الله شهيدا، وقد امتاز بالصلابة والقوة والنشاط الدائم، واعتبره علي مراد صاحب "مذهب تقليدي يسعى إلى استعادة الأخلاق مختلفا نوعا عن مذهب الشهاب القريب من مدرسة المنار⁽¹⁾.

خلف آثارا منها: بدعة الطرائق في الإسلام، ومقالات في الدعوة والإصلاح، إضافة إلى فتاوى مختلفة كالتجنس والتوبة منه، واستئناف الأحكام الشرعية للمحاكم المدنية والتوبة منه، والوصية للورثة على يد الموثق المدني، الزوج بغير المسلمات والتوبة منه⁽²⁾، وكان يقول "من يتزوج فرنسية يدخل الاستعمار إلى بيته"⁽³⁾.

13-الصالح بن سعد بن العابد الهلالي القسنطيني: ولد بقسنطينة (1292-1875) وبها درس وبثعالبية العاصمة سنتين، ونال الإجازة، درس بعنابة، ثم بقسنطينة بالمدرسة الشرعية، حيث وصفه العلمي المغربي بالعلامة النفاع المحقق المدقق⁽⁴⁾، حتى توفي (1943)⁽⁵⁾.

14-عمر بن البسكري: ولد بسيدي عقبة (1898)، وبها تلقى علومه، واشتغل معلما بالكتاب، درس في مدرسة الإخاء ببسكرة بعد (1931)، ثم انتدبه ابن باديس للتدريس بمدرسة السعادة بخليل نواحي أميزور سنة (1936)، وطرد منها بضغط من الإدارة، ثم بمدرسة الفتح بسطيف، وناله نفس الأمر، فاستقر بمدرسة الفلاح بوهران، من آثاره: ديوان شعري، وديوان العلويات في مدح شيخه علي بن عثمان الشريف، والوهرانيات، توفي بوهران سنة (1986).

والخلاصة: إنه لا يمكننا إيراد كل الأعلام المؤثرين في الحزب الإصلاحي، ولا استيفصال كل مآثرهم ولا إنجازاتهم، ولكن المباحث والفصول القادمة ستبدي الأثر البالغ الذي أحدثته هؤلاء الرجال في المجتمع الجزائري، ومدى الصعوبات التي لقوها والتحديات التي تجاوزوها، فلم يكن عملهم هينا في تلك الظروف الحالكة السواد من أيام الجزائر المستعمرة.

(1) علي مراد، الحركة الإصلاحية، مرجع سابق، ص 135.

(2) البصائر، ع 95 (1-14-1938)، ص 1. بوصفصاف، جمعية العلماء وعلاقتها بالحركات الوطنية الأخرى، ص 120.

(3) عمار أوزقان، الجهاد الأفضل، ط 1، بيروت، دار الطليعة، بيروت، 1964، ص 64. بوصفصاف، نفسه، ص 120.

(4) النجاح، ع 781 (2-9-1929)، ج 1 ص 159.

(5) شغيب، أم الحواضر، ص 305. النجاح، ع 1597 (8-9-1934)، ص 2. ع 1603 (24-8-1934)، ص 2. ذاكرة الجزائر، ج 4 ص 51.

المبحث الثاني: الطريقون في العشرينيات (1920-1931).

تمهيد: عانت الجزائر كلها من الأوضاع البئيسة بسبب الوضع الاستعماري الذي عمل في الجمهورية الثالثة على إخضاع الجزائريين وتفقيرهم، وإفقادهم أراضيهم ومواشيمهم ومصادر رزقهم. فضلا عن احتكاره للتجارة الخارجية، ودعمها للمعمرين الذين تزايدت مستوطناتهم وأراضيهم⁽¹⁾، مما تسبب في موجات من الهجرة الداخلية والخارجية.

يلخص شارل روبير أجرون: "بقيت الجموع الجزائرية متمسكة بالسلوك التقليدي الذي يعتقد أن الحداثة خطر محقق، وكانت متخوفة من المستجدات التي يحاول الفرنسيون إدخالها، فبدت لهم المدرسة الفرنسية والخدمة العسكرية والتجنيس مسالك خفية تؤدي للردة والتفرنس، ولهذا دأبت على ترويض نفسها على استحضار المثل الجزائري (احفظ الميم تحفظك) لقد كان الشعور الشعبي متيقنا بأن الامتناع عن تقليد الفرنسيين هو الذي يضمن النجاة منهم"⁽²⁾.

لقد بقيت الجذوة الدينية متقدمة، وقد حافظت عليها، بل وأججت الزوايا والكتاتيب والمعمرات، وتجلت ذلك في التمسك بالعادات واللباس الجزائري، وتمظهر في عديد الحواجز التي أقامها الجزائريون مع الدخيل الفرنسي. ومن آثار تلك الجذوة الهبات الكبيرة للجزائريين لكل داع إلى الهوية ومفاصلة الفرنسيين كما هو الأمر مع حركة الأمير خالد الذي احتضن الشعب دعوته في إحياء لرمزية الجهاد والوطنية التي مثلها جده الأمير عبد القادر الجزائري⁽³⁾.

بل إن تلك الجذوة طالت حتى العمال المغتربين الذين أسس بعضهم "جمعية الإخوة الإسلامية" سنة (1925)⁽⁴⁾ بغاية حمايتهم من الذوبان في الماكينة الغربية، وكان ذلك قبيل تأسيس حركة نجم شمال إفريقيا.

المطلب الأول: وضع الطرق الصوفية وأذرعها.

اختلف الوضع الطرقي في هذه الفترة التي تميزت بغياب النماذج الصوفية القوية التي قادت ثورات المقاومة، حيث وقع إفراغ أكثر الطرق من القادة الروحيين بسبب الهجرة والنفي الاختياري أو القسري، وقد كان لسياسة تفتيت الطرق عواقبها خلال العشرينات والثلاثينات من هذا القرن عندما ظهر وكأن هذه الطرق قد استنفدت طاقتها وأدت دورها، وكان عليها أن تترك المجال لموجة جديدة من حماة الدين وهم رجال الحركة الإصلاحية⁽⁵⁾، هذا فضلا عن اضمحلال بعض الزوايا بسبب الوراثة النسبية، وعلى الرغم من ذلك فقد كانت

(1) انظر أحمد توفيق المدني عن بعض إحصائيات القرى والأراضي، هذه هي الجزائر، مرجع سابق، ص 88.

(2) أجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا، مرجع سابق، ج 2 ص 496.

(3) انظر عمار أوزقان، الجهاد الأفضل، مرجع سابق، ص 116.

(4) انظر محمد قنانش، الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين (19-39)، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982. ص 28.

بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الوطنية الأخرى (1931-1945)، نفسه، ص 284.

(5) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 292.

الطرق هي اللاعب الرئيسي قبل ذلك في الحياة الدينية بسبب تعطيل الحياة العلمية وهجرة العلماء وتدمير مؤسسات المجتمع التقليدية⁽¹⁾، ويمكن إجمال أسباب التراجع النسبي للطرق في تلك الفترة إلى الآتي:

أ- الانكفاء على النفس: عانت الطرق انكماشاً على نفسها، وانكفأفا عن وسائل العصر وركونا إلى القديم، فكثير من منتسبيها كانوا يرفضون الانفتاح، أو الاطلاع الجديد، حيث كان يشيع بينهم ذم الصحافة، وأن الاشتغال بالسبحة والذكر هو البرنامج الدائم، وكانوا يتندرون بعلم الجرنال - كما هو تعبير الطيب العقبي - فهو علم محرم لا يقل جرمه عن لعب القمار، بل تهكّم الطرابلسي⁽²⁾ بخصومه ممن يسميهم الجامدين (محافظو الميزابين): "ولقد بلغ بهؤلاء الخاملين الجامدين الشره والجشع، حتى صاروا يحرمون الجرائد والمجلات، ويحظرون على الناس قراءتها، وكل من دفع معلوم اشتراكه في الجرائد والمجلات، فهو عاص لا تقبل معذرتة، إلا إذا تبرع لهم بمثله أو بينه في ثلث وصية"⁽³⁾. وكانت تعلّة عدم إكثار الطريقين من الكتابة في الصحف هو الخوف من امتحان الآيات والأحاديث وابتذالها⁽⁴⁾.

ب- تشرذم المشيخة: تبرز مشكلة أخرى في الحياة الطرقية، وهي عدم وحدة القيادة والمشيخة لكثير من الطرق كالرحمانية، والشيخية، والقادرية، بل إن الخلافات وصلت إلى أعماق الزوايا، ومن نماذج ذلك الطريقة العمارية، فبسبب الفتنة والوشاية بين مقادميها أغلقت الإدارة زواياها كلها إلا واحدة في العاصمة⁽⁵⁾، وليس من تفسير لذلك إلا الخلافات المتجددة حول الزعامة أو الاستفادة من النذور والهبات المالية.

ج- الفلكور الصوفي: وهي ظاهرة عمّت الزوايا مطلع القرن العشرين، فبسبب من حالات اليأس بعد فشل الثورات، وبسبب من غياب الفقهاء المربين خلا الجو للمشعوذين وكتبة الحروز لتعويض الناس ما فاتهم، وإعطائهم جرعات من الأمل المستحيل، ولذلك استعيز عن حلقات الذكر والتربية بحلقات البندير وألعاب الحواة وكاتبي الزهر-الحظ أو البخت-، ولكثرة الفقر والتهجير شاعت مظاهر الدراويش والبوهاليين والمجانين ومدعي الولاية وكاشفي الغيوب وقارئي الفنجان.

وصف الإبراهيمي هذا الولع بالمدائح: "ولو كانوا على شيء من الدين لما رضوا أن يسمعوا تلك الأماديح، وهم يعلمون كذبها من أنفسهم، ويعلمون أن فيها تضليلاً للعامة وتغيراً بعقائدها، وأن تلك الأماديح المنشورة بين الناس في وطننا هذا هي سر انتشار الطرقية وتغولها فيه، وقد سمعنا الكثير منها، ولنا فيها وفيمن قيلت فيه فلسفة خاصة"⁽⁶⁾.

(1) انظر عبد اللطيف الهرماسي، المجتمع والإسلام والنخب الإصلاحية في تونس والجزائر، مرجع سابق، ص 312.

(2) الطرابلسي محمد بن إبراهيم (1887-1941)، إباضي من بريان، ولد بطرابلس، ثم عاد بعد اختلالها من قبل الإيطاليين، شارك في الحياة الصحفية، والتعليمية ببريان والقرارة وبسكرة. انظر معجم أعلام الجزائر في القرنين، ج 2 ص 351.

(3) الشهاب، ع 89 (24-3-1927)، ج 2 ص 927. محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، مرجع سابق، ص 19.

(4) انظر ابن قشوط محمد العربي، كتاب الإرشاد إلى سبيل الرشاد، مرجع سابق، ص 97.

(5) المنتقد، ع 10 (3-9-1925)، ص 183.

(6) آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 176.

د- البدع والخرافات: وبسبب غياب الشيوخ المربين شاعت ظواهر الاسترزاق بالتصوف، وكثرت الشعوذة، إضافة إلى فساد بعض المقادير وولاء بعضهم لفرنسا حيث استخدمتهم ببادق لها⁽¹⁾ مع الهيئة الإدارية العربية من الباشاغات والقياد، فصارت بعض الزوايا التقليدية مراتع للجهل والخرافة، وضرب البندير وتعليق الخرق، وإشعال الجاوي والبخور⁽²⁾. وكثرت مظاهر الهاليل والدروايش، في ليلة حالكة من الفقر والجوع والأسمال البالية التي تكسو أجساد الجزائريين المحروبين.

ولكن الصورة ليست قاتمة بهذا الوصف، فبعض الطرق كانت تحنّ إلى نماذج قيادات المقامة السابقة، وظلت فكرة "مولى الساعة المنقذ" مهيمنة، حتى أن بعض قيادات عروش عين الصفراء كانت تبيع الوصلات انتظارا لذلك اليوم، وهو ما جعل الصحف الإصلاحية تنتذر على هذا الأفعال الهائلة بهزيمة فرنسا على يد صاحب الوقت⁽³⁾.

هـ- الضعف العلمي: وهو الملحظ الهام على المنتج العلمي والأدبي في مطلع القرن العشرين، فقد غابت الروح العلمية القوية التي كانت تطبع زوايا القرن التاسع عشر والتي تخرّج منها علماء كبار (الأمير عبد القادر، ابن رويلة، ابن سقاط، حسن بريهمات، العربي ابن عطية، ابن سليمان المستغانمي، ابن الحفاف، المشارفة، الإبراهيمي)⁽⁴⁾، في حين لم يكن في القرن الجديد كبير منتج علمي لا في الأشخاص ولا في المؤلفات، وغالب المتداول هو القديم، أو الشعر الشعبي الملحون الذي عبّر عن الهوية الدينية للجزائريين عن طريق التمدّح بالأولياء الصالحين، وأصحاب الساعة والشرفاء.

ولم تتعدّ مخرجات الزوايا إلا تخرّج بعض الإطارات الدينية من أئمة أو معلمين أو حزاين كانت مستوياتهم بالغة الضعف⁽⁵⁾، وهو ما أدى إلى هجرة عكسية للتعليم الفرنسي الصاعد في المدن والمستوطنات الجديدة. وللحقيقة التاريخية الثابتة في بعض المؤلفات، فإن الصورة لم بتلك القتامة كلها، فقد كان هناك بارزون مشغولون بالتعليم أمثال الشيخ الونوغي بالشلف، والشيخ العلاوي الذي كان يدرس فنونا مختلفة، مثل البيقونية في الحديث والسلم في المنطق، والمفتي عبد القادر بن قارة في النحو⁽⁶⁾، واشتهرت معسكر بالاعتناء بمتني خليل والعزية⁽⁷⁾ ولكن المخرجات لم تكن كذلك التي كانت من قبل نتيجة تردي الظروف الاقتصادية بسبب الاستعمار، وإحراقا للحق ظلت الزوايا الدينية من العوامل الهامة في نشر الدين وتعليم القرآن وحماية اللغة العربية من الاندثار⁽⁸⁾.

(1) سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 187.

(2) انظر مالك بن نبي، شاهد على القرن، مرجع سابق، ص 390.

(3) جريدة الصراط السوي، ع 6 (1933-10-23).

(4) يكفي الاطلاع على موسوعة تعريف الخلف للحفناوي لإدراك الفرق العلمي بين القرنين.

(5) عبر ابن مهنا عن هذا بمرارة بالغة كما في رسالته إظهار الحق، ص 104. وانظر ركيبي، الشعر الجزائري الديني، ص 30.

(6) البلاغ، ع 182 (1930-4-25)، رحلات جزائرية طرقية، مرجع سابق، ج 3 ص 39.

(7) المرصاد، مقال "معسكر أرض الأمراء والأشراف"، ع 31 (1932-11-4)، ص 1.

(8) بن خدة، جذور أول نوفمبر، مرجع سابق، ص 98.

و- الفقر والقلّة: وتلك نتيجة تراجع منابع وموارد الزوايا من الأوقاف، ومصادرة الكثير منها، فضلا عن الحرق والإهلاك الذي تمّ في قمع الثورات الشعبية، والإهمال الذي لحق بعض الممتلكات بسبب الهجرة الطوعية والتهجير القسري، فأفقرت الزوايا، ولم يستطع الكثير منها الوفاء بالتزامات التعليم، فتراجع التحصيل العلمي وانتشر الجهل⁽¹⁾، مما تولدت عنه مظاهر الاستنزاق بكتابة الحروز والتمايم، وصار "الطالب" علما على المشتغل بالطب النفسي في الرق والتطبيب الروحي، وكانت الظاهرة من الانتشار بمكان، فيحكي عبد الرحمان الحسني أنه رأى في سيدي مزغيش: "قوما محدقون برجل يكتب التمايم، وهم كلهم آذان صاغية لتعائعه، وأعناق ممتدة لما يلقي من الكلام الفريء، فيدّعي أنه الطبيب الماهر الذي تبرئ أسرار كتاباته جميع الأمراض، وأنه يجعل السعيد شقيا، والشقي سعيدا"⁽²⁾.

لقد تراجعت الطرق بفعل عقابيل الولاء لفرنسا أيام الحرب الأولى، والهجرة إلى المدن، وتأثير الثقافة الغربية، وانتشار الفكر الوضعي بين المثقفين المفرنسين، واستنزاف القاعدة المادية التي تمول الطرق، وتراجع مفاهيم الوصاية الروحية⁽³⁾.

المطلب الثاني: المؤسسات الطرقية ووسائلها.

ونعني بها بقية المؤسسات الطرقية التي نجت من التدمير والحرق في أعقاب الثورات الشعبية، فمع مطلع القرن لملمت الطرق نفسها، واستعادت بعض هياكلها، وجدّدت البعض، وبقي لهذه الزوايا مهام التعليم القرآني، وبعض الخدمة الاجتماعية في رعاية الأعراف والتقاليد، ولكننا سنقف هنا على لمؤسسات الحديثة التي برزت مع الطريقة العلوية التي جدّدت النفس الصوفي في العشرينيات.

حاولت الطريقة العلوية صناعة الريادة في الجزائر، بل وحاولت مدّ تلك الروح إلى العالم الإسلامي، وفي مجموع مكتوبات الشيخ العلوي ما يوحى بذلك، ومن ذلك قوله: "فلو اهتدينا بهدي ديننا، وعملنا بتعاليمه وتعاوننا على تبليغه لاستفاد العالم الغربي من أخلاقنا ومعتقداتنا فيصبح العالم الإسلامي أستاذًا للعالم الغربي في الأدبيات، كما أضحي هو أستاذ العالم الشرقي في الماديات، ولكن أين العاملون"⁽⁴⁾، ويقول أيضا: "متى اجتمع المسلمون على نحو تأسيس مدرسة علمية، أو جماعة دينية فعارضتهم الحكومة في ذلك فما سمعنا به، ولن نسمع به إن شاء الله، هل يريد المسلمون أن تأمرهم بنحو ذلك رسميا. كلا! لأن ذلك ليس هو من وظيفتها، فهي لا تأمر أبناء جنسها بمثله، كما أنها لا تنهاهم أيضا عن تعاطيه. فكيف تريد أنت أيها المسلم أن تجعل لك درسا تأمرك فيه بتأسيس دينك... ألم يكفك أنها حملت على عاتقها احترام دينك وعوائدك"⁽⁵⁾. وهذا الذي قاله الشيخ العلوي هو تحاكم للقول بحرية الأديان التي تقرها فرنسا نظريا لا عمليا.

(1) انظر إيفون تورين، المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة، مرجع سابق، ص 130.

(2) الشهاب، ع 108 (4-8-1927)، ج 3 ص 161.

(3) انظر عبد اللطيف الهرماسي، المجتمع والإسلام والنخب الإصلاحية في تونس والجزائر، ص 313.

(4) أضياف المد الساري لصحيفة البلاغ الجزائري، ج 1 ص 179.

(5) جريدة لسان الدين، مقال "مسلمو الجزائر وحالهم الدينية"، ع 5 (30-1-1923)، ص 1.

والحقيقة أن العلوية وإن كانت أحدث الطرق ظهوراً، ولكنها كانت أكثرها دقة وتنظيماً، والأحسن في استعمال الوسائل العصرية والأساليب النظامية في الدعوة والتعليم والصحافة، والممتلكات، وإنشاء النوادي والجمعيات⁽¹⁾.

ويمكن إجمال أهم أساليب الطرق الصوفية في الآتي:

1- الدعوة: وخاصة في التمسك بالدين، ورفض للثقافة الغربية، ومحاربة التجنيس التي أولتها جريدة البلاغ العلوية دعاية خاصة لنبذها، ولمواجهة تيارات التغريب قامت الطرق بتنشيط التعليم القرآني وتجديد زواياها، وفتح أقسام للتعليم القرآني بها للصغار والكبار، واستثمار حلقات الذكر لتعميق الهوية الدينية للجزائريين، وبعث حركة التجديد الإيماني.

اهتم الطريقون بدعوة الشباب للعودة إلى الدين، وهاجموا بقوة موجة التغريب والفرنجة، ونددوا بالمقالات المجافية لحقيقة الدين الإسلامي، وكونه عقبة في وجه التقدم والنهضة معتبرين التقدم الموهوم منافياً لخطّة الإسلام الحقيقية في الارتفاع بالأخلاق⁽²⁾، وندبوا العلماء إلى الانتباه: "إلى أحوال أبناء الإسلام العصريين المتنورين لماذا صاروا يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المفتين لهم من كل همج رعاع، تابع كل ناعق وراقص على كل إيقاع"⁽³⁾، وعناوين مقالات العقد دالة على ذلك مثل: "نحن لا نريد من المسلم إلا أن يبقى مسلماً"، وناشدوا العلماء الأخذ بيد الشباب، وهم يرون "السفهاء انتصرت، والردائل انتشرت، والأخلاق انحطمت، والنساء تردلت، والولدان تخنثت، والبنات تهتك، والنفوس تمرت، والإباحية تسربت،...وها أنا أدعوكم بشرف الإسلام أن تعطوا للحالة الراهنة شيئاً من الاهتمام، وأن تفكروا في مصيرنا الآن وبعد الآن"⁽⁴⁾.

والواقع أن الميراث الإسلامي كله كان يواجه حملة شرسة من العلمانيين الفرنسيين والجزائريين الاندماجين الذين رافعوا للحدثة، ومن هذا القبيل ما نادى به "حسني لحق" في "رسائل جزائرية" الذي نشره سنة (1930)، وهاجم الإسلام والعربية، مبتغياً رومنة وفرنسة الجزائر، مما جعل الردود عليه تترى من الطريقين والإصلاحيين والوطنيين⁽⁵⁾.

ولمواجهة ذلك نشط الطريقون في الكتابة في محاسن وركي الإسلام، وإقبال فلاسفة وعقلاء الغربيين عليه⁽⁶⁾. ولمأسسة الأمر أنشأ العلويون جماعات المذكرين القائمين بأمر البلاغ والإرشاد (ذاكرون مذكرون مجازون ومأذون لهم)، وهؤلاء هم الذين يقومون بالسياحة، فهم أعوان الدعاية العلوية، أو الفرق الفدائية كما تقول المصادر الفرنسية⁽¹⁾.

(1) مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، ص 263. سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، ج 2 ص 394.

(2) جريدة لسان الدين، مقال "الإسلام والطوارئ"، ع 3 (1-16-1923)، ص 1.

(3) البلاغ، مقال "الدين كفيل بسعادة الدارين"، ع 68 (4-5-4928)، أضياف المد الساري، ج 1 ص 81.

(4) البلاغ، مقال "أبناء الإسلام مالك لا تشعرون" ع 26 (1-7-1927)، ومقال "إلى مشايخ التصوف وأرباب الزوايا أعني الخاصة منهم لا المتداخلين، ع 121 (6-7-1929)، ج 1 ص 184. ومقال "إلى علمائنا" ع 51 (12-29-1927)، ج 1 ص 185. ومقال "إلى علماء الأمة ورجال الملة"، ع 132 (23-8-1929)، ج 1 ص 189.

(5) انظر مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، ص 241. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 210. وج 5 ص 265.

(6) جريدة لسان الدين، مقال "الإسلام في نظر الأجانب"، ع 4 (23-01-1923)، ص 1.

ولكن هذا النموذج الجديد في استعمال الأساليب العصرية في الانتشار لم يرق كل الطريقين، فابن قدور التجاني يراه مخالفاً لروح التصوف: "الذين نراهم اليوم يتظاهرون بالمشيخة باسم شخصيتهم أو نسبتهم ما هم إلا دجاجة كذابون، وأكبر دليل على تدجيلهم وكذبهم كونهم يستعملون الوسائل الترغيبية لنشر طريقتهم وتشهير أمرهم، مع أن الطرق الحقيقة لا تنتشر بالتشهير (البروباوند) بل بنورانية الحق وسر الصدق، وحتى تكون هي المطلوبة لا الطالبة"⁽²⁾.

2- إنكار الانحرافات الأخلاقية: وخاصة ظواهر القمار⁽³⁾ والحشيش والبغاء التي انحدر إليها البعض، فالبلاغ تستنكر بشدة دور البغاء المنتشرة في المدن، وحتى قرب المساجد: "ها هي مساجدنا تشتكي إلى الله مما أحاط بها، ها هو جامع سيدي رمضان بالعاصمة تحيط به العاهرات إحاطة السوار بالمعصم، ومثله الجامع الأعظم بمستغانم، ومثله..."⁽⁴⁾، وكان البغاء ظاهرة فاحشة شائعة مقرفة في الأحياء، وتحظى بدعم اليهود والإدارة الفرنسية⁽⁵⁾، وانخرطت فيها النساء اللواتي فصلن عن جذورهن بعاقيل تشتيت القبائل ونزع الأراضي، ومخلفات نفي الأحرار إلى الجزر البعيدة. ولأجل هذا دعت البلاغ إلى إنشاء جمعيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو جمعية الحسبة، وعدم الاكتفاء بالوعظ، وإنما العمل داخل الأطر القانونية لتفادي "العار الذي جاس خلال الديار سواء فيه العاكف والبادي"⁽⁶⁾.

والقارئ للمنتج الأدبي والصحفي مطلع القرن العشرين يدرك فداحة الوضع الأخلاقي حيث شاعت الخمر والأفيون، وصارت بيوت الدعارة مقننة تحت إدارة وتشجيع الرقيب الفرنسي، حتى غدت بعض مناطق الجزائر شبه ماخور كبير، خاصة إذا علمنا أن هزات وتغيرات اجتماعية فادحة حصلت عقيب القضاء على المقاومات الشعبية، وما تلاها من قوانين الأندجينا والغابات والملكية الفردية والعرشية⁽⁷⁾، فضلاً عن النزوح للمدن الاستعمارية الجديدة والقرى الاستيطانية التي كانت تحتاج إلى عمالة كبيرة، فكان الهروب لهذه التجمعات قد حمل في طياته تغيرات ثقافية كبيرة، إضافة إلى حركة الهجرة القسرية والاختيارية لفرنسا من أجل العمل فيها⁽⁸⁾، وهو ما جلب أنماطاً ثقافية جديدة لم يعهدها المجتمع الجزائري.

(1) محمد بن عبد الباري التونسي، الشهادت والفتاوى، مرجع سابق، ص 256. بوغانم، غزالة، الطريقة العلوية في الجزائر ومكانتها الدينية والاجتماعية 1934 - 1909، مرجع سابق، ص 132. وانظر حماني، صراع بين السنة والبدعة، ج 1 ص 176.

(2) عمر بن قدور، الإبداء والإعادة، مرجع سابق، ص 268.

(3) البلاغ، "الاستهزاء بالإسلام، القمار حول الجامع الكبير بالعاصمة"، ع 7 (2-4-1927)، ص 2.

(4) البلاغ، مقال "فشو البغاء وضروب المخازي" ع 58 (2-17-1928)، أضماميم المد الساري، ج 1 ص 173.

(5) تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5 ص 440. ويذكر مراسل الشهاب عن أحياء وشوارع كاملة مختصة بهذه المخازي في سكيكدة التي نقلت الإدارة المعاهر فيها إلى الأحياء الأهلية، انظر الشهاب، ع 110 (8-18-1927)، ج 3 ص 201. وكذلك بسكرة، انظر جريدة الصديق، الزريبي، رحلتنا إلى المقاطعة ال قسنطينية 4، ع 50 (2-20-1922)، ص 1. الشهاب، ع 15 (2-18-1926)، ج 1 ص 314، النجاح، ع 179 (24-10-1924) وسطيف التي كانت مأوى لمن خلعت جلباب الحياء، الشهاب، تقرير الوترلاني، ع (ربيع الأول 1353-جوان 1934) ج 10 ص 355.

(6) البلاغ، ع 135 (9-13-1929)، أضماميم المد الساري، ج 2 ص 288.

(7) سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1860-1900)، ج 2 ص 65. بن نبي، مذكرات شاهد القرن، مرجع سابق، ص 118.

(8) انظر عبد الحميد زوزو، الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين، مرجع سابق، ص 35.

أما التدمير الممنهج للأخلاق عن طريق التفجير ونشاط شبكات الدعارة التي تشجعها الإدارة والمكاتب العربية والباشغوات فقلّ أن يحصر⁽¹⁾، والشاهد هو أدبيات الفترة وأغاني المرحلة ومذكرات الصحفيين والرحالة. ويجدر التذكير بالأخلاق الغربية الوافدة مع العسكر الفرنسي واللفيف الأجنبي الذي دمّر بقية الأخلاق في المحتشدات الناشئة حول المدن الجديدة كما هو الأمر في مدينة سيدي بلعباس وغيرها⁽²⁾.

3- **السياحة والوفود:** نشطت الطرق في إبقاء تقاليدها في السياحة الدينية وتبادل الزيارات بين مقاديمها وشيوخها، ومن أشهر المدن التي النشاط في ذلك الجزائر حيث الزيارات لروضتي الثعالبي وعبد الرحمان الجرجري، وكذا بلاد القبائل المليئة بالأضرحة والزوايا ومشاهد الشيوخ، وأيضا تلمسان حيث مرقد أبي مدين الغوث، ووهران حيث مقام الهواري، بل وتعدى ذلك إلى الخارج، كما فعل الشيخ بن عليوة في سياحته الخارجية لتونس والقيروان سنة (1919) حيث استقبل كشيخ مرب واصل⁽³⁾، أو إلى المغرب سنة (1928)، والتقائه بعلمائها في فاس⁽⁴⁾.

4- **التجمعات (الجمع):** وهي التجمعات السنوية للطرق، ومنها الزيارات والأحفال والأركاب التي تعقدتها مختلف الطرق لزيارة مؤسسها أو غيرهم من الشيوخ، فهذه الطريقة الطيبية تسير ركبا من العاصمة للبلدية لزيارة مقام الشيخ أحمد الكبير، مع ركب للطريقة الرحمانية، وكانت العادة أن يبدأ الركب بزيارة ضريح الثعالبي، ثم يركبون القطار للبلدية، ثم يصعدون بالجلالة-ذكر جماعي- إلى المقام، ويتناوبون في حضراتهم، ويرفعون أعلامهم، وتدوم الزيارة الليلة كلها بين المدائح والقرآن، وفي ضحى اليوم الثاني ينصرفون⁽⁵⁾. ومن ذلك احتفالات الطريقة العلوية المتكررة بالعاصمة بعد فتح زاويتها بالعاصمة سنة (1923)⁽⁶⁾، أو جمعها المتكرر في جامع سيدي رمضان⁽⁷⁾، وإلقاء الشيخ العلوي درسا في الجمع الوطني⁽⁸⁾، وكذا مستغانم التي شهد جمعه وفد تونسي أشار إلى وجود مهتدين جدد أمثال عبد الكريم جوصو ومريم سرينو⁽⁹⁾، وكذلك تجمعات تلمسان التي لم تبرأ من المنازعات بين حضرها وكراغلتها، مما جعل البلاغ تكتب "رابطة الإيمان إلى إخواننا أهالي تلمسان"⁽¹⁰⁾، والمهم أن الطرق كانت تستغل تلك التجمعات لتجذير وجودها المهدد بما ذكرناه سلفا.

(1) فضلاء، المسيرة الرائدة، ج 1 ص 225: قرى أيونداجا،-خليل- دوار ذراع الأربعاء

(2) أشار بن نبي إلى ظاهرة البغاء في العمور وأفلون مذكرات شاهد القرن، مرجع سابق، ص 179.

(3) الشهادت والفتاوي، ص 176. بوغانم، نفسه، ص 194. ناصر الدين موهوب، الشيخ العلوي المستغاني، ص 118.

(4) أضماميم المد الساري من جريدة البلاغ، ج 1 ص 64.

(5) النجاح، ع 350 (3-10-1926). رحلات جزائرية طرقية، مرجع سابق، ج 3 ص 10

(6) لسان الدين، مقال "بلاغ وتهنئة"، ع 12 (20-3-1923)، ص 2.

(7) البلاغ، ابن بشير الجريدي العلفي "لماذا يلبسون الحق بالباطل"، ع 4 (14-1-1927)، ص 2.

(8) البلاغ، ع 46 (25-11-1927)، ج 1 ص 259. وانظر في وصف الأحفال ابن عبد الحكم، المرأة الجليلة، مرجع سابق، ص 296.

(9) النجاح، محمد الشريف التونسي، "احتفال العلويين بمستغانم"، ع 179 (24-10-1924)، ص 2.

(10) البلاغ، ع 98 (14-12-1928)، أضماميم المد الساري، مرجع سابق، ج 1 ص 255.

5- المراسلات والكتابات: للحكومة والعمالات فيما يخص القضايا الدينية وتسيير المساجد، ومن ذلك أن الطريقة العلوية كاتبت لجنة تعديل الأحكام الفقهية⁽¹⁾ بعدم الجراءة وعدم التساهل في تغيير الأحكام الشرعية، وطالبتهم البلاغ بعدم الرضوخ في تعديل المجلة الفقهية إلا بما يرضي الله مذكرة بقوله تبارك وتعالى: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله﴾، وعدم التساهل في ذلك لكونه مخالفا لقطيعات الدين⁽²⁾.

كما اعتمد بعض الطريقين سياسة المكاتبات لأنصارهم أو لخصومهم، فيذكر ابن باديس أن الشيخ العربي التواتي وكان بغليزان أيام زيارته لها خريف (1931) قد كاتبه معاتبا إياه في قضايا الدعاء والوسيلة، وكان ابن باديس يرجو لقاءه، ونشر رسالته والتعليق عليها⁽³⁾.

6- الانتخابات: على الرغم من سلبية الطرق تجاه الفعل السياسي، فإن بعض منتسبيها ومقدميها تقدموا لانتخابات المجالس المالية، أو حظوا بدعم أنصارهم، ولكن النماذج المتقدمة قليلة، إذ كانت هذه المناصب من نصيب القياد وبعض النخبة، ومن هؤلاء في بسكرة سيدي الصالح بن لواب- الذي وصفه مامي بأنه فضيلة البركة مربى السالكين-تندرا- وقد فاز عليه المحامي سيسبان الشريبي⁽⁴⁾. ولكن الشواهد قليلة، فضلا عن ندرة الانتخابات آنذاك.

كما شهدت بعض الزوايا انبطاحا أمام رجال الإدارة الفرنسية في الانتخابات المزورة غالبا في البلديات المختلطة، ففي انتخابات (1931) أيد رجال الزوايا في الزيبان علي بن قانة⁽⁵⁾.

كما برزت بعض الدعايات ضد حركة الأمير خالد ومطالبه الإصلاحية، التي رفضتها بعض الطرق كالعلوية، واعتبرتها غير ذات أولوية في الراهن المستلزم للإصلاح الديني والاجتماعي⁽⁶⁾.

وقد كان الزيري من أوائل المهتمين بالموضوع الطريقي، وتدخل الإدارة الفرنسية واستغلالها للتابعية الطرقية في تصريف الانتخابات، فقد أشار إلى تدخل شيوخ الطرق في إرغام الأتباع على انتخابات من يزكونهم⁽⁷⁾، وتلك التزكية تكون في الغالب بإيحاء من الفاعل الاستعماري، لأن الصوفية الخالص لا يتدخلون في تلك الألاعيب، على العكس من المتلبسين بالمناصب الطرقية في تلك الفترة التي دجنت فيها أغلب الطرق.

7- الدعاية الإسلامية: اهتم الطرقيون بوصل أنفسهم بالطرق الأخرى، وناصروا القضايا الإسلامية، وقد كان الشيخ ابن عليوة مؤمنا بفكرة الجامعة الإسلامية، ولكن تحت غطاء جزائري بخلق جمعية دينية تقليدية،

(1) شكلت الولاية العامة لجنة من: الحفناوي مفتي العاصمة، والمولود بن الموهوب مفتي قسنطينة، وعبد القادر بن قارة مصطفى مفتي مستغانم، ومحمد بن غلام الله من تيارت، وأبي القاسم محمد الكبير شيخ الهامل، وزروقي محي الدين النائب المالي ورئيس الجمعية الدينية بالعاصمة، ومحمد بن دالي عمر قاضي قسنطينة، وعبد الرحمان بن عربية قاض بالعاصمة، ومصطفى الشرشالي قاض بتيزي وزو، ومحمد بن الساسي قاضي مليانة، وأحمد العيمش المدرس بتلمسان، ومحمد بن الحاج المدرس بالنعاليبة، ومحمد كحول إمام بمسجد الجزائر.

(2) البلاغ، ع 18 (1927-4-29)، أضاميم المد الساري، مرجع سابق، ج 1 ص 250.

(3) الشهاب، ع (رجب 1350- نوفمبر 1931)، ج 7 ص 728.

(4) النجاح، ع 180 (1924-10-31)، وسماه أيضا تندرا "قضايا الجوائج". زوزو، الأوراس، نفسه، ج 2 ص 34.

(5) عبد القادر قوبع، الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان وميزاب بين سنتي 1920-1954، مرجع سابق، ص 25.

(6) لسان الدين، مقال "كيف نتوخى الإصلاح"، ع 2 (1923-01-9)، ص 2. وانظر بوغانم، نفسه، ص 51.

(7) جريدة الصديق، مقال "ماذا فعل النواب" ع 40 (1921-8-4)، ص 1. مقالات الزيري، مرجع سابق، ج 1 ص 227.

وقد نادى بالوحدة الإسلامية، ونشرت الجرائد العلوية مقالات لزعامات النهضة كشكيب أرسلان وعبد العزيز الثعالبي⁽¹⁾.

وقد عبر ابن عليوة عن هذا قائلا: "لو أن الإسلام ظهر بتعاليمه الحقيقية على الأسلوب الملائم للعصر الحاضر، لوجد من الأنصار في أهل أوربا، أكثر مما وجدته المسيحية في إفريقيا الشمالية وغيرها من الأنصار، على أن أنصار التعاليم الإسلامية يعتبرون من الطبقة العالية بين أهل العصر الحاضر... لو كان في الأمة من يقوم بهذه الدعوة الجليلة القدر بانتظام وحسن دراية، لكان الإسلام يعمل بسهولة في أواخر القوم أكثر مما عمل في أولهم، وعلى الأقل لحسن ثقة الأجانب بتعاليم دينه، الذين هم يتخيلونه الآن أشبه شيء بشيخ مهم⁽²⁾، ويقترح الشيخ العلوي لتقريب الآخر من الإسلام خطة من جهتين مؤثرتين هما:

الأول: أن يتحول الجزائريون إلى مستوى ديني وأخلاقي صالح لأن يجعلهم نموذجا صالحا لتمثيل الإسلام. الثاني: هو الدعاية التبشيرية للإسلام باللغة التي يفهمها الغرب، والتي يرى أنه بحاجة إليها، وفي هذه الحالة ينظر رجال الطرق إلى المستعمر لا كمحارب، وإنما كإنسان يملك عقلا وقلبا وروحا، وبذلك يمكن مخاطبة هذه اللطائف فيه، واستعمالها في إصلاحه، أو على الأقل التخفيف من حدة عدوانه⁽³⁾.

وكانت البلاغ تنشر مرارا أسماء المهتدين الفرنسيين وبعض اليهود داخل الجزائر وخارجها على يد رجال الطريقة العلوية خاصة⁽⁴⁾.

كما واجهت الطريقة أعمال الكنيسة الميثودية ببلاد القبائل، وأعادت بعض المرتدين إلى حظيرة الإسلام، حسب أحد المبشرين المهتدين "حسن بن محمود"، والذي ارتد عن الإسلام ثم عاد إليه، وكان عدد الجمعيات التنصيرية اثنان وسبعون جمعية في دول المغرب العربي، وجلهم من الأمريكان حيث تتدفق عليهم التمويلات للتنصير⁽⁵⁾.

8- التعليم: أهم ميزة للزوايا الطرقية هو التعليم القرآني القاعدي، ثم التعليم الابتدائي، فالمتوسط، ثم العالي في الزوايا المكيئة، ولكن المشكلة في بعض الزوايا أن المشرفين على التعليم التقليدي بقوا رهنا للطرقات القديمة في التعليم، وهي الطرائق التي جردها الإصلاحيون بالأساليب الجديدة والوسائل العصرية، وبرزت المنابرات والمناكفات بين أهل الطبشور والسبورة "الفليج"، وبين أهل السمع والدواة واللوح.

بل إن بعض التقليديين حرموا الدراسة العصرية، ودعوا بدعوة الشر على من يرسل ابنه للمكتب العصري، كما وصف الهادي السنوسي حال "الدرار الجامد العابت بكتاب الله" في مدينة عين مليلة، والذي مزق كراسة

(1) سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، ج 2 ص 395.

(2) جريدة البلاغ الجزائري، ع 5 (5-1-1927).

(3) البلاغ، مقال "إننا محتاجون لبث دعاية إسلامية" ع 150 (2-شعبان-1348)، أضاميم المد الساري، ج 1، ص 178.

(4) انظر البلاغ، ع 120 (31-5-1929)، وع 70 (18-5-1928)، وع 98 (14-12-1928).

(5) البلاغ، "اهتداء أحد المبشرين إلى الإسلام بعد ارتداده عنه" ع 118 (10-5-1929)، وع 124 (28-6-1929).

في الحروف الهجائية، مما جعل السنوسي يعتبر الكتاتيب القرآنية من أسباب الجمود حتى إن الإنسان ليتمنى زوالها لتمامها وخمول أصحابها⁽¹⁾.

والمهم أن أهم ما يحسب للطرق الصوفية هو المحافظة على سند التعليم الديني الذي انقطع بفعل الكسح الفرنسي. ونجد هذا التصديق عند الإبراهيمي خريج هذه الزوايا الذي يعلق على أسباب الشنآن بين الطرق والإصلاح عقب الانقسام فيقول: "ولكن أتى للأمة الجزائرية باجتماع العلماء وتأخيرهم في العلم، وإن الطائفة التي يطلق عليها هذا الاسم حقيقة أو ادعاء بهذا القطر هي طائفة متنافرة متنازعة، كأن من كمال العلم عند بعضها أن يبغض العالم العالم، ويجفو العالم العالم، شنشنة مُعْظَم الشرف فيها آت من الزوايا الطرقية التي تعلّم فيها أولئك العلماء أو علّموا فيها، والكثرة الغالبة في علماء الجزائر قبل اليوم تعلمت بالزوايا أو علمت العلم في الزوايا، فمن الزوايا المبدأ وإليها المصير، وزوايا الطرق في باب العلم كمدارس الحكومات هذه معامل لتخريج الموظفين، وتلك معامل لتخريج المسبحين بحمد الزوايا والمقدسين"⁽²⁾.

يحسب للزوايا المحافظة على التعليم القرآني والعربي، إضافة إلى خلق الانسجام المجتمعي والوحدة الوطنية عن طريق الطلبة المسافرين والمجاورين الذين يلتقون من جهات مختلفة، ويتلقون العلم ليعودوا إلى مناطقهم مرشدين، وبذلك حفظت الزوايا الهوية الدينية، وحافظت على التعليم العربي في وقت عزّ فيه السفر والانتقال لتونس أو المغرب⁽³⁾.

ولأجل ذلك بدأت الدعوة إلى الإصلاح، وخاصة الدعوة إلى إصلاح زوايا زاووة، وحصر إيراداتها، وصرف ما زاد عن الضروري في المنفعة، وأن يكون لها مدير ومدرس ومفتش، وتعيين شروط الإقامة للطلبة، ومدة الدراسة، والتخريج بالإجازة المؤهلة للإمامة، في استجابة متأخرة لدعوة ابن زكري في إصلاحها⁽⁴⁾.

ومن جهتها شجعت الطريقة العلوية التعليم، وندبت الزوايا إلى إحياء دورها الرئيس في التهذيب الخلقي والتكوين العلمي، واعتبرت تعليم العامة صنوا لمهام الإمامة والإرشاد⁽⁵⁾. وكذلك نجد دعوة مبكرة من عبد الحفيظ الهاشمي إلى تغيير المناهج المتبعة في الكتاتيب التي يزج بها الأبناء تبعاً للعاطفة الدينية عند الآباء بمناهج عصرية تجمع إلى جانب الحفظ للقرآن تعلم مبادئ الدين واللغة العربية⁽⁶⁾.

كما وجدنا دعوات مندة ببعض القياد الذين يرفضون دخول المعلمين وأهل الصلاح لقراهم كما هو تشهير لسان الدين بقائد قرية منصورة بعمالة قسنطينة⁽⁷⁾. وهي أفعال لم تبرا منها الجزائر المستعمرة بجهل وعمالة هذه الطائفة المخزنية.

(1) الشهاب، ع 3 (1925-11-26)، ج 1 ص 53. الشهاب، ع 7 (1925-12-24)، ج 1 ص 149. رحلات جزائرية، ج 2 ص 28-32.

(2) آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 186.

(3) انظر محمد الحسن فضلاء، أعلام الإصلاح في الجزائر، مرجع سابق، ج 4 ص 64.

(4) البلاغ، مقال "زوايا الزاوة إصلاحها"، ع 194 (1930-1-2)، أضاميم المد الساري، ج 2 ص 116.

(5) البلاغ، العدد 121 في (1929-06-07).

(6) النجاح، الهاشمي: "تهذيب التعليم بالكتاتيب القرآنية"، ع 186 (1924-11-12)، ص 1.

(7) جريدة لسان الدين، مقال "عمل يستحق الملامة"، ع 6 (1923-2-2)، ص 2.

المطلب الثالث: المؤسسات التعليمية والجمعية للطرقين.

أولاً: المؤسسات التعليمية:

1- معهد الهامل: وهو الذي ازدهر في أوائل هذا القرن وقدم خدمة مميزة للثقافة الدينية، ورقد مناطق الحضنة والهضاب بعدد الخريجين، وكان يشار إليه بأنه أزهر الجزائر، وزاره علماء كثر، واشتهر بمكتبته العامرة، وقد رسم المدني صورة جيدة عن الأثر العلمي والتروي لمعهد القاسمي بالهامل الذي كان به مائتان وخمسون طالباً يتلقون علوم القرآن والسنة والفقه والتاريخ والرياضيات والفلك وعلوم المعقول، ووصفه " بأنه روضة من رياض الجنة"⁽¹⁾.

ب- مدارس تماسين: التي أسسها محمد اللقاني بن السائح⁽²⁾ بدعم من شيوخ التجانية، ومثلها بقمار وسوف، حيث كان للتجانين حضور بارز في التعليم في الجنوب الشرقي، وفي بسكرة حيث انتشرت الطريقة ودخلت مساجدها عدا مسجد بكار الذي صار معقلاً للإصلاحيين⁽³⁾.

4- المدرسة القرآنية بالجزائر: أسسها مصطفى حافظ⁽⁴⁾، الذي افتتح مدرسة بأعالي القصبة، وهو الذي تخرج من مصر، ورجع بمشروع تطوير المدارس القرآنية متأثراً بالتجربة المصرية، وسماها بمدرسة الفلاح، وقد أشاد بها وبمنهجها وشيبتها محمد بن العابد لما زارها سنة (1925)⁽⁵⁾، ويعتبر حافظ من المعلمين الذين يشار إليهم بالبنان في العاصمة، ولعل مدرسة حافظ هي التي صارت نواة لمدرسة الشبيبة⁽⁶⁾.

5- مدرسة الشبيبة: والتي كانت نواتها مع مدرسة مصطفى، ثم رأسها رسمياً سنة (1927) عمر بن قدور، ثم محمد العيد وكلاهما تجانين، وهي التي دعمها كل من الإصلاحيين والطرقين، وتساءل سعد الله إن كانت هذه المدرسة توليفة فرنسية تجانية دعا إليها من قبل رين وخبراء التصوف لكبح جماح التعلق بالمشرق والحركات الإسلامية⁽⁷⁾.

(1) المدني، حياة كفاح، مرجع سابق، ج 2 ص 147.

(2) محمد اللقاني بن السائح: ولد بنفطة سنة (1313)، وعاد مع والديه للطببات حيث درس القرآن، ودرس بها على يد محمد التجاني السوفي سنة (1331) ثم التحق بالزيتونة وبعد أربع سنوات تخرج بالتطوع سنة (1338). نشر بالإقدام قصيدته " إلى الشعب الجزائري" في (26 جمادى الثانية، 1341)، انظر شعراء الجزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 103.

(3) محمد الطاهر فضلاء، "من أعلام النهضة الوطنية الشيخ الطيب العقبي"، الجزائر، مجلة الثقافة، ع 66، ص 40.

(4) مصطفى حافظ، توفي عليه رحمة الله صغيراً عن عمر 38 سنة يوم 10 نوفمبر 1932. وهو من منتسبي الطريقة العلوية، انظر عبد الله البيضاوي: مطالع اليقين في مدح الإمام المبين، ص 18. كتاب الشهاد والفتاوي، ص 133.

(5) تقويم الأخلاق، ص 172. الشهاب، ع 125 (8-12-1927). كتاب الجزائر، مرجع سابق، ص 384. لسان الدين، ع 7 (13-2-1923)، ص 1. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3 ص 247. وعند وفاته نعتة البلاغ بمقال " نفس طيبة وروح أبيّة"، ع 275 (21-10-1932).

(6) مريوش، الشيخ الطيب العقبي، ص 112. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5 ص 282. تركي، التعليم القومي، مرجع سابق، ص 237.

(7) تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5 ص 282. وج 3 ص 249. وذكر بأن الحكومة الفرنسية كانت تدعمها مالياً. وعن احتفالاتها السنوية انظر الشهاب، ع (ذي القعدة 1349-مارس 1931)، ج 7 ص 204.

- 6- مدرسة السلام: تأسست سنة (1930) على يد عمر إسماعيل، وهو من إخوان العلّوين، وكان تاجراً ثرياً، وقد أسس معها جمعية السلام، وكانت المدرسة تقوم بأعباء مائتي تلميذ⁽¹⁾. والظاهر أنه كان بينها وبين جمعية الشبيبة التي يرأسها محمد وعلي دمرجي شأن، وأن العقبي قام بمبادرة للصّح بين الجمعيتين⁽²⁾.
- 7- مدرسة وجمعية الصفاء: في العاصمة، وكتبت النجاح عنها أنها جاءت لنشر اللغة العربية⁽³⁾.
- 8- المدرسة العلمية بالقليعة، والتي كان يديرها الشيخ محمد الرابعي⁽⁴⁾، وهو من رجالات الطرق المعدودين.
- 9- مدرسة الشبيبة بتلمسان، وكان يديرها محمد بن مرزوق الدرقاوي، وزارها الأمير خالد سنة (1923)⁽⁵⁾.
- ثانياً: الجمعيات الطرقية:

نشط الطرقيون وخاصة العلّيون في تأسيس الجمعيات الدينية والقرآنية والاجتماعية، ومن نماذج ذلك:

- 1- جمعية إحياء العلوم الإسلامية بالعلمة: وهي جمعية اشترك فيها الطرقيون وغيرهم، ورأسها أحمد معيزة⁽⁶⁾، وأشار إلى نشاطها في العلمة محمد بن العابد الجلاّلي، حيث درّس في مدرستها سنة (1925)، وتكلم عن رئيس مدرستها محمد بن الموفق⁽⁷⁾، وانتقد في الإطار ذاته مجاورهم من أهل سطيف في غفلتهم من الإفادة من الإبراهيمي، "وإني لأرى أهالي سطيف في غفلة كبيرة حيث لم يأخذوا حظهم من بحر الزاخر وهم في ظماً لسلسبيله مع ما نعرفه من شهادتهم وشدة ذكائهم، ولعلمهم يلتفتون إلى نصيحتي فيتداركون ما فاتهم"⁽⁸⁾ وكانت المدرسة ممن افتتح فن التمثيل المدرسي بمسرحية شرقية عن هارون الرشيد، وألقى فيها محمد الشريف الصائغي خطبة، وذلك في مطلع السنة الميلادية كما وصف صاحب النجاح⁽⁹⁾.
- 2- جمعية السلام: خطط لها الشيخ العلّوي في العاصمة سنة (1926)، ولم تر النور إلا باسم جمعية الوعظ والإرشاد سنة (1932)⁽¹⁰⁾.

(1) الشهاب، ع (شوال 1347/ مارس 1929)، ج 5 ص 84. تقويم المنصور، ج 5 سنة 1348، ص 304، نقلا عن تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3 ص 249/ رابع تركي، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981. ص 236.

(2) انظر مراسلات العقبي وابن باديس، رسالة ابن باديس، رسالة ابن باديس (1931-5-25)، مرجع سابق، ص 70.

(3) جريدة النجاح، (5-1-1930). تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3 ص 261.

(4) عدة بن تونس، الروضة السنية في المآثر العلوية، ط 1، مستغانم، المطبعة العلوية، 1936، ص 81.

(5) خالد مرزوق، المختار بن عامر، مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان، مرجع سابق، ص 58.

(6) النجاح، ع 136 (7-12-1923)، ص 3.

(7) محمد بن الموفق ابن الشيخ صالح بن الموفق القسنطيني أصيل مدينة أقبو، والذي ولد بقسنطينة (1860)، ودرس بمدرستها ثم بالشعالبية، وأخذ عن المكي بن عزوز، واشتغل بسلك العدالة، وكان الشيخ صالح قاضياً بعنابة ثم الخروب، من آثاره: تأليف في التوحيد، ومختصر للسوسي في الفلك، ورسالة في المجاز المرسل، وكتاب في الفرائض "القول الراجح بالعمل المصيب في الفرائض والكسور والجبر والوصايا بالنصيب"، وقد قرظه كثيرون، توفي سنة (1941) انظر: أم الحواضر، ص 326، الشهاب (ع أكتوبر-1929)، وكان هو ممن انتهى للعلوية، انظر بوغانم، نفسه، ص 134، ثم كان ابنه الحسن أيضاً من منتسبي العلوية، وله مدح في شيخها، انظر: عبد الله البيضاوي، مطالع اليقين في مدح الإمام المين، ط 2، مستغانم، المطبعة العلوية، 1992 ص 28. وانظر فضلاء، من أعلام الإصلاح، نفسه، ج 1 ص 172، وقال إن اسمها تحول سنة (1949) إلى اسم إحياء العلوم الإسلامية، وصارت من مدارس جمعية العلماء بترسيم من التبسي.

(8) المنتقد، ع 6 (8-6-1925)، ص 109. كما زارها من بعد ابن باديس وأشاد بها، انظر الشهاب، ع (أوت-1929).

(9) النجاح، ع 169 (9-8-1924)، ص 3، ولعلها رأس الهجرة، إذ وافق تلك السنة شهر أوت شهر محرم (1343هـ).

(10) بولحية، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والطرق الصوفية وتاريخ العلاقة بينهما، مرجع سابق، ص 274.

3- الجمعية السنوسية الخيرية في (1924) بتلمسان، واشترك فيها الحسن البغدادي نظرا لعلاقته الوثيقة برئيسها محمد بن مرزوق⁽¹⁾ المنتهي السابق للطريقة الدرقاوية، والذي سيصير إصلاحيا ويرأس شعبة الجمعية بتلمسان. وولدت عن الجمعية مؤسسات مدرسة الشيبية، وجمعية المكفوفين، وجمعية الحساء الشعبي، والرابطة ضد الكحول والفساد، وجمعية أحباب الطالب، ولجنة مساندة الأمير الخطابي⁽²⁾.

4- جمعية الشيبية الإسلامية بالعاصمة: أعلن عنها في الصديق من قبل محمد العلمي الذي قال بأنها لانتشال الصبيان من الجهل⁽³⁾، ولا نعرف عنها الكثير سوى ما أورده جريدة لسان الدين من استقالة عبد الرحمان بن صيام من منصب الكاهية-الرئيس-فيها-، بعد جهود كبيرة له في تنشيطها⁽⁴⁾، كما غطت تنشيط الشيخ العاصمي لمحاضرة عن التعليم في ناديها، وكونها افتتحت مدرسة لتعليم الناشئة اللغة العربية⁽⁵⁾.

5- نادي الاتحاد الأدبي الإسلامي في مستغانم⁽⁶⁾: ولا ندري من ورائه، ولكن ربما نشأ بدفع من الطريقة العلوية. وقد فكر رجال الدين في الغرب الجزائري في تأسيس جمعية ودادية لأعضاء الديانة الإسلامية يرأسها المفتي المولود بن الموهوب ومعاونة أبي يعلى الزواوي، نظير ما فعله القضاة على يد الشريف بن حبيلس⁽⁷⁾، ولكن فكرة التجميع هذه ستأخر إلى نهاية الأربعينيات.

كما كان بعض رجال الطرق يتوجسون من الرسميين وينازعونهم السلطة الدينية، ففي مستغانم سعى الشيخ الحراق الكريتلي إلى تأسيس جمعية للقيام بشؤون الجامع الأعظم وتنازع مع المفتي الرسمي⁽⁸⁾.
المطلب الرابع: المؤسسات الإعلامية الطرقية.

وأهمها مؤسسات الطريقة العلوية، وهي الطريقة المتأخرة النشأة المحمومة النشاط، واستطاعت أن تنشئ عديد المؤسسات الصحفية والاجتماعية والإعلامية، ومن ذلك:

أولا- المطبعة العلوية: فعلى الرغم من شح المطابع العربية التي كانت تضطر البعض للطباعة في تونس، إذ لم يكن بالجزائر حتى نهاية (1930) إلا خمس مطابع عربية⁽¹⁾. ولأجل ذلك اشترى الشيخ العلاوي مطبعة لطبع

وانظر أيضا: موقع جمعية الشيخ العلاوي للتربية والثقافة الصوفية (<http://www.assoalawi.org>).

(1) محمد بن مرزوق، من عائلة المراقبة المشهورة علميا في تلمسان أيام العهد الزياني، ولد في (21 جانفي 1884) بسبدو، خريج الثعالبية، سافر إلى مالي للتدريس، ثم صار أستاذا بمدرسة الألسن بباريس، ثم عاد وانخرط في القضاء الشرعي، وانتخب عضوا ببلدية تلمسان مرات، كان درقاويا حتى النخاع، ثم صار إصلاحيا، رأس شعبة الجمعية بتلمسان، توفي بمرض السل في (8 أوت 1939)، وقد أبنته الإبراهيمي وصلى عليه الجنازة انظر آثار الإبراهيمي، ج 1 ص 384. جريدة البصائر، ع 180 (25 أوت 1939)، ص 2. مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان، ص 296.

(2) خالد مرزوق ومختار بن عامر، مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان، مرجع سابق، ص 69.

(3) جريدة الصديق، محمد العلمي "جمعية الشيبية الإسلامية، ع 51 (27-2-1922)، ص 2.

(4) لسان الدين، مقال "حادث يستوجب الأسف"، ع 11 (13-3-1923)، ص 2.

(5) لسان الدين، مقال "جمعية الشيبية الجزائرية الإسلامية وأعمالها السامية"، ع 4 (23-01-1923)، ص 2.

(6) سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 315.

(7) النجاح، مامي، "نظرة بعد أخرى"، ع 571 (21-3-1928)، ص 1. رحلات جزائرية، مرجع سابق، ج 2 ص 114.

(8) النجاح، مامي، "نظرة بعد أخرى"، ع 582 (22-4-1928)، ص 1. رحلات جزائرية، ج 2 ص 125. والكريتلي الحراق شاعر صوفي، مدحه سكيرج بقصيدة مطلعها: حركتني لواعج الأشواق—لمديح الكريتلي الحراق. انظر الرحلة الحبيبية، مرجع سابق، ص 162.

ولكن صاحب النجاح قال بأنه تمول، وصار صاحب طريقة ونائبا ماليا ثم أخى عليه الدهر. وانظر المرأة الجليلة، مرجع سابق، ص 297.

صحفه وكتبه⁽²⁾، وقد ذكر "لنغر" أن الشيخ تعثر في البحث عن مطبعة لكتابه "المنح القدوسية" سنة (1908)⁽³⁾، وهو ما دفعه إلى مواكبة العصر وإنشاء هذه المؤسسة الهامة التي لم تنتبه لها بقية الطرق. وكانت المطبعة بمستغانم، ثم انتقلت للعاصمة حيث صدر بها عدد البلاغ رقم (154) بتاريخ (21-2-1931)، وبها طبع أبو اليقظان صحيفة المغرب في أعدادها الثلاث الأولى⁽⁴⁾.

وقد استغرب توفيق المدني من نباهة وتجديدية العلوي الذي قال عنه: "لا أزال في حيرة من أمري ولن أزال، كيف تمكن من إنشاء طريقة صوفية وهو شبه أمي، وكيف كان له سلطان على الناس وهو لا يكاد لا يبين"⁽⁵⁾. ولكن ابن عليوة برّر له بأن إنشاء الطريقة للوقوف في وجه التيار الإباضي الجارف -القصبة ومواخيرها- وقال: "إن هذا الشعب لا ينقاد إلا للدين ولدعاته، إذا ما هم أخلصوا لله عملهم وعرفوا كيف يدعون إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، وقد شاخت الطرق الصوفية القديمة ولم يبق لرجالها ومقدميها من تأثير على الشعب، فوجب تكوين طريقة جديدة صالحة تأمر بالخير وتنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، وهذا ما حاولته فعلا وكان نجاحي فيه كبيرا، وسيكون في مستقبل الأيام أعظم"⁽⁶⁾.

ثانيا-الجرائد والمجلات الطرقية الرفيقة:

عجت الجزائر بعدد الصحف باللغتين العربية والفرنسية في الثلث الأول من القرن العشرين، وقد سبق لهذا النوع الإعلامي أن يظهر في القرن التاسع عشر مع ظهور صحيفة "المبشر" والتي أصدرتها إدارة الاحتلال الفرنسية لغايات التواصل مع السكان المحروبين، ومع مطلع القرن العشرين حاولت النخبة مجارة المنتج الفرنسي بإصدار صحف معبرة عن الأمة وهويتها، وبرز الرجال الأول في هذا المضمار، ومن ذلك: جريدة "فريضة الحج" والتي صدرت سنة (1900)، وعنوانها معبر عن التعلق بالهوية الدينية⁽⁷⁾. وجريدة "الجزائر" والتي أصدرها عمر راسم، والتي توقفت بعد عددين فقط نتيجة العسر المادي والمضايقات الإدارية من الفرنسيين الذين هالهم المولود الجديد، وصحيفة "الهلال" التي صدرت باللغتين في (22-10-1906)، وصحيفة "المسلم" في سنة (1907)، وصحيفة "الإسلام" التي أصدرها "الصادق دندان" في (1908)⁽⁸⁾، وصحيفة "الفاروق" التي أصدرها عمر بن قدور الجزائري في (1913م)، وعنوانها يحيل إلى العدل المفتقد في الجزائر، وعنوان الفاروق إشادة بالأمجاد الإسلامية التي بدأت مع تأسيس الدولة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب، وصحيفة "ذو الفقار" لعمر راسم سنة (1913).

(1) محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، مرجع سابق، ص 20.

(2) الهاشمي بن بكار، مجموع النسب، مرجع سابق، ص 169. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 311.

(3) تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5 ص 312. لانغر مارتن، الشيخ أحمد العلوي، ترجمة موافي، بيروت، دار الكتاب الجديد، 1973، ص 67.

(4) محمد ناصر، نفسه، ص 101، قال وكانت تسمى "المطبعة الإرشادية" بسانت أوجين بالعاصمة.

(5) المدني، حياة كفاح، مرجع سابق، ج 2 ص 109.

(6) المدني، المرجع السابق، ج 2 ص 110.

(7) انظر محمد الصالح أيت علجت، صحف التصوف الجزائرية، مرجع سابق، ص 37.

(8) يسميها مالك بن نبي جريدة الراية، انظر مذكرات شاهد القرن، مرجع سابق، ص 94.

وعناوين الصحف هذه توجي بشدة التعلق بالماضي الإسلامي الذي حاولت فرنسا طمسها بآلاتها التعليمية والتبشيرية والإعلامية. في حين كانت "جرائد الحكومة الفرنسية تسعى إلى إظهار حماية الحكومة الفرنسية للدين الإسلامي، والإعلام بالخدمات التي كانت تزعم بتقديمها للمؤسسات الدينية الإسلامية، وتكفلها برجال الدين الإسلامي: الأئمة والمؤذنون والحزابون والقيمون"⁽¹⁾.

والمهم أن الصحف الطرقية الناشئة حملت همّ الحفاظ على الحصانة الدينية، ولذلك اتسم خطها بهذا الطابع الديني الوعظي البحث، وابتعدت في أحيان عديدة عن الاصطدام بالإدارة خشية المتابعة أو القفز إلى غلق الزوايا أو تعطيل نشاطها، ولكنها في أحيان أخرى أخطأت المعركة حين دخلت في صراع وجدال مع الكتلة الإصلاحية الصاعدة، مع أن بعضها حمل أيضا نَفْسًا إصلاحيا ناقدا للأوضاع الاجتماعية والدينية كما سيأتي. ومن الصحف التي ابتكرها الطرقيون أو أسهموا فيها بقوة ما يأتي:

1- النجاح: أصدرها الشيخ عبد الحفيظ بن الهاشمي سنة (1919)، وهو خريج الزاوية الرحمانية العمرية بطولقة، وهي أطول الجرائد عمرا إذ استمرت إلى (1956)، ويقال إن ابن باديس ساعد في تأسيسها⁽²⁾، وكتب فيها بعض الإصلاحيين، ومنهم ابن باديس، فقد يكتب فيها (خطرات الأسبوع) لمدة سنتين باسم مستعار هو العبسي⁽³⁾، ووجدنا فيها مقالا رائدا عن الوهابية، يمتدح صلابتها وانضباط أفرادها، وأن جيوشهم تشبه جيوش الفاتحين⁽⁴⁾، وتعرضت النجاح لهجوم الإصلاحيين بعد ذلك كما في صدى الصحراء⁽⁵⁾.

والحق أن الجريدة كانت مفتوحة لكل الأقلام، ومعلوم أن مديرها ورئيس تحريرها كانا من المحافظين، وكانت الأقلام الإصلاحية والطرقية في العشرينيات ترمي جميعها إلى النهضة والتحرر من الميراث الثقافي البالي، ولكن جنوح البعض إلى الحدة والغلو، جعل الجريدة تغير خطها قليلا في نهاية العشرينيات مما لم يُرض أنصار الإصلاح، وما جعل العقبي يصب جام غضبه عليها، ويسمّيها "نجاح الطرق"، فكتابها: "انتصبوا للدفاع عن حضرة الطرقيين، والدود عن حياض أولئك الذين دأبهم التجوال لطلب الارتزاق على حساب الأمة، الأمة التي دخلت في ورطة الإشراك من جرائمهم، ضف إلى ذلك الشقاق الذي أحدثوه بين أفراد الأمة، حتى صرت ترى التجاني لا يصلي خلف العزوزي، والقادري يعتقد أن الفريقين في ضلال يتخبطون، وأن لا نجاة إلا بمن تمسك بشيخه"⁽⁶⁾.

(1) ايت علجت، صحف التصوف الجزائرية، مرجع سابق، ص 39.

(2) محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، ص 50. مرحوم علي، نظرة على تاريخ الصحافة العربية الجزائرية، مجلة الثقافة، ع 42 (ديسمبر-جانفي، 1978)، ص 29. وهناك من يقول إنه كان كاتبها فيها لا مساهما. انظر المدني، مقال في الأصالة عدد (أبريل 1975) ص 58. وانتقدها العقبي بكونها مسيرة غير مخيرة في البصائر، ع 26 (7-3-1936)، ص 2.

(3) النجاح، العبسي "خطرات الأسبوع"، ع 172 (12-12-1924)، ص 2. وانظر أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة، ج 2 ص 257.

(4) النجاح، القسنطيني (لعله ابن باديس) "من هم الوهابيون وما هو مذهبهم"، ع 179 (24-10-1924)، ص 1.

(5) صدى الصحراء، ع 10 (2-8-1926).

(6) صدى الصحراء، محمد العزوزي حوحو "الانتقاد الحر"، ع 10 (فيفري 1926)، نقلا عن قوبع، مرجع سابق، ص 134.

ولكن بعض الأقلام فيها كان تحارب البدع، فقد وجدنا تنويرها بعمل إمام سكيكدة الذي أبطل العادات عند ضريح سيدي علي الذيب، وعلقت النجاح ذلك بالاعتداء بالسنة والإمام ابن السعود⁽¹⁾. ولكنها في الثلاثينيات، ظهرت الطرقيين بقوة بعد بداياتها النهضوية، حتى قال فيها العقبي: "النجاح تلك الجريدة المسيرة غير المخيرة، والمشهورة بمحاربتها للأمة في شخص علمائها"، وأما حماني فاتهمها بكونها صحيفة الباشغوات والقياد، وأنها تعيش من الصندوق الأسود الاستعماري، فقال: "ولم تكن نصرتها للزوايا والخرافات والمشايخ إيماناً بهم، واحتراماً لهم، ولكنها قاومت بذلك بوادر النهضة والإصلاح الديني إرضاء للإدارة الاستعمارية وخضوعاً للتعليمات العليا، وبلغت في تطورها حد الإسفاف، وسدرت في غوايتها إلى النهاية"⁽²⁾.

2- الصديق: وهي محافظة إصلاحية بالأساس، وأنشأها وأصدرها أحد رجال بني مزاب وهو محمد بن بكير⁽³⁾ في (12-8-1920)، وتولى تحريرها عمر بن قدور أيام تصوفه التجاني⁽⁴⁾، وحملت شعار "صوت الإسلام بإفريقيا الشمالية"، ومع العدد السابع تولى تحريرها المولود الزيري⁽⁵⁾، وكتب فيها محمد بن العابد العقبي، حتى توقفت في (22-3-1922)، بعد صدور أربعة وخمسين عدداً، وعنيت بالأخلاق والدعوة لمسيرة ركب العلم ومجافاة الخرافات وتحسين الاقتصاد والتشجيع على العمل⁽⁶⁾، وكتب فيها الجميع المحافظون والإصلاحيون، ووجدنا فيه اهتماماً بالغاً بالحوادث العالمية، كما نشرت قصيدة رائدة في الدعوة إلى الإصلاح⁽⁷⁾.

ثالثاً- الصحف الطرقية الخالصة:

وهي الصحف التي بادر إليها الطرقيون لترسيخ المناعة الدينية والمحافظة على التراث الجزائري، والقيام بواجب الدعوة للتخلي بالأخلاق والتمسك بالدين لمقاومة عواصف التغريب والفرنسة التي أتت على المجتمع الجزائري الذي تضعفت قيمه الأخلاقية نتيجة التدمير الممنهج من الإدارة الفرنسية لتفريغها من كل حصانة.

ومن أشهر الصحف:

(1) النجاح، ع 1200 (2-9-1931).

(2) حماني، صراع بين السنة والبدعة، مرجع سابق، ج 1 ص 136. محمد ناصر، نفسه، ص 48.

(3) محمد بن بكير اليزقي، الميزابي، ولد ببني يسقن، شارك في تأسيس أول مدرسة نظامية بتبسة سنة 1913، له رسالة "الدين الخالص"، وأنشأ مدرسة قرآنية بورقلة، توفي (1939)، انظر معجم أعلام الجزائر، ص 44. معجم أعلام الإباضية، مرجع سابق، رقم (805). معجم أعلام الجزائر في القرنين، مرجع سابق، ج 1 ص 388.

(4) كتب افتتاحياتها الأولى، الصديق، ع 1 (12-8-1920)، ص 1.

(5) الصديق، ع 7 (25-10-1920)، ص 1. وتغير كذلك نمط كتابة عناوينها.

(6) محمد ناصر، الصحف العربية، ص 51. مرحوم علي، ن "ظرة على تاريخ الصحافة العربية الجزائرية"، الجزائر، مجلة الثقافة، ع 42 (ديسمبر-جانفي، 1978)، ص 28. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 252.

(7) الصديق، محمد السليماني (فاس) "سوانح الإصلاح"، ع 51 (27-2-1922)، ص 2.

1- الفاروق الثانية (أكتوبر 1920): أصدرها عمر بن قدور الذي صار تجانيا، بعد استقالته من تحرير جريدة الصديق، وكانت مجلة اجتماعية تعنى بالأخلاق" مجلة إسلامية علمية تهذيبية أخلاقية"، وقد صدر منها خمسة عشر عددا، ثم توقفت سنة (1921) (1).

2- لسان الدين: من أوائل الصحف التي أصدرها العلويون، وبرعاية تامة من الشيخ العلوي، وقد صدر عددها الأول في (2-01-1923)، وكانت أسبوعية تصدر كل ثلاثاء، وجعلت هدفها إعلاء كلمة الدين، وترسمت بداية إصلاحية ودعوية تبشيرية بالإسلام، حيث جاء في افتتاحيتها بأنها تبغي تخليص الدين من الشوائب، وتوصيل حقيقة الحنفية الخالصة إلى الأجانب فضلا عن أبناء الملة (2). وجاءت لغتها الأولى جريئة في نقد الأوضاع الجزائرية المنحطة عن أوضاع مثيلاتها في المشرق، متسائلة عن يتحمل السبب في هذا التراجع: "أهم علماؤنا المدرسون، أم مشايخنا المرشدون، أم أغنياؤنا المكثرون، أم أمراؤنا المستبدون؟" (3).

والظاهر أن المبادرة بتأسيسها كان بعد حملة صحيفة النجاح التي أساءت للشيخ والطريقة بعد نازلة ما ورد من إساءة للجناب المحمدي في الديوان (4). وفي تعليق بن بكار أنها جاءت للرد على "أهل الزيغ المفسدين المشوشين المدخلين الشك في عقائد الدين على المؤمنين قبهم الله" (5). والإشارة هنا للإصلاحيين.

وفي مجال الإشهار رفضت كل إعلان لا تبيحه الشريعة، وقد كانت جرائد الوقت مليئة بالدعاية للمحرمات. ولأجل ذلك حملت في أعدادها على مظاهر الانحرافات الخلقية، ونددت ببيوت الفساد المحيطة بالمساجد كمسجد سيدي رمضان بالقصبة. والجامع الأعظم بمستغانم (6). وقد رأس الجريدة مصطفى حافظ الذي يعد من أبرز متصوفة الجزائر، ثم اعتذر عن رئاسة تحريرها بعد العدد السابع، فأوكلت للناشط العلوي الحسن البغدادي منذ العدد السابع حيث قال: "وحيث كان رفيقنا النبيل السيد الحسن بن عبد العزيز متفرغا لذلك فقد خفف علينا حمل هذا الواجب وهو مدير الجريدة" (7). ثم تولى إدارتها صالح بن دمراد إلى أن تعطلت بسرعة في العدد الثاني عشر في (20-03-1923) (8). وكان جملة اهتماماتها الدفاع عن الإرث الصوفي ورموزه المعاصرة، فقد ردت على ما نشرته جريدة النجاح (العدد 83) من تحذير مراسلها ببرج بوعريج لأهل قسنطينة من الشيخ أحمد العلوي، فكان ردودها تترى في تبنة الشيخ من العدد السادس وما تلاه (9). بما ينبئ أن الصراع بدأ مبكرا، وقبل تأسيس الجرائد الإصلاحية.

(1) محمد ناصر، نفسه، ص 43. كتاب الجزائر، ص 459. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 252.

(2) لسان الدين، ع 1 (1923-01-02)، ص 1. وانظر آيت علجت، صحف التصوف الجزائرية، ص 51.

(3) لسان الدين، الافتتاحية، ع 1 (1923-01-02)، ص 1.

(4) بوغانم، الطريقة العلوية، مرجع سابق، ص 193.

(5) بن بكار، مجموع النسب، مرجع سابق، ص 168.

(6) لسان الدين، مسلمو الجزائر وحالهم الدينية، ع 11 (1923-03-03)، ص 1، وانظر آيت علجت، نفسه، ص 57.

(7) لسان الدين، مصطفى حافظ، "اعتذار إلى القراء"، ع 7 في (13 فيفري 1923)، ص 1.

(8) آيت علجت، صحف التصوف الجزائرية، ص 54. محمد ناصر، الصحف العربية في الجزائر، ص 56.

(9) لسان الدين، ع 5 (1923-1-30)، ص 2، ع 6 (1923-02-06) ص 2. ع 8 (1923-2-20)، ص 2، حيث نقلت برقيات ومراسلات من أعيان البرج بتكذيب ما أشيع عنهم من رفض زيارة الشيخ العلوي. وانظر آيت علجت، صحف التصوف الجزائرية، نفسه، ص 59.

كما لم تستنكف الجريدة عن متابعة قضايا العالم الإسلامي، وخاصة قضية الخلافة وتطوراتها، ونقلت بلاغ اعتقال السلطان عبد المجيد بن عبد العزيز منصبها وعزل أتاتورك وجماعته للسلطان محمد السادس⁽¹⁾، وتابعت بعدها نازلة إلغاء الخلافة بتركيا، ونقلت احتجاجات لجنة الخلافة بتونس التي كان يرأسها أحمد توفيق المدني⁽²⁾، واعتبرت المسألة إسلامية لا قطرية تخص الأتراك وحدهم، وقد علمنا أن الشيخ أحمد بن مصطفى العلوي زار تركيا واطلع على الحراك السياسي فيها.

3- البلاغ: صدرت بمستغانم في (24-12-1926)، وكانت أسبوعية، وقالت إنها جريدة علمية إرشادية دفاعية، وكتب فيها أعلام عديدون، وتميزت برصانة مقالاتها، وتعددت اهتماماتها، مع حضور الهم الديني في أكثر صفحاتها، ورأس تحريرها كل من حدوني محمد حتى سنة (1928)، ثم عدة بن تونس حتى سنة (1930)، وكانت تطبع بمستغانم، ثم تحولت إلى الجزائر.

ثم عادت للجزائر أيام رئاسة الأخضر عمروش⁽³⁾ ونابه محمد الشريف أوقري إلى غاية توقفها بعد الحرب الثانية، حيث تعثرت نهائيا في العدد (703) في (19-3-1948)⁽⁴⁾.

كما تنوع كاتبو افتتاحياتها، ومنهم قدور بن أحمد المجاجي، والمولود الحافظي، عدة بن تونس، وغيرهم، ومن الأقلام الناشطة بها عبد الرحمان بوعزيز (والد يحي بوعزيز)، والحسين بن الطاهر الطولقي، وأبي بكر العلوي الفاسي، ومحمد اصطنبولي المداني، وإبراهيم أبي بكر من بريس، وعبد الحق الهاشي وبن صالح محمد الصغير من تلمسان، وعلي موسى العقبي، وحسن محمد بن العربي من بسكرة، وغيرهم⁽⁵⁾. ووصفها المدني بأن "لها برنامج ديني إسلامي وطني"⁽⁶⁾.

وعانت الجريدة من بعض التعثرات، واعتمدت في سدّها على بعض الإعلانات، ولكن موردها الرئيس هو الاشتراكات، والجولات الدعائية التي يقوم بها محرروها في جولاتهم الوطنية، كما تؤكد رحلاتهم⁽⁷⁾. ووجدت رواجاً في المغرب حيث الحاضنة الطرقية كبيرة، والوجود العلوي في الريف أكثر، كما هي شهادات البعض⁽⁸⁾. تعددت المواضيع المطروحة فيها، ومنها قضية التوسل حيث أفسحت الجريدة للمولود الحافظي أن يكتب فيها بما لا يوافق خط العلويين والطرقيين⁽¹⁾. كما كانت تكتب ضد البدع والأضاليل التي يرتكبها بعض الشيوخ والمريدين⁽²⁾.

(1) لسان الدين، مقال "بلاغ من أمير المؤمنين إلى العالم الإسلامي"، ع 7 (1923-2-13)، ص 1. ع 11 (1923-3-13)، ص 1.

(2) لسان الدين، مقال "احتجاج لجنة الخلافة بتونس"، ع 8 (1923-3-20)، ص 1/ ع 9 (1923-2-27)، ص 1.

(3) ولد ببلدة الماين ببرج بوعريج سنة (1891)، تتلمذ للشيخ العلوي، ورافقه في بعض جولاته، ورأسها محمد المهدي فترة وجيزة سنة (1935). انظر محمد ناصر، مرجع سابق، ص 87.

(4) البلاغ، ع 703 (1948-3-19). محمد رشيد رضا، مجلة المنار، مرجع سابق، ج 28 ص 78. آيت علجت، نفسه، ص 111. محمد ناصر، مرجع سابق، ص 87، وجعل توقفها سنة (1943).

(5) آيت علجت، صحف التصوف الجزائرية، مرجع سابق، ص 104.

(6) المدني، كتاب الجزائر، ص 345. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 260.

(7) عيسى بخيتي، في ربوع الجزائر، رحلات طرقية، "سياحة مدير البلاغ"، ج 3 ص 43.

(8) البلاغ، مقال قويدر بن مناد البليدي، ع 22 (1927-5-27)، أضماميم المد الساري، مرجع سابق، ج 1 ص 63.

واهتمت بالجدل الفكري الدائر في المشرق حول قضايا صلاحية الدين للحياة، وهاجمت الأقلام العلمانية والإلحادية، كما هي ردودها على المصري سلامة موسى⁽³⁾. كما هاجمت ما طرحه النخبة الاندماجية، وما تروج له من أفكار إلحادية على بعض الصحف كالنجاح- التي لا خط لها-، وكانت هذه الردود تدبج بقلم الحافظي خاصة، والذي كان ينتقد بشدة الافتراءات المسيحية على الإسلام، وخاصة ما تنشره جريدة الإنجيل التبشيرية⁽⁴⁾. كما لم تستنكف عن التنويه بجهود السلطات السعودية بتأمين الحج⁽⁵⁾، ودعت الناس إليه بعد التعثر الحاصل سنوات الحرب العالمية الأولى.

4- جريدة الحق: أصدرها علي بن موسى العقبي في بسكرة في (1926-4-23)⁽⁶⁾، وشعارها "حب الوطن والاتحاد"، وكتب في بداياتها العقبي وصالح خبشاش، ثم تركوها، وكانت مهتمة بالقضايا الدينية والتحمس لرؤية الطريقة العليوية، فقد دعت الجزائريين للمشاركة في مؤتمر الخلافة بمصر⁽⁷⁾، ودعت الولاية العامة لفتح الحج الذي أغلق منذ (1913)⁽⁸⁾، كما غلب عليها تتبع الأخبار الإسلامية في تركيا والحجاز، والأخبار الدولية أيضا، وحسب مؤرخي الصحافة فقد كانت ضعيفة محدودة، وصدر منها ثلاثون عددا⁽⁹⁾.

وهذا جدول إحصائي تقريبي للجرائد الطرقية والمحافظة في تلك الفترة:

الجريدة	تاريخ الصدور	تاريخ التوقف	الأعداد
الفاروق - الثانية-	أكتوبر 1920	1921	15
الصديق	1920-8-12	1922-3-22	54
لسان الدين	1923-01-2	1923-03-20	12
النجاح	1919	1956	--
البلاغ	1926-12-24	1948-3-19	703
الحق	1926-4-23	--	30

(1) آيت علجت، صحف التصوف الجزائرية، مرجع سابق، ص 69.

(2) المدني، الجزائر، مرجع سابق، ص 460.

(3) البلاغ، ع 196 (1931-1-16) عن آيت علجت، نفسه، ص 86.

(4) انظر آيت علجت، نفسه، ص 87.

(5) البلاغ، ع 17 (1927-4-21)، ص 2.

(6) علي بن موسى العقبي، خريج الزاوية العثمانية، اشتغل بالتجارة، بدأ إصلاحيا وانتهى طريقيا، توفي في (1931)، أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 239. محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، مرجع سابق، ص 86. وأشار إلى خطأ طالب ومرتاض في نسبتها للعقبي. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 262، ونسبها للإصلاحيين.

(7) جريدة الحق، مقال "مسألة الخلافة"، ع 2 (1926-4-30)، ص 2. وع 9 (1926-6-18)، ص 1.

(8) جريدة الحق، مقال "كتاب مفتوح إلى الولاية العامة، وكل من له النظر في الواجبات الدينية"، ع 3 (1926-5-7)، ص 1.

(9) كانت تطبع بمطبعة النجاح بقسنطينة، وحسب محررها فقد ابتدأت طباعتها ببسكرة بعد العدد 15 (1926-9-17).

المطلب الخامس: التراث الأدبي والعلمي للطريقين في العشرينيات.

1- التأليف الخالص: وخاصة كتب ابن عليوة التي عرضنا لها، ولكننا سنقتصر الآن على الكتب ذات الطابع السجالي، والتي تركت آثارها في النقاش الإصلاحي الطريقي، ومن هذه الكتب:

أ- عمر بن قنبر: الإبداء والإعادة في مسلك سائق السعادة، سنة (1928) ⁽¹⁾. ورد فيه على مجلة المنار.

ب- عاشور الخنقي: قصيدة "عصا موسى والأشعرية في هجاء الطائفة العبدوية"، وذكروا بأن أبياتها تنيف عن الألف، وهي في نقد الإصلاح، كما انتقد من قبل المجاوي والمولود بن الموهوب وله في ذمهم الكثير ⁽²⁾.

ج- العربي بن قشوط: كتاب الإرشاد إلى سبيل الرشاد، طبع سنة (1928) وشحنه بالردود على الإصلاحيين، وفيه نقد لبعض الاختيارات الفقهية للشيخ عثمان التوزري صاحب المرأة التي اعتمد عليها الزريبي والعقبي في نقد البدع ⁽³⁾. وكانت صحيفة الإخلاص فيما بعد تروج له على صفحاتها، وتقول بأنه أسهب في الرد على ابن باديس والعقبي وزكي مبارك وأبي يعلى الزواوي ⁽⁴⁾.

د- الشيخ العلاوي: وهو من أكثر الشيوخ المكثرين في التأليف الصوفي، وقد نال الاهتمام من قبل الدارسين المعاصرين له، ومنهم مستشرقون بارزون ⁽⁵⁾، ومن تلك المؤلفات التي أثارت جدلاً ما يأتي:

-رسالة الناصر معروف في الذب عن مجد التصوف، وهي الرسالة التي حازت الحظ الأوفر من النقاش في جريدة الشهاب وغيرها. والظاهر أن الرسالة من تأليف أو إملاء الشيخ أحمد العلاوي، إذ أسلوبه فيها ظاهر، وهي مجموعة مقالات متسلسلة في البلاغ، ثم جمعت وطبعت بالجزائر وتونس والشام ⁽⁶⁾، وكانت رداً على عثمان مكي التونسي، وعلى تقي الدين الهلالي ⁽⁷⁾.

ومما جاء في مقدمتها قول الشيخ ابن عليوة: "هذا أيها الأخ إننا وأيم الله لممن يغبطكم لمكانكم ومكانتكم وهذا لا يمنعني أن نقول لكم أنه يجدر بكم وأنتم أهل الصلاح والدعاة إلى سبيل الإصلاح أن تكونوا على جانب عظيم من الثبوت في النقل ومجانبة أضعف المآخذ، لا سيما وأنتم بصدد إثبات الحجة وتوضيح المحجة كما لا يخفاكم أن الحجة لا تثبت فيما تحاولون إثباته إلا بالمتواتر، والأمر البين الظاهر على أنك لا تنكر أن يوجد بين الناس من يملك حق التمييز بحيث لا ينخدع بنحو خرف المسكوكات ومموهاتها، وأنتم تعرفون أن الناقد بصير خصوصاً في مثل هذا الأمر الخطير الذي ركبتكم متن الوصول إليه بدون ما تتخذون للطريق زاداً ولا لأنفسكم عماداً، وهو الأمر الذي دعانا لتسطير هاته الجمل..... قد كنت أيها الأخ وقفت على ما كتبتموه

(1) نشره سنة (1928)، وقمت بإعادة تحقيقه وإخراج الجزء الأول منه عن دار البصائر سنة (2011).

(2) أشار الإبراهيمي لذلك في رسالته الفكاهية "العزيمة" التي أملاها على الحسن القادري في أفلو سنة (1941). انظر آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 106.

(3) وعليه ردود من أبي يعلى الزواوي، انظر الشهاب، ع 117 (1927-10-13)، ج 3 ص 351، ع 118 (1927-10-20)، ج 3 ص 366، وأعيد طبعه بدار كردادة بالجزائر سنة (2013)، انظر ابن قشوط، كتاب الإرشاد، مرجع سابق، ص 23-25.

(4) الإخلاص، ع 48 (1933-12-13)، ص 14.

(5) مثلاً أوغسطين بيرك له: مقال "المتصوف الحدائي الشيخ بن عليوة" (1936). انظر ذاكرة الجزائر، مرجع سابق، ج 2 ص 573.

(6) أحمد بن مصطفى العلاوي، الناصر معروف في الذب عن مجد التصوف.

(7) نقلت له الشهاب مقالات متسلسلة في عديد من إصداراتها.

بمجلة الشهاب عدد (174)⁽¹⁾ تلك الكتابة التي أخذت لنا صورة معلوماتكم، والتي لم تكن الغاية منها إلا الحط من شرف القوم الصوفية والتنكيل بكراماتهم لتظهروهم للعموم بالصفة التي ذكرتموها من كون الجنيد وعصابته كانوا أخط مرتبةً عند بعض الأئمة من مرتبة الخوارج فضلاً عن حمقهم والخلل الموجود في أقاويلهم وأعمالهم، أهذا ما كنتم تحاولون التعبير عنه وقد أسعفكم الحظ على ذلك، فلم يبق لكم والحالة هذه إلا أن تسمعوا منا نظير ما سمعناه منكم، أو يسمعه غيركم حتى لا يكون ما قررتموه ضربة لازب يقضي على مجد التصوف من أصله"⁽²⁾.

- رسالة القول المعروف في الرد على من أنكر التصوف: واختصت الرسالة بالرد على العلامة التونسي عثمان بن مكي⁽³⁾ في رسالته "المرآة إظهار الضلالات" الذي كان الزريبي والعقبي يستشهدان بها في ردودهما، مما جعل الشيخ العلاوي يدافع عن التصوف وأهله بهذه الرسالة التي كتبها، وأرسل مريده الحسن البغدادي لتونس وعاضده في مهمته مقدم العلاويين بعناية الشيخ حسن الطرابلسي، فقاما بتنزيدها وطبعها بتونس سنة (1921)⁽⁴⁾، وقرظها عبد الحي الكتاني.

ومما جاء في مقدمتها قول الشيخ ابن عليوة: "من كاتبه كثير المساوي عبد ربّه (أحمد بن مصطفى العلوي) من الله عليه بالتوفيق والهمة والمؤمنين إلى أقوم طريق إلى الفقيه المكيّ الشيخ سيدي (عثمان ابن المكي) المدرس بمدينة تونس بجامعها الأعظم زاده الله عمراناً على عمران، وطهره من كلّ متمرّد شيطان، عليكم سلام الله ما كنتم محترمين لأهل نسبة الله {وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ} [الحج: 30] إني كنت قد عثرت على رسالة نمقتموها بقلمكم تسمى (المرآة إظهار الضلالات)، فتناولتها بيد الاعتبار لتصفحها بفؤاد الاستبصار، فعرضني ما فيها ألزمني الفشل وأورثني الكلل فتأسفت بقدر ما استبشرت، لما اشتملت عليه مرآتكم من العضّ وتمزيق العرض، فهي ترمي بشرر كالقصر نحو الذاكرين، وتحطّم بالجهر لحم المؤمنين، وبمناسبة ما اشتملت عليه مرآتكم من الزور، واركتبتموه فيها من الفجور، فطعنتم في أعراض أهل نسبة الله بكلّ لسان وذكرتموهم بكلّ زور وبهتان، فحركتني الغيرة الإلهية والحمية الإسلامية على أن نكاتبكم احتراماً للمنتسبين حيث شوهمتموهم وانتصاراً للذاكرين حيث خذلتموهم"⁽⁵⁾.

- ديوان الشيخ العلاوي: طبع في تونس بإشراف من الحسن البغدادي والحسن الطرابلسي سنة (1920)⁽⁶⁾.

(1) الشهاب، تقي الدين الهلالي "رد الأئمة المتقدمين على غلطات الأكابر وضلالات الأدعياء المنتهين" ع 174 (29-11-1928) ج 4 ص 469.

(2) أحمد بن مصطفى العلاوي، الناصر معروف في الذب عن مجد التصوف، ط1، دمشق، دمشق، مطبعة التوفيق، 1931، ص 3.

(3) المكي الزبيدي، ولد بتوزر سنة (1850)، بها درس وبالزيتونة، ولي القضاء ببلده، ثم التدريس بالزيتونة، وعليه درس العربي التبسي وعمار الأزعر وحمزة بكوشة، والشيخ أحمد نويوات، من آثاره كتاب المرأة، شرح السمرقندية، توضيح الأحكام على تحفة الأحكام، توفي سنة (1931). انظر تراجم المؤلفين التونسيين، مرجع سابق، ج 1 ص 179. النجاح، ع 1189 (22-7-1931).

(4) العلاوي أحمد بن مصطفى، رسالة القول المعروف في الرد على من أنكر التصوف، ط1، تونس، المطبعة التونسية، 1339، ص 76.

(5) العلاوي أحمد بن مصطفى، المرجع السابق، ص 7.

(6) أعيد طبعه في دمشق بإشراف من محمد بن عبد الرحمان التلمساني سنة (1931)، ثم طبع مرة ثالثة بإذن من الشيخ عدة بن تونس في (1937)، وطبع رابعة بعنوان "روضة المحبين في كلام العارفين" في فلسطين. وخامسة بمستغانم سنة (1982). انظر حماني، صراع بين السنة والبدعة، ج 1 ص 203، وقال إنهم حذفوا الأبيات التي انتقدها ابن باديس، وأضافوا أبيات للشيخ محمد البوزيدي، والشيخ عدة بن تونس.

- الشهاد والفتاوي فيما صح لدى العلماء من أمر الشيخ العلاوي: وهو الكتاب المشحون بشهادات علماء الوقت وأتباع الطريقة في الدفاع عن العلاوي واستقامته وعلو كعبه في علوم القوم.

- التهانى والفتاوى فيما صح لدى العلماء من أمر الشيخ العلاوي: إدريس بن محفوظ الدلسي (1866-1934) دفين تونس، وطبع سنة (1924)، ولعل شهادته ضمن الكتاب السابق⁽¹⁾.

- كتب الحسن البغدادي: وهي في مرحلته الطرقية قبل انتقاله للإصلاح، ومنها:

- إرشاد الراغبين إلى ما احتوت عليه الطريقة العلوية من الفتح المبين"، والذي طبع بتونس (1921)، بمطبعة النهضة.

- النجم الثريا في المآثر العلوية" ولكنه مفقود، أو لم يطبع على غير عادة الطريقة في النشر الكثير.

2- الاحتفاء بالردود على الإصلاحيين: وخاصة ما كان يطبع بالمشرق أو بتونس وتركيا والهند ضد الدعوة الوهابية، وقد طارت هذه الردود واستطارت، فمن الردود المغاربية: "الرد على الوهابية" للشيخ صالح الكواش التونسي، والرد على الوهابية" لإبراهيم بن عبد القادر الرياحي التونسي المالكي (ت 1266هـ)، و"الرد على بعض المبتدعين من الطائفة الوهابية" لمحمد بن عبد المجيد بن عبد السلام بن كيران الفاسي (ت 1227هـ). ومن الردود المشرقية: ردود زيني دحلان، "الدرر السنية في الرد على الوهابية"، والصواعق الإلهية في الرد على الوهابية" لسليمان بن عبد الوهاب، و"فصل الخطاب في رد ضلالات ابن عبد الوهاب" لأحمد بن علي البصري الشهير بالقباني (1157هـ)، و"الصواعق والرعود في الرد على ابن سعود" لعبد الله بن داود الزبيري (ت 1225هـ).

المطلب السادس: الاهتمامات والمشاكل الطرقية في العشرينيات.

1- نقد الأوضاع الاجتماعية والثقافية: وخاصة جهود الطريقة العلوية التي بدأت كطريقة إصلاحية مارست النقد الاجتماعي قبل بروز ابن باديس وجمعية العلماء، ومن ذلك ما كتبه ابن عليوة: "فكم هذا والقطر الجزائري متسربلا بالراية الفرنسية متجملا برونقها، والكل يعترف من أنها دولة من أسرع الدول سيرا في سبيل الإصلاح، ومع هذا لم نستفد من ذلك الإصلاح إلا ما نراه كاللزام من عمارة السجون بسفهاننا، والطرقات بأبنائنا الفارغين من أعمال الدنيا والآخرة، ومع هذا فلست بقائل إن الحكومة تعمدت ترك الإصلاح، كلا! إنما أقول: جهلت الطريق الموصلة إليه فأنت البيت من غير باب" (2).

لم يختلف الطرقيون كثيرا عن نقود الإصلاحيين للأوضاع السائدة، وكان تركيزهم ينصب أساسا على حركة الفرنجة والتغريب، والفساد الأخلاقي، والبعد عن الدين، ولذلك أمثلة كثيرة نوجز بعضها:

(1) وهم سعد الله فجعله مستقلا، انظر تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7 ص 134. محفوظ، تراجم التونسيين، مرجع سابق، ج 3 ص 183.

(2) لسان الدين، مقال "كيف نتوخى الإصلاح"، ع 2 (1-9-1923)، ص 1.

أ- الخمر والميسر: فقد كتبت النجاح بقوة عن مظاهر الفساد الأخلاقي في بسكرة⁽¹⁾، وكان ابن عليوة ممن يستثمر ردة الفعل التطهيرية في الولايات المتحدة في تحريم الخمر سنة (1919)، وينوه بذلك في محاربة الظاهرة في الجزائر⁽²⁾.

ب- دور البغاء: شاعت الظواهر المنحطة من الانحلال الخلقي مدن الجزائر وخاصة ذات النشأة الاستعمارية، أو العسكرية، فقد كانت هناك شوارع للبغاء المحمي بالقوانين الفرنسية التي تمنع التعرض للمومسات، بغية تحطيم الحصانة والهوية ومسح المرأة الجزائرية التي اختطفها الفقر والتهجير ومصادرة الأملاك وتشتيت العائلات، ولمزيد من الإذلال فقد فتحت فرنسا دورا للبغاء قرب مقدسات المسلمين، وفي هذا كتبت لسان الدين: "أما الدعارة فقد نشرتها فرنسا كالوباء في كل حي دون مراعاة لحرمة الأوساط العائلية الشريفة، ولا احترام لقدسية الأماكن الطاهرة، حتى بات جامع سيدي رمضان تحيط به بيوت العاهرات إحاطة السوار بالمعصم"⁽³⁾. وقد أشار الإبراهيمي أيام منفاه لذلك في أفلو حتى أنه نصح قائد البلدة بإبعادها عن المسجد⁽⁴⁾. وكتبت البلاغ مقالات عديدة منددة بالظاهرة: "أليس في استطاعة الأمة أن تسعى برؤسائها وخطابائها وزعمائها وصحافتها وخاصتها وعامتها عند حكومتها في تضيق الخناق على إباحة الزنا مثلا، منظما وغير منظم الذي كاد أن يعم السهل والجبال، والكهول والأطفال، وهب أننا لا نستطيع القضاء المبرم على دور العاهرات المنتشرة والمتصقة حتى بأماكن التبعيدات، فنحن على قول الفقهاء: تقليل النجاسة من الواجبات"⁽⁵⁾.

2- العناية بالأخلاق: حملت الطريقة العلوية كغيرها هم استعادة الألق الأخلاقي للمجتمع الجزائري الذي طحنته العاديات الفرنسية، وأشاعت فيه مظاهر الفسق والفجور عن طريق الترويج للخمر والمخدرات والمظاهر السلبية للخنا المرافق للثكنات العسكرية ومراكز اللفي الأجنبي، وما رافق ذلك من حركات التهجير القسري والطوعي الذي شتت العائلات، وجعل البعض منها يمتن البغاء لسد خلة الجوع والمسغبة. وقد حملت مقالات الصحف العلوية النكير على هذه المظاهر المشينة التي تردى إليها المجتمع، فتعرضت لموضوع الخنا قرب المساجد داعية السلطات إلى معاملتها بالمنع إساءة بمنع تلك الدور من القرب من الكنائس⁽⁶⁾، كما هاجمت الطريقة الحركات المعادية كالشيوعية والفرنجة والتجنيس.

3- العوائد الموروثة: وهي التي رافع الطريقون من أجلها، واعتبروها صمام أمان لهوية المجتمع الجزائري، وإن برز منهم أقلام في نقد السيئ منها، وخير قلم كتب في ذلك المضممار المولود الحافظي، الذي كتب سلسلة "العوائد الممقوتة والأحكام الشرعية"، واعتبر العرف الفاسد المصادم للشريعة مرفوضا⁽⁷⁾، ومن الأعراف التي

(1) النجاح، ع 179 (24-10-1924)، نقلا عن عبد القادر قوبع، مرجع سابق، ص 255.

(2) غزالة بوغانم، مرجع سابق، ص 58.

(3) جريدة الثبات، احتجاج سكان الجبل بالعاصمة"، ع 47 (26-7-1935)، ص 3. مريوش، الشيخ الطيب العقبي، مرجع سابق، ص 115.

(4) خالد مرزوق ومختار بن عامر، مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان، مرجع سابق، ص 182.

(5) البلاغ، ع 64 (26-8-1927)، ج 1 ص 210. وأشار مرحوم لظاهرة البغاء ببسكرة، البصائر، ع 150 (27-1-1939)، ص 7

(6) البلاغ، العدد 58 (17-2-1928) عن آيت علجت، نفسه، ص 97.

(7) الشهاب، ع (ذو الحجة 1348- ماي 1930)، ج 6 ص 237.

نالت نقدا قضية منع المرأة من الميراث، كما هاجم الحافظي بعض الأفكار والخرافات مثل القول بوجود ثور تحت الأرض⁽¹⁾.

4- محاربة التنصير: وذلك بالوقوف القوي ضد موجات التنصير الممنهج والمدعوم من الإدارة العلمانية، وخاصة في مناطق القبائل⁽²⁾ حيث كانت الكنيسة الكاثوليكية والمنهجية البروتستانتية نشطة في اجتذاب المغر بهم إلى المسيحية بوسائل عديدة كالتعليم والتكوين المهني، ونشرت البلاغ مقالات عالية في ذلك، مثل مقال شكيب أرسلان "ليس التبشير دعاية دنيوية استعمارية كما يظن بعضنا"⁽³⁾. ولدينا نماذج من بعض المثقفين المنسلخين أمثال الطاوس عمروش وأخوها جون عمروش⁽⁴⁾.

ولذلك وقفت الطرق والزوايا بدعوتها وحتى بطقوسها في الذكر والجنائز والأفراح والموالد والوعيدات والزيارات سدا ضد تسرب النصرانية إلى هاته المناطق، وقد دعا ابن عليوة مشايخ الطرق: "لتجديد مجد الأمة التي لا مجد للأمة إلا بمجدد دينها، ومن لم يستغل نفوذه لهذه الغاية فلا أبقى الله بيده نفوذا" ويستغرب سكوت الشيوخ في الوقت "الذي أصبح الدين فيه غريبا بين أهله مهددا من أعدائه حتى طمع في تنصير أبنائه المبشرون، وفي تشكيك أفراد الملاحدون"⁽⁵⁾.

وكانت هذه الحركة التنصيرية المسلحة بدعم كنيسة روما والإدارة الفرنسية – على الرغم من علمانيتهما- تنكسر مرات ومرات بإسلام بعض المهتدين من النخبة الفرنسية، ويمكن التمثيل هنا بقامة علمية أحدث إسلامها دويا في الأوساط الإعلامية، وهو الصحفي الفنان إتيان دينيه⁽⁶⁾، وقد أبتنه الجزائريون في صحفهم، وأقاموا له حفلا مشهودا في بوسعادة حيث أوصى بدفنه، وآخر بنادي الترقى، وخطب فيهما العقبي خطبا مشهورة⁽⁷⁾.

فبجهود الطريقة ومؤسستها دخل عديد الفرنسيين في الإسلام من المفكرين وغيرهم، ويرجع البعض هذا إلى شيوع التسامح في الطريقة، واقترابها من فكرة وحدة الأديان والحقيقة الروحية، مما جعل البعض ينزها بالماسونية والدعوة للتثليث ودعوتها لمركزية إسلامية مسيحية، كما هو تقرير المستشرق أوغسطين بيرك،

(1) الشهاب، (محرم 1350-ماي 1931)، ج 7 ص 324.

(2) وفي غيرها، ويتكلم مالك بن نبي عن ردة حافظ للقرآن يسمى "الطواطي" صار ممثلا للبعثة الإنجيلية في قسنطينة. مذكرات شاهد القرن، مرجع سابق، ص 100.

(3) البلاغ، ع 195 (9-1-1931)، ج 2 ص 406.

(4) معجم أعلام الجزائر في القرنين، مرجع سابق، ج 2 صص 404-407.

(5) أضماميم المد الساري لصحيفة البلاغ الجزائري، ج 1، ص 183

(6) ولد بباريس (28-3-1861)، وكان أبوه محاميا، شغل بالجزائر وصحرائها، واستقر ببوسعادة، وأسلم سنة (1927)، وأقيم له حفل بالجامع الحنفي تحت إشراف المفتي بوقندورة وتسعى بناصر الدين، وكان لصديقه سليمان بن إبراهيم الجزائر دور في ذلك، وحج سنة (1929) من آثاره: حياة الصحراء، أشعة من نور الإسلام، إضافة إلى عشرات اللوحات الفنية. توفي بفرنسا (21-1-1930). انظر حياة كفاح، مرجع سابق، ج 2 ص 137.

ابن عبد الحكم، المرأة الجليلة، مرجع سابق، ص 325. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 8، ص 415

(7) جريدة الإصلاح، جنازة الأستاذ ديني، ع 11 (23 جانفي 1930)، ص 2، وع 12. مريوش، الطيب العقبي، مرجع سابق، ص 125.

وممن دخل في الإسلام الإنجليزي مارتن لانغر الذي سعى نفسه أبو بكر سراج الدين، والفنان عبد الكريم جوصو، والصحفي عبد الحق تايي صاحب الحق الوهراني⁽¹⁾ الذي كان يلبس العمامة واللباس الجزائري⁽²⁾. وقد عمدت الطريقة العلوية إلى توجيه جهود مريديها ومقدميها إلى مواجهة خطر التنصير في الجزائر، وخاصة في بلاد القبائل التي نجح المبشرون بها ببث عديد المراكز والمدارس، واستقطاب بعض ضعفاء النفوس والمحاييج لديهم، وهنا تأتي الرحلة المهمة للشيخ العلوي في بلاد القبائل وسياحاته المتكررة، وقد ذكرت جريدة النجاح أخبار جولاته: "على أن للشيخ العلوي فضيلة أخرى، وهي إنقاذه لمئات الآلاف من القبائل الذين استحوذت عليهم جمعية الآباء البيض بزواوة والحمامات وغيرها، فنستخلص من هذا أن الشيخ ابن عليوة صاحب طريقة، وأن زواياه كسائر الزوايا، وأن مريديه كسائر المريدين، وأن الشيخ له فضل إنقاذ المغرورين للآباء البيض، وقد أسلم على يده الكثير"⁽³⁾.

ولكن أوغسطين بيرك ينفي النجاح للعلوي في القبائل، فلم تنظم له إلا زاويتا دشرة المقارب ببني يعلى، وزاوية عياض الشاذلية⁽⁴⁾، ولكن هذا غير مسلم، فقد تكاثرت الزوايا العلوية في البرج والجعافرة وغيرها في تلك الأنحاء كما هو الواضح من تقارير جريدة البلاغ وكثرة مشتركها هناك.

5- الاهتمام بالشأن الديني: وخاصة المساجد التي عانت من التقصير والإهمال، ولأجل ذلك كتبت الصحافة الطرقية طويلا في الموضوع كما في مقال "مسلمو الجزائر وحالهم الدينية"، إضافة إلى المفارقة الغربية في الاهتمام بالحزابين وقراءة القرآن، مع عزوف المسلمين عن عمارة المساجد وإقامة الصلاة بإتقان⁽⁵⁾.

وفي رسالة من ابن عليوة إلى أحباب ومقاديم طريقته ببلاد القبائل كتب يحض على عمارة المساجد: "غير أنه في هذا الأخير بلغني ما كدّرني، وللكتابة الجاني، وهو أنّ بعض المساجد في أرضكم تخريب، وهكذا بعض الكتاتيب تعطلت، ولست أدري هل ذلك ثابت أم لا؟ وإن كان ذلك يقع مع وجودكم، فوجودكم إذن والعدم على السواء، وأنتم على علم من إننا ما صحبناكم، وعاهدناكم إلاّ على قيام شرائع الدين، واتباع سنة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا هو العهد الذي قطعناه وقطعتموه مع الله في السرّ والجهر، ومن أوفى منكم بعهد فهنيئا له، ولعشيرته ودائرته، ومن نكص على عقبيه، أو خان ما عاهد الله عليه، فإنّ الله لا يحبّ الخائنين"⁽⁶⁾.

(1) مارسيل كاري، ذكريات الشيخ أحمد بن مصطفى العلوي، مستغانم، المطبعة العلوية، 1987. غزالة بوغانم، الطريقة العلوية، ص 46. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 136.

(2) الشهادت والفتاوي، شهادة مامي إسماعيل، ص 60. النجاح، جولتنا بالغرب الجزائري، ع 133 (16-11-1923)، ص 3.

(3) النجاح، جولتنا بالغرب الجزائري، ع 133 (16-11-1923)، ص 2. آيت علجت، نفسه، ص 95.

(4) بوغانم، الطريقة العلوية في الجزائر ومكانتها الدينية والاجتماعية، مرجع سابق، ص 190.

(5) لسان الدين، "نظرة تقتضي الأسف" ع 9 (27-2-1923)، ص 2. لسان الدين، "مسلمو الجزائر" ع 8 (20-2-1923)، ص 1. وانظر أيضا غزالة بوغانم، نفسه، ص 225.

(6) أحمد ابن عليوة، أعذب المناهل في الأجوبة والمسائل، ط 2، مستغانم، المطبعة العلوية، ص 193، ص 178.

ومن الاهتمامات الدينية للطريقين الرد على دعاوى الحداثة أو العصرية وقراءة التراث بلغة جديدة، كما هي الردود على طه حسين، وزكي مبارك الذي خصه ابن قشوط بنقد كبير لاذع لكتابه "الأخلاق عند الغزالي"⁽¹⁾. ومن ذلك انتقاد جريدة لسان الدين للوفد الفني المصري الذي قاده محمد عز الدين، ومثل مسرحية "مجنون ليلى"، وقالت إن الأولى به أن يمثل عملاً يبرز وجه المقارنة بين ماضي الأمة وحاضرها في الاعتناء بالمساجد وتربية الأبناء وأسباب ذلك الانقلاب، فالتمدن لأخير جعل كل النساء ليلى وكل الرجال مجانين⁽²⁾. توالى الكتابات المبكرة للطريقين بالتحذير من الانغماس في المدنية الحديثة والانهار بمصطلحاتها، فهذا الحسن بن عبد العزيز البغدادي يقول: "اعتمدنا على فكرنا الثمل بحب هذه المدنية، والمدوخ بنشوة الترقى، فانطلقنا سارحين في المذات بلا فائدة ولا زمام، وتفتنا في ارتكاب المعاصي على اختلافها، والموبقات بأصنافها، تقليدا لمن زُين له عمله فرآه كله حسنا برطبه ويابسه، واعتقد عصمة الفكر وحرية العقل"⁽³⁾.

6- الوضع الاجتماعي: اهتم الطريقون كثيرا بنقد الأوضاع المعيشية المتردية للشعب الجزائري، وخاصة عقب الجوائح والمجاعات والفقر الحاصل بعد الحرب الأولى، وقد أسهمت الزوايا في صناعة التضامن الاجتماعي، وكانت ملاذا للفقراء والمعوزين وعابري السبيل⁽⁴⁾، وكانت بمثابة إدارات مدنية موازية، فرضت احترام القرآن والتقاليد، وقرارات الفصل العدلية والصلحية، فالزاوية القاسمية في الهامل استقبلت أكثر من عشرين ألفاً من المشردين بعد مجاعة (1920)، وقامت بجهد مذكور في مناطق الحضنة والтитيري في الحد من عاقيل تلك الخصاصة الكبيرة⁽⁵⁾. وباع الشيخ أحمد بن عليوة داره بمستغانم للصرف على الوافدين والمعوزين أيام الأزمة العالمية نهاية العشرينيات⁽⁶⁾.

ولم تخل الاهتمامات الطرقية من المرأة حيث كانت مقدمات الطرق تعقد اجتماعات دينية للنسوة، وتسمى بالمجامع في الغرب، ويتم فيها تدارس القرآن والأذكار، ودروس التوحيد من العقيدة السنوسية وغير ذلك⁽⁷⁾.

7- الدعوة إلى الجامعة الإسلامية: ومن ذلك قصائد عاشور الخنقي في الإشادة بعبد الحميد والعثمانيين، كما كان ابن عليوة مؤمناً بها وبالوحدة الإسلامية، وقد فسح في صحفه لكتابات الثعالبي وشكيب أرسلان، وعليه اهتم الطريقون برجات العلم في العالم الإسلامي، فنقلوا أخبارهم ومؤلفاتهم، ونعوههم عند الوفاة،

(1) ابن قشوط محمد العربي، كتاب الإرشاد إلى سبيل الرشاد، مرجع سابق، صص 115-178.

(2) لسان الدين، مقال "تصحيح السلامة"، ع 1 (1923-01-02)، ص 2.

(3) لسان الدين، الحسن بن عبد العزيز "تقهرنا الديني"، ع 7 (1923-2-13)، ص 1.

(4) علي مراد، مرجع سابق، ص 76.

انظر بوكسية نفسه، ص 211 / Rapport Autorte-Francaise, 1952, Zaouia D' Elhamel. NN. Op.Cit.

شاهدت في مدينة مجدل عند حي الروانة مطحنة مائية أنشأها مهندس إيطالي لصالح السكان بتمويل من زاوية الهامل، وذكر لنا الشيوخ من آل روان دور الزاوية في دفع المسغبة عنهم بفضل التسيير الحكيم لشيوخها لمواردها من الأحباس والأوقاف. (زيارة صائفة 2017).

(6) البلاغ، ع 26 (1- 1927)، مقال: "إليك بيان الدين الصحيح-يا حضرة العقبي"، أضماميم المد الساري، ج 2 ص 105.

(7) خالد مرزوق ومختار بن عامر، مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان، مرجع سابق، ص 116.

فقد نقلت البلاغ متحسرة نعي العلامة محمد بن جعفر الكتاني المغربي⁽¹⁾. ومن صور ذلك اهتمام العلّوين بالامتداد في الأقطار الإسلامية كفلسطين التي زارها ابن عليوة بعد الشام، وكان بها منتسبون من العلماء للطريقة، ووردت منهم شهاد وقصائد مشيدة بابن عليوة⁽²⁾.

كما ارتفع الاهتمام بوحدة الأمة الإسلامية في مكتوبات الطريقين، فرأينا بعضهم ينادي الفكرة القومية المنافية للدين، وسدعو إلى عدم مجارة الأوروبيين في هذا، لأن الوطنية خطر على الوحدة الدينية، وهي خطوة في انقسام الأمة الإسلامية⁽³⁾.

8- الإشادة بالطرق وشيوخها: وهو الميدان الذي تبارى فيه كتاب وشعراء وأنصار الخط الديني الطريقي، حيث ملئت الجرائد الطرقية بمختلف الأشعار المشيدة بالطرق وشيوخها، ومن نماذج ذلك: -قصائد محمد اللقاني بن السائح، وهو تيجاني إصلاحي، في مدح زاوية تماسين ورثاء شيوخها⁽⁴⁾. -كتاب الشهاد والفتاوي فيما صح لدى العلماء من أمر الشيخ العلّوي (طبع بتونس، 1925).

كما كتب الطريقون في الدفاع عن التصوف وسلفيته وأصاليته كثيرا، ومن ذلك مقال قدور المجاجي: "وحدة الصوفي والسلفي"، ورافع فيه عن أساليب الصوفية في التربية والدعوة والتذكير والسياحة والزهد، معتبرا تقاليدهم التربوية من صميم عمل السلف كالا اجتماع على الأذكار والسماع المعين على الطاعة، وأن البلد الذي استقرت فيه الصوفية تشيع فيها المحافظة والتدين بخلاف من تخلو منهم"⁽⁵⁾.

المطلب السابع: أهم رجالات الطرق الصوفية في العشرينيات.

1- الشيخ أحمد بن عليوة: عرضنا لحياته بالتفصيل في الباب الأول، ولكن الكلام هنا عن أثره في الواقع الصوفي في الجزائر، حيث انتهت إليه إمامة التصوف، واعتبر المرشد الحي لأهل الطريق، وقد جمعت فيه الأشعار والمقالات المشيدة بإمامته، ومما كان يتغنى به أتباعه في هذه الإمامة، قوله⁽⁶⁾:

ولما جاد الوهاب عني بنشرها:----- أهلي للتجريد من حيث لا أدري
وقلدي سيف العزم والصدق والتقى----- ومنحني خمرا فيا له من خمر
فصرت لها ساق وكنت عاصرها:----- وهل لها من ساق سواي في ذا العصر

(1) محمد بن جعفر الكتاني [1857-1927] علامة المغرب، من آثاره: سلوة الأكياس، الرسالة المستطرفة، نظم المتنائر. انظر البلاغ، ع 17 (22-4-1927)، ج 1 ص 220. الأعلام، مرجع سابق، ج 6 ص 72.

(2) البيضاوي، مطالع اليقين في مدح الإمام المبين، ص 62، والقصيدة للشيخ عبد السلام أرشيد، وقد لقي بن عليوة بغزة، والشيخ عبد الخالق الربيعي، نفسه، ص 71، ومحمد فاخرة، المرجع نفسه، ص 73. ومن القدس الشيخ حسين أبو سردانه، نفسه ص 72. ناصر الدين موهوب، الشيخ العلّوي المستغاني، مرجع سابق، ص 139-151.

(3) البلاغ، ع 57 (10-02-1928)، أضماميم، ج 1 ص 212.

(4) نشرت له النجاح قصيدة حائية في مدح محمد العيد شيخ تماسين في العدد 157 (2-5-1924)، ص 3، وأخرى ميمية في العدد 171 (22-8-1924)، ص 3، انظر شعراء الجزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 101.

(5) البلاغ، ع 82 (17-8-1928)، أضماميم المد الساري، ج 2 ص 295.

(6) أحمد ابن عليوة، الديوان، تحقيق عاصم الكيالي، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2006، ص 41.

وقد حمل همّ إحياء الطريق الصوفي ودعا لعودة ريادته، فخاطب مشايخ الطرق: "ما كان يجمل بمثلي... أن ينتصب لتذكيركم وأنتم المذكرون، أو ينتدب لوعظكم وأنتم الواعظون... لولا أن في القوم من فشلت عزائمه، وتضعفت دعائمه، فأصبح يعمل على خلاف ما يطلبه منه المقام الذي لم يكن إلا لمحض التذكير⁽¹⁾. ولأجل عصريته واتخاذ الوسائل الحديثة، وصف بأنه "الطريقي الحديث أو المعاصر" أو من كان يجمع بين الثقافة الإسلامية والانضباط الأوروبي، كما هو رأي مراقبي الطرق في زمانه من المستشرقين⁽²⁾. وكان يريد المقاومة بطريقة صوفية (بالتنظيم الهرمي السري)، ولكن غيره من الإصلاحيين كانوا يرون بأن عهد الطرق قد ولى، وقد زار أصقاعا كثيرة كليبيا وتركيا وفلسطين بعدما حج. اعتبر البعض جهد ابن عليوة آخر الجهود في العودة بالتصوف إلى مكانته، "إلا أن محاولاته لم تشكل أي خلاص للمرابطة،... لأنها فقدت منذ مدة طويلة حركتها الابتكارية، ولما كانت عاجزة على التأثير الفعال في عصرها، فقد أصيبت هي نفسها بأدواء العصر حتى في آخر معاقلمها"⁽³⁾. ولكن هذا القول فيه بعض التجني، فقد استطاعت بعض الزوايا تحديث نفسها والانخراط في الإصلاح من وجهة نظرها دون التطويع بأسسها التربوية، وهو ما نجح فيه ظرفيا ابن عليوة، إلا أن خلفاؤه لم يكونوا بذات فاعليته ورؤيته، ولإدراك فاعلية الشيخ العلاوي في مد الحياة الدينية والثقافية بمكتوباته، فقد استعدنا احصاء لعدد مقالاته وهي⁽⁴⁾:

السنة	الأعداد	المقالات	نماذج
1926-1927	32	36	يريدون أن يجعلوا المتقين كالفجار، كيف نتوخى الإصلاح، القضاء الإسلامي بالقطر الجزائري، هكذا نظموا جموعهم ورتبوا صفوفهم، ثورة الأفكار، الإسلام يطلبنا، هل تسمح لنا تعاليم العصر بالبقاء على الإسلام، الإصلاح ومن الذي يدري معنى الإصلاح، الآثار النبوية أين هي، الإصلاح والمصلحون، الإسلام متبوع وليس بتابع، كتاب من العلاوي إلى أبي يعلى، وفاة مولاي يوسف، إلى علمائنا
1928	22	18	إلى زعماء الأمة ومفكرها، فشو البغاء وضروب المخازي، شأن المرأة المسلمة والسفور، تعليق البلاغ، السم في الدسم، رابطة الإيمان إلى إخواننا أهالي تلمسان
1929	21	18	إلى نواب الأمة، إلى خطباء المساجد، إلى مشايخ التصوف وأرباب الزوايا، إلى أثرياء الأمة، إلى علماء الأمة ورجال الملة، التدريس بمساجدنا وشأن المدرسين.

(1) أضياف المد الساري لصحيفة البلاغ الجزائري، مرجع سابق، ج 1 ص 182.

(2) Berque Augustin. Un mystique moderniste Le cheik Benaliaua. Revue Africain. Vol.79. Année 1936. P691

(3) علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، مرجع سابق، ص 83.

(4) جمعية الشيخ العلاوي للتربية والثقافة الصوفية: الذكرى العاشرة لتأسيس الجمعية، (18-10-2001)، ص 176.

1930	04	04	إننا لمحتاجون إلى بث دعاية إسلامية، شعور الأمة بواجبها نحو دينها وقوميتها، يجب على الأمة أن تعرف المنافقين من أفرادها، أخطار التبشير على العالم الإسلامي
1931	13	13	ليس للتبشير غاية استعمارية، هل أصبح المسلمون على شك من أمرهم، الإسلام يشكو إلى الله شجوه، هل يشعر المسلمون بما يراد بهم، الخلافة الإسلامية،
1933	10	10	هل نستطيع إصلاح ما أفسده الدهر، نهضة الجزائر الإصلاحية، مصيبتنا في بعض علمائنا عظيمة، الأمراض الفتاكة في جسم الإسلام والمسلمين.

2- المولود الحافظي (1880-1948م): ولد ببني حافظ قرب بوقاعة شمال سطيف، وحفظ القرآن والعلوم الأولية، ولظروف قاسية انتقل لتونس للتحصيل، ثم مصر حيث جاور في الأزهر عشرين سنة (1902-1922)، تبرز في علم الفلك والجيب، ثم عاد سنة (1922م)، مدرسا بجمال بني حافظ بالقبائل الصغرى، تتلمذ له كثيرون أمثال الشيخ السعيد اليجري، وعبد الحميد بن حالة، وعبد الهادي الزيتوني، درس الحافظي في زاوية اليلولي، وفي زاوية الحملوي، ثم في المعهد الكتاني بقسنطينة، ونشر العديد من المقالات والفتاوي في جرائد الشهاب والنجاح وغيرها، وكانت له أحاديث إذاعية أثناء الحرب الثانية، ترأس جمعية علماء السنة. له "مثلث الربع المجيب" توفي رحمه الله في (08 فيفري 1948م) ⁽¹⁾.

3- السعيد اليجري: من عرش آث يجر ولد سنة (1873)، درس بزاوية اليلولي سبع سنوات، ومن شيوخه الطاهر القطوسي (1903)، والسعيد بن زكري (1914)، والشريف الإفليسي (1918) الذي أخذ عنه العهد الرحماني، والصادق بن زكري مفتي تيزي وزو (1927)، والسعيد الهلولي، ثم درس بآمالو بأقبو، ودرس بعد (1914) الفقه على يد السعيد بن الحزيري القلي الذي أجازه، وأمضى نصف قرن بالتدريس في مختلف زوايا القبائل، وقد تبحر في علوم القراءات واللغة حتى سمي بقادوم النحو، وهو محافظ إصلاحي، انضم لجمعية العلماء في مكتبها الأول، ثم انسحب إلى جمعية علماء السنة، توفي في (5-10-1951) ⁽²⁾.

4- مامي إسماعيل بن علاوة: بن عبيد بن الولي سيدي شبلي، وهو كرغلي الأصول، ولد بقسنطينة في (18 أكتوبر 1899م)، وبها درس على يد ابن باديس، ثم تونس حيث درس على معاوية التميمي وصادق النيفر وعبد الرحمان القيرواني، ثم عاد منها وأسهم في رئاسة تحرير النجاح، وكان مديرا لها ولمطبعتها، واتسم بالنجاح في أعماله الصحفية، حيث استمرت الجريدة قرابة نصف القرن، كما أسهم في جريدة الصديق ثم الإقدام ⁽³⁾، اشتهر بتقاريره الصحفية ورحلاته، وكان قريبا من رجال السلطة والمال، توفي في قسنطينة (23-1-1958).

(1) انظر ابن عبد الحكم، المرأة الجليلة، ص 415. محمد الصالح الصديق، أعلام من المغرب العربي، مرجع سابق، ج 1 ص 342. محمد الحسن فضلاء، من أعلام الإصلاح في الجزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 75. معجم أعلام الجزائر في القرنين، مرجع سابق، ج 2 ص 51.

(2) من أعلام المغرب العربي، ص 450. من أعلام الإصلاح في الجزائر، ج 1 ص 80. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 62.

(3) أشارت جريدة لسان الدين إلى إنشاء مطبعة الإقدام في عددها الأول الأول في (02-01-1923)، ص 2.

5-قدور بن أحمد المجاجي:(1894-1951م): ولد بمجاجة، ودرس في زوايا سهل الشلف، ومعسكر، ثم بزاوية بن عليوة بمستغانم، أين صار من مدرسيها، ومن كتّاب جريدة البلاغ المرموقين، وله ردود عديدة على الإصلاحيين⁽¹⁾.

6- عبد القادر بن عودة بن الحاج محمد بن قارة مصطفى، (من سلالة سيدي عفيف)، ولد بمستغانم (1862)، درس بجليزان، وغيرها، وتلمذ للعربي الفريقي والمداحي العكرمي، وقدور بن سليمان والشيخ الميسوم، ثم عاد لمستغانم مدرسا وواعظا، وإماما للجامع الأعظم سنة (1889)، له مؤلفات عديدة، منها: نيل الأمان في شرح عقد الجمان لنظم فتح الرحمان لشعيب الجليلي، قرة الأعيان في آداب تلاوة القرآن، حتمية الأنوار المحمدية النهائية، جواز دفع الزكاة لآل البيت، وغيرها، عزل عن الإفتاء والإمامة سنة (1943)، و توفي في (14-02-1956)، ودفن قرب ضريح شيخه قدور بن سليمان، وأبنته الطيب المجاجي ومفتي مستغانم أحمد بن هني، ومصطفى بن زيان مفتي تيارت، والهاشمي بن بكار مفتي معسكر، والمهدي البوعبدلي مفتي الأصنام والشيخ مصباح حويدق مدير مدرسة التربية والتعليم⁽²⁾.

7- أبو عبد الله البوعبدلي: سليل أبي عبد الله المغوفل دفين واد ارهيو، ولد ببني خلاد نواحي تلمسان سنة (1868) ودرس على يد شعيب الجليلي وغيره، ثم بالمغرب، وبعد عودته أسس مدرسة بقرية المناصرة قرب سيق، ثم أنشأ معهدا علميا ببطيوحة حوالي (1903)، أخذ الطريق الشاذلي عن قدور بن سليمان المستغانمي، وعن الشيخ محمد بن الشرقي العطافي، وكان درقاوي المشرب.

ترك ديوانا شعريا صوفيا نُشر الكثير منه في الجرائد الطرقية، حضر تأسيس جمعية العلماء وكان عضو مكتبها الأول، ويقال بأنه رُشح لرئاستها، ولكنه استعفى، ثم تركها، وتوفي سنة (1952)، وهو والد الباحث المهدي البوعبدلي⁽³⁾.

من آثاره: تاريخ الأنبياء المختصر، تاريخ الأنبياء المطول، مقصورة الحسن والبهاء، منظومة في الفرائض، نظمها عام 1325هـ، بها (169 بيت)، شرح مقصورة الحسن والبهاء، رسائل في النحو والصرف والتصوف⁽⁴⁾.

8- القاضي عبد الله حشلاف⁽⁵⁾: ولد سنة (1872) ببوقيراط قرب مستغانم، حفظ القرآن ونال العلوم الأولى ببلده، ثم رحل إلى الزيتونة، وتخرج منها سنة (1908)، وكان يتردد على تونس لطبع كتبه هناك، حيث قلده باي تونس نيشان الافتخار سنة (1926)، مارس القضاء بالجلفة، وتوفي في (617- 1937).

من آثاره: سلسلة الاصول في شجرة أبناء الرسول، وطبع سنة (1929)⁽⁶⁾، بهجة الأنوار في نسب آل البيت النبي المختار، الروض المطرب في معرض المغرب، الفصل القول في جواز زيارة الأولياء الكمل، (1926)، أسرار

(1) انظر بوغانم، نفسه، ص 125.

(2) انظر المرأة الجليلة، ص 400. النجاح، ع 4387 (14-3-1956). تعريف الخلف، مرجع سابق، ج 2 ص 157.

(3) المرأة الجليلة، مرجع سابق، ص 320. ونشر ديوان الشيخ بوعبد الله البوعبدلي، في تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011.

(4) مجموع النسب، ص 169. ونعته جريدة المنار، ع 13 (12-12-1952)، ص 3.

(5) انظر المدني، كتاب الجزائر، ص 95.

(6) تاريخ الجزائر الثقافي، ج مرجع سابق، 7 ص 148 و ص 329. المدني، الجزائر، مرجع سابق، ص 98.

الوهاب في حقيقة الكسب والاكتساب، زبدة التوحيد في الخروج من التقليد، والإرشاد في تجديد العهود والأوراد، الشرف المصون في ثبوت نسب آل كنون، القول والدليل في نسب الشريف سيدي أبي دجيل، والروض العاشق في شمائل ابن بلمشري الصادق.

9- محمد العربي بن عبد الله شنتوف المعسكري (1857-1930) ⁽¹⁾: صوفي درقاوي له من المؤلفات:

-تعطير الأنفاس لإخواننا من أهل فاس ⁽²⁾، دافع فيه عن التصوف والشطح.

-الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى الحجاز ⁽³⁾، وله أيضا "العقد الصحيح المنتظم في التوحيد" و"نور الإنسان في الرحلة إلى الغوث بتلمسان"، ولأبيه ديوان "الحلل الفردوسية في نظم قطب الغريسية".

10- الأكل أحمد بن يحي الأمين: ولد بالعاصمة (1906)، وبها تلقى العلوم الدينية على يد الشيخ محمد البوزيدي وعلى مشايخ الثعالبية منهم ابن سماية والحفناوي. تولى منصب "باش موقت" بالجامع الكبير، وكتب في المبشر، وشارك في إذاعة الجزائر في حصّة الأفكار، كما كتب في صحف مختلفة، وهو من مؤسسي جمعية الموصلية للموسيقى الأندلسية، من آثاره "روح السعادة وسر الشهادة في الحسنى وزيادة" الذي ألفه سنة (1925)، ودعا فيه إلى النهضة وتبني العلوم العصرية، والإسلام والرقى، وقرظه كثيرون أمثال ابن سماية والحفناوي، ومحمود كحول، ومصطفى فخار، وتوفي (1979) ⁽⁴⁾.

11- الطيب المهاجي: (1882-1969)، أصيل مرتفعات القعدة بمعسكر، تتلمذ بزواياها وبندرومة، ثم استقر بوهـران (1910)، وقام بنشاط كبير للتعليم وتغيير العادات، وأسس مسجدا هناك، مباشرة التدريس مع أخيه عبد القادر، التقى في الحج أحمد الشريف السنوسي، من مؤسسي جمعية العلماء، والمشرفين على مدرسة الفلاح، له "أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي والحاضر" في منعه من تجربة السفر لمصر وإجازات شيوخه له ⁽⁵⁾.

وكان رئيسا للجمعية الدينية بوهـران التي أسست مدرسة الشريفة التي أدارها باقتدار، وكانت من المدارس الأصلية النموذجية.

12- السعيد أبهلول الورثاني: ولد (1859) بقرية "ألموتن" قرب بني ورثان، وبها درس على والده، وعلى الشيخ يحي حمودي، وابنه عبد الله، وعلى يد الإحريزي السعيد بن عبد الله إمام مسجد سيدي الصوفي ببجاية، الذي أجازته سنة (1298هـ)، ومحمد القاضي الصدوقي، والشيخ أحمد بالرحاب ⁽⁶⁾ المنكوب في ثورة المقراني،

(1) بن بكار، مجموع الحسب والنسب، مرجع سابق، ص 180. ابن عبد الحكم العطافي، المرأة الجليلة، ص 308.

(2) نشره صلاح الدين نعوم، دار المجدد، سطيف، 2019.

(3) حققه مخلوف ميلود، وطبع (2011) في تلمسان عاصمة الثقافة لإسلامية.

(4) شعراء الجزائر في العصر الحديث، ج 2 ص 205. المرأة الجليلة، ص 413. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7 ص 169. مرجعيات جمعية العلماء، ج 2 ص 35. أبحاث وأراء، ج 2 ص 352.

(5) انظر بعضا من ذكرياته في كتابه "أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي والحاضر"، وهـران، الشركة الجزائرية للطبع والأوراق، د.ت. وانظر ركيي عبد الله، القصة القصيرة في الأدب الجزائري المعاصر. المرأة الجليلة، مرجع سابق، ص 319. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 455. وهو والد أول شهيد من الطلبة وهو بلقاسم زدرور -مترجم بيان أول نوفمبر للعربية- رحمه الله.

(6) أحمد براحاب من أولاد جلال: أخذ عنه ختمة المنطق بشرح قدورة للأخضري، انظر فضلاء، من أعلام الإصلاح في الجزائر، ص 31.

كما حضر بقسنطينة على حمدان الونيسي والمجاوي وعاشور الخنقي وابن مهنا الذي تأثر به كثيرا وأورد نقوله في رسائله "الرد على العوام" و"الدين النصيحة"، ودرس في زوايا كثيرة منها: زاويتي بقندورة وابن سعدان بالشرق، وزاوية بوقشابة بعنابة، وزاوية فريحة الساحلية، ومسجد الحسين الورثلاني وسيدي عيش، وتلمذ له الفضيل الورثلاني والهادي الزروقي، وأمقران الغزالي، وترك من المؤلفات: الرد على العوام، الدين النصيحة، شرح همزية البوصيري، فتاوى مختلفة، وتوفي سنة (1945)⁽¹⁾.

13- الحسن بن صالح بن الموفق القسنطيني: وكان ووالده من مؤيدي الفكرة الطرقية ومادحي الطريقة العلوية⁽²⁾.

14- الشيخ بلقاسم طعيوج (ت 1932): أصيل منطقة بني وردزين بجيجل، هاجر أجداد إلى وادي الزناتي بعد اصطدامهم بآل بن حبليلس الموالين للفرنسيين، درس على يد محمد السعيد السحنوني في بني وغيليس، وفي معهد سيدي معطي الحركاتي بعين البيضاء، وهناك أجازه المكي بن عزوز، كما درس على يد حمدان الونيسي الذي أجازه سنة (1909)، وهو رحمانى معتدل، من آثاره: "السيف المسلول الرباني في ضرب عنق من ابتدع في الطريق الرحمانى"، ورسالة في الذكر الجماعي⁽³⁾.

15- عمار بن أحمد العطوي مهري: ولد سنة (1887) بالحروش، ودرس على حمدان الونيسي الذي أجازه في الشرعيات والرياضيات واللغة⁽⁴⁾، كما درس على يد أحمد الحبيباني، وتطوع بمسجد الخروب سنة (1911)، ثم ترسم إماما لمسجد واد الزناتي سنة (1926)، وكتب في الفاروق، وأسهم في نهضة علمية كبيرة بوادي الزناتي إلى أن توفي سنة (1933)⁽⁵⁾. وخلفه ابنه المولود مهري المتوفى سنة (1994)، والد السياسي عبد الحميد⁽⁶⁾.

16- الشيخ عبد الرحمان بن العقون: شيخ زاوية وادي الزناتي⁽⁷⁾.

17- محمود بن المظماطية: (1881-1952) إمام مسجد سيدي عفان بقسنطينة، ومقدم التجانية بها، له عشرات المؤلفات التي تجاوزت المائة منها: سفينة السكينة بتراجم كبراء التجانيين بقسنطينة، غرائب البراهين في مناقب صاحب تماسين، النكت الشريفة في تعاريف الشريعة والحقيقة⁽⁸⁾.

(1) انظر فضلاء، السعيد أهلول الورثلاني، مرجع سابق، ص 13-27. الحسن فضلاء، من أعلام الإصلاح في الجزائر، 1 ص 35.

(2) عبد الله البيضاوي، مطالع اليقين في مدح الإمام المبين، مرجع سابق، ص 28، وصالح بن الموفق صاحب كتاب "القول المصيب في علم الفرائض"، ووالده: صالح بن عبد القادر بن الموفق (1332هـ-1914م): شرح السنوسية. كما شرح الجوهرة للقاني. انظر شغيب، أم الحواضر، ص 326. بشير ضيف، فهرست معلمة التراث الجزائري، ص 23. محمد بسكر، أعلام الفكر الجزائري، مرجع سابق، ج 1 ص 289.

(3) علي أمقران، "المعهد السحنوني"، مجلة سيرتنا، قسنطينة، معهد العلوم الاجتماعية، ع 5، السنة 3، 1981، ص 74. لحسن بن علجية، الشيخ حمدان الونيسي، مرجع سابق، ص 158. يسلي مقران، الحركة الإصلاحية ببلاد القبائل، ص 82. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7 ص 61.

(4) رثي شيخه حمدان عند وفاته بمجلة الفاروق لعمر بن قدور، ع 9، (1920-12-17)، بن علجية، نفسه، ص 147.

(5) عبد الرحمان بن العقون، مذكراتي، الجزائر، منشورات دحلب، 2000، ص 125.

(6) بوصفصاف، معجم أعلام الجزائر في القرنين، مرجع سابق، ج 2 ص 614.

(7) عنه انظر رحلات طرقية، مرجع سابق، ج 3 ص 172.

(8) محمد الحجوجي، فتح الملك العلام بتراجم بعض علماء الطريقة التجانية الأعلام، مرجع سابق، ص 523. بن علجية، نفسه، ص 72.

18- الشيخ عبد الحفيظ الهاشمي: ولد بطولقة سنة (1892)، وتخرج من زاويتها، ودرس بالزيتونة، أسس جريدة النجاح سنة (1919) تسمى مفتيا بعناية ثم قسنطينة، وأسهم في الصحافة والحراك القلمي بين الطريقين والإصلاحيين، توفي سنة (1973) ودفن بطولقة⁽¹⁾.

19- أحمد التجاني بن العيد بن سيدي الحاج سالم: ولد بالبياضة بوادي سوف سنة (1901)، درس بسوف ثم بالزيتونة، وعاد إلى وادي سوف، وقد سجن مرات سنتي (1926-1927) بحجة تهديد النظام الاستعماري وبث الفوضى والإخلال بالنظام، واستمر في دعم الحركة التعليمية للزوايا التجانية، وتوفي شهيدا سنة (1957).

20- ابن كابو بلقاسم: بن الطيب بن عبد القادر، المنتسب لعلي بن سعد دفين غريس، ولد سنة (1863)، وتوفي بوهران سنة (1953)، أخذ عن الشيخ معاشو خليل، ودرس عند الشيخ محمد بن دبددة والشيخ مصطفى بن أحمد المهاجي، وعن علي بن عبد الرحمان الطريقة التجانية، وقد حجّ، وسجن هناك بعد خلافات مع الوهابيين، إلى أن أطلق سراحه فرحل إلى الشام، وأجازه يوسف النهاني ببيروت، واتصل بالشيخ أبو عزيز العمري الجزائري المدني، والشيخ شعيب قاضي تلمسان، وأجاز واستجاز من عبد الحي الكتاني، والتقاءه سكيرج في رحلته⁽²⁾.

21- أحمد بن الحاج العياشي سكيرج (1877-1944م): عالم مغربي فقيه صوفي على المشرب التجاني، ولي نظارة الأوقاف والقضاء، وخطب أول جمعة في مسجد باريس (1926م) له أزيد من مئتي مؤلف منها: كشف الحجاب عمن تلاقي مع التجاني من الأصحاب، جنابة المنتسب فيما نسب للشيخ سيدي أحمد التجاني بالكذب، رفع النقاب، الرحلة الحبيبية الوهرانية، اليواقيت الأحمدية العرفانية في الأجوبة عن بعض الأسئلة في الطريقة، الذهب الخالص في محاذاة كبرى الخصائص، تنوير الأفهام بختم تحفة الحكام، ونصيحة الإخوان في سائر الأوطان، نور السراج في شرح إضاءة الداج، تنبيه الإخوان في الانفراد بالطريقة التجانية، سبيل الرشاد في المحاوراة بين ذوي الانتقاد والاعتقاد، نيل الأمان في الطب الروحاني والجثمان المروي عن الشيخ سيدي أحمد التجاني، السر الرباني في رد ترهات ابن مايابي العاني، عقد المرجان الموجه إلى الشيخ محمد بن سليمان، -تنبيه الإخوان على أن الطريقة التجانية لا يلحقها إلا من له إذن صحيح طول الزمان ولا يصح تلقينها عمن يلحق غيرها من الطرق، الإيمان الصحيح في الرد على مؤلف الجواب الصريح، الصراط المستقيم في الرد على مؤلف المنهج القويم، الحق المبين في انتصار التجانيين على علماء القرويين⁽³⁾. وأهميته في كونه مشاركا في الجدل داخل الجزائر بين التيارين، حيث زار الجزائر مرارا وتكرار في مناسبات مختلفة.

22- حسن بولحبال: (1897-1944م) ولد بخنشلة، وهو من نواحي بني يدر بجيجل، ولد لأب قاض شرعي، ودرس بالكتاب، ورحل إلى تونس في (1909) ثم عاد معلما بعد خمس سنوات قضاها في التحصيل، حيث بقي

(1) انظر شغيب، أم الحواضر، مرجع سابق، ص 343. المرأة الجليلة، مرجع سابق، ص 418.

(2) سكيرج، الرحلة الحبيبية الوهرانية، ص 113. المرأة الجليلة، ص 315. وله إجازة بقراءة عاصم. نفسه، ص 318.

(3) انظر ابن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، مرجع سابق، ص 179. محمد الراضي كنون، رسائل العلامة سكيرج، ج 1 ص 11-20.

في باتنة سنوات الحرب الأولى (14-18)، حيث توفي والده في نهايتها، ثم بخنشلة سنوات (18-24) حيث أسس مدرسة مع بلقاسم شرقي، وتوقفت بمصادرة وكيد من الولاية العامة، ثم عين البيضاء (24-31) وهناك لقي الخضر حسين، وابن باديس أثناء زيارته⁽¹⁾، وكان تزهو بعالمها محمد العربي بن قشوط، ولي قضاء بجاية عشر سنوات (31-41) حيث أنشأ مدرسة الحياة الموازية لمدرسة الهادي الزروقي الإصلاحية، ثم وهران خلفا لمفتيها بن خليفة الحبيب بن مالك حتى وفاته. من آثاره: المحلى المحلى في مشروعية الخروج للمصلى، نبراس الحقيقة في أدعياء العلم والطريقة، ديوان شعري، رسائل وفتاوى فقهية⁽²⁾. ومما يفيد استفادته من عاشور قوله:

سأذكر منك يا عاشور--- رأيا غدوت به لكم أبدا مدينا
وأحفظ فيك ود أبي قديما--- وأشرف لهم كنت اليمينا
ولكن حال دون القول سقم--- وفكر حزنه أولاه ليينا
فهل يرضيك من مدحي قليل---- وقد علمتنا نظم المئينا
ولم رام المناصب لم تفتته----- ولكن قد أبى ذلا ومينا

وقد نشرتها جريدة الإصلاح⁽³⁾ الإصلاحية رغم اعتذارها المرة الأولى، وكتب بولحبال: "أرسلت هذه الرثاء إلى العقبي، فأبلى إدراجها لأنه في الشيخ عاشور، ولم ندر ما فعل عاشور؟ وهل هو إلا شاعر عالم، وهب أنه كافر، أليس نراهم يمدحون الكفرة؟. وردت الإصلاح بقولها: "ننشر هذه القصيدة، ونحن نعلم أنها ضد أفكارنا، وأن الممدوح بها كان من ألد خصومنا المناقضين لنا، وقد بلغنا أن "عصاه" التي أسماها: "عصا موسى" هي ضد الفكرة الإصلاحية وفي هجو المصلحين، مما كان عليه ناظمها من تلك الأفكار التي نرجو ذهابها بذهاب حاملها إما إلى الجنة، إما إلى النار، وقد نشرنا هذا الرثاء في مدح هذا الشيخ الشاعر حملا بحرية النشر أولا، وجبرا لخاطر الشيخ حسن اليدري ثانيا، فعساه يرضى بهذا، ويرضى عنا بعده فريق المصلحين".

المطلب الثامن: الفرنسيون والطرق الصوفية في العشرينيات.

لم تكن عين الاستعمار بعيدة عن حراك الطرق في هذه الفترة، فقد استمرت سياسة لإضعاف لما يسمى بالإسلام الجزائري عدو الحداثة والعلمنة، ولأجل ذلك ظلت جهود الزوايا محدودة، وعملها روتيني مراقب، وهي مزاحمة من زوايا ومراكز الفلكور والخرافة، وضعف الموارد وقلة المداخل أفسدت سيرة بعض الشيوخ، وجعلتهم محل التنذر والنبر.

ولم تكن الطرق الصوفية على الونام دائما، وكانت الإدارة الفرنسية تذكى شعار الزعامة الروحية بينها، ولم تكن تونس القريبة بمنأى عن ذلك، فالصراع التجاني القادري بالوادي كان له نظيره بالجريد التونسي، كما

(1) النجاح، ع 1475 (10-30-1941). آثار ابن باديس، مرجع سابق، ج 4 ص 303.

(2) انظر شعراء الجزائر، ج 2 ص 121. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3 ص 157. مقدمة المحلى لعبد الرحمان دويب. ابن عبد الحكم، المرأة الجليلة، مرجع سابق، ص 420. معجم أعلام الجزائر في القرنين، ج 1 ص 545. عبد المالك مرتاض، معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين، الجزائر، ط 1، هومة، 2007، ص 325. واستغرب إدخاله في الشعراء لأنه لم يجد له إلا قصيدة واحدة "مناجاة القمر" في ديوان السنوسي.

(3) جريدة الإصلاح العدد 9 (1929). 26 جانفي 1929. انظر مقدمة عبد الرحمان دويب على كتاب بولحبال "المحلى في مشروعية الخروج للمصلى، (ذاكرة الجزائر)، مرجع سابق، ج 4 ص 64.

ذكر ذلك المدني في حكايته عن الاستعداد للعمل الثوري بتونس عقب الزلاّج وفي إبان الحرب الأولى (1915) حيث أشار على المدبرين الأوائل: "أما إن قام معكم القادريون وحدهم فسيلقون مقاومة عنيفة من التجانية، وإن قام معكم هؤلاء فسيجدون كل المقاومة من الآخرين وإذا لا ينجح العمل"⁽¹⁾.

تعدد الموقف الفرنسي واختلف تجاه الطرق، فقد كان يجري البعض، ويتوجس من البعض، والكل تحت المراقبة الدائمة للمكتب العربي وإدارة الشؤون الأهلية. فالطريقة العلوية الحديثة النشأة كانت تحت المراقبة، وقد تعرضت للتضييق في أحيان، إذ منعت من فتح زاوية جديدة في العاصمة، حسبما تفيد شكاوى الشيخ أحمد العلوي للوالي العام للجزائر من عدم الترخيص لمريدي الطريقة بفتح زاوية يجتمعون فيها للذكر، على الرغم من كثرة مراسلاته، على الرغم مساعي الشيخ وأتباعه الحثيثة لدى الجهات المعنية لمدة تسعة أشهر، مما دفعه إلى اتخاذ مقر الزاوية غير المرخص لها⁽²⁾.

ولذلك فإن نهاية العشرينيات تمثل بداية انحسار للطرق الصوفية في مقابل الحركة الإصلاحية الصاعدة، وكذا النخبة الحديثة المتفرنسة، وهي وإن استطاعت البقاء والاحتفاظ بمؤسساتها فإنما ذلك لقوة الحضور الديني في المجتمع الجزائري الذي لم يسلم بسهولة في الميراث الأدبي والرمزي لمن قادوا مسيرته الدينية طوال خمسة قرون. ويرجع جوليان أسباب الانحسار الطريقي للآتي⁽³⁾:

- اشتداد الحركة الإصلاحية، وترأسهم للاتجاه العربي الإسلامي.

- التحاق أتباع الطرق بالخدمة العسكرية وانفتاحهم على الحياة العصرية، وتفسخ أفكارهم القديمة.

- الهجرة إلى المدن، والتي جعلت المريدين يتأثرون بالحياة المعاصرة وينقطعون عن تعاليم الطرق وضغطها.

ويضيف علي مراد سببا آخر وهو نتائج المساندة غير المشروطة لفرنسا في الحرب العالمية الأولى⁽⁴⁾.

كانت النتيجة الأبرز في نهاية العقد هو تراجع الطرق عن هيمنتها الماضية، ولكنه يجب التسجيل بأن بعضا من التغير الفكري قد طرأ على برامجها مثل الدعوة إلى الاعتدال ونبد البدع وتخالف الطرق، وفي هذا المضمار دعا سكيرج التجاني: "بعض المنتسبين للطرق قد صدرت منهم منكرات لا يحل السكوت عنها، ويتعين علينا التنبيه عليها حتى يعلم الموفقون من المريدين فمن ذلك وجود العداوة والبغضاء بين بعض أهل الطرق مع التنافس فيهم بينهم.... ومنها ما يصدر من بعض الطرق مما لم يكن من الدين في شيء مثل الرقص على الدفوف والمزامير... ومنها بعض المنكرات مثل اختلاط الرجال بالنساء في المحافل... ومنها المبالغة في تعظيم أولاد الشيوخ ومن ضاهاهم من المقدمين..."⁽⁵⁾.

(1) المدني، حياة كفاح، مرجع سابق، ج 1 ص 140.

(2) غزالة بوغانم، الطريقة العلوية في الجزائر، ص 251. أحمد بن مصطفى العلوي، أعذب المناهل، مرجع سابق، ص 163. وأشار تقرير لصحفي فرنسي بأن المفاتي اشتكوا بآبن عليوة وأتهموه بالشيوعية، انظر حماني، صراع بين السنة والبدعة، مرجع سابق، ج 1 ص 324.

(3) جوليان، إفريقيا الشمالية تسير، ص 93 عن بوصفصاف، نفسه، ص 258.

(4) علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية، مرجع سابق، ص 77.

(5) البلاغ، سكيرج "النصح التام للخاص والعام"، ع 46 (1927-11-25)، أضماميم، مرجع سابق، ج 2 ص 67.

وفي المجال ذاته تأتي نقود قدور المجاجي لبعض انحرافات الطرق الصوفية وبدعها وعقبت البلاغ مشيدة بذلك قائلة: "حتى عاد في عصرنا لفظ التصوف أثقل على اسماع الكثير من الحديد، وأبرد من الجليد، أما التلطف به فيعدونه سيئة وذلك لما تراءى لهم على الكثير ممن ينتمي لهذه الطرق من المخالفات الشرعية"⁽¹⁾.

وفيدنا استعارة تقييم الواقع الطرقي بتقييم سعد الله للهجة العنف لدى الزريبي: "ضد مشايخ الطرق الصوفية والخرافات، لأنه ظن أنهم يصدرن في أفعالهم عن تلقائية وحرية، والواقع أن السياسة الفرنسية هي التي أوصلت إلى ذلك الواقع المتجمد، وكانت هي المستفيدة منه بالدرجة الأولى، فالمشايخ (المرابطون) كما يسميهم الفرنسيون قاموا بدور فعال قبل (1890) ثم أخذوا يتقهقرون كما تقهقرت مؤسسات المجتمع الأخرى مثل الأجواد والأعراش والحضر والقضاة والأشراف حسب تخطيط اتبعه الفرنسيون منذ الأربعينيات من القرن الماضي، حقيقة أن الفرنسيين أبقوا على بعض الزوايا ودعموها لحاجتهم إليها، ولكنهم راقبوا شيوخها مراقبة شديدة، وقد استمروا على ذلك إلى الحرب العالمية الأولى"⁽²⁾.

وكانت النتائج لصالح تغير الأوضاع الثقافية والاجتماعية حسب بن نبي: "وهكذا كان شأن الجزائر فإنها كانت حتى عام 1925 - على الرغم من إسلامها- تدين بالوثنية، التي قامت نصيها في الزوايا، هنالك كانت تذهب الارواح الكاسدة لالتماس البركات، ولاقتناء الحروز ذات الخوارق والمعجزات، غير أنه ما إن سطع نور الفكرة الإصلاحية حتى تحطم ذلك المعبد، فخرت الأوثان مع أسف عماتنا وخالاتنا اللاتي أدهشن ما رأين. وبالفعل فقد خمدت نيران أهل الزردة (الفتة)، وزالت عن البلاد حمى الدراويش، وتخلصت منها الجماهير بعد أن ظلت طوال خمسة قرون ترقص على دقات البنادير، وتبتلع العقارب والمسامير مع الخرافات والأوهام"⁽³⁾.

والخلاصة:

إن الأمر يعسر عن تتبع عمل الزوايا والطرق التي أطرت الحياة الاجتماعية الدينية لأغلب الجزائريين في البوادي والأرياف والجبال وحتى المدن، ولكن ما ذكرناه يعطي بعض الضوء عن جهودهم، والتي وإن شأنها بعض النقائص، فقد أدت شيئا من الوظيفة التاريخية في التعليم والتربية الجماعية، ولكن قصورها جاء من ارتهاها لأساليب الماضي، في وقت تعسر فيه الانكفاف عن الأخذ بالوسائل العصرية، وهو ما جد فيه الإصلاحيون والحداثيون، وهو ما سيستبين من تتبع العلاقات فيما يأتي.

(1) البلاغ، المجاجي، "أسئلة وأجوبة في شأن الطرق والطرقين"، ع 75 (29-6-1928)، أضاميم، مرجع سابق، ج 2 ص 106.

(2) سعد الله أبو القاسم، خارج السرب، مرجع سابق، ص 170.

(3) مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 28.

المبحث الثالث: الجدل الإصلاحى الطرقي فى العشرينيات.

يسجل الناقدون للوضع الدينى فى الجزائر مطلع القرن العشرين وجود اتجاهين متضادين، أحدهما ميل للتجديد ويضم أكثر الإصلاحيين، والأخر متشبث بالتراث وبالقديم ويضم أكثر الطرقيين، وبينهما دار جدل فكري وعقدي وفقهي أكثره فى المجالس والمستجد والنوادي، ثم ظهر للعلن آنذاك فى الصحف العربية القليلة يومئذ.

يعتبر ركيب بأن معركة الاصلاحيين ضد الطرق هى لتشبههم بالماضى والنصوص القديمة من الفقه والدين دون أن يحاولوا التجديد، ثم التطوير والاعتماد على الكتاب والسنة وروح العصر، ولذلك فإن رجال الإصلاح تجاوبوا مع الشباب عكس الطرق رغم محاولة العلوي فى البدايات، ولكن غموض الفكر الصوفي للرجل العادي عائق، ويزداد العسر مع خلطه بالفلسفة، فيصبح شبعا مرعبا أكثر منه طريقا للنجاة⁽¹⁾.

كما تمايز التياران فى الغالب فى الانتماء السكاني، فكان الإصلاح أكثر ظهورا فى المدن، فى حين بقيت الأرياف والجبال وأعماق الصحراء فى ولائها للزوايا والمرابطين، وهو ما يمكن وصفه بالتميز الحضري⁽²⁾. ويضاف إلى هذا أن خريجي المدارس الحديثة العربية والفرنسية كانوا أميل إلى جبهة الإصلاح، وهو ما سجلته بعض الصحف، التى قالت بأن الأمة متدمرة من هؤلاء الذين حطموا ما بناه السلف والخلف منذ ثلاثة عشر قرنا من معتقدات آبائهم واجتهادات أئمتهم وتصانيف خيرتهم وقالوا إنهم رجال ونحن رجال⁽³⁾.

المطلب الأول: القضايا الجدلية والانتاج الفكرى.

بدأ الجدل الفكرى والفقهى مبكرا وسط العشرينيات بين الطرفين فى محاولات الجميع الإمساك بتلابيب سلطة القول الدينى، وأوما ابن باديس إلى صعوبة تغيير البنى الثقافية لتشابكها مع المصالح الموروثة، فقال فى مقاله "المنتقد والوشاة": "نقموا منا أولوية الإصلاح الدينى والدينى، لأن ذلك يذهب بدجل دجالين، واستبداد مستبدين، وناموس متنومسين، فأخذوا يرموننا بالقذائف، ويقلبون علينا الحقائق، وينفرون عنا العامة المخدوعين"⁽⁴⁾.

وستتصدر جريدة الإصلاح للعقبى العبيء الأكبر فى الهجوم على الطرق الصوفية وتقاليدها، وسيشتعل الجدل الفقهى والعقدي حول قضايا رفع الأيدي فى الدعاء، والجهر والاجتماع للقرآن، والكرامات للأولياء، وقضايا الرقية والعزائم، والاختلاف حول البدع والشركيات.

(1) انظر ركيبي، الشعر الجزائري الدينى الحديث، مرجع سابق، ص 668، 700.

(2) ركيبي، المرجع السابق، ص 701.

(3) جريدة الحق، مقال "الشبيبة المتنورة والأمة الجزائرية، ع 3 (7-5-1926)، ص 1.

(4) المنتقد، ع 14 (12 ربيع الأول 1344هـ-10-1925)، ص 252.

1- نقد البدع الدينية: يتميز إصلاحيو الزيدان بكونهم المبادرين في النقد الجلي للطرق الصوفية، ومن أوائل الطرق التي هوجمت في تقاليدھا الطريقة العمارية⁽¹⁾، وقد نالھا السخط نتيجة تشابه سلوكھا مع العيساوية التي غلب علیھا الفلكور.

ومن ذلك الهجوم على الأربعاء الكحلة⁽²⁾، وهي صلاة مبتدعة (أربع ركعات متواليات بأدعية خاصة)، وكانت شائعة يؤديھا الناس آخر كل أربعاء من شهر صفر الذي كانوا يتشاءمون منه، ويعتبرونها أنحس يوم في السنة استنادا لحديث موضوع: "آخر أربعاء في شهر يوم نحس مستمر"، وكانت شعائر هذه الأربعاء تقام رأسا في مسجد بكار ببسكرة اعتمادا على الكشف الصوفي نقلا عن كتاب الديري⁽³⁾. وذكر ابن عاشور أن الأربعاء الكحلة معروفة بتونس، وأن العوام يتطيرون منها، ويسمون صفر ربيب شهر عاشوراء⁽⁴⁾، وربما يحيل ذلك إلى الحمولة الحزينة لعاشوراء في المأثور الشعبي المتأثر بإرث الفاطميين.

ومن النقود المبكرة انتقاد حمل الجنابة بالبردة، ففي مقال لمحمد القروي تكلم فيه عن عادة أهل سوف إذا مات ميت خرجوا وراءه بالدفوف ورفع ألوية المحارب ورفع الأصوات بالبردة⁽⁵⁾، ومن المعروف أن الخارطة الدينية في سوف كانت تتقاسمها الطريقتان التجانية والقادرية، والأمر ذاته في استنكار رفع الذكر وقراءة البردة في الجنائز قد نعتة مجلة الشهاب فيما بعد⁽⁶⁾.

وأما في وهران فالأمر أقبح إذ يخرج الطلبة بالميت وهم يقرأون البردة: "وكثيرا ما تراهم يلتفتون يمينا وشمالا معجبين بألحانهم وأصواتهم المزعجة قبّحهم الله وأخلى الأرض منهم"، وتخرج النسوة مولولات.. سافرات نادبات مخضبات وجوههن بالسواد والطين والنجاسة، وقد دعا مامي إلى الاقتداء بقسنطينة وتونس في قبر هذه البدع⁽⁷⁾.

عبر بعض الطرقيين في أدبياتهم عن رفض هذه البدع، ودعوا إلى إزالتها، وفي هذا كتبت البلاغ: "نحن نقول من ذا الذي لا يرى سعادة الأمة وسعادة نفسه في التنصل من كل بدعة مهما تحققت لديه مضرتها في دينه أو دنياء على شرط أن تكون تلك البدعة مما يباين التعاليم الدينية"، ولكنها استثنت ما فيه خلاف فقهي أو "ما كثرت فيه الأقوال واتسع فيه المجال، فالدعوة إلى حطمه تتطور إلى اختلافات مذهبية"⁽⁸⁾.

(1) جريدة صدى الصحراء، (1926-3-29).

(2) الإصلاح، "سيل البدع الجارف، الأربعاء الكحلة"، ع 2 (1929-9-5)، ص 2. مقالات الطيب العقبي، مرجع سابق، ج 1 ص 261.

(3) المنتقد، ع 15 (1925-10-8)، ص 281.

(4) ابن عاشور، "لا صفر"، المجلة الزيتونية، ع 1، (صفر 1356- أبريل 1937). محمد الطاهر الميساوي، جمهرة مقالات ورسائل الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور، ط 1، الأردن، دار النفائس، 2015، ج 1 ص 467.

(5) المنتقد، ع 15 (1925-10-8)، ص 280.

(6) الشهاب، ع 119 (1927-10-27)، ج 3 ص 393.

(7) النجاح، ع 588 (1928-5-6)، ص 1. رحلات جزائرية، مرجع سابق، ج 1 ص 135.

(8) البلاغ، مقال "إلى كتاب أمتنا ومفكرها" ع 34 (1927-8-26)، أضاميم المد الساري، مرجع سابق، ج 1 ص 211.

2- نقد الرموز الشعائرية الصوفية: ومثال ذلك السبحة التي تختلف أشكالها وأحجامها حسب الطرق المتبعة، فقد بادر العقبي في مقال "بين سلفي وخصومه" بالهجوم على حمل السبحة في الأعناق، وبأنها بدعة رومانية ومسيحية يحملها الرهبان، وأحال خصومه على عثمان بن المكي⁽¹⁾ في رسالته المرأة⁽²⁾.

ولم يسلم الطرقيون بهذا النقد لأهم مظهر شعائري عندهم وهو السبحة، ومن ذلك رد ابن قشوط: "وبما تقرر يتبين عدم اعتبار ما قاله الشيخ عثمان بن المكي ومن كان على شاكلته من إنكارهم استعمال السبحة"⁽³⁾.

ومن ذلك الهجوم المتكرر على المأثورات الشعبية الداعمة للمشیخة وهيمنتها نحو العبارات المتداولة: "سلم تسلم، زوروا تنوروا، من لا شيخ له فشيخه شيطان"، أو ما كان يتردد في الدوائر الصوفية "العلماء مصاييح ونحن مراويح" أو بعض الشطح المردود "يا رب أنت تشبّح وأنا نشبّح، وما خائف إلا على جهتك" إلى غير ذلك⁽⁴⁾.

3- نقد الفلكور الصوفي: ومن المظاهر التي بادر الإصلاحيون إلى نقدها تقديس العيون والمزارات والأشجار، فالزاهري يكتب قصيدة⁽⁵⁾:

لا تنفع العين في الزيبان جارية---إلا إذا ذبحوا للعين عتروسا

ويبادر قدور الحلوي إلى الهجوم على مجريات الزيارات القبورية، وما فيها من إهدار للزيت والشمع، فيقول في النكير على الاعتقاد في الشموع⁽⁶⁾:

أشركوني بالله لله أشكو—من صنيع الزعانف الجهال

زعموا أنني أريد وأقضي—نسبوا لي التأثير على كل حال

ومن القضايا التي بودر إلى نقدها ظاهرة الزردة، والتي نالها كثيرا سخط الإصلاحيين⁽¹⁾، وهي الزردات التي تقام حول قبور مظنونة، وما يشيع فيها من الاختلاط والطبل والزمر، ووجود الحواة، وقارئي الكف والزهر، وكاتبتي

(1) عثمان بن المكي التوزري التونسي (1847-1931)، له: توضيح الأحكام على تحفة الأحكام، الهداية لأهل البيان، المرأة لإظهار الضلالات والذي طبع بتونس (1330)، وفيه نقد للبدع الحادثة. انظر الأعلام، ج 4 ص 212. ورسالة المرأة طبعته حديثا بتحقيق عبد الستار الجبالي، ومن فصولها في ذم البدع: حكم الرقص، حكم التحسيس على الصوفية، بدعة السابغ للميت، حكم استعمال السبحة، التشاؤم بيوم الأربعاء، الغلو في القبور، بدع المرقعة وأخذ العهد، وبدع الأقطاب والأبدال وأخذ العهد. انظر معجم المؤلفين التونسيين، مرجع سابق، رقم 100، ج 1 ص 197.

(2) الشهاب، ع 119 (27-10-27)، ج 2 ص 388. مقالات العقبي، ج 1 ص 189. ونص المرأة: ومن البدع المنكرة استعمال السبحة الرومانية الأصل في اليد، أو العنق ليظهر مستعملها للناس أنه من الذاكرين العابدين... التسبيح بالسبحة المنظومة بدعة محرمة لما يعرض لها من العوارض، منها: إظهارها، وعدم الذكر بها، وكونها من عمل الرهبان؛ فلماذا كانت مثلثة وعلى شكل صليب، فلو كان الشاهدان طويلين لظهر ذلك غاية الظهور، ولا أظن أن أحدا من العلماء المهتمين يقول بجواز استعمالها لما ذكرنا، ولا زال الرهبان يستعملونها إلى الآن، وإنما استعمالها بعض المتصوفة ليظهر على نفسه أثر العبادة؛ فيعظمه الناس" ص 21.

(3) ابن قشوط، كتاب لإرشاد إلى سبيل الرشاد، مرجع سابق، ص 55.

(4) مبارك الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، مرجع سابق، ص 301.

(5) جريدة البرق، الزاهري، "فد الشعراء يزور طولقة، فرفار، البرج"، ع 8 (25-4-1927)، رحلات جزائرية، ج 1 ص 92. ركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، مرجع سابق، ص 705.

(6) جريدة المرصاد (25-3-32) نقلا عن ركيبي، نفسه، ص 706.

الحروز، وغير ذلك، مثل زردة ديوان سيدي عبد الله: "رقص وطبل واختلاط النساء ثلاثة أيام لضريح مزور"، ونقل الميلي صورا مشينة عما يحدث فيها، وعن بدع دور الضمان وبيع الذرية، والحرمان المنتهكة باسم الزردات⁽²⁾. ولأجل ذلك خصصت الشهاب ركنًا قارًا في صفحاتها بعنوان البدع والضلالات تناولت فيه مختلف الانحرافات. ووجدنا الميلي يستعير من أبي العباس التجاني منع الزيارات في نقده لزيارة ابن باديس لقبر محمد بن عبد الرحمان الجرجري بالعاصمة⁽³⁾.

4- نقد الفرقة الطرقية: هاجم الإصلاحيون التفرق الطرقي، ومن ذلك أن التجاني لا يصلي خلف القادري، والعكس أيضا، ولا نجاة إلا لمن تمسك بشيخه"، وكانت تلك ظاهرة مزرية، وخاصة في مناطق وادي سوف⁽⁴⁾. يقول الشيخ العربي في هذا: "من البين لجميع من عرف الطرائق التي غضت بها الجزائر؛ أنها اشتركت في أمور وامتازت كل واحدة بخواص تجعلها منفصلة عن البقية تستحق بها اسم: طريقة فلان، وقد وضعوا طرائقهم كالشرع الموضوع المتبع، وبنوا هذه الأذكار على أوضاع وهيئات، وألحقوا بها أدعية أحدثها من أسس الطريقة.. ومن الشائع الذائع أن هذه الأذكار يعطيها رؤساء الطرائق أو من يقيمونه، ويسمى بأخذ الورد أو رفع السبحة ويعينون أعدادها وصيغها وأوقاتها وما يرتؤونه من آدابها، ونحن نعرض عملهم هذا ونقيسه بالهدي النبوي وعمل السلف فذلك الدين، وما لم يُعرف في هذه الأيام بعموم أو خصوص فليس من الدين، وما دام ليس من الدين فإنكاره قربة، والاعتراف به بدعة"⁽⁵⁾.

يصف الجيندي أحمد المكي الذي كان من أتباع الطرق ثم رجع شيئا عن ذلك، ومثله يذكر الهادي السنوسي بأنني: "كنت قبل صحبتي لهذا الأستاذ كان ولوعا بأباطيل الخرافيين من الطرقيين، راسخ الإيمان بطواغيت الدجالين"⁽⁶⁾.

5- نقد الانتفاعية الطرقية: اعتبر الإصلاحيون الأساليب الطرقية التي ركن إليها خلفاء الشيوخ من المقدمين ووكلائهم وسائل لدرّ الأموال، واستجلاب المنافع، وكم دبّجوا من المقالات والأشعار في نقد واستهجان تلك السبل في تجميع المال بطرق الغفارة والزيارة، وهو نقد قديم كتب فيه ابن الفكون، وحديثا محمد الصالح ابن مهنّا.

ففي مقال مبكر في المنتقد كان هجوم العقبي على الطرق المتكسّبة من الهدايا والهبات، واتهم بعضها بأنه "قد يطعم خدمتهم وبعض العاجزين، ولكن واحد من ألف مما يدخل جيوبهم ربيعا وخريفا"⁽⁷⁾، وقد أمضى مقاله هذا باسم مستعار هو السلفي، وللکلمة مدلولها الخطير آنذاك.

(1) صدى الصحراء (8-11-1926). وكتب ابن قشوط في شرعيتها في كتابه الإرشاد، مرجع سابق، ص 308.

(2) الشهاب، ع 104 (7-7-1927)، ج 3 ص 69. رسالة الشرك ومظاهره، مرجع سابق، ص 108.

(3) الشهاب، الميلي مقال "نقد العلماء"، ع 2 (19-11-1925)، ج 1 ص 37.

(4) صدى الصحراء، ع (8-2-1926). وانظر مذكرات إيزابيل أبراهاردت، على الرمل أثر، مرجع سابق، ص 178.

(5) العربي التبسي، بدعة الطرائق في الإسلام، ص 10.

(6) السنوسي الزاهري، شعراء الجزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 310.

(7) المنتقد، العقبي "الانتقاد العنيف"، ع 11 (10-9-1925)، ص 200. مقالات العقبي، مرجع سابق، ج 1 ص 44.

كما قاد العقبي الهجوم على عقيدة التصريف وشفاعة الأولياء، وأنهم يحضرون عند تصوير الجنين ذكرا وأنثى ويبيعونه بثمن معلوم، فضلا عن إنزال الغيث⁽¹⁾. ومن المعروف أن عقيدة التصريف وديوان الأولياء شديدة الحضور في الفلكور الصوفي⁽²⁾. وممن رد على ابن باديس والعقبي في موضوع التصريف والكرامات العلامة ابن قشوط⁽³⁾.

وعلى غرار هاجم الميلي عقائد الديوان والتصريف، وركز على علاقات الباطنية بالصوفية وكيف "اخرعوا للقطب حكومة سرية وديونا خياليا، وذلك على نحو ما تحلم به الرافضة في إنشاء حكومة على مذهبيها، فحكومة القطب الغيبية ظل لحكومة ذهنية يُراد تحقيقها في الخارج على نحو مؤتمر النهضة الإسلامية الذي رسمه الكواكبي في أم القرى، فحكومة القطب عند الخاصة أمنية سياسية، وعند العامة عقيدة دينية"⁽⁴⁾.

ولم ينثن الزاهري عن تشبيهه شيوخ الطريقة بصلبان النصارى التي يعكف عليها عوامهم⁽⁵⁾، فقال:

أما في الدين صلبان تجلّت --- إليها الأميون ساجدون

فمن سبج وأذكار لقوم --- من النفر الذي لا تجهلون

هم سلبوا البرايا المال قسرا --- فبات العز في الدنيا رهينا

هم الصلبان ليس لها جُـسـوم --- كذلك الشرك يعسر أن يبيننا.

وفي مقالة انتقادية لمحمد الصالح خبشاش⁽⁶⁾ للوضع العلمي والديني العائق دون النهوض والذي تركزت حسمه في أربعة أضلاع هي: (طريقون، تقليديون، أغنياء بخلاء، شبيبة متفرنجة)، فأرباب الطرق حجر عثرة في طريق الرقي، ووصفهم بأنهم سحارون أفاكون، مبتزون للأموال، مصاصون لدماء، وأنهم دجالون، بل هم الكتلة الضالة⁽⁷⁾.

وفي هذا المضممار انتقد الإصلاحيون طرائق التعليم في الزوايا الطرقية في زاوة، واستغلال الطلبة في أعمال الزاوية على الرغم من غناها، فالطالب فيها أشعث، ويُرغم على جمع الزكوات يوم الختم، ويقوم بالسخرة وجمع حبوب الزاوية، ومثال ذلك بني وغلبيس التي فيها اثني عشر زاوية ذات ثروة واسعة⁽⁸⁾.

بل إن الإبراهيمي جعل التصوف ملاذا لكل مستكثر من الدنيا، فصارت الطريقة: "أما ولودًا تلد البر والفاجر. ثم تمادى بها الزمن فأصبحت قلعة محصنة تؤوي كل فاسق وكل زنديق وكل ممخرق وكل داعر وكل ساحر وكل لص وكل أفاك أثيم. فكل راقص صوفي، وكل ضارب بالطبل صوفي، وكل عابث بأحكام الله صوفي، وكل

(1) الشهاب، ع 15 (1926-2-18)، ج 1 ص 317. مقالات العقبي، مرجع سابق، ج 1 ص 112.

(2) في فلكور قنواة والإسلام الأسود، وجماعات البلاليين هذا الأمر أيضا في بيع الولد للوصفان حماية له من الموت.

(3) ابن قشوط، كتاب الإرشاد، ص 233، في الرد على مقال ابن باديس "بيان لا لبس فيه"، المنتقد، ع 13 (1925-9-24)، ص 231.

(4) الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، مرجع سابق، ص 285.

(5) المنتقد، ع 2 (1925-7-9)، ص 38.

(6) محمد الصالح خبشاش، (1940-1904)، من التلازمة، تتلمذ لابن باديس، وله مقالات في النجاح والشهاب، ورأس مجلة الحق لصاحبها علي

بن موسى العقبي سنة (1926). انظر معجم أعلام الجزائريين في القرنين، مرجع سابق، ج 2 ص 131.

(7) المنتقد، ع 4 (1925-7-23)، ص 67.

(8) الشهاب، مقال "أساليب التعليم في منطقة زاوة، 2" ع (صفر 1348 / جويلية 1929)، ج 5 ص 302.

ماجن خليع صوفي، وكل مسلوب العقل صوفي، وكل آكل للدنيا بالدين صوفي، وكل ملحد في آيات الله صوفي، وهلم سحباً⁽¹⁾.

وركز الإصلاحيون كثيراً على ابتداع عادات الزيارات والهدايا التي سخرها الشيوخ لمصالحهم في عادات التوزيع، فكان حق الشيخ قبل حق الزوجة والأولاد والآباء والأجداد، وحق الشيخ في المال قبل حق الفقير⁽²⁾. في حين يعتبر الطريقون العمل وخدمة الزاوية والشيخ والمريدين تجرداً من حظوظ النفس، ومن علائم الفتح. ويسخر الإبراهيمي منهم، فيقول: "وكان من تنقيحاتهم المضحكة تحديد مراحل التربية (الخلوية) لمعرفة الله بثلاثة أيام (فقط لا غير)، تتبعها أشهر أو أعوام في الانقطاع لخدمة الشيخ من سقي الشجر، ورعي البقر، وحصاد الزرع، وبناء الدور مع الاعتراف باسم الفقير، والاقتصار على كل الشعير، ولئن سألتهم لم نزلتم مدة الخلوة إلى ثلاثة أيام؟ ليقولن فعلنا ذلك مراعاة لروح العصر الذي يتطلب السرعة في كل شيء، فقل لهم: قاتلكم الله. ولم نقصتم مدة الخلوة، ولم تنقصوا مدة الخدمة أيها الداجلة"⁽³⁾. ولكن الخلوة الصوفية متفاوتة بين الطرق فبعضها يصل إلى الأربعين يوماً، وبعضها أسبوعاً حسب التسليك عند الطرق.

6- الهجوم على الإرث الطريقي الصوفي: وتمّ ذلك بالأصالة من إصلاحي الزيبان، وخاصة العقبي والزهري، فمن بواكير ذلك الهجوم ما فعله العقبي من تحميل الطريقة مآسي الحياة الاجتماعية عندما حضّ على: "مقاومة البدع والضلالات، وكل ما سنّه أهل الخرافات قبل أن تقضي على حياتنا الاجتماعية القضاء الأخير"، ولكنه دعا كتلة الإصلاح إلى التؤدة واعتزال السياسة حتى لا تثير الحكومة عليها⁽⁴⁾. ومن خلال الشهاب كان هجوم العقبي عنيفاً على التراتبية الطرقية، فقد مهر عديد المقالات السجالية بعنوان "يقولون، وأقول" ومما جاء فيها: "إن الطريقة المتبعة في ديننا غير الطريقة المتبعة في الجمعيات السرية، ودين الإسلام يفتى به للخاص والعام"⁽⁵⁾.

والأمر ذاته عند الإبراهيمي الذي حمل في مرحلة مبكرة المآسي الاجتماعية للطرق الصوفية: "مع أننا نعلم أن الطرق منتشرة في العالم الإسلامي وأن آثارها فيه متشابهة، وأنها هي السبب الأقوى في كثير مما حل به من الأرزاء والنكبات، وكثيراً ما كانت مفتاحاً لاستعمار ممالكه، فإن حربنا موجهة أولاً وبالذات إلى طرقية الشمال الإفريقي، وبينها من الوشائج ما يجعلها كالشيء الواحد. فعلى مقدار هؤلاء الذين نعرف جنسهم وفصلهم، وفرعهم وأصلهم نفصل القول، وإلى هذا الهدف نسدد السهام"⁽⁶⁾.

(1) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 175.

(2) سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المنعقد بالمركز العام بالجزائر سنة 1935، الجزائر، دار الكتب، 1982، ص 31.

(3) آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 171.

(4) جريدة صدى الصحراء، ع 3 (25-9-7). انظر مقالات العقبي، مرجع سابق، ج 1 ص 27.

(5) الشهاب، ع 11 (1-21-1926)، ج 1 ص 239. مقالات العقبي، مرجع سابق، ج 1 ص 103.

(6) آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 174.

ومن تلك القضايا الموروثة ظاهرة الشرف والأشرف، وهي القضية التي استمرت ذيلها إلى العشرينيات، وكانت منار تنذر ونزاع حتى داخل الطرق الصوفية، حيث برز بعض النبز للشيخ العلوي من بعض الطرق التي هالها التقدم والانتشار الكبير للطريقة، فكانوا يلمزونها بعدم انتساب الشيخ للدوحة النبوية⁽¹⁾، وهذا الانتساب كان متكاً لتفاوت الطرق بعضها عن بعض، ومدعاة للتفاخر، ومن الردود ما كتبه بلقاسم السنوسي الحرائي: الرد الوافي المستنبط من كلام الجليل العافي على منكري الانتساب إلى المصطفى صاحب الخلق الوافي⁽²⁾.

وكان هذا النقد لظاهرة توارث المشيخة يبرز حتى من داخل صفوف الطرقيين، كما هو حال علي العقبي الذي انتقد الظاهرة، وندد باتكاء الأبناء على ما شيده الآباء من جميل الفعال المذكورة⁽³⁾.

المطلب الثاني: الجدل العقدي.

وهو الجدل الذي ماسّ لغة التبديع وحتى التكفير، وهو ما يظهر من استعراض بعض مخرجات الأدبيات المتداولة النثرية والشعرية والصحفية، وخير تمثيل لذلك قصيدة (إلى الدين الخالص)، والتي مثلت قمة المرافعة الإصلاحية ضد الطرقيين، وحملت رياحها ردوداً عنيفة، حيث إن العقبي لم يقدر جهود المرابطين السابقين، وعاد من الحجاز بعد ربع قرن، وبدأ هجومه العنيف في تلك القصيدة الشهيرة التي اعتبرها الميلي: "أول معول في هدم هيكل المقدسات.... ولا يُعلم مبلغ ما تحمله هذه القصيدة من الجرأة، ومبلغ ما حدث عنها من انفعال الطرقية إلا من عرف العصر الذي نشرت فيه، وحالته في الجمود والتقديس لكل خرافة في الوجود"⁽⁴⁾.

ومما جاء في القصيدة⁽⁵⁾، والتي حملت محاكمة دينية للوضع السائد، واتهما بعقم الجو العلمي في الجزائر:

أيها الأقوام إن تبغوا الهدى---مالكُم والله غير العلم هاد
ماتت السنة في هذي البلاد---قُبر العلم وساد الجهل ساد
وفشا داء اعتقاد باطل--- في سهول القطر طرا والنجاد
عبد الكل هواء شيخه--- جده ضلوا وضل الاعتقاد
لا أنادي صاحب القبر أغث--- أنت قطب أنت غوث وسناد
قائما أو قاعدا أدعو به----- إن ذا عندي شرك وارتداد

(1) الشهاب، ع 142 (12-4-1928)، ج 1 ص 839، مقال للصحفي "ج هبروسبت بيرابيس" انظر حماني، نفسه، ج 1 ص 318. وحاول وضع نسب حسني له مثل معي الدين الهلالي القسنطيني الذي طبع المنح القدوسية بشرح المرشد المعين بطريق الصوفية بمصر (ط2)، المطبعة الوطنية، 1355هـ) وقال عن العلوي أنه حسني. انظر بوغانم، نفسه، ص 111.

(2) بن اسماعيلي محمد، مشايخ خالدون وعلماء عاملون، الجزائر، عين مليلة، دار الهدى، 2001، ص 44، ص 479.

(3) جريدة الحق، مقال "إلى الرؤساء الروحيين أو مشايخ الطرق"، ع 5 (21-5-1926)، ص 1.

(4) الميلي، الشرك ومظاهره، مرجع سابق، ص 304.

(5) المنتقد، ع 8 (20-8-1925)، ص 135، وكانت تطبع وتوزع مجاناً، وقد رد عليها ابن قشوط.

وقد انبرى عاشور الخنقي للرد على العقبي في القصيدة الشهيرة التي جاوزت ألف بيت "عصا موسى والأشعرية في هجاء الطائفة العبدوية". وهي ألفية لا تزال حبيسة خزائن الأستاذ الصيد، وقالوا إنها كانت من القوة بمكان.

والحقيقة أن قصيدة العقبي أحدثت جلبة في المعامل الطرقية، وتوالت الردود، ومن ذلك أن المنتقد استقبلت جوابا من مجهول من قصر البخاري للرد على الدين الخالص التي تحدت المنتقد من يعارضها، ولأن الكاتب مجهول فلم تنشر له ⁽¹⁾. ولكن أهم رد علي على القصيدة كان من قبل ابن قشوط الذي استعان بكل من الشاطبي والشوكاني فيه ⁽²⁾.

ومن الأدبيات المبكرة الخاصة بالجدل العقدي ما خطه يراع الطاهر بن عبد السلام ⁽³⁾، الذي يقال أن له قصائد تنيف عن خمسة آلاف بيت في نقد الطرق وزيفها وخرافاتا بأسلوب تهكمي، ومن ذلك هذه التائية التي عارض بها التائيات المشهورة لدى المتصوفة كالغزالي، وابن الفارض، وعبد القادر بن محمد البوسماحي، ومما ورد فيها ⁽⁴⁾:

لهم طرق شتى بها قد تشرّعوا-- وهو عن طريق الشرع عبي البصيرة
لهم من شياطين الأنام عصابة--- تقودهم للنار من غير مرية
ترى غرر الأموال تجبى إليهم--- فتصرف في مثل الزنا والسبيئة
وفي شهوات الشيخ أكل ومنكح--- وأنواع أثواب الربا والخلاعة
ونيل وسام أو مزيد تقرب--- وإحراز ألقاب الوفا والصدقة

بل وجدنا حتى إصلاحي الإباضيين يسهمون في نقد التصوف على الرغم من خلو ديارهم من مظاهره ومؤسسته، ولكن مظاهره الثقافية من المزارات وتقديس الشيوخ والجرأة على التهكم من رجال الإصلاح وتقييح طرائقهم، جعلت أمثال الشاعر رمضان حمود يؤلف قصائد في ذم المتصوفة ⁽⁵⁾. ومن مظاهر ذلك الجدل العقدي ما يأتي:

1- نموذج القصيدة العاشورية:

سميت هكذا من قبل خصومه كالطيب العقبي الذي انتقدها في مقالات كثيرة في المنتقد والشهاب التي امتلأت صفحاتها بردود عنيفة من الإصلاحيين والطرفين العلويين والتجانيين من الجزائر والمغرب نهاية العشرينيات من القرن المنصرم. وهي قصيدة طويلة في قضايا التصوف وأحوال القوم والأقطاب وعالم التصريف وتبجيل الشيوخ، بل: "وكفر صراح وإطراء غير مباح، وعبادة للمخلوق، وافتراء على الخالق، وجعل

(1) المنتقد، ع12 (11-9-1925)، ص 226.

(2) ابن قشوط، كتاب الإرشاد، مرجع سابق، ص 225.

(3) الزاهري، شعراء الجزائر، مرجع سابق، ج 2 ص 49.

(4) ركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، صص 712-713. وسيدي الشيخ له تائية مشهورة بالياقوتة ينشدها أتباع الطريقة الشيعية، في حين ينشد أتباع الطريقة الهبرية تائية ابن الفارض.

(5) ركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، مرجع سابق، ص 710.

شريك معه في ملكه من عباده" كما ورد في أحد ردود العقبي⁽¹⁾، وقال بأن فيها كفرا وإلحاد صريحا، وأورد ذلك أيضا في خصومته العنيفة مع العلويين وفي دعواته المتكررة للمباهلة مع شيخ التجانيين المحدث أحمد سكيرج⁽²⁾.

وذكروا بأن عدد أبياتها ينيف على مائة وخمسة وستين بيتا (165)، وأنها موسومة باسم "قرة العين في مدح الغوثين". ولعلها معدة لأمداح الحضرات الصوفية لدى الإخوان الرحمانيين، وإن كان البعض يشكك في نسبة القصيدة لعاشور، لكونها من حيث الصناعة ناقصة ومنحطة الدرجة عربية وتأليفا، ولأجل ذلك ارتاب العقبي في النسبة وقال: "إننا لا نعرف هذا الرجل، ولا ندري درجته العلمية وعقائده الخصوصية"، وطالب بالتكذيب: "نسأل بواسطة الشهاب من نُسبت هذه القصيدة إليه، هل هو أبو عذرها وجاني حلوها ومرها، أم هي مكذوبة عليه؟" وقد نُصح العقبي بعدم الرد لأن عاشور رجل أحقق شديد وهجاء⁽³⁾، ومما جاء فيها⁽⁴⁾:

لا إله إلا الذي أعطاني *** لقب الخلوتي الرحماني
عجبا بالقلوب والأركان *** يا جميع معاشر الإخوان
ما رأيت ولا سمعت ولا اطلعت *** في كتب العلوم الغواني
جنة عرضها السماوات والأرض *** بدر الدنيا على الأركان
فأعدّ الجنة التي هي لسلطان *** الوجود ابن عابد الرحمان
أعجب العجب النزول المفدى *** قطب أقطاب حضرة العرفان
عرشه جلّ كلما تجلّى *** فرشه كلما تدلّى أن
سدره المنتهى التي يتناهى *** عندها كل طالع والثاني.

ومن المعلوم أن عاشور الخنقي دخل حلبة الصراع الإصلاحية الطرقي المؤسسي متأخرا، إذ وبعد سنين من خصومته مع ابن مهنا حول الشرف والأشراف ذاعت له تلك القصيدة في مدح شيخ الطريقة الرحمانية محمد بوقيرين، وتغنى بها المرابطون في حلقهم، ووصلت إلى الصحافة الإصلاحية، مما جعل العقبي يشن عليها هجوما ضاريا بمقالات متتالية (حول القصيدة العاشورية)⁽⁵⁾، ورفع فيها سقف النقد والنقض عاليا حتى وصل به الأمر إلى التكفير لما رآه غلوا وإفراطا في هذا المدح الغالي لشيخ الرحمانيين: "وإن صاحبها لكفره وضلاله ومحاولة تكفير المسلمين"، وعلى الرغم من أن فريق الإصلاحيين حذره من التعرّض لعاشور، ولكنه واصل الرد، بل صبّ جام غضبه على الساكتين من العلماء على ما يراه من انحراف عقدي، ففي مقال صحيفة المتناظرين رد على المولود الحافظي الذي اتهمه بالإغلاظ والعنف طالبا منه سحب لغة التكفير

(1) جريدة المنتقد، العدد 17، والعدد 18 (22 و 29 و 10-1925) ص 303-329.

(2) أحمد بن الحاج العياشي سكيرج (1877-1940م). انظر دليل مؤرخ المغرب الأقصى، مرجع سابق، ص 179.

(3) جريدة الشهاب، ع 3 (26-11-1925)، ج 1 ص 55.

(4) جريدة الشهاب، ع 1 (12-11-1925)، ج 1 ص 5.

(5) الشهاب، ع 1 (12-11-1925)، ج 1 ص 5. ع 3 (26-11-25)، ج 1 ص 54. مقالات العقبي، ج 1 ص 86.

والاعتذار⁽¹⁾، وقال له: "لو حضرت معي معاركي لما تأخرت لحظة في الإغلاظ والحكم عليهم بالكفر... لأن الشريعة توجب قتل من بدل وغير"⁽²⁾، وأن في البلاد عواشير كثيرة، لأنه اتهم عاشور بأنه يحرض على قتله⁽³⁾. وهكذا سنجد للمرة الأولى دعوات القتل تظهر على الصحف الدينية الجزائرية في سابقة خطيرة سيكون من عاقبيلها محاولة اغتيال ابن باديس، والاعتداء على أحمد بوشمال، وغيرها كما سيأتي.

2- عقيدة الاتحاد الصوفية:

وهو ما رُميت به الطريقة العلوية من دعوى إحياء فكر ابن عربي، حيث وجدنا ذلك في بعض النقود والردود، فالزاهري يرمي الشيخ ابن عليوة بالكفر والإلحاد: "يكفر عن تقليد ويشرك عن تقليد، ويلحد عن تقليد، فليس له مذهب، ولا رأي فيما يكفر، ولا فيما أشرك، ولا فيما ألحد، ولا فيما آمن، إن كان يزعم أنه يكون في بعض الأحيان من المؤمنين"⁽⁴⁾، وعلى منواله كتب توفيق المدني الرافض للميراث الصوفي، والمتهم للعلويين بالقول بوحدة الوجود، وأن المرید معهم يبتدأ بالسير نحو الله ويجتاز مرحلة السير في الله، وينتهي إلى السير بدون الله⁽⁵⁾، وقد خطّ الإصلاحيون بعض الدلائل لذلك، ومنها منقولات عن:

أ- عن مارسيل كاري: أن أحد مريدي الشيخ سألته ما الغرض منه، قال: "لكي يحقق ذاته في ذات الله"، وأن الغرض من ذلك هو الوصول للسلام الباطني، وفي هذا أثره من المسيحية والبرهمية كما يقول⁽⁶⁾

ب- تفسير سورة النجم للشيخ العلوي الموسومة "لباب العلم في تفسير سورة النجم"، حيث قالوا بأن هذا التفسير الإشاري غير مقبول، وأن ابن عليوة جاء فيه بما لم يعهد، حيث حاول تقريب المعنى للأوروبيين.

وقد أنكر الزاهري ذلك، وكتب للبلاغ في الشهاب يسألها: لماذا فسر شيخها العلوي سورة والنجم بتعاليم يسوع المسيح عليه الصلاة والسلام، وبما جاء في الإنجيل؟، ولم يتلق الرد، فكتب ثانية: "سألتهما هذا السؤال لأنني أعتقد أن مبشراً مسيحياً... قد كتب هذا التفسير ثم أخرجه للناس باسم الشيخ ابن عليوة"⁽⁷⁾.

وقد أوحى الزاهري في هجومه بأن القس الكاثوليكي بالجلفة الأب جياكوبيتي⁽⁸⁾ هو صاحب التفسير، لكن الرسالة في طبعتها الأولى كانت قد صدرت عام (1916)، أي قبل التقاء العلوي بالأب جياكوبيتي بعشر سنوات، وهو ما يعتبر بعيد جداً، خاصة وأن ابن عليوة عُرف بمكتوبات أخرى.

ولكن ابن باديس أنكر على الزاهري رمي ابن عليوة بذلك خاصة وأنه يعرف جهود الشيخ العلوي في دفع غوائل التبشير، وإنقاذه المسلمين من حبالهم، حيث جاء في المکتوب: "من ذلك إنقاذه لجماعة من المسلمين

(1) النجاح، الحافظي "القلم أحد اللسانين"، ع 270 (5-2-1926)، ص 1-2.

(2) يستند العقبي إلى ما ورد عن مالك من قتل الساعين في الأرض بالفساد، وفتوى ابن تيمية وهو ما لم يكن معهوداً في البيئة الجزائرية اللهم إلا إذا استثنينا بعض اللحظات الحرجة في تأسيس دولة الأمير عبد القادر.

(3) الشهاب، ع 17 (4-3-1926)، مقالات العقبي، مرجع سابق، ج 1 ص 120.

(4) جريدة البرق، تأبط شرا، قوارص "أيتها الفلتاء المتشردون"، ع 7، س 1، (17-10-1927)، نقلا عن بولحية، ص 179.

(5) حياة كفاح، مرجع سابق، ج 2 ص 112.

(6) مارسيل كاري، ذكريات الشيخ أحمد بن مصطفى العلوي، مرجع سابق، ص 23.

(7) أحمد حماني، الصراع بين السنة والبدعة، ج 1، ص 332. الشهاب 114 (22-9-1927)،

(8) الأب جياكوبيتي القس بالجلفة، وهو مدير نشره الاتحاد الكاثوليكي الأهلي في الجزائر.

من أيدي جمعية الميثوديسة البروتستانتية، وقد غطت صحيفة البلاغ الجزائري الحدث وأشركت معها أهل الأريحية من رجال قسنطينة لمساعدة المجموعة العائدة إلى دائرة الإسلام، بعد أن طردت جمعية الميثوديسة من كفالتها مبارك بن سليمان السوفي القماري، مع بعض الفتيات، حين كاتب الأستاذ العلوي الشيخ ابن باديس في الموضوع فسر بالعمل وأعانهم ماديا⁽¹⁾.

3-دعوى الحط من مقام النبوة:

وذلك في أبيات قالها ابن عليوة، وطبعت في ديوانه بتونس سنة (1920)، وفُهم منها أنه سوء أدب مع مقام النبوة، والذي ظل الجزائريون من أشد المحافظين عيهم، وذلك أثرة من آثار كتاب الشفا للقاضي عياض والذي اعتنى به الجزائريون، وظلوا يقرئونه في موالدهم، ولذلك قلّ أن تجد جزائرياً يسبّ المصطفى عليه الصلاة والسلام، على خلاف المسّ والسبّ للدين أو الذات الإلهية، وربما يكون مرجع هذا الأخير إلى التأثير العلماني الفرنسي الذي يُكنّ المقت للدين الكاثوليكي الذي قامت الثورة الفرنسية عليه⁽²⁾.
جاء في الأبيات الذي ثارت فيها ثائرة الفقهاء على ابن عليوة ما يأتي⁽³⁾:

إن مت بالشوق منكّد --- ما عذر ينجيك
إن تبقي في هجري زائد --- للمولى ندعيك
من هو بالملك موحد --- ينظر في أمرك
عبس بالقول تساعد --- ما نرجوه فيك.

ويمكن أن ندرج الأبيات في نطاق الأدب الصوفي الاعتدالي من المريدين تجاه شيوخهم الذين يطلبون مددهم، وهو أمر شائع في الشعر الديني في نحو هذه العبارات (انده لي، عار عليك، غيثني ..).
انبرى ابن باديس للرد على ابن عليوة في رسالة مشهورة "جواب عن سوء مقال" سنة (1340هـ/1922)، وقد رد فيها على شطحات ابن عليوة فيما رآه تنقّصاً من مقام النبوة، وعدم نفع اعتذاره بأن السنة المحبين أعجمية، وشفعه بتقاريط من عشرة من علماء تونس والجزائر والأقصى مما جعل القضية تمتد خارجاً، واستنجد الكل بظهيره، وهو ما سيعطى للعلاقات بعداً مغاربياً سيظهر في المؤتمرات المغاربية الطرقية خاصة، ودور الشيخ عبد الحّي الكتاني فيها كما سيأتي.

ومن العلماء الذين أسهموا في التقريظ والرد على ابن عليوة: الشيخ القاضي شعيب الجليلي، ومحمد المولود بن الموهوب مفتي قسنطينة، ومحمد النخلي الذي قال إن له مقالة حول كتابات ابن عليوة⁽⁴⁾، وبلحسن

(1) البلاغ، مقال "استلفات لأهل الأريحية من رجال قسنطينة" انظر أضماميم المد الساري، مرجع سابق، ج 1 ص 144.

(2) انظر محمد عبد الحليم بيثي، م "كأنه القاضي عياض وكتابه الشفا عند الجزائريين"، جامعة غرداية، مجلة الذخيرة، مج 1، ع 3، (جوان، 2019)، ص 4.

(3) النجاح، جولتنا بالغرب الجزائري، ع 133 (1923-11-16)، ص 2. وقال الشيخ أنه قالها في حالة غلبة، وقد أمر بأن يضرب عليها في طبعة الديوان الأولى، وقد حذفت الأبيات من الطبقات الأخيرة للديوان.

(4) حماني، صراع بين السنة والبدعة، نفسه، ج 1 ص 83-87.

النجار، والطاهر بن عاشور، ومعاوية التميمي، ومحمد الصادق النيفر من تونس، والعابد بن أحمد بن سودة، ومحمد بن العربي الفاسي، وعبد القادر بن محمد بن عبد القادر الفاسي من المغرب⁽¹⁾.

ورد العلويون بتجميع عشرات الشهادات المعدلة للعلوي في جريدة لسان الدين التي تصدرت طوال أعدادها الأخيرة من سلسلتها الأولى لما نشرته النجاح حول الشيخ العلوي⁽²⁾، وأثمر عملها في استنهاض العلويين لإصدار كتاب "الشهائد والفتاوي فيما صح لدى العلماء من أمر الشيخ العلوي"، ونتج عن ذلك أكبر موسوعة تقريرية من الأقطار الثلاثة آنذاك، وجمعت فيها شهادات العلماء والأعيان من كل من: أولا: تونس: إدريس بن محفوظ مفتي بنزرت، ومحمد المدني، وشهادات كثيرة من مختلف المدن التونسية.

ثانيا: الجزائر: مجموعة من شيوخ ومعلمي ووعاظ مناطق العاصمة وتلمسان وغيلزان والبرج، ومنهم مصطفى حافظ، وأبي يعلى الزواوي، والطيب المهاجي، وشيخ البوعمامية الطيب بن بوعمامة... وشيخ زاوية قصر البخاري عبد الرحمان بن الميسوم، ومحمد العاصمي إمام الجامع الجديد، وبلقاسم بن كابو التجاني مفتي بلعباس، وبن قدور أحمد العربي مفتي البليدة، وقويدر بن مناد بالبليدة، إضافة إلى بعض الأعيان والمنتخبين ورؤساء الجمعيات الدينية

ثالثا: المغرب: حيث وجدنا شهادت من قبل: محمد بن الصديق الفاسي، العربي سي ناصر قاضي وجدة، وغيرهم.

رابعا: شهادات من ليبيا وشنقيط والمدينة المنورة واليمن، ومارسليا، ومليية، وطبع الكتاب بتونس (1925). والظاهر أن المسألة أخذت أبعادا اجتماعية، من حيث بواكير الانقسام المجتمعي المبكر تجاه القضية، كما أشارت جريدة لسان الدين في مقال مسألة الشيخ العلوي: "أفضى النزاع بين القبائل وبعض المدن إلى الشتم والضرب وما يشاكلهما من أنواع القطيعة والتباغض"⁽³⁾، راجية حسن الرد منه على خصومهم.

وقد اشتعلت الصحف الإصلاحية من بعد ذلك ولسنوات بالرد على الفرائد العلوية في الخلوة والذكر في جريدة الشهاب كما كان يكتب بيضاوي أو التبسي⁽⁴⁾، أو في جريدة النجاح التي كتب فيها التبسي ردوده من مصر، كما نقلت الشهاب تكفير الهلالي للطريقين⁽⁵⁾، الذي اتهم العلوي بأنه لم يجب عن رد "جواب عن سوء مقال" لابن باديس، والمتعلق بمقام النبي صلى الله عليه وسلم.

(1) حماني، نفسه، ج 1 ص 92. ومن المغرب كتب الغماري في تكفير ابن عليوة، وبأنه مرتد كافر ضال، وأن علويي المغرب أعادوا طباعة الديوان مع حذف هذه الأبيات منه، انظر الغماري أحمد بن محمد بن الصديق، الجواب المفيد، مرجع سابق، ص 79.

(2) لسان الدين، مقال "مسألة الشيخ العلوي المستغاني، الحق أحق أن يتبع" ع 7 (13-2-1923)، ص 2.

(3) لسان الدين، ع 1 (02-01-1923)، ص 1-2.

(4) نماذج كثيرة في الشهاب، في صحيفة المتناظرين، وفي سلاسل بين سلفي وخصومه، والنقوض والردود إلخ، مثالا لذلك مقال التبسي "لقد سمعنا باطلك فأين حقا"، الشهاب، ع 124 (1-12-1927)، ج 3 ص 476.

(5) الشهاب، ع 151 (14-6-1928)، ج 4 ص 37.

المطلب الثالث: الجدل الصوفي ومتعلقاته.

ظهر السجال الكبير حول كثير من القضايا الصوفية، كجدوى العزلة والخلوة الصوفية وطرائق التسليك، بل وطال الانتقاد المتحوّلين إلى الطرقية، فمحمد العزوزي حوحو ينتقد عمر بن قنور الذي تحوّل إلى التجانية بعد فجره الإصلاحى بمقال "أصحافى أم صوفى؟"، ويعتبر أن بن قنور يريد الجمع بين التصوف الذى هو العزلة والخمول والتسليم والرضا والاكتفاء باليسير، والصحافة تدعو إلى خلاف ذلك⁽¹⁾.

وأما الميلى فطالما نادى مرارا بأن نقد التقاليد، لا يعنى نقض مسلمات العقيدة، ودعا فى مقاله: "المصلحون والمرجفون" إلى النقد وعدم التعصب، وأن الهجوم على البدع لا يعنى إنكار الولاية والكرامة⁽²⁾.

كما توالى الردود حول وسائل التسليك الصوفية فكتب التبسى عن الخلوة عند الطريقة العلوية⁽³⁾. ورد عليه قنور بن أحمد المجاجى العلوى بشرعية الخلوة، فرد التبسى بمقال آخر "لقد سمعنا باطلك فأين حقك"⁽⁴⁾، وألف بلقاسم طعيوج منتصرا للطرق "رسالة النصر لثبوت الطرق المحمدية" سنة (1928) مدافعا عن الإرث الصوفى⁽⁵⁾. ومن القضايا ذات الجدل فى هذا المضمار ما يأتى:

1- التصوف والإلحاد:

ابتدر بعض الإصلاحيين المعركة مع المتصوفة بتحصيل التصوف وزر انتشار الإلحاد بين الشباب الجزائرى، بل اشتط الزاهرى معتبرا بأن خطورة التبشير تكمن فى دخوله من باب التصوف، وأنهما دين واحد. بل اهتم المتصوفة بربط العلائق مع المبشرين، مستدلا بأن بعض أشياخ الصوفية بشمال إفريقيا لهم اتصال ببعض النصارى الذين يدارسونهم تعاليم يسوع المسيح، وفى الهامش أشار إلى أنه من مستغانم، وهو يقصد ابن عليوة، والراهب من جريفيل أى البيض⁽⁶⁾، والحق أن ابن عليوة كانت له محاورات ومناظرات كثيرة مع المبشرين.

يتهم الزاهرى الاستعمار بدعم التبشير من جهة أولى، ومن جهة أخرى يدعم وينشط أصحاب الشعوذة والأباطيل التى ألصقت بالدين للصد عن سبيل الله⁽⁷⁾. وعلى غرارهِ يعتبر الإبراهيمى مسببات معضلة الإلحاد الذى استشرى فى عقول الناشئة من الطرق وخرافاتِها التى لا تستقيم فى عقول الشباب المتعلم: "إن لفشو الخرافات وأضاليل الطرق بين الأمة أثرا كبيرا فى فشو الإلحاد بين أبناءها المتعلمين تعلما أوروبيا، الجاهلين بحقائق دينهم؟ لأنهم يحملون من الصغر فكرة أن هذه الأضاليل الطرقية هى الدين، وأن أهلها هم حملة الدين،

(1) المنتقد، ع 10 (3-9-1925)، ص 186.

(2) المنتقد، ع 14 (1-10-1925)، ص 256.

(3) الشهاب، ع 118 (20-10-1927)، ج 3 ص 363.

(4) الشهاب، ع 124 (1-12-1927)، ج 3 ص 476.

(5) انظر تاريخ الجزائر الثقافى، مرجع سابق، ج 7 ص 144.

(6) المجلة الأهلية بباريس فى عدد 11-12 سنة 1927، عن الزاهرى، الإسلام فى حاجة إلى دعاية وتبشير، ص 115.

(7) الزاهرى "مقال" كيف يغوون شبابنا"، الإسلام فى حاجة إلى دعاية وتبشير، مرجع سابق، ص 117.

فإذا تقدم بهم العلم والعقل لم يستسغها منهم علم ولا عقل، فأنكروها حقاً وعدلاً، وأنكروا معها الدين ظلماً وجهلاً؟ وهذه إحدى جنایات الطريقة على الدين"⁽¹⁾.

2- شرعية صلاح الفاتح:

ثار الجدل حول الطريقة التجانية ودعاويها في فضل صلاة الفاتح، وكانت جريدة المنار قد دبجت مقالات في نقض دعوى التجانيين⁽²⁾، فقام عمر بن قدور بإصدار كتابه "الإبداء والإعادة في مسلك سائق السعادة" سنة (1928)، مهاجماً مدرسة المنار متهما إياها بالانجرار وراء الحداثة قائلًا: "وتيقن أن الفريق السائر نحو الشمال هو مجموع أقوام مثل الأولين، كانوا من معمعة الظلام هارين، ولما حصلوا في تلؤل الحيرة استهواهم الشيطان فساقهم إلى أوديته الظلمانية، واستغواهم ببروق الطبيعة وشهب الفلسفة والجمود على ظواهر المزامع العرفانية"⁽³⁾، فكلما أضاء لهم ببروقه قاموا نحوه مسرعين، وهم يظنون أنهم على شيء فساروا فرحين، ومآلهم عند ساحل الإلحاد والقطيعة، حيث تنفذ منهم القوى ويذهب العمر يعطبون مع الطبيعة، فسر معي في طريق الانقياد، ولا ترجع على الالتفات لتبلغ المقصد والمراد. إنهم أتوا بدعا من الأغراض والمخالفات، فانقطعت عن سفنهم رياح الأسانيد الصحيحة الماثورة فبقت بالساحل مهجورة، وبطول الوقت تشوّهت صورتها وبسوء ما يعملون ذهب رونقها، فهم عندها معطوبون بالانقطاع عند ساحل الانقطاع، فأخذوا يصرفون الأوقات النفيسة بالتسلي، ويدعون التحلي، ويرقصون على الطبول والأبواق معرضين عن التضرع إلى الملك الخلاق"⁽⁴⁾.

وقد ساق ابن قدور ردوده المؤسسة لنقض ما جاء من اتهامات في صحيفة المنار للطريقة التجانية وشيخها أبي العباس⁽⁵⁾.

وفي معرض النقوض لكتاب الارشاد لابن قشوط هاجم أبو يعلى من سماه الكويتب سي عمر بن قدور- الذي يتمذهب بألف مذهب في يوم واحد وساعة واحدة، وأنه حسود-، وقال: "أني لم أره إلا في الجامع الجديد مرة سنة (1900) يقرأ رسائل للمشاركة، وفي (1920) كان في الصديق، وكتب بن قدور في الرد على أبي يعلى الزواوي الذي لم يذكر الفاروق عندما كتب عن الصحافة الجزائرية"⁽⁶⁾، فرد بن قدور عليه في الصديق بريادة الفاروق الذي ناله التعطيل، وأن كوكب إفريقيا كانت شبه رسمية⁽⁷⁾، ثم ردّ أبو يعلى بمقال لم ينشر،

(1) آثار إبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 195.

(2) انظر نماذج لذلك، مجلة المنار، مقال "الطريقة التجانية"، (شعبان، 1344- مارس 1922)، ج 26 ص 769.

(3) يشير ابن قدور إلى بدايات القرن العشرين حيث سادت الفلسفة الطبيعية والإلحاد مع موجات التجنيس والاندماج لبعض النخبة الجزائرية في الحضارة الغربية، حيث شهدت فرنسا القرن التاسع عشر الصعود القوي للفلسفات المادية والاشتراكية والداروينية والماسونية والسانسمونية، وكان لها ضحاياها في الجزائر. انظر تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 6 ص 379. في حين يعيد الورثاني الظاهرة إلى التعليم الفرنسي، انظر الجزائر الثائرة، مرجع سابق، ص 137.

(4) لا تجيز الطريقة التجانية في حلقات ذكرها ووظائفها اليومية والأسبوعية استعمال الطبول والدفوف.

(5) عمر بن قدور، الإبداء والإعادة في مسلك سائق السعادة، فصل إخماد النار المشتعلة في المنار، مرجع سابق، ص 307.

(6) جريدة الصديق، أبو يعلى "ما هي الجرائد وما هي وظيفتها"، ع 49 (1922-2-13)، ص 1. ع 50 (1922-2-20)، ص 1.

(7) جريدة الصديق، عمر بن قدور (غيور على الحق)، "ما هكذا يدون التاريخ"، ع 52 (1922-3-2)، ص 3.

نظرا لتوقف جريدة الصديق، وأنه بعد ذلك-أي عمر بن قنور-" يريد إسقاط جميع الكتاب عموما وصاحب المنار خصوصا"⁽¹⁾، وممن دخل معركة الدفاع عن التجانية الشيخ النظيفي⁽²⁾ في رسالته " صلاة الفاتح بين المعتقد والمنتقد"، والذي تناولت بعض الصحف ردوده، وقد كره الحافظي للصحف أن تخوض في مسألة الشيخ النظيفي، في حين دافعت عنه النجاح⁽³⁾.

وعلى الرغم من تباين المشارب المنهجية بين الفريقين، فقد وجدنا البعض يحتفي بكتابات الغماري السلفي الظاهري والصوفي في ذات الوقت، والذي لم يسلم من قلمه أحد فقد كتب يهاجم الوهابية والتجانية على السواء، وأن الأخيرة مطية الاستعمار، معتبرا التجاني من الدجاجلة، متهما إياه بالكذب في ثواب صلاة الفاتح⁽⁴⁾.

3- المغالاة في الكشف:

وهو المسلك المعرفي الذي تدور عليه عديد المعارف الصوفية، وهو مسلك أقرب للذوق والباطن، ولذلك وقف منه الفقهاء موقفا متشددا من حيث رفضه إذا عارض ظواهر الشريعة ومسالكتها في الاستدلال، وخاصة إذا تعارض مع المصادر الشهيرة للاستدلال ومن أهمها الكتاب والسنة.

ولكن المتصوفة وفي عديد كتبهم الطافحة بالأخبار والرؤى يعتمدونه، ويبنون عليه أحكامهم، وهو أمر شائع في كل كتب الطرق، ومن بينها العليوية التي قال شيخها في كتابه البحر المسجور في تفسير القرآن بمحض النور: "فمن فتح الله بصيرته يراه الآن يتنزل به الروح الأمين، وإذا قرأه يقرأه من إمام مبین، وأعظمهم درجة من يتلقاه من أرحم الراحمين، وقليل ما هم"، وفي هذا تردد للقول باستمرار الوحي الخفي أو الإلهام، أو محض الهداية، أو القول بالتلقي عن الله كفاحا، وفي هذا يقول أيضا: "وهكذا الواحد منا مهما تقوى يقينه وانشرح باطنه فيما يسمعه من ألفاظ القرآن فلا يراه إلا كلاما يكلمه الله به في ذلك الحال، وقد كان لي نصيب من ذلك والحمد لله، فكنت مهما يطرق سمعي كلام الله، فترتعد بوادري عن الفحص حتى كأني أسمع حسيسا من بقية صلصلة الجرس"⁽⁵⁾.

وهو ما رفضه الإصلاحيون الذين اهتموا بنقض هذه المسالك المغالية، والتشجيع على مدّعيا بحجة أنها تفتح المجال للابتداع والزيادة في الدين، كما هي الردود على قضية رؤية النبي صلى الله عليه وسلم عند التجانية وغيرهم.

(1) الشهاب، الزواوي "الخلافات، كتاب الإرشاد لابن قشوط"، ع 118 (20-10-1927)، ج 3 ص 368.

وكذلك مصطفى بن شعبان في مقال "لم يبق للسكوت مجال"، الشهاب، ع 88 (17-3-1927)، ج 2 ص 905.

(2) النظيفي محمد بن عبد الواحد السوسي (1270-1366هـ) له: من آثاره الدرة الخريدة شرح الياقوتة الفريدة، الطيب الفائح وفي الورد السائح في صلاة الفاتح، نصرة السلطان وإغاظة الشيطان (في الانتصار للمولى عبد العزيز بن الحسن ضد الاستعمار الفرنسي)، تخميس البردة وغيرها، انظر معجم المؤلفين، مرجع سابق، ج 3 ص 471. المختار السوسي، المعسول ج 19 ص 137. دليل مؤرخ المغرب الأقصى، مرجع سابق، ص 283. الأزمي، الطريقة التجانية، مرجع سابق، ج 1 ص 429. الأعلام، مرجع سابق، ج 6 ص 185.

(3) المنتقد، ع 4 (23-7-1925)، ص 78.

(4) الغماري أحمد بن الصديق، الجواب المفيد للسائل والمستفيد، مرجع سابق، ص 31.

(5) بن عليوة، البحر المسجور في تفسير القرآن بمحض النور، مستغانم، المطبعة العلوية، 1982، ص 18-20. حماني، مرجع سابق، ج 1 ص 69.

4- الترويج للحلول:

اتهم أوائل الإصلاحيين العلويين باستحياء مفاهيم الحلول المرفوضة سنياً⁽¹⁾. وكانت البدايات مع إصدار الطريقة العلوية لديوان الشيخ ابن عليوة في تونس سنة (1920)، والذي جاء فيه ما يوهم القول بالحلول في مثل:

تمهّني في ذاتك ---- وغبت فيك يا الله
ظهرت صفاتك ---- منك وفيك يا الله
دخلت للمعنى ---- منك وفيك يا الله
ناديت من أنا ---- لست سواك يا الله

واستمر اتهام العلوي بالقول بالحلول قائماً، وكتب عابسة عن ذلك، ولكن البلاغ فنّدت هذا الاتهام بنقل أقوال للعلوي يرفض فيها هذه العقيدة⁽²⁾، وكان الشيخ ابن عليوة قد غيّر عنوان كتابه إلى "مفتاح الشهود"⁽³⁾. ومن الغريب أنا لا نجد كبير سجالات من الإمامين ابن باديس والإبراهيمي، مع باقي شيوخ الطرق في هذه الفترة، وإنما كانت المناقضات والردود من غيرهما في قضايا فقهية وعقدية، ومن نماذج ذلك:

أ- **العقبي والحافظي**: اشتعلت الردود بينهم حول جدوى التصوف، فكتب الحافظي في البلاغ باسم الأزهر، ورد عليه العقبي مقالات متسلسلة في صحيفة المتناظرين، والمقال هو "الله أكبر خربت خير"، كما رد عليه في دفاعه عن عاشور الخنقي، واستغرب منه كيف يدافع عمن يدعو إلى الحلول والاتحاد، وقال: "كنت أعتقد وأجزم بأن ما حوته تلك القصيدة هو من عقائد الشيخ عاشور، واليوم علمت أن في البلاد عواشر كثيرة، وأن تلك القصيدة يصح أن يطلق عليها بعد الآن أنها حافظة كذلك"⁽⁴⁾.

ج/ **التبسي**: في الرد على كتاب الناصر معروف "إن كنت حاملاً فلدي غلاماً"⁽⁵⁾. وفي العدد الذي بعده.

المطلب الرابع: الجدل الفقهي.

وهو جدل تناول عديد القضايا الفقهية البحتة أو المتعاقبة بالسلوك الصوفي، ومن أهمها ما يأتي:

1- التقليد والاجتهاد الفقهي:

من أوائل من نثر سهام الموضوع الذي كان شديد الجدل في المشرق العقبي الذي بدأ بمناكفة التقليدية المالكية، وذلك عندما طرح مسألة التقليد المذهبي وحجية الشريعة على كل أحد⁽⁶⁾. ومن مسببات هذا التقليد والاكتفاء بالماضي ما رمى به الإصلاحيون الفقهاء التقليديين من شد أيديهم على الكتب الصفراء، وعدم الانفتاح على الجديد الفقهي الذي تحمله الصحف والمجلات، لأنهم يقولون: "العالم

(1) حماني، صراع بين السنة والبدعة، ج 1 ص 67.

(2) البلاغ، ع 52 (1-2-1927)، أضاميم المد الساري، مرجع سابق، ج 1 ص 261.

(3) بوغانم، نفسه، ص 100.

(4) الشهاب، العقبي، "الله أكبر خربت خير"، ع 17 (3-3-1927)، ج 1 ص 355. البلاغ، ع 270.

(5) الشهاب، ع 177 (20-12-1928)، ج 4 ص 529. الشهاب، ع 178 (27-12-28)، ج 4 ص 545.

(6) الشهاب، ع 14 (11-2-1926)، مج 1 ص 294.

الحقيق هو الذي يلزم الخلوة والسبحة، ويشغل بالعبادة حتى يموت، ولا ينبغي له أن يشتغل بالجرائد التي هي من علم الدنيا"⁽¹⁾.

وفي ذات المسار هاجم ابن باديس الفقهاء التقليديين الراضين بالخرافات، والكسالى عن الكتابة في الصحف، ففي مقال صدر به العدد الأول من المنتقد يقول: "مسلمون ويعدون أنفسهم علماء؟ ثم هم يرون البدع المنتشرة والحرمان الشرعية المنتهكة"، كما أشار إلى سكوتهم إلا عندما يتعلق الأمر بشيوخهم وأرائهم، حتى إذا قيلت كلمة من الاعتراض على الحق في نحلة ينتحلونها أو رجل يعتقدونه قاموا لذلك وزمجروا وأنكروا، وتنازلوا للصحف وكتبوا وحرروا، ولكن ماذا كتبوا؟ وماذا حرروا؟ فهل نحلتهم أعز عندهم من دينهم؟ أم رجلهم أجل عندهم من نبيهم؟"⁽²⁾.

وركز المبلي على نفي التهمة القائلة بأن العودة للكتاب والسنة تقتضي دعوى الاجتهاد، وإماتة كتب المتقدمين، بل قال إن المشاغبة بذلك واتهام الإصلاحيين بالاجتهاد هو من تساند الطريقين والمعمرين لإبقاء الأمة في الجهل⁽³⁾.

وفي مجال نقد التقليدية هاجم محمد الصالح خبشاش علماء الدين الجامدين المعادين للعلوم العقلية والاختراعات العصرية، العاكفين على مختصر خليل لا يجاوزونه: "والعجيب أنهم يفنون أعمارهم في تقليد صفحات مختصر خليل، وهميات أن تقبل أفكارهم عدا خليل، وعندهم أن سائر العلوم حلت في خليل، فهو لديهم بمثابة دائرة العلوم والمعارف"⁽⁴⁾، ومن هذا القبيل انتقد الإصلاحيون طرائق التعليم القديمة والعكوف على المختصرات التي أنتجت طلبة غير مقتدرين حتى على القيام بشرائط الإمامة اليومية⁽⁵⁾.

وقد دخل محمد بن بكير الإباضي على الخط، حيث كان مدير جريدة "الصدّيق" التي رأس تحريرها المولود الزريبي، فكتب أيضا "رسالة إلى الدين الخالص"⁽⁶⁾ وقرظها ابن باديس، ثم تنصل منها معتذرا بأنه لم يقرأها كاملة، وكانت هجوما على المذاهب السنية الأربعة⁽⁷⁾. وفي هذا المجال أيضا دعا الإصلاحي الإباضي محمد بن إبراهيم الطرابلسي إلى الاستنباط المباشر من الكتاب والسنة، وإطلاق العقل من عقال الأوهام والترهات⁽⁸⁾. وهذا ما جعل الشقة تبدأ في الاتساع بين المحافظين، وهؤلاء العلماء العبدويين الذين لا يراعون حرمة الأئمة بدعوى التجديد، أو هؤلاء الوهابيين الخوارج في أدبيات الطريقين: الذين رفضوا التهجم على الميراث والمذهب

(1) جريدة الإصلاح، ع 7 (1929-11-7). مقالات العقبي، مرجع سابق، ج 1 ص 276.

(2) المنتقد، ع 1 (1925-7-2)، ص 19.

(3) المبلي، رسالة الشرك ومظاهره، مرجع سابق، ص 44.

(4) المنتقد، ع 4 (1925-7-23)، ص 68.

(5) انظر الشهاب، أساليب التعليم في منطقة زواوة، ع (محرم 1348 - جوان 1929)، ج 5 ص 240.

(6) طبعتها المطبعة النعالبية.

(7) العقون، الكفاح القومي السياسي، مرجع سابق، ج 1 ص 170.

(8) الإصلاح، الطرابلسي "ألا فليعيش المصلحون وليخسأ المبطلون"، ع 3 (1929-9-9)، ص 1. قوبع، نفسه، ص 135.

المالكي، واعتبروا دعوات الاجتهاد والاقتصار على الكتاب والسنة طعنا في المذاهب، وسوء ظن بأصحابها الذين اجتهدوا في فهم النصوص، وإن الإنكار لا يكون في الاجتهاديات وإنما على المنكر المجمع عليه⁽¹⁾. ومما أجاب عنه ابن عليوة في اعتماد الفريق الآخر على قضية تكميل الدين في سورة المائدة أن التكميل هو في الأصول والقواعد الجوهرية، وأما الفروعيات فهي مجال للاجتهاد والاستنباط⁽²⁾.

ومما يجدر قوله بأن قضية التقليد والتجديد شغلت بها حتى الدوائر الطرقية عندما اختار بعضهم اختيارات من خارج المذهب المالكي، كما هو الأمر عند التجانية في البسملة في الفاتحة في الصلاة، أو العلوية في القبض، مما جعل بعض مشايخ الزوايا يهاجمون ذلك، ويرفضون فكرة التلفيق بين المذاهب، كما هو رد السعيد أهلول على العلويين⁽³⁾، أو كما هو تشديد ابن قشوط على التقليد المذهبي للعوام والفقهاء الذين قصروا عن الاجتهاد⁽⁴⁾.

2- الأذكار وتوقيتها:

ابتدأ الجدل حول الأذكار عقب الصلوات، وعلى القراءة على الميت، وحمل الجنائز بالذكر وقراءة البردة أثنائها، وكتب الفريقان وأنصارهما من مصر وتونس والمغرب وسوريا في مختلف الجرائد، ومن هؤلاء الشيخ التونسي محمد المدني القصيبي الذي كتب مقالات منتصرة للعلويين⁽⁵⁾.

يشتط الزاهري في الرد على دعوى ضرورة الأذكار في رده على مقال الصدقاوي: "إن الأوراد الطرقية ليست من الذكر، بل هي لغو يسعى الإصلاحيون لمحوه، وأن الطرقيين يعرفون أخبار شيوخهم أكثر من النبي"⁽⁶⁾، وهو ما يحيل إلى شيوع كتب الكرامات وطبقات الأولياء في دوائر الصوفية، أكثر من كتب السيرة، ولكن هذا الرأي ينقضه اهتمام المتصوفة بكتب السيرة والشمائل والموالد، كما أسهم التبسي بقوة في نقد التراتبية الطرقية في مقالات "بدعة الطرائق في الإسلام"، وانتقد بدعة تحديد الأذكار والأوراد، واعتبرها مخالفة للسنة⁽⁷⁾.

وتدخل الشيخ بلقاسم طعيوج (ت 1932) برسالة فقهية انتصر فيها للمتصوفة في جواز الذكر الجماعي، والدعاء عقب الصلوات ورفع اليدين به ومسح الوجه، وكان الرجل فقهيا يختم مختصر خليل كل سنة، ولكنه شدد على عدم الابتداع في الأذكار، وكتب كتابه "السيف المسلول الرباني في ضرب عنق من ابتدع في الطريق الرحماني"، وقال سعد الله إن مضمون الكتاب: "يدعو إلى نبذ بعض الممارسات التي ابتدعها بعض المتصوفة وأتباعهم عند اجتماعهم للذكر، ويقول من اطلع عليه إنه كتاب متداول بين أتباع الرحمانية، وأنه يشمل الحديث عن التقوى والاستقامة وأحوال التربية الصوفية، وطريقة أخذ العهد، والذكر على

(1) انظر البلاغ، ع 19 (5-6-1927)، أضاميم المد الساري، مرجع سابق، ج 1 ص 60.

(2) البلاغ، جواب الأستاذ العلوي لبعض الطلبة حول الآية "اليوم أكملت لكم دينكم" ع 119 (5-17-1927)، أضاميم المد الساري ج 1 ص 106.

(3) السعيد أهلول الورثاني، الرد على العوام القائلين بتلقين الذكر، ضمن كتاب محمد الطاهر فضلاء، أعلام الجزائر الشيخ السعيد أهلول الورثاني في مجموعة من رسائله وفتاويه ومجالسه، مرجع سابق، ص 154.

(4) ابن قشوط، الحجج المسلمة في حكم من طلق امرأته ثلاثا في كلمة، ص 41. وقد شهرتها المنتقد، ع 15 (8-10-1925)، ص 285.

(5) البلاغ، ع 66 (25-4-1928).

(6) الشهاب، الزاهري، نقد مقال "التجربة خير دليل"، ع 154 (5-7-1928)، ج 4 ص 92.

(7) الشهاب، ع 166 (4-10-1928)، ج 4 ص 320.

الجنائز وأصل الإجازة، كما يتناول تحريم الدخان واستعمال الآلات الموسيقية والرقص في اجتماع الذكر⁽¹⁾.

وأما الطريقون فلم يكونوا يرون حرجا في الاجتماع للذكر، وأنه مشروع بدليل حديث: "من ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه" وحديث رياض الجنة، وأن الانشاد مشروع لدعاء النبي عليه الصلاة والسلام لحسان بن ثابت⁽²⁾.

3- تلقين الأذكار:

وهي القضية التي أثارها العلويون في مناطق القبائل بعد دخولهم لها في إيجابهم على العوام الإذن في الذكر من مقدمهم، وعلى الرغم من أن القضية محل اتفاق بين الطرق في إيجاب الشيخ على المريد، إلا أن الشيخ السعيد أهلول الورثاني الرحماني⁽³⁾ كتب رسالة في الرد عليهم، وسمها "الرد على العوام القائلين بوجوب تلقين الأوراد على الكافة" نافيا وجوب ذلك، مطالبا بتصحيح العقائد والعبادات، ناعيا على متفجرة الوقت اهتمامهم بالذكر اللساني وما يصاحبه من الوجد والطرب: "وقد ظهر في زماننا هذا دجالون كذابون يدعون الولاية، ويتعرضون لتربية المريدين وإرشاد السالكين من غير علم أصلي لهم"⁽⁴⁾، وهاجم اهتمام العلويين بتكثير أتباعهم في مناطق القبائل الصغرى دون مصاحبة للتعليم والتزكية، فقال: "ومنه تعلم أن ما يفعله مشايخهم من جولانهم وجولان نوابهم في مختلف الأوطان والبلدان يحملون كافة الناس كبيرا وصغيرا ذكرا وأنثى على التلقين والدخول في طريقتهم إنما هو خطأ صراح"⁽⁵⁾. ولأجل هذا النقد لبعض المسلكيات العلوية وغيرها من الطرق احتفى الإبراهيمي بالرسالة وقرظها⁽⁶⁾. وقد ترك أهلولي أثرا إصلاحيا عميقا في تلامذته، ومنهم الشيخ محمد أمقران الغزالي المصلح⁽⁷⁾.

4- الذكر بالاسم المفرد:

وهو ما كان ممارسا داخل الخلوات العلوية وغيرها، وهم يستشهدون بقول ابن عربي لما دخل على أحد شيوخه فوجده يذكر بالاسم المفرد، فقال: الأنفاس بيد الله، وأخاف أن يقبض روعي عندما أقول "لا إله" فاقبض في وحشة النفي⁽⁸⁾. وبقوله تعالى: ﴿قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون﴾ [سورة الأنعام، 91]

(1) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 80. وص 144.

(2) البلاغ، مقال السميديسي المالكي، "التصوف ومكانته في الشرع"، ع 39 (7-10-1927)، أضماميم المد الساري، ج 2 ص 34.

(3) السعيد أهلولي تتلمذ لابن مهنا، وتوفي سنة (1945)، له "الدين النصيحة"، وهذه الرسالة التي طبعت بالثعلبية سنة (1926). تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7 ص 132. وانظر محمد الطاهر فضلاء، الشيخ السعيد أهلول الورثاني في مجموعة من رسائله وفتاويه ومجالسه، دار هومة، 2004.

(4) السعيد أهلول الورثاني، الرد على العوام القائلين بوجوب تلقين الأوراد على الكافة، ص 98.

(5) السعيد أهلول الورثاني، الرد على العوام القائلين بوجوب تلقين الأوراد على الكافة، ص 109.

(6) الرسالة نشرت بمطبعة رومسي سنة (1928)

(7) محمد بن الغزالي أمقران (1891-1962)، من بني وغيليس، درس بزاوية السعيد المسيسي على يد السعيد الجبيري، ثم أكمل الدراسة على يد السعيد أهلولي بزاوية سيدي موسى الوغليسي. انظر الحسن فضلاء، من أعلام الإصلاح، ج 2 ص 327.

(8) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 128

ثار الجدل حول الذكر بالاسم المفرد، ووجدنا ردودا على ذلك، وخاصة في إنقاص بعض الحروف منه كحرف الهاء، أو مد الألف، مما يقع في الحضرات، مما اعتبره بعضهم إلحادا في أسماء الله تعالى، وكثرت ردود الإصلاحيين في ذلك، بل إن بعض الطريقين كتب مشنعا على ما يجري في العمارة العلوية وغيرها من الحضرات من الذكر بالاسم المفرد وإسقاط بعض الحروف منه، وكذا التحريف في الهيلة بمد بعض الحروف وإسقاط البعض الآخر منها⁽¹⁾. وهو ما قابله العلويون بردود مؤصلة لما يفعلونه في الخلوات والعمارات⁽²⁾. وذكر مراسل النجاح بأن زاوية مستغانم الأم ليس بها ما في زاوية عنابة العلوية من رفع الصوت بالذكر أو ما سماه هو متهمًا بالشهيق والشهيق ودوي المنشار الميكانيكي⁽³⁾.

5-التوسل:

وهي من كبريات القضايا الجدلية بين الفريقين، فقد كان الطريقون يعتبرونه من معاهد الدعاء، ويجيزون التوسل بالأحياء والأموات تحريرا لمعنى العبادة، معتمدين الردود على الوهابيين مثل كتاب إسماعيل التميمي "المنح الإلهية في طمس الضلالة الوهابية"⁽⁴⁾، وكان الإصلاحيون على النقيض من ذلك متأثرين ببعض الآراء الوهابية، إلا أن ابن باديس خط خطا معتدلا، إذ كان مقتصدا في التوسل حيث رأى جوازه بالنبي صلى الله عليه وسلم: "إن الوسيلة عمل شرعي والعمل به جائز، وخالفه العقبي: أنا فلا أنافق ولا أراجع عن فكري في الوسيلة أو في غيرها"⁽⁵⁾.

6- دفع الزكاة للزوايا:

ثار السؤال حول جواز دفع الزكاة للزوايا، وهو ذو خلفية نقدية لموارد الطرق، حيث نشرت جريدة النجاح مقالا يتساءل فيه صاحبه عما يدفع من الأموال لأرباب الزوايا أو يستجلبونه بواسطة المقدمين بقصد الزكاة هل هو مجزي أم لا؟، وجاء الرد من ابن عليوة مفصلا الحكم: "إن صرف الزكاة لغير الأصناف الثمانية لا يحتمل الجواز لأنها فريضة من الله، ولكن لا يمتنع أن يكون في أرباب الزوايا من يصدق عليه الوصف بعينه، كأن يكون مسكينا أو مدينا، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، يحتمل أيضا أن يوجد من أرباب الزوايا من يأخذها ليصرفها في أبوابها. لذا أقر بأن دفعها له غير سديد، ولكنه لم يمنع إرسالها إليه، الشيخ ألح فقط على من أراد بإحسانه دفع زكاة أمواله- وأراد أن يتم صرف تلك الأموال بواسطته- أن يبين للشيخ أنها زكاة ليصرف ذلك المال في وجوهه الشرعية"⁽⁶⁾. في حين استنجدت الشهاب بفتوى عبد القادر الفاسي بالمنع⁽⁷⁾.

(1) السعيد أبهلول الورثاني، الرد على العوام القائلين بوجوب تلقين الأوراد على الكافة، ص 144.

(2) انظر بعض الردود في الشهاد والفتاوي، شهادة المفتي بن قارة مفتي مستغانم، ص 17.

(3) النجاح، جولتنا بالغرب الجزائري، ع 133 (16-11-1923)، ص 3.

(4) انظر ابن قشوط، كتاب الإرشاد إلى سبيل الرشاد، ص 188. وفي البناء على القبور، ص 272.

(5) العقون، الكفاح القومي السياسي، نفسه، مرجع سابق، ج 1 ص 196.

(6) أحمد بن مصطفى العلوي، أعذب المناهل في الأجوبة والرسائل، ص 18، نقلا عن غزالة بوغانم، نفسه، ص 154.

(7) الشهاب، مقال "أخذ أرباب الزوايا الزكاة ومن بهم التحق"، ع 12 (28-1-1926)، ج 2 ص 251.

7- الزكاة في النقود الورقية:

وهي من القضايا الحديثة التي ثار فيها الجدل الفقهي بين موجب للزكاة فيها ومانع. حيث بدأ النقود الورقة تغزو الأسواق مطلع الحرب العالمية الأولى، مما أدى إلى نقاش فيها وعزوف بعض الناس عن استعمالها بدلا من الفضة والذهب كما حدث في تلمسان مثلا⁽¹⁾، فمن الموجبين للزكاة فيها الفقيه ابن قشوط، وهو فقيه متمذهب⁽²⁾، وممن أسقط وجوب الزكاة فيها الشيخ السعيد أهلول⁽³⁾، وأما الطيب المهاجي فله فتوى مماثلة بعدم وجوب الزكاة فيها نشرها في النجاح، ورد عليه أبو عبد الله البوعبدلي وسكيج، وممن قال بعدم الوجوب أيضا محمد الصالح القسنطيني، ورد عليه أحمد بن عبد الباقي مفتاح من وادي سوف، وكذا الطاهر العبيدي في "المباحث الرائقة" مستدلا بأراء المعاصرين كالخضر حسين وابن عاشور والمكي بن عزوز⁽⁴⁾. وأما الزريبي الذي امتاز بنزعة تجديدية معاصرة في الفقه، والتي هي أثر من مدرسة محمد عبده التي شاهد صعود نجمها بمصر-، فقد أفتى بوقوع الزكاة في النقود الورقية⁽⁵⁾. في حين هاجم العقبي الفقهاء الذين أفتوا بأن الضرائب تغني عن الزكاة⁽⁶⁾، حيث نسبوا القول للشيخ محمد العربي بن الحسين الطولقي الذي نفى هذه الفتوى⁽⁷⁾، وهي مسألة تومئ إلى عدم شرعية الحكم القائم.

ويلحق بهذا فتوى ورسالة الشيخ الحاج المنور (ت1344هـ) في وجوب الزكاة في الخرطال قياسا على القمح، وقد وافقه عليه الشيخ سكيج⁽⁸⁾، وكلاهما تجانيا الطريقة.

8- لحوم أهل الكتاب:

وهي المسألة المتعلقة بفتوى محمد عبده في جواز طعام أهل الكتاب، أو ما عرفت بالفتوى الترنسفالية⁽⁹⁾، وقد نشرت الشهاب مقالات متعددة في الموضوع، وأكثر النقاش فيها كان بين الحافظي والميلي حول جواز شحوم وذبائح أهل الكتاب⁽¹⁰⁾. وكرر الميلي حول ما يسميه ثرثرة الحافظي: "اللحوم والشحوم"، حيث قال: "على الحافظي وهو أصولي منطقي اقتصادي خشاش في كل موضوع"⁽¹¹⁾. وجاء في خطب أبي يعلى أنه خط كتابا في "الذبائح"، وكان يرى حليتها، وربما لم ينشر.

9- الطلاق ثلاثا:

(1) العشعاشي، السلسلة الذهبية في التعريف برجال الطريقة الدرقاوية، مرجع سابق، ص 58.

(2) ابن قشوط محمد العربي، المباحث الرائقة في إجراء حكم النقيدين على مالك الكارطة، ص 102. مع العلم أن ألفها سنة (1911).

(3) محمد الطاهر فضلاء، السعيد أهلول الورثاني، ص 285

(4) انظر مجموع النسب، ص 58. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7 ص 84. وازداد النقاش فيها في النجاح سنة (1955)

(5) جريدة الصديق، ع 30 (18-4-1921)، ص 4-3. مقالات الزريبي، ج 1 ص 182. والسؤال نشر بجريدة الرقيب بطرابلس الغرب.

(6) البرق، ع 17 في (4-7-1927). مقالات الزريبي، ج 1 ص 241.

(7) النجاح، إعلام، ع 270 (5-2-1926)، ص 2.

(8) بن بكار، مجموع النسب، ص 57. سكيج، الرحلة الحبيبية الوهرانية، مرجع سابق، ص 131.

(9) مجلة المنار، (جمادي 1322-1304)، ج 7 ص 427. ج 6 ص 771.

(10) الشهاب، ع 105 (14-7-1927)، ج 3، ص 97.

(11) الشهاب، ع 115 (29-9-1927)، ج 3 ص 304. وانظر

المسألة التي ثار فيها جدل كبير، ففي حين تمسك الطرقيون بمشهور مذهب مالك فيها، ومن الغريب أن المنتقد نوهت بالشيخ بن قشوط، وهو من المحافظين في كتابه "الحجج المسلمة في حكم من طلق امراته ثلاثاً في كلمة"⁽¹⁾ وهو مشهور مذهب المالكية، في حين رجح تجديدو المشرق مذهب ابن تيمية. ومن المعروف أن الطرقيين كانوا يذمون ابن تيمية، ويقولون إن ما يرشد إليه المصلحون هو ضلالة ابتدعها ابن تيمية، ويرد الملي: "أن ابن تيمية لم يبتدع ضلالة، وإنما أحيا السنة، ودعا إلى الهدى، واجتهد في النصيح"⁽²⁾.

10- القبض والسدل:

هاجم صوفية زواوة العلويين في سنية القبض، ودعوة ابن عليوة إلى الأخذ من الكتاب والسنة في رسالته "وضع الإثم في سنة وضع اليد على اليد"، بل وذهب شيخ سيدي عيش "السعيد أهلول" إلى اتهام المكي بن عزوز الذي أثار القضية بالزيف⁽³⁾. وقال إنه إنما أظهر هذا الرأي موافقة للأحناف لما هاجر إلى تركيا⁽⁴⁾، وكتب رسالة ثانية في الرد على ابن عليوة سماها "الدين النصيحة"، دعا فيه إلى الالتزام بمشهور المذهب المالكي في عدم القبض في الصلاة، واتهم ابن عليوة بالحط من الأئمة المالكية في هذه الرسالة "نور الإثم" التي نشرها أتباعه في قرى القبائل، وأحدثوا بها فتنة في المساجد، وحشد أهلول رسالته بالنقول والردود على ابن عليوة والمكي بن عزوز، وخاصة من رسالة "نصرة الفقيه السالك على من أنكر مشهورية السدل في مذهب مالك"⁽⁵⁾، ومن المعلوم أن المكي بن عزوز خالف مشهور المذهب المالكي وانتصر للقبض، ومن المعروف أن القضية لها جذورها منذ القرن الماضي حيث كتب فيها السنوسي "رسالة في مسألتي القبض والتقليد".

11- هلال رمضان:

شاعت خلافات الصيام، بين الصوم بمواقيت الإدارة أو غيرها، وكان الحال ألا يصوم أحدهم بصوم الآخر، وذلك في ثبوت الهلال في تونس، ففي مقال للملي حول "ثثرة الحافظي" انتقد فيه هجومه على العقبي وابن العربي، واتخاذ هلال رمضان سباً لعلماء تونس⁽⁶⁾. وعضده الزاهري في نقد المولود الحافظي في مقاله "سلس الأفواه" لما تناقض مع العمودي حول الرؤية⁽⁷⁾. وكان الحافظي من الرواد الذين ينفون الرؤية مع عدم ولادة الهلال فلكياً⁽⁸⁾، وهو ما لم يستسغه بعض الفقهاء المتشبهين بالرؤية.

12- الجدل حول اللحية:

دخلت اللحية في الجدل الفقهي، فبينما كان الطرقيون يشددون على إطلاق اللحي وكونها من موجبات الدين، ويهتمون الإصلاحيين بالميوعة وتقليد الفرنجة في حلقيها. ظل الإصلاحيون يرونها سنة، وكان الشيوخ من

(1) المنتقد، ع 15 (8-10-1925)، ص 285. وانظر محاضرات ومقالات أحمد حماني، ج 3 ص 166.

(2) الملي، رسالة الشرك ومظاهره، مرجع سابق، ص 57.

(3) البلاغ، ع 38 (30-10-1927)، ج 1 ص 298. وانظر تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 81.

(4) السعيد أهلول الورثاني، الرد على العوام القائلين بوجوب تلقين الأوراد على الكافة، ص 150.

(5) السعيد أهلول، الدين النصيحة، ص 157، والرسالة هي للإمام محمد بن يوسف الحيدري الكافي التونسي (1380).

(6) الشهاب، ع 111 (25-8-1927)، ج 3 ص 223.

(7) الشهاب، ع 152 (21-6-1928)، ج 4، ص 48. وانظر العقون، نفسه، ج 1 ص 173.

(8) البلاغ، المولود الحافظي الفلكي الأزهرى "حول إثبات رمضان وعيد الفطر"، ع 11 (4-3-1927)، ص 3.

الطبقة الأولى يلتحون مع تهذيبها، أما الصفوف الأخرى فلم تكن تولي الأمر كبير عناية، بل كثيرا ما تهكموا باللحى الطرقية المسدلة، وسموها لحي التيوس، فيحكي الزاهري عن منتسب علاوي خطب فتاة، ثم فسخت خطوبتها منها قائلة: "سلام عليكم لا نبتغي الملتحين"⁽¹⁾.

ومن ذلك تهكم الميلي بأن البلاغ لم تجد من يروج لها بقسنطينة: "لأنهم لم يجدوا من باعة الدخان من هو ذو لحية تيسية"⁽²⁾. ومما جاء في هجاء الزاهري⁽³⁾:

قطع الطريق عليك في غلس ولم-----تكن التيوس لتقطع الطرقات
لولا التصوف ما رأيت ذوي اللحي-----يأتون أمرا غير مواتي.

ولأجل ذلك نصح قدور المجاجي الطرقي المنزع أهل الطريق إلى عدم الاغترار بطول اللحي وانسحاب الأجنحة وتطويق الأعناق بالسبح، ودعا إلى لزوم حدود الشريعة، وتهذيب الأخلاق، وتوحيد الأفكار والهمم⁽⁴⁾. وهاجم ابن عليوة علمانية أتاتورك الذي أجبر الناس على حلق اللحي والشوارب⁽⁵⁾. واعتبرها تلميذه عدة بن تونس شعارا محمديا في معرض رده على بن شعبان الذي اتهم العلويين بتدبير الاغتيال لأن الفاعل كان ذا لحية "وأن الجاني لم تتحقق نسبته عند المرداء مثلكم الذين يعرفون العلويين بسنة اللحي تك السنة وذلك الشعار المحمدي الذي كان عليه أبؤك وأجدادك"⁽⁶⁾ وهذا الرد كان في أيام التحقيق في القضية. كما تهكم بن تونس من عدم وفرة لحية الميلي قائلا "فليأخذ بلحيته ورأس صاحب الملاحظات، فإن لم يكن له لحية حسب منقول المؤمنين فمن تلك الزغبات"⁽⁷⁾...؟؟

ويبدو أن معركة اللحي انتقلت أيضا من الجزائر، ففي مصر كان بعض الطرقيين يهاجمون علماء الأزهر في هذا، ويحكي أبو يعلى أن الشيخ محمود خطاب السبكي نادى باتباع السنة، وقد عُرف هو ومريدوه بالفقر في اللباس، وقص الشارب وإعفاء اللحي، وعادى غالب علماء الأزهر من أجل مخالفتهم ذلك.. وهو من أكابر الطرقيين⁽⁸⁾.

13- آذان غرداية:

لقد استبان من مجهودات الإصلاحيين نشاطهم في غلق نوافذ الشقاق بين الجزائريين مالكية وإباضية، فيذكر الميلي في مقدمة الجزء الثاني من شعراء الجزائر: "لقد كان قبل اليوم الجزائري الميزابي لا يمد يده إلى الجزائري غير الميزابي، والجزائري غير الميزابي لا يصفاح أخاه الميزابي، وكل يسبح في فلك خاص به، أما اليوم

(1) البرق، قوراص، ع 33 (15-8-1927)، عن محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية، مرجع سابق، ج 2 ص 194.

(2) الشهاب، الميلي "الكتاب الإصلاحيون والضلال الخرافيون"، ع 86 (3-3-1927)، ج 2 ص 876. حماني، نفسه، ج 2 ص 117. ومن بعد ظلت المرصاد تهكم باللحي المسدلة والسيح الباكورية، مقال "شهيقي الحمير أو نهيق الحلول"، ومقال "نادي المساك"، ع 20 (24-6-1932)، ص 3.

(3) الشهاب، الزاهري "قصيدة إلى من أؤذي في الله"، ع 79 (13-1-1927)، ج 2 ص 734.

(4) البلاغ، قدور بن أحمد المجاجي، إلى إخواننا الطرقيين، ع 91 (26-10-1928)، أضماميم المد الساري، مرجع سابق، ج 2 ص 109.

(5) البلاغ، مقال "إلى زعماء الأمة ومفكرها"، ع 53 (20-1-1928)، أضماميم، مرجع سابق، ج 1 ص 195.

(6) البلاغ، عدة بن تونس "حتى كليب يسبني"، ع 3 (5-1-1927)، ص 2. ومقال بن شعبان في لسان الشعب (239).

(7) البلاغ، عدة بن تونس "علي القرن العشرين"، ع 5 (21-1-1927)، ص 2.

(8) الشهاب، الزواوي، "شيوخ الطرق ليسوا بعلماء؟" ع 90 (31-3-1927)، ج 2 ص 949. حماني، صراع بين السنة والبدعة، ج 2 ص 87.

فقد تعارف أدباؤنا واتحدوا تحت اسم الجزائر⁽¹⁾. والأمر ذاته من احتفاء جرائد الطرقيين بكل عمل تعليمي أو نهضوي ببلاد ميزاب⁽²⁾.

تباينت مواقف الإصلاحيين والطرقيين من موضوع إحداث الأذان المالكي بغرداية نهاية العشرينيات، حيث رفض الميزابيون ذلك، وترافع الجميع أمام الهيئات العلمائية، وكان الطرقيون كلهم مع شرعية الأذان المالكي، في حين تراوحت آراء الإصلاحيين في ذلك، فابن باديس دعا الجميع للحوار في مقاله "أذان غرداية"⁽³⁾.

في حين بدأت الكفة تميل لصالح المالكية بعدما بعثوا وفودهم للعاصمة وقسنطينة، وقابلوا زعماء الإصلاح كأبي يعلى الزواوي، ونشرت الشهاب رداً وسمته "مغالطة اطفيش"⁽⁴⁾، وجرت مفاوضات بين العلاويين مع الفرق (سليمان بوجناح الميزابي)، مما أدى إلى توقيفه، ووصل الأمر إلى المرافعات القضائية⁽⁵⁾.

كما اقترح أحد برجوازي العاصمة وهو أحمد بن بوجمعة (مدير مصنع الشاشية) إلى بث الأذان بالمذيع، أو يتداولون على الأذان، وقارن الوضع بفلسطين، مما يشير إلى إحساس الجزائريين بالخطر اليهودي الصهيوني والهجرة اليهودية إلى فلسطين في بواكيرها (سنة 1930)⁽⁶⁾.

14- تعدّد الجمعة:

مسألة جديدة حدثت مع التوسعات العمرانية في المدن الجزائرية، وكان مشهور المذهب عدم تعدّد الجمعة، وأنها تصح فقط في المسجد العتيق، ومع إكراهات النمو والتوسع السكاني نشأت مساجد جديدة، وأحدثت فيها الجمععات، فقام النكير من بعض العلماء المحافظين، وممن كتب في الجواز الشيخ الحاج المنور التجاني الطريقة رسالة "انحسام الريق في حلق من أنكر الجمعة ببلدة سيق"⁽⁷⁾، وهو ما استقر عليه العمل بعد ذلك.

المطلب الخامس: الجدل الفكري الاجتماعي.

1- ملف المرأة التعليم والسفور:

فتح الإصلاحيون موضوع المرأة في العشرينيات لمجابهة أوضاع التجهيل والتخلف التي تحياها المرأة الجزائرية، فدعا العمودي لوضع حلول لذلك عن طريق التعليم، وعدم الانجرار لدعوات خروجها بالسفور والاختلاط⁽⁸⁾، وحذر من أن الإجحاف بحقوقها وتربيتها سيضر بالمجتمع كله⁽⁹⁾، في حين حضّ الزاهري على الالتزام

(1) السنوسي، مقدمة الجزء الثاني لشعراء الجزائر، مرجع سابق، ص 12.

(2) ومن نماذج ذلك ما نشرته جريدة لسان الدين في مقال "عمل مرور وسعي مشكور" في الإشادة بفتح محمد بن محمد تقي المزابي لمكتب تعليمي رتب فيه أجرة ورواتب وتحفيزات للتلاميذ، ع 9 (27-2-1923)، ص 2.

(3) الشهاب، (ع محرم 1349-جوان 1930)، ج 6 ص 343. أذان غرداية، (ع صفر 1349-جويلية 1930)، ج 6 ص 387. ع (شعبان 1349-جانفي 1930)، ج 6 ص 843. توفيق المدني، حياة كفاح، ج 2 ص 311.

(4) الشهاب، (ع رمضان 1349-فيفري 1931)، ج 7 ص 55.

(5) الشهاب، مقال "توقيف الفرق في العاصمة لماذا؟" (ع ذو القعدة 1349-أفريل 1931)، ج 7 ص 291.

(6) الشهاب، ع (ربيع الأول 1349-أوت 1930)، ج 6 ص 469. ع (ربيع الثاني 1349-سبتمبر 1930)، ج 6 ص 564.

(7) بن بكار، مجموع النسب، مرجع سابق، ص 57.

(8) الإصلاح، العمودي "كلمة عن السفور"، ع 11 (23-1-1930)، نقلا عن قوبع، نفسه، ص 260.

(9) الإصلاح، العمودي "المرأة المسلمة"، ع 8 (14-11-1929)، نقلا عن قوبع، نفسه، ص 261.

بالحجاب، وأنه بالملاحظة سبب جالب لاهتمام الأوروبيات، بل ونقل شهادات فرنسيين من التحذير من الإغواء الغربي: "إياكم أيها المسلمون أن تغتروا بكاذيب هؤلاء الفرنسيين الذين لم يعترفوا من شدة تعصبهم بكرامة المسلمة، ولم يقدروها حق قدرها، فهم يسمون حجابها سجنا، وحياءها جمودا، وطاعتها لزوجها حيوانية وجهلا"⁽¹⁾.

أما الطرقيون فكانوا في البدايات مقتصدين في الدعوة إلى تعليم المرأة، خوفا من الانجرار وراء التحديث الغربي، ومقالاتهم طافحة بلزوم الحفاظ على التقاليد والحشمة، والهجوم على الاغترار بالتقاليد الغربية المفسدة للمرأة.

2- مشكلة التجنيس:

وهو النقاش الذي افتتح أيام حكم الوالي العام مورييس فيوليت (1925-1927) والذي دعا لمنح الجزائريين بعض الحقوق ضمن الدائرة الفرنسية.

يعتبر العمودي من أوائل من دعا إلى فتح القضية بنقاش عميق في الدوائر العلمائية، ودعا إلى التجنيس الجماعي لا الفردي، كما دعا إلى التفرنج العام وهو اقتداء الشرقي بالغربي في الأمور النافعة، وأما التفرنج الخاص المتعلق بأساليب الحياة دون تفريق بين الحسن والقبيح فهو مرفوض، وهو موقف متقدم في تلك الأيام، وقال: "إن المسألة لأهميتها الكبرى ليست من المسائل التي يرجع النظر والحكم فيها لفرد واحد أو لقليل من الأفراد، بل من الأمور التي يجب على جمهور الأمة تدقيق النظر فيها وإناطة الحكم فيها بعهدة عدد وافر من أصحاب العلوم الدينية والعقول المستنيرة والأفكار الراقية والكفاءة التامة...هؤلاء يقتصرون على الحكم في تجنس الأفراد، وهذا النوع لا يعم بالخير العاجل ولا الآجل على الأمة، بل يجب عليهم أن يبحثوا في التجنيس ولباقتة وحليته وحرمة ومنافعه أو مضاره من حيث تعميمه وتطبيقه على كافة الشعب"⁽²⁾.

ولكن الميلي -المعبر عن رأي عموم الإصلاحيين- كان رافضا للفكرة مطلقا، وذلك في رده على محمد زرقين وقال: "سياسة الإدماج هي القبر الذي لا نشر بعده... وإن سياسة الاندماج بعيدة في نفسها، بعيدة عن الأمة وأخلاقيها وعقائدها، فهي سياسة عقيمة، والمنتصر لها غير حكيم"⁽³⁾.

وانخرط العقبي في الرد على العمودي مستفزا بالإبراهيمي بالرد عليه قائلا: "ونستفز كلا من الاساتذة الشيخ البشير الابراهيمي القابع في كسر بيته لحد الآن والراضي من الغنيمة بالإياب والمكتفي من مشاركة المصلحين في حركتهم بالعتاب"⁽⁴⁾، ولكن العقبي في بعض آرائه كان ميالا لفكرة العمودي في التساهل في التجنيس الجماعي⁽⁵⁾، وبسط رأيه في مقال رد به على العلويين الرافضين للتجنيس، ووقعه باسم الزعيم الكبير⁽⁶⁾.

(1) الزاهري، الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير، مرجع سابق، ص 61.

(2) انظر الإصلاح، العمودي "التجنس والتفرنج" ع 6 (24-10-1929)، ص 1.

(3) الشهاب، ع 152 (21-6-1928)، ج 4 ص 54 حماني، مرجع سابق، ج 2 ص 265.

(4) جريدة الإصلاح ع 6 (14-10-1929). العقون، نفسه، ج 1 ص 169.

(5) العقون، نفسه، ج 1 ص 169.

(6) الشهاب، ع 105 (14-7-1927)، م 3 ص 90.

في حين رفض توفيق المدني فكرة العمودي والعقبي بالكلية قائلاً: "كانت دعاية فاجرة.....والذي زاد الطين بلة والجرح عمقا هو أن جريدة الإصلاح قد تحمست لتلك الفكرة، وأخذت تروج لها، ويكتب فيها الأستاذ الأمين العمودي المقالات المطولة التي تحبذ ذلك الطريق المعوج"⁽¹⁾ وردّ المدني أيضا بمقال نشر فيها "بين الحياة والموت" ونشرته الإصلاح أيضا⁽²⁾، كما أن الدعوة للتجنيس التي كتب عنها العمودي كانت على أعمدة جريدة التي يديرها العقبي، والذي لم يبتّ فيها برأي قاطع آنذاك، وربما تراجع وهاجم هذا الرأي بعنف حيث قال في لغة فجّة في رده على مقال انتقادي له بالبلاغ بعنوان "أستفسرك يا إصلاح" قائلاً: "نقول بصراحة لهذا البرذون الذي هو في صورة إنسان...."⁽³⁾. نافيا أن يكون مجرد البحث في التجنيس مدعاة للكفر أو انسلاخا من القومية.

أما الطرقيون وخاصة العلّويون فهاجموا العقبي والعمودي، وكتب البوديلي رسالة "رفع التلبيس عن فيه من أراد مسخ المسلمين بالسفور والتجنيس"، وطبع بمستغانم⁽⁴⁾. ولم تكتف البلاغ بالتشهير بالعقبي ودعوته لفتح النقاش حول التجنيس، ففيها: "حملت إلينا جريدة الإفساد والمفسدين (الإصلاح) بين جناحيها تلك المقالة الشنعاء والعمودية البشعاء، وإذا بها تنادي بأعلى صوتها راجية الانسلاخ من الإسلام والدخول في جنس آخر"⁽⁵⁾.

إلا أن هناك فتوى للحافظي وجهها لوحدة النواب، وطلب فيها السماح للمتجنس بأن يكون حرا في الأحوال الشخصية والميراث والتقاضي أمام القضاء الشرعي أو المدني، وأن لا تفرض عليه شروط مسبقة⁽⁶⁾، ولكنه عدل عن هذا الرأي كلية في الثلاثينيات كما سيأتي.

3- الترويج للفرق المنحرفة كالبهائية والقاديانية.

حاول الإصلاحيون في إطار نقدهم للإرث التصوفي الحلولي والاتحادي رمي الطريقة العلّوية بذلك، وأنها نصير للدعوات المنحرفة في العالم الإسلامي، وصادف أن نشرت البلاغ مقالا لأحد القاديانيين، فأتهمتها الشهاب بالترويج لبقايا الباطنية، وأشارت إلى مدّع سوري جديد للنبوّة جاء إلى بور سعيد، وأرسل برقيات للخدوي واللورد كرومر، كما حملت الشهاب على دعوى الفرقة البهائية (أتباع الميرزا حسين تلميذ الباب محمد علي الشيرازي مؤسس الباطنية بإيران) للسلم، وأنها كدعوى القاديانيين لإلغاء الجهاد⁽⁷⁾.

ونقضا لكل هذا قام الشهاب بطبع كتاب ابن العربي المالكي "العواصم من القواصم"، معلّلا ذلك بأنه خصم الباطنية: "وقد أقام عليهم حربا شعواء في كتاب العواصم الذي قامت عليه قيامة بقاياهم لما قدم للطبع"⁽⁸⁾.

(1) حياة كفاح، ج 2 ص 159. العقون، نفسه، ج 1 ص 169. المدني، الجزائر، مرجع سابق، ص 439.

(2) الإصلاح، المدني، المنصور "بين الحياة والموت"، ع 13 (27-2-1930)، ص 1.

(3) جريدة الإصلاح، ع 9 (12-12-1929). مقالات العقبي، ج 1 ص 284.

(4) بشير ضيف، فهرس معلمة التراث الجزائري، ص 482.

(5) البلاغ، ع 157 (21-3-1930). رحلات جزائرية طرقية، مرجع سابق، ج 3 ص 32.

(6) الشهاب، مقال "زلة عالم"، ع 125 (8-12-1927)، ص 1. المرصاد، ع 60 (9-9-1933)، ص 3.

(7) الشهاب، ع 103 (30-6-1927)، ج 3 ص 48.

(8) الشهاب، ع 105 (14-7-1927)، ج 3، ص 100.

ومع تصاعد الصراع مع الطريقة العلوية وجريدتها "البلاغ الجزائري" التي نشرت في أحد أعدادها رسالة من معتمد القاديانية بالهند عن نشاط الجماعة الأحمدية في الدفاع عن الإسلام، قامت جرائد الإصلاح بالرد على هذا التوجه، بحكم معرفتها بحقيقة الجماعة لارتباطها بجريدة المنار التي كانت تأتينا التقارير الدائمة حول الحركة في بلاد الهند. ولهذا اهتمت الشهاب الفرصة وكررت نشر مقال لرشيد رضا صدر في المنار سنة (1927م)، وصدر ابن باديس العدد بافتتاحية ورد فيها: "ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين، العلوية بالجزائر أخت القاديانية بالهند، وشبه الشيء منجذب إليه. عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي"⁽¹⁾.

وكان الرد حول قضايا دوام الوحي واستمرار مدد النبوة، إذ اتهمت الشهاب البادية الطريقة العلوية بالترويج لمذهب القاديانية: "وهاجمت الشهاب الطائفتين معا، فسكتت العلوية ولم يتبرؤوا من التهمة"⁽²⁾. وفي الإطار ذاته اهتم الإصلاحيون بالدعوة البهائية واحتفوا بمناظرات محمد رشيد رضا مع داعية البهائية الجلبائيجائي حول مهدوية البهاء، حيث كتب الردود الأولى في تفسيره عن انحراف البهائيين وكفرهم لمخالفتهم الإجماع المقطوع به عند المسلمين سنة وشيعة، وكتب عن كفرهم في تفسير آية صلب المسيح في سورة النساء⁽³⁾، وبعد نقد وكشف رموز المدرسة الإصلاحية للبهائية مشرقا، فإننا نجد الهجوم يتركز غربا، كما نجده في تحذيرات ابن باديس من نفاذ دعاة الحلول والتأويل الباطني إلى الجزائر إبان صراعه مع العلويين⁽⁴⁾.

المطلب السادس: المؤلفات الحاوية للجدل الفكري والفقي.

1- الردود الطرقية:

استجمع العلويون قواهم واستكتبوا شيوخ الطرق في المغرب الثلاث للدفاع عن الإرث الصوفي، وخاصة الشطح ودلالة الكشف، وهي موارث تصب اجتماعيا في صناعة مخيال ديني ثقافي لدى الأتباع. وتمثل الرد في إصدار كتاب مهم هو "الشهائد والفتاوى" للمؤلف محمد بن عبد الباري التونسي وطبع بالمطبعة التونسية وبحجم كبير (256 صفحة) وذلك سنة (1343هـ) الموافق (1925). وقد ملأ الكتاب بشهادات علمية وعدلية عن مكانة الشيخ وسنيته وأنه: "مالكي المذهب، أشعري العقيدة، شاذلي الطريقة، يحضر الجماعة والجمعة ويرغب في الخير"⁽⁵⁾. ومن هذه الردود العلوية: ردود الناصر معروف في البلاغ.

ومنها كتاب الإرشاد للعربي ابن قشوط: الذي انتصر فيه للمالكية، وتوالت حوله عاصفة من الردود منها:

(1) الشهاب، ع 99 (2-1927) ج 2 ص 1118. حماني أحمد، رسالة الدلائل البادية على ضلال البابية وكفر البهائية، باتنة، دار الشهاب، د. ت. م. ص 215. مجلة المنار، مرجع سابق، ج 29 ص 671.

(2) حماني، صراع بين السنة والبدعة، مرجع سابق، ج 1 ص 69.

(3) انظر رضا محمد رشيد، تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم) ط 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1999، ج 6 ص 47.

(4) أحمد حماني، المرجع السابق، ص 214-220. وانظر محاضرات ومقالات أحمد حماني، مرجع سابق، ج 3 ص 160.

(5) الشهاب والفتاوى، مرجع سابق، ص 94.

أ- العقبي في مقال " هم قوم بهت ": لا زلنا نضحك من صنيع الشيخ قشوط وكتابه المخلوط، ولم يناقش في المقال واحدة من قضايا الكتاب، وإنما كان تحويما عاما على العلويين وسكيج، والدعوة إلى المباهلة فقط⁽¹⁾.
ب- أبو يعلى الزواوي: في قسم النقوض والردود، ناقش بن قشوط في قضايا الكشف واليقظة⁽²⁾.

2- الردود الإصلاحية: ومنها

أ-رسالة بدعة الطرائق في الإسلام: للتبسي، وتعتبر من أوائل المقالات العلمية المتسلسلة التي نشرها في الشهاب⁽³⁾، وناقش فيها قضايا الأوراد وتحديد الأذكار، والبيعة في الطرق، والدعاء الجماعي وغيره، وحشد فيها النصوص والأدلة من اعتصام الشاطبي، والمدخل لابن الحاج وغيرهما.

ب-رسالة الشرك ومظاهره للميلي، وهي وإن كانت متأخرة الصدور في الثلاثينيات، فإن جل أفكارها ومضامينها تناولها الميلي في هذه الفترة في عديد مقالاته وردوده، ولأجل هذا كانت المصدر الأساس لمرافعات الإصلاحيين حتى إن المجلس الإداري لجمعية العلماء اعتمدها، كما ذكر الميلي في مقدمته بأن الرسالة عرضت على مجلس الجمعية، فوافق عليها: "نهض إلى القيام بهذا الفرض الكفائي الأستاذ المحقق، مؤرخ الجزائر الشيخ مبارك الميلي أمين مال جمعية العلماء، وجمع رسالة تحت عنوان (رسالة الشرك ومظاهره) خدم بها الإسلام، ونصر بها السنة، وقاوم بها العوائد الضالة والخرافات المفسدة للعقول. وعرض هذه الرسالة على مجلس إدارة الجمعية، فتصفحها واستقصى مسائلها، فإذا هي رسالة تعد في أوليات الرسائل، أو الكتب المؤلفة في نصر السنن، وإماتة البدع تقر بها عين السنة والسنين، وينشر لها صدور المؤمنين، وتكون نكبة على أولئك الغاشين للإسلام والمسلمين من جهلة المسلمين، ومن أحمرمة المستعمرين الذين يجدون من هذه البدع أكبر عون لهم على استعباد الأمم، فيتخذون هذه البدع التي ينسبها البدعيون إلى الدين الإسلامي مخدرا يخدرون به عقول الجماهير. وإذا تخدرت العقول وأصبحت تروج الأوهام وجدت الأجواء التي يروجها غلاة المستعمرين للأمم المصابة برؤساء دينيين أو دنيويين يغشون أممهم ويتاجرون فيها.. وإن المجلس الإداري لجمعية العلماء يقرر بإجماع أعضائه أحقية ما اشتملت عليه هذه الرسالة العلمية المفيدة، ويوافق مؤلفها على ما فيها، ويدعو المسلمين إلى دراستها، والعمل بما فيها فإنه العمل بالدين"⁽⁴⁾.

وقد كلف المجلس الإداري لجمعية العلماء العربي التبسي بكتابة مقدمة لها جاء فيها: أما بعد فإن الدعوة الإصلاحية التي يقوم بها دعاة الإصلاح الإسلامي في العالم الإسلامي عامة وتقوم بها جمعية العلماء في القطر الجزائري خاصة، تتلخص في دعوة المسلمين إلى العلم والعمل بكتاب ربهم، وسنة نبيهم، والسير على منهاج سلفهم الصالح في أخلاقهم وعباداتهم القولية والاعتقادية والعملية، وتطبيق ما هم عليه اليوم من عقائد وأعمال وآداب على ما كان في عهد السلف الصالح. فما وافقه عددناه من دين الله، فعملنا به واعتبرنا القائم

(1) الشهاب، ع 112 (2-9-1927)، ج 3 ص 232.

(2) الشهاب، ع 117 (13-10-1927)، ج 3 ص 342.

(3) الشهاب، ع 166-168-196 في (1928)، ج 4. نشرها محمد شايب شريف. وممن رد مقالاته ابن قشوط في كتاب الإرشاد، في موضوع البيعة الصوفية، بل وأحال على رمز سلفي هو صديق حسن خان، انظر ابن قشوط، الإرشاد، مرجع سابق، ص 59.

(4) الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، مرجع سابق، ص 7.

به قائما بدين الله. ومالم يكن معروفا في عهد الصحابة عددناه ليس من دين الله. ولا علينا فيمن أحدثه أو عمل به. فالدين حجة على كل أحد. وليس عمل أحد حجة على الدين"⁽¹⁾.

3-الجدل والردود المغاربية:

ومن الظاهر أن الجدل كان في تونس أقل من غيره، وربما يعود ذلك لقوة المؤسسة الدينية ممثلة في الزيتونة، وهيمنتها على الحياة الدينية، إذ كانت الطرق أقل حضورا أو تأثيرا، ولكننا وجدنا بعض الردود من قبيل:

-علي بن محمد الجمالي الجزائري الأصل والمتقدم الوفاة (ت1833هـ)⁽²⁾: كتاب الصوارم والأسنة، ورد فيه على التجاني، وكذا كتابه" السيوف السمرية لقطع أعناق القائلين بالجهة والجسمية، ورد عليه شيخ الإسلام التونسي إبراهيم الرياحي في "مبرد الصارم والأسنة، وهو رد متقدم استثمر في الجدل بين الفريقين.

-ردود محمد المدني القصبي العلوي على الآخرين في مکتوباته، وفي كتابه "برهان الذاكرين"⁽³⁾

كما اشتد الجدل في المغرب، وبدأ قويا في العشرينيات نظرا لحضور الطرق الصوفية في الحياة العامة، واستمر الجدل مليا، وتدخلت في تسعيه الحماية الفرنسية، وكان رؤوس الطرقيين هم عبد الحى الكتاني وعبد الرحمان الدرقاوي، ومن ذلك نماذج وآثار ذلك الجدل ما يأتي:

- تكوين خلية سرية" الرابطة المغربية" لمحاربة البدع نظريا وعمليا. وكتبوا رسائل لشيخ الزوايا ومنها:

-رسالة محمد الجزولي في (يناير 1920) لشيخ الزاوية التجانية بعنوان" لا طرق في الإسلام".

-محمد المكي الناصري له" إظهار الحقيقة وعلاج الحقيقة" أنكر فيها المظاهر المنحرفة للتصوف لا التصوف.

-الشرقي الشرقاوي" غاية الانتصار ونهاية الانكسار" كَفَّرَ فيها دعاة السلفية لكونهم لم يفهموا التصوف.

- محمد بن اليماني ورده على الشرقي في" ضرب نطاق الحصار على أصحاب نهاية الانكسار".

- عبد الحميد الرندي الذي هاجم المتصوفة في "تحقيق الانكسار لمدعي الانتصار على صاحب الإظهار"⁽⁴⁾

الخلاصة: أن ما ذكرناه سلفا هو شيء من الجدل الموثق والمسجل في المکتوبات والصحف، وما لم يسجل مما دار في المجالس والنوادي كثير، وهو ينبىء عن قوة الطرح العلمائي في الجزائر في القضايا المرافع فيها، وأن الجزائر لم تكن معزولة عن النقاش الأدبي والعالمي الذي راج عقيب بروز المقالات الوهابية والحركة السلفية الإصلاحية، وهو ما سيتكرر في باقي العقود كما سيأتي لاحقا.

(1) التبسي، مقدمة رسالة الشرك ومظاهره، مرجع سابق، ص 5-7.

(2) محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، مرجع سابق، ج 4 ص 428.

(3) البلاغ، مقال "الانتصار للحق وأهله" ع 36 (9-127)، أضاميم، مرجع سابق، ج 1 ص 286.

(4) حماد القباج، حياة شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي (1887-1964)، ط1، المغرب، دار نشر، 2014، ص 17.

المبحث الرابع: تجليات العلاقات الإصلاحية الطرقية في العشرينيات.

يتناول هذا المبحث المهم صلب الموضوع المتعلق بفحص نوعيات ومضامين العلائق بين الإصلاحيين والطرقيين في العشرينيات باعتبارها موطئة لما يأتي بعدها من علاقات في العقود الآتية، حيث بدأت القضايا والمواقف تتضح بجلاء بعد البدايات الباهتة فيما قبل الحرب العالمية الأولى.

المطلب الأول: علاقات الوفاق والتقارب.

تمهيد: بدأت الحركة الإصلاحية مسالمة هادفة ساعية للعمل الإصلاحي، وكان التفكير في جمعية الإخاء العلمي (1924م)، وتكليف الأبراهيمي بوضع قانونها، وقد لخص الأبراهيمي انقسام العلماء إلى كتلتين وموقفين هما:

الأول: التفرغ للتعليم وخلق جيل جدي مزود بمؤهلات عالية، وعليه الشيخان ابن باديس والإبراهيمي.
الثاني: مجابهة الوضع الحالي، وهو اتجاه العقبي⁽¹⁾.

وقد سار الموقفان من الاعتدال والتشدد، وهما متوازنان، وامتازت الفترة في بداياتها بغلبة صوت الاعتدال والتقارب، ومن مظاهر التقريب بين الطرفين ما نجده من تدخل عميد الأسرة الباديسية محمد المصطفى ابن باديس في تكذيب الإشاعات التي رمت الأسرة بمعاداة الصوفية، وكأنه يعتذر عما ينشر بجريدة المنتقد من مقالات ضد الأولياء، ويبرأ الأسرة منها، ويقول بأن ابنه عبد الحميد مثلهم، وينفي صدور الجريدة عن الأسرة، قائلا: "عقيدة ابن باديس في الأولياء والصالحين معروفة في دروسه وفي زيارته لأضرحتهم... وهي سيرتنا جميعا نقدس الأولياء ونعظمهم ونجلهم"⁽²⁾، وكأن هذا الرد الذي نشره ابن باديس كان استجابة لضغط العائلات التقليدية بقسنطينة، وأسررها الصوفية أمثال باشتارزي والفكون والمطمطية، وغيرهم.

وفي نبرة حانية في مقال طويل هادئ لابن باديس بعنوان "بيان لا لبس فيه إجابة لصوت الواجب"، تكلم عن الولاية والسلف والزهد وبدعة إماتة الشورى والتقليد، ودعا الشيوخ للدليل والتواصي بالحق، وختمه بأنه هادئ مشفق نصوح: "لا ينبغي غير التوحيد والاتحاد، وإذا لحقني في هذا السبيل أذى من إخواني، فإنني موطن عزمي على أن أقول لهم دائما ما قاله يوسف لإخوته: يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين"⁽³⁾.

كانت خطة ابن باديس في الوعظ هادئة رشيدة لا تثوير فيها، فكان يعقد الدروس ويعضد آرائه بالأدلة الشرعية، ويترك للناس مقارنة حالهم بذلك، ولم يكن يجههم، حتى لا يعتبروه مقرعا ومقبحا، فتثور عصبيتهم وحميتهم⁽⁴⁾. كما اعتمد أسلوبا آخر وهو السكوت عن القضايا المحتملة المختلف فيها، كما فعل مع الشيخ ابن عشيظ بالأصنام⁽⁵⁾، بل إن ابن باديس كان ينصح الطرق بمواكبة العصر، واعتبر برنامج الشهاب

(1) العقون، الكفاح القومي السياسي، مرجع سابق، ج 1 ص 164-168.

(2) المنتقد، ع 11 (1925-9-10)، ص 202.

(3) المنتقد، ع 13 (1925-12-24)، ص 225.

(4) الشهاب، مقال "للتعارف والتذكير لابن باديس"، ع (جمادى الثانية 1348/نوفمبر 1229)، ج 5 ص 532.

(5) الشهاب، ابن باديس "في بعض جهات الوطن"، ع (رجب 1350-نوفمبر 1931)، ج 7 ص 727.

متين الصلة بفرنسا من حيث الحداثة، وقدم نصيحة: "للطرق التي تعج بالبدع وتعيش على النذور، والمستغلون للجهل ولو أرادوا أن تنقلب زواياهم معاهد دينية حقيقية وطرائقهم جمعيات خيرية تخدم المسلمين"، ولكن هذه الدعوة قوبلت -حسبه- بالرد فقد: "ضح المتعششون من الزوايا والطرق من هذه الدعوة وكبر عليهم وقعها، وخافوا على رئاستهم المبنية على الجهل والخرافة أن يصدعها العلم"⁽¹⁾.

وعلى المشرب السابق بدأ الشيخ الطيب العقبي هادئا، فبعد عودته من الحجاز دعا الطرق إلى تطوير نفسها واستثمار هياكل زواياها ثم تطهيرها، وتحويلها إلى ملاجئ خيرية ودور علمية تنفع العامة لا الخاصة⁽²⁾، ولكن دعوته هذه لم تطل كثيرا بعدما جنح للهجوم، مع ملاحظة مهمة في الصحافة الإصلاحية، وهو غياب المناظرات والمناقضات في سنة (1930)، أهو يؤس الأزمة المالية العالمية؟، أم تعب الجميع، والعودة للهدوء ومراجعة الحسابات الظرفية، ولكننا يمكن تلمس شواهد علاقات الوفاق في الآتي:

1-دعوات التأسيس لحزب ديني جامع:

وهي الدعوة التي افتتحها بعض الطرقيين لتنظيم الجمعيات الدينية، فقد زكى الزبيبي المشروع الرائد لتنظيم الحالة الدينية من قبل الطرقيين، وكان شاهدا على أول اجتماع وحدوي للعلماء، من تنظيم صوفية مقاطعة قسنطينة، وذلك في مقاله "شعور السادة شيوخ الطرق"⁽³⁾، وذات الحديث نقله عن اجتماع ثان لشيوخ صوفية قسنطينة في هذا المجال في مقاله "رحلتنا الى المقاطعة القسنطينية"⁽⁴⁾.

وفي هذا المضمار كان بعض الإصلاحيين يميز بين التصوف والخرافة، فمحمد آل خليفة وفي سياق دعوته لجمعية دينية للجزائريين يقول: "لكل طائفة إسلامها، فللطرقين إسلام لا سبيل لإقناعهم أنه ليس بإسلام، وللخرافيين بكل أنواعهم إسلام يتحققون أنه الدين الحق، وللعوام إسلام يشبه إسلام الفريقين المتقدم ذكرهما"⁽⁵⁾.

وفي أواخر الفترة، وعند اشتداد الخلاف وبعد الشقة بين الفريقين كتب الحافظي مقالا مهما لتقريب الرؤى بين الفريقين عن طريق تأسيس جمعية أو حزب للعلماء كلهم محافظين وتجديدين، وذلك في مقال "الإسلام أوسع صدرا من أن يضيق على بحوث المستنيرين"، ومما جاء فيه: "التنافر بين المجددين المتطرفين والرجعيين المتوغلين في الرجعية، السبب هو الإسراف في حمل الإسلام على المعنى الذي لا يتفق وما يرمي إليه، وبين المجددين المعتدلين وبين الرجعيين الذين هدفهم الذياذ عن جوهر الإسلام به سوء التفاهم،.... وأنجع علاج لهذه الحالة السائدة هو تأسيس حزب للعلماء يتألف من خيرة المستنيرين المستقلين المتجددين المعتدلين، والمحافظين المعتدلين"⁽⁶⁾.

(1) الشهاب، ع 162 (6-9-1928)، ج 4 ص 241.

(2) الشهاب، العقبي "تمنياتي اليوم"، ع 1 (12-11-1925)، ج 1 ص 18.

(3) جريدة الصديق، ع 41 (8-18-1921)، ص 3. مقالات الزبيبي، مرجع سابق، ج 1 ص 244.

(4) جريدة الصديق، ع 47 (30-1-1922)، ص 1. مقالات الزبيبي، ج مرجع سابق، 1 ص 247.

(5) جريدة الإصلاح، آل خليفة "الجمعية الدينية"، ع 14 (5-9-1930)، عن قوبع، مرجع سابق، ص 132.

(6) الشهاب، (ع ذو القعدة 1348- أبريل 1930)، ج 6 ص 155-158.

2- دعوات التفاهم من الفريقين:

فابن باديس لم يكن عنيفا في البدايات، بل دعا للتفاهم في مقاله "دعوة للحسنى فهل من مجيب؟" وفي مقال آخر قال: "اقلعوا عن المهاترة والمشاتمة والمغامزة والملازمة مما هو حرام بإجماع المسلمين، واسلكوا في المناظرة طريق القرآن العظيم"⁽¹⁾، ثم في نشره لمقال كاتب مغربي "متى تجاب الدعوة إلى الحسنى"⁽²⁾، مما جعل العقبي يقطع الشهاب لمهادنتها الطريقتين. ولم يستجب ابن باديس في البدايات لضغوط العقبي، حيث لم تنشر الشهاب بعض المقالات الحادة له، لأنه بدأ يخالف خطها في التحرير، فاضطر إلى تغيير الوجهة الناشرة، وأعطى مقاله لجريدة البرق⁽³⁾، بل أنه في بعض الأحيان نعى عليها تغير خطها، واهتمها بممالة الطريقتين والسكوت عن مخازيهم، فقال: "وأحدثت الشهاب في دينها ما ليس منه"⁽⁴⁾، كما اغتاض العقبي من عدم طبع المطبعة الجزائرية الإسلامية بقسنطينة لجريدته الجديدة الإصلاح، وقال إنه لا فرق عنده بين ابن عليوة وابن باديس إلا باتباع الحق⁽⁵⁾.

يذكر الباحثون بأن ابن باديس تجشّم السفر لبسكرة لإقناع العقبي بتخفيف لهجته، ونزل ضيفا عند آل خليفة، ولكن العقبي رأى التنازل نجاحا لأهل الضلال، ولم يقتنع بحجج ابن باديس في التفاهم والوفاق⁽⁶⁾. وهو ما أكده حماني في تقييم مسار الرجلين، فقال: "وبعد ثمانية عشر عددا من المنتقد ومثلها من الشهاب نشر الأستاذ ابن باديس في عدد الشهاب (19) مقالا تحت عنوان: "في سبيل الوفاق والتفاهم"، قال عنه ابن باديس في عدد (75): "أردنا به جمع الكتاب على نقطة خاصة من الإصلاح وإيقاف ذلك التيار القوي من الكتابة الإصلاحية، ولكن هذه الدعوة لم ترق بعض الكتاب، وعلى رأسهم. العلامة المصلح الشيخ العقبي لأنه عدّه تحجيرا تاما ومنعا صريحا لكل كتابة في الإصلاح الديني، أو ما حام حوله، وبقي الأستاذ العقبي مصّرا على المقاطعة والامتناع التام عن الكتابة، ولم يقتنع بما ذكره الشهاب من مبررات، فاضطرّ الشهاب إلى زيادة بيان في مقال آخر نشره تحت عنوان "في سبيل الدعوة والرشاد"، ودعا الكتاب المصلحين إلى العودة للكتابة في نقد الدجل والدجالين، وأنه لم ولن يحجر على الكتاب الخوض في نقد أعمال الطريقتين، وإنما أوقفنا ذلك التيار القوي حيث رأينا أنه بلغ حده، ووصل إلى منتهاه"⁽⁷⁾.

(1) الشهاب، ع 102 (23-6-1927)، ج 2 ص 28. حماني، الصراع بين السنة والبدعة، ج 1 ص 357.

(2) الشهاب، ع 107 (28-7-1927)، ج 3 ص 126.

(3) الشهاب، ع 113 (8-9-1927)، ج 3 ص 269. مقالات العقبي، مرجع سابق، ج 1 ص 177.

(4) البرق، ع 17 (4-7-1927). مقالات العقبي، مرجع سابق، ج 1 ص 239.

(5) الشهاب، ع 126 (15-12-1927)، ج 3 ص 520. مقالات، العقبي، مرجع سابق، ج 1 ص 208.

(6) انظر أبو القاسم سعد الله، شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة، ط3، تونس، الدار العربية للكتاب، 1984، ص 28. مريوش، الطيب

العقبي، مرجع سابق، ص 83

(7) أحمد حماني، نفسه، ج 2 ص 29. الشهاب، من قلم التحرير، ع 127 (29-12-1927)، ج 3 ص 558.

وفي رسالة خاصة ثَمَّن ابن باديس براءة العقبي الأخيرة من فعل كَتَّاب جريدة البرق ببسكرة، وابتعاده مما يسمى بديوان المصلحين، معتبرا السباب والشتم والقذف بالمناكير مما يحرّج الحزب الديني قائلا: "إن ما في البرق منسوب إلى الحزب كله.. سبحانه الله هل عجزنا عن نصرة حقنا بالأدلة حتى خرجنا إلى المهاترة"⁽¹⁾.

وفي تجسير العلاقات ودعم الوفاق كانت خطة الشيخ أحمد العلوي، الذي لم يُؤثر عنه إلا الدعوة إلى الحسني، ففي جمع العلويين سنة (1928) خاطب الإصلاحيين: "إليكم أيها السادة الكرام، والعلماء الأعلام، أوجه خطابي وأنها كلامي، بصفتكم داعين إلى الكتاب وسنة رسول الله، ويا ما أسعدنا وأسعدكم بإقامة هاته الدعوة، والعمل على ما تقتضيه التقوى، وطالما تكررت على مسامعنا وأسماع غيرنا، وها هو قد هيا الله لنا أسباب الاجتماع، وطرق الانتفاع، بحلول اجتماع العلويين المقبل، فهيا نشد العضد ببعضنا، للتمييز بين الصحيح والفساد، فهيا بنا نتحد على ما يوافق صريح النقول، ثم نتفاهم فيما وراء ذلك بما هو معقول، فهيا بنا نمد لبعضنا يد المساعدة، فيما نراه صالحا لنفع الأمة، ومفيدا لتشديد صروح الملة. فهلم لتنظروا أحوال إخوانكم العلويين، وما هم عليه في اجتماعاتهم وتذكيراتهم، فإن كانوا على الجادة والصراط المستقيم، تشكروهم وتآزروهم وتتخذوهم عضدا، وإن كانوا على غير ذلك فذكروهم بالطف عبارة وارق أسلوب.. فهلم إلينا نتفاوض فيما يزيل من بيننا تلك الفوارق القاضية على جمعنا ومجموعنا، فهلم إلينا ننهي دور القول، ونشرع في دور العمل"⁽²⁾.

وهو ما أكدّه أبو يعلى الزواوي في ثنائه المتكرر لابن عليوة -حتى في أعقاب محاولة اغتيال ابن باديس- إذ أكّد على اعتزاز الشيخ ابن عليوة بالسنة ومنابدته للبدع، حيث قال: "وأشهد الآن بين أيديكم أنني ما عرضت وما أمرت ولا نهيت بالشيخ العليوي إلا استحسن وسلّم، حتى قال: إن حملاتك إن كانت علينا فهي مقبولة، وإن كانت لنا فهي أحسن لنا"⁽³⁾.

ومما يؤكد شهادة أبي يعلى ما قاله عبابسة الأخضرى بأنه اجتمع بابن عليوة وذاكره في دعاوى تصرف الأولياء، فنفى ابن عليوة هذه المقالات، وقال بأنه يبرأ من الحلول الذي لا يقول به مؤمن، وأن له معان أخرى قال بها المتصوفة، ومنهم محمد عبده، واقترح عبابسة تشكيل وفد علي للتفاوض فيما يجمع بين الفريقين، لأن الرابطة العمومية هي الإسلام، وختم هذا الاقتراح بنداء للوفاق: "فالا اجتماع الاجتماع يا علماء الدين، والوثام الوثام يا معاشر الطرقيين"⁽⁴⁾.

وفي عقابيل الردود المتبادلة حول محاولة اغتيال ابن باديس ناشد الشيخ الرابعي الجميع إلى الكف عن الخصومة والتدابير والسباب، والعودة لحسن الظن والتعاون، فمضى يستقيم الظل والعود أعوج⁽⁵⁾.

(1) انظر مراسلات العقبي وابن باديس، رسالة ابن باديس (12-6-1927)، مرجع سابق، ص 65.

(2) عدة بن تونس، الروضة السنية في المآثر العلوية، مرجع سابق، ص 88.

(3) الشهاب، أبو يعلى "إلى الكاتب السلاوي الفاسي"، ع 83 (10-2-1927)، ج 3 ص 808، ولأجل تلك الروح الجامعة اهتمه حماني بأنه يحاول الجمع بين الماء والملح، وأن يكون من الإصلاحيين، وصديقا للعلويين، حماني، صراع بين السنة والبدعة، ج 1 ص 140.

(4) الشهاب، عبابسة "التعارف وفوائده"، ع 125 (8-7-1927)، ج 3 ص 495.

(5) البلاغ، البشير الرابعي، "إلى الكتاب المصلحين"، ع 6 (28-1-1927)، ص 1.

وفي منبر آخر دعت البلاغ إلى التفاهم والتآزر للقيام بواجبات الأمة: "رفض الطعن في أي طبقة من طبقات الأمة وفي أي مذهب من مذاهبها، ما دام لا أحد يمكنه نيل إجماع الأمة، فيكون محل ثقتها ومرجعيتها الوحيدة، والكل في دعواه ومذهبه يدعي الاستناد إلى القرآن والسنة وإجماع الأمة، وعليه فلم يبق إلا أن نحسن الظن ببعضنا بعضا مراعاة لمصالح الأمة فمن صلاح الأمة وإصلاحها أن لا يتساهل في تنقيص سلفها ولا يمس بسوء أي مذهب من مذاهبها ما دام الجميع متحدا على كلمة الإخلاص وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم مع وحج البيت وإن اختلفوا فيما عدا ذلك من الفروع"⁽¹⁾.

3- دعوات الحوار والاجتماع:

وهو ما كان من خطة ابن باديس الذي دعا إلى الحوار الحسن وتجنب الصراع، كما هو موقفه من دعوة العقبي سكيرج والعلاويين للمباهلة، فلم يستسغ ذلك، واستدرك على المباهلة وندب إلى المناظرة بالحسنى حيث قال: "نقول لجميع الكتاب من الجانبين بلسان الدين والأخوة الإسلامية هاته الكلمة: اقلعوا عن المهاترة والمشاتمة والمغامزة والملازمة مما هو حرام بإجماع، واسلكوا في المناظرة طريق القرآن العظيم، بيان لقول الخصم بدون تعرض لشخصه، وإقامة للحجة التي ترده عليه"⁽²⁾.

ولم تستنكف الشهاب عن قبول وساطات مغربية في الخلاف الذي اشتدّ حول قضايا الولاية والكرامة، فنشرت مقالا لعالم مغربي توسط علميا بين الفريقين، وقال إنهم متفقون على العقيدة ومحبة الأولياء، وتقرير زيارة القبور، والخلاف في التوسل قديم، وتخفيف الحدة بين الجميع، ورفض المقالات الحادة كقول بعضهم للآخر: حياتهم في موتنا ونفعهم في ضرنا"⁽³⁾. وفي هذا كانت الشهاب مقتصدة في النقد اللاذع للعلاويين، على الرغم من محاولة اغتيال ابن باديس، فعندما ترجمت مقالا للعمودي بعنوان: "على نمط راسبوتين" عن ابن عليوة وكراماته وشعوذته، وأنه يحاول الوصول لمقام النبوة؟ وأنه منوم، ويرد إليه من يريد تعلم فنون الفقراء، وأمهرهم في برج بوعريج، وأن ابن عليوة محل حلول الله في الأرض، يستمطر السماء، يفتح السماء... إلى غير ذلك من النعوت السيئة، وقالت الشهاب: "في هذا المقال عبارات ما كنا نحب ترجمتها، ولكن احترما للأمانة"⁽⁴⁾.

ومن الملاحظ أن الطرفين كانوا يحتفون بالاتجاه المعتدل لابن باديس، مما جعل العقبي يعتب على ذلك، ويعتبره مذهباً قديماً لابن باديس، ويقول: "وتقريظ كلام ابن باديس القديم في محاسن الطرفين وبعض أرباب الزوايا فيسمون هذا الحديث بالدين الصحيح"⁽⁵⁾.

وعندما اشتدت الردود المتبادلة بين الصحافة الإصلاحية والعلاوية برزت دعوات للاتفاق من بعض زوايا زواوة، إذ دعا علي بن محمد السعيد الصداقوي: "أناشدكم الله أناشدكم بأخلاقكم الزكية أناشدكم بالمروءة

(1) البلاغ الجزائري، ع 19 (5-6-1927)، نقلا عن أضاميم المد الساري، ج 1، ص 60.

(2) الشهاب، ع 102 (23-6-1927)، ج 3، ص 29.

(3) الشهاب، ع 105 (28-7-1927)، ج 3، ص 130.

(4) الشهاب، ع 110 (18-8-1927)، ج 3، ص 189. ومقال العمودي نشر بالديبش قسنطينة (30-7-1927).

(5) الشهاب، ع 112 (2-9-1927)، ج 3، ص 235.

والإنسانية إلا ما كفتتم عن هذه الحروب القلمية عن هذا الضجيج عن هذه الشحنة والبغضاء⁽¹⁾، وقد نشرت الشهاب هذه الدعوة، وباركتها، وكانت لغتها أقل حدة من صحف إصلاحي الزيبان مثل البرق وصدى الصحراء والإصلاح.

ونظير هذا دعوة أبي العباس أحمد الهاشي الأغواطي في مقاله "آفة الحق في سكوت أهله عليه" حيث نوّه بدعوة الشهاب للحوار، وقال: "قال لما دعا العقبي للمباهلة وأجاب البلاغ دعت الشهاب في العدد (102) للسلم والحوار بحسن⁽²⁾".

وممن حمل لواء التفاهم الشيخ أبو يعلى الذي كتب مرارا دعيا إلى الهدنة والهدنة والاتفاق، وقد نشرت له البلاغ⁽³⁾، ولم تنشر الشهاب له هذا المقال، واعتذرت بأنه منشور، وقد اشتكى من ذلك قائلا: "عند هذا علمت أن العداوة قد استحكمت والتسامح مفقود، وليس في ذلك كله ما يحمد، وساءني كثيرا إذ فشلت في سعي الصلح والهدنة والاتفاق على قواعد تجري عليها نحن معشر السلفيين، ويجري على المتصوفة على قواعد ذكرتها أيضا، ولو فعلنا لكنا لنا وأقوم⁽⁴⁾". وشهد أبو يعلى بأن ابن عليوة كانت من دعاة الوفاق والاجتماع، ونقل عنه: "مروا جميع رؤساء الطرق لنجتمع ونتفق على الموافق للكتاب والسنة والأمة"⁽⁵⁾، وهو ما عبر عنه أبو يعلى بوحدة التربية.

وحق في نهاية العشرينيات كان ابن باديس يدعو إلى الوئام، ففي جولته الساحلية أدار وكرر محاضرة له في تفسير قوله تعالى: ﴿ولا تفرقوا﴾ [آل عمران، 103]: "وأشار إلى وجوب التسامح بين أتباع المذاهب وأهل الطرق بين بعضهم بعضا وبينهم وبين السلفيين وبين هؤلاء وعلماء الخلف، فالكل متفق على الأصول العشرة"⁽⁶⁾.

4- دعوات العمل المشترك:

ومن ذلك دعوة الزاهري لابن عليوة لإصدار صحيفة مشتركة بعد إصداره هو جريدة الجزائر، فقد راسله في ذلك راغبا استثمار مطبعته العلوية، قائلا: "نحن إن اتفقنا في الغاية، فقد اختلفنا في طرق الإصلاح، فأنتم ترون الإصلاح الديني الإسلامي، ونحن نرى الإصلاح الوطني السياسي... فهل يمكن أن نتحد ونجمع بين الطريقتين السياسة والدين، ولا نفصل بينهما، فإن سياستنا يجب أن تكون دينية، كما أن ديننا سياسي. ثم نجعل جريدة واحدة يومية تعبر عن أفكار الجميع، وعن آراء كل مصلح سواء كان دينيا أو سياسيا⁽⁷⁾".

(1) الشهاب، ع 110 (18-8-1927)، ج 3 ص 193. والصدقاوي من شيوخ زواوة، كتب في الشهاد والفتاوي.

(2) الشهاب، ع 113 (8-9-1927)، ج 3 ص 257.

(3) البلاغ، أبو يعلى "الدعوة إلى الهدنة بين أصحاب البلاغ والشهاب"، ع 14 (25-3-1927)، ص 1.

(4) الشهاب، ع 92 (14-4-1927)، ج 3 ص 978. حماني، نفسه، ج 1 ص 143.

(5) الشهاب، أبو يعلى "إلى الكاتب السلاوي الفاسي"، ع 83 (10-2-1927)، ج 3 ص 808. وردت البلاغ على تنقصات السلاوي للشيخ العلوي في مقال "إلى السلاوي المدرس ما أنت بالحكم الذي ترضى خصومته، ع 8 (11-2-1927)، ص 2.

(6) الشهاب، ع (صفر 1348-جويلية 1929)، ج 5 ص 313.

(7) أضماميم المد الساري، ج 2 ص 469. والرسالة مؤرخة في (23-10-1925).

وفي حَتَّى الإِعداد لجمعية العلماء تكررت دعوات الألفة والوفاق لحشد كل العلماء ومن كل المشارب والمذاهب، ففي حَضِّ للإبراهيمي ربيع (1931) يقول: "دعونا فقهاء الوطن كلهم، وكانت الدعوة التي وجهناها إليهم صادرة باسم الأمة كلها ليس فيها اسمي ولا اسم بن باديس، لأن أولئك الفقهاء كانوا يخافوننا لما سبق من الحملات الصادقة على جمودهم، ووصفنا إياهم بأنهم بلاء على الأمة، وعلى الدين لسكوته على المنكرات الدينية، وبأنهم مطايا الاستعمار، يذل الأمة ويستعبدونها باسمهم"⁽¹⁾.

والأمر ذاته صدر عن العلويين في الدعوة إلى الاشتراك في الأعمال العلمية والاجتماعية: "ما الذي يمنع الناس من الاتفاق والتعاهد على تأسيس الأندية والتعاضد على تأسيس الأندية للاجتماع والمدارس الخصوصية لتعليم العربية وآدابها الراقية ونشر الفضيلة ومحاربة الرذيلة.. وما يمنع الناس من صرف أموال الولائم والمآتم والموائد والزوائد في تعليم أبنائهم القراءة والكتابة والحساب وفق النظم الحديثة المعمول بها في العالم"⁽²⁾.

وهذه الدعوة استجابة لما كان يكرره ابن عليوة فيما ينقله عنه صديقه أبو يعلى الزواوي: "لا نهوض لأمتنا إلا بتوحيد التربية والتعليم وتعميمهما، فينشأ النشء الجديد على دين واحد، ومذهب متحد في النهضة والإصلاح، لتتقرب المدارك والمقاصد، وتكون التعاليم صحيحة ذات تسامح ديني، وذات اجتماع وحسن العشرة والمعاملة مع الموافق والمخالف في الدين؛ ذلك أن أوروبا وأمريكا مخالفون لنا وغالبون متقدمون علينا، ولا مانع لنا من الدين أن نقسط إليهم ونبرهن لهم بأن ديننا دين مدنية، وعشرة، ومساعدة، ولا إكراه فيه"⁽³⁾.

ومما قاله ابن عليوة: دائرة الإسلام أوسع من أن تضيق بمذاهبه، إنما تضيق بارتكاب الرذائل والموبقات التي أراها الآن الأمر الذي يقضي على الدين، والمروءة والأخلاق. إذا فلم لا نتضامن على حطم ما يرى عند الجميع منكراً"⁽⁴⁾.

وفي هذا الإطار يحسن بنا أن نذكر بأن المولود الحافظي طالب في جريدة صدى الصحراء برفع دعاو قضائية ضد المشعوذين- المتلبسين بالتصوف- لأنهم يسيئون إلى الإسلام، بل وينقرون السواح منه بادعائهم أنه من شيوخه⁽⁵⁾.

ومن نماذج العمل المشترك حملة الطرفين القوية على أنصار الإدماج والتغريب، وهي المعركة التي أبلى فيها الطرفان، ومن ذلك ما يأتي:

(1) مجلة مجمع اللغة العربية، ج 21 سنة 1966، ص 143. آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 5 ص 281.

(2) البلاغ الجزائري، مقال "الإصلاح والإصلاح"، ع 68، (4-5-1928).

(3) أحمد حماني، صراع السنة والبدعة، ج 2، ص 79. وقد كتب أبو يعلى سلسلة مقالات في صدى الصحراء لإصلاح التصوف، انظر جريدة صدى الصحراء، الأعداد، 5-6-9-10.

(4) البلاغ، مقال "إلى كتاب أمتنا ومفكرها"، ع 34، (26-8-1927).

(5) صدى الصحراء، الحافظي "مقال الدخلاء"، ع 13 (29-3-1926).

ففي محاربة دعوات الإدماج كتب الفريقان في نقضه كثيرا، كالميلي في "أنصار الإدماج" ردا على الاندماجين الذين يعتبرون حركة الإصلاح قبرا للجزائريين لأنهم بزعمهم قسمان، حي، وآخر على حفا الهاوية، قسم أوربي يتمتع بكل الحقوق، وقسم أهلي محروم منها جميعا، وقال: "وهذا التمدن الأوروبي الفرنسي الذي تراه لازما، فقد كان مفقودا أيضا في الجزائر، ولم يزل مفقودا، فما الداعي لترجيح تمدن بعيد عن دين الأمة وأخلاقها وعوائدها على تمدن هو متفق معها في ذلك"⁽¹⁾، كما كتبت البلاغ كثيرا في رفض دعوات الإدماج والتجنيس والتغريب، والأمر ذاته في محاربة التنصير فقد أثنى ابن باديس على عمل الشيخ العلوي خاصة بعد رجوع مرتد قسنطيني هو "مبارك سليمان" إلى الإسلام، ووصله بإعانة مالية لمواجهة نشاطات الجمعية الميثودية⁽²⁾.

5- الثناء المتبادل:

مثل ثناء الزريبي على الشيوخ الكاملين وشيوخ الطرق المرشدين الذين لا يتدخلون في السياسة والانتخابات عكس المدعين الذين يأتون التصوف من غير أبوابه⁽³⁾، والثناء المبكر من محمد العاصمي على ابن باديس وجهوده التعليمية، قائلا: "بمثل عبد الحميد بن باديس فليتنافس المتنافسون، وبمثل أنواره تهزم جيوش ظلمات الجهل، وبمثل إرشاداته المبنية على السنة الصحيحة وعلى رفض كل ما يشوه وجهها من دنس البدع السقيمة تشاد مبان الدين"⁽⁴⁾.

وهو ما نجده أيضا في بعض المكتوبات المتبادلة من معتدلي الفريقين، وخاصة أبي يعلى الزواوي الذي مدح الشيخ العلوي: "أنه لم ير من يمكن أن يدافع عن الأمة مسموع الكلمة لدى الحكام"⁽⁵⁾، وقال عنه: "صاحبي ابن عليوة... أشهد الآن بين يديكم أنني ما عرضت وما أمرت ولا نهيت الشيخ العليوي إلا استحسن وسلم .. إنك بنظريتك السياسية والاجتماعية نقاد إليك ونعمل بإشارتك، وما زال وما زلت طامعا في، وطامعا فيه، أي بأن نتفق على كتاب الله وسنة رسوله، وصرح لي أمام جمع أنه إذا ظهر لكم - معشر الإخوان- في الدين والوطن والجنس - أن نتفق على جميع ما يخص المسلمين والوطنيين ... ولم أر ولم أسمع من غيره من الشيوخ الذين عرفتهم إلا الصدود وتصعير الخدود ومقتي بأني كافر بهم وببدعهم، وقلت لكم وما زلت أقول أنه - أن الشيخ ابن عليوة يقول لكم: مروا جميع رؤساء الطرق لنجتمع ونتفق على الموافق للكتاب والسنة وللأمة"⁽⁶⁾.

وبعد خمود قضية "أبيات ابن عليوة" نشرت الشهاب مقالا لأحد مناوئها فيه اعتذار عن شطحات العلوي، وهو الصحفي الشيخ حسن الوارزقي، وهو ما حمدته البلاغ أيضا⁽⁷⁾.

(1) الشهاب، "من الاتحاد إلى الاندماج"، ع 147 (17-5-1928)، ج 3 ص 643. بوصفصاف، نفسه، ص 77

(2) البلاغ، "استلفات لأهل الأريحية من رجال قسنطينة الكرام"، ع 128 (26-7-1929)، أضماميم المد الساري، ج 1 ص 144.

(3) الصديقي، الزريبي "شعور السادة شيوخ الطرق"، ع 41 (18-8-1921)، ص 3.

(4) النجاح، محمد العاصمي، "الجزائر"، ع 133 (16-11-1923)، ص 2.

(5) أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة، ج 1 ص 113.

(6) حماني، المرجع السابق، ج 2 ص 80.

(7) الشهاب، مقال "كلمات لشيخ العليويين"، ع 128 (29-12-1927). أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة، ج 1 ص 201.

ويزور ممثل البلاغ الأغواط فيثني على جهود الميلّي: "وقد تشرفنا بالاجتماع بحضرة العلامة الجليل ذي المكارم والمعارف الشيخ سيدي مبارك الميلّي، فوجدناه أديبا حازما مخلصا في أعماله مجداً في جمع شمل الأمة"⁽¹⁾. والأمر ذاته في زيارات ممثلي المنتقد والشهاب للترويج لصحفهم، فابن العابد الجلاي يثني على مفتي المدينة الشيخ مصطفى الفخار التجاني، وكذا بالبشير الرابعي شيخ البليدة، وينعته بالأديب الشاعر⁽²⁾، ويصف عابسة ابن عليوة في صلاته بأنه صلى صلاة تامة السنن والأركان، وقد قبض في الصلاة وبسمل جهرا⁽³⁾. كما كان طريقيو الزيبان على علاقة حسنة بابن باديس في البدايات، وعندما زار بسكرة نزل عند أسرة آل خليفة، وهي تجانية⁽⁴⁾، ولما بدأت العلاقات تتوطد بين ابن باديس والعقبي ألقبهم ذلك، لما يذكرونه من خير واعتدال عند ابن باديس مقارنة بالعقبي⁽⁵⁾.

بل إن ابن باديس في عديد مقالاته يثني على التربية الصوفية السنية، وعلى تأثيرها القوي في تهذيب السلوك وإشاعة الخلق، فيقول: "اعلم أن السادة العارفين هم أرسخ الناس قدما في محبة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم- وتعظيم حرمة، ومراعاة شريف جانبه، وتعزيزه وتوقيره وبره. تجد ذلك في صلواتهم عليه، وفي أدعيتهم لله تعالى عند ذكره، والتوسل به، وفي مناجاتهم له عند الشوق إليه، وفي تأليفهم عند الكلام في حقه. وهذه أشياء مروية عنهم، معروفة منهم، لا تحتاج إلى شاهد ولا تخفى على طالب، بل هم أكثر الناس أدبا مع شيوخهم ومربيهم ومريديهم، بل هم آدب الناس من جميع الناس"⁽⁶⁾.

وفي هذا المضمار وفي حى الحرب السنوسية الإيطالية كان الإصلاحيون يتابعون أخبارها وينشرونها في صحفهم، وقد أثنوا على زعيم الطريقة الشيخ محمد بن علي السنوسي، ولم يستنكف الميلّي من بعد عن تحليلته بالأوصاف الجميلة: "فهو يتحلى بالأخلاق الحميدة وفضائل الدين الإسلامي، وكان نظامه يمتاز بالقوة والصرامة وبالانضباط المحكم الذي كان يفرضه على أتباعه، كما كان يتمتع بسلطة فكرية وزمنية كان يمارسها لنشر مذهبه من قابس غربا إلى الإسكندرية شرقا، ومن شاطئ البحر المتوسط إلى إفريقيا الوسطى". والأمر ذاته من الود والصلات كان بين ابن باديس وعلماء الرحمانيين أمثال الطاهر العبيدي، فقد كانت بينهما مراسلات عالية الوداد، وتنم عن مشرب صوفي قوي لدى ابن باديس، وفي ذلك يقول سعد الله: وهناك أوجه شبه واختلاف بين ابن باديس والشيخ العبيدي، من ذلك صداقتهما أيام الطلب في تونس، وهو ما يشير إليه ابن باديس في رسالته بعبارة (قديم التذكار) رغم أنها عبارة غير صريحة في هذا المعنى"⁽⁷⁾.

(1) البلاغ، ع 69 (11-5-1928). رحلات جزائرية طرقية، ج 3 ص 21.

(2) الشهاب، ع 6 (17-12-1925)، ج 1 ص 118.

(3) الشهاب، عابسة "التعارف وفوائده"، ع 125 (8-7-1927)، ج 3 ص 494. وقضية القبض مما انفرد به ابن عليوة، وجر عليه ذلك سخط شيوخ زواوة المالكيين.

(4) سعد الله، محمد العبد، مرجع سابق، ص 28. مريوش، الشيخ الطيب العقبي، مرجع سابق، ص 83.

(5) علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، ص 117.

(6) آثار ابن باديس، مرجع سابق، ج 3 ص 166.

(7) سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، مرجع سابق، ص 101. سعد الله "مراسلة غريبة بين ابن باديس وأحد علماء سوف"، المجلة التاريخية المغربية، ع 18-19 (جويلية، 1980)، ص 256.

وكذا أحمد توفيق المدني الذي يشيد بابن عليوة وزاويته، ويعتبره معينا على نشر الفضيلة وحفظ الرابطة القومية الإسلامية، وينقل عنه إنكاره على حزب الإصلاح عنفه وشدته في مهاجمة الطريقة⁽¹⁾.

6- الزيارات المتبادلة:

وذلك مثل زيارة ابن باديس لزوايا منطقة زاووة سنة (1925) حيث التقى عالم عزازقة الشيخ السعيد الجري قادوم النحو وشيخ الأجرومية، والذي رد على الزيارة بمثلها سنة (1929)، وكتبت عنه الشهاب "الشيخ السعيد بن علي الزواوي في قسنطينة"⁽²⁾.

ومنها زيارة ابن باديس لزواوية طولقة في (11-2-1926)⁽³⁾. وكان معه العقبي الذي أوضح لمريدي الزاوية ولحضور ضريح بن عزوز بأنه لا ينكر الولاية ولا الكرامة، ولكنه يقصد إحياء السنة ونشر الفضيلة. ومن قبيل زيارات الطريقين زيارة شيخ زاوية تماسين أحمد التجاني لمقر جريدة الإصلاح ببسكرة، وقد ذكرته الجريدة بكل خير: "حضرة السري الماجد صاحب الأخلاق الجليلة عين أعيان الطريقة التجانية، بل وكبير القوم وسيدهم.."، وأشارت إلى التفاهم بين الفريقين، وأن الإشكال هو في تصرفات العامة وخرافاتهما، وليست مع خاصة الطريقين، "فالتفاهم معه يسير غير عسير، وهو وإن عُذ من رجال الزوايا والطرق مصلح من المصلحين، ومفكر مع العاملين العاملين، أكثر الله في الأمة من أمثاله"⁽⁴⁾.

وفي هذا الإطار من الوفاق نعى الإصلاحيون شيخ زاوية تماسين التجانية، الشيخ العيد التجاني (ت 1928)، فقد رثاه عباسية في مقال "الموت أسرع بخياركم"، ومحمد العيد آل خليفة، وأشاد به الزاهري، قائلا: إنه عمدة من عمد حزب الإصلاح، لم يكثر برسالة مناشو التونسي⁽⁵⁾، ونهى أتباعه عن الطواف، ونهاهم عن التكفف والزكوات والبدع، وخليفته أحمد التجاني مولع بالإصلاح والتجديد⁽⁶⁾. وكان فرع تماسين أقرب للإصلاح من غيره.

كما مدوا حبال الوصل مع الطريقة القادرية في وادي ريغ وسوف، فقدموا التعازي في وفاة الشيخ الطيب بن الهاشمي شيخ قادرية تقرت الذي كان والده الهاشمي حريصا على تعليم أولاده بالزيتونة، وقال: "لا يتولاها إلا زيتوني"⁽⁷⁾. كما نعت الشهاب الشيخ عبد الله آل الشيخ الحسين شيخ زاوية سيدي خليفة بأحواز قسنطينة⁽⁸⁾، وهي الزاوية التي سبق لابن مهنا التدريس بها، وكان لابن باديس علائق حسنة بها. بل غطت الشهاب بعض دروس التجانيين المغاربة الوافدين على قسنطينة كما هو الشأن مع أحمد البلغيثي⁽⁹⁾.

(1) المدني، كتاب الجزائر، ص 467. غزالة بوغانم، الطريقة العالوية في الجزائر ومكانتها الدينية والاجتماعية، مرجع سابق، ص 4.

(2) الشهاب، ع (جمادى 1348 - أكتوبر 1929)، ج 5 ص 472.

(3) صدى الصحراء، الوفد العلمي القسنطيني، ع 11 (1-3-1926)، بوكسية، مرجع سابق، ص 205. قوبع، نفسه، ص 126.

(4) جريدة الإصلاح، مقال "زيارة عظيم"، ع 7 (7-11-1929)، ص 3. قوبع، مرجع سابق، ص 326.

(5) مناشو محمد التونسي تجاني الطريقة له "رسالة فتح الأبصار على مواقع عثار صاحب المنار، تونس، المكتبة التجانية.

(6) الشهاب، الزاهري "المرحوم الشيخ العيد رئيس زاوية تماسين"، ع 124 (1-12-1927)، ج 3 ص 472-475.

(7) الشهاب، ع (محرم 1349 / جوان 1930)، ج 6 ص 357.

(8) الشهاب، ع (جمادى الأول 1349 / أكتوبر 1930)، ج 6 ص 648.

(9) الشهاب، ع 147 (17-5-1928)، ج 3 ص 957. وعدت بتغطيته ولم نجد له أثرا في الأعداد الموالية.

كما أن بعض الإصلاحيين حضروا تجمعات العلويين، ففي العاصمة اعتاد أبو يعلى والشيخ السعدوني أن يحضرا والحافظي جمع ابن عليوة، والذي دعا الجميع لحضوره وشهوده وتقويم ما فيه ⁽¹⁾، وخاطب الجميع: "إن غرضنا الوحيد من هذا الاجتماع هو الاتفاق والعمل بما في الكتاب والسنة، واتباع المرشدين من العلماء الأحرار المصلحين، ونحن مصلحون قبل كل شيء، فمن رأي فينا من العلماء الحاضرين أو الغائبين نقصا أو مخالفة للإسلام، فلينبهنا، ولكن بالتي هي أحسن" ⁽²⁾.

ومن المغرب زار أحمد سكيّج التجاني نادي الترقى وألقى به محاضرة يوم (17-1-1927)، ودعا خلالها للحوار واجتماع الكلمة، والتوقف على الإنكار على أهل الطريق: "وما دام أهل الإصلاح لم يصافحوا شيوخ الزوايا بأيدي الصلح، معا للمسارعة لإصلاح ذات البين، فلا طمع للترقي والتوقي من أضرار الجهل" ⁽³⁾.

المطلب الثاني: علاقات الخلاف في العشرينيات.

وفي مقابل ما سبق من العلاقات الودية برزت ظواهر الخصام، وتكاثرت دعاوى الخلاف وأسبابها بين الفريقين، وكل يرمي الآخر بنقيصة وتهم، ومن ذلك ما يأتي:

أولا: تهم الإصلاحيين للطرقيين.

1-سبب التخلف هم الطرقيون:

فقد كتب العقبي أول مقال انتقادي حاد له في المنتقد، حيث حصر الانحطاط في الطرق وشيوخها محملا إياها أوزار ذلك ⁽⁴⁾. وفي نقد بين لشيوع ظواهر تقديس الدراويش في المتداول الشعبي يحمل مبارك الميلي في أول مقال له "العقل الجزائري في خطر" على الطرقيين، ويحملهم وزر التخلف العلمي والاجتماعي، وتشجيع الخرافة، وتزييف التدين، ويهاجم ظاهرة الدراويش والبهاليل: "ماذا تكون عاقبة الجزائري المغبون الذي يرى الفضل عليه لكل مجنون، ويودّ لو أن الله أكرمه بسلب عقله كما أكرم وسخي الأبدان والثياب وجعلهم من أهله" ⁽⁵⁾.

بل اعتبر الإصلاحيون طقوس المتصوفة سببا لخراب الأخلاق، بل وموت الناس، كما كتبوا في "نداء ليس له بال يأمرنا بإحياء البدع والضلال" حيث وصفوا ما يجري في مدينة القل في ضريح سيدي "علي بن اوزيت" من الزردة وتعظيم كل دردارة، وزيتونة، وبلوطة، ووجوب اغتسال الرجال والنساء في البحر وموت بعضهم، ونوم الرجال والنساء في الغار، واختناق بعضهم بقلّة الأوكسجين في القبة ⁽⁶⁾. وطرح الإصلاحيون قضايا الاختلاط في التجمعات الطرقية وهاجموا التقاليد المتبعة في الأضرحة والوعادات ⁽⁷⁾.

(1) البلاغ، ع 46 (25-11-1927)، أضماميم المد الساري، ج 1 ص 259.

(2) البلاغ، مقال "يوم الاحتفال بعاصمة الجزائر"، ع 54 (20-1-1927)، أضماميم المد الساري، ج 1 ص 263.

(3) أحمد سكيّج، رسائل سكيّج، تحقيق محمد الرضي كنون، مرجع سابق، ج 1 ص 281.

(4) المنتقد، ع 6 (6-8-1925)، ص 101.

(5) المنتقد، ع 6 (6-8-1925)، ص 105.

(6) الشهاب، ع 114 (22-9-1927)، ج 3 ص 280. الشهاب، ع 166 (4-10-1928)، ج 4 ص 334.

(7) البرق، زغيب العروضي "حول تبرج النساء بالمقابر"، ع 8 (25-4-1927)، نقلا عن قويع، مرجع سابق، ص 257.

كما اعتبر الإصلاحيون خصومهم السبب في تأخر النهضة والركون للبنى التقليدية البائدة، وفي هذا نقرأ القصيدة العاصفة لمحمد السعيد الزاهري (ليتني ما قرأت حرفاً) (1):

أو كلما غطت الجزائر في نو----م عميق من جهلها مستديم
أمة تتبع الغوي وتعصي-----كل هاد إلى الرشاد حكيم
من يكن صوفيا كذوبا خبيثا ----فاز منها بكل خير عميم
أمة تحسب المقدم جهلا-----هو أولى بالبر والتقديم.

وخلص الإبراهيمي إلى تحميل الطرق وزر التخلف بقوله: "ولقد تفرسنا فيهم فصحت الفراسة، وبلوناهم فصدق الابتلاء، وجربناهم فكشفت التجربة على أنهم لا يعرفون الأمة إلا في مواقف الاستعباد وابتزاز الأموال، فإذا مسها الضر وتنكر لها الدهر تنكروا لها وتجاهلوها، وإن علاقتهم بالأمة علاقة السيد بعبده والمالك لمملوكه لا علاقة المسلم بأخيه المسلم، يحب له ما يحب لنفسه، وأنهم مطايا الاستعمار الذلل وأيديه الباطشة؛ بل القنطرة التي هونت عليه العبور، وانهم كانوا ولا زالوا على خلاف ما وصف الله به عباده المؤمنين أعزة على الأمة أذلة على المستعمرين والحكام المستبدين، وأن ليس في صحائفهم السوداء موقف يعز الإسلام أو يرفع المسلمين. وهذا تاريخهم الماضي الملحد، وتاريخهم الحاضر المشهود يسجلان عليهم أنهم أعوان على هذه الأمة للدهر، وحلفاء عليها للفقير، وإلب على دينها مع التبشير بالكفر، وانهم هم الذين أمتوا رهبة الإسلام ونخوة الإسلام بخضوعهم واستسلامهم، كما أمتوا حقائقه بأساطيرهم وأوهامهم، وأنهم مردوا على الملق والمداهنة المزرية بشرف الإسلام في المواقف التي تسمو عن المجاملة وتقتضي نهاية الصدق في المعاملة" (2).

ويركز الميلي على ما يسميه التحالف ضد التجديد من قبل الطرقيين وسادتهم المعمرين، وأن علة الانحطاط المعاصر في ضعف العقيدة ومناظر البدعة واجتماعات التدجيل (3).

2- جدوى الطرقية:

امتلات الأعمدة الإصلاحية بمقالات حول جدوى وشرعية الطرق الصوفية، وهل الواقع الجديد يحتاجها، أم يجب تجاوزها لما انجر عنها من شيوع الخرافة، وضعف التعليم، بل اعتبرها بعضهم "الجرثومة الفتاكة التي شوّهت الإسلام" (4)، وأنها السبب في هروب الشباب للحضارة الغربية، فدعا الزاهري إلى: "نشر الإسلام بواسطة النخبة المفرنسة وذلك بتعليمها دينها، وإنشاء معهد إسلامي لها، وبمحاورة الطرقية ومظاهر

(1) الشهاب (ع رمضان 1349-فيفري 1931)، ج 7 ص 28.

(2) البصائر، ع 81 (1937-9-3)، ص 2، ع 81 (1937-9-17)، ص 1، آثار الإبراهيمي، ج 1 ص 297.

(3) الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، مرجع سابق، ص 13 ص 107.

(4) الشهاب، ع 118 (1927-10-20)، ج 3 ص 363.

الدروشة التي تدفع بأبناء المسلمين للهروب إلى الحضارة الغربية⁽¹⁾، والأمر ذاته في مقال "نقاش حول الطرق وجدواها" بإمضاء سلفي⁽²⁾.

بل إن الإصلاحيين استدعوا التاريخ لتعزيد دعواهم بانحراف المتصوفة عن هدي السلف، فقد نقلت الشهاب اعترافات جاسوس عن جريدة الفتح عن ليون روش الذي كشف أن شيوخ الطريقين يحرفون جمال الإسلام⁽³⁾. وربما تشير الفتح هنا إلى رحلته إلى مكة لجلب توقيعات شيوخها لوقف الجهاد ضد فرنسا، وقد كان للرجل دور مشبوه في إشعال الصراع بين الأمير عبد القادر والتجانيين.

كما تهموهم بأنهم سبب التجهيل والفرقة كما قال العقبي: "اتخذوا من الملابس زيا ومن العمائم لونا ومن اللحي والسبح أشكالاً وأنواعاً، فجعلوا بها الأمة قطعاناً من العجماءات لا تعرف من الله إلا اسم الجلالة محرفاً على ألسنة الناس من المريدين والإخوان والفقراء، وغير هذا من ألقاب الهوان والبهتان"⁽⁴⁾ وفي مقولة ساخطة على وضع الطرق يقول الابراهيمي: "يجري كل هذا والأشياخ أشياخ يُقدس ميثمهم، وتُشاد عليه القباب، وتُساق إليه الندور، ويُتمرغ بأعتابه، ويُكتحل بترابه، وتُلمس منه الحاجات، وتفيض عند قبره التوسلات والتضرعات، ويكون قبره فتنة بعد الممات كما كان شخصه فتنة في الحياة. ثم تتوالد الفتن فيكون اسمه فتنة، وأولاده فتنة، وداره فتنة، وإذا هو مجموع فتون، تربو عدداً على ما في مجموع المتون"⁽⁵⁾.

3- ضرورة الإصلاح الداخلي:

وهو ما تبارت فيه أقلام الإصلاحيين من التأكيد على ضرورة الإصلاح بكنس البدع الطرقية، كما هو الرد الطويل للعقبي على مقال من العدد (45) من جريدة التقدم التونسية، وكان عنوان المقال "دعوى الإصلاح وكيف يخيب أربابها"⁽⁶⁾، وكان أبو يعلى يرى بأن كثرة الطرق وتشتتها من علائم الوهن، حيث بلغت "خمسين طريقة، وكل طريقة مخالفة للأخرى"⁽⁷⁾.

وفي خطة مرسومة قديمة يحكي البشير الإبراهيمي بأن اجتماعاته الطويلة بآبن باديس في الحرم النبوي أفضت إلى ضرورة التخلص من الأوضاع الطرقية الجاثمة على الجزائريين، لأنها العلة الأولى في بقاء الاستعمار بما في تربيتها من سلوكات منافية لصحيح الدين، وبالتالي فالأولية لإزالة القابلية للتخلف والركون والخنوع الذي تجتهد الطرق في غرسه في الناس، فالإبراهيمي يكرر دوماً أن: "البلاء المنصب على هذا الشعب المسكين آت من جهتين متعاونتين عليه، يمتصان دمه ويفسدان عليه دينه ودنياه: استعمار مادي هو الاستعمار الفرنسي، واستعمار روحاني يمثله مشايخ الطرق المؤثرون في الشعب، والمتغلغلون في جميع أوساطه،

(1) الزاهري، الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير، مرجع سابق، ص 32.

(2) المنتقد، ع 11 (10-9-1925)، ص 196. وربما يكون من إمضاء الميلي.

(3) الشهاب، ع 161 (23-8-1928)، ج 4 ص 222.

(4) محمد الطاهر فضلاء، "من أعلام النهضة الوطنية الشيخ الطيب العقبي"، الجزائر، مجلة الثقافة، ع 66، ص 42.

(5) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 172.

(6) المنتقد، ع 12 (11-9-1925)، ص 213-221.

(7) أبو يعلى الزواوي، جماعة المسلمين، ص 32.

والمُتَجَرِّونَ باسم الدين، والمتعاونون مع الاستعمار عن رضى وطواعية، وقد طال أمد هذا الاستعمار الأخير، وثقلت وطأته على الشعب، حتى أصبح يتألم ولا ييوح بالشكوى خوفاً من الله بزعمه، والاستعماران متعاضدان، يؤيد أحدهما الآخر بكل قوته، وغرضهما معاً تجهيل الأمة، لئلا تفيق بالعلم.. وتفقرها، لئلا تستعين بالمال على الثورة... وإذن فلقد كان من سداد الرأي أن تبدأ الجمعية بمحاربة هذا الاستعمار الثاني لأنه أهون وهكذا فعلت⁽¹⁾.

4- منافاة الطرقية لضرورات النهضة:

اعتبر الإصلاحيون الطرقية منافية لشروط النهضة بمفاهيمها وأساليبها البالية في التربية والتسليك والتعليم، فهي حلس الجهل والخمول والرضا بالذلة، وهو ما انتقده بشدة مالك بن نبي في تشريحه لعوالم الأفكار فيما بعد الموحدين.

ويتوارد الإصلاحيون على تعليق مشجب التخلف بالظاهرة المرباطية، فهي أولى أسباب التخلف كما هو رأي محمد الصالح خبشاش الذي أرجع عوامل التخلف لأربعة هي: أرباب الطرق الواقفين حجر عثرة في طريق التقدم، والعلماء الخاملين، والأغنياء البخلاء، وأخيرا الشبيبة المتفرنسة التي عاتبت حضارتها وغادرت لغتها⁽²⁾.

بل إن المدني اعتبرها العقبة الكأداء أمام التطور، فالتيار الطرقي يشكل حجر عثرة في وجهه. بل أصبحت كل محاولة إصلاحية تلقى مقاومة عنيفة منهم خوفا على مصالحهم، وأصبحوا يحضّون الشعب على قبول السيطرة الاستعمارية والخضوع لها بدعوى طاعة أولي الأمر⁽³⁾. وفي هذا يقول العقبي⁽⁴⁾:

علمونا طرق العجز وما -----منهمو من لسوى الشر أفاد

طالما جدّ الورى في سيرهم----- وهم كم صدهم طول الرقاد

وحول ترويج جريدة النجاح لبعض مقالات الطرقيين ردت عليها جريدة صدى الصحراء بمقال بعنوان "حول ميكروب النجاح"، جاء فيه: "الوطن على ما ذكرنا، والنجاح وكتابه يدعون الناس إلى اعتناق التصوف والدخول في زمرة الطرقيين، أما تصوفكم الذي تدعون الناس إليه، فإننا نجيبكم بكل بساطة بأنه مذهب لا يوافق العمران، مذهب كسل وخمول، مذهب يعمل لفساد المجتمع الإنساني"⁽⁵⁾.

كما أعاد الإصلاحيون فتح ملف الشرف الذي تدندن حوله الطرق في استمرار المشيخة لمجرد النسب لا العلم ولا العمل، وهو ما فعله الزاهري عندما هاجم الزوايا وما يعتبره أخلاقيات فاسدة، حيث صارت بؤرا للمنكرات⁽⁶⁾:

(1) الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي، ج 5 ص 282. والمقال متأخر كتب في الخمسينيات.

(2) المنتقد، محمد الصالح خبشاش، مقال "نكبات الأمة الجزائرية"، ع 4 (23-7-1925). ص 66.

(3) توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص 465. مريوش، مرجع سابق، ص 73.

(4) مبارك الملي، رسالة الشرك، مرجع سابق، ص 306.

(5) صدى الصحراء، محمد العزوزي "حول ميكروب النجاح"، ع 10 (8-2-1926)، نقلا عن بولحية ص 221 (هـ 454).

(6) الشهاب، الزاهري "تحية الإصلاح"، ع 161 (23-8-1928)، ج 4 ص 237.

ويريد آخر للجزائر أن تضل --- الرشد في طرق وأبواب
تلقى زمام عقولها إلى----- من كان متكلا على الأنساب
ويل لأشياخ الزوايا فرقوا الإس-----لام في طرق لهم وشعاب
يا رب زاوية بها ما لم يكن-----في حانة من خمرة وشراب
يسقي الشيوخ الصالحون ضيوفهم-- بالكأس أو بالطاس والأكواب
وهم الأولى جمعوا حطامهم من ال-----فقراء والإخوان والأحباب

ولا ريب أن كثيرا من هذه التهم تبرأ منها الزوايا التي تتعالى فيها تلاوة القرآن وحلقات الذكر، وانحراف البعض لا يستلزم النعي على الجميع، ولكنها موجبات التموضع والحرب التي فتحتها الزاهري والعقبي بهذه الضراوة الحادة.

5- مسخ الدين والتقارب بين العلويين والمسيحيين:

طالت اتهامات الإصلاحيين للعلويين بالتقارب والتشهير للإرساليات التبشيرية، كما شاع في الحقل الإصلاحي اتهام العلويين بكونهم مدعومين من الإنجليز، أو أنهم من الماسونيين (الفرماسون)، وأنهم دفعوا أموالا لأبي يعلى الزواوي-الإصلاحي-حتى يدافع ويكتب عنهم، وفند ذلك كله في مقالات (1).

وممن تابع هذه التهم التبسي وهو يعقّب على محاولة الاغتيال: "وأنه إنما أراد هو وشيعته أن يأتوا بدين مزيج من معتقدات الآباء الكاثوليك والرسل البروتستانت، فليس له أن يرغم علماء الإسلام على قبول بدعته باسم دينهم، وأن يكتم أفواههم حذر أن يبينوا للناس ما آتاهم به مما ينقض هيكل الإسلام، ويحطمه لبنة لبنة، فدون وصولكم إلى غايتكم والله لمس السماء، ودك الشناخب، أترم أنوفكم أن جاءكم بالحسن يجادل بها رسول الله أعداء الإسلام، فهالككم الأمر، وسدت في وجوهكم مدارج الحق، فركنتم إلى الإجرام، وعمدتم إلى قتل من شهد له رسول الله بأنه عدل هذا الخلق، وأنه يحل محل نبي في بني إسرائيل (2).

وممن رافع حول هذه القضية طويلا أحمد حماني الذي اتهم العلويين بأنهم نبذة رعتها فرنسا لترويج العقائد الحلولية: "ففي داخل الوطن كادت تبتلع الطرق الصوفية وخططت- أو خطط لها- أن تزاحم في بلاد القبائل الطريقة الرحمانية، وت خلفها في أتباعها، لأنه تبين للمستعمرين أن الرحمانية لا يؤمن جانبها في القبائل (3).

ويحمل المدني وزر الفرار عن الإسلام للتقاليد الطرقية، قائلا: "هذه المنكرات الدنسة هي التي جعلت الكثير من المتنورين ينفرون من الإسلام وينبذونه، لأنهم لم يتلقوا تعاليمه السامية، واعتقدوا أن ما يفعله المرابطون وهذه الثلة الصالحة من أنصارهم هي الدين بعينه (4).

(1) البلاغ، ع 38 (1927-10-30)، أضاميم، ج 1 ص 298. وانظر تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 136.

(2) الشهاب، ع 83 (1927-2-10)، ج 2 ص 803.

(3) حماني، صراع بين السنة والبدعة، ج 1 ص 63.

(4) المدني، الجزائر، مرجع سابق، ص 466.

ولكن مواقف البلاغ وابن عليوة واضحة في رفض التبشير، وإن كانت لغة الأخير أقل حدة تجاه الكاثوليك منها على البروتستانت الميثوديست الناشطين في القبائل، وقد دعاهم إلى ترك التثليث، وعدم الطعن في الإسلام (1).

ثانيا: تهم الطريقين للإصلاحين.

1- جلب الوهابية:

وذلك بتحميل الإصلاحيين بكونهم مطية لدخول الوهابية، التي جُوبِئت بالحرب من متصوفة الشام وتركيا ومصر (2)، وقد أخذ الطريقون على الشهاب وهي المنبر الإصلاحي آنذاك نشرها لمقال تقي الدين الهلالي عن تجربة الوهابيين والطرائق الصوفية في الحجاز (3)، وذكر الملي بأن من التهم الشائعة عنهم أنهم وهابيون بل ومعتزليون (4)، وهي ألقاب لها وقعها السلبي في الذاكرة الجماعية آنذاك، ولذلك كان ابن تيمية من الشخصيات المثيرة للجدل بين الإصلاحيين والطريقين، كما هو الشأن في عديد المحاورات (5). مثل مناظرة العقبي مع الشيخ السعدوني في بسكرة. وما كان يشاع في منع التوسل بالرسول، وأن الإصلاحيين يعتبرون محمد صلى الله عليه وسلم مجرد رسول - حامل بريد - وقد انتهت مهمته.

بل إنها نعت عليهم استعمال الأساليب الوهابية في هدم الأضرحة والقبور، وهو ما حدث في الزيبان دون غيرها، إذ جنح إلى ذاك العقبي، كما وصفته صحيفة تونسسية: "وله في طريق داره ضريح صغير في مقبرة قديمة رأى الناس يعبدونه فهدمه ثلاث مرات، ولكنهم في كل مرة يجددون بناءه بعد أن يزودوا الأستاذ بجانب من الدعاء، وأخيرا تركوه وصمموا على عدم تجديده إلا إذا انتقم لنفسه من عدوه وهم منتظرون.. ولقد التفت حول هذا الرجل المصلح نخبة مهمة من أبناء البلاد كونوا نهضة لا يستهان بها، وهي تعمل بكل مجهودها في إنارة الطريق إلى الأفكار القديمة التي استولت عليها وأفسدتها من حيث لا تشعر" (6).

ولأجل ذلك كان الهجوم على العقبي كبيرا، وخاصة من بعض أقلام البلاغ التي اتهمت رجوعه للجزائر بأنه ليس لخدمة الإسلام، بل لإثارة الشغب والتحريض والتهريج، فكان يرد عليهم في سلسلة "يقولون وأقول" (7). وتبعاً لردوده العنيفة اتهمه ابن قشوط بالخروج عن أهل السنة والجماعة والدعوة للمذهب الوهابي التيمي (8).

(1) انظر ابن عليوة، أعذب المناهل، مرجع سابق، ص 146. بوغانم، نفسه، ص 237.

(2) لم تكن الصورة واضحة عنهم من قبل عند الجزائريين، فابن الدين الأغواطي في رحلته (1825-1829): قال بأن الوهابيين في الدرعية لا يحترمون النبي، ولا يقرأون دليل الخيرات، ويعاقبون على اتخاذ السبحة، - ووصف بعضهم بعبد الشمس وفروج النساء والحيوانات؟، وقال عن أهل جربة أن مذهبهم يشبه مذهب الوهابيين وبني ميزاب. انظر سعد الله، أبحاث وأراء، مرجع سابق، ج 2 ص 243.

(3) الشهاب، ع 150 (6-7-1928)، ج 4 ص 20.

(4) رسالة الشرك ومظاهره، مرجع سابق، ص 112، وفي الأدب الشعبي ما يحيل على ذلك نحو قصيدة "عيشة والحزام".

(5) البرق، ع (ماي 1927)، نقلا عن بولحية، مرجع سابق، ص 192.

(6) محمد الجابري، رحلات جزائرية، ص 84، نقلا عن بولحية، مرجع سابق، ص 191.

(7) الشهاب، ع 7 (24-12-1925)، ج 1 ص 151. مريوش، نفسه، ص 76.

(8) ابن قشوط، كتاب الإرشاد إلى سبيل الرشاد، مرجع سابق، ص 256.

في أعقاب كل هذا الجدل كتب ابن باديس مرارا بأن حركة الإصلاح ذاتية لا علاقة لها بالوهابية، وخاصة بعد انتصار الأخيرة في العشرينيات، ومهاجمة بعض الصحف المغربية الفرنسية للإصلاح بأنه تابع للوهابية⁽¹⁾.

2- تميع الدين والانخراط في الفرنجة:

كان اعتماد الإصلاحيين على تحديث أساليبهم وأطروحاتهم جسيما، فقد تداولوا مصطلحات النهضة والتقدم والترقي والإشادة بتجارب التحديث في تركيا، و:"هكذا تبنت الدعاية الإصلاحية الأفكار الأساسية لتلكم اللحظة: النهضة، التقدم، الترقي، وكانت اللفظة الأخيرة تعني الترقية الاجتماعية والفكرية،... والأخذ بأسباب المدنية الحديثة والاهتمام بحضارة زمانهم والقصد من هذا تحقيق مطلب عميق لحركتها التجديدية الدينية والتحريرية الاجتماعية والثقافية، والتميز عن الدعاة المتشددتين للنزعة التقليدية"⁽²⁾.

ولأجل ما سبق من الانخراط في ماجريات التحديث، هاجم الطرقيون العادات الجديدة، فكانوا يعتبرون الجلوس في المقاهي تهمة، وكذا قراءة الجرائد، والتهاون في الصلوات وعمارة المساجد، مما رددوه كثيرا في اتهاماتهم للإصلاحيين⁽³⁾، كما كان تعلّم الفرنسية محظورا عند بعض الطرق، بل إن بعضهم جعل لأتباعه "دعوة الشر"، وبعضهم كان يفتي بنقض الوضوء من مس الفرنسي، وبعضهم حتى من مجرد رؤيته.

في حين لم يستنكف الإصلاحيون عن تعلّم الفرنسية، فهذا العقبي العائد من معاقل المشرق حيث التوتر القومي العربي يدعو لضرورة تعلم الفرنسية في مقال "الدعوة لتعلم الفرنسية" حيث يقول: "فهل ينتبه أبناء العرب إلى تعلم الفرنسية، ومزاحمة أبناء الفرنسيين في مكاتبتهم، أم يبقون على جمودهم إلى يوم يبعثون"⁽⁴⁾ كما اتهم الطرقيون العقبي والإصلاحيين بترك الصلوات وتخريب المساجد مستشهدين بما فعله العقبي بإمام سيدي عقبة⁽⁵⁾، والمتهم بأكل ميراث عائلة العقبي المهاجرة للحجاز، والمهم أن هذه اللغة كانت منتشرة في الأوساط الطرقية التي لم يستسغ بعضها طرائق الإصلاحيين الجديدة في اللباس والصحافة والمشاركة الاجتماعية، بل وترك اللباس الجزائري لصالح البدلة الإفرنجية.

ولكن الزاهري يرد عليهم في مقال عاصف "النقوض والردود" في اتهامهم للعلماء بترك المساجد واستبدال بعمل ابن باديس في الجامع الأخضر، قال: "وارقبوا شيوخ الطرق عندما يذهبون لوهران وتونس وباريس فإنه يُرى منهم في مجالسهم وغدواتهم وسهرتهم ما لا شرف فيه ولا عفاف"⁽⁶⁾. والرد يحمل في طياته لمزا أخلاقيا، نظيرا

(1) حماني، نفسه، ج 1 ص 129.

(2) علي مراد، الحركة الإسلامية الجزائرية، مرجع سابق، ص 374.

(3) البلاغ، مقال "هكذا نظموا جموعهم"، ع 22 (1927-5-27)، ومقال "يريدون أن يجعلوا المتقين كالفجار"، ع 2 (1926-12-30)، ص 2

(4) المنتقد، ع 13 (1925-12-24)، ص 242.

(5) الشهاب، مقال للنشر الحر، "التجربة خير دليل"، ع 151 (1928-6-14)، ج 4 ص 37.

(6) الشهاب، ع 155 (1928-7-12)، ج 4 ص 108.

لما اتهم به الزاهري عندما خرج أو طُرد من الأغواط، ونظير هذا تتبّع الإصلاحيين لسقطات الطريقين والتشهير بها، مشيرين إلى أن أحد مشائخ الطرق من قسنطينة حلّ بعين مليلة، وبات عند رئيسة المومسات⁽¹⁾.
 ردد الطريقيون أيضا بأن الإصلاح الناشئ بعد الحرب الأولى تمييع للدين: "وما هو ذلك الإصلاح والتقدم وما هو ذلك النهوض؟ فإنك إذا تأملتة جيدا لا تجده إلا عبارة عن طرح الدين جانبا، وعلى الأقل التخفيف من وطأته"⁽²⁾، وضربوا لذلك أمثال التحديث في تركيا أتاتورك وإيران بهلوي، وشاع عندهم التندر بالإصلاحيين بأنهم المقصودون بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة، 11-12]، ولأجل ذلك توالى الكتابات الطرقية باتهام الإصلاحيين بالترويج للإلحاد، فحسب النجاح فهم: "جماعة الملاحدة، أعداء الملة والدين، وخصوم أولياء الله الصالحين"
 ويرد ابن باديس بمقال "المنافرة والمهاترة، قائلا: "تقويل الكتاب مالم يقولوه، وإساءة الظن بهم والقدرح في أعراضهم، ومحاولة نقض أقوالهم بالأحاديث الموضوعة وتحريف معنى الآيات الكريمة، فمن الأول تدليسهم على العامة بأن كتابنا أنكروا الولاية وطعنوا في الأموات.. ومن الثاني ما وقف حياته على نشره "الرشيد" وعضده "صهيب" الجديد إلى غير ذلك من الألقاب التي شمر أصحابها عن ساعد الجد للسباب، وتستروا خشية الفضيحة بين العبيد."⁽³⁾

ومن المغرب يكتب سكيرج عن جنانية ما يسمى بالترقي العصري الذي دفع بالشبيبة لكسر حرمان الدين التي لا يزال يحممها المتصوفة، وقال: "إن المتوقع الذي لا محيد عنه هو قيام الساعة عندما يكثر الخبث وتُسد الزوايا التي تجتهد الشبيبة العصرية في سدّها وإغلاقها في وجه الذاكرين لله"⁽⁴⁾.

3- إفساد التقاليد العلمية:

كان الطريقيون يعتبرون الجزائر معهدا كبيرا للعلم له تقاليد وشيوخه وإجازاته، ويستغربون بعثات الإصلاح لتونس، التي كانوا يتهمونها بأنها سوق الملامهي والمذات، وبأن الطلبة ينحرفون بها عن جادة الدين، كما هو مقال الشهاب "الكلية الزيتونية والطريقين"⁽⁵⁾، وهو ما أشار إليه المهدي البوعبدلي في مراسلات والده له خوفا من الانجرار فيما يشاع عن تونس، وهو ما يفسر أيضا قلة طلبة الغرب في الزيتونة، وفي معهد ابن باديس من بعد⁽⁶⁾. والحق أن الغرب الجزائري حافظ على بقية من الألق العلي في زوايا معسكر ومازونة وسهل الشلف.
 وأما الإبراهيمي فله رأي آخر في هذه التقاليد التي خرّجت القاصرين والجامدين، بل إنه رمى المؤسسات العريقة بمثل ذلك إلا قليلا، ففي غمزه للحافظي قال: "ولو شاء ربك لرمى الجزائر بقافلة من الحجاز مضلّة تتخذ من حرمة الجوار شركا جديدا، وتجعل منه غلا في الأعناق شديدا، كما رماها بطائفة من الأزهرين

(1) الشهاب، ع 156 (19-7-1928)، ج 4 ص 131.

(2) البلاغ، مقال "الإصلاح ومن ذا الذي يدري ما معنى الإصلاح"، ع 32 (22-8-1927)، ج 1 ص 228.

(3) الشهاب، ع 15 (18-02-1926)، ج 1 ص 303.

(4) البلاغ، سكيرج "النصح التام للخاص والعامة"، ج 46 (25-11-1927).

(5) الشهاب، ع 117 (13-10-1927)، ج 3 ص 342.

(6) المهدي البوعبدلي، الأعمال الكاملة، المراسلات، رسالة إلى والده أبي عبد الله في (26-1-1932)، ص 27.

الجامدين فزادوها قرحا على قرح، وكانوا ضغثا على إبالة، ولكن ربك أرحم من أن يكثّر عداد أولادها العاقين، فيزيدها بذلك ويلا على ويل، وترابا على سيل"⁽¹⁾.

والظاهر أن بعض الطريقين شعروا بأزمة التعليم العقيم في الزوايا فاستحدثوا طرائق جديدة وأدخلوا علوما أخرى كما الأمر في زاوية الهامل، بل إن جريدة البلاغ العلوية هاجمت التعليم في زوايا زاوية: "بأنها مراكز للجهل والخرافة، وأن الهدف من التعليم فيها هو حفظ القرآن وقراءته على الموتى، وكتابة الحروز، وكان الواجب هو تكوين معلمين بالعربية، ليكونوا أدباء قادرين على قراءة القرآن وكتب آبائهم، والقدرة على الدفاع عن تراثهم وحضارتهم في وجه الحضارة الغربية الغازية"⁽²⁾، وقد دعا ابن عليوة إلى احترام الموروث العلمي المذهبي: "صلاح الأمة وإصلاحها أن لا يتساهل في تنقيص سلفها، ولا يمس بسوء أي مذهب من مذاهبها مادام الجميع متحدا على كلمة الإخلاص"⁽³⁾.

4- الحط من الإرث العلمي الصوفي:

استند الطريقون في مواجهة الإصلاحيين إلى عراقية التصوف في المذاهب الإسلامية، حيث كان أغلب العلماء في القرون الأخيرة يتدينون بالانتساب إلى الطرق الصوفية، وخاصة الجزائر وأقطار المغرب، ولذلك دعت البلاغ إلى وجوب احترام السلف، وقد أنكرت على الإصلاحيين، وصفهم لها بأنها: تارة بصحيفة الحلولين وتارة بصحيفة المبشرين، وتارة بورقة المضلين⁽⁴⁾. كما اغتاز الطريقين من اتهامات العقبي بالحط من العلم والعلماء في الجزائر ودعواهم بموات السنة في قصيدته إلى الدين الخالص⁽⁵⁾.

وممن رافع عن التصوف علي بن محمد السعيد الصدقاوي-الطريقي- في مقال نشرته الشهاب بعنوان "فر من الشرك فوق فيه" ورد على من اتهم الطريقين بأنهم غنم الشيطان، وقال بأن أئمة الصوفية طرقيون، وهم غنم الشيطان إذن.. وقال إن المصلح والمفسد موجود في كل طرف وقال: "نعتقد الخير والبركة في شيوخ الزهد والتقوى كذلك نعتقدهما في بعض هؤلاء الإصلاحيين، ولو كانوا لنا محاربين بأقلامهم، ونحن في هذا الحرب نزداد فيهم مودة، ونتمنى لهم النجاح في قمع البدع كيفما كانت وفيمن كانت"⁽⁶⁾. وهي لغة نادرة في تلك الفترة التي كانت الأقلام فيها مشحوة للرد والنقد والنقض.

ويتهم الشيخ ابن عليوة الإصلاحيين بالانتقائية في حشرهم لجميع منتسبي الطرق الصوفية في سلة واحدة المريد الصحيح والمنتسب الجاهل، ومحاكمة التصوف من ظواهره الشاذة، فيقولوا: "ولكنك ظننت أن التصوف عبارة عن جماعة من الناس يجتمعون للرقص، وإنشاد الأشعار لا غير، ومثلك كمن قصد راعي الغنم بالليل يطلبه أن يتصدق عليه بماشية، فأذن له في ذلك فذهب ليأخذ ماشية، فوقعته يده بالليل على

(1) آثار إبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 182.

(2) البلاغ، (1-2-1930)، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3 ص 262.

(3) البلاغ، ع 19 (5-6-1927) أضماميم المد الساري، ج 1 ص 60.

(4) إرشاد النبيل إلى مقالات الأستاذ الجليل، ص 174، نقلا عن بولحية، مرجع سابق، ص 223.

(5) ابن قشوط، كتاب الإرشاد، مرجع سابق، ص 271.

(6) الشهاب، ع 151 (14-6-1928)، ج 4 ص 37.

كلب الحراسة الذي هو عادة يكون مختلطا بالمواشي، فلمّا أصبح الصباح وجد بيده كلبا فأخذ يتهم راعي المواشي، ويلقبّه براعي الكلاب، وهذا ما يقتضيه لسان ما جمعتموه لأنكم أقصرتم التصوّف على الرقص وما في معناه⁽¹⁾. ومما رد به الطرقيون أنهم لا يدعون الترفع ولا التميّز عن مجموع المسلمين " فهم كغيرهم فمنهم الصالحون، ومنهم دون ذلك، والشرع حاكم على الكل"⁽²⁾، كما انتقد الطرقيون مقالات تقي الدين الهلالي المغربي، وخاصة نقده اللاذع للتجانية⁽³⁾، وهالهم تخوض الإصلاحيين في حرماهم وأقدارهم، فكتبوا منددين بسلوكات وصحف إصلاحي الزيبان وغيرهم⁽⁴⁾.

المطلب الثالث: الخلافات الإصلاحية الإصلاحية.

لم يسلم الصف الإصلاحي من بعض الخلافات المنهجية والآنية، ولكنها لم تؤثر عليه كثيرا، ونماذج ذلك ما يأتي:

1- خصومة العقبي والزيباني:

ذكر طالبي في مقدمة أعمال ابن باديس نقلا عن السنوسي أن الزيباني كان له في الأزهر زميل جزائري يعارضه في فكرته الإصلاحية هو عسول العبيدي⁽⁵⁾، مما أدى إلى وقوع مناظرات بينهما أمام الشيخ علي بن ناجي وطلبة ليانة حول محدثات الأمور، ولما عاد العقبي من الحجاز وقعت له مع الزيباني خصومات، وقد حرر الزيباني وجهة نظره في الصديق، بينما لا نعرف رأي العقبي لأنه لم يكن له مجال ينازل فيه خصمه⁽⁶⁾.

2- العقبي وابن باديس:

حيث كان العقبي ينتقد ما يراه من فقدان الجدية والجمود الفكري الذي ميّز المناخ الصحفي الأول في جريدة المنتقد⁽⁷⁾، كما انتقد الشهاب وتغيير خطها "أحدثت الشهاب في دينها ما ليس منه"⁽⁸⁾، إذ لم تنشر له بعض المقالات الحادة، ولكنه عاد حسب قوله بعد توسلها له، وبأشر مقالات متسلسلة بعنوان "يقولون وأقول"⁽⁹⁾، وكانت هذه العودة عقب فشل دعوات الوفاق والتفاهم التي أطلقها ابن باديس (في العدد 19 من الشهاب)،

(1) ابن عليوة، القول المعروف في الرد على من أنكر التصوف، مرجع سابق، ص 65.

(2) البلاغ، مقال "البلاغ وما يقال في البلاغ" ع 83 (1928-8-24)، أضاميم، ج 1 ص 67.

(3) الشهاب، ع 152، (1928-6-21)، ج 4، ص 48.

(4) البلاغ، مقال "الأعراض وحرمتها" ع 20 (1927-5-13)، أضاميم المد الساري، ج 1 ص 268.

(5) انظر عنه عيساوي، مدينة تبسة وأعلامها ص 278. مذكرات شاهد القرن ص 100. حيث قال: "كان الشيخ سليمان - بن طيار البيضاوي- يتابع رسالته الإصلاحية في البلدة بينما كان الشيخ الصدوق -الصادق- بن خليل الدرياسي (1871-1944)، وهو خريج الأزهر في (1917) والشيخ عسول - العبيدي- يتنافسان على استمالة المستمعين من شباب تبسة، هؤلاء أصبحوا فيما بعد وحينما عاد الشيخ العربي التبسي من الأزهر من رواد مواظله وتوجيهاته".

(6) عمار طالبي، آثار ابن باديس، ج 1 ص 27. ولا نعلم القضايا المختلف فيها بين الرجلين.

(7) المنتقد، العقبي "تقاريط المنتقد"، ع 5 (1925-7-30)، ص 81. مريوش، نفسه، ص 253.

(8) البرق، ع 17 (1927-7-4). مقالات العقبي، مرجع سابق، ج 1 ص 239.

(9) الشهاب، ع 114 (1927-9-22)، ج 3 ص 286. وقد توقف العقبي منذ نشر الشهاب لدعوة الوفاق، ورغبها من كتاب الإصلاح توقيف الحرب القلمية كما فعلت النجاح بتوقيف أقلام المحافظين. انظر الشهاب، ع 19 (1926-3-25)، ج 1 ص 390. ثم عاد العقبي للشهاب عقب محاولة الاغتيال في العدد 78 (1927-01-6)، ج 3 ص 711.

لأن رأيه هو وقف ذلك التيار القوي من الكتابة الإصلاحية لغرض الرفق واللين، لكن هذه الدعوة لم تثمر في الظاهر إلا تصدّعا في الصف الإصلاحي، مما جعل ابن باديس يكتب: "رجعنا إلى خطتنا القديمة التي أسست الجريدة من أجلها بدون تحفظ، وليأخذ- أي العقبي- هذه الكلمات منا ميثاقا صميما وعهدا صادقا، إننا نوالي جهودنا وكتابتنا في موضوع الإصلاح الديني"⁽¹⁾.

وحتى لا يُحرج العقبي ابن باديس فقد بدأ ينشر في البرق مقالاته الحادة في لغة هجومية شرسة: "وأعدكم وعدا صادقا بأنني سأملأ البرق بمقالاتي الرعدية وصواعقي الزجرية، وسأرسل على رؤوس الشياطين كل ما أستطيعه من شهب نارية، فأبعث إلى مجلة الشهاب ما يليق بها ويملأ الكثير من أعمدتها وصفحاتها، من كل ما يتفق مع خطتها، وأرسل لكم بما يلتئم مع البرق، ويخطف سناه أبصار المجرمين، ويكون بلاء منصبا على غلاة الطريقين"⁽²⁾.

وبعد سنة من المقاطعة (من العدد 19 - 78)، وبعد حادثة الاعتداء على ابن باديس، عاد العقبي إلى الكتابة بقوة، فنشر مقالا "أما الآن فنعم، وقد وجب الرجوع"، وقال فيه: "إن هذا من الشهاب يعد رفعا لقانون ثقیل، وكان ذلك القانون الثقيل الذي صدر في (ع 19) حجر عثرة في طرائقنا، فحال بيننا وبين الكتابة لجريدتنا"⁽³⁾.

ولكن العقبي استاء ثانية عندما رفضت مطبعة ابن باديس طبع جريدته الإصلاح فقال: "إن مطبعة الشهاب أساءت إلي، وإلى كل من يحاول طبع جريدة بتونس أي إساءة، وهذه زيادة على تسجيلها الكذب والسفه على نفسها، ونقضها اليوم ما اعتذرت به أمس، وبعد هذا كله فإني أحتج على هذه المطبعة"⁽⁴⁾. والظاهر أن هذه الاختلافات المتأرجحة بين الرجلين تعود إلى فهم وهضم الواقع الجزائري، فابن باديس كان همه التعليم، والعقبي كان همه تعميم الإصلاح، "فكان سلاح الأول خفيا بطيء التأثير، وكان سلاح الثاني ظاهرا سريع التأثير"⁽⁵⁾.

3- ابن باديس والزهري:

لما كان خط جريدة البرق ساخنا وعاصفا بسبب الأقلام الحادة لجملة الإصلاحيين (الميلي، العمودي، الزاهري، العقبي)، والذين غالبا ما كانوا يوقعون بأسماء مستعارة، فضلا عن دخول الزاهري في خصومة مع النديم التونسية ومديرها حسين الجزائري، أوقفت المطبعة الإسلامية طبع البرق، فاضطر الزاهري لطبعها في مطبعة

(1) الشهاب، ع 75 (1926-12-16)، ج 2 ص 661. مريوش، الشيخ الطيب العقبي، مرجع سابق، ص 83.

(2) البرق، مقال "إلى الأمام إلى الأمام"، ع 7 (1927-4-8). مقالات العقبي، ج 1 ص 255.

(3) الشهاب، ع 78 (1927-1-6)، ج 3 ص 711. مقالات العقبي، مرجع سابق، ج 1 ص 123. حماني، نفسه، ج 2 ص 30.

(4) الشهاب، ع 126 (1927-12-15)، ج 3 ص 517. مقالات العقبي، ج 1 ص 208. وقد طبعت الإصلاح بتونس، انظر مريوش، نفسه، ص 98. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5 ص 255، ورغم اعتذار الشهاب عن إمكانيات الطبع، فقد كانت تطبع الشهاب والبرق والعواصم وتقويم الأخلاق، وقد استغلى العقبي التكاليف، وإذ المطبعة تجارية تعاني صعوبات بدليل أن الشهاب صارت شهرية بعد أن كانت أسبوعية، انظر حماني، نفسه، ج 2 ص 194.

(5) سعد الله، أفكار جامعة، ص 96. مريوش، مرجع سابق، ص 255.

النهضة بتونس ابتداء من العدد السابع عشر⁽¹⁾. حيث كان ابن باديس لا يرتضي الإسفاف والفجور في الخصومة، وهو ما حرص عليه في مجلته الشهاب.

4- الشهاب والسنوسي الزاهري:

تعرضت إدارة الشهاب للمز المبكر للسنوسي الزاهري، إذ كان الأخير يقرؤها قراءة مناطقية أو حساسية بين الحضر والآفاقيين، في حين علّلت هي انسلاخه من هيئة ترويجها ونشرها لانشغاله بكتابه شعراء الجزائر، ولل قضية ذيولها غير المعروفة⁽²⁾، وقد استمر السنوسي في فريدياته فيما يأتي من أيام، فبعد اشتغاله بالتدريس في الشبيبة في العاصمة، ثم في تلمسان وبلعباس، فإننا لا نجده ينخرط في الأعمال التنظيمية للجمعية، بل يشتغل بالتجارة والعمل الإذاعي في بداية الخمسينيات، بل وينتقد بعض تصرفاتها⁽³⁾، وهو يحتاج إلى دراسة مفردة لتفسير مواقفه المشابهة نوعا ما لمالك بن نبي.

5- الميلي وأبو يعلى الزواوي:

وذلك في قضية موقف أبي يعلى المهادن والمجامل للعلويين، حيث كان يرى في الشيخ ابن عليوة شيخا يؤتم به في التربية، وهو من العلماء الورثة، وأنه وشيوخ الطرق يمثلون أغلب الأمة، وهو ما جعل البقية يرمونه عن قوس في واحدة في دعوى أعلمية شيوخ الطرق وأمثلية التصوف⁽⁴⁾. واستغرب الإصلاحيون كيف أن عالما يدعي السلفية يثني على العلويين ويسكت: "عما في ديوانه المطبوع بإذنه الرائج بين أتباعه بتقريره المملوء عقائد حلولية صريحة، وتهجمات على مقام الربوبية ومقام النبوة، وإغضاءك عما في الكتب المنسوبة إليه من أحاديث موضوعة وتحريفات باطنية لكلام الله وكلام رسوله، وأنت الرجل المعروف بشدة الإنكار على السيوطي وابن عربي والشعراني"، ونال الزواوي حظه من ردود المغاربة الذين لاموه على تبرئة العلوي من تهمة محاولة الاغتيال، وكتب بعضهم باستغراب تذبذب الموقف السلفي لأبي يعلى، بله واتهامه بكونه من أتباع العلويين⁽⁵⁾.

(1) البرق، عبد المجيد الرحموني "إلى القراء" ع 17، السنة الأولى، نقلا عن بولحية، نفسه، ص 257. زكرياء، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، مرجع سابق، ص 180. هذا فضلا عن بعض الحساسيات الموجودة بين الزاهري وابن باديس من أيام التلمذة - درس عنده أربعة عشر شهرا- حيث كان ابن باديس يكبح جماحه فيما سماها هو قوارص. وكان الزاهري يعتز بالحرية عند الشيوخ البدويين عكس الحضر، انظر شعراء الجزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 143.

(2) شعراء الجزائر، ج 1 ص 311.

(3) انظر خالد مرزوق ومختار بن عامر، مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان، مرجع سابق، ص 159.

(4) الشهاب، ع 84 (17-2-1927)، ج 2 ص 827. حماني، نفسه، ج 2 ص 84. وكان أبو يعلى يخاطب ابن عليوة "صديقي الأستاذ المربي"، جريدة البلاغ، ع 38 (30-10-1927)، أضماميم المد الساري، ج 1 ص 298.

(5) الشهاب، محمد أبي بكر السلاوي، مقال "إلى الخطيب أبي يعلى"، ع 81 (27-1-1927)، ج 2 ص 771.

المطلب الرابع: مظاهر الخلافات الإصلاحية الطرقية.

كانت بدايات النزاع والصراع من الحرية المهمة والكتلة المتكلمة للإصلاحيين من جماعة الزيبان، فقد بدأت المجابهة مبكرة مع الطرق الصوفية وبكل الوسائل المتاحة، وهو ما أكدته الإبراهيمي في تأريخه لحركة الإصلاح⁽¹⁾، ومن تلك الحقول التي جرى فيها النزاع والخصام ما يأتي:

1- الصراع والتموضع السياسي:

بدأت الشكاوى ضد الإصلاحيين من قبل المحافظين وظهرهم النواب البلديون والعماليون في الزيبان قبل غيره، ففي بسكرة تقدم بوعزيز بن قانة قائد الزيبان بشكوى ضد محمد خير الدين بسبب النشاط⁽²⁾، وتجلّى ذلك بمحاولة فرض الإمام الرسمي الطاهر دالي في صلاة العيد بدلا من خير الدين⁽³⁾.

وحاول الإصلاحيون استمالة بن قانة، فباركت جريدة البرق وقوف شيخ العرب ابن قانة ضد الخرافات والبدع، وأيدت قرار حاكم ملحقه بسكرة لمنع المضار والمفاسد الأخلاقية⁽⁴⁾. وأما في مناطق الشاوية، فإن الإصلاحيين يشيرون إلى تحالف القياد وأبناء الزوايا، لسد الطريق عليهم⁽⁵⁾.

وفي الشمال القسنطيني بدأ التملل ضد سيطرة الطرق على المساجد، فقد تجنّد أنصار الإصلاح لإزاحتهم، ففي الميلية رفع جماعة المسجد الكبير شكوى لمفتي عمالة قسنطينة المولود بن الموهوب ضد الطريقة التجانية⁽⁶⁾.

ووجد العلويون صعوبات في الدخول لمناطق القبائل الصغرى بطلب بعض المرابطين من السلطات، وحدّر أهالي البرج أهل قسنطينة من استقبال ابن عليوة، والذي لم ترخص له الإدارة بفتح زاوية العاصمة إلا سنة (1922)⁽⁷⁾.

وفي الأغواط تحرك الطرقيون لسدّ الطريق على الزاهري الذي أسس مدرسة، وضيقوا عليه، ويبدو أنه خرج منها تحت الضغط، أو الطرد كما قالت البلاغ، ولكن الشهاب نفت ذلك⁽⁸⁾، ونفت التهمة التي أشيعت عنه في مقال سمهري: "بماذا نجيب من يقول بأن الزاهري طرد من الأغواط بسبب تعلقه بساقطة إسرائيلية"⁽⁹⁾. وهي المنزلاقات التي سيزل فيها البعض في صحافة الثلاثينيات.

وفي وادي سوف التي كان تتقاسمها الطريقتان القادرية والتجانية بدأت رياح الإصلاح تطرقها، وبدأ التمايز والاصطفاف بشكل آخر مناطق، فقمّار صوفية (الشيخ محمد بن البرية ومحمد الصالح بن الخوصي)،

(1) انظر الإبراهيمي، سجل جمعية العلماء، ص 52.

(2) مذكرات محمد خير الدين، مرجع سابق، ج 1 ص 77.

(3) خير الدين، نفسه، ج 1 ص 85.

(4) قوبع، نفسه، ص 337 عن البرق: "العقبي مع ابن قانة ضد الخرافات، من هو الجاني؟"، ع 12 (23-5-1927).

(5) الشهاب، مقال "تحالف القياد وأبناء الزوايا"، ع 117 (13-10-1927)، ج 3 ص 347.

(6) أبحاث وأراء، ج 2 ص 196. ولا ندري مضمون الشكوى التي وجدها سعد الله ضمن أوراق بن الموهوب.

(7) الشهادت والفتاوى، ص 126. ابن عليوة، أعذب المناهل، ص 163. بوغانم، نفسه، ص 209.

(8) الشهاب، ع، 101، (16-6-1927)، ج 3 ص 22. والشهاب تشير إلى ما نشر في البلاغ العدد (32).

(9) الشهاب، ع 112 (2-9-1927)، ج 3 ص 232.

والزقم إصلاحية، وقد كان بين شيخها عمار بن الأزعر وابن البرية خصومات، إذ كان للأخير كتابات في البلاغ والنجاح ضد الإصلاحيين⁽¹⁾، مع وجود علماء تجنبوا هذا الصدام من صوفية الوادي كإبراهيم العوامر.

2- المرافعات القضائية:

ارتفعت بعض النزاعات الفكرية إلى منصات القضاء، فالشهاب تنقل أن الحكيم ابن التهامي يحاكم البرق من أجل البدع⁽²⁾، واحتفت الشهاب بعزل أحد رجال الطرق في المغرب عن منصبه لكيدته وتنكيله برجال الإصلاح⁽³⁾، وفي تلمسان التي باشر الزاهري بها نشاطه بعد الأغواط، مقتحما معاقل الطريقين⁽⁴⁾. رفع العشعاشي دعوى قضائية ضد مجلة الشهاب ردا على مقالها "الجمعيات الخيرية بتلمسان"⁽⁵⁾، حيث كان العشعاشي رئيسا لجمعيتها الخيرية التي يمسك بتلابيبها الطريقيون وخاصة علويو تلمسان، وردت الشهاب بمتابعة أخبار المحاكمة في تغطية محاكمة تلمسان بمقال: "رجال الدين يقامون البدع الطرقية".

3- التوضع الاجتماعي:

سعى كل من الفريقين إلى التوضع الاجتماعي، ففي حين بادر الإصلاحيون إلى كسب ساحات جديدة، عمد الطريقيون والمحافظون إلى الحفاظ على دوائهم ومناطق نفوذهم مستعملين ما أمكنهم من الوسائل الدعوية والإعلامية والاجتماعية.

فحين اغتيل الإمام محمد بن معنصر الميلي (1347هـ-1928م) نتيجة فتوى لم تعجب المستفتي في الطلاق، وجاءت وفود المعزين، وكان منهم الشيخ عاشور الخنقي، فحكى لمريديه وغيرهم قصة استغاثة أصحاب السفينة بالله لينجهم من الغرق، وتأخر الفرج حتى أمرهم شيخهم بالتوسل به لله، فكان الفرج⁽⁶⁾، وهذا ما جعل تلامذة الإصلاح يفسدون أمثال هذه المجالس بابتداع عبارة "فاقوا" في التشغيب على أدياء التصوف ومانعي البركة المزيفين. في حين ضخ الطريقيون بعض الأسجاع والألقاب التي تخوّف الناس من الوافد العصري الجديد⁽⁷⁾.

(1) محمد الطاهر تليلي، من تاريخ وادي سوف، ص 77، نقلا عن بولحية، نفسه، ص 124، وكان عمار بن الأزعر قد هاجر إلى للحجاز. انظر تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5 ص 468. غنابزية، مجتمع وادي سوف، مرجع سابق، ص 76. موسى بن موسى، الحركة الإصلاحية بوادي سوف نشأتها وتطورها (1939-1900)، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، 2006. 168. وعمار بن الأزعر (1898-1964)، رأس شعبة الجمعية بقممار.

(2) الشهاب، ع 120 (3-11-1927)، ج 3 ص 400. وانظر محمد ناصر، نفسه، ص 85.

(3) الشهاب، ع (ذو القعدة 1347/أفريل 1929) ج 5 ص 140.

(4) الشهاب، "ليلة صالحة" نشاط الزاهري السعيد بتلمسان وتفسيره الفاتحة"، ع 156 (19-7-1928)، ج 4 ص 138.

(5) الشهاب، ع 150 (7-6-1928)، ج 4 ص 20. الشهاب، ع 154 (5-7-1928)، ج 4 ص 92.

(6) الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، ص 195. محمد الميلي، الشيخ مبارك الميلي، ص 139.

(7) من أمثال ذلك ما يكون يروج في الزيبان من أهانج: "يا بنات الشيخ، يا بنات الميمونة، يا بنات فكيفة، اجعل لكم وعدة وأقيم لكم زردة اذبح فيها الأكباش، وادعوا إليها الأعراش، وتعزف القصبة، ويدف فيها البندير رغم أنف العصرية الذين أفسدوا علينا النية" انظر كمال عجالي، الفكر الإصلاحي عند الشيخ الطيب العقبي، ص 39.

واتهم العقبي طريقي الزيبان بكونهم أعوانا للحكومة، وجواسيس لها: "فهل تتركون هذه الخدمة خدمة الجوسسة لأربابها الذين عينتهم الحكومة لها، وأنست منهم المقدرة عليها وهم بها قائمون، وترجعون إلى زواياكم للعبادة فإنكم سالكون ومسلكون-خالصون"⁽¹⁾. وقد حاول ابن باديس أن يخمد الفتنة ويطفى العداوة في الزيبان، وزار بسكرة لإصلاح ذات البين بين الطرفين، ولكنه صلابة العقبي وحماسه أجهضت الوفاق، ورأى في التنازل نجاحا لأهل الضلال على حساب أهل الحق⁽²⁾.

ويرد الطرقيون أيضا بأن الإصلاحيين يسارعون في هوى الحكومة ويمدحونها، فيرد العقبي متوسلا بعدالة فرنسا: "اتهمتوني بأني مدحت فرنسا في افتتاح جريدة الجزائر بما لا تجيزه الشريعة؟ فأنا متملق، وأنا ما مدحت إلا فرنسا الحرة صاحبة مبدأ العدالة والمساواة"⁽³⁾. والظاهر أن العقبي كان يحاول استمالة الإدارة الفرنسية والاستظهار بها ضد خصومه الذين اتهمهم بتأجيج الثورات الماضية، وأن سكوتهم الزائف الآن ما هو إلا بمقتضى الضرورة، وكتب محرّضا على المرابطين وأنهم خطر على الأمن ومصدر للثورات: "ولكن الأحق بالمراقبة عندي والتخوف من تشويهاته في بعض الأحيان هم جهلة المرابطين، لأن الواحد منهم متى التف حوله من أتباعه المائة والمائتان سولت له نفسه أنه ملك الدنيا بأجمعها، وربما حدثته بأنه الإمام المهدي أو عيسى بن مريم..... ولو قال لهم: نعلن الجهاد الديني والحرب المقدسة لقالوا: لبيك لبيك، إنا لك مطيعون ولك ولأوامرك سامعون، ذلك لأنهم جاهلون، وإلى العواقب والنتائج لا ينتظرون، فمثل هؤلاء الذين يجب أن تبغضهم فرنسا وتقطع دابرهم أجمعين"⁽⁴⁾.

وفي أعقاب الاعتداء على ابن باديس طالب العقبي الحكومة بالتدخل والضرب بقوة وتنهير البلاد منهم" فهل تنتبه الحكومة إلى ما في هذه الجمعية الجريئة – العلوية-وأمثالها من الخطر على الأمن العام⁽⁵⁾.

وهذه النبذة من التحذير من الطرقيين وكونهم مصدر الثورة على الوافد الفرنسي وجدناها من قبل عند ابن زكري، وعند ابن مهنا في رسالته التي أجاب بها الدولة الفرنسية عقب محنته الشهيرة، والحق أن الزيبان كان مسرحا لنزاع الفريقين، خاصة وأن العقبي كان يتذرع في ذلك باستيلاء مفتي بلدته سيدي عقبة على أملاك أسرته المهاجرة، فيقول عنه أنه "الكافر بما استحل"⁽⁶⁾.

ولأجل ذلك بدأت الشقة تتسع بين الهيكل الرسمي للديانة الإسلامية ورموز الحركة الإصلاحية، خاصة وأن العقبي رمى الفقهاء –الرسميين- عن قوس واحدة حيث قال: "فهل عرف هؤلاء الفقهاء الجبناء، إنهم غير محقين وأنهم فيما يقولونه من دعاويهم الكاذبة وأقوالهم الملفقة مفترون مبطلون"⁽⁷⁾.

(1) الشهاب، ع 7 (1925-12-24)، ج 1 ص 151. مقالات العقبي، مرجع سابق، ج 1 ص 39.

(2) أحمد مريوش، الشيخ الطيب العقبي، مرجع سابق، ص 82-83. وانظر الشهاب "مقال في سبيل الوفاق".

(3) الشهاب، ع 7 (1925-12-24)، ج 1 ص 151. مقالات العقبي، مرجع سابق، ج 1 ص 39.

(4) الشهاب، ع 16 (1926-2-25)، ج 1 ص 341. مقالات العقبي، مرجع سابق، ج 1 ص 122.

(5) الشهاب، العقبي، "جمعية التآمر بقتل العلماء والفتك بهم" ع 80 (1927-1-20)، ج 2 ص 741.

(6) الشهاب، ع 7 (1926-1-24)، ج 1 ص 152. مقالات العقبي، مرجع سابق، ج 1 ص 94.

(7) الشهاب، ع 9 (1926-1-7)، ج 1 ص 197. مقالات العقبي، مرجع سابق، ج 1 ص 102.

وقد عرف ابن باديس تلك الحدة العقبية حيث قال: "الأستاذ العقبي أشهر من أن نعرف به، ونتحدث عن ثباته، وإخلاصه وصراحته وجراءته، ولقد كان منذ أيام بالحجاز وحلّ ببلدة سيدي عقبة معلنا بكلمة الحق داعيا إلى الكتاب والسنة، منكرا لشرك القبوريين، وبدع الطريقين، وكان له من جزاء ذلك أعداء، وكان له خصوم، وكانت له معهم مواقف وكانت له عليهم ردود"⁽¹⁾.

المطلب الخامس: الأساليب الأدبية والدينية في علاقات الفريقين.

1- استدعاء الأساليب المقذعة:

وهو أمر سيملاً الصحافة المتصارعة، وخاصة بعد الانقسام في الثلاثينيات، وخاصة في صحف المعيار والجحيم، ولكن شررا من ذلك بدأ في صحافة العشرينيات، وكانت أقلام الإصلاحيين سبابة لهذه الأساليب، وخاصة الزاهري والعقبي، فعند هذا الأخير في مقال: "ليس الأمر كما ذكرتم أيها العليويون فأين تذهبون" قال العقبي: "إن المدني قال لكم: لتعلموا أن النصر في هذه الحملة بينكم وبين خصومكم إنما هو لمن كان حجته أقوى ومحجته أشد، لا لمن كان أمهر في السبّ وأحذق في ميدان الشتيمة، هذا جوابي لك ولزميلك" الناصر معروف "ومن جرى مجراهما في الإقذاع والفحش"⁽²⁾. حيث اتهمه العقبي بأنه ذكر العورة، في مقال حول "مباهلة العقبي لحزب الذاكرين"، وسماه بالعلقي؟ وشيخه الكذاب الأثر - أي بن عليوة - ثم ختم العقبي بلغة حادة: "إن بني العم فهم رماح، والشيخ تأبط شرا ورفيقه سمهري لا يزالان في الوجود"⁽³⁾.

وفي مقالات كثيرة هُوجم ابن عليوة، ووصفه البعض بأنه من كبار المحتالين⁽⁴⁾، أو بأنه معلم التنويم المغناطيسي، أو أنه راسبوتين الجزائر كما قال الأمين العمودي. وهاجم مبارك المليي الشيخ عدة بن تونس بكونه من اليقاشين المصيرين على النسبة للأم دون الأب، وأنه كويتب كويند⁽⁵⁾.

ويرد التبسي على قدور المجاجي بلغة حادة: "يا حضرة العارف العليوي؟ إذا كنت كذوبا فكنا ذكورا، أما دريت أن هذا الهيت يفضحك، وينزع الثقة بك، وبمن تدافع عنه، إن رضي منك هذا الدفاع عنهم، وعلى ما نعيناه عليهم. أليس هذا الصنيع يجعلك ممقوتا عند العليويين أنفسهم؟ لو فهموا حقيقتك، فإنهم إذا قرأوا كتابك علموا أنك غاش لهم، لم تدفع عنهم تهمة، بل سخرت منهم وخادعتهم"⁽⁶⁾.

2- اللغة التهمية:

وخاصة في المقالات النزالية، وهي لغة برزت مبكرا في صحافة الفريقين، وستكون مقدمة للسعار الذي سيظهر في الثلاثينيات، والذي أغنى القاموس الصحفي، ولكنه أسفّ بالأخلاق من جهة أخرى. فقد عيّن العزوزي

(1) الشهاب، ع 115 (1927-9-29)، ج 3 ص 309.

(2) الشهاب، ع 107 (1927-7-28)، ج 3 ص 132. مقالات العقبي، ج 1 ص 170.

(3) ربما يشير إلى المليي (سمهري)، وتأبط شرا (الزاهري).

(4) الشهاب، ع 112 (1927-9-2)، ج 3 ص 239.

(5) اليقاشون هم كتبة التمايم والحروز. والمقال في الشهاب، ع 86 (1927-3-3)، ج 2 ص 875.

(6) الشهاب، ع 124 (1927-12-1)، ج 3 ص 478.

حَوْحُو الطيب العقبي عضوا بديوان الصالحين الذي استحدثه الإصلاحيون في مقابل ديوان المرابطين⁽¹⁾. ومعروف أن للديوان دلالة صوفية خاصة في دعوى التصريف كما سبق شرحه في الفصل التمهيدي في الطقوس المرابطية.

ومن تلك اللغة الساخرة ما قاله العزوزي عقب محاولة الاغتيال: "حقا إن الليالي أمهات العجائب،... ما سمعنا وما كنا نظن أن جماعة اللحي والقصع الثريدي، أرباب الأحوال والثبات، رجال الرقصات والشطحات، الزاهدين القانعين، يزهقون أرواح الذين يقفون عثرة في سبيل معاشهم، عبدتم المالك المعبود برقص وقفز ولا كرقص القروء، وذكرتم الله بأصوات منكرة دونها نهيق الحمير وجلبة الفهود"⁽²⁾.

ومن نماذج تلك اللغة التهمكية قلب أسماء الجرائد الطرقية، فالبلاغ العلوية هي البلاء، وكذا سحب كل فضيلة علمية عن المنافس كما في التعليق على مقال بالبلاغ في العدد (132) حيث كتب العقبي حول مقال: "إنذارهم واستفساراتهم"، فقال "من هم المنذرون؟ وكيف يستفسرون، الجنون فنون"⁽³⁾.

يعتبر الزاهري أقدر قلم في هذه اللغة، مع بذاءة وفحش في القول، فهو لا يتورع عن استعمال الألفاظ المجانة والعبارات المسفة، ومن ذلك مقاله التهمكي في الرد على البلاغ لتي اتهمته باتخاذ خلية يهودية⁽⁴⁾.

ويكتب الميلي متهمًا بالبلاغ واستعانتها بالأقلام المغربية: "اتخذت العلوية ورقة دعيتها دفاعية، وندعوها في حقيقتها لا حقيقتهم هجومية على الأعراض، وبما أن الكشوت لا عروق لها، فقد استعانت بعروق أخرى"⁽⁵⁾.

وفي لغة تهكمية يقول الزاهري السنوسي عن دعوى التصريف القطبانية: "وهل أتاك حديث حاضري مفصل الجنين في بطن أمه؟ وأن أبناء الزوايا عُرِّل عن التكليف الشرعي والطبيعي لأنهم من طينة مزجت بالعصمة وصوّرت من سيدي"⁽⁶⁾، كما وبرزت الألقاب التهمكية من الفريقين فهذا العقبي يصف سكيرج بأنه "صاحب جلالته"⁽⁷⁾.

وفي تهكم العقبي بالتعطل المتكرر لجريدته الإصلاح بما يعتبره ضغطا من رجال الطرق: "لا موجب لما وقع سوى أن الجريدة اسمها الإصلاح، وهي لهذا المخلوق المسى الطيب العقبي، وفي الناس من لا يحب سماع اسمه مركبة حروفه أو مفردة لماذا؟ لأن الأولياء الصالحين وأغواث هذه الأمة المتألهين وشوا به كثيرا إلى إدارات ظاهرة وباطنة وصوروه لها في آلة تصوير مكبرة جدا، ثم ابتدعوها مع الرهبانية التي ابتدعوها، وبهذا أثروا على رجال الغيب الأبرار.. واستطاعوا إيقاف الإصلاح بمثل هذه الوسائط"⁽⁸⁾.

(1) البرق، ع 14 (6-6-1927). مقالات العقبي، مرجع سابق، ج 1 ص 231.

(2) الشهاب، محمد العزوزي حَوْحُو العقبي، "بخ بخ ساق بخلخال"، ع 82 (3-2-1927) ج 2 ص 786.

(3) جريدة الإصلاح، ع 9 (12-12-1929). مقالات العقبي، ج 1 ص 283.

(4) البرق، قوارص، ع 15 (20-9-1927)، محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية، مرجع سابق، ج 2 ص 197.

(5) الشهاب، ع 116 (6-10-1927)، ج 3 ص 315.

(6) المنتقد، ع 5 (30-7-1925)، ص 88.

(7) الشهاب، ع 105 (28-7-1927)، ج 3، ص 130.

(8) الإصلاح، ع 2 (5-9-1929)، ص 2. مقالات العقبي، ج 1 ص 259. قويع، نفسه، ص 150.

وعطفا على طلب العلّوين الجدل في النقاط المختلف فيها رد عليهم العقبي بلغة ساخرة قائلا: "وأى نقطة تريدون منا تعيينها لكم؟ والعلم كله عندكم نقطة، أستم القائلين أن علوم القرآن في الفاتحة، والفاتحة في البسملة، وهي في الباء، والباء في النقطة، وأنتم أهل النقطة، وشيخكم صاحب تلك الرسالة التي ترجع إلى توحيد الخالص في تلك النقطة، .. وهل يحتاج أمثالكم وقد رددتم القرآن كله في نقطة واحدة إلى تعيين نقط في العلم أو العالم ليكون البث فيها؟ وهل في الكون إلا نقطة"⁽¹⁾.

ويتمكم الميلي بالحافظي، ويحبذ له كتابة الحروز بدلا من الإفتاء والنصائح: "ومنها تحككه برجال حزب الإصلاح غير ما مرة مع أنه كان أجاب الدعوة قبل، ثم عاداهم لما لم يجد فائدة مادية، ومنها نصيحته لمحمد بن عبد الكريم-الخطابي- استغفر الله بل أمره، فإن ابن عبد الكريم إنما هو أمير، وحضرة العلامة صاحب توقيع، وما سكتنا عن عدّة-بن تونس- أكثر، وعندي لو أن الحافظي كتب بكل مقالة حروزا لكان أجدى عليه في حياته"⁽²⁾.

وينبزه التبسي بعدم الاقتدار اللغوي، فيقول متهمًا: "ولا يفوتني أن أذكر إلى كتاب العليويين طالبا منهم أن يعرضوا كتاباتهم على علماء المعاجم اللغوية والصناعة النحوية، فإنه أصاب اللغة العربية منهم ما لو علمه سيبويه في قبره والأصمعي في مضجعه لقاما من تحت التراب، ورفعوا قضية في إحدى محاكم الجنايات على هؤلاء الكتّاب الذين أفسدوا لغة العرب والإسلام"⁽³⁾. وينتقد الميلي بسخرية البلاغ وينبزه بالوريقة، ويقول: "لقد حمل الكتاب الإصلاحيون على طائفة الضال الخرافيين حملة الأسود الضراغمة على الحمر الوحشية، فلم تقابلهم بغير شهيق يملأ الفضاء، ويصم الآذان، اجتمعت هذه الطائفة إثر تلك الحملة بإصطبلها، ولم تستر قذارتها عن الأعين، فأبرزت للناس وريقة لطختها بسيال أمعائها وحمأة أفكارها، فشوهت بها دمية الأدب الجزائري، وغيّرت جوه النقي"⁽⁴⁾.

ولأجل هذا اقترح الميلي إصدار جريدة انتقادية تهكمية، واقترح له اسم "المهماز"⁽⁵⁾ لأن الشهاب لم تكن تنشر كل شيء لالتزامها غالبا جانب الأدب، في حين لم تستنكف صحف الزيبان عن تلك اللغة المقذعة. وفي حط أبي يعلى من كتاب الإرشاد لابن قشوط يقول: "ولولا البسملة المعظمة المشرفة في افتتاحه لقلت لجميع من اكتسبوه: اعطوه للباقلين يلفون به عند تمزيقه وانفكاكه الكمون والإهليلج وعافر قرح لمداواة أولئك المجانين أصحاب الخيالات الناشئة عن الماليخوليا"⁽⁶⁾، ويرد ابن قشوط متهما العقبي بالجهل وقلة الرسوخ العلمي⁽⁷⁾.

(1) الشهاب، العقبي "هل أجابوا"، ع 100 (9-6-1927)، ج 3 ص 3.

(2) الشهاب، ع 111 (25-8-1927) ج 3 ص 223-224.

(3) الشهاب، مقال التبسي "لقد سمعنا باطلك فأين حقل؟" ع 124 (01-12-1927)، ج 3 ص 479.

(4) الشهاب، الميلي "الكتاب الإصلاحيون والضلال الخرافيون"، ع 86 (3-3-1927)، ج 2 ص 875.

(5) المهماز ما تنغز بها الدابة للتحرك. انظر الشهاب، ع 86 (3-3-1927)، ج 2 ص 876.

(6) الشهاب، ع 119 (27-10-1927)، ج 3 ص 384. وانظر أعمال ابن قشوط، كتاب الإرشاد، ص 385.

(7) ابن قشوط، كتاب الإرشاد، مرجع سابق، ص 233، ص 236.

وأما البلاغ فتشاءمت من اسم الشهاب⁽¹⁾ التي قالت إنه اسم شيطان حسبما ورد في الأحاديث، وبما ورد عن سيدنا عمر رضي الله عنه من طلبه لعربي أن يدرك أهله لأنهم احترقوا، كما تشاءمت من مديرتها أحمد بوشمال، الذي هو من أصحاب الشمال⁽²⁾، وتكرر الأمر بوصف الإصلاحيين بأنهم "أهل الزيغ المشاغبين الموسوسين على عباد الله الشكوك في دينهم القويم واعتقادهم السليم"⁽³⁾. وتهكمت البلاغ ببراءة الشيخ محمد شريف الزهار من العلويين واصمة إياه باليقاش⁽⁴⁾.

كما برزت ظاهرة التسمي بأسماء المصلحين أمثال جمال الدين ومحمد عبده، وقد هنا ابن باديس إمام بسكرة بلقاسم بن عمار بابنه الذي سماه عبد العزيز سعود، وقال: كما يسمى غيرنا عبد القادر والتجاني تبركا به فنهنيه"⁽⁵⁾. وهذه بعض نماذج المنابرات اللقبية بين الطرفين:

نماذج منابرات الطريقين	نماذج منابرات الإصلاحيين
جماعة الإلحاد، أعداء الملة، خصوم أولياء الله، المارق من الدين، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون. العصرية ^(١) ، حزب المعاندين. ^٧ مفسدو النية. مقدم القافلة (العقي) ^(٢) ، اليقاش (محمد ^٨ الجريدة الشمطاء (عن الشهاب) ^(٣) ، الحركة الإبليلية ^(٩) شريف الزهار) ^(١٠)	حشلف يا حشلاف، الكاتب البذيء الجديد، راسبوتين الحذاء، المنوم، الأمي (عن ابن ^(١) ، البلاغية. ^٦ عليوة)، لحي التيوس، البرزون اليقاشون (كاتبو الحروز والزهر-الحظ-)

3- الشحن العاطفي:

وذلك من الطرفين تجاه أنصارهم، فالإصلاحيون ضد كل المنتفعين من الظاهرة الاستعمارية، ومن هم عمادها والمسوغون لها، وهم في نظرهم ثلاثة أصناف⁽¹¹⁾: المعمرون الذين توصلوا باسم فرنسا إلى ما لا يرتضيه أبدا أبناءها، ويليهم رجال الزوايا الذين امتصوا أمخاخ العجزة الغفل من الجاهلين، وثالثهم القياد الذين لم يرحموا أهل البدو، وهم عيال الله من الفقراء والمساكين.

ومن ذلك الشحن ما تبناه طريقيو الزيبان من استثارة العامة ضد المشككين في ميراثهم الديني، فالزربي لم يستطع مجابهة تلك العواصف فانتقل من الزيبان، وينقل تلميذه الهادي السنوسي: "ثارت عليه ثائرة

(1) البلاغ، مقال "الشهاب وتأثيراته السيئة على الوطن"، ع 4 (14-1-197)، ص 1. البلاغ، "تقريظ الشهاب"، ع 6 (21-1-1927)، ص 2.

(2) عدة بن تونس، الروضة السنية في المآثر العلوية، مرجع سابق، ص 78.

(3) ابن عبد الحكم العطافي، المرأة الجليلة، مرجع سابق، ص 304.

(4) البلاغ، مقال "لست هناك، أجسام البغال وعقول العصافير"، ع 10 (26-2-1927)، ص 2.

(5) الشهاب، (ذو الحجة 1348- ماي 1930) ج 6 ص 286. وهنأت الإصلاح شاعر بوسعادة محمد بسكر بميلاد ولده أحمد الذي سيزيد من عدد حزب المصلحين، وقد سماه أحمد، انظر الإصلاح، في عداد المصلحين، ع 12، ص 3.

(6) الإصلاح، العقي "حول إنذارهم واستفساراتهم، الجنون فنون"، ع 9 (12-12-1930)، مقالات العقي، ج 1 ص 283.

(7) الشهاب، أحمد الهاشمي الأغواطي "آفة الحق في سكوت أهله عنه"، ع 113 (8-9-1927)، ج 3 ص 256.

(8) البلاغ، مقال "أخذ الجار بذنب الجار"، ع 6 (21-1-1927)، ص 1.

(9) البلاغ، مقال "لست هناك"، ع 10 (26-2-1927)، ص 2.

(10) البلاغ، كتاب من طلبه غليزان، ع 15 (1-4-1927)، ص 1.

(11) الشهاب، ع 117 (13-10-1927)، ج 3 ص 347.

الدجالين في ذلك الوسط من أبناء الزوايا، وافتروا عليه الأقاويل، ففشلت مساعيه، وتنقل إلى الأوراس، ومنها إلى العاصمة فبوفاريك". وقد تعرض الزريبي مبكرا لحملة جارفة إذ رُمي بكونه معتزليا، ومرة ملحدا وزنديقا، حتى قال السنوسي: أنه كان يتجنب ملاقاته خوف العذاب والزيع إلى أن تجلّت له الحقيقة⁽¹⁾.

ولكل ما سبق انتقد أبو يعلى صحف الفريقين في الانجرار للاتهامات الكاذبة، معقبا على حوادث الاعتداء: "وعلى هذا فإنني أنتقد الجرائد الجزائرية كلها، فالشهاب للشدة وعدم الحلم، والنجاح للتملق والمداراة للزوايا والطرق، والبلاغ الجزائري بعدم التبري والإنكار على هذه الاعتداءات، والبرق على الاستفتاح بتأبط شرا لكونه انتقد عدم رواج كتبي التي ألفتها، في حين أنه يطلب رواج جريدته، فلننتب إلى الله أيها المؤمنون"⁽²⁾.

وكان لمحاولة اغتيال ابن باديس دور في رفع التوتر واستعلاء اللغة الاستعدادية بحمولاتها القتالية، ومن ذلك ما خاطب به محمد زغليش خصمه المليي بقوله: "أنت اليوم يا بيضاوي صاحب الراية وقائد الجيش، فسّل الحسام، وحدد المدية، وأحسن الطعنة، ولا يكن طعنك إلا في النحور"⁽³⁾. وهذا الشحن تجلى أكثر عند إصلاحي الزيبان وجرائدهم المختلفة، على العكس من لغة الشهاب المعتدلة آنذاك.

4- استدعاء الوسائل الدينية (المباهلة أنموذجا):

المباهلة في الاستعمال العقدي اجتماع المختلفين واستئزال اللعنة والغضب الإلهي على الكاذب منهما، وهو أسلوب قليل الاستعمال في المذهبية الإسلامية التي لا تضيق بالاختلاف، ولكننا وجدنا أثره من ذلك فيما يسمى في الذاكرة الشعبية بدعوة الشر أو اللعنة، أو الشامخة التي يلقيها البعض على البعض الآخر.

لجأ الإصلاحيون وعلى رأسهم العقبي إلى دعوة الفريق المناظر للمباهلة حول القضايا المختلف فيها، فقد دعا العلويين، وكذا الفقيه المغربي التجاني المشرب الشيخ سكيرج إلى المباهلة والملاعنة⁽⁴⁾. وجرى الكلام بصراحة عن حزب الإصلاح الديني، واختار لهم الجمعة الأخيرة من ذي الحجة في الجامع الجديد. لكن البلاغيين دعوه إلى البحث والمناقشة في الخلافات حسب مقاله "هل أجابوا"⁽⁵⁾، واقترح العقبي صيغة المباهلة: "اللهم إن كنت تعلم أن سكيرج وجماعة الطرقيين فيما هم عليه اليوم وما يدعون الناس إليه ويقزّونهم على فعله في طرقهم محقّون، وأن ذلك هو دينك الذي ارتضيته وشرعته لعبادك بواسطة محمد.. فألّمني ومن معي لعنا كثيرا، وإن كنت يا الله، يا ربنا ورب كل شيء. تعلم أن ما عليه الطرقيون اليوم فيما هم فيه من أمرهم ودعايتهم الناس إلى طرقهم هو من الحدث في دينك والباطل الذي لا يرضيك ولا يرضي نبيك، فالعن سكيرج. قاضي الجديدة. ومن معه لعنا كبيرا، واجعل مقتك الأبدي ولعنتك الدائمة على الكاذبين، (أمين أمين أمين)⁽⁶⁾.

(1) السنوسي، شعراء الجزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 88؟

(2) الشهاب، أبو يعلى الزواوي "تكرار الاعتداء على أصحاب الشهاب، ع 92 (14-4-1927)، ج 2 ص 980.

(3) الشهاب، مقال "إلى الناقد الخبير"، ع 81 (27-01-1927)، ج 2 ص 770. حماني، نفسه، ج 2 ص 51.

(4) الشهاب، "بل نجيب ولعنة الله على الكاذبين"، ع 97 (20-5-1927)، ج 2 ص 1070. مقالات العقبي، ج 1 ص 141.

(5) الشهاب، ع 100 (9-6-1927)، ج 3 ص 3. مقالات العقبي، مرجع سابق، ج 1 ص 151.

(6) الشهاب، ع 97، (20-5-1927)، ج 2 ص 174.

وأيد ابن باديس أخيرا العقبي في دعوته وخاطبه: "حياك الله وأيدك . يا سيف السنّة وعلم الموحدين . وجزاك الله أحسن جزاء عن نفسك وعن دينك وعن إخوانك السلفيين المصلحين، ها نحن كلنا معك في موقفك صفا واحدا ندعو دعوتك ونباهل مباهلتك ونؤازرك لله وبالله.. فليقدم إلينا الحلوليون وشيخهم، ومن لفّ لفّهم وكثّر سوادهم في اليوم الموعود والمكان المعين لهم، وليبادروا بإعلان ذلك في جريدتهم، إن كانوا صادقين، فإن لم يفعلوا، وأحسب أنهم لن يفعلوا . فقد حقّت عليهم كلمة العذاب وكانوا من الظالمين والحمد لله رب العالمين"⁽¹⁾ والمعلوم أن هذا الموقف المتشدد من ابن باديس كان بعد تصاعد الخلافات، وبعد بضعة أشهر من محاولة الاغتيال الفاشلة.

إلا أن الطرقيين وسكّير من المغرب لم يردوا على طلب المباهلة، إذ هي من المزالق الخطيرة، واستنزال اللعنة في أمر خلافي غير سائغ، إلا أن الشهاب علّقت: "سكت سكّير ولم يجب عن مقال العقبي بنيت شفة، وكان واجبه أن يجيب بصراحة ويقول: إني قبلت تعيين الزمان والمكان، وهكذا انهزم سكّير، ولكن أصحابه عمدوا إلى التمويه والمغالطة والكذب، فأعرض العقبي عنهم، وقطع الكلام معهم لأنهم كما قال: "هم قوم بُهت"⁽²⁾. ويلحق بهذا شيوع ظواهر الدعاء الحادّ على بعضهم، ففي بعض كتابات البلاغ عن الإصلاحيين: "لا أصلح الله غرسهم، ولا سدّد فعلهم، فقد شغلوا الأمة عن واجبها العيني ملأ الله بيوتهم نارا، وأثوابهم عارا، واستجاب للأمة فيهم بما استجاب به دعوة نوح في قومه"⁽³⁾، أو دعاء ابن عبد الحكم العطافي: على "أهل الزيغ المفسدين المشوشين، قَبّحهم الله وأخلى الأرض منهم"⁽⁴⁾.

5- لغة التكفير والتبديع:

وهي اللغة التي برزت عند بعض الكتّاب الإصلاحيين المتأثرين بالأدبيات الوهابية، ونذكر هنا العقبي بالذات، والذي لم يكن لصيق العهد بالميراث الطرقي الجزائري نتيجة نشأته في الحجاز لمدة ربع قرن، فقد كان شديد القلم ضد خصومه، ففي رده على الحافظي يجنح إلى التكفير قائلا: "ولو حضرت معي تلك المعارك أحيانا لما كنت تأخرت لحظة واحدة في إصدار الفتوى بوجوب مجاهدتهم، ولكن أول من يغلظ عليهم، وتحكم عليهم بالكفر..."⁽⁵⁾، وقد عتب العقبي على الحافظي -وهو خريج الأزهر- معاضدته للشاعر عاشور الخنقي في قصيدته العاشورية، والتي هي أيضا حافضية بتأييد أو سكوت الحافظي عنها.

والظاهر أن هذه اللغة المتشدّدة هي رجع من الصدى الذي أطلقه الإصلاحيون بضرورة تصحيح العقيدة قبل كل شيء- كما هو الشأن في الوهابية-، فهذا العقبي يقول: "وأهم كل مهم وأولاه بالتقديم عندنا مسألة العقائد والكلام على تصحيحها... وليس من الممكن جمع كلمة الأمة وتوحيد أفكارها مادامت مختلفة في

(1) الشهاب، ابن باديس "سهمز الجمع ويولون الدبر"، ع 97 (20-5-1927)، ج 2 ص 1075.

(2) الشهاب، ع 112 (2-9-1927)، ج 3 ص 233. وانظر تلغرام الدعوة في الشهاب، ع 116 (6-10-1927)، ج 3 ص 327.

(3) البلاغ، ع 156 (14-3-1030)، أضماميم، مرجع سابق، ج 1 ص 157.

(4) ابن عبد الحكم، المرأة الجليلة، مرجع سابق، ص 295.

(5) الشهاب، العقبي "صحيفة المتناظرين، الله أكبر خربت خير"، ع 17 (4-3-1926)، ج 1 ص 357.

عقائدها متباينة في مشاربها"⁽¹⁾ وهذا التعلق بهذه الأولوية الناطقة بتخطئة الآخر وتبديعه كان سببا في المشاكسات.

ولأجل ذلك انتقد ابن قشوط ما سماه بنهج العقبي لأنه: "يثير الأحقاد والعناد، ويؤدي إلى النفرة وعدم قبول الحجة" وانتقد عليه تنزيل آيات الكفر والمنافقين في حق المؤمنين المنتسبين للأشياخ الصالحين⁽²⁾.

ولمقابلة تشدد وتطرف الصحافة الإصلاحية أفق بعض شيوخ الزوايا في زواوة والزيان بتحريم قراءة الجرائد⁽³⁾، لأنها بدعة لم تكن من عمل السلف، وكان الطلبة يطردون من الزوايا إذا شهد عليهم بقراءة الجرائد.

وكان العلويون ينددون باستعمال هذه اللغة التي لم يعرفها الفقه⁽⁴⁾، ففي رسالة لابن باديس قالوا: "نحن لا يسوؤنا أيها الأخ أن تختار ذلك لنفسك، لعلنا بأن الإنسان أحرص على نجاة نفسه من حرص غيره عليه، إنما يسوؤنا أن تحمل الناس عليه، في حال أنه لم يتضح دليله للسابقين الأولين، فهو بالأحرى يخفى على الآخرين، وما هي كتب الأئمة الأربعة فهل رأيت فيها من ذكر في باب الردة أن من زار قبراً على قصد التبرك أو التوسل بصاحبه إلى الله في قضاء حاجته فقد أشرك بالله أو ارتد عن دينه والعياذ بالله"⁽⁵⁾.

6- المقالات المخفية الكائنة:

وهي ظاهرة بدأت في الانتشار في الصحافتين، حيث كانت بعض الإمضاءات مخفية، وتتسبب في هجاء وتقاطع الكتّاب، وربما نسبة الزور لهم، ومن ذلك ما نسبته الإصلاح لحسن بولحبال في التشهير بعبد الحفيظ الهاشمي - كان يمضي باسم الرشيد وصهيب- فقالت النجاح: "زورت صدى الصحراء قصيدة على لسان الشيخ أبي الحبال في هجو الشيخ الرشيد أتت فيه من هجر القول بما ننزه كل أديب عن سماعه... وماذا جنى أبو الأحبال حتى نُسبت إليه تلك القصيدة؟. ذلك لأنه أبي أن يجمع للجريدة خمسين اشتراكا، وقال: لا أشتري سبّ الأولياء بدراهمي ودراهم أحابي"⁽⁶⁾.

ولما سبق وما سيأتي هاجم الملي هذه الأساليب، ودعا إلى سلوك طريق الانتقاد بالإعراض عن الأعراض⁽⁷⁾.

7- الشعر في المعركة:

دخل الشعر بقوة في رسم خارطة العلاقات المتشنجة بين الفريقين، وكان قصب السبق فيها للإصلاحيين الذين حوى حزهم خيرة الشعراء آنذاك، إذا استثنينا عاشور الخنقي الذي دخل في الهرم هذه السنوات، فمن الشعراء الإصلاحيين العقبي والزاهري، هذا الأخير الذي كان يتهجم على انحطاط بعض الزوايا فيقول⁽¹⁾:

(1) الإصلاح، ع 1 (8-9-1927). مقالات العقبي، ج 1 ص 249. مريوش، نفسه، ص 102

(2) كتاب الإرشاد، ص 221، في الرد على مقال العقبي "يقولون وأقول 2" الشهاب، ع 11، (21-1-1926).

(3) الإصلاح، العقبي "ماذا ينتقدون علي"، و "أصحيح ما قيل"، ع 7 (7-11-1929). مقالات العقبي، ج 1 ص 281.

وفي المغرب ظهرت فتاوى مقابلة: "الضرب بالزراويط لمن يقرأ الكوزيط" أي الجرائد الاعلامية لما ظهرت لأول مرة في المغرب،

(4) البلاغ، الشهاب يتعفف تبارك الله أحسن الخالقين"، ع 11 (4-3-1927)، ص 2.

(5) البلاغ، مقال "نصيحة ثمينة وموعظة عظيمة إليكم يا حضرة ابن باديس"، ع 301، (21-7-1933).

(6) صدى الصحراء، ع 11 (3-1-1926) وع 12-13. النجاح، الهاشمي، "أنا والعقبي"، ع 280 (12-3-1926)، ص 1. ذاكرة الجزائر، ج 4 ص 65،

وبولحبال يمضي باسم صوفي، حسب محمد ناصر، تاريخ المقالة الصحفية، مرجع سابق، ج 1 ص 115.

(7) المنتقد، ع 14 (1-10-1925)، ص 245.

يا رب زاوية بها لم يكن-----في حانة من خمرة وشراب
يسقي بها الشيوخ الصالحون ضيوفهم--بالكأس أو بالطاس والأكواب
وفي المنحى ذاته من اتهام الزوايا بالانحراف عن الأخلاق يكرر الزاهري هجوماته، فيقول (2):
كانوا طوائف شتى، كل طائفة-----تطبع شيخا لها في كل ما زعما
إن قال أني ولي صدقوه، وإن-----هو ادعى الغيب، قالوا أحكم الحكماء
وإن تعلم بعض الشيء تهجية-----قليلة، هتفوا يا أعلم العلما
وإن هو ارتكب الفحشاء فاضحة-----فلا محالة، معذور وقد أثما
واحتمى الخمر، قالوا إنها عسل-----ولا غرابة في هذا، ولا جرما
ولا يملّ العقبي من تكرار اتهام الزوايا بنهب جيوب الجزائريين واستغلالهم في خدمة السادة والأشراف، فيقول
متهمكما بمشايع الزوايا القاعدين لاقتناص الدرهم والدينار أو ما يعرف بالزيارة (3):
فما الطرق في هذا الزمان مجادة-----ولكنها يبغي بها أهلها الرزقا
تجارة قوم عاجزين سبيلهم-----سبيل ضلال جانبوا العلم والصدقا
وشيخهم الأتقى الولي بزعمه-----إذا ما رأى مالا آمال له عنقا
ويضرب في عرض البلاد وطولها-----وأطرافها حتى يغوص له عمقا
وذلك أقصى سؤله ومرامه-----متى ناله أولاه من كيسه شقا
أولئك عباد الدراهم ويلهم-----سيمحقهم ربي وأموالهم محقا
متى ألقيهم أبصر شياطين فتنة-----ويا ليتني أني لا أراهم ولا ألقى
وقد أولعوا بالفسق سرا وجهرة*** فحيث تراهم تبصر الخبث والفسقا.
بل إن شعراء الإباضية أسهموا في المعركة ضد الطريقين في نقد مظاهر للمحافظين عندهم-الذين يسمونهم
بالجامدين-، ومن ذلك أشعار رمضان حمود (4):

ترى غرر الأموال تجبى إليهم-----فتصرف في مثل الزنا والنسيئة
وفي شهوات الشيخ أكل ومنكح-----أنواع الربا والخلاعة
وفي أضرب اللذات حل ومأثم-----وساعات نقد والفصوص الكريمة

(1) الشهاب، الزاهري "تحية الإصلاح"، ع 161 (23-8-1928)، ج 4 ص ص 237.

(2) يردد الميلي ما يشاع عن استباحة الخمر من بعض أبناء الزوايا، وأنه يصير عسلا أو تُطْفئ غلته من شدة نور الولاية، وبأن زانهم يزني بصورة خالية، ويعبرون عن ذلك "الشيخ يفسد النية"، وهذا ما كان يذاع عن بعض منتسبي الشيخية. ونقل أن الطبيب بن الحملوي انتهك رمضان، وشيخ الحنصالية سَوَّغ لأتباعه الملاهي، وأن التجاني ضمن لأتباعه الجنة، انظر رسالة الشرك ومظاهره، مرجع سابق، ص 297.

(3) الشهاب، ع 119 (27-10-1927)، ج 3 ص 391. خرفي، صفحات من الجزائر، ص 286.

(4) الشهاب، ع 16 (6-1927)، وأبيات أخرى أعرضنا عنها لمجاوزتها الحقيقة والحشمة.

وقد أولع الإصلاحيون باستثمار الملكات الشعرية التي يمتازون بها في الحطّ من أقدار خصومهم، ومن ذلك التباري في التشطير والتخميس والإجازات الشعرية، ومن ذلك بيتان وضعهما العقبي في التصوف، فأجابه كل العمودي وحسن بولحبال وغيرهما، كقول هذا الأخير⁽¹⁾:

قيل التصوف أصله----- من بعض زهاد الهنود

قلنا تصوف عصرن----- من شر أخلاق اليهود.

فردت البلاغ بتشطيرات من الشيخ الراعي والعلقي والحسن بن محمد الطنجي، ومنها⁽²⁾:

قبل التصوف أصله محمد خير الوجود----- وليخساً من قال أخذه من بعض زهاد الهنود

قلنا تصوف عصرنا من عهد المصطفى محمود----- أتفقهمون أم أنتم من شر أخلاق اليهود.

قيل التصوف أصله من بعض زهاد الهنود----- ولم يقل بذا سوى البعض من أوباش الهنود

وممن أسهم في الهجاء الشيخ أحمد الشاذلي حفيد الشيخ الميسوم صاحب قصر البخاري، في قصيدة طويلة يرد بها على حزب المعاندين- الإصلاحيين- جاء فيها التنديد بقولهم إن الرسول مبلغ فقط -فاكتور، أي ساعي بريد-، وذاته الشريفة لا تنفع في التوسل⁽³⁾:

الله أكبر دك صرح فساد..... مذ خاب سعي جماعة الأوغاد

أعداء دين الله من قد شنعوا... عن كل من يبغي سبيل رشاد

قرناء سوء دأبهم وشعارهم... بث الشقاق وقطع حبل وداد

هذا يذم تصوفا وتوسلا... والغير ينكر مذهب الإسناد

ويقول هذا لا أحب تمذهبا... بالمذهب المفضي إلى الإبعاد

أنا لا أحارب سنّة الهادي... جاءت بنور ساطع وقاد

أنا لا أقول مبارزا متهجما... عن سيد الشرفاء والأسياد

ما هو إلا مبلغ بمثابة ال.....فكتور لا يرجى ليوم معاد

بل إن العامة أدخلوا في هذه الصراعات، إذ ألّف الطريقون أسجعا وأمثالا عامية حفظوها للنساء والعوام للحطّ من المصلحين⁽⁴⁾، خاصة وأن الذاكرة الجزائرية شديدة الحساسية تجاه المسّ أو الحطّ من صُلّاح البلاد وحارسها وسلطينها الروحيين.

(1) الإصلاح، ع 3. شعراء الجزائر، ج 2 ص. وفي المنحى ذاته شمت بعضهم بحسن بولحبال الذي انتقد التصوف رغم كونه صوفيا لما كسرت رجليه، فرد عليهم، ونشرت الإصلاح رده في ع 6 (24-101929) عن ذاكرة الجزائر، مرجع سابق، ج 4 ص 34:

قالوا كسرت فقلت ربي جابر—أو تجرؤن الفقى على ربه

قالوا سببت تصوفا عجباً لهم—قد دنسوه وأشفقوا من سبه

(2) البلاغ، 139 (1929)، والبيت الثالث في العدد 138.

(3) عبد الله التباع البيضاوي، مطالع اليقين في مدح الإمام المبين، مرجع سابق، ص 100.

(4) قوقع، نفسه، ص 322. بوكسية، التطور الثقافي والسياسي بزوايا الطرق الرحمانية في عمالة قسنطينة، ص 206.

المطلب السادس: ملابسات محاولة اغتيال ابن باديس (شتاء 1926).

يمكن اعتبار محاولة الاغتيال لابن باديس علامة فارقة في تجسّد الصراع الإصلاحي الطرقي في العشرينيات، وكان محصلة للجدل الفكري حول الميراث الفقهي والعقدي المتصاعد في الجزائر، والذي لا يُخفي تأثيرات الحركة الإصلاحية والوهابية في دفعه قدما، مع العلم أن بواكير التجديد الصوفي الداخلي قد بدأت مع عمر بن قذور وأضرابه، وكان مجال التأثير صحفيا ومسجديا محدودا، ولكن التجديد الإصلاحي الذي باشره ابن باديس فاق من سبقه، حيث كان مسجديا تعليميا حرا منذ عودة ابن باديس من المشرق في الجامع الأخضر بقسنطينة، ثم ارتقى إلى العمل الصحفي مع الكتابة في النجاح، وأخيرا ترسّم بإصدار جريدة المنتقد، ثم مجلة الشهاب بعد ذلك. وتوازي كل هذا مع الصعود السريع للطريقة العلوية، والتي هي فرع من الطريقة الأم الدرقاوية، والتي تحمل ميراثا ثوريا تجديديا إذا ما قورنت بغيرها من الطرق، وهذا الصعود السريع للعلوية استرعى بعض الباحثين في الكشف عن أسبابه بين رأيين:

الأول: أنه تم بالجهود الذاتية لشيخ الطريقة، وأذرعه الوعظية والصحفية المختلفة، والتي عرضنا لها من قبل.

الثاني: الإغضاء الفرنسي على عمل الطريقة ودعم رجالها وصحفيها، وفتح بلاد القبائل أمامها لتحجيم الطريقة الرحمانية التي كان أغلب مقاديمها ضد الاحتلال الفرنسي، وفي تسجيل هذا الصعود يهتم أحمد حماني فرنسا بذلك: "في داخل الوطن كادت تبتلع الطرق الصوفية وخططت _ أو خطط لها- أن تزاحم في بلاد القبائل الطريقة الرحمانية وتخلّفها في أتباعها، لأنه تبيّن للمستعمرين أن الرحمانية لا يؤمن جانبها في القبائل"⁽¹⁾.

وعلى هذا الرأي الحاد استمر صوت الشيخ أحمد حماني صادحا ضد الطريقة حتى آخر أيامه، مستعيدا الكتابات الأولى في العشرينيات، وذلك في كتابه "صراع بين السنة والبدعة"⁽²⁾ حيث يقول: "إن ابن باديس تيقّن من خطورة الطريقة مما تروجه من مبادئ الباطنية والدعوة إلى مذهب الحلول ووحدّة الوجود، وأما الهدف السياسي فهو اتصالها بالقوى الاستعمارية والتحالف معها، والتعاون بينهما على العمل المنسق للنجاح المزدوج"⁽³⁾.

وسنقف الآن في تتبع روايات محاولة الاغتيال، فقد شغلت الجزائر في نهايات العشرينيات بقضية محاولة الاغتيال التي تعرّض لها الإمام، والتي أهتمت بها الطريقة العلوية، وظل السجال قائما بين الفريقين، وكلما خبت ناره أوقدت من جديد، وكثرت فيها الكتابات والأشعار والمقالات، مما يمكن أن نصطلح عليه بأدب محاولة الاغتيال، وسنعرض باقتضاب لرؤية ورواية الفريقين في القضية:

(1) أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة، مرجع سابق، ج 1 ص 63.

(2) مع ملاحظة السياق التاريخي الذي كتب فيه الكتاب، وهي فترة الرئيس هواري بومدين والذي شهد اضطهادا ملحوظا ضد الطرق الصوفية والطريقة العلوية التي اعتقل شيخها المهدي بن تونس، وحُلت منظمتها "الشباب الإسلامي" وصُودرت أوقافها التي لم تسترجع إلا في عهد الرئيس عبد العزيز بوتفليقة. مقابلة مع الشيخ مراد بن تونس بالزاوية العلوية، جنة العارف، مستغانم، 20 مارس 2014.

(3) أحمد حماني، المرجع السابق، ج 1 ص 61.

أولا- رواية الإصلاحيين:

وقد لخصتها جريدة الشهاب وأوردت تفاصيلها وعاقبيلها في أعداد متوالية، فأوردت في عددها (75) عنوانا استنكاريا ضد محاولة الاغتيال بعنوان "توحش عليوي"، وأردفتها في العدد (76) بالتفاصيل، وكأنها أشرت ذلك لاستكمال المعلومات، وعدم الهجوم والالتهام للعلوية بدون دليل.

ومحصلة الحادث: "في مساء الأربعاء (9 جمادي الآخرة 1345هـ/ 14 ديسمبر 1926م) حاول الجاني "ميمان محمد الشريف بن محمد" -من قرية الجعافرة حوز مجانية دائرة برج بوعريج- الفتك بالأستاذ ابن باديس بطريق الكمون له في طريق داره بعد فراغه من درس التفسير، فضربه ضربتين على رأسه وعينه لإسقاطه، وبيده مدية بوسعادية، ولكن ابن باديس دافعه واستصرخ الجيران فلحقوه وأمسكوه وسلموه للبوليس الفرنسي"⁽¹⁾. ويضيف الشهاب بأن الجاني لم يكن لوحده، وإنما كان معه أربعة تردّدوا على قسنطينة للتخطيط لمكان الجريمة وزمانها وكيفيةها.

وبعد تسليم الجاني لقاضي الاستنطاق (أودوانو) بقسنطينة، حُول إلى محكمة الجرائم التي أدانته بخمس سنوات، إلا أن الإمام ابن باديس عفا عنه في المحكمة قائلا: "إن الرجل غرر به، لا يعرفني ولا أعرفه، فلا عداوة بيني وبينه.. أطلقوا سراحه"، ولكن شقيق الإمام المحامي الزبير بن باديس طالب بإنفاذ الحكم باسم عائلة بن باديس لأنه وبحسبه: "إن أخي بفعل الصدمة لم يعد يعي ما يقول"⁽²⁾.

ومن المتفق عليه أن الجاني من أتباع الطريقة العلوية، والتي كانت قوية الحضور في قرية الجعافرة⁽³⁾. إذ كانت معاقل الطريقة العلوية في بلاد القبائل، وعلى الرغم من حداثة الدعوة بها، فإنها انتشرت بسرعة، لأن الطريقة اكتسبت في صفوفها النخبة العلمية من أئمة وعلماء، وهو ما يؤكده ابنها الدكتور يحي بوعزيز عن حضورها القوي في الجعافرة عندما يؤرخ لمرور الناشط العلوي والكاتب السابق لعبد الكريم الخطابي أي الحسن البغدادي، وكذلك لنشاط والده بوعزيز عبد الرحمان، ففي الأرشيف التونسي رسالة من عامل عمالة قسنطينة للمقيم الفرنسي بتونس: "لي الشرف أن أنهي إلى علمكم بأن مركز نشاط ديني إسلامي قوي ظهر في عمالتي داخل بلدية الببيان المختلطة، وهذه الدعاية الدينية يقودها المقدمان المحليان بن بعزيز عبد الرحمان وبوفليح الصديق وكلاهما من البلدية المذكورة، وهما يخضعان لأوامر الشيخ بن عليوة بمستغانم، هذا الشيخ يتبع للطريقة الشاذلية ولكنه تجاوزها في الحقيقة ليؤسس لنفسه طريقة خاصة به مستقلة عن الأولى، وهما لنفسه عونين آخرين للدعاية لهما تأثير كبير وهما الأخوان بغدادي الصالح بن عبد العزيز، وبغدادي مولاي الحسن بن عبد العزيز..."⁽⁴⁾.

(1) الشهاب، ع 76 (12-23-1926)، ج 2 ص 676. حماني، صراع بين السنة والبدعة، ج 1 ص 97.

(2) محمد الصالح بن عتيق، أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية والحركة الوطنية بالجزائر، ص 63.

(3) يحي بوعزيز، رحلة في فضاء العمر، الجزائر، دار البصائر، 2009، ج 1 ص 36. وأعلام الفكر والثقافة، ج 1 ص 66. ووالد يحي بوعزيز المتوفى سنة (1955) مقدم الطريقة فيها وله مدائح في الشيخ ابن عليوة، انظر البيضاوي، مطالع اليقين في مدح الإمام المبين، مرجع سابق، ص 37.

(4) يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة، مرجع سابق، ص 68.

وحتى بعد محاولة الاغتيال فقد ظلت الجعافرة وفية للطريقة، فقد زارها الشيخ الثاني عدة بن تونس سنة (1936)، وكان الاستقبال حاشدا، حيث جدّد الكثير العهد بالنسبة العلاوية، وممن حضر تلك الاجتماعات كل من عبد الرحمان بوعزيز والحسن الطرابلسي (مقدم عنابة)، والحاج الحسن بن الجودي، وعمر أعشاش، وعمر أشملاخ، وعديد من مقدمي البيبان وبني ورتلان، كما حضر العلامة علي البوديلي أيضا هذه الجولات في القبائل الصغرى⁽¹⁾.

وشاع في تلك الأنحاء التحريض المتبادل، حتى أن النكاية بلغت ببعضهم أن يتوجّه بالصلاة نحو مستغانم بدلا عن القبلة نكاية في الإصلاحيين المنكرين على الطريقة وشيخها، وهو ما يعتبره بعضهم عملا فعليا معزولا غير مشروع⁽²⁾.

ويسوق الإصلاحيون روايات تؤكد بأن الجريمة مدبرة منظمة من قيادة الطريقة -الأمر الذي ينفيه الآخرون وأنه فعل فردي معزول- بأن الجاني قدم من مدينة مستغانم عاصمة الطريقة العليوية كما ذكر الأستاذ ابن عتيق⁽³⁾.

تحدثت الشهاب عن المحاولة وشجبت الطريقة العلاوية، وعاضدتها الصحف التونسية ففي العدد (78): "قد اتحدت كلمة الصحافة العربية الجزائرية والتونسية على استنكار واستفظاع ما أتاه الجاني العليوي بإيعاز من رجال طريقته وعدوه جانيا على العلم والصحافة والحرية..... ونحن نشكر لهؤلاء الرصفاء الكرام قيامهم بواجبهم وإحساسهم نحو الأستاذ المعتدى عليه"⁽⁴⁾. كما شنّ الشهاب⁽⁵⁾ هجوما عنيفا في مقالات متعددة متتالية ضد العلويين "جمعية التآمر بقتل العلماء والفتك بهم، أطريقة تلك أم عصبة أوباش ولصوص، أين الحكومة لتحفظ النظام العام؟، وأنها "جمعية فدائيين فتاكين"، ودعا الحكومة إلى التدخل والمراقبة والضرب، وأن "دين الإسلام بريء من هذه الطرق الفتاكة الجريئة على الظلم واغتيال النفوس"⁽⁶⁾. وفي نبرة تهكمية قال العقبي في الشهاب: "أل هذا أسست طرقتكم أيها الطرقيون، أمثل هذه البضائع والجرائم تسرون وتفرحون، وتقولون: إن رجال الغيب أولياء الله تصرفوا في عبد الحميد "دقّوه، فقسوا فيه"، والحال أنكم أنتم المتصرفون الفاعلون؟ أهذه هي طرق تصرفاتكم في الكون، أنتم السالكون المسلكون، والواصلون المرشدون".

وفي نبرة تحريضية للحكومة قال: "إن الطرقيين لا يفعلون شيئا دون إذن الشيخ، بل هاجم ابن عليوة بشخصه- رغم عدم اكتمال التحقيقات- قائلا: "نعم يمكن للشيخ ابن عليوة وأتباعه العقلاء- إن كان هناك

(1) جريدة لسان الدين، ع 18 في (18 شعبان 1355-1936). رحلات طرقية، مرجع سابق، ج 3 ص 147.

(2) بوغانم، نفسه، ص 199، والرواية نقلها أوغسطين بيرك، ص 763.

(3) محمد الصالح بن عتيق، مذكرات حياة، عن حماني، نفسه، ج 1 ص 105.

(4) الشهاب، ع 78 (6-01-1927)، ج 2 ص 710.

(5) الشهاب، ع 80 (20-1-1927)، ج 2 ص 742.

(6) حماني، صراع بين السنة والبدعة، مرجع سابق، ج 1 ص 131.

أتباع للخبيث يفهمون، ولما نقوله ونمليه عليهم يعقلون- أن يعلنوا بواسطة الجرائد براءتهم من أعمال هؤلاء الجناة المعتدين، وطردهم وإخراجهم من طريقتهم وحزبهم، ويلعنونهم على رؤوس الأشهاد"⁽¹⁾.

ويعلق الإبراهيمي: "وإذا نسي الناس فإنهم لم ينسوا حادثة الاعتداء على الأستاذ عبد الحميد بن باديس الذي هو رئيس هذه الجمعية منذ تأسست إلى اليوم، فقد تأمر العليويون على اغتياله حيث ثقلت عليهم وطأة الحق الذي كان يقوله ولا زال يقوله فيهم وفي أمثالهم، وانتدب أشقاها لقتله في قسنطينة وضربه الضربة القاضية لولا وقاية الله ولطفه، ففي ذلك المشهد الذي تطيش فيه الألباب وتتفشى فيه روح الانتقام قوى الله الأستاذ- وهو أعزل- فأمسك خصمه الفاتك المسلح ولبّبه بثيابه، ثم تجلّى على قلبه المطمئن بالرحمة فقال- وجرحه يشعب دمًا- للجمهور المتألب المتعطش لدم الجاني: إياكم أن يمسه أحد منكم بسوء" حتى تسلموه للمحافظة، ولولا هذه الكلمة لقطعوا الجاني إربًا إربًا"⁽²⁾.

كما انبرى الزاهري في متابعة الهجوم على العلويين بمقال "الشقي العلوي"، معتبرا القضية شأنًا عاما جزائري غير خاص بابن باديس⁽³⁾، ونقل الشهاب أيضا تفاعل الصحافة العربية المشرقية مع الواقعة فذكرت عن: -جريدة الشورى لصاحبها محمد علي الطاهر الفلسطيني بعنوان "الجزائر، الاعتداء على رجل كبير"⁽⁴⁾.

-جريدة الفتح للشيخ محب الدين الخطيب، وجاء فيها تعليقا على جواب ابن باديس: "الذي ما برح يجاهد في مقاومة خرافات ألبسها الجاهلون لباس الدين وليست منه، حتى أؤدي في هذا السبيل على جلالته قدره، واعتدي عليه في الشهر الماضي بعض المنتسبين إلى الطرق ممن عجزوا عن الحجّة، فلجأوا إلى وسائل الإجرام، هدى الله المسلمين إلى فطرة دينهم الذي لا حياة لهم إلا بها"⁽⁵⁾

ثانيا- الرواية والردود العلوية:

أسس العلويون جريدة البلاغ يوم (24 ديسمبر 1926) - أي بعد أسبوع من الحادثة، فأشاروا له نقلا عن النجاح⁽⁶⁾- وفي العدد الثاني منها تكلموا عن حادثة الاعتداء، والظاهر أن الإعداد لها كان سلفا لأن التقاريط على إصدارها كان في عددها الأول، وفي العدد الثاني استنكرت الجريدة الحادثة وقالت: "كنا أعربنا في عددنا الفارط عن استيائنا عما لحقنا من الأسف من أجل السطو الواقع على الشيخ عبد الحميد بن باديس، وما كان بوجدنا أن يؤدي مثله"، "وأردفت البلاغ: "أما ما لحق الأستاذ العليوي من الاستياء، وتالله لكان أبلغ ما ينبغي أن يلحق المؤمن على المؤمن، وما كان قولنا هذا عن مدهانة أو نفاق، أما جريدة الشهاب فإنها لم تذخر وسعا في مواجهة العلويين بعبارات الهمز واللمز..."⁽⁷⁾.

(1) الشهاب، ع 80 (1-20-12927)، ج 2 ص 747. مقالات العقبي، ج 1 ص 134. حماني، نفسه، ص 32.

(2) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 268.

(3) الشهاب، ع 140 (22-3-1927)، ج 3 ص 806. حماني، نفسه، ج 1 ص 159.

(4) الشهاب، ع 87 (10-3-1927)، ج 2 ص 897. حماني، نفسه، ج 1 ص 115.

(5) الشهاب، ع 87 (10-3-1927)، ج 2 ص 898. حماني، نفسه، ج 1 ص 116.

(6) البلاغ، اعتداء والله لا يجب المعتدين، ع 1 (24-12-1926)، ص 2. وانظر التوضيح، في البلاغ، "أعد نظرا يا شهاب"، ع 6 (21-1-1927)، ص 2.

(7) البلاغ، ع 2 (30-12-1926)، ص 2. حماني، صراع بين السنة والبدعة، ج 1 ص 114.

ردت البلاغ على الهجمة الشهابية بأن عددها الأول كان في المطبعة حال وقوع تلك الفعلة الشنيعة، وأجلبت في عددها الموالي بما يفيد استنكار العلّوين لها، ودعت إلى الانصاف وعدم الاستعجال في الاتهام في مقالها "مراجعة وعتاب من البلاغ إلى رصيفتها الشهاب"، وتوالت ردودها وبراءتها في الأعداد التالية⁽¹⁾، وأسفت لما جرى به قلم الزاهري من سباب وشتم للطريقة شيخا ومريدين⁽²⁾، وذكرت بأن الشيخ العلّوي وجّه كتابا إلى أبي يعلى الزواوي يبثه فيه عظيم حزنه على ما حصل للشيخ ابن باديس، وبرأته من الفعل والفاعل، كما ردّت على مقال "ابن ملجم القرن العشرين"، وقالت أنه يستبطن أن ابن باديس هو علي بن أبي طالب، وطالبت من بيضاوي -أي المليي- الكفّ عن التحريض وقول الإفك⁽³⁾.

ثالثا: أدب محاولة اغتيال ابن باديس:

خلفت محاولة الاغتيال ردودا أدبية وصحفية كبيرة، أبانت عن عمق الشرخ بين الفريقين، وقد تراكمت الردود وتعددت فيما يمكن تسميته بأدب محاولة الاغتيال، ومن تلك النماذج ما يأتي:

أ- مبارك المليي: مقال "ابن ملجم القرن العشرين"⁽⁴⁾، ووقعه باسم بيضاوي،

ب- العقبي: مقال "جمعية التآمر بقتل العلماء والفتك بهم"، وقصيدة "في ذمة التاريخ أفصح حادث"⁽⁵⁾:

عبد الحميد النصر قد وافاك ---- رغم المنافس والذي عاداك

إن تنتقد طرق الضلال فلم تكن ----- في النقد كذابا ولا أفاكا

أو تحتقر تلك الجموع فكلهم ----- أهل ورب العالمين لذاكا

تبت يدا العليوي الذي ---- للفتك عن بعد الديار أتاكا

ج- محمد العيد بعنوان (حمتك يد المولى)⁽⁶⁾:

حمتك يد المولى وكنت بها أولى -- فيالك من شيخ حمته يد المولى

وأخطاك الموت الزؤام يقوده إليك ----- أمرؤ أملى له الغي ما أملى

وأهوى إلى نصل بكف لئيمة ----- تعود أن ينضي بها ذلك النصلا

د- الزاهري: نشر قصيدة "كتبت دماؤك للهدى صفحات"⁽⁷⁾، ونقل أن أحد إصلاحي تلمسان ألف مسرحية

المصلح والطريقي"، وأنه عزم على تمثيلها بمسرح تلمسان البلدي⁽⁸⁾.

هـ- رمضان حمود: تنديد بعنوان "شلت يد الجاني"⁽⁹⁾.

(1) البلاغ، محمد المهدي العنابي "كتاب ينطق عليكم بالحق"، ع 4 (14-1-1927)، ص 2.

(2) البلاغ الجزائري، ع 66 (25-4-1928).

(3) البلاغ، عدة بن تونس "علي القرن العشرين"، ع 5 (21-1-1927)، ص 2.

(4) الشهاب، ع 78 (6-1-1927)، ج 2 ص 702. حماني، نفسه، ج 2 ص 20.

(5) الشهاب، ع 80 (20-1-1927)، ج 2 ص 742. ع 83 (10-2-1927).

(6) الشهاب، ع 81 (27-1-1927)، ج 2 ص 777. محمد العيد آل خليفة، ديوان محمد العيد، ص، 122.

(7) الشهاب، ع 79 (13-1-1927)، ج 2 ص 734. حماني، نفسه، ج 2 ص 151.

(8) الشهاب ع (22-3-1927)، حماني، نفسه، ج 1 ص 159.

(9) الشهاب، ع 78 (6-1-1927)، ج 2 ص 719. حماني، نفسه، ج 2 ص 144.

و- محمد العزوزي حوحو: مقال "ومجرمون أيضا"⁽¹⁾.

ز- العربي التبسي: مقال أرسله من الأزهر بعنوان "أريد حياته ويريد قتلي"⁽²⁾.

ح- محمد غازي مدير المدرسة الناصرية بفاس "لا تخف إنك أنت الأعلى"⁽³⁾.

ط- علي بن محمد بن شقرون التونسي الطالب بالأزهر "الاعتداء على زعيم النهضة الجزائرية العظيم"⁽⁴⁾.

ك- محمد القري الفاسي: قصيدة "إلى العلامة السلفي"⁽⁵⁾. وقد قتل بعد في سجون فرنسا بالمغرب (1937).

ل- صالح سويس القيرواني "دم أريق في سبيل الله"⁽⁶⁾.

م- قصيدة من موريطانيا بعنوان "ذنب ابن باديس ذنب غير مغتفر"، ورجح حماني كونها لجنيدي المكي⁽⁷⁾.

المطلب السابع: تجليات علاقات الخلاف بين الإصلاحيين والطرقيين.

1- دعوات التصفية والاغتيال:

وهو ما وجدناه من دعوات العقبي لتدخل العدالة لإسكات مخالفيه، أو تطبيق أحكام الشريعة في المبدل والمغير، وكانت هذه الدعوة ضد عاشور الخنقي الذي اتهمه بأنه يحرض على قتله⁽⁸⁾. وقد ذكر بعض الباحثين أن الطرقيين كانوا يدفعون للتخلص من العقبي بالتصفية⁽⁹⁾، ولكننا لا يسعنا تصديق اتهام الشاعر الخنقي الضيرير بمثل هذه الأفعال البشعة وهو في آخر عمره.

وهكذا للمرة الأولى ظهرت دعوات القتل في الصحف الدينية الجزائرية في سابقة خطيرة سيكون من عاقبتها محاولة اغتيال ابن باديس وغيره، وما حصل لأحمد بوشمال بالجلفة، ومحاولة أخرى لاغتيال الميلي حسب رواية أحمد حماني⁽¹⁰⁾. فقد اعتُدي على أحمد بوشمال في الجلفة، لما ذهب لجمع اشتراكات الشهاب، ودخل في نقاش مع الباش آغا بن عبد السلام، ولكن النقاش امتد إلى قضايا تجديد العهد الطريقي وخطر الافتراق الطريقي، مما جعل القاضي حشلاف يضربه ويحرض عليه، ومن المعروف عنه مناصرته وتأييده للطرق والأشراف -وهو تيجاني النسبة-⁽¹¹⁾، وكتبت الشهاب عما سمته ب"الحادثة الحشلافية"، بعدما راسل هو النجاح بمقال "تزييف دعوى"⁽¹²⁾.

(1) الشهاب، ع 82 (2-3-1927)، ج 2 ص 786. حماني، نفسه، ج 2 ص 59. محمد العزوزي حوحو [1944-1904].

(2) الشهاب، ع 83 (2-10-1927)، حماني، نفسه، ج 2 ص 68.

(3) الشهاب، ع 86 (3-3-1927)، ج 2 ص 865. حماني، نفسه، ج 2 ص 92.

(4) الشهاب، ع 89 (3-24-1927)، ج 2 ص 932. حماني، نفسه، ج 2 ص 123.

(5) الشهاب، ع 82 (2-3-1927)، ج 2 ص 795. حماني، نفسه، ج 2 ص 170.

(6) الشهاب، (17-3-1927)، ج 2 ص 914. حماني، نفسه، ج 2 ص 187.

(7) الشهاب، ع 94 (4-28-1927)، ج 2 ص 1026. حماني، نفسه، ج 2 ص 221.

(8) الشهاب، ع 17 (4-3-1926)، ج 1 ص 120.

(9) مريوش، الطيب العقبي، مرجع سابق، ص 80.

(10) الشهاب، مقال "عجز عن القول فاضطر إلى الضرب شأن الأوباش" (10-3-1927)، ج 2 ص 891. حماني، نفسه، ج 1 ص 122. حمادو،

مرجعيات جمعية العلماء، (ندوة جمعية العلماء)، مرجع سابق، ج 2 ص 38. دبوز، نهضة الجزائر، مرجع سابق، ج 3 ص 270.

(11) البلاغ، سطو ثان على بوشمال"، ع 14 (25-3-1927)، ص 3. جريدة النجاح، تزييف دعوى، ع 419 (133-1927)، ص 2.

(12) الشهاب، ع 88 (17-3-1937)، ج 2 ص 912. حماني، نفسه، ج 1 ص 132.

وممن انتقد هذا الانحراف داعية الوسطية أبو يعلى: "إنه لدليل التوحش والهمجية التي لا تصدر إلا ممن لم يبق فيهم تلك الخصلة العربية الإسلامية - حماية الذمار - ومن الأسف الشديد، بل من الغيظ والعار والشنار وسوء الدار، الجلفة أو الجيفة الذي يقع فيه ذلك الفعل الفظيع والتوحش الشنيع.." (1).

وليس تلك الدعوات والأفعال التي تنم عن ضيق وتبرّم بالمخالف سوى استجابة للغة العدائية التي شُحنت بها المقالات، ومحاولة لاستدعاء الأساليب الوهابية في نشر الدعوة ولو بحدّ السيف، كما هو المعروف في تأسيس الدولة السعودية الأولى والثانية والثالثة، ومن نماذج تلك اللغة الحربية تهديد العقبي بالحرب: (وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم- وما هو عنها بالحديث المرحم) (2)، ومن ذلك ما اقترحه العقبي على جساس (ربما هو عزوزي حوحو؟) من تعيين محمد العيد ومحمد خير الدين والشيخ علي بن عمارة في مقدمة الجيوش الغربية، وتعيين فاتح حوحو والعمودي والزهري في الجيوش الشرقية (3)، وهي لغة تجيشية تفترض محاربين مخالفين في الملة والدين، ولم يكن الأمر يستلزم ذلك، ففرنسا هي السبب الأول في التردّي التعليمي والأخلاقي في الجزائر منذ احتلالها.

وكان من ضحايا هذه الدعوات والشحن والتعبئة حسب الشهاب شهيد الفتوى والإرشاد محمد الميلي بن الظريف، الذي قُتل حسب الشهاب على يد طرقي حجزوا سبخته عند إلقاء القبض عليه (4). لكن محمد الميلي ينقض تلك الرواية بكون المستفتي لم تعجبه فتوى ابن معنصر له في الطلاق (5)، وليست السبحة دليلا على الانتساب للطرق الصوفية.

كما تعرض مامي إسماعيل للاعتداء ومحاولة الاغتيال في أم البواقي يوم (03 سبتمبر 1930) (6)، حيث كان أيامها قريبا من الإصلاح، لأنه عندما زار بلدة عمي موسى-غليزان- ورأى فحش بدعها على الرغم من عودة العالم الأزهري الحاج محمد بن الشريف وتأسيسه مسجدا بها، ولكنه لم يستطع مقاومة البدع، فقال مامي متندرا: "الناس أغلهم يعبدون أنبياء خاصين بهم، ويدينون بشريعتهم... ولو استطاعوا هدمه لفعلوا فوشوا به إلى الحاكم، وفي رأي مامي فإن الشيوخ الميلي وأبي يعلى الزواوي هم الأقدر على مسخ أنبيائهم قرودا كما قال" (7)، ولم تسلم الزيبان من بعض الأعمال العنيفة بين الفريقين، إذ تعرّض أحد كتّاب الإصلاح للضرب المبرّح بسبب نشره بيتين شعريين ضد العلوية (8).

(1) الشهاب، أبو يعلى "تكرار الاعتداء على أصحاب الشهاب" ع 92 (14-4-1927)، ج 2 ص 976. حماني، ج 1 ص 143.

(2) جريدة الإصلاح، ع 9 (12-12-1929). مقالات العقبي، مرجع سابق، ج 1 ص 287.

(3) جريدة البرق، ع 14 (6-6-27). مقالات العقبي، مرجع سابق، ج 1 ص 232.

(4) الشهاب، ع 158 (2-8-1928)، ج 4 ص 187.

(5) محمد الميلي، الشيخ مبارك الميلي، مرجع سابق، ص 107. وانظر حماني، نفسه، ج 2 ص 12.

(6) الشهاب، مقال "اعتداء فضيع وتوحش شنيع" ع (جمادى الأولى 1349- أكتوبر 1930)، ج 6 ص 632. الإصلاح، مقال "الصحافة الجزائرية في خطر"، ع 14 (25-9-1930)، ص 3.

(7) النجاح، ع 585 (29-4-1928)، رحلات جزائرية، مرجع سابق، ج 2 ص 132.

(8) انظر قوبع، نفسه، ص 324. الإصلاح، ع 6 (24-10-1929). جريدة الإصلاح، العقبي، مقال "صلت سجاح وأمها مسيلمة" الإصلاح، ع 12 (6-2-1930)، مقالات العقبي، مرجع سابق، ج 1 ص 289.

وعلى الرغم من اعتدال الصحف الطرقية إلا أنه كان يبرز منها أيضا بعض اللغة التهديدية كما جاء في مقال لعدة بن تونس: "ولا تنس أن في الزوايا خبايا، ولتعلمن نبأه بعد حين، وما هي من الظالمين ببعيد"⁽¹⁾. أو في قصيدة "فقاتلوا التي تبغي"⁽²⁾، والتي حملت نفسها صداميا هجائيا لا يتحملها أدب الوقت.

ولعل حتى الاعتداءات امتدت إلى تونس حيث يتهم مدير جريدة النديم الذي اعتُدي عليه هناك في (29-8-1926) الزاهري بإرساله رسالة تهديدية لإسكاته، وتأجير أحد – السوفيين- لقتله، وقد نشر تشطيها الشيخ معاوية التميمي لبيتين للزاهري، قائلا أنه لا يرتضي أدبه ولا شعره⁽³⁾، وقد استغلت البلاغ هذا الخبر لتحمل الزاهري وزر تأجيج الفتنة بين الطرفين، وكونه معكرا للعلاقات بين التونسيين والجزائريين.

2- الاستظهار بالصحافة المغربية:

من الغرابة أنه وفي وقت مبكر دخلت الصحف التونسية في هذا النقاش الإصلاحي الطرقي الجزائري، فبعد أن كانت الخصومة بين الشهاب والبلاغ لحقت بها النديم التونسية لتدعو أحد كتّابها القدامى توفيق المدني بالتدخل بين الفريقين لتخفيف هذه المعارضات، بل إن النديم لم تكن راضية عن اللغة الساخطة التي تميزت بها البرق الإصلاحية، ومن هجوم النديم على البرق: "ما كنت راضيا بما كتب النديم من ذلك الشتم المقذع والسباب المشين"، وقد رد كتّاب البرق على السباب بمثله⁽⁴⁾، والحق أن العقبي كان مسعّر حرب، فلم يخلو مقال له في الشهاب من الهجوم على الطرقيين، وكأنها القضية المركزية عنده، وهو منحنى لم يرض عنه ابن باديس مما جعل العقبي يحجب قلمه أحيانا، ثم يعود مما عكّر الأجواء بين الفريقين.

وقد لحقت الاعتداءات في تونس حسين الجزيري صاحب جريدة النديم من قبل بعض أنصار الطرقيين⁽⁵⁾. ولم تخل الصحافة المغربية من الإسهام في الجدل الجزائري، فقد دخل بعض المغاربة على الخط في مقال "مالككم كيف تحكمون؟ أفلا تذكرون؟"، والذي اتهم فيه الطرقيين بنشر الخرافات ومناوأة الإصلاح: "وطالما طالعنا جريدتكم الوحيدة في سائر شمال إفريقيا بل في سائر الكرة الأرضية بأجمعها، تلك الجريدة التي يتعاون على إصدارها من أسبوع إلى أسبوع في ثلاث صفحات سائر كتّابكم في الجزائر بحواضره وبواديته مع كتّابكم أيضا من حاضرة فاس وعاصمة الرباط، فلا نرى في أي عدد من أعدادها العشرين التي مرت – وما يأتي كذلك- إلا سفاها بالغ الحد وسبّا جاوز المنتهى"⁽⁶⁾، ومن المعروف أن البلاغ كانت ذات شهرة في المغرب،

(1) الشهاب، ع 86 (3-3-1927)، ج 2 ص 878. حماني، نفسه، ج 2 ص 122.

(2) البلاغ، صالح بن سعيد "قصيدة فقاتلوا التي تبغي"، ع 16 (15-4-1927)، ص 1.

(3) البلاغ، بن منصور "قتل الخراصون"، ع 7 (4-2-1927)، ص 2. ومقالة النديم بعنوان (صدى الأسبوع).

(4) الشهاب، ع 99 (2-6-1927)، ج 2 ص 1116. مقالات العقبي، مرجع سابق، ج 1 ص 148.

(5) الشهاب، العقبي "جمعية التآمر بقتل العلماء والفتك بهم"، ع 80 (20-1-1927)، ج 2 ص 742. حماني، نفسه، ج 2 ص 41، وذكر أن محمد صالح خبشاش قد يكون كتب يستهزأ بتونس، وكان يكتب في النجاح، ثم في النهضة التونسية -التي لها مشرب النجاح- مما جعل عباسية يرد بمقال "سليمة وسجاح والنهضة والنجاح". حماني، نفسه، ج 1 ص 134.

(6) الشهاب، ع 102 (23-6-1927)، ج 3 ص 32.

وكان للطريقة العلوية زواياها بالريف وفاس، وقد كتب فيها محمد الحبيب نقيب المؤذنين بوجدة في (15-7-1927)، ويظهر أنه تجاني، ورد عليه محمد الصغير بوصالح⁽¹⁾.

3- الاستقطاب العلمائي: لجأ الفريقان في استقطاب القدر الممكن من علماء وفقهاء وعدول الوقت، وكان النصيب الأوفر في هذا للعلاويين الذين هالهم ردود ابن باديس على العلوي، ولنا أن نستظهر جدولاً لذلك:

علماء مع الإصلاحيين	علماء مع الطريقين
القاضي شعيب الجليلي، ومحمد المولود بن الموهوب، ومحمد النخلي، وبلحسن النجار، والطاهر بن عاشور ومعاوية التميمي ومحمد الصادق النيفر من تونس، والعابد بن أحمد بن سودة، ومحمد بن العربي الفاسي، وعبد القادر بن محمد الفاسي من المغرب.	أحمد سكيرج، عبد ² القاضي شعيب الجليلي ⁽¹⁾ ، الحي الكتاني، عبد القادر قارة مفتي مستغانم، ومحمد بن الحاج علال مفتي تلمسان

4- الاستقطاب النخبوي:

سعى كل من الفريقين إلى تشكيل واستقطاب نخب علمية وسياسية وتجارية، فالإصلاحيون باثروا ذلك باستقطاب النخب المتعلمة، ومن ذلك الدكتور سعدان الذي وُصف بكونه نصيراً لحزب الإصلاح والمصلحين⁽³⁾، وكذا بعض برجوازي العاصمة مثل عباس التركي رفيق العقبي.

وطرح الإصلاحيون فكرة التعاون مع النخبة المتنورة في قضايا الحقوق والتعليم العربي، ففي مقال للعمودي: "إذا أمكن توحيد برنامج يشتمل على أهم نقط التعليم والعربية والمطالبة بالحقوق... فإذا كان في وسع أحد أن يوفق بين فكرة ابن باديس والزناطي"⁽⁴⁾، وبين مذهبي العقبي وآيت قاسي، وبين رأي الزاهري وساطور، فلا يستحيل عليّ أن أكون كفيلاً للحركة بمستقبل زاهر"⁽⁵⁾، بل ودّعم الإصلاحيون في صحافتهم بعض منتخبي النواب القريبيين منهم كما فعلت صدى الصحراء مع "محمد الشريف سيسبان مرشح دائرة (باتنة – بسكرة)"⁽⁶⁾.

وأما الطريقون فكان ظهيرهم التقليدي النخب المخزنية من القياد وموظفي الإدارات المحلية، حتى إن إصلاحي الزيان اتهموا شيخ العرب بوعزيز بن قانة بانخراطه في الطريقة العيساوية والعمارية لقطع الطريق عليهم والجمع بين السلطتين الروحية والزمنية، وقالوا له أنت أذكى من ترهاتها: "لا لوم على باش آغا ولا غيره من كل

(1) الشهاب، ع 110 (18-8-1927)، ج 3 ص 193.

(2) له شهادة للعلوي اكتفاء بشهادة قارة مفتي مستغانم، وابن الحاج علال مفتي تلمسان، انظر الشهادت والفتاوي، ص 23.

(3) جريدة البرق، ع 7 (8-4-1927). مقالات العقبي، مرجع سابق، ج 1 ص 224.

(4) رايح الزناطي (1877-1951)، متجنس اندماجي، صاحب جريدة "صوت الأهل" التي أسسها سنة (1929). انظر المدني، الجزائر، ص 440.

(5) الإصلاح، العمودي "الحركة الإصلاحية سيرها ونتيجتها ومستقبلها"، ع 4 (10-1929)، نقلاً عن قوبع، نفسه، ص 330.

(6) صدى الصحراء، مقال "لقد أحسنوا صنعاً"، ع 6 (11-10-1926). الإصلاح، مقال "زيارة الأفاضل"، ع 12 (6-2-1930)، نقلاً عن قوبع، ص 332.

موظف يتطلب رضا فرنسا ويخدمها في شخوص رجالها الكبار، ولكن اللوم كل اللوم على الذين يستحسنون صدور مثل هذه الجنايات والفواحش ويقرونها بين الشعب، ومنها يضحكون وتجدهم على مر الزمان ينشؤون القائمين بها - من النياشين- ويبادرون بإعطائهم الإذن في فتح مجال لهذه الفواحش والمخازي، فيسمونها "زوايا"، ولو طلب مصلح في الأمة من الحكومة أن تأذن له في الرذائل -ولو كان كمدرسة ابتدائية- لمأطلته كل المماثلة في صدور الإذن له، وربما منعت له بالكلية"⁽¹⁾.

أما العلانيون فقد حاولوا النأي بأنفسهم عن الاستقطاب السياسي، وكان عملهم تربويا خالصا في الغالب، حيث إن: "الأستاذ العلاوي رجلا دينيا محضا، لا يحب من الأحزاب السياسية إلا ما يقرر ترجيح الديانة على السياسة، ولا تربطه به أية رابطة سواها"⁽²⁾. ولكن العلاوي كان يستعين بأغنياء الطريقة لدعم مشاريعها، وينشئ حلقا من المهتمين الفرنسيين لدرأ شرور الإدارة عنه، وربما كان سكوتها عنه وعن نشاط طريقته للوقوف ضد مشروع الأمير خالد، خاصة وأن العلاوي كان يرفض فكرة الوطنية المزاحمة للدين، ويدعو إلى الوحدة الإسلامية.

كما استظهر الفريقان بالأقلام الفرنسية التي عرّبوا بعض مقالاتها، فالشهاب تنقل مقالا لأحدهم بعنوان "تعصب" هاجم فيه ابن عليوة واتهمه بأنه راسبوتين الجزائر، وأنه يحاول بلوغ مقام النبوة، ويدّعي الحلول، وذلك في أعقاب محاولة الاغتيال، كما تكلم عن نشاطه المحموم في برج بوعريّج⁽³⁾.

5- الاستعانة بالإدارة والنواب:

سعى كل من الفريقين إلى الاستعانة بالإدارة والنواب المحليين والماليين للوقوف ضد الآخر، إما بطلب التدخل المباشر، أو الاستعداد العام على بعض التصرفات، وإن كانت الظاهرة محدودة في العشرينيات، ومن ذلك أن بعض الإصلاحيين طالب بضرورة تدخل الإدارة لوقف بعض المظاهر الفلكورية المسيئة للدين، ومن ذلك مطالبة العقبي بوقف زردة سيدي زرزور ببسكرة، كما جاء في صدى الصحراء: "فسنتلفت أنظار أولي الأمور سيما نوابنا الكرام إلى إيقاف هذا التيار، والضرب على يد هؤلاء المبتدعين الضالين المضلين"⁽⁴⁾.

كما دعا العقبي الإدارة وفرنسا- صديقة الإنسانية- للوقوف ضد الطريقة المعادية للتقدم ولمصالح الأمة والحكومة: "لا يهمهم مصلحة الأمة ولا الحكومة ولا مصلحة أي كان، وإنما همهم الوحيد أن يملأ الرجل منهم بطنه وجيوبه، ويجمع الدراهم بأي واسطة"⁽⁵⁾، ويذهب الزاهري أبعد من هذا عندما يدعو الإدارة إلى الضرب على أيدي الزوايا لأنها صارت ضعيفة، وعهد ثوراتها قد انتهى، كما أن تصرفات بعضها كالعيساوية والطيبية

(1) جريدة البرق، ع 12 (23-5-27). مقالات العقبي، مرجع سابق، ج 1 ص 228.

(2) جريدة لسان الدين، محمد العوادي "جمعية التذكير"، ع 35، (30-جمادى الأولى-1356-1934).

(3) الشهاب، مقال "على نمط راسبوتين" ترجمة العمودي، ع 110 (18-8-1927)، ج 3 ص 189. عن "لاديش" قسنطينة (30-7-1927)، حماني، نفسه، ج 1 ص 147. وقال لعله الصحافي لوسيان زميل الزبير بن باديس في الدراسة.

(4) صدى الصحراء، حديث البدع الممقوتة، ع 10 (فيفري، 1926)، عن قوبع، ص 124.

(5) قوبع، الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان وميزاب، مرجع سابق، ص 323.

تسيئاً إلى الحضارة الفرنسية والدين الإسلامي، ويقدم الشكر للإدارة عندما منعت جمع الزيارات والتبرعات من قبل رجال الزوايا⁽¹⁾.

وفي هذا المجال استمال الإصلاحيون المسؤول الإداري لطولقة-الواقعة في الحكم العسكري- فأبطل بعض مواسم الطرقيين كموسم الأخضر وسيدى خالد، وكان: "ممن يسخر من الطرقيين وما يعبدون من دون الله"⁽²⁾.

كما ربط ابن باديس العلاقات ببعض النواب والقياد والوجهاء ووكلاء العدالة في سبيل السكوت أو دعم حزب الإصلاح الناهض، فقد أشاد بعمر بن نابي- والد مالك- الموظف في سلك العدالة، وذكره بالسباق للخير⁽³⁾. وانبرى الإصلاحيون لمهاجمة النواب الطرقيين في المجالس المالية والعمالية مثل حملة الشهاب على النائب غلام الله الذي اتهمته بالتحالف مع ابن عليوة واستغلال الخرافات وسداجة الجمهور التي مكنته من الفوز بالمقعد العمالي⁽⁴⁾.

6- بدايات الهجوم على موظفي السلك الرسمي:

وكان عددهم قليلاً على الرغم من شساعة الجزائر، فلم يزدوا عن مئتين من المفاتي والأئمة الرسميين، وكانت الجزائر مقسمة إلى خمسة وتسعين منطقة دينية فيها (166) مسجداً رسمياً وزاوية⁽⁵⁾، وظل المفاتي ومراقبو السلك الديني في غالب الأحيان يتخوفون من هذا الجيل الصاعد ذي التكوين المشرقي والزيتوني، في حين كان أغلب الرسميين خريج الزوايا والمدارس العدلية، وسنجد آثار ذلك التخوف في علاقات العشرينيات. ومن تلك الأمثلة المفتي المولود بن الموهوب- المحافظ الإصلاح- الذي أعاق تلميذه ابن باديس، وحرّض الإدارة عليه، مما جعل النجاح تكتب عن ذلك، وتنتشر أخباراً كاذبة عن عزوف القسنطينيين من ابن باديس، فرد ابن باديس على تلك الحملة الدعائية بقوله: "لا نحب أن نعرض لجريدة النجاح فيما اختارته لنفسها من خطتها، فذلك شأنها، وإنما نرى من الواجب علينا أن نعرض لها في أشياء نشرتها تتعلق بنا، ولا يخمن ضررها بنا بل يتعدى إلى الحقيقة والوطن...ومن تلك الأشياء التي نشرتها أنه: حاربه المسلمون ورفعوا من حلقة الدرس الشموع ليصدّوه عن التدريس..... وأنا أشهد الله وملائكته أن المسلمين لم يحاربوني، ولم يصدوني عن التدريس من يوم قدمت إلى قسنطينة يوماً من الأيام، بل كانت وما زالت دروسي معمورة بهم طلبة وعامة، وهي بمدد الله في ازدياد عاماً بعد عام، أما الذي حاربني وصدّني عن التدريس في الجامع الكبير بقسنطينة أول قدومي فهو شخص واحد فقط لا غير هو الشيخ المولود بن الموهوب⁽⁶⁾".

(1) الشهاب، الزاهري "الحكومة وأبناء الزوايا"، ع 63 (1926-10-18) ج 2 ص 439. ع 68 (1926-10-15)، ج 2 ص 528.

(2) جريدة البرق، الزاهري، "وفد الشعراء يزور طولقة، فرفار، البرج"، ع 8 (1927-4-25)، رحلات جزائرية، ج 1 ص 96.

(3) الشهاب، ع (جمادي الثانية 1348-نوفمبر 1929)، ج 5 ص 533.

(4) الشهاب، الزاهري "أطرقى أم سياسي" ع 145 (1928-5-3)، ج 3 ص 911.

(5) المدني، الجزائر، مرجع سابق، ص 462. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 419.

(6) الشهاب، ابن باديس "نحن والنجاح"، ع 2 (ربيع الأول 1353- جوان 1934)، ج 10 ص 374. ويذكر أن المفتي بن الموهوب أوعز للحاج الفريشي (عون إداري) من إطفاء الأضواء وابن باديس في درسه في كتاب الشفاء للفاضل عياض بالجامع الأعظم. انظر محاضرات حماني، ج 3 ص 50.

وهاجم العقبي بعنف الفقهاء الذين أفتوا بأن الضرائب تغني عن الزكاة⁽¹⁾، وندد بالدور السيئ لأعضاء الهيئة الدينية في الالتصاق بالإدارة الفرنسية واستجلاب دعمها، كما حصل من إمام سيدي عقبة الذي استولى على أملاك آل العقبي المهاجرين إلى الحجاز، وقد استعاد العقبي أملاكه بعد مرافعات قضائية⁽²⁾.

كما بدأت فتاوى بطلان الصلاة خلف الرسميين، فقد رفض العقبي -قبل خروجه للعاصمة- الصلاة خلفهم، كما هاجم تقصيرهم في أداء وظائفهم⁽³⁾، وبعد انتقاله للعاصمة (1929) ومباشرته دروسا بالجامع الكبير والجديد تعرّض لضغوط من المفتي محمود كحول بن دالي الذي منعه من الدروس، على الرغم من محاولات محمود بن صيام الدفاع عنه⁽⁴⁾.

ولم تخل الشهاب أعمدتها من مهاجمة هؤلاء الساكتين عن شيوع الجهالة والخرافة، حيث نشرت مقالا لبعض طلبة من سكيكدة بعنوان "أفضل الجهاد الحط من قدر العلماء المنافقين"⁽⁵⁾، كما افتتحت الشهاب النقاش حول الأداء الجاد للوظائف الدينية بين المسجدين والمدرسين⁽⁶⁾. في استباق لجدوى عمل الرسميين في الأسلاك الدينية.

وممن نالهم النقد بعض منتسبي سلك القضاء كالقاضي حشلاف الذي اعتدى على أحمد بوشمال في الجلقة، فكتب ابن باديس: "يسوؤنا والله أن يكون في هيئة القضاء المحترمة من تنحط تربيته إلى هذا المقدار، وإن كنا نعلم شذوذ هذا الرجل فيها بهذه الأخلاق، وما كنا لنشرفه بالمقالة والملامة كالأحرار، وهو من أهل الضرب والعصا...لولا أنه رجل دفعته غيرته المرابطية وهمته الطرقية فدخل ميدان الكتابة والتأليف أيضا.... فتمسك به أولئك الغرقى الذين يتمسكون حتى بخيوط الخيال، وتبجّحت به تلك الفئة التي ترى فخرها وانتصارها في كل كويتب ونويظم يضرب على نظمها ويكثر سوادها، فرفعت أصواتها منوهة به وبكتابات الخرافية التي وجدت فيها الضالة التي كانت تنشدها، حتى رجا صاحب الضالة أن تعي طريقة الجنيد بخرافات حشلاف"⁽⁷⁾.

ويبدو أن التخوف من الجديد دفع بعض المفاتي وسكان العاصمة للتحذير حتى من الطريقة العلوية الصاعدة، فاتهموا ابن عليوة بالميل للشيوعية، حسب تقرير أحد الصحفيين، ولأمر ما تأخر دخول الطريقة

(1) البرق، ع 17 (1927-7-04). مقالات العقبي، مرجع سابق، ج 1 ص 241.

(2) الشهاب، ع 65 (1926-11-4)، ج 2 ص 477. وعن رجوع العقبي لبلده انظر مريوش، نفسه، ص 66.

(3) صدى الصحراء، عبرة وذكرى لقوم يعقلون، ع 13 (1926-3-29)، عن قوبع، ص 340.

(4) مريوش، نفسه، ص 130.

(5) الشهاب، ع 104 (1927-7-7)، ج 3 ص 69.

(6) الشهاب، ع 152 (1928-6-21)، ج 4، ص 48.

(7) الشهاب، ع 87 (1927-3-10)، ج 2 ص 893. حماني، صراع بين السنة والبدعة، ج 1 ص 126.

للعاصمة حتى وسط العشرينيات⁽¹⁾، وقد اشتكى ابن عليوة من عدم ترخيص الإدارة له بفتح زوايا بالعاصمة، ولم يتم ذلك إلا بعد غلق جريدة لسان الدين⁽²⁾، وهي دلالة تحتاج لمزيد دراسة. ومن اللافت أن الجرائد كلها الإصلاحية والطرقية كانت تكتب منددة بظواهر عدم رسالية الرسميين، وكيف أنهم بعضهم يؤدي وظيفته ويخل بما سواها، كحال بعض المؤذنين الذين يؤذنون ولا يصلون⁽³⁾.

المطلب الثامن: آثار الصراع الإصلاحي الطرقي في العشرينيات.

1- تعديل المسار الطرقي نحو العلمية:

من أهم آثار المواجهات العلمية بين الطرفين جنوح الزوايا والطرق إلى مزيد الاهتمام بالدرس العلمي التأصيلي، والتسلح بالدليل كما يفعل الإصلاحيون، وهو ما لاحظته غريمهم العقبي الذي شهد تغير خط الطرق الطرقية، وقال: "إن الجرائد الطرقية أخذت تعتدل في سيرها وتعدل خطتها، وتكثر من ذكر الإصلاح والمصلحين.... أقول الحمد لله"⁽⁴⁾.

وهو ما وجدناه في بعض المكتوبات العلمية لبعض شيوخ الزوايا في الاهتمام بالتأليف والعودة إلى التصوف الصحيح، كما في ردود العلامة السعيد أهلول في رسالته "الرد على العوام"⁽⁵⁾ والتي كانت في الحقيقة ردا على العلويين الذين أوجبوا تلقين الذكر من قبل مقدمهم لمنتسبي الطريق، فكانت الرسالة مشحونة بالنقول المنتقدة لمتصوفة الوقت، ومستعدة أدبيات الأخصري في القدسية، وابن البنا المراكشي في المباحث الأصلية، ونافية لوجود الشيخ المري المؤهل، كما ملئت بالنقول العلمية من مدونات المالكية في قضايا القبض والسدل والتقليد والاجتهاد.

2- ظهور المعتدلين من الطرفين:

فتح الجدل الديني والعلاقات المتأرجحة بين الطرفين إلى ظهور أصوات معتدلة وأخرى محايدة، ومن أهم النماذج في الإصلاحيين أبو يعلى الزواوي الذي كان ذا صلة حسنة بالعلويين، وحسب شهادته فقد كانوا أقرب من غيرهم إلى الوثام والتقارب، حيث قال بأن: "صاحبي ابن عليوة.. أشهد الآن بين يديكم أنني ما عرضت وما أمرت ولا نهيت الشيخ العلوي إلا استحسن وسلم... ويخاطبني قائلا: إنك بنظيرتك السياسية والاجتماعية ننقاد إليك ونعمل بإشارتك، وما زال وما زلت طامعا في، وطامعا فيه، أي بأن نتفق على كتاب الله وسنة رسوله، وصرح لي أمام جمع أنه إذا ظهر لكم - معشر الإخوان - في الدين والوطن والجنس - أن نتفق على جميع ما يخص المسلمين والوطنيين ولم أر ولم اسمع من غيره من الشيوخ الذين عرفتهم إلا الصلح

(1) الشهاب، مقال "ابن عليوة المرباط العصري وصديق فرنسا" ع 142 (1928-4-12)، ج 3 ص 839. حماني، نفسه، ج 1 ص 318. والمقال لكاتب ألماني (ج ه بروبست من المجلة الأهلية ببرلين)، وتكلم فيه عن مضايقة الرحمانيين بالقبائل.

(2) غزالة بوغانم، الطريقة العلوية في الجزائر، ص 251.

(3) لسان الدين، مقال "نظرة تقتضي الأسف"، ع 8 (1923-3-20)، ص 2. نفسه، ع 9 (1923-2-27)، ص 2.

(4) الشهاب، ع 118 (1927-10-20)، ج 3 ص 390. مقالات العقبي، ج 1 ص 195.

(5) السعيد أهلول الورثاني، الرد على العوام القائلين بوجوب تلقين الأوراد على الكافة، مرجع سابق، ص 87.

وتصغير الخدود ومقتي بأني كافر بهم وببدعهم، وقلت لكم وما زلت أقول أنه يقول لكم: "مروا جميع رؤساء الطرق لنجتمع ونتفق على الموافق للكتاب والسنة ولالأمة"⁽¹⁾.

3- النهضة الأدبية:

وهي النهضة التي زهت بعشرات المقالات الأدبية الرائقة، والتي عفت على عقود من الانحطاط الأدبي والتقهر اللغوي الذي عرفناه في مكاتبات ومراسلات القرن التاسع عشر. مثل نماذج العرائض وعقود التوثيق وعروض الأمان مما هو مسطور في المكتوبات السياسية والصحفية والعلمية لذلك القرن البئيس.

والمطالع لمكتوبات الصحافتين الإصلاحية والطرقية يندعش لذلك الرقي الأدبي الذي صار إليه القلم الجزائري في صور مضاهية بل ومنافسة للقلم المصري، وهو ما لم يحظ بدراسات جادة لحد الساعة⁽²⁾.

فالتبسي يستعيد الأمثال العربية ويجيب المجاجي بقوله: "ألا ليعلم المجاجي أنه عدّ نفسه ريحا فقد لاقى إعصارا. أما جوابنا على شتائمك وما تتوعدي به من إظهار الأسباب التي لا تود أن تجرح عواطفنا بها، فبعد أن أذن لك في نشرها، وإن تأخرت فأنت الكذاب على وجه الأرض"⁽³⁾.

ومن نماذج تلك النهضة ظهور فن المناقضات الشعرية، فعندما نشرت المنتقد قصيدة "إلى الدين الخالص"، قالت: تحت هذا العنوان جاءتنا هذه المنظومة الإصلاحية للعلامة المرشد صاحب التوقيع، فحلينا بها صدر هذا العدد تبصرة وذكرى لقوم يؤمنون، والمنتقد يتحدّى بها كلّ ذي علم تحدّثه نفسه بمعارضتها إلى معارضتنا بصحيح الأدلة من الكتاب والسنة وكلام سلف الأمة، ويتكفل بنشر ما يردّ عليه من جميع المعارضين، ومن لم يفعل منهم وبقي يلغو في المجالس والحوانيت، فإنه يكون من الجبناء الكاذبين المفسدين⁽⁴⁾.

فرد أحد علماء سوف قصيدة "إرشاد الضالّين إلى سبيل أهل الحقّ المبين" ضمنها (64 بيتاً) ومن أبياتها قوله⁽⁵⁾:

يا رجال الدين يا أهل الرشاد -----يا ذوي التحقيق أهل الاعتقاد

يا ذوي التمكين يا أهل النهى -----يا ذوي التصريف في كلّ البلاد

بلغتنا في حماكم سبّةً -----حالتها زعزع فينــــا كلّ ناد

وشواهد هذه النهضة كبيرة نجدها في فن الردود والمناظرات، في الأركان الثابتة في الشهاب في "أقول وأقول"، وفي جريدة الإصلاح في مثل "أصحيح ما قيل"، أو كلمات مأثورة، سوانح الحكمة، أو في مقالات "مناظرة بين المصلح والمحافظ لعمر بن البسكري التي نُشرت تباعاً في الشهاب.

(1) أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة، مرجع سابق، ج 2، ص 80.

(2) حاول محمد ناصر ذلك وركيبي في الشعر وعبد المالك مرتاض.

(3) الشهاب، ع 124 (1-12-1927)، ج 3 ص 479.

(4) المنتقد، ع 8 (20-8-1925)، ص 135.

(5) موقع راية الإصلاح <http://www.rayatalislah.com/article.php?id=10>.

4- التمايز والاصطفاف:

لم ينصرم عقد العشرينيات إلا باصطفاف العلماء كتلتين متواجهتين، أو حزبين خصمين، سواء بالإظهار أو بالإضمار، والحق أن الإصلاحيين بصحافتهم الكثيرة دفعوا نحو هذا الاصطفاف، وقد عبر عن ذلك العقبي في قصيدة نارية في الذكرى السادسة لصدور الشهاب، وجاء فيها⁽¹⁾:

أولاء هم شر البرية سمهم----- فشركهم باد وكفرهم محض
سيهزم حزب الغي حيث تحزّبوا----- قضيتهم مهمّا تجمع القض
وينصر رب الناس أكرم فتية----- قد انتصبوا للخير فارتفع الخفض
أولئك هم خير البرية حزينا----- صحابتهم غنم وحيم فرض
سيسود وجه الجاحدين هداهم----- ووجه دعاة الخلق للحق يبيّض

كما أن هذا التمايز سيظهر حتى داخل الطرق الصوفية بين راغب في التجدد، وباق على السنن الأول، أو من يروم الحفاظ على نفوذه، ومنع الآخر من التمدد، ففي تعليل أحدهم بأن كره بعض علماء زواوة الرحمانيين لأبي يعلى الزواوي هو لمعارضته العلويين وإشادته بابن عليوة⁽²⁾، على الرغم من خلفية أبي يعلى الخلوتية، والأمر كذلك مع نفوذ التجانية أو الرحمانية بالشرق، وهو ما سندشه في العقد التالي.

5- توسع الخلاف إلى أقطار المغرب العربي:

توسعت رقعة الجدل الإصلاحي الطرقي إلى كل من تونس والمغرب، والمنطلق كان الجزائر، فها هي الشهاب تشيد بحملات الصحف التونسية على الطرق، وتنقل أن: "رصيفتنا السعادة تنكر على الطائفة العيسوية والحمدوشية⁽³⁾ في المولد والمهم أن أفعالهما خفّت كثيرا بتأثير الإصلاح"⁽⁴⁾. وفي تحذير من مصطفى بن شعبان التونسي من جريدة النجاح نقراً: "خصوصاً جماعة نجاح الطرق الذين أوقفوا أقلامهم على تحبيذ منكرات الزوايا وضلالات مشايخ الطرق ونفاق المتصوفين.... وجريدة النجاح من ثالثة تحبذ ما يصنعون، وكتابتها من رابعة يشنون الغارة على المصلحين"⁽⁵⁾.

وكتبت البلاغ محمد القباجي الإصلاحي المغربي الذي زعم في نظرها عدم رواج البلاغ عندهم لأنهم شهابيون⁽⁶⁾. واتهم الإصلاحيون العلويين باستعمال أذرعهم في المغرب لمنع الشهاب من دخوله، ونسبوا الأمر للشيخ عبد الحي الكتاني غريم الإصلاحيين، ولكن المنع سرى أيضاً على البلاغ من طرف المقيم الفرنسي؟ فقد كتبت البلاغ

(1) جريدة الإصلاح، ع 9 (6-1930). مقالات العقبي، مرجع سابق، ج 1 ص 294.

(2) البلاغ، محمد بن عمر البجائي "يسكنون بيوت الزجاج ويرمون غيرهم بالحجارة"، ع 14 (25-1927)، ص 2.

(3) الحمدوشية: طريقة تنسب لعلي بن حمدوش دفين جبل زهون، ومنه الدغوغيين المشهورين بضرب المدى والشواقيير.

(4) الشهاب، ع 115 (29-1927)، ج 3 ص 312.

(5) صدى الصحراء، بن شعبان مصطفى "يخربون بيوتهم بأيديهم"، ع 11 (1-1926)، قوبع، ص 135.

(6) البلاغ، كتاب مفتوح، ع 15 (1-1927)، ص 3.

مقالا "شمتوا فابتلوا"، وطربت البلاغ لمنع وحجر الشهاب من دخول المغرب بسعي من عبد الحي الكتاني، ثم منعت البلاغ أيضا فانقلبت الأفراح أتراحا"⁽¹⁾.

ولا ننسى أن السلطات الفرنسية كانت تتوجّس من كل تواصل مغربي، خاصة إذا علمنا بالروابط بين الخطابي في الريف بالعلاويين الذين ناصروه، وحيث كانت له مراسلات مع الشيخ ابن عليوة، وكاتبه الخاص كان علويا وهو الشيخ البغدادي الحسن التلمساني.

وفي هذا الإطار كان الفريقان يتبدلان أخبار نظائريهم في تونس والمغرب، فالشهاب تحتفي بالترقية القضائية لرئيس المصلحين شيخ الإسلام مولاي محمد بن العربي العلوي⁽²⁾، وأما الطرقيون في المغرب فقد كتبوا منددين بتقي الدين الهلالي الذي نشرت له الشهاب ولتلميذه المسى "مسلم غيور"، وأرسلوا مقالاتهم في جهود عبد الحي الكتاني في نقض مقالات الهلالي وجماعته⁽³⁾، كما كاتب أحمد سكيح البلاغ منددا بأكل لحوم الصوفية، ونصح الجميع بالابتعاد عن السياسة حتى لا تسد الأبواب⁽⁴⁾.

وفي انتشار شرر الخلافات في أقطار المغرب يُرجع الإصلاحيون السبب في نفي "محمد غازي" عن فاس وعن إدارة المدرسة الناصرية بسبب مقال كتبه إثر الاعتداء على ابن باديس، ونشرته الشهاب بعنوان "لا تخف إنك أنت الأعلى"، وكان هذا التدخل بالنفي بضغط من عبد الحي الكتاني حسب رواية الإصلاحيين⁽⁵⁾.

وفي إطار الدفاع عن سنيّة الشيخ العلاوي استنفر الصوفيون أمثالهم من تونس والمغرب لجمع شهادات تعديلية للشيخ وتراثه، وأشرف عليها محمد بن عبد الباري التونسي، وأنتج عن ذلك أكبر موسوعة تقرّظية سميت بالشهائد والفتاوي، من الأقطار الثلاثة وجمعت فيها العشرات من شهادات العلماء والأعيان، كما انثالت على العلاوي مدائح صوفية من معاصريه وأحبابه بالمغرب، ومنها همزية الشيخ عبد الحفيظ الدكالي⁽⁶⁾.

6- استدعاء الأوضاع الطرقية المماثلة في المشرق:

استدعى الإصلاحيون مصاير الطرق في المشرق وخاصة في مصر والحجاز وتركيا، ففي هذه الأخيرة ناصر الطرقيون خط الخلافة وبقائها وهاجموا الانقلاب الأتاتوري، ولكن الإصلاحيين تماهوا مع الخطة الحديثة لأناتورك في تحرير الإسلام في نظرهم من الأثواب البالية التي ألبسها إياه الطرقيون، وفي هذا المجال نقلت الشهاب أخبار ثورة الطريقة النقشبندية ضد أتاتورك، وذلك لأنه أغلق التكايا وأمر رجال الطريقة بلبس القبعة، والتكسّب من حرفة أخرى، وذلك سنة (1925)، فقام دراويش الطريقة بثورة ضده، مما جعله

(1) الشهاب، ع 110 (1927-8-18)، ج 3 ص 200. وانظر مقال "شماتة كاذبة وسعاية خائبة" الشهاب، ع 104 (1927-7-7)، ج 3 ص 79.

(2) الشهاب، ع (ذو القعدة 1347/أفريل 1929)، ج 5 ص 140.

(3) البلاغ، عبد الأحد بن عبد الحي الكتاني، "إن الله يدافع عن الذين آمنوا"، ع 16 (1827-4-15)، ص 2، أضاميم، ج 1 ص 272. سكيح، "ماذا ينكر المنكر من أحوال متصوفة الزمان"، ع 10 (1927-2-26)، ص 1، أضاميم المد الساري، مرجع سابق، ج 1 ص 281.

(4) البلاغ، ع 9 (1927-2-18)، أضاميم المد الساري، ج 1 ص 276.

(5) حماني، صراع بين السنة والبدعة، ج 1 ص 341. والمقال في الشهاب ع 99 (1927-6-2)، ج 2 ص 1125.

(6) عبد الله التباع البيضاوي، مطالع اليقين في مدح الإمام المبين، مرجع سابق، ص 29.

يقمعه بقوة، وقالت الشهاب بأن الطريقة يرأسها قطب الأقطاب " الذي يزعم أنه يرى الله جهرة؟ وكانت النتيجة إعدام (29 شخصا)، وأن القطب مات في سجنه هلعاً، وكتب يعتذر لكمال مرات كما قالت الشهاب، ولكنها استدركت على قساوة الحكم، ورأت أن الإعدام يجب أن ينال مدبري الفتنة لا كل المسجونين⁽¹⁾. والأمر ذاته في استجلاب المقالات المؤيدة للتصوف والطرق والناقدة له ولها في كل من مصر والشام والحجاز.

7- توسع الاهتمامات المذهبية:

وذلك بفتح النقاش العلمي حول العبدوية، الوهابية، الإباضية، القاديانية، والبهائية، فالطريقون هاجموا جريدة الإصلاح للعقبي، وسموها وهابية، بل إن بعضهم يعتبر تأخير تأسيس الجمعية بسبب بعض الدعوات المتطرفة لتكفير وتبديع شيوخ الطرق⁽²⁾.

وداخلها تابعت الشهاب حركة الإصلاح الإباضي في ميزاب، وغطت تأسيس جمعية الإصلاح بغرداية⁽³⁾، والتي كانت تشهد خصومات متصاعدة بينها وبين المحافظين-الجامدين بلغة إصلاحي الإباضية-، وقدمت تعزيزها "إلى الشعب الميزابي المجيد" ورئيس جمعية الإصلاح بغرداية سليمان بن أبي نوح في وفاة الشاعر رمضان حمود⁽⁴⁾. وتميزت العلاقات ببعض الفتور في أعقاب محاولة اغتيال ابن باديس بسبب استعمال بعض الإصلاحيين كلمة "ابن ملجم القرن العشرين" في إشارة إلى اغتيال علي بن أبي طالب من قبل ابن ملجم الذي يتولاه أوائل الإباضيين⁽⁵⁾. وزاد من هذا الفتور الموقف المعتدل من قضية آذان غرداية كما سبق.

المطلب التاسع: الموقف الفرنسي من الإصلاحيين والطرقيين.

تمايز الموقف الفرنسي، وعرف بتحولاته الكثيرة، فهو من جهة لا يزال يخاف من الزوايا حاضنة الإسلام الجزائري المقاوم، ومن جهة أخرى لم يسر أغوار الإصلاحيين الذين بدوا في البدايات نخبة متنورة يمكن أن تكون نسخة عن النخب المصرية المهادنة للاستعمار البريطاني، ونستجلب هنا رأي سعد الله في تقييم الزريبي: "ربما كان صوت الزريبي مفيداً للإدارة لأنها كانت تخطط لإحلال فئة متنورة من الأهالي محل الفئة المتعصبة القديمة أي الصوفية"، ويمكن تمييز المواقف الفرنسية كالآتي:

1- تجاه الإصلاحيين:

لم تسر السياسة الفرنسية على نمط وخطط ناظم للعلاقة مع الإصلاحيين، ففي حين سمحت لمدارسهم ومساجدهم بالعمل، ولصحافتهم بالظهور، لكنها كانت تتوجس خيفة من انتشارها، ولذلك كانت منشوراتهم تحت الرقابة، وأحياناً تحت التضييق، وعلى الرغم من وضوح المسلك السياسي والمهادن للمستعمر نظراً للظروف القاهرة، وهو ما خطه ابن باديس من أول صحيفة أسسها وهي المنتقد التي قال عنها: "برزت جريدة المنتقد تحمل هذا وتلفت الجزائريين المسلمين إلى حقيقة وضعيتهم بين الأمم بأنهم أمة لها قوميتها ولغتها

(1) الشهاب، (ع شوال 1349 / مارس 1931)، ج 7 ص 135.

(2) العقون، نفسه، ج 1 ص 166.

(3) الشهاب، ع 158 (2-1928)، ج 4 ص 167.

(4) الشهاب، مقال "إلى الشعب الميزابي المجيد" ع (شعبان 1348 هـ-جانفي 1930)، ج 5 ص 646.

(5) انظر مقال المبلي ورده على عدة بن تونس في الشهاب، ع 86 (3-1927)، ج 2 ص 875.

ودينها وتاريخها، فهي بذلك أمة تامة الأهمية لا ينقصها شيء من مقومات الأم، وأنهم إلى ذلك مرتبطون بأمة عظيمة ذات تاريخ مجيد ومدنية راقية وحكومة منظمة، وأن عليهم أن يراعوا هذا كله في حياتهم فيحترموا قويمتهم ولغتهم ودينهم وتاريخهم والأمة التي هم مرتبطون بها والحكومة التي هم مسيرون بقوانينها⁽¹⁾.

وعلى الرغم من الموقف المهادن المعلن، فقد شكّا ابن باديس من صغار المسؤولين في بسكرة الذين يدوسون على قوانين فرنسا⁽²⁾. كما أن الحاكم العام "موريس فيوليت" منع ابن باديس من إلقاء خطبة بمسجد تلمسان أثناء زيارته لها يوم (28-7-1927)⁽³⁾.

ويسجل العقبي أيضا مبكرا خط المهادنة مع الحكومة: "نريد العلم ونحب رجاله، ونرغب في نشر الأخلاق الكاملة بين شعبنا الذي لبث كل هذه المدة فقيرا منها، ونود العمل على إبعاده... ويتم لنا في كل زمن بمساعدة فرنسا نفسها، ومناصرة الأحرار من أبنائها المنصفين"⁽⁴⁾، بل صرّح في مقال "هل أنا عدو فرنسا" إلى التعاون معها ومناصرتها: "فلتعلم الحكومة وهي التي تغار على الإنسانية، وتشفق على المستعبد، وتحاول إخراجهم من رقهم إلى فسيح الحرية والعدالة أننا أنصارها وأعوانها والعاملون بحق على تأييد هذا المبدأ الحق، ونشر الفضيلة الإنسانية والحرية بين عباد الله"⁽⁵⁾. ولكن الموقف الفرنسي كان راصدا لم يستكمل رؤيته تجاه الإصلاح حتى الثلاثينيات.

2- تجاه الطريقين:

بعد أربعين سنة طويلة من التدجين والإسكات والشراء والنفي والتهجير وتجفيف الموارد تربع على عديد الزوايا شيوخ لم يكونوا كأسلافهم في الأنفة والقوة العلمية والاجتماعية، فكان بعضهم أدوات طيعة أو ساكنة أو محايدة أو مؤيدة، مما جعلها تكسب الرضا والسكوت والاحتفاء من الإدارات المدنية والعسكرية الفرنسية. ولأجل ذلك كان بعض الإصلاحيين يعملون من داخل الجلباب الطرقي خوفا من بطش الإدارة، وهذا العمل تمثل في حده الأدنى في تعليم القرآن الكريم ومبادئ الدين للناشئة، وقد ذكر حمزة بكوشة بأن بعضهم كان: "ينتسب إلى طريقة من الطرق الصوفية يحتمي بها، وتحتفي به، وينتسب إليها وتنتسب إليه سواء كان ذلك منه عن إيمان واعتقاد أو عن تقية أو مجارة للعوام الذين من أصول اعتقادهم أن من لا شيخ له فالشيطان شيخه"⁽⁶⁾.

كما اتهم الإصلاحيون صراحة الإدارة الفرنسية بأنها تدعم ماليا الصحف الطرقية، والصحف المحسوبة عليهم، كالنجاح التي قالوا بأنها تتغدى من "الصندوق الأسود"، وتتمعش على اشتراكات القياد والأئمة

(1) الشهاب، ع (جمادى الأولى 1353 - أوت 1934)، ج 10، ص 370. آثار ابن باديس، مرجع سابق، ج 4 ص 352.

(2) المنتقد، ع (11-9-1925)، ص 229.

(3) بوصفصاف، نفسه، ص 196.

(4) صدى الصحراء، ع (7-9-1927). مقالات العقبي، ج 1 ص 28.

(5) الشهاب، العقبي، "هل أنا عدو لفرنسا"، ع 105 (14-7-1927)، ج 3 ص 90. مقالات العقبي، ج 1 ص 161.

(6) علي غنازية، العلامة إبراهيم العوامر، ص 11 نقلا عن بولحية، نفسه، ص 126.

الرسميين وشيوخ الزوايا، وأنها رغم انطلاقاتها الوطنية فقد انحرفت إلى الغواية الفرنسية، وباعت أسرار الكاتبيين فيها⁽¹⁾.

وليس الأمر على إطلاقه، ففي بعض القراءات أن فرنسا اشترطت توقيف صحيفة لسان الدين للسماح للطريقة العلوية بفتح زواياها في العاصمة بعد رسالة وجهها ابن عليوة بطلب الترخيص من الولاية العامة، وانتهى الأمر كما قال بأن الحكومة: "سمحت بالاجتماع مع إسقاط الجريدة، وحصل الوفاق عن كره"⁽²⁾.

لم تكن الرؤية الفرنسية راضية كل الرضا عن الطريقين باعتبارهم عقبة كأداء أمام التطور التي ترعاها العلمانية الفرنسية، ومن حيث عدم ترحيهم بالحضارة الغربية، ففي مقال لأحدهم عن ابن عليوة قال: هذا العالم الروحي العظيم يبث في أتباعه، وهم يفوقون المائتي ألف في سوريا واليمن وطرابلس وتونس والجزائر والمغرب حب بلادنا فرنسا على قلة المرابطين المسلمين الذين يؤيدون فرنسا"⁽³⁾، وفي ذات المقال الذي يعكس الرؤية الفرنسية يتكلم عن استمرارية نقد طرق القرن الماضي المناوئة لفرنسا كالمقراني وابنه سي عزيز، ويدعو إلى دعم الطرق الجديدة التي أسسها المرابطون الجدد، الذين إذا حسن استعمالهم، كانوا خير عون في سبيل الترقى الأدبي في الأوساط الأهلية.

والحق أن الطرفين كليهما أدركا وجوبية التغيير ودق ناقوس الخطر على الدين واللغة بسبب العتو الفرنسي الذي بدأ يستعدّ للاحتفالات المئوية في الجزائر، ويعقد مؤتمر القربان المقدس في قرطاج استفزازا لمشاعر المسلمين، ويثث الشر بإصدار الظهير البربري في المغرب لإتمام عملية التفريق بين الساكنة ومحاصرة ما بقي الشريعة⁽⁴⁾.

نتائج الفصل:

أ- الدورة التاريخية، تراجع الطريقين وبروز الحركة الإصلاحية وريادتها العلمية حتى بداية الثورة⁽⁵⁾.
ب- اختلاف الرؤيتين، واحدة تنظر إلى الماضي لتحافظ عليه، والأخر تريد تجاوز عقبات الحاضر بأسلحته، ولذلك كان الخلاف بينهما شديدا: "الإصلاحيون هم خريجو الزيتونة والخلدونية والأزهر والقرويين، متأثرين بفكر النهضة المشرقي ويعتمدون فكرة التمدن، ويعتمدون على الشباب لتلقي العلوم الشرعية من أجل الحفاظ على الهوية، ولذا عارضوا التجنيس، وأرادوا قيادة الجماعة الإسلامية، أما الطريقيون فيعتمدون على إسلام العادات وتقديس الموتى ورغبات المرابطين، ولقلة فعاليتها فقد زاد الإعراض عنها والإقبال على الإصلاحيين"⁽⁶⁾.

(1) حماني، نفسه، ج 1 ص 136. حيث قال بأن ابن باديس كان يكتب فيها باسم "العبي" أو "عنتر" ومرات باسمه الصريح، وإن إدارة النجاح أبلغت فرنسا بذلك مما جعله يستقل عنها بالشهاب وبمطبوعته التي التحق بها "ابن القشي" أيضا، ولم يستنكف حماني عن رمي مامي إسماعيل "ابن عبيد" بكونه ناكثا كافرا بنعمة ابن باديس عليه.

(2) ابن عليوة، أعذب المناهل، مرجع سابق، ص 163. بوغانم، نفسه، ص 251.

(3) الشهاب، ع 142 (12-4-1928)، ج 3 ص 839. حماني، نفسه، ج 1 ص 319.

(4) بن يوسف بن خدة، جنود أول نوفمبر، ص 70.

(5) سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 341.

(6) Addi lhouari- L'impasse de populisme d'Algérie collectivité politique et état en construction. P31

ج- رجال السلك الديني كانوا سلبيين تجاه التطورات الصاعدة، وظلوا طيعين للإدارة، حتى أن بعضهم حضر الاحتفالات المئوية للاحتلال، كما فعل إمام الجامع الكبير الشيخ دحمان حمود⁽¹⁾.

د- التغير في الرؤية والتطبيق التربوي، فبعدما كانت الطرق ترعى تربية جماعية للشعب على ما فيها من دخن أو أخطاء إلا أن ذلك حافظ على التوازن الروحي، وهو ما سجله مالك بن نبي: "إذا أردنا الحقيقة على وجهها الكامل، يجب أن نقول إن الإسلام لم يفقد سلطانه الروحي في (عنابة) في تلك الفترة، وإنما نراه كأنه هاجر إلى البيوت المتواضعة التي كانت حياتها الروحية في *فلك زاوية* (بن عليوه)، وهناك يشار إليه بأصبع الريبة من طرف المصلحين ولا تطمئن إليه السياسة الاستعمارية"⁽²⁾.

هـ- تعتبر علاقات العشرينيات الممهد الأكبر للذروة في الخلاف بين التيارين في العقود التالية وخاصة الثلاثينات، وستأخذ طابعها المؤسسي مع إنشاء الجمعيات المحلية والوطنية وحتى المغاربية كما سيأتي.

(1) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 383.

(2) مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، مرجع سابق، ص 284.

الفصل الثالث

العلاقات الإصلاحية الطرقية في الثلاثينيات (1940-1931)

المبحث الأول: الإصلاحيون في الثلاثينيات (1940-1931).

المبحث الثاني: الطرقيون في الثلاثينيات (1940-1931).

المبحث الثالث: الجدول الإصلاحي الطرقي في الثلاثينيات.

المبحث الرابع: تجليات العلاقات الإصلاحية الطرقية في
الثلاثينيات.

المبحث الأول: الإصلاحيون في الثلاثينيات (1931-1940).

سنتناول في هذا المبحث الواقع الفكري والعملي للإصلاحيين، وخاصة المنضوين تحت جمعية العلماء، معرجين على أنشطتهم ومؤسساتهم، وحركتهم الفاعلة في الواقع، وعلاقاتهم واهتماماتهم السياسية والمجتمعية، وأهم شخصياتهم.

المطلب الأول: الخطوط الفكرية للإصلاحيين.

حدد الإصلاحيون خطوط دعوتهم في إطار الإصلاح الديني البحث، فدعوتهم المعلنة بالأساس دعوة دينية فقط، كما قال العقبي "إن دعوتنا الإصلاحية -قبل كل شيء وبعده- هي دعوة دينية محضة لا دخل للسياسة فيها البتة"⁽¹⁾، أو ما لخصه محمد خير الدين بقوله: "إن أهداف جمعية العلماء تتمثل في إحياء الإسلام بإحياء الكتاب والسنة، وإحياء اللغة العربية، وآدابها، وإحياء التاريخ الإسلامي، وأثار رجاله الغر الميامين"⁽²⁾، وأهم مرجعياتهم هي الآتي:

1- المرجعية العقائدية:

توضحت المرجعية العقائدية في الأصول العشرين، وما يهمنها فيها هو الأصل السابع المتعلق بالبدع⁽³⁾. مع ملاحظة أن التواضع على هذه الأصول كان متأخرا عن التأسيس الفعلي للجمعية بست سنوات. يقول ابن باديس: "إن الإسلام إنما هو في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وما كان علمها سلفها من أهل القرون الثلاثة المشهود لها بالخيرية على لسان الصادق المصدوق، فعمدنا ندعو الأمة إلى الرجوع إلى هذه الأصول وطرح ما يخالفها من قول وعمل واعتقاد"⁽⁴⁾.

ومن أهم الكتب المذهبية في هذا المجال "رسالة الشرك ومظاهره" لمبارك الميلي، وقد نُشرت في مقالات متسلسلة خلال أحد عشر شهرا في جريدة البصائر بين (العدد 5 الصادر في 31، جانفي، 1936)، و(العدد الأربعين الصادر في 27 نوفمبر 1936) أيام إدارة العقبي لها. ثم صدرت كاملة في كتاب مطبوع سنة (1937)، وكانت قمة العطاء المذهبي لجمعية العلماء فيما يخص التقاليد العقدية والتطبيقات الصوفية في قضايا القبور والوعادات والوسيلة والاستغاثة والنذور والمشيمة، وقد اعتمدها المجلس الإداري للجمعية كوثيقة مذهبية لها، وما جاء في تقديم التبسي لها: "إن ما اشتملت عليه رسالة الشرك ومظاهره ... هو عين السنة، وإن هذه الرسالة تعد من الكتب المؤلفة في نشر وردع البدع، ولذلك قرر المجلس الإداري بالإجماع أحقية ما اشتملت عليه هذه الرسالة العلمية المفيدة، ويوافق المجلس مؤلفها على ما فيها ويدعو المسلمين إلى دراستها والعمل بها فيها، فإنه العمل بالدين"⁽⁵⁾.

(1) جريدة السنة، مقال "نهضة الجزائر ودعوتها الإصلاحية" ع 2، (17-4-1933)، ص 1. مقالات العقبي، مرجع سابق، ج 1 ص 313.

(2) سجل جمعية العلماء (المؤتمر الخامس)، مرجع سابق، ص 176.

(3) الشهاب (ع ربيع الثاني 1356 - جوان 1937) ج 13 ص 197.

(4) السنة النبوية، ابن باديس "بواعثنا، عملنا، خطتنا، غايتنا"، ع 1 (8 ذو الحجة 1351 - أفريل، 1933)، ص 1.

(5) الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، مرجع سابق، ص 7.

وتبرز القيمة الفكرية للرسالة أنها تصوير واقعي للميدان الثقافي الديني الذي كانت تحياه الجزائر بين الحربين⁽¹⁾، وهو ما عبّر عنه مالك بن نبي: "وبالفعل فقد خمدت نيران أهل الزردة، وزالت عن البلاد حمى الدراويش، وتخلّصت منها الجماهير، بعد أن ظلت خمسة قرون ترقص على دقات البنادير، وتبتلع العقارب والمسامير، مع الخرافات والأوهام"⁽²⁾.

2- الاعتناء بالأصول المصدريّة:

ولتطبيق هذه الرؤية عمد ابن باديس إلى الاهتمام بالأصول فكان اشتغاله على تفسير القرآن وشرح موطأ مالك، في رد مبطن على خصومه بالتنكّر للمذهب المالكي، وفي هذا المضمّار أبرز الإصلاحيون قدراتهم، وشهدت الجزائر حدثين مهمين في أواخر حياة ابن باديس هما:

أ- ختم التفسير: وكان يوما مشهودا في قسنطينة، وكتب عنه الإبراهيمي مقالة بليغة⁽³⁾. وخصصت الشهاب عددا رائعا عن احتفالات ختم التفسير⁽⁴⁾، والذي كان مناسبة جلييلة لاستعراض قوة الإصلاحيين.

وفي هذا كان اعتناء الإصلاحيين بتفسير المنار كبيرا جدا، يقول حماني: "وإن تفسير المنار الذي اشترك في إنتاجه محمد عبده ورشيد رضا، وكان الفضل الأكبر للثاني في إخراجه لم يأت تفسير قبله ولا بعده على مثاله، وقد كان له الأثر الكبير في النهضة الإسلامية واليقظة الشرقية والحركة القومية السياسية المبنية على الدين الصحيح السليم من البدع والخرافات ومن الجحود والجمود"⁽⁵⁾. وإلى العهد القريب والحاضر ظلّ هذا التفسير المصدر الأول للإصلاحيين في دروسهم وتآليفهم في الدرس التفسيري⁽⁶⁾. كما برز من مفسري الجمعية التبسي، والإبراهيمي الذي ختم نصف التفسير بتلمسان، وحضر الحفل ابن باديس سنة (1939)⁽⁷⁾.

ب- ختم موطأ للإمام مالك لابن باديس، وقد نشرت الشهاب تقريرا عنه من تغطية عبد الرحمان الجيلالي، وأفضى الختم بقسنطينة إلى احتفالات كبيرة، وقد احتفي بذلك كأجمل تظاهرات المدرسة الإصلاحية⁽⁸⁾.

كما أن الخط الحديثي التأصيلي كان ديدنا لكل رجال الإصلاح، حيث باغتوا الدرس الفقهي بتأصيله حديثا في مماهة للنهضة السلفية في المشرق، بل إن بعضهم أعلن تمرده على التقليدية المدرسية الفقهية، فهذا أبو يعلى يقول: "وإني أعلنت أني سلفي، وأعلنت أني تبرأت من كل ما يخالف الكتاب والسنة، ورجعت على كل قولة قلتها لم يقلها السلف الصالح"⁽⁹⁾. ولكن هذا الخط السلفي لم يكن سمة عامة للجميع، فباستثناء العقبي وأقل منه أبو يعلى كان البقية أوفياء للميراث المالكي، فمحمد خير الدين يحكي أنه بعد انتقاله

(1) محمد الميلي، الشيخ مبارك الميلي، مرجع سابق، ص 128.

(2) مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 28.

(3) الشهاب، ع (جوان-جويلية 1938)، ج 14 ص 174. الإبراهيمي، آثار الشيخ الإمام، ج 1 ص 318.

(4) الشهاب، ع (ربيع الثاني وجمادى 1357، 1-جوان، جويلية 1938)، ج 14 ص 171. علي مراد، الحركة الإصلاحية، مرجع سابق، ص 348.

(5) حماني، صراع بين السنة والبدعة، مرجع سابق، ج 1 ص 51.

(6) محمد عبد الحليم بيثي، الدرس التفسيري في الجنوب، الشيخ الأخضر الدهمة نموذجاً، البصائر، (2018-10-17).

(7) البصائر، ع 180 (25-8-1939)، آثار الإبراهيمي، ج 1 ص 387. مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان، ص 169.

(8) علي مراد، نفسه، ص 264. الشهاب (ع رجب 1358-أوت 1939)، ج 15 ص 346.

(9) الشهاب، (محرم 1355-أفريل، 1936)، ج 12 ص 51.

للعاصمة لتنشيط شباب المؤتمر الإسلامي بأشر إلقاء دروس فقهية من رسالة ابن أبي زيد القيرواني، مما جعل العقبي يمتنع منه، ويقول إن هذه الدروس لا تخالف دروسه التي اختط فيها منهج حديث "صلوا كما رأيتموني أصلي"⁽¹⁾.

3- البعد عن السياسة:

وهو ما خطته قوانين الجمعية، ولكنها عدلت عن ذلك مع مر الزمن في مؤتمر (1936)، فمن الأدبيات الأولى ما قاله ابن باديس: "لا يسوغ لهذه الجمعية بأي حال من الأحوال أن تخوض أو تتدخل في المسائل السياسية"، وقال أيضا: "إن جمعية العلماء قد صرحت في ظروف وفرص مختلفة، ولا زالت تصرح وتؤكد أنها بريئة من كل صبغة سياسية"⁽²⁾، وأنها اختارت أولوية لها الخطة الدينية على السياسية لمناسبتها لتكوين الإصلاحيين: "اخرنا الخطة الدينية على غيرها عن علم وبصيرة وتمسك بها وهو مناسب لفطرتنا وتربيتنا من النصيح والإرشاد وبث الخير والثبات على وجه واحد والسير في خط مستقيم"⁽³⁾. وكما يرى البعض أن تلك التأكيدات والتظاهرات والتحفظات ما كانت إلا للتخطي سطوة الاستعمار⁽⁴⁾. ولكن هذا الدعوة سرعان ما تعدلت مع التغيرات السياسية في منتصف الثلاثينيات وصعود الجبهة الشعبية، فقد صرح ابن باديس: "لا بد لنا من الجمع بين السياسة والعلم، ولا ينهض العلم والدين حق النهوض إلا إذا نهضت السياسة بجد..."⁽⁵⁾، وهو ما جعل البعض يجعل اتجاه الجمعية للسياسة إجباريا بحكم التطورات⁽⁶⁾. والظاهر أن تلك العبارات ما كانت إلا حيلة لفظية لدخول المجال السياسي، ولم تغير من الواقع المتسيس للجمعية، والحق أن الإصلاحيين كانوا يستبطنون الهم السياسي، ويعبّرون عنه بالأسلحة الثقافية، ومع الانفتاح الذي أعقب تأسيس المجلس الجزائري (1947) صرح الإبراهيمي بكونهم سياسيين لأن السياسة من مقتضى العقيدة⁽⁷⁾، والمهم أن الخطة العامة لعمل الإصلاحيين ثقافيا وسياسيا عبّر عنها بقوة الإبراهيمي كخلاصات للنقاشات الداخلية لدوائر الإصلاحيين، والتي استقرت على الآتي⁽⁸⁾:

1- تنظيم حملة جارفة على البدع والخرافات، بواسطة الخطب والمحاضرات ودروس الوعظ والإرشاد في المساجد والأندية والأماكن العامة والخاصة، حتى في الأسواق، والمقالات في جرائدنا الخاصة التي أنشأناها لخدمة الفكرة الإصلاحية.

2- الشروع العاجل في التعليم العربي للصغار في المتاح من الأماكن، ربعا للوقت قبل بناء المدارس.

(1) ابن العقون، الكفاح القومي السياسي، مرجع سابق، ج 2 ص 18.

(2) آثار ابن باديس، مرجع سابق، ج 3 ص 93 وج 3 ص 432.

(3) ابن باديس، المرجع السابق، ج 5 ص 173.

(4) سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1930-1945)، مرجع سابق، ج 3 ص 87.

(5) الشهاب، ابن باديس "الحركة العلمية والسياسية في القطر الجزائري الشقيق (جمادى الأولى 1356 - 10-7-1937)"، ج 13، ص 260. وبعد هذه المحاضرة تقدم الشاذلي المكي رئيس جمعية الطلبة الجزائريين وقبل رأس ابن باديس.

(6) محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ج 1 ص 332؟

(7) آثار الإبراهيمي مرجع سابق، ج 4 ص 260.

(8) آثار الإبراهيمي، ج 5 ص 282. وانظر الورثاني، الجزائر الثائرة، مرجع سابق، ص 138.

3- تجنيد المئات من تلامذتنا المتخرجين، ودعوة الشبان المتخرجين من جامع الزيتونة للعمل في تعليم أبناء الشعب.

4- العمل على تعميم التعليم العربي للشبان على النمط الذي بدأ به ابن باديس.

5- المطالبة برفع يد الحكومة عن المساجد والمعاهد التي استولت عليها، لاستخدامها في التعليم.

6- مطالبة الحكومة بتسليم أوقاف الإسلام التي احتجزتها ووزعتها على معمرها، لتصرف في مصارفها التي وقفت عليها، وكانت من الكثرة بحيث تساوي ميزانية دولة متوسطة.

7- مطالبة الحكومة باستقلال القضاء الإسلامي في الأحوال الشخصية مبدئياً.

8- مطالبة الحكومة بعدم تدخلها في تعيين الموظفين الدينيين

ومن المهم أن المطالب الخمسة الأخيرة كانت المدخل الذي دخل منه الإصلاحيون الحلقة السياسية، وصاروا قوة مرجحة في نهاية الثلاثينيات، مما يؤكد البعد السياسي لعملهم، وهو ما سيعودون إليه بقوة في الأربعينيات. اللهم إلا إذا استثنينا مواقف العقبي التي كانت تحبذ دوماً البعد عن السياسة⁽¹⁾.

من اللافت أن الإصلاحيين ظلوا على المراوحة بين خطي التغيير المختلفين منذ العشرينيات، وهما: الاشتغال عن بعد بالقضايا السياسية، والاهتمام بالتعليم وتكوين جماعة متعلمة إصلاحية عالية الثقيف، والتي ستقوم بدورها في حرب البدع، وإسماع العامة صوت الحق: "لأن البدع والمنكرات قد تغلغلت في الأمة وطال عليها الأمد، وشاب عليها الوالد وشبَّ الولد، فلا بد من صيحة مخيفة ورجة عنيفة تصدّع بنيانها وتزلزل أركانها، وتضعف في النفوس هيبة أهل الباطل ورهبتهم⁽²⁾". وهو الرأي الذي غلب على سلوك الكثير، وخاصة في الإعلام الصحفي.

المطلب الثاني: الإصلاحيون وتأسيس جمعية العلماء.

أولاً- الدعوات المبكرة للتأسيس:

يتنافس الإصلاحيون والطرقيون في أولية الدعوة إلى تأسيس جمعية علمائية تلم الشعث الديني، ولكن حتى الدعوة قديمة ولها جذور قبل ذلك، من أوائل الداعين للتأسيس:

1- ابن باديس: بالتأمل التاريخي فإن ابن باديس هو البذرة الذي تناسلت منها الجهود والتي أثمرت تأسيس الجمعية، لأنه أول من باشر عملاً تعليمياً إصلاحياً عقب عودته من الحجاز (1332هـ-1914)، وقد رام تنويع العمل بتأسيس جمعية الإخاء العلمي (1924) التي لم تتم ولادتها، إلا أن ابن باديس ومنذ افتتاحه لعهد الصحافة الإصلاحية لم يكفّ تصريحاً ولا تلميحاً عن ضرورة تأسيس هيئة جامعة للعلماء، في مسارعة بيئة تكون سداً أمام النخب الاندماجية وبقايا الفتيان من اختطاف الشعب عن هويته إلى أخرى مستوردة أو

(1) انظر علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، مرجع سابق، ص 110.

(2) سجل جمعية العلماء (المؤتمر الخامس)، ص 50. وحتى ابن باديس الذي لم يكن يحبذ زج الجمعية في الصراع السياسي البين، فقد راسل العقبي منتقداً إياه كونه رئيس تحرير البصائر التي نشرت في العدد (10-4-1936) قصيدة سياسية محضة لمحمد العيد " إلى لجنة البحر العليا من جديد". انظر الطيب العقبي وعبد الحميد بن باديس، مراسلات وأحداث، مرجع سابق، ص 106.

هجيئة، من جهة أولى، ومن جهة أخرى استباقا لما يمكن أن يكون مباغته من العلماء الرسميين أو الطريقين، وذلك في مقالات عديدة منها:

أ- الدعوة الصريحة القديمة التي جاء فيها: "أيها السادة الأدباء المؤيدين للإصلاح، المتواجدين في مناطق متفرقة مختلفة في الجزائر، هلموا، اتحدوا وتعاونوا، وأسسوا حزبا وثيقا، من أجل تنقية الدين من الشوائب والبدع التي لحقت به من السذج والجاهلين، وذلك بالرجوع إلى المصادر القرآنية، وأحاديث الرسول، وتقاليد القرون الثلاثة الأولى، نحن نتمنى أن يقبل كل شخص هذا الاقتراح، وأن يلبي نداء العلماء ومؤيدي الإصلاح الذين يؤيدون هذه الصحيفة، وأن يغادروا أفكارهم القديمة، وإذا حصلنا على شهادة استحسان وقبول من عدد كاف، سنشرع في تكوين الحزب، والله الموفق"⁽¹⁾، ولكن هذا النداء تعثر وتأخرت الاستجابة له في عقابيل محاولة اغتياله.

ب- مقال ونداء "هل من حازم يوفق لتأسيس جمعية العلماء فينال جائزة مالية مع تخليد الذكر"⁽²⁾.

ج- مقال "جمعية العلماء كيف يجب أن تكون، وماذا ينتظر منها"⁽³⁾.

والحق أن الرجل كان جديرا بالتأسيس: "فمما لا شك فيه أن زعامة ابن باديس جاءت في محلها، وأن قيادته تعبر عن خطة مدروسة وعن حيوية دينامية، وهي إحدى النماذج لأولئك المثقفين الجزائريين الذين لا وجود الزمن بهم إلا نادرا، ولولاه لما عُجل بميلاد الجمعية، ولذلك اعتبر ابن باديس هو مهندس الجمعية"⁽⁴⁾، وقد أراد إبعاد احتكار الإصلاح لها، وجعلها تشمل كل علماء القطر الجزائري.

2- الشيخ العربي التبسي: وهو من الأوائل الذين نادوا بضرورة العمل الجماعي للتصدي للمسوخ الفرنسي الجارف، كيف لا هو والذي درس بالأزهر، ورأى قوة الحركة الوطنية المصرية وأذرعها القوية من جمعيات ونواد وصحافة، وخاصة بعد ثورة (1919)، فقد كتب في النجاح سنة (1925) مقال "هذه جزائركم تحتضر أيها الجزائريون فأنقذوها" ومما جاء فيه: "فهبوا بنا إلى العمل متضامنين مجتمعين، ويد الله مع الجماعة، والخير فيما رأت الأمة، ومن قدر أن ينفع أخاه فليفع، ولعمري إنه لحق عليكم إصلاح أمتكم"⁽⁵⁾.

ويستشهد التبسي لضرورة العمل الجماعي بالتبشيري للمسيحية والجمعيات التي يقودها القس "زويمر" وكيف تكدّ جاهدة في الولوج إلى أدغال إفريقيا وأقطار آسيا دون كلل ولا ملل ولا خيبة أمل⁽⁶⁾.

وفي مقال صريح بعنوان "أزفت ساعة الجماعة وتصمّر عصر الفرد"، دعا التبسي إلى تأسيس حزب يجعل للجزائر شخصية بارزة ومكانة في الشرق أسوة ببقية الأمم⁽⁷⁾.

(1) الشهاب، ابن باديس "دعوة للعلماء المصلحين"، ع 3، (26 نوفمبر 1925)، ج 1 ص 59.

(2) الشهاب، ع (رمضان 1439-فيفري، 1931)، ج 7 ص 49.

(3) الشهاب، ع (ذو القعدة 1349-مارس، 1931)، ج 7 ص 211.

(4) سعد الله، الحركة الوطنية، مرجع سابق، ج 3 ص 85.

(5) النجاح، ع 240، (20-10-1925)، ص 1. أحمد شرفي، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، ص 46.

(6) النجاح، التبسي "ألا أيها النوام ويحكم هبوا"، ع 298 (18-5-1926)، ص 1. محمد العربي التبسي، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، جمع أحمد شرفي الرفاعي، قسنطينة، دار البعث، 1981، ص 59.

(7) الشهاب، ع 31 (17-6-1926)، ج 1 ص 619.

3- توفيق المدني: يُصّر في مذكراته وفي كتابه التعريب في بالجزائر أنه هو الداعي لتأسيس الجمعية، حيث قال "ولم نكن إلا أربعة رجال عندما أخذنا في ركن من أركان النادي -الترقي- نضع الأسس لتكوين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، وأنه كان يردد الشعار: الإسلام ديننا الجزائر وطننا والعربية لغتنا⁽¹⁾. كما كان المدني يرى نفسه من الرجال الجامعين للاتجاهات المختلفة، فيحكي أنه بعد نفيه للجزائر وبعد زيارته لعنابة قصد قسنطينة سنة (1925)، حيث زاره الإصلاحيون ومنهم: الميلي وابن باديس ومالك بنبي وخبشاش وآخرون، وكان رأي الميلي حادا تجاه الزوايا وقال: "لا يصلح أمر الجزائر إلا بمحاربة الطريقة الضالة، وتكوين المدارس العربية تسد الطريق في وجه الاتجاه الإلحادي الفرنسي الذي يريد أن يجعلنا قردة لا مسلمين جزائريين"⁽²⁾، في حين كان ابن باديس يرى الأولوية لنشر العلم وغرس الإصلاح ومحاربة الخرافات⁽³⁾، كما أشار الحاضرون إلى الفرية والمكيدة الفرنسية بالتفرقة بين العرب والبربر وأن هؤلاء الأخيرون عنصر أوروبي وافد،⁽⁴⁾ وهو ما أكدّه مالك بن نبي المطلع على الكتب الفرنسية الرائجة في تلك الأيام في عديد مكتوباته.

يعتبر المدني نفسه نواة تكوين جمعية العلماء مع ثلاثة هم الشيخ محمد العاصمي مقترح تسمية الجمعية، وعمر إسماعيل الممول الأصلي لها، والشاعر محمد عبابسة (شاعر الأعراس)⁽⁵⁾ الساعي في نشر الدعوة لها. واعتبر المدني أن انعقاد المؤتمر الإفخاريستي، والذي نال من الدين والرسول واللغة والوطن دافعا للتحرك والتجمع، ورفض تقبل الإهانات من فرنسا وذيولها⁽⁶⁾. وقد ذكر بأن الذي ساعدهما في تجميع أسماء مائة وعشرين عالما هما أبو يعلى الزواوي، وحمزة بكوشة، وقد أجاب الدعوة اثنان وسبعون، وبعث الآخرون رسائل التأييد والمكاتفة⁽⁷⁾.

4- الطيب العقبي: الذي تمنى أن يوحد ذوو العلم الصحيح صفوفهم ويجمعوا أشتاتهم حتى يكونوا من جموعهم جهة دفاع قوية تقف في وجد ذوي العقائد الزائفة لترد إفك الأفاكين، وتدحض حجج الدجالين المضلين⁽⁸⁾. وجدّد الدعوة إلى بديل شعبي للهيئة الرسمية الدينية في جريدته الإصلاح: "تبادل الآراء في الإقدام على تأسيس جمعية دينية كبرى تكون هي مرجع البلاد في كل مسائل الدين، ويكون رئيس هذه الجمعية كشيخ إسلام في بلادنا التي ضعفت فيها الديانة، وقلّت أسباب الإرشاد والهداية"، كما اقترح العاصمة عاصمة لها مع

(1) المدني، هذه هي الجزائر، مرجع سابق، ص 136.

(2) حياة كفاح، مرجع سابق، ج 2 ص 28.

(3) المدني، المرجع السابق، ج 2 ص 29.

(4) حياة كفاح ج 2 ص 34. وذكر من هؤلاء "لوي برتران" عضو المجمع العلمي الفرنسي، والصحفي سرفي.

(5) ولد بيريكة (1892)، درس بباتنة، وأسس شركة نقل للمسافرين بين باتنة وبسكرة التي استقر بها (1926)، ثم أفلس سنة (1929)، فانتقل للعاصمة، وأسس صحف المصداق والثبات، شاعر شعبي مجيد، توفي بباب الوادي (1953).

(6) عبد الرحمان حمادو، مرجعيات جمعية العلماء، ج 2 ص 19، الجزء المتعلق بنشأة الجمعية، وأخرج في أعقاب صدور مذكرات حياة كفاح للمدني، الذي تعقبه محمد الطاهر فضلاء بكتاب "التحريف والتزييف في كتاب حياة كفاح".

(7) عبد الرحمان حمادو، مرجعيات جمعية العلماء، مرجع سابق، ج 2 ص 24.

(8) جريدة المنتقد، ع 15 (8-10-1925)، ص 283.

فتح فروع في كل الوطن⁽¹⁾. وكثيرا ما ردد في مقالاته المبكرة الكلام عن حزب الإصلاح الديني، ووجوب تأسيسه وإصدار جريدة باسمه⁽²⁾.

5- أبو يعلى الزواوي: في مقال "العلوم والمعارف لا تقوم بها إلا الحكومات أو الجماعات"⁽³⁾. حيث دعا الى تشكيل جمعية تشرف على التعليم العربي، وفي مقال آخر بمناسبة مرور عشر سنوات من تأسيس الجمعية الخيرية، وما أصابها من انحسار، جدّد الدعوة إلى تأسيس جمعية أخرى، وكذلك في مقال آخر "حالتنا الاجتماعية، طبقات الأمة"⁽⁴⁾ جدّد الدعوة للانتظام وأنه بالنسبة لواقع الجزائر من الضرورات.

6- الأمين العمودي: في مقالته الشهيرة "الجمعية الدينية"، ووضع خطة لإنشائها، واستدعاء علماء القطر ممن يتصف بالعلم والغيرة والشهامة كابن باديس وحسن بولحبال والعقبي في مؤتمر ديني يوحد الجهود⁽⁵⁾.

7- دعوات متفرقات: بعضها صريح، وبعضها داع ملح لجمع الشعث من الإبراهيمي وغيره⁽⁶⁾. بل ودعوات متأخرة وجد صريحة من مثل مصطفى بن حلوش⁽⁷⁾.

يرى الإبراهيمي أن التأسيس كان همّا جامعا يسكن الصدور الحرة للنخبة العلمائية كلها من الإصلاحيين وغيرهم، فهو لا يعيد تأسيسها لشخصية بعينها وإنما يعتبرها نتاجا وحصيلة لأصوات عديدة نتيجة العمل التوعوي لرجالات لإصلاح فيقول: "ومن الحق أن نقول أيضا: إن أكثر الفضل في تنبيه ذلك الشعور في الأمة يرجع إلى ما كان يبثه رجال الإصلاح الديني فرادى بين الأمة، فلم يمض إلا قليل من الزمن حتى غمر الأمة شعورٌ عامٌ بلزوم إصلاح عامٍ يشمل الدين والعلم والاجتماع، ورأت نهج الإصلاح في هذه المقومات الثلاثة واضحا. فكانت دواعيه أسبق وأسبابه أوثق، وأصبحت فكرة تأسيس جمعية من علماء الأمة لتشرّف على هذا الإصلاح وتتولّى تخطيط مناهجه عقيدة راسخة مستولية على عقول العوام والخواص، وأصبحت بواعث تأسيسها صادرة من الأمة، لا من العلماء وحدهم، فانقاد الجميع -أمة وعلماء- إلى تأسيس هذا المشروع العظيم بما يُشبه الاضطرار، وتمّ ذلك بكل سهولة وبدون كلفة"، وقد جمع الإبراهيمي العوامل التي سرعت بتأسيس الجمعية إلى الآتي⁽⁸⁾:

1- الأثر العبدوي الذي ترسخ مع مجلة المنار التي كان لها أنصار كثير منذ بدايات القرن، ومن المعلوم أن لمحمد عبده تجربة رائدة في إنشاء الجمعيات التهديبية التربوية في مصر. وكذا دعوة رشيد رضا للتنظيم المؤسسي.

(1) جريدة الإصلاح، ع 14 (1930-9-25) عن مريوش، الشيخ الطيب العقبي، مرجع سابق، ص 143.

(2) الإصلاح، ع 1 (1927-9-8) مقالات العقبي، ج 1 ص 248/الشهاب، ع 126 (1927-12-15)، مقالات العقبي، ج 1 ص 206.

(3) الشهاب، ع 76 (1926-12-23)، ج 2 ص 664.

(4) الشهاب، ع 137 (1928-03-1)، ج 3 ص 737. مرجعيات جمعية العلماء، ج 2 ص 45.

(5) الإصلاح، العمودي "الجمعية الدينية"، ع 14 (1930-9-25)، ص 1. وحبذت الإصلاح الفكرة. وقالت كتب فيها قبله شيخ صوفي، ولعلمهم يقصدون الحافظي.

(6) مرجعيات جمعية العلماء، مرجع سابق، ج 2 ص 46-48.

(7) الشهاب، بن حلوش "الإصلاح المنشود"، (ع صفر 1349 - جويلية 1930)، ج 6 ص 380.

(8) آثار الإبراهيمي، ج 1 ص 181. سجل مؤتمر جمعية العلماء، ص 46. بوصفصاف، جمعية العلماء وعلاقاتها، ص 131.

2- الدور الباديبي المشهود في إحياء التعليم، وتغيير البنى النفسية والدفع بها نحو الإصلاح وترك المواريث الفاسدة ورائها، وشحن الهمم والعزائم للانخراط في النهضة الصاعدة" حيث كَوّن عقولهم، وشحن عزائمهم، وربى نفوسهم على وجه تتشوّف به إلى كل دعوة تغيير في المستقبل بقائد الدين وشعار الإصلاح".

3- التغيرات الفكرية والاجتماعية الطارئة على الحياة والسكنة عقب الحرب العالمية الأولى.

4- رجوع مجموعة من العلماء من المشرق العربي، ومن أهمهم العقبي والإبراهيمي.

5- التأثير بالتجربة التونسية في إنشاء الجمعيات الثقافية مثل الجمعية الخلدونية⁽¹⁾.

ثانيا- المحاولات التأسيسية السابقة:

جرت محاولات سابقة وممهدة لجمعية العلماء، وكانت أنويتها في نوادي التهذيب والتعليم، وبعض الجمعيات والربط التربوية، ولكن أهم الأعمال التي خُطط لها، ونالت بعضا من النجاح الظرفي الممهد للشكل الوطني لجمعية العلماء هي:

1- جمعية الإخاء العلمي: فقد ذكر الإبراهيمي أن ابن باديس زاره في سطيف (1924) لتأسيس جمعية الإخاء العلمي، واتفقوا على أن تضم أولا علماء عمالة قسنطينة، وقد أعد الإبراهيمي قانونها⁽²⁾، ولكن المشروع تأجل، ويعزو الإبراهيمي ذلك إلى حوادث عطلت المشروع، دون أن يبين عن أسبابها.

2- مجموعة الرواد الزيتونيين: يشير الشيخ محمد خير الدين إلى التفكير الأولي في إنشاء عمل إصلاحي ممنهج، ويعود به إلى جملة الرواد الزيتونيين وغيرهم الذين استجابوا لدعوة ابن باديس في قسنطينة سنة (1928)، وكان منهم: الإبراهيمي، مبارك الملي، الطيب العقبي، العربي التبسي، السعيد الزاهري، محمد خير الدين، وتم الاجتماع في مكتبه المجاور لمسجد الأربعين شريفا بقسنطينة⁽³⁾.

وقد عرض ابن باديس الوضع الجزائري التعليمي البائس، وذكّرهم بالقوانين الفرنسية الجائرة المتتالية، وآخرها قانون (1900) الذي ضُمت به الأوقاف للأملاك الفرنسية، وصار التعليم العربي لا يمارس إلا برخصة، وعلى الرغم من قانون فصل الدين عن الدولة سنة (1904م)، فقد بقيت الشؤون الدينية للمسلمين تحت رحمة الإدارة الاستعمارية.

عرض ابن باديس على مجموعة الرواد هذه خطة عمل أولية، من أهم ما فيها:

- تكوين لجنة تنفيذية من العلماء لمباشرة التعليم. والشروع في إنشاء المدارس الحرة.

- الالتزام بدروس الوعظ والإرشاد في المساجد الحرة. الكتابة في الصحف والمجلات.

- إنشاء النوادي للاجتماعات وإلقاء الخطب التوعوية. إنشاء فرق الكشافة الإسلامية للشباب.

- تعيين الإبراهيمي مشرفا على سطيف، والتبسي على تبسة، والميلي على قسنطينة وأحوازها، وخير الدين في فرفار، والعقبي في بسكرة.

(1) انظر علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، مرجع سابق، ص 148.

(2) آثار الإبراهيمي، ج 1 ص 185. سجل جمعية العلماء، مرجع سابق، ص 46.

(3) مذكرات خير الدين، ج 1 ص 71، وذكر خير الدين أنه درس بهذا المسجد عند الشيخ الطاهر بن زقوطة سنة 1916. والطاهر بن زقوطة، ولد بقسنطينة (1875)، تلمذ لحمدان الونيسي، توفي في (11-11-1948). انظر أم الحواضر، ص 317. حماني، نفسه، ج 2 ص 305.

3- مدرسو قسنطينة: حاول ابن باديس أن يستنهض همم مدرسي قسنطينة، وحاول دفعهم إلى توحيد التعليم والتأسيس لنواة معهد علمي، ومن هؤلاء الذين استحثمهم لذلك: أحمد الحبيباني، الطاهر بن زقوطة، يحيى الدراجي، المولود بن الموهوب، صالح بن العابد، الشيخ البوعوني، عبد المجيد بن جامه (جامع) والشيخ بن المطماطية، وقال لهم: "هؤلاء أساتذة ومدرسون دائما أو في بعض الأوقات، هل لحضراتهم أن يكونوا باجتماعهم معهدا علميا يكون أساسا لكلية دينية إسلامية"⁽¹⁾. ولكن هذه الدعوة لم تثمر عملا تربويا منتظما في انتظار ما ستجزه جمعية العلماء. وكان هؤلاء المدرسون ذوو مشارب متباينة فمنهم إصلاحيون، ومنهم رحمانيون، وتيجانيون كابن المطماطية.

ثالثا- الروايات الإصلاحية للتأسيس:

تبرز لدينا عدة روايات إصلاحية عدة في مراحل التأسيس ومجرياته، ومن أهم الروايات التي سنتناولها، ونرجى رواية الطريقين لمبحثهم فيما يأتي:

1- الرواية الأولى: جماعة الترقى: وعماد الرواية توفيق المدني الذي قال بأن النواة الفاعلة في التأسيس تعود إلى ثلاثة أشخاص هو رابعهم، وهم:

أ- الشيخ محمد العاصمي، والذي وصفه بكونه "شيخا عالما أديبا واسع الاطلاع كثير الألوان يسير مع كل قوم حسب هواهم"⁽²⁾، وهو الذي اقترح اسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

ب- عمر إسماعيل-العلاوي الطريقة-، والذي وصفه المدني بأنه "ذكي أمي طموح أثرى من الحرب الأولى"، واكتتب لها بألف فرنك، وقد نشرت الشهاب مقالا "هل من حازم يوفق لتأسيس جمعية للعلماء، فينال جائزة مالية مع تخليد ذكره"، وقد تبرع عمر إسماعيل بألف فرنك لمن يوفق من العلماء للتأسيس، ووضع ألفا في كيسها قبل التأسيس⁽³⁾.

ج- محمد عبابسة من بسكرة، وكان معترضاً على دعوة أو وجود الطريقين بها لكونه من أنصار العقبي أو من نسميهم بجماعة الزيبان الذي كانت مواقفهم حادة تجاه الطرق الصوفية.

وقد عضد عمل هذه النواة أو ما سماها هو باللجنة التأسيسية الأعضاء الفاعلون والممولون للنادي من وجهاء العاصمة أمثال: محمد بن المرباط، ومحمود بن ونيش، ومحمد الزميرلي، والحاج ماماد المانصالي، ومحمد بن الباي، ومحمد علي عباس التركي، وقدر بن مراد الرودوسي، ومحمد بن الحفاف، والذين تعهدوا بدعم الجمعية وتسخير نادي الترقى لأعمالها الإدارية والثقافية، وكلفوا المدني بإعداد قانون أساسي أتمه في ثلاثة أيام⁽⁴⁾، ثم كانت الدعوات للعلماء في أصقاع الوطن، ووقعت الاستجابة والاجتماع يوم (5 ماي 1931).

(1) الشهاب (جمادى الثانية 1348-نوفمبر 1929) ج 5 ص 522. حماني، صراع بين السنة والبدعة، مرجع سابق، ج 2 ص 259.

(2) حياة كفاح، مرجع سابق، ج 2 ص 255.

(3) الشهاب (ع رمضان 1349- فيفري 1931)، ج 7 ص 49-52.

(4) المدني، حياة كفاح، ج 2، ص 175-176. أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وأثرها الاصلاحى في الجزائر، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985، ص 107.

ج- توفيق المدني: الذي جيّش جماعة النادي لها، وشرح الفكرة فرحبوا بها، وبدأ بجمع الأسماء بمعاونة حمزة بكوشة، وسطر قانونها الأولي، وجمعوا 120 اسما، وجاء الرد من 109 بالترحيب، وقال: هيأت مع ابن باديس والإبراهيمي والميلي وغيرهم قائمة المجلس الإداري، وقال لابن باديس ستكون الرئيس أحببت أم كرهت⁽¹⁾.

2- الرواية الثانية: الإصلاحيون (ابن باديس): يتواطأ الإصلاحيون من حزب ابن باديس على أنه الراعي والداعي لتأسيس الجمعية، وليس غيره، وهذا الرأي يعتضد بتتبع مسار ابن باديس منذ عودته من المشرق، ومباشرة التعليم الحر، وكذا دعواته ونظرائه لهذا العمل في جرائدهم المختلفة في العشرينيات.

أما الإبراهيمي فيعود بالتأسيس زمنا أبعد، بل يعتبره تخطيطا ذا خطة محكمة طويلة الأمد منذ التقى الشيخان في الحجاز: "كنا نوّدي فريضة العشاء الأخيرة كل ليلة في المسجد النبوي، ونخرج إلى منزلي، فنسمر مع الشيخ ابن باديس، منفردين إلى آخر الليل حين يفتح المسجد فندخل مع أول داخل لصلاة الصبح، ثم نفرق إلى الليلة الثانية، إلى نهاية ثلاثة الأشهر التي أقامها بالمدينة المنورة. كانت هذه الأسفار المتواصلة كلها تديبرا للوسائل التي تمهض بها الجزائر، ووضع البرامج المفصلة لتلك النهضة الشاملة التي كانت كلها صورا ذهنية تتراءى في مخيلتنا، وصحبها من حسن النية وتوفيق الله ما حققها في الخارج بعد بضع عشرة سنة، وأشهد الله على أن تلك الليالي هي التي وضعت فيها الأسس الأولى لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي لم تبرز للوجود إلا في سنة (1931)⁽²⁾.

وفي هذا المضمار يحسن بنا الركون إلى شهادة الإبراهيمي ومحمد خير الدين الذي ذكر اجتماع الرواد الزيتونيين (1928)، وأنه كان النواة التحضيرية لتأسيس الجمعية، وبدأ العمل بتكثيف العمل الدعوى في النوادي والمساجد، والكتابة في الصحف، والدخول للنوادي الكشفية، وتحميل الشباب المسؤولية الوطنية. والمهم أن الروائتين تتقاطعان في أن محمد عباس دعا المدني والعاصمي لهذا الغرض، ويبقى الخلاف في أولية السير، هل كانت من العاصمة كما يقول المدني، أو من قسنطينة كما يقول الإبراهيمي وخير الدين؟.

3- الرواية الثالثة: العقبيون: لا ينثني الجناح العقبي في الإصلاحيين وخاصة بعد الانقسام الإصلاحي على التنويه بالدور الفريد للعقبي في تغيير العاصمة الجزائرية لصالح الإصلاح وسحب البساط من تحت أقدام رجال الدين الرسميين والطرقين، وبالتالي فهو المحرك الأساسي في إنشاء الجمعية، والتي يصرح بعضهم بكونه الأب الروحي لها، وأكثر من ضحى من أجلها، ولا يمكننا إغفال الجوانب الاجتماعية في القضية، ومنها العوامل الحضرية والبدوية، فعلى الرغم من كون العاصمة محسوبة على الحضر لكنها كانت تحوي نسبة كبيرة من غير الارستقراطية الحضرية والأندلسية والكرغلية والصحراوية ففيها: (القبائل الجبلية، الأغواط والصحراء، الشعانية، ميزاب، البساكرة بقوة...)⁽³⁾.

(1) آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 5 ص 278.

(2) المرجع السابق، ج 5 ص 278.

(3) للاطلاع على التركيبة السكانية يحسن العود إلى كتاب عائشة غطاس، الحرف والحرفيون في العاصمة.

وردّد مالك بن نبي شيئا من الصدى غير المعلن في الموازنة بين الرجلين، فقال: "كان الشيخ العقبي يبدو في ناظري بدويا، بينما يبدو الشيخ ابن باديس بلديا، وحين بدأت فيما بعد معركة الإصلاح وكنت أحد المشتركين فيها، بقيت أحمل في أعماقي شيئا من التحفظ تجاه ابن باديس، وبعض الأسى لكون الشيخ العقبي لا يقود تلك الحركة ولا يرأس جمعية العلماء"⁽¹⁾.

والمهم أن العقبي بفصاحته الخلافة وعربيته القوية المتأتية من البيئة الحجازية وصراحته الحادة المتأتية من العقيدة الوهابية كان عامل جذب قوي لكل كاره للحياة الفرنسية وتقاليدها الفاسدة، فكان احتضان أعيان العاصمة له، وكفائتهم إياه مؤنة الحياة، إذ رتبوا له مرتبا واشتروا له منزلا بحي بولوغين حي (سانتوجين)⁽²⁾، مما جعل يتفرغ لقلب النواحي الثقافية والأخلاقية لسكان العاصمة، وينشئ ما عُرف بالجيش الأزرق⁽³⁾. وقد ذكر مالك بن نبي تأثير العقبي على العاصمة، فقال: "حتى وصلنا تحت لافتة نادي الترقى، وربما كانت أول لافتة بالخط العربي في العاصمة كما قال له الدليل أنه من مريدي العقبي في هذا النادي حيث يعطي درسه كل مساء... ولم تكن ظاهرة التغير التي شهدتها العاصمة على وجه رجل الشارع وفي هيئته وكلامه وفي هذه اللافتة المكتوبة بالخط العريض، لم تكن تعني لي إلا شيئا واحدا هو أن موجة الإصلاح قد وصلت إلى هنا"⁽⁴⁾ ومن المعلوم أن بن نبي وفي تقييمه لحركة الإصلاحيين كان مجافيا لبعض الحقيقة، لأن ظروف وشروط العمل الجماعي تختلف عن شروط العمل الفردي، وهو ما سيتبين من التعرض لمذكراته العفن في تقييم الإصلاح في الأربعينيات.

والمهم أن النيات كانت صادقة لاستيعاب مجموع العلماء في عمل ثقافي مقاوم تتظافر فيه جهود الجميع، وذلك بتجاوز الخطوات التي غطت عقد العشرينيات، وهو ما أشار إليه الإبراهيمي في سبب اختيار اسم الجمعية: "لقد كان من المعقول- والحرب مشبوبة بين المصلحين والطرقين- أن يكون اسم الجمعية الإصلاح الديني، ولكن المصلحين- وهم أول من فكر في مشروع جمعية العلماء وزعيمهم هو أول من وضع ذلك الاسم- لم يكونوا يقصدون من هذه الجمعية، من يوم تصوروا فكرة إلى يوم أبرزوها حقيقة واقعة، إلا غرضا واحدا وهو جمع القوى الموزعة من العلماء على اختلاف حظوظهم في العلم، لتتعاون على خدمة الدين الإسلامي واللغة العربية والنهوض بالأمة الجزائرية من طريقهما، ولو كان عند المصلحين شيء من سوء القصد الذي يرميهم به خصومهم لظهر أثره في تسمية الجمعية أولا باسم الإخاء العلمي وثانيا بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والاسم هو العنوان المتضمن لكل ما وراءه من معاني"⁽⁵⁾.

(1) مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، ص 132. وانظر أيضا علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، مرجع سابق، ص 111.

(2) محمد علي دبوز، نهضة الجزائر وثورتها المباركة، مرجع سابق، ج 2 ص 115.

(3) حدثني الحاج محمد السوفي رحمه الله أحد عاملي مدينة متليلي بالعاصمة عن الأثر الكبير للعقبي، وكيف كانت خطبه رادعا للشباب المهاجر للعاصمة من أجل العمل والاستزاق في الميناء وغيره من السقوط في حمأة مواخير القصية ومخامرها.

(4) بن نبي، مذكرات شاهد القرن (الطالب)، ص 256.

(5) آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 186.

وكانت النتيجة ذلك النجاح الباهر في التأسيس لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي شملت كل الأطياف والمشارب، والتي ستخلص في التسيير والتدبير طوال ربع قرن للإصلاحيين وحدهم بعد الانقسام الذي حاق بها بعد سنة واحدة، وهو ما سنعرض له في المبحث الموالي عن الطرقيين في الثلاثينيات، ونعرض لأسباب الانقسام وخلفياته، وتحميل الطرقيين وزر ذلك كما هو الذائع في أغلب الكتابات التي عرضت للفترة المذكورة.

المطلب الثالث: الجرائد والمطبوعات الإصلاحية بعد تأسيس الجمعية.

اسم الجريدة	تاريخ الصدور	تاريخ التوقف	الأعداد
السنة النبوية	1933-4-1	1933-7-3	13
الشريعة المحمدية	1933-7-17	1933-8-29	17
الصراط السوي	1933-9-11	1934-1-8	17
البصائر، بإدارة العقبي	1935-12-27	1937-9-30	83
البصائر بإدارة الميلي	1937-9-30	1939-8-25	97
ملحق الشهاب	1934-3-1	---	
الجحيم	1933-3-30	1933-5-11	7
المرصاد	1931-12-27		64
الثبات	1933-11-24	1935-9-6	50
الدفاع (la défense)	1934	1940	

أولاً- جرائد الإصلاحيين الرسمية.

1- السنة النبوية: تأسست الجريدة في قسنطينة، وهي من أولى جرائد الجمعية الرسمية، وصاحب امتيازها أحمد بوشمال، ويرأس تحريرها الشيخ العقبي ومحمد السعيد الزاهري، وكانت جريدة أسبوعية تصدر كل اثنين، واستمرت من (1933-4-1) وتوقفت بعد أربعة أشهر يوم (1933-7-3)، وصدر منها (13 عدد)⁽¹⁾، وكان توقفها من عقابيل المنشور الفرنسي (1933-2-16) القاضي بمنع العلماء الأحرار من الوعظ والإرشاد في المساجد، وقد نعاها ابن باديس: "روعت الأمة نبأ تعطي جريدة السنة بقرار من وزير الداخلية، وتساقطت على إدارتها رسائل الاستياء والتعجب، ولم يكن تعجب الناس من تعطيل جريدة دينية بعيدة كل البعد عن السياسة دون استيائهم من عرقلة جمعية العلماء عن عملها التهديبي الذي ذاقت الأمة حلاوته، وشاهدت جميل أثره"⁽²⁾.

وعنوان الجريدة دال على الغرض منها، وهي انتصار الجمعية للخط السلفي، والرد على جمعية الطرقيين "علماء السنة"، وفي مقال التبسي بعنوان: "هذه جريدة السنة يا أهل السنة"⁽³⁾، كما تصدر شعارها قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: 21] وقوله عليه الصلاة والسلام: "من رغب عن

(1) محمد ناصر، الصحف العربية، مرجع سابق، ص 145. مريوش، الشيخ العقبي، ص 151. وطبعت أعدادها في دار الغرب الإسلامي.

(2) جريدة الشريعة، ع 1 (1933-7-17)، ص 1. محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، ص 147.

(3) جريدة السنة النبوية، ع 2 (1933-4-17)، ص 3.

سنتي فليس مني" والنصان عنوانان دلان على التوجه السلفي في منابذة لبدع الطرق الصوفية، وهو ما يوجي باشتداد الخلاف على سلطة القول الديني في الجزائر بين الفريقين.

2- الشريعة النبوية المحمدية: أصدرتها الجمعية بعد تعطيل جريدة السنة، وتولى رئاسة التحرير فيها كل من العقبي والزهري، وكانت معتدلة في خطاباتها كما هو خطاب ابن باديس فيها بالتعلق بالعدالة الفرنسية، وصدر العدد الأول منها في (17-7-1933)⁽¹⁾، وحملت شعارا موحيا باستمرارها في منابذة الطريقة، فقد جعلت الآية: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا﴾ [الجاثية: 18]، وكذا حديث: "من رغب عن سنتي فليس مني"، ولم تتغير الخطة التحريرية عما في جريدة السنة، وبذلك فقد حملت قرار تعطيلها في مقالها الافتتاحي، فعطلت بعد صدور سبعة أعداد منها فقط لتتوقف في (29-8-1933)⁽²⁾.

3- الصراط السوي: الجريدة الثالثة التي أصدرتها الجمعية، وحافظت على الهيئة السابقة في الامتياز والإشراف والتحرير، واستمرت أربعة أشهر من (11-9-1933) إلى غاية تعطيلها في (8-01-1934). وكل ذلك بالقرارات الجائرة من وزارة الداخلية الفرنسية والولاية العامة بالجزائر، وذلك في قرار أصدره الوزير "شوطان" في (23-12-1933) وقد أعقب ذلك مظاهرات ضد الولاية العامة، وطالب الجزائريون بحرية الضمير والعقيدة والتعليم⁽³⁾.

وقد علل جان ميرانت التدابير المتخذة ضد الصحافة الإصلاحية، واعتبار الصحف العربية غير مرغوب فيها لأنها بلغة أجنبية "من حق فرنسا أن تقسوا على أولئك الذين يسعون إلى إضعافها والتهجم عليها"⁽⁴⁾.

4- الشهاب: على الرغم من كون الشهاب ابتدأت مستقلة برئاسة ابن باديس، إلا أنها وفي غمرة الحاجة الإصلاحية لمزيد من الأذرع الإعلامية، ولمواجهة الجرائد الطرقية الأصلية أو المرافقة، ومن أجل مواكبة نشاطات جمعية العلماء أيضا، فقد تحولت الشهاب من مجلة أسبوعية إلى نصف شهرية في شهر (مارس 1933)، وخصصت قسما منها لأخبار الجمعية وسمته نشرة الشهاب⁽⁵⁾.

5- البصائر: أهم جرائد الجمعية على الإطلاق، وأكبر صحيفة عربية في الجزائر، فبعد قرابة سنتين من تعطيل الجرائد الثلاث، وبعد مناشدات ومحاولات مع الإدارة الفرنسية التي سمحت لها بالصدور، وبرز عددها الأول في (27-12-1935)، ورأس تحريرها أولا الطيب العقبي، ثم مبارك الميلي، وكان صاحب امتيازها محمد خير الدين. وكتب فيها عمالقة النهضة كالإبراهيمي وأبي يعلى الزواوي، وابن العابد الجلاي، وغيرهم، وقد انتقلت إدارتها لقسنطينة في (29-10-1937)⁽⁶⁾.

(1) محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، مرجع سابق، ص 166.

(2) العدد الأخير في (28-8-1933). محمد ناصر، نفسه، ص 168.

(3) محمد ناصر، الصحف العربية، ص 201. بوصفصاف، مرجع سابق، ص 183. البصائر، ع 94 (7-1-1938)، ص 6. النجاح، ع 1536 (28-2-1934)، ص 1. سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، ج 3 ص 23.

(4) علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية الجزائرية، ص 178.

(5) الشهاب (ع ذو القعدة 1351- مارس 1933)، مج 9 ص 177.

(6) البصائر، ع 84 (29-10-1937)، ص 1. بوصفصاف، نفسه، ص 184. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 253.

صدرت البصائر أيام حكم الجبهة الشعبية، وأقول نجم (جان ميرانت) المعادي للإصلاحيين، وحاول ابن باديس أن يضمن الاستمرارية لها بمغازلة العدالة الفرنسية: "لن تبدّل ثقتنا بفرنسا وقانونها، وعلى خطتنا المستقبلية وهي نشر العلم والفضيلة ومقاومة الجهل والريضة، وعلى غايتنا النبيلة في تثقيف الشعب الجزائري المرتبط بفرنسا، ورفع مستواه العقلي والخلقي والعلمي إلى ما يليق بسمعة فرنسا، وعلى ثقتنا بعدالة فرنسا، وحرية الأمة الفرنسية وديمقراطيتها"⁽¹⁾. واستمرت السلسلة الأولى منها إلى مشارف الحرب الثانية، وصدر منها (180 عددًا)، في (25-8-1939).

6- الدفاع (la défense): أصدرها محمد الأمين العمودي في (1934)⁽²⁾، واهتمت بتبليغ رؤية الإصلاحيين باللغة الفرنسية، وكانت وسيلة التواصل مع الإدارة والمعمرين والنخبة السياسية، وكانت رافدا مهما للإصلاحيين، على الرغم من ميل العمودي المتأخر لرؤية العقبي.

ثانيا- الجرائد الإصلاحية المرافقة: وهي جرائد ومجلات حرة لم تكن تتبع الجمعية رسمياً، ولكن أعضاء الجمعية وأنصار الإصلاح كانوا يكتبون فيها، ويتخذون من منابرهم حقولاً لزرع أفكارهم ومناهضة الهيمنة الثقافية الفرنسية، وما يعتبرونه عوائق عن النهضة من الطرقيين ورجال الدين الرسميين، ومنها:

1- جريدة المرصاد: صدرت في يوم (27-12-1931م)، وكان مديرها محمد عباسية الأحضري، وصاحب امتيازها محمد الشريف جوكلاري، وصدر منها (64) عدداً ولكن اسم المحرر بقي خفياً حسب علي مرحوم⁽³⁾. وكانت تدعم معية النواب أيضاً، وجاء في خطتها ما يوحي بكونها مضادة للتيار الطرقي، ففي افتتاحيتها الأولى تدعو إلى رفض العوائد الباطلة والخرافات التي أصبحت عند غالب الأمة معدودة من دين الإسلام وهو بعيد عنها. إذ الدين الإسلامي جاء مطهراً للعقول من كل الخرافات والأوهام، فهو أخو العقل السليم والمدنية الطاهرة يماشيا في كل زمان ومكان"⁽⁴⁾. ولذلك اتهمها النائب المالي غلام الله بالوهابية وطالب بحضرها ومن كتابها المشهورين محمد الأمين العمودي الذي كان يوقع مقالاته باسم سمهري، وكان يهاجم رجال الطرقيين وعلماء جمعية السنة، وتميزت كتاباته بالهكم والسخرية والأدب الهجائي "لأنه يعتقد بأن الحجج والمنطق والعلم لن يفيد مع أولئك"⁽⁵⁾، ومدحها محمد العيد⁽⁶⁾، وفيها العديد من المقالات المنتقدة مثل قصيدة الحلوي الهجائية⁽⁷⁾. أو مقالة "على أهلها جنت براقش"⁽⁸⁾، والميلي بمقال "عود إلى حديث التصوف" (العدد 35-36-37)، وعباسية في مقال "الحلولية تنحل وتضمحل، أجهزوا على العليوية وأتباعها"⁽⁹⁾.

(1) البصائر، ع 1 في (27-12-1935)، ص 2.

(2) حمزة بوكوشة، "شخصيات منسية الأمين العمودي"، الجزائر، مجلة الثقافة، ع 6 (جانفي 1972)، ص 56.

(3) مرحوم علي، نظرة على تاريخ الصحافة العربية الجزائرية، مجلة الثقافة، ع 42، ص 34.

(4) المرصاد، ع 1 (27-12-1931)، ص 1. محمد ناصر، الصحف العربية، ص 132.

(5) محمد ناصر، نفسه، ص 133.

(6) المرصاد، قصيدة الحارث بن همام "تحية إلى المرصاد"، ع 1 (1-1-1932)، ص 2.

(7) المرصاد، قدور الحلوي "قصيدة المتفقه المفسد أو الدجال الملحد"، ع 9 (4-3-1932)، ص 3.

(8) المرصاد، قدور الحلوي "على أهلها جنت براقش"، ع 30 (28-10-1932)، ص 2.

(9) المرصاد، ع 38 (23-12-1932)، ص 1.

ومن كتابها وشعرائها محمد العيد آل خليفة والذي كان ينشر باسمه الصريح وباسم مستعار هو " الحارث بن همام"، وقد رثى الشيخ السنوسي عمر المختار بعد إعدامه من قبل المحتل الإيطالي لليبيا في (16 سبتمبر 1931م)⁽¹⁾. وكانت صفحتها الثالثة لا تكاد تخلوا من مقتطفات تهكمية بالبلاغ التي تسميها بالورقة المخرفة⁽²⁾. تعطلت جريدة المرصاد، وأعاد محرروها سبب التعطيل إلى تحرك رجال الطرق من العلويين وغيرهم، بحكم مقالاتها الحادة ضد جريدتي الإخلاص والبلاغ، ومما قاله عباسه: "فبتحريك سواكن رجال الحكم من طرف المنتسبين للإسلام والمسلمين، وبأخص المتظاهرين منهم بالعلم والإمامة والفتيا ظنّت بنا الظنون، وذهبت المرصاد ضحية وشاية المنتقمين المغرضين، فحسبنا الله ونعم الوكيل"⁽³⁾.

2- الثبات: لمحمد عباسه الأخضر، وقد صدرت في (24-11-1933)، ومن عددها الأول باشرت هجومها على البلاغ⁽⁴⁾، وخلفت المرصاد في الاهتمام بالسياسة والانتخابات وأخبار جمعية العلماء وخصومها، ودعمت النواب وابن جلول في كثير من مناشطهم⁽⁵⁾، وتعرضت لكثير من القضايا الأخلاقية كظاهرة البغاء⁽⁶⁾، وإصلاح المرأة، وتعرضت لتجبر اليهود وطغيانهم في قسنطينة قبل أحداث (1934)⁽⁷⁾. وتعرضت الجريدة لهجوم جريدة صدى الصحراء لأحمد بن العابد العقبي الذي رمى مديرها محمد عباسه الأخضر بكل نقيصة أيام صراع الانتخابات بين الحفناوي دبابش وسعدان سنة (1934)⁽⁸⁾. وقد شكك علي مرحوم في الذي يقف خلف جريدتي المرصاد والثبات قائلًا بأن محرر المرصاد الخفي تولى عن الثبات⁽⁹⁾، ولمح البعض إلى الإدارة الفرنسية أو الصهيونية، وهو سؤال مفتوح للدارسين.

3- جريدة الجحيم: أصدرها جوكلاري محمد الشريف، وشعارها (العصا لمن عصي)، وحجتها قول ابن عباس: "ليس بعزيز من ليس في قومه سفيه"، وهي نشرية أصدرها الصف الثاني من الإصلاحيين في قسنطينة في (30-3-1933)، وكانت تطبع سرا بقسنطينة بالمطبعة الإسلامية، وقد ذكر السائحي: "بأن جريدة الجحيم كانت تطبع في مطبعة بن باديس ليلا بقسنطينة دون علمه، وأن العمال يقومون بذلك خارج أوقات عملهم، وفي سرية تامة لأن الشرط الأساسي بينهم وبين أصحاب الجريدة هو ألا يعلم الإمام بذلك"⁽¹⁰⁾.

(1) محمد ناصر، نفسه، ص 136. وقال إن أغلب القصائد باسمه أو اسم الحارث لا توجد في ديوانه.

(2) المرصاد، مقال "من وراء الستار في عالم الهزار"، مقتطفات "تحت الرصد"، ع 23 (5-8-1932)، ص 3.

(3) محمد ناصر، ص 138. علي مرحوم، نفسه، مجلة الثقافة، ع (42)، 1978، ص 34.

(4) الثبات، مقال "تمويه البلاغ"، 1 (24-11-1933)، ص 3.

(5) الثبات، مقال "وفود زعيم الأمة الدكتور بن جلول"، ع 26 (10-10-1934)، ص 1.

(6) الثبات، محمد عباسه "انتشار البغاء"، ع 7 (9-3-1934)، ص 1.

(7) محمد ناصر، الصحف العربية في الجزائر، مرجع سابق، ص 201.

(8) صدى الصحراء، مقال "جريدة الثبات المنتنة"، ع 16 (28-9-1934)، ص 2.

(9) علي مرحوم، "نظرة على تاريخ الصحافة العربية الجزائرية"، مجلة الثقافة، ع 42 (1978)، ص 34. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5

ص 257. وتسال سعد الله هل للإدارة دور في تمويلهما؟

(10) محمد الأخضر السائحي، قراءة جديدة في جريدة الجحيم، جريدة المجاهد الأسبوعي، ع 1666 في (10-7-1992)، ص 12.

وجاء في ديباجتها الأولى ما يدل على منهجها القتالي القلمي ضد الطرقيين: "جريدة أسبوعية حرة تدافع عن الشرف والفضيلة، وشعارها العصا لمن عصى، تشرف على تحريرها هيئة من شبان الزبانية، وتنقّس يوم الخميس من كل أسبوع"، وكتب فيها الزاهري كثيرا مع عباسة الأخضر، وحمزة بكوشة وعبد الرحمان غريب، ومحمد الأمين العمودي، ثم منعت من الصدور بعد العدد السابع في (11-5-1933)⁽¹⁾.

ولكن أسلوبها كان فجاء في أحيان، فقد تنزّلت إلى الإسفاف والشتم والإقذاع في القول، مع اعتماد السخرية والهزؤ من الفريق الآخر، كما تدل عليه إحياءات أسماء المحررين من: (هامان، مسرور، مراقب، شبيب، شاعر الزبانية الفحل، الكزاي، فرعون، بودفرة) إضافة إلى أعمدتها الغربية مثل: القائمة السوداء، صحيفة السيئات، نكت القوم، مشاهير السينية – علماء السنة الذين نسبوهم لسينية الأكل-، وهو ما جعل البعض يستنكر هذا السعار للأخلاقي. وردت البلاغ بأن ابن باديس وزمرته يستهينون بعظمة الله في تسميتها بالجحيم⁽²⁾.

4- **جريدة الحارس**: أصدرها عبد الرحمان غريب⁽³⁾ في (3-8-1933)، وكانت ذات نزعة إصلاحية تهاجم بمقالاتها الفكاهية رجال الطرق وصحافتهم، وخاصة البلاغ العلوية التي قالت فيها: "قضت حقبة من الزمن وهي تناوش من لا يناوشها، وتلك سنّة الله في كل مكلوب، وكانت كلما ناوشت أحدا رد لها الكيل بقدر ما يستطيع أن يتحمل،... ولما آن الأوان لنوبتها العصبية لم تجد من تناوشه، فقررت أن تناوشنا نحن، لأننا لا نقرأها على كفرها، ولا نعتني بها، ولا نجيب لها قيمة"، والمهم أن الجريدة لم تطل كثيرا، وتوقفت عن الصدور في عددها الخامس⁽⁴⁾.

5- **أبو العجائب**: جريدة انتقادية فكاهية رأس تحريرها محمد العابد الجلاي، وأدارها أحمد بوشمال، استمرت شهرين فقط (ماي وجوان 1934) وهدفت إلى نقد الأوضاع الاجتماعية والدينية بأساليب الخيال والهزل والحكاية والحوار الفرضي، وكانت تلمز أصحاب الطرق الذين أشبعهم الجلاي بنقد خرافاتهم: "وقد انتقى له من الأسماء أبو العجائب، رجاء أن يأتي في مستقبل حياته بالغرائب، وهو الآن بين المرضعة والداية، يشق طريقه إلى الغاية، لم يطوق عنقه بحرر ولا تميمة، لأن ذلك بدعة ذميمة، نفر منها الذوق، وكسد بها السوق، وكل ما صادم العقل وخالف النقل يوشك أن يأتي عليه يوم ينعي فيه هلاكه"⁽⁵⁾.

6- **جريدة الليالي**: ذات نزعة إصلاحية بأسلوب فكاهي تهكمي انتقادي، أصدرها حمزة بكوشة وعلي بن سعد، وكتب فيها الزاهري والطاهر بوشوشي وصدرت في (فيفري 1936) وتوقفت في (مارس 1937)⁽⁶⁾. وتناولت

(1) مرحوم علي، نظرة على تاريخ الصحافة العربية الجزائرية، مجلة الثقافة، ع 42، ص 35. محمد ناصر، نفسه، ص 149.

(2) البلاغ، ع 293 (10-5-1933)، ص 3.

(3) كان ينشر بالبلاغ مقالاته حتى سنة (1931)، ثم تحول لإصلاحيا، انظر محمد ناصر، نفسه، ص 180.

(4) علي مرحوم، مجلة الثقافة، العدد 42، ص 36.

(5) علي مرحوم، الثقافة، العدد 42، ص 36. العدد 39 ص 76. محمد ناصر، الصحف العربية، ص 206. مرتاض، "حول تاريخ الصحافة العربية بالجزائر"، الجزائر، مجلة الثقافة، ع 44 (أفريل-ماي، 1978)، ص 30. ومن هذا القبيل جريدة "ضربة الخيزران" - لوكو دي بومبو- التي كانت انتقادية للإدارة والطرقيين، وكتب فيها العمودي والموالون للدكتور سعدان ضد المحامي أحمد الأحمر. انظر قوبع، نفسه، ص 157.

(6) عبد المالك مرتاض، مجلة الثقافة، ع 44 ص 1. محمد ناصر، نفسه، ص 221. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 257.

قضايا عديدة كاتهام العلماء بالتعاون مع الشيوعيين، ولم يسلم المتصوفة من نقدها، ففي مقال: "ناظر طالب متصوفا وزنديقا، وكان الطالب يحمل فكرة إصلاحية، وكان المتصوف غبيا إلى أقصى درجة، ويدّعي أنه ابن عربي وقته، وكان الزنديق أذكى من الطالب والمتصوف،... وأعطيت الكلمة للطالب، فتكلم عن القراءة على الجنائز، وعلى كتابة الحروز، والاستغفار جهرا عقب الصلوات، ولما طُوب بالدليل، استدل بأقوال ابن تيمية، قال الزنديق: حكموا بكفره، فاستدل بأقوال رشيد رضا، فقال الزنديق عنه (جورناليست- صحفي)⁽¹⁾.

7- المغرب العربي: أسبوعية أسسها حمزة بكوشة بوهرا (1937)، وصاحب امتيازها "بله محمد"، وهي "لسان حال الشباب المسلم"، وكتب فيها علي مرحوم، ومبارك جلواح، وعنوانها دال على حضور فكرة وحدة المغرب العربي، وعلى الهوية العربية بدلا من التعبير الشائع "شمال إفريقيا" ولكن الجريدة تعثرت بعد أربعة أعداد⁽²⁾.

8- مجلة التلميذ: مزدوجة اللغة، أصدرتها الجمعية الودادية للتلاميذ المسلمين بإفريقيا الشمالية" للدفاع عن العربية والوقوف ضد الاتجاه المتفرنس، وكتب فيها باعيز بن عمر وعبد الرشيد مصطفى، وسعد الدين بن شنب، ومركزها نادي الترقى، واستمرت غير منتظمة (1931-1939)⁽³⁾.

9- صحيفة الوفاق بالفرنسية⁽⁴⁾: ورأسها النائب في المجلس المالي محمد الصالح بن جلول، وكانت تظاهر الصحافة العربية في بداياتها ضد الطرقيين، وخاصة حملتها على مؤتمر اتحاد الزوايا والطرق الصوفية لشمال إفريقيا، مما جعل صحيفة الرشاد تهاجم السياسية الانتخابية للنواب وظهرهم من الإصلاحيين⁽⁵⁾، واعتبرت أن تحالفهم الظرفي (بن جلول، فرحات عباس، ابن باديس)، سوف ينفرط، وما هو إلا خداع متبادل، وهو ما حصل بعيد المؤتمر الإسلامي، إذ هاجمت الوفاق شعبة الجمعية بقسنطينة.

10- الوفاق (1938-1940): أسسها الزاهري بوهرا بعد رئاسته وتأسيسه لكتلة الجمعيات الإسلامية لعمالة وهران، وأزرت الجبهة الشعبية ضد التوجهات اليمينية العنصرية في أوروبا، ودعت إلى الوفاق بين مكونات الشعب، وانعطف بها الزاهري لتقريب المختلفين: "لا نفرق بين أحد من الطرقيين أو أحد من الإصلاحيين، ولا بين وحدة النواب المسلمين لعمالة قسنطينة أو كتلة الجمعيات الإسلامية لعمالة وهران"⁽⁶⁾، كما اهتمت بقضية فلسطين والوضع العربي، ودخلت في مباحثات مع البصائر منتقدة سلوك ابن باديس والإبراهيمي والميلي، وقد انظم الزاهري لجبهة الطرق نابزا الجمعية: "ندعو الى الوفاق والسلام بين الإصلاحيين والطرقيين،

(1) الليالي، ع 15 (1937-01-10) عن محمد ناصر، نفسه، ص 226. علي مرحوم، نفسه، مجلة الثقافة، ع 42، ص 36.

(2) محمد ناصر، نفسه، ص 230. علي مرحوم، نفسه، مجلة الثقافة، ع 42، ص 36. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5 ص 259.

(3) محمد ناصر، نفسه، ص 129. علي مرحوم، الصحافة العربية في الجزائر، مجلة الثقافة، ع 46، ص 35.

(4) تأسست في (1935-8-29)، وانتهت في (1942-1-29).

(5) الرشاد، ع 42 (1939-5-22). آيت علجت، صحف التصوف الجزائرية، ص 123.

(6) الوفاق، مقال "خطونا"، ع 1 (1938-3-23)، عن محمد ناصر، نفسه، ص 243.

ونتبع في ذلك نفس المبادئ الثابتة الرشيدة التي أسسنا من أجلها جمعية العلماء التي يحاول بعض المغرضين أن يجعلها آلة مشاغبة وخصام⁽¹⁾. وكان خصوم الزاهري من الجمعية يتندرون بها، ويسمونهم النفاق⁽²⁾.

8- جرائد أبو اليقظان: التي أصدرها في الثلاثينيات، وتطبع بالمطبعة العربية التي أسسها (1931)، وكانت تعاضد الإصلاحيين، وتهاجم في الآن ذاته أفكار محافظي الإباضية⁽³⁾، وما كانت تنشره جريدتهم الروح التي تطبع بالبليدة.

اسم الجريدة	تاريخ الصدور	تاريخ التوقف	مجمّل الأعداد
المغرب	1930-05-29	1931/3-09	38
النور	1931-09-15	1933/05/02	78
البستان	1933-04-27	1933-07-13	10
النبراس	1933-07-21	1933-08-22	6
الأمة ⁽⁴⁾	1933-09-08	1938-06-06	170
الفرقان	1938-07-08	1938-08-03	6

ثالثا: المطبوعات الإصلاحية.

1- رسالة الشرك ومظاهره: أهم كتاب أصدره الإصلاحيون سنة (1937)، وأحدث زوبعة في أوساط الجزائريين لما تناوله من ممارسات اجتماعية ضاربة الجذور في الذاكرة الجماعية، كقضايا الزردة والوعدة والذبايح والتوسل والبناء على القبور.... إلخ، إذا كان يذيل تأصيلاته الشرعية بحكايات من الواقع الجزائري المنشد للخرافات والولوع بالأساطير، واعتبره البعض إنجيل الإصلاحيين، وكان سيفاً قاطعاً في تشريح ظاهرة الشرك والانحراف الديني التي غرقت فيه الزوايا آنذاك، وتعتبر دراسة لوصف حالة الإصلاح والمصلحين وحالة المراقبة والمرابطين في مرحلة معينة من تاريخ التخلف الفكري في الجزائر⁽⁵⁾. إذ كان مليئاً بالمقارنة بين سلوكات الطريقين والقبوريين، وقد عززه بالنقول من كتب المالكية وغيرهم، بله من بعض كتب الوهابية، واعتبر الكتاب الإيديولوجي لتيار الإصلاح والوثيقة المذهبية للجمعية.

2- كتاب الأصول الثلاثة في التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب- كما في العنوان- وقد طبعته المطبعة الثعالبية لرودوسي سنة (1351هـ)، وربما كان ذلك بتأثير من الإصلاحيين، وعلى الرغم من تجارية المطبعة، فإن الغالب عليها طبع المؤلفات الجزائرية أو الأدبية أو الفقهية.

(1) الوفاق، ع 7 (1938-5-12)، عن محمد ناصر، نفسه، ص 245. ابن عبد الحكم، المرأة الجليلة، مرجع سابق، ص 418.

(2) محاضرات ومقالات أحمد حماني، مرجع سابق، ج 4 ص 64.

(3) انظر محمد ناصر، صحافة أبي اليقظان، ص 12. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5 ص 263. من أعلام الإصلاح في الجزائر، ج 1 ص 87.

(4) وحسب علي مرحوم فإن هناك صحيفة أخرى اسمها الأمة ظهرت بعد 1940، وأصدرها باسعيد عدون اليزقني -الذي كان مدير تحرير جريدة الحياة، ومفدي رئيس تحريرها، وصدرت عن جمعية الوفاق في أفريل (1933). وانظر أيضا مرحوم، نظرة على تاريخ الصحافة العربية الجزائرية، مجلة الثقافة، ع 42، ص 37. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5 ص 270.

(5) سعد الله المرجع السابق، ج 7 ص 180.

- 3- مقالات متسلسلة: وهي الأكثر في جرائد الجمعية مثل مقالات العقبي والزاهري وباعزيز بن عمر وأبي يعلى.
- 4- إعادة نشر المقالات الخارجية المروجة للفكرة الإصلاحية من قبيل " غاية الأمان في الرد على النبهاني " و" وصيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان " للشيخ محمد بشير السهسواني، الذي قرظه ابن العابد الجلاي⁽¹⁾، وكذا الترويج للكتب المناكفة للطرقية مثل كتاب عبد الله القصبي الموسوم بـ " الصراع بين الإسلام والوثنية"⁽²⁾. والذي ألفه أيام وهابيته ضد الشيعة والمتصوفة، وقد انقلب الرجل إلى الإلحاد والعياذ بالله.
- 5- مطبوعات تعليمية لمدرس الجمعية: مثل أنشودة الوليد، ورواية بلال بن رباح لمحمد العيد (1938)⁽³⁾
- 6- سجل جمعية العلماء (1935): وفيه تقارير التأسيس، وتقرير عن التعليم المكتبي لمحمد بن لعابد الجلاي، وآخر عن الدعوة والإرشاد للتبسي. وقد تهكم الطرقيون به واعتبروه دعاية فارغة وإعجابا بالنفس⁽⁴⁾.

المطلب الرابع: وسائل انتشار الإصلاحيين في الثلاثينيات.

أولا: تأسيس شعب الجمعية.

- وهي العملية التي جدّ فيها الإصلاحيون لتغطية التراب المدني في العملات الثلاث، وهو ما نجحوا فيه كثيرا بالشرق والوسط والزيان، في حين استعاضوا عنها بالمراسلين في الأماكن التي ليس فيها شعب للجمعية⁽⁵⁾، وحسب إحصاءات الجمعية فقد بلغت شعب الجمعية سنة (1936) أربعين في عمالة قسنطينة، واثنًا عشر في عمالة الجزائر، ومثلها في عمالة وهران، ثم تضاعف إلى (150) فرعًا بعد سنتين فقط⁽⁶⁾، وأما الجنوب فقد كان واقعا تحت الحكم العسكري عدا ميزاب التي تتمتع بمعاهدة الحماية، ومن نماذج الشعب المؤسسة:
- 1- تأسيس شعبة بسكرة: في (جانفي 1932)، وتولى رئاستها الأمين العمودي⁽⁷⁾، حيث زار ابن باديس بسكرة، وأشرف بنفسه على تأسيس فرع لجمعية العلماء، كما زار جمعية الإخاء، وحضر هذا النشاط الحاج محمد الهولاندي الذي أسلم، وزار ابن باديس كعادته شيخ البلدية، ونوه بالإباضيين وآل خبزي، ودبابش⁽⁸⁾، حيث كان لابن باديس خطة حكيمة في ربط العلاقات بالنواب والأعيان لحماية حركة الإصلاح.
- 2- تأسيس شعبة بجاية: التي افتتحت بها شعبة في خريف (1933)، بحضور ثلاثة آلاف شخص، ورأسها الهادي الزروقي، وهو سليل زاوية أحمد زروق في بني وغيليس، وحضر حفل افتتاحها المفتي حسن بولحبال⁽⁹⁾.
- 3- تأسيس شعبة وادي سوف سنة (1937) تحت رئاسة الأخضر شبارو⁽¹⁰⁾.

(1) الشهاب، (شوال-1352-جانفي 1934)، ج 10 ص 91.

(2) البصائر، ع 159 (31-3-1939)، ص 5. مع العلم أن القصبي تحول من الوهابية إلى الإلحاد.

(3) الزاهري السنوسي، شعراء الجزائر، ج 2 ص 79. فضلاء، أعلام الإصلاح، ج 1 ص 234.

(4) لسان الدين، مقال "تعليق على كتاب سجل المؤتمر"، ع 44 (3-1-1938)، ص 3.

(5) البصائر، ع 77 (30-7-1937)، ص 6.

(6) بوصفصاف، نفسه، ص 117.

(7) الشهاب، (ع شوال 1350-فيفري 1932)، ج 8 ص 120. وفي الأربعينيات رأسها عبد الرحمان بركات.

(8) الشهاب، مقال "ثلاثة أيام في بسكرة"، (ع شوال 1350-فيفري 1932)، ج 8 ص 120.

(9) جريدة الصراط السوي، ع 5 (16-10-1933)، ص 1. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3 ص 201.

(10) البصائر، ع 59 (19-3-1937)، ص 7.

كما كان العمل الإداري نشيطا في الشعب عن طريق عقد المؤتمرات الوطنية أو الجهوية، مثلما فعلت شعب الصحراء التي اجتمعت في بسكرة في (24-1-1938)، والذي حضره الورثاني، واحتج فيه المجتمعون على غلق دار الحديث، واعتقال عمر دردور، وعزل عبد الحفيظ الجنان، وحوادث تدخل الإدارة في مساجد قنزات والقلعة وقالمة⁽¹⁾. والمهم أن الثلاثينيات مثلت قمة الحضور الإصلاحية الطاغية والاكتمال الكبير للشرق الجزائري والزيان بالذات⁽²⁾. وكان التأخر في اقتحام الغرب نتيجة قوة الطرق الصوفية، وبعد كثير من قراه عن خطوط السكك الحديدية، وهي الوسيلة الممكنة لتحركات رجال الإصلاح على العكس من السيارات المكلفة⁽³⁾.

ثانيا: تأسيس المساجد الحرة:

تعرض العلماء لتضييق الإدارة، ثم منعها لهم من الخطابة والوعظ بالمساجد الرسمية، ومن أكثر من جاهر برفض القرار العقبي المسنود من أتباعه من الجيش الأزرق، إذ مُنع إلقاء محاضرة بالجامع الجديد في (3-3-1933)، فسار خلفه سبعة آلاف شخص منددين بالقرار الجائر، ودعت جريدة النجاح التي غطت المظاهرة إلى ضرورة التفاهم مع الإدارة من أجل عدم حرمان الأمة من قدرات العلماء، وقال: "إن فكرنا في جمعية العلماء خاص، ونتمنى لو أنها توفقت الجمعية لطريق المفاهمة مع الإدارة وإيجاد حل مرض، فإن استمرار سوء المفاهمة بين الطرفين تجني الأمة من ورائه أضرارا علمية وخيمة في زمن نحن أحوج الناس فيه إلى نشر العلوم العربية والدينية"⁽⁴⁾.

وقد تكررت مظاهرات الإصلاحيين وأنصارهم في العاصمة خصوصا ضد منع العقبي والعلماء من التدريس في المساجد، فكانت مظاهرة (24-2-1933)، وتلتها أخرى في (3-3-1933)، وحضرها أربعة آلاف⁽⁵⁾. وطرحت فكرة بناء مسجد حر بالعاصمة يسع الجميع، ويكون مكانا للوثام بين الإصلاحيين والطرفيين⁽⁶⁾.

وقد أدرك العلماء أهمية بناء المساجد الحرة فانتشرت بسرعة فائقة بأموال الأمة، وبشهادة الإبراهيمي: "أن الأمة أنشأت بمالها بضعة وتسعين مسجدا في سنة واحدة في أمهات المدن والقرى"⁽⁷⁾، وعليه فإن العلماء فكروا في البدائل وهي المساجد الحرة والنوادي والمدارس، فانطلقت حملة لتأسيس المساجد. وكان منها:

1- مسجد ميله: أسسه مبارك الميلي، وألحق به مدرسة وناديا⁽¹⁾، وود تعرض للمضايقات والوشايات حسبه من مفتي قسنطينة "المولود بن الموهوب"، وتعثرت المدرسة في أداء مهماتها بسبب التعتت في منح الرخصة، ولكنها افتتحت في حفل بهيج في (5-12-1937)⁽²⁾.

(1) جريدة البصائر، ع 99 (11-2-1938)، ص 3.

(2) حضر في الجمعية العامة بنادي الترقى يوم (18-7-1934) أكثر من ألف مندوب. انظر علي مراد، نفسه، ص 206.

(3) انظر علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، ص 237.

(4) جريدة النجاح، مامي "دعوة إلى التوفيق"، ع 1489 (7-7-1933)، عن بولحية، مرجع سابق، ص 219.

(5) جريدة السنة النبوية، ع 1 (8 ذو الحجة 1351هـ)، ص 3.

(6) المرصاد، عباسية "فكرة بناء مسجد حر بالعاصمة"، ع 57 (1-9-1933)، ص 1.

(7) راجع تركي، التعليم القومي، مرجع سابق، ص 146، وشاع مصطلحا مسجد حكومي ومسجد حر. انظر البصائر، ع 55 (12-2-1937)، ص 4، وانظر علي مراد، الحركة الإصلاحية، ص 188.

2-مسجد عين التوتة: أسسه أنصار الإصلاح، وكان أحمد بن عثمان السلطاني (1909-1991) نشطا فيه⁽³⁾. إضافة إلى أن الجمعية كانت تنشأ مصليات ملحقة بمدارسها ومراكزها، وكانت أشبه بالنوادي الثقافية. ثالثا: الوسائل الدعوية للإصلاحيين.

1- الخطابة الإصلاحية: برّ الإصلاحيون غيرهم من الطرقيين والرسميين في الخطابة التي برعوا فيها أيما براعة بسبب استلزامهم طرائقها من المشرق، حيث كان للخطابة مقرا دائما في مناهج ومقررات الأزهر والزيتونة. وقد كانت الجماهير في تلك الفترة الأمية تستجيب لها أكثر من الصحافة المكتوبة، ولذلك استطاع العقبي أن يغير وجه العاصمة بخطابته المميزة بشهادة معاصريه وتلامذته وبقايا جيشه الأزرق، وبديل الاجتماع على السهرات الشعبية صارت محاضرات العقبي وخطبه مواعد فارقة في حياة العاصميين في تلك الفترة. عرف الإصلاحيون خطورة الخطابة، فانبروا للتدرب عليها، ولدينا هنا مشروع تدريبي اقترحه الإبراهيمي، وهو: أ- مؤتمر سنوي تعقده الجمعية بقسنطينة يحضره معلمو الجمعية، للتداول والخبرات في التدريس والبحث في أصول التربية ومناهجها وقضاياها لرسم صورة صحية للمقررات التعليمية في مدارس الجمعية الصاعدة.

ب- مهرجان خطابي عكاظي علمي سنوي يقام بعد كل اجتماع سنوي للجمعية في العاصمة، ويكون مناسبة للتباري الأدبي، والتمارين على الخطابة والوعظ والإرشاد⁽⁴⁾. ومن أهم المؤتمرات المخلدة مؤتمر (15 سبتمبر 1935) والذي وثق أعمال الجمعية، وكان ندوة تدارسية لمنجزاتها، "وشكل تاريخا مشهودا في تاريخ الحركة الباديسية، لأنه اختتم عشر سنوات من التطور، والنتيجة لإيجابية لهذا المؤتمر تمثل في وعي الإصلاحيين برسوخهم العميق في البلاد وتأثيرهم الهام على الجماهير"⁽⁵⁾. 2- الزيارات الميدانية لنشر الإصلاح: اعتمد الإصلاحيون خطة التجوال والانتقال الفردي والوفدي لأصقاع الجزائر لنشر مبادئهم، لما للخطابة واللقاء المباشر من دور في تغيير الذهنيات، ونظرا للأمية الجاثمة على الجزائر مما جعل قراءة الصحف عملية نخبوية، إضافة إلى ما حصل من بعد من سدّ أبواب المساجد أمام الإصلاحيين.

ويذكر ابن باديس العمل المنظم للانتشار فيقول: "أوفدت الجمعية من رجالها للوعظ والإرشاد وفودا لبلدان القطر في العمالات الثلاث، وقامت تلك الوفود بمهمتها خير قيام، وكانت تتلقى من رجال الحكومة كما تتلقى

(1) محمد الميلي، الشيخ مبارك الميلي، ص 143. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 413.

(2) الشهاب، علي مرحوم، "كلمة وجيزة حول الجولة لمجلة الشهاب"، رمضان 1356- نوفمبر 1937، ج 13 ص 452. رحلات جزائرية، مرجع سابق، ج 2 ص 331. البصائر، ع 94 (1-7-1938).

(3) جريدة الصراط السوي، ع 16 (4-1-1934)، ص 6.

(4) آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 145.

(5) انظر علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، مرجع سابق، ص 219.

من الأمة بكل إكرام⁽¹⁾. وكانت خطة الوفود الجماعية مما دأبت عليه الجمعية في المناسبات المختلفة، ومن نماذج ذلك:

أ- الزيارات الوفدية المنظمة: دأبت الجمعية على تسيير وفود علمائية للوعظ والإصلاح ونشر مبادئها، ومنها: وفد باتنة الذي عينه ابن باديس لتنشيط العمل في باتنة، والذي رأسه محمد خير الدين، وكان قانون الجمعية يقتصر في إطعام الوفود والحاضرين على صنف واحد من الطعام هو الكسكي فقط للاقتصاد وعدم التبذير⁽²⁾.

- زيارة ابن باديس لبسكرة في أربعينية قتلها، بسبب اضطرابات الانتخابات ضد الدكتور سعدان⁽³⁾، بعد الصراع الانتخابي بينه ومرشح الإدارة بن قانة ودبابش، وما انجر عن ذلك من تزوير وإشكالات⁽⁴⁾. وكانت عادة ابن باديس تخصيص يومي الخميس والجمعة للزيارات الميدانية بحكم أنهما يوما عطلة في عمله التعليمي بالجامع الأخضر⁽⁵⁾.

- جولات العقبي الكثيرة بالوسط حيث نشط محاضرات في قصر البخاري وبتيزي وزو، وحضرها المئات⁽⁶⁾.
- الوفود الجهوية التي انطلقت في العملات الثلاث بعد قرار المكتب الدائم لذلك في اجتماع (1935-6-29)⁽⁷⁾
- قرر المجلس الإداري للجمعية في (1936-9-30) إرسال بعثات تفقدية تحسيسية بعد محنة العقبي وتضعض أمور الجمعية، بغاية إعادة الاعتبار لها بعد الدعايات الكاذبة، ومنها إرسال بعثة وعظية إرشادية لبلاد القبائل رأسها بن عتيق، وجعل منطلقها يوم (1936-10-15) من مسجد برج أم نائل، واختارت محمد خير الدين لعمالة قسنطينة، وبن حلوش لوهران، وبكوشة وفرحات بن الدراجي لعمالة الجزائر⁽⁸⁾.
- زيارة ابن باديس مع وفد من جمعية العلماء إلى الوادي بدعوة من عبد العزيز الهاشمي في شهر ديسمبر (1937)، وللزيارة مدلولها في التقارب الإصلاحية الطريقي، وكتب ابن باديس عن اعتقاله مقالات كثيرة⁽⁹⁾.
- الزيارات المنظمة لمراسلي الصحف الإصلاحية، والذين ينقلون صورا وذكريات لرحلاتهم وجولاتهم، بل إن بعض تقاريرهم كانت تحمل انتقادا وتنبيها لبعض نواقص التعليم والإصلاح في الشعب والجمعيات الدينية⁽¹⁰⁾.

(1) آثار ابن باديس، مرجع سابق، ج 3 ص 523.

(2) الشهاب، ع (ربيع الأول 1353-جوان 1934) ج 10 ص 363.

(3) مذكرات خير الدين، ج 1 ص 242. قوبع، نفسه، ص 114. الثبات، بسكرة أم العجائب، ع 26 (1934-10-10)، ص 2.

(4) فرحات عباس، ليل الاستعمار، مرجع سابق، ص 151.

(5) وهو ما ذكره الورثاني بالاستقراء، جريدة الشهاب، ع (ربيع الأول 1353-جوان 1934)، ج 10 ص 351.

(6) الثبات، مقال "إلى نجاح الأفاكين"، ع 50 (1935-9-6)، ص 2. مقال "قصر البخاري"، ع 49 (1935-8-23)، ص 2.

(7) انظر علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، مرجع سابق، ص 218.

(8) البصائر، ع 38 (1936-10-09)، ص 4. البصائر، ع 35 (1936-9-18)، ص 8.

(9) البصائر، "عبد العزيز الهاشمي والإصلاح"، ع 123 (1938-7-22)، ص 1، عمار هلال، أبحاث ودراسات، ص 326.

(10) نموذج جولة عبد اللطيف سلطاني والذي انتقد وضع اللغة العربية في نادي الإصلاح بباتنة، انظر الصراط، ع 16 (1934-1-4)، ص 6، وعن نادي الإصلاح بباتنة انظر تقرير الورثاني، الشهاب، ع (ربيع الأول 1353-جوان 1934) ج 10 ص 358. وكذا نقد علي مرحوم لوضعية التعليم في مدرسة باتنة، ومديرها الحسن فضلاء، البصائر، ع 148 (1939-1-13)، ص 6.

-السياحات الجماعية لعلماء الجمعية، وهي وسيلة طرقية سابقة، واعتمدها العلماء في تسيير بعض الوعاظ والمدرسين للتدريس والوعظ بالمساجد، ومن ذلك سياحة التبسي ومصطفى بن حلوش وعبد القادر بن زيان والسعيد الزموشي بوهرا صائفة (1937)، وكذا سياحة ابن باديس بعمالة سطيف الصائفة ذاتها⁽¹⁾.

ب- الزيارات المناسباتية: وخاصة مناسبات المولد النبوي الشريف، وكان ابن باديس حريصا على الأحفال المولدية، فقد زار عنابة في (15 ربيع الأول 1352هـ/7-8-1933)، ثم كانت له زيارة مشهورة في مولد (1354*1935)، وألقيت أمامه خطب عصماء من قبل حامد الأرقش، ومحمد نمر⁽²⁾.

أو الزيارات المتعلقة بالتأسيس لشعب المؤتمر الإسلامي، ومن ذلك التكريم الكبير الذي حظي به الفضيل الورثاني بعد عودته من باريس، حيث خطب ثلاث ساعات متواصلة⁽³⁾. وكذا زيارة وفد الجمعية لبسكرة بقيادة ابن باديس والإبراهيمي والميلي في تأسيس شعبة المؤتمر في (13-1-1937)⁽⁴⁾.

وكذا زيارة وتجمع الجمعية الكبير بميلة (12-1-1937)، بحضور ابن باديس والعقبي والتبسي والإبراهيمي⁽⁵⁾.

ج- الزيارات الفردية: والتي تتم من شيوخ الجمعية باستغلال المناسبات الدينية، وحتى الاقتصادية، فقد كان الميلي يقصد الأسواق الأسبوعية، كسوق بني حبيبي، وكانت أسئلة الناس حول: "التوسل، السبحة، أهل الدالة والتصريف، الولاية، النوبة والطريقة، الزردة، الفدية، وأثمر نشاطه عن انتصار الإصلاح في بلاد قبائل الحدرية حسب توصيف علي مرحوم⁽⁶⁾. ومن ذلك زيارات ابن باديس، ومنها زيارته للغرب حيث حلّ ضيفا على مدرسة الفلاح بوهرا⁽⁷⁾.

كما نشط الشيخ الفضيل الورثاني في الزيارات الفردية، حيث كان خطيبا مصقعا باللغات العربية والأمازيغية والفرنسية، ومن ذلك زيارته الشهيرة إلى الوادي في (25 جانفي 1938)، بدعوة من زاوية عيمش، وقد قيل إنها رد على زيارة الشيخ محمد الحافظ التيجاني المصري للزاوية التجانية بقمار والوادي⁽⁸⁾.

المطلب الخامس: المدارس الإصلاحية في الثلاثينيات.

ظل التعليم من الاهتمامات المركزية للإصلاحيين تنظيرا ودعاية وتأسيسا، وقد جاء في مواد قانون الجمعية في المادة (77): تسعى الجمعية في تكثير عدد المكاتب القرآنية على التدرج في أهم مراكز القطر⁽⁹⁾، والباب 80: من غايات الجمعية النبيلة تأسيس كلية دينية عربية بمدينة الجزائر⁽¹⁰⁾.

(1) البصائر، ع 81 (17-9-1937)، ص 5.

(2) جريدة الشريعة، ع 2 (24-7-1933)، في مولد سنة (1352هـ)، ص 4. ع 4 (7-8-1933)، ص 6.

(3) البصائر، ع 82 (24-9-1937)، ص 1.

(4) زوزو، الأوراس، نفسه، ج 2 ص 47. قوبع، نفسه، ص 114.

(5) عن تقرير سري فرنسي نشره الدكتور مريوش، الطبيب العقبي، مرجع سابق، ص 444.

(6) البصائر، ع 29 (24-7-1936)، ص 5، وع 31 (8-8-1936)، ص 6. والتقرير عن تأسيس شعبة الأجنح بجيجل.

(7) جريدة البصائر، ع 103 (11-3-1938)، ص 3.

(8) غنابزية، مجتمع وادي سوف، ص 45. بولحية، نفسه، ص 81. علي مرحوم، وفد الورثاني في سوف، رحلات جزائرية، ج 2 ص 279.

(9) عادة الجمعية ندب السكان لتسجيل أبنائهم، وتشترط بلوغ النصاب أربعين طفلا لإرسال معلم لهم، البصائر، ع 16 (24-4-1936)، ص 8.

(10) آثار ابن باديس، مرجع سابق، ج 4 ص 74.

اعتبرت العملية التعليمية عماد عمل الجمعية، ولأجل هذا هدفت الجمعية إلى تأسيس جمعيات رديفة قائمة بالهَمّ التعليمي، ومن أهم الجمعيات الإصلاحية جمعية التربية والتعليم التي يرأسها ابن باديس، والتي تمكنت من فتح فروع عديدة بعمالة قسنطينة، وقد بلغت مدارس جمعية العلماء في عمالة قسنطينة وحدها (85) مدرسة سنة (1938)، وفي عمالة الجزائر (68) مدرسة⁽¹⁾، إضافة إلى بعض المدارس الحرة، وعشرات الكتاتيب القرآنية.

واعتبر التعليم أولوية الأولويات عند العلماء "المدرسة جنة الدنيا، والسجن هو نارها، والأمة التي لا تبني المدارس تبني له السجون"⁽²⁾، وقد نشر العلماء استغاثات واستحثاث للشعب في دعم التعليم والإنفاق على طلبته، ومن ذلك دعوة ابن باديس لدعم صندوق جمعية التربية والتعليم المشرفة على تدريس ثلاثمائة طالب بالجامع الأخضر⁽³⁾، وبعد تطور العملية التعليمية بدأت الجمعية في توظيف المعلمين عن طريق اختبار بنادي الترقى لحاملي شهادة التطويع الزيتونية، وكان الاختبار تحت إشراف المراقب العام محمد خير الدين سنة (1937)⁽⁴⁾. ومن نماذج المدارس:

1- مدارس الزيبان:

أ- مدرسة الإخاء للتربية والتعليم ببسكرة: انطلق التعليم فيها صائفة (1931م)⁽⁵⁾. وتعاون في تأسيسها الأعيان والنواب والإصلاحيون والمحافظون والإباضيون، وأشرف على التعليم فيها محمد خير الدين ومحمد بن إبراهيم الطرابلسي وبلقاسم ميموني الغسيري⁽⁶⁾، وعمر بن البسكري⁽⁷⁾، ولكنها توقفت بعد مدة بسبب صراع الحفناوي مع الجمعية، وهو ما لاحظته علي مرحوم أثناء زيارته لها شتاء (1938)⁽⁸⁾.

ب- مدرسة عائلة خير الدين (مدرسة الباشات، الستائر): مدرسة بسيطة أسسها محمد خير الدين بعد توقف الإخاء، وأشرفت عليها عائلته، وكان بعضها محاطا بستائر، ودرّس فيها محمد بن العابد الجيلالي، ومحمد الصادق المراوي، وبلقاسم الغسيري والسعيد صروطة، وأحمد الدراجي العقبي⁽⁹⁾.

ج- مدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية ببسكرة: خلفت مدرسة الإخاء افتتحت في ديسمبر (1935) وكان مقرها نادي الشباب التابع للجمعية الخيرية، وبها درّس أحمد بن الدراجي، والسعيد بن الطاهر، والحاج أبو بكر⁽¹⁰⁾.

(1) تركي، التعليم القومي، مرجع سابق، ص 386، وعن فروع جمعية التربية والتعليم بباتنة. انظر البصائر، ع 94 (1938-1-7)، ص 3.

(2) البصائر، ع 172-173 (1951-10-15)، ص 3. آثار الإبراهيمي، ج 2 ص 130.

(3) البصائر، ع 47 (1936-12-11)، ص 5. فضلاء، المسيرة الرائدة، ج 1 ص 42.

(4) البصائر، ع 77 (1937-7-30)، ص 7. وانظر عن مؤتمر المعلمين الأول مذكرات خير الدين، ج 1 ص 296.

(5) مذكرات خير الدين، ج 1 ص 78. الشهاب (ع ربيع الأول 1350 / جويلية 1931)، ج 7 ص 574. البلاغ، ع 237 (1930-12-4)، ص 2.

(6) بلقاسم ميموني الغريسي، درس بالزيتونة والمعهد الخلدوني (1914-1925)، وعاد ليدرس ببسكرة، وهو صهر محمد خير الدين، ودرس أيضا بدلس وبجاية وأريس، توفي (1967). انظر البصائر الثالثة ع 137 (4-7-2003). عبد القادر قوبع، مرجع سابق، ص 206.

(7) جريدة البلاغ، عمروش لخضر "حول زيارة المدير وما وفانا به"، ع 237 (1931-12-4). قوبع، نفسه، ص 206.

(8) مذكرات خير الدين، ج 1 ص 93. النجاح ع (1931-5-15). البصائر، ع 101 (1938-2-25)، ص 4. قوبع، نفسه، ص 207.

(9) عبد القادر قوبع، الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان وميزاب، نفسه، ص 208.

(10) فضلاء محمد الطاهر، المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر في الجزائر، "القطاع القسنطيني" ص 144.

د-مدرسة الهدى بالقنطرة: تأسست سنة (1931) ورأس جمعيتها موسى بن حمودة، ثم خلفه موسى بن حفيظ، وافتتحها رسمياً إبراهيمي سنة (1947) وبها درّس عبد اللطيف سلطاني، ومحمد الأمين سلطاني (1).

هـ- مدرسة الهدى ببرج بن عزوز سنة (1936) وأشرف عليها عبد الحفيظ بن جلاب. ولا يمكننا إغفال دور المدارس الإصلاحية الإباضية كالعرفان ومدرسة آل خبزي والوفاق في بسكرة.

2- مدارس منطقة زاوية:

وضع الإصلاحيون نصب أعينهم اقتحام مناطق زاوية التي تعج بالزوايا والمعمرات التي تمد السلك الديني الرسمي بأعضاء الهيئة الدينية من أئمة ومدرسين وحزابين، ومن المعروف أن زوايا زاوية الكبرى تحت سيطرة المرابطين الطرفين، ولذلك بدأ الاهتمام الجاد بها عن طريق نقد طرائق التعليم، فنجد باعيز بن عمر يكتب عن "شعور طلبة الزوايا بالزاوية نحو الإصلاح"⁽²⁾، وسيؤخر دخول الإصلاح هنا إذا ما قورن بجاية ووادي الصومام، كما أن له مقالات في إصلاح التعليم، ومحاولة لاستقطاب العلماء كما في رسالته إلى الرزقي الشرفاوي⁽³⁾ المدرس الأول بزاوية عبد الرحمان اليلولي، وكان الشرفاوي ممن التزم الحيد الفكري في ذلك الصراع المحتدم بين الفريقين.

وقد زار ابن باديس زاوية اليلولي سنة (1935)، ولكن الزوايا ظلت مناكفة لدخول الإصلاحيين، عدا بعض القرى مثل أحريق بعزازقة، التي تأسست بها مدرسة وجمعية بإشراف الحاج عمر بلعباس منذ (1938)، ولكن بروز مدرسة عصرية تأخر إلى سنة (1948)⁽⁴⁾. ومن نماذج المدارس الإصلاحية:

أ-مدرسة الإصلاح ببجاية، والتي أشرف عليها الهادي الزروقي رئيس الشعبة، وقد ابتعث طلبته للجامع الأخضر، والمدرسة الرسمية بقسنطينة والزيتونة، وولدت جمعيات أخرى رياضية، والرشيديّة للموسيقى، وفوجا للكشافة، ونادي الترقى، وقد لقي الزروقي مضايقات واتهامات ومحاكمات، انتهت به إلى مغادرة بجاية إلى خراطة ثم دلس⁽⁵⁾، وخلقت الإدارة مدرسة موازية هي "مدرسة الحياة"، والتي انقلبت لصالح الإصلاحيين في الأربعينيات باسم المدرسة الخلدونية.

ب-مدرسة السنّة بقلعة بني عباس بالقبائل الصغرى، وقد كتب عنها الشاعر مبارك جلواح⁽⁶⁾.

3-مدارس الشرق الجزائري: وهي كثيرة في قسنطينة وغيرها، ومن نماذجها:

(1) جريدة الصراط، ع 16 (4-1-1934)، ص 6. فضلاء محمد الطاهر، المسيرة الرائدة، "القطاع القسنطيني" مرجع سابق، ص 103.

(2) الشهاب، (ع ربيع الأول 1350-جويلية 1931)، ج 7 ص 546. يسلي مقران، الحركة الدينية الإصلاحية ببلاد القبائل، ص 197.

(3) الشهاب (ع رمضان 1354-ديسمبر 1935)، ج 11 ص 567.

(4) فضلاء، المسيرة الرائدة، ج 2 ص 162.

(5) البصائر، ع 140 (18-11-1938)، ص 2، فضلاء، نفسه، ج 1 ص 213. البصائر، ع 130 (9-9-1938)، ص 1. وقد انتقل الزروقي لمستغانم ولقي محاكمة من الإدارة بتهمة تعليم الأناشيد الدينية، انظر جريدة المنار، ع 16 (23-01-1952).

(6) البصائر، مدرسة قلعة السنة، ع 111 (29-4-1938)، ص 2.

أ-مدرسة الفتح بسطيف: تأسست سنة (1936)، ثم كان التطور لها وشراء أرض لتوسعتها، وبناء مدرسة حديثة، وعملت لدفع التعليم قدما في سطيف إلى أن أغلقت من قبل فرنسا سنة (1957)⁽¹⁾.

ب-مدرسة تهذيب البنين والبنات بتبسة: تحت رعاية الجمعية الخيرية التي تأسست سنة (1932)، ورأسها الحاج الحواس، وأدار المدرسة الشيخ التبسي حتى سنة (1947)⁽²⁾.

وهذا إحصاء أولي لمدارس التعليم الذي رعته الجمعية وغيرها من الجمعيات المحلية في الشرق الجزائري:

اسم المدرسة	المدينة	المؤسس أو المدير	السنة
تهذيب البنين	تبسة	العربي التبسي، محمد حواس	1934
حياة الشباب	ميلة	مبارك الملي	1936
التهذيب	الميلية	محمد الصالح بن عتيق	1934
الحياة	جيجل	محمد الطاهر ساحلي ⁽³⁾	1933
مدرسة التربية والتعليم	فرع باتنة	محمد الغسيري	1937
الإخاء للتربية والتعليم	بسكرة	جمعية الإخاء	1931
مدرسة الجمعية الخيرية	بسكرة	عبد القادر صميذة ومحمد خير الدين	1935
التربية والتعليم	فرع خنشلة	بلقاسم شرفي	1938
التربية والتعليم	فرع عين ياقوت	الشريف بن عامر	1938
التربية والتعليم	فرع بريكة	موسى زقاق	1938
التربية والتعليم	عنابة	العباس بن الشيخ الحسين	1939
الرشاد	عين البيضاء	بلقاسم السويسي، السعيد الزموشي،	1938
الإرشاد	سكيكدة	الصالح بولنمور	1937
الفتح	قالمة	عبد الله بوحفص	1937
الفتح	سطيف	سي حمد البشير بن يحي	1936
التهذيب	برج بوعريج	الدكتور عيسى بن سالم	1936
التربية والتعليم	ألموثن-ورثلان	يحي حمودي	1938
التربية والتعليم	ابرياشا-أميزور	بلقاسم الميموني	1936
السعادة	خليل-ذراع الأربعاء	عمر البسكري	1937

(1) محمد الحسن فضلاء، من أعلام الإصلاح في الجزائر، مرجع سابق، ج3، ص130.

(2) البصائر، ع 55 (1937-2-12)، ص 4. دبوز، أعلام الإصلاح، ج 2 ص 33. مذكرات شاهد القرن، مرجع سابق، ص345.

(3) البصائر، ع 29 (1936-7-24)، ص 8. الثبات، ع 21 (1934-9-28)، ص 2. ومحمد الطاهر الجيجلي، ولد بجيجل (1908)، والتحق بالزيتونة سبع سنوات (1932-1925) وتخرج بالتطوع، رئيس شعبة جيجل، توفي (1990-2-1).

مدرسة جزائرية إسلامية	أقبو	الأخضر فركان	1936
التربية والتعليم	قلعة بني عباس	الصالح بن عتيق	1935

4-مدارس الوسط الجزائري: وخاصة في العاصمة والبليدة، ومن نماذجها:

أ-مدارس البليدة: مدرسة التهذيب تحت إشراف بن عتيق، والإرشاد⁽¹⁾ (كوامية) والهداية في بوعرفة بإشراف عمر حماني، ومدرسة الإخوان بالجون تحت إشراف أحمد بن عاشور، ومدرسة تهذيب البنات تحت إدارة السيدة موصلي⁽²⁾.

ب- الشلف: مدرسة ابن خلدون التي أسسها الجيلالي الفارسي⁽³⁾.

وهذا إحصاء أولي لمدارس جمعية العلماء في الوسط الجزائري:

المدرسة	المدينة	المؤسس أو المدير	السنة
مستقبل الشباب	حسين داي	عمر بوعتورة	1937
النصيحة	ليفى- المقرية-حسين داي	محمد الطاهر فضلاء	1936
التهذيب	بلكور	نادي الإصلاح	1936
الشبيبة	الأربعاء بني موسى	محمد باشا	1935
الإرشاد	البليدة	محمد بن قدور	
الرشيدية	شرشال	علي المغربي	1937
التهذيب	المدية	محمد بن شيكو ⁽⁴⁾	1936
الإصلاح	دلس	حمزة بكوشة ⁽⁵⁾	1932
الشبيبة	تيزي وزو	محمد الصغير فرج	1934

5- تأسيس دار الحديث:

وهو الحدث الأهم في حياة الجمعية بالغرب الجزائري، ويعود الفضل فيها للبشير الإبراهيمي، وكان افتتاحها يوما مشهودا في تاريخ الجزائر (27-9-1937)⁽⁶⁾، وكأنه عرس علمي، واسمها يدل على رؤية الجمعية لضرورة

(1) كتبت المرصاد عن احتفالها بمناسبة افتتاح مدرستها، "يوم مشهود في البليدة"، ع 7 (1932-2-19)، ص 3. وع 8 (1932-2-26)، ص 1. وقالت بأن رئيسها هو الحكيم البشير، وممن خطب في الحفل الطيب العقبي وأبو اليقضان واسطمبولي.

(2) محمد الحسن فضلاء، من أعلام الإصلاح في الجزائر، مرجع سابق، ج 3، ص 154.

(3) محمد الحسن فضلاء، المرجع السابق، ج 3 ص 92-95.

(4) التحقق بعد بالسك الديني الرسمي، وخلفه محمد الصادق الملياني، فضلاء، المسيرة رائدة، مرجع سابق، ج 2 ص 143.

(5) المرصاد، افتتاح مدرسة الإصلاح بدلس، ع 15 (1932-5-13)، ص 3.

(6) الشهاب (ع شعبان 1356-أكتوبر 1937)، ج 13 ص 388. البصائر، 81 (1937-9-17) ص 2، آثار الإبراهيمي، ج 1 ص 305. محمد العيد آل خليفة، ديوان محمد العيد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 79. فضلاء، المسيرة، مرجع سابق، ج 3 ص 19.

العودة إلى الأصول، فإذا كان الطريقون خلقوا اسم علماء السنّة، فإن الجمعية أسست دار الحديث ⁽¹⁾، وذلك في تسابق محمود على اكتساب الشرعية السلفية.

وكانت الدار تخضع مرات للمراقبة والتفتيش، إذ أمر الوالي العام بغلقها في (31-2-1937)، باستثناء الجامع وقاعة المحاضرات، ورفض الإبراهيمي التوقيع على محضر الغلق، وحوكم يوم (27-1-1938)، وحكم عليه الغرامة، وأيد الحكم بقرار الاستئناف بالعاصمة ⁽²⁾.

6-تعليم البنات:

انتزع الإصلاحيون الريادة في تعليم البنات الجزائرية، والتي كانت تنال تعليماً ضئيلاً في الكتاتيب، إذ أنهم رافعوا من نسبة التعليم بإدراج أقسام خاصة أو مختلطة ففي مدارسهم، واستوت التجربة بقوة في الأربعينيات. والغاية من ذلك هي الاستجابة الواعية لمطالب النسوية الحديثة المتصاعدة في العالم العربي نتيجة لتأثيرات الكمالية والمصرية، وكانت تلك الاستجابة تتعدى مما كتبه رشيد رضا في القضية، وخاصة قضايا التعليم والحجاب وغيرها ⁽³⁾.

لم يكن الوصول لهذا النجاح هيناً في مجتمع لما يبرأ بعد من مواريث عصور الانحطاط، فتوالت الكتابات والمرافعات، إذا كان المعارضون حريصين على منع الاختلاط، بناء على الاسترابة بالمرأة التي إن تعلمت فقد تخط ما يحرم شرعاً، مما يحرمها من خلق الحياء، ولم يجد المؤيدون عنتاً في دحض هذه الحجج ⁽⁴⁾.

أدخل الإصلاحيون تغييراً كبيراً على التقاليد العلمية في الجزائر، وكتب ابن باديس مقالات عن تعليم المرأة وسفورها، إضافة إلى استدعاء سير صحابييات رائدات شاركن في الحياة الاجتماعية ⁽⁵⁾.

كما فتح ابن باديس فرعاً لتعليم البنات في جمعية التربية والتعليم سنة (1931)، ووصل عددهن قرابة (130) مع نهاية الثلاثينيات، وعزم على تسفير بعثة منهن لدمشق بعد مراسلته رئيسة جمعية دوحه الأدب السيدة عادلة بهيم الجزائري حفيدة الأمير، وذلك في رسالة محفوظة في (4-8-1938)، ولكن ظروف الحرب الثانية حالت دون المشروع، وقد ذكر شقيق ابن باديس أن آخر درس ألقاه في الجامع الأخضر كان للنساء ⁽⁶⁾.

كما نشط الإصلاحيون في الدعوة لتعليم المرأة عموماً بمقالات وأشعار مختلفة، وجسدوا ذلك بفتح أقسام لهن في مختلف مدارس التعليم الحر، وكتب الميلي مقالة حول تعليم المرأة الكتابة، معتبراً إياها معركة

(1) خالد مرزوق ومختار بن عامر، مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان، مرجع سابق، ص 195. وفيه أنها سميت بذلك تيمناً بدار الحديث الأشرفية بدمشق حيث درس الإبراهيمي أيام مقامه بسوريا.

(2) سعد الله، الشيخ الإبراهيمي في تلمسان، مجلة الثقافة، ع 101، ص 93. البصائر، ع 100 (18-2-1938)، ص 3. آثار الإبراهيمي، ج 1 ص 312. مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان، مرجع سابق، ص 217.

(3) انظر علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، مرجع سابق، ص 393.

(4) انظر الشهاب، ع (جمادى 2، 1355- أوت، سبتمبر 1936)، ج 12 ص 295. بوصفصاف، نفسه، ص 255.

(5) الشهاب، ابن باديس "حق النساء في التعليم" (جانفي 1934)، تعليم النساء الكتابة، (أفريل 1939)، ج 15 ص 120.

(6) فضلاء، نفسه، ج 1 ص 70. مقال "أسرار من حياة ابن باديس" موقع عبد الحميد بن باديس، يوم (28-9-2012)

النساء، ونقض فيها حديث الحاكم المروي في مستدركه: "لا تعلموهن الكتابة"⁽¹⁾. معتبرا أن جمود المجتمع يعود إلى جهالة النساء.

وننتج عن ذلك أعمال رائدة كمدرسة شريفة الأعمال سنة (1934) بالقصبة، وسيرتها فتيحة بوفجي، ورأست جمعيتها فاطمة إيراثي، وقدمت أعمالا جلية في التعليم والعمل المنزلي وخياطة حجاب لائق بالمرحلة⁽²⁾.

المطلب السادس: تأسيس النوادي والجمعيات الإصلاحية.

1- إنشاء النوادي:

شهدت الجزائر تسابقا محمومًا لإنشاء الجمعيات والنوادي والروابط والأفواج الكشفية، واستمدت أسمائها من الانتماء الإسلامي العربي في ردة فعل قوية على محاولات التغريب الفرنسية، فكان من أسماها الإسلامي، الديني، النهضة، الرجاء، الفتح⁽³⁾. وربما يكون المرجع المهم لهذا حركة الإصلاح وما أدخلته من مفاهيم جديدة في التنظيم والعمل الجماعي الإداري، لأنه سبق وأن عرف الجزائريون أمثال هذه التنظيمات في أطر الطرق الصوفية.

وقد أكد الإبراهيمي أن الغاية من النوادي هي أن تكون لاستيعاب الشباب ووسيطا بين المساجد والمدارس: مذكرا بأن "المقصد الأول لجمعية العلماء هو التربية والتعليم، وطبقات الأمة ثلاث متفاوتة الشعور والإدراك، ولكنها مشتركة في القابلية والاستعداد وهي: الشيوخ والشباب والأطفال، فرأت الجمعية أن تصرف عنايتها على الطبقات الثلاث في آن واحد كل طبقة على قدر استعدادها، ولكن أين تلتقي بهذه الطبقات؟ فإذا التقت بالشيوخ والكهول ورقاد المساجد في المساجد، والتقت بالأطفال في المدارس التي شيدتها للالتقاء بهم فيها، فأين تلتقي بالشبان الذين فاتتهم المدرسة والمسجد معا؟ ولكن عزيمة الجمعية لا تقف في طريقها الصعاب، فأنشأت مشروع "النوادي" لتكون وسطا طبيعيا بين المساجد والمدارس، وتلتقي فيها بالشبان الذين هم وسط طبيعي بين الشيوخ والأطفال".

ولهذا بادرت الجمعية إلى إنشاء عديد النوادي الشبانية، ولكن ردة الفعل الاستعمارية كانت متوجسة، فأصدرت قرارات بمنع العلماء من الوعظ في المساجد الرسمية، وأضافت إلى ذلك محاصرة النوادي بتجفيف منابع تمويلها كما قال الإبراهيمي: "وبعد مدة أصدر أمرا آخر بحرمان النوادي من بعض الامتيازات كبيع القهوة والشاي لأعضائها وبالتسوية بينها وبين المقاهي العمومية في الخضوع لإشراف العمومية ... ومغزى هذا القرار- الذي له في الجزائر نفوذ القانون- هو إغلاق النوادي لأنها لا تقوم إلا على أثمان المشروبات التي تقدمها لأعضائها، فإذا حرمت منها لم يبق لها مورد إلا اشتراكات الأعضاء وهي لا تكفي"⁽⁴⁾.

ومن النوادي الرائدة نادي الإصلاح ببلكور، ونادي الإصلاح بالأصنام الذي رأسه محمد زروقي سنة (1936)⁽⁵⁾

(1) الشهاب (ع جمادى الأولى والثانية 1355. أوت -سبتمبر 1936)، ج 12 ص 295.

(2) فضلاء، المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر، مرجع سابق، ج 2 ص 56.

(3) عمار هلال، "النوادي الثقافية"، مجلة الدراسات التاريخية، ع 7 سنة 1993، ص 29. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 318.

(4) آثار الإبراهيمي، ج 4 ص 173. وانظر الورثاني، الجزائر الثائرة، مرجع سابق، ص 144.

(5) البصائر، ع 53 (1937-01-29)، ص 5، وكان نعيم النعيمي يرأس الشعبة، انظر البصائر، ع 35 (1936-9-18)

وافتتحت الجمعية النادي الإسلامي بالجلفة⁽¹⁾، و نادي الإصلاح ببريكة⁽²⁾، و نادي الشبان المسلمين بتبسة⁽³⁾. وإنشاء النادي الإسلامي بميلة⁽⁴⁾، وكان الفضل فيه لمبارك المليي، وكذا تأسيس نادي العمل بسكيكدة⁽⁵⁾. و نادي الشبان القالميين، والذي قام بزيارة لقسنطينة وأقام حفلة بقسنطينة بالمسرح البلدي⁽⁶⁾، و نادي الرشاد بأريس⁽⁷⁾، وتأسيس نادي النهضة بالبليدة سنة (1932) الذي ألقى فيه محمد العيد قصيدة عصماء⁽⁸⁾، ثم نادي التقدم بالبليدة⁽⁹⁾، وعلى الرغم من قربها إلى العاصمة فإن الدخول إليها كان متأخرا مقارنة بباقي الوسط، وكذا تأسيس نادي السلام بتيزي وزو حيث سبق لابن باديس أن زارها سنة (1931)، ثم زار المنطقة وزاوية اليلولي سنة (1935)⁽¹⁰⁾، محاولا تحسين صورة الإصلاح لدى رواد زوايا زواوة.

2- الجمعيات الخيرية:

أسهم أعضاء الجمعية بقوة في تأسيس الجمعيات الخيرية للنهوض بالحالة الاجتماعية، ففي بسكرة تم تأسيس الجمعية الخيرية الإسلامية ببسكرة وترأسها عبد القادر صميده وينوبه محمد خير الدين⁽¹¹⁾، وجمعية إعانة الفقراء سنة (1936)، ورأسها خير الدين، وكانت بدعم وإشراف الدكتور سعدان⁽¹²⁾، كما بدأ الإصلاحيون اقتحام معاقل الجنوب المحسوبة على الطرقيين، ففي أفلو بالعمور تأسست الجمعية الخيرية⁽¹³⁾.

وفي الشرق تأسست جمعيات كثيرة مثل جمعية المؤاخاة بسكيكدة⁽¹⁴⁾، حيث بدأ الشمال القسنطيني يخلص للإصلاحيين إذا استثنينا عنابة التي كان بها وجود علوي معتبر. ولكن أهم جمعية رائدة في العمل الخيري هي الجمعية الخيرية الإسلامية بالعاصمة، والتي بُعثت في (4 جانفي 1934)⁽¹⁵⁾، ورأسها العقبي ونابه محمود بن ونيش وعباس التركي، وكان الشريف محمد الزهار كاتبها العام،

(1) البصائر، ع 90 (10-12-1937)، ص 3، تأسست مدرسة الإخلاص بقسمين في الأربعينيات، فضلاء، مرجع سابق، ج 2 ص 167.

(2) البصائر، ع 71 (18-6-1937)، ص 8.

(3) البصائر، ع 67 (14-5-1937)، ص 7، ورأسه جويني محمد الأخضر. الشهاب (ع ربيع الأول 1356- ماي 1937)، مج 13 ص 172. مذكرات شاهد القرن، مرجع سابق، ص 385، وحسبه فقد تأسس سنة (1925).

(4) الشهاب (ع صفر 1354- ماي 1935)، ج 11 ص 122. محمد المليي، الشيخ مبارك المليي، مرجع سابق، ص 143.

(5) الشهاب (ع ربيع الأول 1355- جوان 1936)، ج 12، ص 197.

(6) الشهاب (ع ربيع الأول 1358-أفريل 1939)، ج 14 ص 195.

(7) عبد الحميد وزو، الأوراس، نفسه، ج 2 ص 49.

(8) المرصاد، ع 35 (2-12-1932)، ص 2. المرصاد، ع 36 (9-12-1932)، ص 3. وعن نادي النهضة انظر جريدة النور، ع 60 (6-12-1932) نقلا عن مريوش، مرجع سابق، ص 135.

(9) الشهاب (ع رمضان 1354- ديسمبر 1935)، ج 11 ص 590. نادي التقدم انظر البصائر، ع 35 (18-9-1936)، ص 8،

(10) عن نادي السلام انظر البصائر، ع 130 (9-9-1938)، ص 7. فضلاء، المسيرة الرائدة، مرجع سابق، ج 2 ص 155.

(11) فضلاء محمد طاهر، المسيرة الرائدة للتعليم العربي بالجزائر (القطاع القسنطيني)، ص 114.

(12) قوبع، نفسه، ص 278 عن جريدة الدفاع، ع 129 (18-12-1938)

(13) الشهاب (ع جمادى الأولى، 1351- سبتمبر 1932)، ج 8 ص 514.

(14) الشهاب (ع شوال 1351- فيفري 1933)، ج 9 ص 123.

(15) الثبات، الجمعية الخيرية الإسلامية، ع 3 (2-2-1934)، ص 3.

وأدت خدمات جليلة للفقراء حسب توفيق المدني، وكانت نواتها الأولى من القرن الماضي مع دار الصدقة الإسلامية في عهد نابليون الثالث سنة (1857)، أو ما صار يسمى بالمكتب الخيري، والذي جاء كاستراتيجية بدلية عن عمل الزوايا الخيري، ولكنه فشل في أدار المهمة⁽¹⁾. وعاضدها جمعية الزكاة التي رأسها قدور الحلوي⁽²⁾.

3- جمعيات أخلاقية:

ولمواجهة التردّي الأخلاقي، أسهم الإصلاحيون في تأسيس جمعيات أخلاقية لمقاومة الانحراف الذي خرب حياة الساكنة، والذي أسهم الاستعمار في صناعته في الجزائر المستعمرة، ومن ذلك:

أ- الجمعية الإسلامية لمقاومة الكحول: التي تأسست (16-9-1932) بنادي الترقّي، ورأسها العقبي شرفيا، وكان رئيسها هو محمد خوجة الخيل، وعبد الرحمان الجيلالي أمين مالها، وكاتبها هو جوكلاري محمد الشريف⁽³⁾.

ب- جمعية مقاومة الكحول بعنابة⁽⁴⁾: وأشار مالك بن نبي إلى تفشي ظاهرة الخمر والمخدرات في روايته لبيك. وكانت الفكرة مختصرة عند الإصلاحيين منذ مدة كما هو مقترح مراسل الشهاب على إصلاحيي جيجل⁽⁵⁾.

ج- جمعية حياة الشباب بميلة⁽⁶⁾، وجمعية الإرشادية بسطيف، ونادي الرشاد بعين البيضاء سنة (1938)⁽⁷⁾. وهي جمعيات أسهمت بقوة في تعديل المسار الأخلاقي وصبغ الحياة بصبغة إسلامية منابذة للثقافة الغربية.

د- جمعية الحراسة الإسلامية بقسنطينة⁽⁸⁾، ورأسها محمد رحموني، وأسست لها فروعا بقالة و تبسة.

وفي هذا نقراً شهادة بن نبي عن تغير أوضاع تبسة بجهود هؤلاء: "وكانت عودة الشيخ العربي التبسي، من مدينة (سيق) منتظرة ليوم التدشين القريب، وانضم تحت لواء الإصلاح حتى عرابدة تبسة ومدمنوها العاكفون على الخمر، مثل (بني وفندرودي وبيرلا) وغيرهم من عبّاد باخوس، كما انضم كثير من الذين يعيشون في كنف الاستعمار"⁽⁹⁾.

4- الجمعيات التربوية الثقافية:

دخل الإصلاحيون بقوة في الثلاثينيات لبعث الحياة الثقافية ورغد التعليم الناشئ بجمعيات تجسد مخرجات هذا التعليم، وعلى الرغم من محاصرة القوانين وضعف الإمكانيات فإن التحدي كان كبيرا، وأسهم في ولادة جمعيات رائدة مثل:

(1) جريدة الصراط السوي، ع 16 (4-1-1934)، ص 4، مذكرات حياة كفاح، ج 2 ص 372. وانظر البصائر، مقال دار الصدقة الإسلامية، ع 6

(2) (12-9-1947)، ص 2. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4 ص 186. فضلاء، الرائدة، ج 2 ص 51.

(3) جددت مكتبها بعد وفاة محمد المانصالي، انظر المرصاد، ع 24 (19-8-1932)، ص 3.

(4) النور ع 50 (27-9-1932)، عن مريوش، ص 379. وكان من أعضائها جمال سفينجة، ومن مستشاريها مفدي زكريا.

(5) الشهاب (ع ذي الحجة 1352 - مارس 1934)، ج 10 ص 198. فضلاء، المسيرة الرائدة، مرجع سابق، ج 1 ص 152.

(6) الشهاب، ع 110 (18-8-1927)، ج 3 ص 203.

(7) الشهاب، (ع ذو الحجة، 1354 - مارس 1936)، ج 11، ص 735-737.

(8) عن نادي السلام انظر البصائر، ع 130 (9-9-1938)، ص 7. فضلاء، المسيرة الرائدة، ج 2 ص 155.

(9) جريدة الميدان، ع 4 (18-7-1937)، ص 1.

(9) مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، مرجع سابق، ص 262.

جمعية النهوض بالعاصمة سنة (1936)، وهي جمعية خيرية تعليمية تهذيبية، ورأسها مصطفى الزبيري⁽¹⁾. وكذا الجمعية الملحقة بمدرسة السعادة ببلكور⁽²⁾ وجمعية مستقبل الشباب بحسين داي، والتي افتتحت مدرسة تعليمية⁽³⁾. وفي بلكور معقل الإصلاح تأسست جمعية الإرشاد، برئاسة فضيل العربي⁽⁴⁾. وكان لها ولنادي الإصلاح دور كبير.

لكن أهم جمعية مدت أذرعها في الشرق الجزائري هي جمعية التربية والتعليم بقسنطينة، والتي دخلت غمار العمل الفعلي بتغيير بعض العادات الدينية، حيث أبدعت في استقبال جامع واحتفاء بحجاج بيت الله الحرام في مقرها، وبهذا أبطلت عادات الدوران على البيوت⁽⁵⁾، وبعد نجاحها في الموسم الأول منعها عمالة قسنطينة من استقبال الحجاج في المسجد الكبير بقسنطينة، حيث ذهب ابن باديس لتفريق الجموع بعد خطبته، وفي عنابة مُنع من استقبال الحجاج في الجامع، وهنا يتهم ابن باديس المولود بن الموهوب بتحرش البريفي-عامل العمالة- ويقول: "بعضهم يغترون بالرسميين الذين لا قيمة لهم عند الأمة"⁽⁶⁾. وهو ما ينبئ عن قمة القطيعة بين الإصلاحيين والرسميين.

كما أسس الإصلاحيون بفرنسا جمعية النهضة ببائيس، وكانت جرائد الجمعية تغطي نشاطاتها المتكررة⁽⁷⁾.

5- جمعيات دينية:

التي تسعى إلى بناء المساجد الحرة، وهو أمر جدّ فيه الإصلاحيون، وندبوا رجالهم وحلفائهم من رجال المال والأعمال والملاك إلى ذلك، بل إن ابن باديس رأس بعضها من خارج قسنطينة مثل جمعية عين مليلة⁽⁸⁾. ومن ذلك الجمعية الدينية بالحروش، ورأسها الشيخ مسعود كافي، وبنت مسجدا ومدرسة تطورت في نهاية الأربعينيات⁽⁹⁾، وبعض الجمعيات الدينية المحلية كانت في الواقع ذاته شعبا لجمعية العلماء، وخاصة في الشرق الجزائري.

6- الجمعيات التربوية التعليمية:

(1) أحمد مريوش، الشيخ الطيب العقبي، مرجع سابق، ص 292.

(2) الشهاب، (ع ذو الحجة، 1354-1936)، ج 11، ص 755.

(3) البصائر، ع 59 (1937-3-19)، ص 8.

(4) البصائر، ع 65 (1937-4-30)، ص 7.

(5) الشهاب (ع صفر 1354-1935)، ج 11 ص 125.

(6) الشهاب (ع صفر 1355-1936)، ج 12، ص 104.

(7) البصائر، ع 116 (1938-5-3)، ص 8.

(8) كانت معضلة عين مليلة أن مكان المسجد كان معرضا لمصادرة بسبب أن صاحبه الأول ارتهنت أملاكه بسبب قرض ربوي، مما جعل ابن باديس والمؤيدين يبحثون عن حلول قانونية لاستنقاذه، وهو ما تم. انظر البصائر، ع 16 (1936-4-24)، ص 8. الثبات، ع 19 (1934-9-14)، ص 3. وقالت بأن ماله هو عيسى بن بكير اسريعة

(9) فضلاء، نفسه، ج 1 ص 140. وذكر أن المدرس أحمد كافي رفض الصلاة على متجنس، فنفته فرنسا إلى المسيلة.

وهي الأكثر، إذ أن كل مدرسة كانت تنشأ برعاية جمعية حسب القوانين في مختلف العمالات، ولكن وجدت جمعيات وطنية مثل: جمعية تهذيب وتعليم مسلمي شمال إفريقيا، والتي ندّدت بإغلاق مدارس الجمعية في عمالي قسنطينة ووهران⁽¹⁾، أو جمعيات إقليمية مثل جمعية التربية والتعليم بقسنطينة.

كما مدّت الجمعية أذرعها إلى الزيتونة، فسيطرت على جمعية الطلبة الزيتونيين الجزائريين، وأصدرت مجلة "الثمرة الأولى"⁽²⁾ وكان كاتبها العام الشاذلي المكي، ثم صار أحمد حماني، والذي كتب عن تجديدها وتقريرها المالية والأدبية، والظاهر أن أزمة حصلت في التجديد، مما جعل البصائر تذكره بوجوب احترام جهود سابقه، ودعته إلى التفاهم مع المعارضين⁽³⁾.

ومن نماذج الجمعيات المحلية جمعية التهذيب والمواصاة التي أسسها الشيخ عيسى عليّة في (1934)، وألحق بها مدرسة تعليمية تسمى "مدرسة التهذيب" بسيدي عيسى، وكانت تتبع الطريقة الرحمانية، وأدت دورا مهما في التعليم والإرشاد⁽⁴⁾.

وكان الشيخ عيسى رحمانى الطريقة، وهو نفسه رئيسا لشعبة جمعية العلماء، كما كان بها فرع لشباب المؤتمر الإسلامي ودرّس معه فيها الشيخ قويدر التجاني الأغواطي، ثم صارت تسمى مدرسة التهذيب بعد سنة (1946).

7-الجمعيات الفنية:

وهو ما اهتم به ابن باديس في إحياء التراث الجزائري والفنّ الأندلسي، وما دعا إليه الإبراهيمي أيضا من الاعتناء بالتمثيل لأنه أخو الخطابة⁽⁵⁾، ولذلك حرك الإصلاح الحركة المسرحية والفنية، ولمزاحمة الجمعيات اليهودية التي اختطفت الغناء الجزائري⁽⁶⁾، وكان ذلك وراء تأسيس:

أ- جمعية الهلال، وظهرت في (12-6-1932)، وكانت مرافقة لحركة النهضة بدافع الحفاظ على التراث، ثم تكونت جمعية الهلال التمثيلي في (18-5-1938)، وقد أحييت الفصحى عن طريق المسرح، ومثلت مسرحية عن آفات الخمر والأمية، وتعاونت مع جمعية الشباب في استقبال نادي الشباب بقائمة⁽⁷⁾.

(1) البصائر، ع 98 (4-2-1939)، ص 3.

(2) البصائر، ع 89 (3-12-1937)، ص 4.

(3) البصائر، ع 90 (10-12-1937)، ص 8، مقال زيتوني قديم "إن بني عمك فيهم رماح"، وكان يرأسها الشاذلي المكي الخنقي، انظر البصائر، ع 65 (30-4-1937)، ع 92 (24-12-1937)، ص 6، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 274.

(4) بوكسية، التطور الثقافي والسياسي بزوايا الطريقة الرحمانية، ص 233. والحاج عيسى عليّة ابن السعيد، ولد بأولاد سيدي إبراهيم الغول قرب بوسعادة (1883)، تتلمذ بالهامل على يد الديسي وغيره، وحج سنة (1913)، أسس المسجد العتيق بسيدي عيسى (1929)، وشارك في تأسيس جمعية العلماء، وفي نسخة على الشبكة (جمعية المسلم للتربية ورعاية الأيتام والفقراء) بوصل يوم (24-4-1934)، من آثاره: رسالة الألسنة في الرد على من آمن بالطاغوت وخالف السنة، وطبعت بتونس (1936)، كشف الخبايا في ابن الزوايا باسم مستعار هو العربي الجزائري بن الطاهر، وطبعت بالمطبعة العربية بالجزائر (1935)، انظر البصائر، ع 126 (12-8-1938)، ص 8. من أعلام الإصلاح في الجزائر، ج 1 ص 106. المسيرة الرائدة، ج 2 ص 169. وعن إغلاق المدرسة انظر الإبراهيمي "الحقائق العريانة" البصائر، ع 1 (25-7-1947)، ص 2. آثار الإبراهيمي، ج 3 ص 50. محمد بسكر، أعلام الفكر الجزائري، مرجع سابق، ج 2 ص 41.

(5) الشهاب ع (ذو القعدة 1348-أفريل 1930)، ج 6 ص 151. آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 67.

(6) تأسست المرصاد لتنشيط جمعية المطربة الإسرائيلية حفلا بنادي الترقى لجمعية التلاميذ، ع 5 (29-1-1932)، ص 3.

(7) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5 ص 318.

ب- جمعية أحباب الفن (ماي 1933)، ورأسها محمد عبد المجيد رحموني⁽¹⁾، وكان أحمد بوشمال عضوا فيها، وحسن الوارزقي (الطريقي) كاتبها العام⁽²⁾، وكانت تحيي السهرات الفنية لجمع التبرعات لتلاميذ مدرسة التربية والتعليم التي يديرها ابن باديس، ومن أعمالها استقبال حجاج باخرة "مندوزة" بتمثيل مسرحية "الدجالون" لمحمد النجار⁽³⁾.

ج- جمعية المزهر القسنطيني، وكان ابن باديس عضوا بها، وألت رئاستها لرضا حوحو.

د- جمعية المزهر البوني، في عنابة سنة (1932)، وهدفت إلى محاربة الآفات وتشجيع اللغة العربية، وكان من مؤطريها الجنيدى خليفة أصيل مدينة الخنقة، والمدرس بمسجد عنابة، وقد غطت البصائر والبلاغ بعض مسرحياتها في محاربة المخدرات التي كانت منتشرة بعنابة بسبب تلويث المعمرين لها بأفاتهم⁽⁴⁾. ونالها نقد الطريقين لما كانت تدرجه في مسرحياتها من نقد لبعض تصرفاتهم وبدعمهم نحو ردها على جريدة الإخلاص⁽⁵⁾.

هـ- تأسيس جمعية الشباب الفني (المسرح والموسيقى)، في (أفريل 1937)، وكان ابن باديس رئيسها الشرقي، وتلميذه عبد الحفيظ الجنان كاتبها العام، وأحمد بوشمال عضوا فيها⁽⁶⁾. واهتمت بالتمثيل والموسيقى لخدمة النهضة. وأحيت أحفلا كبيرة في كلية الشعب بقسنطينة، وأنشدت به قصيدة (اشهدي يا سماء) لابن باديس، كما قدمت مسرحية هادفة بعنوان الدكتاتور في (20-1-1940)، وأحيت بميلة مسرحية "شباب اليوم".

و- جمعية الوتر الجزائري، وهي جمعية فنية المثل الروايات الهادفة، وإحياء الموسيقى العربية⁽⁷⁾.

ز- جمعية إخوان الأدب بوهران، وكان ورائها محمد السعيد الزاهري⁽⁸⁾.

كما كان للجمعيات العلمية فرق مسرحية مثلت العديد من الأعمال القيمة، فقامت فرقة جمعية التربية والتعليم بقسنطينة بتمثيل رواية "البعثة العلمية" لبن العابد الجلاي في حظ الجزائريين على البذل والإنفاق على الطلبة المبتعثين⁽⁹⁾، ومن المسرحيات الرائجة آنذاك "سحار بالرغم منه" لمحي الدين باشتارزي.

ومن مظاهر نشاط الجمعيات الفنية والفرق الملحقة بالمدارس تنشيط الأعراس، فقد نشرت الشهاب مشاركة الجمعية في زفاف جلول البدوي في البليدة، ولم يكن علماء الجمعية يستنكفون عن البروتوكولات الجارية من الاستقبال بالفرق الموسيقية كما هو الأمر في مهرجانات المؤتمر الإسلامي⁽¹⁰⁾، وحضر ضيوف افتتاح دار

(1) جريدة الميدان، ع 4 (18-7-1937)، ص 1، وقال بأنه رئيس جمعية الحراسة الإسلامية بقسنطينة.

(2) النجاش، حسن الوارزقي، "جمعية المزهر البوني بقسنطينة"، ع 1455 (5-7-1933)، ص 3.

(3) البصائر، ع 62 (9-4-1937)، ص 7، أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 324.

(4) الشهاب، ع (ذو الحجة 1350- أفريل 1932)، ج 8 ص 264. البلاغ، ع 249 (4-3-132). مذكرات شاهد القرن، ص 186، وحسبه فمؤسسها سي الجندي، وقدمت عرضا في تبسة. انظر تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5 ص 318، وج 5 ص 428.

(5) المرصاد، عبد الرحمان جدي رئيس جمعية المزهر "المزهر البوني"، ع 62 (13-10-2933)، ص 2.

(6) الشهاب (ع ربيع الأول 1356/ ماي 1937)، ج 13 ص 173. الشهاب (ع ربيع الثاني 1358- ماي 1939)، ج 14 ص 216. البصائر، ع 116 (3-5-1938)، ص 8. البصائر، ع 66 (7-5-1937)، ص 6. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 317.

(7) البصائر، الأعداد 62-91-92-104. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 428.

(8) الشهاب، (ع ذو الحجة، 1354- مارس 1936)، ج 11، ص 754.

(9) البصائر، ع 91 (17-12-1937)، ص 5. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 427.

(10) البصائر، ع 41 (30-10-1936)، ص 1. واستقبلت الجمعية الموسيقية الإسلامية وفد المؤتمر بالموسيقى الصادرة.

الحديث بتلمسان مآدب تلمسانية غنى فيها الشيخ العربي بن صاري⁽¹⁾. ويُذكر بأن الإبراهيمي كان يرمي الحركة الفنية الأصيلة في تلمسان، فقد حاضر وشجع استقبال تلمسان لجمعية الموصلية بالعاصمة، والتي أحييت أحفالا أندلسية، واستقبلت في نادي السعادة جمعية المعلمين التي عقدت مؤتمرها السنوي بتلمسان تلك السنة⁽²⁾.

8-الجمعيات الرياضية:

حاول الإصلاحيون دخول هذا الميدان على الرغم من غربتهم عنه، فكانوا من المناصرين والمؤسسين لعدد من الجمعيات الرياضية الجزائرية، مثل:

أ-نادي مولودية قسنطينة: اشتهر في المرحلة بكونه ناديا إسلاميا يقارع النوادي الفرنسية، وكان حماني من أنصاره.

ب- جمعية شباب بجاية للرياضة: التي زارها ابن باديس، وألقى محاضرة في ناديها، ودعا إلى استغلال النوادي الرياضية لخدمة الأمة⁽³⁾.

ج- جمعية الاتحاد الرياضي الإسلامي بوهران، وأشادت البصائر بتتويجها في بطولة الشمال الإفريقي⁽⁴⁾.

د- جمعية مولودية العاصمة، وأشهر مرشدي أنصارها الشيخ العقبي. وكانت تعقد عديد نشاطاتها بالترقي⁽⁵⁾.

9-الكشافة الإسلامية:

ظلت تجربة الكشافة مهمة لمد حركة الإصلاح بالإطارات، ونشطوا فيها تأثرا بالتجربة المشرقية والعالمية⁽⁶⁾. ولمواجهة الكشافة الكاثوليكية واليهودية والشيوعية اهتم الإصلاحيون بخلق أذرع شبابية، وكان في جمعيات الكشافة خير مثال، فانتدبت بعض الشعب لذلك، وقد حضر ابن باديس الاجتماع الكشفى بتلمسان، وأشار إلى كشافة الرجاء النشطة في قصيدة شعب الجزائر مسلم⁽⁷⁾، وقدمت الرجاء أعمالا فنية كثيرة مثل مسرحية النهضة التي مثلتها بأماكن كثيرة مثل باتنة⁽⁸⁾.

كانت العلاقات وثيقة بين شباب الكشافة والإصلاحيين، فمحمد بوراس من المتأثرين والمتابعين للعقبي في نشاطات نادي الترقى، وقد حضر له أثناء الاستعدادات للمؤتمر الإسلامي سنة (1936)⁽⁹⁾.

(1) الشهاب، تقرير بن حلوش عن افتتاح دار الحديث (شعبان 1356-أكتوبر 1937)، ج 13 صص 388-395.

(2) النجاح، الموصلية في تلمسان، ع 1553 (15-4-1934)، ص 2. رحلات جزائرية، مرجع سابق، ج 1 ص 241.

(3) البصائر، ع 116 (03-05-1938)، ص 4.

(4) البصائر، أحمد حماني، "تقرير متجول البصائر"، ع 139 (11-11-1938)، ص 8.

(5) مولودية العاصمة تأسست في (21-10-1921)، ورأسها محمود بن صيام، الذي جعل من نادي الترقى مقرا لها في (1928-1933)، وبعد مظاهرات 1933 اشترت مقرا جديدا لها، وأرجع البعض ذلك لقطع علاقاتها بالحركة الإصلاحية. انظر مريوش، الطيب العقبي، ص 132.

(6) علي مراد، الحركة الإصلاحية الجزائرية، مرجع سابق، ص 381.

(7) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5 ص 319.

(8) البصائر، ع 143 (9-12-1938)، ص 5. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 429.

(9) مريوش، الطيب العقبي، ص 132. الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، ج 3 ص 107.

تناسلت الأفواج الكشفية في التأسيس تباعا، وكانت متنفسا للشباب، وحقلا لنشر الأفكار الوطنية، ولأجل ذلك كتب شاعر الجمعية محمد العيد آل خليفة نشيدا رسميا لكشافة فرع الإقبال⁽¹⁾.

وأشهر فوج نشيط كان فوج الرجاء بقسنطينة، وانبثق منه فرع بسكرة سنة (1939)، والذي نال اعتماده في (1-2-1941)، ورأسه شرفيا الدكتور سعدان وكان مرشده الشيخ علي مرحوم⁽²⁾.

وعلى غرار آل خليفة ألف محمد بن العابد الجلاي (1890-1967) بعض الأناشيد الكشفية والشبابية، وطبع كتاب "الأناشيد الدراسية لأبناء وبنات المدارس الجزائرية" سنة (1939) ليكون رافدا أدبيا وفنيا لتلاميذ المدرس، وقد قرظته الشهاب: "ولهذا نختار الأناشيد المشتملة على العقائد الصحيحة والأفكار السليمة والأخلاق الفاضلة، وقد راعى كل هذا الأستاذ محمد بن العابد الجلاي"⁽³⁾. وقد اعتبر آجرون جمعيات الكشفية التي أنشأها العلماء مدارس للتربية الدينية والوطنية⁽⁴⁾، وكذا للنزوع القومي التي تمثل في ترديد صيحة ابن باديس "إذا هلكت فصيحتي تحيا الجزائر والعرب".

المطلب السابع: المناشط العامة للإصلاحيين في الثلاثينيات.

1- الأعمال الإدارية للجمعية:

جَدَّدَت الجمعية مكاتبتها التنفيذية في المواعيد المحددة مطلع خريف كل سنة، ولكن أهم تجديد وتوسيع للجان والأعمال كان في سنة (1937)، حيث انتخب مجلس جديد ضم: ابن باديس رئيسا، وينوبه الإبراهيمي، ومبارك الملي للمال، وينوبه أبو اليقضان، والتبسي كاتب عام، وينوبه فرحات بن الدراجي، ومحمد خير الدين مراقبا عاما. كما أحدثت الجمعية مكتبا مركزيا بالعاصمة خلف لجنة العمل الدائمة، واستحدثت مجالس عمالية مكونة من رؤساء الشعب، واختير خير الدين لمكتب الجزائر، وحمزة بكوشة لقسنطينة، ومصطفى بن حلوش لوهرا. وخلقت لجانا لرفد عملها، ومن ذلك:

لجنة الإفتاء: يرأسها التبسي، ومعه مبارك الملي، والإبراهيمي، وعلي أولخيار.

لجنة تنظيم التعليم: الإبراهيمي، وفرحات بن الدراجي، وبلقاسم اللجاني، وعبد المجيد حيرش، وعبد العزيز بن الهاشي.

لجنة الدعاية: الإبراهيمي، والعقبي مستشار، وحمزة بكوشة، وصالحي السعيد، ومصطفى بن حلوش.

لجنة المالية: خير الدين، أحمد بن معيزة، عبد القادر بن زيان، ومحمد بن منصور، وعبد العزيز الهاشي⁽⁵⁾.

ولتنظيم التعليم عقدت الجمعية بعض المؤتمرات واللقاءات لدعم وتجويد العملية التعليمية الناشئة، ففي سمة (1935) عقدت الجمعية مؤتمرا مصغرا لدراسة مشاكل التعليم المسجدي والمكتبي والدعوة والإرشاد،

(1) الشهاب (ع ربيع الأول 1356- ماي 1937)، ج 13 ص 158.

(2) قوبع، نفسه، ص 280. وعن الكشفية انظر أبو عمران الشيخ والشيخ محمد الكشفية الإسلامية الجزائرية، (1935-1955)، الجزائر، دار الأمة، 1999.

(3) الشهاب، ع (رجب 1358- أوت 1939)، ج 15 ص 392. وقد طبع بمطبعة النهضة بتونس سنة (1939).

(4) بوصفصاف، نفسه، ص 178. آجرون، نفسه، ص 337. الخطيب، جمعية العلماء وأثرها الإصلاحي في الجزائر، مرجع سابق، ص 229.

(5) البصائر، ع 86 (13-11-1937)، ص 3.

فكتب ابن باديس تقريراً عن التعليم المسجدي، والإبراهيمي عن الأمية، وكتب محمد بن العابد وباعزيز بن عمر ومصطفى حلوش عن التعليم المكتبي، والتبسي عن الدعوة والإرشاد⁽¹⁾. ولتتمين أعمال الجمعية في التعليم وضبط طرائقه وبيداغوجيته قامت بتنظيم مؤتمر كبير للمعلمين الأحرار في (22-9-1937)، ورأسه ابن باديس ذاته، وخرج بقرارات مهمة نشرتها جريدة البصائر⁽²⁾.

2-الدخول للغرب الجزائري:

وكانت البدايات بأقصاه من تلمسان حيث أوفد الإبراهيمي في يناير (1933)⁽³⁾، لأنه الأقدر علمياً على مواجهة أساطين التصوف من علماء الغرب وما أكثرهم، وكانت هناك المناقشات والمجادلات والمقالات الصحفية والمسجدية مع الشيخ البودليبي وغيره. وفي سيق بمعسكر تمكن التبسي من مباشرة عمله سنوات (1929-1932) ثم خلفه فرحات بن الدراجي، وفي بلعباس أسس مصطفى بن حلوش نادي النجاح سنة (1933) الذي أدى دوراً تربوياً وتعليمياً⁽⁴⁾، وفي معسكر تأسست شعبة الجمعية (1938) ورأسها الحسين قائد، خريج الزيتونة وتلميذ السعيد الزموشي، وتمكن من افتتاح مدرسة حرة على الرغم من العراقيل الإدارية، وتم بناء مسجد الإصلاح الحر⁽⁵⁾.

وجد الإصلاحيون في دخول وهران، والتي كان بها نشاط تغريبي وتنصيري بارز، فقد تمكن الزاهري من تأسيس "الجمعية الإصلاحية"، وكان الإبراهيمي يزور وهران وبها ألقى محاضرتين حول "المرابطون وتعصيم المعارض للدين"⁽⁶⁾، ثم تأسست جمعية الفلاح التي باشرت التعليم الحر، وحضر ابن باديس والإبراهيمي ومصطفى بن حلوش افتتاحها في (17-2-1938)، وأثمر ذلك بناء مسجد الفلاح الذي صار منبر الحركة الإصلاحية في الأربعينيات مع السعيد الزموشي وغيره⁽⁷⁾، وفي بني صاف وفد الشيخ العباس بن الحسين خريج القرويين ليباشر العمل هناك بتأسيس مدرسة حرة سنة (1938)⁽⁸⁾.

3- العمل في فرنسا:

(1) سجل مؤتمر جمعية العلماء، ص 238 لسنة (1935-1934). فضلاء، المسيرة الرائدة، مرجع سابق، ج 2 ص 12.

(2) البصائر، ع 83 (9-30-1937)، ص 8، فضلاء، نفسه، ج 2 ص 10.

(3) أبو القاسم سعد الله، "الإبراهيمي في تلمسان من خلال الوثائق الإدارية"، الجزائر، مجلة الثقافة، ع 101، ص 75.

(4) البصائر، ع 41 (30-10-1936)، ص 3. فضلاء، المسيرة الرائدة، ج 3 ص 97.

(5) البصائر، ع 136 (21-10-1938)، ص 2. فضلاء، المسيرة، ج 3 ص 100.

(6) أبو القاسم سعد الله، الإبراهيمي في تلمسان من خلال الوثائق الإدارية، مجلة الثقافة، ع 101، ص 83. وكان الإبراهيمي قد زار بها لأغاً بن شيحة والزاهري لتنهئته بالبراءة أمام المحكمة في أكتوبر (1935)

(7) انظر مذكرات شاهد القرن، ص 189. فضلاء، المسيرة الرائدة، مرجع سابق، ج 3 ص 47.

(8) فضلاء، المسيرة الرائدة، مرجع سابق، ج 3 ص 69.

بين العمال والطلبة، وتشكيل نوادي التهذيب بها، حيث اشترت الجمعية مركزا متواضعا، وأسست شعبا في أمهات المدن الفرنسية كباريس وليون ومرسيليا، وثمانية عشر مركزا تعليميا⁽¹⁾، وقد تشكلت البعثات الدعوية للجمعية من كل من: الفضيل الورثلاني، إسماعيل العربي، السعيد صالح، الهادي السنوسي، محمد الزاهي الميلي، الصالح بن عتيق، سعيد البيباني، حمزة بكوشة، فرحات بن الدراجي⁽²⁾، كما تأسست جمعية لتلاميذ الشمال الإفريقي بتولوز⁽³⁾.

إضافة إلى التعاطي التهذيبي والخيري مع العمال حيث تأسست "الجمعية الفرنسية الإسلامية للثقافة والتعاون" خلال (1937) وكان من أعضائها مورييس فيوليت⁽⁴⁾.

وقد تعرض عمل الجمعية للتضييق في فرنسا الحرة في فترات، فقد فتشت الشرطة نادي التهذيب بباريس مرات، وكان النادي الذي يحضر جمعيته العامة (800) منخرطا يطلب إعانات من الجزائر، وهو ما كانت تفي به الجمعية في الجزائر، حيث جمعت مرة مئتا ألف فرنك⁽⁵⁾.

المطلب الثامن: الاهتمامات السياسية والاجتماعية للإصلاحيين في الثلاثينيات.

1- العمل في ظل القوانين الفرنسية:

حاول الإصلاحيون إبراز أنفسهم كقوة اقترح فاعلة في النسيج السياسي الجزائري على الرغم من كونهم تجمعاً غير سياسي بالأصالة والواجهة القانونية، فقد راموا حماية أنشطتهم بدعوتهم لاحترام القوانين والنظم، وحاولوا أيضا خلق حلفاء جدد من الفرنسيين، وكان من عادة الجمعية إسناد الرئاسة الشرفية لبعض الجمعيات التعليمية والخيرية لرؤساء البلديات وحكام الأحواز، وجرت عادة ابن باديس ألا يباشر عمله التوعوي إلا بعد الزيارات الرسمية للقائمين على الإدارة المحلية⁽⁶⁾، وكان لبعضهم دور مشهود في إخماد نار الفتنة بين اليهود والمسلمين فيما عرف بفاجعة قسنطينة صيف (1934).

اتسم عمل الإصلاحيين تجاه القوانين والإدارة الفرنسية بمسار المناورة، فالعقبي يصرح مرارا بأن حركة الإصلاح ليست ضد فرنسا: "لسنا أعداء فرنسا، ولا نعمل ضد مصالحها، بل نعينها على تمدين الشعب وتهذيب الأمة ونساعدوها"⁽⁷⁾. وهو ما كرره ابن باديس مرات وكرات في العمل تحت القانون الذي يخدم

(1) يذكر الورثلاني حوالي ثلاثين مركزا لتدريس الإسلام، انظر الجزائر الثائرة، ص 102. آثار إبراهيمي "مذكرة إيضاحية، ج 4 ص 168. مذكرات شاهد القرن، مرجع سابق، ص 377.

(2) انظر البصائر ع 93 (1937-12-31)، ص 4. حماني، نفسه، ج 2 ص 298. البصائر، ع 103 (1938-3-11)، ص 2. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3 ص 258. سعدي بوزيان، جمعية العلماء في فرنسا. وذكر قصيبة أن آثار العمل في فرنسا ظهرت مع العمال العائدين، والذين آزرُوا الجمعية في عزازقة وضواحيها أوائل الخمسينيات. البصائر، ع 154 (1951-5-7)، ص 8.

(3) وذلك في (1937-02-6)، ورأسها محمد بن سونة الطالب في الطب، انظر البصائر، ع 56 (1937-02-19)، ص 6.

(4) سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، ج 3 ص 104.

(5) البصائر، ع 98 (1939-2-4)، ص 3، ع 56 (1937-02-19)، ص 3.

(6) رأس حاكم حوز بوقاعة جمعية التربية والتعليم، انظر: الشهاب، ع (ربيع الأول 1353-1354) ج 7 مج 10. وعن عادة ابن باديس: انظر رحلتنا إلى العمالة الوهرانية باسم الجمعية، الشهاب، ع (ربيع الثاني، 1351-أوت 1932)، ج 8 مج 8.

(7) جريدة السنة النبوية، ع 2 (22 ذو الحجة 1351 هـ-17-4-1933)، ص 1.

المصلحة العامة، وفي تقييم سعد الله عن حركة العلماء في الثلاثينيات أنهم: "كانوا يناورون ما وسعتهم الحيلة والمناورة ويجاملون، ولكنهم لا يتنازلون عن مبادئهم، ومن أجل ذلك اصطدموا مرات بالإدارة"⁽¹⁾. ومن ذلك الاحتجاجات على اعتقالات بعض رؤساء الشعب كجلول بوناب بغليزان، أو الشيخ عمر دردور بالأوراس، وكذا محاولة تعطيل نشاط العلماء بالمساجد، كما فعل الدرك الذين دخلوا مسجد قنرات والفضيل الورثلاني يلقي درسا به⁽²⁾، إلى غير ذلك من الحوادث مثل الاحتجاج على معاقبة معلمي الجمعية في الجنوب العسكري⁽³⁾، وهو ما لاحظته علي مرحوم من تعثر التعليم وغياب الإصلاح في وادي ريغ وتقرت بتماليء الإدارة الراضية دخول صحف الجمعية، وتحذير بعض الطريقيين كمقدم الجلفة في تقرت "التي وجد الجهل والخمول فيها مرتعا خصيبا، وتمكنت فيها الفوضى الدينية والاجتماعية"، كما نبه على خطورة العمل التبشيري فيها⁽⁴⁾.

2- إيجاد الحلفاء الوطنيين:

رسم الإصلاحيون خطتهم لكسب النخبة والنواب لصالحهم، وابتدأ خط التحالف يرسو منذ أحداث اليهود في أوت (1934)⁽⁵⁾، بعد التناغم الحاصل في قضايا غلق المساجد واعتبار العربية أجنبية، و بدء من استثمار الروابط العائلية مثل ما هو الحال بين ابن باديس وبن جلول، أو الاختيارات الحداثية، كما هو الحال مع النخبة الجديدة، فمثلا نقلت الشهاب عن مجلة المعلمين مقالا لفرحات عباس، يتهم فيه الطريقيين بأنهم: "أهملوا التربية والتعليم وصاروا مشغولين بالنيابة السياسية التي تعود عليهم بالفوائد والنياشين، وإن جمعية العلماء لا تهتم بالسياسة ولا تعادي فرنسا، وكلامها في الصلاة والخمر والربا، وقال أيضا: ولكن إدارة العمالة بالجزائر تظاهرت بانقلاب غير مفهوم وأصبحت تعبد ما كانت تحرمه بالأمس، وكأنها تقول: لا أحسن من التمسك بالمرابطين والعوائد القديمة، ولا ينبغي للإسلام أن يتعدى هذا الطور الخالد حرصا على بناء الطرق، زيادة أن الديانة يلزم أن يكون لها ممثلون يقودون الأرواح إلى طريق النجاة مثل ما هو سائر عند الكاثوليك"، ثم ختم: نحن معاشر الشباب مع العلماء وضد الطريقيين، والمساجد لله وتبقى مفتوحة"⁽⁶⁾.

ومن قبيل مد الجسور للعمل الوطني دعا الإصلاحيون النواب إلى مقاطعة المجالس النيابية في شهر أوت (1937).

ولكن أهم عمل وطني يحسب للإصلاحيين هو المشاركة الفاعلة في تأسيس شعب المؤتمر الإسلامي، وقد استفادت هذه الشعب من تجربة الجمعية" وكان لشباب المؤتمر لباس ونمط موحد مثل الكشافة⁽⁷⁾، وهي ظاهرة عرفت الأذرع الشبابية للأحزاب آنذاك.

(1) سعد الله، الحركة الوطنية، مرجع سابق، ج 3 ص 93.

(2) البصائر، ع 85 (5-11-1937)، ص 6.

(3) البصائر، ع 112 (13-5-1938) مقال ابن باديس "ماذا في الجنوب، أندجينا جديدة بعد 108 سنوات"، ص 1.

(4) البصائر، علي مرحوم، تقرير "حديث المتجول" ع 162 (21-4-1939)، ص 3.

(5) انظر علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، مرجع سابق، ص 215.

(6) الشهاب (ع محرم 1352- ماي 1933)، ج 9، ص 264.

(7) سعد الله، الحركة الوطنية، ج 3 ص 107. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5 ص 319. مريوش، نفسه، ص 348.

تولى الأمين العمودي شبيبة المؤتمر⁽¹⁾، التي كانت لها عشرون شعبة، وقرابة أربعة آلاف منخرط، ومؤطرون أمثال الفضيل الورتلاني، ولكن المؤتمر وشبيحته ضعفت بعد سنتين من تأسيسه، ولم يبق له إلا بعض الشعب الناشطة كميلة⁽²⁾، ولكن ذلك لم يمنع اللجنة المركزية لشباب المؤتمر الإسلامي من القيام بجولات تحسيسية إعلامية وتأسيس شعب جديدة، مثل جولة ربيع (1939) إلى مناطق الصومام وسطيف والبرج وميلة وقسنطينة وتبسة⁽³⁾.

3- الاهتمامات الوطنية للإصلاحيين:

أولى الإصلاحيون القضية الوطنية العناية البالغة بنشر الإصلاح وتمجيد التاريخ الجزائري، وربط العلاقات مع الأمة الإسلامية، وكانوا لا يفتأون مذكرين ومنددين بالوضع الاستعماري والقوانين الجائرة الموروثة من القرن الماضي، ولأجل ذلك كانت الدعوة لمقاطعة الاحتفالات المئوية لاحتلال قسنطينة (1937)، كنداء ابن باديس القوي في منشور المقاطعة⁽⁴⁾، وأثمر ذلك اجتماع أربعة عشر جمعية إسلامية يوم (18-9-1937)، وكذا احتجاج المؤتمر الإسلامي على تلك الاحتفالات التي لم تمر كما مرت احتفالات الجزائر المئوية. كما سعوا إلى إعادة اللحمة الوطنية، وإخماد النزاعات المحلية بين الأعراش والمداشر والمشاتي، ومن نماذج ذلك الجهد الكبير للإبراهيمي في تلمسان، في التقريب والتوفيق بين الحضر والكراغلة⁽⁵⁾. ومن الشواغل الوطنية كذلك القيام بإحياء ذكرى الزعماء الوطنيين مثل الأمير خالد في الذكرى السنوية لوفاته⁽⁶⁾.

ومن اهتمامات الإصلاحيين بالجنوب مساندتهم لحركة الإصلاح الإباضية بوادي ميزاب ضد معارضهم المحافظين⁽⁷⁾، وكذا ضد استفزازات الإدارة الفرنسية، فقد احتجت الجمعية على اعتقال صالح بابكر رئيس الإصلاحيين بغرداية ونائبه أحمد بغباغة بسبب اعتراضهم على قراءة القرآن للمطر⁽⁸⁾، وهي عادة جرى عليها

(1) الدفاع، العمودي، ع 158 (1937-7-10)، نقلا عن قوبع، ص 334. الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، ج 3 ص 107.

(2) البصائر، ع 107 (4-8-1938)، ص 6، عن تقرير منشور لأحمد حماني في حديث المتجول.

(3) البصائر، ع 171 (23-6-1939)، ص 3. وع 172 (30-6-1939)، ص 7. ع 174 (14-7-1939)، ص 4. ع 177 (4-8-1939)، ص 6. وكان مصطفى الزبائري عضو اللجنة المركزية حاضرا.

(4) الشهاب، منشور المقاطعة، (نوفمبر-1937)، ج 13 ص 417. حماني، نفسه، ج 2 ص 279. بوصفصاف، مرجع سابق، ص 214.

(5) البصائر، ع 15 (1-12-1947)، ص 1. آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 3 ص 305.

(6) البصائر، ع 53 (29-1-1937)، ص 7.

(7) أصدر محافظو الإباضية جريدة الروح بالبليدة، ورأس تحريرها أبو العلا بكير بن الحاج سليمان، وقالت أنها "جريدة علمية أدبية انتقادية فكاهية" وصدر عددها الأول في (15-10-1937)، وتوقفت بعد ثلاثين عددا في أوائل (1939)، واهتمت بالرد على الشيخ إبراهيم بيوض وأبي اليقظان، فردت عليه في مقالات "هذيان المفترين" ردا على مقالاته "حديث المفلسين"، ونشرت قصائد علي بن صالح في هجاء بيوض، واشتغلت بقضايا الصوم والإقطار بالتلفون، وفي بعض الأعداد هاجمت ابن باديس والميلي. الروح، العدد 20-21 نقلا عن محمد ناصر، نفسه، ص 240. وردت عليها جريدة البصائر بكونها متقمصة للروح الإبليلية وصاحبة عنصرية ومذهبية مقبلة، في مقال الميلي "رئيس جمعية العلماء وتهافت الفراش على كرامته"، ع 140 (18-2-1938)، ص 2.

(8) البصائر، ع 80 (3-9-1937)، ص 5.

المحافظون في غرداية عند القحط حيث يخرجون لمقابر مشايخهم زائرين ورافعين أيديهم بالدعوات الجماعية.

4- الاهتمامات الاجتماعية:

مع تصاعد التيار الشيوعي في الجزائر وانفصال الفرع المحلي للحزب عن الفرنسي تنامي الوعي الحقوقي العمالي والمطلبي، وعرفت الجزائر حمى الإضرابات والمطالبات، كانت الالتفاتة إلى الوضع الاجتماعي فتنامت الجمعيات الخيرية والإغائية، ولم يكن العلماء بعيدين عن ذلك، فقد أسهوا في العمل الاجتماعي بوسائل منها: أ- رئاستهم للجمعية الخيرية في الجزائر، والتي تأسست سنة (1933)، ورأسها العقبي، وكان يدعمها بقوة لعض برجوازي العاصمة أمثال: عباس بن التركي، محمد الشريف الزهار، ومحمد بن الباوي، وبن شلحة محمد، وقدرور ردوسي، ومحمد بن المرباط، وبن ونيش... إلخ⁽¹⁾. وتمكنت من شراء دار للمعوزين والعجزة، فضلا عن كفالة اليتامى وتعليم الحرف والصنائع، وإنشاء مجلس إداري للتطبيب.

ب- إنشاء صندوق التضامن: لخدمة الفقراء والمعوزين⁽²⁾، وقد رأسه الشيخ الطيب العقبي المعروف بساحريته في جمع التبرعات واستدراار الجيوب بخطابته التي كانت مضرب المثال، حيث لم يكن يدانيه أحد في هذا المضمار.

ج- إنشاء شركة آمال للشمال الإفريقي، والتي تأسست رسميا في (3-12-1942)، بغرض إنشاء ذراع اقتصادي يوزاوي سيطرة المعمرين واليهود على الحياة الاقتصادية، وأوكلت رئاستها لمحمد طيار وعباس التركي⁽³⁾.

5- مواجهة التبشير:

وتبعاً للاهتمامات الاجتماعية أدرك الإصلاحيون حساسية الموضوع، وكونه مدخلا مهما لنجاحات التبشير المسيحي، فقد تضررت الجزائر من موجة التبشير العالمية، واهتم الإصلاحيون بتتبع أنشطته في العالم كله، وفي الجزائر خاصة، وهي نقطة تقاطع فيها كل من الإصلاحيين والطرفيين.

هاجم العلماء أشكال التنصير التي تدعمها السلطة قائلين: "إن السلطة تشترك في المآدب والحفلات التي يقيمها المضللون كلما فتحوا في هذا البلد الإسلامي مراكز للتنصير والتضليل، وهذا معناه أن هذه السلطة وهي علمانية لائكية تحمي هؤلاء المضللين، وتساعدهم على عقائد المسلمين"⁽⁴⁾، وكتب الإبراهيمي أن التبشير تتضافر على نصرته فواعل كثيرة هي: "قد كان من المعقول أن يثمر التبشير في القطر الجزائري ويأتي بنتائج أكثر مما يأتي به في الأقطار الأخرى لعدة اعتبارات، أولا: تقادم عهده، وثانيا: صولة الاستعمار الذي يحميه، ثالثا: فشو الجهل والأمية والفقر في الأمة التي هي فريسة التبشير، رابعا: انتشار الطريقة التي هي ظئر التبشير وكافلته والممهدة له حسا ومعنى، وإن جهل هذا قوم فعدوا من حسناتها مقاومة التبشير، خامسا

(1) جريدة الصراط، ع 16 (1-1-1934)، ص 4. حياة كفاح، ج 2 ص 372. مريوش، نفسه، ص 288.

(2) مريوش، الشيخ الطيب العقبي، مرجع سابق، ص 263.

(3) مذكرات خير الدين، ج 1 ص 302. واكتب فيها شيئا التجانية بتماسين والوادي.

(4) الشهاب، محمد السعيد الزاهري، "في الموقف الحاضر"، ع (ربيع الثاني 1352 - أوت 1933)، ج 9 ص 401.

قعود علماء الدين عن المقاومة وسكوتهم عن المعارضة قبل جمعية العلماء.⁽¹⁾، وقد نشرت الشهاب تقريرا عن المؤتمر الافخاريستي بالجزائر الذي انعقد في (ماي 1339)⁽²⁾.

ومن المعلوم أن الإدارة كانت تدعم جهود المبشرين على الرغم من علمانية الدولة، بل إنها عمدت إلى خلق أجسام ضرار لعمل الجمعية، ففي تبسة أسسوا " الجمعية الدينية الإسلامية"⁽³⁾، ورأسها أحد الكولون لأغراض غير حميدة.

وفي مقال عاصف كتب الزاهري " ألف وسبعمائة مسلم يرتدون عن دينهم الحنيف ويعتقدون النصرانية الكاثوليكية" حيث ذكر أن الكنيسة أقامت احتفالا ضخما في (23 ماي 1933)، حيث استعرضت هؤلاء المرتدين بملابس جزائرية، وصبّ جام غضبه على الزوايا التي لم توجه نذورها وصدقائها لاستنقاذ هؤلاء المضللين⁽⁴⁾.

كما انتدبت الأقلام الإصلاحية نفسها للرد على غلاة المستشرقين والمشتغلين بالإسلام، أمثال "روبير آشيل" الذي رد عليه محمد العيد بقصيدة "ما بال آشيل يهذي" وكذا فعل ابن باديس في الشهاب⁽⁵⁾.

6- الاهتمامات المغربية والإسلامية.

أ- الإصلاح في تونس والمغرب: أدرك الإصلاحيون ضرورة التآزر بين الحركات الإصلاحية في الجوار التونسي والمغربي، مع العلم أن إصلاحيي الجزائر كانوا أكثر قوة وتنظيما من جيرانهم بسبب التحدي الفرنسي الذي كان استعمارا ثقيلا في الجزائر، في حين كانت وطأته أخف في تونس والمغرب حيث بقيت المعاهد العليا في عملها في تخريج العلماء كما هو شأن التعليم الزيتوني، والقرويين في فاس. ولذلك كان التبادل الثقافي بين الإصلاحيين قويا جدا⁽⁶⁾، وكان الجميع يتألمون لما يحصل لهم من خصومهم الطرقيين، وتمتأل الصحافة في المغرب الثلاث بتبادل الأخبار والمقالات والآراء، بل إن إصلاحي تونس خططوا لإنشاء لجمعية مستنسخة من تجربة جمعية العلماء، وقدموا طلبا للإدارة الفرنسية لتأسيس "جمعية تضامن العلماء" في شهر فيفري (1933)، ولكن الطلب قوبل بالرفض⁽⁷⁾.

وفي هذا المجال زار ابن باديس تونس في تظاهرة إحياء ذكرى بشير صفر، وألقى محاضرة عن الحركة العلمية والسياسية في القطر الجزائري، والتقى بالزعيم الثعالبي، وهنأه بالرجوع إلى وطنه مما أثار انتباه الصحافة الفرنسية⁽⁸⁾.

(1) آثار الإبراهيمي، ج 1 ص 196. وانظر الجزائر الثائرة، مرجع سابق، ص 139.

(2) الشهاب (ع ربيع الثاني 1358- ماي 1939)، ج 15 ص 206.

(3) البصائر، مصطفى زمري، "تحت سماء تبسة الحق والباطل يتصارعان"، ع 119 (24-6-1938)، ص 4. بوصفصاف، نفسه، ص 181.

(4) جريدة الشريعة، ع 2 (24-7-1933)، ص 6.

(5) شعراء الجزائر، ج 2 ص 20. سعد الله، محمد العيد، مرجع سابق، ص 251. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 73.

(6) انظر محمد الصالح الجابري، التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1983، ص 7.

(7) جريدة النور ع 70 (28-2-1933) نقلا عن مريوش، نفسه، ص 236.

(8) الشهاب، (جويلية 1937)، ج 13 ص 259. البصائر، ع 52 (22-1-1937)، ص 4. تاريخ الجزائر الثقافي ج 5 ص 600.

وفي هذا المجال حاولت الجمعية ربط الطلبة الجزائريين بها وقطع علائقهم بالطرفيين أو بزواياهم الأصلية، فاستحوذت على جمعية الطلبة الزيتونيين التي تأسست سنة (1934)، وقدم أبو بكر الأغواطي تقريراً عنها لإدارة الشهاب⁽¹⁾. وكان رئيسها الأول المهدي البوعبدلي، وبعد ستة أشهر خلفه عبد المجيد حيرش⁽²⁾، ثم الشاذلي المكي في (06-11-1935)، وضمت أحمد حماني، وأبو بكر الأغواطي، محمد العربي الصائغي، والأخضر السائحي ومصطفى الجيجلي، وفي العام الخامس تشكل مكتبها من الشاذلي المكي رئيساً، وأحمد حماني كاتباً عاماً، وعضوية كل من محمد الشبوكي، وأحمد اليحياوي، ومصطفى الجليجلي، وزكريا بن عيسى، وعثماني عثمان⁽³⁾.

وفي التواصل مع المغرب، استقبلت الشهاب بعض المقالات من هناك، وتابعت أخبار النشاط الإصلاحي لمحمد العربي بن العلوي، ولقطع العلائق التي كانت ترصدها الاستخبارات الفرنسية منعت السلطات الفرنسية الجمعية من حضور تأبين أبو شعيب الدكالي⁽⁴⁾، وهو أحد الإصلاحيين بالمغرب، وسبق أن خاض معارك ضد الطرفيين.

ولم تخل مناشط الجمعية من زيارات بعض المغاربة، كما فعل الشيخ إبراهيم الكتاني في افتتاح دار الحديث بتلمسان في (1937)⁽⁵⁾. ومعه خمسة عشر مغربياً، ومن هذا القبيل من التواصل المغربي ما قام به نادي الترقى من احتضان المؤتمر الثاني (1932) لطلبة مسلمي شمال إفريقيا، وكان للعقبي دور بارز في ذلك⁽⁶⁾. واحتضن الإبراهيمي المؤتمر الخامس لجمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين في سبتمبر (1935)، وأقيم بالمناسبة حفل تأبيني بمناسبة سنوية وفاة الشاعر أبي القاسم الشابي، وشارك فيه مفدي وآل خليفة⁽⁷⁾. وعكست فيه لوائح هذا المؤتمر الطلابي المغربي أفكار الإصلاحيين، واعتبر نجاحه نجاحاً لجمعية العلماء⁽⁸⁾.

ب- العلائق الإسلامية: اهتم الإصلاحيون بأخبار العالم الإسلامي، وكانت جرائدهم دائمة المتابعة للشؤون الدولية، والتقطوا كل ما يخدم حركة الإصلاح فباركوها وشهروا لها، فقد أثنوا على ما فعله حكم الإمامة باليمن عندما قام الإمام يحي حميد الدين بمنع حفلات الطرق في اليمن⁽⁹⁾. كما تابعوا أخبار السعودية، وتركيا، وجمهريات آسيا الوسطى، وكان اهتمامهم أشد بالتغيرات السياسية والثقافية في مصر.

(1) الشهاب (ع ذو القعدة 1356--جانفي 1938)، ج 3 ص 534. الحركة الوطنية الجزائرية، ج 3 ص 106.

(2) انظر الحركة الوطنية الجزائرية، ج 3 ص 106. محمد الصالح الجابري، المرجع السابق، ص 110. البصائر، ع 90 (5-9-1949)، ص 8.

(3) البصائر، أحمد حماني: "جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين في عامها الخامس"، ع 87 (19-11-1938)، ص 4.

(4) الشهاب، (ع رجب 1356- سبتمبر 1937)، ج 3 ص 378.

(5) ذكر لي الشيخ مصطفى بن حمزة أن أحد مستشاري الملك محمد الخامس أوفده بمبلغ مالي للدار بعد توصله من البشير الإبراهيمي برسالة. (لقاء في دار الحديث الحسنية يوم 17 مارس 2022).

(6) وهذه الجمعية تأسست في باريس سنة (1929). وعقد المؤتمر الثاني في ناي الترقى أيام (25-28 أوت 1932). انظر المرصاد، ع 26 (2-9-1932).

(7) ص 1. مريوش، وقال إنه الثالث، ص 133. سعد الله، الحركة الوطنية، مرجع سابق، ج 3 ص 107.

(8) خالد مرزوق ومختار بن عامر، مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان، ص 157. الثبات، ع 50 (6-9-1935)، ص 2.

(9) انظر علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، مرجع سابق، ص 218.

(9) جريدة السنة النبوية، مقال "من آثار مخالفة السنة، مكرمة الإمام يحي"، ع 1 (8 ذو الحجة، 1351هـ)، ص 3.

ج- فلسطين: حظيت فلسطين باهتمام بالغ في الصحافة الإصلاحية، خاصة وأن أخبار الهجرة اليهودية أفضت المضاجع، وقد نشروا أخبار فلسطين، وتابعوا مجريات المؤتمر الإسلامي العام في القدس (7-12-1931)، الذي مثل الجزائر فيه الشيخ إبراهيم اطفيش⁽¹⁾، والذي كان مقيما بمصر يصدر جريدة المنهاج. وكان اهتمام الجمعية كبيرا بالقضية وبثورة البراق وغيرها، وكتب أساطينها عن المأساة الفلسطينية والغدر الإنجليزي⁽²⁾

كما اهتم الإصلاحيون مبكرا بالحركة الصهيونية وأخطبوطها الذي بدأ يهيمن على السياسات الغربية، وانتبهوا إلى مكائد يهود الجزائر، فقد كتب الزاهري عن خطة اليهود الصهيونيين لاستعمار اللغة العربية⁽³⁾. وندد الإصلاحيون في واجهات الجمعية والمؤتمر الإسلامي ببواكير قرارات تقسيم فلسطين عقب الثورة العربية الفلسطينية الكبرى سنة (1936)⁽⁴⁾، ودعا ابن باديس الجزائريين بإحياء ليلة الإسراء والمعراج وجمع التبرعات لأيتام فلسطين متابعة لفتوى علماء الأزهر بذلك⁽⁵⁾. وفي هذا المجال يرجع البعض حادثة اغتيال كحول واعتقال العقبي ثم إطلاق سراحه، بأنها مؤامرة مدبرة اشتركت فيه أيدي صهيونية خفية، من أجل كسر جناح العقبي وإبعاده عن الدعاية للقضية الفلسطينية والابتعاد عن مهاجمة الصهيونية⁽⁶⁾.

المطلب التاسع: الانقسام الإصلاحي والإصلاحي.

تعرض الصف الإصلاحي في الثلاثينيات لهزات عنيفة تمثلت في خروج البعض عن الصف والتحاقه بالطرفين، أو في عدم التزام البعض بسياسيات الجمعية، ولذلك نماذج منها:

1- محمد الفضيل اليراتي:

الشيخ الزواوي المشهور، والذي ولد بأيت فرج بالأربعاء سنة (1873)، ودرس في سيدي منصور ثم بوجليل على يد أبي القاسم، البوجليلي، وكان قد ترأس لجنة الأربعاء لمشروع مسجد باريس الذي دشن في جويلية (1926)، وانتخب عضوا في المكتب الإداري الأول للجمعية، وبعد سنتين من التأسيس اتهمته الإدارة بالشغب ونقل فتنة الجمعية الوهابية للقبائل، فتخلّى عن النشاط، وهاجر إلى العاصمة أين توفي (1940)⁽⁷⁾.

2- السعيد الجري:

المعروف بقادوم النحو، وكان ابن باديس يحتفي به كثيرا، إذ كان من أعضاء المجلس الإداري الأول لجمعية العلماء، ثم اختلف مع الجمعية، وانظم لعلماء السنّة، وهو ما يشير إلى صلابة زوايا زواوة ضد دخول الإصلاح لمناطقهم بسبب قوة الظاهرة المرابطية التي اشتكى منها كثيرا ابن زكري في كتابه "أوضح الدلائل على وجوب

(1) الشهاب (ع شوال 1350- فيفري 1932)، ج 8 ص 94.

(2) البصائر، مقال العقبي "ليبك فلسطين فما أنت لأهلك فقط"، ع 78 (8-13-1937)، ص 1.

(3) جريدة السنة النبوية، ع 3 (29 ذو الحجة 1351هـ- 24-4-1933)، ص 4.

(4) البصائر، ع 80 (3-9-1937)، ص 5.

(5) البصائر، مقال "لإغاثة الأيتام والأرامل والمنكوبين في القدس الشريف"، ع 131 (9-19-1938)، ص 1.

(6) مريوش، نفسه، ص 233-234. وص 240. وهو رأي محمد قنانش حسب الباحث.

(7) محمد الحسن فضلاء، من أعلام الإصلاح في الجزائر، مرجع سابق، ج 3، ص 165.

إصلاح الزوايا ببلاد القبائل"، وممن نحا نحوه أيضا في الانضمام لجمعية السنّة أحمد نايت الجنادي، ومحمد بن بلقاسم البوجليلي⁽¹⁾، وهو ما يبين عن صلابة التقاليد الطرقية في منطقة القبائل.

3- الشيخ الزغداني أبو القاسم:

والذي خرج من مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة مطرودا لأسباب مهنية، وقد تبادلت الصحف قضيته، ودعا أبو اليقظان صحيفتي الميدان والبصائر للكف عن المهاترات: "وقال: قرأنا في جريدتي البصائر في العدد (88)، والميدان عدد (19-11-22)⁽²⁾ بأن بلقاسم الزغداني خرج من مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة مطرودا لأنه لم يقدّر بواجبه، وأخرى تقول أنه استقال كما استقال غيره فإنا من أعمال عبد الحفيظ الجنان، فالأولى باشرت الدفاع عن هذا الأخير، والثانية أخذت تدافع عن الزغداني"⁽³⁾.

4- أحمد بن العابد (1897-1950):

من إصلاحيي الزيبان، الذي أصدر جريدة صدى الصحراء التي احتجبت سنة (1926)، ثم أعاد بعثها في (25-9-1934)، متخذاً منها منبرا لمهاجمة جمعية العلماء لاشتغالها بالسياسة من جهة، ولأنها كانت تناصر الحكيم سعدان، ضد الحاج الحفناوي دبابش الذي يناصره ابن العابد، ولأجل ذلك الصراع السياسي الذي انزلت إليه فقدت قيمتها، وخسر الإصلاحيون رجلهم في بسكرة الذي انقلب عليهم ودخل في مهاترات مع عبابسة الأخضرى صاحب "الثبات"، وتوقفت الجريدة بعد 20 عددا في (12-10-1934)⁽⁴⁾.

5- مبروك التبسي:

وهو كعديد الشخصيات التي جنحت إلى التصوف الإصلاحي: "فهم لا يتفوقون مع الجمعية إلا في مشروعها الإصلاحي، ويختلفون معها اختلافا جذريا في توجهها الفكري"⁽⁵⁾.

6- الطيب العقبي:

لم يكن الشيخ العقبي ومن بدايات دخوله الجزائر منسجما مع الخطة العامة لابن باديس في الإصلاح الهادي والتعليم المتدرج، وقد عرفنا شيئا من مشاكساته في المنتقد والشهاب وغيرها. وبعد تأسيس الجمعية صار أهم رجل فيها في العاصمة، وتوالت كتاباته ومحاضراته المنددة بالظاهرة المرابطية وبالطرقين، وكان أحد الأسباب الرئيسة لانفصال الأخيرين من الجمعية، خاصة وقد كان الوحيد المسنود بأتباع حقيقيين مناضلين قلبوا العاصمة أيام منعه من الخطابة، فقد كانت له قاعدة جماهيرية عريضة، على خلاف ابن باديس والإبراهيمي الذين كانت قواعدهم نخبوية من المدرسين وطلبة الجمعية والمحبين.

(1) فضلاء، المرجع السابق، ص 85.

(2) الميدان، بلقاسم الزغداني "فار التربية والتعليم بقسنطينة رفع إيهام"، ع 19 (31-10-1937)، ص 3. الميدان، حسن الوارزقي "إنذار هو الأول والأخير إلى جمعية العلماء والعابثين بورقتها البصائر"، ع 32 (5-12-1937) ص 2.

(3) الأمة، ع 148 (8-12-1937) نقلا عن محمد ناصر، نفسه، ص 236.

(4) محمد ناصر، نفسه، ص 70.

(5) نور الدين بولحية، مرجع سابق، ص 180.

وبعد الانشقاق الأول الذي خرجت منه جمعية علماء السنة غاب قلم العقبي عن الجريدة الثالثة للجمعية "الصراط السوي"، مما جعل بعض إصلاحي المغرب يتساءلون عن غيابه: "أين هو العقبي، وما الذي حمله على أن يسكت هذا السكوت الطويل⁽¹⁾." كما برز خلاف بينه وبين ابن باديس حول التعريف بالجمعية بالمشرق عن طريق الحجاج، حيث رأى أن الاهتمام الخارجي ليس من أولويات الجمعية التي لا بد أن تهتم بالداخل إصلاحاً للوضع الاجتماعي، خاصة وأن التعريف بها يتطلب مناشير وأوراق تستلزم أموالاً تحتاجها الجمعية في أعمالها اليومية⁽²⁾.

وفي أيام الاستعداد للمؤتمر الإسلامي وقعت خلافات بين الرجلين في أولوية الخطابة في وفد المؤتمر لكليهما، لأن ابن باديس كان يخشى من عدم دبلوماسية العقبي في مخاطبة الهيئات الرسمية بما يثير حفيظتها ضد المؤتمر ومطالبه⁽³⁾.

ولكن الواقعة التي أبرزت بدايات انسحاب العقبي هي مقتل المفتي كحول، وما تبعها من ارتدادات على نفسيته على الرغم من مساندة أغلب رجال الجمعية له، فانسحب من رئاسة تحرير البصائر في (ديسمبر 1937)، وبدأت عزمته تفتّر في العمل الجماعي حيث طلب الإغفاء من تعيينه على رأس وفود الوعظ في عمالة قسنطينة⁽⁴⁾.. بل إن المدني قال إن العقبي عقب حادثة اغتيال كحول غيّر لهجته وطوّر دروسه، فلم يبق فيها من مهاجمة عنيفة للطرق والطرقية⁽⁵⁾. وأما أحمد حماني فاعتبر خروجه من البصائر ونقل طبعها إلى قسنطينة بسبب أنه بدأ ينشر فيها ما لا يتماشى مع أهداف حركة الإصلاح⁽⁶⁾.

كما برزت معارضة العقبي للتسيير المالي للجمعية، وخاصة تملّص بعض الشعب من الاشتراكات، أو رغبة البعض في الاستفادة من "صندوق التضامن" للتطبّب في الخارج، وسماهم "المرابطين الجدد"⁽⁷⁾،

ولكن الحادثة المفصلية لخروج العقبي وتغير نبرته هي حادثة البرقية المؤيدة لفرنسا ضد النازية، والتي يذهب البعض إلى أنها كانت عرضاً من فرنسا له لينال البراءة التامة، وكان ذلك بوساطات من ابن حورة، أو الأمين العمودي، في حين يقول المدني أن العقبي أراد الانسحاب والتفرغ لعمله الإصلاحي في العاصمة، وأصر على

(1) جريدة الصراط، ع 17 (8-1-1934)، ص 5. مريوش، مرجع سابق، ص 258.

(2) جريدة النجاح، مقال "صراع عظيم بين رئيس جمعية العشور ووزكاة الفطر وجلود الأضحية"، مامي إسماعيل "حول منع رئيس العلماء من إقامة ائكتتاب بالجامع الأعظم"، ع 1838 (12-8-1936)، ص 1. مريوش، نفسه، ص 260.

(3) النجاح ع 1875 (22-7-1936)، نقلا عن مريوش، مرجع سابق، ص 261.

(4) البصائر، ع 77 (30-7-1937)، ص 2.

(5) حياة كفاح، مرجع سابق، ج 2 ص 373.

(6) مريوش، مرجع سابق، ص 263، وحسبه فإن المشكلة تعود إلى عدم اهتمام الجمعية بميزانية البصائر التي تعرضت لضائقة مالية.

(7) مريوش، نفسه، ص 264. ويشير إلى نقاش واسع حول ضياع (65 ألف فرنك) من الميزانية ضاعت في مصالح شخصية. وكانت الجرائد المعادية للجمعية قد نفخت في القضية. انظر النجاح، مامي إسماعيل، "حال جمعية العلماء وأمرها المريج، جمعية المفتنين والسفاكين"، ع 2196 (6-10-1938)، ص 1، ولسان الدين ع 61 (24-10-1938)، ص 2.

البرقية، واستقال وأرسل باستقالته من الجمعية الى الصحف، ثم تعرّض للجمعية باستنفاص في أحد افتتاحيات جريدة الإصلاح⁽¹⁾.

وكانت الاستقالة من الجمعية بخطاب أرسله للرئيس يوم (26-9-1938)، بعد مشاحنات، وحملة قادها محمد خير الدين وأنصاره من أمثال أحمد حماني ضد ترشيحه مرة أخرى في المجلس الإداري⁽²⁾، وقد أعقب هذه الاستقالة رجة في حركة الإصلاح وتبادل للتهم وتشكيك في النيات⁽³⁾، وتلك طبيعة كل جماعي في ظروف قاهرة في تلك الأيام.

وعلى الرغم من إصدار العقبي لجريدة الإصلاح الثانية في (28-9-1939)، فقد استمر في خطه الإصلاحي، وكان يشتكي من خصومه، مع خفوت حدته فيها: "وقد لقيت أشد المقاومة والعنت وأعظم المحاربة لها في هذه المدة من أعداء الفكرة الإصلاحية كالطريقين والحكوميين، واشتداد المضايقة من قلم الرقابة علينا وإحراجها لنا.."⁽⁴⁾. وقد غضب ابن باديس على العقبي كثيرا بسبب إصداره الجريدة في تلك الظروف الحرجة⁽⁵⁾

وبسبب مناصرة الجريدة لفرنسا وللجنرال "بيتان" كانت الاتهامات تترى على العقبي ومساره الجديد في الأربعينيات.

7- محمد السعيد الزاهري:

وهو الرجل المهم الذي أحدث خروجه من الجمعية رجة في أوساط الإصلاحيين، وقد أرجع حماني انفصاله إلى أسباب نفسية، لأنه لم تجدد له عضوية المكتب الدائم لجمعية العلماء في الاجتماع العام سنة (1936)، واعتبر ذلك مكيدة له من البعض⁽⁶⁾، فبدأ بالابتعاد والاقتراب من النواب ثم الطريقين في جريدة الوفاق التي أسسها بوهراڤ في (23-3-1938)، والتي توقفت أوائل الحرب العالمية الثانية في (30-7-1940)⁽⁷⁾، وقد انشق عام (1937)، وشارك في مؤتمر الزوايا، وكتب بعض المقالات التي نقل فيها أخبار الخصام بين العلماء والطرق، والتعاطف الكلي مع العقبي الذي خرج من الجمعية أيضا. إلا أن الفارق بين الرجلين أن الزاهري لدّ في الخصومة، وانقلب على الجمعية فبدأ بكيال الاتهامات لمحمد خير الدين والإبراهيمي، ولابن باديس باتهام فظيع للسلوك الشخصي والتشكيك في وطنيته⁽⁸⁾، وكتب يهاجم المبلي⁽¹⁾، ونشر مقالا معرّضا للإبراهيمي في

(1) مريوش، نفسه، ص 265. حياة كفاح، ج 2 ص 376. الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، ج 3 ص 102.

(2) انظر البصائر ع 135 (14-10-1938)، ص 2، النجاح، ع 2196 في (6-10-1938)، مريوش، مرجع سابق، ص 296.

(3) نموذج من ذلك الشنآن احتجاج العقبي على أصدقائه السابقين من العلماء في جريدة الوفاق، وبعض المراسلات بين ابن باديس والعقبي.

انظر بوصفصاف، "بصمات الرجال"، مجلة سيرتا، ع 2. 1972، ص 82، نقلا عن مريوش، نفسه، ص 274.

ومن ذلك قول أبي بكر مصطفى بن رحمون: ولا تلومن من زلت به قدم *** فالقوم همهم الألقاب والورق

ولا يقيم لواء الحق في وطن *** من كان ينقصه الإيمان والخلق.

انظر ابو بكر بن رحمون، الديوان، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981. ص 133. مريوش، مرجع سابق، ص 270

(4) جريدة الإصلاح، ع 17 (28-1-1940)، مريوش، نفسه، ص 280.

(5) علي مرحوم، "الصحافة العربية في الجزائر"، الجزائر، مجلة الثقافة، ع 46 (أغسطس-سبتمبر 1978)، ص 37.

(6) حماني، صراع السنة والبدعة، ص 136.

(7) علي مرحوم، مجلة الثقافة، مرجع سابق، ع 42 ص 37. محمد ناصر، الصحف الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، ص 247.

(8) الوفاق، ع 25 في (23-2-1939).

جريدة الشباب المصرية، ورد عليه محمد الهادي السنوسي: "كاتبه معروف يوم طردته جمعية العلماء، ومعروف لدى إخواننا التونسيين والجزائريين يوم كان تلميذا بالزيتونة يثير الفتنة بينهم...، وسيفضح الله من لا يزال عرضة لكل فضيحة"⁽²⁾.

كان اتجاه جريدة الوفاق يدعم الطرفين، بل ويحمل العلماء وزر الانقسام والاستئثار بالجمعية، ثم يدعو إلى الوفاق، كما في مقاله الافتتاحي: "أعداء الإسلام يحملون على الطرفين والإصلاحيين معا، فلماذا نحن لا نوحّد جهودنا لدفع الخطر"⁽³⁾. وبدأ الزاهري يروج لفكرة استبدال جمعية العلماء بأخرى سماها "الإصلاح الإسلامي" لإنقاذ الحركة الإصلاحية من الشيوخ الجدد الذين استمروا الانقسام، وقال: "سنعمل على إنقاذ الحركة الإصلاحية، وتخليصها من أيدي بعض المغرضين الذين غلب عليهم حب الدنيا، فمكروا وكادوا حتى احتلوا مكان القيادة، ثم وجهوا حركة الإصلاح لخدمة أغراضهم الخاصة، وحادوا بها عن الطرية المثلى، فباسم الإصلاح يجمعون الزيارات والنذور والصدقات، لأنني إصلاحي قبل كل شيء لا أريد قيد أنملة عن فكرتي الإصلاحية، ولكنني لا أريد أن استبدل شيئا بشيخ، أو طريقا بطريق، بحيث لا أغير إلا الأسماء"⁽⁴⁾.

والزاهري معروف بتقلباته، ففي نهاية الأربعينات أسس جريدة المغرب العربي باسم حركة انتصار الحريات، ثم سخرها للمصاليين في بداية الثورة⁽⁵⁾، وهذا ربما أدى إلى اغتياله من طرف جبهة التحرير في (ماي 1956).

يقول حماني: "ولما تأسست جمعية العلماء المسلمين انتخب في مجلس إدارتها سنة 1932م، وتولى مع الشيخ العقبي رئاسة تحرير صحفها السنة والشريعة والصراط وآخرها البصائر في سلسلتها الأولى ولكن لم يجدد انتخابه لعضوية مجلس إدارتها أثناء اجتماعها العام سنة 1936، فكان ذلك بداية منعرج خطير في حياته، إذ اتهم بعض أعضائها بالعمل ضده، وأخذ يقول عنهم السوء وينشره.. ثم تجاوز القول إلى العمل فأسس الجرائد الخاصة به، وكتب ضدهم ثم ضد الجمعية، من ذلك أنه أسس جريدة الوفاق فلم ترج، وردها الباعة ورفضها القراء ولم يستسيغوا أن يتنكر لمبادئه وإخوانه، فأل به الأمر إلى ما آل إليه أمر (النجاح) و(البلاغ الجزائري)، وأخذ يصانع أعداءه القدامى وخصوم مبدئه الإصلاحي بالأمس، ويشي على بعض شيوخ الزوايا والطرق، وقد كان من أشد كتاب المصلحين ضدهم، ثم بلغ به الأمر أن انضم سنة 1939م إلى الحلفاء أثناء حربهم ضد ألمانيا وحلفائها، وكانت تغلب عليه نزعة ضد النازية، وهذا خلاف ما صنعتها جمعية العلماء ورئيسها ابن باديس الذين قرروا الحياد والسكوت قائلين - كما سمعت بأذني فحواه من ابن باديس - "إن قلنا ما يحب الله ورسوله ويرضى الشعب أغضبنا فرنسا، وإن قلنا ما يرضى فرنسا غضب الله علينا ولم يرض الشعب عنا فلنسكت"، وحاولت فرنسا أن تنطقهم فلم تستطع، أما الزاهري فنطق بما أحبوا أن يقول في هتلر وحزبه، ولم يكن نطق الزاهري مفهوما أو معللا بعلّة معقولة.. ولا يهتم الزاهري في وطنيته لأنه كان

(1) الوفاق، ع 6 في (5-5-1938) عن محمد ناصر، نفسه، ص 246.

(2) البصائر، مقال "تكذيب مقال"، ع 68 (21-5-1937)، ص 7.

(3) الوفاق، ع 4 في (14-4-1938) عن محمد ناصر، مرجع سابق، ص 245.

(4) الوفاق، ع 22 (23-2-1939) عن محمد ناصر، نفسه، ص 246.

(5) محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، مرجع سابق، ص 263.

متطرفا، لكنه سوء تدبير منه لترخص له الرقابة في إصدار جريدته، ومن عجيب أنني قرأت له في أحد أعداده زعمه أن الشعب الجزائري كله بجانب الحلفاء في الحرب مع أن عواطف الشعب لم تكن كذلك لما يقاسيه منها، بل كانت مائلة إلى جانب خصوم فرنسا بغضا لها لا حبا فيهم ولا إقرارا لمبادئهم"⁽¹⁾.

8- العمودي محمد الأمين:

الرجل المحامي والإعلامي المشهور الذي ولد في كوينين بالوادي (1890)، وبها درس وبقسنطينة حيث تخرج عدلا، أديب شاعر كاتب مترجم⁽²⁾، واشتغل بالمحاماة، وكان عضو المجلس الإداري للجمعية، ورئيس شباب المؤتمر الإسلامي، وكتب في الجحيم وغيرها، وأسس جريدة الدفاع (1934)، وكانت له خصومات مع العقبي بسبب سلوكاته، ولكنهما توافقا في موضوع البرقية مما جعله يبتعد عن ابن باديس، واستمر في عمله إلى أن اغتيل في الثورة مغدورا من الاستعمار يوم (10-10-1957)⁽³⁾.

9- قدور الحلوي:

من آل سيدي مبارك بالقليلة، تلقى العلم عن ابن سماية، وكان طريقيا -ربما تيجانيا- إصلاحيا، ولكنه غير مساره كلية آخر الثلاثينيات⁽⁴⁾، وصار يكتب في صحف الطرقيين، وهو صاحب مقال " بين الانحلال والاضمحلال"⁽⁵⁾، الذي انتقد فيه الجمعية في التعاون مع الشيوعيين، وناصر الزاهري في دعوته لجمعية جديدة، داعيا إلى تطهير جمعية العلماء من أمثال حمزة بكوشة⁽⁶⁾.

المطلب العاشر: رموز الإصلاحيين في الثلاثينيات.

1- مبارك الميلي: من أهم رموز وأقلام الإصلاحيين في الثلاثينيات، وقد احتفت الجمعية به، وأقرت رسالة الشرك ومظاهره كمرجع للحركة الإصلاحية، وقد نشرت الشهاب مقدمة كتاب الشرك ومظاهره⁽⁷⁾. وتجلّى ذلك الوضح المنهجي فيما قاله مالك بن نبي: "الشيخ مبارك الميلي وأبو يعلى الزواوي كانا بطلي المفضلين في تلك المعركة. كان للأول عنف الاقتناع بالعقيدة، وللثاني وضوح الأفكار"⁽⁸⁾.

(1) أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة، نفسه، ج 2 ص 148.

(2) شطر أبياتا لصحيفة تونسية ونجح على الرغم من مشاركة مفتيها المولود بن الموهوب ومدير المدرسة، وقال "إن الذي تعلمته من قسنطينة إنما هو من قبيل الصدف، ولا علم يعطى في هذه المدرسة، كما لا فضل لأحد فيما أخذته منها". انظر من أعلام الإصلاح في الجزائر، ج 1 ص 120.

(3) رميت جثته من القطار في البويرة للإيهام بأنه انتحر. معجم أعلام الجزائر في القرنين، مرجع سابق، ج 2 ص 408.

(4) قدم استعفائه من الجمعية ومن رئاسة شعبة العاصمة لسببين: برقية نشرت بالدفاع، ونقل الشهاب لمقالة عن المنار (ربما عن التجانية). انظر الثبات، حول استعفاء الشيخ قدور الحلوي، ع 13 (15-6-1934)، ص 3.

(5) الرشاد، ع 19 (30-10-1938)، ص 1.

(6) الرشاد، قدور الحلوي "في عالم التدجيل"، ع 28 (13-1-39)، ص 1. ع 29 (20-1-1939)، ص 1. ع 34 (1-3-1939)، ص 4. ع 36 (27-3-1939)، ص 4. بعنوان "عالم التدجيل" في الرد على حمزة بكوشة في انتقاد ابن سماية وكونه تيجانيا.

(7) الشهاب (ع ذو القعدة 1355-جانفي 1937)، ج 12 ص 519.

(8) مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، مرجع سابق، ص 189.

2- محمد خير الدين: ولد سنة (1902) بفرفار ببسكرة، درس بقسنطينة عند الطاهر بن زقوطة، ثم ارتحل للزيتونة (1918-1925)، حضر لقاء الرواد بقسنطينة (1928)، وكان كاتباً عاماً لجمعية الإخاء ببسكرة، وعضواً بجمعية إعانة الفقراء مع الدكتور سعدان، وعضو مستشار بمكتب جمعية العلماء، ثم عضو بالمكتب الدائم، تولى أمين عام للمال بعد وفاة الميلي، ونياية رئيس الجمعية (1947-1956)، ورأس لجنة التعليم بها، وتولى نيابة إدارة معهد ابن باديس بقسنطينة. وكان ابن باديس يعتز به قال عنه: الشيخ محمد خير الدين عميد الحركة الإصلاحية في بسكرة وضواحيها وهو - من بين إخوانه - ممتاز بحسن التدبير التجاري والفلاحي، الذي قلَّ أن لا يعود عليه بالأرباح، لكنه كثيراً ما ترك ذلك في سبيل خدمة الجمعية بذلك التدبير، وهو مراقب الجمعية العام⁽¹⁾، وكان الإبراهيمي ينشد:

الدين خير كله وأنا أرى-----من خير هذا الدين (خير الدين).

3- محمد العيد آل خليفة: شاعر مجيد، من الزيبان، ولد بعين البيضاء سنة (1904)، ودرس ببسكرة على شيوخها ثم بتونس سنتين وعاد سنة (1920)، نشر قصائده في الجرائد المختلفة، ولُقّب بشاعر الشباب، وحسان الدعوة الإصلاحية، ثم شاعر الجزائر، تولى إدارة مرسى الشبيبة سنة (1928)، وأدار بعد الحرب الثانية مدرسة التربية والتعليم بباتنة، ثم مدرسة العرفان بعين مليلة، اعتقل في الثورة سنة (1956) ثم فرضت عليه الإقامة ببسكرة، وبعد الاستقلال أوى إلى عزلة صوفية حتى توفي في (31-7-1979)، من آثاره: رواية بلال بن رباح، ديوان شعري، أنشودة الوليد⁽²⁾.

يعد محمد العيد من مشرب تجاني، حيث كان أبوه مقدما في الطريقة، ومن ذلك مدائحه التي لم تنقطع لشيخ السجادة التجانية، ففي قصيدة تحية الزيارة، نظمها سنة (1956) في مدح الحاج علي بن الحاج عيسى التماسيني التجاني يقول⁽³⁾:

سلام وراث الختم التجاني---عليك مبارك سامي المعاني

وأنت بقدسك العلوي عني---علي في المكانة والمكان

ورثت خلافة المكتوم فضلا — ونلت بحبه كل الأمانى

ألم تخرق لك العادات فضلا — به زلفى فنعم الفرقدان

خطوت إليه في فاس لتحظى — بزورته وتنعيم بالعيان.

وفي قصيدة: فزت بالمنى في زيارة ضريح الحاج علي التماسيني، يقول⁽⁴⁾:

أيا زائرا هذا الحمى فزت بالمنى---فتق فيه بالبشرى ودع التخمين.

فيا سيدي إني أتيتك زائرا-- نزيلا وهل يشقى نزيل السلاطين.

(1) محمد خير الدين، المذكرات، ج1، ص 118. عبد الحميد بن باديس: مقال "المجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، جريدة البصائر، ع 137 (1938-10-28)، ص2. محمد خير الدين، المصدر نفسه، ج 1 ص119. معجم أعلام الجزائر في القرنين، ج 2 ص 169.

(2) أعلام من المغرب العربي، ج 3 ص 858. من أعلام الإصلاح في الجزائر، ج 1 ص 231. معجم أعلام الجزائر في القرنين، ج 1 ص 280.

(3) محمد بن سميحة، تكملة ديوان محمد العيد آل خليفة، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1997، ص108.

(4) محمد بن سميحة، المرجع نفسه، ص110.

بقوا قادة للأحمدية سادة — وهم رفعاء الهام شم العرائين

ودمت وجيها عند ربك شافعا--- ولا زلت في الدنيا عليا وفي الدين.

مزج محمد العيد بين روحيته الصوفية ونزعاته الإصلاحية، وكان شاعر الجمعية والمنافع عنها بامتياز، والعامل في مدارسها، والكاتب في صحائفها مدافعا عن العربية والإسلام، واستمر على ذلك طوال الفترة الاستعمارية، وبعد الاستقلال والاختيارات الخاطئة للدولة الجزائرية عاد إلى العزلة والتصوف، وانكفاً على نفسه، وهو القائل في ذلك ⁽¹⁾: وجنحت للحرم الذي فارقتة -----زمننا جنوح الطير للأوكار

4- عمردردور: من مواليد (1913) في قرية حيدوس بوادي عبدي وفيها حفظ القرآن، درس بالزاوية العثمانية بطولقة، ثم اتجه إلى قسنطينة ليلتحق بطلبة الجامع الأخضر، والأخذ عن الإمام ابن باديس الذي لازمه مدة سنوات (1932-1937)، مؤسس الشعبية الأوراسية لجمعية العلماء سنة 1936، وقد اعتقل بعدها سنة (1937)، وعمل سفيرا للثورة الجزائرية بعد اندلاعها، توفي (19-3-2009). ⁽²⁾.

5- فرحات بن الدراجي بوحامد: ولد بليشانة (1909)، وانتسب للزيتونة (1924-1931)، وعاد بشهادة التطويع، واشتغل مدرسا بسيق خلفا للتبسي، ودرس بالشعبية، وكان في بعثة الوريثاني بفرنسا، كتب في صحف الجمعية، وكان نائبا للكاتب العام في مكتب (1937)، ثم نائبا لرئيس تحرير البصائر في سلسلتها الثانية، واعتقل سنة (1940)، عمل في فرنسا داعية ومعلما للعمال منتدبا من الجمعية، توفي يوم (13-5-1951). ⁽³⁾.

6- مصطفى بن حلوش: ابن العالم أبو القاسم بن حلوش ⁽⁴⁾، ولد بمستغانم (1907)، ودرس عند ابن باديس سنة (1926)، ثم بالزيتونة حتى (1930)، أسس نادي ومدرسة النجاح بسيدي بلعباس سنة (1934)، أسهم بمقالاته في صحف الجمعية، وكانت له مناظرات مع حمزة بكوشة حول الحجاب الذي اعتبره عادة. توفي (1980). ⁽⁵⁾.

7- السعيد صالح: ولد بقنزات (1902)، ودرس عند والده الشيخ أرزي (ت1930)، أسس نادي الشباب بقنزات، وابتعثته الجمعية لفرنسا فأسس بها نوادي ومدارس التهذيب، ثم مدرسة الإصلاح بقنزات، ودرس بدار الحديث، وفي مدارس الجمعية بالغرب مرشدا، اعتقل مرات كثيرة في الثورة، توفي (25-7-1985). ⁽⁶⁾.

(1) ديوان محمد العيد آل خليفة، الجزائر، مرجع سابق، ص 298.

(2) البصائر، ع 84 (1937-10-29)، ص 3. صلاح مؤيد، الزوايا والطرق، مرجع سابق، ص 803. علي عزوزي، زاوية ال دردور، ص 39. بوكسية، نفسه، ص 209. معجم أعلام الجزائر في القرنين، مرجع سابق، ج 2 ص 186.

(3) البصائر، "الشيخ فرحات الدراجي"، ع 162 (1951-7-2)، ص 3. أحمد بن ذياب، الشيخ فرحات الدراجي، مجلة الثقافة، ع 35 (أكتوبر-نوفمبر 1976)، ص 35. من أعلام الإصلاح في الجزائر، ج 1 ص 154. معجم أعلام الجزائر في القرنين، ج 1 ص 94. وفيه أنه له شرحا للبرادي.

(4) أبو القاسم بن حلوش، ولد بمستغانم (1881)، ترأس شعبة الجمعية بمستغانم توفي (1948). البصائر، ع 65 (1949-1-31)، ص 3، "موت عالم سلفي مصلح"، آثار الإبراهيمي، ج 2 ص 282. من أعلام الإصلاح في الجزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 102.

(5) فضلاء، من أعلام الإصلاح في الجزائر، ج 1 ص 244. مولود عويمر، تراث الحركة الإصلاحية، مرجع سابق، ج 1 ص 235. البصائر، أعداد 43-64 وكان يساعد الشيخ حمادة فنان البدوي.

(6) من أعلام الإصلاح في الجزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 124.

8- السعيد الزموشي: ولد بعين البيضاء (1904)، وتخرج بالتطوع من الزيتونة، فتح مدرسة معسكر (1932)، ثم كان معتمد الجمعية بالغرب، فأشرف على تأسيس المدارس وال النوادي، توفي بوجدة قبل أن يرى فرحة الاستقلال يوم (19-12-1960)⁽¹⁾.

9- أحمد بوشمال، ولد بقسنطينة (1899) تتلمذ لابن باديس، وكان يشتغل إسكافيا، وتبرع بمحله ليكون مقر المطبعة الإسلامية، ويعتبر العضد الكبير لابن باديس وكاتم أسرار، نائب لجمعية التربية والتعليم، ومقتصد معهد ابن باديس، قتل تحت التعذيب أيام الثورة المباركة في (سبتمبر 1958)⁽²⁾.

10- عبد القادر بن زيان، ولد بتلمسان (1887) ثم ارتحل الى سيق حيث درس على الشيخ المنور التجاني، وناصر التبسي هناك، أعجب به ابن باديس وأشاد بعلمه، وقد انظم لجمعية العلماء، ونشط حركة تأسيس المدارس بمعسكر والغرب⁽³⁾، توفي (21-9-1971)⁽⁴⁾.

11- باعزیز بن عمر: ولد بنواحي أزفون (1906)، درس بالجامع الأخضر (1925-1929) ثم بالزيتونة عاما واحدا لرفضه أساليب تعليمها كالورثاني أيضا، درّس بالشبيبة، وكتب في صحف الجمعية باسم الفتى الزواوي، وكان عضو لجنة التعليم العليا بالجمعية، وأسس مدرسة الإقبال بالأبيار، توفي (6-5-1977)⁽⁵⁾.

12- الفضيل الورثاني: ولد بجمعة بني ورثان سنة (1900)، درس بقسنطينة عند ابن باديس خمس سنوات، ابتعث رئيسا لبعثة الجمعية في فرنسا، ثم خرج لمصر سنة (1938) فنال العالمية في سنة واحدة، وانتسب لكلية أصول الدين في الدعوة والإرشاد سنتين، ثم القضاء الشرعي سنتين، وكان نابغة، أسس لجنة الدفاع عن الجزائر (1942) ثم "جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية" (1944)، انضم للإخوان المسلمين، وكان له دور في ثورة اليمن، وصاحب الإبراهيمي في تنقلاته المشرقية، وتوفي بأنقرة غريبا مريضا في (12-3-1959)⁽⁶⁾.

15- علي مرحوم⁽⁷⁾: ولد في (14-3-1913) ببني مسلم بجيجل، تتلمذ على ابن باديس بالجامع الأخضر منذ (1937)، عمل مراسلا ومفتشا للجمعية، ومثل جبهة التحرير في تطوان، وبعد الاستقلال أمينا عاما لمجلس الإسلامي الأعلى، ومفتشا للتعليم القرآني بالشرق الجزائري، من آثاره: في مدرسة النبوة، ذكريات من حق الثورة، أقطاب جمعية العلماء، مسرحية الصراع بين الحق والباطل، كتبها سنة (1948).

خاتمة المبحث: تقييم واقع الإصلاحيين.

1- الإغراق في الجدل:

(1) المرجع السابق، ج 1 ص 135.

(2) معجم أعلام الجزائر في القرنين، ج 1 ص 487. من أعلام الإصلاح في الجزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 169.

(3) النجاح، "زيارة مدرسي مدرسة سيق بمعسكر"، ع 1343، (17-8-1932) ص 3.

(4) من أعلام الإصلاح في الجزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 190.

(5) من أعلام الإصلاح في الجزائر، ج 1 ص 194.

(6) البصائر، ع 178 (11-8-1939)، ص 6، الجزائر الثائرة، ص 6. من أعلام الإصلاح في الجزائر، ج 1 ص 203.

(7) محمد الصالح الصديق، أعلام من المغرب العربي، مرجع سابق، ج 3 ص 917.

وهي من المآخذ الكبيرة التي شوشت على المسار الإصلاحى، حيث صرفت جهود كبيرة في الردود على الطرقيين، وكان هذا الجدل قد أدى إلى نفور العديد من الالتحاق بركب الحركة الإصلاحية، وشئت الجهود، وأهدر الطاقات، وهو ما نعاها مالك بن نبي في الإغراق في بحر اللغة العربية والتباهي بألقاب البحر والعلا دون منهجية واضحة، وهذا الإغراق الجدلي مبعثه الغالب، "فالمؤلفون كانوا يعمدون إلى الأسئلة فالأجوبة فالانتقادات المتبادلة، والهدر الخالي من كل فائدة، وكان العديد من المساهمين في الشهاب يميلون إلى إلقاء الخطب الطويلة لا لشيء سوى إبراز القدرة على الحديث بالعربية الفصحى وليس البحث عن حل للمشكلة المطروحة بالسعي إلى التخفيف من حدة الخلاف"⁽¹⁾.

2- ضعف المنتج العلمي والتأليف:

على الرغم من الجهد المبذول في المدارس والتعليم، فلم يبرز لدى علماء الجمعية وهم من القوة العلمية بمكان أن يؤلفوا كتباً منهجية رصينة في التأسيس لتصوراتهم ورؤاهم، بل إن الضعف نال المقررات المدرسية التي ظلت عالية على غيرها من المصرية والتونسية: "وهذا الخطأ المنهجي في تصورنا هو الذي جعل الجمعية ضعيفة في إنتاجها العلمي، حتى مع كونها اهتمت ببناء المدارس، وعلى أسس رفيعة من العمران، ولكنها لم تهتم بوضع المقررات مع أن المقررات أهم بكثير من المدارس، بل كانت تعتمد في مقرراتها على كتب بسيطة تقليدية"⁽²⁾.

ولعل هذا النقد قد لاحظته خصومهم الطرقيون، فعلى الرغم من علو كعب الصف الأول من العلماء إلا أنهم لم يخرجوا أمثالهم، وهو ما يوجي بضعف التورث، أو ضبابية المنهج المتبع في التدريس، وفي هذا ينتقد البودليمي غريمه الإبراهيمي: "نعرف حقيقتك، وأنتك إذا فتحت الكلام معهم-تلاميذك- تكلمت في كل موضوع، وهمت في كل واد، فتارة يرونك محلقة في السماء، وتارة يرونك غائراً في الأرض، وأنا آخر تخوض لهم في بحر توارخ الأمم ما مضى منها وما حضر، ثم تنتقل بعد ذلك إلى علوم اللغة والأدب والفلسفة وتوارخها.... فيبينوا لنا من هم العلماء الذين تخرجوا على أيديكم منذ رجعتكم من المشرق"⁽³⁾. وهو نقد له بعض الوجاهة.

كما أن تبعثر الجهود، وتحديات المرحلة حجبت الإصلاحيين عن الإسهام في بناء فقه يمكن من التكيف مع الشروط الحياة العصرية، ومرد ذلك في تقييم علي مراد بالنزعة المحافظة والخوف من التأثيرات الحديثة، ولذلك لم ينخرطوا بقوة في جهود الفقهاء المشاركة الجدد، ولم يكن لهم موقف واضح من جهود تقنين الفقه التي قادتها لجنة موران⁽⁴⁾، ولأجل ذلك ركنوا إلى الدراسات الإسلامية العامة، ولكنهم أحدثوا جلبلة دينية ظل صداها يتردد إلى حد الساعة، وخاصة هزهم للنسق المالكي المحافظ، وللنظام المرباطي المتوارث منذ عصور.

3- عدم تقديم بدائل سياسية واضحة:

(1) علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية الجزائرية، مرجع سابق، ص 152.

(2) نور الدين بولحية، نفسه، ص 320.

(3) علي البودليمي المسييلي، إمطة اللثام عما نشأ في الحاضرة التلمسانية من الشكوك والأوهام والشقاق والخصام، ط 1، مستغانم، المطبعة العلوية، 1939، ج 1 ص 8.

(4) علي مراد، المرجع السابق، ص 292.

ظل عمل الإصلاحيين صعبا في التغيير الثقافي أو محاولة قلب الأوضاع الموروثة أو المفروضة من الضابط الاستعماري، وكثيرا ما اشتكت جرائدهم ونطقت اجتماعاتهم وتقاريرهم بقساوة المضايقات الحكومية⁽¹⁾، وكان من مصدات عملهم التقاليد الموروثة عن المكاتب العربية في شخصيات القياد والباشأغوات الراضين لقلب الأوضاع التي ستذهب بمكانتهم وامتيازاتهم، وإن وجدنا بعض الاستثناءات القليلة في هذا⁽²⁾. وفي تقييم بن نبي: "ولم يكن العلماء على جانب من الخبرة بوسائل الاستعمار في مجال الصراع الفكري حتى يفتنوا إلى هذا الانحراف، ولم يكن لديهم من حدة المزاج وصرامة الإرادة ما يكفي حتى يتداركوا الموقف"⁽³⁾

4- التردد وعدم الحسم:

فمراوحة الإصلاح في عدم اقتحام المجال السياسي فسخ المجال لغيرهم من أتباع حزب الشعب الذين استحوذوا على قطاعات عريضة من الشعب، بسبب من وضوح الشعارات، وهذا التردد أو الجبن بلغة مالك بن نبي عانتها الجمعية في مختلف مراحلها، مما جعلها تُسند القياد السياسي لزعماء أقل من رجالها، وقد عبّر أحد رجالها وهو حمزة بكوشة عن آثار ذلك التردد في أبيات ينعى فيها الحالة الدينية ورجالها من الطريقين والرسميين:

برمت من الإقامة في بلاد----- يؤول أهلها الكفر الصريحا
يقودهم المدجل للزوايا----- ويأخذ منهم الثمن الربيجا
ليعطيهم من الجنات قصرا----- ويمنعهم أذا قدر أتيحا
ونافسهم من العلماء قوم----- بترك الدين يشرون المديحا
ويخشون اليهود مع النصارى----- ولا يخشون من خلق المسيحا

5- الأبطال الفريدون:

من معضلات الحركة الإصلاحية التفاوت الكبير بين الصف الأول ومن يليه، وخاصة الشخصية الفذة لكل من ابن باديس ثم الإبراهيمي، ومن شهادة هذا الأخير: "وعبد الحميد بن باديس باني النهضة وإمامها، ومدرّب جيوشها، عالم ديني ولكنه ليس كعلماء الدين الذين عرفهم التاريخ الإسلامي في قرونه الأخيرة، جمع الله فيه ما تفرق في غيره من علماء الدين في هذا العصر، وأرى عليهم بالبيان الناصع، واللسان المطاوع، والذكاء الخارق، والفكر الولود، والعقل اللماح، والفهم الغواص على دقائق القرآن، وأسرار التشريع الإسلامي، والاطلاع الواسع على أحوال المسلمين، ومناشئ أمراضهم، وطرق علاجها، والرأي السديد في العمليات والعمليات من فقه الإسلام وأطوار تاريخه، والإمام الكافي بمعارف العصر مع التمييز بين ضارها ونافعها"⁽⁴⁾.

(1) جريدة الشريعة المحمدية، ع 1 (17-7-1933)، تقرير عن الحضور والمضايقات الحكومية، ص 2.

(2) نماذج قليلة مثل القائد سماعيل بعين مليلة، والقائد زريقين ببوقاعة، والذي ذكره الورثاني في تقريره المنشور بالشهاب، ع (ربيع الأول 1353- جوان 1934) ج 7 مج 10. وعن مدرسة ببوقاعة انظر الثبات، ع 20 (21-9-1934)، ص 3.

(3) مذكرات شاهد القرن، مرجع سابق، ص 319.

(4) آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 5 ص 137.

ولم يكن العقبي أقل فريدة من زملائه، فقد كان صانع الوعي في العاصمة، لولا أن الحنكة السياسية كانت تعوزه، بسبب غلبة عاطفته وجموحه غير المحسوب، وعدم تقديره للتوازنات في الأرض المستعمرة. وعلى الرغم من ذلك فقد كان له محبون معتدلون، وخصوم حتى من بني منطقته الزيبان كمحمد خير الدين أو غيرها مثل حماني، في حين فإن محمد العيد عذره في موضوع البرقية والخروج من الجمعية⁽¹⁾:

خصمان فيما يفيد الأمة اختصما----- إياك أن تنتقص الخصمين إياكا
كلاهما في سبيل الحق مجتهد----- فلا تلومن لا ذا ولا ذاك

6- قساوة المرحلة:

التي شأنها الصلف الإداري، والتراجع الثقافي والاقتصادي والخوف السياسي مع اتقرب العلم للحرب الثانية، ولذلك اعتذر الورثاني في نص لافت عن جهد زملائه قائلا: "قام هؤلاء الأفراد القلائل من العلماء الأحرار، يدعون الأمة الجزائرية إلى الرجوع لدينها الصحيح، الذي نجده غضا طريا في الكتاب والسنة، وما كان عليه السلف الصالح، ودعوا الأمة إلى نبذ كل ما خالف ذلك من تخريف، كان من صنع المستعمرين بواسطة الجهلة الدجالين، والمتعالين المأجورين، وقام هؤلاء الدجالون من جهة أخرى قومة جديدة، بإيعاز من الاستعمار ومساعدة علنية منه. ووقع في فخهم من وقع من الصالحين عن حسن نية، فدعا الجميع إلى ما كان عليه الآباء والأجداد، وإلى ما يراه الدراويش في المنام، وترك كل ما قاله الله والرسول، والاقتصار على التبرك بها ليس غير، فكانت المعارك بين الفريقين، وبين الدعوتين، وكانت عنيفة قاسية، كانت بين حق أعزل من جميع الأسلحة المادية طرفه المصلحون، وبين باطل يملك منها كل شيء طرفه المستعمرون ودولتهم في الواقع، وإنما يسترون أنفسهم بطائفة من الدجالين المأجورين في الظاهر"⁽²⁾.

إن قساوة المرحلة وفداحة التحدي للصلف الفرنسي يمر نوعا ما ببساطة التعليم العربي الذي مارسه الإصلاحيون، والذي كان لا يتجاوز المراحل الابتدائية⁽³⁾، ولكنه جهد كبير إذا ما قورن بالأجواء الثقيلة أيام الاستعمار، ويكفي أن ذلك النزر من التربية والتعليم أسهم بجلاء في إحياء اللغة العربية والثقافة الإسلامية المغدورة في بلدها، وسيتبين لنا ذلك من فحص بعض القرارات الفرنسية الجائرة ضد التعليم العربي، والتي نال ضررها وشررها الجميع من إصلاحيين وطرقين، وهو ما سيتبين لنا بوضوح في درس العلاقات بين التيارين في هذه المرحلة العصبية والعصية من تاريخ الجزائر الحديث.

(1) محمد العيد، الديوان، مرجع سابق، ص 40. مريوش، نفسه، ص 271. من أعلام الإصلاح في الجزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 16.

(2) الجزائر الثائرة، مرجع سابق، ص 137.

(3) انظر علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، مرجع سابق، ص 418.

المبحث الثاني: الطريقون في الثلاثينيات (1931-1940).

تمهيد: افتتح عقد الثلاثينيات، والوضع الطرقي على حاله، اللهم إلا ازدياد نشاط الطريقة العلوية، وفي هذا المجال لا بد من التمييز في هذا البحث بين نوعين من الطرق العاملة في الجزائر:

أ- الطرق التقليدية أو الزوايا المنكفئة: التي أغلقت أبوابها عن أي فعل تجديدي أو تخطيط للانتشار، واشتغلت بالتعليم والتدريس والإرشاد، والقيام ببعض المهام الاجتماعية، وهي زوايا كثيرة في زاوية، والجنوب الغربي، وتوات والواحات وغيرها، وقد انتقدت بسبب جمود تعليمها وبقائها على الخط التقليدي القديم⁽¹⁾.

ب- الزوايا والطرق الفاعلة: وهي التي قامت بالأدوار السابقة، إضافة إلى محاولتها تفعيل الحياة الدينية والانتشار والتنافس مع الطرق الأخرى ومع الحركة الإصلاحية، وكانت لها مؤسساتها وأذرعها الإعلامية والاجتماعية، ومن أهم الطرق الفاعلة هي: العليوية، والرحمانية (الفرع القاسمي، والحملوي)، وبدرجة أقل التجانية والقادرية، وبدرجة أضعف الطيبية، والعيساوية، والدرقاوية، والشيخية، والشابية، وبعض الزوايا العائلية.

المطلب الأول: المرجعيات العلمية للطريقين.

1- التصوف السني:

اعتمد الطريقون في منافحتهم عن آرائهم كتب التصوف السنيّة ومراجعته المعتبرة من عبد القادر الجيلاني وأبي الحسن الشاذلي، وشحنوا مقالاتهم بالنقول عن أساطينه كالغزالي وأبي طالب المكي، واعتبروا أنفسهم محافظين ومنافحين عن الإرث الإسلامي التركوي، وكثيرا ما شددوا على أنهم الأبناء الشرعيون للمذاهب الأربعة التي غلب على متأخريها الانتساب للطرق الصوفية.

2- التصوف الجزائري:

وهو ما يظهر في الاعتداد الكبير بالسلاسل الصوفية الجزائرية، وفي إحياء سير وأخبار صوفية الجزائر منذ العهد الزياني، وهو ما عمدت إليه عديد المقالات المنوّهة بهذا الإرث في الصحف الطرقية، أو فيما كُتب من مدونات مشيدة بهم مثل كتاب "تعريف الخلف بأثر السلف" لأبي القاسم الحفناوي، أو كتاب المرأة الجليلة

(1) البصائر، مقال "التعليم بالزوايا"، ع 145 (1938-12-23)، ص 4. البصائر، مقال "على هامش التعليم بالزوايا"، ع 150 (1939-01-27)، ص

5. وضربت مثلا لذلك بقاء تدريس الأجرومية لمدة طويلة.

لابن عبد الحكم العطايفي، أو بعض المدونات المنقوبة المتأخرة، مثل الروض الباسم في التعريف بابن أبي القاسم الهاملي.

3- المذهب المالكي:

وهو الميدان الأكبر الذي دافع عنه طرقيو الجزائر، في غمز كبير للإصلاحيين في دعوى الاجتهاد، واقتفاء أثر العبدوية، والجنوح للآراء الوهابية، وكثيرا ما شدد الطرقيون في ديبارات وثنائهم أو مقالاتهم على اتباع المذهب المالكي والعقيدة الأشعرية، وأزرهم في ذلك رجال الدين الرسميون، ولهذا شهدنا من مفاتهم تمسكا كبيرا بالفتوى المالكية وما جرى عليه العمل في قضايا كثيرة كما هو التفصيل في مبحث الجدل الفقهي. ويظهر هذا الاهتمام بتنزيل الفتاوى المالكية منزلتها في التطبيق في إنكار الطرقيين على التماثيل التي بادرت فرنسا نصبتها في الميادين، كما حصل من امتعاض البلاغ على تمثال (هيكلم مدام تبسة العارية)⁽¹⁾

4- العقيدة الأشعرية:

شدد الطرقيون على انتهاج مقالات ومناهج الدرس الأشعري، وخاصة السنوسي المتأخر منه، وامتعضوا من دعوات تجديد الدرس العقدي، والجنوح لبعض الآراء الوهابية في التطبيقات العقدية كالتوسل وغير ذلك، واعتبروا الإصلاحيين مبتدعة في هذا المجال، وهو ما دلت عليه الأدبيات المنشورة في جريدة الإخلاص ولسان الدين والرشاد وغيرها.

وفي هذا المضمار اعتبر الطرقيون دعوات تجديد الدرس العقدي نقضا للدين وما جرت عليه الأمة، وحذروا من نزعات بعض الإصلاحيين في السير في الطريق الجديد الذي افتتحته مدرسة المنار، وقد تندروا بتسمية مدرسة الحديث بـ"تلمسان بذلك"، معتبرين الحديث هنا مقابلا للقديم، وليس للحديث الشريف⁽²⁾.

المطلب الثاني: الطرقيون وتأسيس جمعية العلماء.

أولا- الدعوات الطرقية المبكرة للتأسيس:

يتنافس الإصلاحيون والطرقيون في أولية الدعوة إلى تأسيس جمعية علمائية تلم الشعث الديني، ولكن حمى الدعوة قديمة ولها جذور قبل ذلك، من أوائل الداعين لتأسيس مثل هذه الهيئة من الطرقيين وأنصارهم ما يأتي:

1- عمر بن قدور: الذي نادى قبل الحرب العالمية الأولى بوجوب مراجعة الحالة الدينية لمسلمي الجزائر، في مقالته عن الأزمة الدينية بجريدة التقدم التونسية (27 فيفري 1908)، ثم في دعوته لتأسيس جامعة الصحافة الإسلامية (1911)، وأخيرا دعوته لتأسيس جماعة التعارف الإسلامي لأهالي شمال إفريقيا سنة

(1) البلاغ، ع 170 (27-6-1930). رحلات طرقية، مرجع سابق، ص 50.

(2) البودليبي، إمطة اللثام عما نشأ في الحاضرة التلمسانية من الشكوك والأوهام، ج 1 ص 55. لسان الدين، ع 38

(1914) ⁽¹⁾. ويذهب العقون عبد الرحمان لذا أيضا: "يقال إن التفكير في الجمعية سبق من عمر بن قنور والأمر خالد وعمر راسم" ⁽²⁾.

2- صوفية قسنطينة: ذكر الزريبي المشروع الرائد لتنظيم الحالة الدينية من قبلهم، وكان شاهدا على أول اجتماع وحدوي للعلماء من تنظيم صوفية مقاطعة قسنطينة في مقاله "شعور السادة شيوخ الطرق"، عما نشرته النجاح عن اجتماع شيوخ الطرق بقسنطينة بزاوية مولاي الطيب، حيث اتفقوا على "التآخي والتعاقد والنصح وجمع الكلمة والسير على سنن واحد إلى ما فيه سعادة الأمة عاجلا وأجلا، والحث على القيام بالوظائف الدينية، والأخذ في أسباب الرقي والتقدم والتأليف بين القلوب، مع عدم التدخل في الشؤون السياسية" ⁽³⁾. وهي محاولة أولى لتنظيم العمل الديني في قسنطينة التي تعتبر رائدة في هذا المجال.

3- الطريقة العلوية: حيث دعت وجددت جريدتها الناطقة باسمها "جريدة لسان الدين"، في آخر عدد صادر منها (مارس 1923)، في مقالها "مسلمو الجزائر وحالهم الدينية" إلى: "تشكيل حزب ديني يتخلل فروع سائر القطر، يتألف من رجال مخلصين في أعمالهم صادقين في أقوالهم، يبذلون في سبيل تأييد مشروعهم النفس والنفس، خطتهم في ذلك المناضلة عن الدين والمحافظة على المروءة.. والاعتماد على الحكومة الفرنسية في تحقيق الإصلاح المنشود" ⁽⁴⁾. وهي أول دعوة صريحة مباشرة سبق بها الطرقيون غيرهم نتيجة انفتاح العلويين على الأعمال التنظيمية العصرية.

4- المولود الحافظي: يعتبر الحافظي من أوائل الساعين لتأسيس هيئة جامعة للعلماء بالقطر الجزائري، ففي مقال له نشره بالشهاب جاء فيه الدعوة إلى إجابة اقتراح ابن باديس في إنشاء حزب ديني، واقترح أن يشمل هذا الحزب رجال العلم الفضلاء، في مقاله "حول اقتراح تأسيس حزب ديني إصلاحي" ⁽⁵⁾. وأتبع هذا بمقالات أخرى مثل "مسؤولية المفكرين والأغنياء" ⁽⁶⁾، ومقال آخر "صوت العلم يناديكم فهل من مجيب" ⁽⁷⁾.

وقدم الحافظي الخطوط الأولى للبرنامج كتأليف الهيئة الإدارية من سائر العناصر، ومنهم الإباضيون، مع وضع قانون أساسي توضح أغراضه وينشر للجمهور، وأن يهدف القانون إلى جمع الزكاة، مع تأسيس مدارس ابتدائية للتعليم باللغتين، مع إنفاق محسني الأمة عليها، وتكون عاصمة الحزب الجزائر أو قسنطينة مع تأسيس فروع في المدن والقرى، مع التوصية بابتعاد الحزب عن السياسة، وأن يكون لهذا حزب نفس امتيازات الأحزاب اليهودية والمسيحية ⁽⁸⁾.

(1) انظر ابن قنور، الإيداء والإعادة، مرجع سابق، ص 12.

(2) العقون، الكفاح القومي السياسي، مرجع سابق، ج 1 ص 165.

(3) الصديق، الزريبي "شعور السادة شيوخ الطرق"، ع 41 (18-8-1921)، ص 3. مقالات الزريبي، مرجع سابق، ج 1 ص 244.

(4) لسان الدين، ع 12 (20 مارس 1923). وكذا في العدد السابق، ع 10 (6-3-1923).

(5) الشهاب، ع 9 (7-1-1926)، ج 1 ص 181.

(6) الشهاب، ع 14 (11-2-1926)، ج 1 ص 280.

(7) الشهاب، ع 48 (20-8-1926)، ج 2 ص 229.

(8) الشهاب، ع 9 (7-1-1926)، ج 1 ص 181 183.

وكان الحافظي هو الأعلى صوتا في نهاية العشرينات لتأسيس هذه الهيئة الجامعة، وربما يكون هذا رجعا لرؤيته للتجارب المشرقية أيام دراسته بالأزهر.

5- عبد الحفيظ الهاشمي: الذي دعا في جريدته النجاح إلى تأسيس هيئة جامعة للمسلمين الجزائريين⁽¹⁾، ففي مقال: "قلة المشاريع الوطنية في بلادنا وعدم تأسيس جمعية وطنية" جاء فيه: "إن حالة الأمة الجزائرية ستدعي مزيدا من الاهتمام بشؤونها، ولكن أين الرجال الأقوياء؟ حالة الأمة الجزائرية اليوم هي الحالة المؤسف عليها، والتي تهدد بالخطر المبين المقبل، وهي تنبئ بزوال الخصائص الجزائرية الذاتية التي كانت في سالف العصور، يا قلوب فلتقشع منك ظلمات الجبن والرعب، ويا ألسن فلتنطقي بما فيه لهذه الأمة صلاح ونجاح، ويا أفئدة القول الصادق، ويا أيدي جودي بالإسعاف في المسائل الوطنية، ويا أيها النواب مالي أراكم مطأطي الرؤوس أمام الحوادث والمشاكل السياسية"⁽²⁾، بل و دعا صراحة إلى تأسيس حزب إصلاحي جامع، وهي من أولى الدعوات المبكرة⁽³⁾، ومن المعلوم أن الهاشمي محسوب على زاوية طولقة الرحمانية.

6- حسن بولحبال: وهو من رواد الدعوة لتأسيس جمعية علمائية تكون مرجعية وطنية في القضايا الدينية، فقد قال "ولئن أكون على خلاف في بعض النقط مع دعاة الإصلاح، فإني مع غلاة الصوفية على اختلاف تام، وأرجو أن يوفق الله علماء الوطن إلى تأسيس جمعية تكون لها الكلمة العليا في المسائل الدينية قبل أن يستشري الفساد"⁽⁴⁾.

7- دعوات متفرقات: من كتاب الصحف الدينية آنذاك أمثال السعيد الجري، ومصطفاي الهادي، والشيخ العربي بن عبد القادر، وغيرهم⁽⁵⁾.

ثانيا- رواية الطريقين للتأسيس.

عرضنا في المبحث السابق رواية الإصلاحيين من البادسيين والعقبين وجماعة نادي الترقى للتأسيس، وكيفياته ومجرياته، ونعرض الآن للرواية الطرقية، وعمادها الرواية العلاوية والرحمانية الهاملية، وهي الرواية الرابعة، وفهم يصرون على ريادتهم في إنشاء الجمعية عبر دعواتهم العديدة في العشرينيات، وللدور المركزي لعمر إسماعيل⁽⁶⁾، وهو طرقي ناشط في العاصمة، وزميله مصطفى حافظ، وهما من مناصري الطريقة العلاوية، وقد عرض الأمر على الشيخ ابن عليوة فتشجع للفكرة، وحضر هو الاجتماع الأول مع تلميذه محمد المهدي وعدة بن تونس، وكان أول من اكتتب لصندوق الجمعية، ونشر الإعلان بالشهاب الباديسية⁽⁷⁾.

(1) النجاح، ع 199 (10-23-1925). عبد الله ركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، مرجع سابق، ص 688.

(2) النجاح، عبد الحفيظ بن الهاشمي "قلة المشاريع الوطنية"، ع 199 (13 مارس 1925)، ص 1.

(3) النجاح، "لا دواء لجمع الشمل إذا لم نتوفق إلى تأسيس حزب إصلاحي"، ع 241 (10-13-1925)، ص 1.

(4) جريدة الإصلاح، ع 6 (10-24-1929)، ذاكرة الجزائر، مرجع سابق، ج 4 ص 34.

(5) مرجعيات جمعية العلماء، مرجع سابق، ج 2 ص 46-48.

(6) مجلة المرشد، ع 43 (1950)، ج 1 ص 180. وعمر إسماعيل: أصيل دلس، أثرى أثناء الحرب العالمية الأولى كما يقول المدني، من المؤسسين الفاعلين لنادي الترقى، وكذا تأسيس جمعية العلماء، رعى تأسيس جمعية السنة.

(7) الشهاب (ع رمضان 1349- فيفري 1931)، مج 7 ص 49-52. البلاغ (11-6-1931).

ثم أقنع عديد شيوخ الطرق بالحضور للاجتماع، حيث ترأس اللجنة التأسيسية، وكذا لجنة العمل الدائم قبل الانقسام.

وهو ما أكدّه الإبراهيمي في تغطيته لتأسيس الجمعية حيث قال: "على الساعة الثامنة من صباح يوم الثلاثاء (5-5-1931) اجتمع بنادي الترقى بعاصمة الجزائر اثنان وسبعون عالما من علماء القطر الجزائري استجابة لدعوة خاصة من لجنة تأسيسية مؤلفة من جماعة من فضلاء العاصمة عميدها السيد عمر إسماعيل"⁽¹⁾. ويعترف المدني بدوره، وينفي عنه تهمة الولاء لمدير الشؤون الأهلية: "أن عمر إسماعيل لم يكن جاسوسا، وأنهم أسسوا جمعية العلماء بمال عمر إسماعيل، .. ولو كان جاسوسا ما كان يدفع ماله لتأسيس جمعية تقاوم ميرانت"⁽²⁾. المهم من كل هذا أنه كان لعمر إسماعيل الدور الأبرز في التحضير والدعم المادي للتأسيس، وقد رأس اللجنة الدائمة للتأسيس وكان فيها مساعدون هم محمد المهدي (كاتب)، وآيت سي أحمد عبد العزيز (أمين المال)، ومحمد الزمرلي، والحاج عمر العنق (عضوان)⁽³⁾.

كما يشير الطرقيون إلى قدرة الماكينة الإعلامية والثقل الكبير للشيخ أحمد بن عليوة في تحصيل ذلك الإجماع التاريخي في تأسيس جمعية كبيرة تضم كل الأطياف الدينية الجزائرية، وقد حضر الجلسة التمهيدية بنادي الترقى الحسن القادري البغدادي مثلا عن العلويين.

ثالثا: التأسيس الفعلي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

في غمرة الاحتفالات المأوية لاحتلال الجزائر من قبل الفرنسيين، وتحديهم السافر للمشاعر الوطنية بأشكال الاحتفالات الضخمة، وذلك أن فرنسا صمّمت على إقامة تلك الاحتفالات عقيب عام من الكساد الكبير والأزمة العالمية، والتي ضربت فرنسا أيضا، ولكن ذلك لم يثنها عن إقامة هذه التظاهرات المخدلة لانتصارها على الجزائريين، ودامت تلك الاحتفالات ستة أشهر كاملة بأهم المدن الجزائرية في استفزاز لمشاعر الجزائريين. وعليه فقد تداعي العلماء للتأسيس الفعلي لهيئة جامعة للفاعلين الدينيين في الجزائر، وذلك بعد سنوات ودعوات لتأسيس ما يعبر عن الشخصية الجزائرية الإسلامية. "فلاحتفالات الفرنسية بمرور مائة عام على الاحتلال عجلت باتحاد علماء القطر وميلاد الجمعية"⁽⁴⁾.

1- مجريات التأسيس الفعلي للجمعية.

(1) الشهاب، (محرم 1350- ماي 1931)، ج 7 ص 367. واعتذر عن الحضور نحو خمسين عالما. انظر آثار الإبراهيمي، ج 1 ص 71. وقد سعى علي مراد عمر إسماعيل بالمهدي المنتظر للحزب الديني، الحركة الإصلاحية الإسلامية الجزائرية، ص 154.

(2) مرجعيات جمعية العلماء، مرجع سابق، ج 2 ص 83

(3) الشهاب، (ع ماي 1931)، ج 7 ص 367-386. الحركة الوطنية الجزائرية، ج 3 ص 87. مريوش، نفسه، ص 144

(4) بوصفصاف، نفسه، ص 131. ونقل عن جوزيف دبرمان: "العلماء الذين شاركوا مشاركة حزينة في الاحتفالات صرخوا قائلين: "لقد احتفلوا بعيدهم الأول، ولكنهم لن يحتفلوا بعيدهم الثاني"، وذكر المدني عن بعض المشاركين وهو حميدة حاج موسى مرارة الأمر: "كنا نقرأ القرآن وكأننا نسب الدين" انظر حياة كفاح، ج 2 ص 251. علي مراد، نفسه، ص 149.

انثالت الدعوات على مجموعة علماء القطر لحضور الاجتماع التأسيس، وقد استجاب كثيرون، واعتذر آخرون⁽¹⁾، وقد غطت الشهاب وبالتفصيل ماجريات التأسيس والأحفال الذي أعقبته بالشكل الآتي:
أ-الجلسة التمهيدية صبيحة يوم الثلاثاء على الساعة الثامنة (5 ماي 1931)، وكان المكتب الأول المسير للاجتماع مشكلا من: أبي يعلى الزواوي (رئاسة مؤقتة)، ومحمد الأمين العمودي للكتابة (أمين السر)، والذي أعلن عن القانون الأساسي، وأقر بالإجماع من الحاضرين.

ب-لجنة العمل: عمر إسماعيل، محمد المهدي، ايت سي أحمد عبد العزيز، محمد الزملي، عمر العنق⁽²⁾.
ج- اللجنة التأسيسية: رأسها عمر إسماعيل، واستقبلت (72) عالم وإمام وطالب، وتم في مساء اليوم نفسه انتخاب المكتب الأول بالاقتراع والاقتراح، وأسفرت النتيجة عن تشكيل مكتب الجمعية، وضم: عبد الحميد بن باديس، محمد البشير الإبراهيمي، الطيب العقبي، ومبارك الميلي، محمد الأمين العمودي، والسعيد الياجوري، المولود الحافظي، مولاي بن شريف⁽³⁾، والطيب المهاجي، حسن الطرابلسي، عبد القادر القاسمي، محمد الفضيل اليراتي، ابراهيم بيوض.

وانتخب ابن باديس رئيسا للجمعية وهو غائب⁽⁴⁾، وكذا غاب الشيخ حسن الطرابلسي، واختير الأمين العمودي كاتباً للجمعية ويساعده العقبي، وأسندت أمانة المال للميلي، وينوبه إبراهيم بيوض، وأقر القانون الأساسي، وترجم للفرنسية ليقدّم للإدارة⁽⁵⁾.

في يوم الأربعاء (6-5-1931) اجتمعت الهيئة الإدارية، وعقدت أول جلسة في النادي ترأسها الإبراهيمي، وحضرها الجميع عدا ابن باديس والحسن الطرابلسي، وأقرت القانون الأساسي، وفي المساء بعد الثالثة حضر ابن باديس، وارتجل خطابا شكرا فيها الداعين والمدعوين، وخص مدير الشؤون الأهلية ميرانت بالشكر⁽⁶⁾.
كما تقرر إنشاء لجنة العمل الدائمة، ورأسها عمر إسماعيل، ومعه محمد المهدي بن شغيب، محمد الزملي، عمر العنق، آيت أحمد عبد العزيز، وهي لجنة وكيلة عن المجلس الإداري وحافضة لأوراقه، ويكون مقرها العاصمة، وهي نفسها شعبة العاصمة، ويجوز لها حضور اجتماعات المكتب، ولا تنحل إلا في حالة إقامة

(1) ممن اعتذر الشيخ السعيد الورثاني في رده: فإن مكتوبكم اتصل بأيدينا، وفيه أنكم رغبتم في موافقتنا لما تحاولونه من إنشاء اجتماع علماء الوطن لنهج الطريق الإسلامي...." انظر فضلاء، السعيد أهلول الورثاني، مرجع سابق، ص 181.

(2) الشهاب، (ع محرم 1350/ ماي 1931)، ج 7 ص 367-386. آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 72.

(3) مولاي بن شريف (1883-1959) من فرندة، درس بفاس ثم بالأزهر 14 سنة منذ 1908، أين زامل العربي التبسي.

(4) برر أنصار الإصلاحيين الغياب لتجنب ردود الإدارة الفرنسية ومن يسير معها من رجال الزوايا، انظر محمد خير الدين، مذكرات، ج 1، ص 89. مريوش، الطيب العقبي، مرجع سابق، ص 145. وأما المدني فأرجع المسألة إلى أنه كان يرفض الرئاسة-لظروف خاصة- لأنه كان محرجا من موقف والده المحسوب على الحكومة، فهو أحد أعمدتها، حياة كفاح، ج 2 ص 264.

(5) عبد الكريم بو صفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى، ص 134-135.

(6) يشير محمد الطاهر فضلاء بأن شكر ابن باديس لميرانت لأن عمر إسماعيل في نظره كان عميلا له، انظر مرجعيات جمعية العلماء، ج 2 ص 74. في حين ينفي المدني هذه تهمة الجاسوسية عنه، وإلا لما مول التأسيس. انظر حياة كفاح، ج 2 ص 83. ولكنه قال بعد ذلك: "بأنه تردى وصار أشر من الشيطان بعد مقاومته الجمعية في جريدة المعيار الطرقية".

أربعة أعضاء من المكتب على الدوام، وهم الرئيس أو أحد نوابه والكاتب العام أو أحد نوابه، وأمين المال أو أحد مساعديه، وعضو مستشار⁽¹⁾. ويمكن تقسيمهم حسب الانتماء الفكري للآتي:

الإصلاحيون	6	عبد الحميد بن باديس، الإبراهيمي، الطيب العقبي، مبارك الملي، محمد الأمين العمودي.
الطرقيون	7	المولود الحافظي (رحماني)، مولاي بن شريف، والطيب المهاجي (إصلاحي طرقي)، حسن الطرابلسي (علوي)، عبد القادر القاسمي (رحماني)، محمد الفضيل اليراتي (رحماني)، السعيد اليجري (رحماني)
الإباضيون	1	إبراهيم بيوض (الجناح الإصلاحي في بني ميزاب)، ولا تمثيل للمحافظين

2- القانون الأساسي والتنظيم:

أما القانون الأساسي، فقد قُسم إلى خمسة أقسام، وثلاثة وعشرين فصلا، (147 مادة حسب الإبراهيمي) القسم الأول: اسم الجمعية ومقرها، والقسم الثاني: مقاصد الجمعية وغاياتها وأهدافها، والقسم الثالث عضوية الجمعية وشروطها، والقسم الرابع: المالية وكيفية الإدارة، والقسم الخامس: الاجتماعات الإدارية والعامة، وكيفية تسييرها.

كما وضعت لائحة داخلية من عشرين مادة تطبيقا للفصل الثالث والعشرون من القانون الأساسي⁽²⁾. وفيها أن تعيين الشعب تكون من المجلس الإداري، وهي لا تنحل عند تجديده، وللجديد أن يغيرها أو يبقها أو يعدل فيها، وقد أناطت الجمعية بشعبها المؤسسة ضرورة كتابة تقارير عن البدع الفاشية في نواحيها للسعي في محاربتها.

وبعد انتهاء التأسيس وعرض القانون الأساسي ومناقشته في أربعة أيام، وانتخاب المكتب التنفيذي، قامت جمعية السلام بحفلة كبرى بنادي الترقى فرحا بالجمعية⁽³⁾، حيث كان الحدث فارقا في ليالي الجزائر المستعمرة.

وابتدأ العمل الكبير للجمعية بتأسيس الفروع والشعب، وقسموا المهام حسب العملات الإدارية الثلاثة، في حين كان الجنوب تحت الحكم العسكري، وجرت الخطة في الزيارات مقابلة ممثل الحكومة والإدارة، ثم شيخ البلدية، ثم مباشرة التأسيس، وكان الإشراف في السنة الأولى للإصلاحيين وحدهم، وهو كالآتي:

ب- الوسط: العقبي وفرحات بن الدراجي.

ج- الغرب: الإبراهيمي، التبسي، السعيد الزموشي.

يبرر الإصلاحيون اتخاذ الجزائر مقرا للجمعية بدلا عن قسنطينة (كان المقترح في جمعية الإخاء) لأنها عاصمة البلد، وبها نادي الترقى، ولإبعاد شعب هيمنتهم عليها، فهي لجميع علماء القطر وليست للإصلاحيين فقط⁽⁴⁾.

(1) المادة 58 من قانون الجمعية، انظر آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 83.

(2) آثار الإبراهيمي، ج 1 ص 74. بوصفصاف، نفسه، ص 485.

(3) الشهاب، (ع صفر 1350 - جوان 1931)، ج 7 ص 428.

(4) سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 3 ص 88. سجل الجمعية، ص 51. بوصفصاف، نفسه، ص 137.

3- رد الإدارة الفرنسية:

سارعت الإدارة الفرنسية بالاستجابة السريعة لاعتماد الجمعية، بعد خمسة عشر يوما من تقديم الطلب⁽¹⁾، ويمكننا أن نرجع ذلك للآتي:

- الوجود العلني والقانوني للجمعية يسهّل من محاسبتها حالما خالفت القوانين الفرنسية.
- النص الواضح في قانون الجمعية على عدم ممارسة السياسية⁽²⁾.
- احتواء المشرقيين والزيوتيين الذين يشكلون خطرا على السياسة الفرنسية.
- مواصلة تدجين الطرق الصوفية وإخراجها من دوائرها التقليدية إلى العمل المراقب، وذلك أن "ميرانت" لم يكن يحب شيوخ الطرق⁽³⁾، ولكنه طلب من "عمر إسماعيل" قبيل التأسيس وجوب إدخالهم فيها⁽⁴⁾.
- ضرب أفكار نجم شمال إفريقيا التي بدأت بالدخول للجزائر، والوقوف أمام المد الشيوعي، وخلق أجسام موازية، وتجسيد مبدأ توازن القوى، وشغل الجميع بالجميع.
- إظهار فرنسا بمظهر الراعية للإسلام، كما هو حالها في تلميع صورتها في تنظيم الحج وبناء مسجد باريس.
- احتواء الغضب الجزائري بعد الأحفال الضخمة في المأوى الأولى لاحتلال الجزائر.
- محاولة ملئ الفراغ الذي كان يحس به الأهالي، واستقطاب كل علماء القطر حتى يكون ربطهم بها يسيرا⁽⁵⁾.
- عدم الظهور بمظهر المتحيز ضد العلماء خاصة، وأن الإدارة قد منحت رخص لجمعيات وطنية من قبل للنواب كما في تأسيس اتحادية النواب المسلمين التي رأسها ابن رحال وابن التهامي، وذلك في (18-6-1927)، وأسست فروعها في عديد المدن، إذ رأس فرع قسنطينة مصطفى بن باديس، وفرع تيارت "غلام الله"⁽⁶⁾.

المطلب الثالث: أسباب الانقسام وتأسيس جمعية علماء السنة.

لم تمض إلا سنة واحدة حتى دبّ الانقسام إلى جمعية العلماء بين الإصلاحيين والطرفيين، ويمكن استفعال الأسباب والخلفيات الفكرية ومجريات الانقسام وتعلات ذلك في الآتي:

أولا: الخلفيات الفكرية والآنية للانقسام.

1- التباين المنهجي والاختلاف الفكري:

(1) بوصفصاف، نفسه، ص 197. ويذكر فضلاء أن ميرانت ضغط على ابن باديس ووالده حتى يتخلّى عن الرئاسة، ولكن ابن باديس أجابه: "اقتل أسيرك يا ميرانت... اقتل يا ميرانت مصطفى بن باديس، واقتل معه عبد الحميد بن باديس، واقض على كل أسرة ابن باديس، ... لأن جمعية العلماء ليست جمعية ابن باديس، وإنما هي جمعية الأمة الجزائرية المسلمة، وما أنا فيها إلا واحد، أتصرف باسم الأمة كلها" انظر: محمد الطاهر فضلاء، دعائم النهضة الوطنية الجزائرية، ص 102. ويذكر حماني أن ميرانت ضغط على والده بسبب الأزمة الاقتصادية ليتخلّى ابن باديس عن الرئاسة فرفض هذا الأخير. انظر محاضرات حماني، ج 3 ص 56. في حين تذكر التقارير أن ابن باديس تغيب لسبب مرضي، وأنه فوض ميرانت للرئاسة الشرفية للمؤتمر. انظر مريوش، مرجع سابق، ص 145.

(2) الفضيل الورثاني، الجزائر الثائرة، مرجع سابق، ص 142.

(3) فيه اتهامات لميرانت بأنه كان ماسونيا معاديا للدين. انظر علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية الجزائرية، ص 155.

(4) بوصفصاف، نفسه، ص 138، وأجرون يقول إن الرخصة منحت للإبراهيمي، ص 329.

(5) بوصفصاف، نفسه، ص 138. الحركة الوطنية الجزائرية، ج 3 ص 88. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4 ص 330.

(6) مريوش ص 121. مع العلم أن هذه الاتحادية صارت ثلاثة، لكل عمالة اتحاديتها بعد الهيكلة الحاصلة في (16-10-1930)

بين منهج الإصلاحيين والمحافظين الرسميين والطرقين، وبروز نيات الإقصاء منذ العشرينيات، إذ إن الإصلاحيين أضمروا أو أظهروا قد جعلوا معركتهم المهمة مع الطريقة التي حملوها أسباب التأخر العلمي والأدبي للجزائريين، ولم يستنكفوا أن يسموها بأنها استعمار داخلي يوازي الاستعمار الخارجي، بل إن بعضهم اشتط فاعتبر حربها مقدمة على حرب المستعمرين.

وعليه فقد اعتبر بعضهم هذا التحالف مصطنعا وآنيا، لأن الطرفين "كانا منذورين أساسا للتناحر، فالإصلاحيون كانوا يستمدون شرعية وجودهم من كونهم أنصار التغيير في الإسلام الجزائري، والذي لا يمكن أن يتم إلا على حساب النظام المرابطي" وعلى الرغم من وجود نيات معتدلة إلا: "أن غريزة البقاء لدى البعض، والقلق الإصلاحي وحماس البعض الآخر أجهزا على هذا النوع من التواطؤ الورع لدى المعتدلين⁽¹⁾.

2- الصوت النشاز للعقبي:

وذلك في مصارعة الطرقيين، وهو ما أجج الأجواء، وأفسد خطة التقارب التي باشرها ابن باديس بحكمته الراقية وزعامته الإصلاحية البصيرة، والحق أن الشيخ العقبي كان شخصية حادة ومزاجية، كما وصفه المدني بأنه: "شخصية غريبة حقا متناقضة متشاكسة، خطيب مصقع.. موضوعه المفضل هو الدين الصافي النقي ومحاربة الطريقة، ونسف خرافاتها والدعوة السافرة لمحاربتها ومحققها"⁽²⁾.

وفي هذا السياق يحكي المدني عن التهجم الدائم من العقبي على زعماء الطرق أنه قال: "يوما أثناء درس من دروسه الأسبوعية بالنادي، وكان الشيخ القاسمي والشيخ ابن عليوة حاضرين: ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى ولا الطرق والطرقيون حتى تتبع ملتهم، فانفصل شيوخ الطرق عن الجمعية، وأخذوا يسعون في تأليف جمعية علماء السنة"⁽³⁾.

فالعقبي كان موعلا في الإمعان في محاربتهم على خلاف منهاج الجمعية، الذي يرمي إلى جمع الشمل وتأليف الكتلة الجزائرية الإسلامية وإقناع رجال الطرق بوجوب تطوير زواياهم حتى تصبح معاهد علم ونور وهداية وإصلاح"⁽⁴⁾. ولذلك اصطدام العقبي بعمر إسماعيل رئيس لجنة العمل الدائمة بالجمعية، واستحكمت العداوة بينهما، كما انضم عبابسة للعقبي، والعاصمي لإسماعيل، ولم يكن العاصمي عضوا بالجمعية لأنه موظف ديني، فانسحب الطرقيون وأسسوا جمعية علماء السنة⁽⁵⁾، وأصبح مؤسسو النادي غرباء فيه بعد تهجم العقبي عليهم وتأليب العامة ضدهم.

3- اضطراب الفعل الطريقي:

بين الدعوة إلى التوحيد وجمع الشمل، وبين التحذير الدائم من الوهابية والعبودية والاحتماء مرات بالمحتل الفرنسي، مما خلق أجواء اللاثقة بين الفريقين، وفي هذا ننقل نوجس الشيخ الإبراهيمي مما سماه بالاختراق

(1) علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية الجزائرية، مرجع سابق، ص 172.

(2) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج 2 ص 271.

(3) أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ج 2 ص 323.

(4) أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ج 2 ص 272.

(5) انظر مليكة مزار، جمعية علماء السنة الجزائريين، مذكرة ماستر، جامعة حمة لخضر، الوادي، 2018، ص 39. حياة كفاح، ج 2 ص 273.

العلوي للجمعية:" ولما جاء أجل الانتخاب للدورة الثانية هجم العليويون ومن شايعهم على ضلالهم تلك الهجمة الفاشلة بعد مكائد دبروها، وغايتهم استخلاص الجمعية من أيدي المصلحين، وجعلها طرقية عليوية واستخدامهم هذا الاسم الجليل في مقاصدهم الخاطئة كما هي عادتهم في إلباس باطلهم لباس الحق، ووقف المصلحون لتلك الهجمة وقفة حازمة أنقذت الجمعية من السقوط ومحصتها من كل مذبذب الرأي مضطرب المبدأ، وتألف المجلس الإداري من زعماء الإصلاح وصفوة أنصاره، ورأى الناس عجيب صنع الله في نصر الحق على الباطل"⁽¹⁾.

4- الضعف العلمي لبعض الطرقيين:

وهو ما سيؤخذ على عمر إسماعيل في إخراجه من الجمعية كما سيأتي. وعكسه ما كان يزهو به أغلب الإصلاحيين الذين نالوا حظوظا من العلم في المشرق، ويقول الإبراهيمي عن نخبوية فريقه:" ولما تراءت الوجوه، وتعالّت أصوات الحق أيقن أولئك الفقهاء أنهم مازالوا في دور التلمذة، وخضعوا خضوع المسلم للحق، فأسلموا القيادة لنا فانتخب المجلس الإداري من رجال أكفاء، جمعهم وحدة المشرب ووحدة الفكرة... ووحدة المناهضين للاستعمار، وقد وُكِّل المجتمعون ترشيحهم إلينا، فانخبوهم بالإجماع وانتخبوا بن باديس رئيساً.. وأصبحت الآن الجمعية حقيقة واقعة قانونية، وجاء دور العمل"⁽²⁾.

5- الجهاز الديني الرسمي الجزائري:

والذي كان في أكثره مواليا للطرقيين، وكثير منهم شجعوا الطرقيين على الانقسام أو الاستئثار بالجمعية، ولنا أمثلة شهيرة كالمفتي ابن الموهوب الذي عاند إصلاححي قسنطينة. وكان ابن باديس مدركا لذلك، ولم يكن يمانع مطلقا في العمل مع الطرقيين للصالح الديني العام، وهو القائل: "كل طرقي مستقل في نفسه عن التسخير فنحن نمد يدنا له للعمل في الصالح العام"⁽³⁾.

6- عودة الجدل الديني بين الفريقين:

والذي بقي شرره قائما حتى في تلك السنة اليتيمة، وفي تقييم لمحمد الصالح آيت علجت:" وبإنشاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التزم الفريقان بالكفّ عن النزاع والمجادلة في المسائل الخلافية وإحلال الوئام والصفاء للذان لم يستمرا أكثر من سنة لتعود تلك الصراعات المذهبية والخوض في الجزئيات والبحث عن الأسباب المثيرة للجدل بين الفريقين، ما جعل الخلاف بينهما يستفحل، ويليهِ استدعاء الشيخ عبد الحميد بن باديس للشرطة للتدخل على أثر الانقسام العلني الذي حدث في جلسة الجمعية بتاريخ (24 ماي 1932)، ليخرج المحافظون على أثر هذا الاجتماع من الجمعية"⁽⁴⁾.

7- الاستعجال الإداري قبل الميثاق الفكري:

(1) آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 188.

(2) آثار الإبراهيمي، ج 5 ص 281، والمقال نشر في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج 21 سنة 1966، ص. 143.

(3) آثار ابن باديس، مرجع سابق، ج 4 ص 369.

(4) آيت علجت محمد الصالح، الشيخ المولود الحافظي حياته وآثاره، الجزائر، منشورات دار الكتب، 1998، ص 63-75.

حيث تم الاتفاق على القضايا التنظيمية والإدارية، ولم يصاحب ذلك التوافق النظري على الحد الأدنى من المتفق عليه في الخلافات العقدية والفقهية السابقة الطرح، وهو ما أشار إليه الإبراهيمي: "لم يكن تأسيس جمعية العلماء المسلمين خفيف الوقع على الجماعات التي ألقت استغلال جهل الأمة وسذاجتها وعاشت على موتها، ولكن التيار كان جارفاً لا يقوم له شيء، فما كان من تلك الجماعات إلا أن سايرت الجمعية في الظاهر وأسرت لها الكيد في الباطن، وكان المجلس الإداري الذي تألف بالاختيار في السنة الأولى غير منقح ولا منسجم لمكان العجلة والتسامح، فكان من بين أعضائه أولو بقية يخضعون للزوايا وأصحابها رغباً ورهباً، وكان وجودهم في مجلس الإدارة مسلياً لشيوخ الطرق ومخففاً من تشاؤمهم بالجمعية لسهولة استخدامهم لهم عند الحاجة، فإما أن يتخذوهم أدوات لإفساد الجمعية وإسقاطها، وإما أن يتذرعوها بهم لتصرفها في مصالحهم وأهوائهم"⁽¹⁾.

ويؤكد ما ذكرناه عبد الرحمان ابن العقون: "إن جمعية العلماء كانت طبخة عجيبة غير منطقية، أو على الأقل غير طبيعية، فقد جمعت من شتى البقول والتوابل المتضاربة المتنافرة، فلم يتمكن القدر من إنضاجها إلا بجهد جهيد، وبفضل أصحاب النيات الحسنة، غير أنه قد صعب بعد على الأمعاء هضمها، وآلت إلى التهابات مستمرة داخل الجهاز الهضمي للجمعية تتآكل من غشاء أمعائها وتحدث فيه أمغاصا حادة، وقد ترتفع أحيانا درجة الحرارة، فتحدث ثورات مثيرة تنتشر شيئا فشيئا فتحدث تشنجات، إلى أن تتطور إلى إسهال حاد.. تفجر سبابا وشتما وتهجمات شخصية ثم جماعية، ثم إلى مواجهة غير شريفة من كلا الجانبين"⁽²⁾. فهل العجلة في التأسيس راجعة إلى تخفيف أعباء المعركة ضد الطرقيين الذين التحقوا أو أسسوا الجمعية ابتداء لاحتواء الآخر؟⁽³⁾ يبقى الأمر في خانة الرجحان نظرا لقلة الكتابات والشهادات الطرقية إذا ما قورنت بالسيل الجارف من كتابات الإصلاحيين.

وفي نظر الهرماسي فإن الاستقطاب ثم الانقسام يعود إلى ظرفية منعطف الثلاثينيات، وما شهدته من استفزاز العيد المتوي والتصدي لأخطار التجنيس، واعتقاد بعض قيادي الإصلاح إمكانية التعايش مع ممثلي الطرق⁽⁴⁾.

8- عدم التوازن في المناصب:

فالمكتب الأول لم يكن منتخبا، وإنما أُعد واقترح ثم صودق عليه، و"جماعة المصلحين كانوا حريصين على إبعاد رجال القطاعات الدينية الأخرى من المحافظين المتزمطين نظرا للصراع بينهما وخوفا من فشل رسالة الإصلاح التي تحمّل العلماء عبء نشرها في المجتمع الجزائري"⁽⁵⁾.

(1) آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 188.

(2) ابن العقون، الكفاح القومي السياسي، ج 1 ص 232. وانظر أيضا علي مراد، نفسه، ص 172.

(3) انظر بولحية، العلاقة بين جمعية العلماء والطرق الصوفية الأخرى، مرجع سابق ص 103.

(4) عبد اللطيف الهرماسي، المجتمع والإسلام والنخب الإصلاحية في تونس والجزائر، ص 319.

(5) بوصفصاف، جمعية العلماء وعلاقاتها، مرجع سابق ص 135.

ويعبر ابن عبد الحكم المنافح عن الطرقيين عن عدم التوازن في التعيين، إذ أن الإصلاحيين: "اقتصروا في تعيين الفاعلين على من قدم تونس، وأهملوا علماء الزوايا والفقهاء المتنورين في المدن والبادية والقرى، ودخل رسول الفتنة، ولما جاء التجديد الثاني أرادوا إبقاء ما كان، وأراد الآخرون الانتخاب والتجديد، ووقع الخلاف اقترح بعضهم كابن عليوة أن يبقوا ابن باديس رئيسا، ويدخلوا في المكتب علماء الزوايا من القرى، فلم يقع التوافق"⁽¹⁾.

يتهم الطرقيون خصومهم بأنهم اتخذوهم سلما لنيل الرخصة والاعتماد، ثم طرحهم، ولعل شيئا من هذا ألمحت إليه البصائر بعد مدة، إذ أن هناك ما يدل على أن انضمام الطرقيين إلى الجمعية وموافقة الإدارة الفرنسية على تأسيسها في أول الأمر كان مرفوقا بالشكوك والخوف، ولولا التكتيك الذي اتبعه ابن باديس والإبراهيمي في الدعوة إلى عقد الاجتماع التأسيسي للجمعية، لما كان في وسع المصلحين أن يحصلوا على موافقة الحكومة وكسب أصوات الطرقيين"⁽²⁾.

والمهم أن الفرصة ضاعت لاستمرار الوحدة التنظيمية لكل العلماء، وهو ما عبر عنه المدني "هناك شرط أساسي جوهري يجب احترامه حقا إذا ما جمعنا حقا "جمعية العلماء" ألا وهو جمع العمال من كل الطوائف ومن كل المذاهب الموجودة بالجزائر حتى تمثل وحدة وطنية صميمة، ثم إن البلاد تجابه اليوم تصادما بين فكرتين أساسيتين هما الإصلاح والطرقية.. وداخل هذه البوتقة يجب أن ينصهر الجميع، ويخرج منها الشعب الجزائري الأصيل شابا صالحا عملاقا"⁽³⁾.

ثانيا: روايات انقسام جمعية العلماء.

1- الرواية الإصلاحية للانقسام:

وسنعمد روايتي الشهاب والشرية، وقد لخصت الماكرات والأسباب في:

أ- خصومة رئيس لجنة العمل بالجمعية عمر إسماعيل مع المكتب الأول للجمعية في شروط العضوية، وتشكيله مكتب الدعاية المضادة، والذي كان منعقدا بمدرسة السلام التي يديرها عمر إسماعيل ومعه شيخ زاوية مستغانم، وذكر الزاهري بأن الوافدين عليها فجر ذلك اليوم كان كثيرا، وأن ابن عليوة ومساعدوه قاموا بتوزيع بطاقات العامل المزورة لتكثير عددهم، وأنهم تواصلوا بقائمة واحدة للمترشحين للمجلس الإداري فضلا عن تقديمهم رشاي في ذلك"⁽⁴⁾.

ب- إيغال الطرقيين في الفوضى، والإصرار على الانتخاب بالحضور، وفيهم من ليس من العلماء كعمر إسماعيل الذي قام بتوزيع بطاقات مزورة على كل من كانت لديه لحية مرسله وسبحة طويلة"⁽⁵⁾.

(1) ابن عبد الحكم العطاقي، المرأة الجليلة، مرجع سابق ص 417.

(2) انظر البصائر، ع 97 (1-28-1938)، ص 1. بوصفصاف، نفسه، ص 140.

(3) حياة كفاح، مرجع سابق ج 2 ص 139.

(4) الشريعة، مقال "23 ماي 1932"، ع 3 (31-7-1933)، ص 4. الشهاب (ع ربيع الثاني 1351- أوت 1932). أثار الإبراهيمي، ج 1 ص 188.

(5) حماني، نفسه، ج 1 ص 361. وانظر تقرير ابن باديس في (ربيع الثاني 1351- أوت 1932)، ج 8 ص 441.

ج- جهود ابن باديس للاستدراك: حيث يروي بأنه ذهب بنية الإصلاح، وإجراء انتخاب الجمعية على مقتضى قانونها الأساسي، وأنه في اليوم الأول (23 ماي 1932) ذكّر بأن أعضاء الجمعية يشترط فيهم أن يكونوا من العلماء والذين نالوا الإجازات سواء من المدارس الرسمية الجزائرية أو تعلموا بالمعاهد الإسلامية الأخرى⁽¹⁾.

د- طلب ابن باديس من الشرطة حفظ النظام، وقد حضرت بعد الزوال، حيث رفعت الجلسة بعد الفوضى، وذكر ابن باديس بأن الشرطة لم يهينوا أحدا.

هـ- إجراء الانتخابات يوم الثلاثاء (18 محرم 1351-23-5-1932) بغياب بعض الطرفين، وانتخاب المكتب الجديد بقائمة رشحها المجلس القديم فيها: ابن باديس، العقبي، الإبراهيمي، الملي، العمودي، الفضيل اليراتني، المهاجي - غائب لقدمه من الحج- ابن عربية، أبو اليقضان، خير الدين، التبسي، المكي القاسمي، - جدد حاضرون- أبو عبد الله البوعبدلي- جديد اعتذر برقية وقال اعتبروني معكم-، وجرى الانتخاب على تفاوت في الأصوات إلا الزاهري الذي فاق أحد الشيوخ السابقين بعشرين صوتا⁽²⁾.

المكتب الجديد:

الإصلاحيون	ابن باديس، الإبراهيمي، العقبي، الملي، العمودي، خير الدين، التبسي، الزاهري،
الطريقيون	الطبيب المهاجي (إصلاحي طريقي)، الفضيل اليراتني (رحمانية)، أبو عبد الله البوعبدلي ⁽³⁾ ، (الدرقاوية). المكي القاسمي (رحمانية الهامل) ⁽⁴⁾
الموظفون	ابن عربية القاضي، العمودي المحامي.
الإباضية	أبو اليقضان (خلف بيوض)، وهو من إصلاحي الإباضية.
لجنة العمل الدائمة	⁽⁴⁾ أبو يعلى، قدور الحلوي، محمد المرابط، باسعيد عدون بن بكير، محمود رودوسي ⁽⁵⁾

وختم ابن باديس: "أفبعد هذا يقول قائل يلتزم الصدق: إن الجمعية إنما تمثل طائفة؟"⁽⁵⁾

2- الرواية الطرقية للانقسام:

يتمهم الطريقيون الإصلاحيين بأنهم رتبوا ترتيبا استراتيجيا حتى يكونوا أكثر عددا في الاجتماع الثاني حتى يتولوا هم رئاسة الجمعية⁽⁶⁾، وستعتمد رواية عمر إسماعيل الذي قال إن ابن باديس في خطابته الأولى في الجمعية الأولى التي كان فيها التأسيس دعا إلى الوئام والعمل على المتفق، ونبد كلمة الفريق: "وأن يطرح كل واحد منا

(1) الشريعة، الزاهري "يوم 23 ماي 1932" ع 3 (1932-7-31)، ص 4. العقون، نفسه، ج 1 ص 443.

(2) العقون، مرجع سابق ج 1 ص 446. وانظر الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق ج 3 ص 93.

(3) المكي بن المختار بن الحاج محمد القاسمي (1902-1967)، أسس مسجدا بحاسي بحيج. انظر زاوية الهامل، مرجع سابق ص 402.

(4) المرصاد، ع 17 (1932-5-27)، ص 3. وباسعيد بن عدون إباضي وهو الكاتب العام للجنة.

(5) الشهاب، (ربيع الثاني 1351-أوت 1932)، ج 8 ص 447. آثار ابن باديس، ج 4 ص 321. العقون، مرجع سابق ج 1 ص 447.

(6) ناصر الدين موهوب الحسني، الشيخ العلاوي المستغاني حياته وأثاره، ص 281.

فكره الخاص، حسبنا ما مضى، كفى ما تقاتلتما على الكلمات، فكلمة "فريق" من بيننا ماتت، ما بقي إلا العمل على الوفاق والوثام لنبلغ غاية المرام".

يشير عمر إسماعيل إلى خطة الإصلاحيين للاستئثار بالجمعية دون من سواهم، وقد أصدر بياناً عاماً للأمة الجزائرية، فيه إدانة لما جرى من انتخابات منقوصة الشرعية، وحمل جملة من الاتهامات ضد الإصلاحيين قبيل الاجتماع وأثنائه وبعده، ومن أهم النقود ما يأتي:

1- التعسف في تفسير شروط العضوية، ومن ينبغي له تأسيس الشعب والفروع، ففسروا الفصل السابع من القانون الأساسي بجعل درجات العضوية كالاتي⁽¹⁾:

أ- العضو العامل: كل عالم مسلم محصل لعلمه باللغة العربية.

ب- العضو المؤيد: من له إلمام بالمبادئ الشرعية، ولم يصل إلى درجة العالمية.

ج- كل شاب حافظ للقرآن الكريم. مع إمكانية ترقى كل عضو بالاستزادة، والشهادة مقبولة رسمية أو عرفية. والحق أنه لم يكن ممكناً آنذاك إقامة مسابقات أو كشف معارف للأعضاء، فكلمة عالم عريضة يستحقها خريجو الزيتونة والأزهر والقرويين، وكذا الزوايا الجزائرية، ولكن محمد الأخضر السائحي يذكر بأن الطريقة التي اعتمدت في إثبات النسب العلمي كانت باقتراح امتحان للمنتسبين يقوم به عالمان، وقامت مطبعة الشيخ أبو اليقظان بطبع أوراق زرقاء جديدة عوضاً عن الصفراء القديم، وخاف الطريقون من الامتحان، وبذلك فشلت محاولتهم بصورة قانونية⁽²⁾.

2- حمل المركز العام لقسنطينة، في حين كان المقر هو العاصمة، وكان عمر إسماعيل هو رئيس اللجنة الدائمة للجمعية، مما جعلها تعمل برأسين، وهو ما مهد للانشقاق.

3- الاتهام للإصلاحيين بالتخطيط لمدة سنة لهذا عن طريق المراسلات والتخاير الدائم⁽³⁾.

وحمل البيان الانحراف الذي وقع في الاجتماع التالي الذي أسفر عن فوز الإصلاحيين بالآتي:

1- عدم وجود الأغلبية، التي أخرجت من الجلسة العامة بقوة الشرطة، وبأمر ابن باديس، وذكر عمر إسماعيل أنهم ناهزوا (500) عالم، وهو أمر مبالغ فيه حتماً.

2- احتفاظ إبراهيمي بلوائح الجمعية، وعدم عرض الحالة الأدبية والمالية في الجلسة العامة، مع أن قانون (1901) والقانون الأساسي للجمعية يوجبان ذلك.

3- اتهام الإصلاحيين بأن العلويين يشكلون أغلبية، مع أن عددهم لا يتجاوز الثلاثين، ومحاولة خلط الأمور من يوم الاثنين (17 محرم-1351هـ/23 ماي 1932).

(1) في القانون الذي كتبه إبراهيمي في المادة (31) والمادة (42) أن أعضاء الجمعية هم الأعضاء الإداريون، والأعضاء العاملون من الدرجات الثلاث، والأعضاء المؤيدون. انظر آثار إبراهيمي، مرجع سابق ج 1 ص 79. العقون، نفسه، ج 1 ص 237. ولكنه جعل الدرجة الثالثة لمن يحفظ ربعا من القرآن.

(2) محمد الأخضر السائحي، محمد الأمين العمودي الشخصية المتعددة الجوانب، ط 2، الجزائر، دار هومه، 2001، ص 32.

(3) العقون، نفسه، ج 1 ص 237. وقد أشار إبراهيمي في تقريره عن اجتماع مارس (1932) إلى إلغاء بعض الشعب التي لم تستجب للوائح، وأن تأسيس الشعب مستقبلاً لا بد أن يشرف عليه أعضاء المجلس الإداري، وقد عين وفوداً لهذا. انظر آثار إبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 103.

4- حشد الإصلاحيين لمناصرين جاهلين لهم لا يحسنون القراءة والكتابة.

5- تأليف لجنة جديدة العمل الدائمة من غير المقيددين سلفا⁽¹⁾.

وقد رد الإصلاحيون ببيان أصدره ابن باديس ضد عمر إسماعيل⁽²⁾. متهمين إياه وأنصاره بالآتي:

أ- الخلافات والتدبير للاستيلاء على الجمعية تم من قبل رئيس اللجنة الدائمة عمر إسماعيل.

ب- اتخاذ عمر إسماعيل وأحمد بن عليوة مدرسة السلام مكتبا لتوزيع الدعوات واستنفار أنصارهم للقدوم للانتخاب. بل والطعن في ذمته المالية بعد عدم بيان مصير بعض الأموال أيام تسييره للجنة العمل الدائمة⁽³⁾.

ج- تقديم عمر إسماعيل قائمة من ثلاثين شخصا، منهم هو، وهو ليس من أهل العلم ولا من الطلبة.

د- عدم وجود النية عند الإصلاحيين لاستنفار أنصارهم، ولو كان ذلك لملئوا نادي الترقى.

ثالثا: تعليقات الانقسام:

هل الأمر التوافقي القصير كان فلتة، أو عملا منظما للتوفيق بين الفريقين، إذا كان في كل الجهتين عقلاء، وكان هناك إصلاحيون محايدون وكذلك طرقيون، وأغلب الزوايا في الشرق والغرب والجنوب لم تحضر، وإنما حضرت الزوايا الفاعلة (علوية مستغانم، ورحمانية الهامل). أم أن الإصلاحيين اتخذوا الطرقيين سلما لاعتماد الجمعية أولا ثم إخراجهم منها، أو العكس هو الذي حصل⁽⁴⁾.

لا تسعفنا الشهادات التاريخية كثيرا، بحكم التبعات الأخلاقية الثقيلة لمن فوت مشروع الوحدة الدينية للجزائريين. ولكن يمكن القول من خلال استقرار الكتابات وتتبع المواقف بأن عناك اتجاهين متصارعين داخل كل المشارب، أحدهما معتدل والآخر متصلب، مع التهيب من الجزم في هذا التصنيف، ويمكن التمثيل له في الطرفين كالآتي:

فالمعتدل من الإصلاحيين هو ابن باديس الذي لم يمكن يمانع في العمل مع حاضنته الصوفية القديمة، وكذا أبو يعلى الزواوي، ويقابلهما العقبي والزاهري، وبينهما الإبراهيمي والميلي.

والمعتدل من المحافظين هو المولود الحافظي والشيخ ابن عليوة، ويقابلهم رحمانيو زواوة، وطرقيو الغرب. ولن نستبق القول في أن الطرق لم تكن على مسافة واحدة من أطروحات الإصلاحيين، ويمكن التدليل لهذا داخل الشيخية (شيخية الشرق أبعد، في حين كان البوعماميون أقرب) (رحمانية القبائل الصغرى أقرب من الكبرى)، (رحمانيو قسنطينة أقرب من الهامل)، (تيجانيو تماسين أقرب من عين ماضي)، وبعضها أقرب في الأفكار، وبعضها في المواقف، وبعضها في المواقع.

ولكن تخلية فرنسا من التخطيط للانقسام ليس مستبعدا وعيه آنذاك من وعيه، أو لم يعيه، فالحق أن الإدارة الفرنسية كانت جد منزعة لهذا التكتل الإسلامي الجديد -جمعية العلماء الموحدة-، والذي كانت ترقب تحركاته بشدة، ومن ذلك المنشور الصادر عن عمالة قسنطينة: "يشرفني أن أحيطكم علما أنه بناء على

(1) انظر العقون، ج 1 ص 234. وانظر المرصاد، اجتماع جمعية العلماء، ع 17 (27-5-1932)، ص 2.

(2) العقون، ج 1 ص 241. وحماني كان يصف دوما عمر إسماعيل بالأمي والجاهل والمغرور، صراع بين السنة والبدعة، ج 2 ص 262.

(3) المرصاد، الميلي "بيان للناس وإزالة التباس"، ع 21 (8-7-1932)، ص 2.

(4) انظر نور الدين بولحية، العلاقة بين جمعية العلماء والطرق الصوفية، مرجع سابق، ص 122.

المعلومات الواردة، بأن جمعية العلماء المسلمين سوف توظف دعاة (مبشرين) من بين الطلبة، يقوم كل منهم أثناء جولاته بمنطقة محددة بمهمة محاربة البدع والخرافات من جهة ومواجهة النفوذ الفلسفي للمبشرين الفرنسيين والأجانب من جهة أخرى: ومن هؤلاء: الشيخ حاج حسن (الطرابلسي) - (عناية)، - الشيخ المولود الحافظي (الورثاني) - بوقاعة. الشيخ ابن الشريف (مولاي) - سيدي علي، قرب مستغانم- الشيخ الطيب المهاجي (وهران)، - الشيخ السعيد أيت يجر (حوز عزازقة الممتزجة)، الشيخ فضيل (اليراتي) - الأربعاء ناث إيراتن، الشيخ العربي بن بلقاسم (العربي التبسي) (1).

1- رؤية الإصلاحيين: يمكن فهم تعليقات الإصلاحيين في سبب الانقسام إلى عوامل نفسية متعلقة بسوء النوايا والطوايا ابتداء، وهو ما ذكره الزاهري في مقاله العاصف عن اجتماع الانشقاق، قال: "يحملون في صدورهم لجمعية العلماء أسوء المقاصد، وأخبت النوايا، .. وهم يريدون أن يستولوا على جمعية العلماء، وإلا فإنهم عزموا على إحداث فتنة عمياء تسيل فيها الدماء، وحينئذ يمكنون للحكومة أن تحل الجمعية وأن تغلق نادي الترقى، ولكنهم خابوا في كلتا الأمنيتين: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ [الأحزاب: 25]" (2)، وقال بأنهم جلبوا أنصارهم من الحانات ودفعوا رشاي لهم؟، في حين يصر حمانى على أن الإدارة هي من أوعزت للطرقين بالدخول في الجمعية لتدبير المكيدة ضدها لأنها لم تكن ترضى بتعاون الطرفين (3).

وفي مقال: ما هو الإخلاص ومن هو المخلص"، ردت الشهاب على الحافظي في أن قانون جمعية العلماء لم يتغير، وكان عضوا فيها ولم ينتقدها سنة كاملة، لكل لواء غادر، كيف صبر سنة كاملة على بدعتها فهو غاش للأمة (4). والأمر ذاته كرره الميلي الذي اعتبر حضور ومشاركة هؤلاء "الأرهاب" لا لخدمة الجمعية ولا إعانة إدارتها، ولكن "عيننا عليها فاجرة تبلغ وتشي إلى إدارة الأمور الأهلية، وما انقضى عام حتى انقضوا على من فيها من المصلحين المرشدين ليستبدوا بإدارة الجمعية دونهم، فعاملهم الله بنقيض مقصودهم" (5).

ومن التعليقات اتهام الطرقيين بأنهم لم يجدوا في الجمعية ما يبعون، إذ أنها عادت بالنقض عليهم في رئاستهم وموارد زواياهم، وبالتالي فهي مناقضة لتقاليدهم التي استعبدوا بها الشعب الجزائري، وفي هذا يقول ابن باديس: "ها هو القانون الأساسي للجمعية كما وضع أول مرة منذ خمس سنوات، وقد كان الذين وضعوه شطرهم مع الطرقيين، ولكنهم ما أكملوا السنة الأولى حتى فروا من الجمعية وناصبوها العداء واستعانوا عليها بالظلمة، ورموها بالعظائم وجلبوا عليها من كل ناحية بكل ما كان عندهم من كيد، ذلك لأنهم وجدوا كثيراً من الآفات الاجتماعية التي تحاربها الجمعية هم مصدرها وهي مصدر عيشهم، ووجدوا قسماً منها مما تغضب

(1) التقرير رقم (8424) تحت عنوان: المراقبة السياسية للأهالي، الصادر بتاريخ (15/03/1932م)، انظر محمد حسن وعبد الرحمن، الشيخ السعيد الجري، نصف قرن عن رحيله، 1361هـ. 2001م، ص 18. نقلا عن موقع الشاملة الجزائرية.

(2) جريدة الشريعة النبوية، الزاهري، مقال "يوم 23 ماي 1932" ع 3 (31-7-1933)، ص 4.

(3) حمانى، نفسه، ج 1 ص 361.

(4) الشهاب (ع ذو القعدة 1351/ مارس 1933)، ج 9 ص 188.

(5) الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، مرجع سابق، ص 288.

محاربته سادتهم وموالمهم وقد شاهدوا مظاهر الغضب بالفعل منهم فما رفضتهم الجمعية ولا أبعدتهم، ولكنهم هم أبعدوا أنفسهم⁽¹⁾.

ويعلل حماني الانقسام بخضوع الطرقيين للإدارة، وأن ميرانت هو من أوعز إلى عمر إسماعيل بتدبير هذا الانقلاب ورفع الحافضي للرئاسة⁽²⁾، ويستدل الإصلاحيون على أنه ليس كل الطرقيين كانوا مع جمعية علماء السنّة، ففي الاجتماع العام الرابع لجمعية العلماء كان حضور عدد من أشيخ الطرق الصوفية ومقاديمها الذين أصلحوا وتابوا، وفيه خطب مولاي الحسن التلمساني، وكان محمد بن مرزوق عضو لجنة الاقتراع (وهما علاوي ودرقاوي سابقان)، وعقد الاجتماع في نادي الترقى ردا على من قالوا بوجود مشاكل بينهما⁽³⁾.

2- رؤية الطرقيين: يعلل الطرقيون أسباب الانقسام إلى الدعم الفرنسي للإصلاحيين لهدم المرجعية الدينية عند الجزائريين والقضاء على الإسلام الجزائري المقاوم، وخلق "حزب عبدوي" حداثي يهدم الدين ويسرع بالفرنجة والتغريب، وهذا ما كان متداولاً في الأوساط الطرقية المحافظة.

وهم يستدلون على ذلك الدعم بالتلميع الدائم لابن باديس سليل الأسرة الحضرية المتعاونة مع الاستعمار، والذي أشاد بدور الإدارة في اعتماد الجمعية، ودور الصحافة الفرنسية في ذلك: "كانت الصحف الفرنسية تتبع رحلتنا وتنشر الفصول عنها وتذكر الجمعية بكل تعظيم وتبجيل مثل ما كانت تفعله مع أكبر جمعية فرنسية ورئيسها، فبرهنت على أن الفكر العام الفرنسي يقدر للمسلمين مشاريعهم ويساعدهم عليها ويرد لهم الرقي والتقدم، وقد كانت الصحافة العربية النجاح والنور والمرصاد قامت بواجبها نحو قومها وملتها، فلجميع الرصيفات الفرنسية والعربية شكر الأمة والوطن وشكر الجمعية والعلم⁽⁴⁾. وقد قيل إن ابن باديس فوض ميرانت الرئاسة الشرفية للمؤتمر الأول لما كان غائبا عنه في اليومين الأولين⁽⁵⁾.

كما يعيد الطرقيون أسباب الانقسام القربة إلى استئثار الإصلاحيين بالهيئات الجهوية القيادية لتأسيس الفروع والشعب، حيث غاب عنها الطرقيون أو غيبوا، وفي هذا يقول الحافضي: "كنا نعتقد أن المساعي التي بذلها بعض أعضاء جمعية العلماء المسلمين المتطرفين-سامحهم الله- للانفصال وضد الذين يرون ضرورة العمل المشترك مع أرباب المعاهد وعلمائها ناشئا عن حب فكرة الاستقلال بالعمل، لأن المبدأ الذي يريده أولئك الساعون السير عليه غير المبدأ المتواضع الحكيم الذي يريد السير عليه المعتدلون المحافظون، لأن ذلك مبني على التسامح والاتحاد والعمل التدريجي، والبداية بالأهم، لكن خاب ظننا"⁽⁶⁾.

المطلب الرابع: المؤسسات والجمعيات الطرقية.

أولا- الجمعيات الوطنية:

(1) آثار ابن باديس، مرجع سابق، ج 2 ص 549.

(2) حماني، نفسه، ج 1 ص 363.

(3) الشهاب (ع جمادي الأولى 1353- أوت 1934)، ج 10 ص 418.

(4) آثار ابن باديس، مرجع سابق، ج 4 ص 322.

(5) مريوش، نفسه، ص 145. نقلا عن بعض التقارير الفرنسية.

(6) جريدة الإخلاص، الحافضي "مقال محاولة فاشلة في تشتيت وحدة الزوايا، ع 1 (14-12-1932) ص 3.

1-جمعية علماء السنة الجزائريين: حيث إن الطرفين ومن معهم من بعض الأئمة الرسميين انسحبوا من جمعية العلماء المسلمين بعد أحداث (23 ماي 1932م)، وأسسوا جمعية علماء السنة في (15 سبتمبر 1932م) برئاسة المولود الحافظي، وينوبه الحسن الطرابلسي، ومحمد المهدي كاتبها، وينوبه أحمد الشاذلي، وابن قدور محمد أمين مالها، وصدوق محمد نائبه⁽¹⁾، ومن أعضاء مجلسها الإداري: مصطفى حافظ، ومحمد بن سيدي عدة من تيارت، وعدة بن تونس، العربي بن التواتي من غليزان، ومقرها "نادي الأخوة الإسلامية" - نادي الرشاد سابقا-، وبقيت جمعية العلماء بنادي الترقى⁽²⁾، وكان الحضور فيها كبيرا من عدة زوايا من الوطن، ومن ذلك ما يأتي:

أ-العاصمة وعمالة الوسط: مصطفى بن الفخار مفتي المدية⁽³⁾، الشيخ محمد الفضيل الزواوي من الأربعاء ناث يراثن، الشاذلي بن الشيخ عبد الرحمن الميسوم من قصر البخاري، والشيخ أحمد لكحل شاعر العاصمة، وأبوه يحيى لكحل رئيس اللجنة التنفيذية للجمعية في العاصمة، محمد الشريف بن السعيد، وأخوه أحمد من زاوية سيدي منصور⁽⁴⁾، والشيخ محمد العيد مفتي سور الغزلان، عمر إسماعيل، طاهري بن نذير (سيدي عيسى)، قدور المجاجي (ثنية بني عائشة)، محمد اسطمبولي (المدية)، داودي الشريف (أزفون)، السعيد اليجري، وغيرهم.

ب- الغرب الجزائري: الشيخ ابن الهاشمي بن بكار، والشيخ علي بن السنوسي الشطي والشيخ حسين بن قريد من معسكر، والشيخ الجيلالي بن عبد الحكم من العطاف⁽⁵⁾، والشيخ ابن إبراهيم أحمد بن الحاج مصطفى من قرية تاخمارت، بلقاسم بن كابو، الحسن البوشعبي، الشاطبي علي بن السنوسي، وغيرهم.

ج- الشرق الجزائري: محمد العثي من زاوية سيدي الحسين بميلة، والشيخ مصطفى بن المكي بن عزوز من عين البيضاء، والشيخ ابن شعبان الحاج محمد القريشي إمام مسجد الأربعين شريفا، وشيخ الزاوية الحنصالية بقسنطينة، والشيخ حسن الطرابلسي العلاوي من عنابة، الطاهر بن زقوطة، الشيخ الزواوي.

د- الجنوب (مناطق عسكرية): ابن عمر بن سيدي محمد الكبير التجاني من عين ماضي، ومحمد الصادق العروسي من تماسين، سليمان بن محمد والشيخ إبراهيم بن شناف من الأغواط⁽⁶⁾.

وجاء في قانونها الأساسي أنها: "جمعية إسلامية تعليمية خيرية.. وأنها تمتنع عن الخوض في الأمور السياسية، وعن كل ما يمكن أن يثير الاضطراب بين الفئات الدينية، والعصبية.. وأنها تهدف إلى إحياء السنة، والتقاليد،

(1) البلاغ، ع 320 (8-12-1933)، أضماميم، ج 2 ص 53. المرأة الجليلة، ص 417. مليكة مزار، جمعية علماء السنة الجزائريين، ص 41.

(2) النجاح، ع 1403 (8-01-1933). العقون، نفسه، ج 1 ص 233. بوغانم، نفسه، ص 197.

(3) مصطفى فخار (1892-1979) فقيه من عائلة توارثت الفتوى بالمدية، تجاني الطريقة. انظر المرأة الجليلة، ص 412.

(4) ابن عبد الحكم، المرأة الجليلة، مرجع سابق، ص 325.

(5) كان عضوا إداريا بمكتب جمعية علماء السنة. انظر لسان الدين، ع 15 (9 رجب 1355). رحلات جزائرية، مرجع سابق، ج 3 ص 138.

(6) مزار، جمعية علماء السنة الجزائريين، ص 84. محمد بن إسماعيلي، مشايخ خالدون وعلماء عاملون، ص 73.

ونشر لفضيلة والتمسك بالأخلاق وفقا لما جاء في الكتاب والسنة، وتعاليم المذاهب الأربعة، ومبادئ الفقه والتصوف والدين الإسلامي⁽¹⁾.

وقد غطت النجاح التأسيس واحتفت به كثيرا، ومما جاء فيها: "قام رجال الغيرة على العلم والدين وعلى رأسهم السيد عمر إسماعيل من أهالي العاصمة فبدلوا مساعيهم الجديدة في تأليف جمعية تهذيبية علمية خيرية تحت عنوان علماء السنة، فكللت مساعيهم بالنجاح، وصادف نداؤهم إقبالا عظيما من افراد الأمة، فجاءوا إليها أفواجا من عناصر شتى مكونة من هيئات دينية من حضرات العلماء ومن رؤساء الزوايا"⁽²⁾. ومن المشاريع التي رسمتها الجمعية ما يأتي:

أ- فتح مدارس جديدة، وندبت منتسبيها لذلك، واقترح أن تقبل الكتاتيب القرآنية إشراف الجمعية عليها⁽³⁾.

ب- تأسيس جريدة الإخلاص، والتي تابعت مناشطها في أعدادها الصادرة⁽⁴⁾.

ج- تحضير اجتماع لتأييد فكرة "العقيدة المذهبية السنية" ضد "العقيدة المذهبية الوهابية"، وفي هذا راسلوا الشيخ يوسف الدجوي بمصر قائلين: "إن الوهابية لم تجد قبولا ولا إقبالا إلا طائفة قليلة من العوام الأميين، بالرغم من الأساليب العديدة التي يروجها أصحابها، وأما أهل العلم والتقوى فقد سخطوا على ظهور المذهب الوهابي لأن الجزائر من زمن بعيد هي على مذهب الأشعري والماتريدي، وفي الفقه على مذهب مالك"⁽⁵⁾. د- إصدار قانون أساسي من اثنين وثلاثين مادة، وأهم ما جاء فيه: أن غاياتها أخلاقية تهذيبية، وجاءت لمحاربة البدع الضالة، والتأكيد على المذهبية الفقهية المالكية، واتباع المذهب الأشعري والماتريدي. كما نفت جمعية علماء السنة أن تكون مؤسسة لعداوة الإباضية، ودعت إلى احترام جمعية العلماء المسلمين، ونفت أيضا أن تكون الجمعية علوية بل هي مفتوحة للجميع⁽⁶⁾، وكان الشعار المرصود لها: الحكمة والموعظة الحسنة والرفق واللين والجدال بالتي هي أحسن، وعدم التعرض للمسائل الخلافية والنزاهة عن الشغب والعبث والإعراض التام عن المغرضين والمشاعيين والمبطلين".

وقد تعثرت الجمعية بعد انطلاقتها بحوالي سنتين، ولم يطل عملها، فحلّت أو حلّت نفسها سنة (1935).

2- جمعية رؤساء الطرق الدينية بالجزائر: تأسست سنة (1937) برئاسة الشيخ المصطفى القاسمي ومعه الشيخ أحمد التجاني شيخ تماسين، ومعهم باشتارزي وابن الحملوي، وآخرون من الشرق والغرب، وأصدرت صحيفة الرشاد⁽⁷⁾، وعقدت مؤتمرات لها في العاصمة وبوسعادة، ووفد إليها متصوفة المغرب كعبد الحي

(1) النجاح، الهاشي "احتفال جمعية علماء السنة"، ع 1403 (8-01-1933). وانظر أحمد الخطيب، نفسه، ص 180.

(2) النجاح، تأسيس جمعية علماء السنة بالجزائر، ع 1361 (20-9-1932)، ص 1. ع 1362 (28-9-1932)، ص 1.

(3) النجاح، احتفال جمعية علماء السنة واجتماع مجلسها، ع 1403 (8-01-1933)، ص 2. العقون، نفسه، ج 1 ص 255.

(4) العقون، نفسه، ج 1 ص 255. عدد الإخلاص في (20-12-1932).

(5) جريدة الإخلاص، الحافظي، "إلى أستاذنا الكريم شيخنا يوسف الدجوي"، ع 1 (6-12-1932).

(6) الإخلاص، الحافظي، "جمعية علماء السنة الجزائريين وقانونها الأساسي"، ع 8 (8-2-1933). العقون، ج 1 ص 252.

(7) بوصفصاف، جمعية العلماء وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى، ص 259. البصائر، ع 80 (3-9-1937)، ص 2.

الكتاني وغيره، وزار مقرها وزير المعارف المغربي محمد الحجوي في (1938) الذي خصّه كل من البشير الرابعي وأحمد الأكل بقصيدة ترحيبية⁽¹⁾.

ثانيا: الجمعيات الجهوية والمحلية:

وأكثر من أسهم في إنشائها هم العلويون ثم الرحمانيون، ومن بين الجمعيات الناشطة ما يأتي:

1- الجمعية الطرقية الدينية الإسلامية: أسسها طريقيو قسنطينة سنة (1937)، وتكوّن مجلسها الإداري من أربعين فردا، وكان كاتبها أحمد بن بسام⁽²⁾، ومقرها الزاوية التجانية بقسنطينة، وهدفت إلى المحافظة على الزوايا والفقراء والأحباب، وأسست لها فروعاً في المدن كقالمة⁽³⁾ والعملات الأخرى، مع رغبتها في توسيعها إلى الأقاليم العسكرية الثلاث في الجنوب، وجعلت رئاستها الشرفية لعامل عمالة قسنطينة⁽⁴⁾، والظاهر أن صوفية قسنطينة كانوا سابقين في التجمع مجازة لحركة الإصلاح، فقد عقدوا مؤتمرا سابقا في (7 نوفمبر 1933)، وقرروا فيه الانضمام لجمعية علماء السنّة، وغطت جريدة الصراط تجمعهم الذي قالت أنه اقتصر على الرحمانية والدردقاوية دون القادرية والتجانية⁽⁵⁾، وقد تعرضت هذه الجمعية لنقد ابن باديس حينما قصرت غايتها على المحافظة على نفوذ الزوايا الطرقية وشهرتها وسمعتها ومكانتها⁽⁶⁾.

2- جمعية الوعظ والإرشاد (1932): أسسها العلويون، وكانت غايتها تجميع طاقات العلماء الرسميين وغيرهم للقيام بالدعوة والتوجيه، في زمن زحف علماء الإصلاح وامتلاكهم ناصية الخطابة والبيان، الأمر الذي كان يفتقده هؤلاء الآخرون نتيجة لضعف الزوايا الأخير في مواد الخطابة، الأمر الذي كانت توليه مدارس جمعية العلماء أهمية كبرى في اعتنائها بالمسرح والكتابة والخطابة، والظاهر أن الجمعية خفت نشاطها أو توقفت بعد وفاة الشيخ العلوي.

3- جمعية التذكير العلوية: أسسها الشيخ الجديد للعلويين عدة بن تونس سنة (1934)، واسمها يدل على اهتماماتها الأخلاقية، وتشير الشهادات إلى جهد أتباع العلويين في مواجهة الانحرافات التي كان يموّر بها الغرب الجزائري نتيجة الوجود المكثف للكتلة الاستعمارية حيث كانت الممسك الأول بخيرات السهول والمزارع. وفي سنة 1936 كان المكتب مكونا من علي البودليعي رئيسا وأحمد بن قدة نائبه، وصالح بن ديمراد أميناً لمال ينوبه محمد بن شوربة، وعبد الله بن قطاط الكاتب العام⁽⁷⁾، وقد أسست بعض فروع لها في باقي العمالات، ومن ذلك فرع الطاهير (الطاهر)، ورأسه علاوة بن الطاهر⁽¹⁾.

(1) مجموع النسب، ص 211، وأحمد الأكل كان موقتا بالجامع الكبير، مجموع النسب، ص 219. وعن الزيارة انظر الرشاد، " الأستاذ الأكبر محمد الحجوي في تونس والجزائر"، ع 29 (1939-1-20)، ص 1. ع 30 (1939-1-30)، ص 1. ع 31 (1939-2-13)، ع 32 (1939-2-20)، ص 1.

(2) انظر جريدة الرشاد، أحمد بن بسام "بيان حقيقة ودفع اتهام"، ع 44 (1939-6-12)، ص 4-1.

(3) الميدان، مقال: "المنبر العام إلى جمعية الطرق بقسنطينة"، ع 19 (1937-10-31)، ص 4.

(4) نشرت البصائر صورة خطية من قانونها الأساسي، ع 184 (1939-1-13)، ص 2. وانظر آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 299. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 334.

(5) جريدة الصراط السوي، ع 11 (1933-11-27)، ص 2-3.

(6) البصائر، ابن باديس "الزوايا وغاياتها، كفى بهم شهداء على أنفسهم"، ع 148 (1939-1-13)، ص 1.

(7) لسان الدين، ع 36 (1936-8-30)، ص 4.

4- جمعية الشبان العلويين: أسسها الشيخ عدة بن تونس سنة (1936)، ولا ندري هل هي على غرار الأجنحة الشبانية لشعب الجمعية، وشعب المؤتمر الإسلامي، وربما كانت لمنافسة "جمعية شباب المؤتمر الإسلامي" التي يقودها الأمين العمودي، ولكنها توقفت مع نذر الحرب العالمية الثانية. وجاء في أهدافها: "بث التربية الإسلامية وتعاليم الشريعة السمحة في أوساط الشباب الإسلامي وانقاذه من داء التغريب والتفسخ الأخلاقي وانتشاله من أحوال الحضارة الغربية التي توجهها وتخطط لها السياسة الاستعمارية في الجزائر لتحقيق ما تسميه فرنسا بسياسة الاندماج"⁽²⁾. وقامت الجمعية بجملة مناشط المخيمات الصيفية، وتأسيس فرقة رياضية، وتنظيم الترفيه في العطل الأسبوعية⁽³⁾.

5- جمعية محبي الإسلام العلوية: دعا الشيخ ابن عليوة إلى تأسيس مؤسسة في الغرب تقوم بالتعريف بالإسلام، قائلا: "سأكون سعيدا، إذا تمكنت في يوم ما أن أكون جماعة تكون لي ترجمانا بين أوروبا والمسلمين، لأنني متيقن من أنه إلى حد الآن لا تزال أوروبا تجهل خصوصيات الإسلام، إذا أمكننا تأسيس هذه النواة القادرة على إيصال مقاصد الإسلام، لا أشك لحظة واحدة في زوال المسائل التي تفرقنا"⁽⁴⁾.

وقد تطورت هذه النواة من بعض مهتدي الفرنسيين ومنهم "شارل طايبي"⁽⁵⁾ الذي كان سبب شروعه في تحرير كتاب الأجوبة العشرة، و"عبد الكريم جوصو"⁽⁶⁾، بالإضافة إلى الفيلسوف الفرنسي الكبير "روني قينون"⁽⁷⁾، المتصوف الفرنسي الكبير الذي تسمى ببجي عبد الواحد. وفريجوف شيون الذي تسمى باسم عيسى نور الدين⁽⁸⁾، ثم صارت الجمعية باسم أحباب الإسلام.

6- جمعية السلام: بقسنطينة، وكان يرأسها سنة (1936) بن بلال محمد⁽⁹⁾، الذي هاجم ابن باديس في قضية محاولة اغتيال الحبيباتي⁽¹⁰⁾. وكانت لها مدرسة أسستها سنة (1934)، وأدارها الشريف الصائغي⁽¹¹⁾. الذي خطب في مؤتمر أفريل (1938)، وشارك في الوفد الذي قاده بن جلول وأنصار التفاهم الإسلامي

(1) لسان الدين، ع 72 (4-6-1939)، ص 8.

(2) جريدة لسان الدين، الثانية، ع (نوفمبر، 1936) انظر بن عدة تونس، آيات المحبين في مقامات العارفين، ضمن ديوان الشيخ العلوي، ص 114. البحيصي، من أعلام الإصلاح الديني، عدة بن تونس، ط1، مستغانم، المطبعة العلوية، 1995، ص 116.

(3) البحيصي، المرجع السابق، ص 82.

(4) غزالة بوغانم، الطريقة العلوية في الجزائر ومكانتها الدينية والاجتماعية 1909 – 1934، مرجع سابق، ص 261.

(5) شارل طايبي، هو محرر الأجوبة العشرة للشيخ العلوي.

(6) عبد الكريم جوصو (1866-1951)، رسام كاريكاتوري فرنسي، نشر عام (1913) كتاب "اعتناقي للإسلام"، وحضر جمع الطريقة العلوية سنة (1924)، ونشر سنة (1928) كتاب "الطريق إلى الله"، انظر بوغانم، نفسه، ص 262.

(7) ريني قينون (1886-1952): دخل الإسلام سنة (1912)، ودرّس بثانوية سطيف سنة (1913) ثم استقر بالقاهرة، واشتغل بآبن عربي، وترك مؤلفات كثيرة، وعن كتابه "التقارب بين الأديان" انظر تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6 ص 453.

(8) توفي سنة (1974)، وهو سويسري انتسب للعلوية، وأسس زاوية بسويسرا ثم أمريكا. انظر بوغانم، نفسه، ص 263.

(9) النجاح، جمعية السلام الاجتماع السنوي العام، ع 1838 (8-12-1936)، ص 2.

(10) الشهاب، ع (أوت-سبتمبر 1936) ج 12 ص 329. مريوش، نفسه، ص 208. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4 ص 336.

(11) محمد الشريف الصائغي، ولد بمسكيانة (1889)، وتخرج من الزيتونة بالتطوع سنة (1922)، وحاول تأسيس مدرسة ببلدته مسكيانة ولم ينجح، فقصّد قسنطينة وانسلك في مدرسي الجامع الأخضر، ثم استقل بمدرسة السلام، توفي سنة (1942)، انظر فضلاء، المسيرة الرائدة، ج 1 ص 138. من أعلام الإصلاح في الجزائر، ج 1 ص 14. كمال غربي، المساجد والزوايا في مدينة قسنطينة الأثرية، مرجع سابق، ص 133.

الفرنسي في (مارس 1937) ⁽¹⁾، وفيها استقبل الشيخ مصطفى القاسمي في جولته بقسنطينة بعد تأسيس جامعة الزوايا ⁽²⁾.

وتفرعت عن هذه الجمعية فروع مثل البنت المسلمة، والشريفة، والخدساء، التي تأسست سنة (1957) ⁽³⁾. ويذكر فضلاء أن رئيسها كان عبد العلي الأخضر ⁽⁴⁾ تعرض لحادث اغتيال لاتهامه بتحريض المرأة على السفور عقب حوادث (13- ماي 1959).

7- جمعية التهذيب: أشار أحمد بن يحي الأكل إلى جمعية خيرية تسمى "التهذيب" بقسنطينة، يديرها محمد النجار الحركاتي (1877-1947) ولها مدرسة ومعه الشريف الصائغي والسعيد الصائغي ⁽⁵⁾.

8- نادي الإخلاص: أسسه علماء جمعية السنّة ⁽⁶⁾، وكان ينشط في العاصمة، والاسم يوحي بالنسبة الصوفية، ولكن العقون يقول: إنني نبت في حضور الحفلة عن شيحي عمار مهري، وأن اسمه "نادي الأخوة الإسلامية" ⁽⁷⁾.

9- جمعية الإرشاد والتهذيب: أسسها العلويون بالمحمدية (باريقو)، ورأسها الفقيه هدا ج محمد، وكان يدرس بها الفقه ومتن خليل، وذلك حسب شهادة أحد مسؤولي نشر وترويج صحيفة لسان الدين ⁽⁸⁾.

10- الجمعية الدينية بوههران: أسسها الفقيه بلقاسم بن كابو، وهي فرع لاتحاد الطرق والزوايا بالعاصمة ⁽⁹⁾.

11- الجمعية الدينية للمسلمين السنين بتلمسان: رأسها الحاج العشعاشي ⁽¹⁰⁾، وكان له دور كبير في مقارعة الإصلاحيين، الذين قابلوا عملها بتأسيس الجمعية الدينية الإسلامية التلمسانية، من قبل البغدادي الحسن (العلوي السابق)، ومحمد بن مرزوق (الدقاوي السابق) بعد تأسيس الجمعية بالجزائر أساسا ⁽¹¹⁾. وقد وجهت هذه الجمعية تقريراً للوالي العام بالجزائر بتاريخ (22-11-1935) حول مسألة الدين الإسلامي تحت عنوان (La question du culte musulman en Algerie) اتهمت فيها جمعية العلماء بنشر مبادئ مستورة، وتشتيت المجتمع، ومحاولة السيطرة على المساجد، ومحاربة العوائد الموروثة ⁽¹²⁾.

(1) العقون، ج 2 ص 66. والمدرسة كانت مدعومة من ابن جلول كما في جريدة الميدان المناصرة له. نفسه ص 104.

(2) الرشاد، حسن الوارزقي "شباب الجامعة الإسلامية بقسنطينة"، ع 47 (7-1939)، ص 1.

(3) فضلاء، نفسه، ج 1 ص 139. الفروع نشأت أيام الثورة، وانظر من أعلام الإصلاح في الجزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 146.

(4) عبد العلي الأخضر، المولود بأوماش (1907) والمتخرج بالتطويع (1926)، والذي تنقل بين وظائف المحكمة والافتاء الحنفي، والتدريس بالكتانية والخطابة بجامع الكتاني، وكان يساعد ابن باديس في دروسه بالجامع الأخضر وبسيدي قموش، وكان بارعا في التدريس حتى سنة (1936)، وتولى إدارة المعهد الكتاني سنة (1946) إلى غاية وفاته في (24-7-1959). انظر كمال غربي، مرجع سابق، ص 133.

(5) النجاح، 1234 (9-12-1931)، ص 2. رحلات جزائرية، ج 1 ص 205.

(6) جريدة الوزير، بكوشة، الرحلة الخامسة، (سبتمبر- أكتوبر 1932)، ص 118 عن ذاكرة مدينة الجزائر، ج 2 ص 569.

(7) العقون، نفسه، ج 1 ص 256.

(8) لسان الدين، مقال "تأييد طلبية باريقو لجمعية الإرشاد والتهذيب"، ع 47 (2-3-1938)، رحلات جزائرية-طرقية-، ج 3 ص 159.

(9) لسان الدين، ع 47 (2-3-1938)، رحلات جزائرية-طرقية-، ج 3 ص 160.

(10) لسان الدين، ع 47 (2-3-1938)، رحلات جزائرية-طرقية-طرقية، ج 3 ص 164.

(11) مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان، نفسه، ص 42.

(12) سعد الله، الإبراهيمي في تلمسان، مجلة الثقافة، ع 101، ص 85. مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان، مرجع سابق، ص 337.

- 12- جمعية السلام بالعاصمة: وهي التي أدار من خلالها عمر إسماعيل تراتيب الانشقاق والتأسيس لجمعية علماء السنة⁽¹⁾. وكانت لها مدرسة تدير شؤونها وتولاها مصطفى حافظ حتى وفاته (1932)⁽²⁾.
- 13- جمعية الرشاد، تأسست يوم (25-9-1938) كامتداد لجامعة الطرق والزوايا، ورأسها سيد علي مبارك قدور، وينوبه مبارك علي بن علال، وكاتبها أحمد الأكل، وتهدف إلى نشر العلم والمعرفة وترسيخ الأخلاق⁽³⁾.
- 14- جمعية فقهاء الدين الإسلامي بتلمسان⁽⁴⁾، لا نعرف عنها الكثير، وربما تكون نادي غير رسمي لفقهاء الطريقين في تلمسان، ومنهم قطعاً على البودليمي، والذين أصدروا فتوى بعدم صرف الزكاة لمدارس الجمعية.
- 15- جمعية الهداية بالبلدية، ورأسها محمد بن قدور نجل مفتيها، وينوبه محمد بن مناد الطريقي العلوي، وجعلت من أهدافها محاربة البدع والفلكور حول ضريح الولي علي قايور، وبدع الأعراس والتوسة وغيرها⁽⁵⁾.
- 16- جمعية الشباب بقسنطينة، ورأسها الشيخ حسن الوارزقي⁽⁶⁾.

ثالثاً: جمعيات مغربية.

- 1- جمعية اتحاد الزوايا لشمال إفريقيا: أسسها الطريقون بإشراف من رحمانية الهامل⁽⁷⁾، واتخذت من زاوية الهامل مقراً لها، وذلك في (15-4-1938). وعقدت مؤتمرها الأول بالحامة في (7-2-1937) في روضة سيدي عبد الرحمان بوقبرين، وغطت البصائر المؤتمر، وذكرت بأن الافتتاح كان من مصطفى القاسمي والذي قال في مستهلها: "الحمد لله الذي أحمده البدعة"، وتقدم خطيب بالفرنسية فسبّ الإصلاحيين، كما خطب السعيد الزاهري ضد الفاشية، وممن حضر من المغرب الأقصى عبد الحي الكتاني والشيخ العياشي سكيرج، والذي دعا إلى ترك السياسة، وألقى قصيدة منها:
- وفي الزوايا خبايا بها بلغو*** مناهم رغم كل ذي نكر-دعوا السياسة إن رمت نجاحكم.
- ودارت أغلب الخطب حول تأييد مشروع فيوليت رغم معارضة البعض، وممن خطب الشريف الصائفي، وقدور الحلوي، وعباس بن الهاشمي، وعبد المجيد بن إبراهيم الطولقي، والشيخ الراحي، وأحمد بن بسام، وكان من نتائجه الدعوة إلى إنشاء حزب ديني عهد بدراسة تأسيسه لكل من: مصطفى الحسيني، ومحمد غلام الله ومحمد الصغير باش تارزي⁽⁸⁾، ولكن هذا الحزب لم ير النور.

(1) الشهاب (ع أوت 1932)، مج 8 ص 442. وجريدة الوزير التونسية، تقرير بكوشة، رحلات، ج 1 ص 214.

(2) البلاغ، ع 185 (17-10-1930). المرصاد، مقال "إلى جمعية السلام"، ع 20 (24-6-1932)، ص 2. حيث هاجمتها متهمة إياها بعدم تجديد الانتخاب، والاستئثار بالدار التي أوقفها المحسنون كالحاج الزواي صاحب معمل الروائح المشهور في زمنه، والتي صارت عشا للعلوين حسبا.

(3) العقبي، الطرق الصوفية والزوايا، مرجع سابق، ص 598.

(4) البودليمي، إمطة اللثام عما نشأ في الحاضرة التلمسانية من الشكوك والأوهام، ج 1 ص 57.

(5) المرصاد، ع 14 (6-5-1932)، ص 3. المرصاد، ع 15 (13-5-1932)، ص 3. مصطلح "التوسة" أي جمع الأموال في المحافل والأعراس.

(6) الرشاد، مقال "مؤتمر شمال إفريقيا العظيم"، ع 44 (29-5-1939)، ص 2.

(7) النجاح، ع (10-1-1937). تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4 ص 332. البصائر، ع 111 (29-4-1938)، ص 6.

(8) العقون، نفسه، ج 2 ص 70. وانظر أيضا العقبي، الطرق الصوفية والزوايا، مرجع سابق، ص 598.

وقد هاجم ابن باديس هذا المؤتمر بمقال "أتزوير أم تدليس" لأن المؤتمرين ادّعوا تمثيل ثلاثة ملايين جزائري، ولأنهم طالبوا بالإصلاحات ضمن منطق الفكرة الفرنسية، وتقديم الإصلاحات الاقتصادية على السياسية لقبر مشروع" فيوليت"⁽¹⁾، وهو عكس ما كان يرمي إليه المؤتمر الإسلامي، وجاءت من طلبة الجمعية بتونس بيانات احتجاج ضده⁽²⁾.

2-جمعية أحباس الحرمين الشريفين: وهي واجهة لطرق المغرب العربي اهتمت بالحرمين وشؤون الحج والحجاج⁽³⁾ ومسجد باريس الذي تولى عمادته قدور بن غبريط، حيث أسس المسجد سنة (1926) عقب الحرب الأولى تكريما لمن قاتل مع فرنسا.

وكانت جمعية الأحباس تعقد مؤتمرات سنوية متنقلة في بلدان المغرب العربي، ومن ذلك مؤتمر تونس (1938) والذي ضم شخصيات جزائرية منها حسن بولحبال، ومن المغرب سكيرج، وقد استقبل الباي أحمد الوفد، وألقى سكيرج قصيدة أمامه⁽⁴⁾.

وفي سنة (1937) اجتمعت وفود تونس والمغرب والجزائر بالعاصمة في (10-12-1937)، وممن حضر اجتماعاتها الباشا جلول فرحات شيخ الأرباع، وبوعزيز بن قانة، ومحمد العشعاشي رئيس الجمعية الدينية بتلمسان، وأبو بكر شعيب، والحيب بن مالك مفتي تلمسان، وبولحبال مفتي بجاية، ومحمد الشريف بن حبيلس قاضي دراع الميزان ورئيس ودادية المحاكم الإسلامية، وعبد القادر القاسمي، والشيخ الدواحي، والمولود ابن الموهوب، وغيرهم من المفاتي والقياد، ثم ذهب الوفد في سياحة صحراوية للزيان، واستقبل شعبيا في بسكرة، وأقيمت له المآدب من طرف بوعزيز بن قانة ملك الصحراء، وغناهم مطرب الشعبي بلقاسم، وحضرها محمد الفاضل بن عاشور⁽⁵⁾.

ومن قرارات وتوصيات هذا الاجتماع منع جمعيات التهذيب والورثاني من استخدام مسجد باريس، إذ اتهموهم بتعليق أوراق ومكتوبات تصف بن غبريط وغيره بأعداء الإسلام، كما تحدثوا عن سير المعهد الإسلامي ونشاطاته. ويمثل هذا القرار قمة الانزعاج من الحراك الإصلاحي في فرنسا، وهو ما لم يكن محمودا، حيث كان الواجب على رجال الدين وعلمائه الرسميين أو غيرهم دعم أي نشاط إسلامي يربط جحافل العمالة بدينها وهويتها الإسلامية.

المطلب الخامس: الجرائد الطرقية في الثلاثينيات.

سارع بعض رجال التصوف الجزائريين إلى المحافظة على الهوية الدينية الإسلامية للجزائريين بمختلف الأشكال التقليدية من جمع وذكر واستدعاء لوسائل الطرق في التحشيد والتجنيد للأتباع والمريدين، ثم كان الاتجاه إلى الشكل الحديث وهو ميادين الصحافة والتعليم وتأسيس النوادي والجمعيات، حيث تنادى

(1) البصائر، ع 123 (7-22-1938)، ص 4.

(2) البصائر، رسالة الطلبة الجزائريين بتونس إلى المؤتمر الطرقي، ع 163 (4-28-1939)، ص 1.

(3) النجاح، جمعية أحباس الحرمين، الجلسة الثانية بالمعهد الباريسي"، ع 1481 (9-15-1933)، ص 1.

(4) جريدة النجاح، "في قصر المرسى العامر"، ع 2229 (12-29-1938)، ص 2. ذاكرة الجزائر، مرجع سابق، ج 4 ص 44.

(5) النجاح، مؤتمر جمعية أحباس الحرمين، ع 2081 (12-21-1937)، ص 1. رحلات جزائرية، ج 1 ص 253.

الطريقون إلى وجوب إخراج صحافة دينية⁽¹⁾، وفي هذا المضممار ستبرز الطريقة العلوية كأهم طريقة تتخذ مسارا إصلاحيا في وسائلها، فتهتم بالنشر والطبع والتأليف، وستبرز أهم الصحف معها، وتطبع في مطبعتها بمستغانم، ومن أهم الصحف التي أصدرتها الطريقة العلوية وغيرها ما يأتي:

1- صحيفة لسان الدين:

والتي صدرت أسبوعيا في العشرينيات (3-01-1923)⁽²⁾، ويظهر من افتتاحيات الجريدة أنها كانت مهمومة بالوضع الديني والعلمي المتردي في الجزائر، وكانت عينها ترمق النهضة الإسلامية الصاعدة بالمشرق، فاستكتبت الرواد لضخ أفكار تجدد الدين وتمهض بالأمة: "بلغ الأمر بهذه الأمة إلى انعدام الإدراك، وبأنه كلما حاولنا الموازنة بين قطرنا الجزائر وبقية الأقطار الإسلامية على اختلافها إلا ويتعذر علينا إدراك وجه الشبه بينه وبين غيره من جهة انحطاطه دينيا وماديا وأديبا"⁽³⁾. وهو ما سيظهر أيضا في اهتمامها بقضية إلغاء الخلافة الإسلامية التي كان كمال أتاتورك جادا فيها في تلك الأيام.

ثم جاء الإصدار الثاني لها بعد وفاة الشيخ العلوي من قبل خليفته عدة بن تونس، وكان مديرها محمد محي الدين، وصاحب امتيازها قادة بوجلال، وكانت نصف شهرية في سنة (1936)، ولكنها توقفت نهائيا مع النذر الأولى للحرب العلمية الثانية في (20 فيفري 1939)⁽⁴⁾. واهتمت في بعض أعدادها بقضية فلسطين ونشرت إعلانات لحزب الشعب وتشكيل لجنة الدفاع عن فلسطين أيام الثورة الفلسطينية الكبرى سنة (1936)⁽⁵⁾. تولت جريدة لسان الدين متابعة أخبار الطريقة العلوية، والكتابة في القضايا الاجتماعية والدينية، ودخلت في بعض مقالاتها في الجدل مع الإصلاحيين، فمن القضايا الخلافية التي ردت عليها مسألة "العهد الطرقي" وأنه سنة من عمل السلف وليس بدعة كما يقول الإصلاحيون (العدد 22 في 13-2-1356هـ). ومن كتابها الشيخ علي البوديلي الذي تعرض لاعتداء في تلمسان بسبب كتاباته، وكتب فيها أيضا الحسن الوزاني عن "ابن باديس وحياته الصوفية والطرقية الأولى، وما قاله في الأولياء والتصوف، وأنه كان يشد الرحال إلى زاوية عبد الرحمان الجرجري"⁽⁶⁾.

2- جريدة البلاغ:

وهي الجريدة التي عادت للظهور بقوة بعد الانشقاق العلوي، بعد وفاة الشيخ ابن عليوة، حينما استأثر "الأخضر عمروش" بالبلاغ، التي تعثرت سنة (1935)، وظهر الاستقطاب بين الزوايا العلوية، وظهر مصطلح "العداويين" -أتباع عدة بن تونس- في مقابل بعض زوايا القبائل، وانفرد البوديلي في تلمسان بزايته⁽⁷⁾.

(1) لسان الدين، المكودي بن عبد القادر العمراني: "حاجة الزوايا إلى صحافة دينية"، ع 36 (30-8-1936)، ص 2.

(2) ايت علجت، صحف التصوف الجزائرية، مرجع سابق، ص 51.

(3) ايت علجت، نفسه، ص 52.

(4) ايت علجت، نفسه، ص 60.

(5) لسان الدين، ع 19 (15 رمضان 1355)، ص 1. ع 36 (30-8-1936)، ص 1.

(6) لسان الدين، ع 62 (8-11-1938). ايت علجت، نفسه، ص 63.

(7) انظر، عوض الله البحيصي، من أعلام الإصلاح الديني الشيخ عدة بن تونس. واعتذرت البصائر عن نشر مقال متعلق بالانشقاق في بلدة "المالين" بين العدويين والحسنين -أتباع الطرابلسي- البصائر، ع 166 (2907-1939)، ص 2.

واستمرت في اهتماماتها الدينية، وكانت تقل أيضا من الجرائد المشرقية، وتابعت الأحداث الإسلامية، ومنها صعود الدولة السعودية وهيمنتها على الحجاز وعسير والمخلاف الإدريسي شمال اليمن⁽¹⁾.

3- الإخلاص:

صدرت يوم (14-12-1932)، عن جمعية علماء السنة، ورأس تحريرها الشيخ المولود الحافظي، وكانت تحت إدارة عمر إسماعيل ومعاونة محمد العاصمي، وجاء شعارها مصدرا بقوله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ [النحل، 125]. وقالت إنها جريدة علمية دينية إرشادية إخبارية، يحررها نخبة من العلماء العاملين المعتدلين، وهي لسان حال جمعية علماء السنة التي تضم رجال الزوايا، ونشرت في عديد مقالاتها ضد أنصار جمعية باديس كما تسميهم، وهاجمت بقوة دعاة التفرنج والاندماج⁽²⁾، واحتفت بكتابتها ومراسليها، ومنهم عز الدين الزواوي مجاور الأزهر⁽³⁾، ويرى محمد ناصر أن أسلوبها كان معتدلا ولم يكن عدائيا سافرا، وكانت تعارض الإصلاحيين وتتهمهم بالتدخل في السياسة ومسايرة الحداثة كما قال سعد الله، وقد توقفت بعد قرابة السنة من تأسيسها⁽⁴⁾. واستمرت لأزيد من 22 عددا⁽⁵⁾.

4- المعيار:

الجريدة الهجائية الشهيرة التي أصدرها أنصار الطرق في (18-12-1932)⁽⁶⁾، وقالت أنها جريدة أدبية انتقادية فكاهية" واتخذت من الآية: ﴿إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم﴾ [الانشقاق، 13-14]، وهي تقصد بالفجار الحزب الإصلاحي، ورأس نشرها مصطفى هراس، ومحررها أبو مرزبة جهينة وهو اسم مستعار، ودخلت في مهاترات ومناكفات مع صحيفة الجحيم الإصلاحية المتزع، وكانت اللغة المستعملة فيهما فجّة أقرب إلى الإسفاف. وهاجمت من عددها الأول جريدة الزهرة التونسية لتدخلها في الشأن الجزائري وهجومها على جمعية علماء السنة، وقالت بأن فعلها رد على تخرصات وأكاذيب من سمتهم "الخونة الأبالسة المهادرون المنافقون المفتنون المفتنون والمطردون والسخفاء والمديثون الموصومون بكل عار....."⁽⁷⁾

5- الدق:

وجاء في التبشير والترويج لها: "الدق جريدة علمية أخلاقية أنشأها بعض المخلصين من رجال الوطن لتهذيب المجتمع الجزائري وتطهيره من المشاغبين وأولاد الحرام، وستؤازر شقيقتها المعيار على نشر وشرح برنامج

(1) البلاغ، مقال "ثورة في عسير"، ع 284 (1932-12-23)، ص 3.

(2) جريدة الإخلاص، مقال "هل ما زال الجزائريون ينخدعون دندن وصاحبه والإقدام وطائفته"، ع 51 (1934-1-3)، ص 10.

(3) جريدة الإخلاص، مقال "الأزهر وجمعية علماء السنة"، ع 52 (1934-1-17)، ص 9.

(4) محمد ناصر، نفسه، ص 141. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5 ص 261. وقال علي مرحوم استمرت سنتين أو ثلاثة، نفسه، مجلة الثقافة العدد

(42)، ص 35. أحمد الخطيب، نفسه، ص 181. مليكة مزار، جمعية علماء السنة الجزائريين، مرجع سابق، ص 53.

(5) بحسب رد المرصاد، مقال "قاتلهم الله أنى يوفكون"، ع 48 (1932-6-9)، ص 3.

(6) 1. ناصر، الصحف العربية، ص 141. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5 ص 261. حياة كفاح، مرجع سابق، ج 2 ص 333.

(7) المعيار، ع 1 (1932-12-18)، ص 1.

علماء السنة، وبث الدعاية اللازمة للتعريف بهذه الجمعية الطبية، وتوطيد مركزها في القطر الجزائري الذي هو في حاجة أكيدة إلى أمثال هذه (الكبائية)⁽¹⁾. ولكنها لم تصدر.

6- مجلة الفضيلة:

أصدرها موسى خداوي بالبليدة في شهر أكتوبر (1935)، ولم تعمر طويلا، فلم يصدر منها سوى عددان، وكانت تهتم بالأخلاق، وجاءت لنقد الإصلاحيين الذين: "خاضوا في أودية الشطط والطغيان، ومعامع اللهو والهذيان" وقد نشر بها الحافظي مقالا، كما احتفت بها البلاغ⁽²⁾.

7- صدى الصحراء: (السلسلة الثانية 1934).

والتي أسسها من قبل أحمد بن العابد العقبي، ورفعت شعار "درأ المفسدة قبل جلب المصلحة" ووصفت نفسها بأنها جريدة مليّة إسلامية علمية أدبية اجتماعية انتقادية، وكانت إصلاحية في العشرينيات، ثم انقلبت في السلسلة الثانية إلى ظهير للنواب والطرقين، وكان انقلاب ابن العابد للطريقة العلوية قد بدأ منذ (1929) حيث انتقده العقبي⁽³⁾، وهاجمت في بعض أعدادها جمعية العلماء ومحمد خير الدين وعباسة وجريدته الثبات، والدكتور سعدان، ودخلت في مهاترات كثيرة⁽⁴⁾. وما قالته للجمعية: "لقد كنا نحترمك ونقدرك لوظيفتك الدينية، أما اليوم وقد تدخلت في السياسة واشتغلت بالانتخابات فلم يبق لنا من احترام نحوك ولا تقدير". وقولها "إن تعجب فعجب أمر أولئك المارقين أنهم ينتسبون إلى الإصلاح وما هم بمصلحين، وحسبوا أنهم يحسنون صنعا.. لبئس ما كانوا يصنعون"⁽⁵⁾، كما هاجمت جريدة الثبات ووصفت مديرها بـ "الغياط"⁽⁶⁾ الذي هاجم الحفناوي دبابش أيام الانتخابات التي سالت بسببها الدماء في بسكرة.

8- صحيفة الرشاد:

صدرت بدعم من الطريقة الرحمانية وزاوية الهامل بالخصوص، حيث كان مديرها عبد القادر القاسمي وأخوه عبد الحفيظ القاسمي، ورأس تحريرها محمد العاصمي، وقالت إنها لسان حال جامعة اتحاد الزوايا والطرق الصوفية، ومن محرريها المهدي البوعبدلي، وصدر العدد الأول منها في (16-5-1938)، وآخر عدد كان في (13-11-1939)⁽⁷⁾، وذلك بعدما صدر منها (53 عددا) أيام إخضاع الحكومة الصحف العربية للمراقبة.

(1) محمد ناصر، نفسه، ص 141. وأعلنت عنها جريدة المرصاد استهزاء بها في العدد (38) في (23-12-1932)، ص 3.

(2) علي مرحوم، نظرة على تاريخ الصحافة العربية الجزائرية، مجلة الثقافة، ع 42، ص 39. البلاغ، ع 343 (15-11-1935)، ناصر، نفسه، ص 210. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 275.

(3) جريدة الإصلاح، ع 3 (12-9-1929)، مقالات العقبي، ج 1 ص 269.

(4) محمد ناصر، الصحافة العربية، ص 68. وكنموذج لذلك انظر صدى الصحراء، مقال "الشيخ خير الدين وجمعية العلماء"، ع 16 (28-9-1934)، ص 1، (ع 17 ضد الجمعية، ع 18 ضد عباسة)، وكان الحفناوي دبابش يدعمها.

(5) صدى الصحراء، مقال "الشيخ خير الدين وجمعية العلماء"، ع 16 (28-9-1934)، ص 2.

(6) صدى الصحراء، مقال "جريدة الثبات المنتنة"، ع 16 (28-9-1934)، ص 2.

(7) آيت علجت، صحف التصوف الجزائرية، مرجع سابق، ص 115. محمد ناصر، الصحف العربية، ص 248. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5 ص 262.

ترجمة البوعبدلي، ص 74. محمد فؤاد القاسمي، مقدمة مجلة الروح، أسبوعية جامعة يقوم بتحريرها الشباب القاسمي (1367هـ-1948)، دراسة وتعليق ماساتوشي كيسايتشي ومحمد فؤاد القاسمي، ط 1، بوسعادة، دار الخليل القاسمي، 2017، ص 26.

ووصفها ناصر بالاعتدال والهدوء والرصانة والتعقل، والبعد عن المهارات والإقذاع الذي اتسمت به غيرها في الصراع مع الجمعية⁽¹⁾. وجاء في تبرير صدورها ما يفيد أنها لرد حملات الصحف الإصلاحية: "إن الظروف الراهنة نظرا للحالة الاقتصادية والاجتماعية أثبتت بأن قيام كل زاوية وحدها لا يكفي،... وهناك سبب آخر ولعله السبب الأقوى، وهو رد غارة المشوشين على الزوايا بستار الإصلاح، وقد حتم علينا ذلك أن ينضم بعضنا لبعض، وتؤسس صحيفة تنافح عنها وعن الدين الذي أراد به المشاغبون التنقيص من حرمة بذلك الستار"⁽²⁾.

9- الصحافة الرديفة:

مثل النجاح، التي بدأت تعادي الإصلاحيين، ففي غمرة الانقسام داخل جمعية العلماء تنشر مقالا مغرضاً حول إصلاح الجمعيات الدينية، ووصفتها بأنها لا دين لها ولا ملة ولا تنظيم- عدا جمعية قسنطينة⁽³⁾. والمهم أن الصحافة الورقية أسهمت في إحلال الدرس العلمي محله في غمرة غلبة الثقافة الفرنسية وصحافتها الكثيرة، وتمكنت من ربط العلائق الثقافية بالمغرب والمشرق، حيث كانت إحدى نوافذ الأهرار على الجزائر. وكان مديرو الجرائد الطرقية يقومون بجولات عديدة لترويج صحفهم وكسب المكتتبين لها، وجمع التبرعات لها⁽⁴⁾.

الجريدة	تاريخ الصدور	تاريخ الانتهاء	الأعداد	الجهة
الإخلاص	1932-12-14	1933 أو 1939		جمعية علماء السنة
المعيار	1932-12-18			--
الفضيلة	1935	1935	2	طريقو البليدة
الدق	--	---	0	--
الرشاد	1938-5-16	1939-11-13	53	الهامل
لسان الدين	1939-2-20			العلاوية
صدي الصحراء	1934-9-25	1934-10-12	5	ابن العابد

المطلب السادس: الوسائل الدعوية للطرفيين في الثلاثينيات.

تعددت وسائل الدعوة والانتشار عند الطرفين، وتركزت على السياحة والجموع، والصحافة، والتعليم، وبعض المناشط الاجتماعية والانتخابية، وتفاوتت الوسائل حضوراً أو ضموراً بين مختلف الطرق، ففي حين

(1) محمد ناصر، مرجع سابق، ص 222. علي مرحوم، "نظرة على تاريخ الصحافة العربية الجزائرية"، الجزائر، مجلة الثقافة، ع 42، ص 36.

(2) الرشاد، ع 5 (1938-6-22). محمد ناصر، مرجع سابق، ص 248.

(3) الشهاب (ع رجب 1351- نوفمبر 1932)، مج 8 ص 634. وأشار علي مرحوم أثناء زيارته لبسكرة أن شيخ العرب بوعزيز بن قانة رفض استقباله كمراسل للبصائر، ولا يسمح إلا للممثل جريدة النجاح فقط. البصائر، ع 101 (1938-2-25)، ص 4.

(4) انظر مثلاً جولة مدير البلاغ لحضر حمروش إلى الشرق الجزائري في تبسة وسوق أهراس ونشره قوائم للمكتتبين والمتبرعين في البلاغ، ع 171 (1930-6-27).

نشطت العلّوية والرحمانية، فإن القادرية والتجانية تراجعت لغياب قامات علمية بها، في حين ظلت الطرق الأخرى الصغيرة على الهامش.

1- السياحات واللقاءات والجمع الطرقي:

اعتمد الطرقيون وسائلهم التقليدية أيضا في الحفاظ على أرضيتهم وحاضنتهم الشعبية، حيث كانت الطرق تعقد جموعها السنوية وهي مؤتمرات للتعارف والتذاكر ومتابعة أخبار الزوايا والمريدين والفقراء والأحباب. اعتادت الزوايا إقامة مؤتمراتها فيما يعرف عندها بالوعدة، أو الجمع السنوي للمريدين، وهو ما يمتن الروابط الأخوية بينهم، كما كان المشايخ والمقدمون يقومون بالسياحة أو الزيارات الميدانية لزواياهم للتفقد وجمع النذور والهبات.

وعند تأسيس جمعية علماء السنة أوفدت وفودها إلى الوسط والغرب للترويج لأفكارها والدعاية لها⁽¹⁾ ومن أهم المناشط السياحة الدينية ما اشتهر به الشيخ العلّوي لنشر الطريقة، حيث قام بسياحات مشهورة، وخاصة لبلاد القبائل، وأرخ مدير البلاغ لخضر حمروش لإحداها في البلاغ في صائفة (1930): "حيث كان سيؤدي فريضة الحج حيث ابتدأ الشيخ زيارة برج بوعريش، وكان برفقته محمد المدني القصبي التونسي⁽²⁾، وهناك اكتتب مع محبيه لإنشاء زاوية، ثم زار عنابة، واستقبل من محبيه⁽³⁾.

وعلى سنة الشيخ العلّوي في سياحته لبلاد القبائل قام خليفته الشيخ عدة بن تونس بسياحة كبيرة في بلاد القبائل الصغرى، سنة (1936)⁽⁴⁾ حيث زار زاوية البرج ومقدمها حسن بن الجودي، وافتتح زاوية ببوقاعة، والتقى برجال النسبة العلّوية، ووفد إليه حسن الطرابلسي من عنابة، وكان استقبالهم شعبيا هناك، وأخذ عن بعض الجدد العهد العلّوي، وهذا الانتشار كان بجهود الشيخ عبد الرحمان بوعزيز، حيث كان للطريقة وجود في الجعافرة، وتورين، وتنساوت، وسيدي يدير، والتي خطب في افتتاحها علي البودليمي.

ومن نشاطات الطرقيين الزيارات المكانية والضرائحية، وخاصة لضريح سيدي بومدين، الذي كان محج الطرقيين من كل البلاد، ففي العباد كانت تقام الأحفال الكثيرة، حتى أن المستشرق "ألفرد بل" أو غيره أقام زردة، وصور فيلما سينمائيا عن طقوس الجموع الصوفية، سخر منها الإبراهيمي: "فقد أوحى إليهم- بعد أن اشترى ضمائرهم بزردة.. أن يجتمعوا لميقات يوم معلوم في صعيد واحد على اختلاف نحلهم، ويمثلوا بغاية الدقة أمام آلة التصوير السينمائي كل ما في الطرق من مهازل ومخاز على أنها شعائر إسلامية- كما يقول الحافظي- ففعلوا، ولعبت السفافيد البطون، ولعبت الأشداق بقطع الزجاج وأوراق الهندي الشائكة، وخرجت الحيات والأفاعي من أسفاتها لتزين هذا المشهد الإسلامي، ولا تنس- فإن القوم لم ينسوا- الأعلام المرفرفة، والبنادير المهفهفة، والشارات المختلفة، والكر والايجاف، والرقص والارتجاف، كل ذلك، والآلة المصورة لا تغادر كبيرة ولا صغيرة إلا سجلتها، وخرج من كل ذلك فيلم سينمائي محبوبك ليعرض على العالم

(1) البلاغ، مقال "وفد علماء السنة في البليلة والمدينة ثم الأغواط فوهران"، ع 292 (12-5-1933)،

(2) محمد المدني القصبي التونسي، من مريدي الشيخ العلّوي بتونس، أسس زاوية ببوقصيبة بتونس، وتوفي (1959).

(3) البلاغ، ع 169 (20-6-1930). رحلات جزائرية- طرقية- ج 3 ص 48.

(4) لسان الدين، ع 18 (30 شعبان 1355هـ). رحلات جزائرية- طرقية- ج 3 ص 147.

المتمدن مكتوبا عليه هذا هو الإسلام، ولم ينقص من كماله إلا أن السينما لم تكن ناطقة إذ ذاك، ولولا ذلك لسجلت الأذكار، والآهات، والشخرات، والنخرات، ولتشرّفت عواصم الحضارة بسماع "الشبليكو يا الهي"⁽¹⁾. ومن الزيارات القارة التي اعتاد الطريقون إحيائها وخاصة الرحمانيون منهم شدّ الرحال إلى روضة الشيخ عبد الرحمان بوقبرين بالحامة، ومن ذلك الجمع الكبير الذي أقامه مصطفى القاسمي مع أعراس بوسعادة والشلالة والمنتيجة⁽²⁾.

ومن ذلك الاهتمام بالمناسبات الدينية كالموالد والجموع والزيارات، أو الاحتفاء برموز الأمة، في أربعينيات الوفاة، ومن ذلك أن المفتي بولحبال ترأّس لجنة لاحتفاء بأربعينية المفتي المولود بن الموهوب ببجاية، وقال فيه: "ولن يستطيع منافس طامح ولا حسود نابح ولا حقود كاشح أن يستر شمس على عين التاريخ ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا"⁽³⁾.

2- المؤتمرات الوطنية:

وهي التي عقدها رؤساء الطرق، وكانت ما تتم غالبا في المواسم الروحية، ومنها:

أ- مؤتمر رؤساء الطرق الصوفية: بنادي الإخلاص يوم (11/7-نوفمبر-1933) بإشراف مصطفى القاسمي. وتقرر فيه أن أعضاء المؤتمر هم أعضاء في جمعية السنّة بالصفة، وزار وفد منه الحاكم العام "جول كارد" وأبدوا تعلقهم بفرنسا، وطالب في الوقت نفسه بتحسين أوضاع المجتمع الجزائري⁽⁴⁾.

ب- مؤتمر (15 أبريل 1935): وتم فيه تقديم مطالب الطريقين للولاية العامة بحرية تعليم اللغة العربية⁽⁵⁾.

ج- مؤتمر أبريل (1938) لجامعة اتحاد الزوايا، برئاسة القاسمي أيضا، وحضره عبد الحي الكتاني، وأيضا محمد بن الموهوب ابن المفتي، والزهري المنشق⁽⁶⁾، وكتب ضده بعض طلبة الزيتونة الجزائريين ونشرت البصائر أسماءهم⁽⁷⁾.

د- مؤتمر الزوايا بالجزائر: في (14-16 أبريل 1939)⁽⁸⁾، حضره عبد الحي الكتاني، والفاضل بن عاشور والتبريزي بن عزوز من تونس، ومن ليبيا حضر ممثل الطريقة الأسمرية، ومن الجزائر عمر بن الحملوي وعمر التجاني وشيخ زاوية ابن الحسن القشي بميلة، وعلماء من زواوة، ونشر المؤتمر عريضة رجال الدين والعلم، ودعوا إلى قطع الطريق على المشوشين والمغرضين، وأن قانون ميشال (8 مارس) لا يمس الدين

(1) البصائر، مقال "كتاب السعادة الأبدية"، ع 19 (15-5-1936)، ص 4. آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 218.

(2) البصائر، مقال "زردة كبرى فوق العادة"، ع 53 (29-01-1937)، ص 5.

(3) النجاح، بجاية تشارك قسنطينة في ذكرى فقيدها، ع 2290 (3-6-1939)، ص 3. ذاكرة الجزائر، مرجع سابق، ج 4 ص 44.

(4) جريدة الصراط، ع 11 (27-11-1933)، ص 3. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 332.

(5) انظر علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، مرجع سابق، ص 217.

(6) البصائر، مقال "مؤتمر الطريقين"، ع 111 (29-4-1938)، ص 6. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 335.

(7) البصائر، ع 163 (28-4-1939)، ص 3، ع 164 (5-5-1939). تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4 ص 335.

(8) انظر تقريراً عنه في جريدة الرشاد، ع 40 (1-5-39)، ع 41، (15-5-39). ع 43 (29-5-1939)، ص 4-1. النجاح، ع 2290 (3-6-1939)، ص 1.

الإسلامي، وأظهروا دعمهم لفرنسا⁽¹⁾. واهتمت البصائر الفاضل بن عاشور بممالة الطريقين، ناقلة عنه أنه خاطب والده الشيخ الطاهر بأنه ألقى كلمة أرضى بها الجانبين⁽²⁾. وحضر فيه الزاهري أيضا، وقال الطريقون بأن ابن باديس صعد من نجاح المؤتمر، وأنه أوفد الإبراهيمي لتونس ليستحث الصحافة للكتابة ضده⁽³⁾.

المطلب السابع: الوسائل التعليمية عند الطريقين.

من أهمها الزوايا التقليدية، وبعض المدارس العصرية التي باشر الطريقون في إنشائها، ومن نماذج الزوايا ما يلي:

1- زاوية الحملاوي: وهي من المعامل العلمية الكبيرة في الشرق الجزائري، وقد درس فيها كثير من رجالات الإصلاح أمثال مصطفى بوهني والدراجي بورويس من جيجل⁽⁴⁾، والظاهر أن بعض طلبتها المبتدئين كانوا يكملون دراستهم بقسنطينة، مما اضطر شيخها عبد الرحمان بن الحملاوي لإرسال بعض شواشه لإرجاع الطلبة من الجامع الأخضر، وحدثت بذلك مناوشات وفرار⁽⁵⁾، ولكن الزاوية أدت عملها الجيد في التعليم الديني، واستقدمت بعد معلمي الزيتونة.

2- معهد الكتانية: وهو المعهد الذي كان يأوي المدرسة الشرعية الإسلامية منذ القرن الماضي، والذي تحول إلى مدرسة عصرية تشرف عليها الزاوية الحملاوية، التي ظلت قائمة بالتعليم أيام عمر بن عبد الرحمان الحملاوي⁽⁶⁾.

3- مدرسة التهذيب بوادي الزناتي: تأسست في أكتوبر (1936) ورأس جمعيتها عبد الرحمان بلعقون، ويساعده الشيخ المولود مهري، وعلم بها محمد العربي الصائغي، وأسست لها فروعاً في المنطقة، وأرسلت بعثات للزيتونة⁽⁷⁾.

4- المعهد القاسمي: وقد استمر نشاطه بقوة في الثلاثينيات أيام خلافة الشيخ مصطفى القاسمي.

5- زوايا زواوة: وهي كثيرة، مثل زاوية بني منصور، وأحمد بن إدريس، وسيدي داود، وزوايا الصومام، ولكن أشهر زاوية هي زاوية اليلولي التي حافظت على طرائق التعليم التقليدية، وعلى قوة التعليم في القراءات وطرق نافع العشرة، ونالت إعجاب الجميع⁽⁸⁾، بعدما تربع عليها شيخ محافظ إصلاحي الوجهة وهو الشيخ أرزقي

(1) البصائر، ع 164 (5-1939)، ص 5. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4 ص 337. مع العلم أن بعض الأصوات الطرقية رفضت مخرجات مؤتمر أفريل (1938)، واعتبرت ذلك خيانة دينية، ودعت إلى الاتحاد مع الجمعية كما هو صوت محمد الطاهر الميسومي صاحب الزاوية الشاذلية بقصر البخاري. البصائر، مقال "الطرقية ضد الإسلام"، ع 124 (29-1938)، ص 6.

(2) البصائر، ع 164 (5-1939)، ص 5.

(3) الرشاد، مقال "ابن باديس يخر صقعاً لنجاح مؤتمر الطرق الإسلامي"، ع 41 (15-1933)، ص 3.

(4) محمد الحسن فضلاء، من أعلام الإصلاح في الجزائر، ج 3 ص 223.

(5) البصائر، ع 51 (5-1937).

(6) المرأة الجليلة، مرجع سابق، ص 322.

(7) فضلاء، المسيرة الرائدة، ج 1 ص 157. أرسلت بعثتين لتونس (46-48)، فيها عبد الحميد مهري، و7 طلبة للكتانية، وواحد لمعهد ابن باديس انظر العقون، مرجع سابق، ج 2 ص 318.

(8) حماني وصفها في عهده بأنها زاوية مصلحة. انظر البصائر، ع 129 (2-1938)، ص 8.

الشرفاوي⁽¹⁾ الذي نأى بها عن الصراع الطرقي الإصلاحى المستعزّ في بلاد القبائل الكبرى والتي أوصدت زواياها ضد المد الإصلاحى.

وقد أعجب أبو يعلى الزواوي بنظامها الفريد قائلا: "الزوايا التي يتولاها جماعة من ذرية المؤسس أو وكلاؤه فقلما يتفقون إذ يتنازعون في شؤونها التي فيها الطمع والمعيشة، واشتهرت زاوية اليلولي أنها بيد طلبتها إذ لم يعقب المؤسس، فصارت كالجمهورية الشورية⁽²⁾. ولاحظ أبو يعلى أن قوة الزوايا من قوة الشيوخ المتصدّرين فيها للتعليم كزاوية بوجلليل التي رأسها الشيخ البوجلليلي المقرئ، ولكن باقي الزوايا ممن تدعي وراثة البركة دون وجود شيوخ أكفاء قد انحدرت وضعفت وقل مردودها.

6- زوايا الصومام: بني وجليس، شلاطة: ومن الزوايا النشطة في تلك الفترة الزاوية السحنونية الرحمانية لمؤسسها سيدي عمرو الشريف بالأربعاء بني راتن، والتي كان لها فروع بوادي الصومام بتاغراست ببني وجليس، وشيخها محمد السعيد السحنوني (1839-1914)، وقد نشطت في القرن العشرين، على أيام محمد الشريف الذي درس على يد ابن باديس، ثم نال التحصيل من تونس، وأدخل تجديدا على الزاوية، فأرسلت طلبة إلى تونس، واستقبلت أساتذة منها للتدريس أمثال إبراهيم صمادح⁽³⁾.

وعلى الرغم من التزام الزاوية الطرقي فقد وجدناها لا تنخرط في معاداة الإصلاح، بل إن بعضا من الإصلاحيين تخرجوا منها مثل عبد الرحمان شيبان وأحمد حسين، ووجدنا ابن رئيس فرعها في أكفادو محمد الصالح ابن الشيخ محمد مزيان بودويرة ينخرط في الحركة الإصلاحية، وينقل في صحفها تنديد بعض الشيوخ بالسعار القائم بين الفريقين⁽⁴⁾.

وعلى هذا المنوال من الاهتمام بالتعليم التقليدي نصح شيوخ الرحمانيين الشيخ أحمد العلاوي وجماعته بضرورة مباشرة التعليم، وأن هذا سر نجاحهم⁽⁵⁾، وعليه باشر العلاويون إنشاء زوايا علمية متوسطة في القبائل الصغرى في الجعافرة والبرج وغيرها.

ومن المدارس العصرية التي أنشأها الطرقيون وظهريهم من رجال الدين الرسميين مدرسة الحياة ببجاية، سنة (1938)، حيث أسسها المعارضون لجمعية العلماء، ومنهم المفتي حسن بولحبال، معارضة لمدرسة

(1) أرزقي الشرفاوي ولد في شرفة بهلول بعزازقة (1883) ودرس بزاوية أحمد إدريس ثم بسيدي عمر والحاج في بني بجر، وبالعاصمة على المجاوي، ثم هاجر لمصر (1905) ونال العالمية (1921) ثم عاد للجزائر سنة (1933)، ودرس بزوايا سيدي موسى الوغليسي ثم اليلولي حتى توفي في (24-2-1945). له: الخلاصة المختارة في فضلاء زواوة، الرسالة الفتحية في الأعمال الجيبية، بغية الطلاب في علم الآداب، إرشاد الطلاب إلى ما في الآيات من الإعراب، الدروس الإنشائية لطلبة الزوايا الزاوية. انظر أعلام من المغرب العربي، ج 1 ص 274. من أعلام الإصلاح في الجزائر، 1 ص 71.

(2) جريدة السنة النبوية، ع 13 (10 ربيع الأول 1352هـ-5-7-1933) ص 7.

(3) نسيب، زوايا العلم والقرآن بالجزائر، مرجع سابق، ص 165. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3 ص 197.

(4) البصائر، مقال "براءة من ضلال الطريقة"، ع 159 (31-3-1939)، ص 4.

(5) جريدة الشريعة، مقال الفتى الزاوي "أخطار التبشير الحلولي والتبشير المسيحي" ع 4 (7-8-1933)، ص 7.

الإصلاح -التي أشرف عليها الهادي الزروقي- ثم أشرف عليها المفتي المهدي البوعبدلي مفتي بجاية، والظاهر أن أمدها لم يطل، وانتقلت بعد الحرب الثانية إلى الحركة الإصلاحية⁽¹⁾. وكان برنامجها التعليمي يشمل التفسير (من سورة المجادلة)، الحديث من رياض الصالحين، والفقه من الدردير، إضافة إل ختم دروس القطر، والسمرقندية في البيان (طبعت بالجزائر 1905)، وخالد على الأجرومية، والعشماوية⁽²⁾.

7- زوايا ومعاهد الوسط والغرب الجزائري: ومن هذه المدارس التي أنشأها الطرقيون والمحافظون ما يأتي:
أ- مدرسة الإرشاد بالبليدة: أسستها جمعية الإرشاد، وكان مديرها محمد بن قدور (نجل المفتي المالكي بالبليدة) والذي استعفى من عضوية جمعية علماء السنة بعد سنة من تأسيسها وعلل ذلك بكونه مصلحا⁽³⁾، وكان بها مستويات تعليمية عديدة⁽⁴⁾، وكان من مدرسيها الشيخ محمد الرابعي، والظاهر أن المدرسة كان يشغل التدريس فيها كل من الإصلاحيين أمثال محمد محفوظي وغيره.

ب- مدرسة نادي الرشاد بالقصبة، أسسها قدور الحلوي، والشاعر أحمد الأكحل سنة (1940)، وأدارها كل من أحمد بن الشيخ، وعبد الحكيم بن الشيخ، والحسين بن الميلي، ودرّس بها الطيب الثعالبي، ومحمد الدحاوي، ومحمد مرازقة⁽⁵⁾، ويظهر من الأسماء أن الجميع تعاون فيها.

ج- المدرسة القرآنية (1934): أسسها علي بن علال بالقلعة، وأدارها باقتدار الشيخ الرابعي، وآلت بعد الحرب الثانية للتيار العقبي، فصارت تسمى مدرسة الإحسان، وأشرف عليها محمود بوزوز، ثم الأكحل شرفاء⁽⁶⁾.

د- زاوية العطف: كان التعليم فيها متدرجا من الابتدائي إلى العالي، ويديرها الشيخ الجيلالي بن عبد الحكم، ويعينه ولده الشيخ أحمد الشرقي، وكان الشيخ الجيلالي عضوا إداريا بمكتب جمعية علماء السنة⁽⁷⁾.

هـ- مدرسة الفلاح بالأصنام: أسسها الجيلالي بن عبد الحكم سنة (1935)⁽⁸⁾، وكانت رائدة في التعليم الديني.
و- المدرسة الشريفة: التي أسستها الجمعية الدينية بوهران ورأسها الشيخ الطيب المهاجي، ولعلها ذات المعهد الديني لتعليم العلوم الشرعية الإسلامية الذي أشاد به كثيرا الشيخ حسن الوارزقي⁽⁹⁾.

(1) فضلاء، المسيرة الرائدة، ج 1 ص 221. شيبان عبد الرحمان في مقال رثائي لحسن بولحبال "تعز فليس على الأرض باقيا" أشار إلى أن المشرف على ما سماه "المدرسة الإسلامية البجائية" هو المهدي أبو عبد الله، النجاح، ع 2821 (1944) انظر ذاكرة الجزائر، مرجع سابق، ج 4 ص 47.

(2) النجاح، ع 1716 (7-6-1935)، ص 2، ع 2229 (29-12-1939)، ص 2.

(3) الثبات، مقال "استعفاء"، ع 4 (9-2-34)، ص 4. النجاح، استعفاء، ع 1536 (28-2-1934)، ص 2.

(4) لسان الدين ع 50 (16-4-1938). رحلات جزائرية طرقية، ج 3 ص 119. المرأة الجليلة، ص 385.

(5) فضلاء، نفسه، ج 2 ص 60. وقد آلت إلى الإصلاحيين، وكانت مقرا لمؤتمر العلماء الأحرار المنعقد في (1-9-1946).

(6) فضلاء، المسيرة الرائدة، مرجع سابق، ج 2 ص 133.

(7) لسان الدين، ع 15 (9 رجب 1355)، رحلات جزائرية -طرقية- ج 3 ص 138. ع 50 (16-4-1938)، رحلات جزائرية، ج 3 ص 115.

(8) ابن عبد الحكم، المرأة الجليلة، مرجع سابق، ص 163.

(9) البصائر، ع 139 (11-11-1938)، ص 8. النجاح، ع 3859 (2-12-1950)، ص 2، رحلات جزائرية، مرجع سابق، ج 1 ص 359.

ز-زوايا الغرب ومعاهد المسافرين المتنقلة، والتي ظلت على عملها التقليدي في إخراج حفظة القرآن والأئمة في كل من سهل الشلف⁽¹⁾ ومعسكر، ومستغانم، وغيليزان، وسعيدة ووهران.

6- زوايا الجنوب الجزائري: والتي استمرت في عملها التقليدي، ومن ذلك الزوايا التجانية بعين ماضي وتماسين ووادي سوف، والمدارس القرآنية المتناثرة بالهضاب العليا، فضلا عن الزوايا التقليدية بحواضر توات في الجنوب الوهراني.

المطلب الثامن: دواعم الطرقية في الثلاثينيات.

1- الزيارات العلمية المغاربية: وخاصة من المغرب الأقصى، حيث ظل المغرب مؤثلا لمحبي التصوف، ومنه تخرج مدوناته، وإليه يحج مريدو التجانية لزيارة ضريح أبي العباس التجاني، وكذا مريدو الدرقاوية والطيبية والعيساوية.

ومن تلك الزيارات المغربية ما سطره ابن باديس في جولته بالبليدة حيث قال: "لقينا الشيخ محمد الحبيب الفيلاي الفاسي في قشابية خضراء وعمامة خضراء، هيئة لا نراها إلا فيمن يريدون التأثير على أنظار العوام ينتحل الشيخ العلم وينشر الطريق، ويرقص في الحضرة ويقصد قصائد الطريق"، وقد هاجم الفيلاي رجال الإصلاح، وتحدث متنقضا لإصلاحيي المغرب كرئيس هيئة الاستئناف محمد بن العربي، وأطال اللسان في ابن تيمية وابن القيم⁽²⁾.

ومن رجال التصوف المغاربة الذين دخلوا الجزائر، وألقوا خطبا في محافل الصوفية الشيخ أحمد سكيرج، الذي زار الجزائر مرارا، وأرخ لرحلته الأولى "الرحلة الحبيبة الوهرانية الجامعة للطائفة العرفانية" سنة (1911)، كما زار قسنطينة سنة (1937) عقب مؤتمر اتحاد الزوايا بالعاصمة في ربيع تلك السنة. إضافة إلى زيارات عبد الحي الكتاني الكثيرة⁽³⁾.

ومن تونس كان يفد بعض رجال التصوف، وخاصة من الجريد لوادي سوف بحكم العلائق بين زواياها زويا توزر ونفطة، أمثال الشيخ ابراهيم البخري التوزري، مبارك بن المازق، ومحمد اللقاني بن السائح⁽⁴⁾. ومن الزيتونة وفد محمد الفاضل بن عاشور ابن مفتيها الشيخ الطاهر في مؤتمر جمعية الأحباس.

ومن مصر وفد المرجع التجاني الشيخ محمد الحافظ التيجاني لوادي سوف بدعوة من زاوية قمار والوادي، وقيل إن هذا رد على زيارة وفد جمعية العلماء بقيادة ابن باديس في (ديسمبر 1937)⁽⁵⁾.

2- الانتشار الإفريقي: اتخذت الطرق الفاعلة في الجزائر من امتداداتها المغاربية والإفريقية داعما لأحقيتها في الإمساك بسلطة القول في الديني، بحجة انقطاع الإصلاحيين عن العمل في تلك الأصقاع، وعدم وجود مناصرين لهم لحدثة أفكارهم، وكونها بدعا وهابية مضرة بسلامة الدين والتقاليد الإسلامية، وكانت

(1) انظر نماذج لها في المرأة الجليلة، مرجع سابق، ص 192.

(2) الشهاب (ع رمضان 1350 - جانفي 1932)، ج 8 ص 46-47.

(3) المرأة الجليلة، مرجع سابق، ص 327.

(4) عنابرية، مجتمع وادي سوف، ص 75. بوكسية، التطور الثقافي والسياسي بزوايا الطريقة الرحمانية، مرجع سابق، ص 258.

(5) أحمد صاري، عبد العزيز الهاشي والإصلاح، ص 569. بولحية، نفسه، ص 67. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 468.

الصحف الطرقية تتابع بعضها من النشاط الطرقي الفاعل عند تجانية السنغال، كما كانت الصحف العلوية تنشر أخبار زواياها الصاعدة في الريف المغربي، وفاس وغيرها⁽¹⁾.

3- المؤتمرات الدينية المغاربية: ومن أهم المؤتمرات الذي عقد في (15-19 أبريل 1938) والذي رعاه أكثر شيخ الهامل مصطفى القاسمي، وتناولت أخباره الجرائد الطرقية باستفاضة كاملة⁽²⁾، واعتبرته مؤتمرا عظيما، إذ حضره عبد الحي الكتاني. وقد دعا الزاهري إلى استثمار مؤتمر رؤساء الطرق: "نحن ندعو إلى الوفاق والسلام بين الإصلاحيين والطرقيين، ونتبع في ذلك نفس المبادئ الثابتة الرشيدة التي أسسنا من أجلها جمعية العلماء التي يحاول بعض المغرضين أن يجعلها آلة مشاغبة وخصام"⁽³⁾.

4- المنتج الطرقي في الثلاثينيات: وعلى غرار الإصلاحيين جفت أقلام الطرقيين عن كتابة مؤلفات منهجية رصينة، ولم يتعد الأمر بعض المقالات، أو الردود والنقوض، أو بعض الكتابات المنقبية، ومن ذلك كتاب المرأة الجليلة في ضبط ما تفرق من أولاد سيدي يحي بن صفية وفي التعريف بمشاهير العلماء ورجال المعاهد الصوفية لابن عبد الحكم، وكتاب الهاشي بن بكار "مجموع النسب والحسب" (طبع 1961)، ويمكن استثناء الطريقة العلوية، ولكن الجمود أصابها أيضا إذ لا نجد تأليفا مهما بعد مدونات الشيخ العلوي، ومن تلك الكتب المرجعية "السعادة الأبدية" لمحمد حميدو، خريج مدرسة تلمسان، والذي اتهم الإصلاحيين بقوله: "ظهر في الديار التلمسانية طائفة من العامة شأنهم الزور وارتكاب الفجور، فصاروا يطعنون في أعراض أهل الله، وينسبون لهم كل نقصان.. واتبعوا ما تتلوه عليهم شياطينهم"⁽⁴⁾، وحسب الإبراهيمي فقد شحنه بأخبار أبي مدين والكرامات⁽⁵⁾. وردت عليه صحيفة لسان الدين بمقال آخر "رد على نقد"⁽⁶⁾.

المطالب التاسع: الجوانب الإيجابية والسلبية للطرق في الثلاثينيات:

أولا: الجوانب الإيجابية:

1- الاهتمام بالتعليم والحفاظ على الهوية والشخصية الجزائرية، وهو ما لاحظته شيخ المؤرخين المعروف بمواقفه الناقدة للطرقية حيث يقول مقيما عمل بعض الزوايا التجانية بوادي ريغ ووادي سوف والذي تمثل: "إنهاض الجزائريين والمحافظة على اللغة العربية والدين الإسلامي ومقاومة تيار الفرنسية الذي غزا البلاد وطمع على عقول الناس، وكاد يمسح حتى المعالم والملاح ويمحو الهوية الوطنية للبلاد"⁽⁷⁾.

(1) البلاغ، قصيدة "تحية الافتتاح العلوي" للعربي بن أحمد البلغيثي الفاسي، ع 102 (1-11-1929).

(2) الرشاد، ع 49 (8-12-1939). آيت علجت، نفسه، ص 122.

(3) الوفاق، ع 7 مقال "حول مؤتمر أشياخ الطرق" في (12-5-1938) / محمد ناصر، نفسه، ص 245.

(4) انظر البودليبي، إمطة اللثام، مرجع سابق، ج 1 ص 6. وعلق البودليبي بأنه شيطان واحد، ويقصد به الإبراهيمي.

(5) البصائر، مقال "كتاب السعادة الأبدية"، ع 18 (8-5-1936)، ص 4، آثار الإبراهيمي، ج 1 ص 212. عبد الله التباع البيضاوي، مطالع اليقين في مدح الإمام المبين، ص 95. وقد زار عبد الحميد حميدو مراكش مرافقا للإمام ابن عليوة.

(6) لسان الدين، ع 18 (30 شعبان 1355).

(7) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3 ص 227.

فقد ظل التعليم القرآني والديني مستمرا في الزوايا والكتاتيب القرآنية في كل القطر للحفاظ على الحد الأدنى من التعليم الديني، وربط الناشئة بالتراث والهوية الدينية لمقارعة التغريب الفرنسي المتسلح بالمدرسة الحديثة.

2- محاربة التبشير: وهو منشط جد فيه الطرقيون بقوة بوسائلهم التقليدية، أو الجديدة كالصحف والمقالات، وحتى بالسياحات الدينية واللقاءات المباشرة.

3- الحوار مع المستشرقين حول صلاحية الدين: وهو ما برز فيه الشيخ ابن عليوة الذي اشتهر باستقبال المبشرين والمستشرقين والمشتغلين بالقضايا التربوية والتعليمية، ومن ذلك حوار مع المستشرق ألفرد بل "مدير مدرسة تلمسان العدلية" عن قضايا وجود الله وصدق النبي عليه الصلاة والسلام، وغير ذلك من المباحث الفلسفية⁽¹⁾.

4- الانعطاف عن البدع والخرافات: وهو ما ظهر في عديد المقالات المنشورة الداعية لترك البدع والفلكور الملصق بالتصوف، وكذا ما صدح به البعض في التجمعات الطرقية، فمفتي بجاية حسن بولجبال ألقى في مؤتمر "جامعة الزوايا والطرق الصوفية" الذي انعقد في (7-18 فيفري 1939م) كلمة صريحة في هذا قائلا: "ولقد تتبعنا سيرة جماعة من الصوفية فكان من أخص مميزاتهم المحافظة على السنن ومحاربة البدع، وهذا القاسمي رئيس جماعة الطرق يصرح هو خطباء حفلته بوجوب الدعوة إلى الإصلاح ومحاربة المنكر، فهذا ما جعلني أحب الإصلاح الحقيقي الذي لا يخالف ظاهره باطنه، فأعلاه مثمر وأسفله مغدق، وأما كوني غير طرقي فذلك لأن أقوما سلكت بنيات الطرق وترهاته، وأسماها طريقا، فأصبح التصوف عندهم عبارة عن أمور أتحاشى ذكرها، ولا يخفى أمرها ولا يحتقر شرها، فيجب الاعتراف بضلالهم، والإنكار عليهم، والرجوع بهم إلى الجادة، وأما كوني غير إصلاحي أيضا فالمعنى الذي اعتقده دخلاء العلم من سوء الظن بالمؤمنين وهتك الأعراض بالأعراض وتفريق كلمة المسلمين بالمسائل الخلافية"، فهو في الحقيقة إفساد، وتسميته الأضداد⁽²⁾.

ثانيا- الجوانب السلبية للطرق.

1- التنافس المحموم والانقسامات:

تسبب الصعود القوي للعلاوية في غيرة من باقي الطرق، حتى أن مراسل البصائر يذكر بأن طلبية الرواشد رفضوا أن يشتركوا في البصائر حتى لا يقال بأنهم "عليون"⁽³⁾ لأن باقي الطرق تعرف النشاط الإعلامي للعلاوية، ولذلك تحصن أتباعها منها بحجب أبصارهم عن منهج غيرهم. وفي مغنية أيضا تمكن إمام علاوي من الدخول للزواوية العيساوية واتخذها منبرا، ولكن جهوده لم تفلح، وتم طرده⁽⁴⁾.

(1) مجلة المرشد، ع 35 (20-3-1950)، ج 1 ص 58.

(2) جريدة الرشاد، (ع 42 - 1939م).

(3) انظر البصائر، حماني، حديث المتجول، ع 109 (22-4-1938)، ص 3.

(4) البصائر، ع 141 (25-11-1938)، ص 5. وعقب حماني مستهزئا بجامعة الزوايا، وبهذا الإمام "عاكلي العطيوي" الذي ادعى أنه يستطيع تعليم أهل السماوات والأرض، ومذكرا أبا يعلى الزواوي في دفاعه عن العلويين.

واستشرت حتى الانقسامات والتباينات داخل البيت الطرقي الذي لم يكن لأغلب زواياه قيادات موحدة، عكس ما كان عليه الأمر في القرن السابق، ويمكن التمثيل لذلك بنماذج دالة على المذكور، ومنها:
أ-الانقسامات العلوية:(عداويين، بودليميين، طرابلسيين):

بعيد وفاة الشيخ أحمد العلوي في (7-7-1934)، وبعد الخلاف بين إدارة البلاغ وبعض علوي العاصمة مع الخليفة الجديد عدة بن تونس تعطلت الجريدة، ثم وقع الوثام والتنازل في (27-3-1935) وإسناد التحرير إلى محمد المهدي بفضل صلح سعى فيه علاويو الشرق وعلى رأسهم شيخ عناية حسين الطرابلسي وحسن بن الجودي وبوفليح الصديق من مجانة والمولود أجلاوح من أقبو، وكذا صالح بن ديمراد من غليزان ومحمد بن عبد الله التونسي من تيارت⁽¹⁾.

ومن المعروف أن البلاغ خلصت للخضر عمروش منذ (1930)، وأصبح مقرها بمدينة الجزائر العاصمة فكانت تُصدر - مثل جريدة المغرب- عشرة آلاف نسخة شهريا في عام (1930) حتى وفاة الشيخ ابن عليوة عام (1934)، وقد وقف عمروش بجريدته في صف حسن الطرابلسي المنشق على عدة بن تونس، وظهر الاستقطاب بين الزوايا العلوية، وظهر مصطلح "العداويين" وانفرد البودليي في تلمسان بزايوته⁽²⁾، وتشتت أملاك الزاوية⁽³⁾. ولذلك أعمل الشيخ عدة بن تونس جهده على اشتغال الطريقة بالإشراف على زواياها، فكان إصداره للجريدة لسان الدين الثانية، ولكن الصراع ظهر ثانية سنة (1942)⁽⁴⁾، حيث صُدرت بمقال آخر "فضيلة الصلح بين الخلق".

كما شمل الصراع تشهير بعض العداويين بالشيخ بن تونس في تصرفه في أحباس الزاوية بعد وفاة الشيخ العلوي⁽⁵⁾، وهو ما نفاه، وأن تصرفه كان بناء على توكيل من المؤسس نفسه، ولكن ذلك زاد من شدة الشقاق داخل الطريقة.

كما برز خلاف بين الطرابلسي، والذي يراه البعض الوريث الروحي للشيخ العلوي، والذي رفض ضم أوقاف زاوية عناية للزاوية الأم بمستغانم بتأثير من الحسن بن عبد العزيز البغدادي⁽⁶⁾، والذي صار إصلاحيا. كما دخلت البلاغ في صراع مع صحيفة المغرب لأبي اليقظان⁽⁷⁾، وارتفع الأمر للمحاكم بسبب التنابزات المذهبية.
ب-الخلافات الطرقية القادرية التجانية بوادي سوف:

منذ القرن السابق والتسابق محموم بين الزاويتين، وقد عرضت المغامرة إيزابيل لذلك، وتكلمت عن المؤامرات الاستعمارية لتأجيج النار بينهما، وعندما زار ابن باديس وادي سوف شتاء (1938)، حاول الإصلاح

(1) البلاغ الجزائري ع 333 (4-5-1935). ايت علجت، نفسه، ص 76.

(2) أشارت جريدة الوفاق العدد 18 برغبة بعض العلويين في طرد البودليي من الزاوية بتلمسان، وحسب هذا الأخير فقد كان الأمر مكذوبا، حيث نشر في كتابه إمطة اللثام رسالة منهم لجريدة الوفاق للزاهري بتكذيب الخبر. انظر إمطة اللثام، مرجع سابق، ج 1 ص 76-77.

(3) انظر عوض الله البحيصي، من أعلام الإصلاح الديني الشيخ عدة بن تونس، مرجع سابق، ص 77.

(4) البلاغ، ع 327 (3-8-1942). ايت علجت، مرجع سابق، ص 76.

(5) علي البودليي، عن الأستاذ السائح، جريدة لسان الدين، ع 15 (9 رجب 1355هـ)، رحلات جزائرية-طرقية- ج 3 ص 143

(6) بوغانم، نفسه، ص 196.

(7) آيت علجت، نفسه، ص 179.

والتقريب بينهما، فزار زاوية سيدي سالم الرحمانية، وعيمش القادرية، وزاوية تاغزوت التجانية، وقرب بين الفريقين المتخاصمين من التجانيين والقادريين⁽¹⁾، كما سعت زاوية طولقة إلى رأب الشقاق الطرقي في وادي سوف حيث قام شيخها سيدي الحاج بن سيدي علي بنعمر بزيارة عقد فيها اجتماعات ولقاءات بين الطرق القادرية والتجانية والرحمانية، وندبهم إلى التوجه للتعليم، ولم تخل الزيارة من اعتراضات بعض منتسبي الإصلاح الذين كانوا يُوصفون بالمشوشين، والذين كانوا يسائلونه حول قضايا الذكر والوسيلة ووصول الثواب إلى الميت، وغير ذلك⁽²⁾.

والظاهر أن المشكلة المعضلة هي الانشطار الذي تصير إليه الطرق بعد وفاة الشيوخ الأقوياء، فليس هناك طريقة جزائرية بقيت برأس واحد إلا نادرا، فالتجانية زاويتان، والرحمانية أكثر، وليس للقادرية شيخ مرجع، والعلويون انقسموا، وحتى الهبريون في الحاضر انقسموا.

لا حظ الزاهري تلك المعضلة فكتب عنها: "على أن الطرق الأخرى يحمل أتباعها لنا من الضغينة والحقد أكبر مما يحمل أتباع طريقتنا، فقد جربت ذات يوم أن أتودد إلى أهل طريقة، فرفضوا ودادي، وذلك أني جلست معهم في حلقة لهم عقدوها لتلاوة أورادهم، وكان من عادتهم أن يغمضوا أعينهم عند تلاوة هذه الأوراد، وكان من عادتنا نحن أن نفتح أعيننا، وألا نغمضها عند قراءة الأوراد، وما هي إلا أن عرفوا أنني لا أغمض عيني حتى طردوني، وقالوا لي: أنت لست من طريقتنا⁽³⁾."

ج- الانقسامات الرحمانية:

فقد ظل الزوايا الرحمانية بقيادات متعددة (الهامل، ابن الحملاوي، جرجرة، طولقة)، وكان التنافس بينها موجودا مع التعاون، وقد شاع أن الإدارة الفرنسية تريد توحيد قياداتها أو إلحاقها بمشيخة نفطة، تأسيسا بما فعله باي تونس من إسناد المشيخة الرحمانية للشيخ التبريزي بن الحفناوي بن مصطفى بن عزوز⁽⁴⁾، ولكن هذا المشروع لم يتم تحوفا من التأثير الخارجي أو من الوحدة المهددة لهيمنة فرنسا على الزوايا.

2- السلبية السياسية:

والتي جعلت البعض يركن للإدارة الاستعمارية ويحتفي بها ضد منافسيهم الإصلاحيين، وتجلّى ذلك أكثر في الالتحام بين بعضهم وبعض رجال المكاتب العربية والقياد، والغاية من هذا التحالف بين هذه القوى المحافظة الراضية أي تطوير للمجتمع الجزائري الخوف من فقدان المكاسب والنفوذ، والمطالع لأدبيات المرحلة يدرك بجلاء ذلك، كما هو صنيع ابن عبد الحكم في المرأة الجليلة، أو تغطيات جريدة النجاح لمناشط القياد ورجال الطرق.

(1) البصائر، ع 96 (1-21-1938)، ص 3. مذكرات خير الدين، ج 1 ص 25. إبراهيم مياي، "جهاد الشيخ عبد العزيز الشريف"، مجلة الثقافة،

(7-8-1996)، ص 172. بوكسية، التطور الثقافي والسياسي بزوايا الطريقة الرحمانية، مرجع سابق، ص 277.

(2) البلاغ، ع 217 (3-21-1938)، رحلات جزائرية-طرقية- ج 3 ص 95.

(3) جريدة الشريعة النبوية المحمدية، الزاهري: "اعترافات طرقي قديم" ع 7، (8-28-1933)، ص 4.

(4) المرصاد، مقال "الشيخ التبريزي بن عزوز"، ع 21 (7-8-1932)، ص 1.

بل إن تلك السلبية والانسحابية دفعت الإدارة إلى التدخل في التسيير الداخلي لبعض الطرق، ففي البليدة طلبت من مفتيها التدخل لحل خلافات سدنة ضريح سيدي أحمد الكبير من أولاده الذين أنكر بعضهم الفلكور، فأفتى المفتي بحل بيع الشموع ورفع الأعلام، ورفض الاختلاط ونقر الطبول⁽¹⁾.

المطلب العاشر: أهم الشخصيات الطرقية الفاعلة.

1- الشيخ مصطفى بن محمد بن الحاج امحمد الهاملي القاسمي:

ولد بالهامل سنة (1897) ودرس بزاوية الهامل عند عمه، وأخذ عن الشيخ عبد الرحمان الديسي، ودرّس بالزاوية منذ (1916) في فترة مشيخة عمه أبي القاسم [1915-1927]، شارك في تدشين مسجد باريس سنة (1927).

هو أشهر رجالات الطرقيين في الثلاثينيات، وشيخ زاوية الهامل من (1928 حتى 1970)، حيث تولى إدارة الزاوية، وانخرط في العمل التنظيمي، وكان من مؤسسي جمعية العلماء، ثم استقال مع الآخرين بتأسيس جمعية علماء السنة، وترأس مؤتمر الزوايا سنة (1938)، وأسهم في تأسيس جمعية زوايا الشمال الإفريقي وكان رئيسا لها. واشتهر بتفانيه في خدمة الطرق الصوفية. وصفه ابن بكار: "وهو الذي أسّس جامعة الزوايا والمعاهد العلمية الدينية الصوفية في الجزائر للذود عن حرمة الدين وصيانة عقائد المسلمين السنيين، وحمل رايته عند ظهور المتطرفين"⁽²⁾.

2- الحسن البغدادي:

من الشخصيات الرائدة التي عملت في المجالين الطرقي والإصلاحي، أو كانت واصلًا بين الجسرين، فهو شخصية فريدة بل من الشخصيات المغامرة التي شاركت في حرب الريف مع الخطابي، ثم عمل في الطريقة العلاوية، وانتقل للمشرق ليعود بعد الاستقلال.

ولد الشيخ بندرومة بتلمسان سنة (1896)، حيث حفظ القرآن⁽³⁾، ولمشرب والديه الصوفي القادري انخرط في تنظيم الطريقة العلاوية، وكان كاتبًا للشيخ ابن عليوة بعد الحرب الأولى، وأشرف على طبع ديوان الشيخ بتونس سنة (1920)، وفي مهمات سرية أخرى لها علاقة بنشر الطريقة بتونس، ولكن حسب الأرشيف الفرنسي فقد كان الرجل وأخاه الصالح مصدر قلق للسلطات لقوة تأثيرهما ونشاطهما في الطريقة العلاوية التي غزت القبائل الصغرى، ففي رسالة من عامل قسنطينة للمقيم العام بتونس مؤرخة في (11 جوان 1921): "رحلة مولاي حسن بصفة سرية لسنا مرتاحين لها، ويظهر لي في هذه الحالة أنه لا بد من اتخاذ الاحتياطات والاحتراش من طرف السلطات العامة واليقظ التامة" ويضيف أيضا بضرورة تعقب: "المسمى ببغدادي مولاي حسن وجمع المعلومات الكاملة والمكنة حول هدف سفره إلى تونس وذهابه وإيابه ولقاءاته

(1) المرصاد، مقال "البليدة ويأتيك بالأخبار"، ع 23 (5-8-1932)، ص 3. المرصاد، ع 25 (26-8-1932)، ص 2.

(2) بن بكار، مجموع النسب، مرجع سابق، ص 157.

(3) حسن القادري البغدادي، رسالة الحق في الميزان، ط1، دمشق، 1959، ص 23. ولا ندري علاقته بالمدرس البغدادي أستاذ النحو والأدب بمدرسة تلمسان (المدرسة الشرعية الفرنسية) انظر تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3 ص 391.

واهتماماته، وأخيرا إذا قفل راجعا إلى أين اتجأه⁽¹⁾، كما اهتمه التقرير السري بالتشويش⁽²⁾، وهو اصطلاح فرنسي دال على قوة الدعاية والتأثير في الأوساط الدينية.

يبرز مكان البغدادي في كونه من الدائرة الخاصة المقربة من الشيخ ابن عليوة بكونه مترجما له، حيث نقل نص الأسئلة العشرة من الفرنسية إلى العربية⁽³⁾، والتي طرحها المهتمدي "عبد الرحمان طايبي.

شارك الحسن البغدادي بقوة في العمل الصحفي، حيث أشرف على مكتبة جريدة لسان الدين العلوية⁽⁴⁾، ثم تولى إدارة تحريرها ابتداء من العدد 7 إلى 12 حيث تعطلت سنة (1923) لدعوتها لتأسيس جمعية علمائية للجزائريين. كما أسهم البغدادي بمقالاته في جريدة البلاغ في الأعداد: 59، 61، 81، 278. وكان كما وصفه محمد بن عبد الباري الحسني العلوب "جلالة صديقنا الأغر الكاتب المقتدر"⁽⁵⁾.

وفي الدعاية للطريقة العلوية التي كان من أبرز الناشطين فيها بتلمسان والدايين عن حياضها ألف كتاب "إرشاد الراغبين إلى ما احتوت عليه الطريقة العلوية من الفتح المبين" طبع بتونس (1921)، بمطبعة النهضة. وله كتاب "النجم الثريا في المآثر العلوية" ولكنه مفقود، أو لم يطبع على غير عادة الطريقة في النشر الكثير. لكن أهم عمل للبغدادي هو اشتراكه في حرب الريف حيث عمل كاتبا خاصا للأمير عبد الكريم الخطابي⁽⁶⁾، ولا ندري ملابسات الانتقال، ولعله كان مرسلا من الشيخ ابن عليوة؟، حيث وجد حاضنة جيدة للعلويين في جبال الريف المغربية، ولعل الذي يدل على هذه العلاقة بين العلويين والخطابي أن جريدة لسان الدين كانت تنشر له، وأنه قال: "علي لاحقا أن أضع دستورا، كما أن علي أن أنشئ المدارس، سأنشر فوراً إعلاناً في "لسان الدين" الجزائرية لتوظيف مدرسين، غير أن هذا يكلف كثيرا من المال"⁽⁷⁾، وربما كان هذا الدافع للتعاون الإعلامي أن الريف كان محمية إسبانية في حين كان باقي المغرب تحت الحماية الفرنسية، مما يجعل الترويج لمشروع الخطابي مستحيلا في الجهتين.

ومما يؤكد ذلك أن الأمير كان على تواصل مع الشيخ ابن عليوة الرسالة التي أرسلها الأمير للشيخ والمؤرخة في (15 شعبان 1340 / ماي 1925). ويؤكد هذا القلق الفرنسي من التعاون العلوي مع حرب الريف رسالة

(1) les archives nationales tunisie E550-30-15-2494. يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة، مرجع سابق، ج 1 ص 69.

(2) بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة، مرجع سابق، ج 1 ص 69.

(3) ابن عليوة، الأجوبة العشرة، وانظر مظهر البنات في التمهيد بالمقدمات، ص 4.

(4) لسان الدين، تنبيه، ع 1 (02-01-1923)، ص 2. ولا ندري هل نشأت هذه المكتبة التجارية أم لا.

(5) محمد بن عبد الباري، الشهادت والفتاوي فيما صح لدى العلماء من أمر الشيخ العلوي، ص 215. بوغانم مرجع سابق، ص 124.

(6) محمد بن عبد الكريم الخطابي (1882-1963) ولد بأجدير بالحسيمة في الريف المغربي، حفظ القرآن ودرس بالقرويين، وولي قضاء مليلية، عارض والده تمدد الإسبان في مدن تطوان وشفشاون، فعزل ابنه محمد واعتقل في سجن كبالزرا سنة 1920، وبعد اطلاقه اتخذ من قبيلته "ورياغل" قاعدة للجهاد ضد الإسبان الذين انتصر عليهم انتصارا مدويا في معركة أنوال الشهيرة في (جويلية 1921)، ثم حرر شفشاون سنة 1925، وحاول تحرير تطوان، أنشأ جمهورية الريف، ولكن الفرنسيين والإسبان وحلفاؤهم تمالئوا عليه، فنفي إلى المحيط الهندي ليفر بعدها ويستقر بمصر. انظر الأعلام، مرجع سابق، ج 7 ص 216.

(7) زكية داود، عبد الكريم ملحمة الذهب والدم ترجمة محمد الشرقي، ط1، المغرب، دار المناهل، 2007، ص 107. وانظر ناصر الدين موهوب، الشيخ العلوي، مرجع سابق، ص 113.

الحاكم العام الفرنسي لعامل وهران في (20 أوت 1925) وهي تكشف عن تقارير استخباراتية عن علاقة الأمير بالشيخ، وضرورة رصد التحركات الجزائرية الريفية، وممارسة رقابة شديدة على الزاوية وشيخها ابن عليوة.⁽¹⁾ والذي يبرّر هذه المخاوف أن التلمسانيين شكلوا لجنة لدعم حرب الريف ماليا ومعنويا، بل وفكروا في استضافة الأمير عن طريق تشكيل لجنة سرية كان من أعضائها مولاي الحسن البغدادي. تصفه مؤرخة حرب الريف زكية داود بأنه الكاتب المخلص⁽²⁾. وقد مكث سنتي (1925-1926)⁽³⁾، وزوجه الخطابي من امرأة ريفية رُزق منها ولده الأول عبد العزيز، ولكنه سجن ثمانية أشهر بعد نفي الأمير الخطابي⁽⁴⁾.

عاد البغدادي لتلمسان ليعاود نشاطه الديني في الأنشطة الآتية:

أ- انخرط في الجمعية السنوسية: وهي أم الجمعيات بتلمسان، وللإسم دلالة الرمزية في المخيال الشعبي لما يمثله اسم السنوسي من ذاكرة جمعية على الصلاح حيث كان الجزائريون يسمون أولادهم باسمه.
ب- تأسيس الجمعية السنوسية: في (1924)، واشترك البغدادي فيها نظرا لعلاقته الوثيقة برئيسها محمد بن مرزوق⁽⁵⁾ المنتمي السابق للطريقة الدرقاوية، ولكنه سيصير إصلاحيا ويرأس شعبة الجمعية بتلمسان.
ج- العمل في نادي السعادة⁽⁶⁾ الذي تأسس سنة (1930) من قبل الناشطين في النادي الإسلامي، ونادي الشبيبة لجمع كلمة التلمسانيين المفترقين إلى حضر وكراغلة، وهي ظاهرة مقبلة شاهد عقابيلها المدني وذكرها في مذكراته⁽⁷⁾.

ولكن البغدادي وكعديد الناشطين الطريقيين لم يستنكف عن مناصرة الإصلاح في التعليم والدعوة، ففي زيارة ابن باديس لتلمسان سنة (1927) التقاه البغدادي وتوطدت الصلات بين الرجلين، حيث سبق لابن باديس أن زار ابن عليوة بمستغانم، وكان اللقاء فرصة لتدارك الشنآن الذي حصل عقب محاولة الاغتيال.

(1) انظر علي بشير بلمهدي، "علاقة الشيخ أحمد بت مصطفى بن عليوة بالشيخ محمد بن عبد الكريم الخطابي"، مجلة المواقف للدراسات والبحوث في المجتمع والتاريخ، العدد 1، ديسمبر-جانفي 2007، ص 103

(2) زكية داود، عبد الكريم ملحمة الذهب والدم، ص 115.

(3) محمد العربي المساري، محمد بن عبد الكريم الخطابي من القبيلة إلى الوطن، ط1، المغرب، المركز الثقافي العربي، 2012، ص 147.

(4) أرخ البغدادي لحرب الريف في كتاب مخطوط يقع في 228 صفحة، ونعمل على إخراجه بحول الله تعالى، ومما ذكره فيه أن الأمير عبد الملك الجزائري قتل وهو يقاتل تحت العلم الإسباني، في حين ذكر سعد الله بأنه قتل من قبل القوات الفرنسية والإسبانية المتحالفة. انظر الحركة الوطنية الجزائرية، ج 2، ص 231. وانظر محمد فاضل بلمومن، الشيخ الحسن البغدادي وجهوده الإصلاحية في الجزائر المعاصرة، (مذكرة ماستر في التاريخ والحضارة بكلية العلوم الإسلامية، 2018، (إشراف محمد عبد الحليم بيثي)، ص 76.

(5) محمد بن مرزوق، من عائلة المرازقة المشهورة علميا في تلمسان أيام العهد الزياني، ولد في (21 جانفي 1884) بسبدو، خريج الثعالبية، سافر إلى مالي للتدريس، ثم صار أستاذا بمدرسة الألسن بباريس، ثم عاد وانخرط في القضاء الشرعي، وانتخب عضوا ببلدية تلمسان مرات، وخاصة سنة (1936)، كان درقاويا، ثم صار إصلاحيا، رأس شعبة الجمعية بتلمسان، توفي بمرض السل في (8 أوت 1939)، وقد أبناه إبراهيمي وصلى عليه الجنازة. انظر آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 384. البصائر، ع 180 (25-8-1939)، ص 2. خالد مرزوق ومختار بن عامر، مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان، مرجع سابق، ص 202، 296.

(6) مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان، نفسه، ص 39.

(7) توفيق المدني، حياة كفاح، مرجع سابق، ج 2 ص 188.

كما جدّد ابن باديس زيارته لتلمسان بدعوة من الجمعية السنوسية سنة (1931)، ولكن السلطات الفرنسية منعتة من إلقاء محاضرة بالجامع الكبير، إلا أن أعضاء الجمعية تداركوا الأمر وأقاموها بدار الحفلات بترخيص من البلدية.

وفي أواخر سنة (1932) قدم الإبراهيمي تلمسان، فاستقبله البغدادي ومحمد بن مرزوق والبشير الشافعي ومحمد بابار⁽¹⁾، وكان استقراره بالزاوية الهبرية سنة كاملة، كما ذكر الشيخ بن يونس آيت سالم⁽²⁾. وذكر عبد الحفيظ الهاشمي أثناء زيارته لتلمسان أن البغدادي رافقه في زيارة المنتزهات والأضرحة، وذلك بعد قدوم المتمول الحاج محمد العشعاشي من الحج⁽³⁾.

أسهم البغدادي بقوة في إنشاء دار الحديث منذ (1935) إلى غاية افتتاحها في اليوم المشهود في (27-سبتمبر 1937)، وكان أحد الممرضين على صك البيع ضمن 162 شخصا، وعمل فيها أستاذا لمدة 13 سنة⁽⁴⁾. ولأجل هذا النشاط المحموم في التدريس في مدرسة الجمعية كانت فرنسا تلاحق هذا المغامر بالمراقبة والتقارير. ولم ينخرط البغدادي في الصراع الطرقي الإصلاحي في عقد الثلاثينات، ولكنه كان وفيًا لكل الأطراف الدينية العاملة في الجزائر، ولا أدل على ذلك من شدة الرحال إلى منفى الإبراهيمي بأفلو سنة (1941)، حيث أُملى عليه الإبراهيمي رسالة فكاهية للتبسي بعنوان "العزيمة"⁽⁵⁾ تناول فيها أخبار طلبة الحروز واليقشة.

التحق البغدادي بمصر سنة (1950) ليلتقي الأمير الخطابي، وشرع في رحلات عديدة لمدن المشرق وأقطاره من الحجاز إلى العراق إلى الشام، وألقى دروسا بجامع الهادي بالطائف⁽⁶⁾، وبالمسجد النبوي حيث كان يخلف أبا بكر جابر -عضو تنظيم الموحدين-، وكتب مقالات في جريدة البلاد السعودية، والتقى بمحمد نصيف في جدة، وزار الكويت وباكستان، واستقر بالشام مدة لينال إجازات عالية في الحديث، وكانت له مطارحات مع محمد ناصر الألباني قبل أن يشتهر من بعد، وألف ردا على الشيخ محمد القهوجي⁽⁷⁾ في رسالته "رسالة الحق من هدي سيد المرسلين".

عاد الشيخ للجزائر بعد الاستقلال ليشغل إماما في وهران حتى (1963)، وأخيرا استقر بالعاصمة إماما لبرج الكيفان إلى غاية وفاته في (21 ماي 1984)⁽⁸⁾.

3- الشيخ قدور الحلوي:

(1) مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان، ص 83.

(2) حوار مع الشيخ بن يونس آيت سالم، جريدة الشروق، ع 3035 (24-8-2010)، ص 10.

(3) النجاح، "رحلتنا للمغرب والأندلس"، ع 1370 (19-10-1932)، وعن عائلة العشعاشي انظر المرأة الجليلة، مرجع سابق، ص 350.

(4) محمد الحسن فضلاء، المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر، مرجع سابق، ج 3 ص 22.

(5) آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 103.

(6) البغدادي، رسالة الحق في الميزان، مرجع سابق، ص 39.

(7) أحمد القهوجي (1918-1985) عالم دمشقي وواعظ، تتلمذ لعلي الدقر، له: الأنوار في الأديّة والأذكار، أسعى الرسائل في أحكام المعاملات، أحكام الوافدين للحج من كل فج، الصلاة صلة بين العبد ومولاه، ديوان خطب. انظر محمد خير يوسف، تكملة معجم المؤلفين، ص 71.

(8) انظر محمد فاضل بلمومن، الشيخ الحسن البغدادي وجهوده الإصلاحية في الجزائر المعاصرة، مرجع سابق، ص 58.

كان عضوا في الهيئة الإدارية سنة (1932). ثم تقدم باستعفاء من جمعية العلماء، وقال إنه رئيس شعبتها الدائمة احتجاجا على برقية العمودي في جريدة الدفاع ضد إجراءات ميرانت في منع المساجد على الإصلاحيين، وكتب في نقد جمعية العلماء، وقد رد عليه ابن باديس، بقبوله الاستقالة، ونفى كونه رئيسا لشعبتها في العاصمة، واستغرب منه تحرّجه من إصلاحية الشهاب المعروفة منذ العشرينيات، وقال إن خروجه لا يضر لأن من خرجوا "ضربهم الله بالتفرق والخذلان، فأين هم اليوم وأين صحافتهم اليوم، وتلك عاقبة الظالمين ونهاية كيد الخائنين"⁽¹⁾، كما تساجل معه حمزة بكوشة بمقال "من الوهم والتخيل إلى التدجيل والتضليل" لما قال إنه تتلمذ لعبد الحليم بن سماية التجاني، وقال بكوشة: "إن سبب إنحائهم على التجانية أنها قطعت عنهم الأطماع حيث كانت تشدّد على الطمع والتشوف لما في أيدي الخلق..⁽²⁾"، كما اتهمه بالتفكير في إنشاء "جمعية الإصلاح" مع الزاهري⁽³⁾، ولم يكن بعيدا عن الإصلاحيين، فكانوا يزورونه ويفيدون من أدبه كما ذكر قصيبة في زيارته المتأخرة للقلعة حيث كان الحلوي مديرا لمدرسة الإحسان⁽⁴⁾.

4- محمد بن الحاج قويدر مناد:

من البليدة، وكان نائبا لرئيس جمعية الهداية بها، وهو زيتوني، طرقي علاوي متوسط غير متعصب حسب توصيف صديقه ابن حلوش، وقد ذكر بأنه كان من مؤيدي جمعية العلماء، رحل إلى بولونيا لتدريس اللغة العربية بدار العلوم⁽⁵⁾.

5- الشيخ بلقاسم بن كابو مفتي بلعباس:

أخذ الطريقة التجانية عن مفتي وهران علي بن عبد الرحمان، وتوفي أول الخمسينيات (1953)، وأسس جمعية دينية بوهران فرعاً لاتحاد الزوايا، ووصف بأنه "عضو عامل في المحافظة على السلفية"⁽⁶⁾.

6- الحسن بن الطاهر الطولقي العلاوي:

ولد بطولقة درس بزاويتها، وكان حيا (1941هـ)، لازم الشيخ العلاوي، وكلفه بشؤون البلاغ الجزائري، ودرس بزاوية تجديت، من آثاره "النفائس الشذية في القواعد الفلكية".

7- الشيخ الجيلالي بن عبد الحكم:

من عائلة بن صفية من أولا نهار، من نواحي سبدو، ولد بالعطاف سنة (1298هـ-1881م)، وتعلم بسهولة الشلف على القطب الحاج ابن الشرقي ومحمد السوسي خريج القرويين، ثم فتح مدرسة بالعطاف سنة (1324هـ-1907)، ودرس بها حتى سنة (1935) أين فتح مدرسة أخرى بالشلف، وهي مدرسة الفلاح حتى سنة

(1) الشهاب، جواب الرئيس للشيخ قدور الحلوي، ع (ربيع الأول 1353- جوان 1934)، ج 10 ص 370.

(2) البصائر، ع 153 (2-18-1939) ص 4.

(3) البصائر، ع 146 (30-12-1938)، ص 2. مولود عويمر، تراث الحركة الإصلاحية، مرجع سابق، ج 2 ص 220.

(4) البصائر، مقال "حركة الجمعية بعمالة الجزائر"، ع 149 (4-2-1951)، ص 3. ع 184 (10-3-1952)، ص 7.

(5) الشهاب، ع (ربيع الأول 1351هـ- جويلية 1932)، ج 8 ص 393. المرصاد، ع 14 (6-5-1932)، ص 3.

(6) أضواء على الشيخ التجاني وأتباعه، ص 308. لسان الدين، ع 47 (2-3-1938)، رحلات طرقية، ص 161.

(1354هـ-1954) (1) أين ضرب زلزال عنيف المدينة، فانتقل إلى غليزان أين علّم ثلاث سنوات، ثم رجع إلى الأصنام وتوفي سنة (1964). من آثاره: المرأة الجليلة في ضبط ما تفرق من أولاد يحي بن صفية (2)، وترجم فيه للكثيرين من معاصريه ومتقدميه مثل محمد البشير الرابعي، وأحمد بن الأكلح، وابن تكوك، وابن باديس، ومصطفى فخار، وآل العشعاشي، والهاشي بن بكار، وله أيضا قصيدة في مدح شيخه الحاج بن الشرقي.

8- لخضر حمروش:

ولد بالمين بـرج بـوجـيريج سنة (1891)، لازم الشيخ العلاوي، وتلمذ له، وكلفه بإدارة البلاغ.

9- الحسن الطرابلسي:

ولد بالرابطة في ليبيا سنة (1880)، ودرس بتونس أين نال شهادة التطويع سنة (1911)، لازم الشيخ العلاوي منذ تعرف عليه بتونس أثناء طبع كتابه "المنح القدوسية" فرحل إلى مستغانم، ثم أذن له الشيخ العلاوي بفتح زاوية بعنابة افتتحها العلاوي سنة (1927)، حيث اشتهر هناك بالعلم والوعظ، وكان مقدم العلاويين في عنابة، ومن مؤسسي جمعية العلماء، وقد أسس مدرسة درس بها وزارها بعض مدرسي الزيتونة من أمثال مفتاح البنغازي (3). تعرض للاعتقال أيام الثورة وسجن في معتقل "بوسوي" ثلاث سنوات، وتوفي في (1974).

10- محمد بن بشير الرابعي:

ولد بالعفرون بالبليدة سنة (1895)، فقيه لغوي، درّس في للمدرسة الخيرية بالبليدة، وفي مدرسة القليعة، ونجح في امتحان الإمامة سنة (1936)، وتولى إفتاء مليانة (1950)، ثم البليدة (1955)، وإمامة مسجد سيدي علي بن مبارك بالقليعة إلى غاية وفاته (1980).

من آثاره: تحفة الأحباب فيمن ترك الرؤيا وصام بالحساب، عقد الجمان في نظم شعب الإيمان، ألفية المحتاج المذهب في نظم الديباج المذهب في المصطلح؟، التحفة السنية في القواعد العربية، السيف الصارم المسلول فيمن طعن في أبوي الرسول، إضاءة الدواحي في نظم إشارة الباجي، القول المنتخب في أن رفع اليد في الدعاء مستحب، جوهرة التحديث في مصطلح الحديث، لوامع الدرر في الكبائر الثمان عشر، لامية الوقائع المختصرة في تاريخ الثورة الجزائرية المظفرة-5000بيت-مقالات وفتاوي وقصائد (4)

يعتبر الرابعي من مراجع الطرقيين العلمية الكبيرة، حيث شغل منصب الافتاء، وشغل أيضا رئيس قسم الفتوى في جامعة الزوايا لشمال إفريقيا، وكان من كتاب وشعراء الطرق الصوفية وممن نافح عنها ضد الحركة الإصلاحية (5).

(1) المرأة الجليلة، ص 137. حيث ذكر شيوخه وإجازاته ونمط التعليم المتداول.

(2) طبع بتلمسان بمطبعة ابن خلدون سنة 1953.

(3) البلاغ، ع 249 (3-4-1932). رحلات جزائرية-طرقية- ج 3 ص 59. الروضة السنية، مرجع سابق، ص 33. بوغانم، نفسه، ص 143.

(4) المرأة الجليلة، مرجع سابق، ص 412. لحسن بن علجية، مقدمة أنوار الحق والانصاف في بيان أدلة القبلة والانحراف، ذاكرة الجزائر، ج 7 ص 6.

6. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 8 ص 271. النجاح ع 3948 (31-10-1951)، ص 2، رحلات جزائرية، مرجع سابق، ج 1 ص 409.

(5) عبد الله التباع البيضاوي، مطالع اليقين في مدح الإمام المبين، مرجع سابق، ص 83.

وقد ثارات بينه وبين بعضهم مناعات أدبية، حيث اتهمه كتاب البصائر بسرقة الشعر في رثائه لمفتي البلدية السابق في جريدة النجاح (2144)، ورد هو بأن البصائر وقحة، وتوالت الردود بين الفريقين⁽¹⁾.

12- أحمد الحبيباتي:

أحمد بن سعيد مرازقة (1867-1937)، ولد بجمعة بني حبيبي، درس على المجاوي وحمدان الونيسي، وكان من مدرسي مسجد سيدي عبد المؤمن، وهو إمام محافظ صوفي معتدل يحظى برضى الجميع، وقد تعرض لمؤامرة اغتيال عقب مقتل كحول، وحضر جنازته ابن باديس⁽²⁾. الذي وصفه بالحياد "رجل بعيد كل البعد عن الخصومات والمنازعات والمنافسات، ولا يعرف لا بمعارضة ولا بتأييده لحركة دينية أو علمية، أو سياسية"⁽³⁾.

13- حسن بولحبال:

نشط في عين البيضاء، وكان يسانده العربي كشوط⁽⁴⁾، ثم تولى منصب إفتاء سنة (1936)، وكان وسطا بين الفريقين، وإن كانت أكثر نشاطه مع الطرفين حيث ألقى قصيدة في مؤتمر "جامعة الزوايا والطرق الصوفية" الذي انعقد في (فيفري 1939م)، والقصيدة منشورة في جريدة الرشد (العدد 42 عام 1939م)، توفي في وهران بعد مرض عضال بعد عودته من الحج شهر مارس (1944)، ودفن بقبة سيدي الهواري بوصية منه⁽⁵⁾.

من آثاره: تنبيه المسلم الى فضائل زمزم، المحلى في مشروعية الخروج إلى المصلى⁽⁶⁾، ديوان شعري، نبراس الحقيقة في أدعاء العلم والحقيقة وفيها قصيدة ميمية من (500) بيت في نقد الإصلاحيين والطرفيين معا⁽⁷⁾، ومنها:

فما كنت للإصلاح ضدا ---- وإنما أعادي فسادا لقبوه فأوهموا
وما كنت ضدا للتصوف ----- إنه طريق ورب العالمين مقوم

14- الشيخ حسن الوارزقي القسنطيني:

أديب من معاوني الأمير خالد، محافظ، مغرم بابن جلول، هاجم ابن باديس والجمعية في صحيفة الميدان⁽⁸⁾، هاجم عبد الحفيظ الجنان كثيرا، وكان ينعت البصائر بالخصائر الباديسية، وله مقالات "الشيخ ابن باديس في المرأة" نشرها بجريدة الرشد اتهمه: "بأنه يعتبر رجال الطرق "بالإكليروس، ومعاهدهم بالكنايس، وأنه

(1) البصائر، ع 119 (24-6-1938)، ص 8. المرصاد، الحلوي "أتهما السارق الجرجاني أم الرابعي" ع 64 (3-11-1933)، ص 2

(2) بن علجية، الشيخ حمدان الونيسي، مرجع سابق، ص 72.

(3) شغيب، أم الحواضر، مرجع سابق، ص 318.

(4) فضلاء، التعليم العربي ج 1 ص 125، وعنه انظر المرأة الجليلة، ص 420. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 413.

(5) النجاح، ع 2821 (1944) عن الذاكرة، ج 4 ص 46، وكتب شيبان عبد الرحمان مقالا في رثائه.

(6) نشره أبو عبد الرحمان محمود الجزائري، دار الرشيد، 2010، ثم نشره في ذاكرة الجزائر، ج 4.

(7) العقون، الكفاح القومي السياسي، مرجع سابق، ج 2 ص 117. العقون، مذكراتي، ص 152. شعراء الجزائر، ج 2 ص 124.

(8) الميدان، الوارزقي "إنذار هو الأول والأخير إلى جمعية العلماء والعابثين بورقها البصائر"، ع 32 (5-12-1937)، ص 2.

الميدان، عبد الرحمان الفاتح الجلولي "الفضيحة، جمعيه العلماء على مائدة التشريع"، ع 33 (19-12-1937)، ص 2.

يستمع لعبد الحفيظ الجنان، الذي يسميه الطرقيون "فار التربية والتعليم"، وجدد هجومه عندما هاجم بن باديس مؤتمر الزوايا فقال: "كيف أدركه الغرق وكيف قال آمنت..... وليس ببعيد أن نسمع الشيخ ابن باديس في الأسبوع القابل يمدح رجال الزوايا ويثني على همهم كما كان من قبل، وأنه لا لوم على من يعمل مسيراً بيد الأحداث، وأنه ارتقى في أحضان الشيوعيين من أمثال لوكاش، ودعاة ستالين، وأراد الزعامة باندساسه بين النواب واشتراكه في المؤتمر الإسلامي....." (1).

الشيخ غير الجزائريين المؤثرون في الواقع الجزائري:

1- الشيخ عبد الحي الكتاني المغربي:

ولد بفاس سنة (1302 هـ / 1884 م) ودرس بالقرويين، حج وجال الديار الإسلامية جامعاً للعالي من الأسانيد، جمع مكتبة ضخمة من النوادر والمخطوطات، درّس الحرمين وبالأزهر وأجاز واستجاز، دخل مع أخيه أبي الفيض في خصومة مع المولى عبد الحفيظ أفضت إلى قتل أخيه وسجنه هو، ثم اصطاح مع السلطان يوسف، ولكنه في آخر أمره مالأ التهامي الجلاوي وناصر محمد بن عرفة ضد الملك محمد الخامس، مما أدى إلى مصادرة أملاكه ونفيه حيث مات بفرنسا سنة (1382 هـ / 1962 م).

كان عضواً بمجمع اللغة العربية بدمشق، زار الجزائر مراراً وكان عضواً في جمعية الزوايا لشمال إفريقيا، من آثاره: التراتيب الإدارية، فهرس الفهارس والأثبات، تاريخ المكتبات، الإنشادات والإفادات، ماضي جامعة القرويين ومستقبلها، إضافة إلى عديد الرسائل التي بلغت 500 رسالة (2).

2- الشيخ محمد الحافظ التيجاني (1315 هـ - / 1398 هـ - 1979 م).

محمد الحافظ بن عبد اللطيف بن سالم التيجاني المصري المالكي الحسيني (3)، عالم مصري مشارك في العلوم، وخاصة في الحديث والتصوف، شارك في ثورة (1919)، وسجن بأسسوط، كما عاصر دعوة الإخوان المسلمين، وكان لحسن البنا علاقة روحية بهعالم متصوف مصري، أخذ أوراد الخلوتية، وتبحر في العلوم الشرعية، كما أخذ أوراد الشاذلية والنقشبندية. لكنه استقر على التجانية حيث كانت القاهرة معبر طرق ووسائل الحج لتجانية المغرب وإفريقيا، فقام بجهد عظيم لنشر الطريقة وتصحيح الدخيل عليها من البدع والشوائب إذ كان مبرزاً في علم الحديث. ونشرت له الصحف الجزائرية بعض المقالات (4) أسس مجلة طريق الحق والتي بقيت تخدم التصوف وطرائقه ثلاثين سنة كاملة، خلّف كتباً مهمة في الطريقة، ومن آثاره العلمية: أ- الحديث: ترتيب تخريج أحاديث الإحياء للغزالي، وتخريج أحاديث جواهر المعاني، وتخريج أحاديث اللمع لأبي نصر الطوسي، تحقيق ضعيف الترمذي، وترتيب ذخائر المواريث للنابلسي، حديث الافتراق، الإسراء يقظة بالروح والجسد، ترتيب وتقريب مسند الإمام أحمد على حروف العجم، الاستدراك على المستدرك (5).

(1) الرشاد، ع 38 (4-10)، ص 2. ع 40 (1-5-1939)، ص 7. العقون، الكفاح القومي السياسي، ج 1 ص 229-231.

(2) معجم المؤلفين، ج 2 ص 67. الأعلام، ج 6 ص 187. زاوية الهامل، ص 443. الإبراهيمي، الآثار، مرجع سابق، ج 4 ص 539.

(3) المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي، دار السلام، ص (928 - 929).

(4) جريدة الرشاد، الحافظ التيجاني "حول الطريقة التجانية"، ع 16 (13-9-1938)، ص 2.

(5) انظر عبد الباقي مفتاح، أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه، مرجع سابق، ص 288.

ب- التصوف: قصد السبل في الطريقة التجانية، رد أكاذيب المفترين على أهل اليقين، الانتصاف في رد الإنكار على الطريق، أهل الحق العارفون بالله السادة الصوفية، سلطان الدولة التيجانية بغرب إفريقيا الحاج عمر بن سعيد الفوتي، وجهاده مع الكفار، علماء التزكية هم أعلم الناس بالكتاب والسنة والصحبة الروحية لرسول الله -ردود- رؤية النبي في اليقظة، الإنصاف في رد الإنكار على الطريق، التعليق على الإفادة الأحمدية التجانية، أصفى مناهل الصفاء في مشرب خاتم الأولياء، فصل المقال فيما يرفع الإذن في الحال، شروط الطريقة التجانية، مجموع الأوراد في الطريقة التجانية، التوفيق بين الطوائف الإسلامية المعاصرة في الأصول.

المبحث الثالث: الجدل الإصلاحي الطريقي في الثلاثينيات.

يتناول المبحث الجدل الدائر بين الإصلاحيين والطريقين في قضايا الفكر والعقيدة والتصوف والفقه، وهو يتوخى صناعة دائرة معرفية متعلقة بالتاريخ الثقافي للجزائر، وأثر هذا الجدل في رسم خارطة العلاقات بين الفريقين.

المطلب الأول: النقد الإصلاحي للطريقين ومجالاته.

استمر الجدل الإصلاحي والطريقي واستطار في الثلاثينيات مقارنة بما قبلها بسبب تعدد الوسائط الإعلامية الناشئة وشدة الاستقطاب بين الفريقين، وكثرة التحشيد للأنصار في مختلف النشاط الدينية والاجتماعية، وقد اصطبغ الجدل بين الفريقين بصيغة سجالية حملت معها بعض الأوضار، بله والإسفاف في أحيان كثيرة، هذا فضلا عن الاتهامات المتبادلة بالاستعانة بالإدارة وأذرعها المختلفة للانتصار لهذا أو ذاك، ومن ذلك ما ردده مبارك الميلي من: "تساند الطريقين والمعمرين في الحملة على الإصلاحيين"⁽¹⁾. وهي اتهامات رددها أغلب شيوخ الإصلاح وصحافييه، في حين لم يغفل الطريقيون تسامح الإدارة مع الحركة الإصلاحية وتمددتها السريع في هذه الفترة.

أولا- الجدل المنهجي: المتعلق بشرعية المتوارث من التصوف وطرائق التدريس للعقيدة والفقه، ومن ذلك:

1- شرعية التصوف:

(1) الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، مرجع سابق، ص 44. الميلي محمد، الشيخ مبارك الميلي، مرجع سابق، ص 132.

وهو المجال الأكثر بروزاً في هذا الجدل، من حيث شرعية الطرق وضرورة الشيخ والتسليك، وخاصة ما تعلق بالانحرافات والبدع الطارئة، والفلكور اللصيق، والتحلل من رسوم الشريعة، فقد اتهم الميلي شيخ الطريقة الحنصالية بقسنطينة بأنه يسوغ لمريديه الملاهي وتمتيع النفس بما تشتهي، واتهم الطرقيين بأنهم يكذبون على أتباعهم بدعوى ضمان الجنة لمن: "رأى الشيخ ورأى من رآه إلى ثلاثة أجيال أو سبعة"⁽¹⁾، في صورة مشابهة لصكوك الغفران الجارية في الكنائس المسيحية، وأعاد الميلي النقاش حول شرعية التصوف من الأساس، وقال: إن التصوف يوناني كالفلسفة، وفيه ما يقبل، مسنداً رأيه إلى النقل عن الشاطبي وابن خلدون وابن تيمية⁽²⁾.

وعلى منواله استدعى ابن باديس في مرات عديدة مقالات العلماء في نقد التصوف المنحرف بدء من القشيري والطرطوشي وأبي حيان الأندلسي والشاطبي والقلصادي وابن الفكون القسنطيني⁽³⁾، ولكن ابن باديس لم يكن ضد التصوف كله، ففي مقالات أخرى يشيد بأحمد الشريف السنوسي الذي منعه مصر من دخوله لها⁽⁴⁾.

وأكثر ما كان يغيض الإصلاحيين هو التقهقر العلمي والأدبي لبعض الزوايا بسبب الوراثة الدمية لمنصب المشيخة"، ومن ذلك افتخار أولاد مشايخ الزوايا الصوفية بأبائهم واحترام الناس لهم بذلك وتعظيمهم لهم، وإن كان الأولاد بخلاف الآباء في الدين والصالح⁽⁵⁾.

وأما الزاهري فاعتبر الطريقة انحرافاً عن التصوف السيّ الأول الذي عرفته الأمة مع الجنيد، فيقول:

ولو أن الجنيد يبعث هذا ال-----يوم حيا إليكم من جديد

لدعاكم لما دعا الطيب العقـ-----بي إليه بمقمع من حديد

وفي الأصل السادس عشر اعتبرت الجمعية الطريقة بدعة محدثة: "الأوضاع الطريقة بدعة لم يعرفها السلف ومبناها كلها على الغلو في الشيخ والتحيز لأتباع الشيخ"⁽⁶⁾.

وأما الإبراهيمي فاعتبر التصوف من الدخيل على الثقافة الإسلامية، قائلاً: "أما المذاهب الصوفية فهي أبعد أثراً في تشويه حقائق الدين وأشد منافاة لروحه، وأقوى تأثيراً في تفريق كلمة المسلمين، لأنها ترجع في أصلها إلى نزعة غامضة مبهمة، تسترت في أول أمرها بالانقطاع للعبادة والتجرد من الأسباب والعزوف عن اللذات الجسدية والتظاهر بالخصوصية، وكانت تأخذ منتحلها بشيء من مظاهر المسيحية، وهو التسليم المطلق، وشيء من مظاهر البرهمية وهو تعذيب الجسد وإرهاقه توصلاً إلى كمال الروح زعموا، وأين هذا كله من روح

(1) الشرك ومظاهره، مرجع سابق، ص 306. محمد الميلي، نفسه، ص 136.

(2) الشهاب (ع رمضان 1351 - جانفي 1933)، ج 9 ص 45.

(3) جريدة السنة، ابن باديس "إنكار العلماء المتقدمين على المدعين المبتدعين" ع 4 (14-6-1934)، ص 1.

(4) اضطر أحمد الشريف السنوسي للإقامة في المدينة وتوفي فيها. انظر ابن باديس "الصوفي السني بين الحكومة السنية والحكومة الطريقة"، جريدة السنة، ع 6 (215-4-1934)، ص 1.

(5) الشهاب، (ع محرم 1355 - أبريل 1936)، ج 12 ص 36. ونسبوا القول لأبي حيان في تفسير سورة الحجرات.

(6) الشهاب، (ع ربيع الثاني 1356 - جوان 1937) ج 13 ص 198. آثار ابن باديس، ج 3 ص 133. ويعتبر سعد الله بأن المذهب الديني للعلماء محل جدل، ولكن عملهم التعليمي محل جاذبية ونجاح. انظر الحركة الوطنية، مرجع سابق، ج 2 ص 398.

الإسلام وهدي الإسلام؟ ولم يتبين الناس خيرها من شرها لما كان يسودها من التكتّم والاحتباس، حتى جرت على السنة بعض منتحلها كلمات كانت ترجمة لبعض ما تحمل من أوزار⁽¹⁾.

بل إنه ذهب بعيدا في نفيه، وأن الشؤم جاء منه، وأنه مخالف لمعهد السلف فقال: "ثم ما هذا التصوف الذي لا عهد للإسلام الفطري النقيّ به؟ إننا لا نقره مظهرًا من مظاهر الدين أو مرتبة عليا من مراتبه، ولا نعترف من أسماء هذه المراتب إلّا بما في القاموس الديني: النبوة والصدقية والصحة والاتباع ثم التقوى التي يتفاضل بها المؤمنون، ثم الولاية التي هي أثر التقوى، وإن كنا نقره فلسفة روحانية جاءتنا من غير طريق الدين ونرغمها على الخضوع للتحليل الديني..... هل ضاقت بنا الألفاظ الدينية ذات المفهوم الواضح والدقة العجيبة في تحديد المعاني حتى نستعير من جرامقة اليونان أو جرامقة الفرس هذه اللفظة المهمة الغامضة التي يتسع معناها لكل خير ولكل شر..... ويمينا، لو كان للمسلمين يوم اتسعت الفتوحات، وتكونت المعامل الفكرية ببغداد ديوان تفتيش في العواصم ودروب الروم ومنافذ العراق العجمي، لكانت هذه الكلمة من المواد الأولية المحرمة الدخول⁽²⁾.

واستغرب الميلي انقلاب الأوضاع الثقافية بعلو كلمة المتصوفة على العلماء، وأن توثيقهم صار بيد أولئك المتصوفة، "فاستأثر -التصوف- بما للعلم من شرف، وجعل أهله محل ريبة لا يوثق بدينهم إلا بتوثيق شيوخ التصوف"⁽³⁾.

2- شرعية علم الكلام:

والكلام هنا على طرائق الاستدلال التي نحت إليها المدارس الأشعرية والماتريدية في الاعتداد بالدليل العقلي بالأصالة، واعتماد المنطق مدخلا لتقرير العقائد، فكانت دعوة الإصلاحيين إلى العودة إلى مناهج القرآن الكريم، ومن ذلك ما قاله ابن باديس: "أدلة العقائد مبسوبة كلها في القرآن العظيم بغاية البيان ونهاية التيسير فحق على أهل العلم أن يقوموا بتعليم العامة لعقائدها الدينية، وأدلة تلك العقائد من القرآن العظيم، ولن يجد العامي الأدلة لعقائده سهلة قريبة، إلّا في كتاب الله، أما الإعراض عن أدلة القرآن والذهاب مع أدلة المتكلمين، فإنه من الهجر لكتاب الله، وتصعيب طريقة العلم على العباد، وهم في أشد الحاجة إليه، وقد كان من نتيجته ما نراه اليوم في عامة المسلمين من جهل بعقائد الإسلام وحقائقه"⁽⁴⁾.

وعلى منواله دعا الميلي إلى اعتماد الأساليب القرآنية، وترك مناهج المتكلمين لخواص العلماء فقط لاستعمالها في الجدل، ودعم رأيه بنقول عن ابن الوزير الصنعاني في ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان⁽⁵⁾. وعدم الإيغال في الكلاميات كان منهجا يدعو إليه الكثير، وخاصة من تأثر بالتوجه النهضوي في المشرق، ومنهم أبو يعلى الذي كتب كتاب "الكلام في علم الكلام"، وقال: "خير طريقة في العقيدة التوحيدية طريقة السلف

(1) آثار الإبراهيمي، "فلسفة جمعية العلماء"، ج 1 ص 168. من سجل مؤتمر الجمعية سنة (1935).

(2) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 174.

(3) الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، مرجع سابق، ص 288.

(4) آثار ابن باديس، مرجع سابق، ج 1 ص 272.

(5) الميلي، المرجع السابق، ص 22.

التي هي اتباع ما ثبت عن الله ورسوله من غير كثرة التأويل، والدخول في الأخذ والرد من الجدل في المتشابه وإيراد الشبه والرد عليها⁽¹⁾، بل إنه توغل في رفض المنتج العلمي العقدي الطويل للمذاهب: "لا شريعة لنا ولا دين ولا ديوان إلا الكتاب والسنة، وما عليه محمد وأصحابه وعقيدة السلف الصالح، فلا اعتزال ولا ماتريدي ولا أشعري، وذلك أن الأشاعرة تفرقوا واختلفوا أي المتقدمون منهم والمتأخرون، ووقعوا في ارتباك من التأويل والحيرة في مسائل يطول شرحها"⁽²⁾.

3- شرعية المنطق:

والكلام فيه ذيل عما سبقه من العودة إلى مناهج القرآن الكريم، والعود بالدرس العقدي إلى صفائه بدلا من تعليقات المنطق التي غلبت على الشروح السنوسية المتأخرة، ونجد ذلك السجل بين أبي يعلى والحافظي في مقال: "مراتب العبادة والرد على الحافظي"، واتهامه بإدخال المنطق لطلبة زاوية، ورد أبي يعلى عليه⁽³⁾. والحق أن الدرس المنطقي أصيل في كل الزوايا، وكان السلم المرونق لعبد الرحمان الأخضرري هو العمدة في التدريس، وليس الأمر مبتدعا مع الحافظي.

وأكثر من ناقش في صلوحية المنطق الصوري هو الإبراهيمي، وعاضده في ذلك الميلي الذي فتح التساؤل فيه، ونعى على المتأخرين الجمود على المنطق اليوناني الذي عسر فهم العقيدة كما هو الحال عند السنوسي في رأيه⁽⁴⁾.

4- شرعية التقليد:

والتقليد الفقهي من أكثر القضايا إثارة للجدل، والتي ابتدأت مع تباشير النهضة الإصلاحية في المشرق مع مدرسة المنار، وامتد شرر الموضوع إلى الجزائر، حيث وقف الإصلاحيون مع التمدد المرتبط بالدليل، ودعوا إلى العودة إلى الكتب المتقدمة للمذهب بدلا من المدونات المتأخرة.

شدّد الإصلاحيون على ضرورة الأخذ بالدليل، وتكررت دعوات ومناشدات ابن باديس في الدعوة إلى الدليل، والتفكير، وأن ما يأخذ فقها مجردا عن الدليل لا يعتبر دليلا، وإن الجاهل البسيط خير من المقلد⁽⁵⁾.

وفي التأكيد على التزام المالكية بالدليل يقول التبسي: "يشهد أولوا العلم أن مالكا برئ من كل نابذ لسنة عملية وقولية بدعوى المتأخرين بمذهب مالكا، وحاشا مالكا أن يقول: صدقوا ما يقوله ابن شاس في الجواهر واكفروا بصحيح الحديث"⁽⁶⁾.

وفي اتهام من الإبراهيمي لمناهج الإفتاء عند الفقهاء المحافظين المتأخرين المتأثرين بالطرق ومسالكتها التسليمية الراضية للدليل والنقد والمسألة، يقول: "هذه إحدى جنيات القوم على العلم وإن لم يتعمدوها،

(1) أبو يعلى، الإسلام الصحيح، ص 37. وهل هناك إسلام غير صحيح؟ كما قال الشيخ آيت عيسى الرحمان في بيته بالمدينة بالعاصمة.

(2) أبو يعلى، الإسلام الصحيح، ص 6. من أعلام الإصلاح في الجزائر، 1 ص 69. أبحاث وآراء، مرجع سابق، ج 2 ص 153.

(3) الشهاب (ع ذو الحجة 1351- أبريل 1933)، ج 9 ص 221. البلاغ، ع 292 (12-5-1933)، ص 1.

(4) الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، مرجع سابق، ص 21.

(5) آثار ابن باديس، مرجع سابق، ج 4 ص 205.

(6) التبسي، المقالات، مرجع سابق، ص 123.

ومن الحقائق أن العلم تأثر بالطرق وتعاليمها إلى حد بعيد، خصوصاً في هذا الوطن، ... فالغرة اللامعة في جبين هذه النهضة العلمية هي اقتران العلم بدليله، فأصبح علماءنا يعملون بالدليل، ويدعون إلى الدليل ويطالبون بالدليل، ويحكمون الدليل ولو في أنفسهم، ولقد هالت هذه النزعة القوية- نزعة الاستدلال- أسراء المؤلف وأحلاف الجمود فأكبروها ووسموها بأنها دعوى اجتهاد ودعوة إليه، واتخذوا منها غميرة يزنون بها رجال الجمعية، وذريعة لصرف الأغرار من الطلبة عنها، وتحريك العامة عليها بما يهولون عليهم من أمر الاجتهاد ويعظمون من حرمانه. وما بالهم لا يفرقون بين الاستدلال والاجتهاد، ولو أنصفوا لعلموا أننا دعاة نظر لا دعاة اجتهاد، ندعو إلى العلم التطبيقي العملي، ونأخذ به أنفسنا قبل كل أحد، وأن تطبيق الجزئيات على الكليات ليس من الاجتهاد في شيء، وإنما هو روح العلم ولا علم بدونه⁽¹⁾. والمقولة مبينة عن الدعوة إلى تفعيل الاجتهاد الجزئي أو المذهبي، وليس الكلي، وهي دعوة سابقة على نشأة المجامع الفقهية التي رأت النور بعد عقود من هذه الدعوة.

وتتبعاً لتلك الصيحات رافع أبو يعلى لفتح باب الاجتهاد الذي أغلق، قائلاً: "الإساءة إلى الشريعة بدعوى غلق باب الاجتهاد من قبل المتأخرين"⁽²⁾.

وهو ما لم تكن تتحمله الهيئات الطرقية العاضة على التقليد للمذهب المالكي، والعكوف على مدوناته وحواشيه، وما جرى به العمل في العوائد الموروثة كما هي كتابات الحافظي وغيره.

ثانياً: الجدل المنهجي العقدي.

1- الدعوة إلى تنقية العقائد من الشوائب:

حمل الإصلاحيون هذا الهمّ مبكراً وأعربت عنه مختلف مكتوباتهم، وظلت لازمة الشرك والبدعة تصحب مقالاتهم، ومن ذلك ما خطه الإبراهيمي "إن اقتصرنا على بيان العقيدة الصحيحة، واجتهدنا في إقامة الأدلة، فإن التأثير يكون قليلاً لأن النفوس قد اصطبغت بعوائد وتقاليد مستحكمة، والقطر قد فسدت بما لا يسرها من خرافات وأوهام، فالواجب أن نبدأ بمحاربة تلك البدع والخرافات بطرق حكيمة تقرب من أذواق الناس، فإذا ماتت البدع والخرافات، وصفت الفطر من ذلك الشوب سهل تلقين العقيدة الصحيحة وتلقها الأمة بالقبول"⁽³⁾.

ويؤكد الملي على تصفية العقيدة قائلاً: "الداعي إلى الكتاب والسنة وتفهمها، إنما هو داع لتحقيق كلمة الشهادة، ولهذا نجد فيهما وفي كلام سلف الأمة الحث على تعلمهما واتباعهما وتحكيمهما عند النزاع والتحذير من مخالفتهم، وارتكاب ما أنكره على من تقدمنا من المشركين والكتابين"⁽⁴⁾.

كما نجد تطبيقات لهذه الدعوة في مقالات عمر البسكري المسلسلة بعنوان "سلسلة الأمراض الفاشية في الإسلام" ومنها مقال "الغلو في المخلوق"⁽¹⁾، والذي حمل علةً عقليات التمجيد والتسليم لشيوخ التصوف.

(1) آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 148.

(2) الزواوي، الإسلام الصحيح، مرجع سابق، ص 6.

(3) آثار الإبراهيمي، ج 1 ص 86. انظر المادة 69 من القانون الداخلي للجمعية.

(4) الملي، الشرك ومظاهره، مرجع سابق، ص 63.

بل إن الإصلاحيين وفي إطار إدانة المحدثات والبدع، قاوموا بالقوة بعض الحفلات الصوفية التي يشيع فيها النفخ بالمزمار وأكل الزجاج والحيات والعقارب، واعترضوا على رفع الجناز بالذكر، ووجهوا نداء إلى بعض قرى الأوراس سنة (1937) بوضع حد لاحتفالاتهم التي يختلط فيها الذكر بالتنجيم والكهانة ورقص "العزريات"، وهوما أدى إلى تراجع تلك الطقوس واندثارها بديلة الخمسينيات⁽²⁾ ويتوارد الإصلاحيون على أن الطرق الصوفية بترايتها للسالكين والمريدين، ومقالات التسليم والتصريف تنشئ أنفسا ذليلة يسهل امتطاؤها من الاستعمار، ولذلك سموها استعمارا داخليا، ففي مقال فضائع الاستبداد لعبد الباقي إسماعيل يقول: "والمصيبة انضمام فاسد الاعتقاد إلى معاول عوامل الاستبداد فهذا بقوته الظاهرية، وذاك بنزغاته الباطنية، واتفقا على فري الأديم واتلاف السليم والسقيم"⁽³⁾.

2- الهجوم على لغة الشطح:

والتي كان الإصلاحيون يعتبرونها مدخلا للكفر، وميدانا تثوي فيه الضلالات، فلم يتحملوا بعض الوارد في أشعار ومكتوبات الشيخ ابن عليوة، فهذا الإبراهيمي يقول بلغة قاسية: "قد سكتنا عن كتب ابن عليوة وما فيها من البلايا والجرائم وكبائر الإثم والفواحش، وأن من يسكت على كتب ابن عليوة يسكت عن عظيم من الشر وشنيع من المنكر لا تبرك الإبل به (...)" وأن أيسر ما تستحقه تلك الكتب هو الإحراق⁽⁴⁾.

وأما أحمد توفيق المدني فلم يتحمل الشطحات الواردة في كتاب "المنح القدوسية في شرح المرشد المعين بطريق الصوفية" لابن عليوة، فقال فيه: "وأخذت أقرأ الكتاب، ويا لهول ما قرأت، كلام أهوج، وخرافات لا تنطلي حتى على الأبله المسكين، وأباطيل وضلالات ما أنزل الله بها من سلطان، ودعوة سافرة غير حكيمة لمذهب وحدة الوجود"⁽⁵⁾.

ولأجل ذلك طالب بعضهم بمنع بيع كتب ابن عربي والجيلي والطريقين، ونادى حسن البيضاوي بذلك: "وأما كتب الطريقين فحكمها ما تقدم، إلا أنها أخف ضررا من كتب الملحدين"⁽⁶⁾، وتلك مقارنة مسيئة للتصوف وأهله، وشطط في الخصومة في وضع الجميع في ميزان واحد.

3- النقاش حول الوهابية:

شُغلت الساحة بالنقاش المستعر حول المقالات الوهابية، بين مدافع عنها، وآخر معتبر إياها خطرا على الهوية الدينية الجزائرية، وأكثر الأقلام دفاعا عن التجربة الوهابية هم العقبي والميلي والإبراهيمي القائل: "وإذا لم يفهم أصحابنا من معنى الوهابية إلا أنه محو البدع، فقد استقام لهم هذا المنطق الغريب على هذا النحو

(1) الشهاب، (ع محرم 1553-أفريل 1934)، ج 10، ص 219.

(2) عبد اللطيف الهرماسي، المجتمع والإسلام والنخب الإصلاحية في تونس والجزائر، مرجع سابق، ص 320.

(3) الشهاب، (ع محرم 1355-أفريل 1936)، مج 12 ص 72.

(4) آثار الإبراهيمي، ج 1 ص 122. والمقال صدر بجريدة السنة، ع 9 (5 جوان 1933).

(5) المدني، حياة كفاح، مرجع سابق، ج 2 ص 111.

(6) البصائر، ع 65 (4-30-1937)، ص 3. وانظر رد لسان الدين عليه، مقال "إلى من أساء واسمه حسن، أدعياء الإصلاح، حسن البيضاوي المغرور"، ع 36 (8-30-1936)، ص 2.

الغريب وهو أنه ما دامت الوهابية هي محو البدع، وما دامت وصفا لا رجلا وما دام كل وصف ككل كسوة عسكرية كل من يلبسها فهو عسكري يعرف بها ولا تعرف به، وما دام المصلحون ينكرون البدع فهم وهابيون وإن لم يؤمنوا للحجاج سبيلا ولم يأتوا بآبى سعود وقومه قبيلة. اهـ من كتاب ابن قشوط⁽¹⁾.

وقد أكد الإبراهيمي مرارا على سنية الوهابيين وحنبلية، وخاطب الطريقين: "يا قوم: إن الحق فوق الأشخاص وإن السنة لا تسمى باسم من أحيها، وإن الوهابيين قوم مسلمون يشاركونكم في الانتساب إلى الإسلام ويفوقونكم في إقامة شعائره وحدوده ويفوقون جميع المسلمين في هذا العصر بوحدة وهي أنهم لا يقرون البدعة، وما ذنبهم إذا أنكروا ما أنكره كتاب الله وسنة رسوله وتيسر لهم من وسائل الاستطاعة ما قدروا به على تغيير المنكر؟..إذا وافقنا طائفة من المسلمين في شيء معلوم من الدين بالضرورة وفي تغيير المنكرات الفاشية عندنا وعندهم- والمنكر لا يختلف حكمه بحكم الأوطان- تنسجوننا إليهم تحقيرا لنا ولهم وازدراء بنا وبهم، وإن فرقت بيننا وبينهم الاعتبار، فنحن مالكبون برغم أنوفكم، وهم حنبليون برغم أنوفكم، ونحن في الجزائر وهم في الجزيرة. ونحن نعمل في طريق الإصلاح الأقالام، وهم يعملون فيها الأقدام. وهم يعملون في الأضرحة المعاول ونحن نعمل في بانها المقاول"⁽²⁾.

والحق أن الإصلاحيين كانوا بين شقي الرجي، فهم متعاطفون مع بعض أطاريح الوهابية في البدع، ومع سمعة الملك عبد العزيز، ولكنهم كانوا يأخذون علمها تزمها وتشدها، ولهذا: "لم يتمكن أي من الفريقين في إحراز النصر الحاسم"⁽³⁾. ولهذا ظلت إحالات الجمعية على الوهابية أو على سلفها ابن تيمية قليلا، وعبر مراجع وسيطة هي مدرسة المنار ورشيد رضا، ولم يكن يروق لابن باديس الاتصاف بها لأنها شبهة في الوعي العام⁽⁴⁾ وظل الجهر بالانتماء الوهابي سبّة في عديد الأوساط، ولأجل ذلك احتج الإصلاحيون دوما بالمالكية. في حين لم تكف كتابات الطريقين عن وصم خصومهم بأنهم امتداد للوهابية التي أنشأها قرن الشيطان محمد بن عبد الوهاب⁽⁵⁾ كما كان يشيع في دوائرهم. بل إنهم هاجموا محمد رشيد رضا باعتباره قنطرة الوهابية في مصر، واتهموه بالتشدد في تكفير المستغيثين والتأول للكتاب المارقين عن الدين من ملحي العصر⁽⁶⁾.

5- الموقف من بعض الطرق الصوفية:

اختلفت الكتابات الإصلاحية في تقويم الطرق الجزائرية بين القبول ببعضها أو السكوت عن بعض اختياراتها كما هو الشأن عن الرحمانية والقادرية والشاذلية، حيث نعدم نصوصا في نقدها أو نقضها، في حين توافرت بعض الكتابات على غيرها، وخاصة التجانية والعلوية والعيساوية، ويمكن النمذجة لذلك بالآتي:

أ-الموقف من التجانية: ظهرت كتابات عدة في نقد بعض أذكار التجانية في جانبها العقائدي، وما نسب إلى أصحابها من تفسير لبعض الآيات وإلى شيخها من فتوحات وكشوفات بما لا يتلاءم مع التصوف السني. ومن

(1) جريدة السنة، ع 9 (5-6-1933)، ص 6. آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 124.

(2) جريدة السنة، ع 9 (5-6-1933)، ص 3. آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 124.

(3) علي مراد، الحركة الإصلاحية الجزائرية، مرجع سابق، ص 192.

(4) انظر علي مراد، المرجع السابق، ص 267.

(5) البودليي، إمطة اللثام عما نشأ في الحاضرة التلمسانية من الشكوك والأوهام، مرجع سابق، ج 1 ص 23.

(6) جريدة الإخلاص، مقال "جنون الوهابية"، ع 48 (13-12-1933)، ص 9.

الذين هاجموا الطريقة الشيخ عبد الحميد بن باديس حين قال: "نعم إن الحملة على الطريقة وبيان ضلالها وفضح التجانية وبيان إلحادها، كل ذلك محمول على كاهلي ومربوط به رأسي، وإن كنت فيه كواحد من إخواني"⁽¹⁾.

انبرى أحمد سكيرج للدفاع عن الطريقة والرد على ابن باديس الذي اعتبره مهدم الطائفة التجانية، وكتب في ذلك كراسا، وقد نقله راديو موندريال ووكالة هافاس حيث وصفا سكيرج بأنه من حملة الأقلام"⁽²⁾.

بل إن ابن باديس اشتط في الحكم على التجانيين معتبرا الطريقة معولا لهدم الإسلام، دعيا إياها إلى تنقية مکتوباتها مما نسب إلى الشيخ التجاني: "لهذه وغيره نقول أن الطريقة التيجانية ليست كسائر الطرق في بدعها، والمشاهد اليوم من أضرارها، ودعنا من حديث ماضيها بما فيه، بل هي طريقة موضوعة لهدم الإسلام تحت اسم الإسلام، فإن كتبها وأقوال أصحاب صاحبها مطبقة على هذه الأفكار وأكثر منها فلا تجد في كتبهم ما هو خالص منها حتى يمكن أن يكون هو الأصل وأن غيره مدسوس، وإنك لتجد هذه الكتب محل الرضى والقبول والتقدیس عند جميع أتباع الطريقة عالمهم وجاهلهم، ولو كان عالمهم بالكلمة المنسوبة إلى صاحب الطريقة، والله أعلم بصحة نسبتها: "زنوا كلامي بميزان الكتاب والسنة"- لأعدموا تلك الكتب أو حرموا على جماعتهم قراءتها أو حذفوا منها هذه الكفريات والأضاليل، وأعلنوا البراءة منها للناس لكن شيئا من ذلك لم يقع. وإنما يطنطنون بتلك الكلمة قوليا، ويقرون تلك الكتب وما فيها علميا، وماذا يفيد القول مع التقرير والعمل، ولهذا رغم من كان في هذه الطريقة من أناس مشهورين بالعلم كالشيخ الرياحي⁽³⁾ فإن الحالة هي الحالة وتلك الكفريات والأضاليل فاشية منتشرة في أتباع الطريقة إلى اليوم"⁽⁴⁾.

وممن أسهم في الحملة ضد التجانيين من المغاربة تقي الدين الهلالي، وكذا محمد الحجوي، الذي كتب مقالا في الرسالة للزيات ضد التجانية بعدما ورده سؤال من ألبانيا عن الطريقة، ونقل رأيه ابن باديس الذي قال بأنه جمجم ولم يصرح باعتبار مركزه- وزير للمعارف بالمغرب-، ورد عليه سكيرج متهما إياه بأنه "مهدم الطائفة التجانية".. فرد عليه ابن باديس: "هل رأيتم آثار قللمه في نصرة حق أو مقاومة باطل أو إعلان فكرة أو تقرير مبدأ أو توجيه شعب. غير ما يسوده من صحائف في طريقته الضالة من الكلام المعاد فيستدر بها أتباعها المنومين"⁽⁵⁾.

وعلى ذات المضممار هاجم الملي التجاني في الكشف ورؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة، وقال بأن التجاني: "اختصر الإسناد، وادعى أنه تلقى طريقته من خاتم الأنبياء من غير واسطة"⁽⁶⁾، واتهمهم بالتحلل من

(1) وحملت الشهاب على بعض أقوال التجانية في الشهاب، ع (ربيع الأول 1353-جوان 1934)، ج 10 ص 331.

(2) البصائر، ع 155 (3-3-1939)، ص 1. وانظر تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 340.

(3) إبراهيم الرياحي التجاني شيخ الإسلام بتونس، وقد سبقت الترجمة له في الباب التمهيدي.

(4) البصائر، ع 155 (3-3-1939)، ص 1. آثار ابن باديس، مرجع سابق، ج 3 ص 148.

(5) البصائر، ع 155 (3-3-1939)، ص 1. وقد انتقد الإبراهيمي الحجوي في أرجوزة -ربما ضاعت- جاء فيها:

وهذه صواعق من حجوي--- مرسله على الفقيه الحجوي. انظر الزركلي، الأعلام، ج 6 ص 96. ونقل الرشاد بأن الحجوي أيد الزوايا وقطع جبهة العلماء. انظر الرشاد، مقال "جمعية العلماء تنقض غزلها بيدها"، ع 31 (30-1-1939)، ص 3.

(6) الملي، رسالة الشرك، مرجع سابق، ص 287.

الرسوم لأن الشيخ ضمن لهم الجنة يوم النظرة ، وهو: "اليوم الذي وقف فيه الشيخ التجاني بعد أن جمع أحبابه على ربوة قرب عين ماضي، ووضع على رأسه قطعة ذهبية لكي يرى من بعيد، ونادى في الجموع بضمآن الجنة لمن رآه سبعة أجيال"⁽¹⁾.

وناقش المليي التجانيين في منعهم الانتساب لغيرهم، وأن الرجوع عنهم ردة في معرض رده على رسالة" تنبيه الناس على شقاوة ناقضي بيعة أبي العباس"⁽²⁾، وكذا في دعوى اختصار السند الصوفي بدعوى تلقيه من غير واسطة⁽³⁾.

وهناك موقف آخر لاستمالة التجانية إلى الصفوف الإصلاحية عن طريق التأكيد على الروح السنيّة لدى الشيخ أحمد التجاني، فالزاهري كتب مقالا مميزا "هل كان الشيخ التجاني وهابيا"، واستثمر فيه بعض الدلائل على تقارب فكرتي الطريقة التجانية والحركة الوهابية في نبذ البدع والخرافات وفلكور الزيارات، ومن تلك الدلائل التي ساقها، أن التجاني حجّ وعرف أفكار القوم في الحجاز، ويقال إنه راسل عبد الله بن سعود، وأن مرسوله مات في الطريق، وأن كلا الرجلين ناهضا حكم الأتراك، وأنه كان يحبذ الدعوة الوهابية وينظر إليها بعين الغبطة والرضا، ونحن لا ندرى مصادر الزاهري في هذا سوى أنه جاور بالأغواط سنين عديدة، وهي معقل الطريقة.

لكن الدلائل القوية على ما ذكره هو سيرة المولى سليمان سلطان المغرب التجاني ووفده العلمي الذي أرسله إلى الأمير عبد الله بن سعود، ورسائله في الرد على صوفية زمانه كما قال السلاوي⁽⁴⁾.

كما طرح فرضية أخرى في رفض المولى سليمان لدعاوى المشيخة التي أنكرها التجاني كثيرا، ولذلك قام المولى سليمان بسجن للشيخ محمد العربي الدرقاوي الذي تأمر مع أهل فاس ضده، وقد وجد المولى سليمان في شيخه التجاني نصيرا لأرائه ضد متصوفة الوقت، لأن التجاني منع من زيارة الأولياء ليس خوفا من منافسه الدرقاوي ولكن منعا للبدعة، فضلا عن كونه جزائريا لا يُخشى منه عصيان⁽⁵⁾.

ولكننا لا نعدم فتاوى وآراء مؤيدة لبعض أطاريح التجانية في إمكانية رؤية النبي يقظة كما هو الأمر في فتوى الشيخ السعيد أهلول الورثاني⁽⁶⁾، بل إن القضية تكاد تكون محل إجماع من المتصوفة، ولم نعدم رأيا من الزاهري الذي فسر القضية بأنها ضرب من الاستحضار في المخيلة لغلبة الشوق والحب، وأنها خيال في خيال⁽⁷⁾ بدليل عدم ادعاء أحد من الصحابة رؤيته يقظة، وقد أنكر الزاهري دعاوي خدمة الرسول لبعض الأولياء بزعمهم.

(1) المليي، رسالة الشرك ومظاهره، ص 297. والنقل فيه تجنّ، وليس هناك ما يفيد جمع الناس في عين ماضي لهذا الغرض.

(2) الكتاب للحاج عبد الله أنياس (1846-1922) وهو من البيت التجاني المشهور بالسنغال، وهو شاعر ومفسر وقاض.

(3) المليي، رسالة الشرك ومظاهره، ص 293. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 240.

(4) جريدة الصراط السوي، أبو يعلى "الوهابيون سنيون حنابلة" ونقل فيه كلام الوزير الحجوي الذي انتصر للوهابية إلا في قضية تكفير المتوسل، وقال بأن المولى سليمان قبل الدعوة الوهابية، جريدة الصراط، ع 3 (9-25-1033)، ص 3. ع 5 (16-10-1933)، ص 4.

(5) جريدة الصراط السوي، ع 7 (30-11-1933)، ص 4.

(6) فضلاء، الشيخ السعيد أهلول الورثاني، مرجع سابق، ص 305.

(7) جريدة الصراط السوي، مقال "إلى زيارة سيدي عابد"، ع 8 (6-11-1933)، ص 4.

ب- العلاوية: حملت الصحافة العلاوية هم الانتصار للطرق الصوفية، والمسلك الروحاني في الإسلام، وملئت جرائدها ومجلاتها بعدد المواضيع في هذا المبيع، واستنجدت بما ثبتته الصحافة المشرقية في هذا المضممار، وأزرها كتاب عديدون من الجارتين تونس والمغرب، ومن هذه النماذج المقالية: "التعريف بالتصوف والدفع عنه" لمحمد بيرم⁽¹⁾، ومقال "حول حقيقة التصوف" لكاتبها الشهير محمد بن قدور⁽²⁾.

ولم تكن الجريدة منغلقة على آراء ومواقف المؤيدين للدرس الصوفي، فكانت في بعض الأحيان تورد مقالات وآراء مخالفة لمشرها أو مسلماتها، وقد كتب فيها إصلاحيون أمثال السعيد أبو يعلى الزواوي حول فوائد الصيام⁽³⁾.

ولكن أقلام الإصلاحيين تناولتها بالزبر والنكير حول قضايا الحلول، والغلو في الشيخ، واستحياء مذهب ابن عربي والترويج للفرق المخالفة، والتفسيرات الجديدة للقرآن، واعتماد لغة الشطح، والتقارب مع الديانات الأخرى.

المطلب الثاني: مسائل من الجدل العقدي والصوفي.

اشتعل الحقل الديني في الثلاثينيات بالخلاف حول الموروث الصوفي وقضايا الولاية والكرامة والتوسل والقراءة على الأموات، إذ شغلت هذه القضايا الدوائر العلمية، وحتى الشعبية، ومن أهم قضايا الجدل المثار ما يأتي:

1-كرامة الأولياء:

القضية التي كان الطرقيون يهتمون الإصلاحيين بإنكارها، وكانت أكثر الأسئلة والمجادلات حولها، في حين يصر الإصلاحيون على إثبات الكرامة لكنهم لا يتوسعون في التصديق بالمرويات، وكانوا ينقدون أوهام العامة فيها، واستعانتهم بالأولياء كمقالات: "يا رجال الدالة نساء ورجالة"، "يا أهل التصريف حر ووصيف"، والذي يدل عليه أن أغلب الأسئلة التي وجهت لابن باديس في رحلته لتأسيس شعب الجمعية وزيارة الزوايا حول التوسل والكرامة والولاية⁽⁴⁾، وهو ما يدل على الهزة التي أحدثها الإصلاح في الأوساط الطرقية.

ولأجل ذلك أطل الميلي النفس في مواضيع الولاية، وخلاف الأشاعرة في الكرامة، وضوابطها، ونقل أوهام العامة في ذلك وتنافس أهل الطرق في نسبة الخوارق لساداتهم، وعضد آرائه بنقول من رسالة محمد عبده في التوحيد⁽⁵⁾. ولأمر ما اتهم الطرقيون الإبراهيمي باسترداد أقوال المعتزلة في نفي الكرامات⁽⁶⁾.

(1) البلاغ، ع 37 (9-23-1927)، ص 1.

(2) البلاغ، ع 230 (12-28-1933)، ص 2.

(3) البلاغ، ع 243 (1-15-1932).

(4) الشهاب، ابن باديس "رحلتنا إلى العمالة الوهرانية" (ربيع الثاني 1351-أوت 1932)، ج 8 ص 449.

(5) الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، مرجع سابق، ص 128-132.

(6) البودليبي، إمطة اللثام، ج 1 ص 13.

في حين كان الطريقيون يتوسعون في الكرامات، ويحشدون كتبهم بنقول واسعة من ذلك، وعمدتهم ما ألفه الشعراي أو النبهاني في "جامع كرامات الأولياء"، في حين فإن الشيخ كان يحبذ الكرامة المعنوية القلبية، ويرى بأن الحسية مثل الحيض المطلوب اعتزاله لتشويشها على الولي⁽¹⁾. وهو قول المتصوفة الأوائل.

2- التوسل:

يصطّف أغلب الإصلاحيين في رفض كثير من أشكال التوسل والاستغاثات الشائعة بالأولياء والصالحين، وأهم رجل قرر قواعد التوسل وتوسط فيه هو ابن باديس، الذي قال بشرعيته في تعليقه على حديث الضير: "و (الباء) في بنبيك وفي إني توجهت بك هي باء الاستعانة، والمستعان به هو السبب الحاصل للمستعان عليه ولذلك جعل بعضهم باء الاستعانة من باء السببية، فالنبي- صلى الله عليه وآله وسلم- مستعان به على السؤال أي على نجاح السؤال بحصول الشيء المسؤول من الله تعالى، ومستعان به على التوجه بمعنى القصد أي على نجاح ذلك القصد بحصول المطلوب منه تعالى فهو متوصل به إلى نجاح السؤال ونجح القصد، وكل ما يتوصل به إلى الشيء يقال فيه وسيلة إليه، فالسؤال به توسل به، فيمكن أن تسمي هذه الباء باء التوسل، وهي الداخلة على ما هو وسيلة في حصول شيء،" بل إنه أجاز التوسل بالنبي حيا وميتا حيث قال: "ثم إنه توسل بذاته بحسب مقامه عند ربه، وهذا على الوجه الأول من الوجهين المتقدمين في فصل التراكيب أو توسل بدعائه، وهذا على الوجه الثاني منهما، فمن أخذ بالوجه الأول قال يجوز التوسل بذاته، ومن أخذ بالوجه الثاني قال إنما يتوسل بدعائه، ثم ان من أخذ بالوجه الأول فهذا الدعاء حكمه باق بعد وفاته كما كان في حياته، ومن أخذ بالوجه الثاني لا يكون بعد وفاته، لأن دعاءه إنما كان في حياته لمن دعا له. فالوجهان المتقدمان- كما ترى- هما مثار الخلاف في جواز التوسل بذاته وعدم جوازه، فمن أخذ بالوجه الأول جوز، ومن أخذ بالثاني منع"⁽²⁾.

يدافع الصوفيون بمختلف طرائقهم عن التوسل بالأحياء والأموات وخاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم والشيخ الصالحين، ويدبجون المقالات في ذلك في البلاغ وغيرها⁽³⁾، فترد الشهاب بنشر تعقيبات على استدلال الطريقين بحديث الأعمى⁽⁴⁾. وتقتصر التوسل بالذات النبوية الشريفة، ونجد الحافظي الصوفي يتساق مع الإصلاحيين في رفض بعض أشكال التوسل، وعلى الرغم من هذا تنشر له البلاغ مقال "كرامة الأولياء حق، والتوسل بدعة"⁽⁵⁾، ونشرت له الشهاب مقال "تحريم القول في إبطال التوسل والاستعانة بالأولياء"، ولكنه بعد ترؤسه لجمعية علماء السنة عدل عن بعض أرائه، مما جعل جريدة السنة تنشر سلسلة مقالات في تناقضاته بعنوان "الحافظي قبل التروؤس وبعده"⁽⁶⁾.

(1) البلاغ، محمد العربي بن صالح، نبذة من أحوال الأولياء، ع 82 (17-8-1928)، أضاميم المد الساري، ج 2 ص 75.

(2) آثار ابن باديس، ج 2 ص 189. وانظر الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، مرجع سابق، ص 202.

(3) البلاغ، د ح بلخضر "يعظكم الله أن تعودوا لمثله"، ع 284 (23-12-1932)، ص 2.

(4) الشهاب، (ع دي القعدة 1350- مارس 1932)، ج 8، ص 159.

(5) البلاغ، ع 350، (11-3-1932). ايت علجت، نفسه، ص 84.

(6) جريدة السنة النبوية، ع 6 (6 محرم 1352هـ)، ومقال الشهاب نشر في (15-10-1931) قبل الانقسام.

بل إن الطريقين استدعوا ابن القيم وابن تيمية في التدليل لأرائهم بتصرف الأرواح وسماع الأموات في البرزخ، وأن حياة الأنبياء والأولياء في القبور مقطوع بها، وأن الله أعطى للأولياء مواهب ليست لغيرهم⁽¹⁾. وقد امتدت معارك التوسل إلى تونس والمغرب والحجاز، إذ لم تنقطع المناظرات بين الوهابيين والطريقين، ونقلت البصائر أن أحدهم أفحم الشيخ عبد المجيد عثمانى شيخ طولقة بالحرم المكي في هذا النقاش⁽²⁾.

3- زيارة الأولياء:

من القضايا التي سالت بها أقلام الإصلاحيين النكير على المظاهر الفلكورية والبدع المستحدثة عند قبور الأولياء، فالعقبي يكرر النكير على ما يراه بدعا شرعية، ويدعو إلى "الهجوم على البدع القبورية والشموع والاختلاط والخرق وتعظيم الأشجار"⁽³⁾. وكان الإنجيل الذي يكافح الإصلاحيون هو "رسالة الشرك ومظاهره". ومن جملة المواضيع المتكررة في الصحافة الإصلاحية أحاديث النبي عن البناء على القبور⁽⁴⁾. فضلا عن الإنكار المتعدد في مقالات عديدة حول بدع الوعدات كما هي مقالات الزاهري المتسلسلة حول "وعدة سيدي عابد" الذي اتهمها بنشر الاختلاط ومنكراته، وقال عنها بأنها: "معرض عظيم للخزي والفضحة، إباحية تامة في الأعراض والحرمان، كل ذلك تقربا إلى الله وطاعة للأولياء"، وعمم الأمر على كل الوعدات خلا "وعدة وهران" كما قال⁽⁵⁾، بل وأشاد بهدمها تأسيسا بالوهابية⁽⁶⁾، وكتبت صحف الجمعية مشيدة بفعل الشيخ علي بن مسعود في الأوراس الذي قطع شجرة أم الخيوط⁽⁷⁾، وكتب زهير الزاهري منددا بوعدة سيدي عمار بقائمة للزاوية العمارية التي شبه طقوسها بالهندوسية⁽⁸⁾. في حين يرد الطريقون باستقامة الوعدات ونفي ما يشاع عن الاختلاط فيها⁽⁹⁾.

استعان الإصلاحيون ببعض آراء الصوفية المقتصدين، فمما نشرته الشهاب خطبة للسلطان سليمان العلوي (وهو تجاني الطريقة) ضد البدع والخرافات والتصفيق والرقص والاختلاط⁽¹⁰⁾. ومن الغريب أن يتوافق التجانيون والإصلاحيون على استنكار بدع زيارة الأولياء وقبور الصالحين.

ومن البدع التي هاجمها الإصلاحيون دعوات الحج الأصغر في سيدي خالد، أو في تلمسان التي شاع فيها أن من صلى أربعين جمعة في العباد عند ضريح أبي مدين الغوث، ثم أقام وليمة، فكأنه أدى فريضة الحج⁽¹¹⁾.

(1) الإخلاص، مقال "توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية"، ع 51 (1934-1-3)، ص 5. ع 52 (1934-1-17)، ص 3.

(2) البصائر، ع 116 (1938-5-3)، ص 6، والمقال لحاج جزائري اسمه ابن عبود محمد الطاهر.

(3) جريدة السنة، العقبي، مقال "السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين"، ع 7 (1933-5-22)، ص 4.

(4) الشهاب، (ع شوال 1351 - فيفري 1933)، ج 9 ص 79.

(5) جريدة الصراط السوي، ع 6 (1933-10-23)، ص 6، وع 8 (1933-11-6)، ص 4، ع 12 (1933-12-4)، ص 4، ع 13 (1933-12-11)، ص 4-5.

(6) الشريعة، مجلس الحجاج، ع 5 (1933-8-16)، ص 4.

(7) الشريعة، داعية السنة في جبل الأوراس، ع 2 (1933-7-24)، ص 4.

(8) جريدة الصراط السوي، ع 9 (1933-11-19)، ص 4.

(9) ابن عبد الحكم، المرأة الجليلة، (في وصف وعدة زاوية سي الأحوال بوادي الخير بغليزان) ص 289.

(10) الشهاب، (ع ربيع الثاني 1355 - جويلية 1936)، ج 12 ص 204.

(11) جريدة الصراط السوي، ع 1 (1933-9-11)، ص 3. وذكر ذلك العشعاشي في السلسلة الذهبية، مرجع سابق، ص 75.

أما الطريقون، فقد هالهم الحملة، فانبروا يدفعون عن شرعية الزيارة، ومن الذين أسهموا في نقض حجج الإصلاحيين الشيخ علي البودليمي العلوي، فقد نشرت له البلاغ مبكراً حول الموضوع⁽¹⁾. وكذلك الشيخ الرابحي الذي دافع عن النذور والزردات في المقابر، ورد عليه محمد بن قدور بأن ما يحدث أشبه بسيرك عمار من حيث سوق البهائم المنذورة من الأحواش بالبنادير والتبراح والزغاريد⁽²⁾. وكذلك أفتى الشيخ السعيد أهلول بشرعية الزيارة الخالية من البدع: "أما زيارة الأحياء والأموات من الصالحين إذا سلمت من محرم أو مكروه كاجتماع النساء مع الرجال والاعتقاد أن الولي المزار يتصرف تصرف الإله فلا ينكرها إلا من كان محروماً من بركاتهم، مطروداً من عنايتهم، فكيف وهم الوسيلة بيننا وبين الله تعالى"⁽³⁾.

ولم يكن الطريقون كلهم مع بدع القبور، فالعلويون ينكرونها، وقد ذكر المدني أن: "جريدة البلاغ الغراء رغبت في جمعية العلماء النظر في أحوال الاحتفالات التي تقع على بعض الأضرحة، ويحصل بها اختلاط الرجال والنساء، وغير ذلك مما شأنه أن يفتك بالأخلاق، ويحط بالسمة القومية وبالدين في آن واحد"⁽⁴⁾. حتى أن مدير جريدة البلاغ أبدى نكيره في عنابة على الاختلاط الواقع بجامع سيدي إبراهيم، ودعا: "رجال الدين أن يزيلوا هذه الوصمة الشنيعة عن بلدتهم، ويبقوا الفضيلة صافية حسب الآداب الشرعية في الزيارة وغيرها"، وقدم نكيره على تهافت المسلمين على زيارة كنيسة بونة، كتهافتهم على زيارة قبور الأولياء⁽⁵⁾.

4- فضل صلاة الفاتح:

استمر النقاش حول فضل صلاة الفاتح التي يدعي بعض التجانيين أن ثوابها يعادل ستة آلاف ختمة من القرآن، وكان عمر بن قدور قد وجه القضية في ردوده على محمد رشيد رضا، ثم جاء ابن باديس فوجه نداء إلى العلماء ومنهم صديقه البشير النيفر إلى وجوب مراجعة مقالات التجانية، ومنها: أن صلاة الفاتح ليست من كلام الله، وأنها ليست مثل الصلاة الإبراهيمية، وأن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - لم يعلمها لصاحب طريقتهم، وأنه لا فضل له ولا لأتباعه إلا بتقوى الله. وقال بأن: "من لم يصح بهذا باء بوزره ووزر الهالكين من الجاهلين وكان عليه إثم الكاتمين"⁽⁶⁾، وذلك في تعليقه على مقال في الرسالة للزيات حيث ورد سؤال من ألبانيا لمحمد الحجوي، فأجاب بجواب غير واضح في مجلة الرسالة، وقد ورد تقرير محمد بن العربي العلوي من المغرب لرسالة ابن باديس في إنكار فضل صلاة الفاتح: "فالذي أدين الله به واعتقده هو ما سطره سيدنا العلامة المشارك الدر النفيس السيد عبد الحميد بن باديس، لأنه مؤسس المبنى صحيح اللفظ والمعنى، لم يبق فيه قول لقائل، ولا تشوّف لمراجعة مجيب أو سائل"⁽⁷⁾.

(1) البلاغ، ع 306 (1928-8-17).

(2) البصائر، ع 57 (1937-3-5)، ص 6.

(3) فضلاء، الشيخ السعيد أهلول الورثاني، مرجع سابق، ص 215.

(4) المدني، الجزائر، ص 467. وانظر مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، مرجع سابق، ص 268.

(5) البلاغ، ع 169 (1930-6-20)، رحلات جزائرية-طرقية، ج 3 ص 48.

(6) الشهاب، ع (رجب 1357 - سبتمبر 1938)، ج 14 ص 395. آثار ابن باديس، ج 3 ص 151.

(7) حماد القباج، حياة شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي، مرجع سابق، ص 165. آثار ابن باديس، مرجع سابق، ج 3 ص 171.

وممن دخل المعركة الإبراهيمي متهكما: "إذا كان هذا القرآن متعبدا بتلاوته اللفظية وهو ستون حزبا فإن تلاوة انجيل التيجاني القصير وهو صلاة الفاتح مرة واحدة تعدل ستة آلاف ختمة من القرآن، وإذا كان القرآن قد شرع الغزو وهو من أحمر الأعمال وأشقها، فإن تلاوة هذا الإنجيل التيجاني مرة واحدة تعدل آلاف الغزوات، وهي لا تقوم إلا على حركة اللسان من غير اقتحام للميدان، ولا تعرض للرمح والسنان، وإذا كان القرآن يفرض الحج وفيه ما فيه من مصاعب ومتاعب، فإن انجيل التيجاني تعدل تلاوته آلاف المرات من الحج ومئات الآلاف من الصلاة كما هو منصوص في كتب التيجاني وكتب أصحابه. فأى تعطيل للقرآن أعظم من هذا؟ وأي تهوين لشعائر الإسلام ونقض لحكمها أكبر من هذا؟ وأي تزيين للتفلت من تلك الشعائر يبلغ ما يبلغه هذا الكلام من مثل هذا الدجال؟

اللهم إننا نعلم بما علمتنا أن دين التيجاني غير دين محمد بن عبد الله. وأنت تعلم أي دين هو، فضعه حيث تعلم وعامله بما يستحق، أما والله ما بلغ الموضوعون للحديث، ولا بلغت الجمعيات السرية ولا العلنية الكائدة للإسلام من هذا الدين عشر معشار ما بلغته منه هذه الطرق المشؤمة"⁽¹⁾.

وقد ردت جريدة لسان الدين على ما تسميه افتراءات الإبراهيمي على التيجاني في فضل صلاة الفاتح، ونقلت ردود التيجانيين بأن الكلام في عدل الثواب على فرض أنها ليست من كلام القديم، قائلة بأن الدين لا يؤخذ ممن دينه دين الماسونية والصهيونية⁽²⁾.

وفي هذا فإن بعض التيجانيين ينكر هذا القول المنسوب للشيخ، ويعتبرونه مدسوسا في كتبه، وبعضهم يعتبر مزية صلاة الفاتح لا تعني أفضليتها⁽³⁾، والمهم أن الموضوع ظل مثار جدل واسع من الإصلاحيين وبعض الطريقين على التيجانية.

4- ضرورة الشيخ والتسليك:

ناقش الإصلاحيون ضرورة وجود الشيخ المرادي الطريق الصوفي، واتهموا صوفية الوقت بنقص أهلية التربية، ومما قاله الإبراهيمي: "قلنا لهم إذا كان سلفكم في الطريقة يعملون مثل أعمالكم فهم مبطلون مثلكم، وإذا كانوا على المنهاج الشرعي فليسوا بطريقين، ونحن نعلم من طريق التاريخ لا من طريق الشهرة العامة أن بعض أصحاب هذه الأسماء الدائرة في عالم التصوف والطرق كانوا على استقامة شرعية وعمل بالسنة ووقوف عند حدود الله. فهم صالحون بالمعنى الشرعي، ولكن الصلاح لم يأتهم من التصوف أو الطرق وإنما هو نتيجة التدين، وفي مثل هؤلاء الصالحين الشرعيين إنما نختلف في الأسماء، فنحن نسميهم صالحين المؤمنين وهم يسمونهم صوفية وأصحاب طرق، فيا ويلهم إن طريقة الإسلام واحدة، فما حاجة المسلمين إلى طرق كثيرة"⁽⁴⁾.

(1) آثار الإبراهيمي، "فلسفة جمعية العلماء" سجل الجمعية (1935)، الآثار، ج 1 ص 174.

(2) البودليعي، إمطة اللثام عما نشأ في الحاضرة التلمسانية، ج 1 ص 55. لسان الدين، ع 45 (18-1938)، ص 5، ونقلت كلام الحافظ التيجاني المصري بأن المقالة مكذوبة على التيجاني، وأن لا ذكر أفضل من القرآن الكريم.

(3) الرشاد، محمد عالي الشنقيطي العلوي "جواب"، ع 35 (20-1939)، ص 2. ع 36 (27-1939)، ص 2.

(4) آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 174.

وتعجب الإبراهيمي متهكما بإنقاص مدة الخلوة المتعارف عليها بأربعين يوما عند العلويين: "كيف نقصوا من مدة الخلوة، ولم ينقصوا من مدة الخدمة، كيف نقحوا مراحل التربية الخلوية لمعرفة الله بثلاثة أيام تتبعها أشهر وأعوام في انقطاع لخدمة الشيخ في سقي الشجر ورعي البقر وحصاد الزرع وبناء الدور، مع الاعتراف باسم الفقير، والاقتصار على أكل الشعير"⁽¹⁾، والحقيقة أن الطرق تختلف في المدة والعدة اللازمة من الذكر والصيام في هذا المسلك الصوفي، وأن خدمة الزاوية ومرافقها ومزارعها وأوقافها من صميم عمل المريدين المتفرغين لخدمة الطريقة وأحبائها.

5- البيعة الصوفية:

ثار النقاش حول شرعية البيعة التي يأخذها الشيوخ من المريدين، والتي تتم بأشكال وضع اليد في اليد، أو على المصحف، أو غمس اليد في إناء واحد لمريدات في بعض الطرق، والتي يستدل لها الطرقيون بأية مبايعة النبي للنساء كما في سورة الممتحنة، فينبري الملي للرد عليهم بقوله: "أن هذه الآية - آية سورة الممتحنة-خلاف ما يفهمه الجاهل من أهل هذا الزمان الذين يستبيحون مبايعة النساء بما يعطونهن من الأوراد، ويستندون في هذا إلى هذه الآية الكريمة، والحقيقة أنهم لم يعرفوا من سنة رسول الله شيئاً"⁽²⁾.

ويحكي التبسي أنه شغل بهذه القضية أثناء حلوله بخنشلة: "فجمع الله بيننا أمام قهوة عربية، فجاذبتهما الحديث في شؤون، منها إعطاء العهود الموجودة بيننا من رؤساء الطرائق، وتحديد الأذكار للأمة على هذا الوجه بدعة لا يعرفها السلف، ولا يقبلها الشرع، فزعم أن هذه العهود وما لف لفها قد نقلت عن الحسن البصري⁽³⁾. وقال: إن "مسألة كمسألة العهود وتحديد الأذكار ووضع الطرائق للأمم ليس بسر من الأسرار حتى يمتاز بها الحسن، ومحال أن يفعل شيئاً لم يتلقه عن قبله ولو فعله من قبله- والمسألة لها خطرهما- لنقلت شائعة ذائعة كما هي الآن وهذه الكتب الصحاح التي غيرت رجالها وفحصت أخبارها لا يوجد فيها ما يصلح أن يكون دليلاً أو شبه دليل" ويرد غيره بأن البيعة على الطاعة والالتزام مشروعة، وأنها تشبه بطائق الانخراط والالتزام المالي عند الآخرين.

6- أشكال الذكر:

وهي المسألة التي يتجدد النقاش فيها حول بعض أوضاع الذكر الجماعي في الحضرات والعمارات الصوفية، أو بالاسم المفرد "الله" في خلوات البعض، فقد نشرت الشهاب نقاشاً مبكراً حول الذكر بالاسم المفرد عند العلويين: "الرد على القول المعتمد في مشروعية الذكر بالاسم المفرد"⁽⁴⁾، وهذا في بداية النزاعات داخل الجمعية بين الطرفين قبيل الانقسام.

(1) آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 171.

(2) جريدة الشريعة، ع 6 (21-7-1933)، ص 6.

(3) التبسي، بدعة الطرائق في الإسلام، ص 6.

(4) الشهاب (ع شوال 1350- فيفري 1932)، ج 8 ص 123.

أخذت قضية الذكر بالاسم المفرد حظها من النقاش بالقول ببدعيتهما كما يقول الإصلاحيون⁽¹⁾، أو جوازها كما يدافع العلويون، وفي هذا يقول العلوي: "وبمناسبة ما دار بيننا من الحديث، في تلك السويغات التي رأيتمكم فيها موغر الصدر على إخوانكم العلويين، حسبما لاح لي في ذلك الحين، لا لذنوب ارتكبوها سوى أنهم مولعون بإجراء الاسم المفرد على ألسنتهم، وهو قولهم: (الله)، فظهر لكم أن ذلك مما يستحق عليه العتاب، أو نقول العقاب، لأنكم قلتم إنهم يلهجون بذكر ذلك الاسم بمناسبة أو غير مناسبة، سواء علمهم في الأزقة، أو غيرها من الأماكن التي لا تليق للذكر، حتى أن أحدهم إذا طرق الباب يقول: (الله)، وإذا ناداه إنسان يقول: (الله)، وإذا قام يقول: (الله)، وإذا جلس يقول: (الله)، إلى غير ذلك مما جرى به الحديث"⁽²⁾.

ومن حيادية الشهاب في هذا الموضوع المحتمل للاجتهاد أنها كانت تنشر الآراء المتعارضة للنقد والمقارنة، فقد نشرت مقالا للشيخ يوسف الدجوي الصوفي في بدع الذكر، ورفض الدفوف والشبابات والمعازف⁽³⁾، كرفض لبعض التقاليد الطرقية في الحضرات، ولم تخل أعمدة الجرائد الإصلاحية من نقل ملحوظات ومراسلات أنصارها في بدع الذكر في المساجد، كما هو الشأن في "جامع بلوط" ببني يعلى بالقبائل الصغرى، والذي كان الطريقون يحيون فيه حضراتهم كل ليلة جمعة بالاختلاط كما ذكرت جريدة السنّة⁽⁴⁾.

المطلب الثالث: مسائل من الجدل الفقهي.

وعلى غرار العشرينيات امتلأت الصحف المختلفة بالنقاش حول بعض المستجدات الفقهية، ومنها:

1- ثبوت الهلال فلكيا:

واعتماد الحساب بدلا عن الرؤية، وهو ما كتب فيه الحافظي كثيرا، وهو الفلكي الخبير في البلاغ مقالات عديدة⁽⁵⁾، وممن كتب فيه أرزقي الشرفاوي "هلال رمضان وطريقته الشرعية والفلكية"⁽⁶⁾. وقد سعت الجمعية إلى انتزاع الشرعية من الهيئة الرسمية، فندبت شعبها إلى تحري الهلال من أجل توحيد الصوم والإفطار، وذلك في رمضان (1353) وهو ما كان من صيام أكثر القطر عدا العاصمة⁽⁷⁾، وأكملت هذه السيرة، واصطدمت مع الهيئة الرسمية مرات أخرى⁽⁸⁾، خاصة وأن الجزائريين لم يكن لهم كبير ثقة

(1) نشرت المرصاد ردا مشفوعا بقصيدة هجائية على قصيدة نشرت البلاغ في الهجوم على ابن باديس في تضعيفه لحديث الأئنين وغيره من الأحاديث الضعيفة التي أوردها الشيخ العلوي. انظر المرصاد، مقال "هذه بتلك وإن عدتم عدنا"، ع 8 (26-2-1932)، ص 2. المرصاد، مقال "لقد هزلت"، ع 10 (18-3-1932)، ص 1.

(2) ابن عليوة، القول المعتمد في مشروعية الذكر بالاسم المفرد، ص 6.

(3) الشهاب (ع شعبان 1353 - نوفمبر 1934)، مج 10 ص 590.

(4) جريدة السنّة، ع 12 (1 ربيع الأول 1352 هـ - 26-6-1933)، ص 7.

(5) البلاغ، ع 528 (5-9-1942).

(6) نشرها محمد الصالح الصديق في كتابه عن الشرفاوي، انظر تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 81.

(7) الثبات، ابن باديس "بيان وسؤال في هلال رمضان وشوال"، ع 34 (4-1-1935)، ص 3.

(8) الشهاب (ع ذو القعدة 1355 - جانفي 1937)، مج 12 ص 524. البصائر ع 55 (12-02-1937). وأشار بن نبي في مذكراته إلى انقسام الشارع التبسي بين رؤية الجمعية ورؤية الإدارة: "فتطلق الحكومة من طرفها التعليمات التي يكون أثرها في الغد تقسيم الأمة إلى شطرين من مفسطين وصائمين" انظر مذكرات شاهد القرن، مرجع سابق، ص 347.

بالرسميين، فيما عَبر عنه الإبراهيمي (متى كانت بوزريعة مصدرا للشرعية)، مع العلم أن رؤية وادي ميزاب كانت محل خصومة كبيرة في ثبوته بالهاتف من عدمه أيضا بين الإصلاحيين والمحافظين، وكثيرا ما ثارت بينهم النزاعات وانقسام وادي ميزاب بين مفطر وصائم بسبب قبول الهاتف من عدمه⁽¹⁾. وأما علماء الطرقيين في جمعية السنّة، فقد التزموا بعدم التدخل وتركوا الأمر للدولة والقضاء والإفتاء⁽²⁾. بل وهاجموا ابن باديس متهمين إياه بإسقاط يوم أو يومين من رمضان (1351)، وأنه أوكل أمر الأمة إلى جماعة السجائر وترك الصلاة من أتباعه⁽³⁾.

2- ختم الصلوات بالأذكار:

وهي من القضايا التي جرى فيها جدل كبير ونقاش طويل، وكان الالتزام بها أو تركها علامة على هيمنة الإصلاح أو الطرقية، ففي وصف لبجاية سنة (1938) يقول أحدهم: "وقد دبت عقارب الإصلاح حتى في خيام البادية ومداسرهم، ولم يجدوا من الإصلاح إلا للتعرض لقراءة القرآن على الأموات، وتشجيع الجنائز بكلمة لا إله إلا الله، وإلغاء الباقيات الصالحات عقب الصلوات"⁽⁴⁾.

بل إن الأمر تعدى إلى المكتوبات الأدبية، ففي مقالة "على طريق التلفون" مناظرة خيالية بين إصلاحي وصوفي، حيث كان نعي الأول على الاستغفار جهرا عقب الصلوات⁽⁵⁾. في حين كتب الطرقيون كثيرا في استحباب ختم الصلوات بالذكر والباقيات جهرا، وكذا الدعاء الجماعي عقبها⁽⁶⁾.

وقد راسل الطرقيون الجامع الأزهر في شرعية الذكر والدعاء الجماعي عقب الصلوات، فكان الجواب في مجلة نور الإسلام الأزهرية الذي أعادت جريدة البلاغ نشره على صفحاتها لأنه مؤيد لرأي الطرقيين⁽⁷⁾. كما نشرت مقالات مؤيدة من الشام وغيرها لرأي الطرقيين في شرعية الذكر الجماعي عقب الصلوات⁽⁸⁾.

وترد الجمعية في الدعاء أثناء الجمعة بفتوى العربي التبسي- رئيس لجنة الفتوى: "أما رفع الأيدي في تلك الساعة للدعاء، فأما للمأموم فممنوع، لأنه نوع من الانفضاض حول الإمام، وإعراض عن الإنصات الواجب، وترك له وحده يخطب، وكل ذلك تضيق للخطبة، وتفويت لحكمتهما، والغرض منها .. وأما رفع الإمام يديه للدعاء في خطبة الجمعة فقد اختلف الفقهاء في جوازه وكراهته، وليس مع المجيزين غير أقيسة لا معنى لها"⁽⁹⁾.

4- القراءة على الأموات:

(1) النجاح، إبراهيم بيوض "مسألة التلفون، إلى الحاقق وناصر الباطل ومبشر وارجلان"، ع 1838 (12-8-1936)، ص 1.

(2) النجاح، عبد الحفيظ الهاشمي، "احتفال جمعية علماء السنّة"، ع 1403 (08-01-1933)، مذكرة جمعية علماء السنة الجزائريين، ص 42.

(3) المعيار، مقال "رئيس جمعية العلماء وهلال رمضان"، ع 1 (18-12-1932)، ص 3.

(4) لسان الدين، اللوي بن مراد، "شوامخ الجبال"، ع 57 (28-7-1938)، رحلات طرقية، ص 128.

(5) جريدة الليالي، ع 15 (10-01-1937) نقلا عن محمد ناصر، الصحف العربية، ص 226.

(6) البودليعي، إمطة اللثام عما نشأ في الحاضرة التلمسانية من الشكوك والأوهام، مرجع سابق، ج 1 ص 24.

(7) البلاغ، ع 321 (15-12-1933). ايت علجت، صحف التصوف الجزائرية، نفسه، ص 89.

(8) البلاغ، الذكر عقب الصلوات المكتوبة لمحمد بن الحاج التلمساني، ع 256 (17-5-1932)، ع 254 (13-5-32).

(9) البصائر، ع 138، (4-11-1938)، ص 2.

وهي المعركة الحامية بين الطرفين، فالطريقيون يعتبرونها من العوائد الحميدة، ومواساة لأهل الميت، ويعتبرها الإصلاحيون بدعة، ومطية للتكسب والاسترزاق من الأئمة والحزابين، وفي تهكم الإصلاحيين نقراً: "قال العلامة الأزرع: إنكم لجاهلون أتريدون منع كتابة الحروز في الغرام والهيام، إنكم لأضل من الأنعام، وما بقي لكتبة الحروز إذا أغلقتكم هذه الكنوز، الأولى أن تتركوا كتابة الحروز على ما هي عليه، وتمنعوا القراءة على الجنائز، وإن غضبت العجائز، فقام ابن أبي فقال: إنك لصبي، أتريد حرماننا من الأكل الشهي كلما مات فقير أو غني، وقبضنا دريهمات معدودات، مقابل بعض الآيات"⁽¹⁾.

ويكتب الطريقون في جوازها، ومن ذلك "مشروعية قراءة القرآن على الجنائز والاستئجار عليها"⁽²⁾، وتأتيهم الفتوى من سوريا حول "جواز القراءة على الجنائز وانتفاع الميت بها"⁽³⁾، ويذكر المليي بأن أغلب حديث المجالس كان حول المسألة، وأن أغلب الأسئلة في الزيارات هو في وصول الثواب، وقد فصل رأي المتوسط فقهاء في رسالته⁽⁴⁾. ومن كتب فيها بتأصيل من مدونات المذهب المالكي أبو يعلى الزواوي⁽⁵⁾

شغلت المدن والقرى بالقضية، فحصل الانقسام في دلس وبرج أم نائل التي اتهم الطريقون فيها العقبي وأنصاره ببث الفرقة حول "الأمشاج الصادر من بعض الطلبة المعاصرين في السنن بالبدع، وتشديد النكير على الذاكرين لله، والقارئ كلامه القديم سواء خلف جنازة أو غيرها كقراءة الأحزاب والأدعية أفذاذا وجماعات"⁽⁶⁾.

توسعت المعركة مغاربا بين ابن باديس وشيخه الطاهر ابن عاشور شيخ الإسلام في مقاله العاصف "شيخ الإسلام يقاوم السنة، ويؤيد البدعة، ويغري السلطة بالمسلمين"⁽⁷⁾، وذلك حين أفتى ابن عاشور: "وحيث فتكون قراءة القرآن في تلك المواطن إما مكروهة وإما مباحة غير سنة، فتكون مندوبة في جميعها وإما مندوبة في بعضها دون بعض" ورد عليه ابن باديس -منتقداً تغيره عن خط الإصلاح العبدوي الأول الذي كان عليه ابن عاشور قبل تقلده القضاء- فقال: إذا كان ترك القراءة هو السنة، فالقراءة قطعاً بدعة".

واشترك الفضيل الورثاني في المعركة، فرد على ابن عاشور في جواز أو كراهة القراءة على الجنائز⁽⁸⁾، وأسهم الإبراهيمي أيضاً بمقال عاصف هو "أشيخ الإسلام هو أم شيخ المسلمين"⁽⁹⁾، كما نشرت البصائر رسالة للمكي

(1) الليالي، ع 15 في (10-01-1937) عن محمد ناصر، نفسه، ص 226.

(2) لسان الدين، ع 18 (30-شعبان-1355)، آيت علجت، مرجع سابق، ص 189.

(3) البلاغ، ع 256 (27-5-1932)، مقال "قراءة القرآن قبل الموت وبعده" البلاغ، ع 269 (2-9-1932).

(4) المليي، رسالة الشرك ومظاهره، ص 291.

(5) المرصاد، أبو يعلى "القراءة على الجنائز ورفع الصوت خلفها ليس من فعل السلف"، ع 3 (15-1-1932)، ص 2.

ومقال "القراءة على الجنائز"، ع 9 (4-3-1932)، ص 1.

(6) البلاغ، الطيب بن الطاهر، "الحق أحق أن يتبع"، ع 274 (14-10-1932)، أضاميم، مرجع سابق، ج 2 ص 255.

(7) البصائر، ع 17 (1-5-1936)، ص 1، وما بعدها في الأعداد 18 (8-5-1936)، ع 19 (15-5-1936)، ع 25 (26-6-1936)، ع 27 (10-7-1936)،

ع 28 (17-7-1936)، ع 29 (24-7-1936). آثار ابن باديس، مرجع سابق، ج 3 ص 91. وانظر عبد اللطيف الهرماسي، المجتمع والإسلام والنخب

الإصلاحية في تونس والجزائر، مرجع سابق، ص 321.

(8) الشهاب (ع صفر 1355 - ماي 1936)، ج 12 ص 95. قسم المباحثة والمناظرة.

(9) البصائر، ع 20 (22-5-1936)، ص 1، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 221.

بن عزوز حول بدع الجنائز وقراءة القرآن على الأموات ووساطة الشيوخ⁽¹⁾. في حين ظل الطرقيون يدبجون المقالات في انتفاع الإنسان بعمل الغير لما هناك من الشواهد من القرآن والسنة⁽²⁾. واشترك الطرقيون أيضا في نقد بعض فتاوى ابن عاشور نحو فتوى إباحة الدخان⁽³⁾ الذي يتهم الطرقيون خصومهم بالتساهل فيه، وأنهم أحلاس المقاهي، وتاركي الجماعات كما هو الشائع في أدبيات الفترة.

5- حمل الجنائز بالهيللة والذكر:

من الخلافات الشديدة حمل الجنائز بالهيللية والتكبير وقراءة البردة، فقد دافع عنها الطرقيون، وحصلت مشادات في الجنائز بسبب ذلك، بل صار البعض يتحدى ويثبت الوجود بإقامة هذه الطقوس، كما جاء في وصف ساكنة وهران: "إن سكانها يشيعون جنائزهم بالهيللة، ويقرؤون القرآن على موتاهم وإن مع وجود المصلحين من بين ظهرانهم"⁽⁴⁾، وقد نشرت البصائر فتوى بإبطال ما يسمى بالفدية، وهي جمع الطلبة لقراءة الهيللة سبعين ألف مرة وقراءة القرآن للميت حتى تُكفّر عنه ذنوبه⁽⁵⁾.

وفي خضم تلك الخصومات نشرت جريدة لسان الدين مقالا تحت عنوان "المصلحون يحاربون لا إله إلا الله"⁽⁶⁾، ونقلت فيه تعرض جنازة مرت في تلمسان لاستهزاء وسخرية أنصار الإبراهيمي، ورد الإبراهيمي بمقال حول تشييع الجنائز بعنوان "إما سنة وإما بدعة"، وهاجم بقوة أنصار العلويين، ومما قاله فيهم: "ما تعرضك لما سميتاه صاحب نادي طنجة ومحششة نهج" لا مورسيير، فإنه في غير محله من مقال تنافحين فيه عن "لا إله إلا الله"⁽⁷⁾.

وكانت تلمسان وأحوازا ميدان لخصومات الجنائز حتى أن الزاهري أيام انقلابه كتب في الوفاق⁽⁸⁾ مقال "الجنائز المسروقة" والتي يحملها بعض الإصلاحيين خلصة قبل موعدها حتى لا تشيع بالبردة والهيللية، وأن خصومات كثيرة صاحبت ذلك، بل وحصل أن تدخل الدرك الفرنسي في تسيير بعض الجنائز الإسلامية⁽⁹⁾.

وفي بني صاف كادت تقع مقتلة بين الطرقيين وخصومهم لولا حنكة الشيخ العباس بن الشيخ الحسين. وتكررت ظاهرة الانقسام في الجنائز، فبعض الطرقيين كانوا ينصرفون منها حال مخالفة العوائد في رفع الذكر والهيللة كما حصل في قصر البخاري⁽¹⁰⁾. وتبع ذلك هجوم إصلاحي على الزردات الفردية أو الضرائحية التي

(1) البصائر، ع 68 (1937-5-21)، ص 1. المرصاد، بوزيدي لحسن "القراءة على الجنائز"، ع 11 (1932-3-25)، ص 2.

(2) الرشاد، مقال "الانتفاع بعمل الغير ثابت بالكتاب والسنة والإجماع"، ع 16 (1938-9-13)، ص 1. النجاح، "تأييد فتوى شيخ الإسلام التونسي، عالم ينقض ترهات ابن باديس الصنهاجي"، ع 1853 (1936-5-24)، ص 1.

(3) لسان الدين، مقال "كتاب مفتوح إلى شيخ الإسلام في تونس في إباحة الدخان"، ع 44 (1938-1-3)، ص 6. ع 41 (15 رمضان 1355)، ص 3.

(4) لسان الدين، ع 47 (1938-3-2)، رحلات جزائرية-طرقية-، ص 159.

(5) البصائر، ع 59 (1937-3-19)، ص 6، وقد أشار الورتلاني إلى أن أهل التلازمة أبطلوا بدعة "الفدوة" الشهاب، ع (صفر 1353-1934)، ج 10 ص 299.

(6) لسان الدين، ع 22 (30 شوال 1355).

(7) البصائر، مقال "إما سنة وإما بدعة"، ع 56 (1937-2-19)، ص 4. انظر آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 289.

(8) البودليعي، إمطة اللثام عما نشأ في الحاضرة التلمسانية من الشكوك والأوهام، ج 1 ص 57. الوفاق، ع 4.

(9) مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان، ص 339. حيث قسم محافظ الشرطة الطريق قسمين، صامت ثم بالذكر.

(10) جريدة الصراط السوي، ع 15 (1933-12-25)، ص 7.

يقيمها الطريقون، ولم يقف الهجوم الإصلاحي للزردات على الطريقين فقط، بل تعداهم إلى خصومهم السياسيين عندما قام بن جلول بزردة كبيرة في قسنطينة، فحرمت الجمعية ذلك، وقالت إن الرجل وقف للإسلام وتعاليمه القيمة وقفة الجبار العنيد⁽¹⁾.

6- البناء على القبور:

دافع الطريقون عن شرعية بناء القباب، تكريما للصالحاء، واعترافا بفضلهم، وربط الناس بشواهد حسية عن وجودهم مستصحبين الواقع الموجود منذ قرون، أما الإصلاحيون فكانوا على النقيض من ذلك، بل وتماهوا مع الأطاريح الوهابية، ففي مقال عاصف للسنوسي بعنوان "الحافظي كما هو بين القواعد"، الذي قال محرضا على الجمعية محرشا "خذوهم فغلوهم"، فرد عليه بقوله: "الشيخ الإخلاصي: "ونزه اليهود والنصارى خصوصاً الذين تعلموا وثقفوا أن يعبدوا القبور وأن يعظموها تعظيم الألوهية.....فإن الجراءة التي تطبع بها ابن باديس البالغة به حد لعن المسلمين والنصارى واليهود الذين يبنون مساجد وقببا على القبور هي التي حملتنا على أن نسمعه بهذه الحقائق"⁽²⁾. وممن كتب طويلا في موضوع البناء على القبور ابن قشوط في الإرشاد⁽³⁾

وممن أسهم في المعركة الفتى الزواوي "باعزيز بن عمر" والذي كتب سلسلة مقالات عن عوائد القبائل، وحمل على البناء على القبور انطلاقا من فتاوى المالكية في مقالاته "التغليط والتخليط آفة في الدين والاجتماع"⁽⁴⁾. ولكن الإصلاحيون لم ينكروا زيارة القبور مطلقا، وإنما نهوا عما يلابسها من التمسح والاستغاثة والذبح، بدليل تجديدهم الزيارة لقبر ابن باديس في ذكراه، وعندما سافر الإبراهيمي لباكستان زار قبر مؤسسها محمد علي جناح⁽⁵⁾.

7- الزردة والوعدة:

وهي مجال إنكار كبير من رجال الإصلاح وخاصة الميلي الذي هاجمها في مواضع من رسالة الشرك، وقال بأن لها ثلاث درجات، في النظر، فإما أنها شرك كعتائر أهل الجاهلية، أو معصية ينهى عنها لما فيها من المناكر والاختلاط، أو مستحسنة لما فيها من التزاور ومواساة الفقراء، ومفاسد هذه الأخيرة كثيرة من التبذير وضياع الأخلاق والدين، وشواهد ذلك مشهورة، والواجب إبطالها لأنها أعراس للشيطان، ومراتع للفجور" وأضاف منكرا عل المتعللين بجوازها تبعا لنيات أصحابها: "قد يقول الجامدون والمغرضون: إنا نحكم بالظواهر والله يتولى السرائر، وقد ظهر من حال الذابح أنه ذكر اسم الله، فلا نبحت عن نيته الباطنة! فنقول لهم: أولا: إن المفتي لا يقتصر دائما على الظواهر؛ ففي الأيمان والطلاق مسائل تنبني على النية والقصد، ويختلف حكمها باختلاف النية مع اتحاد اللفظ، بل تقدم قريبا الاستناد إلى النية في حكم الذبائح عن علي وغيره.. وثانيا: إن

(1) البصائر، ع 61 (2-4-1937)، ص 3. والمقال لبلقاسم بن أوراق الكاتب العام للجنة الدعاية بالجمعية.

(2) الشهاب، (ع ربيع الأول 1352- جويلية 1933)، ج 9، ص 362. ومقال الحافظي بالإخلاص، ع 33.

(3) ابن قشوط، كتاب الإرشاد إلى سبيل الرشاد، مرجع سابق، ص 272.

(4) جريدة السنة النبوية، ع 8 (4 صفر 1352هـ/ 29-5-1933)، ص 7.

(5) البصائر، ع 194 (23-6-1952)، ص 1، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 4 ص 50.

من السرائر ما تحف به قرائن تجعل الحكم للنية ولا تقبل معه الظواهر، وذبائح الزردة من هذا القبيل؛ فإن كل من خالط العامة يجزم بأن قصدهم بها التقرب من صاحب المزار⁽¹⁾. وعاضده ابن باديس في تلك الحملة قائلا: يقولون "زردة سيدي فلان" والذين يسمون الزردة طعاما كما في بعض الجهات يقولون "طعام سيدي فلان يكون يوم كذا" وفعلهم لها عند ذبحهم قبره، ونسبة الغيث لصاحب الضريح... والخوف من حلول المصائب عند نكوصهم عن آدائهم⁽²⁾. وكذا نال النكير الإصلاحي زيارات الأشجار المقدسة (البطم، الزيتونة، الدردارة.. إلخ) التي تعقد فيها الخيوط وتقام عليها الوعدات، بل إن بعضهم استعمل القوة في قلعها كما فعل المسعود بن علي الذي حطّم شجرة "أم الخيوط" بالأوراس⁽³⁾، كما كتب الإصلاحيون عن بدع الاستسقاء بالزردات وما فيها من بدع الطبل والزم⁽⁴⁾. ولم نجد ردودا من الطرفين حول هذا، إذ كان بعضهم يتوافق مع الإصلاحيين في إنكار هذه التقاليد الشعبية.

8- المولد النبوي الشريف:

من القضايا الفرائد التي توافق الإصلاحيون والطريقيون على شرعيتها والإشادة بها، والتباري في الاحتفاء بها، من باب تمتين الحصانة الدينية، والرد على الكيد التبشيري. ولذلك كلما حل موسم المولد تبارت الأقلام من الطرفين في الحديث عن السيرة النبوية، والإشادة بالمقام المصطفوي، ولدينا عشرات المقالات والأشعار والقصائد المولدية في هذا الميدان، ويكفي بأن الجمعية كانت تحيي المولد النبوي الشريف، وهذا ابن باديس يقول: "بسم الله الرحمن الرحيم، وعلى اسم الجزائر الرّاسخة في إسلامها، المتمسكة بأمجاد قوميتها وتاريخها. أفتتح الذكرى الأولى بعد الأربعمئة والألف من ذكريات مولد نبي الإنسانية ورسول الرحمة سيّدنا ومولانا محمّد بن عبد الله عليه وعلى آله الصّلاة والسّلام. في هذا النّادي العظيم الذي هو وديعة الأمة الجزائرية عند فضلاء هذه العاصمة ووجهائها. لسنا وحدنا في هذا الموقف الشريف لإحياء هذه الذكرى العظيمة، بل يشاركنا فيها نحو خمسمئة مليون من البشر في أقطار المعمورة كلّهم تخفق أفئدتهم فرحا وسرورا وتخضع أرواحهم إجلالا وتعظيما لمولد سيّد العالمين"⁽⁵⁾، وقد اقترح العمودي أن يسمى عيد المولد بعيد الإسلام، وذلك في احتفال حاشد لمدرسة الشبيبة بنادي الترقى بالعاصمة⁽⁶⁾. بل إن البصائر دعت إلى إنشاء نشرية خاصة بأدب المولديات، وذلك استجابة لكثرة القصائد والخطب والرسائل المنهالة عليها من القراء والمبدعين⁽⁷⁾.

(1) الملي، رسالة الشرك ومظاهره، ص 257.

(2) آثار ابن باديس، ج 3 ص 79. وانظر آثار إبراهيمي، ج 3 ص 319 مقال "أعراس الشيطان"، البصائر، ع 95 (14 نوفمبر 1949)، ص 1.

(3) جريدة الشريعة، ع 2 (24-7-1933)، ص 5.

(4) البصائر، ع 111 (29-4-1938)، ص 3.

(5) آثار ابن باديس، ج 3 ص 507. مجالس التذكير من أحاديث البشير النذير، مرجع سابق، ص 285. وله قصيدة مولديه ألقاها في حفل المولد الذي أقامته مدرسته التربية والتعليم بقسنطينة في (10-6-1937)، وهي منشورة في ذات المصدر، ص 308.

(6) البصائر، ع 69 (28-5-1937)، ص 7.

(7) البصائر، ع 166 (19-5-1939)، ص 3.

وتماهي الإبراهيمي أيضا في هذا "ونحن نحتفل بالمولد فنجلي فيه السيرة النبوية، والأخلاق المحمدية، ونكشف عما فيها من السر، وما لها من الأثر في إصلاحنا إذا اتبعناها، وفي هلاكنا إذا أعرضنا عنها، ففي احتفالاتنا تجديد للصلة بنبيّنا في الجهات التي هو بها نبيّنا نحن ونحن فيها أمته"⁽¹⁾، وكذلك مبارك الميلي حيث يحكي ولده محمد الميلي في مذكرات "زمن البراءة" بأن والده كان يشتري الشموع والمفرقات، وقيم حفلة ليلة المولد. كما أن صحف الجمعية كانت تنشر الخطب الطوال بالمناسبة، ويمكن قراءة نموذج لذلك فيما نشر تباعا من "الخطب البونية في الذكرى السنوية للمولد سنة (1352هـ)⁽²⁾، كما احتفل ابن باديس بالمولد النبوي في بجاية واحتفى به شباب جمعية الرياضة البجائية⁽³⁾.

ونقرأ في الصحافة الطرقية مقالات كثيرة في المولد، للشيخ العلوي: "الاحتفال بالمولد النبوي الشريف"⁽⁴⁾. ومقال "محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق على الإطلاق، لقدور بن محمد الأغواطي⁽⁵⁾، و"ذكرى المولد النبوي وإحياء ليلته، للحافظي⁽⁶⁾، ومقال "الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون" لعبد الله بن عبد الله من الرباط بالمغرب⁽⁷⁾.

9- الصلاة خلف الأئمة الرسميين:

في خضم منع الإصلاحيين من الخطابة في المساجد الرسمية، وممالة بعض الرسميين للإدارة في هذا، وحيث أن كثيرا منهم كانوا من الطرقيين أو أنصارهم، فقد كتبوا في شرعية الصلاة خلف الأئمة الرسميين ردا على بعض فتاوي الإصلاحيين، ومن هؤلاء الذين استماتوا في الدفاع الشيخ علي البودليمي العلوي، الذي كتب مقالا "إلى مطروح لضربات القلم السيل"⁽⁸⁾، وحشد فيه من الأدلة الكثير لتبرير رأيه الفقهي. وأزره الشيخ الهاشمي من وجدة الذي رد على الإبراهيمي في هذا⁽⁹⁾.

كما شغلت الساحة بقضية تعدد الجمعة في القرى، وذلك عندما انزوى العلويون بإقامة جمعة لهم في غير مسجد قنزات العتيق⁽¹⁰⁾، وهو ما أشعل سيلا من الردود المتبادلة، ولم تكن القضية بالنازلة الجديدة، فقد سبق أن تراسل الشيخ أبو القاسم البوجليلي مع شيخ الأزهر في ذات النازلة، حيث توافقا على جواز بناء

(1) آثار الإبراهيمي، ج 2 ص 341. وأيضاً مقال المولد في ج 1 ص 315.

(2) جريدة الشريعة، ع 5 (14-8-1933)، ص 7.

(3) البصائر، ع 116 (3-5-1938)، ص 4.

(4) البلاغ، ع 299 (30-6-1933).

(5) البلاغ، ع 319 (1-12-1933). أيت علجت، نفسه، ص 90.

(6) البلاغ، ع 319 (1-2-1933). أيت علجت، نفسه، ص 90.

(7) البلاغ، ع 27 (8-7-1927). أيت علجت، نفسه، ص 90.

(8) مجلة الذكرى، ع 1 (15-12-1954) عن أيت علجت، نفسه، ص 150.

(9) البودليمي، إمالة اللثام عما نشأ في الحاضرة التلمسانية، مرجع سابق، ج 1 ص 17. والرد في لسان الدين، ع 34.

(10) لسان الدين، "المسجد الجديد بقنزات، مسجد الأعراف"، ع 19 (15 رمضان 1355)، ص 2. البصائر، ع 56 (19-2-1937)، ص 8، وانظر

أيضا فتوى السعيد أهلول الورتلاني، مرجع سابق، ص 283.

المسجد الثاني إذا ضاق الأول⁽¹⁾، ومن بعده كتب الفقيه المنور بن البشير رسالة "انحسام الريق في حلق من أنكر الجمعة في بلدة سيق" سنة (1344) وقرظها معاصره أبو عبد الله البيطوي⁽²⁾.
والحقيقة أن الجدل كثر أواخر الثلاثينيات ثم اشتد في الأربعينيات، لأن بعض هؤلاء الرسميين كانوا يتقلدون دور المستشارين للإدارة فيما يتعلق بالشؤون الإسلامية، مما حدا ببعضهم بنعتهم بـ "الإكليروس الإسلامي"⁽³⁾.

10- تعدد صلاة العيد:

جرت عادة الطرقيين في بعض المناطق بصلاة العيد في زواياهم، كعين البيضاء التي كان فيها القادرية والعلاوية⁽⁴⁾، مما دفع إلى البحث في شرعية ذلك، وأبطل بعض الأئمة الصلاة في الزوايا، فكتب بولحيال⁽⁵⁾ (أبو رشيد) "المحلى في مشروعية الخروج إلى المصلى"، ودعا إلى أفضلية الخروج والصلاة في مكان واحد، ووقعت سجلات بينه وبين العربي قشوط الذي رد عليه في جريدة النجاح⁽⁶⁾. مع العلم أن كليهما من المحافظين.
ومن العادات التي هاجمتها البصائر المسابقة بتقبيل الإمام بعد الصلاة بدعوى أن فاعل ذلك يسبق إلى الجنة⁽⁶⁾، وهو ما كان يسبب فوضى وصراع وشنآن داخل المساجد صبيحة كل عيد.

11- كراء الأسواق:

شغلت الساحة أيضا بالخلاف حول كراء الأسواق، وهو مكس محرم، أم كراء مقابل منفعة، فرأى الطرقيون بأنه مكس حرام لا يجوز، كما ورد في جريدة الإخلاص الطرقية⁽⁷⁾، وترد الشهاب عليها برد من قبل الحسن بن القاضي التاجر بصدوق بجاية، وأن ذلك من المصالح وليس مكسا محرما⁽⁸⁾. ووجدنا عند السعيد أهلول الورثاني تأييدا لفتوى ابن باديس بأن كراء الأسواق من الإجارة لا من المكس، وأن المؤجر يمتلك منفعة المكان، والمقصود هو البقعة وليست المبيعات⁽⁹⁾. وقد سرت فتوى ابن باديس، وانتفع بها عديد التجار الذين كسروا احتكار اليهود للأسواق كما هو الأمر في تلمسان⁽¹⁰⁾.

(1) تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5 ص 596. عمار طالي، "أبو القاسم البوجليلى"، ملتقى الفكر الإسلامي 15.

(2) بن بكار، مجموع النسب، مرجع سابق، ص 57. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 84.

(3) علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، ص 193.

(4) بولحيال، المحلى في مشروعية الخروج إلى المصلى، ذاكرة الجزائر، مرجع سابق، ج 4 ص 95.

(5) النجاح، سؤال فقه، ع 1437 (1933-4-19)، ص 2. جواب عن سؤال فقهي، ع 1450 (1933-5-24)، ص 3. جواب عن سؤال فقهي، ع 1452

(1933-5-28)، ص 3. البلاغ، ع 295 (1933).

(6) البصائر، ع 15 (1936-4-17)، ص 6.

(7) دعا الحافظي إلى المناظرة في قضايا المكوس ومراتب العبادة وبناء المساجد والقبب على القبور، انظر جريدة الإخلاص، ع 18 في مقال "نداء من

جمعية علماء السنة"، البلاغ، ع 292 (1933-5-12)، ص 3.

(8) الشهاب (ع ذو القعدة 1351 - مارس 1933)، ج 9 ص 164 و ص 209.

(9) فضلاء، الشيخ السعيد أهلول الورثاني، مرجع سابق، ص 406.

(10) مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان، مرجع سابق، ص 271.

12- دفع الزكاة للزوايا والجمعية:

ثارت في هذا نقاشات واتهامات بكون الجمعية تأخذ الزكاة، وصار يطلق عليها تنذرا بجمعية العشور، وكتب التبسي فتوى بذلك لامزا الآخرين: "إذا كان أولئك الفقهاء قد حبسوا جهودهم وعلومهم وحياتهم للجهاد في سبيل الإسلام، ونشره، والدفاع عنه، أما فقهاء السوء طلاب الدنيا فإننا لا نقول بجواز أخذهم من الزكاة"⁽¹⁾. وقد سبق لابن عليوة فتوى في منع منح الزكاة للزوايا إلا بشرط بيان المصرف الفقهي الشرعي المنصوص عليه في آية مصارف الزكاة.

وأصدر الطرقيون فتوى بعدم إعطاء الزكاة لمدارس الجمعية لأنها من غير المصارف المنصوص عليها⁽²⁾.

13- الزواج بالرببية:

وهي المسألة التي أفتى بجوازها أرزقي الشرفاوي إذا كانت كبيرة ولم تكن في حجر الزوج، مما جر عليه نقودا كثيرة من طريقي القبائل الذين هالهم الفتوى، وأفتوا بانحرافه، بل وهددوا بقتله⁽³⁾. ونشرت لسان الدين مقالا عاصفا ضده قائلة بأنه "فتح بابها في زماننا للعصريين ليحوزوا منصب المشيخة عند العوام ويشار إليهم بأنهم أرباب الاجتهاد..... ونقول نكاح الرببية حرام"⁽⁴⁾.

المطلب الرابع: الجدل الفكري.

حفل عقد الثلاثينيات بنقاش عريض بين الفريقين في عدة قضايا فكرية، بعضها متعلق بالقضايا الوطنية، وبعضها بالعالمية، وأكثرها متعلق بالقضايا الدينية والنهضوية، ومن أهمها ما يأتي:

1- نقد التاريخ الجزائري للميلي:

اهتم الطرقيون بمكتوبات ميلي، وهالهم لغته القاسية عليهم في رسالة الشرك، فانبروا لنقد كتابه في التاريخ بالتنقيص من قيمته العلمية، فقد كتب الصادق ميلي مقالات متسلسلة في جريدة الرشد للنقائص والأغلاط الواردة في الكتاب، وكذلك فعلت جريدة البلاغ والرشد⁽⁵⁾، حيث لم يحمدا ميلي صنيعه التاريخي للجزائر، بسبب الشنآن الحاصل من الهجوم على التقاليد الطرقية في رسالة الشرك ومظاهره.

2- التجنيس:

تقاربت مواقف الإصلاحيين والطرقيين من رفض التجنيس، وكونه منافيا للعقيدة الإسلامية، ومهددا للهوية الجزائرية، فقد حملت البلاغ العلوية حملة شديدة على أدعياء التجنيس، ولمحت إلى سقوط بعض الإصلاحيين في هذا الشرك الاستعماري، وجاء في أحد مقالاتها: "أصبحنا نسمع في قطرنا وممن ينتهي إلى العلم من أبناء ملتنا أنه لا بأس أن يترك الإنسان جنسيته... وليس هذا مما يتعذر القول به على من يستطيع التجرؤ

(1) البصائر، السلسلة الثانية، ع 119 (15-5-1950)، ص 2. والسؤال ورد من قرية تافسة بوماد بميشلي.

(2) البودليعي، إمطة اللثام عما نشأ في الحاضرة التلمسانية من الشكوك والأوهام، ج 1 ص 57.

(3) للشرفاوي فتوى في الزواج بالرببية. مقابلة مع الشيخ محمد صالح الصديق يوم (11-3-2023)

(4) لسان الدين، مقال "جواب عن سؤال الرببية"، ع 48 (17-3-1938)، ص 8. ع 44 (3-1-1938)، ص 3.

(5) آيت علجت، صحف التصوف الجزائرية، ص 125. وحتى المدني انتقد ما فيها من غلو فاحش، انظر حياة كفاف، مرجع سابق، ج 2 ص 44.

في دين الله، فيحلل ما حرمه، ويحرم ما حلله، ولولا أن الحديث الشريف أنبأنا بظهور علماء فسقة يفعلون مثل هذا الفعل، ويقولون مثل هذا القول لارتبنا في أمرنا..⁽¹⁾.

بل إن الحافظي يستنكر إرغام الناس على التجنيس، ويعتبره من الردة: "الذين يعقلون معنى التجنيس وعلاقته بالدين، وأنه لا يبقى هناك إسلام من التجنيس، فهم يتبرؤون منهم براءة الذئب من دم ابن يعقوب، يفضلون أن يبقى لهم دينهم، وهو أعز عزيز عليهم، وكفى"⁽²⁾.

ويتهم الحافظي دعاة التجنيس بالوهن الحضاري أمام فرنسا: "والذين ضيعوا عزة الله وضاعت منهم العزة وهي في متناول أيديهم، وفي إمكانهم الحصول عليها أصبحوا يتطلبونها بطريق التجنيس عليهم أن يكونوا أعزاء مثل الذين يلحقون بهم وينتسبون إليهم في عزتهم، ولكن الله سبحانه وتعالى مكر بهم ورد كيدهم في نحورهم بجعلهم أذلاء وأذنانا للذين حاولوا المساواة بهم في عزتهم، فإن القانون الآن اعتبر التجنيس في درجة متوسطة بين الأهلي غير المتجنس وبين الفرنسي الأهلي، فالفرنسي الأصلي أكبر مقاما من المتجنس المتفرنس وهذا أقل منه بكثير، بل الأدهى والأمر أن المسلم التجنيس المتفرنس أقل شأنًا من اليهودي والاسبنيولي والطياني والمالطي المتجنس المتفرنس"⁽³⁾.

وكذلك فإن العقبي وبعد تردد سابق في الموضوع انتهى إلى تحريمه بالشكل الموجود في شمال إفريقيا، واعتبره ردة وكفرا قائلا: "التجنس بمعناه المعروف في شمال إفريقيا حرام، والإقدام عليه غير جائز وجه من الوجوه، ومن استحل استبدال حكم واحد من أوضاع البشر، وقوانينهم بحكم من غير أحكام الشرع الإسلامي، فهو كافر مترد عن دينه بإجماع المسلمين، لا يرجع إلى دائرة الإسلام وحظيرة الشرع الشريف، حتى يرفض رفضا باتا كل حكم وكل شريعة تخالف حكم الله وشرعه المستبين"⁽⁴⁾.

ومن المعلوم أن صوت المتجنسين علا في تلك الأيام، وكان لهم جريدة ناطقة هي الصوت الأهلي التي صدرت منذ (جوان 1929) من قبل ربيع الزناتي⁽⁵⁾.

وصدح ابن باديس بصوته في معارضة التجنيس عندما نشر "حول كلمتنا الصريحة: مناقشة التجنيس، دور فرنسا، فرحات: فرنسا أنا"، وكان موقفه خطأ أحمر للجميع لا يمكن تجاوزه لأنه اعتبر المتجنس مرتدا بالإجماع⁽⁶⁾.

وتبعًا لذلك أصدر ابن باديس فتوى: "التجنيس بجنسية غير إسلامية يقتضي رفض أحكام الشريعة الإسلامية ومن رفض حكما واحدا من أحكام الشريعة الإسلامية عُد مرتدا عن الإسلام بالإجماع، فالمتجنس

(1) البلاغ، ع 304 (21-8-1933). الرشاد، ع 38 (10-4-1939)، ص 3. ايت علجت، مرجع سابق، ص 94.

(2) البلاغ، ع 340 (6-9-1935). ايت علجت، نفسه، ص 94.

(3) محمد الصالح الصديق، أعلام من المغرب العربي، مرجع سابق، ج 1 ص 386.

(4) البصائر، "كلمتي الصريحة في التجنيس والمتجنسين"، ع 77 (30-7-1937)، ص 1.

(5) محمد ناصر، نفسه، ص 233. وقد حصلت حوادث لمنع دفن المتجنسين والمتنصرين في المقابر الإسلامية، ففي قرية إغيل علي ببني عباس هدد حاكم أقبو سكان القرية وأجبرهم على دفن أحد المتنصرين، ولكن السكان عمدوا إلى جثته ليلا فأخرجوها، مما جعل الآباء البيض يدفنونهم، انظر فضلاء، المسيرة الرائدة، مرجع سابق، ج 1 ص 242.

(6) الشهاب (ع ربيع الأول 1355-جوان 1936)، مج 12، ص 173. انظر الهرماسي، نفسه، مرجع سابق، ص 369.

مرتد بالإجماع"، وقال أيضا: "المتجنس بحكم القانون الفرنسي يجري تجنّسه على نسله، فيكون قد جنى عليهم بإخراجهم من حظيرة الإسلام، لا وتلك الجناية من شر الظلم وأقبحه وإثمها متجدد عليه ما بقي له نسل في الدنيا خارجا عن شريعة الإسلام بسبب جنائته"⁽¹⁾، وبالتالي تحريم الزواج من الفرنسيات على الرغم من أنهن كتابيات نظرا لأن الأولاد منهن سيأخذون الجنسية الفرنسية.

وكان ابن باديس يفرق في الحقيقة بين الجنسية القومية والجنسية السياسية، التي تدل على وضع مدني أو سياسي خاص في فترة من تاريخها، وأما الأولى فهي الصفات الاجتماعية والثقافية أي الدينية⁽²⁾. ولكن الجمعية حسمت الأمر نهائيا في فتواها الأخيرة حول التجنس الكلي والجزئي، وصححت ما يشاع عن إباحة محمد عبده له، وقالت بأن رأيه صريح في المنع، وحرّمته بغير المسلمات إذا خضعن لقانون دولهن، كما حرمت في ذات الفتوى استثناء الأحكام الشرعية أمام المحاكم المدنية، وأوجبت التوبة منه، لأنه اعتراض على الحكم الشرعي⁽³⁾.

وكانت المسألة مثار جدل في تونس، ولكن فتوى شيخ الإسلام الطاهر بن عاشور حسمتها فقهيا بالتحريم⁽⁴⁾، وذلك فيما عرف بمحنة التجنيس في القانون الصادر سنة (1910)، وكان يتولى آنذاك رئاسة المجلس الشرعي لعلماء المالكية، حيث أفتى بكفر المتجنس وعدم دفنه في مقابر المسلمين، وتكليفه بإعادة الشهادة.

3- قضية أذان غرداية:

استمرت القضية من نهاية العشرينات، وظلت في الثلاثينيات مجال جدل بين الفريقين، فطرحَت القضية في الشهاب من جديد⁽⁵⁾، وأغلب الكتابات حاولت الإصلاح بين المالكية والإباضية، وفيها بعض تضامن مع إصلاحي الإباضية، إلا أن الأقلام كعّت بسبب أن المرافع الأصلي هم محافظو الإباضية، وهم ذوو تعصب شديد⁽⁶⁾، وكانت القضية محل اتفاق بينهم وبين إصلاحيهم، مما جعل صورة الإصلاح الإباضي تنكسر عند الجار المالكي بسبب السقوط في هذا الامتحان الأول للأطاريح الإصلاحية في وحدة الأمة والتآخي والتعارف الإسلامي، وبسبب نفور تلاميذ المالكية من الانتساب لمعهد الحياة اضطرت الجمعية لانتداب أول معلم منها، وهو الشيخ لخضر الفيلاي لافتتاح أول مدرسة حرة للمالكية بعد الحرب العالمية الثانية.

وأما ابن باديس فقد تألم لمنع المالكية من الأذان، ورجى عقلاء الإباضية إصلاح الوضع، ولكنه وقع بين شقي الرجي، فإبراهيم اطفيش كان حانقا على الشهاب لتناولها للقضية، زاعما بأنها غطت مؤتمرا للمالكية في الأغواط، وهو ما نفتته الشهاب، في حين رأى المالكية بأن الشهاب تحابي الإباضيين لكثرة اشتراكاتهم فيها،

(1) البصائر، ع 95 (1938-01-14)، ص 1. وانظر محمد الطاهر فضلاء، دعائم النهضة الوطنية الجزائرية، قسنطينة، دار البعث، ص 160

(2) آثار ابن باديس، ج 3 ص 352. الشهاب، ع (ذو الحجة 1355 - فيفري، 1937)، ج 12 ص 571.

(3) جريدة البصائر، ع 95 (1938-01-14)، ص 1، وفتوى محمد عبده موجودة في تفسير المنار في سورة النساء.

(4) البصائر، "شيخ الإسلام بتونس يقاوم السنة ويؤيد البدعة، ويفري السلطة بالمسلمين"، ع 16 (1936-4-24)، ص 1.

(5) الشهاب (ع ذو القعدة 1351-مارس 1933)، ج 9 ص 192.

(6) علي مراد، الحركة الإصلاحية الجزائرية، مرجع سابق، ص 272.

وردت الشهاب بأن اشتراكهم لا تتجاوز الثلاثين، ودعا ابن باديس الإباضية لترك الآذان المالكي للأخوة وإصلاح ذات البين⁽¹⁾.

وأما الطريقون فاصطفوا مع المالكية، وهاجمت جريدة البلاغ جريدة المغرب التي يرأسها "تاعموت عيسى"، مما جعل الميزابيين يشتكون البلاغ بواسطة المحامي بوجناح سليمان (الفرقد) للإدارة الفرنسية بتهمة القذف والترويع بمسبة "الخامسي"، ورفعت القضية ضد عمروش لخضر⁽²⁾، وعبد القادر مشتج ويدعى مولاي علي بن عثمان، وحُكم عليهما بخطايا وغرامات⁽³⁾.

والحق أن القضية شغلت الرأي العام، ففي تبسة كان انتقاد الهيئة الدينية ظاهرا لمواقف الإباضيين الذي منعوا تعدد الآذان⁽⁴⁾، وأن ذلك يمسّ بسمعة المذهب الإباضي في إنكاره لتعدد الآذان والمآذن، والصدق بشهادة التوحيد.

وقد تعدت القضية حدود الوطن، فوجدنا شكيب أرسلان يكتب إلى الإباضية والمالكية، ربما بما هو متعلق بقضية الآذان⁽⁵⁾، وطال الجدل إلى عهد متأخر بين البلاغ والإصلاح العقابية، ففيها مقال "الاعتقاد والانتقاد"⁽⁶⁾، والظاهر أنه للحافظي كما قال محقق فتاويه محمد الصالح آيت علجت⁽⁷⁾.

4- الموقف من إلغاء الخلافة الإسلامية:

اتسمت مواقف الإصلاحيين بالتردد حيال إلغاء الخلافة، ووجدنا ابن باديس يشيد بكمال أتاتورك، ولا يأسى على إلغاء الخلافة ذات الأسما البالية: "فيوم ألغى الأتراك الخلافة- ولسنا نبرر كل أعمالهم- لم يلغوا الخلافة الإسلامية بمعناها الإسلامي، وإنما ألغوا نظاما حكوميا خاصا بهم، وأزالوا رمزا خياليا فتن به المسلمون لغير جدوى، وحاربهم من أجله الدول الغربية المتعصبة والمتخوفة من شبح الإسلام"⁽⁸⁾، ونعى في المقال ذاته رغبة بعض علماء الأزهر في المناداة بالملك فاروق خليفة على المسلمين، معتبرا القضية خيالا لن يتحقق.

أما العلويون بالذات فقد هالتهم القضية، وكتبوا يستنكرون إلغاء هذا الوسم الشرعي الجامع لوحدة المسلمين، ففي البلاغ: "لهذا نرى إهمال المسلمين مسألة الخلافة ذنبا عظيما أمام الله والناس، وعدم اعتناؤهم بها عار وشنار، والمنازعة فيها مكابرة، لأن صاحبها الحامل لواءها لا زال موجودا، ولم يرفضها هو، ولم يخلعه منها عموم المسلمين"، واعتبرت تصرف الحكومة التركية فرديا لا يلزم عموم المسلمين الذين دعتهم

(1) الشهاب، ع (شعبان 1349- جانفي 1931) ج 6 ص 843. وانظر حياة كفاح، مرجع سابق، ج 2 ص 319.

(2) ولد بدوار الماين عمارة البيبان الممتزجة، وعمره 39 سنة، بمعنى أنه ولد سنة 1891. الخامس أي المذهب الخامس.

(3) البلاغ، ع 230 (10-16-1931). آيت علجت ص 82. ومولاي علي بن عثمان من بالأغواط.

(4) البلاغ، ع 170 (27-6-1930). رحلات جزائرية-طرقية- ج 3 ص 50. ويستشف من النقاش أن بعضهم استدل بمنع تعدد الآذان في الحرمين وربما كان ذلك عقب دخول الحجاز تحت سلطة آل سعود.

(5) تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5 ص 601. ولم يجزم سعد الله بحقيقة المراسلات.

(6) البلاغ ع 479 (8-3-1940). آيت علجت، نفسه، ص 81.

(7) آيت علجت، الشيخ المولود الحافظي، مرجع سابق، ص

(8) الشهاب، ع (ربيع الأول 1357- ماي، 1938)، ج 14 ص 71. آثار ابن باديس، مرجع سابق، ج 3 ص 410.

إلى استعادتها بأي طريقة ممكنة:" وبالجمله فالخليفة مظهر من مظاهر الإسلام، وعلاقة روحية بين الشعوب المتباينة الألسن والأفهام، فواجب على المسلمين الاعتناء بها وتأييدها بكل ما في وسعهم لإصلاح حاضريهم والمآل⁽¹⁾.

5- الموقف من اليهود والصهيونية:

تقاربت مواقف الطرفين وتطابقت في التحذير من الصهيونية ومحاولاتها الجادة في ابتلاع أرض فلسطين، ووجدنا التحذير يترى من كلا الطرفين، خاصة وأن عقد الثلاثينيات شهد الثورة الفلسطينية التي قادها عز الدين القسام بداية من سنة (1936)، وكانت أصدائها ومجرباتها تنشر في الصحف الجزائرية⁽²⁾، وهو ما يعكس موقفا إيجابيا ينم عن التضامن القومي والديني بين الجزائريين وفلسطين.

6- السفور والحجاب:

وهو من القضايا المهمة التي ثار فيها نقاش بين الإصلاحيين ذاتهم، وبينهم وبين الطرفين، ففي حين دافع بعض الإصلاحيين عن سفور وجه المرأة وخروجها باحتشام واشترك في هذا النقاش بن حلوش وحمزة بكوشة، فقام الطرقيون بنقد وجهة هؤلاء، داعين المرأة إلى الستر والاحتشام وعدم الخروج، وعدم مجارة المدنية الغربية في هذا، والمحافظة على التقاليد الجزائرية، كما هو الشأن في مقال "نقاش حول التبرج الجاهلي" بين البودليمي وابن حلوش⁽³⁾. وقد جمع الدكتور عويمر تلك النقاشات في تراث الحركة الإصلاحية.

ولم يكف الطرقيون عن التنديد بدعوات السفور التي نشطت فيها تلميذات الجمعية، فتكتب لسان الدين متهكمة بالبصائر التي نشرت خطابا للطالبة كلثوم الجيجلية التي أسفرت عن وجهها في الاحتفال⁽⁴⁾، ووجهوا سؤالا للعقبي حول جواز رفع العجار (النقاب)، ولكنه لم يجب حسبهم⁽⁵⁾.

المطلب الخامس: آثار الجدل الإصلاحي الطرقي.

تعددت الآثار الإيجابية لهذا النشاط والجدل في الواقع الجزائري، وبرزت مخرجاته في تغيير الذهنيات وتحريك الأقلام، وقلب الأوضاع الثقافية، ومن تلك الآثار المهمة:

1- تحريك الحركة العلمية:

حيث سالت الأقلام بمداد كبير في النقاش العلمي، وبرزت مقالات ومؤلفات رائدة في هذا، بعد عقود من الجمود العلمي، والضعف التأليفي، ومن تلك المؤلفات ما كتبه الإصلاحيون أو مؤيدوهم من المحافظين في التوجه الجديد نحو تنقية الساحة من البدع، مثل كتاب عيسى عليه الإبراهيمي -الإصلاحي الرحماني:- "الألسنة في الرد على من آمن بالطاغوت وخالف السنّة"، الذي طبع بتونس سنة (1936)⁽⁶⁾، إضافة إلى

(1) البلاغ، ع 234 (1931-11-13). ايت علجت، صحف التصوف الجزائرية، مرجع سابق، ص 96.

(2) محمد ناصر، نالصحف العربية الجزائرية، فسه، ص 204.

(3) لسان الدين، ع 28 (1356-2-15).

(4) لسان الدين، ع 50 (1938-4-16)، ص 6.

(5) لسان الدين، ع 44 (1938-1-3)، ص 7.

(6) فضلاء المسيرة الرائدة مرجع سابق، ج 1 ص 106.

كتابه: "الصوارم والأسنة في نحر منكري العمل بالسنة". أو ما خطه من بعد أحمد بري في كتاب: "نظام علاقة الأحياء بالأموات في الشريعة الإسلامية" والرجل من تلاميذ الإبراهيمي بتلمسان وقد زامله في الدراسة الحسن البغدادي⁽¹⁾، أو ما نشره محررو الجمعية في التأريخ لتلك الفترة مثل أحمد أبو زيد قصيبة، الذي كتب عن جمعية العلماء تاريخها مبادئها وجهادها⁽²⁾. إضافة إلى محررات الجمعية ذاتها في سجلاتها ووثائقها، ومن ذلك المقالة الواسعة: "دفع شبهة ونقض فرية"، والمنشورة في سجل المؤتمر الخامس للجمعية 1935.

2- العودة إلى الأصول وتجاوز التقليد:

وهو ملحظ مهم في تقييم حركة النهضة الإسلامية في التفات الفريقين كليهما لكتب الأصول الأولى وترك المؤلفات المتأخرة التي هيمنت على عهود الانحطاط والتقليد، وهو ما نلاحظه في كتابات ابن باديس والحافظي، بل وحتى الصف الثاني من الفريقين، فصارت أسماء علماء المذاهب الأخرى تتداول وتستعاد من الجمعين، ونماذج ذلك كثيرة ومنها مقال "سوء التفاهم وأثره السيئ في الأمة، مناظرة المصلح والمحافظ" لعمر بن البسكري، وهو المعلم الذي طالع كتب الأمدي والشاطبي وابن تيمية والشوكاني، والذي اقترح مجلات خاصة للقضايا الخلافية، وكتب هذا الحوار الشيق الذي يحجّم الخلاف⁽³⁾.

وفيما نشرته الشهاب أيضا في قسم المباحثة والمناظرة مقال بعنوان: "تكفير أزهرى للمؤمنين بظواهر القرآن وطعنه في ابن حزم وابن تيمية والشوكاني" لرشيد رضا ردا على يوسف الدجوي⁽⁴⁾.

ولم يسلم جامع الزيتونة من ذلك الجدل، وسيطور فيما بعد، إذ ظلت قطاعات من التعليم الزيتوني على ولائها للمحافظة، ففي مقال "داء دفين في جامع الزيتونة" جاء فيه هجوم على بعض الأساتذة الزيتونيين، الذين اتهمهم المقال بأنهم: جاهلون قوميون فيهم شعوبيون، معادون لمحمد عبده"، وأحدهم يخرط سبحة باكورية⁽⁵⁾. وهو جدل لاحق الطلبة الجزائريين المنقسمين بين الإصلاح والطرقية، كما هي إشارات المهدي البوعبدلي في رسالته لوالده بما يوحى بانتقال الصراع إلى جامع الزيتونة بين الطرفين: "إلا أنه فاتهم أن اجتماعنا يضم أغلب أبناء العائلات العظيمة في الجزائر وبالأخص أبناء الزوايا الشهيرة كالتجانية وزاوية الشيخ الحسين القشي وغيرهما"⁽⁶⁾.

3- فن المناظرات:

حيث كان السباق محموما لترجيح الآراء الفقهية المتشكّلة، وفي هذا جدّد الطريقون دعواتهم للمناظرات، وقد أرسلوا للجمعية خطابا بذلك، "أما بعد، فإنكم تعلمون علم اليقين أن ما فكك الأمة المسلمة الجزائرية ومزق

(1) محمد الحسن فضلاء، من أعلام الإصلاح في الجزائر، مرجع سابق، ج 3 ص 176.

(2) محمد الحسن فضلاء، المرجع السابق، ج 3، ص 80.

(3) الشهاب (ع جمادى الثانية 1351 - أكتوبر 1932)، ج 8، ص 562. رد البلاغ عليه، ع 284 (12-23-1932)، ص 2.

(4) الشهاب (ع رجب 1352 - نوفمبر 1933)، ج 9 ص 539. ونشرت البلاغ حوارا للدجوي حول التوسل والاستغاثة، هاجم فيه تعصب الوهابيين في كون هذه القضايا من الشرك، البلاغ، ع 234 (11-13-1931)، أضاميم، ج 2 ص 87.

(5) الشهاب (ع شعبان 1352 - ديسمبر 1933)، ج 9، ص 585.

(6) المهدي البوعبدلي، الأعمال الكاملة، المراسلات، مرجع سابق، ص 58.

وحدثها حتى صارت متنافرة متخالفة بعد أن كانت متقاربة متألّفة هو ما أدخلتموه عليها من التشكيك في أمر دينها اعتقادا وعملا، وأفتيتموها في كل مسألة خلافية بما يعد خروجاً عن دائرة الحق والإنصاف وولوجاً في ورطة الشذوذ والاعتساف، ولطالما انتظرنا رجوعكم إلى الجادة، ولكن ذهب انتظارنا سدى. وبناء على هذا فإننا ندعوكم باسم الدين إلى المناظرة⁽¹⁾ في المسائل الآتي ذكرها، ونرجوكم أن لا تتخلّفوا كما تخلّفتم في المرة الأولى عن موعد المناظرة⁽¹⁾.

وقد اشترط الطريقون شروطاً لذلك، وهي أن تكون في ملعب بلدي، وتحت حماية الحكومة، وأن يشرف عليها لجنة من أساطين العلماء، ورد الإبراهيمي متهمًا بأنهم عوام، وإن أرادوا الحق فليأتوا للاستماع إليه في الاجتماع العام لجمعية العلماء⁽²⁾.

ومنذ بدايات الانشقاق كانت الدعوات للمناظرة مطروحة بقوة وخاصة من البودليي في الغرب، ومن الحافظي في الوسط، في قضايا مراتب العبادة والمكوس، وبناء المساجد والقبب على القبور⁽³⁾.

والمسائل التي طرحت للمناظرة كثيرة، ومنها النقاش حول الاسم المفرد، والتوسل، والمناظرات المفترضة في سلسلة مقالات "سوء التفاهم وأثره السيء في الأمة، مناظرة المصلح والمحافظ" وهي مناظرة جيدة تبين عن كثرة القضايا المشتركة بين الفريقين⁽⁴⁾. وفي مثل هذه السلسلة السابقة نجد مناظرة المصلح والمحافظ حول تقليد مالك، وعدم تقليده في الجنائز والقراءة على القبور وعدم تقسيم للبدعة: إن قلنا مالك قلتم خليليون، وإن قلنا خليليون، قلتم ما جرى به العمل والعرف⁽⁵⁾. ولدينا نماذج لهذا الفن أيضاً مثل مقال "الدعاء منه عادة ومنه عبادة"⁽⁶⁾.

كما خصّصت الشهاب قسماً منها للمباحثة والمناظرة، ونشرت دعوة من مناظر بجريدة النجاح للإصلاحيين، وردهم بأن تكون علنية⁽⁷⁾. وأكثر من تصدّى للمناظرة هم الصف الثاني من كتاب الجمعية، ولكننا لا نعدم مناظرات عالية من أمثال التبسي والميلي الذي اختص بالرد على الحافظي، فله مقاله "الصوفية ومراتب العبادة"، وقال عن الحافظي أنه: "الذي يريد إرضاء المنشقين بالهجوم على الجمعية والرد على ابن باديس، وهو الذي نكص وبدّل حسب الميلي"⁽⁸⁾.

(1) البصائر، ع 80-81 (3-9-1937)، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 300.

(2) البصائر، ع 80 (3-9-1937)، ص 1، ع 81 (17-9-1937)، ص 1، آثار الإبراهيمي، ج 1 ص 303.

(3) البلاغ، ع 292 (12-5-1933)، ص 3.

(4) الشهاب (ع شعبان 1351 - ديسمبر 1932)، مج 8 ص 686.

(5) الشهاب (ع صفر 1352 - جوان 1933)، مج 9 ص 301.

(6) الشهاب (ع شوال 1351 - فيفري 1933)، ج 9 ص 100. وهو رد على مقال بالبلاغ العدد (282).

(7) الشهاب (ع جمادي الثانية 1354 - سبتمبر 1935)، ج 11 ص 435.

(8) الشهاب (ع شوال 1351 - فيفري 1933)، ج 9 ص 87.

وكان العقبي يستحث ابن باديس على الكتابة في القضايا الخلافية، ويعتذر الأخير بانشغاله بالتعليم، معتبرا بعض ما يطرح من المهرجات، قائلا للعقبي: "وقد رأيتم تحامل الحافظي وثقالته، ثم صاحبه الأخ ابن منصور وجهله وغباوته، فهل أترك أنا لهذه المهرجات لوحدي"⁽¹⁾.

والنتيجة المهمة هو تغير الأوضاع الدينية، فهجوم الصحافة الإصلاحية ووسائل الإرشاد من المحاضرات والتعليم والنقاش المفتوح خفف من مظاهر الشعوذة، واختلاط الحضرات، وابتزاز السذج بادعاء إنزال الغيث ومنح الولد، مما كان التصوف الحقيقي ينكره، ولكن انجراف بعض المقادير الجاهل شان المتصوفة كلهم بما جعل المعول ينالهم صالحهم وطالحهم.

4- النقد والنقض المتبادل للمؤلفات:

وهو ما خصّصت له الشهاب قسما عرف بمقتنيات من الصحف والكتب المشرقية، وكانت أحيانا تختار المؤلفات التي ترد على الصوفية، ومنها "المختار من أقول التجاني": ومما جاء فيه: "التجانية يأمنون من مكر الله، صلاة الفاتح من كلام الله، كتمها النبي عن الصحابة، شتم الأنبياء والصحابة وجميع الصالحين، التجاني يعادل النبي، هو أفضل من العشرة المبشرين، انتقاص جميع الطرق السابقة واللاحقة، تدجيل، شفاعته أعظم من شفاعاة الأنبياء، التحريض على المعاصي، آمنون من سوء الخاتمة، ادعاء الألوهية لعلي، تناسخ الأرواح"⁽²⁾.

والمهم أن النقد هنا لم يكن عاميا، فهو ترديد لأقوال مغلوطة، وقد رد التجانيون على هذه الافتراءات في عديد الرسائل والكتب، وخاصة مكتوبات محمد الحافظ التجاني من مصر.

والظاهر أن الدعوات للمناظرات كانت محمومة، ومن الفريقين، وخاصة العقبي في العاصمة، ولكن الطرفين كتبوا ينتقدون دعوته مجردين إياه من كل فضيلة علمية متحدين إياه بإبراز إجازاته العلمية، ومذكرين له بكونه طريد الحجاز، وأنه يرفض المناظرة إلا بحضور جيشه الأزرق⁽³⁾. وكان الرابعي قد دعا العقبي للمناظرة، ولكنه تخلف، "وليس هذا بأول إحجامه، ومن جاء على أصله فلا سؤوال عليه"⁽⁴⁾.

وممن كتب مؤرخا لتلك الفترة من الجدل والدعوة للمناظرة بين الإصلاحيين والعلويين الشيخ الديلمي المسيلي الذي استنجد به الطرفين في تلمسان لمواجهة الإبراهيمي، حيث وجه إليه لمناظرته في نادي الإسلام⁽⁵⁾، وذلك في كتاب "إمالة اللثام عما نشأ في الحاضرة التلمسانية من الشكوك والأوهام والشقاق والخصام"⁽⁶⁾.

ومن المسائل التي دُعي فيها الإبراهيمي للمناظرة ثلاث وعشرون مسألة ومنها: عدم حضوره الجمعة والجماعة في الصلاة والحكم عليها بالبطلان، مخالفة الإجماع في أن آدم لم يخرج من الجنة، بل أخرج من عدن، وقضية

(1) انظر مراسلات العقبي وابن باديس، رسالة ابن باديس، رسالة ابن باديس (12-1032)، ص 76.

(2) الشهاب، (ع ربيع الأول 1353- جوان 1934)، ج 10 ص 331-338.

(3) المعيار، مقال "المرحاض، الخبيث العقدي"، ع 2 (01-01-1933)، ص 4.

(4) لسان الدين، مقال: "الشيخ الرابعي يلقي دروسا في نادي السنين"، ع 36 (30-8-1936)، ص 3.

(5) وهو ناد مستقل عن الطرفين الطرفين والإصلاحيين حسب البودليي، انظر إمالة اللثام، مرجع سابق، ج 1 ص 11.

(6) طبع بالمطبعة العلوية بمستغانم، سنة 1939.

الحكم على أبوي النبي صلى الله عليه وسلم بالنار، القول بأن الحسين قتل بسيف جده، إباحة مس المصحف للجنب، الحكم بانقطاع عمل الميت دون استثناء، والحكم بالشرك على المتوسلين بالنار، إنكار شفاعة الأنبياء، والحكم بالكفر على الزائرين للقبور بكونهم يعبدونها من دون الله، إنكار مشروعية الباقيات الصالحات، إنكار مشروعية الدعاء، تضليل المذاهب الأربعة، تصويب معاوية، وتحليل القليل من الربا، تحليل المكوس، تحليل المطلقة ثلاثا، تفسيق من اعترف بولاية الغوث أبي مدين، إنكار كرامات الأولياء ومعجزات الأنبياء، إنكار تفضيل النبي على غيره من الأنبياء، إنكار حياة النبي في قبره، ادعاء الإبراهيمي للاجتهاد.

وشرط البودليبي أن تكون المرجعية من العقائد الأشعرية، وأن تنعقد جلسة المناظرة حسب الأصول المتبعة، أو أن تنعقد وتسجل محاضرها، وترسل أجوبتها إلى علماء الأزهر أو القرويين، للبحث فيها⁽¹⁾. وحسب البودليبي فإن الإبراهيمي رفض المناظرة قائلا: "أنا أعلم من في الأرض، وليس لي كفؤ حتى أتزل لإجابته أو مناظراته" وقال الديلمي: "وظهر للناس عجزه، وفضح نفسه شر فضيحة بما ادعاه من الأنانية والعظمة الفرعونية التي كرهت فيه حتى أصدقائه وخواصه"⁽²⁾. وقال بأن الإبراهيمي سعى في تثبيط الفريق الذي أعد للمناظرة، وجمع لها مالا (3000 فرنك)، وهيا لها كل اللوازم اللوجستية، والتي حدد يومها ب (28 محرم)، والظاهر أنه كان من الطرفين.

ولا ندري حقيقة ما نُسب للإبراهيمي من هذه الأقوال، ولكنه أشار في آثاره إلى رفض مناظرة هؤلاء في قوله: "نحن نعرفهم حق المعرفة، ونعرف أنهم جهلاء ويفخرون بالجهل، وأنصاف أميين ويتباهون بالأمية، إذ ليس العلم ولا القراءة شرطاً في طرقيهم ولا في مشيختهم، ونعرف أنهم لا يملكون من أسلحة هذا الميدان إلا العناد والإصرار على الباطل. ولو كانوا علماء لما بلغ النزاع بيننا وبينهم إلى هذا الحد، ولرجؤنا- إن لم يزعمهم الدين- أن يزعمهم العلم. ولقد نعلم أنهم لا يجهلون هذا من أنفسهم، ولا يبلغ بهم الغرور أن يناظروا علماء من الطراز الذي تحتوي عليه جمعية العلماء، وإنما يعتمدون في هذه المناظرة على موجودات آلية يسمونها علماء عودوها أن تنطق باسمهم وتسبح بحمدهم وتحامي عنهم بالباطل. ونحن لا نعترف بالعلم لهذا الصنف المتهافت على أبواب الزوايا المتعيش من فضلاتها، ويأبى لنا شرف العلم أن يكون هؤلاء المسلوبو الإرادة الفاقدو الاستقلال في العلم نظراءنا في المناظرة، لأننا بلؤناهم في العمل فوجدناهم جبناء، وبلؤناهم في العلم فوجدناهم يحكمون الهوى ولا يحكمون الدليل، وبلؤناهم في الكتابة فوجدنا أمثلهم يسمي البدع المنكرة عوائد دينية.. أَمَعَ هؤلاء تكون المناظرة؟ لا، وشرف العلم. فقد تحقق أن هذه المناظرة التي دعوا إليها ساقطة سقوط شرطها الأساسي من قبلهم وهو النظر"⁽³⁾.

(1) البودليبي، إمطة اللثام، مرجع سابق، ج 1 ص 10.

(2) البودليبي علي، المرجع السابق، ج 1، ص 12.

(3) البصائر، الإبراهيمي، إلى الطرفين، ع 81 (17-9-1937)، ص 2. الآثار، مرجع سابق، ج 1 ص 301.

والحقيقة أن البودليبي كتب مرارا يدعو للمناظرة والمفاهمة، وتوالى رجاؤه كثيرا في الاجتماع لحسم مادة الخلاف حسبه لإصلاح الأمر بين طائفتين من المسلمين في تلمسان وغيرها، وقال إن ذلك لإحياء العقائد السنية والعوائد القومية العربية⁽¹⁾، ولكن الردود على دعوته كانت سلبية من خصومه الإصلاحيين. والظاهر أن البودليبي وغيره نجحوا في صد الجمهور عن دروس الإبراهيمي في تلمسان والتي تراجعت سنة (1934)⁽²⁾، بسبب العرائض المدعومة من الإدارة، ولكن الإبراهيمي استعاد المبادرة والريادة بعد ذلك.

5- الجدل والتواصل مع المشرق:

اعتنت الصحف الإصلاحية والطرقية بالقضايا التي كانت تطرح مشرقا، ويكثر حولها الجدل، فوجدنا نقولا من الطرفين من الصحف المشرقية كل بما يخدم وجهته المذهبية، فكم أكثر الشهاب من النقل عن المنار، والبلاغ عن صحف الأزهر.

فالإصلاح الجزائري يشيد بدور محمد عبده في بعث الإصلاح، وينعى على الجامعات الثلاثة (الأزهر، الزيتونة، القرويين) جمودها ومعارضتها للإصلاح ومساقتها في هوى الحكومات الراعية للأوضاع الطرقية⁽³⁾. وتكتب الشهاب عن كتاب محمد بشير السهسواني الهندي "صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان"، وتعتبر الأخير أحد رؤوس الضلال الذين أعادوا لوثنية القبور ماضي شباهها⁽⁴⁾. كما تنقل عن المنار هجوم رشيد رضا على التجانية، في مقال "أولياء الله وأولياء الشيطان والطاغوت" وفيه نقول عن خرافات الشعراني، وهجوم على التجاني، وهو نفس ما نقضه عمر بن قنور في كتابه الإبداء والإعادة⁽⁵⁾.

وعلى الرغم من ذلك تشيد المنار بجهود الطريقة التجانية في نشر الإسلام بقولها: "لا أجهل أن للتجانية في المغرب والسودان الفرنسي حسنات في مقاومة التنصير والاستعمار المعادي للإسلام كالكادرية والسنوسية، ولكن كتابهم جواهر المعاني قد فضحهم فضائح لا يقبلها مسلم يعرف ضرورات الحياة"⁽⁶⁾.

وينزل مقال لمحج الدين الخطيب في مجلة الفتح لمقاومة الطرق والطرقين، وتستغرب الشهاب تأخره في الرد عليهم، وكيف لم يتفطن لعلاقة الحلولين في الجزائر بالقاديانيين في الهند⁽⁷⁾. وتنقل أيضا مقالات مؤيدة لرأيها في بلاء الطرق الصوفية، فمن ذلك مقال: "مصائب المسلمين: توالد الاعتقادات القطبية من المهدية" نقلا عن مجلة ضحى الإسلام، وآخر عن الانحرافات في موالد السيد البدوي بمصر في مقال "الدجل" عن مراسل جمعية الشبان المسلمين لمدرس بالمعهد الديني بطنطا⁽⁸⁾.

(1) البودليبي، إمطة اللثام عما نشأ في الحاضرة التلمسانية، ج 1 ص 11.

(2) أبو القاسم سعد الله، "الإبراهيمي في تلمسان من خلال الوثائق الإدارية"، الجزائر، مجلة الثقافة، ع 101، ص 80.

(3) الشهاب، ابن باديس "الإصلاح أمس واليوم"، ع (ذو الحجة 1354-مارس 1936)، ج 11 ص 723.

(4) الشهاب (ع شوال 1352-جانفي 1934)، ج 10 ص 91.

(5) عمر بن قنور، الإبداء والإعادة، مرجع سابق، ص 307.

(6) الشهاب (ع ذي الحجة 1352-مارس 1934)، ج 10 ص 186.

(7) الشهاب (ع محرم 1553-أفريل 1934)، ج 10 ص 231.

(8) الشهاب (ع محرم 1356-مارس 1937)، ج 13 ص 33.

كما تنقل الشهاب مقالا لشيخ الأزهر الإصلاحي الإمام المراغي: "انتصار الإصلاح على الخرافة والجمود"، وتبدي قلقها وامتعضها من نشر مجلة نور الإسلام الأزهرية لمقالات الصوفي الدجوي الذي يجد منه الطريقون السند العلمي لمقالاتهم، مع العلم أنه عضو هيئة كبار العلماء، وله نقد دائم لرجال الإصلاح، وتقول متهمكة: "مجلة الإسلام، ثم مجلة الايمان، فلتكن مجلة الإحسان"⁽¹⁾.

كما شغلت الصحافة المشرقية بالخلافات الجزائرية، فقد نشرت مجلة القلم الحديدي لجرجي الحداد رسالة من الجزائر نشرت باسم قدور بن محمد لخضر الأغواطي، وفيها: هجوم على الاستعمار الفرنسي الذي يسانده في رأيه الإصلاحيون، حيث يقول: "لو بقينا متحدين لألقينا المستعمر في البحر، لكن الفئة الضالة ابن باديس والزاهري والعقبي خربوا، يفسرون القرآن في المقاهي والأزقة، تمزق الأمة"⁽²⁾.

واتهم الأغواطي هذه الزمرة من الإصلاحيين: "بأنها تبث البدع وتريد هدم الإسلام، ولهم رصيف خائن مأجور للفرنسيين سيدي الحجوي يقول بترجمة القرآن (المغرب)، يجتهدون وأسيادهم الفرنسيون في تفكيك الأمة الجزائرية وإخراجها من دينها"⁽³⁾، والمقال ينبئ عن انقسام ثقافي حاد في الثلاثينيات، وهو ينبئ عن نظرة مريبة من بعض الطريقين في وظيفة الإصلاحيين، وهذا ما تؤيده نظرة سعد الله الذي قال: الإصلاح أكمل ما بدأته الإدارة من التدجين والتفكيك، ولكن الزمن تغير ووقت الجمعيات الصوفية انتهى مع التغيير الهائل في المجتمع.

ولم يقف الأمر هنا، بل إن الإصلاحيين كاتبوا الجرائد المصرية التي روج بعضها للشيخ العلاوي، فكتب الزاهري مقالا انتقاديا لمجلة المعرفة المصرية بعنوان "شيخ علماء الجزائر، أم شيخ الحلول"، وقد أعادت الشهاب نشره⁽⁴⁾.

ونال شرر الانقسام اليمن أيضا، حيث نشرت البلاغ مقالة للشيخ سعيد سيف الذبحاني قال فيها أن أهل اليمن لم يكونوا يعرفون الإسلام حتى وصلت دعوة الطريقة العلاوية، مما جعل جريدة الفتح المصرية تنشر ردا لعبد الله بن إبراهيم الأغبري على ذلك، وقد ردّت الجرائد الإصلاحية على دعوى العلاويين بافتتاح زوايا لهم باليمن، وأن الشيخ العلاوي علّمهم الدين الصحيح، وهو ما جعل وفدا من اليمنين يصلون إلى الجزائر، ويزورون نادي الترقّي، ونشرت جرائد الجمعية تكذيبهم للعلاوي في دعواه⁽⁵⁾، كما توالى ردود اليمنين على دعوى البلاغ التي استبطنت القول بكفرهم قبل بلوغ دعوة العلاوي كما هو الأمر في مقال ثابت بن الحاج أحمد عياد⁽⁶⁾.

(1) الشهاب (ع ربيع الثاني 1354 - جويلية 1935)، ج 11 ص 242-250.

(2) الشهاب (ع محرم 1553 - أبريل 1934)، ج 10 ص 235.

(3) المقال كذبه قدور الأغواطي في الشهاب، ج 11 ص 221، ولكن المهم أنه صاحبه جزائري.

(4) الشهاب، ع (جمادى الثانية 1352 - أكتوبر 1933)، ج 9 ص 492. وقد توفي الشيخ العلاوي بعد المقال بأشهر في (جوان 1934).

(5) السنة النبوية، ع 13 (5-7-1933)، ص 5. جريدة الشريعة، ع 1 (17-7-1933)، ص 3.

(6) الشريعة، ع 2 (24-7-1933)، ص 3، ومما يجدر ذكره أنه كان للطريقة العلوية أتباع في اليمن ومنه وردت مدائح لابن عليوة كثل قصائد الشيخ سيف أحمد حاجب، انظر عبد الله التباع البيضاوي، مطالع اليقين في مدح الإمام المبين، ص 50. والشيخ محمد المجاهد اليمني، المرجع

ومن الهند كتب تقي الدين الهلالي مناصرا للجمعية مقال "جمعية العلماء وأوشاب القوم المفسدين"⁽¹⁾. ومعرفة مواقفه من التجانية، وهو ما أجمع الأمر بين التجانيين وجرائد الجمعية التي نشرت مقالاته. كما أسهم بعض العلماء الجزائريين، حيث كتب عبد الرحمان بوحجر من جدة بالحجاز مؤيدا للميلي في رسالته⁽²⁾.

6- توسع الشقاق إلى تونس والمغرب:

انتقل الجدل إلى الجارين الشقيقين، وقد حاول ابن باديس استجلاب الدعم من إصلاحيي تونس، وجدّد دعوته لعلماء الزيتونة في الانخراط في المساعي الإصلاحية لتحجيم مفاصد الفلكور الطرقي، داعيا إياهم إلى الاقتداء بعلماء طرابلس وفاس، وإلا "فإن أبيتم فعليكم إثم الهالكين"⁽³⁾، وفي مقال آخر يهاجم إذاعة تونس في قول بعض العلماء بها بدعوى تصرف عبد السلام في الكون⁽⁴⁾.

ويبرر ابن باديس تأخر الإصلاح بتونس: "ونحن نعلم أن الإصلاح الديني ما تأخر في القطر المصري والقطر التونسي إلا لأن جميع المتسمين بالعلم متوظفون أو مرشحون للتوظيف أو طامعون فيه"⁽⁵⁾، وفي المجال ذاته وبعد النفرة الواقعة بين ابن باديس والطاهر بن عاشور، تكتب الشهاب إلى علماء الزيتونة: "تجاوب علماء الإصلاح في المغرب العربي، عشرون عالما من طرابلس ضد المشي على الفحم وابتلاع العقارب والأفاعي، وعريضة من ثلاثين عالما بالمغرب لمنع طوائف العيساوية وغيرهم بينما يسكت علماء الزيتونة كما سكتوا عن التجنيس ودعوتهم للنكير"⁽⁶⁾.

ومن الجزائر يهاجم مصطفى هراس من الطرقيين جريدة الزهرة التونسية لتدخلها في الصراع⁽⁷⁾، مما يدل على توسع الرقعة الجغرافية وحشد الجميع لأنصاره، ويقول: "إن تمادي أوباش مأجورين من طرف.... للعيش في المستنقعات الراكدة المتعفنة على غلوائهم"، وتدخل جريدة النديم القريبة من الإصلاحيين المعركة، وتصف رصيفتها جريدة النهضة -العمياء- في تونس بأنها تناصب الزيتونة والوطنيين العداء وتسكت عن المؤتمر الافخارستي⁽⁸⁾.

نفسه، ص 66، وعلي النمري الحمادي، نفسه، ص 67. ونشرت البلاغ شهادة من علماء جزيرة ميمون في تأييد الطريقة العلوية، انظر البلاغ، ع 293 (10-5-1933)، ص 1.

(1) جريدة الصراط السوي، ع 6 (23-10-1933)، ص 2-3.

(2) البصائر، ع 159 (31-3-1939)، ص 2.

(3) الشهاب، ابن باديس "إلى علماء جامع الزيتونة"، ع (محرم 1355 - أبريل 1936)، ج 12 ص 8. البصائر، ع 11 (20-3-1936)، ص 1. آثار ابن باديس، مرجع سابق، ج 3 ص 117.

(4) البصائر، مقال "أمن عاصمة الزيتونة يذاع هذا الضلال"، ع 153 (18-2-1939)، ص 1.

(5) آثار ابن باديس، ج 4 ص 205. وانظر البصائر، مقال "إلى علماء الزيتونة"، ع 11 (20-3-1936)، ص 1.

(6) الشهاب (ع محرم 1355 - أبريل 1936)، ج 12 ص 9. البصائر، ع 11 (20-3-1936)، ص 2.

(7) جريدة المعيار (01-01-1933) نقلا عن العقون، نفسه، ج 1 ص 273.

(8) الشهاب (ع جمادي 1 الأولى 1353 - أوت 1934)، ج 10 ص 472.

وتحتفي الشهاب بامتداد الإصلاح وانحسار الطريقة بليبيا – المتأخرة نسبيا عن جيرانها- فتتكلم عن إبطال بعض العادات الطريقة في طرابلس الغرب⁽¹⁾، وعلى الرغم من ذلك فإن ابن باديس كان يحتفي بالطريقة السنوسية واعتدادها بالسنة، ويهاجم الفلكور الصوفي في مصر، وينعى على علماء الأزهر سكوتهم وممالاتهم للعامية في خرافاتهم، ففي مقال مقارن بعنوان "الصوفي السني بين الحكومة السنية والحكومة الطريقة" يقول: "أما الصوفي السني فهو الإمام المجاهد السيد أحمد الشريف السنوسي الذي توفاه الله منذ أشهر بالمدينة المنورة، فقد كان على جانب عظيم من التمسك بالكتاب والسنة والتخلق بأخلاق السلف الصالح وكانت دعوته إلى الله وإرشاده للعباد بهديتهما وكانت تربيته لأتباعه مبنية على التفقه في الدين والتزام العمل به والزهد والصبر وحفظ الكرامة،.... وأما الحكومة الطريقة فهي حكومة مصر التي تشارك المشاركة الرسمية في بدع المواليد وتؤيد تأييدا رسميا الاجتماعات الصوفية بما فيها من منكر وقبح مظاهر وسوء مناظر مما تضح منه صحافتها كل يوم فضلا عن العلماء المصلحين من أمتها، ويواطؤها على هذا علماؤها الرسميون بسكوتهم وإقرارهم وأحيانا بدفاعهم وتأويلاتهم"⁽²⁾.

وقد نشر عديد العلماء الطريقين ردودهم في صحف الجزائريين، فوجدنا ردا من الشيخ محمد المدني على الإبراهيمي وأسئلة البودليي له، والذي أعاد نشرها في كتابه "إمطة اللثام عما نشأ في الحاضرة التلمسانية من الأوهام"⁽³⁾

وكان الجدل الفقهي والعقدي يمتد أكثر مع المغاربة بحكم الجوار والانتاج، فوجدنا الشيخ الفقيه الطرقي الرابعي يتبادل ردودا مع الحافظ محمد بن الصديق الغماري، وهو صوفي تجديدي في مقالات نشرت بمجلة "الإسلام، ووجدنا مساجلة علمية بين أبي يعلى الزواوي والرابعي رئيس تحرير مجلة الرشد الطريقة، في الفتوى بمقال "إليك الفتوى أيها المستفتي"، وكذا مساجلات بين أبي يعلى والسلوي والرابعي حول الرضاع⁽⁴⁾. بل إن الطريقين في عديد فتاويهم استنجدوا بعلماء من المشرق، ومن الغريب أن تصل إلى البودليي فتوى موافقة لأرائه من مفتي حنابلة الشام محمد جميل الشطي، كما وصلته جواب مطول موافق لقوله ضد الإبراهيمي من مفى الحنفية بدمشق محمد سعيد البرهاني⁽⁵⁾، وجواب آخر موقع من عشرين من علماء الشام أيضا⁽⁶⁾.

والخلاصة: امتاز هذا العقد بتصاعد الجدل الفكري العنيف بين الفريقين، مما كانت له آثاره الإيجابية على المنتج العلمي الجزائري، وعلى رسم خارطة التوافقات أو النزاعات بين الفريقين، كما سيتضح من خلال المبحث الموالي.

(1) الشهاب (ع ربيع الثاني 1354 - جويلية 1935)، ج 11 ص 272.

(2) آثار ابن باديس، مرجع سابق، ج 3 ص 49. جريدة السنة النبوية، ع 6 (1-5-1933).

(3) لسان الدين، ع 54. البودليي، إمطة اللثام عما نشأ في الحاضرة التلمسانية، مرجع سابق، ج 1 ص 22.

(4) البصائر، ع 124 (7-29-1938)، ص 4.

(5) البودليي، إمطة اللثام عما نشأ في الحاضرة التلمسانية من الشكوك والأوهام، مرجع سابق، ج 1 صص 27-46.

(6) البودليي، المرجع السابق، ج 1 ص 46. لسان الدين، ع 46.

المبحث الرابع: تجليات العلاقات الإصلاحية الطرقية في الثلاثينيات.

تمهيد: توسط العقد الثالث من القرن، والكتلة العلمائية الدينية في الجزائر منقسمة إلى تيارين مهمين هما: الأولى: الإصلاح الدعوة إلى ومحاربة البدع، وعلى رأس هذا التيار ابن باديس والإبراهيمي، وأبو اليقضان، ومحمد خير الدين، وعباس بن الشيخ الحسين، والسعيد الزاهري أول أمره، وآل خليفة وغيرهم.

الثانية: الدعوة إلى المحافظة، ويمثل هذا التيار الطرقيين والمحافظين أمثال الحافظي ومصطفى القاسمي، محمود كحول، أحمد الحبيباتي، عمار بن أحمد العطوي (مهرى)، المولود بن الموهوب، حسن الطرابلسي، علي البوديلمي، عبد الحفيظ بن الهاشمي، محمد العاصمي، حسن أبو الأحبال⁽¹⁾.

ويمكن أن نضيف لهذه الكتلة محافظي الإباضية في مقابل إصلاحيين، ومحافظي المالكية في الجنوب في زوايا توات والساورة، ممن لم تكن لهم أصوات إعلامية يعبرون بها مواقفهم، في حين بدأت دعوات الإصلاح تطرق باب الجنوب الشرقي (الواحات) لقربه من قسنطينة والزيوتنة.

والحقيقة أن العلاقات الثلاثينية بلغت الأوج في عدم الوفاق، وقد شقت الجسم الديني شقا لم تبرأ منه لحد الساعة، ويذهب بعضهم: "إلى أن الصراع الذي كان بين المصلحين والمحافظين التقليديين لم يصل في أي بلد إسلامي إلى الحد الذي بلغه في الجزائر، وذلك نظرا للتناقضات الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية التي عرفتها الجزائر في عهد الاحتلال الفرنسي"⁽²⁾، وقد بدأ صراعا مذهبيا، ثم اتخذ فيما بعد طابعا سياسيا⁽³⁾.

اتسمت العلاقات في هذه الفترة بالخصومة والشقاق وخاصة بعد انقسام جمعية العلماء، ولم تنزّل إلى الوفاق والإغضاء إلا في أوقات قليلة على العكس من العشرينيات، ويمكن رصد الاتهامات المتبادلة في المطلب الآتي:

المطلب الأول: الاتهامات المتبادلة بين الإصلاحيين والطرقيين.

أولا: تهم الإصلاحيين للطرقيين.

وهي كثيرة جدا حفلت بها المقالات الصحفية والمقطوعات الشعرية والمؤلفات المتشاكسة، ومنها:

1- الزيادة في الدين والتوسّع في البدع:

وهي التهمة التي دندت حولها مقالات الإصلاح، فالعقبي يجعل إفساد الدين وليد عصور التقليد، وما وُلد فيها من الطرق الصوفية بما: "أحدثوا الأحداث الكثيرة في دينهم وجاءهم مبتدعو الرهبانية من بينهم بما شاءوا وشاءت لهم أهواءهم وشهواتهم من البدع والضلالات"⁽⁴⁾.

(1) العقون، الكفاح القومي السياسي، مرجع سابق، ج 1 ص 171.

(2) بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وعلاقتها بالحركات الوطنية الأخرى، مرجع سابق، ص 78.

(3) علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر (1925-1940)، مرجع سابق، ص 54.

(4) جريدة السنّة، "نهضة الجزائر ودعوتها الإصلاحية"، ع 2 (17-4-1933)، ص 1. مقالات العقبي، مرجع سابق، ج 1 ص 309.

وفي مقال آخر ينفي العقبي إمكانية إصلاح التصوف⁽¹⁾، وأن الأولى تركه واجتثاثه لما يحوي من بذور فساد. ويعتبر الإصلاح وقيادة الأمة حكرا على العلماء وحدهم، ويتم الطريقين بالكذب بدعوى نسبة عوائدهم إلى السنة، حيث يقول: "ولكن العجب كل العجب في أن يرمي هذا الفريق الخاسر والحزب الضال المكابر دعاة الحق القائمين بهذا الواجب، وهذا الفرض بأنهم غير مسلمين، ويطالبونهم بتحقيق إسلامهم"⁽²⁾.

ويتخذ ابن باديس من القضية تكأة لاتهم الطريقين في تخلف الدين، فهم يشبهون رجال الإكليروس: "إن الذين يعرفون تاريخ النصرانية في القرون الوسطى وتاريخ النهضة الأوروبية يشهدون اليوم في أعمال الجمعية الدينية الإصلاحية، وموقف الإدارة إلى جانب الزوايا والطرقية ضدها صفحة من ذلك التاريخ الماضي تعاد على أرض الجزائر اليوم، فالزوايا والطرقية تمثل الكنيسة ورجال الإكليروس في ذلك العهد السحيق في إفساد النفوس والعقول بالدجل والتحريف، والإدارة تمثل أمراء ذلك العهد في استعمال الكنيسة واستغلالها، والجمعية الإصلاحية تمثل رجال الإصلاح على فارق في الوضع والأسلوب"⁽³⁾.

وهذه الأفعال ذريعة لتنفير الناس عن دين الله في رأي الإبراهيمي: "ألا تدرون أن هناك محاضرات تلقى، وخطبا تتلى، وكتبا تطبع وتنتشر وجمعيات تقوم بجمع ذلك كل ذلك للطعن في الإسلام بكم وبأفعالكم، واتخاذكم حجة عليه، ثم أتدرون الغاية من ذلك كله؟ هي حمل العالم المتحضر على احتقاركم واعتباركم في الهمج الرعاع الذين لا يصلحون لصالحه ولا يستقيمون على ما يريدون، بل على ما يُراد منهم، وحمل الجمهور اللاهوتي منه على اقتحام مأسدة الإسلام لأن فيها ثعالب فما أنحسكم على الإسلام"⁽⁴⁾. بل ويتمهم بإذلال العلماء: "حتى أصبحنا نرى العالم المؤلف يعرف نفسه للناس في صدر تأليفه بمثل قوله: فلان المالكي مذهبا الأشعري عقيدة التيجاني طريقة. وفي وقتنا هذا بلغ الحال بالطرق أنها أذلت العلماء إذلالا واستعبدتهم استعبادا. ولم ترض منهم بما رضيه سلفها من سلفهم من حفظ الرسم واللقب وإبقاء السمة والمكانة بين العامة، بل أغرت العامة بتحقيروهم وإذلالهم"⁽⁵⁾.

2- الجهل بالشرعية:

كّرر رجال الإصلاح الاتهام لخصوهم بخفة وزنهم العلمي في مقابل أساطين الجمعية كابن باديس والإبراهيمي، فالعقبي يعتبر العلماء الحقيقيين علماء الإصلاح فقط، لأن النخبة الجزائرية تحتوي ثلاث طبقات هي: طبقة رجال الإدارة، طبقة الرؤساء الروحيين، طبقة العلماء العارفين بالشرعية⁽⁶⁾. أي الإصلاحيين، في حين ينفي الصفة العلمائية عن الرسميين والطرقيين، وهو ما جعل الفريق الآخر يشتت في عداوة هؤلاء المتمشرقين جالبي البدع الوهابية والعبودية.

(1) جريدة السنة، مقال الأمة في حاجة إلى الإصلاح اليوم، ع 5 (8-5-1933)، ص 1. مقالات العقبي، مرجع سابق، ج 1 ص 321.

(2) جريدة السنة، ع 10 في (12-6-1933)، ص 3. مقالات العقبي، مرجع سابق، ج 1 ص 347.

(3) البصائر، ع 127 (19-8-1938)، ص 1.

(4) جريدة السنة، مقال "تعالوا نساكنكم"، ع 9 (5-6-1933)، ص 2. آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 121.

(5) الإبراهيمي، "فلسفة جمعية العلماء" من سجل الجمعية عام (1935)، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 170.

(6) جريدة السنة "هل نحن في حاجة إلى إصلاح اليوم"، ع 3 (24-4-1933)، ص 2. مقالات العقبي، مرجع سابق، ج 1 ص 317.

والأمر ذاته عند الإبراهيمي الذي سلب الزوايا كل مزية علمية- على الرغم من أنه خريجهـا- " وزوايا الطرق في باب العلم كمدارس الحكومات هذه معامل لتخريج الموظفين، وتلك معامل لتخريج المسبحين بحمد الزوايا والمقدسین، أما العلم وحقيقته وصراحته وحريته فلا رائحة لها في هذه ولا في تلك" (1).

بل يتهم الإبراهيمي خصومه بزرع الجهل الديني الذي هو المطية التي توسع من دائرة الالحاد: " وإنك لا تبعد إذا قلت إن لفشو الخرافات وأضاليل الطرق بين الأمة أثرًا كبيرًا في فشو الإلحاد بين أبنائها المتعلمين تعلمًا أوروبيًا، الجاهلين بحقائق دينهم؟ لأنهم يحملون من الصغر فكرة أن هذه الأضاليل الطرقية هي الدين، وأن أهلها هم حملة الدين، فإذا تقدم بهم العلم والعقل لم يستسغها منهم علم ولا عقل، فأنكروها حقًا وعدلًا، وأنكروا معها الدين ظلمًا وجهلاً؟ وهذه إحدى جنایات الطرقية على الدين. أرأيت أن القضاء على الطرقية قضاء على الإلحاد في بعض معانيه وحسم لبعض أسبابه؟" (2).

ومن ذلك اتهام المدني والزاهري لابن عليوة بالأمية، وأن أتباعه هم من يكتبون له: " أعرف الشيخ ابن عليوة معرفة شخصية، وأعرف أنه لا يقرأ ولا يكتب إلا قليلا، فيبعد عندي أن يكون من رجال التأليف والتفسير" (3).

3- المتاجرة بالدين:

اعتبر الإصلاحيون خصومهم من أرباب الزوايا والطرق من المتاجرين والمتمعشين من الدين بالنذور والهبات التي تملأ خزائهم من مريدتهم الطيعين، فقد اتهمهم العقبي بكونهم مستغلين للأمة في كل الأصعدة المالية والأدبية، واعتبر العلائق معهم حربا لا هوادة فيها: " لقد أوغل رؤساء البدع وأئمة الضلال منهم في إرهابهم للأمة واستغلالهم.. فكان من حقه الطبيعي أن يستفيق ويحاول التملص والتخلص من برائن أولئك المفترسين والطواغيت المعتدين، ومن أظلم ممن يحاول إبقاء الأمم والشعوب خاضعة لسلطة جوره وبغيه" (4).

والأمر نفسه عند الإبراهيمي الذي حدد محل النزاع بأنه " هذا العامي الذي نريد أن نحرة من استعبادكم، ونطلقه من أسركم" (5)، وكرّر الاتهام ذاته مبارك الميلي: "أما صوفية هذا الزمان فللتحذير منهم معنى آخر، وهو أنهم اتخذوا من تعظيم أسماء المتقدمين والانتماء إليهم قولاً لا عملاً أحبولة لاصطياد الفلوس" (6). ونقدا لما سبق دعا ابن قشوط باسم الطرقيين عدم الطعن في أكابر الأولياء لأن محبتهم رسخت في قلوب العامة التي ينبغي إرشادها (7).

(1) آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 175.

(2) سجل الجمعية لسنة (1935)، ص 131. آثار الإبراهيمي، ج 1 ص 195.

(3) انظر المدني، حياة كفاح، ج 2 ص 109. حماني، صراع بين السنة والبدعة، ج 1 ص 293. ص 327.

(4) جريدة السنة، ع 2 (1933-4-17)، ص 22. مريوش، الشيخ الطيب العقبي، مرجع سابق، ص 383.

(5) جريدة السنة، ع 7 (1933-5-22)، ص 2. آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 49.

(6) الشهاب، (ع رمضان 1351- جانفي 1933)، ج 9 ص 45.

(7) ابن قشوط، كتاب الإرشاد، مرجع سابق، ص 230.

والذي أكثر النقد للزوايا هو الزاهري الذي دَبَّج مقالات عديدة في نقد أخلاقيات بعض مشايخ الزوايا ومريديها: "وقد ذكر - أحد المريدين- من كرامات شيخنا أكثر من مائة وخمسين كرامة، فقلت له: يا فلان، هل نسيت ما كنت تقول يوم لقيت هذا الطالب أنه قليل العلم مدمن على التدخين، فقال: أما ما قلته عنه من قلة العلم فقد كنت مخطئاً فيه، واليوم تبين لي أنه غزير العلم، وحسبك أنه أستاذ لأسيادنا، وأما أنه مدمن على شرب الدخان، فهذا أمر لا بأس به، لأن أسيادنا هم أنفسهم يدخنون ويدمنون على التدخين، ويدمنون على ما هو أكثر من الدخان أيضاً، من غير أن يقدح ذلك في مروءتهم أو في دينهم، فقلت: إن المدمنين على هذه الآفات هم ممن لا مروءة لهم ولا دين، قال: لا يقول كلامك هذا إلا من كان مسلوباً من الإيمان، قلت: ويحك، فهل تعتقد أن تعاطي هذه الآفات هو أمر مباح؟ قال: لا، ولكني أعتقد أن الإنكار على أسيادنا، لا يجوز مهما ارتكبوا من الكبائر والموبقات، قلت: وهل أسيادك هم فوق الشرع الشريف حتى لا تنالهم أحكامه؟" (1). ويرد الطريقون لأمزين الطهارة الدينية لبعض الإصلاحيين بأنهم مجتهدون فقط في الكيف والمعجون والخمر والأفيون (2)، وهي اللغة المنحطة التي انحدر إليها البعض.

وأما محمد خير الدين فكتب عن الزوايا وتكسبها بالدين، وعدم منافستها المبشرين في بناء المساجد في القرى الخالية منها، فضلاً عن جمود تعليمها الذي لم يواكب التطورات الفكرية في الجزائر (3). ويرد الطريقون بأن رجال الجمعية ذاتهم يتكسبون بدعوتهم، وأنهم يتخذون من تأسيس المدارس والاكتتاب لها حيلة لذلك، متهمين الإبراهيمي بسوء الذمة المالية في تلمسان (4).

4- التحريض الإداري:

وخاصة في قضية إغلاق المساجد في وجه الإصلاحيين الذين ذهبوا بعيداً في اتهام الطريقين بدفع الإدارة لغلق المساجد أمامهم، ويشيرون إلى النائب المالي بن علال (5)، والنائب غراب معمر النائب المالي لعين البيضاء، وتحريشهما الإدارة ضد الجمعية، وهو ما تساوق مع قرار البريفي لعمالة الجزائر بغلق المساجد (6). وكانت القطرة التي أفاضت الكأس ما أتهم به العقبي من تعكير أجواء العاصمة، ثم جاء قرار حل الجمعية الدينية بالجزائر التي يرأسها ابن صيام، والتي كان من مهامها النظر في المساجد.

(1) جريدة الشريعة النبوية المحمدية، الزاهري، مقال "اعترافات طرقي قديم" ع7 (28-7-1933)، ص 2.

(2) لسان الدين، ع 36 (30-8-1936)، ص 4.

(3) البصائر، مقال "للحقيقة والتاريخ، في الزوايا"، ع 124 (29-7-1938)، ص 3، 2.

(4) البودليعي، إمطة اللثام عما نشأ في الحاضرة التلمسانية من الشكوك والأوهام والشقاق والخصام، مرجع سابق، ج 1 ص 56.

(5) أودع علي مبارك بن علال طلباً بمنع العلماء من الدخول للمساجد التابعة للدولة، إلا برخصة من قائد العمالة، وذلك في دورة المجلس المالي في أكتوبر (1932). انظر علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، مرجع سابق، ص 126.

(6) جريدة الشريعة، ع 5 (14-8-1933)، ص 5. جريدة الصراط، مقال "رد جمعية العلماء على خطاب ابن غراب"، ع 1 (11-11-1933)، ص 2. جريدة النجاح (10 ربيع الأول 1352). وكان هذا النائب رئيساً لجمعية دينية تتولى بناء مسجد في أم البواقي، وتأخر المشروع قليلاً لخلافات داخلية، وترجى ابن باديس في زيارته أن يعجل به، انظر الشهاب، ع (جمادى الأولى 1348 هـ - أكتوبر 1929)، ج 5 ص 468. وانظر علي مراد، نفسه، ص 197. وقد نقلت الصراط بيان براءة عرش العمامرة بخنشلة وباتنة من هذا النائب، الصراط، ع 5 (19-10-1933)، ص 9.

وكتب الطرقيون في تبرئة ساحتهم، ولكن الشهاب ردت بقوة على رئيس جمعية علماء السنّة الذي: "كتب في إخلاصه (جريدة الإخلاص): "محاولة فاشلة لتشتيت الطرق"، وسعى مع حزبه لغلق المساجد وإيصاد المكاتب العربية وإماتة النهضة....."، وكان الهجوم شديدا عليه، وتبرئة للعقبي بكون دروسه هادئة⁽¹⁾.

اعتبر الزاهري الإغلاق تشجيعا للتنصير والتجهيل، وكتب مقالا عاصفا جاء فيه: "إن الأغنياء من أشياخ الطرق الصوفية الذين جمعوا من فقراء المسلمين باسم الصدقات والنذور والزيارات أمولا طائلة بدعوى أنهم سيصرفونها في أوجه البر وفي خير الإسلام والمسلمين، ثم أسرفوا على أنفسهم، وأنفقوها في الأهواء والشهوات، وبذروها هبات وهدايا إلى من لا يستحقونها، ولم ينفقوا منها في سبيل الله، هم المسئولون على الخصوص أمام الله عن هذا المصائب الذي حل بالإسلام في هذه البلاد لأنهم يعاونون المبشرين على تنصير فقرائنا وضعفائنا، فلو أنهم آمنوا واتقوا، وأنفقوا هذه الصدقات والنذور والأموال في أوجه الخير التي جمعت لها من إنشاء الملاجئ للضعفاء والمعوزين ومن فتح المدارس والكتاتيب يتعلم فيها الأطفال المسلمون أمور دينهم، ولم يأكلوا هذه الأموال بغير حقها. لما أمكن للمبشرين بحال من الأحوال أن يظفروا بتنصير هذا العدد الكثير من المسلمين" ثم يوجه المسؤولية في نجاحات التنصير للجميع قائلا: "ثم المسلمون جميعا في هذا الوطن هم أيضا مسئولون أمام الله وأمام الشعوب الأخرى عن هذه الولايات التي تحل بالإسلام، فلو أنهم قاموا بواجبهم في هذا السبيل، وأنفقوا من أموالهم وجهودهم بما يرضي الله والرسول صلى الله عليه وسلم لما كان للمبشرين طمع في أن ينالوا من الإسلام شيئا مما يريدون..". والحكومة أيضا وهي حكومة لا تكيه تحمل هي الأخرى على عاتقها من مسئولية هذا الأمر نصيبا موفورا، فهي لم تقم بواجبها من كفالة الأطفال المسلمين ورعايتهم فكانوا ضحايا البؤس والحاجة، وأصبحوا فريسة للمبشرين، إن فرنسا العلمانية لم تعترض على دعاة النصرانية إذ قاموا يشنون الغارة على ديننا، ويختطفون أطفالنا ويختلسون منهم ما في قلوبهم من عقيدة وإيمان، أفليس من العدالة والإنصاف أن تتركنا أحرارا في الدفاع عن ديننا، ...؟ يقول خصوم الإسلام: إن أهالي الجزائر - ولا سيما أهالي زواوة - كانوا نصارى قبل أن يكونوا مسلمين، ويزعمون أنهم لا يخلصون الود لفرنسا إلا إذا عادوا نصارى كما كانوا، ولهذا يطلبون من الحكومة أن تساعد الآباء البيض على تنصير من في هذه الأرض من المسلمين جميعا⁽²⁾.

أكد الزاهري اتهامه للطرقيين بالتآمر مع السلطة لإغلاق المساجد في وجه علماء الدين، وعلى إغلاق الكتاتيب القرآنية وتعطيل المدارس العربية، فدفَعوا بأطفال المسلمين إلى الشوارع والطرق، ودفعوهم إلى أحضان المبشرين⁽³⁾.

وذات الأمر نجده عند العقبي في مقال: "جاء الحق وزهق الباطل"، حيث يتهم الطرقيين بأنهم وراء غلق المساجد في أوجه المصلحين والتحرش بهم⁽¹⁾، حتى يحدّوا من ظهور العلماء وامتداد تأثيرهم على العامة التي

(1) الشهاب، مقال "ما هو الإخلاص ومن هو المخلص"، ع (ذو القعدة 1351-مارس 1933)، ج 9 ص 196-205.

(2) جريدة الشريعة، الزاهري "ألف وسبع مائة مسلم يرتدون عن دينهم"، ع 2 (24-7-1933)، ص 6.

(3) جريدة الشريعة، الزاهري "يوم 23 ماي 1933"، ع 3 (31-7-1933)، ص 4، وبعض الإصلاحيين كانوا يرون أن الكتاتيب القرآنية التقليدية قليلة الفائدة، كما يقول أحمد حماني في البصائر، ع 128 (8-26-1938).

بدأت تنسحب من حضرات الصوفية، ولذلك تكررت الدعوات في البصائر لفتح المساجد في وجوه العلماء الأحرار⁽²⁾. وفي مقال "نحن وخصماؤنا غير الشرفاء" يكرّر العقبي اتهام ابن علال النائب المالي والمرابط أيضا بالتصدي للدفاع عن ميشال، كما تصدى له بالرد أحمد الهاشمي في مقال "أنا أجره إلى المحراب وهو يجرنى إلى الخراب"⁽³⁾. ووجدنا تجاني مدينة القليعة يهاجمون ابن علال لإغلاق المساجد أيضا، وينظمون مظاهرة ضد ابن علال الذي اقتحم رفقة الشرطة المسجد وهم يقرأون وظائفهم وأحزابهم⁽⁴⁾.

ثانيا: تهم الطريقين للإصلاحيين:

1- تشتيت الأمة:

وهو ما كان ديدن كلامهم بأن الشعب كان يدين للطرقية كلها في الشأن الديني، وهو ما أكدّه ابن باديس: "كان الناس كأنهم لا يرون الإسلام إلا الطرقية، وقد زاد ضلالهم ما كانوا يرون من الجامدين والمغرورين من المنتسبين للعلم من التمسك بها والتأييد لشيوخها، فلما ارتفعت دعوة الإصلاح في (المنتقد) و (الشهاب) حسب الناس أن هدم تلك الأضاليل التي طال عليها الزمان، ورسخها الجهل، وأيدها السلطان، محال"⁽⁵⁾، وقد كتب جريدة البلاغ العلوية كثيرا في هذه التهمة محملة إياهم التشتيت: "ولربما نحمل على عواتقهم افتراق الأمة زمرا وطرائق قددا ومذاهب"⁽⁶⁾.

كرر الطريقون هذه التهمة كثيرا ضد الإصلاحيين بتشتيت وحدة الأمة، واستهداف جزء منهم منها بالعداوة، والتي كان بها حقيقا الاستعمار الفرنسي، حيث أن بعض رؤوس الإصلاحيين جعلوا من الزوايا عدوهم الأول، وهي الكافلة الدينية لأغلب الشعب الجزائري، ولنا أن نستشهد هنا بتعقيب العقبي على دعوة مصالي للاستقلال أيام المؤتمر الإسلامي، مبينا "أنه لا يوافق مصالي الحاج ومن معه من الإخوان على فكرة الاستقلال الذي هو بعيد عن الأمة الجزائرية، وهي بعيدة عنه ما دامت لم تستقل في أفكارها وكل مقومات حياتها، وما دامت لا تقدر أن تحرّر نفسها من ربة بعض المرابطين واستعبادهم لها باسم الدين، فكيف يطير من لا جناح له ولا ريش"⁽⁷⁾.

والأمر ذاته يستشف من دعوة جامعة الزوايا الجمعية للمناظرة في المختلف فيه عندما خاطبهم إبراهيمي بأنهم هم سبب الفرقة وليست الجمعية: "فإنكم تعلمون علم اليقين أن ما فكك الأمة المسلمة الجزائرية ومزق وحدتها حتى صارت متنافرة متخالفة بعد أن كانت متقاربة متألّفة هو ما أدخلتموه عليها من التشكيك في أمر

(1) السنة، ع 9 (5-6-1933)، ص 8. مقالات العقبي، مرجع سابق، ج 1 ص 342.

(2) البصائر، ع 1 (27-12-1935)، ص 2. مقالات العقبي، ج 1 ص 363، وانظر آثار إبراهيمي، ج 3 ص 232.

(3) البصائر، ع 26 (3-7-1936)، ص 1، ع 55 (12-02-1937)، ص 1. وانظر الجزائر الثائرة، ص 143.

(4) المرصاد، "مرابط يحارب الذاكرين"، ع 41 (21-3-1933)، ص 3. المرصاد، "مظاهرة في القليعة ضد النائب بن علال"، ع 52 (7-7-1933)، ص 3.

(5) المرصاد، حول منع الذاكرين من التجانية بمسجد القليعة، ع 53 (14-7-1933)، ص 1.

(6) الشهاب، ابن باديس، "الطرقية"، ع (محرم 1357-مارس 1938)، ج 14 ص 12. آثار ابن باديس، مرجع سابق، ج 4 ص 368.

(7) البلاغ، "من الأمراض الفتاكة في جسم الإسلام والمسلمين"، ع 293 (19-5-1933)، أضاميم، مرجع سابق، ج 2 ص 311.

(7) البصائر، ع 31 (7-8-1937)، ص 1.

دينها اعتقادًا وعملاً، وأفتيتموها في كل مسألة خلافية بما يعد خروجًا عن دائرة الحق والإنصاف وولُوجًا في ورطة الشذوذ والاعتساف، ولطالما انتظرنا رجوعكم إلى الجادة، ولكن ذهب انتظارنا سدى⁽¹⁾.

يردّ الطريقون بأن المصلحين هم الذين فتنوا الأمة ليس في سياستها فقط، بل حتى في دينها وأخلاقها⁽²⁾، وأنهم أشد خطراً حتى من المبشرين المجاهرين بعدواتهم، لأنهم يخدعون الأمة تارة باسم الإصلاح وتارة باسم الدين الصحيح⁽³⁾، وتارة باسم الكتاب والسنة، والكلّ عناوين واحدة مرماها واحد وهو تشكيك الأمة فيما عاشت عليه أربعة عشر قرناً⁽⁴⁾. وممن كتب في أثر الإصلاحيين في التشتيت الغوثي الحصار⁽⁵⁾.

2- تمييع الدين:

وهي التهمة التي ظلّ الطريقون يلاحقون بها العلماء، بابتداعهم طرائق غير مألوفة في الدرس الديني، وجلوسهم في المقاهي، ولبس البدلات، والتهاون في الصلاة، فإنهم: "ليسوا بالعلماء، بل هم الظلماء الذين ثبت غشهم وعداوتهم، واتضح خيانتهم للإسلام والأمة والوطن، والذين ثبت زيغهم وضلالهم وسعيهم في تفريق الأمة كلما هبّ نسيم جمع كلمتها"⁽⁶⁾.

كما اتهموا الإصلاحيون بالخطّ من الرسوم الدينية مثل ارتداء بعضهم للباس الإفرنجي وحلقهم اللحى، وعدم ترك التدخين⁽⁷⁾، وجفاف ألسنتهم من الذكر والصلاة على الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم، ففي تعليق لصحفي من جريدة لسان الدين يصف فيه مدينة آقبو التي غزاها الإصلاح: "آقبو مدينة تجارية يسكنها أقوام يغلب عليهم حب الانكماش والاشتمزاز من الذاكرين لله، وقد سيئ ظنهم بالملتحنين الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، لأن تعاليم الإصلاح التي باضت وفرخت في عقولهم لم تسمح لهم بحسن الظن في سلف الأمة فضلاً عن خلفها"⁽⁸⁾. ولأجل ذلك دعوا إلى ضرورة استرجاع الألقاب المغتصبة (المصلحون) من الشردمة المفسدة المحاربة لأولياء الله تعالى⁽⁹⁾. وتحذير المسلمين من مذاهب العصريين⁽¹⁰⁾.

كما اتخذ الطريقون من تجمعاتهم منابر لنبز غيرهم، ففي تجمع للبودليي بتلمسان قام تلامذته بتنظيم محاورات بين مصلح وطريقي، ومصل وتارك للصلاة، وخطب عبد الله البيضاوي مهاجماً دعاة الدين الجديد⁽¹¹⁾.

(1) البصائر، "إلى الطريقين"، ع 80 (3-9-1938)، ص 1، آثار الإمام الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 300.

(2) لسان الدين، اللوي بن مراد "شوامخ الجبال"، ع 57 (28-7-1938). بخيقي، رحلات جزائرية-طرقية-، ج 3 ص 128.

(3) يشير إلى كتاب أبي يعلى الزواوي "الإسلام الصحيح" الذي شُنّ عليه طريقيو القبائل حملة كبيرة.

(4) لسان الدين، اللوي بن مراد "شوامخ الجبال"، ع 58 (12-8-1938)، رحلات جزائرية-طرقية-، ج 3 ص 130.

(5) لسان الدين، الغوثي الخصار: "شرح وتعليق على دعوة علماء التفريق"، ع 41 (19-11-1937)، ص 4

(6) العقون، الكفاح القومي السياسي، مرجع سابق، ج 1 ص 211.

(7) جريدة الصراط السوي، الزاهري، مقال "إلى زيارة سيدي عابد"، ع 8 (6-11-1933)، ص 4-6.

(8) لسان الدين، اللوي بن مراد، مقال "شوامخ الجبال"، ع 57 (28-7-1938)، رحلات جزائرية-طرقية-، ج 3 ص 128.

(9) لسان الدين، ع 50 (16-4-1938)، ص 3.

(10) لسان الدين، ع 72 (6-4-1939)، ص 4.

(11) النجاح، ع 2193 (28-9-1938)، عن بوغانم، نفسه، مرجع سابق، ص 174.

وفي هذا المضمار لم يفتأ الشيخ البودليبي يؤكد على قابلية الإصلاحيين للانسلاخ عن الدين والانخراط في الحداثة الغربية، ويقول: "العلويون لا يختلفون كثيرا عن الإصلاحيين، وما يؤاخذونه على الآخرين هو استعدادهم التام للتغريب"⁽¹⁾. وفي هذا المجال كان ألسنة الصحف الطرقية تغمز من سيرة بعض الإصلاحيين كالزاهري الذي غمز بعد خروجه من الأغواط، وهو ما ردت عليه الصحف الإصلاحية⁽²⁾.

لقد كان الطرقيون يرمون النهضة أيضا، ولكن بالتمسك بالدين وليس بالانجرار وراء كل لغط حدائي، فهذا البوعبدلي أبو عبد الله يقول: إنقاذ الجيل الجديد والشباب الوقي من أودية الجهل والظلال والأوهام،... وممن "حاموا في بحور ما يسمونه حضارة ورقبا ومدنية، وتمسكوا بأهداب ما يرون أنه إصلاح وإرشاد، وما هو في نفس الواقع -كما يراه العارفون- إلا انحطاطا وتأخرا عن مصاف الأمم الجاهدة السائرة بجهد واجتهاد نحو السعادة والفوز والنجاح،.... وليس هذا الإصلاح المزعوم، وهذا الإرشاد في الحقيقة إلا إضلال وفساد"⁽³⁾.

ظل الطرقيون يعتبرون الإصلاحيين أقرب إلى الطروحات الحداثية والنهل من الحضارة الغربية تبعا لتأثرهم بالخط العبدوي، وكم شنعوا على التصريحات المشيدة لبعضهم بالرؤية الفرنسية في الحقوق، ومن تلك التصريحات ما أدلى به العقبي عقيب محاكمته: "إننا معشر رجال جمعية العلماء نطرب كثيرا لمدنية فرنسا كلما درسنا جانباً من نواحيها القائمة على أساس التربية الصحيحة والأخلاق الفاضلة، وحب الخير لبني الإنسان، ولسنا نرى في شريعة الإسلام ما يخالف شعار فرنسا الدائم: الحرية، المساواة، الأخوة"⁽⁴⁾، ويمكن الاستشهاد لهذا التوجه المنفتح بما قاله السعيد صالح الذي دعا إلى الاقتداء بالأوروبيين في منتج التربية وترجمة آثارهم كما ترجموا هم عن العرب⁽⁵⁾.

3- المبادأة بالعدوان:

وخاصة من العقبي، ففي هذا السياق يحكي المدني عن التهجم الدائم من العقبي على زعماء الطرق أنه قال: "قال يوما أثناء درس من دروسه الأسبوعية بالنادي -نادي الترقى- وكان الشيخ القاسمي والشيخ ابن عليوة حاضرين: ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى ولا الطرق والطرقيون حتى تتبع ملتهم، فانفصل شيوخ الطرق عن الجمعية، وأخذوا يسعون في تأليف جمعية علماء السنة"⁽⁶⁾.

ومن المتواطئ عليه هو عنف لغة العقبي، وهو ما سجله أشد أنصار الإصلاح مثل أحمد حماني عنه أنه: "كان أحد أقطاب الحركة الإصلاحية، وكتابها الناهيين، وكان يميل في أسلوبه إلى الشدة والعنف والصراحة المبررة"⁽⁷⁾. وهو ما يؤكد تحليل لغته الخطابية العنيفة، وتمركزه حول ذاته، وعدم استيعابه للواقع⁽⁸⁾.

(1) Cartigny Jahan: Chikh Al Alawi. Documents et Témoignages. P100.

(2) جريدة الشريعة، ع 3 (31-7-1933)، ص 7.

(3) جريدة الرشاد، ع 47 (17-7-1939). رحلات جزائرية-طرقية- ج 3 ص 111.

(4) ابن العقون، نفسه، ج 2 ص 45.

(5) سجل جمعية العلماء، ص 188. انظر الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، ج 3 ص 99.

(6) أحمد توفيق المدني، مرجع سابق، حياة كفاح، ج 2 ص 323. العقون، نفسه، ج 1 ص 203.

(7) أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة، مرجع سابق، ج 2 ص 29.

(8) يعتبر مراد نثر العقبي فجاً ومنفراً في أغلب الأحيان، انظر الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، مرجع سابق، ص 120.

وفي غمرة الاستباق للعداوة يستنكر الطرقيون تلك الحرب التي جعلت الإصلاحيين يصفونهم بما لم يصفوا به الأعداء الحقيقيين في الملة من المنصرين والمستشرقين، فكم اشتكوا من تلك المقالات الناقضة لركن الحب والولاء بين المسلمين، ومن ذلك قولة الإبراهيمي عنهم وعن جمعيته: "تأسست جمعية علماء السنة من علماء مأجورين، وطلبة مدحورين، من كل من في عنقه للزوايا منة الخبز، ولها عليه فضل التعليم الأشل، وله فيها رجاء العبد في سيده، من تلك الطائفة التي لا ترعى للعلم حرمة، ولا تشعر له في نفوسها بعزة ولا كرامة، وقد اجتمعوا كلهم على النداء من كل صوب كضوال الإبل، وحشروا في غمرة من الدهول أوهمتهم أنهم سيصبحون بفضل سادتهم مشايخ الطرق، وبجاه مولاتهم للحكومة موظفين منيشنين"⁽¹⁾.

والحق أن بعض الأقلام الإصلاحية كانت شديدة الحدة تجاه الآخر، فقد نقلت جريدة الشريعة -عن جريدة البلاغ- مقالا لمحمد جبر فودة "الدين الإسلامي بين المبشرين والمبتدعين"، جاء فيه: "لست أذيع سرا إذا ما جاهرت عن يقين ثابت وعقيدة راسخة بأن المسلمين الآن بين شقي الرحي، تضغطهم أعمال المبشرين التي ذاع أمرها واستفاض خبرها، وتصرفات المبتدعين الذين يدخلون في الدين ما ليس منه، ولئن حمدت للأمة اهتمامها بأمر المبشرين وانتهاج الوسائل المؤدية إلى الحد من طغيانهم والقضاء على أغراضهم، فإنه لا يزال عالقا بنفسي أثر سيء مما يأتيه المبتدعون هادما لبنيان الدين، وناقضا لتعاليمه من أساسها، ولو أحسنت الحكومة صنعا لعملت على تحرير الدين مما علق به بفعل جماعة من المسلمين لا يعنهم من أمر دينهم غير أن تشبع بطونهم وتمتلى جيوبهم، أولئك على الدين أشد ضررا وأكثر خطرا من المبشرين،...ولكن ما ظنك بجماعة ليسوا من المبشرين حتى نجتنبهم، ولا يدعون للخروج على الإسلام حتى نتحاشاهم، وإنما هم مسلمون أولا، يلبسون لباس الإسلام، ويتزيون بزيه وجاءوا تحت ستار لباسهم الزائف يجتذبون نفرا من المسلمين، ينفثون فيهم سموم خرافات وأوهام ما أنزل الله بها من سلطان بدعوى أن تلك الخرافات من الدين وأن من لم يتبعها وينسج على منوالهم فيها يبوء بغضب من الله ورسوله ويكون من الكافرين.. لا شك أن هؤلاء أشد ضررا على الإسلام من المبشرين الذين قدمنا أن معالجة أمرهم باتت وشيكة النجاح، وأن دعوتهم عند الكثيرين لا تصادف ما قدر لها من رواج"⁽²⁾.

4- معاداة المذاهب الفقهية:

وذلك بالترويج للاجتهاد، وعدم احترام الموروث المالكي، بل وفتح الصحف للمناوئين لها، وجاء فرصة نشر المطبعة الإسلامية بقسنطينة لرسالة "الدين الخالص" للتاجر محمد بن بكير الإباضي سنة (1934)، والتي طعن فيها في المذاهب الفقهية الأربعة، مما اتخذ الطرقيون تكأة للهجوم على الجمعية وعداوتها، وقد اعتذر الشهاب وابن باديس بعد ذلك عنها لما فيها من الطعن⁽³⁾.

(1) الإبراهيمي، فلسفة جمعية العلماء، سجل الجمعية (1935)، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 188.

(2) جريدة الشريعة النبوية، ع 6 (21-7-1933)، ص 6. والغريب أنها قالت إن المقال نشر بالبلاغ.

(3) الشهاب، (ع جمادي 1 الأولى 1353 - أوت 1934)، ج 10 ص 620. الثبات، أحمد بوشمال "رفع احتمال حول كلمة في الشهاب على رسالة الدين الخالص لمحمد بن بكير"، ع 28 (2-1-1935)، ص 3.

وطالما اتهم الطريقون الإصلاحيين باحتقار التعليم في الزوايا الجزائرية، وأنهم مولعون بالأزهر والزيوتونة والمشرق، في حين لم تكن مازونة ولا تلمسان أقل شأنًا من تلك المعاهد التي خرجت الإصلاحيين وكذلك الطريقين.

كما ركز الطريقون على انتقاد الوضع الثقافي الجديد الذي كرسه المدارس الإصلاحية التي اتهموها بتزهد الطلبة في التعليم العتيق، كما قال أحدهم: "انهمك أكثر المتعلمين في طلب العلوم العصرية، مثل الأناشيد والخطب والمحاضرات والإنشاد التي لا تسمن ولا تغني من جوع، وأعرضوا عن العلم الشرعي الذي حماه الله بطلبة الزوايا"⁽¹⁾.

يصر البودليي على أن المشكلة كلها كامنة في عدوان الإصلاحيين على ما استقر عليه الدرس الفقهي مخاطبا إبراهيمي: "لو وقف علماء شيعتكم من أول الأمر على ما قرره العلماء ودونوه في كتبهم.. وتناولتموها أنتم بالقبول والشرح ونشرها بين الناس من دون تلبيس ولا تدليس لما وقع هذا الخلاف العظيم الذي شوه سمعة الأمة الجزائرية"⁽²⁾.

وكانت رسالة المبلي من أكثر الرسائل التي اعتبرها الطريقون إيغالا في التكفير بالوسائل، والولوع بالأساليب الوهابية، وهي اللازمة التي كان يرددها الطريقون مستندين إلى جملة الردود التي تجعل وهابية نجد هو الخوارج، ونجد هي قرن الشيطان، في حين كان العقبي يدافع عن الأطاريح الوهابية ويعتبرها صميم التوحيد ويقول: "إذا كانت الوهابية هي عبادة الله وحده بما شرعه لعباده، فإنها مذهبنا وملتنا السمحة، وعليها نحيا وعليها نموت ونبعث إن شاء الله من الآمنين، وإن تكن الوهابية شيئا آخر غير هذا فإننا منها بريئون وعنا بعيدون"⁽³⁾.

والإبراهيمي يقول: "إن المتتبع لتاريخ هؤلاء الدجالين يجدهم لم يخلوا من التحرق على الإصلاح والتنكر له في جميع أطواره وعلى اختلاف مظاهره فقد كانوا متنكرين له وهو جنين فلما ظهر في الأفراد ازدادوا له تنكرا وعليه نقمة، فلما ظهر في شكل جمعية أجمعوا أمرهم وشركاءهم لحربه بهذه المكائد. ألم تعلموا أنهم قبل أن يظهر الإصلاح بهذا الوطن وتلهج الألسنة باسمه كانوا يلعنون ابن تيمية وابن حزم ومحمد عبده وغيرهم من أئمة الإسلام الذين جهروا بإنكار البدع، فلما ظهر الإصلاح بالمظهر الفردي كان أمضى سلاح يقاومونه به قولهم تبيي، عبداوي"⁽⁴⁾.

(1) رحلات جزائرية - طرقية -، رحلة عثمانى عبد المجيد الطولقي سنة (1938)، ج 3، ص 177.

(2) البودليي، إمطة اللثام عما نشأ في الحاضرة التلمسانية، مرجع سابق، ج 1 ص 11.

(3) السنة النبوية، ع 2، (1933-4-17)، ص 7.

(4) جريدة السنة ع 9 (5-6-1933)، ص 3. آثار إبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 127. والإبراهيمي فصل من زاوية ابن علي الشريف بحكم من المحاكم الفرنسية، ولا ندري ملابساته. انظر العقون، نفسه، ج 1 ص 223.

وأما ابن باديس فيرد بمقال "عبد اويون ثم وهابيون، ثم ماذا"، ويقسم بأنه ذهب إلى الحجاز، ولم يعرف كتب ابن عبد الوهاب ولا اشتراها⁽¹⁾. لكن الإصلاحيين ومع الهجوم المتكرر على الحركة الوهابية دبجوا المقالات في سنيّها، وفي آثارها الحميدة في تيسير الحج والقضاء على البدع في المشاهد⁽²⁾.

المطلب الثاني: علاقات الوفاق الإصلاحية الطرقية.

وهي العلاقات التي سادت قبيل الانقسام وظهور جمعية علماء السنّة، ولم يطل أمدها في هذا العقد، وإن ظهرت في فترات ولحظات قليلة، أو من بعض الأصوات المعتدلة في الطرفين، أو من بعض الدعوات المختلفة للمّ الشمل الديني، كما سيأتي، ومن مظاهر تلك اللحظات الوفاقية ما يأتي:

1- الأصوات الوفاقية:

وذلك في بدايات التأسيس لجمعية العلماء، حيث تعالت أصوات الوفاق والائتلاف، واختفت أقلام الشنآن والتشهير من كلا الفريقين، فتنشر الشهاب قصيدة للإصلاحي عمر بن البسكري يرنو إلى الائتلاف، ويدعو الطرق إلى نفي التعصب⁽³⁾:

فما ضرّكم يا قوم إلا تعصب-----جهل طريق الحق حتى غدت طرقا
وهل صحّ في الإسلام تكفير معشر-----رأوا كل ما أدى بينهم حقا
إذا كان أصل الدين يا قوم واحدا----فما بال هذا الجمع مفترق فرقا.

وفي بدايات الانشقاق سيرت جمعة علماء السنة وفدا منها لجمعية العلماء من أجل الوفاق والتوفيق⁽⁴⁾. وقد طلب ابن باديس من مسؤولي جريدة المرصاد عدم نشر أي شيء له بخصوص الرد على إساءات البلاغ له⁽⁵⁾. وحتى في العهد المتأخر من الصدام والخصومة المستمرة لم يستنكف ابن باديس عن الدعوة للتعاون بين الفريقين، فقد نشر بيانا في الذكرى الرابعة عشر لصدور الشهاب قال فيها: "كان الناس كانوا لا يرون الإسلام إلا الطرقية، ولا يهمننا أن نجهز على الجريح، والمهم أن نبين موقفنا من بقية شيوخها.. حاربنا الطرقية لما عرفنا فيها من بلاء على الأمة، ونمد يدنا للباقي بشرط واحد: لا يكون آلة مسخرة في يد نواح اعتادت تسخيرهم، فكل طريقي مستقل في نفسه عن التسخير فنحن نمد يدنا له للعمل في الصالح العام، وله عقلية لا يسمع منا فيها كلمة"⁽⁶⁾.

2- الزيارات المتبادلة:

وهي الزيارات التي افتتحها ابن باديس بصفته الرسمية رئيسا للجمعية، حيث زار بعض زوايا الغرب، ومن تلك الزيارات المشهودة في (جوان 1931) زيارته لشيخ الطريقة العلاوية بمقره بمستغانم، حيث شاهد

(1) جريدة السنّة، ابن باديس، ع 3 (29 ذو الحجة 1351هـ - 24-4-1933)، ص 3

(2) جريدة الصراط السوي، الزاهري، مقال "الوهابيون سنيون حنابلة"، ع 5 (16-10-1933)، ص 4-5.

(3) الشهاب، ع (جمادي الثانية 1350 - أكتوبر 1931)، ج 7 ص 685.

(4) البلاغ، ع 292 (5-12-1933)، ص 3. ولم تكن هناك نتيجة من هذا اللقاء.

(5) المرصاد، ع 11 (3-25-1932)، ص 3.

(6) الشهاب، ع (محرم 1357 - مارس 1938)، ج 14 ص 12. آثار ابن باديس، مرجع سابق، ج 4 ص 369.

الاحتفاء والأدب الجم، ووصف بقلمه الأجواء الحميمية:" وسماحة الشيخ سيدي أحمد بن عليوة شيخ الطريقة المشهورة، ... وفي حفلة العشاء عند ابن عليوة: بالغ في الحفاوة والإكرام، وإنشاد أبيات ابن الفارض، ولم يتعرض لمسائل الخلاف، ولما أراد أحد الأعيان وهو أحمد بن إسماعيل التاجر تعكير الجو بقوله:" إن هؤلاء المفسدين الذين يسمون انفسهم مصلحين ينكرون الولاية"، فغضب ابن عليوة عليه، وأجاب ابن باديس بالرأي الشرعي الذي أيده فيه ابن عليوة بقوله:" هذا مما لا يخالف فيه أحد".

بل إن ابن باديس حضر مجلس السماع الصوفي، وقال:" وبعد العشاء قرأ القارئ آيات، ثم أخذ تلامذة الشيخ في إنشاد قصائد من كلام الشيخ ابن الفارض بأصوات حسنة ترنحت لها الأجساد، ودارت في أثناء ذلك مذكرات أدبية في معاني بعض الأبيات زادت المجلس رونقا، " وشكر ابن باديس الأدب الجم لعدة بن تونس⁽¹⁾، وكانت الزيارة مائعة ختمت التوجس الموروث منذ حادثة محاولة الاغتيال قبيل خمس سنوات.

كما زار ابن باديس الشيخ الوانوي سبط الثائر بومزراق في الأصنام⁽²⁾، وكان له إسهام علمي وتعليمي في الشلف، حيث استقر وقاوم الهجمة التبشيرية، وزار ابن باديس شيخ زاوية بطيوة أبو عبد الله البوعبدلي الذي قدّم له قصيدة في مدح جمعية العلماء⁽³⁾، وزار زاوية بن تكوك وضريح أبيهم زيارة شرعية كما وصفها البوعبدلي، وزار وهران واحتفى به الشيخ الطيب المهاجي، حيث ألقى هذا الأخير خطابا بليغا مرحبا بالأستاذ ابن باديس⁽⁴⁾. وبلعباس استقبل أنصار الحاج ابن السنوسي الإبراهيمي حيث ألقى محاضرة في نادي النجاح سنة (1934)، وألقى كذلك محاضرة في النادي المنتهي للزاوية العلاوية بغليزان، وكان موضوعها عن التوسل، وقد شابه بعض التشويش، ولكن جمهورا عريضا من الطرقيين حضرها⁽⁵⁾.

وفي الشرق الجزائري كانت علاقة ابن باديس ممتازة مع زاوية آل الحسين بميلة، ومع زاوية آل الدردور الرحمانية بالأوراس، فقد زارها سنة (1933)، وكان له بها تلميذ نجيب هو الشيخ عمر دردور⁽⁶⁾. والأمر ذاته أيام زيارته لوادي سوف (1938) حيث طاف بين مختلف الزوايا بدعوة شيخ القادرية عبد العزيز بن الهاشمي، فزار زاوية سيدي سالم الرحمانية، وعيمش القادرية، وزاوية تاغزوت التجانية، وقرب بين الفريقين المتخاصمين من التجانيين والقادريين، وهي خلافا متجددة لم تبرأ منها زوايا الوادي⁽⁷⁾.

يقيم علي مراد حركة ابن باديس الأولى أو ما سماه بالغزو المعنوي بأن نزعة ابن باديس التوفيقية الجمّة خلال جولته (1932) بدواع مختلفة منها روحه الجانحة للسلم والاعتدال، وأنه كان يسعى للتعريف

(1) الشهاب، ع (رجب 1350-نوفمبر 1931)، مج 7، ص 729.

(2) الشهاب، ع (رجب 1350-نوفمبر 1931)، مج 7، ص 727.

(3) الشهاب، ع (شعبان 1350-ديسمبر 1931)، ج 3 ص 843. ووعد ابن باديس بنشرها،

(4) المهدي البوعبدلي، الرحلات، رحلي مع ابن باديس، ص 9.

(5) خالد مرزوق ومختار بن عامر، مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان، مرجع سابق، ص 148.

(6) صلاح مؤيد، الزوايا والطرق، مرجع سابق، ص 803. علي عزوزي، زاوية آل دردور، ص 39.

(7) البصائر، ع 96 (1-21-1938)، ص 3، مذكرات خير الدين، ج 1 ص 233. إبراهيم مياشي، "جهاد الشيخ عبد العزيز الشريف"، الجزائر، مجلة الثقافة، (7-8-1996)، ص 172. بوكسية، التطور الثقافي والسياسي بالزوايا الرحمانية، مرجع سابق، ص 277.

بالجمعية، ولم يكن ينوي قط انتقاد المrapبية في مجالها ويدانها، وكانت الكياسة تقتضي استمالة هؤلاء باعتماد اللطف والرفق قصد دفعهم إلى إصلاح ممارساتهم الدينية والمساهمة في تعليم الجماهير⁽¹⁾. وحتى في أيام المؤتمر الإسلامي الجزائري (1936)، نزل وفده المكون من ابن باديس والإبراهيمي والعمودي والزاهري وابن حلوش في الزاوية التجانية بغليزان ليشرح للأمة مطالب المؤتمر الإسلامي⁽²⁾. وكان الطريقون يردون الزيارة بمثلها، فيحدثنا مدير البلاغ العلوية أنه في قسنطينة زار الشهاب، والجمعية الخيرية التي يرأسها محمد النجار الحركاتي⁽³⁾، واعتبر الجمعية ومدرستها مفخرة قسنطينة وحسنتها⁽⁴⁾. وأما الإبراهيمي فقد كان ضيفا بتلمسان سنة كاملة في الزاوية الهبرية يعطي دروسا بها⁽⁵⁾، وكان صديقا لأحمد بن محمد التجاني (1316-1398هـ/1978) الذي تولى مشيخة تماسين سنة (1927)⁽⁶⁾، ومحمد الصالح بن عتيق كان يلقي دروسه في الزاوية التجانية بميلة في بداية عمله بها⁽⁷⁾. وكانت علاقات ابن باديس جيدة مع الزاوية الطيبية بقسنطينة التي احتضنت ثلة من الطلبة الإصلاحيين للإقامة فيها كالصدق حماني وابن عمه أحمد حماني⁽⁸⁾.

ومن المغرب يستقبل قدور الحلوي الإصلاحي الشيخ أبا العباس أحمد بن محمد التجاني ويجتفى به في الصحف الإصلاحية⁽⁹⁾، والأمثلة على ذلك كثيرة، فلم تكن القطيعة هي السمة الدائمة بين الطرفين.

3- الفتاوى والآراء المتقاربة:

فمن الغريب أن الطريقين لم تكن آراؤهم في التطبيقات العقدية أو الفقهية واحدة ولا متطابقة، فبعضهم كان يقترب من الآراء الإصلاحية كالمفتي بولحبال، ولكن أشهر رجل في ذلك هو المولود الحافظي الذي كتب "تحرير القول في إبطال التوسل والاستغاثة بالأولياء"⁽¹⁰⁾، وهو قريب من ابن باديس في قصر التوسل بجاه

(1) انظر علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية الجزائرية، مرجع سابق، ص 170.

(2) البصائر، مقال "طواف وفد المؤتمر الإسلامي الجزائري في عمالة وهران"، ع 41 (30-10-1936)، ص 3.

(3) محمد المجار ابن عمارة الحركاتي (1877-1947): من عين البيضاء، درس على الوينيسي والمجاوي، وكان قصادا في الزاويتين العيساوية والقادرية، كلفه ابن باديس بإدارة شؤون جمعية التربية والتعليم، وكان رئيس الرابطة الأدبية بقسنطينة (1928)، وكاتباً عاماً لجمعية السلام. انظر معجم أعلام الجزائر في القرنين، مرجع سابق، ج 1 ص 162.

(4) البلاغ، ع 254 (13-5-1932). رحلات جزائرية-طريقة-ج 3 ص 65.

(5) حوار مع الشيخ بن يونس آيت سالم، جريدة الشروق، ع 3035 (24-8-2010)، ص 10. خالد مرزوق ومختار بن عامر، مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان، مرجع سابق، ص 139.

(6) عبد الباقي مفتاح، أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه، مرجع سابق، ص 292.

(7) البصائر، ع 114 (20-5-1938)، ص 8، عن تقرير لأحمد حماني "حديث المتجول، المليية"، وذكر بأن أهل الزاوية التجانية بعد ذلك أوصدوها أمام معلم الصبيان الإصلاحي.

(8) محاضرات أحمد حماني، الشيخ الصادق حماني، مرجع سابق، ج 3 ص 386.

(9) المرصاد، مقال "على الطائر الميمون"، ع 54 (21-7-1933)، ص 3.

(10) الشهاب، ع (شعبان 1350-ديسمبر 1931)، ج 7 ص 820.

النبي صلى الله عليه وسلم، وقد دعا الحافظي في غمرة الصراع إلى توقيع صلح بين جمعية السنّة والعلماء وتحرير مواطن الخلاف القليلة⁽¹⁾.

وخاطب الزاهري الطرقيين بمقال "نحن لا ننكر الولاية"⁽²⁾، من أجل تفنيد الدعايات الشائعة حول سلبية رجال الإصلاح تجاه الأولياء والصلحاء الذين يسكن تمجيدهم والتسبي بأسمائهم الساكنة الجزائرية. وأثناء زيارة ابن باديس للبليدة قال مفتها الذي كان يستضيف محمد الحبيب الفيلاي الفاسي -العنيف على الإصلاح- فرد عليه قائلا: "إنما ننتسب للطريق لقصد الذكر وتهذيب النفس، ونبرأ من كل المفاسد التي يرتكها من يرتكها من الطرقيين"⁽³⁾. وفي مقالات متسلسلة لعمر البسكري بعنوان "سوء التفاهم" حاول تقريب الآراء والبحث عن المشترك في الولاية والكرامة والتوسل، وعدم إنكار الشفاعة التصوف والولاية، وغير ذلك⁽⁴⁾.

4- التعاون المالي والمعنوي في تأسيس شعب الجمعية:

ساد الجزائر في السنة الأولى لتأسيس جمعية العلماء تسابق محموم من الإصلاحيين والطرقيين في إنجاح تأسيس الشعب في العمالات الثلاث، فقد تحولت بعض مساجد القطاع الوهراني وصارت مدارس حرة للجمعية⁽⁵⁾، وذكر ابن باديس في جولته للغرب زيارته للزاوية الدرقاوية في تيارت، حيث أهدى شيخها غلام الله (500 فرنك) وقال إنه من مؤيديها وأنصارها⁽⁶⁾.

وأرخ ابن باديس زيارته للزاوية السنوسية، ولقائه بمصطفى بن طكوك (أخو عبد القادر بن طكوك)، وقد وصفه ابن باديس فقال: فأكرم نزولنا وبتنا ليلة وودعناهم في صبيحتها، وحدثناه عن الجمعية فأظهر ابتهاجه بها وقدم مائتي فرنك لإعانتها⁽⁷⁾. وفي معسكر احتفى الطرقيون بابن باديس عند تأسيس شعبتها، ونقلت النجاح ذلك تحت عنوان "رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في معسكر"⁽⁸⁾، أنه قد استقبل بحفاوة من طرف أعيان المنطقة إذ أقام فيها عدة أيام مطلعا على أحوال الناس، وموجها وواعظا.

وكان الاحتفاء بالجمعية قويا من أنصار الطرقيين، فهذا مامي إسماعيل مدير النجاح يكتب مقالا: "جمعية العلماء منّة كبرى يجود بها القرن العشرون" وفيه: "إذا جاء موسى وألقى العصا فقد بطل السحر والساحر"⁽⁹⁾.

ولم يكن الأمر مقصورا على افتتاح الشعب، بل كان التعاون والدعاية لبناء المساجد والإشهار لها، ومن ذلك افتتاح مسجد سطيف سنة (1931)، والذي ضمت لجنته جملة من الإصلاحيين والطرقيين، وخطب في

(1) بوصفصاف، نفسه، ص 268.

(2) الشهاب، ع (رمضان 1350 - جانفي 1932)، ج 8 ص 21.

(3) الشهاب، ع (رمضان 1350 - جانفي 1932)، ج 8 ص 46-47.

(4) الشهاب، ع (شعبان 1351 - ديسمبر 1932)، ج 8 ص 686.

(5) مريوش، الشيخ الطيب العقبي، ص 149.

(6) الشهاب، ع (رمضان 1350 - جانفي 1932)، ج 8 ص 47. العقون، مرجع سابق، ج 1 ص 202.

(7) مجلة الشهاب، ع (رجب 1350 - نوفمبر 1931)، ج 7 ص 733.

(8) النجاح، ع 1323 (26-6-1932)، ص 2.

(9) النجاح، مامي إسماعيل "جمعية العلماء منّة كبرى يجود بها القرن العشرين"، ع 1203 (8-9-1931)، ص 1.

افتتاحه الإبراهيمي، وكذا ابن باديس، وغطى الاحتفال كل من صحف الشهاب والنجاح والبلاغ⁽¹⁾. ويذكر أن الإبراهيمي وعلى الرغم من خصوماته لطريقي تلمسان إلا أنه استعان بالحاج العربي بوحجر الدرقاوي الطريقة في بناء مدرسة الحديث بتلمسان⁽²⁾.

5- ترك المساحات للعمل الدعوي:

وهو ما ظهر من ترك مجالات النشاط مفتوحة للجميع في الابتداء، فابن باديس يثني على عمل زوايا تيارت في الاعتناء بالدين والقرآن، بل إن الإصلاحيين تواطئوا على عدم الضغط على زوايا زوواة لأنها قائمة بمهامها في حفظ الدين ومواجهة التنصير، ولنا أن نستدل هنا بشهادة إصلاحي هو الشيخ محمد خير الدين الذي ذكر بتوجيه سري من جمعية العلماء بعدم مقاومة الزوايا والمرابطين في بلاد القبائل، لأنها كانت تواجه مخططا منظما من الكنائس النصرانية بما يوجب دعم الزوايا للقيام بوظيفتها تجاه التخريب الكنسي، ورد شبهاتها ضد الدين الإسلامي⁽³⁾.

ووجدنا محافظين يعينون ابن باديس في التعليم بالجامع الأخضر كالسعيد وقريبه الشريف الصائغي⁽⁴⁾. وفي الشرق الجزائري تعاون أتباع الزاوية الدردوية الرحمانية بالأوراس مع الجمعية، وأسهموا في بناء النوادي والمساجد والمدارس، وابتعثوا أبناءهم للدراسة في قسنطينة والزيتونة، وأسس عمر دردور شعبة الجمعية (1937). وعلى غرارهم احتضنت الزاوية الهوارية الإصلاح، ورأس شيخها محمد الطيب شعبة الجمعية بتملوكة⁽⁵⁾.

وحق في غمرة الانقسام لم يمتنع نادي العلويين في غليزان من استقبال الإبراهيمي في سنة (1934)، وألقى محاضرة تخللتها أسئلة حول التوسل لم ترق للمستمعين، وحصل فيها لغط وهرج، ولم يجن الإمام شيئا إلا انصراف بعض الطرقيين منها، والحق أن كثيرا من العلماء تحسروا على لحظات الصدام التي أفرغت الزوايا من طلبتها⁽⁶⁾، مما أنتج نقصا في تخريج إطارات دينية للمساجد، وندرة في حفظة القرآن كما هو واقع الشرق الجزائري الآن.

6- الثناء المتبادل:

وهو ما لمسناه في زيارة ابن باديس للغرب الجزائري عقب تأسيس الجمعية، حيث التقى بشيوخ زوايا غليزان والشلف ومستغانم وبطيوة، وكال لهم المديح الرائقة في الشهاب فقال: "ومنهم العلامة الفقيه العارف بالله سيدي بوعبد الله بن عبد القادر البوعبدلي شيخ الطريقة الدرقاوية البوعبدلية ببطيوة _ ارزيو، وهران،

(1) البلاغ، ع 239 (1931-12-18). آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 93. وكان افتتاح المسجد يوم (20-10-1931)

(2) خالد مرزوق ومختار بن عامر، مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان، ص 194.

(3) خير الدين، المذكرات، مرجع سابق، ج 2 ص 118.

(4) النجاح، مامي، "نهضة قسنطينة العلمية، امتحان تلامذة الجامع الأخضر، ع 1269 (17-201932)، ص 1.

(5) البصائر، 168 (2-1939-6)، ص 8.

(6) العقون، الكفاح القومي السياسي، شهادة عن زاوية آل الحسين بميلة، ج 1 ص

...ونزلنا ضيوفا على العالم الأديب الشيخ أبو عبد الله آل أبي عبد الله، عالم فصيح اللسان، صحيح الإدراك، مستقيم الفكر، مهيب الطلعة، معترف له بالعلم والفضل⁽¹⁾.

وعلى هذا المنوال كتب الزاهري يمدح الطريقة التجانية التي عرفها أيام الأغواط، ويثني على الشيخ أحمد التجاني، بل ويعتبره متأثرا بالوهابية⁽²⁾. وهذا على العكس من ابن باديس الذي جارى رشيد رضا في موقفه منها. وعند وفاة الشيخ بلقاسم الراضي أحد أعمدة زاوية الهامل نعتة الشهاب وأبنته وذكرت مناقبه⁽³⁾. وكذلك نعت الثبات محمد الصغير نجل سيدي بلقاسم⁽⁴⁾. وكتبت المرصاد مشيدة بزاوية نفطة الرحمانية وشيخها التبريزي بن عزوز معتبرة الزاوية مثالا للاحتذاء⁽⁵⁾.

ومن أهم رجال الجمعية المعتدلين محمد العيد آل خليفة، والذي لم يسلط قلمه في آذى الآخرين، فكان مقتصدا داعيا للاجتماع، ومدح بقصائده رجال طريقته التجانية، كما هو في مجموع ديوانه الشعري. وامتد الثناء الإصلاحي على الصوفية العاملين، فقد تتبععت الجرائد الإصلاحية أخبار الحركة السنوسية، واهتمت لمصير أحمد الشريف السنوسي الذي توفي بالمدينة المنورة، بعدما لم تلب مصر طلبه للعلاج، لما كانت تنتظر قدوم ملك إيطاليا، وذلك في مقال عاصف يقارن بين السعودية ومصر، وعنوانه "التصوف السني بين الحكومة السنية والحكومة الطرقية"⁽⁶⁾. وأثنت المرصاد على إبطال الشيخ عدة غلام الله للوعدة صائفة (1932) نظرا للأزمة الاقتصادية الحرجة⁽⁷⁾.

ولم يكف ابن باديس عن مد اليد للملاقة حتى في آخر أيامه حيث كتب: "مصارحة واعتراف، عرفت شيوخ الطرق أوقاتا ثم فارقتهم بتاتا.. إن كل شيخ طريقة يتقدم لخدمة العربية والإسلام مستقلا بوجي ضميره فإنني أمد له يدي وأعمل معه"⁽⁸⁾.

المطلب الثالث: الأساليب الأدبية المستخدمة عند الإصلاحيين.

1- اللغة الحادة:

نجد النصيب الأكبر من هذه الحدة في أساليب الزاهري والعقبي خاصة، فهذا الأخير يكرر وبصورة فجّة هذه المصطلحات والعناوين: "ألا فليعيش الإصلاح وليخسأ المبطلون، فهم حزب المبطلين الخاسر، حججهم داحضة، إلخ، وهذا في هجوم متكرر ولغة عقائدية عنهم، وكأن الجميع في حرب عاصفة لا عدو فيها إلا

(1) مجلة الشهاب، ع (شعبان 1350 - ديسمبر 1931)، ج 7 ص 842. آثار ابن باديس، مرجع سابق، ج 4 ص 315.

(2) الصراط السوي، الزاهري مقال "هل كان الشيخ التيجاني وهابيا؟ حقائق من التاريخ لا يعلمهن كثير من الناس"، ع (30-10-1933)، ص 4، في حين ترد البلاغ على ذلك وترفض تأثره بالوهابية، البلاغ، ع 371 (17-11-1933). ومن قبل أشار أبو القاسم الزياتي إلى تأثره ببدعة الوهابية، ونقل فيه كلاما مشينا. انظر أبو القاسم الزياتي، الترجمانة الكبرى، تحقيق عبد الكريم الفيلاي، الرباط، دار المعرفة، 1991. ص 390. ص 461.

(3) بوكسية، نفسه، ص 205.

(4) الثبات، قدور بن أحمد العسكري "الموت أسرع بخياركم"، ع (9-3-1934)، ص 2.

(5) المرصاد، مقال "الشيخ التبريزي بن عزوز"، ع (8-7-1932)، ص 1.

(6) السنة النبوية، ع 6 (01-05-1933)، ص 1. آثار ابن باديس، مرجع سابق، ج 3 ص 48. المرصاد، ع 41 (21-3-1932)، ص 2.

(7) المرصاد، مقال "عمل يذكر فيشكر"، ع (23-9-1932)، ص 3.

(8) البصائر، مقال "بيني وبين طرق مصارحة واعتراف"، ع 161 (14-4-1939)، ص 1.

الطرف الآخر: "نحن نعتقد أن كل سلاح يستعمله هؤلاء الأشرار ضدنا هو سلاح مفلول، وكل تدبير يكيدوننا به فإنما يكيدون به أنفسهم، وسيرجعه الله في نحورهم ولو بعد حين"⁽¹⁾.

وكذلك العقبي الذي نثر سهام كنانته ضد الطريقين المتربطين بلغته، والذين نادهم مرارا بلزوم السكوت، وخاصة في مقاله "اتركوا العلماء يعملون أيها المشاغبون"، وهو مقال حفيظ بلغة حادة متنبئة عن عمق الانقسام⁽²⁾. وعلى منواله لغة الزاهري، إلا أن سجلاته كانت أميل إلى الهجاء منها إلى الدحض المذهبي⁽³⁾ وعلى غرارهم كانت مقالات علي مرحوم -حادة كأحمد حماني- الذي كتب عن أعداء الإصلاح بقرية الأجنح: "شرذمة ضالة وطائفة مضلة، تجمعت في أفرادها الخسة والنذالة وفساد الأخلاق وكثرة النفاق وسوء النية وخبث الطوية، وتلك الفئة الباغية والحشرة السامة التي تتفرّع في غالبيتها من خبث الطريقين وبعض المسيطرين"⁽⁴⁾. ونجد استرداداً لمفهوم الفئة الباغية وهو مفهوم له دلالات عقديّة وفقهيّة في التراث الإسلامي.

2- اللغة الاستهزائية:

وهي مشهودة في بعض الردود، فالعقبي يعتبر الطريقين مشاغبين، ويخاطبهم بقوله: "اتركوا العلماء أيها المشاغبون"⁽⁵⁾، كما يتهم العقبي الحافظي الداعي من قبل للإصلاح والوحدة: "ثم لم لبث أن عصفت به العواصف ورمت به ريح الأغراض إلى حيث وعده الشيطان ومثاه"⁽⁶⁾ لأنه يدعو إلى نصرة العوائد الدينية. وأما الزاهري فغلبت على بعض مقالاته تلك اللغة لما هاجم الطرق متّهما إياها بعدم احترام بعضها لبعض، لما تكلم عن تجربة التسول في الأغواط، وأن المتسول الفقير يسأل أهل كل بيت بالولي الذي يقدسونه (التجاني، الجيلالي، بن عبد الرحمان)⁽⁷⁾.

ولكن الصوت الأعلى في هذه اللغة هو الإبراهيمي الذي يبتز عن الطريقين كل فضيلة علمية فيقول: "نحن نعرفهم حق المعرفة، ونعرف أنهم جهلاء ويفخرون بالجهل، وأنصاف أميين ويتباهون بالأمية، إذ ليس العلم ولا القراءة شرطاً في طرقهم ولا في مشيختهم، ونعرف أنهم لا يملكون من أسلحة هذا الميدان إلا العناد والإصرار على الباطل.. ولو كانوا علماء لما بلغ النزاع بيننا وبينهم إلى هذا الحد، ولرجؤنا- إن لم يزغهم الدين- أن يزغهم العلم... ونحن لا نعترف بالعلم لهذا الصنف المتهافت على أبواب الزوايا المتعيش من فضلاتها، ويأبى لنا شرف العلم أن يكون هؤلاء المسلوبو الإرادة الفاقدو الاستقلال في العلم نظراءنا في المناظرة، لأننا بلوناهم في العمل فوجدناهم جبناً، وبلوناهم في العلم فوجدناهم يحكمون الهوى ولا يحكمون الدليل، وبلوناهم في الكتابة فوجدناهم أمثّلهم يسمى البدع المنكرة عوائد دينية.. أمع هؤلاء تكون المناظرة؟ لا، وشرف العلم"⁽⁸⁾.

(1) جريدة السنّة النبوية، ع 6 (1933-5-15)، ص 2. مقالات العقبي، مرجع سابق، ج 1 ص 327.

(2) جريدة السنّة النبوية، ع 9 (1933-6-5)، ص 4.

(3) علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، مرجع سابق، ص 132.

(4) البصائر، ع 65 (1937-4-30)، ص 2، وهي قرية في جيجل يصب بها الوادي الكبير النازل من قسنطينة.

(5) جريدة السنّة، العقبي "لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها"، ع 10 (1933-6-12)، ص 3.

(6) البصائر، ع 47 (1939-12)، ص 1. مقالات العقبي، مرجع سابق، ج 1 ص 445.

(7) جريدة الشريعة، ع 5 (1933-7-14)، ص 5.

(8) آثار الإبراهيمي، ج 1 ص 301. وذكر البودليبي رفض الإبراهيمي للمناظرة لأنه أعلم منهم. إمطة اللثام، ج 1 ص 3.

ويقول الإبراهيمي أيضا: "إن موقفنا معكم قد أصبح يتقاضانا الصراحة وتسمية كل شيء باسمه، فقد طال ما سكتنا عنكم فتجراتكم، وطالما كنيينا ولم نصرح وحومنا ولم نرد استيلافا لكم وطمعنا في استصلاحكم، فلم يزدكم ذلك منا إلا عتوا واستكبارا، حتى حامت حولنا الظنون وأصبحت الشبه تتساقط بساحتنا، فأصبح من المتحتم علينا أن نشرحكم شرحا يحل المشكلات وبفك المقفلات، وقد فتح الله علينا في فهمكم حتى لا يغمض علينا منكم معنى ولا تلتوي عبارة، وحتى لو أن الله مسخكم جملا يضمها كتاب يكتب عليه تأليف ابن قشوط بشرح الحافظي لما كلّ لنا ذهن ولا قعدت بنا قريحة عن فهمكم، وإن كان لا يصدر عن الرجلين إلا العسلطة والثرثرة وتلفيق شيء لشيء، وسبحان الفتاح" (1).

ويضيف الإبراهيمي في هذه اللغة الساخرة: "وقد قرأنا كثيرا من رسائلهم التي يتراسلون بها فإذا هم ملتزمون لصفة واحدة يصف بها بعضهم بعضا، وهي صفة (العارف بالله)، وأكثر الطريقين سخاء في إعطاء هذا اللقب هم العلوية، فقد عرفنا كثيرا من هؤلاء (العارفين بالله)، فلم نعرفهم إلا حمرا ناهقة" (2).

وكتب بعض الصف الثاني كعلي مرحوم عن زاوية بن عزوز: "قامت بواجب عظيم في نشر الجمود والخمول واستثمار الجهل وفساد العقيدة، بيد أن نفوذها الآن يسير بخطوات شاسعة إلى الوراء تحسد عليها" (3). ونالت هذه اللغة الساخرة أيضا إدارة الشؤون الأهلية في مقال "مفسر جديد للقرآن ميشال انتصار الطرقية" (4).

والحق أن هذه اللغة الساخرة سادت منصات الطرفين، وفي تقييم العقون: "فقد راجت المهارات على أشدها واستعاد السباب والشتم شباهما، وانشئت لذلك صحافة خاصة منها المعتدلة في الشتم -إن صحت العبارة- ومنها المقذع الفاحش، فكانت صحيفة الجحيم، وكانت المعيار من هذه، وكانت صحف السنة والشريعة والصراط والمرصاد والرشاد والبلاغ والإخلاص من تلك المعتدلة" (5)، فللمصلحين: السنة والشريعة والصراط والمرصاد، وللمحافظين: الرشاد والبلاغ والإخلاص كما سيأتي.

3- اللغة العقيدية:

وذلك بظهور مصطلحات التبديع، وبروز كلمات التكفير، والالتهام بالكيد للدين، كما قال العقبي: "فما أعمى هؤلاء وما أجراهم على الله، وما أعظم جنايتهم على الأمة وإجرامهم على الدين الإسلامي والمسلمين" (6). وأكثر ما ظهر ذلك في مقالات نشرية الجحيم: "وتطهير قطرنا العزيز من الجرائم الخبيثة التي أنبتها فيها الطمع وحب الرئاسة والتكالب على جمع الأموال الطائلة وتحصيل الألقاب الهائلة، وسنديق أهل الزيغ والكفر والعناد أضعاف ما اعتدوا به على السادة الأبرياء من عباد الله" (7)، بل كانت بعض الأدبيات تصفهم بالملحدون

(1) السنة النبوية، ع 9 (5-6-1933) ص 2. آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 121. والعسلطة هي الكلام بلا نظام.

(2) آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 171.

(3) البصائر، حديث المتجول، أولاد جلال"، ع 155 (3-3-1939)، ص 6.

(4) الشهاب، ع (محرم 1352- ماي 1933)، ج 9 ص 261.

(5) العقون، الكفاح القومي السياسي، ج 1 ص 247. محاضرات أحمد حماني، مرجع سابق، ج 3 ص 400.

(6) السنة النبوية، ع 10 (12-6-1933)، ص 3، مقالات العقبي، مرجع سابق، ج 1 ص 348.

(7) جريدة الجحيم، ع 1 (30-03-1933) عن العقون، نفسه، ج 1 ص 268.

(1)، وزاد الأمر شررا دخول الطرف الإباضي على المسرح، حيث كثيرا ما اتهم الطرقيون خصومهم بتأييد الإباضيين، ووجدنا ذلك في مقال "صرخة غضبان في وجه زعفان"(2)، ويكتب الزاهري في الدفاع عن الاباضية، واشتطت اللغة حتى وصلت إلى وصف الطرقيين بالخوارج، ففي مقال متأخر للعقبي: "للحقيقة والتاريخ جمعية العلماء، وجمعية الخوارج أو الخصوم غير الشرفاء "علماء السنة"(3). ويصرح الإبراهيمي مرارا بضلال الطرق وتابعيها: "وعقيدتهم في الطرق هي أنها علّة العلل في الافساد ومنبع الشرور، وأن كل ما هو متفّش في الأمة من ابتداع في الدين، وضلال في العقيدة، وجهل بكل شيء، وغفلة عن الحياة، وإلحاد في الناشئة، فمنشؤه من الطرق، ومرجعه إليها"(4).

وسيستدعي علي مرحوم التاريخ المذهبي، فيقول: "وفرقتهما الطرقية على بضع وسبعين فرقة..... رجال الكهنوت الذين شوهوا سمعة الإسلام ببناديرهم، وسبحاتهم المنصوبة شبكة للتدجيل والتغيير بالمسلمين"(5). ولا يستنكف بعض الطرقيين من دخول المسرح بذات المصطلحات، فبعضهم اعتبر الإبراهيمي مسلمة الكذاب وأن "لفظ الإسلام لا يصح على مبادئ هذا الفيلسوف وعقائده وأفكاره التي هي أشبه شيء بعقائد المجوس وأفكارهم... ولا زالوا يطلبوننا بالدليل على خروج صاحبهم من الإسلام"(6).

4- هدم مرجعيات الطرقيين:

اهتم الإصلاحيون في مقالاتهم بهدم المرجعيات الدينية لخصومهم، فالزاهري يكتب عن ابن عليوة: "شيخ علماء الجزائر أم شيخ الحلول"، ويرد على مجلة "المعرفة المصرية" التي نشرت مقالا في الذبّ عن مجد التصوف لابن عليوة أو غيره، وقد اتهمه الزاهري باتهامات عظيمة، كالارتباط بالقاديانية، وادّعاء الألوهية وأنه الله كما في ديوانه، وزعمه بأن الخطابي من أتباعه(7). كما نقل تكديبا وتقزيما لجهوده في إنقاذ مئات الآلاف من مخالب جمعيات الآباء البيض في بلاد القبائل التي قال إن عدد سكانها آنذاك لا يتجاوز المائتي ألف(8). بل تعدّى الزاهري إلى نقد زوايا بعينها عندما خصّص نقودا متوالية لزوايا ووعدات سيدي عابد وسيدي عمار(9)، ولم تسلم منه حتى الرحمانية لأنها وزواياها في الزيبان كانت تهاجم الإصلاح دوما.

(1) وصف ابن عبد الحكم الشيخ الرابعي بردوده على الملحدين، انظر المرأة الجليلة، مرجع سابق، ص 412.

(2) البصائر، ع 25 (1936-6-26)، ص3. مقالات العقبي، ج 1 ص 395. كان كتاب الإباضية الإصلاحية يهاجمون الطرقيين من خلال صحف الجمعية، أنموذجا الطرابلسي في "بدعة الضلالة" جريدة السنة، ع 9 (1933-6-5)، ص 7. وانظر رد أبي اليقظان والزاهري في جريدة الأمة، مقال "حول أسطورة إخواننا في الدين"، ع 80 (1936-6-23)، ص 1.

(3) البصائر، ع 47 (1939-12-11)، ص 1. مقالات العقبي، مرجع سابق، ج 1 ص 443.

(4) آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 189.

(5) البصائر، "حديث المتجول، باتنة"، ع 148 (1939-1-13)، ص 6. وعن الكهنوت في وادي سوف انظر علي مرحوم، وفد الورتلاني في سوف، رحلات جزائرية، مرجع سابق، ج 2 ص 279.

(6) البودليبي، إمطة اللثام، مرجع سابق، ج 1 ص 80. لسان الدين، ع 45، مقال "فصل الخطاب".

(7) الشهاب، ع (جمادى الثانية 1352- أكتوبر 1933)، ج 9 ص 495.

(8) جريدة السنة النبوية، ع 12 (1933-6-26)، ص 5.

(9) الصراط السوي، الزاهري، زيارة سيدي عابد، ع 6 (1933-10-23)، ع 8 (1933-11-6) والأعداد: 12، 7، 12، 13، 15، 16. وتكلم عن منكر الزيارة من الاختلاط والفجور والخمور فيها. وانظر فضلاء، نفسه، ج 3 ص 104.

المطلب الرابع: علاقات الصراع بين الإصلاح والطرقية (1933-1939).

وهي علاقات سادها الخصام والنزاع والخلاف الشديد فيما عُبر عنه بحرب الإخوة، الذين يمتحون من مرجعية دينية مشتركة، مما جعل الخصومة قوية بعد الانقسام، وقد عبّر عن ذلك الميلي في استندراك متأخر على التكوين الأول للجمعية من الفريقين في لغة قاسية منبئة عن عمق الانقسام بينها: "وقد كانت جمعية العلماء تحتوي على أخلاط من هؤلاء الأرهاط يحضرون جلساتها لا خدمة لغاياتها ولا إعانة لإدارتها، ولكن عينا عليها فاجرة تُبلّغ وتشير إلى إدارة "الأمر الأهلية"، وما انقضى عام حتى انقضوا على من فيها من المصلحين المرشدين ليستبدوا بإدارة الجمعية دونهم، فعاملهم الله بنقيض مقصودهم وخرجوا من الجمعية محاربين، ولأغراض إدارة الأمور الأهلية منفذين"⁽¹⁾.

ويقول سعد الله: "وكان تأسيس الجمعية على هذا النحو يعتبر (شهر عسل) بالنسبة لرجال الدين عامة، وهو الشهر الذي استمر عاما فقط، لأن أهداف الجميع لم تكن واحدة"⁽²⁾.

وهذه الحرب السافرة كان يذكرها الإبراهيمي بمقالته وخطبه، وهو القائل: "أفيجمل بجنود الإصلاح أن يدعوا هذه القلعة تحمي الضلال وتؤويه، أم يجب عليهم أن يحملوا عليها حملة. صادقة شعارهم (لا صوفية في الإسلام) حتى يدكوها دكا وينسفوها نسفاً ويذروها خاوية على عروشها"⁽³⁾.

وفي حوار فرنسي مع العقبي نشرته الشهاب، وقد سئل: لماذا تحاربون الطرق؟ قال العقبي: نحارب الطرق لأنه لا طريق في دين لإسلام وإنما هو دين واحد وطريقة جامعة، وقال: نحارب المرابطين من أجل الضلال والجهل الذين تلبسوا بهما حتى بلغت الأمة أقصى دركات الانحطاط الفكري والاجتماعي"⁽⁴⁾. وقد تجلت علاقات الصراع في:

1- الاستحواذ على سلطة القول في الدين:

حاول الطرفان التربع على سلطة القول في الدين توجيها وإفتاء ومرجعية، وتداخل مع الطرفين رجال الدين الرسميون، وتجلى ذلك في قضايا الفتوى ورصد الأهلة، والتعليم، وتأطير المساجد، واعتصم الجميع بالألقاب، فالإصلاحيون باسم العلماء في نفي مبطن للعلم عن خصومهم الطرقيين، وهؤلاء باسم علماء السنة في اتهام صراح للإصلاحيين بمتابعة البدع الوهابية والعبودية في نظرهم.

وفي نظر الهرماسي فقد سعى الإصلاحيون إلى الزعامة العلمية أو القيادة الدينية والفكرية والتربوية، وهو ما يفسر تداول نشاطاتهم في كل المجالات⁽⁵⁾.

(1) الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، مرجع سابق، ص 288.

(2) سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، ج 3، ص 84.

(3) آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 175.

(4) الشهاب، ع (جمادى الأولى 1354 - أوت 1935)، مج 11 ص 324. وانظر رد لسان الدين عليه، مقال "ليس كل مجيب حكيمًا"، ع 48 (17-3-1938)، ص 3.

(5) عبد اللطيف الهرماسي، المجتمع والإسلام والنخب الإصلاحية في تونس والجزائر، مرجع سابق، ص 301.

وبرزت بشدة اللغة العقدية والفقهية الحادة بين الطرفين، فيقول العقبي: في الوطن شردمة تأبى إلا أن تعيش مؤثرة للبدعة مجانية للسنة، لأن في البدعة حظوظا واسعة وشهوات ماثوثة وأتباعا وأنصارا....⁽¹⁾ يتهم الإبراهيمي علانية جمعية علماء السنة بأنها ما قامت إلا لحرب الإصلاح: "لم يقف العليويون وأذنابهم عند حد ذلك الهجوم الذي كان أوله كيداً وآخره فضيحة، بل أجمعوا أمرهم وشركاءهم وقرروا في اجتماع تولى كبره رئيسهم الأكبر أحمد بن عليوة محاربة جمعية العلماء بكل وسيلة وبكل قوة، وتقاسموا على ارتكاب ما يحل وما يحرم في هذا السبيل، وانفتقت لهم الحيلة بإرشاد بعض أذنان الإدارة على تأسيس جمعية طرقية في معناها وحقيقتها، حلولية في باطن باطنها، علمية في ظاهرها وما يراه الناس منها ليوهموها العامة أنهم يحاربون العلم بالعلم، لا العلم بالجهل، فبثوا في الزوايا وعبيدها دعوة جامعة إلى تكوين هذه الجمعية التي وصفوها بأنها جبهة قوية تقف في وجه الإصلاح وتنازل جمعيته وجهاً لوجه وداراً لدار بعد أن لم يبق أمل في إسقاطها بالحيلة، أو الاستيلاء عليها بالمكر"⁽²⁾ بل وجمع شخوص علماء السنة إلى "شيخ مزور، وعالم مأجور، وعامي مغرور"⁽³⁾.

والأمر ذاته من الاتهام يكرره الزاهري للطرقين بكونهم دعاة كهنوت، فعندما زار وفد مؤتمر الطرق المنعقد في (7-11-1933) الحاكم العام "كارد"، وقدم مطالبه بتحسين أحوال المجتمع، قال الزاهري في لغة تهكمية بهم: إن جمعية علماء السنة تحولت إلى "سانديكا" من شيوخ الزوايا، وأن هدفها هو تكوين كهنوت، وليس الدفاع عن الإسلام⁽⁴⁾. وردت الإخلاص بأن الزاهري وجمعية باديس غاضبهم اجتماع علماء الطرق أسبوعاً كاملاً، وأنهم يكذبون عليهم في دعوى اتفاقهم مع السلطة لغلق المساجد، وأنهم هم المختلقون المشاغبون المعتدون الهمازون المفتنون، وتحذوهم بأن يأتوا بدليل على الدعوى الكاذبة⁽⁵⁾. ويرد الطرقيون بأن "جمعية العلماء الملحدة المدجلة باسم الإصلاح الديني لتهديم الدين، وبالعلم لمجرد الظهور، ولانتزاع الحظوة الشعبية بقصد انتزاع القيادة الدينية من أصحابها حبا في السيطرة وجمع الأموال"⁽⁶⁾.

وفي مقال "الإصلاح المزعوم وأثره السيئ في الوحدة الجزائرية" يقولون: "ظهرت هذه الفئة المغرورة لنشر الوهابية وتزنيها في قلوب العامة السذج وقامت بالدعاية لنشرها في حفلاتهم ودروسهم وتلقيناتهم، بل وبسائر الوسائل، فأحسن علماء السنة بهذا الويل المحقق بهم، وتحققوا أن الدعاية الوهابية كادت أن تُعطى حظها الأوفر من الذيوع والانتشار الشيء الذي أوجب عليهم القيام بفريضة الدفاع عن حوزة الدين"⁽⁷⁾.

(1) جريدة السنة النبوية، ع 2 (17-4-1933)، ص 7.

(2) آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 188.

(3) جريدة السنة النبوية، ع 7 (22-5-1933)، ص 2. آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 115.

(4) جريدة الصراط، ع 11 (27-11-1933)، ص 3، وانظر سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 332.

(5) جريدة الإخلاص، مقال "رد على مفتر في صحيفة الافتراء"، ع 51 (3-1-1934)، ص 2-3.

(6) العقون، نفسه، ج 2 ص 133.

(7) جريدة الإخلاص، ع (19-4-1933) نقلا عن العقون، نفسه، ج 1 ص 269.

وأما علي مرحوم فيتهم الطرقيين بزرع الأكاذيب: "الطائفة المتمردة التي لا تزال تلبّس على الناس الحق بالباطل، وتصوّر لهم العلماء الناصحين في صورة الزنادقة الملحدّين، وتختلق من التقولات ما تعجز الأقلام عن تسطيره"⁽¹⁾.

ولأجل ذلك حاول الجميع كسب الشرعية من المراكز والهيئات العلمائية في الزيتونة والأزهر والقرويين، وفي هذا المضمار لم تخل أعمدة جرائد الفريقين من نشر تأييدات لهم، فقد نشرت جريدة الإخلاص مراسلات من الطلبة الجزائريين في الأزهر ومن العلماء، ليرد عليها بعض مجاوري الأزهر من الجزائريين بنفي ذلك⁽²⁾.

2- الاتهامات الشخصية:

وهي التي كانت تنال زعماء الفريقين والداعمين لهم من رجال المال أو السياسة أو القيادات الاجتماعية، فالتبسي يتكلم عن عمر إسماعيل وأميته: "فليعجب لأعداء السنة والعلم الذين ظهرت مقاصدهم، وكشفوا عن سوء نياتهم، وابتدأتهم مناوأتهم للجمعية ومشاققتهم للعلماء منذ (ماي الماضي 1932) برئاسة أُمي يستحل المحرمات... الأُمي الفاجر وأذنا به وعبيده،... عبيد الأُمي الفاسق والبدعي المضلل"⁽³⁾.

ولم يترك الزاهري نقیصة إلا رمى بها الشيخ ابن عليوة على جلاله الأخير عند مريدیه، فقد قال فيها: "كان تاجرا يبيع الأحذية ويصنعها، فأفلس احتيالا وأكل أموال الناس، ثم ارتاد تجارة كلها ربح، ورأس ماله فيها النصب والاحتيال، يحتال على الفقراء المساكين، فيسلب أموالهم، ويستغل أبدانهم ويختلس يتمائمهم، ومن ذلك فهو يحترف طريقة التصوف ويستغلها ماديا، ولا يعرف من التصوف إلا أنه باب من أبواب الرزق، وسبب من أسباب المعاش، ووسيلة من وسائل الاكتساب"⁽⁴⁾. كما اتهم السعيد الزاهري الشيخ وطائفته بالدعوة المسيحية الإسلامية وأنه بين المسلمين مبشر من (المبشرين بالمسيح)⁽⁵⁾، ووصفت صحيفة (المرواد) ابن عليوة "الكاردينال المنزوي"⁽⁶⁾.

ويتهم الإبراهيمي علماء جمعية السنة في ذواتهم، وبأنهم: "علماء مأجورين، وطلبة مدحورين، من كل من في عنقه للزوايا منّة الخبز، ولها عليه فضل التعليم الأثل، وله فيها رجاء العبد في سيده، من تلك الطائفة التي لا ترعى للعلم حرمة، ولا تشعر له في نفوسها بعزة ولا كرامة"⁽⁷⁾. كما راجت اتهامات بأن الصحف الطرقية يدعمها الصندوق الأسود للولاية العامة الذي تتقاضى منه الجرائد الفرنسية⁽⁸⁾.

(1) البصائر، ع 31 (7-8-1936)، ص 6، وهو يتكلم عن جماعتي أولاد العبد والدراوشة بقرية الأجناح بجيجل.

(2) جريدة الشريعة المحمدية، ع 1 (7-1933)، والخبر حسبها ورد في جريدة الإخلاص ع 21. وأما أسماء الطلبة الجزائريين فهم: السعيد الرحابي، البشير العروسي، أحمد المدني محمد، الأمين المدني محمد.

(3) جريدة السنة النبوية، ع 2 (4-1933)، ص 6، وانظر العقون، نفسه، ج 1 ص 264.

(4) آثار الإبراهيمي، ج 1 ص 188.

(5) أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة، مرجع سابق، ج 1، ص 326.

(6) المرواد، ع 87 (9-12-1932) عن أحمد توفيق، حياة كفاح، مرجع سابق، ج 2 ص 327.

(7) آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 188.

(8) جريدة الصراط السوي، ع 2 (9-1933)، ص 5.

وفي هذا يكيل حماني الاتهام للحافظي بأنه كان يُرئى لرئاسة الجمعية: "ليخلف ابن باديس في رئاسة الجمعية إذا تحقق لهم تفجيرها وتحريفها مستغلين في ذلك حبه وتهالكه على الشهرة والرئاسة"⁽¹⁾. ويضيف اتهامه للعلاويين وصحفهم بالتعرض لعرض ابن باديس في قضية تطليقه لزوجته⁽²⁾، كما اتهم مامي إسماعيل بأنه يُؤجر قلمه لمن يدفع له حتى لهجاء نفسه، كما اتهم حماني أيضا محمد الصالح خبشاش المحرّر بإدارة النجاح بأنه يسخر قلمه فيما لا يؤمن به، فكان يكتب في النجاح وفي صحيفة النهضة بتونس⁽³⁾. كما وجدنا انزلاقا من الإصلاحيين في الهجوم على الحافظي والتشكيك في نسبه الشريف وأنه "عضايدي" وليس من المرابطين⁽⁴⁾.

ولم تخل جرائد الطرفين من التشهير بأخطاء أتباعهما وأنصارهما، فتنقل جريدة السنّة عن مراسل تيجاني لها من تاغزوت بالوادي خبرا واحدا من أبناء الزوايا والذي كان مخمورا، وكاد يعتدي على عرض امرأة، وتُعلق الجريدة عن انحرافات أبناء شيوخ الزوايا الذين لم يستقيموا على الطريقة⁽⁵⁾.

كما ظهر الأمر في الدروس المسجدية، فابن كابو مفتي بلعباس ومقدم الدرقاوية بها ألقى درسا بحضور الهيئات الرسمية، - حضره الطبيب المهاجي-، ودعا فيه إلى تعليم البنين والبنات، وعرج "على الشبهات المزعومة التي أصابت الإسلام، وخصّ العلماء بالجزء الأوفر من هجماته، فحدّر مستمعيه من العلماء الذين منعوا المسلمين من زيارة المقابر والصلاة وراء الميت، ودعاهم إلى محاربتهم، لأنهم حرّفوا القرآن والسنّة، وبعثوا القلق في نفوس المسلمين"⁽⁶⁾.

3- الاعتداءات الجسدية:

وهو ما حصل في فتح بعض الشعب لجمعية العلماء، أو في إغلاق المساجد، أو في الجنائز وحفلات الحج، وغيرها، والظاهر أن الاعتداءات المختلفة لم تكن جديدة، فقد كانت هناك حوادث قتل لعلماء وأئمة لخلافات شخصية، مثلما حصل للإمام علي بن عمارة البرجي الذي قتله عامي لخلاف في حمل بضاعة⁽⁷⁾، أو ما حصل سابقا للإمام محمد بن معنصر الميللي بسبب فتوى في الطلاق⁽⁸⁾.

(1) حماني، صراع بين السنة والبدعة، مرجع سابق، ج 1 ص 363.

(2) لا ندري ملابسات القضية، ولكن حماني أشار إلى أنهم نالوا منها ومن عرضها، على الرغم من أن ابن باديس عاش معها ثلاثين سنة، وانتقد حماني المدني في تعرضه للقضية، انظر مرجعيات جمعية العلماء، ج 2 ص 32.

(3) حماني، نفسه، ج 1 ص 134، وتعرضت النهضة التونسية لهجوم صحيفة الثبات لما نشرت خير استقالة أبي يعلى من الجمعية، مقال "مسليمة وسجاح أو النهضة والنجاح"، ع 31 (30-11-1934)، ص 1. وخبشاش (1904-1940)، درس عند ابن باديس ثماني سنوات، وتولى رئاسة تحرير الحق لعللي بن موسى العقبي-الطرقية التوجه-. وكتب في النجاح، والشهاب، انظر معجم أعلام الجزائر، ص 131. شعراء الجزائر 1 ص 89. الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، الجزائر، منشورات عاصمة الثقافة العربية، 2007، ص 282.

(4) المعيار، مقال "إلى الشقي أبا سفلي"، ع 1 (18-12-1932)، ص 2.

(5) جريدة السنّة النبوية، ع 2 (17-4-1933)، ص 8.

(6) محمد القورصو، الطرقيون يتصدون لانتشار الإصلاح في عمالة وهران (1931-1935)، ص 224.

(7) جريدة الصراط السوي، ع 12 (4-12-1933)، ص 5.

(8) محمد الميللي، الشيخ مبارك، مرجع سابق، ص 139. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3 ص 148. وهو من شرع في دروس التفسير منذ سنة (1918)، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 12.

يصبر الإصلاحيون على وجود نيات الاغتيال، حيث يتداولون أن التفكير في الاغتيال كان مطروحا في الدوائر الطرقية، ومن ذلك محاولة اغتيال ابن باديس أثناء زيارته الثانية لتلمسان في صائفة (1932) ⁽¹⁾ بعيد الانقسام بقليل، ويُشاع بأن الإبراهيمي أيضا تعرض أو خُطط لمحاولة قتله بتلمسان، وكان العداء معه سافرا منذ تعيينه ممثلا للجمعية (26-10-1932) واستمر لنهاية الثلاثينات ⁽²⁾، حيث هال الطرقيين سطوح نجم الإبراهيمي في أحد أهم معاقلمهم، والحق أن الإبراهيمي اكتسح الساحة لأنه "صار يسيطر من تلمسان على جهة وهران ببصيرة وهدوء" ⁽³⁾.

كما يكرر الإصلاحيون أن نيات الاعتداء وإفشال تجمعات ابن باديس كانت قائمة، كما حصل في برج بوعريج التي تدخل فيه مقدم العلاويين لإبطال التجمع والتشويش، وتآليب البلدية التي رفض رئيسها سحب رخصة الدرس من ابن باديس في قاعة الحفلات، وكان ذلك في ربيع (1934)، بل يتهم الورثلاني حزب العلويين بالتخطيط للفتك بالأستاذ، وأن الفتنة كادت تشتعل بينهم وبين أنصار الطرقيين ⁽⁴⁾.

ومن ذلك التخطيط للاعتداءات الجماعية في بعض الزيارات الطرقية، فالميلي يذكر بأن أنصار الطرقية استغلوا زيارة الإخوان الحنصاليين من سكان فرجيوة وجبال الطاهير لجبل الزاوي ⁽⁵⁾، فدخلوا ميلة، واحتك بهم الصبيان ورجموهم – بما يفعلون ببوطيلة-، فكادت الفتنة تقع بالإيقاع بأهل ميلة في سوق زغاية، ولكن الله سلم ⁽⁶⁾، ولكن للطرقيين رواية قريبة نقلتها النجاح: "في يوم الجمعة (15 ماي 1936) بينما كانت قبيلة أراس من سكان فج أمزالة عائدة من زيارتها الاعتيادية لمقام القطب الرباني الشيخ الزاوي بالروفاك مارة بميلة، إذ بأتباع المرباط الشيخ مبارك الميلي العضو وأمين مال جمعية العشور ينهالون على الزوار المذكورين بالسب والشتم ولولا تدخل الفرنسيين وفرقوهم وإلا تقع بينهم ملحمة عظيمة" ⁽⁷⁾.

كما وبرزت ظاهرة الاعتداء الجسدي، كالذي حصل للزاهري في وهران، وهي من معاقل الطرقيين، فقد حمل العقبي العلاويين تهمة الاعتداء عليهم، في مقاله "نحن والطرقيون أو حادث الاعتداء على الأستاذ الزاهري، في وهران وأن المعتدي طرقي من العلاويين أو غيرهم" ⁽⁸⁾، واتهم الزاهري الطرقيين بالوقوف وراء الحادثة: "لقد كان الجاني الحقيقي الذي أغرى على هذه الجناية بعض أتباعه الأخلاف شيخا من أشياخ السوء في وهران،

(1) محمد القورصو، الطرقيون يتصدون لانتشار الإصلاح في عمالة وهران (1931-1935)، أعمال الملتقى الوطني حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية، منشورات وزارة المجاهدين، 2007، ص 219. بوكسية، مرجع سابق، ص 215.

(2) محمد خير الدين، مذكرات، ج 1 ص 370. آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 36.

(3) شارل أندري جوليان، إفريقيا الشمالية تسير، ج 2 ص 135. آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 38.

(4) الشهاب، الورثلاني "رحلات رئيس الجمعية في عمالة قسنطينة"، ع (صفر-ماي، 1934) ج 10 ص 295. حماني، نفسه، ج 1 ص 162.

(5) أحمد الزواوي من شيوخ الحنصالية الذين قادوا ثورة ضد صالح باي، وعنه أخذ الطريقة أحمد بن المبارك.

(6) البصائر، ع 28 (17-7-1936)، ص 8. ووصفهم الميلي: "تعاونت ذئاب الطرقية"، والزغاية بقيت عصية، واستمرت المناكفات فيها إذ كلما قصدها الميلي اجتمع المناوئون وشرعوا في المكاء والتشويش، ومثلها الرواشد التي كان يقصد سوقها شبان ميلة ويجادلون غيرهم في الخيام المنصوبة في الأسواق. انظر البصائر، ع 109 (22-4-1938)، ص 2-3.

(7) النجاح، مامي إسماعيل، "فتن جمعية العشور فتنة ميلة، 1851، ع (20-5-1936)، ص 2.

(8) جريدة الشريعة، ع 3 (31-7-1933)، وع 6 (12-8-1933). مقالات العقبي، مرجع سابق، ج 1 ص 358.

وكان كثير العيال لا يكاد يحصى عدتهم إلا بعداد، وكان هو وعياله جميعا يعيشون عائلة على المسلمين الغافلين. يتظاهر بالولاية والصلاح ليحتال بذلك على ما في أيدي الناس، ولا نصيب له من الولاية والصلاح إلا سبّ العلماء والوقوع في أعراضهم والافتراء عليهم وأكل لحوم الناس، وكان في رغد من العيش بما كان يتناول من صدقات الناس، وكان الناس يحسنون إليه، ولكنه اليوم أصبح يعاني العسر والضيق، وانفض عنه أكثر من كان حوله من المتصدقين⁽¹⁾. وكذا ما حصل من اعتداء على الشيخ مصطفى بن حلوش بمستغانم، الذي أزعج العلويين هناك، ففكروا في الاعتداء: "فتفقدوا المدينة والهرابة، فإذا هما على غاية ما يكون، فخرجوا يسألون عن اسم العالم، فقليل لهم إنه الشيخ مصطفى ابن حلوش، وقبل أن يتم السؤال عنه انقلبوا مسرعين إلى داره فطافوا بها على قصد القضاء عليه كل يتمنى أن يفوز بالأولية"⁽²⁾، وكذا على بعض الإصلاحيين ببوقاعة بالقبائل الصغرى، كما نقلت صحيفة الصراط السوي في ذات العدد أن خروج الملي من الأغواط حاطته مشاغبات بين أنصار الفريقين⁽³⁾.

ومن مظاهر تلك الصراعات حادثة الاعتداء على مامي إسماعيل مدير جريدة النجاح والمحسوب على الطريقين، يقول حماني في تسجيل الحادثة: "وبلغ بالسيد مامي أن صار يسخر بالشيخ ابن باديس ويخترع على لسانه محاورات، فبلغ السيل الزبا، واشتد غيظ الشهيد أحمد بوشمال ولم يملك نفسه ذات يوم في (1938)، أن ارتقى عليه في نهج تجاري مزدحم وأعطاه (طريحة)، أي ضربة كانت كافية لكفه النهائي عن التعرض لشخصية الشيخ ابن باديس بسوء حتى مات رحمه الله"⁽⁴⁾. وهو الرجل الذي كان حسب حماني يحب ابن باديس-من قبل:- ويأتيه بأسرار الإدارة الفرنسية ويطلع على بعض ما يدبر من مكائد، وهذا ما جعله لا يقطع صلته به"⁽⁵⁾، وفي قسنطينة اعتدى عبد الحفيظ الجنان الإصلاحي على حسن الوارزقي⁽⁶⁾. وقد تشجنت الأجواء بدخول العامل القبلي المناطقي والعشائري في بعض الخصومات، ومن ذلك ما نشرته الشهاب من رسالة من أعيان النمامشة إلى جمعية علماء السنة ضد حملة جرائدها ضد الجمعية، وضد أحد أبناء النمامشة (ولعله الشيخ العربي التبسي)، والبيان حرر بمدينة الشريعة بتبسة في (26-11-1351هـ)⁽⁷⁾.

(1) جريدة الشريعة المحمدية، ع 6 (1933-7-11)، ص 2.

(2) جريدة الشريعة المحمدية، مقال "براءة القبائليين من شيخ الحلول والحافظي ومن تبعهما، ع 7 (1933-7-28). وعن حادثة التخطيط للاعتداء على ابن حلوش في (1932-10-30) انظر رده في المرصاد، ع 31 (1932-11-4)، ص 2. وحسبه فإن العلويين اتهموه بكون صاحب مقال "حق اليقين عن عصبة العلويين" بالمرصاد، ع 29 (1932-10-21)، ص 1.

(3) جريدة الصراط السوي، ع 1 (1933-9-11)، ص 7. ونقلت المرصاد تكذيبا لما أشاعته البلاغ من ذلك، انظر المرصاد، عبد القادر بن مشتح "تصحيح خبر عن الشيخ الملي بالأغواط"، ع 54 (1933-7-21)، ص 2.

(4) حماني، مرجع سابق، ج 1 ص 138. توفي مامي إسماعيل سنة (يناير 1958). ولم تقتله الثورة حسب زعم أحدهم كما قال.

(5) جريدة الصراط السوي، ع 3 (1933-9-25)، ع 5 (1933-10-9). حماني، نفسه، ج 1 ص 138.

(6) الميدان، حسن الوارزقي، مقال: "سجل يا تاريخ واشهدي يا أمة، ابن باديس اقترف بواسطة الجنان وتلاميذ الجامع الأخضر وتلامذة مدرسة التربية والتعليم ما يسود وجه الفضيلة"، ع 26 (1938-1-9)، ص 3.

(7) الشهاب، ع (ذو الحجة 1351- أفريل 1933)، مج 9 ص 243.

وبرزت أيضا ظاهرة الاعتداءات الجسدية والنزاعات الشخصية في مثل تشييع الجنائز بالبردة والتهليل، هو ما كان يُشرّعه الطرقيون، ويُبدّعه الإصلاحيون، وقد حصلت حوادث في مستغانم، والغزوات بتلمسان⁽¹⁾. وفي عنابة تعرض الحافظي عند زيارته لها للرمي بالبيض والطماطم وهو يلقي درسا بمسجدها، وذلك بتدبير من أنصار الإصلاح، وكان قد نزل بالزاوية العلوية وأعطيت له رخصة للتدريس بجامع الباي، وحسب صحف الإصلاح فقد أُخرج محميا بالشرطة في ثواب حوات⁽²⁾. وأن العلويين من أتباع حسن الطرابلسي تنادوا للانتقام، وأطلقوا النار واستعملوا العصي في الهجوم على المقاهي الكائنة قرب الزاوية⁽³⁾. وبتلمسان تعرض البودليي للاعتداء من أنصار الإصلاح، الذي قيل بأن النية كانت منعقدة لاغتياله، وقد وردت إليه عديد الرسائل من الطرقيين المنددين بفتنة من يسمونه الفيلسوف الماسوني الإبراهيمي⁽⁴⁾. وأصدرت محكمة تلمسان حكما على ثلاثة إصلاحيين من المباشرين الاعتداء على الشيخ البودليي⁽⁵⁾. وقد أسهم أعضاء مؤتمر الطرقيين من المغاربة والتونسيين في تشنج الوضع، فذكر مراسل البصائر أن الشيخ عبد القادر بن سودة أفق ببلدة الزينية بالجلفة بجواز قتل المصلحين، وأن اجتماعهم ناوشهم فيه أنصار الإصلاح⁽⁶⁾.

وتعدّى الأمر إلى تهديد المؤلفين فيما ينقلوه من آثار وأسانيد، ففي ميلة هدّد أبناء الشيخ الحسين القشي⁽⁷⁾ الشيخ مبارك الميلي لما نقله من قول جدهم في رسالة الشرك ومظاهره، وكادت تحدث فتنة بين العائلتين وأنصار الطرفين⁽⁸⁾. لأن الميلي ذكر أسماء بعض الشيوخ المتبوعين أيضا أمثال الطيب بن الحملاوي والعربي بن حافظ. وكذلك شاعت ظاهرة الرسائل المجهولة المشحونة بالتهديد، فقد كتب علي مرحوم بأن أعداءهم أسسوا لجنة مجهولة لإرسال رسائل السب والتهديد لمحمد بوكعباش ومبارك الميلي⁽⁹⁾.

4- الاتهامات بالمسارعة للمناصب:

-
- (1) البصائر، مقال "فتنة عليوية يعضدها مفتي مستغانم"، ع 25 (26-6-1936)، ص 7. محمد القورصو، الطرقيون يتصدون لانتشار الإصلاح في عمالة وهران (1931-1935)، مرجع سابق، ص 228. البودليي، إمطة اللثام، مرجع سابق، ج 1 ص 59.
- (2) الصراط، مقال "فلتتش عنابة"، ع 3 (25-9-1933)، ص 2. الصراط، مقال "كيف دخل الحافظي عنابة وكيف خرج منها"، ع 5 (16-10-1933)، ص 7. حماني، نفسه، ج 1 ص 366. المرصاد، ع 60 (9-9-1933)، ص 2. المرصاد، "حادثة عنابة الكبرى أو فاضحة جماعة السنين في شخص الحافظي"، ع 62 (13-10-1933)، ص 2.
- (3) المرصاد، حادثة عنابة الكبرى أو فاضحة جماعة السنين في شخص الحافظي"، ع 63 (20-10-1933)، ص 1.
- (4) البودليي، إمطة اللثام، ج 1 ص 64. وممن كاتبه مهنتا بسلامته سعيد الذبحاني من أديس أبابا، نفسه، ص 72.
- (5) البودليي، إمطة اللثام، ج 1 ص 75. وصدر الحكم يوم (7-10-1938)، صحيفة النجاح..
- (6) وحسبه فإن سكانها من أولاد سيدي عبد العزيز الحاج يزارون ولا يزورون، البصائر، ع 175 (31-7-1939)، ص 5.
- (7) الحسين القشي مؤسس زاوية سيدي خليفة بميلة سنة (1815)، وهو ممن كتب عنه حمدان النونسي رسالة "قرة العين" ومدحه أثناء زيارته لزاية طولقة، انظر لحسن بن علجية في كتاب الشيخ حمدان النونسي، مرجع سابق، ص 143. وجاء فيه:
- كانت كرامته كالشمس ظاهر... ليس ينكر ضوء الشمس من أحد.
- (8) الميلي، رسالة الشرك مرجع سابق، ص 299 في المقولة المنسوبة له: بالحريم اتباع ربي غير فتشت على الدجال في السماء السابعة وما لقيته" ونسبه إلى الردة، قال: "ومع ذلك فهو ولي مزور، وذريته معظمة" انظر البصائر، ع 84 (29-10-1937)، ص 3.
- (9) البصائر، "أعداء الإصلاح يجددون معه الكفاح"، ع 66 (7-5-1937)، ص 8.

وهي الاتهامات التي نالت بعض شيوخ الطرق من تغير مواقفهم والتزاماتهم بسبب اللهث وراء المناصب، وأكثر من ناله ذلك الحافظي الذي كان محسوباً على الإصلاحيين في العشرينيات، فقد هاجموا في انقلابه الفكري، فبعدما كان يرد على يوسف الدجوي الصوفي -الذي يكتب في نور الإسلام الأزهرية- في موضوع الوسيلة في الشهاب، إلا أنه غير رأيه لما لاح له منصب رئاسة المنشقين، وقالوا له: "التزاع بين الفريقين قديم، وكان في مبدأ أمره أشد من اليوم، وكان الحافظي يشاهد هذا ولم يجهر بمذهبه الحقيقي بل كان متطوعاً في حزب المصلحين⁽¹⁾. والحق أن الحافظي كان طريقاً رحمانياً معتدلاً، وحافظ على اعتداله حتى بعد تركه لجمعية العلماء، وفتاويه شاهدة بذلك⁽²⁾.

ونظيره الشيخ السعيد أهلول الورثاني الذي كان رحمانياً معتدلاً، وحاول ابن باديس ضمّه للجمعية بعد الانقسام، ولكنه اعتذر عن الدخول والاشتراك في غمرة تلك الانقسامات والمشاحنات التي يربأ عنها الرجل الصوفي الحقيقي في الفتن⁽³⁾.

ولم تسلم كل الساحات من تغيير المواقف والمواقع حسب الظروف، فهناك إصلاحيون ذهبوا إلى الطرقية، والعكس أيضاً، وهو الأكثر نتيجة غلبة الإصلاح وحدائه وسائله، ومساعدة الظروف الإسلامية له، ومن ذلك أن مقدم الرحمانيين بطولقة أيد الإصلاح وتبرأ من دعوة من زاوية بطيوة البوعبدلية، وكتب في البصائر مشيداً بالجمعية التي زادت أفضالها على الشعب الذي: "لمّت شعثه، وجمعت شتاته، وانقطعت لتمريضه حتى شفي من سباته وغفوته، وكذا شيخ زاوية منعة القادرية الذي مال للإصلاح⁽⁴⁾.

5- الاستقواء بالإدارة الفرنسية:

تبادل الفريقان التهمة ذاتها، فالطريقيون يتهمون ابن باديس بذلك في الاجتماع الثاني للجمعية الذي خرجوا منه، وابن باديس دافع عن نفسه في استدعاء الشرطة في الاجتماع الثاني بأنه مدافع عن واقع موجود وقوانين سارية، وقال: "ارتباط الجزائر بفرنسا اليوم صار من الأمور الضرورية عند جميع الطبقات فلا يفكر الناس اليوم إلا في الدائرة الفرنسية، ولا يعلقون آمالهم إلا على فرنسا مثل سائر أبنائها ورغبتهم الوحيدة كلهم هي أن يكونوا مثل جميع أبناء الراية المثلثة في الحقوق كما هم مثلهم في الواجبات، وهم إلى هذا كله يشعرون بما يأتهم من دولتهم مما يشكرونه، ومما قد ينتقدونه، وقد كنا نؤكد لهم هذا التعلق ونبين لهم فوائده ونبين لهم في المناسبات أن فرنسا العظيمة لا بد أن تعطيهم يوماً- ولا يكون بعيداً- جميع ما لهم من حقوق وكنا لا نرى منهم لهذا إلا قبولاً حسناً وأمالاً طيبة"⁽⁵⁾.

وأما الورثاني فيذكر جهوداً متتالية لتشويه الإصلاح من الخصوم الذين سماهم بشياطين الإنس الذين قاموا وقعدوا وأرعدوا وأبرقوا، وأغروا الذئاب بالشر على العلماء، وأوعزوا إليهم بإيقاد الفتنة الجهلاء، فخاب

(1) الشهاب، ع (ذو القعدة 1351- مارس 1933)، ج 9 ص 194.

(2) البلاغ، الحافظي، "التوسل بالأولياء بدعة"، ع 250 (11-3-1932)، عن آيت علجت، فتاوى الحافظي، مرجع سابق، ص 71.

(3) فضلاء محمد الطاهر، الشيخ السعيد أهلول الورثاني، رسالة ابن باديس له بتاريخ (10-6-1933)، ص 187.

(4) قوبع، نفسه، ص 327. نقلاً عن البصائر، ع 166.

(5) الشهاب، ع (ربيع الثاني 1351- أوت 1932م)، ج 8 ص 452. آثار ابن باديس، مرجع سابق، ج 4 ص 321.

سعيهم في المحاولة الأولى، ثم هم يحسنون التغليف يهتمون الجمعية بأنها: وهابية، دستورية، كونيسة، بولشفيك⁽¹⁾.

ويسجل الورثاني بعد ذلك: "فكانت المعارك بين الفريقين، وبين الدعوتين، وكانت عنيفة قاسية، كانت بين حق أعزل من جميع الأسلحة المادية طرفه المصلحون، وبين باطل يملك منها كل شيء طرفه المستعمرون ودولتهم في الواقع، وإنما يسترون أنفسهم بطائفة من الدجالين المأجورين في الظاهر"⁽²⁾.

كما شجب الإصلاحيون التقارير المرفوعة حول نشاطاتهم من قبل الطرفين، حيث كان بعضهم لا يكف عن ذلك، ومن أحدث التقارير ما رفعه عبد القادر القاسمي للحاكم العام حول اشتغالهم بالسياسة وغيرها⁽³⁾.

ويردّد الإصلاحيون التهمة ذاتها في مواضع وأوقات مختلفة كانت في جلها الاستقواء بالإدارة: "ما كان من تلك الجماعات، إلا أن سايرت الجمعية في الظاهر، وأسرت لها الكيد في الباطن"، وذلك منذ أول عهدهم بالجمعية: "لا إعانة لإداراتها، ولكن عينا عليها فاجرة، تبلغ وتشي بها إلى إدارة الأمور الأهلية"⁽⁴⁾.

بل اعتبر العلماء المرابطين وسائل مسخرة لنشر البله والسذاجة الفكرية، ووسائل في تنزيل وتجسيد السياسات الاستعمارية: "المرابطون هم حيوانات الاستعمار الداجنة، فهم اليد التي تنقذ الأوامر المشؤومة، والجسر الذي يفتح له الطريق، وما انفكوا يناقضون الله في ظهورهم بمظهر الأناقة أمام الشعب، والعبودية إزاء المستعمرين، والرؤساء الإداريين الطغاة"⁽⁵⁾.

وفي هذه التهم المتبادلة ينبري مبارك الملي في اتهام أحد أئمة السلك الرسمي بمضايقته ومراقبته بتكليف من المفتي المولود بن الموهوب، وذلك بأمر من ميرانت، وذلك في أعقاب قرار ميشال⁽⁶⁾. وظلت التهمة مستمرة، فعلي مرحوم يصف صلابة طرقي جنوب قسنطينة: "وإذا أراد المصلح هناك أن يقتلع هذه الجور الخبيثة فهو لا يقاوم بالأساليب المعقولة فقط، بل يُرمى بالكفر والإلحاد، وإذا لم يكف ذلك استعملوا في مقاومته سلاحا آخر هو سلاح الوشاية بالمصلحين إلى الإدارة المحلية، وزد على هذا كثيرا من أنواع المكر"⁽⁷⁾.

ومن نماذج هذا ما جاء في المعيار التي طالبت بإنزال أشد العقوبات بالجمعية الناشئة للمذهب الوهابي: "تعلمون أنتم ويعلم كافة حكام القطر الجزائري أن هذا البلد كان منذ عهد بعيد هادئ الفكر مرتاح البال.... ثم إن طائفة التسعة (الرهط) هذه أول ظهورها بعمالتكم تنشر الوهابية باسم الإصلاح"⁽⁸⁾. وتذكر المرصاد بأن طرقي البليدة قدموا عريضة ضد العقبي الذي اتهموه بالوهابية والإباضية ونشر الفتن⁽⁹⁾.

(1) الشهاب، ع (صفر 1353-ماي 1934)، ج 10 ص 298. الدستورية أي المتأثرة بالشيخ عبد العزيز الثعالبي.

(2) الورثاني، الجزائر الثائرة، ص 137.

(3) التقرير بتاريخ (7-9-1937). ملحقات أطروحة زوزو عن الأوراس، مرجع سابق، ج 2 ص 389. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4 ص 165.

(4) سجل جمعية العلماء، مرجع سابق، ص 58. مبارك الملي، رسالة الشرك، مرجع سابق، ص 288.

(5) جريدة البصائر، ع 89 (3-12-1937).

(6) الشهاب، ع (ذو الحجة 1352-10 مارس 1934)، ج 10 ص 195. ص 242.

(7) البصائر، حديث المنجول، ع 123 (22-7-1938)، ص 8.

(8) جريدة المعيار، ع 9 (29-4-1933)، عن مازن مطبقاني، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الجزائر، دار بني مزغنة، 2015، ص 144.

(9) المرصاد، مقال "وإن جندنا لهم الغالبون"، ع 29 (21-10-1932)، ص 2.

المطلب الخامس: مظاهر الصراع الإصلاحي الطرقي في الثلاثينيات.

1-القرارات الفرنسية المعرّقة للتعليم العربي⁽¹⁾:

توالت القرارات المعرّقة للتعليم العربي الحرّ الذي انتصب له العلماء، وكان الأمر بين مد وجزر، واستجلبت الإدارة كل المراسيم القديمة النازمة لهذا التعليم لتحجيمه، فالكاتب العام للولاية العامة للجزائر "بيرتون" اقترح تفعيل قانون (18-10-1892) القاضي بضرورة استخراج رخصة التعليم، ووافق عليه الحاكم العام "كارد (cardes) في صيف سنة (1932)⁽²⁾، وتوجهت الأوامر بتفتيش ومراقبة مدارس الجمعية ونشاطاتها. ولكن الجمعية وبعد مراسلات حاولت استعطاف الوالي العام "كارد"، والذي قال بعد مراجعات من الجمعية بأنه ليس ضدّ الجمعية ولا العقبي، متهما الإدارة السابقة للعمالة بذلك⁽³⁾، ولكن التضييق استمر بعد ذلك، وتمثل في صدور أخطر القرارات وهو قرار ميشيل (circulaire Michel) - كاتب الولاية العامة للجزائر - والذي ترأس اللجان الاستشارية الدينية في المقاطعات الثلاث، وألزم الأئمة والمفاتي بمراقبة المساجد، ورفع تقارير عن نشاطها، وقد أصدر في (1-2-1933)⁽⁴⁾ قرارا بإغلاق المساجد أمام العلماء الأحرار، وظلّت الجمعية ترسل الوالي العام وتحتج على منع العلماء من التدريس بالمساجد⁽⁵⁾، وقد بارك النائب مبارك بن علال القرار⁽⁶⁾، وطالب بجعل الأماكن الدينية تحت إشراف الأئمة الرسميين، في حين رفض محمود بن صيام رئيس الجمعية الدينية المصادقة عليه حتى لا تتعطّل بيوت الله⁽⁷⁾، مما انجرّ عنه حلّ هذه الجمعية في (24 فيفري 1933)، وتأسيس جمعية أخرى رأسها الكاتب ميشال⁽⁸⁾، مما جعل فرحات عباس يندّد بالقرار في جريدة "صوت المستضعفين" قائلا: "إذا كنا لا نستطيع أن نختار مسؤولي الضمير، فعلينا أن نغلق المساجد". وقد أعقب ذلك احتجاجات ومظاهرات في الجزائر، وحتى في فرنسا إذ تجمّع فيها سبعة آلاف عامل ضدّ القرار مما عرّض بعضهم للاضطهاد والملاحقة⁽⁹⁾.

(1) يمكن تلخيصها تباعا كالآتي: 1- قرار بيرتون (1932)، 2- مرسوم ميشال (1933)، 3- قانون وزير الداخلية مارسيل ريني (1935)، 4- قانون شوطان (8 مارس 1938)، الأخطر والأكثر تضييقا لأنه اشترط الرخصة لكل مدارس التعليم الحر.

(2) أجرون، نفسه، ص 342. وصفصاف، مرجع سابق، ص 198.

(3) جريدة الصراط السوي، ع 1 (11-9-1933)، ص 1. مازن مطبقاني، نفسه، ص 200.

(4) الحركة الوطنية، ج 3 ص 24. مراد، نفسه، ص 177. الجزائر الثائرة، ص 126. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3 ص 240.

(5) المرصاد، ع 32 (11-11-1932)، ص 1. الشهاب، ع (جمادي الأولى 1353. أوت 1934)، ج 10 ص 479.

(6) هاجمه الحلوي بمقال "على أهلها جنت براقش"، وقصيدة "النائب النمام"، المرصاد، ع 30 (18-10-1932)، ص 2. وقصيدة "إلى صاحب الاقتراح المشؤوم"، المرصاد، ع 33 (19-11-1932)، ص 2.

(7) المرصاد، عباسية "الجمعية الدينية بين إدارة الرئيس وتسرع إدارة العمالة"، ع 41 (21-3-1933)، ص 1.

(8) الشهاب، مقال "منع التعليم الديني في المساجد، قرار من بريفي عمالة الجزائر"، ع (15 ذو القعدة 1351 - 12 مارس 1933) ج 9 ص 205. مريوش، نفسه، ص 150-152. ومبارك بن علال النائب المالي كان أميناً لزواية سيدي علي امبارك بالقليلة. انظر بوصفصاف، نفسه، ص 202. وانظر قصيدة "نائب القليلة"، المرصاد، ع 34 (25-11-1932)، ص 3.

(9) عبد الحميد زوزو، الهجرة ودورها في الحركة الوطنية، مرجع سابق، ص 133.

وتبع ذلك قرار آخر في (2-3-1933) من عمالة الجزائر بحصر التدريس للأئمة الرسميين، مما نتج عنه توقّف العقبي، وقيام مظاهرة حاشدة ضدّ القرار، وكذا في تلمسان وقسنطينة، وألقيت خطب في المدن المختلفة، وصرح مصالي من باريس "يجب على الجزائريين الدفاع عن المساجد والسلاح بأيديهم"⁽¹⁾.

وأما الأصوات الطرقية فقد خفتت أمام هذه القرارات، بل ابتهج بعضهم بها، ففي تلمسان ندّدت لجنة "الشعائر الإسلامية" المشرفة على الشؤون الدينية بها بتعليم المدارس الإصلاحية، مما أدى إلى غلقها⁽²⁾.

وقد ذكر ابن باديس المعاناة أمام هذا القرار الجائر الذي عرقل من نشاط الجمعية: "بمنع أعضاء الجمعية من الوعظ والإرشاد بالمساجد، والذي "كان شطره بلاء وعناء على الجمعية ورجال مجلس إدارتها، فمن تنمر وجره إلى إلصاق تهم، إلى خلق عراقيل إلى استثمار ذمم، ومن وعد وترغيب إلى وعيد وترهيب"⁽³⁾. وتمّ ترجمة هذه الإجراءات في التضييق على التعليم القرآني والعربي، بل وإحالة مدرسي اللغة العربية على المحاكم⁽⁴⁾، ومن آثار ذلك غلق بعض المكاتب والمدارس في مثل سطيف⁽⁵⁾، وتسليط الغرامات والتهديد، وترجم موالو الإدارة ذلك التضييق بعدة إجراءات، ففي الزيبان قام ابن قانة باستدعاء محمد خير الدين وبلّغه الاستياء من عمله، فانتقل من فرفار-الواقعة تحت الحكم العسكري- إلى بسكرة، وقد أشار علي مرحوم إلى تعسفات -بيرو عرب- ضد أتباع الجمعية والمشاركين في جرائدها أو الداعمين لصندوق الطلبة في مناطق الحكم العسكري، حيث كانت الجوسسة نشطة ضدّهم وضدّ مراسلي صحف الجمعية⁽⁶⁾، وفي القنطرة انخفض عدد المدارس إلى أربع بعدما كان عشرين بسبب منع الرخص⁽⁷⁾.

لم يستسغ الوطنيون والإصلاحيون وحتى بعض أعضاء المجالس النيابية المالية هذه القرارات التي اعتبروها تهديدا للوجود المعنوي للجزائريين، وخاصة اعتبار العربية لغة أجنبية، فتشكلت عدة لجان للدفاع عن الحريات الإسلامية⁽⁸⁾، ولكن الإدارة لم تتراجع كثيرا، حيث جاء قرار وزير الداخلية "مارسيل رينيه" في (30-3-1935) الذي قرّر أنواعا من العقوبات الصارمة لمن يعارض السياسة الفرنسية بالسجن والنفي والغرامة المالية، ولكن التشدّد الفرنسي تغير مع مجيئ الحاكم العام "لوبو" والمدير الجديد للشؤون الأهلية "ميو" الذي خلف "ميرانت"، حيث انتهج سياسة الهدنة مع العلماء، وخاصة العقبي⁽⁹⁾.

(1) جريدة السنّة النبوية، مقال "مقاطعة المساجد"، ع 1 (8 ذي الحجة 1351)، ص 3. بوصفصاف، مرجع سابق، ص 203.

(2) بوصفصاف، مرجع سابق، ص 201. سعد الله، أبحاث وآراء، الإبراهيمي في تلمسان، ج 3 ص 49. وتكلم مازن مطبقاني عن رسالة من طريقي وهران، انظر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مرجع سابق، ص 145.

(3) جريدة الشريعة المحمدية، ع 1 (7-7-1933)، ص 6. آثار ابن باديس، مرجع سابق، ج 3 ص 523.

(4) فرحات عباس، ليل الاستعمار، ص 151. مريوش، الشيخ الطيب العقبي، مرجع سابق، ص 169.

(5) أشارت المرصاد إلى غلق مائة كتاب، انظر مقال "مسألة لجمعية علماء السنة"، ع 40 (17-3-1933)، ص 2.

(6) مذكرات خير الدين، ج 1 ص 77. البصائر، ع 165 (12-4-1939)، ص 4، ع 76 (23-7-1937)، ص 2. ع 150 (27-1-1939)، ص 6.

(7) الصراط السوي، عبد اللطيف سلطاني، ع 16 و 17 (8-1-1934). ابن سلطان الأمين، "لماذا نمنع من تعليم أولادنا، ع 2 (18-9-1933).

البصائر، ع 64 (14-1-1948)، "عادت لعتريها ليس"، ص 2. قويع، الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان ووادي ميزاب نفسه، ص 337.

(8) علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية الجزائرية، مرجع سابق، ص 184.

(9) مريوش، الشيخ الطيب العقبي، مرجع سابق، ص 161-162.

ولكن التضييق توالي بعد المؤتمر الإسلامي، وصدرت إجراءات تعسفية كمنع تدريس الأناشيد الوطنية، وتفتيش مقر الشهاب في مارس (1938)، وإعادة العقبي للمحاكمة، والتضييق على النوادي العربية بمنعها من بيع أو تقديم المشروبات لروادها ولو مجاناً، وذلك بقرار (1938-1-13) ⁽¹⁾، والغرض هو تقليص مساحاتها وانتشارها.

والأخطر في هذا قرار "شوطان"- وزير الداخلية- في (8-مارس-1938) والقاضي بعدم السماح بفتح المدارس الحرة إلا برخصة رسمية، وقد هاجمت البصائر هذا القرار بقوة ⁽²⁾، واعتبرته ضربة قتالة للدين الإسلامي ⁽³⁾، وراسل ابن باديس رئيس الوزراء (دالادي) معتبراً هذا اليوم أسوأ يوم في تاريخ الجزائر ⁽⁴⁾، في حين اتهمت البصائر رؤساء الطرق بتأييد القانون ⁽⁵⁾، وفي ذات المقال اتهم ابن باديس شيوخ الطرق بتأييد القانون إذ زعموا أنه لا يمسّ بالدين، وهم بهذا يطعنون الدين واللغة ⁽⁶⁾. ويبعد هذا ظاهراً أو تصريحاً لأن القرار يضرب الجميع، وهو ما ردت به الرشاد بكون المسألة متعلقة بسوء التطبيق الإداري للقرار وليس ذاته. مستدلة على ابن باديس بأن الإدارة لم تغلق مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة ولا الشبيبة بالعاصمة ⁽⁷⁾.

لم يكن القرار بمعزل عن السياسات الفرنسية في شمال إفريقيا للتضييق على الدين الإسلامي واللغة العربية، وقد سبق بإصدار الظهير البربري في المغرب في ماي (1930)، وقد حاولت الجمعية مراراً التماس إلغاء هذه القرارات الجائرة من الولاية العامة: "يلتمس المجلس الإداري من السيد الوالي العام، وبطاب منه بكل إلحاح أن يرسل حيناً إلى الحكام المحليين الأوامر والتعاليم اللازمة ليسهلوا فتح المكاتب القرآنية، ويكفوا عن ملاحقة الذين فتحو بعض المكاتب بغير مخالفة للقوانين" ⁽⁸⁾.

2- العرائض المقدمة والمرافعات العدلية:

والتي اشتدت في الغرب، حيث وجد الإصلاح صعوبة لدخول معاقل الطريقين مثل تلمسان التي انتدب لها أعلم شخص في الجمعية وهو البشير الإبراهيمي، فعلى الرغم من دخول ابن باديس لتلمسان في المرة الأولى سنة (1931)، إلا أنه وبعد الانقسام تعمّر الأمر في زيارة (ماي 1932)، حيث اعترضت الإدارة بتدخل النائب البلدي ومفتي تلمسان بعريضة تقدموا بها للإدارة لمنع ابن باديس من إلقاء درس بالجامع الكبير، ولم يتمكن

(1) آثار الإبراهيمي، ج 2 ص 146. بوصفصاف، مرجع سابق، ص 208.

(2) البصائر، مقال "كل من لا يعلم برخصة يغرم" ع 107 (4-8-1938)، ص 1. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3 ص 240.

(3) البصائر، ع 157 (7-7-1939)، ص 1.

(4) البصائر، ع 156 (10-3-1939)، ص 1، وانظر بوصفصاف، مرجع سابق، ص 208. الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، ج 3 ص 44.

(5) البصائر، مقال "رؤوس الطريقة يؤيدون قانون 8 مارس، أعلى هذا يكون الاتحاد"، ع 163 (4-8-1939)، ص 1.

(6) البصائر، ع 163 (28-4-1939)، ص 1، ونشرت البصائر العريضة الطريقة التي فيها هذا الكلام، انظر البصائر، ع 164 (5-5-1939)، ص 2.

وردت الرشاد بمقال "ابن باديس يستحسن قرار 8 مارس"، ع (7-8-1939)، ص 1.

(7) الرشاد، طلاع الثنايا "متزعم الوهابيين بقسنطينة يجنى على نفسه وعلى الأمة"، ع 40 (1-5-1939)، ص 6.

(8) البصائر، ع 76 (23-7-1937)، ص 2. البصائر، "القوانين بين الوضع والتطبيق"، ع 174 (14-7-1939)، ص 2.

من عقد تجمّع إلا بتدخل جمعية السعادة التي استطاع الهبري الشافعي جلب رخصة له لعقد التجمع بقاعة الحفلات البلدية⁽¹⁾.

كما رفع طريقو ومحافظو تلمسان عريضة ضد الإبراهيمي سنة (1933) من قبل (15 شخص منهم خمسة من مقاديم الطرق)⁽²⁾، وقالوا إنه أجنبي لا بد أن يعود إلى سطيف، وأنه جرثومة قادمة من الشرق، وذكّروا الإدارة بولاء الطرق لها، وجاءت العريضة عقب قرار ميشيل، والتحذير من نشاط الجمعية بالمساجد، وأرسلت عرائض للحاكم العام باتخاذ كل الإجراءات اللازمة لإسكات من يدعو إلى الشقاق، وإغلاق كافة الأصوات الداعية لمعاداة فرنسا إلى الأبد⁽³⁾.

وطالب بعض النواب المرتبطين بالطرقية بمعاملة الجمعية معاملة حازمة: "لأنها أخذت على كاهلها نشر المذهب المالكي، فنحن أولا مالكيون، وثانيا منذ قرون والأمة الإسلامية متمتعة بحريتها ودينها، وعاكفة على دروس علمائها، ولم تحدث فيها الغوغاء، ولا ثارت فيها فتنة عمياء مثل هذه الفتنة"⁽⁴⁾. ويروي حماني أن سبب انتقال الزاهري من تلمسان إلى وهران كان بسبب فضحه لجرم اختلاس في جمعية خيرية، فحوكم مع زميل له ومع مدير الشهاب، فحكمت المحكمة ضدهم وغرّمتهم، وضايقوه حتى خرج منها⁽⁵⁾.

3-الصراع الصحفي القلبي:

وهو الأبرز في هذا العقد، حيث امتلأت أعمدة الصحف بهذا الصراع الحامي بين الطرفين، وكان رأس الحربة في هذا العقبي الذي حمّله توفيق المدني مشكلة بعد الشقة بين الطرفين، ويقول في هذا: المشكلة في العقبي ومحاضراته وخطبه الحادة ضد الطريقيين، وقد خطب أمامهم قائلا: "ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى ولا الطريقيون حتى تتبع ملتهم"⁽⁶⁾، وقال المدني: اغتنمت الإدارة الاستعمارية تلك الفرصة - وكان عليها أن تغتنمها إن لم تكن بلهاء- فنفخت النار، وصبّت عليها زيتها المسموم، وسهّلت للجماعة الخارجين سبل تأسيس جماعتهم، وأعانهم بواسطة رجالها على بث دعايتهم"⁽⁷⁾، وقد سماها المدني بالحرب القلمية.

ظهرت هذه الحرب القلمية في الصحف المنتسبة والقريبة للطرفين، فللعلماء جريدة المرصاد قم الثبات لعباسة ومعهم العقبي والزاهري، وللطريقيين لسان الدين والبلاغ ومعها عمر إسماعيل "الذي انحدر من كونه

(1) القورصو، الطريقيون يتصدون لانتشار الإصلاح في وهران، مدينة تلمسان أنموذجا، مرجع سابق، ص 209. بوكسية، مرجع سابق، ص 215. مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان، مرجع سابق، ص 131.

(2) هم سليمان عمّامو من العيساوية، وحمادي الصقال من القادرية، ومحمد بلولة من الطيبية، وحمادي زياني من التجانية، وعبد القادر يوسف من الدرقاوية، بالإضافة إلى الحاج محمد العشعاشي، وعلي بن منصور، انظر سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4 ص 334. القورصو، نفسه، ص 221. في حين لم يوقع باقي الطرق. الشيخية والرحمانية والزيانية والسنوسية والشاذلية. وفي الانتخابات البلدية (5-5-1935) دعم الإصلاحيون قائمة الوحدة والوئام لمحمد منصوري ضد مصطفى العشعاشي -مقدم الدرقاوية، والنائب البلدي السابق- صاحب قائمة (لا إله إلا الله)، وفازت القائمة الأولى. انظر القورصو، مرجع سابق، ص 226.

(3) محمد القورصو، الطريقيون يتصدون لانتشار الإصلاح في عمالة وهران (1931-1935)، مرجع سابق، ص 214.

(4) جريدة الشريعة المحمدية، "اعتداءات النواب الجاهلين، غراب بعد ابن علّال"، ع 5 (4-7-1933)، ص 5.

(5) حماني، صراع بين السنة والبدعة، مرجع سابق، ج 2 ص 147.

(6) المدني، حياة كفاح، ج 2 ص 324.

(7) المرجع السابق، ج 2 ص 324.

مؤسسا إلى أحد الساعين لنسف الجمعية، ومعهم بالقلم محمد العاصمي⁽¹⁾، ومعهم المولود الأزهري، ثم جريدة الرشاد.

جرائد الطريقين			جرائد الإصلاحيين		
مرافقة	1932-12-18	المعيار	مرافقة	1933-3-30	الجحيم
رسمية	1926-12-24	البلاغ	رسمية	1933-4-3	السنة
رسمية	1932-12-14	الإخلاص	رسمية	1933-7-17	الشريعة
رسمية	1938-5-16	الرشاد	رسمية	33-9-11	الصراط
رسمية	1936	لسان الدين	مرافقة	1931-12-27	المرصاد

كما لقيت الجرائد القريبة من الطريقين والنجم هجوما من قبل جرائد الإصلاح، فقد كتبت البصائر مقالا عن "خيبة الدجالين" عن مدير صحيفة "سيدي هنيي" الذي قوبل بالرفض في ميلة⁽²⁾. واختط الطريقيون في صحفهم خطة هدم مقالات الإصلاحيين التي أتت على الميراث الجزائري، واعتبروا مقاومتها من ضرورات المرحلة كما في مقالة لسان الدين الثانية "مقاومة فكرة الإصلاح أمر مؤكد"⁽³⁾. ولنا أن نستشهد ببعض مظاهر الحرب القلمية بين الطرفين كالآتي:

أ- نماذج الحرب القلمية عند الإصلاحيين:

دارت كلمات الحرب في أدبيات الفريقين، في مجالسهم ومنابرهم الإعلامية ومكتوباتهم، فالميلي يعبر عنها بصراحة عقب الانشقاق رادا على الحافظي: "فلما خابوا أسوا جمعية علماء السنة، وزحفوا لحرب الجمعية الأولى"⁽⁴⁾.

ويقول التبسي: "وإن تعجب أحد لشيء فليتعجب لأعداء السنّة والعلم الذين ظهرت مقاصدهم وكشفوا عن سوء نياتهم.. للجمعية ومشاقهم للعلماء منذ (ماي الماضي) برئاسة أُمي يستحل المحرمات، وبعض البدعيين الذين كانت السنّة ولا تزال غصة في حلوقهم وقذى في أعينهم"⁽⁵⁾. ومن النماذج المختارة ما يأتي:

- جريدة المرصاد الإصلاحية: "لم يستح الفرطاس -عمر إسماعيل- من جميع ما قام به من أنواع المكر والخيانة حتى قام بدور من أدوار الخزي الذي سيعود عليه يوم 15 سبتمبر موعد اجتماع آلاف من علماء السنة كما يزعم الخائن الملوث العرض والأخلاق والسيرة، يقول: إن جميع الطرق معه، وكلهم مؤازرون لما قام به من تنفيذ برنامج العليوي الممخرق، ويشهد لهذا موعد الاجتماع الذي يجيء بعد تمام مؤتمر العليويين

(1) حياة كفاح، مرجع سابق، ج 2 ص 325.

(2) البصائر، ع 72 (1937-6-25)، ص 8، وصحيفة سيدي هنيي بفرنك شريني "أسسها الشيخ بجو محمد الطاهر، وكانت قريبة من أطوار النجم، ويحررها الشيخ بجو محمد الطاهر، وهاجمت الجمعية في مقال "إلى متى هذا الرق، أعداء الإسلام من معتنقيه"، عدد 8 (1938-2-11). انظر محمد ناصر، الصحف العربية، مرجع سابق، ص 227.

(3) لسان الدين، ع 54 (1938-6-14) نقلا عن مريوش، نفسه، ص 119.

(4) الشهاب، الميلي، "الصوفية ومراتب العبادة"، ع (شوال 1351- فيفري 1933) ج 9 ص 87.

(5) السنة النبوية، التبسي "هذه جريدة السنة يا أهل السنّة"، ع 2 (1933-4-17)، ص 6.

المنعقد بمستغانم، فلينتبه مشايخ الطرق كلهم لما يفعله هذا المغرور أو المنوم بتنويم شيخه الحلولي صاحب الخلوة العصرية خلوة التنويم المغناطيسي والسنيما الناطقة⁽¹⁾.

ومن نماذج تلك الحرب القلمية: "إن أهل جميع الطرق قد تفتنوا لما ينصبه هذا القائد الحلولي من مكائد ببلع الطرق ومحققها، ودمجها في طريقة الحلول، ووحدته الوجود، وسيرى هذا الختال المحتال عاقبة أمره يوم الاجتماع، عندما يشاهد انسلاخ الطرق كلها عن الجمعية المشوهة الملبسة بقشور اسم السنة، وما هي إلا جمعية الحلول والنفاق والتبشير والكيد للإسلام والمسلمين، ربنا أسرع بخزيك للكائدين والخائنين، إنك أنت الرقيب العتيد"⁽²⁾.

"وإذا عزمت على محاربة العليويين بكيفية جديدة فافعلوا في كل حين قول المتنبي:

لا تشتري العبد إلا والعصا معه-----إن العبد لأنجاس منكيد

وهل يوجد عبد أنجس وأتعس وأنذل وأرذل وأقبح وأوقح من أولئك العبيد، عبيد الكاردينال- ابن عليوة- المنزوي الذي يتأله تارة، ويتشيطن تارة، ويتمارض طورا، ويتماوت طورا، ويتلون لأسباب وأغراض سنكشف عنها الغطاء يوم نترجم له بما يليق بتاريخه الأسود وأعماله السيئة، ومواقفه الأثيمة وجرائمه التي لا تحصى"⁽³⁾.

أو مقال أمير العلماء: نحن عميرة الفرطاس أمرنا بتأسيس جمعية علماء السنة.. وهم قسمان جهريون يشترط فيهم: لحية طولها شبر على الأقل، وسبحة لا يقل طولها عن ذراع ولا يزيد عن ذراعين ونصف، وعمامة لا يقل وزنها عن ستة أرطال ولا يزيد عن عشرين.... وعلماء سريون"⁽⁴⁾.

- جريدة الجحيم الإصلاحية: "وقد ظهر في هذه الأيام رهط ينتسبون إلى الجنس البشري وهو يتبرأ منهم. هؤلاء الخنازير اتخذوا الشتم وثلب الأعراض حرفة، وقذف أهل العلم والفضل بضاعة روجوها رغم الأئمة التي كسدت بسببها البضائع الأخرى.. وقد أسسوا ورقة عفنة سموها المعهر- أي المعيار- وهي حقيقة معهر من أقذر وأنجس المعاهر، وكتبوا في تلك الورقة ما أطربوا به بعض السفهاء أمثالهم، وما خوفوا به بعض الجبناء، وأيقنوا أن الجو خلا لهم، وأن بلاد الجزائر لم يبق فيها إلا من يناصرهم أو يهاهم، وليس فيها من يحاربهم أو يلعنهم أو ينتقدهم، وهكذا شأن اللئيم يزيده سكوت خصمه جراءة، ولا يقبل إلا اليد التي تصفعه.. وقد أسسنا هذه الجريدة المباركة الطاهرة النقية العفيفة النزيهة لا لغرض سوى الانتقام للفضيلة والدفاع عن الأعراض البريئة، وتطهير قطرنا العزيز من الجرائم الخبيثة التي انبتتها فيها الطمع وحب الرئاسة والتكالب على جمع الأموال الطائلة وتحصيل الألقاب الهائلة، وسنديق أهل الزيغ والكفر والعناد أضعاف ما اعتدوا به على السادة الأبرياء من عباد الله"⁽⁵⁾.

(1) المرصاد، تحت الرصد، ع 27 (9-9-1932)، ص 3. حياة كفاح، ج 2 ص 326.

(2) المدني، حياة كفاح، ج 1 ص 126.

(3) المرصاد، مقال "صفعة أولى للورقة الخرفة"، ع 27 (9-9-1932)، ص 3. حياة كفاح، مرجع سابق، ج 1 ص 327.

(4) المرصاد، مقال "أمير العلماء" ع 27 (9-9-1932)، ص 3.

(5) صحيفة الجحيم، "كلمة أولى، أما بعد"، ع 1 (30-3-1933) عن العقون، مرجع سابق، ج 1 ص 268.

ب- نماذج الحرب القلمية عند الطرقيين.

-جريدة البلاغ: "أقول لك يا ابن باديس بلا مؤاخذه ومع الاحترام أيضا، إنك قد ارتكبت شططا فيما خطه قلمك الذي ما كنت أظن قبل هذا وقبل الحادث المؤسف أنه من جنس تلك الأقلام المغرضة، وأنتك أتيت فيما كتبت بما لم يأت به من له مثقال ذرة من حسن النية، ومن له أدنى شعور بالمسؤولية، التي صار يتحملها متعمد الكذب بدون حرج... وإننا في هذه المسألة التي شهدت فيها عليك تصريحاتك التي كان الناس يعدونها تصريحات رجل، أو تموهياتك التي ظهرت الآن بتلك الصفة، في غنى عن استئزال اللعنة على الكاذب... وهل من الحشمة والمروءة أن تسعى الآن زورا في تلويت الأيدي التي انتشلت المشروع وانتشلت سمعتك التي كادت أن تسوء بقتل المشروع في مهده، وفي استطاعة من يقدر أعمال الرجال حق قدرها، ومن لم يكن فيه خلق اللؤم الذميم أن يسمح لنفسه بأن ينقلب شاتما لبناء مشروع كبير"⁽¹⁾.

وفي المقال إشارة إلى أن العاملين في بناء الجمعية هم الطرقيون، لكن الأعلى صوتا هم الإصلاحيون، وأن الطرقيين أعفّ لسانا.

-جريدة المعيار: "المصلحون الحقيقيون هم طائفة من أمة الإسلام همهم إحياء الفضيلة وقتل الرذيلة، واحترام الشخصيات وغض الطرف عن العثرات.. وضد هؤلاء طائفة من أمة الشيطان همهم إماتة الفضيلة وإحياء الرذيلة، وهدم الواجبات والطعن في الشخصيات ابتغاء مرضاة موسوسهم الذي أوحى إليهم ما أوحى يحاربون الإصلاح بسم لإصلاح، وهم أشد ضررا من تسعة رهط، وأفزع خبثا من جرذان البيت، قاتلوا الدين باسم الدين، ودينهم أخبث من دين المجوس، وقاتلوا السنة المحمدية، وهم المبتدعون لكل بدعة شنيعة، ... وهم رئيس الخونة، والطريد والبارك والسلوقي"⁽²⁾.

-وفي الهجوم على العقبي تقول: "أولم يكن العلماء ينصحون ويرشدون قبل، وأين كان أمثالك يوم كان علماء الإسلام في هذه البلاد وغيرها من البلدان الإسلامية، ولولا نصائحهم وإرشادهم وإسلامهم الصحيح ما بقي الإسلام محفوظا إلى الآن ومصاننا من عبث أمثال دكتورك... أين كنت تمزق سراويلك، هل من جهة ركبتيك بالإدمان على الصلاة، أم على الوقوف على طاولات الحانات والمشارب، إن مثلك مثل أبي السفلي، إذ كل منكما أرد أن يكفر عن ماضيه بالمخازي والخيانات وهدم الشريعة والفسوق والمروق، ولما بلغ من الكبر عتيا أخذ كل منكما يظهر بمظهر الإسلام الصحيح"⁽³⁾.

ولم تتأخر الجرائد الرديفة في هذه المعارك، فقد هُوجمت الجمعية من قبل دوائر في صحيفة النجاح وورقة تدعى "صدى الصحافة الإسلامية"⁽⁴⁾، وبعيد مؤتمر اتحاد الزوايا (1939)، اتهم الطرقيون ابن باديس بأنه يريد

(1) حياة كفاح، مرجع سابق، ج 1 ص 128.

(2) المعيار، مقال "من هم المصلحون، ع 7 (12-3-1933)، ص 1.

(3) المعيار، مقال "المعيار بالإلقاء مسامرة"، ع 4 (29-1-1933)، ص 1.

(4) الشهاب، ع (ربيع الأول 1355 - جوان 1936)، ج 12، ص 175.

التخذيل بينهم، لكونه دعا رئيسين من رؤساء الزوايا لمناسبة جامعة الزوايا العداء، ولكنه فشل حسب الجريدة⁽¹⁾.

وتوالت المقالات والمقالات المناقضة حتى أواخر الثلاثينيات، ومن ذلك أن جريدة الرشاد الطرقية نشرت مقال "نصيحة وتحذير المسلمين الجزائريين من الوقوع في حبال الإصلاّح"، لمحمد الصالح من قسنطينة، وللكتّاب نفسه مقال "أبو يعلى الزواوي يرى النقيصة في عين الكمال"⁽²⁾.

وأسهمت جريدة النجاح الموالية للطريقين في نقل كل حدث يشين الأعمال الإصلاحية، مما جعل الهوة تتعمّق بينها وبين الجمعية التي أصدر رئيس تحرير صحيفتها البصائر الطيب العقبي مقالا عاصفا جاء فيه: "أخذت ترد علينا من نواحي القطر كلمات ورسائل تتضمن الحكم على هذه الجريدة التي أبت إلا سلوك غير المؤمنين واتباع صراط المغضوب عليهم والضالين.....فالبصائر طيبة، والطيبات للطيبين، أما الورقة الخؤونة فلا نحكم عليها بشيء، لأن خيبة سياستها وإخفاقها أينما توجهت تكفيها.. فلا غرابة أن تكون مسيلمة وقتها"⁽³⁾. وتكتب المعيار عن ابن باديس: وترى الشقي أبا السفلي يرمي قلمه القدر-بواسطة المرحاض- محاولا تشويه أسياده، ومن سوء قبحه أنه خاطب الحافظي، وقال بأنه عضايدي.. ونحن نقول لهذا الشقي: اخسأ بل لست من أهل العلم حتى تخاطب أسيادك الذين هم أرفع مقاما عن التنزيل⁽⁴⁾.

4- المناوبات اللقبية:

وهي مبنية عن عمق الشقاق الذي نزل له الفريقان بلغة قاسية فاحشة لا تعكس روح التدين عند الجميع، فالإبراهيمي يتكلم عن الدجاجة: "لقد عرفنا الكثير من هؤلاء "العارفين بالله" فلم نعرفهم إلا حمرا ناهقة"⁽⁵⁾. وترد لسان الدين العلاوية: "ويل للأمة التلمسانية من الأعرج والفكر الأعوج... من شر الأفراد الذين ابتلي بهم الإسلام والمسلمون في قطرنا الجزائري، هو داعية الضلال بتلمسان .. ذلك الأفاك الأثيم... فرّق بها جمع المسلمين وشتّت شمل المؤمنين وأثار العداوة والبغضاء، لا نلومك لأن دينك دين الماسونية الصهيونية الإسرائيلية، فهنيئا لك به وحدك، لنا ديننا ولك دينك"⁽⁶⁾. بل ويتهم المقال الإبراهيمي بكونه خريج كلية اليوسوعيين ببירות، وهو كذب صراح، وقد بدا من هذا المقال وغيره استرداد للسعار اللاهوتي الذي شاع بين الكاثوليك والبروتستانت في أوروبا مطلع الإصلاّح الحديث،

بل ويصف البودليي الإبراهيمي "بالدجال الأعرج، وأنه فيلسوف ماسوني داعية الضلال والاعتزال"⁽⁷⁾. وبأنه الشيطان الأعرج الذي خفي بعرجه عن المسلمين، وهو أشدّ ضررا من الشيطان الأعور إبليس⁽⁸⁾.

(1) آيت علجت، صحف التصوف الجزائرية، مرجع سابق، ص 124.

(2) جريدة الرشاد، ع 52 (1939-9-11)، وع 49 (1939-8-21)، عن آيت علجت، نفسه، ص 198.

(3) البصائر، ع 12 (1936-3-27)، ص 4.

(4) المعيار، ع 1 (1933-12-18)، ص 2.

(5) سجل الجمعية، 1935، مقال "فلسفة جمعية العلماء"، انظر آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 171.

(6) العقون، نفسه، ج 1 ص 290. لسان الدين، ع 38.

(7) البودليي، إمطة اللثام عما نشأ في الحاضرة التلمسانية من الشكوك والأوهام والشقاق والخصام، مرجع سابق، ج 1 ص 1.

(8) البودليي، المرجع السابق، ج 1 ص 6.

وتتهمكم جريدة لسان الدين بجماعة الإبراهيمي في تلمسان بأنه: صاحب الروايات الكاهنة ودار الحديث ونادي طنجة وأعضائه المجتهدين، نعم مجتهدون ولكن في الكيف والمعجون والخمر والأفيون"⁽¹⁾.

وتمتلاً صفحات النجاح بمثل هذه اللغة الاستهزائية كما في المسرحية المتخيلة "التكالب على المال" بين رموز الإصلاحيين المرابطون ضد المرابطين وهم: الصنهاجي، الإبراهيمي، العقبي، الفرغاري، أبو اليقضان، والزواوي. ووتخيل الرواية صراع قادة الجمعية على المال وابتزاز الأمة، وتخوين بعضهم لبعض⁽²⁾.

وتمتلاً المعيار بمنابرات لقبية حادة نتنة، فعن عباسية يقولون عفافسة الديوث الشيفور الشيكور⁽³⁾. بل كانت فجّة ومسفة في مقال "منامة أو نظرة عميرة الفرطاس"⁽⁴⁾، واصفة ابن باديس بأنه الدوك ثور الاختصاصي في الإيمان المغلظة بالكذب والتدليس، والإبراهيمي الاختصاصي في المراوغة المفضوحة وخريج مدرسة الرهبان، والعقبي الطريد الاختصاصي في الثرثرة والمتراذفات ونشر الوهابية.... إلخ.

وتستنفر الجمعية أعلامها للنكير على جمعية علماء السنّة، وتتوالى الكتابات الفجة، ومن ذلك ما كتبه صالح العبدى: "ألف بعض علماء الجزائر أنصار البدعة وأعوان الزوايا وغواة التضليل وعبد القبر عصابة تحت اسم "علماء السنّة"⁽⁵⁾.

وفي كل مرة يتبادل الكل الألقاب حسب المستجدّ السياسي: شيوعيون، مأجورون، نازيون، فاشستيون، بل وتحريف اسم ابن باديس إلى "ابليس"⁽⁶⁾، وفي هذا الجدول نحاول استقراء لغة الفريقين:

ألقاب الإصلاحيين عن الطريقين	(١) "المعهر" عن جريدة المعيار، الخنازير، المهري الحلاج، ابن الحاج كبول، الطويلة البائرة أو⁷ الفرطاس^١ ترجمان البروتستان بقسنطينة، الخطيب المنتظر، ابن الحاج الكاذب، الحاج الكرشي، حمو العاصي، الضبع الهرم الذي تزوج أخيراً بإحدى المومسات، وكان مستغنيا بأمه عن الزواج، الزامل بن عازوز، الطار الإبليسي، الميسوم على الخيشوم، الداجلون، المتربطون. البدوي بسيق الذي تزوج امرأته بعد أن طلقها ثلاثاً، الفداوي بسطيف، القطب المتقاعد بالأغواط، ناشد الضلالة بطولقة، الكردينال المسلول المعروف بشيخ الحلول، ابن أمه الذي يلحس ويمص، ابن كلبو الذي كان^٩. وانتصب (الجاهل الأمي) كزعيم لهؤلاء المشاغبيين وجعل (يروت من فمه)^٨ تجانيا ثم باع نفسه للعلويين^٩. (١٠)، جمعية علماء البدعة، صحيفة النفاق والأخراص (الإخلاص)، الورقة^{١٠} علماء السنّة الدرهمية والكسكسية^{١٠}

(١) البودليبي، إمطة اللثام عما نشأ في الحاضرة التلمسانية، مرجع سابق، ج 1 ص 15. جريدة لسان الدين، ع 38.

(٢) النجاح، مامي إسماعيل "التكالب على المال"، ع 1851 (20-5-1936)، ص 2.

(٣) المعيار، ع 1 (18-12-1932)، ص 4، والإشارة إلى كون عباسية يمتلك شركة نقل بين سطيف وبسكرة.

(٤) المعيار، ع 2 (1-1-1933)، ص 1

(٥) جريدة الصراط السوي، ع 10 (22-11-1933)، ص 3.

(٦) الورثاني، الجزائر الثائرة، مرجع سابق، ص 124. مقابلة مع الشيخ محمد الصالح الصديق، يوم 11-3-23.

(٧) المرصاد، مقال "وصية الفرطاس"، حيث تخيلت له وصية لأمواله فيها إسفاف وإفذاء، ع 33 (19-11-1932)، ص 3.

أو مقال سميري "بريد الخيال، الفرطاس في الخلوة العلوية" المرصاد، ع 36 (9-12-1936)، ص 3.

(٨) الجحيم، ع 1 (30-03-1933) نقلا عن العقون، نفسه، ج 1 ص 268.

(٩) جريدة الشريعة، الزاهري، مقال "يوم 23 ماي 1932" ذكرى اجتماع الانشقاق، ع 3 (31-7-1933)، ص 4.

(١٠) جريدة السنة النبوية، ع 7 (22-5-1933)، ص 2، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 113.

(²)، نقابة الزوايا السندية (جمعية علماء السنة)⁽¹⁾ الخائنة المخذولة العانسة البائرة (الإخلاص، المعيار)⁽¹⁾ (³) عن جمعية الزوايا لشمال إفريقيا، الخوارج والخصوم⁽⁴⁾، جامعة الميعاد الطريقي⁽³⁾ أصحاب العمائم الصفر⁽¹⁾ (⁸)، الدجال المغربي⁽⁷⁾، علماء السينية (سينية الأكل)⁽⁶⁾، الحافظ الحشوي (المولود الحافظي)⁽⁵⁾ غير الشرفاء⁽¹⁾ ⁽⁹⁾النجاح (جريدة النجاح)	
(¹)، الأوباش المأجورون، دعاة الهذيان والهذر، الخونة⁽¹⁰⁾ أصحاب الدين الجديد، جمعية العشور⁽¹⁾ الأبالسة، الطريد (العقي)، مسلمة الكذاب (الإبراهيمي)، السخفاء، الديوثون، الموصومون بكل (¹)، داء الزيف والضلال، العلماء القليلين⁽¹³⁾، شيعة الضلال⁽¹²⁾، ترجمة الطريد العكلي⁽¹¹⁾ عار⁽¹⁾ (¹)؟، دار التربية الفاجرة "أي دار التربية والتعليم، البصائر"⁽¹⁴⁾ النية، العلماء مصابيح ونحن مراويح⁽¹⁾ (¹)، الملحدون. رئيس الخونة (ابن باديس)، البارك (الميلي)، السلوقي⁽¹⁵⁾ الخسائر البادية⁽¹⁵⁾ (¹)، الشقي بن الشقي أبو السفلي، النحيس أبو نعمة، إبليس (ابن باديس)، جمعية⁽¹⁶⁾ العمودي⁽¹⁾ (¹)، أبو سفلى (أبو يعلى)، نادي⁽¹⁸⁾، الغياط والدجال المتنكح⁽¹⁷⁾ مربوط الدواب وفندق الكلاب⁽¹⁾ (¹)، ضبع⁽²⁰⁾، العربي الطبسي، السنة القسنطينية⁽¹⁹⁾ التأخر (الترقي)، عصبة الكلاب النابحة⁽¹⁾ (¹)، البارك⁽²⁾، زعيم المفسدين ورئيس الخونة (ابن باديس)⁽¹⁾، المرحاض (جريدة المرصاد)⁽²¹⁾ ميلة⁽¹⁾ (¹)⁽³⁾، مبارك (الميلي)، جمعية الميعاد الإصلاحي، ذئب الفلاسفة وفيلسوف الذئاب (الإبراهيمي)	ألقاب الطريقين للإصلاحيين

(¹) جريدة الصراط السوي، ع 1 (1933-9-11)، ص 7.

(²) جريدة الصراط السوي، ع 11 (1933-11-27)، ص 3. الثبات، نقابة الزوايا، ع 4 (1932-9-34)، ص 3.

(³) جريدة البصائر، ع 91 (1937-12-7)، ص 2، مقال علي الشرفي الخنثلي "ماذا تريدون يأهل العمائم الصفر".

(⁴) البصائر، ع 119 (1938-6-24)، ص 8. البصائر، ع 127 (1938-8-19)، ص 7.

(⁵) البصائر، ع 47 (1939-12)، ص 1.

(⁶) المرصاد، "كتاب مغلق إلى الحافظي الحشوي"، ع 36 (1936-12-9)، ص 2. ع 37 (1932-12-17)، ص 2

(⁷) المرصاد، مقال "جماعة السينية"، ع 39 (1932-12-30)، ص 2.

(⁸) المرصاد، ع 41 (1932-3-21)، ص 2. والدجال المغربي أبو الجلالية الخضراء عندها هو عبد الحي الكتاني.

(⁹) الثبات، مقال "إنذار إلى الشيخ العطوي إمام الخروب"، ع 32 (1934-12-7)، ص 3.

(¹⁰) النجاح، الصنهاجي يدفع عنه تهمة جديدة، الأخذ من الصندوق الأكل، ع 1871 (1936-7-12)، ص 5.

(¹¹) المعيار، ع 2 (1933-01-01)، ص 2. العقون، نفسه، ج 1 ص 272

(¹²) جاء في جريدة المعيار عن العقي "ترجمة الطريد العكلي... عاد لسيد عتبة، وهو يتعثر في أثواب الفشل.. فاختار الجلوس بالبستان العام

حيث مرتع ومرقص الفتيات"، جريدة المعيار، ع 9 (1933-4-22) نقلا عن مريوش، مرجع سابق، ص 231.

(¹³) المعيار، قصيدة "شيعة الضلال"، ع 2 (1933-01-01)، ص 3.

(¹⁴) جريدة الشريعة المحمدية، ع 2 (1933-7-24)، ص 5.

(¹⁵) الرشاد، حسن الوارزقي "هل تعلم يا أبا يعلى أنا نحترمك ونحتقرك"، ع 44 (1939-6-12)، ص 2.

(¹⁶) المعيار، مقال "السلوقي العمودي"، ع 1 (1932-12-18)، ص 3.

(¹⁷) المعيار، ع 1 (1932-12-18)، ص 2. المعيار، ع 7 (1933-3-12)، ص 1.

(¹⁸) صدى الصحراء، مقال "جريدة الثبات المنتنة"، ع 16 (1934-28-9)، ص 2.

(¹⁹) المعيار، ع 1 (1932-12-18)، ص 2.

(²⁰) البلاغ، ع 293 (1933-5-10)، ص 3.

(²¹) الميدان، مقال "ضبع ميلة يتحرك بدار الأمة"، ع 27 (1938-1-16)، ص 3. في الرد على البصائر ع 93.

5- الشعروالمنافضات في المعركة.

استنفر الفريقان أقلامهم الشعرية في الردّ والنقض على الآخر، وكما كانت المعركة القلمية ساخنة من الجرائد الأصلية أو المرافقة، وكان الأمر كذلك في الأقلام الشعرية، حيث برزت قصائد ومناقضات ومثالب متبادلة، ومن نماذج ذلك قصيدة الشيخ الفضيل إسكندر⁽⁴⁾ وهو إصلاحي النزعة سنة (1934)⁽⁵⁾:

لقد حارب الدين أقوام لا خلاق لهم-----سيماهم الغش والتليس والخدع
صدّوا ببدعتهم جمهور قومهم-----عن دين ربهم فبئس ما صنعوا
قطاع طرق لكن لا سلاح لهم-----إلا التملّق والتمويه والخدع
حادوا عن الدين والعقل معا-----فالدين ما سلكوا والعقل ما تبعوا
لكنهم تبعوا هوى نفوسهم حتى-----هووا في حضيض الشرك واندفعوا
لكن رحمة ربي قبضت فئة-----قيادة هديها تخريب ما صنعوا.

ويرد أحد طلبة الأزهر الجزائريين المجاورين وهو محمد الهلالي على الهجمات الإصلاحية ضدّ الزوايا، فيقول مذكرا بوظائفها التربوية والتعليمية والاجتماعية⁽⁶⁾:

لهذا كان ما قد كان مما-----تلاقيه الزوايا والمعاهد
ولولاها لما انشروحت صدور-----ولا اعترفت بأن الله واحد
أليس العلم يؤخذ من بينها-----وفيمها الراحة الكبرى لوافد
وفيمها تذكر الأسماء وفيمها-----أخو الحاجات يظفر بالمساعد

اشتدت المناقضات الشعرية بين الطرفين، ولكن مشاهير شعراء الطرفين كانوا أقل حدة من الصف الثاني والثالث، ويمكن التمثيل هنا بمحمد العيد للإصلاحيين، وكان معتدلا جدا لخلفيته الصوفية التجانية، وكذا لأحمد الأكحل المنافع عن الطرقيين⁽⁷⁾، فقد كان معتدلا عفيف القلم، ومما قاله في إنشاء جمعية علماء السنة:

جمعية السنة الزهراء صاح لقد-----قامت على قدم تحارب البدعا
تحارب الجور والطغيان آخذة-----تحارب الجهل والفقر المشين معا.

(1) المرصاد، انظر مقتطفاتها: "فلا تتشاجروا، رواية معنونة، الجزيرة الحلولية، صواب"، ع 21 (7-8-1932)، ص 3

(2) الرشاد، حسن الوارزقي، "شباب الجامعة الإسلامية يستقبلون مصطفى القاسمي"، ع 47 (7-7-1939)، ص 1.

(3) الرشاد، مقال "همسات الملاحظين"، ع 13 (1-9-1938)، ص 2. الرشاد، ع 19 (20-10-1939)، ص 1.

(4) الفضيل إسكندر (1901-1982)، إمام المسجد الحنفي، يحفظ 3500 حديث. عينه ابن باديس رئيسا لفرع المديّة سنة 1933. أتم تفسير القرآن الكريم بين سنوات (1935-1969)، معجم أعلام الجزائر في القرنين، مرجع سابق، ج 2 ص 295.

(5) البصائر، ع 922 (6-12-2018) أوت 2018 ص 9.

(6) البلاغ، ع 354 (15-01-1937). آيت علجت، صحف التصوف الجزائرية، مرجع سابق، ص 103.

(7) العقون، الكفاح القومي السياسي، مرجع سابق، ج 1 ص 277.

ومن المعتدلين الطريقين الشيخ عمار بن أحمد العطوي مهري، والذي كاتب الفريق الإصلاحي بقصيدة نصائية فيها بعض الشدة، ومطلعها⁽¹⁾:

جلّ وجدي من خطوب عظمت----- في بني الإسلام بالمنتسبين
واشتكى شعبا نفوسا ظلمت----- سنّة الإرشاد بالزيغ المبين
مالككم يا مصلحي العصر ألا----- تتقون الله في الشعب الضئيل
وارجعوا عن طعنكم في الفضلا----- واتقوا يوم الجزاء عن كل قيل
وانتهوا عن نسبة الزيغ إلى----- أمة أنتم لها عضبة عليل
أما الطرف الحاد فكان العقبي في شعره ونثره، فمن ذلك قصيدته⁽²⁾:

سبب البلايا كلها----- قوم تصدّوا للرشاد
يتسابقون إلى الضلالة ما----- شذا بالغي شاد
عن الكتاب تصامموا----- لم يسمعوا صوت المناد
خانوا الأمانة واعتدوا----- فصنيعهم ذر الرماد

ونقرأ بتوقيع أبو الحسن المرشد قصيدة منشورة في جريدة الصراط⁽³⁾:

وما نقموا منا سوى الدين إنه----- قذى يعتري طرفا من الشرك أرمدا
فكم جهدوا أن ينقضوا منه كبر ما----- وأن يهدموا بناء موطدا
ولولا دفاع الله عن صرح دينه----- لعاث به الوحش الذي بات مرصدا
ومن تلك القصائد المنكرة لما يدور في بعض الدوائر الطرقية من حط التكاليف أو شيوع أخبار الخطوة⁽⁴⁾:

كانوا طوائف شتى كل طائفة----- تطيع شيخا لها في كل ما زعما
إن قال إني ولي صدقوه وإن----- هو ادّعى الغيب قالوا أحكم الحكمما
وإن تعليم بعض الشيء تهجية..... قليلة قالوا يا أعلم العلما
وإن هو ارتكب الفحشاء فاضحة فلا..... محالة معذور وقد أثما
أو احتسى الخمر قالوا إنها غسل----- ولا غرابة في هذا ولا جرما
أو ادعى أن خير الخلق يخدمه فما..... اعتدى عندهم ولا ظلما
أو لم يُصلّ رأوه حسبما زعموا..... يقيمها إذ يزور البيت والحرما

لكن اللغة الفاحشة البذيئة والوقوع في الأعراض سينزلق إليها الطرفان، وإن كان أتباع الإصلاحيين أكثر حدة، في حين كان الطريقون أعفّ لسانا، ويمكن التدليل بهذا الفحش بما ورد الجحيم الإصلاحي التي هاجمت المفتي كحول بعنوان (كبول خدع الناس)⁽¹⁾.

(1) العقون، مرجع سابق، ج 1 ص 278.

(2) العقبي في الإصلاح، (16 ربيع الثاني 1348) نقلا عن العقون، مرجع سابق، ج 1 ص 280.

(3) الصراط السوي، ع 4 (19-10-1933)، ص 6. العقون، نفسه، ج 1 ص 280.

(4) الشهاب، الزاهري "التحية الصادقة"، ع (جمادى الأولى 1353- أوت 1934)، ج 10 ص 454.

رفع الستر عن مخازي بن آلي..... فهي شتى أمامه ووراءه
فتشوا عن بناته في المقاهي..... والملاهي فقد مللن لقاءه
خدع الناس بالإمامة لكن.....كشف الله خبثه ورياءه
إنه لائط وزان وواش.....لا تصلوا يا مسلمين وراءه
أو قول بعض الإصلاحيين⁽²⁾: لا تخدعك اللي ولا الصور.... تسعة أعشار من ترى بقر
تراهم كالسحاب منتشرا.....وليس لطالب فيها مطر
في شجر السرو منهمو شبه.....له رواء وماله ثمر.
أو ما رصدته المرصاد من أبيات طالبت بتشطيرها، ووعدت بجائزة الاشتراك المؤبد فيها، وهي⁽³⁾:
هم الخنازير لا تشفق على أحد---- منهم إذا وقعوا في الحب أو عثروا
بل أصلهم جذوة هيماء يطفئها---حلاجهم أو رئيس (الجوق) أو ءءء
اخسأ عميرة أن النعل ما صنعت---إلا لوجهك يا ابن العهر يا قدر
اخسأ عميرة لا تنبس ببنت فم---اليوم يعرف حماك الرعب والخطر
ويرد الطرقيون متهمين الإصلاحيين الآخرين بالتفرنج وتقليد الغرب في عدم إطالة اللي⁽⁴⁾:
هذي أوروبا بالمعارف قد رقت... أوج العلا بالعلم والأمداد
وتمدنت وتفننت وتقدمت... إلا لعلم صارت كعبة القصاد
فلتفقدوا وتقلدوا أبناءها... في العلم والاتقان والإيجاد
لا في التزي واللباس تفرنجا.... والحلق والترطيب للأخداد.
وأما حمزة بكوشة فيتهكم بلى الطرقيين الطويلة: "التي أضرت بالمسلمين في دينهم ودنياهم قديما وحديثا،
وليس ذلك الضرر من أجل طولها فإنه من السنة، ولكن الاقتصار على هاته السنة واتخاذها طريقا للتدجيل،
ففي واد سوف لحيثان طويلتان تحالفتا على سبب جمعية العلماء وأذية أتباعها،...اللحية التي يحملها شيخ
الطريقة الذي يريد أن يكون عالما وحاكما ووليا صالحا، وقائد عصابة إجرام في آن واحد"⁽⁵⁾.
وأما ذو الفقار المنافح عن الطرقيين ولحاهم، فيرد بقصيدة عاصفة "تعالوا بني الشعب العزيز وقاوموا"⁽⁶⁾

(1) الجحيم، العدد 6 (4-5-1933). (كبول خدع الناس) نقلا عن العقون، نفسه، ج 1 ص 281.

(2) البصائر، مقال "المؤتمر الطرقي بالجزائر"، ع 164 (5-5-1939)، ص 6.

(3) المرصاد، إسكندر القائد قنيز "حرقه الخنازير"، ع 41 (21-3-1932)، ص 3.

(4) انظر عبد الله البيضاوي، مطالع اليقين، ص 102. من قصيدة أحمد الشاذلي من قصر البخاري، وأما الزاهري فيرد بأن الإصلاحيين أيضا يهتمون بالعمائم واللي، (سبقناكم علما ودينا وإننا—لنا السبق حتى في اللي والعمائم).

وبأن المعيار ليست المظاهر، وإنما العلم والعمل الصالح. انظر جريدة الصراط السوي، مقال إلى زيارة سيدي عابد"، ع 8 (6-11-1933)، ص 4. مع العلم أن فرنسا كانت تفرض لازمة -ضريبة- على اللحية في القرن التاسع عشر.

(5) البصائر، ع 93 (31-12-1937)، ص 3 ويقصد باللحييتين الطويلتين: القادرية والتجانية. وتابعه علي مرحوم في مقال "وفد الورتلاني في سوف" انظر رحلات جزائرية، ج 2 ص 279. إلى وجود أصحاب لحي آخرين.

(6) البلاغ، ع 267 (19-8-1932)، وله قصيدة بائية هجائية في المعيار ع 2 (1-1-1933)، ص 2.

تعالوا فإن القوم عم بلاؤهم—وأوقعهم في المقت حب ظهور
دعاة فساد قد طغوا وتمردوا-- وشنوا على الإسلام حرب نكير
هم الباذر للإلحاد بين ربوعنا—فتبا لمن يسعى لشر بدور
فعابوا علينا الذكر سرا وجهرة—وبعد صلاة وقبل بكور
وعابوا علينا أن نزور بعبرة—وقالوا لنا أنتم عباد قبور
وعابوا على أهل اللحى إذ تمسكوا—بشرع رسول الله خير نذير
وقالوا لهم أنتم تيوس فبادروا—إلى حلقها وامضوا لجعل بدور
إن شئتم حلق الشوارب فافعلوا---فذاك لوجه المرء خير منير
ومن شعراء الطريقة الجادين الشيخ الرابحي الذي نافح عن الطرق وشيوخها وصحافتها، ومما قاله في
الانتصار للبلاغ وابن عليوة⁽¹⁾:

إن المهاجم للبلاغ مهاجم.... لإمام شعب ظل يحي دواثرا
ذاك الذي كم عم الآفاق بهديه.....علاوي ذا العلا لا زل مثابرا
كثر الصراخ من الرعاع وكلهم.... غرّ يهاجم ضيغما وخناجرا
جهّز العدى جيشا فخابت ظنونهم... وسيوفهم أمست فلولا كواسرا
وفي الانتصار للعلويين ولجريدة البلاغ بعد رجوعها الثاني، والرد على هجاء جريدة الجحيم الإصلاحية كتب
الأمين العروسي - وهو طالب جامعي بجامعة الجزائر-⁽²⁾:

برز البلاغ بثوبه الرجراج...وكسا الأنام بنوره الوهاج
هناه قبلي الرابحي بدره... تزري بسمط خريدة مغناج
ومحمد المهدي قام بدره ... بفريدة من نظمه الفلاج
فتمدمت دار الجحيم وحزبه... وتساقطوا من شاهق الأبراج
والكلب يعوي والهرير شعارهم...والسامري بصوته الهداج
وفي غمرة صعود نجم علماء السنّة يكتب شاعرهم ذو الفقار قصيدة "أهلا بأنصار الشريعة"⁽³⁾.
الله أكبر دك صرح فساد مذ خاب سعي جماعة الأوغاد
جموا على دين النبي بوقاحة—وحماقة وجهالة وعناد
هذا يذم تصوفا وتوسلا—والغير ينكر مذهب الإسناد
ويقول هذا لا حب تمذهبا—بالمذهب المفضي إلى الإبعاد
أنا لا أقول مبارزا متهجما—عن سيد الشرفاء والأسياد

(1) عبد الله التباع البيضاوي، مطالع اليقين في مدح الإمام المبين، مرجع سابق، ص 85.

(2) التباع البيضاوي، نفسه، ص 103. وكان رجوعها في العدد 300 (14-7-1933).

(3) البلاغ، ع 271 (23-9-1932)، أضاميم، مرجع سابق، ج 2 ص 321

ما هو إلا مبلغ بمثابة ال---فكتور لا يرجى ليوم معاد
علماء سنّة خير خلق الله من -باتوا لأهل البغي بالمرصاد
وتنحدر بعض الأقلام في الحجيم والمعيار إلى اللغة المتسفلة، ومن ذلك هجو بعضهم لابن باديس⁽¹⁾ :
رأيناك يا باليس بالشرع تلعب—وتسعى لهدم الدين جهرا وتطلب
رأيناك تمشي يقينا وموسوما—وتبذر أنواع الشقاق وتطلب
رأيناك تبدي للأيام نصيحة—وفي طيها سم مجرب
تظاهرت بالإصلاح في كل موطن—وقلت لنا أني الزعيم المجرب
كذبت على الشرع العزيز ودسته—فجهلك يا باليس جهل مكعب.
ومن وجدة يكتب أحمد بن عبد القادر الحسني يمدح البودليبي ويحط من الإبراهيمي⁽²⁾
يا تائها برفيع سر إيمانه---ونثر در من فصيح كلامه
وبصولة وشجاعة وزعامة---وبما تبين من ذكا أفهامه
خضع الماسوني دونكم لما رءا---حجج الكتاب أقيم من ملسانه
فغذا الماسوني أبكما من عجزه---عما أتاه بسابق في صراطه.

وكانت المعيار تسوق نماذج من القصائد الحادة نحو "مالكم يا مصلحي العصر" للشاعر طلاع الثنايا⁽³⁾.
ولم يقتصر الهجاء الإصلاحي على الطرفين، بل نال تحالفهم المؤقت مع ابن جلول⁽⁴⁾ في قسنطينة عقب
فشل المؤتمر الإسلامي، ودعوة ابن جلول لزردة كبرى في كدية ومقبرة سيدي عاتي خريف (1936)، فنشرت
النديم التونسية قصيدة بإمضاء مهذار⁽⁵⁾:

خلق الله للحروب رجالا.....ورجالا لقصة من ثريد
وإلى زردة ابن جلول لما..... قال هيا لزردتي من مريدي
اتبعوني إلى القبور فإني..... سوف ألقى من الكلام المفيد

وعاضد هذه المقطوعات الشعرية مقطوعات أدبية ساخرة من الإبراهيمي القائل في التعليق على مؤتمر اتحاد
جامعة الزوايا: "تجلّى هذا المظهر الجديد بالأمس في اجتماع الطرفين الذي سمّوه كذبا" المؤتمر الديني
العام"، وما هو في الواقع إلّا زردة من زردهم المعتادة دفعهم إليه الحنين إلى الزرد، فإذا هو لم ينقصه إلّا
الطبول والمزامير، ولم يزد فيه إلّا أنهم خطبوا فيه وكتبوا عنه، وسمّوه بغير اسم"⁽⁶⁾.

(1) المعيار، قصيدة حول باليس وفتاويه الباطلة، ع 8 (29-3-1933)، ص 3.

(2) البودليبي، إمطة اللثام، مرجع سابق، ج 1 ص 84، والقصيدة في خمس وعشرين بيتا كلها هجاء للإبراهيمي.

(3) المعيار، ع 1 (18-12-1932)، ص 2.

(4) محمد الصالح بن جلول، ولد بقسنطينة (1896) نال شهادة الطب من باريس سنة (1924)، شارك في الحياة السياسية، واعتزلها بعد
الاستقلال ليتوفى بقسنطينة سنة (1986). انظر أعلام الجزائر في القرنين، مرجع سابق، ج 1 ص 73.

(5) العقون، نفسه، ج 2 ص 104. وانظر عن زردة بن جلول مذكرات شاهد القرن، مرجع سابق، ص 386.

(6) البصائر، ع 38 (10-9-1936)، ص 7. البصائر، الإبراهيمي مقال "إلى الطرفين"، ع 80 (3-9-1937)، ص 1. آثار الإبراهيمي، ج 1 ص 295.

المطلب السادس: دعوات إلى الوفاق والوئام بين الإصلاحيين والطرقين:

برزت دعوات مختلفة من الطرفين وأنصارهما للتخفيف من غلواء هذه الحرب القلمية والصراع الصحفي، والتطاحن المؤسسي، ويمكننا أن نرصد من هذه الدعوات الآتي:

1- الشيخ الطيب بن الشيخ بوعمامة:

وهو من رؤوس الطريقة البوعمامية الشيخية، فقد كتب للفرقين يدعوها إلى نبذ الشقاق، ومما جاء في رسالته: "فقد أسأني كلام الشيخ سيدي أحمد بن المصطفى العلوي فيما شجر بينه وبين عالم المسلمين القابض على السنة والدين سيدي الشيخ ابن باديس، فتأملت تأمل نكير... على فكر كسكران من هذا الأمر الشنيع الذي لا يناسب أهل العلم ولا أهل التصوف، فهم أول من ينطق بالحق ويركنوا إليه، وأول من يمثل كلام الله ويجنح إليه، فقد نهانا الجبار العزيز في كتابه عن الغيبة -الغيبة- والنميمة والافتراق، فالمداعي- المدعي- إذا لم يبتدع وكان متبعاً لما سبق فلا عيب ولا عار، ... فيا معشر المدّعين ويا معشر المتفقهين لماذا تسارع لمثل هذا قبل أن تنه عنه، وأنتم والله لو أناكم أحد بمثل هذا لهيتم وأمرتم، فما بال نفوسكم على هذا الحال حتى شفيتم -أضحكتكم وأشمتكم- فينا الأعداء، وطلعت على أموركم الأشقياء من كل فرق، فلماذا لا تجتمع -تجتمعون- في صعيد واحد، وتطلع -تطلعون- على أحوالكم، من وجدته على الحق نصرتموه، ومن هو على ضلال زجرتموه، ليستقيم دينكم وتصلح مفاسدكم" (1).

2- محمد بن بلقاسم البوجليلي شيخ مشايخ زاوة:

في رسالة وجهها للفرقين، وفي محاولة لتجنب زاوة ذلك الصراع، وكانت معظم زواياها مع الطريقين، وجاء فيها: "دعوة إلى حق وخير ونصح للجرائد التي أطلقت ألسنتها في الأعراض بالسبّ والشتم مما لا يجيزه الدين، ولا تقبله المروءة، ويعود على الوطن كله بالعار والنقيصة... نرجو من حضرتكم الكفّ عن جميع الخصام وسئ الكلام وفحشه وسوء الأدب احتراماً لرمضان ولو هدنة" (2).

وهو خطاب وتوسل ينبئ عن مرارة الجراح التي تركتها سهام المتقاذفين من الإصلاحيين والطريقين، وخاصة صحفي الصف الثاني في جرائد المعيار والجحيم، حتى يطلب الرجل هدنة بمناسبة شهر رمضان.

3- حسن بولحبال:

المعتدل في توجهاته، وقد احتفظ بمسافة بين الفريقين، وكان مفتي بجاية، وألقى قصيدة للوفاق والوئام في مؤتمر "جامعة الزوايا والطرق الصوفية" الذي انعقد في (فيفري 1939م) (3):

وللناس في معنى التصوف أوجه ---- تعود إلى إخلاص عبد فيخدم

طريق سوى خوفه ورجاؤه ---- وصبر وشكر زهده وتندم

رضاء وحب صادق وتوكل ---- وتخلية من كل سوء تقدم

(1) خليفي، الطريقة الشيخية، ص 136. والنص فيه أخطاء لغوية صححتها لنتيسر القراءة.

(2) الشهاب، ع (رمضان 1351 - جانفي 1933)، ج 9 ص 3.

(3) والقصيدة في جريدة الرشاد (ع 42 عام 1939م).

فلا تلفت يوما لمن رام هضمه----- ولكن عدو الحق بالحق يهضم

وقال: ولقد تتبعت سيرة جماعة من الصوفية فكان من أخصّ مميزاتهم المحافظة على السنن ومحاربة البدع، وهذا القاسمي رئيس جماعة الطرق يصرح هو خطباء حفلته بوجوب الدعوة إلى الإصلاح ومحاربة المنكر"، وفي مراسلة منه للقاسمي نعى للسباب والشتائم بين صحفيي الفريقين: "فأي جهر -لا يحب الله الجهر- من جرائد تجوب الشرق والغرب، تحمل بين أجنحتها إلى القراء إلى جرائم الفحش والسب فتعدي السليم وتغضب الحكيم، وترضي الغريم اللثيم"⁽¹⁾، وقال: ولقد كنت أرسلت نصيحة إلى السيد عمر إسماعيل عند شروعه في تأسيس جمعية العلماء المسلمين، ونظمت مضمونها في نبراس الحقيقة، كما أرسلت أخرى إلى رئيس هذا المؤتمر القاسمي يوم تأسيس جمعية الطرق....كم نصحنا بترك الخوض في المسائل الخلافية، فإنها توقظ الفتن وتضيع الزمن، ونهنا إلى أن الزوايا يجب إصلاحها لا إعدامها"⁽²⁾.

4- عدة بن تونس:

كتب في البلاغ قديما داعيا فيه إلى الوثام⁽³⁾، وذلك بعد الشنآن الذي أعقب محاولة اغتيال ابن باديس، واستمر في مکتوباته على ذلك المنوال إلا في أحيان قليلة جرّه إليها الطرف الآخر.

5- أحمد بن قويدربن مناد:

البليدي العلاوي الطريقة، وكان في بولونيا مدرسا بدار العلوم، وكتب في البلاغ للوثام، ودعا للتنازل: "إذا بجريدة البلاغ تنبئنا بما كان من نقض جمعية العلماء، فسأني ذلك كثيرا، وقلت قاتل الله الأغراض، فما ضرّ سادتنا الأعضاء الإداريين لو تنازلوا عن تلك المناصب الجوفاء، وتركوا الأمر ذاتا واحدة"⁽⁴⁾.

6- السعيد الزاهري:

بدأ الزاهري يروج لفكرة استبدال جمعية العلماء بأخرى سماها "الإصلاح الإسلامي" لإنقاذ الحركة الإصلاحية من الشيوخ الجدد الذين استمرؤوا الانقسام، قائلا: "سنعمل على إنقاذ الحركة الإصلاحية، وتخليصها من أيدي بعض المغرضين الذين غلب عليهم حبّ الدنيا، فمكروا وكادوا حتى احتلوا مكان القيادة، ثم وجهوا حركة الإصلاح لخدمة أغراضهم الخاصة، وحادوا بها عن الطرية المثلى، فباسم الإصلاح يجمعون الزيارات والندور والصدقات، لأنني إصلاحي قبل كل شيء لا أريد قيد أنملة عن فكري الإصلاحية، ولكنني لا أريد أن استبدل شيخا بشيخ، أو طريقا بطريق، بحيث لا غير إلا الأسماء"⁽⁵⁾.

والظاهر أن هذه الدعوة أملاها الطرقيون، وأرادوا أن يقوم بها العقبي بعد انشقاقه، فقد كتبت الرشاد مقالة "الانحلال والاضمحلال"، ورغبوا فيها أن يؤسس العقبي والزاهري جمعية جديدة تحت مظلة "جامعة

(1) القاسمي محمد فؤاد، فهرس مخطوطات المكتبة القاسمية بالهامل، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2006، ص 471. ذاكرة الجزائر، مرجع سابق، ج 4 ص 70. وهي مؤرخة (5 صفر 1357).

(2) بلعقون، مذكراتي، مرجع سابق، ص 153. ذاكرة الجزائر، مرجع سابق، ج 4 ص 36.

(3) البلاغ الجزائري، العدد 88 في (5-10-1928).

(4) البلاغ الجزائري، ع 286 (6-1-1933).

(5) الوفاق، ع 22 في (23-2-1939) نقلا عن ناصر، مرجع سابق، ص 246. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 258.

اتحاد الزوايا"⁽¹⁾. وروجت لسان الدين دعوة الزاهري للوفاق على صفحاتها⁽²⁾، وقد ردّ الملي على الزاهري دعواته للاتحاد بأنه غير صادق فيها نتيجة ما يملأ به صحيفته "الوفاق" من الفتنة والطعن في الجمعية، وهاجمه بكونه دعم مرشحا رجعيا ضدّ مرشح الجبهة الشعبية اليسارية⁽³⁾.

7- زاوية بطيوة:

حيث علا صوت شيخها أبي عبد الله البطيوي إلى نبذ الخصومة والاقتصاد فيها، حيث كان الرجل على سنّ المتصوفة العفيفي اللسان من الخوض في الأعراض كما قال ابنه المهدي البوعبدلي.

8- إصلاحيو الإباضية:

على الرغم من الحرب الطاحنة بينهم وبين المحافظين أو من يسمونهم الجامدين⁽⁴⁾، لكنهم حافظوا على بقية من القدوة الأخلاقية في عدم الانزلاق وراء الحرب القلمية للطرقين والإصلاحيين، ولذلك تتالت نداءاتهم في صحيفة الحياة إلى إخماد هذه الحرب العنيفة، فقد كتبت عن صحيفتي الجحيم والمعيّار: "مُنّي هذا الشعب المسكين بطائفة من الفلتاء الأدنياء الأوباش، فشأت لهم أخلاقهم الدنسة إلا أن يسودوا وجه الصحافة العربية بورقتين.. تحملان أنواع الشتم وهُجر القول مما يتسامى عنه أصحاب الهمم العالية والعقول الكاملة، وإننا نتمنى لهذين القاذورتين اللعنتين السقوط التام والخزي العظيم، ونرجو لأصحابهما الهداية والتوفيق"⁽⁵⁾.

9- عبد العزيز بن إبراهيم الهاشمي القادري:

الذي تولى مشيخة القادرية في عيمش بالوادي، بعدما نال التطويع من الزيتونة سنة (1923)، وهي السنة التي توفي فيها والده، وقد اشتهر بحسن تدبير أملاك وأوقاف الزاوية واشتهر بتجارة التمور⁽⁶⁾، وبعد أداء الحج سنة (1936)، راسل ابن باديس للانضمام للجمعية⁽⁷⁾، وأسس مدرسة من أموال الزاوية سنة (1937)، ونوّه به ابن باديس في مقال مائع بعنوان "الشيخ عبد العزيز بن الهاشمي والإصلاح"، جاء فيه: "إنه أدرك بثاقب نظره أن ما عليه الطريقة من الجهل والجمود لا يمكن أن يستمر في عصر العلم والنهوض"⁽⁸⁾، وكان قد حضر الاجتماع العام للجمعية في (24-9-1937)، وكان داعية للوفاق والوئام.

(1) لسان الدين ع 61 (1938-10-24). البصائر ع 146 (1938-12-30)، ص 2، مريوش، نفسه، ص 276.

(2) لسان الدين، ع 50 (1938-4-16)، ص 7.

(3) البصائر، مقال "من يسمع يخل"، ع 114 (1938-5-20)، ص 3.

(4) انظر محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر، المعارك الطاحنة بين الإصلاح وأعدائه في وادي ميزاب، ج 4 ص 30.

(5) مجلة الحياة، العدد 3 في (1933-5-12) نقلا عن محمد ناصر، نفسه، ص 149.

(6) موسى بن موسى، الحركة الإصلاحية بوادي سوف نشأتها وتطورها، مرجع سابق، ص 106.

(7) عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830 - 1962)، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995، ص 321.

(8) جريدة البصائر، ع 123، (22-7-1938)، ص 1.

وبعدما أسّس مدرسة جديدة أخرى بالوادي عين معه عبد القادر الياجوري وعلي بن سعد خزان⁽¹⁾، فطالبهم السلطة برخصة التعليم، فتمّ اعتقالهما والهاشمي في (18-4-1938)، وسيقوا إلى سجن الكدية⁽²⁾. وكان الاستعمار لم يرقه هذا التقارب الإصلاحي الطرقي في منطقة كان يعتبرها بمنأى عن الرياح الإصلاحية، وقد خرج الشيخ عبد العزيز إلى تونس، وبقي فيها إلى غاية وفاته سنة (1965).

10- ابن باديس:

استمر بعد الانقسام في خطابه الهادئ، وقام بجولة صيفية لمدن الغرب حيث معاقل الطرقية، مركزا على التذكير بوصايا الجمعية الثلاث: تعلموا، تحابوا، تسامحوا، مبينا أن الجمعية للجميع، وليست ضدّ الزوايا، وذكر بأنه رافقه في بعض زيارته كل من أبو عبد الله البوعبدلي وعبد القادر المهاجي⁽³⁾.

وقد أصدر مع قيادة الجمعية بيان (13 شوال 1351هـ) بالإعراض عن معركة الأعراض التي أثارها المعيار الطرقية والجحيم الإصلاحية، واتبع الميلي ذلك بمقال "بيان وإرشاد" وكتب فيه عن الجريدتين: "برزت جريدة الجحيم لا أطالها الله ولا أطال سالفها-أي المعيار... وإننا نعلن براءتنا من الجريدتين، وسخطنا على خطتهما، واستيائنا من لغتهما، وعدم تحملنا لتبعية نتائجهما"⁽⁴⁾، مما جعل أنصار الإصلاح ينتقدون موقفه، ويردون عليه، ويستنكرون سكوته عاما على افتراءات العلوي وبذاءات جريدتي الإخلاص والبلاغ، وقال محررو الجحيم: بأنهم ليسوا مواليين للجمعية في هذنتها ودعوتها لرأب الصدع والكفّ عن معركة الأعراض⁽⁵⁾. ووقع محمد خير الدين عريضة ومعه خمسون شخصا لرد افتراءات البلاغ على ابن باديس⁽⁶⁾.

والظاهر أن شرر معركتي الجحيم والمعيار أدّتا إلى انقسام مجتمعي بقسنطينة التي كان بها لأنصار الطرق شوكة، وهو ما جعل المفتي المولود بن الموهوب يجمع الناس في الجامع الكبير، ويطلب مقاطعة الجريدتين، ولكن أنصار الإصلاح هاجموا لسكوته عن المعيار السابقة الصدور بستة أشهر عن الجحيم⁽⁷⁾.

11- جريدة النجاح:

دعا محرر النجاح إلى الصلح والوثام وتوقيف الحملات المتشاكسة، والظاهر أن الدعوة كانت بإيعاز من أنصار جمعية علماء السنّة، التي وضع رئيسها الحافظي شروطا للصلح، ولكن العلماء رفضوا وضع شروط

(1) محمد الصالح بكوش، (الشيخ علي بن سعد خزان القماري)، الندوة الفكرية الثالثة للشيخ عبد القادر الياجوري، الجمعية الثقافية للمركز الثقافي بقمار، الوادي، أيام 04-5-6 جوان 2002، ص2 نقلا عن بولجية، مرجع سابق، ص 88.

(2) انظر البصائر، الأعداد 112-121-122. البصائر، ابن باديس "ماذا في الجنوب، أندجينا جديدة"، ع 113 (13-5-1938)، ص 1، وحلّ الهاشمي بشرشال سنة (1942) وتزوج هناك من عائلة نوار، واشترى دارا ووهبها للمدرسة الرشيدية. انظر البصائر، ع 150 (9-4-1951)، ص 3. فضلاء، المسيرة الرائدة، ج 2 ص 140. غنابزية مجتمع وادي سوف، مرجع سابق، ص 46.

(3) الشهاب، ع (ربيع الثاني، 1350هـ-أوت 1932) ج 8 ص 447. وكانت رحلته استمرت من 27 محرم الى 1 ربيع الأول، بعيد الانقسام الذي كان في (17 محرم 1351/23 ماي 1932).

(4) جريدة السنّة النبوية، الميلي "بيان وإرشاد"، ع 2 (17-4-1933)، ص 4.

(5) جريدة السنّة النبوية، ع 4 (4-5-1933)، ص 6، وذلك بمقال رد به الميلي على رئيس زبانية الجحيم الذي أصدره في (27 ذو الحجة 1351هـ).

(6) المرصاد، مقال "احتجاج وإنذار من الأعضاء العاملين بجمعية العلماء بالناحية الصحراوية"، ع 19 (7-5-1932)، ص 2-3.

(7) جريدة السنّة النبوية، ع 2 (17-4-1933)، ص 5. النجاح، اجتماع بالمجامع الأعظم في قسنطينة، ع 1437 (19-4-1933)، ص 2. وكان للمفتي المولود بن الموهوب ولد من أنصار الطرقية.

مسبقة من الحافظي الذي هو خصم وليس حكما، وقالوا: إن العوائد نسميها بدعا وأنتم تسمونها سننا وعوائد، كما رفضوا اشتراط السكوت عن نقد شيوخ الطرق. مما جعل الدعوة لا تجد لها طريقا للتنفيذ⁽¹⁾.

12- طلبه الأزهر:

أسهم بعض مجاوري الأزهر بالدعوة للوفاق ونبد الفرقة في رسائل نشرتها صحف الجمعية التي ردّت على هذه الرغبة بأن: خصومنا لا تنفع معهم حكمة سليمان، ولا حلم معاوية، ولا عدل عمر، يتهموننا بأننا وطنيون عند الاستعمار، ونعمل للجامعة الإسلامية عند أوروبا، وندّعي الاجتهاد عند الأمة، وننكر الولاية والكرامة⁽²⁾.

13- أبو يعلى الزواوي:

الذي كتب مبكرا في الدعوة للوفاق وعدم الانجرار في الشقاق أو الفجور في الخصومة⁽³⁾، وفي محاولة منه لتدارك انغلاق زوايا منطقة القبائل تجاه الإصلاح وعمق الانشقاق، دعا القائمين على الزوايا إلى الوفاق في "كتاب مفتوح إلى طلبه زواوة واقتراح جماعة المسلمين"⁽⁴⁾.

14- المولود الحافظي:

في مقال بعد تأسيس جمعية علماء السنّة بعنوان له: "نداء من جمعية علماء السنّة للصالح والتوفيق بينها وبين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"⁽⁵⁾، ودعا أيضا: "نحن لم نطلب من جمعية الخصوم في هذا الصالح إلا السكوت بتاتا عن كل ما أدى إلى التفرقة بين المسلمين والكفّ عن تكفيرهم وإشركهم ولعنهم وسبابهم... يجب أن تكون الدعاية في ظل الوعظ والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر⁽⁶⁾، وقال الحافظي بأن دعوتنا للوفاق مثبتة في محاضر جمعية السنة⁽⁷⁾، ولكن هذه الدعوات قوبلت بالرفض⁽⁸⁾ بعد وضع الحافظي لأحد شروطها احترام الزوايا والكفّ عن الخوض في السياسة⁽⁹⁾.

15- الحجوي الثعالبي:

(1) جريدة السنّة النبوية، ع 8 (29-5-1933)، ص 1، ودعوة النجاح كانت في (7 ماي 1933). وانظر المرصاد، قدور الحلوي: "شروط الحافظي وجماعته في الصالح مع جمعية العلماء المسلمين"، ع 46 (19-5-1933)، ص 2.

(2) جريدة الصراط السوي، ع 8 (6-11-1933)، ص 1، ومن الطلبة الموقعين: محمد جلول، محمد الأمين المدني، أحمد المدني محمد، محمد عياد الخميسي، إسماعيل بن علي، السعدي محمد عمار، الحسين البوزيدي، محمد ابن عميمور الهلالي، عز الله الزواوي، محمد البشير النائلي، محمد البشير الصغير، السعيد بن محمد الطيب، أحمد الجلاي.

(3) المرصاد، أبو يعلى "إلى التفاهم وحسن الظن يا أهل القبلة"، ع 19 (17-5-1932)، ص 1.

(4) جريدة البصائر، ع 90 (10-12-1937).

(5) جريدة الإخلاص، ع 18 (03-05-1933).

(6) الإخلاص، الحافظي "اجتماع جمعية علماء السنّة"، ع 45، عن مزار، جمعية علماء السنة الجزائريين، مرجع سابق، ص 61.

(7) البلاغ، ع 292 (12-5-1933)، ص 3. وقال بأننا نشرنا الدعوات في البلاغ ع 274، والإخلاص، ع 15، والبلاغ، 287.

(8) جريدة السنّة النبوية، مقال "نحن لا نرفض الصلح، لكن نرفض شروطه (شروط الحافظي) خصم أم حكم، هذه شروطهم فأين تقع شروطنا"، ع 8 (29-5-1933)، ص 1. وانظر أيضا البلاغ، ع 292 (12-5-1933)، ص 3.

(9) علي مراد، نفسه، ص 175. مزار، جمعية علماء السنّة الجزائريين، مرجع سابق، ص 62.

زار الجزائر ثم تونس، وألقى محاضرة بالزيتونة في (10-12-1938)، وطرح أفكاره الإصلاحية، ودعا للتجديد، وانتقد على الوهابية توسعها في التكفير في قضايا التوسل، ونعى على الطرفين تطرفهما وإيغالهما في صراع صحفيهما، مما كان وباله شديداً على العوام داعياً إياهما للاعتدال⁽¹⁾.

وفي تقييم هذه المحاولات الفاشلة يجب أن ندرك بأن اضطراب الفعل الطريقي بين الدعوة إلى التوحيد وجمع الشمل، وبين التحذير الدائم من الوهابية والعبودية والاحتماء مرات بالمحتل الفرنسي، هو الذي خلق أجواء اللاتقة بين الفريقين، إضافة إلى تصلب بعض الإصلاحيين، فقد عبّر الإبراهيمي عن دعوات الوفاق وأنها يجب أن تنصب على الأفكار لا على الأشخاص لما كثرت دعوات الطريقيين بالجام متشددتي الجمعية كالعقبي وغيره، فقال لهم: "يا قوم، اظهروا ما تجمعون به، وتعالوا نتساقط على الكيف لا على الكم كما تريدون ونحن تسعة كما تقولون، وأنتم تسعة آلاف... على أن المسألة ليست مسألة أشخاص، فنحن نرى أن الإصلاح مبدأ وفكرة وأنتم ترونه زيدا وعمراً.. ونحن نرى أن هذه الفكرة أو هذا المبدأ إن لم يبق بفلان قام بغيره وأنتم ترون أنه إن لم يكن فلان لم يكن مبدأ. ونحن نرى أن فرقاً بين جمعية تتكوّن حول مبدأ اقتضاه تدبير الاجتماع الإنساني فهي مترابطة بجاذبية مبدأ وهي ذاتية في مبدأ وهي دائبة في العمل للمبدأ وبين جمعية تتكوّن حول نفسها لتنصر نفسها بنفسها فتتصر مدبراً بمدبر وتدافع ما لا يدفع بما لا يدفع ويكون من أول أكاذيبها على الناس أن تكذب في اسمها"⁽²⁾.

المطلب السابع: آثار العلاقات الإصلاحية الطرقية.

أولاً: الآثار الإيجابية: وهي آثار تبنت في الحراك الكبير التعليمي والثقافي والأدبي، والذي يمكن إيجازه في الآتي:

1- تنشيط حركة التعليم:

حيث تنافس الفريقان في إنشاء المدارس وتنشيط الزوايا، مما أدى إلى نهضة تعليمية كبيرة، وانعطافة نحو التعليم العربي الحرّ، بل ومنافسة الأوروبيين في التعليم، ومن نماذج تلك الحركية توافق الجميع الإصلاحيين والطريقيين على دفع الشباب لتعلم الفرنسية، وقد سبق من قبل للعقبي أن دعا إلى دخول المدارس الأوروبية وتعلّم اللغة الفرنسية⁽³⁾، وهو ما دعا إليه ابن باديس: "ولو أنا حُرّمنا من حرية تعلم اللغة الفرنسية التي هي سبيلنا إلى آداب الغرب وعلومه وفنونه وفهمه من جميع جهاته، كما حُرّمنا من تعلم لغتنا لوقفنا إزاء ذلك الحرمان لو كان..."⁽⁴⁾، وستظهر آثار ذلك في النخبة التي ستتكوّن في الثانويات الفرنسية الإسلامية بعد ذلك.

2- تنشيط العمل الجماعي:

حيث تناسلت الجمعيات الدينية والتعليمية والخيرية وحتى الرياضية والفنية، وتبارى الجميع في إنشاءها واتخاذها واجهات مدنية للأطاريح الثقافية لكلا الفريقين، وإن كان السبق والنصيب الأكثر للإصلاحيين، ومن

(1) بن بكار، مجموع النسب، مرجع سابق، ص 207.

(2) جريدة السنّة، مقال "تعالوا نساكنكم"، ع 11 (19-6-2933)، ص 1، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 126.

(3) المنتقد، ع 13 (24-9-1925)، ص 242. قوبع، نفسه، ص 217.

(4) البصائر، "من آثار جمعية التربية والتعليم بقسنطينة" ع 136 (21-10-1938)، ص 1، قوبع، مرجع سابق، ص 217.

مظاهر عمل المجتمع المدني مرافعاته المتكررة في القضايا الوطنية في العرائض الموجهة للإدارة، ومن أمثلة ذلك البرقيات ضد التجنيس⁽¹⁾، ولكن الأمر لم يكن يسرّ دائما، فبسبب النزاعات الداخلية حُلّت بعض الجمعيات لأسباب ذاتية وأخرى إدارية، مثل جمعية الهداية بالبليدة⁽²⁾.

3- حركة التأليف والصحافة:

وهي التي ظهرت في بعض المؤلفات والنشريات والمقالات المتسلسلة التي عرضناها في المبحثين المتعلقين بنشاط الإصلاحيين والطرقين في الثلاثينيات، والجدل المتبادل بينهما. وكان من ثمار تلك العلاقات المتباينة تنشيط الحركة الصحفية، واهتمام الناس بها، وتغير النظرة إلى أصحابها، إذ كان المخيال العام يعتبر الصحافة بولتيك، والصحفي كذابا، ثم تغيرت الأمور كما قال علي مرحوم في تقريره عن حركة الشهاب. ثانيا- الآثار السلبية.

1- التنافس على مراكز التعليم:

وهو ما ظهر في زاوية، حيث كانت المعارضة للإصلاحيين شديدة هناك، إذا اعتبره الشيوخ تطاولا على ميراث الأجداد، وقد أُغلقت زوايا القبائل الكبرى أمام الإصلاح وجرائده، وخاصة من زاوية سيدي منصور وشيخها أحمد أيت يوسف الرحماني، والذي حرض على قتل الشيخ العقبي ضامنا الجنة لمن يقدم على ذلك⁽³⁾، وكان الطلبة يعاقبون بالطرد إذ وُجدت بأيديهم الجرائد الإصلاحية، وقد وجد الشيخ الأزهرى أرزقي الشرفاوي شيخ زاوية اليلولي معارضة كبيرة لتحديث الزاوية، فأحنى رأسه لعواصف المرابطين من أجل استمرار العملية التعليمية في أعرق زاوية وهي زاوية اليلولي⁽⁴⁾.

أما في القبائل الصغرى فكان الأمر أخف، إذ بدأ الإصلاح التفكير في اقتحام الصومام، مع تعثر في البدايات، وخاصة مع فشل محاولة إنشاء معهد الشيخ الحداد من قبل الهادي الزروقي الزيتوني العائد منه سنة (1925) بالتطوع، والذي عاداه شيوخ بني وغيليس لأنه يناصر الإصلاح، وفشل هو وزميله ناصر ناصر الدين في إنشاء المعهد، ثم نزل لبجاية وأسّس مدرسة الإصلاح وشعبة لجمعية العلماء، وقابلتها الإدارة والخصوم بمدرسة الحياة التي يقف وراءها المفتي حسن بولحبال، وأطلقوا ضده الإشاعات والأراجيف، وقادوه للمحاكمة مما جعله يخرج من بجاية منددا بالإدارة والطرقين معا الذين قال فيهم: "لا أنسى أولئك الضالين المضلين الذين جعلوا محاربة جمعية العلماء وإغلاق مدرسة الإصلاح التي أسس بنيانها على مبدئها الديني أعظم أمنية وقربى لدى الإدارة". تم انقلبت الحياة فصارت باسم المدرسة الخلدونية، بعد تغير أعضاء جمعيتها القدامى، وتبعت الجمعية في الأخير⁽⁵⁾.

(1) برقية سكان قلعة بني عباس إلى شوطان رئيس الوزراء. انظر البصائر، ع 150 (1938-3-25).

(2) الشهاب، تقرير مصطفى بن حلوش، ع (ربيع الأول 1351هـ- جويلية 1932)، ج 8 ص 393.

(3) مقابلة مع الشيخ محمد الصالح الصديق، يوم 11-3-23.

(4) محمد الصالح الصديق، الشيخ أرزقي الشرفاوي، ص 48. محمود بوكسية، مرجع سابق، ص 211.

(5) البصائر، 154 (1939-2-24)، ص 1. فضلاء، من أعلام الإصلاح في الجزائر، ج 3، ص 122-125. فضلاء، المسيرة الرائدة، ج 1 ص 221.

ويشير باعزیز بن عمر في مقاله "الإصلاح وأثره في بلاد القبائل" إلى المشادة العنيفة والقلمية بين الإصلاح والعلويين الذي انهزموا وفروا إلى بلاد القبائل⁽¹⁾. وأما الزواوي بن أبي يعلى المدرس بالزاوية الوغليسية فيكتب مقالات منددة بالعلويين "فضح الظاهر بالود المزعوم" منددا بالعلويين الذين يتهمون القبائل بالجهل والارتداد لولا دعوة الشيخ العلوي، كما توالى البيانات من عروش القبائل الصغرى (عرش ذراع قبيلة، عرش بني عفيف، بني شبانة) بالبراءة من شيخ الحلول وأتباعه في المنطقة⁽²⁾، ولأجل هذا باشر الإصلاح التوغل في معاقل العلويين في نهاية الأربعينيات سنة (1948)، حيث تم تأسيس أول مدرسة في قرية إوشانا بالجعافرة⁽³⁾. ومما زاد الأمر سوء في العلاقة بين الطرفين في التعليم تحييز الإدارة في منح الرخص للطريقين، مما جعل الإصلاحيين يحتجون، وعقدوا لذلك اجتماعا بنادي الترقى في (27-3-1939)، منبهين بأن منح الترخيص للطريقين ما هو إلا: "ترخيص مؤقت يراد به تفريق كلمة الشعب إلى إصلاحي وطريقي. فلو تم- لا قدر الله- الفوز للطريقة والفشل للإصلاح لعوملت الطريقة بما يُعامل به الإصلاح اليوم، ولما استطاعت الطريقة أن تثبت ثبات الإصلاح"⁽⁴⁾.

كما كان الأمر أيضا سيئا أيام صدور قرار ميشال حيث حملت جمعية علماء السنة وزر غلق بعض المدارس لجمعية العلماء التي رامت نشر المذهبية بما لا يتوافق والعوائد، واقترحت على الإدارة فتح مدارس باسمها⁽⁵⁾. وفي الأصنام ذكر ابن عبد الحكم أن العلماء حاولوا منافسة مدرسة الفلاح وإسقاطها بتأسيس ناد موازي رتبوا فيه دروسا دينية، وزاره كل من الإبراهيمي والعقبي وابن باديس، وقد فشلوا -حسبه- في صرف الطلبة عن المدرسة، ثم كان الضغط من النائب العمالي الذي تكاتف مع الإصلاحيين، فأغلقت المدرسة القديمة المحبسة، فاشترى مدرسة جديدة أسهم في تبرعاتها طريقيو الغرب وذلك سنة (1363هـ)⁽⁶⁾، وحسبه فإن المشاحنات أدت إلى تعطيل أو تشرذم مدارس كثيرة كمدرسة مجاجة، بسبب الطيش الحادث من الذين لا خلاق لهم⁽⁷⁾.

وفي الغالب كانت العلائق سيئة مع الأعيان العرب من الباشغوات باعتبارهم من المحافظين والمناصرين للقديم، ولكننا لم نعدم حالات فردية ناصرت الإصلاح وأيدت التعليم الحر مثل الباشاغا "حاج لوشيحة" الذي أعد استقبالا تقليديا بالخييل والبارود لابن باديس في زيارته الشهيرة لعين تموشنت سنة (1936)⁽⁸⁾.

(1) الشهاب، ع (شعبان 1353- نوفمبر 1934)، ج 10 ص 585.

(2) جريدة الشريعة، ع 6 (1933-8-21)، ص 8. جريدة الصراط، ع 2 (1933-9-18)، ص 8. جريدة الصراط، ع 3 (1933-9-25)، والمقالات متتابعة بعنوان "براءة القبائليين من شيخ الحلول" وكذا مقالات الفقى القبائلي والرد على العلوي.

(3) محمد الحسن فضلاء، من أعلام الإصلاح في الجزائر، مرجع سابق، ج 3 ص 34.

(4) البصائر، مؤتمر جامعة الطرق الصوفية، احتفا ووليمة بذكرى قرار 8 مارس"، ع 160 (1939 4-7)، ص 3.

(5) الإخلاص، مقال "الكذب من أكبر الكبائر ومتعمده مجرم سافل"، ع 31 (1933-8-9)، عن مزار، نفسه، ص 71.

(6) المرأة الجليلة، ص 166. ص 172، والكلام هنا عن الشيخ النعيمي ونادي الإصلاح الذي تأسس سنة (1936).

(7) المرأة الجليلة، مرجع سابق، ص 219. ص 397.

(8) فضلاء، المسيرة الرائدة، ج 3 ص 81. واستمر الباشاغا مناصرا للإصلاح يمنع الزردات، ومات في باريس مريضا مسموما؟، وحسب بن نبى فقد كان الباشاغا ينفق على المدرسة من ماله الخاص، انظر مذكرات شاهد القرن، مرجع سابق، ص 189.

2- الصراع على المساجد:

دارت في المساجد بعض النزاعات على قضايا الذكر الجماعي وغيره، ومن ذلك ما حصل في مسجد البليدة الذي ألقى فيه أحمد بن يوسف الجنادي القادم من بلاد القبائل محاضرة نازعه فيها بعض أنصار الإصلاح، مما أدى إلى هرج وفتنة⁽¹⁾.

وننتج عن ذلك بروز ظاهرة المساجد المتحيزة لأحد الفريقين، فمثلا وصفت مدينة قنزات بأنها "القرية التي كثر فيها جذام الإصلاح فكان له فيها حزب فساد ودعاة على أبواب جهنم، وأصبحت القرية منقسمة إلى مؤمنين ومصلحين، فاضطر المؤمنون إلى بناء مسجد ليؤدّوا فيه صلواتهم، ويذكرون فيه ربهم، ويصلّون على نبيهم دون معارض أو منكر"⁽²⁾، وأما في بوقاعة فقد رفض العلويون الصلاة في المسجد الجديد المؤسس سنة (1928)، وكانت البلاغ نشرت عنه تقريراً بعنوان "مسجد بوقاعة واللغو"⁽³⁾.

ولأجل حيادية أكثر رجال السلك الديني تجاه الفريقين أو ميلهم للجانب الطرقي المحافظ، برزت دعوات عديدة من داخل الصف الإصلاحي منددة بسكوت هؤلاء، كما كتب في ذلك مصطفى بن حلوش مقالا ناريا بعنوان "البقاء على الحياد خذلان للحق ورضا بالباطل" هاجم فيه العلماء المحايدين والساكتين⁽⁴⁾. وترتب عنها انحياز طائفي بين المساجد الحرة والحكومية، فيذكر علي مرحوم قلّة حضور درس التفسير عند الطاهر الحركاتي بمسجد باتنة، وعلّل ذلك باضطراب الأفكار بسبب دعاوى التبليس والتدليس⁽⁵⁾.

وبرزت ظاهرة التشهير بالأئمة إصلاحيين وطرقيين، ورفض البعض الصلاة خلف الآخر، ففي مسجد عين مليلة طالب بعضهم بتنحية الإمام محمد الإبراهيمي (لعله مبارك المبلي) لانخراطه في عمل المؤتمر الإسلامي الشيوعي اليهودي برأيهم، ولكونه يخالف عوائد الأمة في الذكر وقراءة القرآن على الأموات⁽⁶⁾.

3- الانقسام المناطقي:

وخاصة في بلاد القبائل، التي نجد قرى إصلاحية وأخرى طرقية، بل يمكن القول بأن القبائل الصغرى دخلها الإصلاح بقوة، في حين استعصت القبائل الكبرى، وقاومت المد الإصلاحي، وسدّت المنافذ أمامه، ومع ذلك فقد كانت بعض مدن القبائل الصغرى قلاعاً للطرقيين كحال "الجعافرة" معقل العلويين، وتقابلها "قلعة بني عباس" معقل الإصلاح⁽⁷⁾، ولم تسلم الزوايا التعليمية في بلاد القبائل من ذلك، فقد حاول الهادي الزروقي

(1) البلاغ، ع 260 (24-6-1932)، رحلات جزائرية- طرقية- ج 3 ص 72.

(2) لسان الدين، اللوي بن مراد "شوامخ الجبال"، ع 59 (26-8-1938)، رحلات جزائرية- طرقية- ج 3 ص 134.

(3) الشريعة، ع 3 (31-7-1933)، ص 7. ويتكلم فضلاء عن خلو بلدة الجمعة بني ورنلان من الطرق منذ القديم، واشتغال أهلها بالعلم والقرآن، ولتصدي السعيد الهلولي للمد العلوي بها منذ العشرينيات، انظر فضلاء، الشيخ السعيد أبهلول، مرجع سابق، ص 144.

(4) جريدة الشريعة، ع 3 (31-7-1933)، ص 7.

(5) البصائر، ع 97 (28-1-1938)، ص 5.

(6) جريدة الميدان، مقال "من سكان عين مليلة إلى الإمام الذي يصلّيهم وهم له كارهون"، ع 9 (15-8-1937)، ص 4.

(7) الشهاب، الورتلاني، ع (ماي، 1934)، حماني، نفسه، ج 1 ص 162.

ومن بعده عيسى الدراجي تطوير زاوية أحمد زروق وإبعادها عن التقاليد الطرقية، ولكنهما لم ينجحا كثيرا لقوة المrapطية والطرقية⁽¹⁾.

وتبع ذلك أيضا انقسام عرشي، فعرش ذراع قبيلة كاتب جريدة الشريعة متبرئا من العلويين والحافظي، وجاء في المنشور: "بناء على هذا فنحن الواضعين خطوط أيدينا هنا من عرش ذراع اقبيلة إن مثير الفتنة واحد لا ثاني معه إلا من كان له أجيرا وما في معناه، أما صاحبها فذلك الحلوي الذي لم يقتصر على نشر سمومه في هذه الربوع فحسب، بل مد يد الفتنة بواسطة ورقته الضالة إلى بلاد اليمن وغيرها، وأما أجيره فهو ذلك الحافظي الذي كان يقول في ملأ من الناس بضلال الحلوي وتضليله ويحكم عليه بالجهل المركب على رؤوس الأشهاد، وهو نفسه الذي أصبح اليوم بفضل ما اتفقوا عليه في باطن الأمر يجعله في مرتبة تفوق مرتبة التي يراها تحت النبوءة بشيء قليل ويناضل عنه في ميادين الحلول حتى اختضب ظهره دما ورآه البصير والأعمى"⁽²⁾، والأكد أن صياغة البيان هي من فعل الجريدة، ومن هناك كتب محمد الصالح بوديورة أن الشيخ حموش بن مزيان الرحماني البجائي كتب يتبرأ من الصحف الأربعة (البلاغ، النجاح، الرشاد، الوفاق) المؤذية لجمعية العلماء⁽³⁾.

ولكن الإصلاحيين يقولون إنهم لم يكتفوا نشاطهم بالقبائل لدور الزوايا في مقاومة التنصير، وأن "لجمعية العلماء قرارا سريا يقضي بمنع مقاومة الزوايا والمrapطين في بلاد القبائل التي كان للكنيسة بها نشاط تخريبي هدام منظم"⁽⁴⁾.

وفي الشرق الجزائري اقتحم الإصلاح أغلب الشمال القسنطيني، لكن الوضع اختلف في بعض مناطق الأوراس، بل حتى في بعض المناطق القريبة من قسنطينة مثل الخروب ووادي الزناتي التي وصفها علي مرحوم: "بأنهم كان لهم صوت بعيد في عالم الجمود والخمول، وعين عبيد أيضا، وكذا عين مليلة، وقد كان الوجود الطرقي كبيرا فيها"⁽⁵⁾. ومهما قيل فإن الأوراس استسلم للإصلاحيين على العكس من القبائل التي تلكأ فيها بحكم قوة الزوايا هناك⁽⁶⁾.

وفي الشمال القسنطيني كان الانقسام أقل، إذ بدأ الإصلاح يتسرب إلى قبائل الحدرية بفضل إشعاع قسنطينة وطلبة الجامع الأخضر والزيارات الميدانية لرجال الإصلاح⁽⁷⁾، وهو ما قاله علي مرحوم عن زيارته التي نشرها في الشهاب.

(1) فضلاء، المسيرة الرائدة، مرجع سابق، ج 1 ص 217.

(2) جريدة الشريعة، ع 6 (21-8-1933)، ص 8.

(3) البصائر، ع 159 (31-3-1939)، ص 4. في تاريخ الجزائر الثقافي أن محمد مزيان بوديورة أسس فرعاً للزاوية السحنونية يسي زاوية الشرفه بأكفادو، ج 3 ص 202. ولعل محمد الصالح ابنه.

(4) محمد خير الدين، مذكرات، شهادة إبراهيم الكتاني، مرجع سابق، ج 1 ص 406.

(5) البصائر، ع 123 (22-7-1938)، ص 8. عن عين مليلة انظر البصائر، ع 98 (4-2-1938)، ص 8.

(6) انظر عبد اللطيف الهرماسي، المجتمع والإسلام والنخب الإصلاحية في تونس والجزائر، مرجع سابق، ص 308. حيث تناول "فاني كولونا" ذلك، وعن انتشار أندية الإصلاح بالأوراس انظر زوزو عبد الحميد، الأوراس، مرجع سابق، ج 2 ص 41.

(7) الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، مرجع سابق، ص 250، حيث يحكي عن زيارة أحمد الزواوي شيخ الحنصالية، ومثل "اداهها بوحجر".

وأما الزيبان الشمالي وبسكرة فكانت خالصة للإصلاحيين على العموم، وخاصة القنطرة التي انتصر بها حزب الإصلاح، والتي حوت ثلاثة نوادي إضافة إلى مدرسة الهدى⁽¹⁾.

وفي الوسط تمايزت المناطق أيضا، فدلّس كانت إصلاحية خالصة⁽²⁾، بينما كانت القليعة والبليدة تشهدان تجاذبا بين الطرفين، في حين ظلت مناطق التيطري في الأغلب على الولاء للزوايا التقليدية وخاصة الهامل.

وفي الغرب امتازت تلمسان بانقسام مجتمعي حاد بين الطرقيين وبين الإصلاحيين الذين كانوا ينزّون بكونهم "حزب الفساد"⁽³⁾، وأنهم أي الطرقيين هم "حزب أهل السنّة" والذي يتزعمه علي البودليهي، في حين كانت الغزوات خالصة تقريبا للإصلاح بفضل أسرة الشيخ محمد القباطي (1876-1971) وأبنائه الثلاثة خريجي القرويين⁽⁴⁾. ولكم ذلك لم يمنع الإدارة من غلق مسجد آل القباطي بسبب الخلافات هناك⁽⁵⁾. وفي الغزوات حيث الشيخ العباس بن الشيخ حسين ضغط الطرقيون على أنصار الإصلاح، حتى أنهم نادوا بـ "دعوة الشر" على من يتعامل معهم، وحسبهم فقد نجحت تلك المقاطعة الاقتصادية ضد البادسيين⁽⁶⁾.

ويذكر حماني أن مقدم زاوية محمد بن سليمان بندرومة -المعقل الطريقي- كان لا ينكر على الإصلاح⁽⁷⁾. وفي بلعباس وقف مقدم التجانيين المعروف "الغول" بقوة ضدّ الإصلاحيين الذين يوصفون بأنهم "شيعة الضلال"⁽⁸⁾، وكانت بلعباس مغلقة في وجه الإصلاح لوجود طرقي كبير بها من الدرقاويين وأتباع الشيخ الهبري⁽⁹⁾، فضلا عن وجود قوي للمعمرين والفجر واليهود واللفيف الأجنبي.

4- استعداد الهيئة الدينية الرسمية:

لم يستغ كثير من رسمي السلك الديني النجاح الباهر للإصلاحيين في خلق قواعد شعبية حاضنة لهم وممولة لمشاريعهم الخادمة للنهضة والأمة، وازداد الأمر سوء نقود الإصلاح لهم بالتقصير في مهامهم، ودعوتهم إلى أداء أعمالهم⁽¹⁰⁾، ولسدّ هذا النقص العلمي أسست الجمعية لجنة للفتوى، بعدما كانت الفتاوى تُسند في إدارة البصائر إلى أبي يعلى الزواوي، فقررت الجمعية في اجتماعها السادس في (4-9-1937)، إنشاء لجنة للفتوى، رأسها العربي التبسي بعضوية البشير الإبراهيمي، ومبارك الميلي، وعلى أولخيار.

(1) البصائر، ع 98 (4-2-1938)، ص 6.

(2) البصائر، ع 130 (9-9-1938)، ص 7. وحسب حماني عن دلّس "لا تسمع فيها للطرقية حسا".

(3) لسان الدين، ع 47 (2-3-1938)، رحلات جزائرية-طرقية- ج 3 ص 163.

(4) البصائر، ع 140 (18-11-1938)، ص 8. عن أسرة القباطي انظر فضلاء، من أعلام الإصلاح، مرجع سابق، ج 3 ص 241.

(5) البودليهي، إمطة اللثام، مرجع سابق، ج 1 ص 61.

(6) البودليهي، الرجع السابق، ج 1 ص 61.

(7) البصائر، ع 144 (16-12-1938)، ص 8 وفي تلك الزاوية دفن محمد بن رحال (1858-1928).

(8) البلاغ، ع 271 (23-9-1932).

(9) الحاج محمد العزاوي الدرقاوي الهبري، ولد بالمغري سنة (1239-1823هـ) وتوفي سنة (1317-1899م).

(10) السنّة النبوية، العقبي "الأمة في حاجة إلى الإصلاح"، ع 5 (4-8-1933)، ص 1، وأشار علي مرحوم إلى تهاون بعض أئمة بسكرة بأداء مهامهم، وانغماسهم في لعب الضامة والدومينو، وغلق المساجد إلا للصلاة، البصائر، ع 150 (27-1-1939)، ص 6، وعن المساجد الرسمية والحرّة وموقف الاعوان الرسميين من الجمعية انظر علي مراد، مرجع سابق، ص 188.

والحق أن بعض الرسميين لم يكونوا في مستوى التطلعات الوطنية لخضوعهم للإدارة، وكانوا ينشطون في الكواليس أكثر من إعلان آرائهم، وظل بعضهم يسارعون في إرضاء فرنسا، كقولهم: "واعلموا أن هذه الدولة رحمة من الرحمان تحثّ على نشر العلوم، وإصلاح ما فسد وقمع أهل البهتان، فلا يمكننا أن نتجاسر فنلقي العداوة في قلوب حكومتنا، بل نبذل جهدنا في الطاعة والشكر لها لمنافعها العظيمة"⁽¹⁾.

كما أصدر المفتي حمدان حمود بيانا استنكر فيه لجوء المتظاهرين من حزب الشعب إلى الجامع الكبير، وذلك سنة (1937)، وأيد ومن معه فرنسا في الحرب العالمية الثانية⁽²⁾.

اشتد نكير العلماء على شاغلي المناصب الدينية التي تحدّ من استقلالهم الديني، وحاول المفتي المولود بن الموهوب استدراك الوضع بتشديد الانتساب للهيئة الدينية بالكفاءة العلمية حسب ما صرح به مدير جريدة البلاغ⁽³⁾، ولكن القطار الإصلاحي كان أسرع، ومدارسه كان أثمر، ورجاله كان أخلص من غيرهم. فقد كانت الذكريات لا تنسى أن بعض الحزابين يقرؤون الورد الراتب ثم ينصرفون من غير صلاة، ثم إن وجود المساجد الحرة خفّف الصدام أحيانا، وأشعله في أحيان أخرى. ولكن الحنق الإصلاحي كان كبيرا على بعضهم، وعلى الجمعيات الدينية التي يرأسها بعض المسيحيين، وإن كان الرئيس مسلما فالنفوذ لغيره كما قالت البصائر⁽⁴⁾.

المطلب الثامن: الآثار السياسية للعلاقات في الثلاثينيات.

1- ضياع الفرص التاريخية (المؤتمر الإسلامي).

فكّر ابن باديس في إنشاء مظلة واحدة جامعة لتطلعات الجزائريين السياسية ومطالبهم الحقوقية، فبادر لهذا الأمر منذ نهاية (1935)، حيث جمع المكتب الدائم للجمعية وطرح الفكرة، وأصدر مقالا في مطلع السنة، ونشرته جريدة الدفاع يدعو فيه لمؤتمر إسلامي جامع⁽⁵⁾، وانتعشت الآمال لتحقيق ذلك بعد مجيء الجبهة الشعبية اليسارية في المطالبة بالحقوق النابعة عن الشخصية الجزائرية⁽⁶⁾، فتداعت الاتجاهات الشيوعية والاندماجية والدينية لعقد مؤتمر يرفع مطالب الجزائريين لفرنسا⁽⁷⁾، ونشط الإصلاحيون برمتهم لإنجاح

(1) بوكوشة حمزة، شخصيات منسيّة الأمين العمودي، مجلة الثقافة، ع 6 (جانفي، 1972)، ص 33.

(2) تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4 ص 385.

(3) البلاغ، ع 254 (13-5-1933). رحلات جزائرية- طريقية- ج 3 ص 66.

(4) البصائر، مقال "هل في الجزائر ديانة إسلامية"، ع 98 (4-2-1939)، ص 5.

(5) الشهاب، الإبراهيمي، "يوم الجزائر"، ع (ربيع الثاني 1355 - جويلية 1936)، ج 12 ص 231، آثار الإبراهيمي، ج 1 ص 247. وانظر علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، ص 228.

(6) سبق وأن "موريس فيوليت" الحاكم العام للجزائر بين (1925-1927) حاول إعطاء بعض الحقوق للجزائريين، وسمح للصحافة العربية، وبعده حكم "بيار بورد" المتعصب بين (1927-1931)، وبعد نجاح الجبهة الشعبية صار وزيرا في حكومتها، وهو صاحب كتاب "هل ستعيش الجزائر" عن الكتاب انظر النجاح، ع 1225 (30-10-1931)، ص 1. وانظر أحمد الخطيب، جمعية العلماء، مرجع سابق، ص 243. بن خدة، جذور أول نوفمبر، مرجع سابق، ص 76.

(7) سعد الله، الحركة الوطنية، ج 3 ص 161. ليل الاستعمار، مرجع سابق، ص 153. أوزقان، الجهاد الأفضل، مرجع سابق، ص 27.

المؤتمر الإسلامي، وحشدوا له قواهم الاجتماعية والإعلامية⁽¹⁾، وتمكّن ابن باديس من اقناع ابن جلول بذلك، وأصدر الزعيمان نداء (16-5-1936) لعموم الشعب لتشكيل لجان تتفق على برنامج موحد للشعب الجزائري⁽²⁾، وكان الاجتماع الكبير للمؤتمر يوم (7-6-1936) بمشاركة عشرة آلاف مندوب من كل الاتجاهات⁽³⁾، ولا ندري هل حضر الطرقيون؟ والأكد أنهم لم يحضروا كمؤسسات وإنما كأفراد، في حين يذهب محمد الميلي بأن الطرقيين لم يسعدهم اجتماع النواب مع خصومهم، ولأجل ذلك شكّوا فيه وفي مخرجاته⁽⁴⁾.

وظهر أن الطرقيين عارضوا المؤتمر لأسباب متعددة منها رفضهم فكرة الأحزاب، وعدم اقتناعهم بجدوى هذه النشاطات، وكذا لحضور الشيوعيين فيه، وهم من ألد أعدائهم، واسبعادهم منه⁽⁵⁾، ومما جاء في منشورهم: "غير خفي أن الجمع المحشود يمثل هذا التسرع هو كالفرد الغير المفكر، فلا يلبث أن يكون فريسة قريبة المآخذ لكل مرجف طائش طبعه الاستسلام لأحلام اليقظة"، وبعد هذا المآخذ الناعي على المؤتمرين الاندفاع والعجلة والتسرع يضيف البيان أفكارا أخرى فيه تقاطع مع نقد مالك بن نبي للمؤتمر الذي اعتبره في البداية انتصارا للشعب الجزائري على نفسه وعلى القوى التي تسعى لإبقائه في الوحل" ولكن النكسة جاءت عند تخلف العلماء وإعطائهم القياد للسياسيين⁽⁶⁾.

يقول البيان الطرقي: "علاوة على هذا الاندفاع وآثاره السيئة كما هو المتوقع، فإن المؤتمرين أوغلوا وأفرطوا إفراطا ربما حدثوا أنفسهم بأن من يريد الحصول على المطلوب يجب أن يطلب ما فوق الواجب، وقد خذروا بذلك أعصاب الأمة بإعطائها الأفيون الذي هو محرّم في ديننا شرعا وقانونا على أنه دواء ناجع، وهي فكرة خاطئة حقا، ومع هذا فقد كثر في هذا المؤتمر التصريح من مختلف الطبقات بأنهم فرنسيون، بل ما منهم إلا ويقول، أنا فرنسا وفرنسا هي أنا، أيا لعقول العصافير كيف تناقض أقوالها أفعالها، أبهذا يتم الحصول على الحقوق"⁽⁷⁾.

ولأجل ذلك اعتبرت لسان الدين المؤتمر فاشلا ووصفته بأنه (مكس)، أي خليط من الإصلاح والشيوعية⁽⁸⁾.

(1) تابعت الشهاب وواكبت مجريات المؤتمر. انظر الشهاب (ع رجب 1355 - أكتوبر 1936)، ج 12 ص 231. ع (رجب 1355 - أكتوبر 1936)، ج 12 ص 351. وقام اللجان المنبثقة عنه بجولات عديدة لشرح مطالبه، مثل وفده الذي زار مدن عمالة الغرب - وهران، تلمسان، بلعباس، مستغانم، معسكر، وتشكّل من باش تارزي النائب العمالي عن وهران، والسعيد الزاهري عضو اللجنة التنفيذية، والعمودي نائب رئيسها، والإبراهيمي الذي كان يخطب عن تاريخ المؤتمر وابن باديس عن روحه، وكان يحضر هذه المهرجانات بعض الاشتراكيين الفرنسيين. انظر تقرير بن حلوش عن مهرجانات هذا الوفد في البصائر، ع 41 (30-10-1936)، ص 3-1.

(2) خير الدين، مذكرات، ج 1 ص 328. البصائر، ع 9 (28-2-1936)، ص 5. مريوش، مرجع سابق، ص 173.

(3) فرحات عباس، ليل الاستعمار، ص 153. البصائر، ع 23 (12-6-1936) ص 2. مريوش، مرجع سابق، ص 176. الحركة الوطنية، ج 3 ص 150.

(4) محمد الميلي، المؤتمر الإسلامي الجزائري، الجزائر، دار هومة، 2006، ص 36.

(5) النجاح، الزواوي الهرم، "أمؤتمر أم مؤامرة"، ع 1873 (17-7-1936)، ص 2.

(6) مذكرات شاهد القرن، ص 364. شروط النهضة، مرجع سابق، ص 29.

(7) ابن العقون، مرجع سابق، ج 2 ص 11.

(8) لسان الدين، مقال "فسا بينهما الضربان"، المؤتمر الجزائري"، ع 36 (30-8-1936)، ص 3.

والظاهر من المقال والأصوات الرصيفة له هو معارضة الرسميين والطرقين دعوة المؤتمر لانتزاع المساجد منهم وإعطائها للأمة أي للعلماء الأحرار، وهو ما يعكس الصراع على النفوذ بين الفريقين. أسهم ابن باديس والعمودي⁽¹⁾ والإبراهيمي والعقبي بقوة في المؤتمر، وكان فرصة تاريخية في اجتماع النواب والعلماء والشيوعيين لأول مرة في تاريخ الجزائر، في حين غاب النجم والطرقيون، وقد شهد البعض بأن المحرك الأكبر للمؤتمر هو ابن باديس: "كان مصلحنا الديني ثوريا خالصا وحكيما، كان أب المؤتمر الإسلامي الجزائري"⁽²⁾.

وعلى الرغم من أن المناسبة فرصة لتجميع الطاقات وتضميد الجروح، إلا أن العقبي استمر يثير صدور الطريقين ويعتبرهم رأس العلل وليس فرنسا التي كثيرا ما اغتر بوعودها، فقال: "لم نذهب لنطلب استقلال الجزائر.. لأنه يلزمنا قبل كل شيء أن نحرّر عقولنا ونفكها من المرابطين الذين استعبدوها واستغلوها لأغراضهم الخسيسة بأبخس الأثمان، إذا تباعدتم عن هؤلاء وعمرتم أدمغتكم بالمعارف أمكن ذلك لكم، أما مطالبتنا بالاستقلال ونحن فقراء مستعبدون باختيارنا للانتفاعيين من المرابطين وغيرهم، فذلك فساد في الرأي"⁽³⁾.

رَكَّز العلماء على مطلبين وهما احترام اللغة العربية، وتسليم المساجد والأوقاف، والدعوة إلى تأسيس كلية إسلامية لتخريج الإطارات الدينية والعلمية⁽⁴⁾، وهي مطالب صميمة هدفت إلى تمكين العلماء من اختراق الفضاء الديني الرسمي الموالي في أغلبه للطريقين.

وعلى المدني غياباه عن المؤتمر لكونه تونسيا دستوريا، وقال بأن ابن باديس أخبره: يكفيننا أن نحرز على استقلال الدين وحرية العربية، وألا تضيع صبغتنا الإسلامية مع الإحراز على الحقوق الفرنسية"⁽⁵⁾. والمهم أن مشروع -بلوم، فيوليت- الصادر في (30-12-1936) قَبِلَ بمنح المواطنة الفرنسية لفئة محدود من المسلمين، وكتب ابن باديس: "تعتقد الأمة الجزائرية أن المشروع يحقق جزءا من حقوقها فهي تزكيه اليوم معتبرة أنه خطوة أولى ينبغي أن تليها في أقرب وقت خطوات أخرى"⁽⁶⁾.

وأما الطريقون فبارك أغلبهم المشروع بشرط الاحتفاظ بالأحوال الشخصية، في حين رفضه بعضهم جملة وتفصيلا رفضا لفتح باب التجنيس كما هو رأي عمار العطوي مهري، والطاهر قريوع إمام الخروب⁽⁷⁾.

(1) يذكر بكوشة وأحمد بن ذياب في مقال "جوانب نضالية من حياة الشهيد محمد الأمين العمودي" بأن صاحب فكرة المؤتمر هو العمودي، مجلة الثقافة، ع 19، ص 23.

(2) عمار أوزقان، الجهاد الأفضل، مرجع سابق، ص 27.

(3) جريدة الأمة، ع 85 (11-8-1936)، نقلا عن مريوش، نفسه، ص 194.

(4) لخصت الشهاب المطالب: تمثيل الجزائريين في مجلس الأمة الفرنسي، تحسين النيابة الإسلامية في المجالس المحلية، إلغاء القوانين الاستثنائية، تعميم التعليم الإجباري، الحق في الوظائف العامة، الاسعاف الطبي وتطبيق القوانين الاجتماعية. انظر البصائر، ع 23 (12-6-1936)، ص 3، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 230. مريوش، مرجع سابق، ص 182.

(5) حياة كفاح، مرجع سابق، ج 2 ص 364.

(6) الشهاب، (ربيع 2-1355-جويلية 1936) ج 12 ص 281. بن خدة، نفسه، ص 88.

(7) العقون، مرجع سابق، ج 1 ص 455.

لم ينكص العلماء عن فكرة المؤتمر على الرغم من هجومات أنصار حزب الشعب واتهامهم للعلماء بالشيوعية والماسونية واعتبار المؤتمر "قطعة عظم"، فقد انتخب ابن باديس رئيساً للمؤتمر الإسلامي الثاني غيايباً، ووقع النقاش داخل الجمعية بكونها لا تتدخل في السياسة⁽¹⁾، ولكن النتائج كانت مخيبة في الأخير على الرغم من توالي اللجان البرلمانية، وخاب أمل الجميع واضمحل المؤتمر، وتوزع دعاته الاندماجيون إلى "التجمع الفرنسي الإسلامي" لبن جلول، و"الاتحاد الشعبي الجزائري" لفرحات عباس⁽²⁾. وهو ما جعل القطيعة تكبر بين ابن جلول وابن باديس الذي كتب بياناً "ما لقيته الجمعية من ابن جلول"⁽³⁾، وذلك بعد اتهاماته الخطيرة للعقبي في مؤامرة الاغتيال، وهاجم ابن باديس الزردة الكبيرة التي أقامها في كدية ومقبرة سيدي عاتي بقسنطينة يوم (11-10-1936)، والتي خرجت فيها طبول وأعلام الطرقيين بكثرة منطلقة من الجامع الكبير مما يدل على وجود قوة لهم في قسنطينة، ودعا فيها النائب محمد الصالح أمزيان إلى تأسيس جمعيات إسلامية مثل: جيوش النبي الخضراء أو الشبان الخضر المسلمين، بدلا من الأحزاب السياسية⁽⁴⁾. وكانت نتائج المؤتمر ومخرجاته أملا في وحدة الكتل الفاعلة، ولكن عقابيل مقتل المفتي كحول نسفت الجهود، وأدت إلى انقسام جديد في الجمعية كما سيأتي.

2- مقتل المفتي كحول وآثاره:

في أيام النشاط المحموم للمؤتمر الإسلامي أبرق مجموعة من رجال الديانة الرسمية وهم: كحول المفتي المالكي، ابن زاكور المفتي الحنفي، الأمين قدور إمام المسجد الحنفي، بابا عمر إمام المسجد المالكي رسالة لوزير الداخلية في (22-7-1936)، متبرئين من المؤتمر، في حين ذكر المدني أن إمام الجامع الكبير هو الذي نشر البرقية التي يتبرأ فيها في عبارات جارحة قاسية من الوفد والمؤتمر، ويبين إخلاص الجزائريين لفرنسا، مما أثار استهجان الناس والتندر به وأنه لعبة في يد الشؤون الأهلية⁽⁵⁾.

وجاء في البرقية تنديد بالعلماء وأنهم لا يمثلون الأمة ولا الهيئة الدينية: "إن العلماء الجزائريين الذين ليس لهم مستندات ولا شهادات، ولا يمثلون الاتجاه الإسلامي في الجزائر... وتبرأ منهم الأغلبية الساحقة، ولا يمثلون

(1) البصائر، الميلي "اجتماع رؤساء شعب الجمعية للعمالات الثلاث"، ع 97 (1-28-1938)، ص 1، اجرون، نفسه، ص 346. بوصفصاف، نفسه، ص 206. بن خدة، نفسه، ص 92. العقون، نفسه، ج 2 ص 87. الدفاع، (1-29-1937)

(2) عارض حزب الشعب الذي حل رسميا في (26-1-1937) المؤتمر واتهم العلماء بالسقوط المعنوي والإلحاد والانجرار وراء الشيوعيين. وتضررت الجمعية من ذلك، وخاصة تملل قواعدها في قسنطينة وفرنسا، مما جعل ابن باديس يجتمع ببعضهم ويؤكد ثقته في مبعوثه الورتلاني في فرنسا، ويجدد تشككه وعدم ثقته في مفدي زكريا الذي كان مهاجم الجمعية آنذاك. انظر العقون، ج 2 ص 20. وأشار مالك بن نبي لعدم ثقته في مفدي زكريا. انظر مذكرات العفن، (1940-1932)، ط 1، الجزائر، دار الأمة، 2007، ص 43.

(3) البصائر، ع 43 (11-13-1936)، ص 1. العقون، مرجع سابق، ج 2 ص 95.

(4) النجاح الزردة الكبرى، ع 1911 (10-14-1936)، ص 2. العقون، مرجع سابق، ج 2 ص 101.

(5) حياة كفاح، ج 2 ص 367. في حين يذهب الإبراهيمي إلى أن المفتي لم يكتب برغبته، وإنما بإملاء وظيفته. انظر جريدة البصائر العدد 33 (4-9-1936). وانظر بوصفصاف، نفسه، ص 99. وكانت الشهاب تسميه "راسبوتين الجزائر" انظر الشهاب، (ربيع 2-1355- جويلية 1936) ج 12 ص 319. ويذكر بكوشة بأن جمعية الميعاد الخيري الممثلة للقياد وبعض الزوايا أرسلت برقية ولاء للحكومة، مجلة الثقافة، ع 6 (جانفي 1972)، ص 60. وانظر علي مراد، مرجع سابق، ص 126.

سوى شردمة من المشوشين الذين يحاولون بث الفوضى في البلاد"⁽¹⁾. والبرقية مبنية عن نفسية الجبن والتبعية وعقد النقص التي تورثها البيئات العلمية في العصور المتأخرة، في الأزهر، في الزيتونة، في قم، الضعف النفسي أمام المكافح الوطني أو الإصلاحي أو الحركي كما هو نقد مالك بن نبي للهيئة العلمية في رواية العفن⁽²⁾.

وفي الوقت ذاته كتب بعض رؤساء الزوايا بقسنطينة برقية مماثلة إلى الهيئات الإدارية الفرنسية من رئيس الوزراء والوالي العام ووزير الداخلية وأمضاها كل من: باش تارزي محمد الصغير عن رحمانية قسنطينة، وابن مالك عن القادرية، وشمس الدين عن الحنصالية، وباسطانجي أحمد عن التجانية، وابن قارة عبد الرحمان عن العيساوية، وابن زورنحي محمد عن الطيبية، وزموري صالح عن العمارية⁽³⁾. وأما باقي الطرق في الجزائر فلا نعلم لهم موقفا، فهل المعارضة كانت من طرفي قسنطينة، ولماذا؟ أهو العداء النفسي لنجاح الإصلاح؟.

اغتيال المفتي محمود بن دالي كحول صبيحة (2-8-1936) في يوم تجمع وفد المؤتمر ببلكور، ووقع الاتهام على الطيب العقبي وعباس التركي، واهتمت الإدارة أيما اهتمام بالواقعة، وكان التشييع للجنائز كبيرا ورسميا⁽⁴⁾. واعتبر ابن باديس الحادثة مؤامرة ضد الجمعية بالكيد لأحد رموزها: "وما أوقعوا الشيخ الطيب إلا ليوقعها، فقد كان عندهم رمزا للجمعية وممثلها، والطريق الموصل إلى إيصال المكروه إليها"⁽⁵⁾. كما اعتبرها أيضا مكيدة ضد الإصلاحيين بالإيقاع بينهم وبين الرسميين: "إنما اختير - بن دالي - لأنه كان على رأس الفئة التي ناصبت المصلحين العداء، وناوأتهم بصفة مستمرة في الظاهر والباطن، وفي الأسواق ودواوين الحكومة، وفي جميع جزئيات الأمور الدينية وفي كلياتها"⁽⁶⁾. واعتبرها الإبراهيمي مكيدة، ليس لأن كحول معاد للإصلاح، ووصفه بكون "رجلا ذكيا، نزاع بطبيعته إلى الاستقلال الفكري، فلو تركته الظروف لكان في عداد المصلحين، فمعارضته بحكم منصبه الديني، فهو يُستعمل "حيناً آلة كيد، وحيناً جارحة صيد"⁽⁷⁾، في حين دافع العقبي عن نفسه في مقال: "حول مقتل الشيخ كحول لفت نظر إلى حقيقة"⁽⁸⁾.

(1) مريوش، الشيخ الطيب العقبي، نفسه، ص 203. بوصفصاف، جمعية العلماء، مرجع سابق، ص 283.

(2) بن نبي، العفن، مرجع سابق، ص 117، وص 156.

(3) مريوش، مرجع سابق، ص 204. وانظر عن تحالف زوايا قسنطينة، زوزو عبد الحميد، الأوراس، نفسه، ج 2 ص 55.

(4) مريوش، الشيخ الطيب العقبي، ص 206. وكان المهتم الرئيسي والمنفذ هو المدعو عكاشة، وقبض على ثلاثة آخرين هم: موهارة علي بن سعيد، وأوسعيدان بلقاسم، وأبو خير الرزفي بن حسن. انظر بول صولديني "الجريمة البشعة".

(5) البصائر، ع 32 (1936-8-28)، ص 1. وانظر الشهاب (1936-11-8).

(6) الشهاب، ع (جمادى 2، 1355 - أوت، سبتمبر 1936)، ج 12 ص 325.

(7) البصائر، مقتل كحول، ليسجل التاريخ، ع 32 (1936-8-28)، ص 1، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 261.

(8) البصائر، ع 36 (1936-9-25)، ص 1.

وتواكبت القضية مع الاعتداء بالرصاص على الشيخ أحمد مرازقة الحبيباتي في نهج الزواف بقسنطينة⁽¹⁾، وهو الذي صلى الجنازة على كحول في قسنطينة، مما جعل الجمعية تعتبرها خطة منظمة للإيقاع بين السلك الرسمي والإصلاحيين، لأن البعض استغل القضية في التهييج ضد ابن باديس الذي اتهم صراحة بعض طرقيي قسنطينة بذلك: "ومنهم رئيس جمعية جاهل، وشيخ للطريقة الطيبية، ونجل-غير كريم- (يقصد ولد المفتي ابن الموهوب) لشيخ في الديانة الرسمية، وأردوا تهيج رجال قبائل الحدرية ضد ابن باديس وشبان جمعية التربية والتعليم"⁽²⁾.

ربما يشير ابن باديس بهذا إلى دخول العامل القبلي الجهوي في الصراع، وهو ما كانت تبغيه الإدارة الفرنسية لمزيد تفتيت المجتمع الجزائري، وهو ما شرحه مالك بن نبي من ممارسات الاستعمار لإثارة النعرات وضرب البعض ببعض ثم الاستفراد بالجميع وضرب لذلك مثال هذه الحوادث: "أن يغتال - المستعمر - رجلاً واحداً حتى يبث الفوضى والاضطراب، أو أن يشتري ضمير أحد الزعماء السياسيين، الذين تتجسّد فيهم في فترة معينة، طاقة البلاد الحيوية وفكرة نضالها"⁽³⁾. ويذهب الإصلاحيون إلى أن حتى الاغتيالات كانت قائمة، ولم تكن فقط الرسميين، فحتى الإبراهيمي دُبر لاغتياله في تلمسان كما يروي خير الدين في مذكراته⁽⁴⁾.

أثار الاغتيال ردوداً مختلفة، ففي حين تضامن أهل الزيبان والأغواط مع العقبي، فإن بعض أهل تلمسان آذاهم الأمر وفي بعض التقارير: "إن موت بن دالي أُستقبل بالبهجة والسرور عند الكثير من السكان، وعلى رأسهم علماء تلمسان الذين تبودلت بينهم وبين علماء العاصمة المكالمات الهاتفية، أما القسم الآخر من السكان والمكون من فئة الحضر والطرقيين فاستقبلوه بالاستياء والمظاهرات"⁽⁵⁾.

توجهت التهمة القضائية للعقبي والتاجر عباس بن التركي، وطالت المرافعات، وانتهت ببراءة الرجلين بعد جهود من رجال وصحافة الجمعية التي تابعت مجريات الاعتقال والاستنطاق والمحاكمات⁽⁶⁾، ولكن القتل حسب الظاهر كان نتيجة للوعي الوطني الذي بثّه رجال الجمعية، والرجل الأول فيها في العاصمة، أي العقبي، بخلق

(1) توفي في (10 محرم 1356 - 23 مارس 1937)، ولد ببني حبيبي بجيجل (1867)، ودرس بزاوية بني حافظ بالقبائل، أخذ بقسنطينة عن المجاوي والونيسي، وكان مدرسا بالجامع الكبير وبالزاوية العيساوية والتجانية التي كان منتسبا إليها.

(2) الشهاب ع (جمادى 1، 1355 - أوت، سبتمبر 1936)، ج 12 ص 325-329/ النجاح، ع 1884 (12-8-1936). بوصفصاف، مرجع سابق، ص 211. وأما حماني فذكر بأن الذي حاول قتل الحبيباتي معروف، وأنه انتحر بإلقاء نفسه في وادي الرمال بقسنطينة. صراع بين السنة والبدعة، مرجع سابق، ج 2 ص 378.

(3) مالك بن نبي، ميلاد مجتمع شبكة العلاقات الاجتماعية، ط 3، دمشق، دار الفكر، 1986، ص 77.

(4) مذكرات خير الدين، مرجع سابق، ج 1 ص 340.

(5) مريوش، نفسه، ص 221 نقلا عن جريدة الأمة، ع 86 (18-8-1936).

(6) سعد الله، الحركة الوطنية، مرجع سابق، ج 3 ص 109. البصائر، ع 32 (28-6-1936)، ص 1، وحتى العمودي الذي كان مجافيا للعقبي بسبب سلوكاته الشخصية دافع عنه في الصحافة الباريسية. انظر مريوش، مرجع سابق، ص 224. ثم كانت البراءة النهائية في (26-2-1938)، انظر جريدة البصائر ع 103 (11-3-1938)، ص 1، مريوش، ص 244. لكن وقع نقضها من جديد بطلب استئناف من عبد الرحمان بن دالي نجل كحول، ووقعت محاكمة أخرى في (20-3-1939) وأُجلت إلى (20-6-1939).

الأجواء النفسية لمعاداة كل من يعادي الإصلاح والمطالب الوطنية للمؤتمر الإسلامي، ولكنهم لم يأمرُوا بالاغتيال، إلا أنه لم يسؤهم، في حين يشير بعض الباحثين إلى أن المنفذ كان من أعضاء الجيش الأزرق⁽¹⁾. كما اعتبر المدني الحادثة حدثاً مفصلياً في حياة العقبي: "العقبي عقب حادثة اغتيال كحول غير لهجته وطور دروسه فلم يبق فيها من مهاجمة عنيفة للطرق والطريقة"⁽²⁾، وكانت النتيجة المرتقبة بعد أجواء المحاكمات المتوالية والضغط الإداري الفرنسي والتشهير الإعلامي بالعقبي هي كسر نفسيته، ومن ثمّ انسحابه من جمعية العلماء.

3- تباين الموقف من السلطة الاستعمارية:

تقاربت المواقف الإصلاحية والطرقية في الاعتراف بالسلطة القائمة كأمر واقع، ولم تتعرض للاستقلال الصريح كما هو الحال مع النجم أو حزب الشعب.

فابن باديس رسم النهج المهادن مع السلطة القائمة حتى لا تتعرض المؤسسات الإصلاحية للحل أو التضييق، وعلى الرغم من وقوعه وتكراره خاصة في تعطيل الصحف، إلا أنه يكتب في افتتاحية جريدة الشريعة التي خلفت السنّة ما يأتي: "وبعد فما ينقم علينا الناقمون؟ أينقمون علينا تأسيس جمعية دينية إسلامية تهذيبية تعين فرنسا على تهذيب الشعب وترقيته ورفع مستواه إلى الدرجة اللائقة بسمعة فرنسا ومدنيتها، وتربيتها للشعوب وثقيفها، فإذا كان هذا ما ينقمون منا فقد أسأوا إلى فرنسا قبل أن يسيئوا إلينا"⁽³⁾، وإن كان الخطاب يحمل فرنسا وزر التأخر العلمي في الجزائر، ثم يؤكد طابع الجمعية المسالم لفرنسا: "إنكم إذا نظرتُم وتأمّلتُم حمدتم للجزائر نهضتها الهادئة، وتمسّكها المتين بفرنسا، وارتباطها القوي بمبادئها، وعدّها نفسها جزء منها، وقصرها لطلبها منها على أن تعطى جميع حقوقها كما قامت بجميع واجباتها"⁽⁴⁾.

والأمر ذاته عند العقبي الذي كان الأكثر صوتاً في رسائله الهادئة تجاه فرنسا حيث يقول: "ليعلم رجال فرنسا الكبار ونواب دولتها الأحرار أننا لسنا أعداء لفرنسا، ولا نعمل ضد مصالحها، بل نحن لها بعملاً في هذه الدائرة الإصلاحية على تمدين الشعب وتهذيب الأمة وثقيفها معينون ومساعدون"⁽⁵⁾.

وأما جامعة اتحاد الزوايا فقد عبّرت عن موقفها المهادن للسلطة القائمة: "أما موقفنا من الحكومة الفرنسية فهو موقف المسالمة الشريفة، بحيث نراعي الحكمة النبوية" لا ضرر ولا ضرار" بل نراعي المصلحة المشتركة، لأننا رأينا وجربنا وجربتم وجرب من هو أشد تمرداً من جادة الاعتدال والاستقامة أن طريق منفعة الأمة إنما

(1) مريوش، ص 214، والإشارة إلى "عكاشة" (شعير محمد علي)، ومعه "موحارة علي بن سعد و" أوسعيد بن بلقاسم:

(2) حياة كفاح، مرجع سابق، ج 2 ص 373. وذكر المدني حادثاً خفياً قد يشير إلى تورط العقبي، وهو أن زوجة عكاشة طلبت منه أن يقول للعقبي بأن زوجها منذ شهرين في السجن ولم يصلها شيء من المال؟ وأن المدني فاتح العقبي ولم يجبه وغير مجرى الحديث.

(3) الشريعة، ع 1 (1933-7-17)، ص 1. محمد ناصر، الصحف العربية، مرجع سابق، ص 167.

(4) الشريعة، ع 1 (1933-7-17)، ص 1. محمد ناصر، نفسه، ص 168، وقال بأن علي مرحوم حذف نصوص تمجيد فرنسا في مقاله في مجلة الثقافة، العدد 44، ص 14.

(5) جريدة السنّة النبوية، ع 2 (1933-4-17)، ص 7.

يكون بسلوك طريق المسالمة والمحبة ما يقضي به ديننا الحنيف أمام الأمة على اختلاف طبقاتها وعناصرها المتساكنة، وأمام الحاكم أيضا⁽¹⁾.

وعلى ذلك عبّرت صحيفتها الرسمية الرشد الناطقة باسمها وباسم زاوية الهامل بوضوح عن خط الزوايا المناهض للفعل السياسي: "فنحن نكرر بأن السياسة مع ذلك منافية للدين، ويجب الابتعاد عنها، وإن أرغمنا أحيانا على الخوض فيها فعرضا، أي متى جاءت في طريق الدعوة الدينية التي هي هدف الزوايا ورجالها"⁽²⁾.

4- تدخلات الإدارة الفرنسية:

تبادل الفريقان تهمة الاستقواء بالإدارة الفرنسية، ففي حين يحمل الطرفون هذه الإدارة الوقوف بجانب الإصلاحيين في سيطرتهم على جمعية العلماء، ويستدلون على ذلك بالعطف البين واستخذاء الإصلاحيين للإدارة للوقوف معهم وتحذيرهم من هذه الطرق العدو لفرنسا في الباطن، فهذه صحافة الجمعية تستجدي فرنسا وتقول: "بقي الآن علينا أن نؤدي شهادتنا لحكومة الفرنسية الفخيمة العادلة المنصفة وأن هذه الطائفة المخدولة التي تكذب على جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مرة بعد أخرى بالصاق السياسة لها، وبالتدخل في غير أمور الدين والواقع يفند مفترياتها، والحكمة نفسها ترى بعين الرأس من المشاغب ومن المهيّج، ومن الذي يكتب في جرائده السياسة وينشرها في الناس بعكس ما يتظاهر به للحكومة"⁽³⁾.

وفي المجال ذاته يتهم الإصلاحيون الطرفين بالكيد لهم بأذرعهم المتنفذة داخل الإدارة والشرطة والقضاء، وذلك في سياق تعطيل جرائد الجمعية وعلى رأسها جريدتها الأولى "السنة النبوية"، فتتهم المرصاد من تسميهم بحزب التفتين بذلك: "حتى أن هذه السلطة لها الحق أن تخنق أية جريدة عربية في أي وقت شاءت بلا سبب، ولو بأدنى وشاية يقوم بها فريق الشغب والتفتين، ذلك الفريق الذي لا يعيش إلا من إغراء السلطة على أحرار الأهالي"⁽⁴⁾. وكذلك يكرر العقبي الاتهام لجان ميرانت الذي عطل جرائدها وجرائد أبي اليقضان بمحاربة العلماء والاصطفاف مع الرسميين والطرقين: "ميرانت عرف بميوله الخاصة، وتوجهاته السامية إلى الفريق المعاكس لنا،.. ولا يقبل من أحد منا أية كلمة حتى تبرئ ساحة هذه الجمعية...؟"⁽⁵⁾

والاتهام ذاته ساقت المرصاد جراء تعطيل رصيفتها الجحيم، وعدم معاملة الإدارة الفرنسية بالتعطيل لعدوتها المعيار التي وصفتها: "سرور الناس بتعطيل الجحيم لم يلبث أن أوقعهم في شكوك وأوهام مختلفة حيث لم تعطل الحكومة جريدة المعيار المؤسسة لنشر الفحش والفجور، ومعاونة الدعارة والتهور، والتي طالما روعت المحصنات الغافلات في خدورهن، وصورت العلماء راقصات، وسبّت أفاضل العلماء، وأفاضل الرجال بالذیائة إلى غير ذلك مما قامت به هذه الورقة الملعونة الملعون أصحابها وأنصارها عند الله وعند الناس

(1) الرشد، ع 35 (8-21-1939) نقلا عن آيت علجت مرجع سابق، ص 121.

(2) الرشد، ع 5 (22-6-1938) نقلا عن محمد ناصر، الصحف العربية، ص 250.

(3) الشريعة النبوية، ع 6 (8-21-1933)، ص 1.

(4) جريدة المرصاد، نقلا عن محمد ناصر، مرجع سابق، ص 148.

(5) البصائر، ع 1، (27-12-1935)، ص 2. ناصر، نفسه، ص 212.

أجمعين،...ومن العجب العجائب أن المعيار هدّد خصمه الجحيم بالتعطيل قبل صدور أمر التعطيل، ولعل هذا التهديد من أسرار هذه الورقة، ومظهر من مظاهر نفوذها وسلطانها⁽¹⁾.

ويؤكد الملي ما يراه تحالفا وكيدا مدبرا للمعارضين: "لقد ثقل على من خفت موازينه من الطرقيين والقبوريين والمرابطين نصح المشفقين، وساءهم تحذير العلماء الناصحين فكادوا لهم مع الحكومة كي يوقعهم في قبضتها"⁽²⁾. ولا تخفي التقارير أن بعض الطرقيين كانوا يستحوذون على عديد المناصب في المجالس البلدية والمالية، ويتحالف معهم رجالات القياد والباشغوات.

5- انقسام مواقف النخبة الجزائرية من العلاقات السابقة:

انقسمت الاتجاهات السياسية والوطنية إلى تيارات متشاكسة في الثلاثينيات، من تيار يتنوع بين أقصى اليمين واليمين المعتدل، وهما كل من الطرق الصوفية، وجميعه المنتخبين، وتيار اتجاه الوسط الوطني وعبرّت عنه جمعية العلماء. والثالث تيار يتنوع بين اليسار الوطني وأقصى اليسار الشيوعي⁽³⁾.

والحق أن الطرقيين هم في الاتجاه الثاني، وقد توزع بعض الإصلاحيين والطرقيين مع الاتجاهات الأخرى، وخاض الطرفان معركة واحدة ضد دعاة الإدماج، على الأقل في الناحية النظرية والتنظيرية، أما في التطبيق السياسي فكانوا طرائق قديدا، وما تجربة المؤتمر الإسلامي إلا شاهد على ذلك.

شهدت قسنطينة منذ البدايات معارك بين النخبة وابن باديس في اكتساب مناطق النفوذ، وقد حضر وفد الزيان لإزالة الخلافات بين ابن باديس والنخبة في (26-10-1934) حيث حضر كل العمودي والعقبي وخير الدين وفرحات عباس وابن جلول⁽⁴⁾.

وكانت المعركة بين النخبة من جمعية قدماء التلاميذ تهاجم ابن باديس، وتعتبره داعية رجعية وعائقا أمام التقدم، بل إن أحدهم دعا إلى التوجه نحو فرنسا ومحاربة التعصب، وذلك في افتتاح نادي الإخاء لجمعية علماء السنة وذلك يوم (1-6-1933)، وكان رد الإصلاحيين قاسيا على النخبة المستلبة الذين يُتندر عليهم بأنهم كلاب فرنسا⁽⁵⁾.

ثم تجددت خلافات النخبة وابن باديس في قسنطينة، وذلك بعد تراجع حظوظ المؤتمر الإسلامي، والصدام مع ابن جلول الذي يتهمة الإصلاحيون بالأنانية، كما وصفه الإبراهيمي: "ولكن الرجل تملكه الغرور وتذبذبت سياسته بين الفردية والأنانية، وبين الوطنية التي تذوب فيها الفردية والأنانية، وتكشف عن خلال كلها غميمة في وطنية سياسي، وظهر بعده سياسيون أصدق منه وطنية، وأثبت فيها لونا، وإن كانوا أقل منه ثقافة وعلماء، فضاق بهم ذرعا، ولم تتسع أنانيته للتعاون معهم كما هو الواجب على السياسي المخلص، وكان أقوى

(1) المرصاد، ع 46 (19-5-1933)، ص 4. محمد ناصر، الصحف العربية، ص 150.

(2) الملي، رسالة الشرك ومظاهره، مرجع سابق، ص 37. وانظر أجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، مرجع سابق، ص 332.

(3) عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى، مرجع سابق، ص 37.

(4) جريدة الأمة، "تطور العلائق بين جمعية العلماء المسلمين وأعضاء حزب الوفد"، ع 8 (8-11-1934). الدفاع، ع 36 (2-11-1934) نقلا عن

عبد القادر قوبع، الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيان وميزاب، مرجع سابق، ص 331.

(5) سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، ج 3 ص 67.

الأسباب في سقوطه اصطدامه بجمعية العلماء وهي التي كونته وأذاعت اسمه وعبدت له الطريق إلى النيابات، فأرادت الجمعية أن تستصلحه فلم يصلح، فنبتت إليه على سواء، ورأت أن سكوتها عليه غشّ للأمة به فأشعرتها بذلك، فانفضت الأمة من حوله"⁽¹⁾.

ساندت أقلام صحيفة الميدان ابن جلول⁽²⁾، وكتب فيها الشيخ حسن الوارزقي -الطريقي- مقالات طويلة، كما كتب ضدّ جمعية العلماء في التحالف مع الحزب الشيوعي، في مقال "مسألة جمعية العلماء"⁽³⁾. ومن كتب فيها أيضا مجموعة الاندماجين أمثال الزناتي صاحب "صوت الأهالي"، وصاحب كتاب "المشكل الجزائري كما يراه أحد الأهالي"، وفي المجمل وقف هؤلاء ضد أطاريح الإصلاحيين في التمايز عن فرنسا⁽⁴⁾.

كما هاجمت الميدان شعبة الجمعية بقسنطينة بحجة أنها تماليء اليهود وتُشركهم في أعمالها وحضور اجتماعاتها، وأنها بذلك تعمل لبث الخلاف بين طبقات الشعب الجزائري، ... لأنه لا يوجد في العالم من يحب اليهود إلا من طبع على قلبه، وأمامنا كارثة فلسطين"⁽⁵⁾. وهي التهمة التي تكررت مرارا.

وأما الشيوعيون فكانوا أبعد عن الجمعية غالبا، وإن ظهر بعض التعاون في تشكيل شعب المؤتمر الإسلامي، كما حصل في عنابة حيث رأسها الشيوعي عبد الله بن محمد، ونابه فيها زهير الزاهري من الجمعية⁽⁶⁾.

والمهم أن الذي أبعد الشقة وسعّر الصراع مع النخبة هو رفض الإصلاحيين لدعوات الاندماج الكلي وتغيب تاريخ الأمة، وتجلى ذلك في الرد على فرحات عباس في إنكار القومية الجزائرية: "إنكم من هذه الناحية لا تمثلونا ولا تتكلمون باسمنا ولا تعبرون عن شعورنا، إننا فتشنا في صحف التاريخ وفتشنا في الحالة الحاضرة، فوجدنا الأمة الجزائرية المسلمة متكونة موجودة كما تكونت ووجدت كل أمم الدنيا.. ثم إن هذه الأمة الجزائرية ليست فرنسا، ولا تستطيع أن تصير فرنسا، ولو أرادت، بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها وفي أخلاقها، وفي عنصرها ودينها"⁽⁷⁾. ولهذا ظل دعاة الاندماج الفرنسي الإسلامي يتزعجون ويتخوفون من الإصلاحيين بوصفهم حركة إسلامية، ومن دعاة القومية العربية⁽⁸⁾.

(1) آثار إبراهيمي، مرجع سابق، ج 5 ص 132.

(2) الميدان: (1937-1938) رأس تحريرها الشيخ حسن الوارزقي، وكانت ذات وجهة وطنية هاجمت صحيفة "الصوت الأهلي" حال المتجنسين، وصبت بعض الردود على الزناتي، انظر الميدان، مقال "الحشرات المفسدة"، ع 4 (1937-7-18)، ص 3، وانظر ناصر، نفسه، ص 231. وداعمها الرئيسي هو ابن جلول الذي كانت تمجده وتعتبره زعيم الأمة. انظر الميدان، افتتاحية الوارزقي في دعم ابن جلول، ع 2 (1937-7-4)، ص 1. الميدان، ع 3 (1937-7-11)، ص 2.

(3) صحيفة الميدان، ع 12 (1937-9-12)، ص 4. ع 24 (1937-12-26)، ص 3. حمد ناصر، نفسه، ص 235.

(4) تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5 ص 267/ وانظر الكفاح القومي السياسي، ج 2 ص 28. وص 53. والورزقي كان مباينا لحركة الإصلاح، انظر أحمد حماني، نفسه، ج 1 ص 200.

(5) الميدان، مقال "أعداء ابن جلول"، ع 9 (1937-8-15)، ص 2-3/ محمد ناصر، الصحف العربية، مرجع سابق، ص 238.

(6) البصائر، ع 62 (1937-4-9)، ص 7. انظر تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5 ص 267.

(7) الشهاب "كلمة صريحة" ع (محرم 1355-أفريل، 1936)، ح 12 ص 47.

(8) انظر علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، مرجع سابق، ص 231.

ولكن النخبة المفرنسة في عمومها كانت ضدّ الطريقين باعتبارهم عقبة كأداء أمام التطور الثقافي والاجتماعي للمجتمع الجزائري، فمثلا كتب الشريف بن حبيلس سنة (1941) مقالا تحت عنوان "اكثرات المعسكر الآخر" هاجم فيه المرابطين وانحطاط زواياهم وتعليمهم الذي زاد من جهل المجتمع، وجعله فريسة للآخر⁽¹⁾.

ومن قبل لم يكن الطريقون يرتاحون لعلاقة ابن باديس بابن جلول، فقد كتب الحافظي: "أخذ منا العجب مأخذه مما راج في هذه الأيام من أن جريدة الإقدام انظمت إلى جانب الطائفة التي لا يروقها غير التخريب للأغراض الشخصية، وبذر بذور التشويش والتفريق"⁽²⁾، ويمكننا استثناء مواقف مبارك بن علّال المرابط المنتخب المالي الذي ناله عتب بعض الطريقين فضلا عن الإصلاحيين الذين هجاه بعضهم بسبب مواقفه في إغلاق المساجد في وجههم⁽³⁾.

وأما النجم وحزب الشعب فقد اعتقدوا بأن هذا النزاع الناشب بين الإصلاحيين والطريقين لا ينبغي له أن يحوز على أسبقية الاهتمامات قبل الكفاح ضد الاستعمار⁽⁴⁾، ولكن الخلاف بين حزب الشعب تصاعد مع أعضاء المؤتمر الإسلامي في فرنسا، فأوفدت الجمعية الفضيل الورثلاني والسعيد صالح، وحاول شكيب أرسلان التقريب دون جدوى⁽⁵⁾. واستمر الشنآن بين الجمعية وحزب الشعب إلى اندلاع الحرب الثانية.

6- الموقف من الحرب العالمية الثانية:

خُتم عقد الثلاثينيات بتباين كبير تجاه دعم فرنسا ضد النازية، وكانت المواقف محصلة لعقد كامل من العلاقات غير المتجانسة بين الطرفين فيما يمكن إيجازه بالآتي:

أ- الإصلاحيون:

طرح قضية دعم فرنسا في الدورة العادية للجمعية في (23-25 سبتمبر 1938)، بعد طلبات من الإدارة الفرنسية، التي اختارت لها رئيس الاتحاد الفرنسي الإسلامي الدكتور "لوينشون دروف" الذي طلب دعم الجمعية، فطرح ابن باديس القضية للتصويت على المجلس، بعدما قال "إن الجمعية لا تقدم شواهد خلاص"، وكانت النتيجة كالآتي⁽⁶⁾: [12 صوتا معارضا لإرسال البرقية، وأربعة أصوات مؤيدة منهم: العقبي العمودي، واحتفظ ابن باديس بصوته، وقال ابن باديس: "في كم خطاب قلنا إننا لسنّا فرنسا، ولكننا مع فرنسا، ولسنا ضدها، وقلنا إننا لسنّا ضد جنس من الأجناس، فخلقنا الإسلامي يأبى علينا أن نعادي

(1) المقال نشر في جريدة "لورابيل" - Le Rappel - عنه انظر بوصفصاف، ص 260.

(2) جريدة الإخلاص، مقال "نصيحة لحضرة السيد بن جلول"، ع 23 (07-06-1933)، نقلا عن مليكة مزار، مرجع سابق، ص 73.

(3) الثبات، عبابسة "الشعر الملحون"، ع 15 (06-06-1934)، ص 4.

(4) بن خدة، جذور أول نوفمبر، مرجع سابق، ص 99.

(5) بن خدة، نفسه، ص 106.

(6) سعد الله، الحركة الوطنية، ج 3 ص 266. مريوش، نفسه، ص 266. بوصفصاف، مرجع سابق، ص 101.

الأجناس، وقلنا أننا لم نكن ولن نكون آلة في يد أجنبي، وإن شرف الإسلام وعزة العروبة يمنعاننا من أن نكون ذيلاً لأحد ولو كان ذلك ممكناً⁽¹⁾.

مع العلم أن البرقية حينما أعدت وتضمنت عبارات الودّ والاحتجاج تارة أخرى امتنع حتى العقبي عن إمضاءها، ولأجل ذلك لم يمتنع العقبي عن إصدار جريدته الإصلاح، - السلسلة الثانية - أيام اندلاع الحرب الثانية في (28-9-1939)⁽²⁾ على خلاف ابن باديس الذي عطل جرائد الجمعية حتى لا يمالئ فرنسا.

ولأجل هذا يقول المدني أنه امتنع عن الكتابة في جريدة الإصلاح، لأنه علّل ذلك بأن العقبي أراد الانسحاب والتفرغ لعمله الإصلاحي في العاصمة، وأصر على البرقية واستقال وأرسل باستقالته من الجمعية إلى الصحف، ثم تعرض للجمعية باستنقص في أحد افتتاحيات جريدة الإصلاح، فلم أعد للكتابة فيها⁽³⁾.

ب- الطريقون:

وقف أغلبهم في الانتصار لفرنسا ضد النازية، إذ نشرت الرشد "نداء إلى الأمة الإسلامية الجزائرية" دعت فيه إلى القيام بالواجب تجاه الحكومة الفرنسية، حيث قال مديرها عبد الحفيظ القاسمي: "أبادر الآن بتقديم نفسي كجندي مخلص يقوم بأية خدمة تسندها إلى الحكومة الفرنسية، كما أصرح بأني قدمت سائر أعضاء عائلي القاسمية نفسها في سلك الجندية والحكومة الفرنسية"⁽⁴⁾. ونقلت اجتماع طريقي المغرب مع الكتاني لدعم فرنسا والطريقين في تونس مع الشيخ التبريزي بن عزوز⁽⁵⁾، كما كتبت الرشد أيضاً عن ولاء المسلمين الجزائريين لفرنسا مع اندلاع الحرب ونقلت خطاب شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي في الرباط-المحسوب على الإصلاحيين- في الوفاء بالعهد مع فرنسا⁽⁶⁾، وقد أرسل فرع قسنطينة الشيخ باش تارزي للحضور للعاصمة من أجل الصلاة والدعاء لفرنسا⁽⁷⁾. وأقام الطريقون ومعهم الشيخ العقبي اجتماعاً في الجامع الكبير دعوا فيه بالنصر والتأييد لفرنسا ضد النازية⁽⁸⁾، ومن الأصوات المرتفعة بدعم فرنسا صوت أحد أولاد سي الأحول القادري بغليزان دعا لمساندة فرنسا في حربها ضد الألمان، وقال: "إن الساعة حانت لإعلان الولاء لها والدفاع عن أم الوطن"⁽⁹⁾.

(1) مع التذكير بأن خطاب بعض من الصف الثاني من الإصلاحيين لم يكن كذلك، فكان الخطاب عدائياً، فعمر دردور وبلقاسم شرفي خطب في (جويلية 1937) ضد فرنسا، وذكروا بمجازر موسوليني في الحبشة وليبيا، وقالوا إنهم يرفضون التجنيد مع فرنسا لو قامت حرب أخرى، "انظر زوزو، الأوراس، مرجع سابق، ج 2 ص 52.

(2) الإصلاح، ع 15 (28-9-1939) نقلاً عن مريوش، مرجع سابق، ص 278. دبوز، مرجع سابق، ج 2 ص 122.

(3) حياة كفاح، مرجع سابق، ج 2 ص 376. انظر أيضاً بوصفصاف، نفسه، ص 102.

(4) الرشد، مقال "نداء إلى الأمة الجزائرية"، ع 52 (11-9-1939)، ص 1. مقال "أعمال الزوايا ماضيها وحاضرها"، ع 53 (25-9-1939)، ص 1.

(5) الرشد، مقال "أعمال الزوايا ماضيها وحاضرها"، ع 53 (25-9-1939)، ص 1.

(6) الرشد، ع 56 (13-11-1939)، ص 1-2.

(7) A O M. Fdc: Les confrères en Alguire, Priers Politiques Pour Demander La Victoire de la France, Mai 1940, 93-4491, P20.

بوكسية، نفسه، ص 246

(8) بوصفصاف، نفسه، ص 260.

(9) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 46.

ودافعت النجاح عن موقف العقبي المؤيد للبرقية مدلة بذلك على انهيار جمعية العلماء واندحارها⁽¹⁾. وعلى منوال أكثر رجال الطرق وصحفيهم دعا زعماء الاندماج كابن جلول والدكتور الأخضرى وفرحات عباس والباشاغات بالتطوع للدفاع عن فرنسا المهددة، وهنا تناغمت أصوات الطريقين والنخبة في هذه القضية الحساسة، وأما الزاوية التجانية وقادرية الجنوب وعديد زوايا الغرب وتوات، فلم نسمع لهم موقفا محددا، وإنما كانوا يتواصلون بالصبر وانتظار الفرج.

يقول الميلي محمد منتقدا بعضا الزوايا المسارعة في الهوى الفرنسي: "ولو أن الزوايا التي تعاونت مع الاستعمار اتخذت هذا الموقف من منطلق سياسي صرف لما كانت هناك حاجة إلى مواجهتهم باللغة الدينية، لكنهم قد خدموا السياسة الاستعمارية بواسطة ما يملكون من سلطان الدين من نفوذ معنوي مستمد من ماضي الطرق الصوفية وجهادها ورباطها في سبيل الإسلام"⁽²⁾.

المطلب التاسع: دور الإدارة الفرنسية في هذه العلاقات:

قبل الخوض في دور الإدارة الفرنسية في تأجيج الصراعات بين الفريقين، فإنه يجدر التذكير بأن الإدارة في نهاية القرن كانت شبه مطمئنة للوضع الثقافي، وأنها آنست بعد مراقبتها وتدجينها لعدد الطرق أنها أمسكت بخناق الجزائريين، ولذلك فإنها أرادت إبقاء هذه الأوضاع كما كانت، قبل أن تدهمها النهضة الإصلاحية، وذلك أن تقاريرها تفيد بأنها كانت تستفيد من حالات الجمود الفكري والتسطيح الديني السائد، ومن ذلك ما ورد في تقرير (الجزائر في نصف قرن)، والذي جاء فيه: "إن زاوية الهامل في بوسعادة تشكل عاملا مهما في التوازن، كما أن زاوية سيدي علي بن شرقي وممثليها تعد عاملا هاما يجب استغلاله أحسن استغلال، لأنها يكن أن تكون في الظروف الحرجة ذات أهمية، ولهذا يجب تتبع هذه الزوايا ومراقبتها عن كثب لأنها مهمة بالنسبة لنا، وأن الزاوية التي يبدو دورها منحصر في المجال الديني تمثل عنصرا مهما في حفظ التوازن، كما أن الطريقين يمثلون حجر عثرة في طريق كل تغيير اجتماعي مفاجئ غير أنهم في طريق الزوال"⁽³⁾، ويشير التقرير إلى أن الضربات التي وجهت للزوايا جعلتهم يقتربون من فرنسا، وبالتالي أمكن استخدامهم بطريق غير مباشر.

أكدت تقارير أخرى تراجع دور الطريقة، وأنها فقدت التأثير المباشر، كما أنها عثرة أمام التقدم وتطور المرأة، وأن الوثوق بشيوخ الزوايا في أيام الاضطرابات غير مجد: "إن السادة الدينين لا يطاعون في أيام الاضطرابات السياسية إلا إذا كانوا ضد قيادتنا، ولهذا يصعب الاعتماد عليهم في الظروف الحرجة، وكل شيخ يزعم بأن له

(1) النجاح، جمعية العلماء تنال جزاء الهدامين والخائنين"، ع 2203 (22-10-1938)، ص 1.

(2) محمد الميلي، الشيخ مبارك الميلي، مرجع سابق، ص 130.

(3) الجزائر في نصف قرن، ص 117 عن بوصفصاف، مرجع سابق، ص 255. والتقرير موجود في أرشيف مديرية الوثائق بقسنطينة.

أفكارا سياسية ويصرح بأنه مع فرنسا وصديق لها، وله علاقة بالسلطة المحلية، فإن مشاعره الداخلية تعبر عن عنصريته ضد فرنسا، لذلك ينبغي مراقبة نفوذه على أتباعه"⁽¹⁾.

وعليه فما هو دور الإدارة في الشقاق الإصلاحي الطرقي، وكيف استفادت فرنسا من هذه اللعبة المزدوجة، أي ضرب الكل بالكل، واستعمال الكل ضد الكل؟، والجواب الأولي أن فرنسا استفادت من الخصومات، وأن لها الدور الظاهر والخفي في مزيد الشقاق لإضعاف الجميع، وضرب رمزيهم أمام المجتمع، وسيكون لهذا أثره البين في الأربعينيات في تقدم الأحزاب الوطنية وحتى العلمانية والشيوعية على الكتل الدينية رغم فاعلية الأخيرة وجهودها الكبيرة في التعليم والشأن الاجتماعي، ولكن حصاد هذا سيكون من نصيب حزب الشعب وحركة الانتصار، وسيجد العلماء أنفسهم ذيلا لغيرهم في السياسة، والشواهد على الدور الفرنسي كثيرة منها:

1- حل جمعية علماء السنّة:

يذهب بعض الباحثين إلى أن حلّ جمعية علماء السنّة كان من أجل استمالة العلماء، وترضيهم وإدخالهم في خط السياسة الفرنسية التي انتهجها الحاكم العام الجديد "لوبو" الذي خلف "جيل كارد" (1930-1935)، وكذا المدير الجديد للشؤون الأهلية "ميو" الذي خلف "ميرانت" حيث انتهج سياسة الهدنة مع العلماء، بغية وقف دعايتهم السياسية، في مقابل حل جمعية علماء السنّة، وبناء على رأي أجرون، فقد عرض مليوت على العقبي خطة تقتضي بوقف الدعاية السياسية لجمعية العلماء مقابل حلّ جمعية السنّة⁽²⁾.

والظاهر أن هذا اللجوء للحل بعد أن ثبت للإدارة عدم توازن القوى بين الفريقين، وأن الأرضية بدأت تتسع للعلماء وتنحسر من تحت الطرقيين. كما يشير بعضهم إلى تمويل فرنسي لصحيفة الجحيم لضرب ما تبقى من قوة طرقية، وهي إشارات لا أدلة مادية لها سوى صدورها من رجال قرييين من المشروع كعلي مرحوم⁽³⁾. وتبقى الأمور في خانة التقديرات مع خفاء الأرشيف، ولكن الثابت في تعامل الإدارة مع الفريقين أنها لم تكن تعتبر الإصلاحيين خصوما فاجرين، أو لم "تكن تدرجهم في عداد المتشددين من المناضلين الوطنيين لما بين الحربين"⁽⁴⁾، وأما الطرقيون فاعتبرتهم حلفاء المصلحة في ضرب الآخرين والتزهيد في عمل الحركات السياسية الجديدة، وإن كانوا عقبة كأداء في نظرها في التطوير وتغير هوية المجتمع الدينية.

2- أحداث اليهود في قسنطينة (أوت 1934):

اندلعت الأحداث يوم (5-8-1934) بين المسلمين واليهود الذين كانوا من أكبر الجاليات بها، حيث قام أحدهم وهو "إلياهو خليفي" بسبّ المسلمين والنبي الكريم قبالة الجامع الأخضر، فاشتعلت الأحداث التي استعمل فيها اليهود الرصاص الحي من منازلهم وشرفاتهم، في حين قاباهم المسلمون بصدور عارية وأسلحة بسيطة، وقتل من اليهود عشرون وأصيب منهم عشرون، في حين استشهد رجل وطفل، وجرح آخرون. واستمرت

(1) بوصفصاف، نفسه، ص 277.

(2) أجرون، نفسه، ص 345 نقلا عن مريوش، نفسه، ص 161. بوصفصاف، مرجع سابق، ص 205.

(3) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ص 5 و257. والإشارة إلى صاحب القلم الخفي الذي وراء تحرير جريدتي المصداق والثبات.

(4) علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، مرجع سابق، ص 191.

الأحداث أسبوعاً كاملاً، وتمكن ابن باديس وابن جلول من إخماد الفتنة، وكان اللوم متوجهاً للإدارة التي لم تجرد اليهود من أسلحتهم⁽¹⁾. وفي تلمسان حصل حرق لبعض محلات اليهود أيضاً⁽²⁾، بل إن بعضهم تجرأ وأعاد حادثة التبول في شاطودان⁽³⁾، والظاهر أن هذه الأحداث كانت تتجدد في مناطق مختلفة، فحتى بعد أيام المؤتمر الإسلامي وقعت حوادث مماثلة في الجزائر وقسنطينة وأفلو وبلعباس⁽⁴⁾. فهل كانت الأحداث في معقل الإصلاح بغرض قتله في مهده عن طريق الاتهام له بالتحريض الديني؟

يشير الإبراهيمي إلى مؤامرة مخططة جعلت الحكومة تتعسف ضد العلماء، واعتبرها مكيدة مدبرة في الخفاء لقطع الصلات بين الأمة والجمعية ووحدة النواب التي: "كان لها في مبدأ أمرها اتجاه محمود، وللأمة حولها التفات مشهود، فهال ذلك المعمرين، وقادتهم هنا وأنصارهم هناك، فدبروا مكيدة (5 أوت 1934) بتسليط المسلمين على اليهود في مدينة قسنطينة، منبت الحركة ومقر أقطابها، وما كان بين المسلمين واليهود ما يدعو إلى ذلك ولا إلى أقل منه، ولكن يد الاستعمار صناع في تدبير المكائد، ولا شك عندنا في أن تلك المذبحة دبرت لقتل الحركة السياسية⁽⁵⁾."

والجواب أن الدلائل والشواهد لم تمكن الإدارة من هذا، خاصة وأن تاريخ ابن باديس وأسرته في التعامل مع اليهود معروف، وظاهرة تأخي المسلمين واليهود في قسنطينة مشهودة-على الرغم من تعاملهم الفضلي بالربا وتعاليمهم بالجنسية الفرنسية المستحقة بقانون كريميو-، وقد كتب عنها كثيرون ومنهم الصحفي التونسي سعيد أبو بكر: "ويبصر الألفة التي بينهم، فإنه يرى المسلم واليهودي والأوروبي إخواناً"⁽⁶⁾.

ولكن الأحداث كشفت للجمعية عن قلة فهم الجماهير لدعايتهم، لأن خصوم الجمعية استغلوا ضد الجمعية حيث جرى الحديث عن مراقبة أشد للرعاة السيئيين، ومراقبة صعود الوهابية الجديدة ممثلة في تيار الجمعية⁽⁷⁾.

وقد استعادت الجمعية المبادرة في قسنطينة بعد الاستجابة لنداء ابن باديس في مقاطعة الاحتفالات المؤوية لاحتلال قسنطينة سنة (1937) معاضداً في ذلك دعوة المؤتمر الإسلامي في مقاطعتها⁽⁸⁾.

وفي هذا المضمار لا يزال الطرقيون يصرون على اتهام الإصلاحيين بالدعوة للتأخي مع اليهود، وأن الإبراهيمي كان من دعاة الوحدة العربية الصهيونية، وهو ما تكذبه أدبيات الإصلاحيين وفعالهم في فلسطين⁽⁹⁾، ولكن

(1) الشهاب، ابن باديس "فاجعة قسنطينة"، ع (جمادى الأولى 1353- أوت 1934)، ج 10 ص 483. بوصفصاف، ص 204. الميلي، المؤتمر الإسلامي، مرجع سابق، ص 394. علي مراد، الحركة الإصلاحية، مرجع سابق، ص 198. الثبات، ع 17 (10-8-1934)، ص 1.

(2) خالد مرزوق ومختار بن عامر، مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان، مرجع سابق، ص 82.

(3) الثبات، مقال "ياهو قسنطينة ثم ياهو شاطودان"، ع 20 (21-9-1934)، ص 2.

(4) العقون، نفسه، ج 2 ص 56. وانظر عن الأحداث، بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين، مرجع سابق، ج 2 ص 70.

(5) البصائر، ع 118 (1-5-1950)، ص 1، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 3 ص 358.

(6) ذاكرة مدينة قسنطينة، مج 3 ص 447 نقلاً عن شهران في عمالة قسنطينة (ديسمبر 1927- جانفي 1928).

(7) انظر مريوش، ص 161. علي مراد، نفسه، ص 207. الشهاب، ع (جمادى الثانية 1353- سبتمبر 1934)، ج 10 ص 491.

(8) الشهاب، ع (رمضان 1356- نوفمبر 1937)، ج 13 ص 470. ونداء ابن باديس حرر في (28-9-1937).

(9) البودليبي، إمطة اللثام، ج 1 ص 81. وينقل ذلك عن جريدة الشباب المصري في مقال للهادي السنوسي.

ذلك لا ينفي أن علاقات التعايش والمودة كانت قائمة بين بعض اليهود والإصلاحيين كما في تلمسان حيث تبادل رؤساء الطائفة اليهودية الزيارة والدعم لأنشطة الإبراهيمي، والذي ألقى محاضرة في النادي اليهودي، وتلقى مساعدات مالية قروضا وهبات حسب الشهادات الموجودة⁽¹⁾. وابن باديس سعى مرارا للمصالحة بين المسلمين واليهود، وإن لم يمنع ذلك القيام بحملة ضد القضية الصهيونية⁽²⁾.

3- سياسة فرق تسد:

وهي السياسة التي برعت فيها فرنسا، بإيهام الجميع بالصدقة وعداوة الآخر، وتأييد هذا هنا، والآخر في مكان آخر، ففي مناطق تفتح الأبواب أمام الإصلاح وتغلقها في مكان آخر، وتمنح مرات رخص الجمع والوعادات للطرق وتمنعها عن البعض، بل إن هذه السياسة أفلحت حتى في شق صف الإصلاح كما حصل مع العقبي الذي تغير خطابه بعد حادثة الاغتيال⁽³⁾، وغيره، والشواهد على ذلك كثيرة.

ففي زيارة وفد الجمعية لوادي سوف، وبعد فراغ ابن باديس والإبراهيمي من خطابهما تقدم التبسي مخاطبا الناس المنصرفين: أنا أعلم يا أهل وادي سوف أنكم تسمعون لكلام تجاركم عني شيئا من الأباطيل، ولكنني أقول لكم: أنا أشرف منكم نسبا ومن عبد الحميد هذا - وأشار إلى الشيخ عبد الحميد بن باديس في المنصة - فعلاقة والدي بالاستعمار كلها علاقة قتل وقمع وتعذيب، ولكن علاقة والده كما تعرفون تعاون واتفاق⁽⁴⁾.

4- تغير خطاب الإصلاحيين:

تجاه الإدارة الفرنسية التي اعتبروها سندا لهم في البدايات كما قال ابن باديس مرارا في الرضا عن أداء الإدارة، في تسهيل عمل الجمعية: "للحكومة الفضل العظيم بفتحها السبل لهذه الجمعية حتى تتوصل إلى نشرهما باتصال رجالها من أهل العلم بالأمة في مساجدهم ومجامعهم وحيثما كانوا، فللحكومة في هذا من الفضل بقدر ما فيه للأمة من النفع، ولقد كان رجال الحكومة الذين لقيناهم في جميع البلدان يلاقوننا بمزيد الإكرام، ويزودوننا بعبارات التأييد والتشجيع، ويقول لنا الكثير منهم: "إننا مستعدون لمساعدتكم في كل ما تريدونه بدائرتنا"، ولا شك أنهم يتكلمون بلسان الحكومة ويعربون عن نياتها ومقاصدها، وأي مقصد أشرف وأي نية أنفع من تعاون الحكومة من العلماء لتهذيب الأمة وتعليمها هذا أعظم ما قامت به فرنسا في أول القرن الثاني نحو أبنائها المسلمين الجزائريين الذين كانوا معها في جميع المواقف مواقف الحياة ومواقف الموت⁽⁵⁾.

هل كانت الإدارة التي سهلت عمل الجمعية في البدايات لم تكن تعرف النهايات، أم أن الأمر كان طعما لكشف كل الرؤوس ثم احتوائها أو اختراقها، الأمر يحتاج لمزيد من الدراسة والوثائق، ولكن من خلال تحليل

(1)، مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان، صص 280-286. وهو ما لمزته جريدة الرشاد في تغطية اجتماع الجمعية، وأن الإبراهيمي أنفق بعض الأموال في حفلة لهم، الرشاد، مقال "حول الميعاد الباديسي"، ع 19 (10-20-1939)، ص 1.

(2) انظر علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، مرجع سابق، ص 203.

(3) زوزو، الأوراس، مرجع سابق، ج 2 ص 49، في المقارنة بين خطاب سعدان والعقبي في خطاب تأسيس شعبة المؤتمر ببسكرة سنة (1937).

(4) منارات من شهاب البصائر (آثار الشيخ العربي بن بلقاسم التبسي) للدكتور أحمد عيساوي، ص 495.

(5) الشهاب، ع (ربيع الأول 1351 - أوت 1932)، ج 8 ص 453. آثار ابن باديس، مرجع سابق، ج 4 ص 322.

السلوكات والتصريحات فإنه يتبين قدرة هذه الإدارة الماكرة على جرّ بعض الإصلاحيين لخطتها (الزاهري، العقبي، ...).

والمهم أن الإدارة الفرنسية لم يفتحها دهاء العلماء وهي ترى عملهم ينمو بسرعة، وخاصة عندما استطاعوا تغيير المناخ الثقافي بالعاصمة التي اهتزت بمظاهرات (12 فيفري 1933)، والتي اهتمت الإدارة فيها الشيوعيين والعلماء وخاصة أتباع العقبي، الذين حملوا لافتات خضراء رسم عليها الهلال، وأظهروا رفضهم لمنع العقبي من الوعظ بالمساجد، وكانت مظاهرات حاشدة فتحت أعين الولاية جيدا، وشملت المظاهرات مدن عنابة وتلمسان، والأشد كانت بقسنطينة، فكانت القرارات تترى لمزيد التضيق⁽¹⁾. وهو الأمر الذي أعلى من أسهم العقبي الذي اعتبر بطل الإسلام وضحية الإدارة وحلفائها في نظر الشعب⁽²⁾.

ولكن ابن باديس سرعان ما غير الخطاب مع توالي نكسات الصحافة وعوائق الرخص التعليمية، ثم إقفال بعض المدارس واعتقال المعلمين كما هو استنكاره وخطابه بعد سجن الشيخ دردور، ومحاكمة الابراهيمي، ومدرسو باتنة، والتضييق على إصلاحي وادي سوف "لطرفهم سربال الطرقية الوسخ الثقيل"⁽³⁾، ويذكر آجرون بأنه منذ سنة (1932) انتهى التسامح الساذج من طرف الإدارة تجاه الإصلاحيين.

وكان للكاتب العام "بيرتون-Birouton- نادى باتخاذ موقف سياسي تجاه العلماء لأنها" حركة خطيرة نظرا لوطنيتها وحماسها المتدفق وكراهيتها للأجنبي"، ولم يكن يخشى الوهابية الجديدة للمصلحين، ولكنه يخشى من دعوتهم للأخوة الإسلامية، وتقاربهم مع الميزابيين⁽⁴⁾. والمهم أن تغيرات واضحة لاحت في السياسة الفرنسية في الثلاثينيات حسب تقديرات الولاية العامة، ومن الصعب القول بوجود مسطرة واحدة لها.

وتجلى ذلك في مرسوم مارسيل رينيه (Renier) وزير الداخلية الصادر في (30-3-1935) الخانق للحريات⁽⁵⁾، ثم تغير الأمر قليلا مع مجيء الحاكم الجديد "لوبو" (Le Leau) الذي خلف "كارد" وأصدر تعليماته لمدير الشؤون الأهلية "مليوت" (Millot) بتخفيف الإجراءات وخلق مناخ سلمي بين المجموعتين المتصارعتين أي العلماء والطرقية، وبناء على رأي آجرون، فقد عرض مليوت على العقبي خطة تقتضي بوقف الدعاية السياسية لجمعية العلماء مقابل حلّ جمعية السنة الطرقية، إضافة إلى قيام العقبي بإقناع ابن باديس بإرغام العمودي على الاستقالة، وهو ما تمّ سنة (1935)، وهو ما نتج عنه سماح الإدارة بإصدار البصائر التي رأسها العقبي في هذه السنة، ولا ندري خلفيات الصفة إن كانت حقيقية، ولكن تسلسل الأحداث وهذوء خطاب الجمعية هاتين السنتين يدل على ذلك، فهل كان ابن باديس يخطط لعمل سياسي آخر، أم هو التمهيد

(1) جريدة السنة النبوية، ع 1 في (10-4-1933)، ص 3. مريوش، نفسه، ص 151.

(2) علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، مرجع سابق، ص 116.

(3) الشهاب، ع (شعبان 1357- أكتوبر 1938)، مج 14 ص 444. وكانت المشاحنات بين ممثلي الإصلاح والطرقية كثيرة كالخصومة بين عمار بن الأزرع ومحمد بن البرية. انظر غنابزية، مجتمع وادي سوف، مرجع سابق، ص 76.

(4) آجرون، مرجع سابق، ص 342. عن بوصفصاف، نفسه، ص 197.

(5) عباس فرحات، ليل الاستعمار، مرجع سابق، ص 152. بوصفصاف، مرجع سابق، ص 211.

لمشروع المؤتمر الجزائري، ويقال بأن الحكومة فكرت في حلّ الجمعية صائفة (1937)، وعارض ذلك عامل قسنطينة واعتبره عملا عشوائيا⁽¹⁾.

الخلاصات:

يقول سعد الله في نص كشف عن تغيرات السياسية والثقافة في الجزائر بعد قرن من الاحتلال: "لم تكّد تدخل سنة (1931م) حتى بدأ ميزان القوى يتغير لصالح الحركة الوطنية رغم الضغوط العديدة، فمن جهة واجهت فرنسا أزمة اقتصادية حادة كشفت كثيرا عن نواحي ضعفها في المستعمرات، ومن جهة أخرى استمر نجم إفريقيا الشمالية في نشاطه رغم حلّه، وأخذ أسماء جديدة شرعية وغير شرعية حتى أصبح سنة (1937) يدعى حزب الشعب الجزائري، وأصبح صوته قويا في الجزائر وفي فرنسا منذ (1936)، كذلك ولدت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة (1931)، وقد أحدثت تحولات عميقة في الذهنية الوطنية وهزة كبيرة في المجتمع الجزائري، بالإضافة إلى جماعة النخبة من النواب ونحوهم أخذوا يستقلون تدريجيا ويلحون بشدة أحيانا في مطالبهم القائمة على المساواة في الحقوق والواجبات مع الفرنسيين وقد كونوا لهم أحزابا وجمعيات وصحافة ونواد للضغط على السلطات الفرنسية، وهكذا تغير وجه الجزائر السياسي خلال الثلاثينات رغم أن النموذج الاستعماري القديم ظل في ظاهره على ما كان عليه"⁽²⁾.

ولكن النهايات أثبتت للجميع أن قضاء الكلّ على الكلّ غير ممكن وغير مجد، وأن الكلّ ضيع الأوقات وهدر الطاقات في معارك غير ضرورية كان يمكن تجنبها وتوجيه العمل ضدّ المستعمر، وكم اتهم الكثيرون الإصلاحيين بالتفاعس عن ذلك بالاشتغال الدائم على الطرقية وانحرافاتهما.

ولأجل ذلك بدأت بعض الزوايا مجارة الإصلاح، وعدم معارضته، أو لزوم الصمت والحياد خوفا من فقدان الجماهير أو القمع الإداري، كما هو في الأوراس، فمن عشر زوايا كبيرة عارضت واحدة علانية حركة الإصلاح⁽³⁾.

وحضر عامل الدورة التاريخية كما يقول سعد الله: "القرن التاسع عشر هو قمة عطاء الزوايا وأدائها لمشروع المقاومة العسكرية ثم الممانعة الثقافية، ولكنها استنزفت واستهلكت ثم دجن البعض منها وأفقر الكثير، ووصلت إلى مرحلة لتحل محلها الحركة الإصلاحية، وفي ظل ذلك الحراك كان الزوال للأضعف والبقاء للأصلح أمر محتوما"⁽⁴⁾.

وأیضا فإن الخلافات كانت بين أبناء البيت الديني الواحد، فلم تكن هناك خلافات بين الطريقين ودعاة النجم وحزب الشعب، لاختلاف المصوب والمنهج، وهو ما سيفيد الحركة فيما بعد في ابتلاع الجميع لصالح المشروع الاستقلالي الذي قاده جبهة التحرير الوطني، إذ أناب الجميع لها، وصارت الزوايا مراكز للعمل الثوري.

(1) بوصفصاف، مرجع سابق، ص 205.

(2) سعد الله، الحركة الوطنية ج3، (1930-1954)، مرجع سابق، ص 16-17.

(3) زوزو، الأوراس، مرجع سابق، ج 2 ص 54.

(4) سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 329..

ويحسب للإصلاحيين والطرقين كلهم دعم واستمرار التعليم القرآني والعربي، وربط الشعب بهويته الإسلامية في وقت كانت فيه الغلبة والهيمنة للثقافة الغربية التي عصفت بالنخب في الثانويات الفرانكو إسلامية فيما بعد.

الفصل الرابع

العلاقات الإصلاحية الطرقية في الأربعينيات (1941-1954)

المبحث الأول: الإصلاحيون في الأربعينيات (1941-1954).

المبحث الثاني: الطرقيون في الأربعينيات (1941-1954).

المبحث الثالث: الجدل الإصلاحي الطرقي في الأربعينيات.

المبحث الرابع: تجليات العلاقات الإصلاحية الطرقية الأربعينيات.

المبحث الأول: الإصلاحيون في الأربعينيات (1941-1954).

سنعرض في هذا المبحث للواقع الإصلاحي فكريا وعملا وتنظيما، واهتمامات سياسية ومجتمعية بعد الحرب العالمية الثانية بالأساس، على اعتبار انكسار الجهود أثناءها نتيجة الأوضاع السياسية والعسكرية السائدة، وذلك بالآتي:

المطلب الأول: الجمعية بعد ابن باديس.

توفي الشيخ الإمام يوم (8 ربيع الأول 1359-16 أبريل 1940)، وصلى عليه وأتته مبارك الملي، وكانت جنازته حاشدة، سار فيها خمسون ألفا، ولولا الإجراءات المرافقة للحرب العالمية لكان الحضور أكبر⁽¹⁾، إذ خرجت قسنطينة كلها برجالها ونسائها وأطفالها، وكان التنظيم محكما متبنا عن الأثر التهذيبي الذي تركته مدارس ونوادي الجمعية في الشعب⁽²⁾. واجتمع المجلس الإداري في المقر العام بقسنطينة يوم (7-11-1940)، وتقرر إسناد منبر الجامع الأخضر للإبراهيمي المنفي، وقرار آخر بنقل طلبة مدرسة التربية والتعليم والجامع الأخضر إلى تبسة حتى يتولى التبسي تدريسهم⁽³⁾. وتولى رئاسة الجمعية بعده بالإجماع الإبراهيمي المنفي في أفلو. ويذكر بعضهم أن العلماء تعرضوا لضغط من فرنسا، وقدم وفد يمثله الكلونيل شون (shoen) والقاضي بن حورة، وقد عرضت عليهم أن تغير سياستها معهم إذا رضوا برئاسة من تراه أليق بسياسة المفاهمة والتعاون، وفي بعض الروايات أن المقترح هو العقبي، ولكنهم اعتذروا بأن القانون لا يسمح إلا باجتماع المكتب العام،

(1) اعتذر العقبي عن الحضور لتأخر وصول النبا وتعذر استخراج رخصة السفر. ولكن الجريدة لم تنعه إلا في صفحتها الثالثة، انظر الإصلاح، ع 22 (12 ربيع الأول 1359-20-4-1940)، ص 3.

(2) بوصفصاف، جمعية العلماء وعلاقاتها، مرجع سابق، ص 216. شهادات معاصرة للحدث، أخوه عبد الحق، فيديو على النت.

(3) البصائر، ع 7 (10-9-1947)، ص 1. بوصفصاف، جمعية العلماء وعلاقاتها، مرجع سابق، ص 207.

وأحد أعضائه منفي وهو الإبراهيمي⁽¹⁾، وبذلك تخلّصوا من ذلك الضغط بهذا المخرج القانوني. وعلى رأي مالك بن نبي فقد حررت وفاة ابن باديس الحركة من الصنمية: "موت هذا الزعيم حرر نهائياً الفكرة الإصلاحية التي كانت تشبه "فكرة متجسدة" فأصبحت بموت صاحبها "فكرة مجردة" لا يجد الاستعمار إليها سبيلاً"⁽²⁾.
باشّر الإصلاحيون عملهم في بداية الأربعينيات بمطالبة السلطات الجديدة بتغيير نظرتها للجمعية وأدائها السياسي ورؤيتها المذهبية، وطالبوا بإطلاق سراح الإبراهيمي وأعضاء الجمعية المعتقلين، وبحرية الوعظ والإرشاد في المساجد، وإلغاء مرسوم (8-3-1938)، وحرية تعليم العربية، واعتبار أعضاء جمعية العلماء كسائر أعضاء الجمعيات المسيحية في حرية الاجتماع والتنقل والتعليم⁽³⁾.
وأهم رجالات الإصلاحيين بعد الحرب العالمية الثانية، وأكثرهم حضوراً وخطراً هما الشيخان الإبراهيمي والعربي التبسي.

1- الإبراهيمي: الرجل الأخطر أثراً في كتابة أدبيات الجمعية وعقيدتها الفكرية والسياسية، وقد مكث في المنفى بمدينة أفلو بالأغواط ثلاث سنوات⁽⁴⁾، يخطط ويكتب لمستقبل الجمعية، وأنجز خلالها عدة برامج تربوية وبعض المكتوبات الأدبية منها رواية الثلاثة، رسالة الضب، كتاب عن ابن باديس، وظل يرسل أصدقائه وقادة الجمعية في تصريح الشؤون إلى غاية انتهاء الحرب العالمية الثانية.
وفي سنة (1943) خرج من المنفى، وظلّ تحت الإقامة إلى غاية سجنه أيام حوادث ماي، وقد رسم الإبراهيمي سياسة الجمعية في مقال "الإصلاح الديني لا يتم إلا بالإصلاح الاجتماعي": "من الغلط أن يقال إن جمعية العلماء جمعية دينية يجب أن ينحصر عملها في الإصلاح الديني بمعناه الذي عرفه الناس، ومن فروع هذا الغلط ما رماها به بعض مرضى العقول وصرعى الجهل من أنها خرجت عن مدارها حين زجّت نفسها في بعض شؤون الحياة غير الدين. والحقيقة أن هذه الجمعية تعمل من أول يوم من تكوينها للإصلاح الديني وللإصلاح الاجتماعي، وكل ذلك يسع الإسلام، وكل ذلك يسعه مدلولها وموضوعها وقانونها. فالإسلام دين واجتماع. وإذا كانت دائرة الأول محدودة فإن دائرة الثاني واسعة الأطراف، وأن الإصلاح الديني لا يتم إلا بالإصلاح الاجتماعي، ولهذا الارتباط بين القسمين، فإن جمعية العلماء- وهي الجمعية الرشيدة العاملة بحقائق الإسلام- عملت منذ تكوينها في الإصلاحين المتلازمين"⁽⁵⁾.

(1) مذكرات خير الدين، مرجع سابق، ج 1 ص 345. حماني، الصراع بين السنة والبدعة، مرجع سابق، ج 2 ص 15.

(2) بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، ط 2، دمشق، دار الفكر، 1986، ص 63.

(3) بوصفصاف، نفسه، ص 220. ووقع على العريضة التبسي الكاتب العام، ومعه الميلي وخير الدين.

(4) نفي من تلمسان في (10-4-1940) انظر أحمد قصبية، "الشيخ الإبراهيمي في منفاه بمدينة أفلو"، الجزائر، مجلة الثقافة، ع 87 (ماي-جوان 1985)، ص 278. أحمد الخطيب، جمعية العلماء، مرجع سابق، ص 154. مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان، مرجع سابق، ص 177.

(5) البصائر ع 37 (2-10-1936)، ص 6، وهو جزء من خطاب الإبراهيمي في الاجتماع العام الخامس للجمعية بنادي الترقى في سبتمبر 1936.

2- **العربي التبسي:** برز التبسي بقوة في هذه الفترة، وكان معروفا بالصلابة والصرامة والوفاء لابن باديس، وقد وصفه الإبراهيمي: "والأستاذ التبسي عالم عريق النسبة في الإصلاح، بعيد الغور في التفكير، سديد النظر في الحكم على الأشياء، عزوف الهمة عن المظاهر والسفاسف"⁽¹⁾. واعتبره في مقال آخر "عالم القطر ومفتيه"⁽²⁾. ويعتبر من أكثر شيوخ الجمعية رسوخا في التراث الإسلامي، ويتحلى بصرامة قوية، ويتوق إلى مجتمع إسلامي خالص تنتصر فيه الشعائر والشرعية السنية بعيدا عن تأثيرات المدنية الغربية، ولأجل هذا اعتبره علي مريدا صاحب توجه فكري خاص بعيد عن الخط الباديبي المنشد إلى مدرسة المنار⁽³⁾. وكان أكثر أعضاء الجمعية في التوتر الوطني والراديكالية والتعبير عن الرغبة في الجهاد، وعبرت مواقفه الكثيرة عن هذا المسار، ففي خطاب له قبيل الثورة بوهرا قال: "سوف يأتي قريبا يوما تضطر فيه فرنسا إلى الرحيل، وعلى المسلمين أن يتوحدوا لبلوغ ذلك الهدف"⁽⁴⁾. ومن جميل صنع الله به أنه ختم تفسير القرآن الكريم قبيل استشهاده سنة (1957) بين مختلف المدن التي يلجها، وخاصة تبسة وسيق وقسنطينة⁽⁵⁾.

المطلب الثاني: الوسائل التعليمية الإصلاحية بعد الحرب الثانية.

أولا- التعليم والمدارس:

1- إحياء الدروس العلمية:

بعد وفاة ابن باديس توقف التعليم المسجدي بسبب ظروف الحرب، وقلة النفقات، مما جعل الجمعية وجمعية التربية والتعليم بقسنطينة -المشرفة على صندوق الطلبة- توكل إحياء الدروس التي كانت قائمة بمساجد الجامع الأخضر وسيدي قموش وسيدي بومعزة للشيخ العربي التبسي، وتقرر تحويل طلبتها إلى تبسة، لما أبداه أهلها مع الشيخ التبسي من الاستعداد لذلك، وهو ما تم في سنة (1943)⁽⁶⁾.

2- تشييد المدارس:

باشرت الجمعية عمليات تشييد المدارس بقوة في الأربعينيات، فعلى الرغم من ظروف الحرب الثانية تمّ تشييد سبعين مدرسة سنة (1943)⁽⁷⁾، إذ كانت من الأوليات والعمل فيها جهاد، والمعلمون مجاهدون، واستكملت الجمعية في نهايات الأربعينات توحيد مناهجها وطرائق التدريس والتفتيش والكتب المعتمدة،

(1) البصائر، ع 60 (20-9-1948)، ص 1، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 272.

(2) البصائر، ع 148 (26-3-1951)، ص 3، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 387.

(3) علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية، مرجع سابق، ص 136.

(4) عبد النور خيثر، منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية (1830-1954)، الجزائر، وزارة المجاهدين، منشورات مركز الأبيار، 2007، ص 270/ بوكسية، مرجع سابق، ص 254.

(5) دبوز، أعلام الإصلاح، ج 2 ص 36. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7 ص 13. وكان من ركائز الجناح الثوري، والذي بلور موقف الجمعية بعد أشهر من انطلاق الثورة، ليختم له بالاستشهاد بعد اختطافه في العاصمة، وبضل بلا قبر. انظر محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص 184. عيساوي، مدينة تبسة وأعلامها، ص 388.

(6) آثار الإبراهيمي، ج 2 ص 131. وقد سمي هؤلاء الطلبة بالطلبة الأخضرين نسبة للجامع الأخضر. مقلا عن فضلاء، المسيرة الرائدة، ج 1 ص 46. وممن أسهم في إنجاح تلك الدروس: امحمد الشبوكي، الشاذلي المكي، العيد مطروح، حامد روابحية، السعيد الزموشي.

(7) آثار الإبراهيمي، مذكرة إيضاحية، ج 4 ص 172. وانظر تقرير عن المدارس البصائر، ع 10 (13-10-1947)، ص 7.

فكانت التعليم الابتدائي يستغرق ست سنوات (عامان تحضيريان، وعامان ابتدائيان، وعامان متوسطان)، واشتملت البرامج التربوية الإسلامية واللغة العربية والمعارف العلمية، وبلغت المدارس سنة (1948) مائة وثلاثين مدرسة كاملة ومجهزة، وحوالي ثلاثين في طور التجهيز، وقد انتهى عدد المدارس العامة سنة (1951) إلى (125) بسبب تعطيل أخريات، وكان الإحصاء الذي قدمته الجمعية للمعلمين والمتمدرسين كالآتي:

المعلمون	الذكور	الإناث	المنتسبون بالليل	المجموع
275	10590	5696	20000	36286

ومن نماذج المدارس القديمة أو المستأنفة أو الجديدة ما يأتي:

3- مدارس الوسط:

وأهمها مدرسة الشبيبة التي استمرت في عملها، ولكنها تضعضعت بعد ترك محمد العيد إدارتها، ويعزي حماني ذلك إلى قبول لجنّتها الدخول تحت الأكاديمية الفرنسية، وأرجع ذلك إلى تأثير الشيخ العقبي على هيئة تدريسها⁽¹⁾. وكذا المدرسة الحرة بخميس الخشنة⁽²⁾، ومدرسة الشبيبة بتيزي وزو – ثنية القندول- ويديرها حسن حموتن، ومعه راجح بونار وعبد الرحمان بوشاشي⁽³⁾. وهذا جدول يوضح المدارس في الوسط الجزائري:

اسم المدرسة	المكان	المدير	السنة
الناصرية	بوزريعة	الزير طوالي	1954
التهذيب	الأبيار	السيد بوشوشي	1949
الفلاح-عقبيّة-	بئر خادم	مصطفى بن السائح	1949
التهذيبية	سانت أوجين-بولغين	أحمد سحنون	1949
مستقبل الشباب	حسين داي	الهادي الزروقي	1946
الصادقية	سالم باي	محمد الطاهر فضلاء	1941
التربية والتعليم	المرادية	المكي عبادة	1949
مدرسة الجامع الجديد	بلكور	العربي التبسي	1954
الثبات	الحراش	الحجازي- حويدق-بوشامة الربيع	1944
الشيخ اطفيش	الحراش	سليمان بن داود	1952
التربية والتعليم -الخلدونية-	بوفاريك	⁽⁴⁾ علي بن سعد	1943
التربية والتعليم	مارنكو-حجوط	جمعية محلية	1948
التهذيب	البليدة	محمد بن بلقاسم الأغواطي	1954
تهذيب البنات	البليدة	جوبر حرم حاج جوبر	1955
الهداية	بوعرفة-البليدة	عمر حماني	1954

(1) حماني، نفسه، ج 2 ص 159. وكان الناس يسمونها المدرسة العقبيّة. انظر فضلاء، المسيرة رائدة، مرجع سابق، ج 2 ص 43-47.

(2) حضر مهرجاناتها العقبيون، والموظفون أمثال بابا عمر والشيخ بن يلس المدرس بالجامع الكبير. انظر مريوش، مرجع سابق، ص 355.

(3) البصائر، ع 152 (4-23-1951)، ص 8. محمد الحسن فضلاء، المسيرة رائدة، مرجع سابق، ج 2 ص 155.

(4) البصائر، ع 149 (4-2-1951)، ص 3. وانظر في مدارس الوسط، تركي، التعليم القومي، مرجع سابق، ص 386.

1945	أبو بكر الأغواط	المدينة	التهديب والإرشاد
1952	محمد الشريف الحسني	مليانة-دار بغاء قديمة-	مدرسة ونادي الفلاح
1952	إسماعيل جوامع	البويرة	التربية والتعليم
1947	أحمد شطة	الأغواط	التربية والتعليم-الشبيبة سابقا-
	¹ إسماعيل حيرش	القليعة	الإحسان
	أحمد بن عبادة	رويبة	مدرسة رويبة

4- مدارس الشرق والزيبان:

وذلك مثل مدرسة المليية، وهي من مبرات السيد محمد خطاب⁽²⁾، وقد أدارها الصادق حماني (45-46)، ثم عمر حماني حتى مطلع الثورة⁽³⁾. كما تأسس بها فرع لمعهد ابن باديس وأشرف عليه محمد الصالح بن عتيق حتى سنة (1954)⁽⁴⁾.

ومدرسة أولادي سيدي إبراهيم التي أسسها سعيد البيباني، والتي تفرّعت عنها كتاتيب في بعض القرى المجاورة⁽⁵⁾.

وببسكرة تأسست مدرسة التربية والتعليم التي افتتحت سنة (1951)، بحضّ من الإبراهيمي لأعيان بسكرة بعد تشكيل جمعية لها، وكانت مدرسة مميزة، درس فيها الجنسان، ونشأت بها فرق إنشادية ومسرحية⁽⁶⁾. وتأسست مدارس ابتدائية في بسكرة ومشونش وطولقة وشمته والمغير في (1950)⁽⁷⁾. ومعهد ونادي القنيطرة. بل إن بعضها اقترح طرائق التعليم الحديثة وبرع في الأنشطة، مثل مدرسة الإرشاد بسكيكدة التي نظمت رحلة إلى الصحراء والأوراس، ومثلها ردت مدرسة بسكرة بزيارة إلى الساحل⁽⁸⁾.

نماذج من مدارس جمعية العلماء بالشرق الجزائري:

اسم المدرسة	المدينة	المدير والمؤسس	السنة
فرع معهد ابن باديس	الميلية	محمد خطاب الفرقاني	1950-10-23
مدرسة الحياة	الشريعة-تبسة	الطاهر حراث	1944-11-14
التربية والتعليم ببني فركان العليا والسفلى	الميلية	الأخضر شعيب، وإسماعيل جوامع	1947

(1) البصائر، ع 149 (2-4-1951)، ص 3، تقرير أحمد قصيبة، وكان مديرها هو قدور الحلوي الطريقي الإصلاحي.

(2) محمد خطاب (1904-1964)، أصيل المليية، استوطن المغرب منذ (1920)، واشتهر بكونه داعما لأعمال الجمعية، والطلبة في كل من الزيتونة والقرويين، وكذا الحركة الوطنية بالمغرب، توفي بسويسرا ودفن بالمغرب. انظر معجم أعلام الجزائر في القرنين، مرجع سابق، ج 2 ص 143.

(3) صراع بين السنة والبدعة، ج 2 ص 312. البصائر، ع 4 (29-8-1947)، ص 3، آثار الإبراهيمي، ج 2 ص 168.

(4) حماني، صراع بين السنة والبدعة، ج 1 ص 108. وعن تأسيسها انظر البصائر، ع 23 (16-2-1948)، ص 6.

(5) البصائر، 115 (10-4-1950)، ص 7، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 344.

(6) البصائر، ع 140-141 (5-2-1950)، ص 5. محمد الحسن فضلاء، المسيرة الرائدة، (القطاع القسنطيني)، مرجع سابق، ج 1 ص 108. عبد القادر قوبع، الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان وميزاب (1920-1954)، مرجع سابق، ص 212.

(7) تركي راج، التعليم القومي والشخصية الوطنية، مرجع سابق، ص 392.

(8) البصائر، ع 191 (26-5-1952)، ص 6. ع 234 (26-6-1953)، ص 6.

النشء الجديد	باتنة	أحمد السعودي	1954-9-15
الهدى	القنطرة- بسكرة		1947-1-9
التربية والتعليم	بسكرة	علي مغربي	1950
النجاح	قمار-سوف	الطاهر التليلي	1948
التربية والتعليم	فرع سيدي مزغيش	الحاج عمر بوصاع	1944
التربية والتعليم	فرع تاملوكة	غفار السيد إسماعيل	1944
التربية والتعليم	فرع سوق أهراس	⁽¹⁾ بلقاسم بن صالح	1942
الرشاد	عين البيضاء	بلقاسم البيضاءوي	1942
التهديب	أم البواقي	بلقاسم الزغداني	1942
المستقبل	سكيكدة	علي الصيد	1948
الترقى	عزابة	محمود ندام	1948
التربية والتعليم	عنابة	⁽²⁾ عبد السلام بن عامر	1950
الفتح- العصرية-	سطيف	⁽³⁾ محمود الشرفي	1950
التهديب	شلغوم العيد	أحمد رضا حوحو	1945
العرفان	عين مليلة	محمد العيد آل خليفة	1945
الإصلاح	قنزات	السعيد صالح	1947
التربية والتعليم	بني عشاش، ورثلان	أمحمد أمقران	1949
التربية والتعليم	الجمعة- بني ورثلان	الصادق حسنين	1951
الأخوة	جبل سيدي يذير	جمعية محلية	1946
التربية والتعليم	بني معوش- أقبو	العباس بن الشيخ	1952
التربية والتعليم	أقمون بني خيار	يوسف اليعلاوي	1952
التربية والتعليم	عجيسة	محمد أولونيس	1948
الخلدونية-الحياة سابقا-	بجاية	علي شنتير	1943
التربية والتعليم	أغيل-يلف، أقبو	محمد الأكحل شرفاء	1949
أم القرى	تازمالت	علي أولبصير	1944
العروبة	بني منصور	العربي شريفي	1948
التربية والتعليم	بوشقفة-أقبو	محمد أمزيان الثعالي	1943
التربية والتعليم	أوقران- بني عباس	محمد الشريف الثعالي	1949
التربية والتعليم	قندوز-بني عباس	الصالح جطوطح	1952
التربية والتعليم	بوجليل- بني عباس	سليمان الحمراوي	1947

(¹) أعيد بناؤها وتأسيسها سنة (1953)، انظر البصائر، ع 242 (2-10-1953)، ص 8.

(²) البصائر، ع 143 (11-12-1950)، ص 2. وقد تأخر تأسيسها عن مثيلاتها في الشرق.

(³) البصائر، علي مرحوم "تدشين مدرسة الفتح"، ع 133 (23-10-1950)، ص 2.

5- مدارس الغرب:

وهي في الغالب متأخرة التأسيس مقارنة بغيرها لصعوبة تمدد الإصلاح في مناطق ذات نفوذ طريقي، ومن نماذجها: مدرسة ابن خلدون بالأصنام⁽¹⁾، ومدرسة الحنايا بتلمسان، وقد افتتح الإبراهيمي مسجدًا ومدرستها⁽²⁾، ومدرسة الأمير عبد القادر بمعسكر (17-10-1953)، وقد افتتحها أحمد توفيق المدني⁽³⁾. والجدير بالذكر أن الغرب الجزائري شهد بعض التحولات الفكرية التنظيمية، حيث تولدت عن مدرسة الفلاح الوهرانية في نهايات الأربعينيات مدارس التوحيد بالمرسى، والتربية والتعليم بالحمري، ومدرسة الشهاب بأرزو والحياة بقمبيطة، وهذه الأخيرة تحولت تنظيميًا لاتباع حزب الشعب، وربما كان مرد ذلك إلى السعيد الزاهري وتأثيراته، والأمر ذاته في مستغانم حيث انتقلت مدرسة التهذيب لاتباع حزب الشعب، وكذا مدرسة التقدم بمغنية⁽⁴⁾. والمهم أن المدارس الإصلاحية كانت قليلة بالغرب إذا ما قورنت بغيره نظرا لقوة الوجود الطريقي، فعلى الرغم من وجود الإبراهيمي بتلمسان ونجاحاته الكثيرة، لكن مدنا كندرومة ظلت مستعصية نظرا للوجود الصوفي بها كزاوية بن عمر والهبرية والعيساوية، ولم يتمكن الإصلاح من تأسيس مدرسة بها إلا (1949)⁽⁵⁾. وهذه نماذج لبعض مدارس الغرب الجزائري:

مدرسة عائشة	تلمسان	الإبراهيمي	1952
دار القرآن	بني هذيل-عين الغرباء	مصباح حويذق	1952
التربية والإرشاد	سبدو	محمد بن حلوش ⁶	1945
التربية والتعليم	صبرة-تلمسان	العربي محمد الرميلى	1954
التربية والتعليم	الحنايا	محمد الأبلق	1945
دار التعليم	أولاد ميمون	الأخضر القباطي ⁷	1944
التربية والتعليم	مغنية	الأخضر القباطي	1951
الفلاح	وهران	السعيد الزموشي	1944
التربية والتعليم	تجديت-مستغانم	مصطفى بن حلوش	1953
التربية والتعليم	بني صاف	محمد رضا بن الشيخ الحسين	1948
عبد المؤمن بن علي	ندرومة	عبد الوهاب بن منصور ⁸	1949

(1) البصائر، ع 87 (18-8-1949)، آثار الإبراهيمي، ج 2 ص 297، وع 22 (9-2-1948)، ص 3.

(2) البصائر، ع 124 (19-6-1950)، ص 1، آثار الإبراهيمي، ج 2 ص 349. تركي رايح، مرجع سابق، ص 385.

(3) البصائر، ع 245 (30-10-1953)، ص 3. وانظر عن نشاط الجمعية في الراشدية لحسن جاكرو، نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بمعسكر (1931-1956).

(4) أحمد الخطيب، جمعية العلماء، ص 152. فضلاء، نفسه، ج 3 ص 62-68. البصائر، ع 170 (17-9-1951)، ص 7. حيث نشرت البصائر دعوة افتتاح مدرسة التقدم. وعن معلمي موسم (49-50)، ع 93 (31-10-49)، ص 15.

(5) فضلاء، المسيرة الرائدة، ج 3 ص 72. وكان رئيس لجمعية المحلية بها محمد بن رحال الذي سعى في بنائها والمسجد، وأشرف على توسعة جديدة سنة (1953). وهو غير محمد بن رحال الإصلاحي المثقف السابق (1856-1927).

(6) البصائر، ع 206 (3-11-1952)، ص 8. البصائر، ع 245 (30-10-1953)، ص 8.

(7) مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان، مرجع سابق، ص 379.

التربية والتعليم	الغزوات	² أحمد الصالح ⁽	1948
الإصلاح	عين تموشنت	برايك بورصالي	1943
مساعدة الغربية	عين تموشنت	أحمد عيساوي	1944
التربية والتعليم	سيق	عبد القادر بن زيان	1947
التربية والتعليم	باريقو-المحمدية	الحبيب صائري	1949
التربية والتعليم	غليزان	³ جلول بوناب ⁽	1942
التربية والتعليم	سيدي بلعباس	مصطفى بن حلوش	1945
الأمير عبد القادر	معسكر	الحسين قائد	1953
الإصلاح	واد رهيو-غليزان	محمد المهاجي	1953
التربية والتعليم	تيارت	الصالح بن عتيق	1944
التربية والتعليم	فرندة	الشاذلي بن عاشور	1947
الإصلاح-عطلت-	البيض	⁴ بوعلام باقي ⁽	1952
ابن خلدون	الشلف	الجيلالي الفارسي	1944

6- مدارس الجنوب:

وعلى الرغم من خضوعه للحكم العسكري، فقد استطاع الإصلاح مد نفوذه لمناطق غرداية ومثليبي بافتتاح مدرسة خالد بن الوليد التي أشرف عليها الشيخ محمد الأخضر الفيلاي، ووصل المد إلى المنيعه التي كانت تعاني من تعليم الآباء البيض، فكان هناك أحمد بن بوزيد وعمر بن الحاج النصيري تلميذ الميلي⁽⁵⁾.

7- معهد ابن باديس:

تأسس بقسنطينة تخليدا لمسيرة ابن باديس خريف (1947)، وجدّ الإصلاحيون لذلك ليكون منارة علمية بالجزائر، وأبلى الإبراهيمي في تأسيسه البلاء الكبير هو والتبسي وخير الدين⁽⁶⁾، وصار فرعا من فروع الزيتونة، واعتُرف بشهادته عربيا، وكان مقره بدار كبيرة اشترتها الجمعية من أسرة بن الفقون، وأزر الدار المركزية مساجد سيدي بومعزة وسيدي قموش، وأقسام مكتب التعليم العربي التابعة لجمعية التربية والتعليم، وعندما ضاقت هذه المرافق بالطلبة قام المعهد بالدخول للجامع الأعظم والجامع الأخضر، على الرغم من اعتراض وتحفظ الإدارة الرسمية والدينية، وتألّفت إدارته من ثلاث هيئات هي العلمية⁽⁷⁾. والمالية⁽¹⁾.

(1) خالد مرزوق، المختار بن عامر، الحركة الإصلاحية بتلمسان، مرجع سابق، ص 398.

(2) البصائر، ع 58 (1948-11-29)، ص 8. ع 65 (1949-1-31)، ص 7. مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان، مرجع سابق، ص 376.

(3) البصائر، ع 31 (1948-4-12)، ص 5.

(4) البصائر، ع 212 (1953-1-9)، ص 2.

(5) البصائر، "الإصلاح في المنيعه"، ع 6 (1947-9-12)، ص 3. بيثي، تطور الثورة الجزائرية في ناحية غرداية، ص 37.

(6) انظر البصائر، ع 8 (1947-9-26)، ص 1. وابتدأ التعليم به يوم (47-12-1) بخمسائة طالب، انظر البصائر ع 16 (1947-12-22)، ص 3، البصائر، ع 18 (1948-1-5)، ص 1. تركي رابح، التعليم القومي، مرجع سابق، ص 281. البصائر، ع 175 (1951-11-26)، ص 1. حماني، مرجع سابق، ج 2 ص 295.

(7) العلمية: العباس بن الشيخ، نعيم النعيمي، عبد المجيد حيرش، أحمد حسين، أحمد حماني، انظر فضلاء، مرجع سابق، ص 56.

والمراقبة والضبط⁽²⁾، وبلغ عدد منتسبيه ألف طالب⁽³⁾. وأسس له التبسي حركة سمها "حماة المعهد"⁽⁴⁾، وانتدب للتدريس فيه نخبة متميزة من علماء الجمعية أمثال: أحمد حسين، أحمد حماني (الحاملين للشهادة العالمية، عبد المجيد حيرش، مولود النجار (الحاملين لشهادة التحصيل)، عباس بن الشيخ الحسين (خريج القرويين)، نعيم النعيمي، عبد الرحمان شيبان، الطاهر سعدي، عبد القادر الياجوري، السعيد الزموشي، عبد اللطيف سلطاني، معمر حني، عمر جفري، أحمد بن ذياب، محمد الحفناوي، علي الساسي، مصطفى بوغابة، محمد الزاهي، محمد الميلي، عبد العزيز قرووف، واستمر في نشاطه حتى سنة (1957). بدأ المعهد سنة (1952) بالاككتاب لبناء دار كبيرة للطلبة الثانويين، وهو ما تمّ بعد سنة واحدة حيث افتتحت "دار الطلبة" مطلع العام الدراسي الموالي⁽⁵⁾. وأداره الشيخ العربي التبسي، وبعد انتقاله للعاصمة بعد سفر الإبراهيمي إلى المشرق تولى إدارته الشيخ محمد خير الدين إلى غاية خروجه للمغرب ممثلاً لجهة التحرير. وكانت الجمعية تخطط لإنشاء معيدين آخرين ثان بالعاصمة، وثالث بتلمسان، ولكن الظروف لم تسعفها⁽⁶⁾. وترمي أيضاً إلى الالتزام ببرامج الزيتونة، مع إضافة مواد للعلوم الحديثة التطبيقية، وانتداب طلبة لإكمال دراستهم فيها⁽⁷⁾. كما استطاع الإبراهيمي أن يزود مكتبته بمئات الكتب منها ألف كتاب تبرع بها الأمير سعود بن عبد العزيز⁽⁸⁾، إضافة إلى عشرات الكتب المدرسية من مصر⁽⁹⁾، ومن الشام، وكانت مكتبة المعهد مركزاً أدبياً كبيراً.

8-الهيئات التربوية للجمعية:

استحدثت الجمعيات عدة أطر تنظيمية لمراقبة التعليم وتجويده، ومنها:

أ- لجنة التعليم العليا لمدارس جمعية العلماء: وظهرت في (13-9-1948) ورأسها الشيخ العباس بن الحسين، ومعه أحد عشر عضواً، وتشكل مكتبها التنفيذي في العاصمة برئاسة إسماعيل العربي ومحمد الغسيري وأبو بكر الأغواطي ومهمتها وضع البرامج، والشهادات، والبرامج، والامتحانات. إضافة إلى تكوين المدرسين وكانت

(1) المالية: أحمد بوشمال، عمر بن شيكو، والتجار: الحاج كرماني، محمد دمي، أحمد حناش، إسماعيل بوعلاق، محمد داوود عمر، الحاج حسين بن دغة، الأزهرى بوحامد، العروسي بن الأكل. انظر محمد الحسن فضلاء، مرجع سابق، ج 1 ص 56.

(2) أعضاؤها: المولود النجار، أحمد بوشمال، أحمد رضا حوجو، عبد اللطيف سلطاني، محمد كحلوش، بلقاسم بوشاشي، فضلاء، مرجع سابق، ج 1 ص 57. وانظر محاضرات ومقالات أحمد حماني، مرجع سابق، ج 4 ص 332.

(3) البصائر، ع 8 (26-9-1947)، ص 1، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 172، وج 4 ص 177. فضلاء، مرجع سابق، ج 1 ص 55

(4) شرفي الرفاعي، مقالات التبسي، مرجع سابق، ص 171.

(5) البصائر، ع 250 (11-12-1953)، ص 1، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 4 ص 245. فضلاء، نفسه، ج 1 ص 55. وافتتحت الدار سنة (1953)، البصائر، ع 246 (6-11-53)، ص 1. وبلغ عدد طلبة المعهد سنة (1954) 913 طالباً موزعين على أربع سنوات.

(6) البصائر، ع 7 (19-9-1947)، ص 1، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 171.

(7) البصائر، ع 44 -عدد خاص بالمعهد-(21-6-1948)، ص 1، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 220.

(8) آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 4 ص 179.

(9) جميل صليبا، "مقتطفات من مذكرات صليبا عن الشيخ الإبراهيمي"، الجزائر، الثقافة، ع 87 (ماي-جوان)، 1985، ص 57.

بمثابة وزارة تربية شعبية حسب تعبير عبد الرحمان شيبان⁽¹⁾، ثم تجددت سنة (1949) من مكتب آخر ضم: الإبراهيمي وأحمد سحنون وباعزيز بن عمر، وأحمد بوزيد قصيبة، ومحمد الطاهر بكار، ثم تجدد في (14-9-1950) وضم باعيز بن عمر كاتباً عاماً، والصادق حماني نائباً عن عمالة قسنطينة، ومحمد الصالح رمضان نائباً عن عمالة وهران، ثم تحول مكتب اللجنة إلى معهد بن باديس، وأشرف عليه الحفناوي هالي، وكانت تصدر نشریات شهرية وتطبع مناهج التعليم والمذكرات، ثم عاد المكتب للعاصمة سنة (1955-1957) وضم إبراهيم مزهودي وأحمد حماني وعبد السلام برجان⁽²⁾.

وقد دعت الجمعية جمعياتها وشعبها إلى استثمار الموارد لدعم المدارس عن طريق خلق مشاريع اقتصادية (جمع رؤوس أموال، قروض، تأسيس نوادي، مقاهي، دور سنما، حمامات، فنادق...) ⁽³⁾.

ب- استحداث التفتيش المدرسي: ورأسه الغسيري، ثم إبراهيم مزهودي، وتأسيس شهادة التعليم الابتدائية.

ج- لجنة الامتحانات: وترأسها في الأخير أحمد حماني، وربما كان آخر امتحان في (جويلية 1957) ⁽⁴⁾.

د- تنظيم العطل الأسبوعية والسنوية، حيث تكون السنوية شهري أوت وسبتمبر، إضافة إلى العطل المناسباتية مثل: محرم، عاشوراء، المولد، بدر، وفاة ابن باديس، عيد الفطر والأضحى بسبعة أيام ⁽⁵⁾.

هـ- مؤتمر المعلمين وهيئات المدارس الحرة: عقد في قسنطينة (16-3-1946)، وقد مهد لمؤتمر آخر عقد في سبتمبر من السنة ذاتها وترأسه محمد العابد السماتي ⁽⁶⁾، ونتج عن ذلك إعادة فتح المدارس كلها في أكتوبر (1946)، وصار للمعلمين اجتماع عام قبيل كل دخول مدرسي.

كما برزت ظاهرة تربوية في مدارس الجمعية وهي المدرء المرشدون الذين يزورون المدارس للتثقيف والإرشاد والإشراف والارتقاء بنظرائهم من المديرين، ومن يلهم من الصف الثاني من المعلمين والمعلمات.

و- النشريات والمجلات المدرسية: وهي سنة عكفت عليها المدارس الكبيرة التي تنافست لإصدار مجلات ومنشورات حائطية لإبراز الإبداعات الطلابية، فأصدرت مدرسة الفلاح بوهان مجلة (12 عددا)، ومدرسة غليزان مجلة الفتح (6 أعداد)، ودار الحديث (الروضة، 3 أعداد)، وعين تموشنت (الإصلاح، عددان)، وأصدر مدير مدرسة الفتح بسطيف بوعلام باقي (الفتح، 5 أعداد)، وعلي شنتير بالرشيدية بشرشال مجلة المدرسة (53 عددا) ⁽⁷⁾.

(1) عن لجنة التعليم العليا انظر البصائر، ع 57 (11-22-1948)، ص 3، قوبع، نفسه، ص 221/ تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3 ص 255. فضلاء، مرجع سابق، ج 2 ص 18. رايح تركي، التعليم القومي، مرجع سابق، ص 298.

(2) فضلاء، المسيرة الرائدة، مرجع سابق، ج 2 ص 21.

(3) البصائر، مرحوم "العامل المالي في مدارس الجمعية"، ع 93 (31-10-1949)، ص 11، تركي رايح، مرجع سابق، ص 309.

(4) حماني، نفسه، ج 2 ص 329، مشكلة إضراب الطلبة، مع العلم أن الامتحانات كانت تجري في المدارس نفسها عدا المدارس الآتية (النجاح بقمار، التهذيب بيرج بوعريخ، التربية والتعليم ببركة، الخلدونية ببجاية) فإنها تبتعث تلاميذها لمدرسة التهذيب بالأبيار لإجراء الامتحانات، وذلك حتى سنة (1961)، انظر فضلاء، مرجع سابق، ج 1 ص 116. وج 2 ص 21.

(5) تركي، التعليم القومي، مرجع سابق، ص 299. فضلاء، نفسه، ج 2 ص 32. وانظر البصائر، ع 11 (20-10-1947)، ص 8.

(6) حماني، مرجع سابق، ج 2 ص 160 و325.

(7) فضلاء، المسيرة الرائدة، ج 3 ص 52، وحسبه فإن أطول النشرات هي نشرة مدرسة التهذيب بالأبيار بالعاصمة.

9- تعليم البنات:

وهو المضمار الذي خطا فيه الإصلاحيون خطوات هامة، حيث بلغ عدد المنتسبات (5696) سنة (1951)، ثم صار (13000) سنة (1935)، وقد خطط إبراهيمي لإنشاء دار للمعلمات ومعهد للبنات على غرار معهد ابن باديس، ولكن الظروف حالت دون ذلك. وكانت أمنيته توسيع هذا التعليم والقفز به إلى المتوسط والثانوي، والتفكير في إنجاز معهد أعلى للمعلمين والمربّين.

ففي تعليقه على عمل المعهد الباديسي بعد ثلاث سنوات من انطلاقه قال: "هذا المعهد محتاج إلى أبنية كثيرة ليكمل ويؤتي ثماره: إلى دور لسكنى الطلبة، وإلى أقسام واسعة للدروس، وإلى فروع في العواصم لتقريب العلم إلى الطلاب، وإلى معهد خاص بالبنات المسلمات اللاتي شبن عن طوق التعليم الابتدائي وأصبحن يطلبن المزيد الحافا، وأصبحنا نلاقي من إلحافهن رهقا"⁽¹⁾، ومن ثمار ذلك التعليم تأسيس جمعيات نسوية مثل جمعية نهضة المرأة المسلمة بتلمسان التي رأسها فاطمة كاهية، والتي اهتمت بالتعليم ومحاربة السفور، والنهضة بالمرأة⁽²⁾، وكذلك مدرسة عائشة التي تأسست بتلمسان، وافتتحها التبسي، واعتبرت أول مدرسة عربية للمرأة المسلمة⁽³⁾. وكذلك تأسست مدرسة خديجة أم المؤمنين للبنات بسكيكدة سنة (1952) لذات الغرض⁽⁴⁾.

10- البعثات العلمية: باشرت الجمعية مشروع ابتعثت طلبتها إلى المدارس العربية في المغرب والمشرق، ومنها: أ- البعثات الزيتونية:

وكانت النواة من تأسيس جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين التي رأسها الشاذلي المكي، وأمينها العام أحمد حماني في الثلاثينيات، ثم رأسها عبد الرحمان شيبان، وثُمّن جهدها بحصول اعتراف من الزيتونة بشهادة معهد ابن باديس. وقد تأسست الجمعية في الثلاثينيات بتأثير وتحريض من إبراهيمي إثر اجتماع عقده مع الطلبة والعمال في حي الحجامين⁽⁵⁾. ثم تجددت تحت اسم "جمعية البعثة الزيتونية لجمعية العلماء"⁽⁶⁾ وقد نالها بعض الصراع بين الطلبة في اللحاق أو التبعية للجمعية وحلفائها من حزب البيان أو إلى حزب الشعب، وكان إبراهيمي يتعهد بها بالتذكير والمشاركة في نشاطاتها واحتفالاتها، وبلغ عدد المبتعثين قبيل الثورة حوالي ألفا وخمسمائة⁽⁷⁾.

ب- البعثات المغربية:

(1) البصائر، ع 131 (1950-9-18)، ص 1، آثار إبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 358. وج 4 ص 170.

(2) البصائر، فاطمة كاهية: "نداء في سبيل نهضة المرأة المسلمة"، ع 20 (1948-1-19)، ص 2.

(3) البصائر، ع 191 (1952-5-26)، وكان افتتاحها يوم (1952-5-11). مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان، مرجع سابق، ص 414.

(4) البصائر، ع 226 (1953-4-17)، ص 2، 7.

(5) محمد الصالح الجابري، التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، ص 37. آثار إبراهيمي، ج 2 ص 24.

(6) البصائر، ع 76 (1948-4-18)، ص 2، ورأسها رابح بونار، وكاتبا العام محمد إبراهيمي.

(7) ومن ذلك رسالته للطلبة الجزائريين في إحياء الذكرى السابعة لوفاة ابن باديس في (أفريل 1947)، انظر آثار إبراهيمي، ج 2 ص 152، وج 4 ص 179، كما أصدرت مجلة "الثمرة الثانية" سنة (1948)، انظر تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 275.

أرسلت الجمعية بعضا من طلبتها للدراسة في المغرب، وخاصة القرويين الذي سبق أنه تخرج منه الشيخ العباس بن الشيخ الحسين، ومن المعروف أن القرويين كان مقصدا لطلبة الغرب الجزائري، وتغلب عليه التقاليد الطرقية، خاصة وأنه موجود في فاس معقل الطريقتين الكتانية والتجانية، ولذلك راعت الجمعية هذه الاعتبارات، فكانت أكثر بعثاتها زيتونية أو مشرقية، وعلى الرغم من ذلك كان بعض الطلبة يقصدون القرويين وبلغ عددهم مائتي طالب، وقد وقع حادث أليم، وهو انهيار دار قديمة البناء عليهم في فاس شتاء (1950)، وكتب الإبراهيمي في الثناء على آل السبتي الذين تكرموا بدار جديدة للطلبة الجزائريين⁽¹⁾.

ج- البعثات المشرقية العلمية:

تعود الفكرة إلى ابن باديس الذي أوفد الورثلاني لمصر بعد نجاحه في فرنسا، وأعلن أنه رئيس بعثتها الموجهة للأزهر، حيث التحق بالأزهر، وحصل على العالمية، ومعه علاوة الجيجلي، وقد ارتبط الورثلاني بحركة لإخوان المسلمين⁽²⁾، ثم تعثر أمر البعثات العلمية بسبب الحرب الثانية، ثم جاءت هذه المرحلة الجديدة التي حاولت جمعية العلماء تجسيدها بعد نجاح التجربة في تونس واستقبال جامع الزيتونة لعشرات الطلبة الجزائريين بها⁽³⁾، وسعى البشير الإبراهيمي بعد رحلته للمشرق إلى تجسير العلاقات بالجامعات المصرية، ولكن أحوال مصر السياسية والتدخل البريطاني والعرقلة الفرنسية حالت دون التجسيد الكامل للمشروع، الذي استدرسته جبهة التحرير بعد ذلك بإيفاد عشرات الطلبة للتكوين في الجامعات المصرية حتى يكونوا إطارات التعليم بعد الاستقلال، ومن هؤلاء أبو القاسم سعد الله، ومولود قاسم وغيرهم كثير ممن بنوا جزائر الاستقلال.

والمهم أن هذه الإبراهيمي حمل عبئ المهمة لساحريته وشخصيته الفذة، وكان بعض طلبة المعهد ابن باديس قد التحقوا بالجامعات المصرية بداية الخمسينيات ثم السورية والعراقية وحتى السعودية، ويمكن رصد تطور الأمر كالاتي:

(1952): الدفعة الأولى لمصر وبلغت 25 طالبا وطالبة واحدة هي زوجة أحدهم.

(1953): بلغ عدد المبتعثين إلى تونس والمغرب حوالي (1200 طالب)، وقد اقتصرت الجمعية دارين بتونس لإسكانهم ومركزا لجمعية الطلبة⁽⁴⁾، وكان عدد الأفواج ثلاثة أفواج إلى مصر وسوريا والعراق⁽⁵⁾.

(1) البصائر، عبد الوهاب بمنصور "وفاجعة ثانية"، ع 101 (1950-1-2)، ص 2. البصائر، ع 104 (1950-1-23)، ص 7. البصائر، ع 109 (1950-2-27)، ص 2، آثار الإبراهيمي، "أثارة من أعمال رابح الفرقاني"، ج 4 ص 179.

(2) البصائر، ع 8 (1947-9-26)، ص 3، الجزائر الثائرة، ص 6. مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان، مرجع سابق، ص 313. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3 ص 258.

(3) عن الزيتونيين انظر خير الدين شترة: إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية (1900-1939)، الجزائر، دار البصائر، 2009، ص 199. الجابري محمد صالح، النشاط العلمي للمهاجرين الجزائريين بتونس، مرجع سابق، ص 37.

(4) آثار الإبراهيمي، ج 2 ص 24. البصائر، مقال "محمد خطاب"، ع 86 (1947-7-11)، ص 2.

(5) مذكرات خير الدين، مرجع سابق، ج 1 ص 232.

(1954): شرع في الإعداد لإرسال أزيد من مائة وثلاثين طالبا، ولكن ظروف الثورة حالت دون هذه المهمة الرسمية⁽¹⁾. وقد احتفت الجمعية بالخريجين من الجامعات المصرية كالدكتور أبو مدين مول السهول الشافعي الذي حصل على الماجستير والدكتوراه في علم النفس من جامعة القاهرة⁽²⁾.

المطلب الثالث: الوسائل المادية والتنظيمية لنشاط الإصلاحيين.

1-الوسائل المادية:

أ- المركز العام للجمعية: وذلك بشراء مقرر جديد في العاصمة في القصبة، بعد استئثار العقبي وجماعته بنادي الترقى، وذلك سنة (1946)⁽³⁾.

ب- شراء مطبعة البصائر: حيث اشترى آلة تصفيف بغية الاستغناء عن المطابع الفرنسية، وقد نوه الإبراهيمي بالمطبعة في البصائر، ودعا إلى الاكتتاب بشراء كل لواحقها، وتبرع هو بثلاثين ألف فرنك⁽⁴⁾. وأسهم الإصلاحيون في تأسيس مطبعة ابن خلدون بتلمسان مع الجيلالي شلبي والحسن البغدادي⁽⁵⁾.

ج- المطبوعات: تعددت مطبوعات الجمعية وتنوعت، ومن ذلك ما يأتي:

-تقرير مرفوع من مجلس إدارة الجمعية إلى الحكومة الجزائرية، طبع بالمطبعة الإسلامية (أوت 1944)⁽⁶⁾.

-مجالس التذكير من كلام العليم الخبير، طبع بالمطبعة الإسلامية بقسنطينة سنة (1948)، وقد جردها أحمد بوشمال من المقدمات الثانوية في الشهاب، وطبعت في الذكرى الثامنة لوفاة ابن باديس، وقرظه الإبراهيمي⁽⁷⁾.

- أبو يعلى الزواوي: جماعة المسلمين، طبعه بتونس سنة (1948)، ودعا فيه إلى إحياء جماعة المسلمين في كل بلد وقرية للقيام بالمهام الدينية والقضائية بعد الحرب على القضاء وتعطيل الشريعة، وقد قرظه العقبي⁽⁸⁾.

- كتاب مقاصد القرآن الكريم لمحمد الصالح الصديق، وطبع بالمطبعة العربية بالجزائر سنة (1954)⁽⁹⁾.

- جغرافية القطر الجزائري: توفيق المدني، سنة (1948)، وكان مقررا على مدارس الجمعية⁽¹⁰⁾.

(1) حماني، نفسه، ج 2 ص 299.

(2) البصائر، ع 5 (5-9-1947)، ص 3، والمقال لمحمد الإبراهيمي. والشافعي (1921-1958) من منتسبي دار الحديث، وله بعض المقالات بالشهاب والبصائر، وبمجلة العبقريّة لبن منصور، وخلف دراسات عديدة في علم النفس، توفي بالقاهرة مقتولا في عيادته رحمه الله، انظر مولود عويمر، "عالم النفس الجزائري المغمور أبو مدين الشافعي"، موقع ابن باديس، (21-12-13)، <https://binbadis.net/archives/797>

(3) البصائر، ع 54 (25-10-1948)، ص 1، وفي العدد نفسه قصيدة أحمد سحنون "بوركت يا دار"، ص 7. وانظر آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 24. مريوش، الشيخ الطيب العقبي، مرجع سابق، ص 272.

(4) البصائر، ع 283 (3-9-1954)، ص 1. آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 4 ص 324. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 312.

(5) بدأت المطبعة نهاية الثلاثينيات واستمرت. انظر مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان، مرجع سابق، ص 273.

(6) آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 138.

(7) البصائر، ع 51 (27-9-1948)، ص 1، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 249.

(8) أبو يعلى الزواوي، جماعة المسلمين. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7 ص 175. أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 2 ص 147. من أعلام الإصلاح في الجزائر، 1 ص 70.

(9) البصائر، ع 359 (23-3-1956)، 4. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 33. وطبع بقسنطينة سنة (1982).

(10) من أعلام الإصلاح في الجزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 99. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 420.

- كتاب "نقرأ ونكتب" من تأليف المولود طياب والطاهر بكاري المدرسين بمدرسة سالم باي بالعاصمة⁽¹⁾.
 - كتاب "محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث"، لأبي القاسم سعد الله، وصدره البشير الإبراهيمي، وطبع بمكتبة المعارف بالقاهرة سنة (1961).
 واحتفت الجمعية بالمنشورات الإسلامية ككتاب الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي الذي كتب عنه باعزیز بن عمر⁽²⁾. وكتاب شروط النهضة الذي كتب عنه أحمد بوزید قصيبة، وعقد له مجلس لمدارسته ومناقشة أفكاره بالعاصمة⁽³⁾.

2- الوسائل الأدبية والمعنوية:

أ- إحياء المناسبات الدينية والوطنية: مثل المولد النبوي حيث كانت تقام الأحفال، وتدبج المقالات⁽⁴⁾، وكذلك ذكرى غزوة بدر⁽⁵⁾، ورمضان الذي كانت الجمعية تنتدب له جملة من مدرسيها لإحياء لياليه⁽⁶⁾، واستمرت الجمعية في خطة السياحات الدعوية حيث نظمت في الصوائف وفودها للوعظ في العملات الثلاث⁽⁷⁾.

ب- المناسبات العزائية والأربعينيات: أحيا الإصلاحيون ذكريات الزعماء ورجال الجزائر مثل:
 - وفاة ابن باديس: اعتادت الشعب إحياء ذكرى وفاته بأحفال ومسابقات، ومناشط، وخطب وأشعار.
 - الملي: كانت الجمعية تقيم أحفالا لذكراه وبلائه في الحركة الإصلاحية، وممن كتب عنه الإبراهيمي⁽⁸⁾.
 - وفاة علي الحمامي⁽⁹⁾: السياسي الأديب صاحب رواية "إدريس رواية شمال إفريقية" الناقدة للاستعمار، والتي طبعت بمصر، وقدم لها الأمير عبد الكريم الخطابي، فبعدما قضى في حادثة طائرة باكستان (12 ديسمبر 1949)، أعيد جثمانه للجزائر، وكان تأبينه والاحتفال به كبيرا من قبل الجمعية، بحكم كونه مناصرا للإصلاح، ومن المهاجرين عن أرض المظالم، وقد أبته باعزیز بن عمر، وكتب عنه الإبراهيمي⁽¹⁰⁾.

(1) البصائر، ع 109 (2-27-1950)، ص 8. آثار الإبراهيمي، ج 2 ص 338.

(2) البصائر، ع 2 (1-8-1947)، ص 6. ونشر بن نبي بالبصائر مقالا عن ميلاد المسيح، ع 66 (7-2-49)، ص 8. وفي العدد 220 كتب بن نبي مقالا "في طريق ظهور مدينة"، (3-6-1952)، ص 6. ع 224 (3-4-53)، ص 5.

(3) البصائر، ع 72 (21-3-1947)، ص 7. ع 74 (4-4-1949)، ص 6.

(4) البصائر، ع 114 (3-4-1950)، ص 1، آثار الإبراهيمي، ج 2 ص 341.

(5) البصائر، ع 87 (18-7-1949)، ص 2. آثار الإبراهيمي، ج 2 ص 296. (ذكرى بدر في 17 رمضان 1368هـ).

(6) البصائر، ع 122 (5-6-1950)، ص 2، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 347.

(7) البصائر، ع 8 (26-9-1947)، ص 7.

(8) أصدرت البصائر عددا خاصا عن الملي كتب فيه الإبراهيمي، وأبو زيد قصيبة، والمدني، وعلي مرحوم، وأحمد سحنون، ع 26 (8-3-1948)، آثار الإبراهيمي، ج 2 ص 183. وع 109 (2-27-1950)، آثار الإبراهيمي، ج 3 ص 574.

(9) علي الحمامي، ولد بعين الحمام سنة (1092)، ونشأ بتيارت وبها تعلم، حج سنة (1922) وانتسب لشركة بحرية، ودرس هناك، ثم ارتحل للمشرق، وشارك في ثورة الريف، والتقى زعماء كثر، ودرّس ببغداد عشر سنوات، انتسب لمكتب المغرب العربي، وشارك في المؤتمر الإسلامي الاقتصادي بباكستان، توفي بعد العودة في حادثة طائرة في (12 ديسمبر 1942). انظر معجم أعلام الجزائر ص 240. مجلة الثقافة الجزائرية، العدد 42. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 8 ص 181. أعلام من المغرب العربي، ج 1 ص 295. وقد عرب رواية إدريس محمد الناصر النفزاوي.

(10) البصائر، ع 102 (9-1-1950)، ص 1، ع 108 (20-2-1950)، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 332-334. وانظر مولود عويمر، تراث الحركة الإصلاحية الجزائرية، مرجع سابق، ج 3 ص 259.

3-استكمال تأسيس الشعب والجمعيات المحلية.

أ- استكمال تأسيس الشعب والفروع: وذلك في النواحي والمدن التي عسر فتح فروع لها في الثلاثينيات، وبعد أن كان عدد الشعب سنة (1939) حوالي (58)، فقد بلغت سنة (1953) حوالي (300) ⁽¹⁾، ومن الشعب المؤسسة في الزيبان شعبة برج بن عزوز في (1948)، ورأسها الطاهر بن المولود، وشعبة طولقة سنة (1952) ورأسها عيسى معتوقي، وتأخرت بسبب ثقل نفوذ الزاوية العثمانية ⁽²⁾.

ب-الجمعيات المحلية: بادرت الجمعية إلى استكمال تأسيس الجمعيات المحلية، لتكون بمثابة واجهات لشعبها، كما اهتمت بتأسيس المساجد الحرة، وبرزت جمعيات عديدة للتعليم والعمل الخيري، ومن نماذج ذلك بالعاصمة:

-جمعية الفلاح ببئر خادم وبعثها محمد بن العربي الشعوي ورأسها مصطفى بن السائح، وهي عقبية الاتجاه، وأسست مدرسة افتتحت في (7-7-1947) وحضر الابراهيمى والعقبي والمدني ذلك ⁽³⁾.

-جمعية الصادقية بسالم باي (1941) برئاسة ابن الزين وراجلي، ثم أحمد الياجوري ⁽⁴⁾.

- جمعية نهضة المرأة المسلمة للسيدة فطومة بالمرادية، وهي من ثمار جمعية مدرسة التربية والتعليم بالمرادية ⁽⁵⁾.

3-النوادي الشبابية:

وهي التي يقول الابراهيمى في أهميتها: "النوادي الإسلامية التي نؤسسها ونشرف عليها هي وسط بين المدرسة وبين الجامع، لأن هناك طائفة عظيمة من شباب الأمة لا تجد الجمعية وسيلة لتبليغهم دعوة الحق والعلم إلا في تلك النوادي" ⁽⁶⁾، ولذلك كانت النوادي أماكن لاستقطاب الشباب لما توفره من ملحقات وفضاءات مختلفة للعب والترفيه ⁽⁷⁾ عكس النمط المنضبط في الجمعيات والمدارس، ولذلك قامت الجمعية بإحياء النوادي القديمة وتأسيس أخرى، ودعم أخرى قريبة من الإصلاح، إضافة إلى عشرات النوادي التهديبية والشبابية ⁽⁸⁾، والتي ظلت ممنوعة من بيع المشروبات بقرار سار منذ الثلاثينيات، وقد استغرب الإبراهيمى من هذه القرارات الجائرة الخانقة للحركة الشبابية، يقول: "إن وضعية النوادي تعتمد على دخل مالي خاص من المشروبات المباحة التي تباع فيها، فكان من حلقات تلك السلسلة الموضوعة لتطويق التعليم العربي من جميع نواحيه، ذلك القرار الغريب الذي يمنع بيع المشروبات المباحة في النوادي، ونتيجته هي إفقار النوادي من روادها، لعدم

(1) آثار الإبراهيمي، ج 2 ص 25. مذكرة إيضاحية، ج 4 ص 161. مقدمة سعد الله لكتاب مازن صلاح المطبقاني، مرجع سابق، ج 10.

(2) قوبع، مرجع سابق، ص 276. المجلة الخلدونية، ع 4 (مارس 2005)، ص 26.

(3) البصائر، عمر العرباوي "تدشين مدرسة بئر الخادم"، ع 83 (13-6-1949)، ص 7. فضلاء، نفسه، ج 2 ص 79.

(4) فضلاء، مرجع سابق، ج 2 ص 91.

(5) فضلاء، المسيرة الرائدة، نفسه، ج 2 ص 96.

(6) قوبع، مرجع سابق، ص 278.

(7) علي مراد، الحركة الإصلاحية، مرجع سابق، ص 378. تركي، التعليم القومي، مرجع سابق، ص 223.

(8) البصائر، ع 46 (23-8-1948)، ص 2، آثار الإبراهيمي، ج 2 ص 234.

ما يجذبهم إليها، وما يحبهم فيها، وجمعية العلماء تعد ذلك القرار في غايته ملحقا بالقرارات الموضوعية للتضييق على التعليم العربي"⁽¹⁾، ومن نماذج النوادي الناشطة:

أ- العاصمة: النادي الإسلامي ببلكور، ونادي الإحسان بالأربعاء بني موسى (1942) ومن ناشطيه: الطاهر كركار، سيد أحمد بلزرق، امحمد الباعوني، وتوقف سنتي (1948-1950) "لاضطرابات حزبية وأطماع طرقية ورعونة استعمارية"⁽²⁾.

ب- الزيبان: مثل نادي الهدى في القنطرة (1932)، ونادي السعادة في القنطرة (1934)، وأغلق سنة (1937)، وخلفه نادي الثبات، وفي جمورة نادي التوفيق (نوفمبر 1937)، ونادي التقدم في منعة (نوفمبر 1937) ونادي الاهتداء في غسيرة⁽³⁾.

4- الفرق الفنية:

وخاصة الأناشيد والمسرح التي انطلقت بقوة في الأربعينيات بسبب انتظام مدارس جمعية العلماء واستقرارها، ومن تلك الفرق فرقة مسرح الكوكب التلمساني التي أسسها محمد بابا أحمد تلميذ دار الحديث بتلمسان⁽⁴⁾، وفي الزيبان فرقة "الاتحاد" لعلي مرحوم وغيرها، والتي قدمت مسرحيات "حنبل، بلال بن رباح، صلاح الدين الأيوبي"⁽⁵⁾، وبعض المسرحيات التي انتقدت الواقع المتخلف في بعض الممارسات الطرقية، والملاحظ أن هذه المسرحيات استهدفت إحياء التاريخ الإسلامي واللغة العربية، ومن المعلوم أن الأديب رضا حوحو زود كثيرا من الفرق بأناشيده ومسرحياته وقصصه القصيرة⁽⁶⁾. وأما الأناشيد الرائجة فهي التي ألفها محمد بن العابد الجلالي، ومصطفى بن رحمون، ومحمد الصالح رمضان، فضلا عن أناشيد آل خليفة.

ومن مناشط هذه الفرق والنوادي استقبال الفرق المشرقية مثل فرقة يوسف وهبي المسرحية، التي زارت الجزائر قبيل الثورة التحريرية في صائفة (1954) وكان ليوسف وهبي معجبون كثر في الجزائر، وله تلاميذ مثل محمد الطاهر فضلاء، وقامت الفرقة بأول عرض مسرحي لها بالمسرح البلدي بالجزائر في (11 جوان 1954) وقدمت الفرقة المسرحيات الآتية: (راسبوتين، بيومي أفندي، زوجاتنا، الشيطان، بنات الريف، أولاد الشوارع، المائدة الخضراء، أسرار القصور)، وقام الشاعر الأخضر السائحي بإلقاء قصيدة في حفل تكريمي للفرقة بعنوان "تحية للجزائر وضيوفا"، واستقبلتها أيضا مدرسة وجمعية الفلاح وهران⁽⁷⁾

(1) البصائر ع 1 (25-7-1947)، ص 3، آثار الإبراهيمي، ج 3 ص 51، وج 4 ص 174.

(2) فضلاء، مرجع سابق، ج 2 ص 115

(3) قوبع، نفسه، ص 279. وانظر عبد الحميد زوزو، الأوراس، مرجع سابق، ج 2 ص 41

(4) مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان، مرجع سابق، ص 369.

(5) قوبع، نفسه، ص 281. ومن الفرق الجيدة فرقة "الشباب العقبي" لشباب المكي وهو شيوعي التوجه.

(6) خرفي، شهيد الثورة الجزائرية أحمد رضا حوحو، ص 46. قوبع، نفسه، ص 282

(7) البصائر، ع 275 (18-6-1954). تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 10 ص 647. فضلاء، مرجع سابق، ج 3 ص 55.

كما أقامت جمعية العلماء في العاصمة حفلة تكريم وشكر للفرقة المسرحية، وألقيت خطب وقصائد معبرة عن عمق العلاقات بين الجزائر ومصر⁽¹⁾. وأجرت البصائر مع يوسف وهبي حوارا مطولا عن واقع المسرح المصري، وعن التمثيل بالفصحى أو العامية، وعن موقف الأزهر من المسرح ومزاحمة السينما له. وقد ختم اللقاء الصحفي بقوله: "إن رجائي أن تسمحوا لي أن انتهز هذه الفرصة لأعبر لقراء جريدة البصائر الغراء عن عظيم شكري لكم على ما أبدىتموه من الإعجاب بمصر الشقيقة، ومن هذا الكرم العربي الأصيل الذي جعلنا نشعر أننا في بلادنا وبيوتنا، وسنعود قريبا إلى مصر فنخبر المصريين أن الأمة الجزائرية أمة متمسكة بتقاليدها، وأن شعبها راق عظيم الإيمان بدينه، شديد التمسك برابطته"⁽²⁾.

كما ضببت الجمعية ميزانية أحفائها، واشترطت أن يكون فيها طعام واحد (الكسكس واللحم)، وربما كان بعض الأغنياء يضيقون بذلك ويريدون المبالغة في الاحتفاء، كما حصل مع ابن باديس في باتنة مثلا⁽³⁾.

المطلب الرابع: الأعمال التنظيمية للجمعية:

1- تعديل القانون الأساسي:

بعد أول اجتماع تام النصاب للمكتب الإداري في (1943)، أي بعد الإفراج عن الإبراهيمي، بدأت الإصلاحات التنظيمية التي خطط لها الإمام في منفاه لتفادي أخطاء الثلاثينيات، وتعثرت بسبب الحرب، ولكنها عادت للظهور بعد ذلك، وتمثل ذلك في الآتي:

- توسيع المكتب الإداري الذي يتكون من سبعة وعشرين عضوا، وتوزيع أعمال الجمعية على لجان، مثل لجنة التعليم العليا، لجنة الفتيا الدينية، لجنة الوعظ والإرشاد، لجنة المراقبة العامة، لجنة الدعاية، لجنة البصائر، لجنة المالية العامة، لجنة البعث إلى الخارج، لجنة لاتصال بالشعب، لجنة الاتصال بالجمعيات المحلية بالمدارس.

- المكتب الدائم، وهو تنفيذي، وتم استحداث نائبين للرئيس، وثلاثة للكاتب العام، واثنان نائبان لأمين المال.

- رفع عدد المستشارين إلى ستة عشر، بدلا من أحد عشر.

- نظام الشعب (300): لكل مجموعة من الشعب شعبة مركزية وسيطة، وتعقد مؤتمراتها كل شهرين، ثم تعقد الشعب المركزية مؤتمرا كل ستة أشهر، ثم المؤتمر السنوي قبيل الاجتماع العام للجمعية في سبتمبر.

- استحداث مسؤولي العملات، ففي سنة (1952) عينت الجمعية العباس بن الشيخ الحسين على قسنطينة، وعلي الشرفي على الجزائر، والسعيد الزموشي على عمالة وهران، وأصدرت لائحة تنظيمية لأعمالهم وصلاحياتهم⁽⁴⁾. وهم يشكلون مجلس المسؤولين عن المقاطعات الثلاث.

- تحديد شروط العضوية في الجمعية إلى ثلاث مراتب:

(1) البصائر، ع 275 (18-06-1945)، ص 8. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 10 ص 647.

(2) عويمر مولود، تراث الحركة الإصلاحية، مرجع سابق، ج 3 ص 269.

(3) رحلات جزائرية، الورثاني، رحلة وفد الجمعية بعمالة قسنطينة، ج 2 ص 212. فضلاء، نفسه، ج 3 ص 71.

(4) البصائر، ع 180 (14-1-1952)، ص 3. آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 456، وج 4 ص 165.

العاملون	المؤيدون	الأنصار
من لهم قيمة علمية تؤهلهم للتسجيل في قوائم الانتخاب	الملتزمون بدفع الاشتراك، ولا حق لهم في الانتخاب	الأتباع العاملون المؤيدون لمبدأ الإصلاح المناصرون لها

- عقد الاجتماع السنوي العام في سينما "دنيازاد" وتحديد الحضور ب (600) منتدب من الشعب بسبب تعذر الحصول على قاعة كبيرة، وذلك في يوم (30-9-1951)، وهو ما يدل على التطور التنظيمي الكبير.

- استحداث لقب الرئيس الشرفي للجمعية ومنحه لعلماء غير جزائريين، وذلك بغاية الامتداد وكسب مساحات جديدة، وإظهار قوة الجمعية، ومن العلماء الذين اختارهم الجمعية كل من⁽¹⁾:

المغرب	تونس	مصر	فلسطين	لبنان	سوريا	الحجاز	العراق	باكستان
محمد بن العربي العلوي، أحمد بن محمد التجاني	عبد العزيز جعيط	عبد اللطيف دراز	محمد أمين الحسيني	عبد القادر المغربي	محمد بهجت البيطار	محمد نصيف	تقي الدين الهلالي	مسعود الندوي

2- العمل في فرنسا:

استعادت الجمعية عملها في فرنسا بعد الحرب الثانية بين العمال والطلبة في مدارس ونوادي التهذيب بها، وتشكلت بعثتها التعليمية والدعوية من رجال كبار أمثال: الربيع بوشامة، سعيد البيباني، عبد الرحمان اليعلاوي (الجزائري التونسي)، وغيرهم، وكان الورثاني وإسماعيل العربي قد هاجرا إلى المشرق، وقد جدّد الإبراهيمي والتبسي في رحلتهما شتاء (1951) شعب الجمعية ونشاطها بباريس وليل وغيرهما⁽²⁾.

3- فتح مكتب القاهرة:

تأسس سنة (1950) ليكون سفيرا للأمة الجزائرية، وضمّ كلا من الورثاني، والإبراهيمي فيما بعد، وأشرف على العلاقات وشؤون الطلبة المبتعثين⁽³⁾.

4- الزيارات الميدانية:

وهي الزيارات والجولات التي كان الإبراهيمي يقوم بها متفقدا شعب ومدارس الجمعية، وقد أخذت منه الكثير، وأنهكت صحته، حتى اضطر لتعيين مساعد له ينوب عنه وله كامل الصلاحيات، وهو الشيخ العباس بن الشيخ الحسين⁽⁴⁾، إذ كان الإبراهيمي لا يكاد ينزل من سيارته يجوب العملات الثلاث، ومن ذلك السياحة الطويلة التي انتهت بالأغواط، وغيرها كما جاء في وصفها: "قسنطينة، سمندو، عزابة، مزغيش، عين قشرة، الميلية، الشقفة، أولاد علال، جيجل، القارم، شاطودان، العلمة، سطيف، حضنة أولاد دراج، برج بوعريج، وهناك جاء العمل الحازم، ورجع عزم الأستاذ إلى الصول، ونشط لسانه إلى القول، واستهل سلسلة أحاديثه ودروسه بخطبة في الاحتفال بختم دروس معهد عبد الحميد ابن باديس بقسنطينة، وبحديث في

(1) البصائر، ع 170 (1951-9-17)، ع 172-173 (1951-10-15)، ص 8.

(2) البصائر، ع 136 (1951-1-8)، ص 2، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 372. حماني، مرجع سابق، ج 2 ص 298.

(3) البصائر، ع 172-173 (1951-10-15)، ص 5، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 443.

(4) البصائر، ع 136 (1951-1-8)، ص 2، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 374.

مؤتمر شعب جمعية العلماء بعمالة قسنطينة كما تكلم في غالب البلدان السالفة الذكر، ثم سافر إلى الجزائر، وما مكث عند أهله إلا ثلاث ساعات سافر بعدها إلى المدية، وألقى فيها درساً بالجامع الجديد، ومنها إلى الأغواط..⁽¹⁾

ومن ذلك أيضاً الزيارات الصيفية في شهري أوت وسبتمبر لعلماء الجمعية، وكذلك في شهر رمضان في مختلف ربوع القطر لنشر الوعي والوعظ الديني، وكانت البصائر تنشر أسماء هذه الوفود وأماكن توزيعها وتاريخ مناشطها⁽²⁾. ولأجل ذلك اعتبر آجرون تلك الوفود بمثابة "وفود سياسية دينية"⁽³⁾ لما كان لها من الخطر الكبير في نشر الوعي وبث اليقظة، ومنها زيارة التبسي لبسكرة وهو رئيس الجمعية بالنيابة في (13-12-1952)⁽⁴⁾.

5- المرافعات القانونية والاحتجاجات:

مع انفتاح العمل السياسي والحقوق بعد دستور الجزائر (1947) ترفع الإصلاحيون في عديد القضايا للدفاع عن رجالهم ومدارسهم وقضاياهم، ومن ذلك برقيات الاحتجاج الموجهة للجهات الإدارية والقضائية، كما فعلوا فيما يلي:

- احتجاز واستنطاق الشيخين محمد الشبوكي وكامل الحناشي أثناء زيارتهما لعنابة، ومن بعدهما فرحات بن العابد ورضا حوحو، وفي ذلك كتب الإبراهيمي مندداً "أفي كل قرية حاكم بأمره"⁽⁵⁾، ومرافعة الجمعية والمحامي ساطور ضد توقيف محمد الأكل شرفاء مدير مدرسة "إغيل بيلف" بأقبو⁽⁶⁾، وكذا الاحتجاج على معاقبة دوار اسطح بتبسة بسبب فرار جندي، وهو ما كتب عنه الدكتور خالدي صديق مالك بن نبي⁽⁷⁾.
- برقية احتجاج ضد محافظ شرطة تبسة الذي أساء معاملة الشيخ "عيسى سلطاني" وسامه العذاب⁽⁸⁾.

6- العمل الإغاثي والاجتماعي:

وذلك بتحريض الشعب وتحشيدته للوقوف والتضامن في الكوارث الوطنية في مثل فيضانات الشريعة بتبسة التي هلك فيه ما يزيد عن المائة، فضلاً عن الخسائر في الأرزاق⁽⁹⁾، وانفجار مستودعات الذخائر بالأغواط⁽¹⁰⁾، وفي زلزال الأصنام أيضاً سنة (1953)⁽¹⁾.

(1) البصائر، ع 85 (4-7-1949)، ص 3، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 296.

(2) البصائر، مقال "دروس الوعظ في رمضان"، ع 156 (21-5-1951)، ص 2، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 3 ص 285.

وع 190 (19-5-1952)، ص 2. ع 228 (8-5-1953)، ص 3. ع 314 (15-4-1955)، ص 7.

(3) CH. R. Ageron. Histoire de L'Algérie Contemporaine. Paris. P.U.F.T2.1979 P582

(4) البصائر، سليمان الصيد: "بسكرة تستقبل قادة الأمة"، ع 211 (26-12-1952)، ص 5.

(5) البصائر ع 50 (20-9-1948)، ص 1، آثار الإبراهيمي، ج 3 ص 338، وكذلك الاحتجاج على حاكم مايو "مشدالة" في مقال "دكتاتور مايو ومنع التعليم، انظر البصائر، ع 22 (9-2-1948)، ص 3.

(6) البصائر، ع 104 (23-1-1950)، ص 8. فضلاء، المسيرة الرائدة، ج 1 ص 233.

(7) البصائر، ع 12 (27-10-1947)، ص 2. وانظر عن "دوار اسطح" بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين، مرجع سابق، ج 2 ص 90.

(8) البصائر، ع 94 (7-11-1949)، ص 2، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 327.

(9) البصائر، نكبة الشريعة، ع 28 (22-3-1948)، ص 2، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 187.

(10) البصائر، ع 51 (27-9-1948)، ص 1، آثار الإبراهيمي، ج 2 ص 243.

7- تجمعات ومؤتمرات الإصلاحيين:

أقام الإصلاحيون عديد النشاط في نهاية الأربعينيات ومقتبل الخمسينيات بين مؤتمرات وملتقيات وتحالفات وفعاليات مستقلة أو مشتركة مع غيرهم من الكتل السياسية، ومنها ما يأتي:

- المؤتمر الأول العام للجمعية بعد الحرب الثانية بسينما الماجستيك بباب الوادي في (21-7-1946) ⁽²⁾.

- المؤتمر العام للمعلمين الجزائريين الأحرار في (1-9-1946) بالعاصمة ودام ستة أيام ⁽³⁾.

- مؤتمر شعب عمالة قسنطينة بمعهد ابن باديس في (6 ماي 1948)، ورأسه الإبراهيمي، وأشاد بجهود المعهد الذي ضمن الغذاء والمأوى والمنحة لطلبة المعهد، في حين عجزت الزيتونة رغم أحبابها عن مثل ذلك ⁽⁴⁾.

- مؤتمر شعب عمالة وهران الذي انعقد بمدرسة الفلاح يوم (28-5-1948) ورأسه محمد خير الدين ⁽⁵⁾.

- المؤتمر العام لجمعية في صائفة (1951) في سنما دنيا زاد، وحضره ممثلو الأحزاب والصحافة ⁽⁶⁾.

- لجنة التعليم أقامت ثلاث مؤتمرات جهوية، الأول لمعلمي عمالة الجزائر يوم (11-5-1952)، وعمالة وهران في دار الحديث بتلمسان في (15-5-1952) وعمالة قسنطينة في (17-5-1952) بمعهد ابن باديس ⁽⁷⁾.

المطلب الخامس: الوسائل الإعلامية للجمعية:

1- البصائر: السلسلة الثانية: أهم جريدة على الإطلاق، وصدر عددها الأول في السلسلة الثانية في (25-11-1947)، واستمرت إلى غاية (6-4-1956) وصدر منها (366 عددا)، وتناولت أهم القضايا كالتعليم وفصل الدين عن الحكومة وقضية فلسطين، والانتخابات ومدارس الجمعية، وفيها كتب الإبراهيمي عيونه الماتعة، والتي كانت شامة في عالم البلاغة العربية، واعتبرها الإبراهيمي صوت الجزائر الذي وصل إلى المشرق وحتى إلى الأمريكيتين الوسطى والجنوبية ⁽⁸⁾، وفتحت أبوابها للأقلام الجزائرية والمشرقية، حيث كتب فيها سيد قطب ⁽⁹⁾.

2- جريدة الشعلة: أصدرها رضا حوحو في الفترة (15-12-1949- حتى 2-8-1951) ⁽¹⁰⁾، وصدر منها (54 عددا، وكتب فيها حماني، وبوشمال، ونويوات الأحمد، وعبد الرحمان شيبان، ووصفها علي مرحوم: "كانت

(1) البصائر، ع 287 (1-10-1954)، ص 1.

(2) حماني، نفسه، ج 2 ص 294، ويجعل المؤتمر في سبتمبر/العقون، الكفاح القومي السياسي، مرجع سابق، ج 2 ص 386.

(3) فضلاء، المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر، ج 2 ص 14.

(4) البصائر، ع 37 (31-5-1948)، ص 2. ع 38 (7-6-1948)، ص 2، وكان الإبراهيمي يستدين الأموال للمعهد باسمه الشخصي.

(5) البصائر، ع 39 (14-6-1948)، ص 2-3.

(6) جريدة المنار، ع 7 (15-8-1951).

(7) فضلاء، المسيرة الرائدة، نفسه، ج 2 ص 17.

(8) البصائر، ع 136 (8-1-1951)، ص 1. أثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 366. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5 ص 271. ورغم ذلك شكى الإبراهيمي بأنها لا تتعطل بتعطيل الحكومة، وإنما بعجز الأمة عن دعمها. البصائر، ع 37 (31-5-1948)، ص 2.

(9) البصائر، مقال سيد قطب "كفاح الجزائر"، ع 214 (23-1-1953) ص 1، أثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 4 ص 152.

(10) ناصر، الصحف العربية، نفسه، ص 264. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5 ص 272.

توالي الحركة الإصلاحية والعلمية، وتتعقب بالنقد اللاذع أذنان الاستعمار وأعوانه، ونشاط بعض محترفي السياسة، وتجد في كشف أساليب الدوائر الاستعمارية⁽¹⁾، وقد دخلت في مهاترات مع العقبي وأنصاره.

3-مجلة إفريقيا الشمالية: أسسها إسماعيل العربي، واهتمت بالتاريخ والتربية، وقد قرضتها البصائر وتمنت لها التوفيق، ولكنها لم يصدر منها إلا بضعة أعداد⁽²⁾.

4- مجلة العبقريّة: أصدرها عبد الوهاب بنمنصور بتلمسان (1947)، ولم يصدر منها سوى (4) أعداد⁽³⁾.

5- الشباب المسلم: تأسست من قبل نخبة من شباب الجامعة الجزائرية، وخاصة أحمد طالب الإبراهيمي الذي عرض الفكرة على التبسي وخير الدين والمدني⁽⁴⁾، وصدر أول عدد منها في (6-6-1952)، ورأس تحريرها عطاء الله سوفاري، وكان من محرريها علي مراد⁽⁵⁾، والهاشي التجاني، محمد الشريف ساحلي، مالك بن نبي، مصطفى الأشرف، عبد العزيز خالدي، مصطفى الأسمر، محمد لبجاوي، رضا مالك، وتوقفت بعد (36 عدد) متقطعة في (24-7-54)، وتناولت مختلف القضايا الوطنية وعرفت بالمنتج الأدبي، ووجدت صدى لدى النخبة الفرنكوفونية.

6- مجلة الحياة: عن الكشافة الإسلامية، وكانت فيها أناشيد لمحمد العيد ومحمد الصالح رمضان⁽⁶⁾. وحسب علي مرحوم فقد أصدرت جامعة الكشافة الإسلامية نشرية خاصة ظهر عددها لأول في (20-9-1947)، ولكنها لم تستمر، بسبب الخلاف الذي دب بين قياداتها⁽⁷⁾، وربما يكون الأمر تلك الانقسامات التي تسبب فيها التيار العقبي.

7- جريدة المنار (1951)⁽⁸⁾: أسسها محمود بوزوز الوطني الإصلاحي، ونشر فيها الجميع، وكانت مهتمة بالأحداث الوطنية وخاصة قضية اتحاد الأحزاب والجمعيات، واهتمت أيضا بالقضايا الدولية.

المطلب السادس: الاهتمامات العامة للإصلاحيين في الأربعينيات.

(1) مرحوم، نظرة عن تاريخ الصحافة العربية الجزائرية، مجلة الثقافة، ع 42، ص 37. ناصر، مرجع سابق، ص 264.

(2) البصائر، ع 46 (23-8-1948)، ص 8، آثار الإبراهيمي، ج 2 ص 238. وصدر منها أربعة أعداد وكانت تمزج بين اتجاه حركة الانتصار والإصلاح، انظر علي مرحوم، "نظرة على تاريخ الصحافة العربية الجزائرية"، مجلة الثقافة، ع 42، ص 39. محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، مرجع سابق، ص 261. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 275.

(3) علي مرحوم، "نظرة على تاريخ الصحافة العربية الجزائرية"، مجلة الثقافة، ع 42، ص 39. مرتاض عبد المالك، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر، ج 2 ص 282. محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، ص 261. وين منصور المولود بفاس (1920-2008) وفد إلى تلمسان أيام الحرب الثانية، والتحق بالقسم العالي لدار الحديث الذي كان سنوات (1943-1946) بإشراف الإبراهيمي، وأشرف على مدرسة عبد المؤمن بن علي بندرومة حتى (1956) انظر مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان، مرجع سابق، ص 447.

(4) أحمد طالب الإبراهيمي، مذكرات جزائري، أحلام ومحن (1932-1962)، الجزائر، دار القصة، 2006، ص 70.

(5) علي مراد: ولد بالأغواط في (21-10-1930)، ودرس بمعهد الآداب بجامعة الجزائر ثم في فرنسا حيث نال الدكتوراه في (1968)، وأطر عديد الدراسات الأكاديمية، وكان يحرر في الشباب المسلم باسم "أبو جميل طه" ركن "في ضوء القرآن والحديث" له: الحركة الإصلاحية في الجزائر، ابن باديس مفسرا، الإسلام المعاصر، توفي (2017).

(6) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 276.

(7) علي مرحوم، "الصحافة العربية في الجزائر"، الجزائر، مجلة الثقافة، ع 46 (أغسطس-سبتمبر 1978)، ص 43.

(8) علي مرحوم، نظرة على تاريخ الصحافة العربية الجزائرية، مجلة الثقافة، ع 42، ص 38.

1- التحالفات الحزبية:

اهتم الإصلاحيون بالقضية الوطنية وأحداث الحرب الثانية وانهزام فرنسا، واشتركوا مع ممثلي حزب الشعب والنواب في "البيان الجزائري" المعبر عن طموحات الأمة في (10-2-1943) ⁽¹⁾. وتبعاً لذلك أسست الإدارة الفرنسية لجنة للإصلاحات الاجتماعية والمالية، واشترك فيها النواب والقياد، والإصلاحيون والطرقيون، فمن رجال الدين في لجنة الشؤون الاجتماعية: مصطفى القاسمي، البشير الإبراهيمي، أحمد بن زكري، والشيخ بن طكوك، ولكن أعمال هذه اللجان تعطلت بتعنت الإدارة الجديدة لديغول والحاكم الجديد "كاترو" [جوان 1943-سبتمبر 1944]، وذلك بحل المجلس المالي، ونفي فرحات عباس لأفلو ⁽²⁾.

وظل العلماء في الغالب يستنكفون عن التحالفات المباشرة في الانتخابات الموالية، ولكنهم دعموا أشخاصاً قريبين من أطاريحهم، وخاصة من البيان، إذ كانت أعمالهم التعليمية والثقافية تستنزف كل جهودهم.

2- المرافعة عن القضايا الوطنية:

بالانخراط الجزئي أو الكلي في بعض الأحداث السياسية ومن ذلك:

- المساهمة في إنجاح البيان الجزائري، في بيانه التمهيدي الأول في خريف (1942)، ووقعه عن الجمعية القاضي أحمد معيزة، مع فرحات عباس ولين دباغين والهادي مصطفىاوي وأحمد فرنسيس ⁽³⁾.
- رفض مشروع ديغول القاضي بإدماج الشعب الجزائري في فرنسا سنة (1944)، وذلك بمذكرة "تقرير إلى لجنة الإصلاحات الإسلامية بالجزائر"، وقدمه الإبراهيمي إليها في (3-1-1944) ⁽⁴⁾، ودعا إلى جنسية جزائرية، وبرلمان وحكومة تحل محل التشكيلات الاستعمارية، واعتماد العربية لغة رسمية بجانب الفرنسية، وتحرير المساجد والأوقاف، وإصلاح القضاء الإسلامي، وإطلاق يد التعليم العربي الحر.
- المشاركة في مؤتمر "أحباب البيان والحرية" أيام (2-4 مارس 1945) ⁽⁵⁾.
- الإسهام في تشكيل الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها (25-7-1951) ⁽⁶⁾.
- الدعوة إلى توحيد الأحزاب الجزائرية ⁽⁷⁾.
- رسائل عديدة للمطالبة بفصل الدين عن الدولة وتحرير المساجد والأوقاف إلى رئيس جمهورية فرنسا ⁽⁸⁾.
- الاتصال بالوفود العربية والإسلامية في مؤتمر الأمم المتحدة الذي انعقد بباريس سنة (1951) ⁽¹⁾.

(1) سعد الله، الحركة الوطنية، ج 3 ص 204. ليل الاستعمار، مرجع سابق، ص 173. ثم صدر ملحق البيان في (26-3-1943).

(2) ليل الاستعمار، ص 74. الحركة الوطنية الجزائرية، ج 3 ص 210. مريوش، الشيخ الطيب العقبي، مرجع سابق، ص 311.

(3) بن خدة، نفسه، ص 127. ودعا للإفراج عن المساجين ومصالي، ودعم فرنسا شرط الاعتراف بالاستقلال وتكوين جيش جزائري

(4) آثار الإبراهيمي، ج مرجع سابق، ص 2. 133. العقون، مرجع سابق، ج 2 ص 257

(5) العقون، الكفاح القومي السياسي، مرجع سابق، ج 2 ص 298.

(6) البصائر، ع 166 (6-8-1951)، ص 1. العقون، نفسه، ج 3 ص 164، وكان العلماء أعضاء في المجلس الإداري وهم التبسي وخير الدين وأحمد

بوشمال، وجمال سفينجة، وحدود الطاهر. انظر جريدة المنار، ع 7 (15-8-1951) ص 3.

(7) البصائر، ع 41 (21-6-1948)، ص 1. آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 209.

(8) البصائر، ع 81 (30-5-1949)، ص 1، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 3 ص 91.

- كلمة الإبراهيمي في المؤتمر الإسلامي بباكستان، والذي دعا فيه لنجدة أقطار الشمال الإفريقي، وندد فيه بجور الاستعمار: "أنا رسول العروبة والإسلام بالشمال الأفريقي إلى العروبة والإسلام المتمثلين في هذا المؤتمر، أناجيكم بأمانيه وأبتكم بعض ما هو فيه، وأشكو إليكم- فأشكو إلى السميع الواعي- ما يلقيه من عنت الظالم وبغي المستعمر، فإن لم تدركوه بنصرة الأخ ونجدة النصير وغوث الحامي، ضاع على الإسلام حصن من أمنع حصونه وعلى العروبة جزء من أهم أجزائها"⁽²⁾.

3-التواصل المغاربي.

أ- تونس: مرحلة البعثات الجماعية، وهي مرحلة حاولت جمعية العلماء تجسيدها بعد نجاح التجربة في تونس واستقبال جامع الزيتونة لعشرات الطلبة الجزائريين بها⁽³⁾، ولقيت تونس تضامنا من الجمعية في وفاة المنصف باي⁽⁴⁾، وكتبت عدة مقالاته في وطنيته، وإزراء الاستعمار به.

كما تجلى التواصل في مشاركة الإصلاحيين في النشاطات الثقافية بتونس، مثل حضور وفد من الجمعية لمؤتمر الثقافة الإسلامية الذي أقامته المدرسة الخلدونية في (سبتمبر 1949)، وقد اعتذر الإبراهيمي عن حضوره بسبب مشاغل الدخول الدراسي الجديد، وأرسل ورقة علمية للمؤتمر⁽⁵⁾.

ب- المغرب:

وذلك بالاحتفاء بالجرائد المغربية كجريدة العلم، حيث دعت البصائر إلى تضامن صحفي بالشمال الإفريقي⁽⁶⁾، ومن مظاهر تلك العلاقات زيارة حمزة بكوشة لشيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي سنة (1948)، حيث تبادلوا الأفكار حول الإصلاح⁽⁷⁾، وكان إصلاحيو المغرب يكرّرون ويردون الزيارات، وخاصة إبراهيم الكتاني الذي زار الجزائر سنة (1950)⁽⁸⁾. كما ناصر الإصلاحيون قضايا شمال إفريقيا، وبرز دورهم في التنديد بنفي

(1) البصائر، ع 183 (18-2-1951)، ص 1. آثار الإبراهيمي، ج 2 ص 464. العقون، الكفاح القومي السياسي، ج 3 ص 220. البصائر، ع 136 (2-1951)، ص 2. آثار الإبراهيمي، ج مرجع سابق، ص 371 2.

(2) آثار الإبراهيمي، ج مرجع سابق، ص 4 ص 77. والكلمة ألقاها بباكستان في (ماي 1952)

(3) انظر خير الدين شترة، إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية (1900-1939)، مرجع سابق، ص 199.

(4) البصائر، ع 49 (13-9-1948)، ص 1، آثار الإبراهيمي، ج 2 ص 242. ومقال "دمعة على المصنف" ج 3 ص 555. وقد سبق أن المنصف باي عزل عن العرش بعد أحد عشر شهرا من توليه في (13-5-1943)، ونفي إلى الأغواط ثم إلى تنس بالشلف من قبل الفرنسيين، وقد التقاه شيخ الطريقة العلوية عدة بن تونس هناك سنة (1954) وبعد انتهاء الحرب الثانية نقل إلى بوردو بفرنسا ليتوفي يوم (1-9-1948). انظر عوض الله البحيصي، من أعلام الإصلاح الديني، مرجع سابق، ص 58.

(5) البصائر، ع 90 (5-9-1949)، ص 5، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 305. وقد حضره نعيم النعيمي.

(6) البصائر، ع 8 (26-9-1947)، ص 5، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 176.

(7) حماد القباج، حياة شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي، مرجع سابق، ص 253.

(8) البصائر، ع 133 (23-10-1950)، ص 8، آثار الإبراهيمي، ج 2 ص 362. والكتاني هو محمد إبراهيم بن أحمد أبو المزايا، ولد بفاس (1905) ودرس بالقرويين، داعية إصلاحي مناصر لمذهب ابن حزم، شارك في تأسيس المدارس والصحافة الحرة، ومن رواد الحركة الوطنية المغربية، شارك في مؤتمر طلبة شمال إفريقيا بتمسان (1935)، من آثاره: سلفية الإمام مالك، طبقات المجتهدين وأعداء التقليد في الإسلام، مؤلفات ابن حزم بين أنصاره وخصومه، اختصار المزايا فيما أحدث من البدع بأم الزوايا للحافظ محمد بن عبد السلام الناصري، اختصار الدواهي الموهية للفرق المحمية لجده جعفر بن يحيى الكتاني، الدعوة إلى استقلال الفكر في الإسلام، أبو شعيب الدكالي وطلائع الحركة السلفية بالمغرب، توفي (1990).

الملك محمد الخامس، حيث أرسل مكتب القاهرة برقية احتجاج على خلع الملك محمد الخامس⁽¹⁾. وزار وفد جمعية العلماء المغرب في خريف (1955) وضّم الوفد: التبسي، محمد خير الدين، أحمد توفيق المدني، وعبد اللطيف سلطاني لتهنئة السلطان محمد بن يوسف⁽²⁾ بعد عودته من منفاه وسقوط مؤامرة الباشا القلاوي ومحمد بن عرفة.

وبارك الإصلاحيون فكرة وحدة المغرب العربي التي دعا إليها عبد الخالق الطوريس، ودعا إبراهيمي إلى تشكيل "اتحاد أحزاب الشمال الإفريقي"، وشارك في ذلك أحزاب البيان والانتصار من الجزائر، والدستوري والحزب الحر الدستوري الجديد من تونس، وحزب الاستقلال وحزب الإصلاح وحزب الوحدة وحزب الشورى من المغرب⁽³⁾.

ومن جهته بارك العقبي دعوة المحامي التونسي محمد الهادي بن الناصر إلى "الوحدة بين الأحزاب المغاربية، وخلق جامعة إسلامية عربية لإفريقيا الشمالية"⁽⁴⁾.

وفي التفاعل مع المشكلة الليبية اهتم الإصلاحيون كثيرا بتطورات استقلالها، ومؤامرات القوى المنتصرة حول تقسيمها، ونددوا بالمعاهدة البريطانية الليبية واحتجوا عند الملك إدريس، إذ اعتبروها منافية للاستقلال⁽⁵⁾.

4- التواصل مع مصر:

وتمثل ذلك في الانشغال الكبير من الجمعية بماجريات المشرق العربي، وخاصة قضايا فلسطين ومصر، وكانت البصائر تنقل الأخبار تباعا، بل وتنقل من الجرائد المشرقية كجريدة "الإخوان المسلمون"⁽⁶⁾ وغيرها، وكذا باستقبال الوفود المشرقية، أو التواصل مع الهيئات في المشرق الإسلامي⁽⁷⁾، ومن ذلك:

أ- الصحافة المصرية:

لا يمكن إغفال المدّ المصري في الصحافة العامة والمتخصصة التي كانت ترد إلى الجزائر بوسائل البريد والتجارة والحج، فقد كان لصحف ومجلات الرسالة لحسن الزياد، والثقافة، والرواية دور في تغذية اللسان العربي والشعور القومي وكانت مدد حياة، حتى أن الأدباء كانوا يتناوبون قراءة الرسالة، فبعضهم يسهر ليله

(1) البصائر، ع 240 (9-11-1953)، ص 1، آثار إبراهيمي، مرجع سابق، ج 4 ص 235.

(2) محمد بن يوسف، ولد سنة (1909)، وتولى الحكم سنة (1927)، وتوفي (26-11-1961).

(3) مذكرات خير الدين، ج 1 ص 366. آثار إبراهيمي، ج 2 ص 32، وج 4 ص 301.

(4) جريدة الإصلاح، ع 68 (14-11-1947) عن مريوش، نفسه، ص 401.

(5) البصائر، ع 112 (20-3-1950)، ص 1، آثار إبراهيمي، ج مرجع سابق، 3 ص 402، والبصائر، ع 240 (9-11-1953)، آثار إبراهيمي، كلمة إلى الشعب الليبي وجهها عبر إذاعة صوت العرب، ج 4 ص 238.

(6) البصائر، ع 30 (5-4-1948)، ص 6، آثار إبراهيمي، ج 2 ص 193. وأصدرت البصائر عددا خاصا بمصر، ع 178-179 (7-1-1952).

(7) ومقابل لهذا النشاط الصحفي والسياسي تأسست جمعيات عدة للدفاع عن الجزائر في محنتها الاستعمارية مثل "جمعية الجالية الجزائرية" و"لجنة الدفاع عن الجزائر" ثم "جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية" التي رأسها الشيخ الخضر حسين سنة (1944). الفضيل الورثاني، الجزائر الثائرة، مرجع سابق، ص 284.

لها، وبعضهم ينسخ مقالاتها، وبعضهم يحفظها، وجرائد جمعية العلماء زاخرة بنقل بعض مقالاتها على صفحاتها. وعندما منعت فرنسا دخول هذه المجالات عقب الثورة المصرية للضباط الأحرار، كان ذلك حدثاً جلالاً ومصيبة عظيمة حسب تعبير جريدة المنار الجزائرية⁽¹⁾.

ب- وفد الصحفيين المصريين (1950):

زار هذا الوفد الجزائر في أعقاب الأحوال المأساوية التي آلت إليها الجزائر بعد الحرب العالمية الثانية، واستقبل من قبل الإبراهيمي، ورأس الوفد الصحفي حسين أبو الفتاح، وكان معه الصحفي القبطي "عزيز ميرزا"، وقد استقبلتهم الولاية العامة الفرنسية أيام الوالي نيجلان (11-2-1948/9-3-1951) المشهور بتزوير الانتخابات، واحتفت بهم، ولكن الحركة الوطنية وجمعية العلماء استقبلوا الوفد أيضاً واستضافوه، وقدموا له الصورة الأخرى للجزائر، جزائر الفقر والجهل، وكان ذلك في حفل حضره مصالي الحاج، وفرحات عباس، والبشير الإبراهيمي، وتوفيق المدني، مما جعل الوفد ينقل الصور المأساوية للجزائر المحتلة⁽²⁾.

ج- الفرقة القومية المصرية:

رأسها الفنان يوسف وهبي، واستقبلتها الجمعية يوم (14-2-1950)، ورحب بهم الإبراهيمي، وألقى أحمد سحنون قصيدة بالمناسبة، وقدمت الفرقة بعض نشاطاتها في الجزائر ووهران وتلمسان⁽³⁾. واهتمت الجمعية بمشروع مصر في إنشاء معهد الملك فاروق، والذي عرقلته فرنسا مما جعل طه حسين وزير المعارف يهدد بغلق الثانوية الفرنسي في القاهرة⁽⁴⁾.

د- وفد مؤتمر الخريجين العرب (1952):

ورأسه المصري محمد فؤاد جلال، والتقى بقيادة الرأي والفكر، وأقامت جمعية العلماء حفلة تكريمية لهذا الوفد الذي استقبل من قبل الكاتب العام للجمعية الشيخ توفيق المدني⁽⁵⁾. وقد قام المؤتمر بالتعريف بالقضية الجزائرية إذ أسهم في نشر وتوزيع كتاب "هذه هي الجزائر" للمدني.

هـ- رحلات الكشافة الإسلامية:

لمصر وخاصة وفد سنة (1953) الذي قاده الطاهر التيجيني، وكتب عنه عضوه الغسيري، واحتفت به الجمعيات المصرية، واستقبله الرئيس محمد نجيب، وجاء في خاتمة تقرير الكشافة الجزائرية ما يلي: "رعاك الله يا مصر، ورعى بنيك الأبرار، وجنهم العثرات، وأخذ بيدك وبهدأ أختك الجزائر، وعلى أمل اللقاء يا مصر العظيمة، يا مصر الشقيقة الحبيبة، فحياتك الله ناهضة، .. وحياتك الأوفياء للعروبة والإسلام"⁽⁶⁾.

(1) جريدة المنار الجزائرية، ع 20 (مارس 1953).

(2) توفيق المدني، حياة كفاح، مرجع سابق، ج 2 ص 250. البصائر، ع 134 (11-12-1950)، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 363.

(3) البصائر، ع 108 (20-2-1950)، ص 2، آثار الإبراهيمي، ج 2 ص 336. ع 112 (20-3-1950)، ص 2.

(4) جريدة المنار، الجزائر، ع 13 (12-12-1951).

(5) توفيق المدني، حياة كفاح، ج 2 ص 252. سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 10 ص 640.

(6) البصائر، ع 240 (11-9-1953)، ص 8. وانظر جبهة الرحلات الجزائرية الحديثة، الرحلة إلى المشرق، مرجع سابق، ص 225.

ز- الانشغال الجزائري بالقضايا المصرية:

فاضت أعمدة الصحافة الجزائرية الحرة بالأخبار المصرية وبالقضية الفلسطينية خاصة أيام النكبة والاعتداءات الصهيونية على القرى العربية سنوات (1947-1948)، فعند تأزم الأوضاع في مصر مع الانتداب الانجليزي أصدرت البصائر عددا خاصا بالقضية المصرية، وهو العدد (178، 179) في جانفي (1952)، وكتب فيه مثلا: البشير الإبراهيمي: يا مصر، أثر الأزهر في النهضة المصرية⁽¹⁾، وباعزيز بن عمر: أثر إلغاء المعاهدة الإنجليزية، وتوفيق المدني: تطورات القضية المصرية⁽²⁾. وحمزة بكوشة: أثر الشعر في النهضة المصرية، وأحمد سحنون: قصيدة شعرية "يا شباب النيل"، وكتب عبد الرحمان شيبان: مصر وإيران وجهادها ضد الإنجليز، وألف محمد العيد آل خليفة قصيدة شعرية "حي على الجهاد يا مصر"، كما كتب الإبراهيمي مقالا ناريا عن عقابيل تلاعب إنجلترا بمعاهدة الجلاء لسنة (1936)، حيث أقدمت حكومة الوفد على إلغاء المعاهدة من جانبها في (8- 10- 1951)، وبدأت معركة القنال والعمليات الفدائية ضد البريطانيين، فكان رد الفعل عنيفا ضد حكومة الوفد المصرية⁽³⁾.

وكتب الإبراهيمي أيضا مناصرا مصر مقالا بعنوان "محنة مصر محنتنا" وجاء فيه: "تعاني مصر العزيزة هذه الأيام ما يعانيه الحر الأبى، أكره على الضيم، وأريد على ما لا يريد، وجُرّع السم مدوفا في الحنظل، وقطعت أوصاله وهو يشعر، واستباحت محارمه وهو يسمع ويبصر، حتى إذا استيأس من الإنصاف ونفذ صبره، خطا الخطوة الفاصلة، وأقدم على تحطيم القيد بنفسه، وعلى تمزيق الصحيفة التي أملت القوة على الضعف، فقبلها مكرها كمختار، وكانت أهون الشرين، فأصبحت بحكم الزمان أثقل الخطيين"⁽⁴⁾. كما كان الورتلاني يحاضر في مكان حسن البنا في حديث الثلاثاء، وقد انتدبه للذهاب إلى اليمن لتحريك العمل بها، ومثله الإبراهيمي الذي كان أثيرا عند الإخوان وجمعية الشبان، وخطب في مراكزهم⁽⁵⁾.

5- التواصل المشرقي:

أ- فلسطين:

القضية التي رافع الإصلاحيون لأجلها كثيرا، وكتب لهم سبق في ذلك تحشيدا ودعاية وتضامنا ماليا، فضلا عن الإشادة برجالها وعلمائها، وجرائدها ومطبوعاتها كجريدة الشورى لمحمد علي الطاهر⁽⁶⁾. وشارك الإبراهيمي في مؤتمر القدس (3- 12- 1953)، ونعى على العلماء الذين سعوا في تجديد قبة الصخرة، الذين سماهم بالإخوة الصخريين: "إنكم ومن أعانكم على مشروع الصخرة بالمال أو نشطكم عليه بالرأي لم تزيدوا على أن أحييتم في الإسلام سنة من سنن المصريين القدماء في قصة عروس النيل: كانوا يزينون فتاة للموت

(1) الإبراهيمي، عيون البصائر، ج 3 ص 499.

(2) وله مقالات مثل "مصر الحق فوق القوة" و"القضية المصرية"، انظر حياة كفاح، مرجع سابق، ج 2 ص 446.

(3) انظر عمر عبد العزيز، دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، القاهرة، دار النهضة العربية، 1990، ص 521.

(4) الإبراهيمي، عيون البصائر ج 3 ص 490، ونشرت في البصائر، ع 174 (5- 11- 1951)، ص 1.

(5) آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 4 ص 262.

(6) البصائر، ع 13 (10- 11- 1947)، ص 5، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 180.

وأنتم تزينون مسجدا للهدم"⁽¹⁾. وتابعت البصائر أخبار الحرب، وأشادت بالهبة العربية لإنقاذ فلسطين⁽²⁾، وكتب الإبراهيمي مقالات نارية عن فلسطين دعا فيها للجهاد: "تعالوا نقامرکم مقامرة لا يقترحها إلا عربي، ولا يقدم عليها إلا حوثي، ولكنها مقامرة تفضّ النزاع الذي أعياكم أمره وراع العالم شره، احشدوا إلى فلسطين جيشا من الصهيونيين من منبت الشرق وأغراس الغرب. ثم نفوض إلى الجيشين حل المشكلة بالموت في ميقات معلوم، فإن غلب الصهيونيون سلّمنا"⁽³⁾.

ب- السعودية:

وذلك في العطف الشديد من العلماء على المملكة الجديدة والإشادة بأعمال ملكها عبد العزيز، إضافة إلى التمدّح بتجربتها في القضايا الدينية، فالإبراهيمي يمدح المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم، وعمر بن حسن آل الشيخ، ومن ذلك قصيدته وقوله⁽⁴⁾:

إنا إذا ما ليل نجد عسعا----- وغربت هذي الجواري خنسا
والصبح عن ضيائه تنفسا----- قمنا نؤدي الواجب المقدسا
بوركت يا أرضا بها الدين رسا----- وأمنت آثار أن تدرسا
والشرك في كل البلاد عرسا----- جذلان يتلو كتبه مدرسا

ج- باكستان: حيث زار الجزائر "إنعام الله خان" الكاتب العام للمؤتمر الإسلامي الذي تنوي باكستان عقده في شهر (فيفري 1951)، وألقى محاضرة في سنما "دنيا زاد"، وزار قبر علي الحماوي، واحتفى به البيان وحركة الانتصار، وممثلون من الجمعيات الفنية والشبابية⁽⁵⁾. كما أن الإبراهيمي والورثاني بعثا ببرقية احتجاج ضد حكم المحكمة العسكرية بباكستان، والذي قضى بإعدام المودودي، وطالبا بالإفراج عنه⁽⁶⁾. وبحكم الولادة الجديدة للدولتين الإسلاميتين باكستان وإندونيسيا فقد كتب لهما الورثاني مسودة دستور إسلامي⁽⁷⁾.

د- باقي الأقطار: ظهرت علائق الإصلاحيين قوية بالأقطار الإسلامية، الكويت والعراق وسوريا ولبنان، والتي كان الإبراهيمي والورثاني يكتبان في صحفها، مثل الإرشاد الكويتية، والمسلمون في مصر، والإخوة الإسلامية بالعراق⁽⁸⁾، هذا فضلا عن عديد الأحفال والمؤتمرات والمناسبات التي كان يحضرها بعض أعضاء الجمعية.

المطلب السابع: الخلافات الإصلاحية الإصلاحية في الأربعينيات.

1- ميلاد التيار العقبي:

(1) آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 4 ص 300.

(2) البصائر، منبر السياسة العالمية، ع 36 (1948-5-17)، ع 37 (1984-5-31)، ع 38 (1948-6-7).

(3) آثار الإبراهيمي، ج 3 ص 488. البصائر، مقال "أما عرب الشمال الإفريقي" ع 30 (1984-4-5)، ص 1.

(4) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 4 ص 127.

(5) البصائر، ع 136 (1951-1-8)، ص 3. آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 375.

(6) البصائر، ع 232 (1953-7-5)، ص 3، وقد خُفف الحكم إلى الأشغال الشاقة المؤبدة، ثم أطلق سراحه في (1955).

(7) البصائر، ع 282 (1954-8-27)، ص 1، وكانت إندونيسيا استقلت في (1949)، وباكستان (1947).

(8) آثار الإبراهيمي، ج 4 ص 200، ج 4 ص 215. ج 4 ص 226.

بعد فشل المطالب في المؤتمر الإسلامي واستمرار التعتت الفرنسي افترق الجمع إلى متشدّد مع الفرنسيين، ويمثله ابن باديس، وإلى قريب يأمل الإجابة ومن هؤلاء العقبي والزاهري، ولأجل هذا بدأت الحملات على العقبي بكونه من مستخدمي فرنسا وأنه من بني "وي وي"، مما جعله يلجأ إلى سلاح المبالهة ضد خصومه بعد رميه بالكذب والخيانة والغدر⁽¹⁾. ومع الحرب العالمية الثانية خفتت الأصوات وأوى الجميع إلى الركون حتى تنجلي العاصفة، وتزامن ذلك مع تعطيل أغلب الصحف وانشغال الناس بالحرب وعقابيلها من شجّ المؤونة وانتشار الأمراض، وتضعضع الكيان الفرنسي. وبعد ذلك اتسعت الشقة بين الباديسيين والعقبين، خاصة وأن رموز الصف الثاني في الجمعية لم يعيشوا معاناة التأسيس، فكانت أحكامهم قاسية كالأحكام التي يقتبسها التلاميذ من المعلم، ومن أشدّ المنتقدين للعقبي أحمد حماني⁽²⁾، بينما لم يعتبره الصادق حماني قد دخل الجمعية بقلبه، وإنما كان يدافع عنها بلسانه وقلمه في مواقف متعددة⁽³⁾، واعتبرته جريدة الشعلة جاسوساً خائناً خدم فرنسا في الحجاز، وفي الجزائر أثناء عضويته في جمعية العلماء وبعدها⁽⁴⁾.

وعليه فإنه يمكننا إيجاز هذا الانقسام الإصلاحي وملاحه في قراءة مسار العقبي الجديد دون إغفال شخصية العقبي وخطه ومبادئه وصلابة نفسه التي كانت مثار إعجاب من الجميع، ولكن ثقل السنين وحادثة الاعتقال والبرقية ثم الحرب العالمية الثانية أثرتا في الرجل وقد خطت به السنون، بعدما نال القدر المعلن في مدح آباء الجمعية له، فهذا الإبراهيمي قال عنه من قبل: "من أكبر الممثلين لهدمها. أي الجمعية. وسيرتها والقائمين بدعوتها، بل هو أبعد رجالها صيتاً في عالم الإصلاح الديني وأعلامهم صوتاً في الدعوة إليه... وإنما خلق قولاً للحق أماراً بالمعروف، نهاء عن المنكر وقافاً عند حدود دينه، وإن شدته في الحق لا تعدو بيان الحق وعدم الإدارة فيه وعدم المبالاة بمن يقف في سبيله"⁽⁵⁾، بل إن ابن باديس اعتبر إخفاءه من مسرح العلماء إزالة لجمعية العلماء من الوجود⁽⁶⁾، وقد قال هذا بعد انسحابه من الجمعية واستقلاله بعمله، وشهد المدني بأن الشيخين محمد خير الدين متناقضان متشاكسان إلا في الإخلاص⁽⁷⁾.

حاول العقبي في الأيام الأولى للانقسام تذكير الجميع الذين قاطعوه بقربه من ابن باديس وسابقته في العمل الإصلاحي، فمن ذلك ما نشرته جريدته من رسالة ابن باديس له في البدايات: "لا زلت مشتاقاً جداً إلى رؤيتكم والاجتماع بكم منذ حللتكم بهذه الديار، ولم تتح لي الفرصة وبالأسف لتحقيق تلك الأمنية إلى اليوم، بيننا

(1) الإصلاح، ع 21 (4-5-1940)، عن مريوش، مرجع سابق، ص 377.

(2) وهو ما سجله العقبي بحسرة منذ نهاية الثلاثينيات في خط حماني منه وافترائه عليه، معتبراً إياه غلاماً يحرضه غيره، معتبراً أجواء تلك الفترة "وسطاً مسمماً". انظر الطيب العقبي وعبد الحميد بن باديس، مراسلات وأحداث، رسالة العقبي لابن باديس في (22-10-1938)، ص 140. والتي أراد من باديس نشرها في البصائر فلم يفعل، فنشرها بطولها في جريدة الوفا، ع 22 (23-2-1939).

(3) بوصفصاف، مرجع سابق، ص 98.

(4) الشعلة، ع 38 (14-12-1950)، نقلاً عن مريوش، مرجع سابق، ص 377.

(5) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 267.

(6) البصائر، ع 176 (28-7-1939)، ص 1.

(7) حياة كفاح، مرجع سابق، ج 2 ص 564.

روابط روحية هي التي جعلتني أحن إليكم هذا الحنين للإسلام والعروبة والأدبية والشرقية والتلمذة⁽¹⁾. ولكن التيار العقبي ترسم في نهايات الأربعينيات، وكانت له رموزه وشخصه ومؤسسته ومواقفه التي نلم بها بإيجاز.

2- أهم شخصيات التيار العقبي:

أ- أبو بكر مصطفى بن رحمون: ولد بليانة سنة (1921)، تتلمذ لابن باديس سنوات (1936-1940)، ثم عاد لبسكرة مدرسا ببلدته، ثم التحق بالزاهري في جريدة الوفاق، وفي (1944) صار مدرسا بالشبيبة، ونشر بعض قصائده في الإصلاح للعقبي وفي المنار، وفي أيام الثورة اشتغل بالتدريس والخطابة في الجامع الكبير وجامع بكار ببسكرة، وبعد الاستقلال درس بالمعهد الإسلامي، ويقال أنه انتقل إلى التصوف، وتعرض لحالات نفسية مرهقة من الصرع وعاش حياة بؤس ودروشة في الأخير إلى غاية وفاته (3-7-1984)⁽²⁾، من آثاره: "الأشعة المينة من ذكريات قسنطينة"، ألفه بعد الخمسينيات، وعالج فيه انتشار البدع والخرافات، مقترحا علاجها، وقد قرظه محمد العيد آل خليفة⁽³⁾:

أشعة كشفت عن خير مكنون ---- من منشآت أبي بكر بن رحمون
أبدى لنا قصصا في وصف مجتمع ---- جم الضلالات بالأهواء مفتون
محسنا حسن الأخلاق ممتدحا ---- حميدها مرشدا للخير مسنون.

ب- أبو بكر جابر: ولد بطولقة سنة (1921)، وبها وببسكرة تلقى علومه الأولية، ثم انتقل إلى العاصمة منتسبا لحلقة العقبي، حيث أزره في عمله الدعوي والتعليمي مشرفا على بعض الصحف والمؤسسات الشبابية كتتنظيم الموحدين، وعرف بالجرأة والجد ومناكفة الطرقيين، ثم ارتحل إلى الحجاز (1953)، ليتوفى سنة (2018).

3- وسائل العقبيين الإعلامية:

أ- جريدة الإصلاح: صدر العدد الجديد من سلسلتها الثانية في (28-9-1939)، نصف شهرية، وكانت تطبع بمطبعة أبي اليقضان، وعلى الرغم من الانقسام، فقد احتفى بها قادة الجمعية كالإبراهيمي والورثاني، والعمودي الذي استبشر بعودتها حيث قال: "أن تكون همزة وصل بين كافة المصلحين الذين ظهروا منذ في عالم الوجود، وميدانا لجميع فرسان النهضة الجزائرية الفتية، ورابطة تعذر على الخصوم فصمها بين حملة الأفكار والأقلام العاملين لخير البلاد"⁽⁴⁾. وممن كتب فيها توفيق المدني⁽⁵⁾، وممن مدح العقبي وجريدته أيضا

(1) جريدة الإصلاح، ع 47، السنة العشرون، (01-05-1947) نقلا عن مريوش، مرجع سابق، ص 81.

(2) أعلام بسكرة، ص 103. قوبع، نفسه، ص 125. من أعلام الإصلاح في الجزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 260. معجم أعلام الجزائر في القرنين، مرجع سابق، ج 1 ص 103. وجعلوا وفاته في (1980)

(3) عبد القادر قوبع، الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان وميزاب، نفسه، ص 162.

(4) جريدة الإصلاح، العمودي "بماذا استقبل المصلحون الصادقون جريدتهم" ع 21 (4-5-1940)، ص 2.

(5) يلوم أحمد حماني المدني على الكتابة فيها، وقال إنه كان يحرق فيها ما تعلق بالسياسة الخارجية فقط. انظر حماني، نفسه، ج 2 ص 201.

مبارك جلواح وحمو النوري الإباضي بقصيدة عينية⁽¹⁾ ثم توقفت في العدد 44 في (25-12-1941)، خمس سنوات، ثم عاودت الظهور أسبوعية في (10-5-1947)، لتتوقف نهائيا في (3-3-1948)⁽²⁾.
 ب- عصا موسى: أسسها أنصار العقبي في العاصمة، وتولى تحريرها "مبارك بن عبد القادر" وجاء في افتتاحيتها "رأينا أن ننشئ جريدة عصا موسى لنثبت في وجوههم ونقف لهم بالمرصاد، ونكشف بها الستر عن مخازيهم"، وجل مقالاتها مهاترات وردود ونقد للإبراهيمي، ولما كانت تنشره جريدة الشعلة لرضا حوحو⁽³⁾. وقد آل تحريرها في الأخير للسعيد الزاهري، وانتهت بعد سجنه لفترة كما قالت مجلة المرشد العلوية، والتي رثت لتوقفها بسبب أنها كانت عدوة لأنصار الإبراهيمي⁽⁴⁾. وممن كتب فيها الطاهر بن عيشة، ومن مهاتراتها ما كتبه شعرا⁽⁵⁾:

تبا لها من شعلة للنار يوقدها حوحو-- القطيم ولغب الكلب حماني (الصادق)

أما النعيمي فتور ليس يشبهه إلا - الشعيري أو تب بن شيان

هذا ضرب من الأشياخ أعرضه— على القوم فما فيهم شيخ غير ابن قران

ج- جريدة الداعي: رأسها أبو بكر جابر في (17-11-1950)، وجاء في عددها الأول هذه الكلمات المبينة عن خطها المتشدد: "إن دعوتنا إلى الإسلام تعد حربا على الشيطان، وإننا برسمنا أول كلمة كنا قد أطلقنا الرصاصة الأولى في صفوف أعداد الدعوة، وبذلك فقد أصبح حديث هذه الحرب حديث الخاصة والعامة"⁽⁶⁾.
 د- جريدة اللواء: أو شباب الموحدين، والتي أصدرها أبو بكر جابر بعد جريدة الداعي في (17-4-1952) بنادي الترتي الذي خلص للعقبين، وكانت تدعو إلى مجانية الحزبية والطائفية⁽⁷⁾.

هـ- جريدة القبس: أصدر الموحدون صحيفة القبس في (20-8-1952) وأدارها "أبو القاسم ديقر"، ورأس تحريرها السنوسي، وتوقفت بعد أربعة أعداد⁽⁸⁾. واهتمت بالوضع الداخلي والإسلامي، وكانت تعيد نشر بعض المقالات، ومن ذلك حوار جريدة الأهرام مع الإمام الخضر حسين عقب توليه مشيخة الأزهر.

4- المؤسسات والتنظيمات العقبية.

أ- نادي الترتي: استمر العقبي يعمل بالنادي مستقلا، بل ووسّع نشاطه إلى الجامع الكبير، وذكر محمد بن الحاج إبراهيم الطرابلسي جوه فقال⁽¹⁾:

(1) الإصلاح، قصيدتا جلواح وحمو عيسى النوري، ع 20 (3 صفر 1359-25-3-1940)، ص 3.

(2) محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، ص 99.

(3) ناصر، مرجع سابق، ص 264. مريوش، نفسه، ص 282. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 259.

(4) مجلة المرشد، "عصا موسى أيضا"، ع 45 (جانفي 1951). عدة بن تونس، تنبيه القراءة إلى كفاح مجلة المرشد الغراء، مستغانم، المطبعة العلوية، 1990. ج 2 ص 180.

(5) مقابلة مع المرحوم ابن عيشة ببيته بالعاصمة بالدورة يوم السبت 15-12-2012.

(6) جريدة الداعي، ع 1 (17-11-1950)، أحمد مريوش، نفسه، ص 349. وسماها محمد ناصر الراعي، ص 264، ولعله خطأ مطبعي. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 272.

(7) انظر مريوش، الشيخ الطيب العقبي، مرجع سابق، ص 350. محمد ناصر، مرجع سابق، ص 265.

(8) محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية، ص 266. مريوش، نفسه، ص 301. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 272.

نادي الترقى في الجزائر عامر---- بالوعظ والتذكير والإرشاد
نادي به العقبي عقباه النجاة ---- من الجهالة أصل كل فساد
نادي به القرآن يتلى والحديث---- وقول أصحاب النبي الهادي.

ورغب بعض أتباع العقبي في البدايات الإمساك برئاسة الجمعية، وراسلوه لذلك لكنه نشر على جريدة الإصلاح طيّ تلك الصفحة، وأن الرئيس هو الإبراهيمي⁽²⁾. وشهد النادي نشاطه المعتاد، ولكن بوتيرة أقل من الثلاثينات، وكان ممن استقبلهم العقبي الأديب "إبراهيم فؤاد المصري" الذي أشاد به والنادي⁽³⁾.
ب- الجمعية الخيرية الإسلامية: والتي ظل العقبي يرأسها، واستمرت في نشاطاتها، وحفلاتها السنوية في قاعة الماجستيك⁽⁴⁾ وكانت على علاقات جيدة بالولاية العامة، والهيئات الإغاثية المسيحية والمهودية في الجزائر، وعلى الرغم من استئثار العقبي بها، فإن البصائر كانت تشيد بها وبجهودها في العمل الخيري، كما هي تغطيتها لبعض أنشطتها⁽⁵⁾.

ج- تأسيس جمعية المقاصد الخيرية: حسب ما جاء في إعلان شعار جريدة الداعي "بأنها بعيدة عن الأحزاب مجردة عن الأهواء، شعارها الدعوة إلى الإسلام والعون والخير العام، والغاية التي نرمي إليها هي المحافظة على الدين الصحيح ويقع ذلك بواسطة تأسيس جمعية خيرية باسم "المقاصد الخيرية"⁽⁶⁾.

د- تنظيم الموحدين: أنشأ العقبي في العاصمة، ثم انتشر في بعض المناطق، ولعله استلهم من تجربة "شبيبة المؤتمر الإسلامي"، وتبني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتنقية العقيدة تأسيساً بالوهابيين، وأصدر التنظيم جريدة الداعي، وكان من مؤطريه أبو بكر جابر الشاب المتحمس، وكذلك محمد الهادي السنوسي أيضاً لروابطه القديمة مع العقبي، وقد تألب أتباع الإبراهيمي على هذا التنظيم الجديد، وربما كان مرد الأمر قضية الزعامة بين الإبراهيمي والعقبي⁽⁷⁾ والذي يدعم هذا الرأي أن العقبيين كانوا أكثر نشاطاً في خلق الجمعيات والهيئات والصحف من أتباع الجمعية. وكانت اهتمامات شباب الموحدين كثيرة وطنية وعالمية، ودافعوا بحرارة عن اللغة العربية.

هـ- لجنة فلسطين: أسس العقبي لجنة فلسطين بنادي الترقى (3-10-1947)، وخطب فيه أبو بكر الزاهري وإبراهيم بوحميده، وأبو بكر جابر، ومحمد الحسن فضلاء⁽⁸⁾، ثم دعا الإبراهيمي لتشكيل هيئة وطنية

(1) جريدة الإصلاح، ع 57 (2-8-1947)، نقلا عن مريوش، الشيخ الطيب العقبي، نفسه، ص 132.

(2) الإصلاح، ع 28 (11-8-1940)، نقلا عن مريوش، نفسه، ص 273.

(3) الإصلاح، ع 38 (10-5-1940)، عن مريوش، مرجع سابق، ص 285.

(4) الإصلاح، مقال "اجتماع عظيم لم يسبق له مثيل بقاعة الماجستيك"، ع 21 (5-4-1940)، ص 1.

(5) البصائر، ع 77 (25-4-1949)، ص 7، مريوش، نفسه، ص 294.

(6) محمد ناصر، مرجع سابق، ص 265. ولا ندري هل تأسست الجمعية أم لا.

(7) مريوش، نفسه، ص 87. وص 349

(8) جريدة الإصلاح، ع 64 (10-10-1947)، مريوش، مرجع سابق، ص 413.

واحدة. في حين يعتبر المدني نفسه الدعي لتوحيد الجهود لفلسطين حيث تأسست لجنتها وصار هو أمينها العام⁽¹⁾.

وانتشرت في الفترة مهاترات العقبيين والباديسيين حول القضية الفلسطينية⁽²⁾، وقضية الأموال، وكتب الإبراهيمي مهناً بوصول الأموال إلى فلسطين واستلام الشهادة على وصولها⁽³⁾، ودعا الجزائريين إلى صيام أسبوع والتبرع بنفقته لفلسطين، كما تبرع هو بل مكتبته (عدا المصحف ونسخة من الصحيحين). ثم جاء تشكيل "اللجنة العليا لإعانة فلسطين" (14-6-1948) برئاسة الإبراهيمي وعباس فرحات كاتباً له، والطبيب العقبي أميناً للمال، وإبراهيم بيوض نائباً له. وأرسلت برقيات منددة بمجازر فلسطين للأمم المتحدة⁽⁴⁾.

5- نشاطات العقبي الوطنية:

أ- المشاركة في الرسميات الفرنسية: اشترك العقبي في لجنة الإصلاحات الإسلامية التي اقترحها ديغول⁽⁵⁾، وكان مدير الشؤون الأهلية هو "أوغسطين بيرك"، وأعلن العقبي عن ثقته بتحسين أحوال المسلمين بها⁽⁶⁾، وقد بدأت اللجنة عملها، ثم انضم إليها بيوض وأوزقان وابن شنوف، وأحمد التجاني، وفرحات عباس والإبراهيمي، وأخيراً مصالي الذي حضر اجتماع اللجنة الخامسة في (4-1-1944).

ومن أكثر ما ركز عليه العقبي فصل الدين عن الدولة، وتأسيس مجلس إسلامي، والتعليم العربي، واقترح تأسيس جامعة إسلامية، والمساواة، وحق المتجنسين في العودة للقانون الإسلامي في الأحوال الشخصية، وتوجت جلسات اللجان بإصدار ديغول مرسوم (7 مارس 1944)، والذي لم يلبّ طموحات الشعب، فعارضه فرحات ومصالي وغيرهم. ومع مجيء شاتينو اشترك العقبي في "لجنة الإصلاحات العليا" التي عقدت أولى جلساتها في (19-1-1946)⁽⁷⁾، وكان العقبي قد عارض قرار "شاتينو" الصادر في (27-11-1944) في إجبارية الفرنسية في المدارس الحرة، وأن تكون حرة في المدارس القرآنية، وقدم العقبي مذكرات ومراسلات في الدفاع عن التعليم العربي، وأعاد مطالبته بتأسيس جامعة إسلامية⁽⁸⁾. وفي هذا المضمار فقد تمكن العقبي وأنصاره من السيطرة على مدرسة الشبيبة الإسلامية، والتي بقيت تؤدي دورها، وحاول الفريقان إبعادها من النزاع، ولكنها بدأت تخلص لأنصار العقبي، وللمحايدين، بعدما استقال من رئاستها محمد العيد في (1940)، ولم

(1) المدني، حياة كفاح، مرجع سابق، ج 2 ص 386.

(2) مريوش، الشيخ الطبيب العقبي، نفسه، 278.

(3) البصائر، الإبراهيمي، مقال "أما عرب الشمال الإفريقي" ع 30 (4-5-1948)، ص 1، وحملت الأموال من باريس إلى عبد الخالق ثروت سفير مصر ليدفعها إلى الجامعة العربية. انظر آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 3 ص 459.

(4) مريوش، مرجع سابق، ص 421.

(5) كان من أعضائها من الجزائريين: تامزالي عبد النور، وابن جلول، ريني فضيل، نواب لمجلس المالي، وقاضي عبد القادر رئيس جمعية الفلاحين، وبوعزيز بن قانة شيخ العرب، والعقبي، ومصطفى القاسبي حسب مريوش، ص 313. وأما سعد الله فقد ذكره في الحركة الوطنية، ج 3 ص 219.

(6) جريدة الإصلاح، ع 46 (4-10-1947)، مريوش، مرجع سابق، ص 314.

(7) الإصلاح ع 50 (5-26-1947)، مريوش، مرجع سابق، ص 330.

(8) الإصلاح، ع 52 (6-12-1947)، مريوش، ص 333. وشاتينو كان والياً عاماً (8-9-44 / 2-11-48)

يُمانع العقبي من إصرار الإدارة الفرنسية على ازدواجية التعليم وفرض اللغة الفرنسية فيها، لضمان استمرارية تعليم إسلامي للناشئة⁽¹⁾.

كما أثمرت جهود العقبي بالإعلان عن عودة الجمعيات الدينية، ورفع الحظر عن العلماء في المساجد، ورجع العقبي للمسجد الجديد⁽²⁾. ولكن معارضيه شككوا في الأمر، وأنه خاص به، ولأجل هذا فعلوا الفتاوى المانعة من الصلاة خلف الأئمة الرسميين، واعتبرهم العقبي شياطين الفتنة، وأظهر تقارباً مع الهيئة الرسمية⁽³⁾.

ب- بعث الجمعية الدينية للعاصمة: وهي الجمعية التي حُلّت من قبل "ميشال" بعد معارضة رئيسها محمود بن صيام لقرار منع العلماء، واستجابة لمساعي العقبي أعادت الإدارة الجمعية، وتم الاحتفال بذلك في الجامع الجديد (15-9-1944)⁽⁴⁾، ولكن الإبراهيمي رفض ذلك التجديد، وشكك في اقتراح الحكومة تقاسم أعضاء الجمعية معهم، وتمسكها ببعض الأعضاء القدامى أو أحدهم الذي لا يصلح لا لدين ولا دنيا حسب تعبيره⁽⁵⁾.

ج- تأسيس الاتحاد العمومي للجمعيات الدينية الإسلامية بالجزائر: أسسه العقبي في (28-8-1947) بدعم من ابن صيام والعاصمي، والمدني وابن حورة، وبن جدو، والعمودي، وعيسى بن بسكر، ليكون هيئة ناطقة باسم الجمعيات الدينية، وللعناية بالمساجد والتعليم العربي، كما طرحوا قانوناً أولياً للمجلس الإسلامي الأعلى⁽⁶⁾.

د- التواصل المغربي: نشط العقبيون دعوات الوحدة المغربية والعربية⁽⁷⁾، وكانوا يحتفلون بذكرى تأسيس الجامعة العربية⁽⁸⁾. وكتب العقبي برقية للباي محمد المنصف المخلوع، وزار تونس بدعوة من شيخ الاسلام عبد الحفيظ جعيط لتأسيس الحي الزيتوني⁽⁹⁾.

هـ- الموقف من الثورة: خفت صوت العقبي بعد انطلاق الثورة، وأوى إلى شبه عزلة اجتماعية، وبتعبير علي مراد "عاش بقية حياته نهب هوس مرضي جعل كل صلة إنسانية معه صعبة للغاية"⁽¹⁰⁾، وينفرد المدني برواية رفض العقبي للثورة، قائلاً: "واصطدمت معه وفي الجمعية الخيرية: "وسار كالتائه لا يلوي على شيء وليس له

(1) مريوش، مرجع سابق، ص 300.

(2) كان يفسر فيه القرآن، وابتدأ المرة من قوله تعالى "قل تعالوا اتل ما حرم" الأنعام. انظر جريدة الإصلاح، ع 49 (17-3-1948)، مريوش، الشيخ الطيب العقبي، مرجع سابق، ص 326.

(3) الإصلاح، ع 49 (17-3-1948)، صوت المسجد ع 16 (12-7-1950)، عن مريوش، نفسه، ص 327.

(4) الإصلاح، ع 49 (17-3-1948)، مريوش، نفسه، ص 328. وحسبه فإن الولاية العامة ممثلة في ميشال ثم أوغسطين بيرك تولت تسييرها، إلى غاية (1936) حيث رأسها أحمد بن زكري. انظر فضلاء، العقبي راند حركة الإصلاح الديني، ص 92.

(5) البصائر، ع 138 (22-1-1951)، ص 1، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 3 ص 145.

(6) الإصلاح، ع 76 (5-2-1948)، مريوش، نفسه، ص 339. العقون، الكفاح القومي السياسي، مرجع سابق، ج 3 ص 78.

(7) الإصلاح، ع 68 (14-11-1947)، مقالات العقبي، مرجع سابق، ج 2 ص 223.

(8) احتفل العقبي وأنصاره بذكرى التأسيس الثانية في (22-3-1947) بنادي الترقى، وجعل الرئاسة الشرفية في الحفل للإمام الخضر حسين والفضيل الورتلاني، وأرسل برقية للأمين الأول عبد الرحمان عزام. انظر جريدة الإصلاح، ع 46 (10-4-1947)، مريوش، نفسه، ص 405.

(9) الإصلاح، ع 56 (25-7-1947)، مريوش، مرجع سابق، ص 409.

(10) علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، مرجع سابق، ص 118.

هدف ... إلى أن كانت حادثة البرقية الذي انفصل معه عن العلماء وإلى أن جاءت الثورة العظمى التي انفصل عنها عن الشعب وصادمها إلى أن مات وحيدا منفرداً⁽¹⁾، وأما فضلاء فينفي عدم إيمان العقبي بالاستقلال⁽²⁾، وعارض قرار الجمعية بعدم التضحية سنة (1956)، واشترى كبشا وضعى به، وقال للمدني: إن استقلت الجزائر فاشنقوني على شرفة النادي⁽³⁾. ولكن هناك من يشكك في هذه الروايات. على اعتبار أن العقبي عارض العمل في الإدارة الفرنسية، وكان يشجع الالتحاق بالثورة⁽⁴⁾.

6- حزب الوحدة الجزائرية:

يمكن الكلام أيضا عن إصلاحيين آخرين، ويمثلهم حزب الوحدة الجزائرية⁽⁵⁾ الذي تأسس سنة (1947)، وعارض دستور الجزائر الجديد⁽⁶⁾، ورفض كل مشروع لا يراد منه استقلال الجزائر، وكانت هيئته التنفيذية أو ما يسمى بالديوان السياسي تضمّ كلا من: الحاج الحسين السليمانى⁽⁷⁾ - خريج الأزهر - وهو الأمين العام للحزب، وعمار عيمش أمين السر⁽⁸⁾، وهو صحفي يتقن الفرنسية، وإبراهيم حمدان أمين المال، -خريج الزيتونة-، وتتلّمذ لابن باديس، حمادو بن الشيخ الحسين، أمين السر للكتابة بالعربية، زيتوني، وعضوية أحمد خطاب، والياجوري. ويقال بأن السليمانى كان متأثرا أو منخرطا في تنظيم الإخوان المسلمين⁽⁹⁾.

دعا الحزب إلى التعاون بين الأحزاب، وانتقد حزب الشعب لتفرده وضيقه بالآخرين، ودعا إلى السير للاستقلال أسوة بخطوات الجيران في تونس والجزائر، والظاهر أن الحزب كانت له علائقه القوية بحركة الإخوان المسلمين في مصر والمشرق حيث تتشابه الأدبيات المتداولة، بل إن العقبي القريب من زعماء الحزب سخر جريدة الإصلاح لتغطية نشاطهم وآرائهم، وأشاد به وقال: "شعاره الدين واللغة والوطن، ولهذا فهو أول حزب من نوعه بقطرنا مثلما هو نسخة من حزب الإخوان المسلمين الطائر الصيت بالمشرق الرافع لواء

(1) المدني، حياة كفاح، مرجع سابق، ج 2 ص 274.

(2) فضلاء، التحريف والتزييف، ص 263.

(3) حياة كفاح، مرجع سابق، ج 2 ص 378.

(4) شهادة الشيخ إسكندر مختار اللمداني والسيد خليفى عضو نادي الترقى. حمزة بكوشة، ما رأيت وما رويت، ص 37. انظر سهيل شنوف

وشكيب بليلى، الطيب العقبي وعبد الحميد بن باديس، مراسلات وأحداث، مرجع سابق، ص 9.

(5) العقون، نفسه، ج 2 ص 449. مريوش، نفسه، ص 386. أعداد الإصلاح، 53-56-63-64- (1947).

(6) دستور الجزائر (1947) من آخر المبادرات الفاشلة للإصلاحات الفرنسية في الجزائر، والذي نص على اعتبار العمالات الثلاث جزء من فرنسا وإلغاء الحكم العسكري من الجنوب، وإنشاء مجلس برلمان جزائري من 120 عضو مناصفة بين الجزائريين والفرنسيين على الرغم من هدم تساوي الكتلة السكانية، وإعادة الاعتبار للدين الإسلامي والعربية لغة ثانية بعد الفرنسية، وتطبيق القوانين نفسها في الجزائر كما في فرنسا إلا المستثناء. انظر العقون، مرجع سابق، ج 2 ص 474.

(7) الحسين السليمانى، ولد بجندل بالمدينة (1908)، وحج سنة (1934) ودرس بالأزهر ليعود سنة (1938)، اعتقل أيام الحرب الثانية في جنان بورزق، نشط في محور البليدة، المدينة التي رأس شعبة الجمعية بها، زار منطقة الريف المغربية وألمانيا، ثم القاهرة حتى سنة (1946) أين عاد من جديد ليؤسس الحزب.

(8) عمار عيمش (1895-1960)، الأمين العام السابق للنجم في فرنسا، والذي اختلف مع مصالي بعد (1936).

انظر امحمد دراوي، أحزاب جزائرية مغمورة في الحقبة الاستعمارية، مجلة العبر، مج 4 ع 2 (سبتمبر 2021)، ص 663.

(9) تعاطف الإصلاحيون مع الإخوان في استشهاد حسن البنا، انظر أحمد سحنون "حسن البنا"، البصائر، ع 222 (20-3-1953)، ص 6.

الإسلام والعروبة، والحامل لمشعل الدين والوطنية الصادقة"⁽¹⁾، ولا نعرف الكثير عن أعمال الحزب الفتي الذي انتقد ظهوره عبد الرحمان العقون.

7-خلافات الزاهري:

يعتبر انعطافه عن الإصلاحيين إلى حزب الشعب وحركة الانتصار أمرا له جذوره القديمة، إذ كان قريبا من التيارات السياسية الاستقلالية، ولذلك شواهد عديدة، فأول جريدة أصدرها في العشرينيات وهي الجزائر كانت امتدادا للإقدام للأمير خالد، فقد جاء في أعدادها الأخيرة تبشير بصورها، وجاء فيه: "نستطيع اليوم بكل سرور أن نبشر قرائنا الفطناء، بأن صحيفتهم هذه ستطلع عليهم في العهد القريب باللسانين العربي والفرنسي باسم آخر غير اسم (الإقدام)، فقد اخترنا أن يكون (الجزائر) في حجم بقدر هذا مرتين، ثم تأخذ بعد ذلك في النمو بحسب الظروف إلى أن تصبح صحيفة كبرى، ويتكفل بالقلم العربي حضرة صديقنا الشيخ محمد السعيد الزاهري المتطوع بالجامع الأعظم بالزيتونة بتونس، وتكون الجريدة أيضا تحت إشرافه، أما مواضيع الجريدة فستكون مقصورة على ما ينفع الناس"⁽²⁾.

وفي النهايات اتخذ من جريدته "المغرب العربي" منبرا للتنديد بأصدقائه الإصلاحيين، ورد عيه الإبراهيمي بقوة، واتهمه بأنه يكتب لغيره من زعماء حزب الشعب: "إنك وذلك الشبح تعيشان في بقية من التقية، ولو كنتما صريحين لقلتما لنا ما هو الحق: أنت مدير أم مدار؟ وأنت المكثري أم صاحب الدار؟ ولبين لنا ذلك الشبح منزلتك عنده أنت عبد مأمور، كما يقول بعض الناس؟ أم أنت عامل مأجور، كما يقول آخرون؟. إن أرذل الرجال، من يتطرف إليه مثل هذا الاحتمال؛ أما الحقيقة فهي أنكما شريكان في جريمة السب والكذب وقلب الحقائق: منك الألفاظ لمكانك في الكتابة، ومنهم المعاني لمزلتهم في الأمية والتعجرف"⁽³⁾.

مع العلم أن كلا من حزب الشعب والطرقين احتفوا بالزاهري⁽⁴⁾، وفتحوا له أبوابهم، ولرغبته في الشهرة، فقد اتهمه الإبراهيمي بكونه قلما مأجورا لغيره، وذكره بحقائق سابقة منها: "أتذكر يوم ضاقت بك الحيل فعرضت همّتك وذمّتك وقلمك في المزاد العلني فكنا أزهد المشتريين فيك؟ كن شريفاً ولو لحظة من عمرك واعترف بهذه الحقيقة. ألم ننصحك نصيحة لو أحيّا الله أبويك لما نصحاك بمثلها؟ ولكنها ضاعت كما تضيع المنة عند غير شاكر. ألم تفتصر الفرصة حين خاطبتك في صندوق الحروف الذي تملكه لنطبع به (البصائر)، بالبيع أو بالكراء، فأخذت منا عشرة آلاف فرنك لتفكّ بها رهن الصندوق من الطابع الإسباني، وكنت عاجزا عن فكّه بستة آلاف فرنك؟ فلما حصلت عليه اشتططت وشرطت قرض مائتي ألف فرنك في مقابلة كراء الحروف، فلما يئست منا عرضت نفسك على دكتورين لهما ماضٍ عريق في خيانة الوطن لتخدم ركايبهما وتزكّيهما في الخيانة، في مقابل قناطير من الورق منّيّاك بها، فلما لمناك على ذلك قلت لنا بالحرف: (ما نكذبش عليكم، أنا نتبع مصالحتي المادية حيثما كانت) والجملة الأولى هي لازمتك المعروفة عند جميع الناس،

(1) جريدة الإصلاح، ع 63 (10-11-1947) انظر أحمد مريوش، نفسه، ص 389. العقون، مرجع سابق، ج 2 ص 449.

(2) صالح خرفي، "الأبعاد التاريخية في الشعر الجزائري الحديث"، مجلة الثقافة، ع 01، (مارس 1971) ص 33.

(3) البصائر، ع 61 (12-27-1948)، ص 2، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 3 ص 558.

(4) فمثلا العلويون ترجموا له في أضاميم المد الساري، ج 2 ص 469، وزعموا أن كان من مؤسسي جمعية علماء السنة؟

وهي لازمة كل كذاب، إذ لا يكثر من نفي الشيء إلا المتّصف به، ثم كنت متشوّفاً إلى خدمة من تُسمّهم اليوم باللائكيين، ولو أعاروك التفاتة، أو أشاروا إليك بغمزة، لكنك اليوم من عبدهم المطيعين، ولكانت اللائكية، في نظرك ملائكية، ثم عرّجت على الشيوعيين، ولهم معك ماضٍ معروف، فوجدتهم أيقاظاً، ذاكرين لذلك العهد، مثنين عليك بمثل ربح الجورب، ولو آنست في ذلك العهد من جانب الطريقة نارا، لقلت في غير تردد: إني أجد على هذه النار هدى. ثم وقع بك الحظ على هؤلاء القوم أو وقع بهم عليك، وهم لم ينسوا ماضيك معهم، وإنما يتناسونه لأمر ستنجلي عنه الغيابة، يوم ينكفئ القدر بما فيه من صباية، فهل فكّرت بعد هذه الأطوار أن تستقلّ بجريدة لا تناصر بها حركة ولا سكونا، ولا تعتمد فيها على شخص ولا على حزب؟ وهيمات⁽¹⁾، كما لم ينس الإبراهيمي غمزه وتذكيره في ذات المقال بعدم طهارة ذيله في القضايا المالية وغيرها من القضايا والمثارة حول شخصه.

ومن المعروف أن الزاهري غيرت قناعاته السياسية، وانظم إلى حركة الانتصار، ثم انحاز إلى صفوف المصاليين⁽²⁾، مما جعل أنصار جبهة التحرير لا يغفرون له ذلك، فأردى قتيلا يوم (21-5-1956).

يقول المدني: "الزاهري الذي كان شاعرا فحلا، وكاتبا مقتدرا، وكان في سلوكه وفي سياسته قوس قزح يتحلى كل حين بلون جديد، إلى أن جاءت الثورة الجزائرية الكبرى، وكان يُصدر بالعاصمة الجزائرية صحيفة، من الحكومة مألها وفكرها، فحكمت عليه الثورة المطهرة بالإعدام، وأردته قتيلا قرب ساحة الحكومة"⁽³⁾.

ويقول الشيخ أحمد حماني: وإثر الحرب العالمية الثانية استمر في خطته وأسس جريدة (المغرب العربي) مهاجما فيها العلماء، مادحا الطريقة والطرقين، هاجيا بشدة الشيخ البشير الإبراهيمي، الذي سكت عنه كثيرا محتسبا، ثم كتب عنه مقالا نشره في البصائر، وأخيرا اضطرت الحركة الوطنية إلى جريدة وحروف عربية فاستعارت ذلك منه لمدة، قبل أن يخرجوا جريدتهم العربية الخاصة بهم، ووجد نفسه في خدمة الحركة الوطنية الصريحة، ولما وقع الانشقاق داخل الحركة لم يحسن الاختيار وانحاز إلى الآية الممحوة، فكانت عاقبة أمره خسرا، فإنه لما نشبت الثورة سكت مدة ثم أخرج جريدته من جديد، وشرع يلمز الجبهة وينتقد بعض تصرفاتها، أذكر من ذلك أنه شنّع بقتل خائن أعدم بالمسجد الكبير بعدما عاث فسادا في جهة تابلاط واحتفى بالمسجد، .. ومن ذلك أنه انتقد انتقادا مرا سفر وفد فيه السيد فرحات عباس للالتحاق بالثورة وبأمر من القيادة، وكتب عن ذلك كلمة في جريدته عنوانها: (وفد مريب في مهمة مريبة) وغابت عنه السياسة الحكيمة التي انتهجتها جبهة التحرير في قبول جميع المواطنين - إذا نصحوا - في صفوفها، ثم تجرأ أخيرا ونشر صورة كبرى غطت كامل الصفحة الأولى من جريدته للسيد... (لعله مصالي) الذي كان رمز الخلاف، وزعم أنه زعيم الشعب الأكبر، وصادف أن كانت الفتنة في أشدها بين فدائي الجبهة وبين أتباع الحركة

(1) آثار الإبراهيمي، ج 3 ص 562. وبعض القضايا أشار إليها حماني في سكنى الزاهري في وهران في أحياء لا تليق بالمقام. صراع بين السنة والبدعة، مرجع سابق، ج 2 ص 150. وانظر أيضا علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، مرجع سابق، ص 132.

(2) إحدادن، أعلام الصحافة الجزائرية الأمير خالد والزاهري وأبو اليقظان، مرجع سابق، ص 25.

(3) المدني، حياة كفاح، مرجع سابق، ج 2 ص 195.

الوطنية، فكان هذا الانحياز المعلن عنه بمثابة الحكم على نفسه بالإعدام، وذات يوم من أيام سنة 1956م، خر الشيخ الزاهري صريعا⁽¹⁾.

8-الأزمة القيادية في غياب الإبراهيمي:

غادر الإبراهيمي الجزائر في رحلته الشرقية في (7-3-1952)⁽²⁾ فيما أعلن عن رغبته في تيسير بعثات الطلبة، وطلب الدعم العربي للتعليم وللجمعية، وللدفاع عن القضايا الجزائرية، وهنا بدأت تظهر بوادر أزمة في تسيير الجمعية، خاصة مع قلة الانسجام مع الشيخ التبسي المعروف بصلايته الإدارية، فهو لا يحظى بالتقدير الكلي "شديد الغيرة على اختصاصاته، وشديد الحساسية لشخصه...والشبان الجدد يرون فيه شيئا فوضويا في عمله مع شيء من الغفلة والدروشة في تصرفه"⁽³⁾. وهنا يقول سعد الله: أصاب الجمعية ما أصاب حزب الشعب من خصومة على الزعامة ومزاحمة الجيل الجديد للجيل القديم، وركود في الهياكل والتوجيه العام، غير أن انقسام حزب الشعب أصبح معلنا عنه ومعروفا، وظلّ ما أصاب جمعية العلماء في الخفاء...⁽⁴⁾.

كما ظهر الأمر في الخارج من حيث التوجيه الفكري للمبتعثين، فالورثاني حاول توجيه البعثات دينيا وعقائديا تحت رعاية بعض الجمعيات والمنظمات الشرقية التي تتعاطف مع الجمعية كالأخوان، بينما ظل تعليم جمعية العلماء يسير على قاعدة دينية علمانية-مدنية-، أو كان لا يخضع لعقيدة إسلامية بعينها، وانما يتبع تعاليم ابن باديس والطريقة السلفية"، وقد ظهرت الأزمة القيادية، ولكنها احتويت وضمّرت بسبب اندلاع الثورة الجزائرية⁽⁵⁾.

المطلب الثامن: أهم الإصلاحات في الأربعينيات:

1- الفضيل الورثاني: ولد ببني ورثان في (1900)، وتلقى علومه الابتدائية هناك، ثم تتلمذ لابن باديس الذي ابتعته لفرنسا لتنظيم عمل جمعية العلماء والإشراف على نواديها، وتعرف هناك على محمد المبارك وبهاء الدين الأميري، وفي سنة (1940) هاجر إلى مصر والتحق بالأزهر ونال العالمية، وأسس جبهة الدفاع عن

(1) حماني، صراع بين السنة والبدعة، مرجع سابق، ج 2 ص 150.

(2) البصائر، ع 194 (23-6-1952)، ص 1، آثار الإبراهيمي، ج 4 ص 29.

(3) سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 2 ص 66.

(4) المرجع السابق، ج 2 ص 65.

(5) وظهرت الأزمة بجلاء في سبتمبر (1954)، حيث كان الإبراهيمي غائبا منذ سنتين وكذا الورثاني، وأحمد بوشمال والتبسي كانا في فريضة الحج لسنة (1954). ودعا خير الدين النائب الثاني لاجتماع المكتب الدائم مستغلا الأمر، وبدأ بجولات، ودعا المجلس الإداري للجمعية للاجتماع في غياب عشرة أعضاء من سبعة وعشرين عضوا. وكان الحضور هم: خير الدين، حماني، المدني، سلطاني، بوشة، سحنون، العباس بن الشيخ الحسين، علي المغربي، محمد الشيوكي، نعيم النعيمي، باعزيز بن عمر، الهبري المجاوي، السعيد صالح، عبد القادر الياجوري، محمد الصالح بن عتيق، والغائبون في سفر: الإبراهيمي، التبسي، بوشمال، والمعتذرون: عبد الوهاب بن المنصور، السعيد الزموثي، والمتخلفون دون عذر: أبو بكر الأغواطي، الجيلالي الفارسي، عبد القادر محداد، محمد الطاهر الجيجلي. والمستقيل: عبد الرحمان اليعلاوي، وكان الجيلالي الفارسي بعث رسالة سب وشتم وإهانة لرجال الجمعية، ونظرا لتقصيره في تمثيل الجمعية في زلزال الأصنام قرر وقفه وإحالة لجنة تأديب، ولكن الفارسي عاد ووصفت الأجواء. انظر أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ج 2 ص 82.

إفريقيا الشمالية رفقة الخطابي وآخرين سنة (1944)⁽¹⁾، وافتتح مكتب جمعية العلماء في القاهرة سنة (1948)، انظم لحركة الإخوان المسلمين، وكان ينوب عن حسن البنا في بعض دروسه ومناشطه، وقد أرسله لليمن التي حاول فيها بث الإصلاح وتوحيد المعارضة والمشاركة في الثورة والانقلاب على الإمام يحيى حميد الدين، وبعد فشل الثورة وإسقاط النظام الدستوري في (13-3-1948) حكم عليه بالإعدام فضل متخفيا متنقلا، ثم رجع إلى مصر، وأقيم له احتفال تكريمي بالقاهرة في شهر نوفمبر (1952)⁽²⁾، ومع اندلاع الثورة أسس "جبهة تحرير الجزائر" مع أحمد مزغنة وابن بلة والإبراهيمي، وبسبب خلافات عبد الناصر مع الإخوان سجن مع رفيقه الشاذلي المكي، ثم أفرج عليهما، وظلّ يتردد بين العواصم العربية داعما للثورة الجزائرية إلى أن توفي بأنقرة في (12-3-1959)⁽³⁾

2- الشيخ محمد الغسيري: ولد (1915)، بعرض غسيرة، درس بزاوية الشيخ أحمد بن الصادق بأولاد ميمون، ثم في زاوية ابن الجودي ببسكرة، ثم بمدرسة الإخاء سنة (1931)، والتحق بالزيتونة سنة (1933). كان مدرسا بمدرسة التربية والتعليم بقسنطينة، سجن يوم (16-8-1945) وتنقل بين سجون قسنطينة والحراش وجنان بورزق ببشار، ثم عين الصفراء ومشيرة، وخرج سنة (1946)، ثم عين مفتشا عاما للتعليم من قبل الجمعية إلى غاية (1949)، وفي سنة (1956) ذهب إلى فرنسا متخفيا، ومنها إلى مصر ليكون ممثلا للجبهة في سوريا مع عبد الحميد مهري، وتوفي في (24-7-1974)⁽⁴⁾.

3- العباس بن الشيخ الحسين: ولد في أولاد خليفة بميلة سنة (1912)، وبها تعلم، ثم ببلاد القبائل بزاوية سيدي منصور، ثم شهورا بتونس، ثم درس بالقرويين بالمغرب، حيث نفي إلى الجزائر (1938)، وبأشرف عمله في الجمعية في بني صاف ثم عنابة، وفي الثورة التحق بممثلة جبهة التحرير بمصر، والسعودية، وبعد الاستقلال مستشار بالرئاسة، ورئيس للمجلس الإسلامي الأعلى، ثم عميدا لمسجد باريس، توفي (1989)⁽⁵⁾.

4- موسى الأحمد نويوات: ولد سنة (1900-1999) بأولاد علي بالمسيلة، ودرس بزاوية سعيد بن الأطرش، ثم بقسنطينة على يد ابن باديس سنتي (1926-1928)، ثم الزيتونة حيث نال التطويع سنة (1932)، ثم درس بقلعة بني حماد، ثم بمدرسة التهذيب بالبرج، وكتب في جريدة الشعلة⁽⁶⁾، وترك مؤلفات كثيرة.

(1) البصائر، ع 110 (6-3-1950)، ص 1، آثار الإبراهيمي، ج 2 ص 329. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 602.

(2) انظر البصائر، مقالات عن براءة الورثاني من تهمة تدبير الانقلاب باليمن"، ع 174 (5-11-1951)، ص 2. آثار الإبراهيمي، ج 4 ص 147، حيث أقيم الحفل في فندق "سيراميس" وخطب فيه الإبراهيمي.

(3) الورثاني، الجزائر الثائرة، مرجع سابق، ص 6. والكتاب مجموعة من المقالات والبيانات والمواقف المختلفة جمعت من قبل جمعية عباد الرحمن (فرع الإخوان المسلمين ببلبنان) في حياة المؤلف أيام إقامته ببلبنان سنة (1956) ثم طبع ببورت سنة (1963)، وطبعته دار الصديقية بالجزائر سنة (1989)، ثم قامت دار الهدى في الجزائر بطبعه طبعة ثالثة سنة (1991)، ورابعة سنة (2007).

(4) انظر محمد الصالح رمضان، "الشيخ محمد الغسيري"، الجزائر، مجلة الثقافة، ع 45 (جوان-يولييه 1976)، ص 105. جمعية أول نوفمبر، تاريخ الأوراس ونظام التركيبة الاجتماعية والإدارية أثناء فترة الاحتلال الفرنسي، ص 278. بوكسية، مرجع سابق، ص 209. من أعلام الإصلاح في الجزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 279. محاضرات أحمد حماني، مرجع سابق، ج 4 ص 274.

(5) فضلاء محمد الحسن، من أعلام الإصلاح، مرجع سابق، ج 2 ص 71. معجم أعلام الجزائر في القرنين، ج 1 ص 420. محاضرات ومقالات أحمد حماني، مرجع سابق، ج 4 ص 298.

(6) حماني، نفسه، مرجع سابق، ج 2 ص 237.

5- محمد الصالح بن عتيق: من جبال الميلية حفظ القرآن بميلة ودرس عند ابن باديس، ونال شهادة التطوع من تونس سنة (1932)، وعاد ليدرس بالميلية، ثم نقله ابن باديس لقلعة بني عباس، ثم ابتعثه ابن باديس لفرنسا ليؤسس لعمل الجمعية وتوعية العمال والمهاجرين، وهي البعثة التي رأسها الفضيل الورثاني ومعه حمزة بكوشة، والسعيد صالح، والهادي السنوسي، ومحمد الزاهي، وتعطل عمل البعثة مع الحرب الثانية، ثم كانت البعثة الثانية والتي رأسها الربيع بوشامة، ومعه سعيد البيباني بوتقجيرت وعبد الرحمان اليعلاوي، وإلى هذه الشعب في فرنسا كان العقيد عميروش منتسبا إذ كان هو رئيس جامعة الشعب التابعة للجمعية⁽¹⁾. في (1944) استأنف بن عتيق نشاطه، فانتقل بأمر الابراهيمى لتيارت، وأسس مدرسة، وفي (1950) أسس أخرى بسكيكدة، وأشرف على أول فرع لمعهد ابن باديس بالميلية حتى سنة (1954)، ثم انتقل للبليدة، وأسهم في الثورة، إذ اعتقل سنة (1956) حتى الاستقلال بعدما فقد بصره في المعتقلات، ثم ارتد بصيرا بعد الاستقلال.

6- الصادق حماني: (1916-1983)، ولد بالعنصر بضواحي الميلية، والتحق بالجامع الأخضر سنة (1931)، ثم تونس (1934)، وتفرغ بعد الحرب العالمية الثانية للعمل في مدارس وشعب وصحافة الجمعية. فأدار مدرسة الميلية ثم مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة⁽²⁾.

7- أحمد حماني⁽³⁾: ولد بالميلية في (6-9-1915)، درس بها على يد والده محمد حماني تلميذ ابن مهنّا، ثم قسنطينة، كما درس على يد أخيه محمود، والشيخ الحبيباني، ثم ابن باديس سنة (1931)، ثم انتقل لتونس سنة (1934) وتعتبر في بلوغ شهادة التحصيل حتى سنة (1940) بسبب الحرب العالمية الثانية، ثم نال شهادة العالمية (1943)، واشترك في الصحافة والعمل الثقافي والنضالي بتونس، وكان أمينا لجمعية الطلبة الجزائريين التي رأسها الشاذلي المكي، ثم عاد إلى الجزائر، وكتب في البصائر، ثم الشعلة، وكان من مناوئي العقبي وجماعته. درّس في معهد ابن باديس، وترأس لجنة الامتحانات، اعتقل في أوت (1957)، وحكم عليه بالأشغال الشاقة بين سجون الكدية وتازولت، وبعد الاستقلال درس بكلية الآداب، ورأس المجلس الإسلامي الأعلى، وأعاد بعث جمعية العلماء، توفي (29-6-1998).

8- الشيخ الأخضر الفيلاي، درس في الجامع الأخضر معينّا لابن باديس⁽⁴⁾، ثم انتقل إلى غرداية بإشارة من الإبراهيمي الذي ترجاه مالكية غرداية أن يرسل لهم معلما لمدرستهم الجديدة في مسجد خالد بن الوليد، وهو ما كان في سنة (1941)، حيث انتهى إليه نخبة من الطلبة من متليبي منهم شيخنا العلامة الأخضر الدهمة،

(1) انظر حماني، مرجع سابق، ج 1 ص 106.

(2) محاضرات أحمد حماني، ج 3 صص 375-454.

(3) أعلام من المغرب العربي، مرجع سابق، ج 3 ص 1223. معجم أعلام الجزائر في القرنين، مرجع سابق، ج 2 ص 84.

(4) حماني، ج 2 ص 315. والفيلاي ولد بخنقة سيدي ناجي سنة (1906)، وبها درس ثم بسيدي عقبة، ثم في قسنطينة على يد ابن باديس، باشر التدريس بأريس في زوايا آل الصالحي، انتقل إلى غرداية مدرسا بمسجد خالد بن الوليد، ثم نفي منها بعد وشايات وكيد من الإدارة الفرنسية بتهمة تهريب السلاح من ليبيا، ثم مارس التعليم بزوايا القبائل، وبعد الاستقلال استقر ببوقرة أين مارس الإمامة والوعظ والتعليم، كما يروي الدكتور محمد الحبّاس، توفي (11-2-1977).

وعبد السلام مولاي لخضر، ومحمد محجوب الذين أرسلهم لتونس، وقد نفت فرنسا الفيلالي من غرداية بتهم توريد السلاح من ليبيا والدعاية للسنوسيين، ولكن السبب الحقيقي هو خوفها من امتداد الحركة الإصلاحية للأقاليم العسكرية⁽¹⁾.

9- عبد الرحمان اليعلاوي: الجزائري الأصل، والمولود بتونس والزيثوني التكوين، رأس شعبة جمعية العلماء بباريس، وحلاه الإبراهيمي بأحسن الصفات من العصامية⁽²⁾، يعينه في التعليم هناك الشيخ سعيد البابي.

10- محمد بن بلقاسم محبوب: ولد بفرفار قرب طولقة (1906)، ودرس بالزاوية المختارية، ثم بالزيتونة (1923-1930). رأس شعبتها بطولقة، وأدار مدرسة حرة بفرفار⁽³⁾، وعمل بين (1944-1952) مشرفا على الشؤون الاجتماعية للسكان في الإجارة الاستعمارية، وبعد الاستقلال عمل مفتشا وخطيبا بالأوقاف حتى وفاته (1987) من آثاره: تمرد القرآن على العصور صدر عن المطبعة العربية بالجزائر سنة (1956)، المنظار، وصدر عن مطبعة البعث بقسنطينة سنة (1981)⁽⁴⁾.

11- عبد الرحمان الجيلالي: ولد سنة (1906) وتتلذ لابن شنب وابن سماية والزيري والحفناوي، درس بالشبيبة، وكان قليل النشاط الصحفي عدا بعض المقالات، وكذا كتابه عن ابن شنب سنة (1932)، من أهم آثاره تاريخ الجزائر العام سنة (1953)، تاريخ المدن الثلاث، المستشرقون الفرنسيون والحضارة الإسلامية، فنون الطلاسم، الربع المجيب⁽⁵⁾.

12- إسماعيل العربي: محند أعراب، ولد ببني وغيليس سنة (1919)، وبها درس القرآن ومبادئ العربية والفقه، ثم التحق بآبن باديس بقسنطينة سنة (1938)، وكلفته الجمعية بمهمة الإرشاد بفرنسا، ثم رحل إلى مصر وانتسب للجامعة الأمريكية بالقاهرة فتخرج بالليسانس، وبعد الحرب الثانية عاد للجزائر واشترك في نشاط التعليم للجمعية في لجنهها العليا، وكتب في صحافتها، ثم التحق بالسوربون فتخرج منها بالليسانس في الاقتصاد (1954)، واستغل في هيئات إعلامية بليبيا وبريطانيا وسويسرا ومندوبا لوفد الكويت للأمم المتحدة بجنيف، ثم استقر بالجزائر وكتب في مجلات الأصالة والثقافة، إلى غاية وفاته بالرباط، حيث دفن بمقبرة العالية في (31-3-1979).

أصدر خلال مسيرته أعمالا علمية مهمة في التاريخ والحضارة والاقتصاد وحاضر الدول الإسلامية، وفاقت كتبه الستين من ترجمات وتحقيقات وتأليفات، منها: العلاقات الدبلوماسية بين دول المغرب والولايات المتحدة، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، عواصم بني زيري: أشير، القلعة، بجاية، غرناطة، المهديّة، الصحراء الكبرى وشواطئها، معجم الحواضر الإسلامية بالأندلس، معجم الحواضر الإسلامية بالمغرب، تاريخ الرحلة

(1) محمد عبد الحليم بيثي، تطور الثورة الجزائرية في ناحية غرداية، مرجع سابق، ص 75. محاضرات أحمد حماني، مرجع سابق، ج 3 ص 391.

(2) البصائر، ع 148 (3-26-1951)، ص 3، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 388.

(3) كان الكاتب العام لجمعية المدرسة التي أقامت حفلا غطته جريدة المرصاد، ع 14 (6-5-1932)، ص 2.

(4) جريدة البصائر، (25-8-2020). تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 34.

(5) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 424.

والاستكشاف في البر والبحر، معجم الجغرافيين والفلكيين العرب، حاضر الدول الإسلامية في القارة الإفريقية، الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية.

13- عبد اللطيف سلطاني: ولد بالقنطرة ببسكرة (1902)، ودرس بزاوية بن عمر سنتي (19-20)، ثم التحق بالزيتونة (1922-1929) وتخرج بالتطوع، درس بمدارس الجمعية بالقنطرة بمدرسة الهدى، والقرارم، ثم بمعهد ابن باديس، وعضوا بالمجلس الإداري سنة (1946)، ثم أمينا للمالية (1951) ومديرا لمركز الجمعية بالعاصمة، اعتقل مرات أيام الثورة، وبعد الاستقلال خطيبا بكتشاوة وغيرها.
من آثاره: المزدكية هي أصل الاشتراكية (1974)، سهام الإسلام (1980)، في سبيل العقيدة الإسلامية (1982)، وشرح مختصر الأخضر في الفقه مخطوط، توفي بالقبة في (11-4-1984) ⁽¹⁾.

14- أحمد رضا حوحو: ولد بسيدي عقبة (1911) هاجر إلى الحجاز (1937-1945) عاد للجزائر، واشتغل مديرا لمدرسة التربية والتعليم، ثم كاتبا عاما لمعهد ابن باديس، أصدر روايات: غادة أم القرى، مع حمار الحكيم، صاحبة الوحي، اغتيل في قسنطينة (29-3-1956) ⁽²⁾.

15- حمزة بكوشة: ولد بودي سوف سنة (1909)، ودرس بها ثم بتونس، التي عاد منها سنة (1930)، وأسهم في الإصلاح، أدار مدرسة دلس، وأسهم في الكتابة الصحفية والعملية التعليمية، دخل المجلس الإداري للجمعية سنة (1938)، وأشرف على جريدة المغرب العربي بوهرن (1937)، ثم عاد للتعليم في قسنطينة، وزار فرنسا مدعما جهود الإصلاح هناك، واستقر بالعاصمة تاجرا ومدرسا بمدارس الجمعية، وبفرع معهد ابن باديس ببلكور ⁽³⁾.

16- نعيم النعيمي: ولد بأولاد جلال (1909)، ودرس بالزاوية المختارية والهامل، ثم تونس سنة واحدة (1924)، ثم علم بالزوايا، وانظم للجمعية، أصبح مدرسا بمدرسة الإصلاح في الشلف، ثم بمعهد ابن باديس، وعده الإبراهيمي من العلماء النبغاء العصاميين الحافظين، وقد انظم للثورة، وصار محافظا سياسيا، وتوفي (18-6-1973) ⁽⁴⁾.

17- عبد المالك فضلاء: ولد بثرقت بني ورثان (1920)، انتسب للجامع الأخضر سنة (1937)، أدار مدارس كثيرة في حوض الصومام، وخاصة تازمالت، قتل بالعاصمة في (16-7-1957) ⁽⁵⁾.

18- الربيع بوشامة: ولد في قنزات (1916)، ودرس بالجامع الأخضر سنتين قبل وفاة ابن باديس، أديب شاعر، قضى في فرنسا سنتي (52-53) في الإرشاد، ثم أدار مدرسة الثبات بالحراش، أُعدم مع عبد الكريم العقون في (13-5-1959) ⁽⁶⁾.

(1) من أعلام الإصلاح في الجزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 251.

(2) محاضرات أحمد حماني، شهداء معهد ابن باديس، ج 3 ص 279. من أعلام الإصلاح في الجزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 257.

(3) أعلام من المغرب العربي، ج 3 ص 1087. بن قينة عمر، صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، مرجع سابق، ص 375.

(4) من أعلام الإصلاح في الجزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 158.

(5) المرجع السابق، ج 1 ص 273.

(6) معجم أعلام الجزائر في القرنين، مرجع سابق، ج 1 ص 472. من أعلام الإصلاح في الجزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 287.

19- أحمد بوزيد قصيبة: ولد بالأغواط (1919)، ودرس عند الميللي، وبالمدرسة الفرنسية، التحق بتونس سنة (1932) وكان كاتباً لجمعية الطلبة الزيتونيين التي أعيد تأسيسها في (6-11-1936) ورأسها الشاذلي المكي، أسس بالأغواط فوج الرجاء سنة (1937) وتواصل مع الإبراهيمي في منفاه بأفلو، وكان الكاتب العام لمركز الجمعية بالعاصمة، توفي يوم (4-7-1994).

20- الجيلالي الفارسي: (1909-1994): درس بزوايا الشلف، ثم غليزن، ثم قسنطينة، والتحق بتونس التي عاد منها سنة (1942)، وكان عضواً بالمجلس الإداري للجمعية سنة (1949)، أخرج رواية الثلاثة للإبراهيمي في (881) بيت، وقصيدة في (73) بيت يخاطب بها أحد علماء نجد، وقصيدة (72 بيت) في تعليم البنت⁽¹⁾.

المسار الإداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين		
المكتب الأول 5-ماي-1931	عبد الحميد بن باديس، محمد البشير الإبراهيمي، الطيب العقبي، ومبارك الميللي، محمد الأمين العمودي، والسعيد الجري-، المولود الحافظي، مولاي بن شريف، والطيب المهاجي، حسن الطرابلسي، عبد القادر القاسمي، محمد الفضيل اليراتي، ابراهيم بيوض.	
المكتب الثاني ماي 1932	ابن باديس، الابراهيمى العقبي، محمد الأمين العمودي، مبارك الميللي، الفضيل اليراتي، الطيب المهاجي، التبسي، أبو اليقضان محمد خير الدين، المكي القاسمي، أبو عبد الله البوعبدلي، ابن عربية القاضي (موظف)، محمد الأمين العمودي المحامي.	استقالة بيوض
المكتب الثالث جوان 1933	ابن باديس (رئيسا)، الابراهيمى (نائب الرئيس)، محمد الأمين العمودي (كاتب عام)، التبسي (نائب الكاتب العام)، مبارك الميللي (أمين المال)، أبو اليقضان (نائب أمين المال) المستشارون: العقبي، الزاهري، محمد خير الدين، علي أولخيار، يحي حمودي، قدور الحلوي، عبد القادر بن زيان. لجنة العمل الدائمة: أبو يعلى الزواوي -رئيس-، رودوسي محمود (كاتب)، محمد بن مرابط ⁽²⁾ (أمين المال)، رشيد بطحوش (مستشار)، محمد بن الباي (مستشار) الهيئة المؤقتة قبل الانتخاب: مصطفى بوصوف، الشيخ أبو عبد الله المهدي، الشريف الصائغي، مصطفى حلوش، أحمد عبد المالك الأغواطى، الطاهر الحركاتي، عبد الرحمان بن ببي	
المكتب الرابع أكتوبر-1935	ابن باديس، الابراهيمى، التبسي، محمد بن منصور (برج منائل إمام) الميللي، أبو اليقضان، يحي حمودي، ³ محمد خير الدين، الطيب العقبي، علي أولخيار، عبد القادر بن زيان ⁽⁴⁾ بلقاسم بن حلوش، السعيد الزاهري ⁽⁴⁾	استقالة العمودي
المكتب	ابن باديس، البشير الإبراهيمي، مبارك الميللي، أبو اليقضان، العربي التبسي، فرحات بن	إحداث

(1) محمد الحسن فضلاء، من أعلام الإصلاح في الجزائر، ج 3 ص 92-95.

(2) جريدة السنة النبوية، ع 13 (15 ربيع الأول 1352 هـ-7-7-1933)، ص 3. المرصاد، ع 51 (30-6-1933)، ص 2.

(3) عبد القادر بن زيان من سيق تعود أصوله إلى بني زيان، وربما جده هو الذي كان مع معي الدين في خنق النطاح الأولى

(4) الشهاب (ع رجب 1354-أكتوبر 1935)، ج 11 ص 496.

الخامس أكتوبر 1937	الدراجي، محمد خير الدين. المستشارون: الطيب العقبي، حمزة بكوشة، بلقاسم اللجاني، عبد القادر بن زيان، عبد المجيد حيرش، عبد العزيز بن الشيخ الهاشي، مصطفى بن حلوش، أحمد معيزة ¹	صفة المستشار
المكتب السادس أكتوبر- 1938	ابن باديس، البشير الإبراهيمي، مبارك المليي، أبو اليقظان، العربي التبسي، فرحات بن الدراجي، عبد العزيز الهاشي القادري (معتقل بقسنطينة)، علي أولخيار، عبد القادر بن زيان، السعيد صالح، محمد خير الدين (مرافب عام)، أحمد بن معيزة (أمين مال الجمعية)، محمد بن منصور العقبي، محمد الطاهر الجيجلي، حمزة بكوشة بلقاسم الأجاني، مصطفى ² بن حلوش	استقلالية العقبي استعفاء الميلي من أمانة المال
المكتب الإداري الأول 1940	الإبراهيمي، (رئيس منفي)، التبسي (كاتب عام)، أحمد معيزة (أمين المال)، صالح السعيد (أمين مال مساعد)، محمد خير الدين (مراقب)، مبارك المليي (عضو مساعد)، بلقاسم اللجاني (عضو مساعد)، محمد الطاهر جيجلي (عضو مساعد).	
مكتب 1946	الإبراهيمي، التبسي، حمزة بكوشة، فرحات الدراجي، عبد اللطيف سلطاني، علي المغربي، أبو بكر عيسى الأغواطي، عباس بن الشيخ الحسين، نعيم النعيمي، أحمد رضا حوحو، السعيد الزموشي، عبد القادر الياجوري، محمد الصالح بن عتيق، الطاهر الجليلي. تعيين أحمد بوزيد قصبية كاتبا عاما، والسعيد الزموشي كاتب لعمالة وهران، أحمد بن ³ سمنون لعمالة الجزائر، أحمد حماني لعمالة قسنطينة ⁴	
أكتوبر 1951 ⁴	الإبراهيمي رئيسا، التبسي، محمد خير الدين، أبو بكر الأغواطي، أحمد حماني، نعيم النعيمي، الجيلالي الفارس، محمد الشبوكي، باعيز بن عمر، حمزة بكوشة، سعيد صالح، أحمد بوشمال، عبد اللطيف سلطاني، علي مغربي، أحمد توفيق المدني، العباس بن الشيخ الحسين	

المكتب الإداري الأول لجمعية العلماء قبل الانقسام		
الاسم	الصفة	النسبة
ابن باديس	الرئيس	إصلاحي
الإبراهيمي	نائب الرئيس	إصلاحي
محمد الأمين العمودي	كاتب عام	إصلاحي
الطيب العقبي	نائب الكاتب العام	إصلاحي
مبارك المليي	أمين المال	إصلاحي
إبراهيم بيوض		إباضي إصلاحي

(1) الشهاب (ع شعبان 1356 - أكتوبر 1937)، ج 13 ص 386.

(2) عبد الحميد بن باديس، "المجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين" البصائر، ع 135 (13 أكتوبر 1938)، ص 2. البصائر، ع 137 (1938-10-28)، ص 1.

(3) محاضرات ومقالات أحمد حماني، مرجع سابق، ج 4 ص 318.

(4) البصائر، ع 172-173 (15-10-1951)، ص 8.

المولود الحافظي	عضو مستشار	محافظ
مولاي ابن الشريف	عضو مستشار	
الطيب المهاجي	عضو مستشار	محافظ
السعيد اليجري	عضو مستشار	طرقى رحمانى
حسن الطرابلسي	عضو مستشار	طرقى علوي
عبد القادر القاسمي	عضو مستشار	طرقى رحمانى
محمد الفضيل اليراني	عضو مستشار	
1: اللجنة الإدارية الأولى للعمل بالعاصمة)		
الاسم	الصفة	النسبة
عمر إسماعيل	رئيس	علاوي
محمد المهدي بن شغيب	كاتب	-
آيت أحمد عبد العزيز	أمين المال	رحمانى
محمد الزمولى	عضو	-
الحاج عمر العنق	عضو	إباضي

(1937/1356) أغلب الشعب التي تتوفر على لوائح مكاتبها رأسها الإصلاحيون، مثل (2):

الجزائر: محمد العيد آل خليفة	المدية: محمد بن تشيكو	الغزوات: بشير بن علي	سيق: مصطفى بن زيان
الأصنام: نعيم بن محمد	بجاية: الهادي زروقي	مسكيانة: علي أبو الأحبال.	عين تموشنت: عفيفي الطاهر
الأغواط: دهينة الحسن	البليدة: الشيخ حسين بن سليمان	سطيف: يحي الشريف عبد الرحمان	شلالة: زيتوني بن الحاج مسعود
تيزي وزو: فرج محمد الصغير	قصر البخار: أحمد بن الأنوار	الجنّاح: مرحوم علي	مغنية: عبد القادر بن سالم
دلس: بن ناصر الطيب	ميشلي: بشيري بن علي	عين قشرة: محمد بوضفة.	الغزوات: محمد ب القباطي.

شعب الجمعية في العملات الثلاث سنة 1936 (3)

عمالة قسنطينة	عمالة الجزائر	عمالة وهران
قسنطينة، عين عبيد، عين البيضاء، عين	الجزائر، البرواقية، البليدة، بقاري	وهران، عين تموشنت، أفلو، بني

(1) العقون، الكفاح القومي السياسي، مرجع سابق، ج 1 ص 194.

(2) بوصفصاف، مرجع سابق، ص 489-507.

(3) علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، مرجع سابق، ص 233.

صاف، نمور (الغزوات)، بريقو (المحمدية)، غليزان، سعيدة، سيدي بلعباس، سيق، تيارت، تلمسان	(قصر البخاري)، برج منايل، بوسعادة، دلس، الأغواط، المدية، المسيلة، سيدي عيسى، تيزي وزو،	مليلة، عين التوتة، أفبو، عزازقة، بركة، باتنة، بسكرة، برج بوعرييج، بجاية، شاتودان، كولو، جيجل، فج أمزالة، القرارام، قالمة، قمار، قنزات، القنطرة، خنشلة، بوقاعة، مسكيانة، ميلية، الميلية، وادي أمزور، وادي الزناتي، سكيكدة، رأس الوادي، قلعة بني عباس، العلما، سدراتة، سطيف، سيدي عيش، تازمالت، تبسة، تلاغمة، بني ورتلان، بني على

المبحث الثاني: الطريقون في الأربعينيات (1941-1954).

يتناول المبحث الواقع الطريقي وتجلياته الفكرية والمؤسسية واهتماماته المختلفة وشخصياته الفاعلة بعيد الحرب العالمية الثانية حتى قيام الثورة، وهو واقع اتسم بالانكماش مقارنة بما قبله نتيجة التطورات الحاصلة في الجزائر.

المطلب الأول: المواقف والاهتمامات الطرقية في الأربعينيات.

1- المواقف من أحداث ماي 1945:

دخل العقد الرابع وأجواء الحرب العالمية تهمين على الجميع بأوجاعها وآلامها، وشيوع الخيبة من الوعود الفرنسية الكاذبة في نهاياتها التي ختمت بمأساة حزينة هي مجازر الثامن من ماي سنة (1945)، وعلى الرغم من كل ذلك فقد سعت فرنسا إلى استثمار ما بقي من هيبة ووجود لبعض الطرق لتهدئة الساكنة، وقد تباينت المواقف الطرقية من ذلك، بتباين مواقف الأتباع والمريدين عن مواقف المشايخ المتحفظة، والتي تبغي الحفاظ على السلم الأهلي، وعدم الانخراط في مغامرات غير محسوبة. وفي هذا دعت الإدارة الفرنسية كلا من المشايخ مصطفى القاسمي، وباش تارزي وعمر الحملوي لتهدئة السكان⁽¹⁾. ووقفت البلاغ مع الدعاية للفرنسيين، والهجوم على النازية وقوات المحور، وكان موقفها سلبيا تجاه الأحداث المروعة في ماي، وهو ما

(1) بوكسية، التطور الثقافي والسياسي بزوايا الطريقة الرحمانية، ص 246. البوعبدلي، مراسلة القاسمي مصطفى للمهدي البوعبدلي في 25 ماي 1945، يدعو الكافة للهدوء والسكون وانتظار الفرج والطف من الله، انظر المراسلات، مرجع سابق، ص 226.

مكّنها من البقاء والصدور⁽¹⁾. في حين امتلئت جريدة الروح -الداخلية السرية- بعدد المقالات الناعية للأحداث المروعة⁽²⁾، بما ينبئ عن تصعد كبير في الاهتمامات الوطنية للشباب الطرقي في المعهد القاسمي.

2- الحزبية الصاعدة:

لم يتشجع الطرقيون للأحزاب الجزائرية الصاعدة، فعلى المستوى المشيخي لم يكن هناك كبير ترحيب بها لاختلاف المنازع الإيديولوجية لها، وفي هذا يقول عدة بن تونس: "لا يجمل بنا أن ننكر الأحزاب، ولكن ننكر ما تقوم به من تدليس وتفليس وتضليل للعقول حتى تذهب الأمة ومصالحتها أغراض المغرضين.. وإن كان ولا بد من الأحزاب، فيكفيها حزب الله"⁽³⁾، ولكن بعض أتباع الطرق انخرطوا في المشاريع الحزبية، وخاصة البيان وحزب الشعب، ووجدنا دعوات إلى الاتحاد ونبذ خلافات الأحزاب، وهي دعوات تكررت من الحافظي ومن حسن الوارزقي⁽⁴⁾.

بدأت الأحزاب الوطنية تجتذب الطرقيين مبكرا، فكثير منهم انضم لحزب الشعب والبيان⁽⁵⁾، ولم يكن الأمر غريبا فمصالي الحاج كان من مريدي الدرقاوية بتلمسان، وأما الشيوعيين فكانوا على عداء شديد مع الطرقيين، وكم اتهم الأخيرون الإصلاحيين زورا بأنهم ظهير للشيوعيين، وربما بدأت الانعطافة نحو هذه التيارات السياسية -عدا الشيوعيين- بعد المجازر الفظيعة (8-5-1945)، والتي رسمت أخطودا كبيرا بين الجزائريين وفرنسا، ببشاعة الحاصلات المأساوية للشعب الجزائري، خاصة وأن الاستعمار الفرنسي كان يرد بسلبية مقبلة على كل مطلب حقوقي للشعب الجزائري بدء من البيان⁽⁶⁾، وصولا إلى القمع الوحشي للمظاهرات نهاية الحرب⁽⁷⁾، ثم صارت الزوايا مقصدا لرجال الحركة الوطنية لكسبها إلى جانبهم في انتخابات نهاية الأربعينيات، وبعضها صار مراكز ثورية، كما هو الحال مع الحملات التي كانت جبهة التحرير تعقد اجتماعاتها بها وبفروعها بشرط السرية التامة كما نقل عن مسؤولي الثورة⁽⁸⁾.

3- الردود على الإصلاحيين:

اهتم الطرقيون بالرد على الإصلاحيين فقهيا ومنهجيا، واحتفوا بعدد النقوض عليهم، ومن ذلك نشرهم كتاب "كشف النقاب عن فتاوى الشيخ ابن عبد الوهاب"، والذي أحدث ضجة لدى علماء ندرومة حسب

(1) آيت علجت، صحف التصوف الجزائرية، مرجع سابق، ص 101.

(2) احتلت المقالات حول الثامن من ماي حيزا كبيرا من أعمدة مجلة الروح على الرغم من تأخر صدورها ثلاث سنوات، ويمكن قراءة المقالات في أغلب الأعداد، في العدد الثالث (13-5-48)، أربع مقالات وقصيدة شعرية رثائية، والعدد الرابع (20-5-48)، مقالتان، والعدد الخامس (27-5-48)، مقالة واحدة، والعدد السادس (3-6-48) مقالتان، والعدد السابع (11-6-48)، مقالة واحدة.

(3) المرشد، "لا يستقيم الظل والعود أعوج"، ع 17 (1948)، عدة بن تونس، تنبيه القراء، مرجع سابق، ج 1 ص 170.

(4) جريدة الإصلاح، ع 61 (13-9-1947). مقال الحافظي في البلاغ، ع 694 (2-5-1947) عن العقون، الكفاح القومي السياسي، مرجع سابق، ج 2 ص 453-456.

(5) أمثال عبد الرحمان العقون، بلقاسمي محمد، ومسعود بلعقون شيخ بن بولعيد كان رحمانيا، والعربي سعدون وزير الأوقاف (1965-1970)، وأحمد بودة بعين طاية، انظر بوكسية، نفسه، ص 231.

(6) انظر أحمد محساس، الحركة الوطنية الجزائرية من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلحة، ص 179.

(7) انظر محمد حربي، الثورة الجزائرية، سنوات المخاض، موفم، 1994، ص 13.

(8) محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، مرجع سابق، ص 68.

صحافة العلويين التي علّقت بمقال "توقف حمار الشيخ في العقبة"⁽¹⁾. إضافة إلى استمرار الجدل الفقهي والفقهي حول قضايا التقليد والذكر والمذهبية والوهابية والبدع إلى غير ذلك مما سنعرضه في المبحث الموالي.

4- المجالات الأخلاقية:

اهتم الطرقيون كعادتهم بالنواحي الأخلاقية حفاظا عليها وتذكيرا بها، ومن ذلك قضايا الخمر والقمار والسفور، فهاجموا بقوة دعوات السفور وخلع الحجاب التي باشر الدعوة إليها لفيف من الشيوعيين والمتفرنجين، ومن أهم المهاجمين لهذا التيار التحريري البودليي العلاوي الطريقة في رسالته "الرسالة الديلمية في صيانة العائلات الإسلامية"، أو "القول المبرور والعمل المشهور في صيانة ربّات الخدور"⁽²⁾، والتي شحّنها بالنصوص الشرعية وأقوال العلماء على وجوب الحجاب والاستتار، بل ووجوب تغطية الوجه حسب العرف السائد في الجزائر، معتبرا كشف الوجه عادة للبغياء ذوات الأصل الخبيث.

وقد أخذ بعضهم على العلويين تردّد الأوروبيات سافرات لزاويهم، فردّ عدة بن تونس بأن ذلك لضرورة التذكير وبيان محاسن الإسلام⁽³⁾، ولكن العلويين بالضبط رافعوا في جرائمهم ضد السفور الذي اعتبروه فجورا، بل وندّدوا بالمدارس العصرية التي يشيع فيها، وهاجموا رغبة بعض الجمعيات في تلمسان تشجيع سفور البنات في الدراسة⁽⁴⁾، واستغربوا سكوت جمعية العلماء، بل ندّدوا بمشاركة المرأة السورية في الانتخابات البرلمانية في (1949)⁽⁵⁾. وهاجموا التوجهات الشيوعية، ونشروا فتاوى في ضلالها، ومقالات في تفنيدها⁽⁶⁾.

كما انبرى الطرقيون بالدفاع بقوة عن رؤيتهم للقضايا الأخلاقية والدينية ضد دعاة التجنيس والفرنجة من المنسلخين عن الهوية الإسلامية، ومن المتأثرين بالتجربة الكمالية في تركيا ممن أطلقوا على أنفسهم "عصبة مراد" وطالبوا في جريدة الصوت الحر للزناحي ربيع بإلغاء الحجاب، وإبطال الأحكام الشخصية، وإلغاء الصداق في الزواج، والتسوية في الميراث، ومنع الختان التي زعموا بأنها عادة يهودية⁽⁷⁾.

5- القضايا الإسلامية:

(1) مجلة المرشد، ع 36 (1950)، والكتاب لعلي نقي النقوي اللكهنوي الهندي الشيعي (1323-1408هـ)، والذي طبع بالمكتبة الحيدرية بالنجف سنة (1345هـ)، وعنوانه الحقيقي هو "كشف النقاب عن عقائد الشيخ ابن عبد الوهاب".

(2) البودليي، الرسالة الديلمية في صيانة العائلات الإسلامية، ص 2. وقد قرظ رسالته هذه مفتى الأحناف محمد العاصمي، والشيخ الرابعي، ووعلي اليحياوي مفتي المالكية بمليانة، ومصطفى بن يليس المدرس بالجامع الكبير بالعاصمة. وعبد الحميد حميدو المدرس بالمدرسة الشرعية بتلمسان، وكان تقريظه بالفرنسية.

(3) مجلة المرشد، "أربع أسئلة وجوابها"، ع 56 (1952)، ج 1 ص 185.

(4) مجلة المرشد، "السفور فجور يا عباد الله"، ع 5 (ديسمبر، 1946)، ج 2 ص 25. وج 2 ص 31.

(5) مجلة المرشد، مقال "خطوة في سبيل الانحطاط" ع 31 (11-23-1949)، ج 2 ص 35.

(6) مجلة المرشد، "لا شيوعية في الإسلام"، ع 29 (أوت، 1949)، ج 2 ص 96. وج 2 ص 119.

(7) البودليي، الرسالة الديلمية في صيانة العائلات الإسلامية، ص 19، وحسبه فالمقال صدر بجريدة الصوت الحر، ع 1 (12-2-1947).

اهتم الطريقون في صحفهم بأخبار العالم الإسلامي، مثل إطلاق سراح الأمير الخطابي، وتحولات الإسلام في تركيا⁽¹⁾، وبأخبار انتشار الإسلام في أوروبا وأستراليا، وأعادوا إثارة موضوع الجامعة الإسلامية الجامعة للشتات الإسلامي⁽²⁾، وتابعوا بأخبار نواة إنشاء الجامعة الإسلامية بباكستان⁽³⁾، وإن كان المشروع لم يكتب له الاستمرار، وظهر بشكل آخر في نموذج المؤتمر الإسلامي.

وكانت مواقفهم متباينة تجاه المملكة السعودية من حيث عدم رضاهم عن توجهاتها الوهابية، ولأجل ذلك روجوا لمشروع بعض العراقيين في إنشاء هيئة تشرف على الحرمين بدلا من احتكار السعودية للتوجيه الديني فيهما⁽⁴⁾.

6- فلسطين:

تابعت صحيفة البلاغ وغيرها قضية فلسطين بقوة، ونقلت كتابات الصحافة المشرقية، واهتمت بقضية القدس كثيرا، وكانت متجاوبة وعن صدق بما يجيش في خواطر الجزائريين نحو الإخوان الأشقاء في ليبيا وفلسطين من المشاركة الوجدانية والتفاعل العاطفي وروح الدعم المادي والمعنوي⁽⁵⁾. وخصصت جريدة الروح عديد المقالات الراقية في التأزر مع فلسطين⁽⁶⁾، ونقلت أنباء عن جمع التبرعات من يهود بوسعادة للإسرائيليين في حربهم ضد العرب⁽⁷⁾، وبرقيات الشيخ مصطفى القاسمي لعزام باشا في وقوف المعاهد الدينية الجزائرية مع فلسطين⁽⁸⁾، وكذلك جريدة المرشد في مقالات متعددة أيام محنة ثم نكبة فلسطين⁽⁹⁾، ودعت إلى جمع التبرعات لصالح فلسطين، ولا ندري مسار هذه التبرعات كيف سارت ولمن سلمت؟، والمهم أن القضية كانت مركزا في مقالات الطريقين في متابعة أحداث الحرب العربية الإسرائيلية، وأخبار اللاجئين، واحتفوا بتأسيس لجنة فلسطين، ولكن لغتهم لم تكن قوية في فضح التآمر الفرنسي ضد فلسطين⁽¹⁰⁾.

المطلب الثاني: الصحافة الطرقية:

1- مجلة المرشد:

-
- (1) مجلة المرشد، ع 24 (أفريل 1949)، ج 2 ص 67. ع 53 ج 2 ص 77، ج 2 ص 81.
- (2) مجلة المرشد، مقالات الجامعة الإسلامية، الأعداد: 25، 31، 32، 33، 39... البحيصي، مرجع سابق، ص 127.
- (3) تكونت اللجنة التنفيذية لها من قبل: عبد الرحمان بدوي، محمد ناجي، عداي طاهر نور، شمس الدين الوطيلي، أديب مروة، أحمد عويدات، محي الدين صابر... إلخ، انظر مجلة المرشد، ع 31 (23-11-1949)، ج 2 ص 70.
- (4) مجلة المرشد، "الحرمان الشريفان" ع 29 (أفريل، 1949)، ج 2 ص 73.
- (5) آيت علجت، صحف التصوف الجزائرية، مرجع سابق، ص 102.
- (6) احتلت قضية فلسطين وأنبائها وأصالة العرب فيها حيزا كبيرا في مقالات مجلة الروح مثل الأعداد: ع 4، ص 129. ع 5، ص 150. ع 6، ص 171. ع 7، ص 190.
- (7) جريدة الروح، -المحافظة- مقال "حدث بليل"، ع 2 (06-05-1948) ص 80.
- (8) جريدة الروح، ع 10 (02-7-1948)، ص 249.
- (9) المرشد، "مشكلة المشكلات في القدس" ع 16 (مارس 1948)، ج 2 ص 47. آيت علجت، نفسه، ص 102.
- (10) مجلة المرشد، "مدينة القدس الشريف"، ع 29 (1949)، ج 2 ص 52، وع 34 (19-2-1950)، ج 2 ص 53.

أصدرها الشيخ عدة بن تونس شيخ الطريقة العلوية بمستغانم، وهي نشرة شهرية، وصدر عددها الأول عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية في شهر أوت (1946)، وكانت تصدر بالعربية والفرنسية، واهتمت كثيرا بموضوعات التصوف وتاريخه، وعرضت لأخبار وانتشار الطريقة العلوية وأعيادها وموالدها⁽¹⁾، وتعرضت للشبهات التي تحوم حول التصوف الحلول وغيره، وأحيت ذكرى رواده أمثال ابن الفارض وصلاح الجزائري، إضافة إلى بعض القضايا الفلسفية كالعلاقة بين الروح والعقل، وقضايا في التفسير والفقه.

وكان اهتمامها بالقضايا السياسية الجزائرية ضئيلا، إلا إذا استثنينا القضايا الأخلاقية والاجتماعية، في حين تابعت وبكثرة القضايا الإسلامية مثل موضوع القدس والتكالب الصهيوني على فلسطين، وتبعت نشاط الهيئة الجزائرية للدفاع عن فلسطين، وأعدت إحياء قضية الجامعة الإسلامية والخلافة الكبرى⁽²⁾، والعودة الجزئية للهوية الإسلامية في تركيا (عقب وفاة عصمت ايننويو الذي ترك الحكم سنة 1950)، ونعت وفاة علي الحمامي في تحطم الطائرة التي تحطمت في باكستان، وتوفي فيها محمد بن عبود المغربي، والحبيب ثامر التونسي. وصدر منها (56 عددا)، وكان أكثر كاتب فيها هو شيخ الطريقة عدة بن تونس بأسماء مختلفة مثل "مذكر، مرشد، عبد الرؤوف، محمد أوراغ"، وتوقفت في (يناير 1952)⁽³⁾، ومن أجل الترويج والإشهار لها ألزمت الطريقة العلوية مقاديمها بأنهم وكلائها في التوزيع والبيع وجمع الاشتراكات والتبرعات⁽⁴⁾.

2- مجلة أحباب الإسلام: صدرت بالفرنسية من مدينة وهران، واهتمت بقضايا الحوار بين الأديان، وصورة الإسلام في الأقاليم الغربية، إضافة إلى معالجة قضايا التبشير.

3- مجلة السلام: أصدرها حمزة بوبكر الأمين العام للطريقة الشيخية في (سبتمبر 1946) وتوقفت في (ماي 1950)، وتحولت إلى اسم "سلام إفريقيا"، وكانت تدافع عن السياسة الفرنسية ومخططاتها في إفريقيا⁽⁵⁾.

4- مجلة صوت المسجد: لسان حال رجال الديانة الإسلامية في القطر الجزائري، ورأسها الشيخ محمد العاصمي، رئيس الودادية لرجال الديانة الإسلامية⁽⁶⁾، وصدر عددها الأول في (5-10-1948)، وتوقفت بعد وفاته (10-6-1951)⁽⁷⁾، وصدر منها (21 عددا) وكانت ذات اتجاه يماثل الإدارة الفرنسية، ويقف ضد الإصلاحيين⁽⁸⁾. وهي صوت المسجد الذي تتحكم فيه وفي رجاله الإدارة الاستعمارية حسب علي مرحوم⁽⁹⁾.

(1) المرشد، ع 13 في (12-1947). تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 272.

(2) المرشد، "الخلافة الإسلامية الكبرى" ع 23 في (سبتمبر 1948)، ج 2 ص 92، ومقال "الإسلام خلافة لا جمهورية" ع 35 (مارس 1950)، تنبيه القراء، مرجع سابق، ج 2 ص 100.

(3) يحي بركة، مقدمة مجلة المرشد، انظر تنبيه القراء، مرجع سابق، ج 1 ص 3.

(4) مجلة المرشد، "إلى مقدمي الطريقة العلوية"، ع 13 (ديسمبر، 1947)، تنبيه القراء، ج 1 ص 129.

(5) ناصر، الصحف العربية، ص 262. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5 ص 272.

(6) كان في عمالة الجزائر الجمعية الودادية لرجال الديانة الإسلامية، ويرأسها المؤذن بالجامع الكبير نجار محمد الزغوي، وقد أدت زيارة للكاتب العام للولاية "ميشال". انظر الثبات، ع 47 (26-7-1935)، ص 4. ولعلها توسعت بعد ذلك لتشمل كل القطر الجزائري.

(7) محمد ناصر، نفسه، ص 263. مريوش، مرجع سابق، ص 346. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4 ص 420، ج 5 ص 275.

(8) تعرضت لهجوم كبير في البصائر، ع 81 (30-5-1949)، ص 26.

(9) علي مرحوم، نظرة على تاريخ الصحافة العربية الجزائرية، مجلة الثقافة، ع 42، ص 40.

5- مجلة الروح:

التي أصدرتها "جمعية المحافظة" بمعهد الهامل، وكان من مشرفيها الشيخ خليل القاسمي، وصدر منها عشرة أعداد، الأولان باسم المحافظة، والثمانية باسم الروح وذلك في أشهر ماي -جويلية من سنة (1948)، وكانت المجلة أسبوعية سرية تستنسخ بالأيدي، وبها مقالات أدبية سامقة، وغلب عليها التفاعل مع أحداث ماي، ونكبة فلسطين، والقضايا الدينية المختلفة⁽¹⁾.

6- مجلة الذكرى:

أصدرها الفرع العلوي بتلمسان، ورأسها أفندي عبد العزيز، ثم الشيخ علي بودليي، وكانت مجلة شهرية، وصدر العدد الأول منها في (15-12-1954)، وتوقفت في العدد الثامن في (13-8-1955)⁽²⁾، وهي آخر صحيفة تصدر عن الهيئات الطرقية، وقد ظهرت في العام الأول للثورة. واهتمت بمواضيع التصوف والتربية، كما أبرزت شخصية البودليي المنفصل عن زاوية العداويين بمستغانم، ودافعت الصحيفة عن الطرقيين عن طريق تكرار مناظرات البودليي مع الإبراهيمي.

المطلب الثالث: المؤسسات الطرقية التعليمية:

1- **المعهد الحملاوي:** أشهر زاوية في الشرق الجزائري في تلك الفترة، أيام خلافة الشيخ عبد الرحمان بن علي (ت1942)، وخاصة في عهد ابنه عمر بن عبد الرحمان (ت 1966)⁽³⁾. والذي استقدم شيوخا من خريجي الزيتونة لها، وقد نشطت في التعليم، ومد الشمال القسنطيني بالأئمة والمعلمين، وكان به فرقة الشبيبة الحملاوية التي تقدم الأناشيد الوطنية والدينية بإشراف الشيخ القصاد (خال خليفي أحمد)⁽⁴⁾.

2- **الكتانية:** وهي المدرسة العثمانية التي أنشأها صالح باي ضمن منجزاته العمرانية في الشرق الجزائري سنة (1787)، ثم كانت مقر المدرسة العدلية في العهد الفرنسي، وأدارها الشيخ محمد الشاذلي البوزيدي، ثم أعطتها الإدارة الفرنسية، للزاوية الحملاوية بميلة لتتخذ منها معهدا للتدريس العالي سنة (1947)، لمنافسة معهد ابن باديس، وكانت ببرامج زيتونية، وقد درس بها كثيرون استفادوا من بعثاتها للزيتونة⁽⁵⁾.

أنشأ عمر بن عبد الرحمان الحملاوي معهد الكتاني بكرائه المحلات والمدرسة الملاصقة للمسجد وافتتح رسميا في (6-10-1947)، وكان يساعده في الإشراف عمر الجليلي، وأداره المولود الحافظي في بدايته، وينوبه أحمد الجلاي، وممن درّس به: الزواوي بن سيدي الشيخ من آل الفكون، والطيب كعبيش، وعبد الحفيظ بن

(1) ماساتوشي كيسايتشي ومحمد فؤاد القاسمي، مقدمة جريدة الروح، ص 16، وهي غير الروح التي أصدرها محافظو الإباضية في البليدة.

(2) آيت علجت، صحف التصوف الجزائرية، نفسه، ص 149. ناصر، نفسه، ص 267، واعتبرها ضعيفة الإخراج والمحتوى. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5 ص 272. علي مرحوم، "نظرة على تاريخ الصحافة العربية مجلة الثقافة"، ع 42، ص 39. مرجع سابق،

(3) بن بكار، مجموع النسب، مرجع سابق، ص 160. مفتاح، أضواء على الطريقة الرحمانية، مرجع سابق، ص 117.

(4) بوكسيبة، التطور الثقافي والسياسي بزوايا الطريقة الرحمانية، ص 281.

(5) تركي راجح، التعليم القومي، مرجع سابق، ص 239. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 390. حماني، محاضرات ومقالات أحمد حماني، وقال كان يسمى بالكلية الكتانية، ومديرها عبد العلي الأخضر، مرجع سابق، ج 2 ص 225.

الهاشمي، مدير جريدة النجاح، وعبد العالي الأخضر، وكان مديره بعد ذلك ⁽¹⁾ والطاهر بن زقوطة (ت 1948)، واستقدم له أساتذة من الزيتونة، وأدخلت فيه اللغة الفرنسية ⁽²⁾. ومما قاله سعد الله عنه: "ورغم الخلفية الصوفية لهذا المعهد وصلته بالإدارة الفرنسية، فإنه قام برسالة مهمة في خدمة اللغة العربية والثقافة الإسلامية" ⁽³⁾.

3- الهامل: أهم مؤسسة علمية للطريقين في الأربعينيات، وكانت جامعة مصغرة تضاهي في التكوين الكتانية ومعهد ابن باديس، كما كانت مقصد للسياسيين، فقد زراها الجميع مثل مصالي الحاج سنة (1946) ⁽⁴⁾.

4- الزاوية السحنونية: ببني وغليس بالصومام، والتي استمرت في عطائها العلمي، وعلى الرغم من كونها رحمانية فقد دخلها الإصلاح، واستقدمت الكتانية مشايخ من تونس مثل الشيخ محمد الحبيب الفرشيشي، والفضل يعود إلى الشيخ محمد السحنوني ⁽⁵⁾. وفي بعض مناطق بني عباس حافظ الطريقون على زواياهم ومدارسهم، بل لم تتمكن مدارس الإصلاح من الصمود أمامهم، فأغلقت أبوابها تاركة لهم التعليم كما في قرية بوجليلة وقندوز ببني عباس ⁽⁶⁾.

5- المدرسة المحمدية: في بسكرة، والتي أنشأها لمين حفيظي ⁽⁷⁾، وانتسب إليها كثيرون، وكانت مدرسة عصرية، وافتتحت لها فروعاً في خنشلة وبريكة، وبلغ عددهم 4400 طالبا منهم 80 بنتا، وكان لمين حفيظي منافسا انتخابيا لمحمد خير الدين.

وقد سبق للأمين حفيظي تأسيس مدرسة طرقية ومعها نادي بخنشلة، ورسم بها مدرسين متخرجين من تونس ⁽¹⁾، وكانت من قلاع التعليم في الأوراس وتخرج منها كثيرون، وكذلك بعين البيضاء، والتي كان يدعمها تجانيو تماسين.

(1) النجاح، ع 3908 (30-5-1951)، وحضر حفل الجمعية الخيرية بالمجاستيك بالعاصمة—ربما ردا على زيارة العقبي للكتانية—"وسماه الابن الروحي للعقبى"؟ وختم الحفل بالنغمات الموسيقية، وحضره المهدي البوعبدلي وباعزيز بن عمر.
ذكر لحسن بن علجية أن شغيب ذكر بأن محمد الطاهر ابن حمدان الونيسي (ت 1962)، والعائد من الحجاز بعد الحرب الأولى مع والدته، وكان أديبا جمع بين عبد العلي الأخضر وابن باديس في مساجلة علمية، وسماها: حوار بين الحق والباطل، انظر أم الحواضر، ص 318. ولكن لا توجد في الكتاب، ومن آثاره "بغية المأمول في التوسل بالرسول" انظر لحسن بن علجية، الشيخ حمدان الونيسي، ص 32، وكان من زبائن مقهى بن يمينه حسب بن نبي، وسماه "محمد الطاهر العنيزي، انظر مذكرات شاهد القرن ص 107. وذكره أحمد بن يحيى الأكلج محمد الطاهر الونيسي في جولته بقسنطينة. انظر النجاح، ع 1243 (9-12-1931)، رحلات جزائرية، ج 1 ص 206. وأما عبد العلي الأخضر المولود بأوماش (1907) والمتخرج بالتطوع (1926)، فتنقل بين وظائف المحكمة والافتاء الحنفي والتدريس بالكتانية والخطابة بجامع الكتاني، وكان يساعد ابن باديس في دروسه بالجامع الأخضر وبسيدي قموش، ثم رأس جمعية السلام (1936)، وقد وتوفي أثناء الثورة، وقد حلاه عباسة الأخضر سنة (1927) بالعلامة الشاب الأنجب" انظر الشهاب، ع 152 (8-7-1927). أم الحواضر، مرجع سابق، ص 316. المرأة الجليلة، مرجع سابق، ص 421. جريدة السنة النبوية، ع 9 (5-6-1933)، ص 6.

(2) بوكسية، مرجع سابق، ص 286. قويع، مرجع سابق، ص 328.

(3) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3 ص 264.

(4) بوكسية، نفسه، ص 278 عن مقابلة مع عبد القادر عثمانى شيخ زاوية طولقة.

(5) محمد الصالح الصديق، أعلام المغرب العربي، مرجع سابق، ج 3 ص 128.

(6) فضلاء، المسيرة الرائدة، مرجع سابق، ج 1 ص 256.

(7) بوكسية، نفسه، ص 286.

6- مدارس متفرقة:

مثل مدرسة مسجد سيدي بومروان (1950)، وأشار فضلاء إلى أنها قامت لتناهض مدرسة التربية والتعليم، وتتبع لجماعة يغلب عليها الطابع الحكومي، ودرّس بها عثمان عجالي الصائفي، بوجمعة زكري، حسين دالي، محمد بوشريط⁽²⁾، والظاهر أنها كانت مدعومة من الفرع العلوي بعنابة والذي يشرف عليه الشيخ الطرابلسي.

أو مدرسة الفلاح ببوسعادة والتي درس فيها أحمد بن محمد بنعزوز بن المختار القاسمي وغيره⁽³⁾.

7-معهد العلوم الإسلامية: هيكل تعليمي تابع لجامعة الجزائر، وكان مؤطرا من عدة مستشرقين فرنسيين، إلا أن بعض الطرقيين أسهموا في التدريس به، فمن أساتذته الشيخ بابا عمر مفتي الجزائر، وأحمد بن زكري أستاذ أصول الفقه⁽⁴⁾، والشيخ المشري مدرس التفسير، والشيخ ابن دالي مدرس مادة القضاء، الشيخ ولد رويس، الشيخ الحاج صدوق مدرس مقرر الأدب العربي⁽⁵⁾.

المطلب الرابع: المؤسسات الجمعوية الطرقية.

انكسر الاهتمام بالعمل الجمعوي في الأربعينيات بعد اليأس العام الذي ران على الجزائر عقب أحداث ماي في (1945)، إضافة إلى اشتغال الساحة بالأحزاب الجديدة كالبيان والانتصار والشيوعيين، وعلى الرغم من ذلك كله فقد أنشأت الطريقة العلوية جمعيات جديدة استحييت بها القديمة، ومن ذلك:

1- جمعية التنوير: أعاد تجديدها الشيخ عدة بن تونس سنة (1948)، وقد اقتصت بالعبادة بالمساجد والزوايا العلوية من حيث الترميم والفرش والإنارة، وقصرها على العلويين فقط، ونشرت المرشد أسماء أعضائها داخل الجزائر وخارجها في المغرب⁽⁶⁾.

2- أحباب الإسلام: أنشأها الشيخ عدة بن تونس سنة (1948)، ورأسها عبد الله رضا المدير السابق لمجلة المرشد، وعنها صدرت مجلة أحباب الإسلام⁽⁷⁾.

(1) جريدة الرشاد، ع 16 (30-9-1938)، رحلات جزائرية- طرقية- ج 3 ص 171.

(2) فضلاء، المرجع السابق، ج 1 ص 155.

(3) مقدمة جريدة الروح، ص 43.

(4) أحمد بن محمد بن السعيد بن زكري: تولى التدريس بعد أبيه بالمدرسة الثعالبية بالقصبة، ثم تولى إدارة المدرسة المزدوجة (الفرنسية- الإسلامية) التي خلفت الثعالبية وافتتحت (1954) بآبن عكنون بأربعمئة طالب، وحضر افتتاحها الوالي العام روجي ليونار، وعبد الرحمان فارس رئيس المجلس الجزائري، والمفتي محمد بابا عمر. توفي (1958م)، ويقال إنه مات مقتولا بالسم، وقد رثاه تلميذه الطاهر بوشوشي. مقابلة مع الشيخ محمد الصالح الصديق (11-3-23). انظر تاريخ الجزائر الثقافي ج 10 ص 450. وانظر المرأة الجليلة، مرجع سابق، ص 413.

(5) مجموع النسب، ص 127. في الترجمة لابنه بنعلي الذي درس في الزيتونة (1949)، والذي دخل معهد الجزائر بعد امتحان.

(6) مجلة المرشد، "جمعية التنوير" ع 41 (أفريل، 1950)، ج 1 ص 149. تنبيه القراء، ج 1 ص 154. البحصي، مرجع سابق، 117.

(7) البحصي، مرجع سابق، ص 119، ونشر بطاقتها. واستمرت العلوية في تأسيس الجمعيات، فأنشأ محمد المهدي بن تونس، بعد استقلال الجزائر جمعية الشبيبة العلوية سنة 1963، ودخل في صراع مع النظام الاشتراكي الذي أمم أملاك الزاوية، وفرض عليه الإقامة الجبرية بجيجل ثم المسيلة، ولم تتمكن الطريقة من استرجاع أملاكها إلا في أيام بوتفليقة، مقابلة مع الشيخ مراد بن تونس في جنة العارف، يوم (مارس 2016)، ثم قام الشيخ الرابع للطريقة خالد عدلان بن تونس بإحياء جمعية أحباب الإسلام، ولكن بفرنسا سنة (1981)، حيث اختار المنفى، ودخلت

قال عنها الشيخ عدة بن تونس أن مهمتها هي: "التبشير بالدين الإسلامي وبث تعاليمه بين المسلمين وغيرهم من مختلف الأديان والأجناس، وإعطاء صورة صحيحة عن الإسلام وتاريخه المجيد بعد أن شوهه كتاب مغرضون، ولم شعث الأوربيين الذين اعتنقوا الإسلام على يد الطائفة العلوية ومدتهم بأنواع الإرشاد والتوجيه الديني"⁽¹⁾.

وغرض الجمعية كما صرحت به الطريقة: "التبشير بدين الإسلام وبث تعاليمه بين المسلمين وغيرهم بصفة خاصة من الذين لا يعرفون عن الإسلام شيئاً، أو وصل إليهم مشوهاً محرفاً من قبل المغرضين من أعداء الإسلام"⁽²⁾.

3-جمعية التربية والتعليم: أسسها الشيخ عدة بن تونس سنة (1944) بمستغانم.

4- جمعية المحافظة بزاوية الهامل، والتي كانت تشرف على المعهد القاسمي، وعلى إصدار جريدة الروح.

6- الجمعية الدينية للمسلمين المحافظين بتلمسان برئاسة محمد العشعاشي، وهو معروف بثرائه ومناصبته العداء للإصلاحيين، وكان فاعلاً في كل التجمعات الطرقية، وصاحب رحلات للمشرق.

7-جمعية الهداية ببوسعادة، والتي تأسست سنة (1948)، وكانت بها لجنة لخريجي الزوايا، وتعرضت للانقسام⁽³⁾.

8- جمعيات دينية طرقية مختلفة في الأوراس في عين البيضاء وأم البواقي وقايس وخنشلة تابعة للمين حفيظي⁽⁴⁾.

ومن المهم أن نعرض لرأي أحد أذرع التيار الطرقي حيث قدمت مذكرة في قضايا الأوقاف وتسيير المساجد، التي طالبت: بإبقاء الجمعيات الدينية العتيقة وإعطائها صلاحية تعيين رجال الدين بالمساجد، بشرط موافقة الحكومة إذا كانوا يتقاضون رواتب، وطالبت بتفسير معنى السنّة والجماعة الذي عليه الجزائري منذ ثلاثة عشر قرناً، ودعت إلى عدم تمكين جمعية العلماء من شغل الهيئة الرسمية المزعم إنشاؤها لتسيير أمور الديانة الإسلامية، لأن جمعية العلماء جاءت بمذهب يخالف المذاهب الأربعة، وقد فرقت الأمة بدعوتها منذ عشرين سنة، كانت مطية للتكفير، بل اهتمتها بنشر الإلحاد، وما هي إلا حزب سياسي، وطالبت بإبقاء المساجد تحت إشراف الحكومة وليس تحت المجلس الجزائري أو غيره⁽⁵⁾.

8- جمعية جامعة الزوايا للشمال الإفريقي: في حى الصراع والخلاف على فصل الدين والدولة والمجلس الإسلامي الأعلى، بادر الطرقيون بإشراف من شيخ الهامل "مصطفى القاسمي" إلى تأسيس "جامعة الزوايا

الطريقة في عهده وعهد أخيه خالد في قضايا التعاون المشترك بين الأديان، وهناك من يهتم الجمعية بأنها صارت مظلة لرجال المخابرات والغرباء من الغربيين. انظر تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 133.

(1) مجلة المرشد، ع 26 (ماي 1949)، ج 1، ص 147. وع 14 (جانفي، 1948)، ج 1 ص 148. وج 1 ص 159.

(2) آيت علجت، صحف التصوف الجزائرية، مرجع سابق، ص 132.

(3) مجلة الروح، ع 6، (03-6-1948)، ص 161. جريدة الوزير التونسية، تقرير بكوشة، رحلات جزائرية، مرجع سابق، ج 1 ص 215.

(4) زوزو عبد الحميد، الأوراس، مرجع سابق، ج 2 ص 55.

(5) العقون، الكفاح القومي السياسي، مرجع سابق، ج 3 ص 73-77.

للشمال الإفريقي" التي عقدت مؤتمرها بالعاصمة أيام (15-18 مارس 1948)⁽¹⁾، وذلك في روضة الإمام محمد بوقبرين بالحامة بالعاصمة، وحضر من المغرب عبد الحي الكتاني ومن تونس الشيخ التبريزي بن عزوز، وهدفت إلى إصدار مجلة أو نشرات معبرة عنها⁽²⁾، ومما رامت إليه أيضا فتح ملف الأوقاف وإرجاعها إلى المسلمين.

وجاء في أسباب إنشائها ما لا حظته من ضعف التدين وروابط التحابب والتعاون: "ولما تحقق أساطين الدين الإسلامي بالشمال الإفريقي هذه الحالة الأسفية وشاهدوا تيار الجهل والإعراض عن الدعوة إلى إحياء كلمة الله يزداد تفاقمها بادروا إلى معالجة الداء... بتأسيس جامعة الزوايا للشمال الإفريقي"⁽³⁾ وضم مكتبها الإداري قيادات دينية من أقطار المغرب العربي، وتشكل مجلسها الأعلى من كل من: عبد الحي الكتاني رئيسا، التبريزي بن عزوز مفوض الجامعة بتونس، ومحمد الكبير الكتاني مفوضها بالمغرب، والشيخ عمر بن الحمالوي مفوضها بالجزائر. كما شكلت لجانا تنفيذية للعمليات الثلاث، وأصدرت قانونا أساسيا. وأما مجلسها العلمي الواسع فضم ستة وستين عضوا أغلبهم الجزائري، (20 من عمالة الجزائر، و20 من عمالة قسنطينة، و28 من عمالة وهران)، ومن الشخصيات الحاضرة فيه حسب الطرق⁽⁴⁾:

الرحمانية	القاسميون، بلقاسم البوجليلي، عبد الرحمان الجرجري، محمد واعلي (القبائل)، حاج محمد قاسمي (بير التوتة)، الأزهاري بن عزوز (الأغواط)، أبو مرزاق الوانوي (الأصنام)؟، محمد الصغير باش تارزي (قسنطينة)، عباس وعبد الرحمان عثمان (طولقة)، لمن حفيظي (بسكرة)، بن عزوز حفيظي (خنشلة)، مصطفى قرعيشي (قسنطينة)، مختار بن عبد الحميد (أولاد جلال)، عمر بن الحمالوي (واد سقان)، الشافعي بن الصادق بلحاج (الأوراس)، عبد الرحمان بن الشيخ الحسين القشي (ميلة)، الشيخ بن سحنون (عزازقة)، الشيخ بوقشايبة (عنابة)، السعيد بن العيساوي (طوقفيل، سطيف) الطيب ولد الحواس (ريغة، سطيف)
الشاذلية، الدرقاوية	عبد الرحمان الميسوم، العربي بربارة (ثنية الحد)، المداني بن محجوب (المدية)، ابن الشيخ الشرقي (العطاف)، محمد غلام الله (تيارت)، محمد بن إبراهيم (تخمارت)، لمكي ابن الشريف (كسار)، أبو عبد الله البوعبدلي (بطيوة)، شنتوف عدة (معسكر)، عاصم قادة بن عمروش (باريقو)، محمد البركة (بلعباس)، أحمد بوغفورة (سيق)، غلام الله غلام الله (تيارت)، عطية مولاي محمد (غليزان)،
التجانية	أحمد التجاني (تماسين)، أحمد بن بسم (قسنطينة)
السنوسية	عبد القادر طكوك (بوقيراط)، محمد بن طكوك
القادرية	قدور بن لحول (واد الخير مستغانم)، بلخير الحبيب (فرطاسة)، عبد القادر بوعزة (تيموشنت)، عبد الله بغداد (ندرومة)، بوقلجة عبد القادر (كرزازة)، النابلسي بن عبد الباقي (وادي الجمعة، زمورة)،
العمارية	السوسي البشير (القليعة)، الزواني محمد (قالمة)
الهيبرية	محمد العشعاشي (تلمسان)، بوحفص بن القندوز (سقر)، محمد السائح (مغنية)، بوزرايع (سعيدة)
العلوية	عدة بن تونس (مستغانم)، حسن الطرابلسي (عنابة)، علي البودليعي (تلمسان)
الطيبية	مولاي بن عمر (ندرومة)، مولاي عبد الله (عي موسى)، صالح بن حميدة (قسنطينة)
العيساوية	محمد بن عبد القادر (ندرومة)

(1) مجلة الروح، ع 2 (06-5-48)، ص 63. مريوش، الشيخ الطيب العقبي، ص 344. العقبي، الطرق الصوفية والزوايا، مرجع سابق، ص 604.

(2) مجلة المرشد، "جمعية جامعة مشائخ الطرق والزوايا"، ع 17 (1948)، ج 1 ص 155.

(3) مصطفى عبيد، "جامعة الزوايا للشمال الإفريقي، الجزائر"، مجلة الباحث، جامعة الوادي، ع 6، 2015، ص 156.

(4) مصطفى عبيد، جامعة الزوايا للشمال الإفريقي، الجزائر، مرجع سابق، ص 156. العقبي، الطرق الصوفية والزوايا، مرجع سابق، ص 606.

في حين رأس مجلس الإدارة الشيخ مصطفى القاسمي، ومعه: أحمد التجاني النائب الأول من زاوية تماسين، وعبد الرحمان عثمانى نائباً ثانياً من زاوية طولقة، وعبد القادر بن طكوك، نائباً ثالثاً من الزاوية السنوسية. وحسب تركيبها الإدارية وأهدافها المرصودة، والرتب والوظائف المستحدثة فقد كان مشاريعها كبيرة لاستدراك التراجع الطرقي في تلك الفترة، ولاستجلاء ما سطرناه، فإنه يحسن رسم جدول لإدارتها لاستجلاء الخارطة الطرقية الفاعلة من غيرها، حيث نشهد غياباً إدارياً فاعلاً للعلوية -عدا زاوية الطرابلسي بعنابة- والقادرية، وتيجانية عين ماضي، وكذا الشيخية والبوعمامية، في حين نشهد صعوداً للطريقة الهبرية.

الشخصية	الصفة	الزاوية	الشخصية	الصفة	الزاوية
مصطفى القاسمي	رئيسا	رحمانية الهامل	محمد غلام الله	مدير اللجنة بوهرا	الغلامية، تيارت
أحمد التجاني	نائب أول	تيجانية تماسين	مصطفى القرعشي	مدير اللجنة بقسنطينة	قسنطينة
عبد الرحمان عثمانى	نائب ثان	رحمانية، طولقة	المكي القاسمي	مراقب الجامعة	رحمانية الهامل
عبد القادر بن طكوك	نائب ثالث	السنوسية، بوقيراط	مولاي أحمد عطية	مراقب الجامعة	غليزان
الأمين حفيظي	كاتب	رحمانية، بسكرة	أحمد بن بسام	مراقب الجامعة	تجانية، قسنطينة
عاصم قادة	كاتب	درقاوية باريقو	محمد العشعاشي	كاتب المالية	هبرية، تلمسان
عبد الحفيظ قاسمي	كاتب	رحمانية الهامل	محمد الزواني	مستشار	قالمة
عباس عثمانى	كاتب	رحمانية، طولقة	بن عزوز حفيظي	مستشار	خنشلة
أحمد التجاني	أمين المال	تيجانية تماسين	حسن الطرابلسي	مستشار	علوية، عنابة
عبد الرحمان الأعرج	نائب أول	الزيانية، القنادسة	البشير السوسي	مستشار	القليلة
محمد قاسمي	نائب ثان	متيجة	بن عمر التجاني	مستشار	تجانية، عين ماضي
عمر بن الحملاوي	مفوض علي	وادي سقان	محمد بن إبراهيم	مستشار	تاخمارت، معسكر
عبد القادر بن طكوك	مفوض علي	السنوسية، بوقيراط	مولاي عبد الله	مستشار	شاذلية، عبي موسى،
محمد غلام الله	مفوض علي	الغلامية، تيارت	عدة شنتوف	مستشار	معسكر
عبد القادر القاسمي	مدير لجنة العاصمة	رحمانية الهامل			

والملاحظ هو الغياب اللافت لفعالية الطريقة العلوية، فهل يعود الأمر لاستبعادها من الهيئة الإدارية لتحجيمها، وهو مستبعد جدا، أم لخلافات متعلقة بعمل سلف الجمعية في الثلاثينيات، أم لخلافات شخصية، والمهم أن الجمعية أصابها الضمور كسابقتها في الثلاثينيات فلم ينتج عنها كبير عمل، مما جعل العلويين ينتقدونها ورئيسها من طرف خفي قائلين على لسان الشيخ عدة بن تونس: "ما رأينا من نتائج تلك

الجمعية إلا ما سمعناه من الخطب الضافية المروقة بالألفاظ العربية الفصحى.... ونحن قد سرنا ذلك كله، ولكن يا ليت كان مصحوبا أو متبوعا بشيء من الأعمال التي يصدق عليها أن تسمى نتيجة"⁽¹⁾.

والملاحظ هو الحضور الجزائري الكثيف في هذه الجامعة المغاربية مقارنة بالتونسيين والمغاربة نظرا لشدة الخلافات الإصلاحية الطرقية، وللتجربة الجزائرية في التشكيل والتجميع والهم الساكن في الصدور عند الجميع بالتغيير ولو بالحفاظ على الروح الدينية للساكنة ضد موجات التغريب والمسخ الفرنسي.

ومع هذه التشكيلة الجديدة عادت الحرب بين الطرفين، فقد طالب الكاتب العام لها بالسعي في تعطيل جريدة البصائر لضررها العام، ومعارضة رئيسها الأعرج -الإبراهيمي- لخطة الزوايا⁽²⁾.

9- جمعية أوقاف الحرمين الشريفين: استمرت في نشاطها الذي بدأ من قبل، ومن ذلك اجتماعها سنة (1940)، الذي رأسه قدور بن غبريط، وحضره الوفد التونسي (الرايس بن حميدة، محمد البشير بن خوجة، إبراهيم النيفر) والجزائريون (بن قانة، الأغا بن عودة الصحراوي) وحضور مامي إسماعيل، و"العسكري الماجد الشريف عبد القادر القاسمي محرر جريدة الرشاد"، والاجتماع كان لمناقشة الميزانية ووضع مسجد باريس سنة (1940)⁽³⁾. ولا تتوفر على باقي أعمالها بعيد الحرب العالمية الثانية الآن.

المطلب الخامس: مناشط الطرقيين في الأربعينيات.

1- التعليم:

استمرت الزوايا الطرقية في عملها التعليمي التقليدي في غالب معاهدها وكتاتيبها، وجنح بعضها إلى تطوير وعصرنة تعليمه كما هو الشأن عند الحمالوية، والهامل، والمدرسة المحمدية في الزيبان، وهي رحمانية كلها⁽⁴⁾.

2- الأفعال الطرقية:

حيث كانت الطرق تقيم ذكريات وفيات شيوخها، ومن ذلك الطريقة العلوية التي تحيي ذكرى ابن عليوة كل سنة في ذكرى وفاته (14 جويلية)، ولم تخل هذه الأفعال من حضور مهتدين أوروبيين جد⁽⁵⁾، أو كجمع الرحمانيين في زاوية الهامل حيث كان يأتي الإخوان من بلاد التيطري والقبائل، ومن قبائل أولاد نايل والزناخرة وأولاد دراج وغيرهم.

3- المواسم الدينية:

وذلك لدعم التفاعل والتواصل الذي تراجع في هذا العقد، وكان العلويون يعتبرون تجمعاتهم مؤتمرات دينية خالصة خالية من الشوائب المردودة والبدع الضالة وعوائد الجاهلية الفاسدة⁽⁶⁾، مما يدل على تغير في سلوك الطرق الجمعي بعد موجة الجدل الطويل في الثلاثينيات.

(1) مجلة المرشد، "إلى مشايخ الطرق الأفاضل"، ع 27 (1949)، ج 1 ص 175.

(2) مجلة الروح، ع 2 (48-5-06)، ص 79. مع العلم ن صدر المقال أشاد بالبصائر.

(3) سكيرج، شبه رحلة إلى الجزائر، تج محمد الراضي كنون، ص 39 عن ذاكرة الجزائر، مرجع سابق، ج 2 ص 575.

(4) انظر زوزو عبد الحميد، الأوراس، مرجع سابق، ج 2 ص 55.

(5) مجلة المرشد، "إلى إحياء القلوب" ع 1 (أوت 1946)، ج 1 ص 125. وج 1 ص 146.

(6) مجلة المرشد، "احتفال العلويين بمستغانم" ع 51 (أوت 1951)، ج 1 ص 144.

ولكن المشهود هو تراجع منتسبي الطرق نتيجة التغيرات الثقافية والاجتماعية والعمرانية، ولما سبق من الهبة الإصلاحية التي سحبت البساط من الطرق في عديد المناطق، وخاصة الشرق والزيان والعاصمة والمدية، وقد أشار عدة بن تونس لهذا التراجع عقيب الحرب الثانية: "إن الهيئة الدينية قد أصبحت مهددة بالخطر والآفات، ولم يبق من أفرادها إلا عدد قليل، ورغم تلك الأقلية لم تزل الحرب ناشبة أظفارها بكل فرد منهم لا من المخالفين للدين الإسلامي فقط، بل حتى من أبناء ملتهم الذين يلعنون كل قديم ويتشبهون بكل جديد"⁽¹⁾.

4- طبع الكتب الصوفية:

قلّ الاهتمام بالنشر في هذه الفترة نتيجة الأزمة الاقتصادية التي رانت على الجزائر عقب الحرب الثانية، ولكن ذلك لم يمنع العلويين من طبع بعض الكتب مثل:

أ- أعذب المناهل في الأجوبة والرسائل: جمعه الشيخ علي بن محمد الغفاري، وهو مجموعة أجوبة مختلفة المواضيع للشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي، وطبعه رشيد محمد الهادي مدير المطبعة العلاوية.

ب- تنبيه القراء إلى كفاح مجلة المرشد الغراء: مجموع فيه مختلف مقالات الشيخ الثاني للطريقة العلاوية عدة بن تونس وقد جمعه يحي الطاهر برقة، وجمعه وطبع العمل بالمطبعة العلاوية بمستغانم⁽²⁾.

ج- ديوان الشيخ العلاوي: ولم تخل طبعته الثانية من خلافات، حيث اختلف عدة بن تونس مع وكيل الزاوية عبد الله الحكيمي، والذي ندبه لإعادة طبع ديوان الشيخ العلاوي، ولكنه طلب منه العدول عن ذلك بسبب ما لاحظته عنه من تحول فكري، أو ما سماه "أفكار سقيمة وأهواء عقيمة" ولكن الحكيمي طبعه مخالفا رغبة شيخ الطريقة⁽³⁾.

5- التبادل الطريقي المغاربي والإسلامي:

نشط الطرقيون في أعقاب الحرب الثانية في جمع زواياهم في المغرب العربي الواقع كله تحت السيطرة الفرنسية إما احتلالا كالجزائر، أو حماية كتونس والمغرب، في حين بدأت تباشير الاستقلال تهب على ليبيا بعد اندحار دول المحور، ولكن التواصل كان في الغالب جزائريا مغربيا تونسيا، ومن نماذج ذلك النشاط:

تأسيس أو إحياء جمعية الزوايا للشمال الإفريقي في (15-3-1948) في الهامل، ورأس هذا المؤتمر عبد الحي الكتاني، الذي خاض معه الإبراهيمي معركة صحفية، وتولى رئاسة الجمعية الشيخ مصطفى القاسمي⁽⁴⁾.

وقد عقدت الجمعية مؤتمر ثانيا لها في المغرب في فاس (4-6 أفريل 1953م)، وحضر طريقيو الجزائر بقوة في موسم الطريقة الكتانية في فاس سنة (1949)⁽⁵⁾، وذلك بتسهيل من السلطات الفرنسية، فكان من هؤلاء الشيوخ علي البودليهي، والحاج محمد العشعاشي، وعمر الحملاوي، ومامي إسماعيل (النجاح)، والعاصمي

(1) مجلة المرشد، "إلى إخواننا المهتمين"، ع 1 (أوت، 1946)، ج 1 ص 127.

(2) تنبيه القراء إلى كفاح مجلة المرشد الغراء، مستغانم، المطبعة العلوية، 1983.

(3) مجلة المرشد، ع 51 (---، 1951)، ج 1 ص 153.

(4) البصائر، ع 31 (12-4-1948)، ص 1، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 3 ص 391.

(5) بوكسية، ص 242. 93,4491. 242. AOM.Fdc: les confréries en Algérie, Moussem du Kitania a Fes.

المفتي الحنفي⁽¹⁾، وربما كان ذلك لدعم نفوذ الشيخ الجديد لها عبد الحى الكتاني بعد مقتل أخيه محمد بن عبد الكبير الكتاني أبو الفيض الذي أعدم من قبل السلطان مولاي حفيظ سنة (1909م)⁽²⁾، وكان الرجل معاديا للاستعمار، ولكن أخاه عبد الحى انقلب في مساره من المقاومة إلى المهادنة. وتكرر الاجتماع ربيع (1953)، الذي نعاه التبسي واعتبره مؤامرة من الحليفيين المتآمرين -الاستعمار والطريقة- على الجزائر للقضاء على الحركة الإسلامية الحرة في الجزائر والمغرب وتونس بتدبير من عبد الحى الكتاني⁽³⁾. ومن نشاطات التجانيين البارزة احتفاء الزوايا التجانية بزيارة الشيخ أحمد سكيرج، سنة (1949)، حيث طاف بعين ماضي وتماسين، وقسنطينة، وبعد عودته من تونس زار مسجد الكتاني بقسنطينة، وألقى محاضرة بالكتانية وحضرها الكثير⁽⁴⁾.

واستمرت الطريقة العلوية في مد نفوذها و تمتين التبادل الثقافي مع منتسبيها بغزة بفلسطين، والإشهار لجمعهم ونشاطهم الديني هناك⁽⁵⁾، وقد توسع نفوذ الطريقة للشام، وكان لها أتباع بدمشق، وفي بريطانيا بمدينة "كارديف"، وبرقة بليبيا، ونشرت مجلة المرشد بعض رسائلهم⁽⁶⁾، وأرسلت الطريقة مندوبها "أحمد فرحات" لإحياء أحوال العلويين بالسنگال معقل التجانيين⁽⁷⁾. هذا بالإضافة إلى الحضور والتبادل والزيارات مع زوايا الريف المغربي العلوية الواقعة في الحكم الخلفي، وتعيين المقدمين لهم⁽⁸⁾.

6- الحضور في المؤسسات الرسمية:

وذلك بالترشح أو بالتعيين من الإدارة، وخاصة في انتخابات الوطنية والمحلية بعد ديكتور (1847)، وإن كان الحضور السياسي لرجال الطرق محتشما، ودوما فإنهم يكونون في الصفوف الثانية، ومن استثناءات ذلك الشيخ عمر بن الحملوي الذي حضر بعض جلسات المجلس الجزائري، وزار باريس والتقى بشخصيات في الدولة⁽⁹⁾، وممن انتخب بالبرلمان الجديد كل من الشيخ أحمد التجاني التماسيني، والشيخ شنتوف عدة من

(1) بوكسية، نفسه، ص 242.

(2) أبو الفيض محمد بن عبد الكبير الملقب بجبل السنة، (1873-1909) مؤسس الطريقة الكتانية، وأصدر جريدة الطاعون من دعاة الجهاد والمقاومة، زهو الذي أملى شروط بيعه مولاي حفيظ بعد خلع أخيه عبد العزيز، ومنها التزامه بالشورى والجهاد، ثم دخل معه في نزاع حول تنفيذ شروط البيعة، مما أدى إلى سجنه ثم موته تحت السياط، ترك مؤلفات كثيرة منها: كتاب اللوحات القدسية في متعلقات الروح بالكلية، المواقف الإلهية في التصورات المحمدية، حياة الأنبياء، نجوم المهتدين في دلائل الاجتماع للذكر على طريقة المشايخ المتأخرين، تقييد في أصل مواسم الصالحين، بيني وبين الرافعي. انظر الأعلام، مرجع سابق، ج 6 ص 214.

(3) البصائر، مقال "من غشنا فليس منا، أيها الطريقون"، ع 226 (4-17-1953)، ص 8. مقالات التبسي، مرجع سابق، ص 210.

(4) أحمد سكيرج، رسائل العلامة للقاضي أحمد سكيرج الأنصاري، تح محمد الرازي كنون، مرجع سابق، ج 1 ص 170.

(5) مجلة المرشد، "غزة هاشم إلى مستغانم"، ع 36 (أفريل، 1950)، ج 1 ص 135.

(6) مجلة المرشد، "الطريقة العلوية ببرقة"، ع 36 (أفريل، 1950)، ج 1 ص 138.

(7) مجلة المرشد، "آمال حسنة"، ع 56 (جانفي 1952)، تنبيه القراء، ج 1 ص 140.

(8) مجلة المرشد، "إلى حزب أهل الله"، ع 16 (1948)، تنبيه القراء، ج 1 ص 151.

(9) بوكسية، مرجع سابق، ص 251.

معسكر، والشيخ بن تونس مناد من عين بسام، والشيخ غلام الله منور من تيارت، والشيخ حسن القاسمي، والشيخ خوسة عدة من تيارت⁽¹⁾، إضافة إلى الشيخ إبراهيم بيوض من إصلاحي الإباضية.

7- التحول نحو الإصلاح:

عاشت بعض الزوايا تحولات تنظيمية وفكرية دفعت بعضها إلى تجديد وسائلها ومسايرة العصر، ويمكن ملاحظة الآتي:

أ- الإصلاح الداخلي: فبعض الزوايا جدّدت وغيرت من أساليبها ونظمها كما هو الحال مع الحملاوية والحفيظية بالزيبان والأوراس، ودفع الدعم الفرنسي لبعض الزوايا سياسيا وماليا في عصرنة مرافق بعضها كالزاوية العمرية بطولقة⁽²⁾.

ب- زوايا انضمت للجمعية: وهي قليلة مثل الزاوية السحنونية بني وغيليس، والدردورية بالأوراس⁽³⁾. ويسجل الإبراهيمي بعض هذه التحولات: "وإني أتعجل لكم البشرى بأن أحفاد أولئك المشائخ- إلا ما قل- أصبحوا من أكبر الناقمين على الاستعمار، بل أصبح بعضهم من الغلاة في الوطنية، وفي الصفوف الأولى من أنصار العلم والتعليم، والداعين إليهما، والعاملين على نشرهما بالجاه والمال، ولا تكاد توجد مدرسة من مدارس جمعية العلماء خالية من عدد من أولادهم متعلمين أو معلمين، ومنهم كثير في الجامعات الإسلامية: القرويين والزيتونة والأزهر"⁽⁴⁾. ويكفي التذكير بابن الحملاوي، وتلاميذ الزاوية القادرية بسوف، والبطينية بوهرا، فابنها المهدي البوعبدلي كانت له ميلول إصلاحية، وقد كان "متربدا بين الوظيفة الفرنسية والحركة الإصلاحية، وقد خسرته الإصلاح رغم ميلوله إليه"⁽⁵⁾.

والمهم أن نهاية الأربعينات: شهدت الضعف العام للطرق، وتشتت الزوايا، وانقسام بعضها، وضعف شيوخها وتوجه بعضهم للحياة السياسية أو التجارية، وانخراط بعض أبنائها في المدارس الحديثة الفرنكوسلامية. لخص المستشرق أوغسطين بيرك سنة (1949) غلطة فرنسا الكبرى: "إن الخطأ الثقيل الذي ارتكبهنا في سياستنا الدينية... هو تساهلنا مع رجال رسميين جهلة وشريهين بدون ثقافة وكل مؤهلاتهم هي ضحالتهم... لقد رأينا أحد المفتين يطلب معلومة عند الشيخ الطيب العقبي حول طفل قطعه الأطباء مائة قطعة، وكثر الجدل حوله، ولكن هذا المفتي كان مخبرا للشرطة، ورأينا أكثر من موظف رسمي من هذا الصنف وهو يلقي خطبة في أحد المؤتمرات فأثار الضحك والسخرية بين علماء المغرب وتونس، إن هذا العالم الرسمي كان جلس مكاتب الشرطة أيضا، وكم من حزاب رأينا لا يكاد يعرف مبادئ القرآن ويرتكب أخطاء فظيعة لا يقبلها حتى أكثر

(1) بوكسية، المرجع السابق ص 241.

(2) زوزو، الأوراس، مرجع سابق، ج 2 ص 55. بوكسية، مرجع سابق، ص 246.

(3) بوكسية، نفسه، ص 245. وبقي الشيخ عبد الله الدروري على مشيخة الزاوية مع ضعف تأثيره في الأتباع.

(4) آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 5 ص 143.

(5) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 372. والمهدي البوعبدلي ولد في (1907) من نسل الشيخ عبد الله المغوفل، درس عند أبيه، وبمازونة، ثم الزيتونة، ورأس مدة "جمعية التلامذة الجزائريين الزيتونيين"، عاد بعد سنة (1938)، وحرر بجريدة الرشاد الطرقية، ثم كان إماما بوهرا، فمفتيا لبجاية ثمان سنوات، ثم مفتيا للأصنام، وبعد الاستقلال كان عضوا بالمجلس الإسلامي الأعلى، ومشرفا على زاوية والده منذ سنة (1974) حتى وفاته في (6-6-1992).

المسلمين تخلفا، لكن هذا الحزب كان عميلا انتخابيا. Agent Electorat إننا بذلك عجلنا بتدهور أصحاب الديانة الإسلامية التابعين لنا، إنها غلطة لا يمكن أن تغتفر، وها نحن ندفع اليوم ثمنها غاليا"⁽¹⁾.
والنتيجة لهذا السياسة المهمة هي التعجيل بانتصار الإصلاح على الرسميين ورجال الطرق الصوفية.

المطلب السادس: أهم الشخصيات الطرقية الفاعلة في الأربعينيات.

1- مصطفى القاسمي (1897-1970): أهم شخصية بارزة في الأربعينيات، وكان رئيسا لزاوية الهامل الرحمانية، وهو أطول الشيوخ فترة، من مؤسسي جمعية العلماء، وجمعية علماء السنة، ورئيسا لجامعة زوايا الشمال الإفريقي⁽²⁾، وحسب الفرنسيين فإن الهامل وقفت معهم منذ (1871)، وكان للهامل سنة (1940) 29 زاوية وقراية 50 ألفا من الأتباع في مناطق الزناخرة، بوسعادة، الجلفة، أولاد نائل، التيطري، وعمالة وهران.

2- عدة بن تونس: (1898-1952) أخذ عن الشيخ قارة مصطفى، ولزم الشيخ العلاوي وخدمه، ثم رحل إلى الزيتونة، وعاد ليقوم بأعباء الزاوية العلاوية (1925)، حيث صار خليفة للشيخ العلاوي بعد وفاته سنة (1934)، فصار الشيخ الثاني للطريقة، إذ أن الشيخ العلاوي لم يعقب إلا بنتا واحدة، فألت الطريقة إلى الشيخ عدة بن تونس بن عودة، وهي الحالة الثانية التي تؤول فيها المشيخة لغير البيت المؤسس كما هو الشأن في الرحمانية.

أتم أعمال الشيخ العلاوي، ومن ذلك تأسيس عديد الجمعيات، إضافة إلى نادي بمستغانم، وقد نشط كثيرا في الطريقة تسليكا وكتابة في صحفها وتأليفا وأصدر جريدة لسان الدين الثانية من 1937 إلى 1939 ومجلة المرشد الشهرية باللغتين (العربية والفرنسية) من 1946 إلى 1952. وأنشأ مؤسسة لإعادة تأهيل الشباب المنحرفين (1940) تحتوي على ورشات للتكوين في الحرف. وقام تأسيس جمعيات التي أسسها الشيخ: (جمعية الشبيبة العلاوية)، و(جمعية التنوير)، و(جمعية أحباب الإسلام).

ونشر بعض تراث الشيخ العلاوي، وخلف أثارا علمية منها: ديوان شعري، مجالس التذكير في تهذيب الروح وتربية الضمير، وقاية الذاكرين ونهاية الواصلين، فك العقال في تصريف الأفعال⁽³⁾، الروضة السنية في المآثر العلوية، الذكر الملائم في صلحاء مستغانم -مخطوط- استدراك الهفوات في ترقيع الصلوات- مخطوط- قواعد الإسلام بالفرنسية مع عبد الله رضا، وتنبيه القراء إلى كفاح مجلة المرشد الغراء، والدرة البهية في أورد وسند الطريقة العلاوية، ومجالس التذكير في تهذيب الروح وتربية الضمير، وفك العقال عن تصرف الأفعال.

(1) أسارى الألوهية، مجلة البحر الأبيض المتوسط، م 1951، 10، ص 425، نقلا عن تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 348.

(2) دبوز، نهضة الجزائر، ج 1 ص 80. عبد المنعم القاسمي، زاوية الهامل، مرجع سابق، ص 383.

(3) طبع بذاكرة الجزائر، الجزء الأول، وعنه انظر البحيصي، من أعلام الإصلاح الديني، عدة بن تونس.

وقد خفّ نشاطه في الأربعينيات بعد الانقسامات التي آلت لها الطريقة، وتوجه أكثر نحو التزكية ومباعدة السياسة اليومية، وقد ألزم مقاديمه بإجازة علمية روحية ركز فيها على عدم استغلال الطريق لأكل الدنيا: "كما نحذره كل الحذر ألا يجعل نسبة الله حباله للارتزاق، وسلمنا لطلب المحمّدة والجاه"⁽¹⁾.

توفي الشيخ عدة بن تونس سنة (1952)، وهو في الرابعة والخمسين، وعهد بالخلافة لولده الشيخ بن تونس محمد المهدي⁽²⁾، الذي أدخل الإقامة الجبرية في جيجل ثم المسيلة أيام النظام الاشتراكي بعد معارضة نظام بومدين، وبرّر ذلك أحمد حماني في كتابه صراع بين السنة والبدعة⁽³⁾.

3- **عمر بن الحملاوي:** صاحب زاوية التلاغمة. أخذ العلم والتربية عن والده الشيخ عبد الرحمان، درس بالزيتونة (1932-1937)، وعاد للزاوية، وبعد وفاة والد سنة (1942)، تولى أمورها، ونشط كثيرا، وكان نفوذ زاويته يمتد في الشمال القسنطيني وسطيف (35 زاوية، 20 ألف إخوان، 30 ألف أتباع).

4- **الشيخ أحمد التجاني:** أحمد بن الشيخ محمد حمّ، الخليفة السابع للإمام التماسيني، ولد بالرقيبة بالوادي عام (1898) وبها تعلم، ثم بويق بخلافة فرع تماسين في (25-10-1927)، وظل في ذلك المنصب حتى وفاته في (24-01-1978)، وبالتالي يعتبر من أكثر شيوخ هذا الفرع تعميرا في منصبه.

أشرف على عمل الفرع التجاني في وادي ريغ ووادي سوف وتونس، حيث أسهم في تأسيس فرع زيتوني بتوزر، وأسس مدرسة النهضة بعين البيض سنة (1945)، وعمل قدما للنهوض بالزاوية التجانية.

كما جلب بعض علماء الجريد وتونس للتدريس في زاوية تناسين، وابتعث بعض طلبتها لتونس، وأغنى مكتبة الزاوية بما جلبه من مؤلفات من المشرق، ودخل غمار السياسة بالترشح لانتخابات (1948).

وكانت له جهود عديدة مثل تكوين مؤسسة اقتصادية سنة 1942، وتأسيس جمعية الإغاثة بتوزر سنة 1947، وجمعية السلام لرعاية الأيتام بقسنطينة سنة 1953، ومدرسة العرفان بعين مليلة سنة 1953، وجمعية النهوض بالتلميذ التابعة للكلية الكتانية بقسنطينة سنة 1957.

5- **محمد لزهاري بن عبد الحفيظ:** المشرف على الفرع الرحماني بخنقة سيدي ناجي، ولكنه فرع ضعف تأثيره على بقايا الزوايا الرحمانية بخنشلة والأوراس مع الأيام، لتنتقل الرئاسة إلى الأمين حفيظي.

6- **الأمين حفيظي،** ولد (1911)، من أسرة عبد الحفيظ الخنقي، رأس زاويتهم بخنشلة سنة (1941)، درس بقسنطينة، وتابع دروسا في الفنون الجميلة، وهو مثقف عصري⁽⁴⁾. وأبوه سي الطيب حفيظي، شيخ زاوية ليانة، (1872-1941)، دعم فرنسا في الحرب الأولى ونال وسام الاستحقاق، وتوفي ببسكرة، وخلفه على ليانة

(1) مجلة المرشد، "وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين"، ع 52 (جوان 1947)، تنبيه القراء، مرجع سابق، ج 1 ص 20.

(2) الشيخ سيدي عدة بن تونس عبر مؤلفاته ومآثره وشهادات حية لمجموعة من الكتاب والشخصيات الادارية، وبعض معاصريه من الاتباع والمحبين، نشر جمعية الشيخ العلاوي للتربية والثقافة الصوفية. الموقع.

(3) حماني، صراع بين السنة والبدعة، مرجع سابق، ج 1 ص 266.

(4) انظر، بوكسية، مرجع سابق، ص 210. زوزو، الأوراس، نفسه، ج 2 ص 55.

ابنه لمين حفيظي⁽¹⁾، وقد رأس فرع سيدي ناجي وخيران، ونشط في التجارة والسياسة، وكان من أنصار دعم التعليم المزدوج، وهاجم الإصلاحيين كثيرا.

7- عبد الملك بلحداد حفيد الشيخ الحداد، تولى مشيخة زاوية صدوق، وكان مزدوج الثقافة⁽²⁾.

8- حمزة بوبكر⁽³⁾: سلسل الأسرة البوشيخية، ولد بالبيض سنة (1912)، ودرس بالمدارس الفرنسية إلى أن تولى منصبا مستحدثا في الطريقة البوشيخية في فرعها الشرقي، والذي هو الأمين العام، اشترك في الحياة السياسية، ودعم مشاريع فرنسا في الصحراء، وكان رئيس مجلس عمالة الواحات (1958-1962)، كما تولى عمادة مسجد باريس حتى وفاته سنة (1995)، له ترجمة للقرآن الكريم.

9- محمد العاصمي أبو الفيض: ولد (1888) بأولاد إبراهيم، ودرس بقسنطينة، ثم تونس، ونال الإجازات، ثم عاد للهامل ودرس على الديسي، ثم القرويين، وعمل كاتبا للباشاغا بلحشر في الجلقة أيام الحرب الأولى، ثم تولى إمامة جامع بورقيسة بالعاصمة (1920)، (1921) ثم كان كاتبا عاما لجمعية المهدبية سنة (1921)، وشارك في تقويم المنصور، وكتب في جريدة الإخلاص الطرقية، وكان يعطي دروسا في العربية بجامعة الجزائر، ودرس بمدرسة السلام بالعاصمة، كما شغل منصب إمامة سيدي رمضان عشرين سنة، ثم الجامع الكبير، ومنذ (1944) تولى الإفتاء الحنفي، ورأس جمعية الأئمة، وأسس مجلة صوت المسجد، وكتب فيها شروحا مفيدة لبعض الأحاديث المختارة من صحيح البخاري⁽⁴⁾، ليتوفى سنة (1951)⁽⁵⁾.

10- علي البودليمي: ولد بالمسيلة في (1909)، من زاوية رحمانية النسبة، تلقى العلوم بزاوية أبيه- الذي تتلمذ للمجاوي وللأحرزي بجاية، وتوفي سنة (1943) عن سن عالية (96 سنة)⁽⁶⁾، ثم انتقل للمعهد القاسمي، ثم قسنطينة حيث درس على يد ابن باديس والطاهر بن زقوطة ويحي الدراجي والحبيباتي⁽⁷⁾، ثم التحق بتونس، ودرس بالزيتونة على يد ابن عاشور وغيره، ثم بجامع القرويين، وأخذ عن الكتاني، ومولاي عبد الرحمان بن زيدان، ومحمد الحجوي. عاد إلى الجزائر ليدرس بزاوية أبيه، وزاوية بوجملين والجعافرة، ثم اتجه غربا حيث درّس بغليزان ووهران، وهناك أخذ الطريق على الشيخ ابن عليوة، وفي سنة (1937) حل بتلمسان إماما لمسجدها الأعظم حيث ختم به تفسير القرآن، واستقل بزاويته العلوية، وأسس صحيفة الذكرى، وأشرف على مدرسة سيدي بومدين العتيقة⁽⁸⁾.

(1) بوكسية، مرجع سابق، ص 248.

(2) بوكسية، مرجع سابق، ص 247.

(3) العقبي، الطرق الصوفية والزوايا، مرجع سابق، ص 625. بيشي، تطور الثورة الجزائرية في ناحية غرداية، مرجع سابق، ص 371.

(4) نشرت بذاكرة الجزائر، الجزء الثاني.

(5) معجم أعلام الجزائر، ص 212. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3 ص 99. مقابلة مع محمد الصالح الصديق (11-23). وذكر لي بأن جلول البدوي كان يزوره، ويحكي له امتعاضه من تأييد الشيخ الرابحي للوضع الفرنسي الاستعماري.

(6) ترجم له عبد الغني خطاب في "مناقب الشيخ محمد بن عبد الله الديلي". انظر بن بكار، ص 171. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7 ص 445.

(7) النجاح، عمار الشرفي "شهادة والد لولده"، ع 2292 (8-7-1939)، ص 2.

(8) بن بكار، مجموع النسب، مرجع سابق، ص 175.

تولى إدارة مدرسة سيدي بومدين، وكذا وظيفة إمام جامع تلمسان بعد مسابقة توظيف جرت في وهران (1942) أيام إفتاء حسن بولحبال، وقد ختم به تفسير القرآن الكريم، وجرى بذلك حفل كبير، كما شهدت زاويته أحتفالا كثيرة وصفها ابن عبد الحكم بسوق عكاظ لما كان يلقي فيها من خطب وأشعار، وهو ما يدل على كونها من مراكز الطريقين المهمة في تلمسان، كيف لا والرجل كان يضارع في نظرهم الإبراهيمي الذي رفض مناظرته في عديد الأحيان، من آثاره: إمالة اللثام عما جرى في الحاضرة التلمسانية من الشكوك والأوهام، رفع التلبيس عن وساوس إبليس، رماح علماء السنة المحمدية، الرسالة الدبلوماسية في صيانة العائلة الإسلامية، كشف الغيم في قضية عيسى ابن مريم⁽¹⁾، رفع التلبيس عن نية من أراد مسح المسلمين بالسفور والتجسس" وطبع بفاس⁽²⁾.

11- محمد الهاشمي بن بكار: (1900-1970): قاضي معسكر ومفتيها، تتلمذ للحاج المنور التجاني، وابن حورة قاضي سيق، وهو من أتباع الطريقة الطيبية، وهو صاحب تأليف مجموع الحسب والنسب والفضائل والتاريخ والأدب، جمع فيه أربعة كتب: القول الأعم للطيب بن المختار، النسب للعشماوي، شرح منظومة التجيني لابن الأعرج، منظومة نسمة الجنة، وشرحها "حاشية رياض النهضة على نسمة رياح الجنة في فضائل أهل البيت وأولياء الله وأذكار الكتاب والسنة"، سنة (1379) (3).

12- الشيخ محمد بابا عمر: ولد بالبليدة (1893)، وكان أبوه رحمانيا، تولى منصب حزاب بالبليدة (1921)، ثم في مسجد الثعالي بالعاصمة، وفي (1925) تولى إمامة مسجد القبة. ثم تولى سنة (1934) إمامة الجامع الكبير، ثم إفتاء الأحناف سنة (1941) بعد وفاة المفتي ابن زاكور عبد الرحمان، وفي (18-12-1940) تولى إفتاء المذهبين بعد وفاة المفتي المالكي حمود حمدان، ساند العقبي في قضية فصل الدين عن الدولة⁽⁴⁾. وكان من المجازين في القراءات السبع، وله سند متصل بالبخاري عن طريق ابن الكاهية، توفي رحمه الله سنة (1976م).

13- مصطفى العشعاشي: (1892-1971): من رجال الطرق الفاعلين في تلمسان، وأحد مناوئي الإبراهيمي حيث كان رئيسا للجمعية الدينية، وهو وأبوه محمد⁽⁵⁾ من رجال الدرقاوية الهبرية⁽⁶⁾، حيث أخذ وردها عن الشيخ محمد بلحاج الغرماوي تلميذ الشيخ الهبري، وتتللمذ للحاج المعصوم بنعلي الجليلي وكيل ضريح سيدي بومدين، اشتهر برحلاته الحجية⁽⁷⁾، ودخل الشام واتصل بعلمائها أمثال بدر الدين الحسني، وبها كان صهره الشيخ محمد بن يلس، وكانت له صلات بطريقي المغرب أمثال عبد الحي الكتاني، واشتهر بتمويله للنشاطات

(1) النجاح، ع (8-12-1951)، المرأة الجليلة، ص 351. مجموع النسب، ص 174. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 23.

(2) لسان الدين، ع 59 (26-8-1938)، نقلا عن آيت علجت، ص 184.

(3) ترجم لنفسه في مجموع النسب، مرجع سابق، ص 176. ص 215.

(4) مريوش، الشيخ الطيب العقبي، مرجع سابق، ص 328.

(5) أسس محمد العشعاشي الجمعية الدينية بتلمسان سنة (1924). انظر مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان، مرجع سابق، ص 289.

(6) العشعاشي، السلسلة الذهبية، مرجع سابق، ص 76.

(7) أشارت صحيفة النجاح لرحلته الحجية الأخيرة، رحلات مشرقية.

الدينية بتلمسان، من آثاره السلسلة الذهبية في التعريف برجال الطريقة الدرقاوية، ورسائل الحاج محمد الهبري العزوي⁽¹⁾. وعلى غرار كان أخوه شعيب العشعاشي الذي تكفل بطلبة المعهد المعهد الإسلامي (دار الحديث سابقا) بعد إلغاء التعليم الأصلي وتوحيد التعليم بعد الاستقلال⁽²⁾.

خلاصة المبحث: من الصعوبة بمكان تقييم الواقع الطرقي في الأربعينيات لقلة الوثائق والمكتوبات من هذا الفريق في هذه المرحلة، ولكنه يمكن رصد ملامح الخطاب الطرقي بالقول باستمرارية ذات المجالات السالفة في العناية بالأخلاق والتعليم، ومجانبة الفعل السياسي قليلا، مع شهود تراجع في الجدل الفقهي والعقدي في هذه المرحلة مقارنة بما سبقها، وربما يرجع الأمر إلى حالة الإعياء أو الاتخام المعرفي، واكتفاء الكل بمواقعه، أو تغير الاهتمامات تبعا لصعود قوى سياسية فاعلة في الساحة كحركة الانتصار والبيان.

ويمكن في التقييم ذاته ملاحظة استمرارية ذات الخطاب المهادن للمستعمر الفرنسي على الرغم من خيبات إصلاحاته، وربما ترجع خطة المهادنة إلى ضمان استمرارية الزوايا والتعليم، أو الاحتماء بالموجود خوفا من الصاعد الجديد، فليس من الحكمة الإعلان عن العداء السافر لفرنسا في نظر الطرقيين ولا الإصلاحيين، وهو ما لم تفعله بعض الأحزاب، فهل من التسويغ العلمي القول بعدم تكليف الزوايا فوق واجبها الوظيفي في الحفاظ على الهوية الدينية الجزائرية، ولكن الاستدراك لكل هذا أنجزته الحركة الوطنية والثورة التي صهرت الجميع في دواليها لتحقيق مشروع الاستقلال الذي تأخر كثيرا.

المبحث الثالث: الجدل الإصلاحي الطرقي في الأربعينيات.

يتناول المبحث أشكال ومضامين الجدل الفكري والعقدي والفقهي بين الإصلاحيين والطرقيين، وهو في الحقيقة استمرار لما قبله، إلا أنه غاب فيه الإبداع أو التجديد باستثناء ما كتبه الإبراهيمي، أو الأقلام الصاعدة الجديدة من الصف الثاني من الجمعية، في حين تراجعت الأقلام الطرقية عما كانت عليه في العقود السابقة.

المطلب الأول: الجدل الديني الفكري.

1- الحاجة إلى التصوف والتزكية:

استمرت المعارك الفكرية في الاحتياج إلى التصوف كمسار أوجد للتزكية والتربية، وكتب الكل في الانتصار لمذهبه، سواء الإصلاحيون في البصائر، والطرقيون في المرشد وغيرها، ووجدنا اعتدالا من العقبي في الموضوع، فقد كتب أحمد بن محمد الهاشمي مقالا "التصوف كما أثبتته التاريخ"، وذهب فيه إلى أن التصوف بدعة، والأولى تركه. وذلك في جريدة الإصلاح التي قالت: "أنه لا غرض له من نشر مقاله إلا إصلاح ذات البين من بين المؤمنين وتوحيد كلمة أهل التوحيد"، وكتبت المرشد بأن التصوف هو مقام الإحسان، واستندت إلى رأي ابن

(1) انظر مصطفى يلس شاوش، مقدمة السلسلة الذهبية، مرجع سابق، ص 2-4.

(2) مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان، مرجع سابق، ص 463.

خلدون في تصويب طريق الصوفية، وهاجمت من يكتب عن التصوف من موسوعات المستشرقين والمستشرقين، وعليه بالعودة لكتب القوم⁽¹⁾.

وفي هذا كثر الطرقيون اتهمهم لخصومهم بكونهم ظاهرة جفاة الأرواح عن إدراك المرامي: "أما المتجاني عن هذه المرتبة، المكتفي بما بين يديه من الألفاظ محفوظة، وأقوال مغلوطة، فهو المغرور بنفسه، المشغول بحسه عن محاسن أنسه بربه...، وهؤلاء هم المنكرون لمذهب التصوف ولبادئه اللبقة الطيبة"⁽²⁾.

2- صلاحية الأئمة الرسميين:

اشتعلت الصحف المتنافرة بالكلام عن أهلية الأئمة الرسميين وصلاحيتهم، وصحة الصلاة خلفهم، بل واتهامهم بانتقائهم من طرف الإدارة الفرنسية لمعايير خاصة من الولاء وسلامة التقارير الأمنية: "أما مادام عامل العمالة هو الذي يولي رجال الدين ويعزل استنادا على "الدوسي البوليسي" لا على الكفاءة الدينية، وما دامت الجرايات تقبض من الخزينة العامة، وما دام العالم الديني لا يستطيع أن يلقي درسا في كلام الله إلا بعد الترخيص من رئيس جمعية دينية حكومية غير منتخبة من الأمة"⁽³⁾.

لقد ظل تأطير الهيئة الدينية معضلة كبرى للإدارة الاستعمارية -اللائكية ظاهرا- والتي تعمدت إهمال المساجد، فقد كان ما يسمى "الإكليروس الإسلامي" ضعيفا من حيث العدد حيث لم يتجاوز في أقصى أوجه مائة وثمانين ما بين مفت وإمام، مع وجود أعداد قليلة أيضا من الأعوان الدينيين ذوي الثقافة المحدودة⁽⁴⁾.

وقد نقل عن بيرك أن خطأ الحكومة هو في اعتمادها على رجال دين منقوصي التأهيل العلمي من الذين لم يحسنوا تمثيل الإسلام الجزائري: "إن خطأنا الفاحش في سياستنا الدينية منذ عشرين سنة، هو أننا تساهلنا في وجود موظفين دينيين في المساجد، يسيطر عليهم الجهل المركب والطمع وعدم التهذيب، ولا حد لرغباتهم في أن يحمدا بما لم يفعلوا. فعدم الكفاءة، والمبالغة في الخضوع والانقياد، هي الشهادات الوحيدة التي يمكن لهم أن يعتزوا بها. لقد رأينا مفتيا يستفتي الطيب العقبي في موضوع صبياني، حكم فيه علماء الدين أكثر من مائة مرة، لكن هذا المفتي كان جاسوسا مخبرا للبوليس، كما سمعنا أحد الموظفين الدينيين في مؤتمر عام يظهر فكرا من الأفكار البالية التي يمجها الذوق، حتى انفجر زملاؤه التونسيون والمغاربة ضحكا لم يستطيعوا له دفعا، لكن هذا الموظف الديني ممن لا يكادون يفارقون مكاتب البوليس، ورأينا أحد الحزبيين لم تمكنه معلوماته القرآنية التافهة من اتقاء أغلاط في الحفظ والتجويد لا تصدر عن أقل المسلمين علما، لكن هذا الحزب كان عوناً مأجورا للانتخابات، وهكذا ظهر في "الإسلام الجزائري" مراؤون لا هم لهم سوى الامتثال إلى الظاهر من الأوامر، وزنادقة يدافعون عما احتكروه من امتيازات، ولا يقيمون لكبريات المشاكل وزنا، فأغلبيتهم مارقون من الدين جهلا أو قلة إدراك. وهكذا شاركنا في انحطاط "هيتلنا الدينية الإسلامية"

(1) مجلة المرشد، "التصوف كما أثبتته التاريخ"، ع 11 (جوان 1947)، تنبيه القراء، مرجع سابق، ج 1 ص 11.

(2) مجلة المرشد، مقال "التصوف والفلسفة"، ع 42-43 (أكتوبر، نوفمبر)، تنبيه القراء، ج 1 ص 39.

(3) البصائر، ع 1 (25-7-1947)، ص 3. آثار إبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 161.

(4) انظر علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، مرجع سابق، ص 505.

معجلين بإذلالها ... هذا هو الخطأ الكبير، والذنب الذي لا يغتفر، وإنا لنؤدي اليوم ثمنه غالبا⁽¹⁾، وهو نقل دندن حوله الرافضون لأهلية وصلاحية رجال السلك الرسمي الذين روجوا لإبطال الصلاة خلفهم.

3- عودة الخلافة الإسلامية:

المسألة التي لم تتحمس لها جمعية العلماء منذ ابن باديس لأن فكرها السياسي كان ضد الاستبداد الذي أرادت بعض الأسر المالكة ركوبه بلبوس عودة الخلافة، ولذلك كانت إشادة ابن باديس بأتاتورك مظلوفة بهذا، خاصة وأن الأنباء توالى عن عزم ملك مصر فؤاد الأول ذلك، وظاهره في الأمر بعض تقليديي الأزهر. ولم يكن الأمر كذلك عند بعض الإصلاحيين المتحمسين للخلافة، فعمر راسم كاتب الخطابي أيام ثورته يحرضه على إعلان الخلافة، ويقول إن الحشم وبني عامر عندما أيقنوا الهزيمة قتلوا نساءهم وأبناءهم ثم أنفسهم خوف الأسر⁽²⁾.

وفي أيام حوادث الباشا القلاوي مع السلطان محمد الخامس عاد النقاش حول شرعية السلط، والحاجة إلى خلافة جامعة، وأقحمت جمعية العلماء في ذلك، فقال إبراهيمي: "وهذه الفتنة هي الخلافة الإسلامية فذكرتها بعض الصحف الفرنسية هنا بكلام مضطرب، ما تعودنا أن نلتفت إلى مثله، لو كان صحيح السند، مستقيم المتن، فكيف به وهو مضطرب الأجزاء، مجهول النسبة، ثم نقلته بعض الجرائد العربية المغربية وعلقت عليه. وقد عنانا من أمر هذه الفرية شيء واحد، وهو ذكر جمعية العلماء مقرونة برأي يقل عن الكذب، ويجل عنه الصدق. ونحن نخشى- إن زدنا على هذه الكلمات- أن نكون قد أبلغنا صاحب تلك الفرية بعض قصده في الفتنة والإلهاء، وإنما نقول: إن جمعية العلماء لا تدخل في هذه الأمور، لاعتقادها أن المسلمين لا يستفيدون منها- بعد الحالة التي وصلوا إليها- إلا كما يستفيدون من وقف الشيخ أبي مدين بعد أن ضاعت فلسطين وضاعت أوقاف الإسلام كلها⁽³⁾، ومن هنا يتبين بأن إبراهيمي كان على خطى ابن باديس في عدم التحمس لتجارب ومغامرات في بعث أثواب خلافة تكون لبوسا لتجديد النفس في الأنظمة المتهاكمة.

والظاهر أن أزمة الباشا القلاوي مع محمد الخامس وتورطه في نفيه وتنصيب السلطان محمد بن عرفة مكانة بداية مما عُرف بأزمة العرش الأولى (1951)، وما تلى ذلك من اصطفاف كثير من الطرق الصوفية وعلى رأسهم عبد الحى الكتاني، والوجهاء والباشوات في صفه، جعل الجهة المقابلة من الوطنيين ونشطاء حزب الاستقلال والإصلاحيين يقفون ضدهم، حيث أصدر محمد بن العربي العلوي فتوى بكفر القلاوي ومن معه وإباحة دمائهم، ووقعها معه كثيرون، وظاهرتها فتوى مماثلة من الأزهر، وهنا أيضا وقف إصلاحيو الجزائر مع محمد الخامس، وتوالى المقالات تنديدا بنفيه، إلى أن عاد في (17-11-1955).

4- تمثيل الجماعة الإسلامية:

(1) البصائر، ع 177 (1951-12-17)، ص 1، آثار إبراهيمي، مرجع سابق، ج 3 ص 196.

(2) المهدي البوعبدلي، الأعمال الكاملة، المرسلات، مرجع سابق، ص 294.

(3) البصائر، ع 143 (1951-2-19)، ص 1، آثار إبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 384.

وأحياء مفهوم جماعة المسلمين، وذلك باستصحاب الفتاوى والتوجيهات الفقهية في عهود الفراغ التنفيذي للحكم الإسلامي، بوجود جماعة تقوم مقام الإمامة الغائبة، وقد أرادت الجمعية تقديم نفسها ممثلة للجماعة الإسلامية، وفي هذا يقول الشيخ التبسي: "والدين يقول: يجب على الأمة الجزائرية العديمة الإمام، والحكومة المعترفة بالإسلام وجوباً شرعياً، أن تقوم كأمة بفروض الكفاية والمعالم العامة الشعبية والاجتماعية، وتلك الطائفة من الأمة المعبر عنها في هذه الآية بلفظ الأمة، هي جماعة المسلمين، وتتمثل في أمتنا جماعة المسلمين في جمعية العلماء وقد وجب على كل مسلم في الجزائر أن يعترف بأن جماعة المسلمين في الجزائر هي جمعية العلماء"⁽¹⁾.

واستند التبسي في هذا التقرير إلى أن أغلب الهيئة العلمانية الحرة هم أعضاء ومناصرون لجمعية العلماء: "اعلموا أنه إذا كانت جماعة المسلمين بالعلم، فأكثر علماء الجزائر في هذه الجمعية، وإذا كانت الدعوة إلى الله فهي الجماعة المخلصة المؤمنة المجاهدة التي عاهدت ربها، وكتبت ميثاقاً على نفسها، أنها الداعية بجماعتها وأفرادها إلى دين الله، وإلى كتابه، وسنة نبيه".

وقال أيضاً: "وإذا صدقنا فيما وصفنا به جمعية العلماء من الأوصاف، وصدقنا فيما نسبناه إليها من الأعمال الدينية والعلمية والاجتماعية، فهي بحق جماعة المسلمين، ومن خالفها يوليه الله ما تولى إذا ما شذ عنها إلا من لا يعبأ الله به ممن يسير في هدي الحكومة الاستعمارية، أو من اتخذ آلهة حزبية، وما فيها من مبادئ وعصبيات ورجال"⁽²⁾.

وفي أعقاب الاختلاف في مواعيد الصوم الإفطار، وتلكؤ لجنة الأهلة والأعياد عن القيام بواجباتها، عمدت جمعية العلماء إلى استنفار شعبيها لرصد الهلال أو الأخذ برؤية تونس والمغرب، وقد رأت أن تدخل الحكومة في القضايا الدينية باطل، وحيث أنها تريد إحلال نفسها محل القيادة الدينية في الجزائر -مكان الأئمة الرسميين- فقد اعتبرت نفسها ممثلة لجماعة المسلمين بسبب فقدان المرجع الديني التنفيذي الشرعي: "حيث أن المرجع الديني التنفيذي مفقود في الجزائر، فالمرجع هو جماعة المسلمين، وهي تتمثل في جمعية العلماء وشعبها وأنصارها، وبناء على هذا فجمعية العلماء ترى من الواجب عليها، ومن طبيعة عملها الخيري، أن تكون واسطة بين أطراف القطر في تحمل الشهادة بالرؤية، وفي أدائها، وفي تعميم الأخبار بها بكل الوسائل التي تدخل في إمكانها"⁽³⁾.

ولكن الطرفين كانوا وظلوا ينازعون جمعية العلماء في دعوى تمثيل الأمة بحجة أنهم هم الأوفياء للميراث المالكي، وقالوا بأن: "الأمة الجزائرية فقد عاشت على المذهب أحقاباً، ولا زالت تعيش عليه إن شاء الله ما دامت السماوات والأرض، ولا عبرة بدعايات جمعية المطحين التي سموها تضليلاً للفكر العام بجمعية العلماء، وما هي إلا شرذمة وهابية تريد أن تغالط المسلمين في دينهم"⁽⁴⁾.

(1) البصائر، ع 230 (5-22-1953)، ص 1.

(2) البصائر، ع 230 (5-22-1953)، ص 1.

(3) البصائر، ع 157 (5-28-1951)، ص 1، آثار إبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 405.

(4) مجلة المرشد، مقال "نحن مالكيون ولا فخر" ع 48 (4-8-1951)، تنبيه القراء، مرجع سابق، ج 2 ص 122.

بل إن بعض الطريقين ظلوا يناوشون ويشككون في صلاحية علم علماء الجمعية، وظهرت منازعات بين خريجي الزيتونة والقرويين، حتى إن إمام الخروب أحمد الخالدي هاجم خريجي الزيتونة متهما إياهم بأن علمهم علم مسيحيين⁽¹⁾.

5- الأعراف القبائلية:

منذ عهد ابن زكري والكتابات تتوالي في شرعية بعض الأعراف الموروثة في مثل توريث البنات والطلاق والحجر والوقف الذري، وقد نشطت الجمعية في دفع أنصارها إلى المطالبة بنقض بتلك الأعراف، خاصة مع تخوفها من تكريس مثل الظهير البربري في المغرب واستنساخه في الجزائر، وزادها توجسا انطلاق النزعة البربرية في نهاية الأربعينات وتضرر الحركة الوطنية من ذلك⁽²⁾، ولما أصدر علماء زاوية من الطريقين وغيرهم عريضة للعودة للشرعية في الأحوال الشخصية أيدتهم الجمعية بقولها في بيانها: "جاءتنا العريضة التي ننشر نصها وإمضاءات أصحابها كاملة، من رجال زاوية الكبرى يطلبون فيها بتأكيد من الحكومة الجزائرية إلغاء القوانين الخاصة بزاوية في الأحوال الشخصية، تلك القوانين التي تستند على العوائد والأعراف لا على أحكام الشريعة الإسلامية المطهرة. ويطلبون الرجوع إلى الأصل، وهو أحكام الشرع الإسلامي في النكاح والطلاق وما يتفرع عنهما، وفي الميراث والوصية والحجر، والحكم بالعوائد مطلب عزيز من مطالب الاستعمار الفرنسي، زرع بذوره في أرض زاوية وتعهدها بالسقي والعلاج، وقواها بتقوية مراكز التبشير وإطلاق يد المبشرين، وظن أنها استغلظت واستوت على سوقها، واطمأنت إليها النفوس. فجاءت هذه العريضة مجتثة لما غرس من أصله، وأقامت الدليل للمغرورين بالظواهر على أن زاوية معقل من معاقل الإسلام والعروبة، كانت وما زالت على ذلك"⁽³⁾.

وظل الإبراهيمي لا يكل عن التنديد بالمكائد الاستعمارية التي سماها بالشجرة الخبيثة في بلاد القبائل: "ومن فروع هذه الشجرة الخبيثة الظهير البربري المشهور، ومن فروعها ما سارت عليه حكومة الجزائر منذ قرن في وطن زاوية من تخصيص بقوانين وأحكام إدارية وقضائية، وتقوية النظام العشائري فيه، وإبعاده بالتدريج عن القضاء الإسلامي، ومن فروعها تكثير مراكز التبشير بالنصرانية في الوطن القبائلي"⁽⁴⁾.

6- التقليد والتمذهب الفقهي:

(1) البصائر، الطاهر الشرفي: "من أعمال الشيخ أحمد الخالدي المنكرة بالخروب"، ع 47 (30-8-1948)، ص 6.

(2) انظر بن يوسف بن خدة، جذور أول نوفمبر، مرجع سابق، ص 235.

(3) البصائر، ع 59 (6-12-1948)، ص 3، آثار الإبراهيمي، ج 2 ص 269. ولكن الحملة فشلت حسب تقرير أحمد قصيبة الذي قلل: "وقد كانت نتيجة -التنصير- الإلحاد والذبذبة أكثر نتيجة من التنصير، ولم ينجحوا إلا نجاحا محدودا في تنصير بعض الأفراد سكنوا العواصم، أو بعض الطوائف في بني يني وواضية وجمعة صهاريج، ولكن ذلك كان قبل (1925)، أما بعد هذا التاريخ فإن حركة التنصير قد أفلست وفشلت كما فشل المبشرون بها" انظر البصائر، ع 153 (30-4-1951).

(4) البصائر، ع 42 (5-7-1948)، ص 1، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 3 ص 400.

استمر النقاش خافتا حول موضوع المذهبية، بعدما اتضح للجميع تمسك جمعية العلماء بالمذهب المالكي في فتاويها وتخريجاتها واختياراتها الفقهية، وظل الطرقيون منافحين عن المذهب رادين كل دعوى لانتقاصه أو العدول عنه إلى غيره، ونجد ذلك في عديد المقالات مثل مقال "نحن مالكيون ولا فخر" لعدة بن تونس⁽¹⁾. ولزم الطرقيون الدفاع عن العوائد الموروثة وما جرى به العمل في القطر الجزائري في المساجد والجنائز وغيرها، فقد دافع بعضهم عن هذه العوائد بحكم أنها من المماريات، وفي هذا علل ابن بكار سبب تأليفه لرسالة "بلوغ الأمل في أدلة ما جرى به العمل" قائلا: "لما ظهر المتطرفون وأنكروا على المسلمين الجزائريين ما جرى به عملهم"⁽²⁾، كما قال إنه شرع في تأليف "عبرة الناظر في تاريخ الجزائر"، وتكلم فيه عن الفتنة التي أشعلها المتطرفون-أي الإصلاحيون- مع علماء السنة وقال: "إن المسلمين في الجزائر عقيدتهم سنية صافية من ناحية علم أصول الدين غير محتاجة إلى تجديد وإنما هي مفتقرة إلى التعليم الصحيح، وترك ما يؤدي إلى التشكيك كما حدث أخيرا مع ظهور المتطرفين، فزاغت بذلك قلوب كثير من الناس..... وترجمت لجماعة من العلماء المتطرفين ولجماعة علماء السنة الذين وقفوا في وجوههم وناظروهم"⁽³⁾، وعرض في كجموعه لبعض العادات المتبعة في الزوايا والمعاهد مشيدا بها وبرجالها.

7-نقد طرائق التدريس:

وهو ما نجده في تعليقات الإبراهيمي خاصة على أساليب التعليم والتلقي والإجازات، ومثال ذلك قضايا تحمل الحديث، في كلامه عن أهلية عبد الحي الكتاني العلمية في علوم الحديث: "وعبد الحي محدث بمعنى آخر، فهو راوية بكل ما لهذه الكلمة من معنى. تتصل أسانيده بالجن والجن.. وبكل من هب ودب، وفيه من صفات المحدثين أنه جاب الآفاق، ولقي الرجال، واستوعب ما عندهم من الإجازات بالروايات، ثم غلبت عليه نزعة التجديد فأتى من صفات المحدثين (بالتخفيف) بكل عجيبة، فهو محدث محدث في آن واحد؛ وهمه وهم أمثاله من مجانين الرواية حفظ الأسانيد، وتحصيل الإجازات، ومكاتبة علماء الهند والسند للاستجادة، وأن يرحل أحدهم فيلقى رجلا من أهل الرواية في مثل فواق الحالب، فيقول له: أجزتك بكل مروياتي ومؤلفاتي.. فإذا عجز عن الرحلة كتب مستجيذا فيأتيه علم الحديث، بل علوم الدين والدنيا كلها في بطاقة.. أهذا هو العلم؟ لا والله. وإنما هو شيء اسمه جنون الرواية"⁽⁴⁾.

وهذا مثال واحد، يقارنه نقد طرائق التدريس التقليدية في الزوايا، والتي حاولت الجمعية وحتى المدارس التجديدية لبعض الطرق تغييره بالاندماج والاقتراب من الطرائق الحديثة في الأزهر أو البرنامج الجديد للتعليم الزيتوني.

8- تعليم البنات:

(1) مجلة المرشد، ع 48 (أفريل-1951).

(2) بن بكار، مجموع النسب، مرجع سابق، ص 186.

(3) بن بكار، المرجع السابق، ص 187.

(4) البصائر، ع 33 (4-26-1948)، ص 3، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 3 ص 545.

وهي القضية التي جدّت فيها جمعية العلماء، وألحقت أقساماً لتعليم البنات بمدارسها، مما جر عليها بعض النكير من الدوائر المحافظة، حيث هاجم الطرقيون في مؤتمر الحامة في (15-18 مارس 1948) تعليم البنات في المدارس الفرنسية والإصلاحية: "الأمة وإن انخدعت لدعاية بعض الدعاة فلم تزل مشمئزّة مما فجّؤها به من إباحة السفور والانهماك في الفجور حتى أصبحت بعض المدارس زيادة على تحريضها لتعليم البنات ما لا يستحسن تعليمه وتخشى عواقبه، فهم يزيدون فوق ذلك نافلة، فيأمرون بالنساء المحصنات فجاءوا بهم بهن متجمعات إلى استماع الخطب والروايات التي تعبت بعقولهن غالباً فيصبحن منهنمكات في مراسخ الظلال والموبقات"⁽¹⁾.

لم يكن الأمر جديداً أو طارئاً، فمن قبل ندد الطرقيون بجمعية تحرير المرأة المسلمة بعنابة نهاية الثلاثينيات، والتي قالوا بأنها تأسست تحت عين ابن باديس الذي دعا لها بالتأييد، وأن بعض أعضائها من الجمعية⁽²⁾. ونددوا بحضور النساء سافرات مناشط الجمعية وأذرعها كاجتماع قاعة الماجستيك في (28-8-1938)⁽³⁾ واستعدى الطرقيون رجال الدين ضد الإبراهيمي الذي نشرت له صور مع معلمات دار الحديث وهن سافرات⁽⁴⁾، وكانت قضية السفور مثار جدل كبير بين الطرقيين الذين رافعوا للحجاب والحشمة، على العكس من التوجهات الجديدة لمؤطري الجمعية. ومن هؤلاء البودليي الذي اعتبر الدعوة لذلك نقضا وهدما للدين، وهي من تخطيط من يسميهم عصبة الأحرار الذين انخدع بها بعض الإصلاحيين⁽⁵⁾.

وتلافياً لذلك القيل ندب الإبراهيمي إلى تأسيس مدارس خاصة، ففي المدينة تبرع بعضهم بدار للبنين، فألزمهم الرئيس بأن تكون للبنات، ودعاهم لبناء مدرسة جديدة للبنين⁽⁶⁾. وسلّ الإبراهيمي -قلمه على أولئك الرهط، الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون، وكشف هدف تلك الحملة-، وهو أن الاستعمار "متشائم بتعليمها- الجمعية- للبنات المسلمة، لأن نتيجته تكوين بنت صالحة، تصبح غداً زوجة صالحة، وبعد غد أمّاً صالحة، وهاله أن تعمر البيوت بالصالحات فيلِدُن جيلاً صالحاً صحيح العقائد متين الإيمان، قويم الأخلاق، طموحاً إلى الحياة، فتطول به غصته ثم تنتهي به قصته... ولأن الاستعمار بعيد النظر، عارف بما للمرأة في أمتها من الأثر، فهو حرّكهم، وما زال يحركهم لإثارة هذا الغبار الأسود في وجه جمعية العلماء، لزعزعة ثقة الأمة بالجمعية في خصوص تعليم البنات"⁽⁷⁾.

(1) مجلة المرشد، "جمعية جامعة مشايخ الطرق والزوايا" ع 17 (1948)، تنبيه القراء، مرجع سابق، ج 1 ص 156

(2) الرشاد، مقال "يحاربون الفضيلة بعد الدين"، ع 47 (7-7-1939)، ص 2. ع 45 (19-6-1939)، ص 2.

(3) الرشاد، مقال "جمعية العلماء تحارب الفضيلة في معقلها وتجنّي على الأخلاق"، ع 13 (1-9-1938)، ص 2.

(4) انظر مذكرات خير الدين، مرجع سابق، ج 1 ص 183. مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان، مرجع سابق، ص 417.

(5) البودليي، الرسالة الدليمية في صيانة العائلات الإسلامية، مرجع سابق، ص 17.

(6) البصائر، ع 87 (18-7-1949)، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 297.

(7) (آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 22. البصائر، مقال "في كل واد أثر من ثعلبة"، ع 152 (23-4-1951)، ص 2. وفي مقال آخر عن المرأة المسلمة في الجزائر، تتبّع الإبراهيمي حصائل التعليم الفرنسي للمرأة في الجزائر، وسماه فجراً كاذباً، وأنه يقف بأغلبن في الابتدائي، والقليلات تجاوزن ذلك مثل شريفة قزال (ليسانس آداب)، وحليمة بن عابد (شهادة التبريز عن أطروحة الغزالي)، وصيدليتان، وعشرات القابات. وأما الفجر الصادق لتعليم الفتاة المسلمة فيبتدأ بجمعية العلماء (1931) انظر آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 4 ص 265.

ويقول في الرد على حملة "جريدة إفريقيا الشمالية" (للكامل بن عزوز) من تونس ومن يكتب بها من الجزائريين: "ما لهؤلاء الرهط- أنصار الأعراض- يسكتون عن أعراض عشرات الآلاف من المسلمات المستخدمات عند الأجانب؟! ما لهم لم تتحرك غيرتهم على عشرات الآلاف من اللواتي يملأن المواخير؟! ما لهم عميت أبصارهم وبصائرهم عن هذا السيل من التعليم الاستعماري الجارف المتوجه إلى البنت المسلمة على الخصوص، لينتزعها من الخدر، وينزع عنها لباس الفضائل الإسلامية؟، أين كانوا- لا كانوا- من أفواج البنات المسلمات، طرائد البؤس، وفرائس التبشير المسيحي، وهن تحت أسماعهم وأبصارهم؟!، كذبتهم وفجرتهم. إن جمعية العلماء حاربت الرذيلة جهارا، وحاربت دعاة التحلل الأخلاقي كفاحا، ووقفت من التبشير وغيره مواقف مشهودة، وإنها تعلم البنت المسلمة العلم والعفاف، وتربئها على الكرامة والشرف، علما بأن العلم الديني هو رائد العفاف، وأن الجهل هو سبب انحدارها إلى ما ترونه وتتعامون عنه، وإن جمعية العلماء- لما بلته من أمثالكم من فساد الأخلاق- تبالغ في الاحتياط، وتسرف في التشدد، وتعاقب على الظنة والتوهم، قمعا لغرائز الشر، وسدا لذرائع الفجور، وإن في بعض من تشيرون إليه منتصرين ممن فصلتهم عن التعليم، من كان سبب فصله هذا الاحتياط"⁽¹⁾.

وهو لا ينفي وقوع بعض الشبهات التي لا يخلو منها مكان، ولكن صرامة الجمعية فصلت بعض المعلمين المخالفين للأنظمة التعليمية والتهديبية. وهذا لا ينفي أصالة الجمعية في هذا المضمار، فتعليم المرأة لا يخرجها عن طبيعتها، ومن قبل صرح ابن باديس: الجاهلة التي تلد أبناء للأمة يعرفونها- مثل أمهاتنا- خير من العالمة التي تلد للجزائر أبناء لا يعرفونها"⁽²⁾.

والظاهر أن القضية كانت تشغل بلاد كثيرة، ومنها السعودية التي كان علماؤها الوهابية يرفضون تعليم البنات، مما جعل الإبراهيمي يرسل بعضهم، ولعله المفتي محمد بن إبراهيم آل الشيخ بقصيدة رائية داعيا فيها لتعليم البنات⁽³⁾:

وإنها إن أهملت كان الخطر----- كان البلا كان الفنا كان الضرر
وإنها إن علّمت كانت وزر----- أولا فوزر جالب سوء الأثر
ومنعها من الكتاب والنظر----- لم تأت فيه آية ولا خبر.

9- الوهابية:

ظلت تهمة الوهابية تلاحق الجمعية من خصومها طوال هذه السنوات، ومن ذلك ما أرخه الإبراهيمي في التعليق على مؤتمر الزوايا: بلغنا ما وقع في المؤتمر الثاني (مؤتمر الزوايا) بالتفصيل أيضا، حتى أسماء الحاضرين والخطباء وما خطبوا، وأنهم تواردوا على معان متقاربة في غايات الاجتماع الظاهرية، وهي جمع الشمل وتجديد العهد وخدمة العلم بالتعليم... وكان من كياسة الرئيسين الدائم والهائم أن بالغوا في إخفاء

(1) البصائر، ع 152 (4-23-1951)، ص 2، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 3 ص 384.

(2) آثار ابن باديس، مرجع سابق، ج 5 ص 441. وانظر الهرماسي، نفسه، ص 340.

(3) آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 4 ص 133.

الغاية الحقيقية، حتى قام طالب مأجور يعدونه من أتباع الأتباع، فذكر جمعية العلماء بوصفها القديم الذي كانوا ينبرونها به، وهو أنها جمعية وهابية"⁽¹⁾.

واستغربت الجمعية وقوف من يسمى بآخر الحفاظ للحديث في صف الطريقين، وهو عبد الحي الكتاني: "ولقد كان من مقتضى كون الرجل محدثاً أن يكون سلفي العقيدة وقافاً عند حدود الكتاب والسنة.. لكن المعروف عن هذا المحدث أنه قضى عمره في نصر الطريقة وضلالات الطريقين ومحدثاتهم بالقول والفعل والسكوت، وأنه خصم لدود السلفيين، وحرب عوان على السلفية، وهل يرجى ممن نشأ في أحضان الطريقة، وفتح عينيه على ما فيها من مال وجاه وشهوات ميسرة ومخايل من الملك، أن يكون سلفياً ولو سلسل الدنيا كلها بمسلسلاته"⁽²⁾؟

المطلب الثاني: الجدل الصوفي العقدي.

1- شرعية الطرق:

استمر الجدل مستعراً حول شرعية وجود الطرق الصوفية وضرورتها في الحياة الإسلامية، وكان الفريقان يتنازعا ويتجادلان في ذلك في مختلف المنابر الإعلامية والمسجدية، ومن أكثر المنكرين على شرعية الطرق هو الإبراهيمي القائل: "سيقول بعض الناس: إن ما ذكرتموه من آثار الطرق السيئة كله صحيح وهو قليل من كثير، ولكن هذه الطرق لم يعترها الفساد والافساد إلا في القرون الأخيرة، وأنتم- معشر المصلحين- تذهبون في إنكاركم إلى ما قبل هذه القرون، وتتناولون فيما تكتبون وما تخطبون وما تدرسون المحدثين والقدماء والأصول البعيدة والفروع القريبة. حتى بسطتم ألسنتكم بالسوء إلى مقامات وأسماء كانت قبل اليوم كحمام الحرم. ولعل خصومكم يكونون أدنى للرجوع إلى الحق لو سكتم لهم عن هذه الأسماء. لهذا القائل نقول- بعد شكره على الاعتراف ببعض الحق- إن الجزء الأخير من كلامك مقتبس مما يشنع به علينا خصوم الإصلاح، وهو أننا ننش القبور ولا نحترم الأموات، وننكر كرامات الأولياء ومراتبهم من غوثية وقطبانية إلى أكاذيب يلفقونها وأراجيف يتناقلونها عنا"⁽³⁾.

وعلل الإبراهيمي رؤيته بآثار الطرق السيئة على الحياة الإسلامية، وخضوع العلماء لرؤية المتصوفة: "لم يزل أمراء السوء يكيدون للعلماء حتى زحزحوهم- مع تطاول الزمن- عن مكان القيادة الروحية للأمة، وصرفوهم عنها، واستبدلوا بهم في استمالة الدهماء والعامّة قادة لبسوا لبوس الدين ليغروا باسمه، وزهدوا في العلم إذ ليسوا من أهله، واستمدوا قوتهم من قوة الأمراء، وتقارض الفريقان الشهادات بالتزكية والتراضي على المنافع والسكوت عن المنكر، هؤلاء يضلونها، وهؤلاء يذلونها، والإضلال في الدين وسيلة الإذلال في الدنيا؛ واستنامت الأمة على الهدفة باسم الدين، وعلى الاغترار بما يزينون لها من الجهل، وما يقبحون لها من العلم، وما يقربون لها من طرق الجنة، وهم في ذلك كله لا يقربونها إلى الله إلا بما بعدها عنه من بدع ومحدثات، والعلماء

(1) البصائر، ع 31 (12-4-1948)، ص 1، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 3 ص 394.

(2) البصائر، ع 33 (26-4-1948)، ص 2، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 3 ص 544.

(3) سجل مؤتمر جمعية العلماء، (مؤتمر 1935)، ص 35. آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 173.

في هذه المرحلة غافلون يغطون في نومة أربت في الطول عن نومة أصحاب الكهف والرقيم، إلى أن فتحوا أعينهم على دين غير الدين، فشبّه لهم، وأصبحوا تابعين، بعد أن كانوا متبوعين، وأصبحوا يزكون بعلمهم ذلك الجهل ويشهدون لأولئك القادة الجاهلين بالكمال والفضل، ولأولئك المبتدعين بما انتحلوه لأنفسهم من الولاية والكرامة، على المعنى الذي اخترعوه، لا على المعنى الذي جاء به الدين، ثم لم يكتفوا منهم بذلك حتى نحلّوهم خصائص الألوهية. وشعر أولئك المبتدعة بتهور العلماء للمطامع الخسيسة، وسقوطهم على المطاعم الخبيثة، فقادوهم بزمامها، ثم شعروا بإقرارهم للمهانة والذل في نفوسهم، فأمعنوا في تحقيرهم وإغراء العامة بهم، وأهان العلماء أنفسهم، فسهل الهوان عليهم، فأصبحوا أذل من وتد بقاع، وصاروا عبيدا وخولا لهؤلاء المبتدعة الضلال، يعيشون عالة عليهم، ويتساقطون على فتات موائدهم، ويتطوعون لهم حتى بأخس شهواتهم، ويشهدون لهم الزور على الله ودينه، ويحلون لهم من اللذائذ ما حرم الله، وعلى هذه الحالة أدركنا عصرنا وأهل عصرنا. والشرب مشوب من قديم، ولكن آخر الدن دردي⁽¹⁾.

2- التحذير من التكفير:

تناولت الصحافة الطرقية سطوح ظاهرة التبديع والتكفير في لغة وخطاب جمعية العلماء، بل إن مجلة المرشد العلوية نقلت اتهام الإصلاحيين بالتوسع في التكفير، فكم نقلت من الفتاوى والأقوال المنسوبة للوهابيين في التوسع في التكفير لقضايا خلافية كالتوسل ونحوه، وهاجموا الإصلاحيين لتقليدهم إياهم في ذلك التكفير: "إن العصبة الوهابية عندنا في الجزائر لا تقل تهورا وهواء عن الحكومة الوهابية بالحجاز، ومن شك فيما قلناه، فليراجع جرائدهم المشحونة الطافحة بثلهم وتضليلهم لكل من لم يكن على عقيدتهم الشاذة التي فجأت المسلمين في الصميم"⁽²⁾.

في حين واصل العلويون اتهام لإصلاحيين وظهريهم من وهابية المشرق بالارتقاء في التكفير وتوابعه من التضليل والتبديع، كما هو رد عدة بن تونس على أحدهم في مقال "منتقد أعى" حيث قال فيه: "ظهر في المدة الأخيرة بالقدس الشريف منتقد أعى، ولكن لا ينتقد الخمور والفجور، وإنما ينتقد من يقول الله، ويبالغ حضرة هذا الأعى إلى أن يكفر خصومه الذاكرين الله حقا"⁽³⁾.

ولكن المستعرض للصحافة الإصلاحية لا يجد دليلا على حضور لغة التكفير في الأدبيات المنشورة، وإن لم تخل من مقالات التبديع والتضليل لما تراه مخالقات عقديّة وسلوكية في التطبيقات العقديّة المختلف عليها بالأساس.

3- أشكال الذكر:

تكرر النقاش حول شرعية أشكال الذكر، وخاصة بالاسم المفرد والذكر الجماعي عقب الصلوات وغيرها، ومن ذلك جواب مجلة المرشد على انتقاد وارد من سلفي من فلسطين حول الذكر بكلمة الاسم المفرد "الله"

(1) البصائر، ع 36 (17-5-1948)، ص 1، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 3 ص 309-310.

(2) مجلة المرشد، "هذا بيان للناس" ع 40 (أوت، 1950)، تنبيه القراء، مرجع سابق، ج 2 ص 12.

(3) مجلة المرشد، "منتقد أعى" ع 11 (جوان 1947)، تنبيه القراء، مرجع سابق، ج 1 ص 13.

بمد حرف الهمزة من اسم الله بتجاوز المد الطبيعي، الذي هو حركتان في علم التجويد، ورد الشيخ بن تونس بأن فعل الصوفية لذلك لا يخرج عن تخريجين هما النداء وهو جائز، أو الاستفهام وهو ما لا يقول به أحد من المسلمين⁽¹⁾.

كما أجاب الطرقيون عما يحدث في حضراتهم أو ما يسمونه بالعمارة عند العلويين من أصوات غير مفهومة في حالة الوجد مثل (مفتحات بعض السور)، أو أصوات أخرى حيوانية أو متباينة، وأجاب الشيخ عدة بن تونس بأن حالهم يصير كحال السكران المغلوب على أمره، ولا مؤاخذه عليه وبنحوه حشد الأدلة على جواز الرقص أثناء التواجد من أدلة مختلفة من الحديث مما لم يسلم به خصومه⁽²⁾.

واشتغل بعضهم بالتدليل لشرعية تقبيل اليد واتخاذ السبحة والمرقعة والمصافحة ردا على تبديعها من قبل الإصلاحيين، وبشرعية الذكر ورفعها والاجتماع للسمع من آثار ونصوص السلف، واعتمادا على تقسيم بعضهم للبدعة⁽³⁾.

وأما الإبراهيمي فلم يزل يتهم على ما يجري في الحضرات من همهمات وأصوات غير مفهومة مثل "الشبليكو".

4- شرعية الاحتفال بالمولد:

وهي محل اتفاق واجماع بين الإصلاحيين والطرقين، مع وجود بعض القائلين ببدعيته-ربما من المتأثرين بالمد الوهابي-، وهم الذين رد عليهم الإبراهيمي: "لهذه الناحية الحية نجز إقامة هذه الاحتفالات، ونعدها مواسم تربية، ودروس هداية، والقائلون ببدعيته إنما تمثلوها في الناحية الميتة من قصص المولد الشائعة"⁽⁴⁾، ولكنه دعا إلى الاقتصاد في إنفاق الأموال في غير محلها وجعل الأحفال بما ينهض بالأمة ويقربها من الهدي النبوي. وظلت البصائر تنقل سويا أعمال الشعب في الاحتفال به⁽⁵⁾.

5- شرعية الزردة والولائم الطرقية:

استمر الجدل أيضا حول شرعية ووظيفة وفوائد التجمعات الصوفية في الوعدات والزردات، وكان الإبراهيمي يحمل يحمل فرنسا وزر الوقوف وراء الزردات: "وتعالوا نسلم جدلا أنها صادقة في دعواها، ومخلصة في نيتها، فبماذا تفسر المحافظة على الإسلام؟ أباطلاع أوقافه، وأكلها أكلا لما؟ والأوقاف هي الأساس المادي للدين؛ أم بتحويلها للمساجد الكبيرة كنائس؟ أم بحسن اختيارها لرجال الدين؟ أم بأعمالها (المشكورة) في حرية الحج؟ أم بتدخلاتها المعروفة في الصوم والإفطار والأعياد؟ أم بتنشيطها على الزرد و (أعراس الشيطان)⁽⁶⁾."

(1) مجلة المرشد، "منتقد أعنى" ع 11 (جوان 1947)، تنبيه القراء، ج 1 ص 14. وع 4 (نوفمبر 1946)، ج 1 ص 51.

(2) مجلة المرشد، مقال "عوامل الأشواق من بين العشاق"، ع 32 (ديسمبر 1949)، تنبيه القراء، ج 1 ص 50. ج 1 ص 112.

(3) ابن بكار، مجموع النسب، مرجع سابق، ص 114-115.

(4) البصائر، ع 176 (10-12-1951)، ص 1، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 343.

(5) البصائر، تقرير إحياء ذكرى المولد في أنحاء القطر، ع 65 (31-1-1949)، ص 7. البصائر، تقرير الصادق حماني، "الاحتفال بالمولد المبوي في

معهد ابن باديس وفي مدرسة التربية والتعليم"، ع 23 (16-2-1948)، ص 2.

(6) البصائر، ع 104 (23-1-1950)، ص 1، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 3 ص 119.

بل إنه يجعل المعمرين هم السبب وراء بناء القباب حماية لمزارعهم المغتصبة من أصحابها، وخاصة في عمالة وهران، ففي مقاله عن أعراس الشيطان في فصلي الخريف والربيع يقول: "جل ما شئت في عمالة وهران في النصف الأخير من الربيع، والنصف الأول من الخريف، فإنك تسمع في كل سوق أذاًنا بزردة، وترى في كل طريق حركة إلى زردة، وركاباً تشد إلى وعدة، وسر ما شئت في جميع الأوقات، وفي جميع طرق المواصلات تر القباب البيضاء لائحة في جميع الثنايا والأكام ورؤوس الجبال، وسل تجد القليل منها منسوباً إلى معروف من أجداد القبائل، وتجد الأقل مجهولاً، والكثرة منسوبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني. وأسأل الحقيقة تجبك عن نفسها بأن الكثير من هذه القباب إنما بناها المعمرون الأوروبيون في أطراف مزارعهم الواسعة، بعد ما عرفوا افتتاح هؤلاء المجانين بالقباب، واحترامهم لها، وتقديسهم للشيخ عبد القادر الجيلاني، فعلوا ذلك لحماية مزارعهم من السرقة والإتلاف. فكل معمر يبني قبة أو قبتين من هذا النوع يأمن على مزارعه السرقة، ويستغني عن الحراس ونفقات الحراسة، ثم يترك لهؤلاء العميان- الذين خسروا دينهم ودنياهم- إقامة المواسم عليها في كل سنة، وإنفاق النفقات الطائلة في النذور لها وتعاهدها بالتبويض والإصلاح، وقد يحضر المعمر معهم الزردة، ويشاركهم في ذبح القرابين، ليقولوا عنه إنه محب في الأولياء خادم لهم"⁽¹⁾.

ويندد الإبراهيمي بما يقع فيها من موبقات حسبه: "عادت لعترها ميسنا في الصيف الماضي- وقد ماتت تلك العوائد السيئة) عادة الزرد التي تنتهك فيها الحرمات، وتستحل المحرمات- فأوعزت إلى صنائعها أن يحيوها، ويسرت لهم كل ما عسرته الأزمة المالية الخائفة، وأحضرت لهم كل ما غيبته سنة الحرب الماحقة، وإذا بعاصمي الزرد و "الوعائد" محيي معالم البدع والعوائد، يدعو إلى وعدة "عابد"، و يقيمها بسيئاتها وموبقاتها وفواحشها، على أسوأ ما كانت تقع عليه من المنكرات التي لا يسيغها عقل ولا دين ولا مروءة، وإذا بآخر في وهران، يدعو إلى زردة أخرى من زرد الشيطان. وإذا بآخرين في غيرها يدعون إلى غيرها، ولم يكتف هذا التنشيط الداخلي لهذه الزرد التي صاحبها يفتقر، وأدبها ينتقر؛ فدعت الجفلى إلى الزردة الكتانية التي صاحبها "يزرد ويزيد"⁽²⁾.

واستمرت صحف الجمعية في النقد اللاذع للتقاليد الطرقية، متهمة الشرطة والإدارة بتشجيعها كما في مقال للشعلة عن القادرية بتبسة بعنوان "البوليس يحتضن القادرية ميكست"⁽³⁾.

المطلب الثالث: الجدل الفقهي الفروعي.

1- الذكر عقب الصلوات:

من الهيلة والتسبيح جهراً، وهو مما أنكره الإصلاحيون واعتبروه بدعة، في حين حشر الطرقيون نقولهم باستحباب ذلك من كتب الحديث والفقه، إضافة القول بجواز رفع الذكر في الجنائز، وأنها إن كانت بدعة

(1) البصائر، ع 95 (14-11-1949)، ص 1، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 3 ص 319.

(2) البصائر، ع 64 (24-1-1949)، ص 1، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 3 ص 342.

(3) جريدة الشعلة، ع 45 (8-11-1950)، عن عيساوي، مدينة تبسة وأعلامها، ص 211.

فهي حسنة شأنها شأن صلاة التراويح، إضافة إلى القول بشرعية القراءة على الجنائز، مما أشبع بحثنا ونقدا وردا واعتراضا في الثلاثينيات⁽¹⁾.

2- القبض والسدل في الصلاة:

جرى العمل المالكي على السدل، ولكن بعض المعاصرين رأى القبض، ومنهم المكي بن عزوز، وناصره بعض الإصلاحيين، ولكن الذي رافع عن القضية هو الشيخ ابن عليوة الذي ألف في الانتصار للقبض رسالة "النور الإثمى في سنة وضع اليد على اليد" وتميز العلويون بهذه السنة ودافعوا عنها⁽²⁾، كما تميز التجانيون بالبسملة في الصلاة، في مخالفة للمأثور العملي في الجزائر، وظل الجدل منبعثا في هذه الفترة أيضا.

3- الصلاة خلف الأئمة الرسميين:

تمتد القضية في جذورها إلى العقد الماضي، ولكنها زادت اشتعالا مع الجدل حول قضية فصل الدين عن الدولة، ومنها تتمايز المواقف إلى اتجاهات عدة أهمها:

أ- الإصلاحيون: من أتباع الجمعية الذين رافع عنهم الإبراهيمي، وكتب مقالات عديدة حول الأئمة الرسميين، وختمها بفتوى بطلان الصلاة خلفهم⁽³⁾، حيث نالتهم سياط الإبراهيمي الذي شكك مرارا في أهليتهم الدينية، وفي قضية أخذ الأجرة على أعمالهم من الصلاة والأذان والأوراد القرآنية، ومما قاله في ذلك: "حتى يعتقدوا أنهم يؤدون عملا للحكومة ورجالها لا لله ودينه، وأنهم يصلون الركعة لمائة الفرنك لا للواجب الديني، وأنهم يقرؤون الحزب للبلاييك لا للتعبد بالتلاوة..... وقد نجحت بهذا الجند العاطل المرتزق الذي جندته واصطادته بشبكة المطاعم، من الأئمة والمفتين، والخطباء والمؤذنين، والقومة والحزبيين، وأتباع "شريعة يوسف" أجمعين ... كورتهم وصورتهم، ونقحتهم، وحورتهم"، وعلى المنوال الحكومي دورتهم، حتى أصبحوا جزءا أصيلا من الأدوات الحكومية"⁽⁴⁾

ب- العقبيون: تغير رأيهم في الأربعينيات إلى القبول بالصلاة خلف الرسميين تبعا لتغير مواقف العقبي في الاقتراب من الهيئة الرسمية بغاية المرافعة لأجل القضايا الوطنية كالمساجد والأوقاف وفصل الدين عن الدولة. ولعل ذلك التغيير كان بتأثير من أبي يعلى الزواوي الذي نشر مقالات في صلاة الجماعة داعيا العقبي إلى العودة إليهما⁽⁵⁾، وهو ما كان من ترك العقبي وجماعته ما كان من آراء في ترك الصلاة خلف الرسميين.

ج- الطرقيون: هاجموا فتوى الإبراهيمي ببطلان الصلاة خلفهم، بل واتهموه في مقال "طغيان الشيخ" بأنه داعية تكفير، وردوا عليه بأن أغلب الأقطار الإسلامية تحت حكم حكومات كتابية أو إباحية (علمانية) والمسلمون يصلون خلف الأئمة ووجهوا نداء إلى الأمة بالصلاة خلف الأئمة، وعدم الاستماع للإبراهيمي الذي

(1) مجلة المرشد، " مقال الذكر عقب الصلوات" ع 54 (نوفمبر 1951)، تنبيه القراء، مرجع سابق، ج 1 ص 40-43.

(2) مجلة المرشد، " وضع اليد على اليد في الصلاة" ع 7-8 (فيفري-مارس 1947)، تنبيه القراء، مرجع سابق، ج 1 ص 114.

(3) البصائر، ع (140-141) في (2-5-1951)، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 3 ص 152. ج 3 ص 189. ج 3 ص 198.

(4) البصائر، ع 105 (30-1-1950)، ص 1، آثار الإبراهيمي، ج 3 ص 122. حورتهم نسبة للقاضي بن حورة الموالى لفرنسا.

(5) الإصلاح، أبو يعلى "صلاة الجماعة والجمعة وأدعوا إليهما صديقي العقبي وسائر العلماء والمصلحين"، ع 20 (20-4-1940)، ص 2

يكتب تحت تأثير الحسد والغضب حسب توصيفهم⁽¹⁾، ولم يكونوا يرون الحرج في الصلاة خلفهم، وكتبوا مقالات كثيرة في الرد على الإبراهيمي والتبسي، ومن ذلك مقال في مجلة الذكرى للبودليي بعنوان "إلى مطروح لضربات القلم السيل" لعبد القادر الماحي⁽²⁾.

4- صلاة الجمعة في المدارس:

وهي الصلاة التي رافع العلاويون على إقامتها لتوسيع جانب التدين لدى التلاميذ، وقالوا بأنهم "بحاجة لمن يصلي، لا لمن يفتي بإبطال الصلوات"⁽³⁾، وخالفوا في هذا مشهور المذهب المالكي من اشتراط الجامع المسقوف في القرى وإذن الإمام.

5- الفتوى:

تنازع الفريقان سلطة القول في الفتوى، وقد اعتنت الجمعية بموضوع الإفتاء منذ تأسيسها، ففي المادة (78) جاء: تعهد الجمعية إلى جماعة من العلماء المستقلين في علم الدين - تسميهم لجنة الإفتاء - ليكتبوا في المسائل التي عمت فيها البلوى وكثر فيها خلاف الناس، وكانت مثار نزل مستمرّ وجدال مستمر بين الأمة حتى دخل في المعمعة من يحسن الكلام ومن لا يحسنه، مثل مسائل الربا والمزارعة والقراض والأوراق المالية، والروائح واللحوم والشحوم الأجنبية، وطعام الكتاني، والمطالبة بالأرث على الضرر الأدبي، والتقليد في رؤية الهلال وغير ذلك، وتكون الكتابة على أسلوب البحث والاستدلال ونقد الأدلة، ثم يبينوا للناس حكم الشريعة في هذه المسائل بعد فحص الجمعية لها لإجازتها، وتنشر تلك الكتابات باسم الجمعية حتى تكون فصلاً في محلّ النزاع⁽⁴⁾.

واستمرت لجان الفتوى في عملها منذ تأسيسها، وكانت تنشر فتاواها في جرائد الجمعية، وبعد استشهاد الشيخ التبسي (1957) انتقلت رئاسة لجنة الإفتاء إلى رئيس الجمعية البشير الإبراهيمي-والذي كان في مصر أيام الثورة- ثم وسع دائرتها بعد الاستقلال في ديسمبر (1962) بزيادة أعضائها، وهم: أحمد سحنون - مصطفى الفخار - عبد اللطيف القنطري - الفضيل اسكندر - نعيم النعيمي⁽⁵⁾، ولعل أمر الفتوى قد خفت تلك الأيام لانشغال الجميع بالثورة، ولأن كثيراً من قضاة الثورة كانوا من رجال الجمعية والزوايا على السواء.

6- الصيام بالهاتف وبرؤية الأقطار المجاورة:

دعا الإصلاحيون إلى وحدة الأمة في الصيام، واعتماد رؤية المجاورين في تونس والمغرب إن ثبت الرؤية، وردوا على التقليديين الذين لا يقبلون إثبات الرؤية إلا في البلد الواحد وبالمباشرة والمشافهة. ففي نصيحة دينية لجمعية العلماء نددت فيها بشيوع ظاهرة اختلاف الإفطار والصيام والاحتفال بالأعياد في البيت الواحد والقرية الواحدة: "انتهى بكم العناد واللجاج إلى شر ما تقع عليه العين من تفرق واختلاف، وهو

(1) مجلة المرشد، "مقال طغيان الشيخ" ع 47 (10-3-1951)، تنبيه القراء، مرجع سابق، ج 2 ص 21.

(2) مجلة الذكرى، ع 1 (15-12-1954)، آيت علجت، نفسه، ص 204.

(3) مجلة المرشد، "صلاة الجمعة بالمدارس" ع 8 (مارس 1947)، تنبيه القراء، مرجع سابق، ج 1 ص 117.

(4) المادة 78 من قانون الجمعية، انظر آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 88.

(5) آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 5 ص 309.

أن البيت الواحد يضم صائمين ومفطرين فضلا عن القرية الواحدة، والصائم يرمي المفطر بالموبقات والمفطر يرمي الصائم بالشناعات وبين هذين ضاعت الحرمة الحقيقية والحكمة الحقيقية"⁽¹⁾.

وفي سعيها لربط العلائق مع الشمال الإفريقي تثبيتها للوحدة الإسلامية نادت: "لا تجعلوا الحدود الإقليمية التي وضعها المخلوق، حدودا فارقة في الشعائر التي وضعها الخالق، ولا ترتابوا في أخبار التليفون إذا عرف الصوت وتعدد الناقل، ولا ترتابوا في أخبار الإذاعة فإنها أمتع من أن يتطرق إليها الخلل في هذا الباب وأنها لا تضيع إلا ما تقدمه لها الهيئات الشرعية"⁽²⁾.

جددت الجمعية حملتها على التقليدين الذين كانوا في المالكية والإباضية على السواء، فقالت: "لا تسمعوا كلام الجاهلين الذين يسولون لكم الخلاف في الدين باسم الدين ويطعنون في رؤية تونس أو فاس أو قسنطينة ويضيقون عليكم ما وسع الله، لا تقلدوا بعض الفقهاء الجامدين الذين يريدون أن يحتكروا التصرف في الصوم والإفطار ويفرقوا كلمة الأمة بجمودهم وجهلهم"⁽³⁾.

ولذلك ثار جدل كبير حول شرعية "لجنة الأهل والأعياد الإسلامية" التي حملتها الجمعية تهاونها في التثبت من رؤية الهلال، واعتمادها مرات على رؤية مرصد بوزريعة "ومتى كانت بوزريعة مصدر شريعة" ورفضها الاعتماد على رؤية الأقطار الأخرى⁽⁴⁾. وقد حصلت فتن بين الفطر وإتمام الصيام في قسنطينة وسطيف بسبب ذلك. وممن ناله هجوم الجمعية في هذه القضية المفتي الحنفي محمد العاصمي، وكان من نتائج ذلك أن حملت الجمعية على عاتقها إثبات الرؤية من داخل الوطن بواسطة شعبيها، وتلى ذلك إقامة الصلوات الجامعة، حيث دعت أنصارها والمواطنين لإقامة صلاة العيد في أربعة مواضع بالعاصمة، وعينت لها الخطباء، متجاوزة بذلك الهيئة الدينية الرسمية⁽⁵⁾.

بل إن الجمعية اتهمت اللجنة بتعمد إفطار الناس في رمضان (1372هـ): "الزلة التي لا تغفر لهذه اللجنة، هي أنها تسببت لطائفة من المسلمين في انتهاك حرمة رمضان بالإفطار في يوم من أيامه الثابتة التي لا ينازعه فيها شعبان، بعذر أقبح من الذنب، وهو أن الرؤية خارجية، ثم ثبتت الرؤية الداخلية فلم تخبر الناس بها ليمسكوا، ورضيت لهم أن يتمادوا على الإفطار، وباءت بأثامهم جميعا"⁽⁶⁾.

واعتبرت تلك الفتاوى مثالا يحتذى به لها ولمقلديها في الشمال الإفريقي في الصوم بأي رؤية ثابتة لأي قطر إسلامي، وجعلتها من علائم الأخوة الإسلامية، وهو ما نادى به الإبراهيمي في المؤتمر الإسلامي بباكستان سنة (1952)⁽⁷⁾.

(1) البصائر، ع 1 (1927-7-25)، ص 7، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 162.

(2) البصائر، ع 1 (1927-7-25)، ص 3، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 163.

(3) البصائر، ع 1 (1927-7-25)، ص 8، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 164.

(4) البصائر، ع 45 (1948-8-2)، ص 1، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 225.

(5) أقيمت صلاة العيد ببلكور وسالم باي وبولوغين والقصبية. البصائر، ع 89 (1948-8-8)، ص 6، آثار الإبراهيمي، ج 3 ص 116. بل وأصدرت الجمعية بيانا خاصا في ثبوت رمضان (1370هـ)، ع 157 (1950-5-28)، ص 2.

(6) البصائر، مقال "أكبر زلة تقتربها لجنة الأهل"، ع 160 (1951-6-18)، ص 1، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 413.

(7) آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 4 ص 81.

7- الحج:

لم تختلف الأطاريح الفقهية في وجوب الحج بعد عقود ماضية من القول بإسقاطه عن الجزائريين بسبب قلة الأمان في البر والبحر، ومع استتاب الأمن في الجزيرة العربية وانتهاء خطف وقطع طريق السابلة والحاج بجهود حكومة بن سعود، عادت الكتابات الفقهية لنذب الناس إلى الحج، والتنديد بالعوائق الفرنسية في ذلك، وقد وصف مالك بن نبي تعلق الناس بالحج بعد توفر الباخرة في مذكراته، وفي روايته لبنيك⁽¹⁾.

أما الجمعية فرافعت كثيرا في ذلك، ونعت على الحكومة شروطها المنافية لروح الشرع من ضرورة براءة طالب الحج من التهم والسياسية والإجرام المدني، وما وضع الحج إلا لغسل المؤمن من خطايا.

يقول الإبراهيمي: "وما هو الإجرام المدني؟ إنه السرقة وأكل أموال الناس بالباطل وشهادة الزور، إلخ. ولا نقول الزنا وشرب الخمر والقمار، لأن قوانين الاستعمار تبيحها وتعدّها من الحلال الطيب، ولا تعاقب عليها ولا تعدّها من "الإجرامات المدنية" مع أنها أمهات الرذائل وأصول الخبائث، وكيف يمنع هذا المجرم من الحج وتعاكس عقيدته بأن الحج يمحو خطايا"⁽²⁾.

8- شرعية البناء على القبور:

أعادت الجمعية حملتها على ما تراه من بدع خاصة بالقبور من القباب والولائم والوعيدات التي هي شرك للشيطان وأتباعه المتأكلين بهذه البدع، وفي هذا قال الإبراهيمي سلفا: "هذه القباب المشيدة، وهي أوثان هذه الأمة، أضلت كثيرا من الناس، وأكثر من الكثير، وافتنوا بها، وبأسماء أصحابها حتى ألهمتهم عن دنياهم وأفسدت عليهم أخراهم، وغلوا في تعظيمها حتى أصبحت معبودة تشد إليها الرجال، وتقرب لها القرايين والندور، وتسأل عندها الحاجات التي لا تسأل إلا من الله، ويحلف بها من دون الله، ويتآلى بها على الله، وما جر هذا البلاء على الأمة الإسلامية حتى أضاعت الدين والدنيا، إلا سكوت العلماء عن هذه الأباطيل أول نشأتها، وعدم سدهم لذرائعها حتى طغت هذا الطغيان على عقول الأمة، ولو أنهم فقهوا الأمة في كتاب ربها، وساسوها بسنة نبيها لكان لها من سيرة إبراهيم ومحمد عاصم أي عاصم من هذا الشر المستطير"⁽³⁾. ومن القضايا اللصيقة بهذا الاختلاف المتجدد بالموضوع حول حمل الجناز بالهيلة وقراءة القرآن على الأموات، والتي دافع عنها الطرقيون باعتبارها عوائد محمودة لها ما يشهد لها من أدلة الشرع⁽⁴⁾.

9- بيع العنب لمن يعصره خمرا:

ثار حولها نقاش كبير بحكم احتياج المسلمين لتصريف محاصيل العنب للمعمرين الذين يعصرونه خمرا ويصدرونه، وكانت هذه التجارة مزدهرة، ووجدنا فتاوى مانعة، وأخرى مجيزة، فمن المانعين الشيخ السعيد أهلول الورثاني⁽⁵⁾، ومن المجيزين المفتي الهاشمي بن بكار في رسالته "رفع الإشكال والمرا في حكم غراس العنب

(1) مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، ص 281. مالك بن نبي، لبنيك-رواية، ترجمة زيدان خوليف، ط 1، دمشق، دار الفكر، 2009، ص 12.

(2) البصائر، ع 11 (10-20-1947)، ص 1، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 3 ص 75.

(3) آثار الإبراهيمي مرجع سابق، ج 1 ص 397.

(4) مجلة المرشد، مقال "استهزاء المصلحين برجال الدين"، ع 12 (1947)، تنبيه القراء، مرجع سابق، ج 1 ص 168.

(5) فضلاء محمد الطاهر، الشيخ السعيد أهلول الورثاني، مرجع سابق، ص 206.

وبيعه لمن يعصره خمرا" وعلل ذلك حتى لا يفتقر المسلم ويبيع أرضه للنصارى، ويصير هو وزوجه عاملا مبخوسا عندهم⁽¹⁾، وهي الظاهرة التي كانت شائعة في الغرب الجزائري حيث الاستيطان الكبير.

المطلب الرابع: آثار هذا الجدل في الأربعينيات.

1- اعتدال الطرق الصوفية، وتحول بعضها إلى الفعل الإصلاحي.

وهو ما ظهر في بعض المكتوبات الطرقية في نقد بعض انحرافات متصوفة الوقت، فجريدة البلاغ تهاجم منحرفي التصوف، وتتكلم عن التبرؤ من الطرقيين المندسين والمزيفين المنحرفين وتقول: "الطرقيون كسائر أفراد الأمة لا يخلو أن يوجد من بينهم المصلح، ولا يبعد أن يكون فيهم المفسد، غير أن الرذيلة حقها ألا تتجاوز إلى غير مرتكبيها، لأن الجمع لا يؤخذ بجريرة الفرد"⁽²⁾. ومن ذلك بعض المقالات الجيدة في جريدة الروح التي تصدر عن زاوية الهامل.

2- الاهتمام بالإلحاد والتغريب.

من الآثار الإيجابية للجدل العقدي والفكري وضوح بعض الأولويات عند الفريقين، فكلاهما كان على وعي بخطورة الإلحاد وشراسة التغريب الذي يأكل الشبيبة الجزائرية، ولأجل ذلك تبارت الأقلام في هدم مقالاتهما، فالإبراهيمي يحمل المسيحية أوزار الألحاد -ومن قبل كان يحملها للطرقيين-: "تشكو المسيحية من طغيان الإلحاد وكثرة أسبابه، ولكنها تعمل على تمكين الإلحاد وتقوية أساسه، فهي تنصر الاستعمار، وهو أبو الإلحاد وأمه، وهو فاتح أبوابه، ورابط أسبابه، وهي تحارب الإسلام، وهو الحصن الذي يتحطم الإلحاد على صخوره، ولعمري ليس في التناقض أغرب من هذا. من أراد الحقيقة في كلمة فهي: إن المسيحية هي الاستعمار، وسيأكلها يوم لا يجد ما يأكله!، يا قوم ... إن الأيام دول؛ وإن دين الله لا يثبت بالمزامير، ولا بالمسامير، وإنما يثبت بحقائقه وفضائله، وستفترقون على ضلالة، كما اجتمعتم على ضلالة، وسيأتي يوم تنتصرون فيه بالإسلام ... ثم لا تنصرون"⁽³⁾.

واستمرت بعض الأقلام الطرقية أيضا في الهجوم على تيارات التغريب والتجنيس المنافي للهوية الدينية الجزائرية كما هو الواضح من مقالات صحف البلاغ والمرشد والروح.

3- التعليم الحديث:

انعطفت كثير من الأقلام حول تحبذ التعليم الحديث، واعتباره من ضرورات النهضة، فالتيار العقبي قبل بالتعليم الفرنسي، إذ أن مدرسة الشبيبة بعد خروج محمد العيد منها سنة (1940) وأيام إدارة جماعة العقبي لها أدخلت اللغة الفرنسية لمقرراتها، والأمر ذاته في مدارس جمعية العلماء التي أدخلت اللغة الفرنسية، وفي هذا يقول سعد الله: "ورغم أن تعليم العلماء كان بعيدا عن اللغة الفرنسية فإنهم تسامحوا مع من تعلم هذه اللغة، بل وجهوا أبناءهم إلى تعلمها في المدارس الفرنسية، وكان هذا من تناقضات حركة التعليم عند العلماء.

(1) الهاشي بن بكار، مجموع النسب، مرجع سابق، ص 181. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 7 ص 85.

(2) البلاغ، ع 696 (16-5-1947) نقلا عن آيت علجت، نفسه، ص 85.

(3) البصائر، ع 106 (6-2-1950)، ص 1، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 3 ص 128.

وبتقادم العهد استطاعوا أن يجلبوا إلى صفوفهم أنصارا من المتعلمين في المدارس الفرنسية اقتناعا من هؤلاء الأنصار بالحدث التي دعا إليها العلماء والتجديد الإسلامي، وربما كان في ذلك نوع من الاختراق أيضا، وقد حدث مثله في صفوف جبهة التحرير أثناء الثورة، ثم الحركة الإسلامية المعاصرة⁽¹⁾.

4- الحركة الأدبية الصاعدة:

وهي التي أكملت مسيرتها بعد الثلاثينيات ببروز أقلام جديدة أمثال محمد خير الدين وحماني والخالدي ومالك بن نبي وإسماعيل العربي وغيرهم، وقد أسهمت التناقضات في ميلاد أدب كبير، بل ومقالات مبدعة كما في عيون البصائر للإبراهيمي، ومقالاته المتسلسلة في نموذج "سجع الكهان" و"الاستعمار" وغيرها، ولنا أن نستجلب بعض النقائص في مثل تعليقه على عبد الحي الكتاني: مقال "أفي كل حي... عبد الحي"⁽²⁾، ومن ذلك قوله: "إن اسم صاحبنا لم يصدق فيه إلا جزؤه الأول، فهو عبد لعدة أشياء جاءت بها الآثار وجرت على ألسنة الناس، ولكن أملكها به الاستعمار؛ أما جزؤه الثاني فليس هو من أسماء الله الحسنى، ولا يخطر هذا ببال مؤمن يعرف الرجل، ويعرف صفات عباد الرحمن، المذكورة في خواتيم سورة الفرقان، وإنما هو بمعنى القبيلة، كما يقال كاهن الحي وعراف الحي وعير الحي، وقبح الله الاشتراك اللفظي، فلو علم العرب أنه يأتي بمثل هذا الالتباس لطهروا منه لغتهم، وتحاموه فيما تحاموا من المستهجنات"⁽³⁾.

ومن ذلك نقده ونقضه للزاهري بلغة تهكمية حيث يقول: "لقد كنتم تسبوننا بألسنتكم في المقاهي ومجالس السوء، وتلقنونا صبيانكم سبنا، حتى أصبحت أفواههم مستنقعات... فلم يُقنعكم ذلك لأنه سبٌّ بالمجان، فارتقيتم إلى سبنا بالكتابة لتتخذوا منها سلعةً للبيع، ووسيلة لجمع المال. وتضيفوا إلى الهلال الأحمر هلالاً أسود... ومن الغريب المضحك أنكم تعتمدون في بيع السب على السب، فقد شهد العقلاء أن تسعة أعشار جريدتكم لا تُباع إلا بالسب والتخويف والتهديد وما يُشبه الإكراه، وأن العشر العاشر فقط يباع بالتغليب والتضليل.. إن هذه حقيقة لا تستطيعون إنكارها وتكذيبها إلا بالعمل. ولو فعلتم وتركتم بيعها للرغبة والاختيار- كما تباع الجرائد- لأفلس في أسبوع، فجزّبوا إن كنتم منصفين"⁽⁴⁾.

وهو ينتقده في هذا المنهج مع كونه كان يحبذه منه قبل ذلك عندما كان متوجها بسبه إلى الطرق الصوفية، فيقول: "أيها القوم: إن الوطن الذي تتوقف خدمته على بيع السب والكذب لوطن مخدول سلفاً؛ وإن الحزب الذي يريد أن يكمل بتنقيص غيره لحزب ناقص أبداً، وإن السياسة التي تغدّى بمثل هذه المطاعم لسياسة ميتة... بالجوع"⁽⁵⁾، بل إنه يسخر حتى من جرائده التي كان ينشر فيها ما ينشر من سباب يرتبط بالطرق الصوفية، فيقول: (أتذكر- يا شيخ- ماضيك الصحافي، وصحائفك الماضية التي تهاوت في مثل عمر الزهر، من الجزائر، إلى البرق، إلى الوفاق، وقد ماتت كلها بالهزال والتسمم، ولو كانت مما ينفع الناس لمكثت في الأرض،

(1) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3 ص 253.

(2) البصائر، ع 31 (4-12-1948)، ص 2، آثار البشير الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 3 ص 391.

(3) البصائر، 33 (4-26-1948)، ص 2، آثار البشير الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 3 ص 540.

(4) البصائر، مقال "إلى الزاهري"، ع 61 (12-27-1948)، ص 2، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 3 ص 561.

(5) البصائر، مقال "إلى الزاهري"، ع 61 (12-27-1948)، ص 2، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 3 ص 561.

فاحتفظ بما بقي من أعدادها، فسيحتاج الناس إلى ما فيها يوم ينكس الله طباعهم، ويطمس على بصائرهم، فيصبح السب والكذب عندهم من الفنون الجميلة، فيشيدون المعاهد العالية لتعلمها، ويقتبسون النماذج الرفيعة من تلك الجرائد"⁽¹⁾.

4- العلائق الإسلامية:

وذلك بربط العلاقة الوثيقة بعلماء المشرق الإصلاحيين، ولذلك فإن الجمعية وفي سبيل استظهار قوتها ومتانة منهجها وأنه ليس بدعيا، ولتسهيل خطتها في توسيع البعثات العلمية منحت الرئاسة الشرفية لكل من: أ- علماء مشاركة: محمد بهجت البيطار (سوريا)، محمد عبد اللطيف دراز (مصر)، محمد أمين الحسيني (فلسطين، عبد القادر المغربي (سوريا)، مسعود الندوي (باكستان)، محمد نصيف (الحجاز) ب- علماء مغاربة: محمد تقي الدين الهلالي - أصيل المغرب- (العراق)، محمد بن العربي العلوي (المغرب)، عبد القادر المغربي (سوريا)، مسعود الندوي (باكستان)، أحمد بن محمد التيجاني (المغرب). وذلك في قرار المجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في اجتماعه يوم (4 أكتوبر 1951)، وأوكل التنفيذ للإبراهيمي بحكم رئاسته، ولطيران شهرته مشرقا ومغربا، وكان الغرض توسيع النشاط وكسب منابر جديدة بعد التضيق الفرنسي⁽²⁾.

المبحث الرابع: تجليات العلاقات الإصلاحية الطرقية (1941-1954).

المطلب الأول: علاقات الوفاق والتقارب:

تمهيد:

خفت صوت الصراع الإصلاحي والطرقى في بدايات هذه العشرية، وذلك بسبب تعب الجميع، وحضور مخيال المأساة الأوروبية والحرب المهلكة، وهذا ما جعل الجميع يستعيد بناء اللحمة الوطنية والكف عن المهارات، واستحالة كسر الآخر أو القضاء على قواعده الاجتماعية، خاصة مع وفاة الشيوخ الكبار الذين لم يخلفهم من يضاهيهم في القوة والزعامة كابن باديس وابن عليوة، فضلا عن التعارف الذي حصل في جدل الثلاثينيات والعشرينيات بوسائط الصحف والتنقل والمؤتمرات والزيارات المتبادلة التي غيرت كثيرا من الرؤى، مما جعل أصوات التقارب تعلو، وانقلبت المراهقة الفكرية إلى رشد، إضافة إلى حضور المفاهيم الحديثة للديمقراطية والحريات الفردية والجماعية في الخطابين الإصلاحي والطرقى، ولدينا شواهد من هذا الانقلاب الفكري، ومن ذلك تغير الموقف العقبي الشديد الصارم إلى آخر أكثر ليونة أدت إلى تغيير المواقف

(1) انظر آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 3 ص 562.

(2) انظر مولود عويمر، الشيخ محمد بهجت البيطار وصلته بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، منشور بـ (رابطة أدباء الشام) الموقع <http://www.odabasham.net/show.php?sid=52591>

السابقة، فقال في اجتماع للجمعية الخيرية: "أما أرباب الزوايا والطرقيون فلهم فكرهم واعتقادهم، ولنا فكرنا واعتقادنا، وحرية الاعتقاد والضمير حق مشاع بيننا وبينهم،... وإذا كانت فكرتنا غير فكرتهم، فإننا لا نبني على ذلك بأنهم لنا أعداء، ونحن الذين لم نعاد اليهود ولا النصارى، بل استطعنا أن نصانعهم ونتصافح معهم، وهم على غير ملتنا الإسلامية وشريعتنا المحمدية"⁽¹⁾، بل إنه دعا إلى تعديل البرامج السابقة، وخلق أخرى للتفاهم والتعاون مع الطريقين لأنهم الجسم الأقرب للإصلاحيين: "لا شك أن هؤلاء إلينا أقرب، والتفاهم معهم متى خلصت النية وانتهى العناد أصبح متيسرا غير متعسر ولا متعذر، وألا يكن هذا التفاهم فكل يعمل على شاكلته... ولنا في إصلاحنا برنامج ديني لا نعدوه إلى معاداة الطريقين في أشخاصهم، ولا إلى محاربة الحكومة في سياستها الدنيوية ما لم تمسّ ديننا أو تحاول القضاء عليه"⁽²⁾.

ولا شك أن هذه الانعطافة المهمة والمفصلية لم يصل إليها العقبي -وقد كان رأس حربة الإصلاحيين- إنما جاءت وقد شعر الجميع بأن الشعب ملّ من خصوماتهم، وأن أجساما سياسية دخلت وسحبت الكثير من أتباعهم لأطروحاتها الواضحة وبرامجها المستعجلة لإنهاء الظاهرة الاستعمارية بدل التصالح معها أو العيش تحت جلبابها.

والمتمصفح لأوائل المقالات الإصلاحية يجد نوعا من الرغبة في تجاوز الخلافات مع أعضاء الجسم الديني، وقد عوّض ذلك بالمناكفة مع الأحزاب الصاعدة، ففي مقال الإبراهيمي "جمعية العلماء أعمالها ومواقفها" المنشور في العدد الثاني من البصائر نجده يحدد خصومة الجمعية مع أعوان الاستعمار، ومع الأحزاب السياسية التي تريد احتكار الزعامة وشغل الأمة في الصغائر كالانتخابات⁽³⁾. ومن القضايا التي تقارب فيها الفريقان ما يأتي:

1- أحداث ماي 1945.

تفاوتت المواقف المعلنة تجاه فواجع ماي، والتي كانت نكسة لوعود ديغول ومرسومه الصادر في (7-3-1944)⁽⁴⁾، والقاضي بتوسيع التجنيس وإعطاء الحقوق، وترقبا لتغير السياسة الفرنسية عقب الحرب واستثمارا لنزول الحلفاء بالجزائر أسهم العلماء في تأسيس البيان، وفي دفع بعض كوادهم لحزب أصدقاء البيان والحرية، كما أسهموا في معارضة حركة (7 مارس 1944)⁽⁵⁾ حيث أعلن الهادي السنوسي "أن من يسجل نفسه في القسم الانتخابي الأول يعتبر مرتدا"، كما رفض الإبراهيمي خطوة الاندماج⁽⁶⁾.

(1) جريدة الإصلاح، ع 21 (4-5-1940). مقالات العقبي، ج 2 ص 63. مريوش، الشيخ الطيب العقبي، مرجع سابق، ص 384.

(2) جريدة الإصلاح، ع 21 (4-5-1940). مقالات العقبي، ج 2 ص 63. مريوش، نفسه، ص 384.

(3) البصائر، ع 2 (1-8-1947)، ص 1، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 3 ص 55.

(4) منح الجنسية ل (61000) من المسلمين، انظر مومن العمري، الحركة الثورية في الجزائر (1926-1954)، قسنطينة، دار الطليعة، 2003، ص 57.

(5) بعد زيارة ديغول لقسنطينة (12-12-1943) ومحاولة كسب الجزائريين إلى الحلفاء أصدر أمرية لمساواة الجزائريين مع الفرنسيين في الحقوق والواجبات والقوانين.

(6) بوصفصاف، نفسه، ص 223 عن أجرون، مرجع سابق، ص 580.

ومع الأحداث الأليمة عقدت الجمعية اجتماعا مع الجبهة الوطنية الموحدة في (5-6-1945) بمخزن عباس التركي، وقرروا إرسال مندوبين لتونس والمغرب لتوحيد المطالب، وبعد الأحداث صدر بيان تنديدي بأعمال الشرطة⁽¹⁾.

لقد كانت الأحداث الفادحة التي خلفتها فرنسا بقتل الآلاف علامة مفزعة للجميع، وكتب إبراهيمي في ذلك " لك الويل أيها الاستعمار! أهذا جزاء من استنجدته في ساعة العسرة فأنجدك، واستصرخته حين أيقنت بالعدم فأوجدك؟ أهذا جزاء من كان يسهر وأبناؤك نيام، ويجوع أهله وأهلك بطن، ويثبت في العواصف التي تطير فيها نفوس أبنائك شعاعا؟ أيشرفك أن ينقلب الجزائري من ميدان القتال إلى أهله بعد أن شارك في النصر لا في الغنيمة ولعل فرحه بانتصارك مساو لفرحه بالسلامة، فيجد الأب قتيلا، والأم مجنونة من الفرع، والدار مهدومة أو محرقة، والغلة متلفة، والعرض منتهكا، والمال نهبا مقسما، والصغار هائمين في العراء"⁽²⁾.

وبعد سنوات وفي عزّ الثورة يذكر إبراهيمي: "إننا نذكر لكم الجديد ولا ننسى القديم فقد قتلت منا بالأمس في الثامن ماي 1945 ما يقارب ستين ألفا في يوم فرح العالم أجمع بإنهاء الحروب، خرجوا يشاركون مشاركة المتفرج عزلاً مستضعفين، فلقى ذلك العدد العديد حتوفهم على غرة بمكيدة مدبرة من حثالات الأوربيين الحاقدين على المسلم لأنه مسلم ومن ورائهم الحكومة وجنودها، وما نقتم منهم فرنسا وأوباشها إلا لأن أبنائهم ماتوا في سبيل أحيائها بعد الموت وانقاذها بعد الانهيار، وكان من لؤم فرنسا ومخازيها أن جرّت الأبناء إلى القتل في ميادين الحروب ثم قتلت الآباء وهم غارون، وإن فرنسا الوحشية لا ترضى بالخزية المفردة حتى تعزّزها بما هو أخزى، وأما والله لو أن تاريخ فرنسا كتب بأقلام من نور بمداد من عصارة الشمس في لوح منحوت من صفحة القمر، ثم قرطه عشاقها المتيمون منا باللؤلؤ المنتثر بدل القرص المشعور، والشعر المنتثر، ثم كتب في آخره هذا الفصل المخزي بعنوان "مذابح سطيف وقالمه وخرطة" لطمس هذا الفصل ذلك التاريخ كله، ولجلّله بمثل ما يجلل الأفق من ليلة محاق ظلماؤها معتكرة ونجومها منكدة"⁽³⁾.

وأما الصحف الطرقية فكانت معطلة أو غائبة أثناء الأحداث، إذا استثنينا البلاغ العلوية التي كان موقفها سلبيا⁽⁴⁾، ولم نجد موقفا معلنا للأجسام الطرقية من الأحداث، إلا دعوات التهدة وعدم الانجرار للعنف التي أطلقها رئيس زاوية الهامل الرحمانية مصطفى القاسمي⁽⁵⁾.

2- فصل الدين عن الدولة:

وهي القضية التي جدّ فيها الإصلاحيون والطرقيون، وبدرجة بعيدة الرسميون، وأكثر من كتب فيها ورافع عنها إبراهيمي في جملة مقالات عاصفة، وكانت الأغراض هي فتح ملف الأوقاف، وتخليص المساجد من الرقابة،

(1) المدني، حياة كفاح، مرجع سابق، ج 2 ص 527.

(2) البصائر، ع 35 (10-5-1948)، ص 1، آثار إبراهيمي، مرجع سابق، ج 3 ص 333.

(3) كلمة إبراهيمي في احتفال لجمعية الشبان المسلمين بالقاهرة. آثار إبراهيمي، ج 5 ص 237.

(4) آيت علجت، صحف التصوف الجزائرية، مرجع سابق، ص 101.

(5) البوعبدلي، المراسلات، مرجع سابق، ص 226.

ودعم التعليم العربي، وكانت تلك المقالات (22 مقالة) من البراعة بمكان، حيث إنه جعل القضية استعمارية، كما في العديد من مقالاته⁽¹⁾، ومن المعلوم أن المندادة بحرية الديانة قديمة الطرح عند الإصلاحيين، فمنذ (1934) طالب أعيان وإصلاحيو الزيبان أمام اللجنة الوزارية المشتركة للشؤون الإسلامية التي زارت الجزائر بحرية الديانة، وبحرية الصحافة وتدريس اللغة العربية⁽²⁾، وهو ما كان ابن باديس والإبراهيمي يكررانه طوال عقد الثلاثينيات، واعتبرها الإبراهيمي "مظلمة القرن العشرين"⁽³⁾.

أما العقبي فكان أكثر نشاطا بحكم عضويته في لجنة الإصلاحات الإسلامية⁽⁴⁾ وقربه من الدوائر الحكومية، وراسل العدد من العلماء ورؤساء الزوايا الفاعلين، ومن هؤلاء الذين نالهم مراسلاته⁽⁵⁾:

أ- علماء الجمعية: الإبراهيمي، والتبسي، وأحمد بن صيام رئيس الجمعية الدينية.

ب- الرسميون: المفتي المالكي بابا عمر، محمد العاصمي المفتي الحنفي، الشيخ بوكوسي مفتي وهران، وعبد الحميد بن جامع من قسنطينة.

ج- الطرقيون: الشيخ مصطفى فخار مفتي المدينة، ابن طكوك السنوسي، أحمد التجاني، محمد بن الشيخ من الرحمانية.

ورغم أن التنادي للقضية بدأ قويا وموحدا، ولكن الإدارة فعلت فعلتها في تشرذم الجميع: "إن قضية فصل الدين عن الدولة ظلت مجمدة نتيجة مناورات إدارة الشؤون الأهلية بالولاية العامة، فلا كلمة الهيئات الدينية توحدت، ولا فصل الدين عن الدولة تحقق، وظل قرار فصل الدين عن الدولة حبرا على ورق، وبقيت تصاريح رجال الحكومة نصوصا ميتة حتى تفجرت الثورة التحريرية"⁽⁶⁾.

وكذلك شن التبسي حملة كبيرة على تقرير السيد مصباح عضو المجلس الجزائري، واعتبره غير كاف لحل الإشكال⁽⁷⁾. وكان مقاله العاصف وبيانه المعنون "بيان عن إصرار الحكومة على تولي اغتصاب المساجد والأوقاف وافتكاكها لحق المسلمين لإقامة الشعائر الدينية الجماعية في مساجدهم"⁽⁸⁾ ثورة وصرخة في حينه ضد فرنسا.

(1) آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 3 ص 120.

(2) الدفاع، ع 18 (1934-5-25) عن قوبع، الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان وميزاب، مرجع سابق، ص 330.

(3) البصائر، دروس الوعظ في رمضان، ع 156 (1951-5-21)، ص 2، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 3 ص 287.

(4) البوعبدلي، المراسلات، مراسلة للعقبي بمناسبة تعيينه في اللجنة الاستشارية العليا للإصلاحات الإسلامية في (1943-12-26)، ص 143.

(5) جريدة الإصلاح، ع 54 (1947-7-4)، نقلا عن مريوش، المرجع نفسه، ص 335.

(6) مريوش، الشيخ الطيب العقبي، ص 347، مع العلم أن أعضاء الهيئة الدينية كان قليلا مقارنة بالحاجات الروحية للجزائريين حيث بلغ العدد

(573) موظفا منهم (25 مفتيا) وذلك سنة (1952). انظر تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 398.

(7) البصائر، ع 208 (1952-12-1)، ص 1. ع 209 (1952-12-15)، ص 1.

(8) البصائر، ع 236 (1953-7-10)، ص 1-3.

أما الصوت الرسمي للطرقين ممثلاً في جامعة الزوايا فلم يظهر له رأي قاطع، وكأنه كان يريد إبقاء الأوضاع كما هي، ففي مؤتمرها الأول (1948) قالت: "الجامعة لا تتدخل في الشؤون السياسية ما عدا القضايا التي تمس بالدين"⁽¹⁾.

وعلى عكسهم طالب العلويون بمساواة رجال المسلمين برجال الدينين اليهودي والمسيحي من حيث حرية التصرف، وذلك بالسماح بتشكيل جمعيات أهلية دينية تسند لها جميع الوظائف الدينية⁽²⁾. ولكننا وجدنا صوتاً غاضباً غير مسموع في تلك الفترة وهو عمر راسم⁽³⁾ الذي راسل البوعبدلي في حول مسألة فصل الدين عن الحكومة، وطلب فيها أن يأتيه من الأصنام للنقاش حولها لأن اللجنة الموهومة: لا يعلمون ولا يعبتون ولا يفقهون حديثاً.. ولا كلام لا لعقبي مشوش، ولا لإبراهيمي مدلس، ولعنة الله على الظالمين"⁽⁴⁾.

3- تأسيس المجلس الإسلامي الأعلى:

ظلت قضية الإشراف على المؤسسات الدينية والمساجد معتركا قديماً خاضه العلماء ضد الإدارة، وبدأ العمل لها بجد في إبان الحرب الثانية، واستغلالاً للظرف توالى الرسائل والعرائض للحكومة المؤقتة الفرنسية والتي استجابت بإلغاء اللجان الاستشارية الإسلامية في (3-8-1944) مما اعتبره العلماء انتصاراً لهم بحكم أنها تضم أعضاء فرنسيين، ولكنها عوضت بمكاتب الشعائر الدينية التي استمرت في تعيين الإطارات الدينية⁽⁵⁾. وسعت الزوايا الفاعلة- غير التقليدية- ومعها العقبي بجد لإنشاء هذه الهيئة، من أجل جعل المساجد والأوقاف تحت الأيدي الإسلامية، كما هو الحال عند الكنيسة المسيحية والجماعة اليهودية، واعتبروا ذلك من أولى أوليات العمل المستعجل، وممن ساند العمل أيضاً الشيخ بيوض الإصلاحي الإباضي، والظاهر أن هذا التحرك كان بإيعاز وقبول من الولاية العامة⁽⁶⁾.

وقد طلبت جمعية العلماء في تقريرها المرفوع في صائفة (1944) بتشكيل مجلس إسلامي أعلى مكون من علماء مرموقين، وأعيان متدينين غير مرتبطين بالمناصب الحكومية، والرسميين بشرط أن يكونوا أقل من نصف

(1) مصطفى عبيد، جامعة الزوايا للشمال الإفريقي، الجزائر، مجلة الباحث، جامعة الوادي، ع 6، 2015، ص 156.

(2) مجلة المرشد "الوظائف الدينية" ع 48 (4-8-1951)، تنبيه القراء، ج 2 ص 19. ومن المعلوم أن النجم وحزب الشعب طالبوا منذ الثلاثينيات بذلك، ففي مطالب حزب الشعب السياسية التي قدمها لحكومة الجبهة الشعبية في (20-6-1936): "حذف المساعدات التي تعطيها الحكومة إلى الديانة الكاثوليكية والبروتستانتية" انظر الكفاح القومي والسياسي، مرجع سابق، ج 2 ص 22.

(3) غاب صوت عمر راسم في العشرينيتين السابقتين، حتى أن ابن باديس راسل العقبي للبحث عن عنوانه بعد تعذر ذلك على محمد العيد آل خليفة، والظاهر أنه لم يفلح في الاتصال به، انظر الطيب العقبي وعبد الحميد بن باديس، مراسلات وأحداث، رسالة ابن باديس في (22-4-1936)، مرجع سابق، ص 110.

(4) البوعبدلي، الأعمال الكاملة، المراسلات، مرجع سابق، ص 278، والرسالة في (21-12-1951).

(5) بوصفصاف، مرجع سابق، ص 224. آجرون، مرجع سابق، ص 580. وكان ابن باديس قد طرح فكرة أخرى ممثلة في إنشاء مجلس إسلامي أعلى للمسلمين، وارتأى أن يكون بالأثر لتتحقق الوحدة الإسلامية وتقوية روابط الإخاء، قائلاً إنه يتفق الفكرة من الرحالة العياشي ومن الكواكبي. انظر البصائر، ع 126 (8-12-1938)، ص 3.

(6) وذلك حسب المراسلات المتبادلة بين المدني والإبراهيمي والعقبي. انظر أحمد مروش، نفسه، ص 337.

الهيئة، ويكون من أولى مهامه تشكيل الجمعيات الدينية والإشراف على انتخابها أو تعيينها، وإبقاء الصالح منها (1).

وعند مباشرة الأمر بعد انتهاء الحرب تلكاً للإبراهيمي عن مشروع التأسيس، وطالب باستجلاء الحقيقة من مراسلة الوالي العام للطبيب العقبي (2)، وعلى الرغم من وساطة الشيوخ بيوض وأبي اليقضان، فإن العقبي وبعض الطريقين مثل الشيخ عمر بن الحملوي، والإباضيين عقدوا أول اجتماع للجنة مؤقتة لمشروع المجلس في نادي الترقى يوم (23-26-1946)، وتخلّف عن الحضور كل من مصطفى القاسمي وابن طوكوك السنوسي.

وتشكلت أمانة المؤتمر من أحمد بن صيام رئيساً، وأحمد توفيق المدني كاتباً له. وتشكلت لجنة لتقديمه للإدارة ضمت كلا من: العقبي، العاصمي، المدني، ابن حورة، ابن جدو، العمودي، عيسى بن بسكر (3).

ولكن مشروع المجلس تعثر، ولم توف الإدارة بوعودها، وتزامن ذلك مع اعتراض بعض المفاتي الرسميين الذين لم يشاؤوا التقليل من صلاحياتهم، وأن تكون مباشرة موضوع فصل الدين عن الدولة بيدهم، ومن هؤلاء المفتي بن بكار في معسكر، وتبعه مفتو قسنطينة والجزائر ووهران (4).

وتبع ذلك قيام الإدارة أيضاً بمنح محمد العاصمي اعتماد "ودادية رجال الديانة الإسلامية" في (21-3-1948) (5). وتسمت بالودادية الجزائرية، والتي قرر مجلسها إسناد الأمور الدينية لها (6)، والغاية هي شق الصف وإفشال المشروع الذي قُبر بتدبير من الإدارة الفرنسية التي استغلت تلك الخلافات لتعطيله.

4- الأوقاف:

طرح الطريقون وخاصة العلويون قضية إلحاق الأقباس بجمعية وطنية تشرف عليها: "فإنه ولا شك ولا ريب أن الأقباس الجزائرية إذا تجردت عن الحكومة، فلا تقوم بأكثر مما يقوم به غيرها....وعليه فمن الحكمة والسداد أن تبقى الأقباس بيد الحكومة"؟، بل وأرسلوا برقية احتجاج ضد فصل الأقباس وإسنادها إلى جمعية العلماء. خوفاً من التمكين للعقيدة الوهابية التي زعموا أن الجمعية ترعاها، وأنهم لا يحق لهم الإشراف على مساجد لا تدين برأيهم، وهم لا يتفقون مع الأمة المنتمية في جملتها إلى المذاهب الأربعة، واعتبرت تدخلهم فضولاً، بل وتعدياً على بيوت الله (7).

وتضيف المرشد أيضاً: "إن صلواتنا وعقائدنا بخلاف الشيخ الإبراهيمي، فهو زيادة على أنه يريد أن يحتكر علينا أموال الأقباس، ويتصرف فيها كما يريد، فهو يهوى أن يحتكر معها أيضاً عقيدة الأمة وصلواتها، وشهدنا

(1) آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 142. التقرير الذي قدمته جمعية العلماء إلى الحكومة أواسط رمضان (1363هـ) طبع بالمطبعة الإسلامية قسنطينة. عن العقون، نفسه، ج 3 ص 64. وأما في مذكرة (1950) فقد حرمهم من العضوية حسب العقون.

(2) مراسلة الإبراهيمي للمدني، جريدة الإصلاح، ع 60 (9-6-1947)، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 156.

(3) جريدة الإصلاح 62 (23-9-1947) والعدد 71 (5-2-1948)، عن مريوش، نفسه، ص 339.

(4) مريوش، المرجع نفسه، ص 342. العقون، الكفاح القومي السياسي، مرجع سابق، ص 65.

(5) مريوش، المرجع نفسه، ص 324، وحسبه فقد رفضت جماعة تعيينه مفتياً لأنهم لا يحمدون سيرته.

(6) مريوش، المرجع نفسه، ص 346. ابن العقون، الكفاح القومي السياسي، مرجع سابق، ج 3 ص 65.

(7) مجلة المرشد، "احتجاج صريح" ع 45 (يناير 1951)، تنبيه القراء، ج 2 ص 15. وج 2 ص 18.

على ما ذكرناه، فهو لا يستعمل معلما بمدرسته الإصلاحية إلا إذا كان على العقيدة الوهابية والمشرّب الإصلاحي من لعن الصالحين وتسفيه عقيدتهم"⁽¹⁾.

ورأوا أن إبقاءها بيد الحكومة أولى لأن مصاريف تسير الهيئة الدينية باهضة لا تفي بها ما تبقى من الأحباس، وقارنوا ذلك بوضع المغرب الذي يعيش فيها موظفو الشؤون الدينية على الفتات بسبب قلة مردود الأحباس، وطرحوا حلا بأن تبقى مرتبات الموظفين بيد الحكومة، مع السماح بتأسيس الجمعيات الدينية. والظاهر أن الإرادة لم تكن تبغي تمام المشروع لإبقاء مراقبة الأحباس بيدها، حتى تبتز بها الهيئة الدينية، وتزامن ذلك مع طرح ملف وقف سيدي أبو مدين، وما كان يرجوه ماسينيون حوله لإيجاد قدم لفرنسا في فلسطين⁽²⁾.

أما الإصلاحيون فرفعوا كثيرا في الموضوع لأجل تحرير المساجد وموظفيها من هيمنة الإدارة، وعلى الرغم من الاستجابة الفرنسية في دستور (1947) وتخويل المجلس الجزائري للتشريع لذلك، فإن كلا من ذلك لم يقع، وجاءت الثورة الجزائرية ليقبر المشروع نهائيا⁽³⁾.

ولكن ذلك لم يمنع تعاون بعض الطرفين مع الإصلاحيين لتسيير المساجد بطلب من الإدارة، ففي تلمسان (1946) اتفقت الجمعية الدينية لدار الحديث مع الجمعية الدينية التي يرأسها محمد العشعاشي على تسمية بعض المؤذنين والحزابين والأئمة مثل محمد بلقائد الهبري الذي عين إماما لمسجد الكرامة⁽⁴⁾.

5-التعليم العربي:

توافقت الاتجاهات على دعم حرية التعليم العربي ومطالبة الحكم بتيسيره وعدم التضييق عليه في الزوايا والمدارس التقليدية أو الجديدة التابعة لجمعية العلماء، فالإبراهيمي يستغرب من تضييق الحكومة عليه، ثم توظيفها لخرجيه في الهيئات الدينية دون أن تنفق على تكوينهم شيئا في مفارقة غريبة، وهي تدعي أنها تحافظ على الإسلام، والشرط في المحافظة عليه هو التعليم العربي" وهي تحاربه وتشد وتندشط في التضييق عليه، وإن آخر شرط لتحقيق تلك المحافظة هو إنشاء مدرسة أو مدارس لتخريج الأئمة والخطباء والوعاظ والمؤذنين، كما يتخرج رهبان المسيحية من مدارس اللاهوت وكلياته، أو كما يتخرج رجال الدين الإسلامي في الأقطار الإسلامية من معاهد العلوم الدينية"⁽⁵⁾. ومن المعروف أن الهيئة الدينية في الجزائر بكل مراتبها من أئمة ومؤذنين وقيمين وحزابين إنما تتخرج من الزوايا والمعاهد الحرة.

(1) مجلة المرشد، "إلى لجنة الأحباس الجزائرية بالجزائر"، ع 45 (جانفي 1951)، ج 2 ص 13. أحمد الخطيب، نفسه، ص 185.

(2) انظر سعد الله، على خطى المسلمين، ص 143.

(3) ماسينيون، الحوليات، باريس 1955، ص 235 عن تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 5 ص 208.

(4) خالد مرزوق ومختار بن عامر، مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان، مرجع سابق، ص 289.

(5) البصائر، ع 104 (1-23-1950)، ص 1، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 3 ص 318.

وكم صدرت من قرارات متتالية لنقض أحكام الثلاثينيات الجائرة⁽¹⁾، ولكن المرجو لم يكن كما تشتبه الجمعية، بدليل توالي بعض القرارات الصادرة من المحافظين ورؤساء البلديات المختلطة بإغلاق بعض المدارس والأقسام، وفي هذا المضممار يحسن أن نذكر عرقلة فرنسا لإنشاء معهد فاروق بالجزائر خوفا من المدد المشرقي والتمدد العربي في الجزائر، ونتج عن ذلك أزمة بين البلدين تمثلت في منعهم من التنقيب في الآثار المصرية⁽²⁾.

6- القضاء الإسلامي، إصلاحه وإلغاؤه:

وهي القضية التي كانت محل إجماع بين الطرفين، فكل من الإصلاحيين والطرفيين كانوا ينادون بإبقاء القضاء الإسلامي وإصلاحه، باعتباره أحد رموز الشريعة الباقية، ففي تقرير رفع للجنة الإصلاحات سنة (1943) جاء فيه: القضاء بين المسلمين في أحوالهم الشخصية والمالية والجنائية جزء لا يتجزأ من دينهم، لأن الحكم بينهم فيها حكم من الله، ولأن أصول تلك الأحكام منصوصة في الكتاب والسنة، وكل ما فيها فهو دين، ولأنهم ما خضعوا لتلك الأحكام إلا بصفة كونهم مسلمين⁽³⁾، كما كتب عن الموضوع حمزة بكوشة أيضا⁽⁴⁾.

وكان التخوف من إلغاء القضاء الإسلامي في الأحوال الشخصية مصاحبا لتخوفات الجميع من طرح صيغ أخرى للتجنيس قد تذهب بالهوية، فالتجنيس مشروع قديم متجدد من فرنسا، ولائحة (7-3-1944) صيغة جديدة لمشروع بلوم فيوليت (تجنيس نخبة مع احتفاظهم بالأحوال الشخصية)⁽⁵⁾، وهو ما لم تكن فرنسا جادة فيها دوما خوفا من انقلاب النسب الديمغرافية لغير صالح المعمرين الرافضين لذلك بالأصالة.

وقد كتب إبراهيمي في التحذير من إلغائه بعد بدء جلسات لناقشته بدعوى التنظيم في المجلس الجزائري: "إن للحكومة- بلا ريب- نية مبيتة في إلغاء القضاء الإسلامي بالتدريج، فهي تمهد الأسباب لذلك وتري من زمان بعيد، ولكنها لا تريد أن يجيء ذلك الإلغاء مباشرة، ولا أن تقدم عليه في دفعة واحدة، وإنما تعمل له بالحيلة والمطاولة حتى يتم وكأنه أمر طبيعي، لا يثير لغطا ولا يحدث تشويشا"⁽⁶⁾، وقدم إبراهيمي جملة مقترحات لإصلاح النظام القضائي الإسلامي بدء من برامج التعليم، واستقبال مدرسين له من الزيتونة، وفتح المجال الوظيفي أمام خريجي الزيتونة، وتكوين مجلس قضائي أعلى، وإنشاء محاكم استئناف إسلامية لأن حكم القاضي المسلم لا ينقضه إلا قاض مسلم⁽⁷⁾.

7- المطالب الوطنية:

(1) انظر البصائر، ع 70 (7-3-1949)، ص 1، آثار إبراهيمي، ج 3 ص 236. ج 3 ص 241.

(2) صحيفة المنار، ع 12 (21-12-1951)، ص 3. سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 10 ص 643.

(3) البصائر، ع 108 (20-2-1950)، ص 1، آثار إبراهيمي، مرجع سابق، ج 3 ص 135.

(4) البصائر، ع 2 (1-8-1947)، ص 2.

(5) سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، ج 3 ص 273.

(6) تقرير (3-1-1944)، انظر آثار إبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 134. ج 3 ص 131.

(7) البصائر، ع 109 (27-2-1950)، ص 1، آثار إبراهيمي، ج 3 ص 136.

بعد صراع الثلاثينيات والأربعينيات ومع النضج السياسي مطلع الخمسينيات والتغيرات الدولية التي أعقبت تأسيس منظمة الأمم المتحدة، وإنهاء الانتداب في سوريا ولبنان واستقلال ليبيا بدأت موجات من الرشد تلج بيوت الهيئات الدينية الجزائرية، مما جعل الكل ينادي بالوحدة وترك الخصومات، ونجد مصداق هذا في استفتاء كبير أجرته "جريدة المنار" لعدد الشخصيات العلمية والدينية⁽¹⁾.

وبرزت تلك الروح في الانتماء إلى هيئات وحدوية مثل:

أ-دعوة جمعية العلماء إلى اتحاد الهيئات والأحزاب لخدمة القضية الوطنية، بعد نزاعات وصراعات انتخابات (1946)، ورفضها أن تكون الانتخابات غاية لا وسيلة⁽²⁾.

ب-الجمعة الجزائرية للدفاع عن الحرية (1951-7-25) التي اشتركت فيها جمعية العلماء والبيان والانتصار والحزب الشيوعي، ودعت إلى إلغاء الانتخابات السابقة المزورة، واحترام الحريات ومحاربة القمع، وإنهاء تدخل الإدارة في شؤون الديانة الإسلامية، ورفع الإجراءات الاستثنائية عن مصالي، ومثل الجمعية التبسي وخير الدين⁽³⁾.

ج- الجمعة الوطنية لحركات الشباب الجزائري (1952)، وكان فيها شباب البيان والانتصار، وجمعية الكشافة، وشباب الموحدين، وشباب اتحاد النقابات، جمعية طلبة شمال إفريقيا، إلخ، وطالب هؤلاء بتنسيق عمل الشباب والكفاح لتأسيس جمهورية جزائرية، والسعي لتقارب الشباب والدفاع عن مصالحهم في الميادين المختلفة، وإنهاء النظام الاستعماري⁽⁴⁾.

8- المشاركة في النشاطات وتبادل الزيارات.

وخاصة بين التيار العقبي والزوايا الفاعلة كالرحمانية وفروعها القاسمية والحملاوية، فالشيخ العقبي زار المدرسة الكتانية التابعة للزاوية الحملاوية، وحضر حفل التخرج الأول لها سنة (1947)⁽⁵⁾، وحسب أحمد حماني فإن بعض مواطني قسنطينة عارضوا زيارة العقبي، ونعتوه بنعوت مختلفة، مما يدل على بقاء قوي للطريقين بقسنطينة، أو يكونوا من المخلصين للخط الباديبي⁽⁶⁾. وقد كانت قسنطينة منقسمة حسب المتداول إلى مصلحين ومفسدين، والمنافسة حارة بين طلبة معهد ابن باديس ومعهد الحملاوي في الكتانية⁽⁷⁾. وكان الفريقان يتعزيان بزيارة بعض الرموز العلمية الزيتونية كالشيخ الفاضل بن عاشور.

(1) جريدة المنار، ع 17 (1953-2-6)، ص 1، والأعداد 18 (1953-2-27)، ع 19 (1953-3-14)

(2) البصائر، ع 10 (1947-10-13)، ص 1، آثار إبراهيمي، مرجع سابق، ج 3 ص 301. ج 3 ص 304.

(3) جريدة المنار، ع 6 (1951-7-30)، مريوش، الشيخ الطيب العقبي، مرجع سابق، ص 395.

(4) جريدة البصائر، ع 184 (1952-3-10)، ص 4. ابن العقون، نفسه، ج 3 ص 179. مريوش، نفسه، ص 350.

(5) جريدة الإصلاح، ع 67 (1947-7-25) عن أحمد مريوش، المرجع نفسه، ص 385.

(6) مريوش، المرجع نفسه، ص 385.

(7) موساوي زروق، مسيرة مقاوم من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ص 40.

9- قضية فلسطين:

أ-تشكيل الهيئة العليا لإغاثة فلسطين: توافقت الآراء الإصلاحية والطرقية في قضية فلسطين اهتماما وانتصارا لها، وكان السبق في هذا للإصلاحيين إبراهيميين وعقبين، وقد توجهوا بنداات للشعب لترشيد نصرة فلسطين، ودعوا إلى الهدوء تجنباً لتكرار حوادث ماي المؤلمة، وذلك في بيان وقعه الإبراهيمي والعقبى وبيوض وفرحات عباس⁽¹⁾، وهم الأشخاص الذين شكلوا الهيئة العليا لإغاثة فلسطين.

وجاءت تلك النشاطات بعد أن كان الرائد لها هو العقبي الذي شكل أول لجنة لفلسطين بنادي الترقى (3-10-1947)، وسعى إلى توسيعها لتشمل الجمعية والبيان والانتصار وغيرهم، وجرت مراسلات ومفاوضات أفضت إلى اجتماع أول لـهيئة إعانة فلسطين، في حين غاب المصاليون ثم صار أحمد مزغنة عضوا فيها، كما لم يحضر مصطفى القاسمي على الرغم من توصله برسالة من توفيق المدني⁽²⁾، ثم اتفق الجميع على تسميتها "الهيئة العليا لإعانة فلسطين"، وضمت كلا من: مصالي، الإبراهيمي، فرحات عباس، العقبي، بيوض. بدون تعيين رئيس لها لمعارضة الإبراهيمي فكرة الرئاسة⁽³⁾، وبعد خلافات شكلية حول تصدير البرقيات باسم مصالي قبل غيره، اقتضرت الهيئة على الأربعة السابقين دون مصالي.

وحسب الإبراهيمي فإنه حاول مع العقبي ضم حركة الانتصار للمسعى، ولكن مساعيم تعثرت في البداية، لأنهم كانوا يعتبرون القضية الجزائرية مقدمة على غيرها، وبعد سير العمل وتوالي الاجتماعات في نادي الترقى وفي مركز الجمعية انضم أحمد مزغنة، واقترح عليهم زيارة مصالي القابع في الإقامة الجبرية في أعالي بوزريعة، فاستجابوا، وزاره وفد من القوى الوطنية، وتم ذلك وصيغت البيانات، ولكن تعثر الأمر كرة أخرى بإصرار مزغنة على أن يتولى مصالي الحاج الرئاسة، وزاره ثانية الإبراهيمي والعقبى وبيوض والمدني، ولكن مصالي التزم رأي هيئاته التنفيذية، وأخرجت الانتصار بيانها لوحدها، مما جعل الإبراهيمي يفقد الثقة بهم، ويكتب مشفقا على مصالي: "وبهذا كشف الغطاء عن حقيقة علمناها منذ سنتين، وجهلها الغافلون المغرورون، وهي أن رئيسهم رئيس (شرفي) ليس له من الأمر شيء، وأن بينه وبين مزغنة، إدغاما بلا غنة... وأن ذلك الرئيس الشرفي أسير في قبضتين: قبضة الحكومة، وقبضة العصاة المزغنية، وأن هذه العصاة تستغل اسمه، وتستذل رسمه. فمن كان في قلبه شيء من الشفقة على الرجل، وفي يده شيء من القدرة على إنقاذه، فلينقذه من أسر أصحابه"⁽⁴⁾.

(1) البصائر، "نداء وتحذير إلى الشعب الجزائري"، ع 40 (21-6-1948)، ص 1، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 204.

(2) حياة كفاح، مرجع سابق، ج 2 ص 536. مريوش، المرجع نفسه، ص 417.

(3) البصائر، ع 41 (28-6-1948)، ص 2. البصائر، مقال "كيف تشكلت الهيئة العليا لإعانة فلسطين"، ع 52 (11-10-1948)، ص 1، جريدة

المغرب العربي ع 25 (8-6-1948)، مريوش، نفسه، ص 418

(4) البصائر، ع 53 (18-10-1948)، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 260.

والمهم أن "الهيئة العليا لإغاثة فلسطين" تكونت من الإصلاحيين والبيان (الإبراهيمي، العقبي، بيوض، فرحات عباس)، وشرعت في جمع التبرعات، وأرسلت برقيات منددة بإعلان إسرائيل وترحيب البرلمان الفرنسي بها، معتبرة إياه عملاً عدائياً ضد العالم الإسلامي⁽¹⁾.

ب- مشاكل التبرعات: ومع بداية جمع التبرعات وانتقالها وحشد الجزائريين لها بدأت الخلافات والالتزامات بين فريقَي الإصلاحيين، فالإبراهيمي سلم (ثمانية ملايين فرنك) للفلسطينيين⁽²⁾ في أيام دخول الجيوش العربية لفلسطين، وهاجمت البصائر اتهامات الزاهري للإبراهيمي بكونه يستغل قضية فلسطين لجمع الأموال والحبوب⁽³⁾. وكذا فعل العقبي وأنصاره، والذي سافر بنفسه إلى شرق الأردن لتسليم التبرعات الجزائرية.

ولكن فرنسا دخلت على الخط بانتداب الدكتور ماسنيون ليقود وفداً لزيارة اللاجئين في شرق الأردن، وكان الغرض إيجاد قدم لها بحجة الوصاية على أحباس المغاربة في حي سيدي بومدين بالقدس الشريف، وكان من ضمن الوفد الشيخ العقبي وابن حورة، ومعهم عباس بن التركي وذلك في ربيع (1950)، وهنا اتهم أنصار الإبراهيمي العقبي بكل التهم، وكونه عميلاً لمخطط فرنسي، وكتبت عنه الشعلة الموالية للإبراهيمي: "هذه الرحلة إلى المشرق التي نسبها العقبي للأمة، وهي بريئة من وفادته، وتكلم فيها باسم العلماء، وقد طردوه منذ عهد بعيد، وقد قال عنها إنها لمصلحة المسلمين، وقد كذبت أخبارها الحقيقية التي بدأت تفوح رائحتها العفنة"⁽⁴⁾.

وتوالت المهاترات بين الفريقين، فالعقبي في نظر أنصار الجمعية هو "البندير المقطع"⁽⁵⁾، بل كتب الإبراهيمي عن العقبي بأنه من أعضاء جمعية "فرنس إسلام"⁽⁶⁾، التي كانت برعاية لويس ماسنيون⁽⁷⁾، في حين رد العقبيون على اتهام الإبراهيمي بالانتماء للماسونية⁽⁸⁾. ولأجل ذلك نددت الجمعية مراراً بادعاء العقبي وبعض الصحف التونسية كونها منها أو عاملاً باسمها⁽⁹⁾.

(1) حياة كفاح، مرجع سابق، ج 2 ص 388. مريوش، المرجع نفسه، ص 421.

(2) البصائر ع 53 (1948-10-18)، ورجح مريوش أن يكون التسليم عن طريق العقبي، وحسب رواية أخرى أن التسليم كان من طرف عباس التركي، وأما العقبي فقد جمع من أنصاره تسعة آلاف فقط، انظر جريدة عصا موسى ع 2 (1950-7-20)، وذلك بعد الخلاف حيث نشرت عصا موسى المعلومة. انظر مريوش، المرجع نفسه، ص 422؟

(3) البصائر، ع 47 (1948-8-30)، أثار الإبراهيمي، ج 2 ص 240.

(4) جريدة الشعلة، ع 35 (1950-8-23)، مريوش، الشيخ الطيب العقبي، مرجع سابق، ص 423.

(5) جريدة الشعلة، مقال "خذوه فغلوه"، ع 17 (1950-4-6)، ص 4.

(6) أثار الإبراهيمي، ج 2 ص 339، وكتب هذا الرد على الزهرة التونسية في (مارس 1950)، ثم عدله في مقال "لجنة فرانس إسلام"، انظر البصائر، ع 114، (1950-4-3)، أثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 3 ص 328.

(7) لويس ماسنيون (1883-1962) ستنشر فرنسي دارس للغات الشرقية ومتخصص في التصوف والحركات الإسماعيلية، له أزيد من (650) مشاركة بين تأليف وتحقيق وتقرير منها: دكتوراه حول الحلاج، تحقيق الطواسين للحلاج، المتنبي والعصر الإسماعيلي. انظر نجيب العقبي: المستشرقون ج 1 ص 263. وهو الذي تسبب في منع مالك بن نبي من الدخول إلى معهد الدراسات الشرقية بباريس. انظر مذكرات شاهد القرن، مرجع سابق، ص 216. رواية العفن، مرجع سابق، ص 28.

(8) عصا موسى، ع 2 (1950-7-20)، عن مريوش، مرجع سابق، ص 424. العقون، نفسه، ج 3 ص 262.

(9) أثار الإبراهيمي، ج 2 ص 339، ف الرد على ما نشرته جريدة الزهرة التونسية في العدد (13003)، في (18 جمادى الأولى 1369)، ثم رد عليه في مقال (لجنة فرنس-إسلام) ج 3 ص 328.

يقيم سعد الله الاستغلال الفرنسي للعقبي: "لقد استعملت فرنسا هؤلاء وفيهم أمثال الشيخ الطيب العقبي، وفيهم أيضا مخلصون لفرنسا أمثال ابن حورة -القاضي- ليكونوا طليعة مشروعاتها في التدويل، وقد سمحت لهم بجمع المال للمشردين الفلسطينيين، ثم أعطتهم الحماية ليذهبوا إلى المشرق ويعتصروا ويزوروا ويتبرعوا باسمها أو باسم أهل المغرب العربي الذين تستعمرهم دفاعا في الظاهر عن أوقاف المسلمين، وفي الباطن عن مصالح فرنسا في المشرق العربي"⁽¹⁾.

كما تابع الطرقيون قضية فلسطين، وممن كان لها السبق في ذلك جريدة البلاغ التي نقلت كتابات الصحافة المشرقية، وفي الأربعينيات تابعتها كذلك جريدة المرشد⁽²⁾، ودعت إلى جمع التبرعات لصالح فلسطين، ولا ندري مسارب هذه التبرعات كيف سارت ولمن سلمت، ونشرت المرشد بعض بيانات "الهيئة الجزائرية للدفاع عن فلسطين" التي يرأسها العقبي، وقالوا بأن الكلام لا ينفع، "وإنما تنفع فيه القوة والاستعداد، أما من يذهب به الغلط أننا في زمن العدل والتمدن فهو في ضلال بعيد"⁽³⁾.

لكن الذي كتب أمتع المقالات في قضية فلسطين هو الإبراهيمي بلا منازع⁽⁴⁾، حيث خط عشرات المقالات التي سارت مشرقا ومغربا، وكانت من غرر وعيون الأدب العربي السيار.

10- النزعة البربرية:

تظافر جهود الإصلاحيين والطرقيين على محاربة كل ما يهدد الانسجام الوطني والوحدة المجتمعية، فبعد عقود من الدعوات المحتشمة والتي لم تلق رواجاً ذا شأن في تمزيق الوحدة، وعلى الرغم من الجهود الفرنسية الكبيرة في التعليم والتنصير والعمل الأهلي إلا أن حصائل التفرقة كانت ضعيفة.

وبعد نهايات الحرب الثانية وبروز الدعوات القومية والاستقلالية التي روجت لها إعلانات الأمم المتحدة وحقوق الإنسان الثقافية والهوياتية، تعالت بعض الأصوات البربرية، والتي كان الإعلام والمتداول الفرنسي يشجع بعضها مثل مصطلحات (الأمة القبائلية، الأمة الميزابية الأمة والشعب النبيل)، مما تولد عنه ما عرف بالأزمة البربرية في داخل حركة انتصار الحريات الديمقراطية، والتي اعتبرت طبخة خصيصة للتفرقة⁽⁵⁾.

وظل الجميع يعتقد بأن تلك مؤامرة مستوحاة ومدارة من المخابر الفرنسية التي تبغي شق الجسم الوطني، بعدما تكسرت محاولتها في المغرب الأقصى أيام محنة الظهير البربري الشهير سنة (1930).

كانت أصوات الإصلاحيين أعلى منذ الثلاثينيات في الحزب على الوحدة ورفض دعوات التفرقة، واشتهر ابن باديس بمقال الرائع "ما جمعته يد الله لا تفرقه يد الشيطان: وجاء فيه: "إن أبناء يعرب وأبناء مازيغ قد جمع بينهم الإسلام منذ بضع عشرة قرناً، ثم دأبت تلك القرون تمزج ما بينهم في الشدة والرخاء، وتؤلف بينهم في العسر واليسر، وتوحدهم في السراء والضراء، حتى كونت منهم منذ أحقاب بعيدة عنصراً مسلماً جزائرياً، أمه

(1) سعد الله، على خطى المسلمين، مرجع سابق، ص 163.

(2) آيت علجت، نفسه، ص 102. المرشد، مقال "مشكلة المشكلات في القدس" ع 16 (مارس 1948).

(3) مجلة المرشد، ع 48 (4-8-1951)، تنبيه القراء، مرجع سابق، ج 2 ص 59.

(4) آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 3 صص 435-463.

(5) بن يوسف بن خدة، جذور أول نوفمبر، مرجع سابق، ص 258.

الجزائر وأبوه الإسلام. وقد كتب أبناء يعرب وأبناء مازيغ آيات اتحادهم على صفحات هذه القرون بما أراقوا من دمائهم في ميادين الشرف لإعلاء كلمة الله، وما أسألوا من محابريهم في مجالس الدرس لخدمة العلم. فأى قوة بعد هذا يقول عاقل تستطيع أن تفرقهم؟ لولا الظنون الكواذب والأمانى الخوادم يا عجباً! لم يفترقوا وهم الأقوياء، فكيف يفترقون وغيرهم القوي كلا والله، بل لا تزيد كل محاولة للتفريق بينهم إلا شدة في اتحادهم وقوة لرابطتهم (ذمتي بما أقول رهينة وأنا به زعيم) والإسلام له حارس، والله عليه وكيل⁽¹⁾.

وأما الإبراهيمي فكتب عند تأسيس راديو بالقبائلية: "إن هذه العملية الجديدة سلاح مبتكر لحرب العربية، ومكيدة مدبرة للتقليل من أهميتها، وحجة مصطنعة لإسكات المطالبين بحقها في وطنها. ولكنه سلاح مفلول، ومكيدة فاشلة وحجة داحضة، يسخر منها القبائلي قبل العربي. وسيعلم الاستعمار وأعوانه أن هذه الموجة ستبتلعها أمواج، وأن المذيعين فيها كالمغنين في المقبرة. أصداً في الأثير، لا تحرك ولا تثير، وقد فات هذه الحكومة، التي تنفق أموال الأمة فيما لا يفيد، أن اللهجات البربرية بهذا الوطن متعددة متباعدة، بحيث لا يفهم أهلها بعضهم عن بعض، وهما أرضت بهذا الصنيع واحدة فأين الأخريات؟ وأين المزابية والشاوية؟ أم أنها ستخصص لكل واحدة موجة حتى ترضي الجميع"⁽²⁾، ورافع في مقالاته الرائعة في فصل الدين عن الحكومة كثيراً، وفي مقال "العربية في الجزائر عقيلة حرة ليس لها ضرة"، ومما قاله جازماً: "نقول نحن - بلغة الحق والواقع -: إن الجزائر عربية مسلمة، فيشهد لنا التاريخ والدم، والأدب، والرفات، والأسماء والسمات، وجولان" الضاد "في اللهوات"⁽³⁾.

كما كتب أبو يعلى ضد هذه النزعة المفرقة التي بدأت منذ عهود، ففي سنة (1921) طلب الأمير خالد وبن رحال بتأسيس مكاتب ابتدائية عربية، فقال "ميرشي" -عضو المجلس المالي- بأن الوطن بربري وليس عربياً، وكذا إبراهيم أبو حميدة في مقال "فكر استعماري جديد"، عن كتابة القبائلية بالحرف اللاتيني⁽⁴⁾، وقبلهم تكلم المدني عن وحدة العرقين العربي والبربري⁽⁵⁾، وكذا مبارك الميلي في تاريخ الجزائر. وقد تجسد ذلك في إفشال العلماء لجمعية القبائل التي تشكلت سنة (1936) بمهاجمتها، ثم إدخال عناصر في مكتبها الإداري⁽⁶⁾.

(1) الشهاب، ع (ذو القعدة 1354-فيفري 1936)، مج 11 ص 678.

(2) البصائر، ع 42 (5-7-1948)، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 3 ص 400. وانظر البصائر، الإبراهيمي "العربية في الجزائر عقيلة حرة ليس لها ضرة"، ع 41 (28-6-1948)، ص 1.

(3) البصائر، ع 104 (23-1-1950)، آثار الإبراهيمي، ج 3 ص 118. ج 3 ص 206، ج 3 ص 399.

(4) البصائر ع 22 (8-2-1948)، ع 59 (6-12-1948). العقون، نفسه، ج 3 ص 111. وإن كان أبو يعلى قد هوجم من قبل البعض بسبب انخراطه في نادي جديد لأهل زواوة بالعاصمة، انظر البصائر، ع 35 (18-1936)، مقال "رسالة من أبي يعلى الزواوي تعرب عن مقصده في تأييد النادي الجديد الذي تأسس أخيراً بعاصمة الجزائر"، ص 3. في حين ذكر حماني بأن أبا يعلى طرد جزائرياً أزهرياً يسعى عز الدين لأنه احتقر العرب، وأنه لولا محمد عليه الصلاة والسلام وعلي بن أبي طالب لما صح أن يطلق على العربي إنسان وذلك عام (1938). انظر مقالات ومحاضرات حماني، مرجع سابق، ج 3 ص 162.

(5) المدني، كتاب الجزائر، مرجع سابق، ص 144.

(6) بوصفصاف، نفسه، ص 175.

ومن الأصوات القبائلية التي حاربت النزعة الشيخ الفضيل الورثلاني الذي تكلم عن نهاية أسطورة التفرقة، وأن البربر قد تعربوا جميعاً⁽¹⁾.

ويرى بأن أسباب التعريب ثلاثة: الدين واللغة والتزاوج، وكان الدين أسبق الثلاثة إلى التحكم في مصير البربر، فلقد اعتنقوا الإسلام عن شوق وقناعة، وأحبوه من أعماق قلوبهم وأخلصوا لتعاليمه أشد الإخلاص، ثم أحبوا معه، ومن أجله كل ما صحبه من مقومات، أحبوا أهله العرب حبا لم يكن يخلو من الغلو، حتى كان البربري يرى أن الأصهار إلى العربي والتقرب منه إنما هو شرف كبير له، بل هو في نظره ضرب من العبادة والتقرب إلى الله، لأن هذا العربي في نظره إنما هو رسول الله إليه، وأنه مجاهد في سبيل تبليغ رسالة الحق المقدسة⁽²⁾.

بل إن جريدة الشاب المسلم نشرت في عددها الأول مقالا للشيوعي عمار أوزقان بعنوان "البربرية عقيدة رجعية"⁽³⁾.

ومن الأصوات الطرقية نجد العلويين الذين كانت لهم جهود محمودة في بلاد القبائل، وكتبت صحفهم عن الوحدة المعنوية الإسلامية للجماعة المسلمة في القطر الجزائري. وظل الجميع إصلاحيين وطرقيين منشدین إلى الروح القومية، وكانوا يعيدون مقالات الأمير شكيب أرسلان مؤسس جريدة "الأمة العربية"، ولا غرو أن اعتبره كثيرون المرشد أو القائد الفكري للنهضة الإسلامية ومقاومة الاستعمار الغربي⁽⁴⁾.

ولأجل ذلك النزوع العربي كان التعلق الإصلاحي والطرقى بالمشرق كبيرا، وكم كتب الإبراهيمي عن الوشائج والروابط بين جناحي الوطن العربي، ومن ذلك ما خطه من تأكيد لعروبة الشمال الإفريقي حيث يقول: "كأن الجزيرة العربية أم رؤوم لهذا الشمال، تعده فلذة من كبدها، فهي تعطف عليه وتحن إليه، وتجعل منه مراوح لقيظها، وضفافا لفيضها، حنت إليه في حقبة غابرة من التاريخ، فرمته بقبائل يمانين، من بنمها الميامين، ينقلون إليه الدماء والخصائص، والمكارم والمفاخر، وحنن إليه بعد الإسلام، فأوفدت إليه الغر الهاليل من أصحاب محمد، يحملون الرحمة والسلام والبيان، ويفتحون الأذهان والعقول والأفكار؛ وما كانت غارة هلال بن عامر في المائة الخامسة للهجرة- على ما فيها من الهنات- إلا تلقيحا لتلك الدماء التي أثرت فيها مؤثرات الهواء والتربة، وطول الثواء والغربة، وعمل فيها تداول الأمم الفاتحة، وتعاقب الدلاء الماتحة"⁽⁵⁾، وحذر الإبراهيمي من محولات سلخ نصف العرب: "فلولا هذه الجمعية لضاع على العرب نصف عددهم، وهو ثلاثون مليوناً هم سكان المغرب العربي، وجرفهم تيار الاستغراب والبربرية"⁽⁶⁾.

المطلب الثاني: الخلافات الإصلاحية الطرقية.

(1) الورثلاني الجزائر الثائرة، مرجع سابق، ص 70.

(2) الورثلاني المرجع السابق، ص 70.

(3) مجلة الشاب المسلم، ع 1 (6-6-1952)، ص 2.

(4) انظر علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، مرجع سابق، ص 440.

(5) البصائر، ع 1 (25-7-1947)، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 3 ص 58.

(6) آثار الإبراهيمي، مذكرة إيضاحية، ج 4 ص 161.

لم تسلم الأربعينيات من تجدد الخلاف، بل والصراع في بعض القضايا، وفي بعض المساحات الصحفية والمواقع، وإن كان الأمر أخف من الثلاثينيات حيث غابت ظواهر التهديد والاعتقال والدعوة للتصفيات، فقد ركن الجميع إلى المسالمة والتفاهم، خاصة وفواجع الاستعمار قائمة، والأحزاب الوطنية صاعدة، مما هدد الجميع من الخطر الوجودي، والجديد في هذه العلاقات توسع الخلافات الإصلاحية الإصلاحية، بعدما كان الأمر مقتصرًا على الطرفين في الثلاثينيات والعشرينيات.

لاحظ بكوشة مبكراً خطر الانشقاق واعتبره ظاهرة، وهي جديدة بالدراسة، ففي التعليق على تأسيس جمعية الهداية الخيرية ببوسعادة ونشوب الخلاف بين أعضائها قال: وهو شيء قلما يسلم منه مشروع خيرى إسلامي في طور التكوين⁽¹⁾، ومن القضايا التي نالها الخلاف بين الفريقين ما يأتي:

1- الأوقاف والحج:

فقد هاجمت جريدة الشعلة الإصلاحية خصمها العقبي وانخراطه في مشروع ماسينيون، وأنه: "قال عن رحلته بأنها من أجل الأمة وهي برئية من وفادته، وقد طرده من الحجاز منذ عهد بعيد، وقال عنها أنها لمصلحة المسلمين، وقد كذبه أخبارها الحقيقية التي بدت تفوح روائحها العفنة، ووصفت العقبي بالطبل المثقوب"⁽²⁾، وذلك إن الاتهامات توجهت لفرنسا بمحاولات مد نفوذها عن طريق استغلال "وقف سيدي بومدين بالقدس" والظهور بمظهر المدافع عن أوقاف مسلمي شمال إفريقيا، ولم تنطل الحيلة على الإبراهيمي الذي كتب ساخرًا: "كون هذا المستشرق لجنته في فرنسا التي هي أحد طرفي الاسم، وأوحى إلى المغرورين به في شمال أفريقيا ما أوحى، فإذا الدعاية قائمة، وإذا الاسم دأب على الألسنة، ولكن الأغراض غير محددة ولا مفهومة. وانتظر الناس الأعمال التي تفسر المقاصد، والمقدمات التي تشعر بالنتائج، فكانت المقدمات أحاديث ومناشير وبرقيات عن فلسطين، وعن قضية المشردين، وعن وقف أبي مدين الجزائري، ثم انتقلت إلى "تدويل القدس"، وهنا فهم من لم يكن يفهم، وضاع الفهم ممن كان فاهما، أهذه "شكوشة" أديان؟ فلماذا- إذن- ذكرت فرنسا في الاسم ولم تذكر المسيحية⁽³⁾.

وقد ردت صحف العقبي ومنها "عصى موسى"، ولم تجد ما تسكت به خصومه إلا ما نقلته جريدة أم القرى التي تصدر بالحجاز عن زيارة العقبي "لنصفع به الصحف الماسونية الصهيونية وهي الشعلة والبصائر والأسبوع"⁽⁴⁾. وعليه لم يجد العقبيون إلا وصف جرائم خصومهم بأنها صهيونية لأنها لم توافق العقبي في قضية فلسطين.

2- فصل الدين عن الدولة:

(1) جريدة الوزير التونسية، تقرير بكوشة، رحلات جزائرية، ج 1 ص 215. والملاحظة ذاتها قررها مراسل جريدة الروح، ع 6، مقال "جمعية الهداية"، (1948-6-03)، ص 161. وعن تأسيسها انظر البصائر، ع 196 (1952-7-21)، ص 8.

(2) سعد الله، على خطى المسلمين، مرجع سابق، ص 153. جريدة الشعلة، العدد 25 (1950-8-23).

(3) البصائر، ع 114 (1950-4-3)، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 3 ص 350.

(4) سعد الله، على خطى المسلمين، مرجع سابق، ص 153.

لم يتحمس الإبراهيمي لنشاطات العقبي في هذا المجال، ولم يرد على مراسلاته، بل كلف المدني بذلك، مما اعتبره العقبي هروبا من العمل الجماعي، وتقليلًا من قدره وتبديد للجهود⁽¹⁾. وعذر الإبراهيمي أنه لم يكن يثق في جدية الإدارة، ولكنه لم يقطع الأمل إذ ترك المدني يتطلع على الأمور ويرى صيرورتها، وهو ما أشار إليه هذا الأخير في مذكراته: "كنت مشتركاً معه في قضية فصل الدين عن الدولة وفي مشروع المجلس الإسلامي الذي يتولى أمور الدين وبعد اجتماعات ونشاطات نكص على عقبيه بسبب أن جاسوسه قال له: "إن الرجال الذين معه (حوالي خمسين) تبرؤا منه لدى الحكومة، فعاد وسبهم وشتمهم، وانتهى الأمر إلى غير سلام"⁽²⁾.

وعلى الرغم من كل هذا فقد ظل الإبراهيمي يطالب بالفصل بالكتابة الصحفية، وبالمراسلات الإدارية، ولكن تشرذم الجهود بين (العقبين، رجال الدين، الطرقيون) أدى إلى ضياع الفرصة، بل وقبرها.

وكانت الجمعية تجدد مطالبها المعروفة، وهي تحرير المساجد، تحرير الأوقاف، تحرير القضاء، والعبادات من الصوم والحج⁽³⁾، والغرض من تركيز الجمعية على هذه المطالب لأنها المكونات الأساسية للدين الإسلامي، التي وجدت فيها الحكومة الفرنسية غايتها واتخذتها كمدخل لتشويه الإسلام من خلال الأحكام الخاصة بها⁽⁴⁾.

وفي هذا المضمار هاجم الإبراهيمي رجال الدين الرسميين الذين لم يتحمسوا لمشروع الفصل، وربما عرقلوه، ومن هؤلاء العاصمي ومن ورائه، والذين ندد بهم بقوة قائلا: "بدأت المناورات الحكومية في قضية المساجد. فبدأتها من الذنب. وفي تلمسان لعبة، وفي الجزائر لعبة، وفي غيرها لعبة وألعيب. نحذر الحكومة من الاعتماد على جمعياتها الدينية التي صنعتها بيدها. فإن الأمة لا ترضى ولا تعترف إلا بجمعيات منتخبة انتخاباً حراً من المسلمين أهل الدين، لا تدخل فيه الحكومة بأمر ولا برأي ولا بإشارة، فلتعلن الحكومة رسمياً قضية الفصل. وتعلن معه حيادها في تكوين الجمعيات، ولتحدد لتكوين الجمعيات أمداً تنتهي إليه هي والأمة. رأي جمعية العلماء في هذه القضية معروف، يتفق عليه الإبراهيمي والتبسي والعقبي وكل العلماء، ولا يخالف فيه إلا جاهل، ولا قيمة لرأي الجاهل، أو عالم مأجور؟ والعالم المأجور، كالسفيه المحجور، هذا يفسخ دينه، وذلك ينسخ دينه"⁽⁵⁾.

بل إن الجمعية حذرت من تسرب الفكر الصهيوني المعادي والإلحادي المخرب، والذي جعل قيبي الحكومة يتكؤون في تحرير الدين الإسلامي من هيمنة الحكومة الاستعمارية، وفي هذا يقول الإبراهيمي: "ومما استقيناه من مقاصد هذه الحكومة وأنها نذرت على نفسها فوفت بالنذر أن تكون عدواً للإسلام ما دام لها وجود، وخصماً للمسلمين ما امتدت بها الحياة، وحرماً على الحق في أي ميدان ظهر، ومن عجيب صنع الشيطان في هذه الحكومة أنها كلما ضعفت فيها النزعة الدينية بكثرة المذاهب العقلية وتيار الحضارة المادية أمدّها الشيطان بلقاح من اليهودية المعادية للإسلام والنصرانية معا فأذكت فيها ما برد، وضربت منهما ما

(1) جريدة الإصلاح، ع 60 (9-6-1947)، مريوش، المرجع نفسه، ص 335.

(2) المدني، حياة كفاح، ج 2 ص 377.

(3) البصائر، ع 1 (25-7-1947)، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 3 ص 51.

(4) بوصفصاف، جمعية العلماء وعلاقاتها مرجع سابق، ص 234. وانظر الجزائر الثائرة، مرجع سابق، ص 157.

(5) البصائر، مقال "إلى الأمة" ع 74 (14-4-1949). آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 242.

ضعف بما قوي وشفت غيظها من الفريقين. أليس حاكم فرنسا اليوم والمتحكم في مصائرها يهوديا ومن ورائه يهود العالم؟⁽¹⁾.

3- الموقف من الأئمة الرسميين.

والذين بدأ نجمهم يسطع في الأربعينيات بجهود المفتي الحنفي محمد العاصمي، فقد عقدوا مؤتمرا عاما لهم مطلع (1948)، وقرروا تأسيس جمعية الأئمة وسميت بالودادية، وإصدار جريدة ناطقة باسمهم، وهاجمهم الإبراهيمي بكونهم أدوات للحكومة: "ولو صرحوا وأوضحوا من أول يوم لما كان لأكثر هذه الأسئلة من محل؛ ولكنهم سكتوا وأجملوا، وهمّوا ولم يفعلوا، وأعلنوا عن تشكيلات سطحية إن دلت على شيء، فهو أن المؤتمرين ليس لهم من الأمر شيء، وأنهم مسيرون لا مخيرون؛ فحاتم حولهم الظنون"⁽²⁾.

ولكن أغلب الطريقين كانوا مع إشراف الأئمة الرسميين على المساجد، وأبدوا تضامنهم مهم، وأن الحكومة تميل لذلك لبعدهم عن السياسة، وخوفا من وقوعها في أيدي غرمائهم -الإصلاحيين- الذين يسمونهم "حزب المشاغبيين" الذين يأنفون في نظرهم من تسليم المساجد إلى جزائريين مسلمين علماء مثلهم، حتى يتسلمها أصحاب العقائد الشاذة من الإصلاحيين بنظرهم⁽³⁾.

وزاد من بعد الشقة ميل الإدارة لهؤلاء، حتى أنها منعت صلاة العيد خلف الإصلاحي عبد الوهاب بنمنصور في ندرومة⁽⁴⁾، واستمر علماء الجمعية بالتهديد في الصلاة خلفه الرسميين، على العكس من العقبي الذي غير مساره، وهاجم ترك الصلاة ورائهم، واستدعى رأي بن باديس بجوازه، حيث نقلت عنه جريدة صوت المسجد التابعة للعاصمي والأئمة الرسميين قوله: "صلى خلفهم أباؤنا الأولون، وصلينا نحن الجماعة والجمعة خلفهم، وصلى معنا أبو النهضة العلمية الإصلاحية ابن باديس خلفهم، ولم يحكم أحد منا ببطلان صلاة نفسه أو صلاة أحد من الناس"⁽⁵⁾.

ويمثل هذا انقلابا جذريا في موقف العقبي عما كان عليه في الثلاثينيات، حيث كان اللسان الحاد ضد الرسميين، ولكنه "لم يكن في مقدوره طردهم من وظائفهم، ولا إقناع الإدارة بأنه هو وأصدقاؤه أكثر تمثيلا للإسلام من هؤلاء، كما لم يقو على إقناع جميع المؤمنين بأن القيميين على المساجد المسماة "رسمية" كانوا مسلمين مشبوهين لمجرد كونهم يتلقون راتباً من الدولة"⁽⁶⁾.

(1) آثار الإبراهيمي، ج 4 ص 257. وذلك في مقال "في صميم القضية الدينية" وكتبتا بعد موقف المجلس الجزائري الأخير من فصل الدين عن الدولة، وذلك بعد برقية الجمعية للحكومة الفرنسية المنشورة في البصائر ع 235 (3-7-1953)، وانظر يوسف مناصرية، النشاط الصهيوني في الجزائر (1897-1962)، الجزائر، دار البصائر، 2009.

(2) البصائر، ع 31 (4-12-1948)، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 3 ص 393.

(3) مجلة المرشد، "قضية المساجد بالقطر الجزائري، ع 26 (ماي 1949)، تنبيه القراء، مرجع سابق، ج 2 ص 9.

(4) البصائر، ع 196 (21-7-1952)، ص 1-2.

(5) جريدة صوت المسجد، ع 16 (12-7-1950)، عن مريوش، المرجع نفسه، ص 386.

(6) علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، مرجع سابق، ص 115.

وجديد العقبي هو مهادنة الطرقيين والرسميين حتى أنه حضر احتفالا للكتانية سنة (1947)، وبلغه حماني: فقد جاء مظاهرا لأحد أرباب الزوايا (زاوية وادي سقان) الذي كان يعارض دخول العلماء للتدريس في الجامع الكبير، وبعد الافتتاح تعالت الأصوات برفضهما، وأخرجتا تحت حماية عقلاء الإصلاحيين⁽¹⁾.

4-مشيخة الإسلام في الجزائر:

طرح فرنسا هذا المشروع في بدايات الحرب العالمية الثانية بغرض استمالة الهيئات الدينية لصالحها في الحرب ضد دول المحور، وبغاية تحشيد الأصوات، وتجنيد الأنصار، وعرضته على الإبراهيمي عن طريق القاضي بن حورة، ولكنه رفض⁽²⁾، ثم سكنت عن الموضوع أثناء الحرب، وبعدها وفي أثناء الإعداد لمشروع المجلس الإسلامي الأعلى تنادت الأصوات بإحياء أو إنشاء مشيخة للإسلام لتكون مرجعا للفتوى على غرار ما في تونس (الطاهر بن عاشور)، أو المغرب (محمد العربي بن العلوي)، وعقدت لذلك اجتماعات بين الطرقيين والإصلاحيين والرسميين، ولا ندري توقيتها ومكانها والمشاركين فيها، وحسب العلويين فإن الاجتماعات لم تسفر عن شيء بسبب ما رآته من شره ورغبة في احتكار المنصب من الإصلاحيين، في حين فإن غالبية الأمة مالكية، ولا ترضى أن يرأسها من لا يقول بعقيدة المذاهب الأربعة⁽³⁾، وعليه قُبر المشروع في مكانه، وروج لمجلس إسلامي أعلى تتنوع فيه المكونات من إصلاحيين وطرقيين ورسميين وموالين، وهو ما يمكن من خلاله تشتيت الأصوات، واللعب من خلالها لتمرير ما تراه الإدارة، على خلاف ما لو كان الصوت واحدا لشيخ الإسلام، وهو الأمر الذي لم تكن تطيقه فرنسا، خاصة وهي التي ترقب التجربة في كل من المغرب وتونس.

5-التموضع والخلافات السياسية:

حاول الطرفان التموضع في الساحة السياسية، وخاصة مع بروز معضلات الانتخابات والتخندق خلف الآخرين، والنتيجة أن كلا من العلماء والطرقيين تأخروا عن قيادة الحياة السياسية، وهذا منذ الثلاثينيات كما هو توصيف العقون: "الحقيقة أن كلا الفريقين متورطان بصفة أو بأخرى في المعارك الانتخابية، فلكل أحبابه وأنصاره، ولكل مؤيدون من النواب المتخرجين، فجمعية العلماء من النواب بعض من الشبان كابن جلول في أول أمره، وفرحات عباس والدكتور سعدان، وجمعية علماء السنة بقية النواب وخاصة المستقلين والمقربين لدى الإدارة الفرنسية والمنسبين للطرق الصوفية"⁽⁴⁾.

وتبعاً لذلك استمر التموضع المناطقي، ففي الأوراس انقسم الطرقيون في التعامل مع الإصلاحيين، فالزوايا التي تدين بالولاء لخنقة سيدي ناجي استمرت على العداء للإصلاحيين، كما فعل الأمين حفيظي (الذي خلف أباه على زوايته سنة 1940)، والذي جمع شيوخ خنشلة على التصدي للجمعية. واستمر التنافس على كسب المواقع الجديدة، وخاصة في الوسط والغرب الجزائري، وأخيرا الجنوب (الشرق-الوسط).

(1) حماني، نفسه، ج 2 ص 201. وفي البصائر مقال لمجهول "علماء السوء"، ع 147 (19-3-1951)، ص 8

(2) مذكرات خير الدين، مرجع سابق، ج 1 ص 415. آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 1 ص 38.

(3) مجلة المرشد، "مشيخة الإسلام بالجزائر، ع 1 (أوت 1946)، تنبيه القراء، مرجع سابق، ج 1 ص 127.

(4) العقون، الكفاح القومي السياسي، مرجع سابق، ج 1 ص 407.

ففي إقليم الراشدية بقي الصراع محتدماً حول كسب الأتباع وبناء المواقع من المساجد والمدارس، وفي مدن مثل باريقو برز تنافس البوعبدليون (الدركاويون) مع الإصلاحيين، حيث كان الشيخ "قادة بن عمروش" يقاوم المد الإصلاحي الذي نجح في بناء مسجد ومدرسة صغيرة، وأنشاء فوجاً كشفياً⁽¹⁾. وربما مثلت مدينة سعيدة نشازاً حيث اتفق ممثلو الأحزاب البيان والشعب وجمعية العلماء على العمل التعليمي المشترك، وحاولت الإدارة منعه بخلق جمعية موازية، مما اضطر القائمين على تجميد المشروع⁽²⁾.

كما دخل عامل جديد وهو التجاذبات الحزبية مع حركة الانتصار-واجهة حزب الشعب-، وحصلت أزمات للجمعية بسبب انجذاب بعض معلمها لتيار حزب الشعب "وافقتان بعض المعلمين بالنزعات الحزبية"⁽³⁾، وما تبع ذلك من تهديد حركة الانتصار في جهود جمعية العلماء في التعليم، ومقولات بعضهم بأنه لا تعليم بدون استقلال، وقد جاءت الردود: "هذا كله بعينه ومينه هو ما يقوم به دعاة هذه الحركة التي سمت نفسها" حركة الانتصار للحريات الديمقراطية "مع جمعية العلماء، وتعليمها للإسلام والعربية، ومدارسها التي تعلم فيها الإسلام والعربية، ورجالها الذين تعتمد عليهم في ذلك التعليم، فقد وقفت هذه الطائفة موقف العداوة المكشوفة الصريحة لجمعية العلماء، لا لشيء تنقمه منها إلا أنها جمعية العلماء التي عرفها الناس وعرفوا أعمالها الجليلة في نشر الإسلام والعربية، ومواقفها المشرفة في الدفاع عن الإسلام والعربية"⁽⁴⁾.

بل إن الجمعية اشتكت في ندائها من هجومات حركة الانتصار عليها وعلى صحفها: "هذه الطائفة تبث دعايتها في المدن والقرى، وتفرض عليهم سب جمعية العلماء ورجالها، وتحقير أعمالها، وحض الأمة على البقاء في الجهل والأمية، وعلى نفض يدها من التعليم ومدارسه، وعلى هدم المدارس هدماً معنوياً بقبض الأيدي عن إعانتها، وبتقبيح التعليم من حيث هو"⁽⁵⁾.

وأومات إلى أن هذه الدعاية وصلت حتى طلبة الزيتونة: "وثب دعاة آخرين إلى الطلبة المهاجرين إلى الزيتونة والقرويين يزهدونهم في العلم، ويلهونهم عنه، ويصدونهم عن سبيله، ويشغلونهم عنه بأمور وتبث دعاة آخرين يدعون إلى مقاطعة البصائر "لسان الصدق، ومجلى البيان، ومفخرة الصحافة العربية بهذا القطر، ومثال الجرأة والصراحة في الحق، وتبلغ بهم الوقاحة إلى أن يسبوا بانعيا ومشتريها"⁽⁶⁾.

بل إن الجمعية اعتبرت الحرب على تعليمها جريمة، وكانت التهم كلها موجهة إلى أنصار حركة الانتصار الذين يعتبرون الاستقلال السياسي أم الممارك، في حين ترى الجمعية أن الاستقلال الثقافي مقدمة ضرورية لهذا الأخير: "إنها- والله- لجريمة يقيم بها مرتكبوها الدليل على أنهم أعداء للعلم، وقطاع لطريقه، أم يقولون: لا

(1) فضلاء، المسيرة الرائدة، مرجع سابق، ج 3 ص 91.

(2) البصائر، ع 302 (1-21-1955)، فضلاء، نفسه، ج 3 ص 119.

(3) البصائر، مقال "إلى المشايخ المعلمين" ع 51 (9-27-1948)، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 244.

(4) البصائر، ع 51 (9-27-1948)، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 247.

(5) البصائر، ع 51 (9-27-1948)، ص 1، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 247.

(6) البصائر، ع 51 (9-27-1948)، آثار الإبراهيمي، ج 2 ص 247. وانظر مقال محمد شريف الحسني، "للحقيقة والتاريخ" ص 2. وتكملة المقال في

البصائر، حيث سعى المعارضين بعصبة الطيش، ع 52 (10-11-1948)، ص 2

علم بدون استقلال "فيعاكسون سنة الله التي تقول": لا استقلال بدون علم"، أم يقولون ما قاله كبير منهم: "إن محمدا لم يأت بالعلم وإنما أتى بالسياسة" و"إن روسيا لم تفلح بالعلم، وإنما أفلحت بالسياسة"⁽¹⁾. وذهب الإبراهيمي أبعد من ذلك عندما اتهمهم بمعاداة الدين: "إلا فئة عرفت بسيمها، إذ أضلها الله وأعمأها، جرت من الخبث على نسق، وسرت من الجهل في غسق. تحارب الله ورسوله وكتابه، وتعادي العربية والعلم والتعليم، وتهدم دعائم الوطنية باسمها، وتتبع في ذلك كله ما يلقي الشيطان وأولياؤه وعابدوه ... هذه الفئة هي التي تحارب المعهد، وقبله حاربت المدارس والتعليم وزهدت فيهما، وقبل ذلك حاربت الدين وقللت من شأنه"⁽²⁾.

والظاهر أن حزب الشعب رسم سياسة اختراق مدارس الجمعية لنشر أفكاره السياسية منذ الثلاثينيات، ففي تلمسان قاد الطلبة ومنهم محمد قنانش وأبو مدين الشافعي إضرابا ضد دروس الإبراهيمي⁽³⁾، ففي سنة (1949) اضطرت الجمعية إلى إخراج سيد أحمد الشاوي بودغن من دار الحديث تجنباً للسياسة⁽⁴⁾.

6- الانتخابات البرلمانية:

بعد إقرار دستور الجزائر (1947)، وانطلاق حمى الحملات والترشيحات بين الأحزاب الجزائرية (الانتصار، البيان، الشيوعيون)، دعت جمعية العلماء هذه الأحزاب إلى الالتفاف والاتحاد وتناسي النزاعات، وجمع الكلمة، وترك الأساليب الشائنة من السباب والقدح، ودعت الشعب إلى المشاركة وعدم المقاطعة، كما جاء في بلاغ المجلس الإداري: "يجب على الناخبين أن يقدرُوا هذه الانتخابات حق قدرها، وأن لا يستخفوا بها، ولا يقاطعوها، وأن لا يتخلف أحد عن الانتخاب، وأن لا يتأثر بتهديد الإدارة وتخويفها وليعلم أن إعطاء ورقته شهادة للوطن أو عليه. فليعرف أين يضع ورقته ولمن يعطي شهادته. وأن المقاطعة وإعطاء الورقة لغير الرجال العاملين هو تضييع لحقوق الوطن يعود عليه بأشأم العواقب"⁽⁵⁾. ولكن فداحة التزوير وتنازع الأحزاب غير من صوته الجمعية تجاه الانتخابات، وكانت دعواتها في مطلع الخمسينيات إلى وحدة الأحزاب وذوبها في تكتل واحد من أجل القضية الوطنية. حتى إن التبسي اعتبر الحزبية ضارة قاضية على وحدة الأمة: "الحزبية وحب الرئاسة، فإن الرئاسة والحزبية لا تبني على الإسلام وأنظمتها وتشكيلاته، ولا على جماعة المسلمين.. فلا عجب أن يكون أصحاب الرئاسة من خصوم جمعية العلماء الممثلة لجماعة المسلمين من الجزائر العربية المسلمة"⁽⁶⁾.

المطلب الثالث: تهم الإصلاحيين للطرقين.

(1) البصائر، "جمعية العلماء أعمالها ومواقفها"، ع 4 (1947-8-29)، ص 1، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 3 ص 68.

(2) البصائر، ع 59 (1948-12-6)، ص 1، آثار الإبراهيمي، ج 3 ص 216.

(3) مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان، مرجع سابق، ص 153.

(4) كان الشاوي بودغن من مدرسي مدرسة دار الحديث، انظر مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان، مرجع سابق، ص 445.

(5) البصائر، ع 29 (1948-3-29)، ص 2، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 191.

(6) البصائر، ع 230 (1953-5-22)، ص 1. وانظر الجزائر الثائرة، مرجع سابق، ص 110.

على الرغم من طي كثير من الخلافات حول التعليم والمدارس والزوايا، واكتفاء الكل بما لديه، إلا أن بعض الشنآن والمزاحمة على النفوذ كانت تظهر بين الفينة والأخرى، إلا أن حدة الخلاف الأدبي قلت مقارنة بالثلاثينيات، والظاهر أن الجميع كل من تلك المهاترات، وهو ما خطته البصائر بعد سنة من صدورها" ولم تنزل لمسافهة السفهاء الذين تحركهم المطامع الدنية والأيدي الخفية إلى مناوشتها والتحرش بها ليشغلوها بالباطل عن الحق، وبغير المفيد عن المفيد، وليفتحوا معها واجهة من الخصام الداخلي ليس من مصلحة الأمة ولا من مصلحتهم لو كانوا يعقلون. ولكن "البصائر" تفتنت لكيدهم وما يضمرون، فأعرضت عنهم فلجوا، فاحتقرتهم. ثم وزنهم فوجدت الغش والتزوير والتضليل والتدجيل وإنكار الحقائق الملموسة، ووزنت جمعية العلماء التي يحاربونها فوجدت العلم، والأعمال المفيدة، والمدارس المشيدة، فتركت البصائر الكلمة لهذه الأعمال، لتدمغ بنفسها تلك الأقوال، ولو شاءت البصائر لأوقفت كل سفيه عند حده، ولسقت من الرد حميما وغساقا. ولئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون بجمعية العلماء ليكونن للبصائر معهم موقف جديد، في عامها الجديد"⁽¹⁾. ويمكن إجمال التهم في الآتي:

1- الاستقواء بالإدارة الفرنسية:

وهي التهمة التي ما انفكت الجمعية ترمي بها خصومها من الطرقيين والأئمة الرسميين، فعندما رغب أعيان قسنطينة لفتح الجامع الكبير بها بعدما ضاق معهد ابن باديس بطلبته، وألفوا وفدا منهم ومن المحامين، كانت حجة العمالة في الرفض وجود معارضين لذلك، كما سجل إبراهيمي ما وقع في ذلك الاجتماع: "ولم يخل هذا الاجتماع من تلك العادة الممقوتة التي تفننت هذه الحكومة فيها، وبرعت في استخدامها، وهي التلويح بشق معارض ... فقد تعودت أن ترصد لكل حق معارضا من الباطل، تقيمه وتنصبه، وتدخره من يوم الاستغناء ليوم الحاجة، أو ترتجله ارتجالا، إذا حفزها الأمر، ولهذه الغاية نراها تكون جمعية دينية، في كل بلدة فيها جمعية دينية حرة لتضار هذه بتلك، فكلما طالبت جمعية العلماء بحق، أو وقفت موقفا يغيظ الحكومة أوحث إلى جمعيتها: أن عارضي، وقولي: لا، فيما قالت فيه الجمعية الحرة: نعم، وكم تجرعنا من هذه العادة من صاب، وكم لقينا فيها من أوصاب"⁽²⁾. في حين اعتبر التبسي الاستعمار والطرقية حليفين ضد نهضة الشعب الجزائري⁽³⁾.

ومن دلائل ذلك أن الإدارة كانت تفضل في بعض المناطق أن يكون المعلمون للقرآن من زوايا زواوة لا من خريجي الجمعية، كما جاء في قضية طرد معلم إصلاحي من "مايو، مشدالة"⁽⁴⁾. حيث تدخل متصرف مشدالة في عرقلة التدريس ونفي معلم الجمعية، وأومأت البصائر أن ذلك بتدخل أحد المرابطين، وأن الإدارة تفضل تعليمهم⁽⁵⁾.

(1) البصائر، ع 45 (8-2-1948)، ص 4، آثار إبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 229.

(2) البصائر، ع 88 (25-7-1948)، ص 1، آثار إبراهيمي، مرجع سابق، ج 3 ص 111.

(3) البصائر، مقال "من غشنا فليس منا" أطراف الطرقيين"، ع 226 (17-4-1953)، ص 8.

(4) البصائر ع 67 (14-2-1949)، ص 1، آثار إبراهيمي، مرجع سابق، ج 3 ص 227.

(5) البصائر، ع 22 (9-2-1948)، ص 1، آثار إبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 182.

2- دعم التعليم العربي الضرار.

حيث إن الإصلاحات الفرنسية أسفرت عن فسحة لاستحداث أقسام لتعليم العربية، لمنافسة تعليم الجمعية، والتي اعتبرت تلك التنظيمات والإصلاحات "تعلّما عربيا ميتا"، ومن تلك النماذج استحداث مدرسة في بسكرة: "من هؤلاء الرهط مخلوق في بسكرة ومخلوق في تونس، ... تربط بين المخلوقين صلات قديمة، فيها ما هو لله، وصلات جديدة، كلها للشيطان، وقد أوحى الاستعمار إلى المخلوق البسكري أن ينشئ مدرسة ويضع لها اسما يغري، وبرنامجا يغر" ⁽¹⁾، والذي كان يعاضده في حملته التشويهية للجمعية صاحب "جريدة إفريقيا الشمالية" ⁽²⁾ بتونس.

والكلام هنا عن المدرسة المحمدية للأمين حفيظي سليل زاوية الخنقة الرحمانية المعادية للإصلاح.

3- دعم المشاريع الفرنسية (النادي الفرنسي- الإسلامي)

والذي لم يكن مرضيا عند الإصلاحيين، في حين باركه الرسميون وحضروا مناشطه، وسكت عنه الطرقيون، واعتبره الإصلاحيون أحد الجهات المسخرة من الاستعمار لإبقاء ما كان من تبعية الدين الإسلامي للحكومة، وفي ذلك يقول الإبراهيمي: هو ناد "ممتزج"، وضع من أول يوم على ظاهر من الجمع، وباطن من التفريق، وعلى مقاصد مبيتة من الشر والكيد للإسلام والمسلمين، فهو مكمن للاستهواء يحمل اسم النادي، كما حمل مسجد الضرار اسم المسجد، وكانت بلغتنا عنه هنات من الآراء في قضيتنا الدينية، وبلغتنا عن بعض رجاله إعدادات لها، واستعانات ببعض زملائه عليها، وبلغنا عن بعض ذوي الدخائل السيئة أن له تهافتا عليه، وتمرغا بأعتابه، يتبغي به الوسيلة إلى بلوغ غرضه، وبلغنا في الأخير أنه أصبح كعالم المثال عند بعض الحكماء المتألهين، يتنزل إليه الرفيع، ويرتفع إليه الوضع، وما كان كذلك إلا لأنه وضع لذلك، فقرب ذلك كله من أذهاننا المعنى الذي قصدناه به، ولم ينقص من قيمته عندنا حالته الحاضرة، وأنه متردد بين الحياة والموت، فذلك شأن هذه المشاريع الموضوعة لمعنى: تؤسس للضرر والضرار، وتذخر لوقت الحاجة" ⁽³⁾.

4- إعاقة النهضة واستمرار التخريف.

كررت الصحافة الإصلاحية مقالاتها في تحميل الطرقيين أوزار التخلف والنكوص عن ولوج أبواب النهضة، وكونهم أحلاس أمراض الفقر والقلّة والترويج للخرافات وأثقال عصور الانحطاط، وهي اتهامات مكرورة في الصحف الشيوعية، ولأجل تلك الاتهامات المتكررة اعتبر الطرقيون خصومهم بالتحالف مع الشيوعيين لهدم الدين، وفي هذا نقدا لعدة بن تونس ضد الإبراهيمي: "وإذا برئيسها تحريرها لا يزال ينفخ من حين لآخر في بوقه المعلوم من أن الطرقية لا تزال أداة هدامة وحزبا مخربا للأمم والشعوب، ومن تمعن جيدا في تلك العبارات وجدها شبيهة كل الشبه بعبارة شيوعي متغلغل في مذهب الشيوعية، غير أن الشيوعي قد ينكر

(1) البصائر، ع 152 (4-23-1951)، ص 1، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 3 ص 382.

(2) الجريدة للكمال بن المكي بن عزوز الرحماني الطريقة. وهو غير الكامل بن المكي بن عزوز الذي صدم قطار سيارته في مسكينة، فمات ودفن بعين البيضاء. انظر الشهاب، ع (ذو القعدة 1347- أفريل 1929)، ج 5 ص 141.

(3) البصائر، ع 91 (9-26-1949)، ص 2، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 320.

المسائل في صراحة لضعف حياته من الناس، ورئيس تحرير البصائر ينكرها كأخيه، ولكن في عبارة ذات أشكال وألوان حتى يتناولها المسلم البسيط، ولا يشعر بما فيها من خطورة وضلال⁽¹⁾.
والمقارنة بين الإصلاحيين والشيوعيين كافية عن الإبانة عن عمق الأخاديد بين الطرفين، وأن خطوط التلاقي بينهما اضمحلت، ثم كمنت إلى ما بعد انتهاء الحرب التحريرية، ليتكرر ذات الاتهام في تضيق الإصلاحيين المسكينين بوازرة الأوقاف والشيوعيين من اليسار في الجزائر بعد الاستقلال على الزوايا الصوفية طوال ثلاثة عقود كاملة⁽²⁾.

المطلب الرابع: تهم الطرقيين للإصلاحيين.

1- نشر الوهابية:

هاجم الطرقيون الإصلاحيين بكونهم دعاة للوهابية، وبكونهم متنكرين لرسوم الدين المتوارثة، واستهزأهم بالذاكرين، "إن استهزاء المصلحين بشعائر الدين ورجاله فقد جاوز منتهاه، بحيث لو حاولت أقلام الكتاب وصف استهزائهم لعجزت، فقد أصبح المتجاهرون بالشعائر الدينية أمامهم مهانين مزدريين لا قيمة لهم، إذا مروا بهم يتغامزون ضدهم بالهمز واللمز، ويرمونهم بالشعوذة والنفاق والتدجيل والغباوة والتضليل"⁽³⁾.
وفي مقال آخر مبين عن شديد عداوة العلويين للإبراهيمي بعنوان "هذا بيان للناس" قال عدة بن تونس: "يريد الشيخ.... الأعرج؟.. ومن على شاكلته من العصبة الوهابية أن تسقط الأمة الجزائرية الوديدة بين يديه، وأن يكون عليا كما يحلم، إما شيخ الإسلام، وإما الزعيم الأوحده من بين زعمائها حتى يكون له التصرف المطلق في الاستيلاء على وظائفها سواء الدينية منها أو المدنية، فيسبي فيها من يختاره من العصبة الوهابية أو ممن لا يعرف القبلة إلا من جهة المشرق"⁽⁴⁾، وهي نبرة فيها نعي من الطرقيين بولوع الإصلاحيين بالتمشرق، والتنكر لميراث الغرب الإسلامي.

وقال الإبراهيمي في تعليقه على مؤتمر الزوايا المغاربية الذي انعقد في (15-3-1948): "وبلغنا ما وقع في المؤتمر الثاني بالتفصيل أيضا، حتى أسماء الحاضرين والخطباء وما خطبوا، وأنهم تواردوا على معان متقاربة في غايات الاجتماع الظاهرية وهي جمع الشمل وتجديد العهد وخدمة العلم بالتعليم، وكان من كياسة الرئيسين الدائم والهائم أن بالغوا في إخفاء الغاية الحقيقية، حتى قام طالب مأجور يعدونه من أتباع الأتباع، فذكر جمعية العلماء بوصفها القديم الذي كانوا ينزونها به، وهو أنها جمعية وهابية، وأنها تريد التسلط على المساجد لتوظف فيها أتباعها الوهابيين"⁽⁵⁾.

(1) المرشد، مقال "البصائر الإصلاحية"، ع 18 (1948)، ج 1 ص 171.

(2) يكرر العلويون ورحمانية الهامل إلى اليوم اتهام النظام الجزائري أيام بومدين بالتضييق عليهم وتأميم أوقافهم وغلق زواياهم. ومن ذلك إغلاق المعهد القاسمي سنوات (1975-1980)، بعد إلغاء التعليم الأصلي، أو اعتقال شيخ الطريقة العلوية محمد المهدي بن تونس بجيجل ثم المسيلة في إقامة جبرية. انظر محمد فؤاد القاسمي، مقدمة جريدة الروح، مرجع سابق، ص 40.

(3) مجلة المرشد، "استهزاء المصلحين برجال الدين"، ع 12 (1947)، ج 1 ص 168.

(4) مجلة المرشد، مقال "هذا بيان للناس"، ع 40 (أوت 1950)، تنبيه القرأء، مرجع سابق، ج 2 ص 11.

(5) البصائر، ع 31 (12-4-1948)، ص 1، آثار الإبراهيمي، ج 3 ص 394. والدائم هو مصطفى القاسمي، والهائم هو الشيخ عبد العي الكتاني.

2- التكسب بالجمعية وبيع الأموال.

ومن ذلك هجوم العلّوين على الشيخ البشير الإبراهيمي واتهامه بتبذير أموال الأمة في سفرياته ونزهاته في فرنسا، حيث قالوا عنه: "أنه يعيش على نفقة المسلمين، إما لثروته، وإما لمواعيده الفارغة، وإذا كان اليوم ينفق بكلتا يديه في شهواته وهواه من أموال المسلمين، فهل يتعفف غدا من أنفاق أموال الأقباس في غير ما حبست له، نعم أنه رجل بارع في التموهيات والتملص⁽¹⁾.

وقد رد الإبراهيمي بتضمين نقض تلك الافتراءات في ثنايا كلامه عما سماه التبسي بالمرض المنتج، فقال: "ولكن الأشغال ألحت في التعويق، والأمراض تبادت في الاستشراء، فقطعت البحر طلبا للاستشفاء لا للراحة والاستجمام، ولو قصدت إلى ذلك لكان لي في جبال الجزائر مهرب ورجعت بعد أربعين يوما بما كتب الله من نتيجة، فقد ذهبت استطب من مرض السكر فرجعت أشكو ألما في الحلق أجمع الأطباء على أن أصله قديم وأنه اتصل بأوتار الصوت وأن عاقبته السكات وأن دواءه السكوت"⁽²⁾.

ومن جهتها اتهمت نشرية الروح القاسمية الإبراهيمي والجمعية بالرغبة في التروؤس لكسب أموال الأوقاف وتسخيرها لأغراضهم⁽³⁾. كما هاجم العلّوين الشيخ الزموشي بوهان الذي سعى في تأسيس مدرسة بمستغانم اعتبروها أحبولة لجمع المال، وأن مثلها قائمة بجهودهم، واعتبر العلّوين بأن تهافت الجمعية على جمع الأموال ما هو إلا وسيلة لبث الوهابية⁽⁴⁾.

3- تعليم البنات.

وهي القضية التي تناولتها الصحافة التونسية في جريدة إفريقيا الشمالية للكامل بن عزوز، والتي اتهمت الجمعية بالترويج للرديلة وعدم صون الأعراض، فجرد الإبراهيمي قلمه في مقال "في كل ناد أثر من ثعلبة" وقال: "تثير هذه الصحيفة الغبار حول تعليم جمعية العلماء للبنات المسلمة في مدارسها، وترميها - إفكا وزورا- بالعظائم، وتختلق من الوقائع ما يهدي البله فضلا عن العقلاء إلى قصدها من ذلك وممرهاها، وتتصنع الغيرة على أعراض المسلمين أن تنتهك، وعن الحرمات الإسلامية أن تهان، وتستعدي السماء والأرض على جمعية العلماء لأنها عرضت الأعراض المصونة للتمزيق، وتبأكي على الإسلام حتى يوشك أن ينقلب مدادها دموعا. وكل ذلك كذب، وكل ذلك بهتان يأتفكه الشريكان، اتباعا للوحي الأعلى، واستدرازا لأجور مطففة، يتقاضياها من مصدر ذلك الوحي"⁽⁵⁾. والظاهر أن هجومات الجريدة التونسية كانت بشكاو أو احتجاجات مرفوعة من الجزائر من الجهات التي لم يرضها هذا التوجه الجديد في تغيير الحياة الثقافية للمرأة في الجزائر.

(1) مجلة المرشد، "إلى لجنة الأقباس الجزائرية"، ع 45 (جانفي 1951)، تنبيه القراء، مرجع سابق، ج 2 ص 14، وج 2 ص 20.

(2) آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 318.

(3) جريدة الروح، مقال "ما كل بيضاء شحمة"، ع 2 (06-5-48)، ص 65.

(4) مجلة المرشد، ع "مقال تهافت المصلحين على جمع المال"، ع 53 (1951)، تنبيه القراء، ج 1 ص 181.

(5) البصائر، ع 152 (23-4-1951)، ص 2، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 3 ص 383.

كما وجدنا بعض الأقلام الطرقية ترفض التوجه الجديد لتعليم البنات رسمياً، ومن هؤلاء البودليي الذي رأى بأن التعليم الحقيقي للبنات هو ما كان متعلقاً من "القيام بشؤون زوجها من الخياطة والطبخ والنسج والغزل وغير ذلك من تنظيف منزلها وحفظ فرجها وغض بصرها وتربية أبنائها وطاعة زوجها"⁽¹⁾.

وقد بدا البودليي في هذا تقليدياً جداً متجاهلاً التغيرات الكبرى التي طرأت على التعليم الشرقي للبنات منذ الصيحة الكبرى والجهد المبذول من مدرسة محمد عبده والمنار في قلب تلك الأوضاع التقليدية للمرأة المسلمة، والتي جعلت البعض يتطرف في نقضها بالدعوة للسفور والتحلل والاقتداء بالتجربة الغربية.

4- الولوع بالجديد ومخاصمة تراث الأجداد.

وهي التهمة التي ظل الطرقيون يرددونها بكون الإصلاحيين أصحاب دين جديد لم يألفه الجزائريون، وفي هذا الصدد قال عدة بن تونس: "إن الهيئة الدينية قد أصبحت مهددة بالخطر والآفات، ولم يبق من أفرادها إلا عدد قليل، ورغم تلك الأقلية لم تزل الحرب ناشبة أظفارها بكل فرد منهم لا من المخالفين للدين الإسلامي فقط، بل حتى من أبناء ملتهم الذين يلعنون كل قديم ويتشبثون بكل جديد"⁽²⁾.

ونعى على الإصلاحيين خصومتهم لحزب الذاكرين، وسكوته عن أصحاب الفجور ممن يحلق اللحي ويترك الصلاة ويسب الدين ويسرى في الفجور والقمار والتفرنج، والاختلاط في الملاعب والسينما⁽³⁾. حيث اتهم الطرقيون خصومهم بتجريد النساء على دخول النساء للسينما تقليداً للدعوة الكمالية في تركيا⁽⁴⁾، وأن عمل الإبراهيمي-الفيلسوف الماسوني حسيهم- لم تنتج إلا شدة التهافت على التفرنج والسفور والتفريق.

ومما نعاه الطرقيون على الإبراهيمي نبرته الاستعلائية وتحقيره لرجال الطرق، ودعايته بكون الطرق آلة للهدم وحزباً مخرباً، وقالت المرشد أن هذه اللغة الإقصائية شبيهة بلغة الشيوعيين⁽⁵⁾.

بل أن الروح لم تستنكف عن تحميله وزر تصعيد الصراعات، وأنه هو الذي سنّ هذه السنة السيئة في إيقاظ الفتنة والناس "على شؤونهم مكبون، وبعوائدهم وتقاليدهم متمسكون... لا شقاق ولا لعن ولا سباب ولا تكفير"⁽⁶⁾. وتعددت المقالات المناهضة للإصلاحيين في جريدة المرشد، فيكتب عدة بن تونس عن "طغيان الإبراهيمي" ويعود إلى "تأسيس جمعية العلماء"، عن جريدة "عصا موسى" العقبية⁽⁷⁾.

5- معاداة العوائد الدينية الجزائرية.

اغتاظ الطرقيون كثيراً من هجوم الإصلاحيين على الميراث الأدبي للطرق الصوفية في الجزائر، وذلك من حطهم المتكرر على أشكال الذكر والتقاليد الصوفية في الزوايا، وهو هجوم خلف تغيراً في الخارطة

(1) الرسالة الديلمية في صيانة العائلات الإسلامية، ص 15.

(2) مجلة المرشد، مقال "إلى إخواننا المهتدين"، ع 1 (أوت، 1946)، تنبيه القراء، ج 1 ص 127.

(3) مجلة المرشد، مقال "استهزاء المصلحين برجال الدين"، ع 12 (1947)، ج 1 ص 168.

(4) البودليي، إمطة اللثام، مرجع سابق، ج 1 ص 61.

(5) مجلة المرشد، مقال "البصائر الإصلاحية"، ع 18 (1948)، ج 1 ص 171.

(6) جريدة الروح، مقال "ما كل بيضاء شحمة"، ع 2 (06-5-48)، ص 64.

(7) مجلة المرشد، مقال "طغيان الإبراهيمي"، ع (47-1949)، مقال "تكوين جمعية العلماء"، ع (43-1950)، مقال "عصا موسى"، ع (45-1951).

الاجتماعية، وكان سببا في نظرهم في توسع الانسلاخ عن التدين والارتقاء في التفرنج، وفي مقال مهم يبين عن مرارة الواقع الديني الذي تسبب الإصلاحيون في خلخلته يقول عدة بن تونس: "لا أعد مبالغا إن قلت بأن استهزاء المصلحين بشعائر الدين ورجاله قد جاوز منتهاه، بحيث لو حاولت أقلام الكتاب وصف استهزائهم لعجزت، قد أصبح المتجاهرون بالشعائر الدينية أمامهم مهانين مزدريين، لا قيمة لهم إذا مروا من بينهم يتغامزون ضدهم بالهمز واللمز، ويرمونهم بالشعوذة والنفاق، والتدجيل والغباوة والضلال، أما الذاكرن لله ولا غرو إذا قلت -بلا استثناء- فلا تسأل عما يقال في جانبهم من الزور والبهتان.. ترى المصلحين يبدون أسفهم العميق على كل من ولج حزب الذاكرين، أو انزوى إليهم أو ناصرهم، كأنه مرق من الملة الإسلامية أو اعتنق ملة غير إسلامية، فتارة يرمونه بالزندقة والإلحاد، وطورا يرمونه بالهمجية والجمود.. في حين أن المتجاهرين بالفسق والفجور كاللبغاء والدعارة وتعاطي المخدرات، وشرب العقار والخمور، وترك الصلاة، وحلق اللحية، والسفور، وسب الدين والقما والتفرنج، والنطق بالفحش وشهادة الزور، واختلاط الاناث بالذكور في مختلف الحانات والولائم والملاعب والسنما، والتفرج في نساء مسلمات مؤمنات يلعبن الكرة باسم التقدم، وهن باديات الأطراف والمعاصم والنحور، سافرات الحيا والأفخاذ والشعور لا يتعرض لهم المصلحون ولو بأدنى معارضة"⁽¹⁾. نماذج الألقاب والتهم المتبادلة

الإصلاحيون	العقبون	الطريقون	الرسميون
البندير المقطع (عن العقبي) 2(الغشاشون (الأئمة الرسميين) البراحان (المفتي المالكي والحنفي) 3(لجنة وجدت مديعا)	الماسوني 4(الإبراهيمي)	الأعرج (الإبراهيمي)، الذئب الخليع (الزموشي)، المشاغبون 5(الشيوعيون، الفاشستيون)	(عن الجمعية ⁶ المشوشون) وعلمائها، الطالحون المفسدون

المطلب الخامس: الأساليب الأدبية المتبادلة بين الطرفين.

1- الشعر: وكان نصيب السبق فيها للإصلاحيين، في حين خفتت أصوات الطريقين في هذا إلا ما كان من قصائد مولدية أو مدحية، وكان الفن الغالب هو الهجاء، والجديد هو التناوب بين الإبراهيميين والعقبين، ومن نماذج ذلك قصيدة شكوى العاصمي-المسمى عندهم بالعميل الإداري- للإبراهيمي، والتي عرض فيه بمصطفى القاسمي والمولود الحافظي، ومما جاء فيها⁽⁷⁾:

إلاهي يا مستجيب الدعا ... ولا جالب اليسر للمعسر
تفضل على عبدك العاصمي ... وعرضه للعارض الممطر

(1) مجلة المرشد، مقال "استهزاء المصلحين برجال الدين"، ع 12 (1947)، ج 1 ص 168.

(2) البصائر، ع 161 (1951-6-25)، ص 1، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 414.

(3) البصائر، الإبراهيمي: "أكبر زلة تقترفها لجنة الأئمة"، ع 161 (1951-6-25)، ص 1.

(4) ومن الغريب أن ذات الوصف أطلقه البودليعي على الإبراهيمي، انظر البودليعي، إمطة اللثام، مرجع سابق، ص 2.

(5) الورثاني، الجزائر الثائرة، مرجع سابق، ص 141.

(6) البصائر، ع 160 (1951-6-18)، ص 1.

(7) آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 297.

بمال لو كان أجر الخنا ... وريح المطفف والمخسر
فما العسر إلا ريبب الحلال ... وما اليسر إلا من اليسر
فإنك يا خالقي عالم ... بأني على مذهب الأشعري
أرى الرزق ما ينفع المقترين ... وإن سرقوا المال في المشعر
بذلت لتحصيلها كل شيء ... سوى المال - إني منه عري
وما أنا في الجمع كالمصطفى وما أنا في الطرح كالأزهري
ألا هل يراني الرفاق الكرام ... أقوم وأقعى على المنبر

وترد جريدة صوت المسجد بنشر غسيل الإبراهيمي والعقبي في قصيدة شعبية للشاعر عياش البشير العمري سنة (1949) (1):

يا سايلى خذ مني ما تفهم---والباقي خليه ساكن تحت حجاب.
في عصا موسى جا خبر ليا واعزم-----ضد القطب اللي على الأمة غاب
في الماسونية قالوا دخل وخدم---ضد الأمة شوف ذا العجب العجاب
حتى الشعلة جاءت باخبرا تريم---في العقبي يوم سافر للشرق وغاب

وقد دخل الشعر الشعبي في تقييم معامع المعارك بين الفرقاء، ففي التعليق على إصلاحات ديغول المنتظرة ولجنة الإصلاحات الإسلامية، قال الشاعر بوقطاية في قصيدة (يا عمي جوني- لفرنسيس راهم ظلموني) (2) تكلم بن قانة- قال احنا ما شفنا هانة/ هذوم أعدانا- انفوهم للبرواقية/ قام التجاني-قال الصمت يا اخواني/ أنا بلساني - ولسان الطرقية/ نعطو ضمان-بلي رانا في الأمان/ يسقط بيتان-تحيا فرنسا الديغولية/ العقبي هاج وماج-قالوا اسكت يا حلاج/ دير الكوراج-براكاك من العصبية/ قام بن جلول-قال العقبي رجع مهبول/ ولى مشغول-بالأمور الصبيانية.

2- النثر: واستعمال أساليب المقامات الفكاهية والتي برع فيها الإبراهيمي في الهجوم على الطرقيين والرسميين، ومن نماذج ذلك:

أ- عن التجانيين: "يا عفریت إن كنت متألها فأسألك ...بكل دجال، وبكل محتال، من مسيلمة الكذاب، إلى البها والباب، ومن صالح ابن طريف، إلى أحمد القادياني، ومن المقتنع الخراساني إلى أحمد التيجاني" (3).
ب-صحف الطرقيين: "وإن كنت صحافيا قرأنا عليك مجلة الصباح، وجريدة النجاح، وأضحكناك بجريدة جحجوج وصاحبها الجحجاج، وأتحفناك بصحيفة الروح وما يدبرها من أرواح، وتلونا عليك السعادة والوداد، والبلاغ والرشاد، وشددنا عليك الوثاق، بجريدة الوفاق المنفقة للنفاق، الملفقة للكذب والاختلاق، وبصاحبها الملاق، المخلوق بلا خلاق، وعزمنا عليك بمجلة البدائع، وفحشها الذائع، وذكرناك بجريدة المعيار وكتابها الأعيار، وبجريدة الجحيم، وربك غفور" (4).

(1) العقون، المرجع نفسه، ج 3 ص 262.

(2) العقون، المرجع نفسه، ج 2 ص 272.

(3) الإبراهيمي، رسالة "العزيمة" التي أملاها على الحسن القادري في أفلو سنة (1941). أثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 106.

(4) أثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 106.

ج-الأئمة الرسميون: نالتهم السخرية الشديدة من الإبراهيمي في قبول النياشين الحكومية، وقال مستعيراً لغة مختصر خليل بأنه: "لا تتم المهزلة على وجهها الأكمل إلا إذا وضعت لنياشين رجال الدين أسماء دينية وعناوين فقهية، لمعان يتفاضلون فيها؟ كنيشان (إطالة الغرة والتجديد)، ونيشان (كثرة الخطى إلى المساجد)، ونيشان (التهجير للجمعة)، ونيشان (الطمأنينة والاعتدال)، ونيشان (وإن تشاح متساوون)، وتختتم القائمة بشيء خاص بأمثال العاصمي كنيشان (وقبل خبر الواحد)، ونيشان (واشترك طارد مع ذي حباله)⁽¹⁾.

كما سخر الإبراهيمي من صدور مجلة صوت المسجد للعاصمي، وهاجمته بقوة، ومن ذلك: "صوت أذن الله أن يخفض، لأنه مؤلف من غير مقاطع الحق، خارج من غير مخارج الصدق. ناشز عن مجاريه الأصلية، مندفع من غير حنجرته الطبيعية. وكما أن صاحب هذا الصوت مترجم من المالكية إلى الحنفية، ومنقول من العامية إلى الخاصية، ومن الشارع إلى الوظيفة... والمجلة التي تحمل هذا الاسم هي الأقنوم الثالث من الهيكل الذي نزل الوحي على الشيخ المفتي بوضع قواعده، على أن يكون هو نفسه الأقنوم الرابع ... وكل من الثلاثة مكمل لبقية الأجزاء، فاعل فيه، منفعل به. أو كلها زروع زرعها يد واحدة، بمحراث واحد، على ثور واحد، لتحصد تلك اليد ما زرعت في يوم ما، ويفوز الثور بالعلف و"دعوة الخير"⁽²⁾.

كما تبرز بقوة اللغة التهمكية بالعاصمي المفتي الحنفي: "إن نسبة الحنفي، تشترك في بني حنيفة وأبي حنيفة، فلينظر العاصمي أشبه النسبتين به، وبنو حنيفة هم قوم مسيلمة الذين آووه ونصروه، ومن غرائب الشبه أن مسيلمة الحنفي كان تشويشا على النبوة الحقّة، وأن المفتي الحنفي كان تشويشا على مطالب المسلمين الحقّة"⁽³⁾، وفي مقطوعة أخرى يقول عنه: "واعجبا لما يفعل الزمان! ... العاصمي ... أصبح من ذوي الأتباع؟ وإنا لا ندري أي نوع من الأتباع يريدون؟ الأتباع في المذهب الحنفي الذي هو مفتيه؟ أم الأتباع في التدجيل الديني الذي أصبح يأتيه؟ أم في المذهب الحكومي الذي أصبح يتناول به ويتيه؟"⁽⁴⁾. وعلى غرارته تهكم رضا حوحو بصوت المسجد في مقالته "حمار الحكيم وصوت المسجد"، والتي وصفها بأنها غير محترمة وأنها خاضعة لحكومة لائكية⁽⁵⁾.

ومن تلك اللغة التهمكية ما جاء عن عبد الحي الكتاني، والذي نالته سياط الإبراهيمي في مقال: "أفي كل حي عبد الحي" وغيره، ومما قاله فيه: إن في رحلة عبد الحي هذه لآيات، منها أن الحكومة أحست بإعراض من رجال الزوايا، وانصراف عما تريده منهم بطرقها القديمة، فأرادت أن تؤيد قوة القهر بقوة السحر، فكان عبد الحي الساحر العليم، وآية ذلك أنه زار كل واحد من مشايخ الطرق في داره، وأقام عنده الليالي والأيام، ونعتقد أنه تعب في إقناع الجماعة ولم شملهم، وقد سمعنا من عقلائهم عبارات التشاؤم بمقدمه في هذه الظروف،

(1) البصائر، ع 105 (1-30-1950)، ص 1، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 3 ص 123.

(2) البصائر، ع 65 (1-31-1949)، ص 1، آثار الإبراهيمي، ج 2 ص 277.

(3) البصائر، ع 58 (2-29-1948)، ص 2، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 3 ص 87.

(4) البصائر، 138 (1-22-1952)، ص 2، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 3 ص 148.

(5) البصائر ع 68 (2-21-1949)، ص 6. وانظر البصائر، ع 81 (9-30-1949)، ص 6.

والتبرم بتكاليفه في هذه السنوات العجاف، وإن ضيافة هذا الرجل وحدها لأزمة مالية مستقلة، ولو كان للجماعة شيء من الشجاعة لولوه الظهر، وصارحوه بالنهر، ولكن الشجاعة حظوظ، والصراحة أرزاق⁽¹⁾. وترد مجلة صوت المسجد بافتتاحية متهمجة "ويح الفقه والسلفية من مدعيهما:" ويحها -الفقه والسلفية- وقد سامهما كل مفلس وكل إباحي، وأي إفلاس وأي إباحية أشد ضررا من استباحة الكذب المكشوف والبهتان المفضوح، والتغليط والمغالطة الحالقين الماحقين، فندسائر منطلقك يا مشوه سمعة البصائر....⁽²⁾ ومن جهتها حملت مقالات الروح تهكما بليغا بالإبراهيمي، كما في مقال "ما كل بيضاء شحمة"، والذي جاء فيه: يدري كيف يصور الباطل في صورة الحق إذ هو من حدود البلاغة... نعم ويرى كي كيف يبرم من فتائل العنكبوت حبالا،... حمل الرجل على رجال المؤتمر الجزائري، وجلب عليهم بما له من خيل الوقاحة ورجل الكلب⁽³⁾.

ومما جاء فيه من ثلب للإبراهيمي: "الرجل يهدم ولا يبني، وأنه مثبط لا محرك، وأن هزله أكثر من جده، وطيشه أكثر من ثباته، وقوله أكثر من عمله"... ولكن الكاتب ختم مستدركا بأن للإبراهيمي بعض الأيادي على الأمة⁽⁴⁾.

وعلى ذات المنوال تناولت جريدة الروح الإبراهيمي بالسلق والنقد في مقال "محاورة مع الأستاذ الإبراهيمي"⁽⁵⁾.

3- المسرح:

وهو أحد الوسائل التي نهجها الإصلاحيون في مدارسهم ونواديمهم للتبديد بالبدع والخرافات التي تشيع في المجتمع والتي كانوا يحملون أوزرها للطريقين، فقد استغرقت المرشد من قيام الشيخ السعيد الزموشي مدير الحركة الإصلاحية بوهران من الإشراف على تمثيلية تسخر من شيوخ الطرق، ونددت بتلك الدعاية التي تهين الشيوخ⁽⁶⁾.

4- الصراعات المناطقية.

وهي نتيجة لائحة من الشحن المتبادل بين الطرفين، فإن خفت الحدة في الشرق، فقد ظلت مستعرة في بعض الجيوب، وشواهد ذلك عديدة في تلمسان ومستغانم ومعسكر، ومن ذلك قيام بعض أعوان الإدارة

(1) البصائر، ع 33 (4-26-1948)، ص 1، آثار الإبراهيمي، ج 3 ص 543.

(2) صوت المسجد ع 8 (4-29-1949) عن العقون، المرجع نفسه، ج 3 ص 258.

(3) جريدة الروح، ع 2 (48-5-06)، ص 64.

(4) جريدة الروح، مقال "ما كل بيضاء شحمة"، ع 2 (48-5-06)، ص 66-67.

(5) جريدة الروح، ع 7 (11-6-1948)، ص 179.

(6) مجلة المرشد، مقال "دعاية المصلحين"، (.....)، ج 1 ص 167. ولعل المسرحية قديمة، فقد وجدنا ابن باديس ينقد ما سماه ب"التمثيل الملعون"، ويدعو إلى معاقبته، وتعنيفه في البصائر والإنكار عليه، ومحاكمته أمام مجلس التأديب. انظر الطيب العقبي وعبد الحميد بن باديس، مراسلات وأحداث، رسالة ابن باديس في (27-6-1936)، مرجع سابق، ص 118.

وبتحريض من الطرفين بمحاصرة الإصلاح في ندرومة بل والتعرض بالسلاح للإصلاحيين، ومحاولة التآجيج للفصل الاجتماعي بين الحضر والقبليين، بعد النجاح الذي حققه عبد الوهاب بنمنصور فيها⁽¹⁾، بل إن بعض المعمرين والإداريين ممن أزعجتهم حركة النهضة، فكروا في اغتيال واعتقال معلمي الجمعية بفج مزالة، والاعتداء على المسجد⁽²⁾. وعلى غرار ذلك طردت الإدارة معلم الجمعية محمد بن عبد العزيز الهذيلي من بلدة صبرة بتلمسان لمعارضته عوائد الوعدة، واتهمه خصومه بكونه "مشوش، ابراهيمي"⁽³⁾.

واستمرت بعض المناكفات عن التغيرات الاجتماعية التي أحدثها الإصلاح كما في وادي سوف، حيث اتهم بعضهم التجانيين في قمار بكونهم مؤسسة للجوسسة والإلحاد ومعاداة الإصلاح وتفريق شمل المسلمين⁽⁴⁾.

المطلب السادس: امتدادات الصراع إلى أقطار المغرب العربي.

1- تونس:

استمر موقف الإصلاحيين غير راض على عدم جدية الزيتونة في الإصلاح الاجتماعي، على الرغم من إشادتهم بالإصلاح التعليمي والتربوي داخل الجامع المعمور وفروعه، ولأجل ذلك كانت مواقفهم متراوحة متفاوتة من شيخ الإسلام الطاهر بن عاشور⁽⁵⁾، وقد حاول ابنه الفاضل بن عاشور أن يكون جسرا بين الطرفين، ومن ذلك أنه حضر مؤتمر الطرفين في الجزائر.....، وقال لوالده أنه قال كلاما أَرْضَى هؤلاء ولم يسخط هؤلاء، مما جعل الإصلاحيين يعتبرون عليه، ويكتب الإبراهيمي بعد ذاك في مناسبة استجابته لحضور الجمعية لمؤتمر الخلدونية للثقافة الإسلامية: "وجمعية العلماء، وجريدة" البصائر" ترحبان بالمؤتمر، وترجوان له نجاحا يقطع ألسنة الخصوم، ويشرح صدور قوم مؤمنين، ويكون غيظا للحاسدين، وقمعا للمفسدين"⁽⁶⁾.

ومن مظاهر ذلك الامتداد الصراع على تمثيل الطلبة الزيتونيين، فقد كانت الجمعية تتابع باهتمام أخبار الجامع المعمور، ومن ذلك تأييدها لإضراب طلبة الزيتونة لإصلاح أوضاعهم الاجتماعية، ومطالبتهم الجادة باستكمال إصلاح المناهج والمقررات⁽⁷⁾.

وقد أدى تسرب طلبة حركة الانتصار الى الزيتونة وكثرة دعايتهم إلى انتزاع رئاسة جمعية الطلبة المسلمين الجزائريين بتونس من عبد الرحمان شيبان (الرئيس منذ 1946) إلى محمد مرزاقة ومعه عمار النجار، محمد الطيب العلوي، ومحمد عميار، ومختار قليل، وعبد الحميد مهري، على الرغم من قدوم التبسي ثم العباس بن الشيخ الحسين لاستعادة الوضع، حيث وقعت خلافات وصدامات بين الطلبة، وحتى على محمد خير

(1) البصائر، مقال "ماذا بندرومة، أمؤامرة من جنس ما دبر بفج امزالة"، ع 152 (23-4-1951)، ص 3.

(2) البصائر، مقال "إدارة فج مزالة تستفز الأمة وتعتدي على المسجد"، ع 160 (18-6-1951)، ص 7.

(3) البصائر، مقال "الإصلاح يحارب بناحية صبرة"، ع 303 (28-1-1955)، ص 6.

(4) البصائر، مقال "بلدة قمار بين الاستعمار والتجانية"، ع 287 (1-10-1954)، ص 6.

(5) البصائر، مقال "الرجال أعمال"، ع 44 (26-7-1948)، ص 2، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 3 ص 584.

(6) البصائر، ع 90 (5-9-1949)، ص 5، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 2 ص 305.

(7) البصائر، ع 118 (5-1-1950)، ص 2، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 3 ص 409.

الدين الذي شوشوا عليه، مما جعل البصائر تستنكر على هؤلاء الحزبيين حسبها⁽¹⁾. وتمادى الوضع إلى إهانة التبسي وتوتر الأوضاع مما انجر عنه انقسام الجمعية الأولى، وتأسيس أتباع جمعية العلماء لجمعية جديدة- جمعية بعثة العلماء- رأسها رابح بونار، ثم أحمد بوعروج وكتبتها العام محمد الميلي، ثم أبو القاسم سعد الله، وأخيرا محمد دريدي⁽²⁾. والتي تعرض أفرادها لهجوم من أتباع الجمعية الأخرى أيام زيارة وفد علمائي ضم الشيخ العباس والنعمي وشيبان⁽³⁾، ووصف بيان هؤلاء بأن أفرادها ينتمون إلى حزب معروف بالهدم في الجزائر. وقد دخل الزاهري على الخط، إذ أن بعض الموالين له، وهم في ذات الوقت يوالون حزب الشعب، حرصوا على منع التبسي من الدخول أو التدخل في الوضع، ونقلت صحيفته "المغرب العربي" أخبار تلك الخلافات، فرد عليه العباس بن الشيخ الحسين بمقال في البصائر بعنوان "معرض الأكاذيب"⁽⁴⁾. كما امتدت خلافات الإبراهيمي والزاهري إلى الصحافة التونسية، فقد علق على كتابة بعضهم-يقصد الزاهري- في "إفريقيا الشمالية" للكمال بن عزوز، فيقول: "ما هذه الأسماء التي تنسب إليها المقالات؟ إن بعضها خيالي، استعير للتستر، وبعضها من جراء السوء الذين ربتهم جمعية العلماء وعلمتهم وأنفقت عليهم، ولولاها لما كانوا، ولا عرفوا القلم والكتابة، ولكنهم كفروا نعمتها، وعقوا أبوتها، لفساد في الفطرة لا تقوى التربية على إصلاحه، وهي تحمد الله على أنه ليس كل أبنائها أبا قصة"⁽⁵⁾.

2- المغرب:

اهتمت الجمعية بقضايا استقلال المغرب من الحماية ونفي محمد الخامس، وهاجمت بقوة مؤمرات التهامي القلاوي واعتبرته خارجا عن الإسلام⁽⁶⁾، ومن ظاهره من علماء الطريقين كعبد الحفي الكتاني في خلع محمد الخامس وتنصيب السلطان محمد بن عرفة مكانه بحجة خروج السلطان محمد بن يوسف عن مسلك الشريعة⁽⁷⁾، واعتبرت قضية المغرب قضيتها لأنها أرحام تتعاطف، وكان الإصلاحيون وعلى رأسهم محمد العربي العلوي في المغرب قد وقعوا مذكرة بتكفير القلاوي ومن معه وإباحة دمائهم وكل من يتعاون مع الاحتلال،

(1) انظر البصائر، ع 41 (1948-6-28)، ص 3. العقون، المرجع نفسه، ج 3 ص 358.

(2) انظر سعد الله، خريف الخريف، ص 149. وحسبه فإن جمعية العلماء كانت تدفع كراء المقر منذ سنة (1949).

(3) البصائر، مقال: بيان من وفد جمعية العلماء بتونس"، ع 79 (1949-5-9)، ص 2.

(4) البصائر، ع 73 (1949-3-28)، ص 3.

وانظر البصائر، مقال: حول الطلبة الجزائريين الزيتونيين"، ع 64 (1947-1-24)، ص 6.

(5) البصائر، ع 152 (1951-4-23)، ص 1، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 3 ص 383.

(6) التهامي القلاوي (1956-1878)، باشا مراكش وزعيم قبلي، اشتهر بكثرة أملاكه واستثماراته، وكان مناهضا للاستقلاليين، ودخل في صراع مع محمد الخامس، وأسهم في إبعاده وتنصيب بن عرفة مكانه.

(7) البصائر، ع 143 (1951-2-19)، ص 1، آثار الإبراهيمي، ج 3 ص 414، ج 3 ص 418. البصائر، ع 239 (1953-9-4)، ص 1. مذكرات خير الدين، ج 1 ص 256. حماد القباج، حياة شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي، (1964-1887)، مرجع سابق، ص 235.

وجاءتهم فتوى أخرى من الأزهر مؤيدة لهم بتاريخ (18-7-1953)، وحدثت قلاقل منها محاولات لاغتيال ابن عرفة ذاته.

ونقلت البصائر تبرأ التجانيين من انخراطهم في مشروع النفي والإبعاد ومعاداة حزب الاستقلال، ونشرت وثيقة باسم مقدم الزاوية التجانية بالرباط محمد بن العياشي بأنهم يكذبون ما نسبته إليهم صحيفة فرنسية من التبرؤ من حزب الاستقلال، وأكدوا تعلقهم بالسلطان سيدنا محمد الخامس"، ولكن الإبراهيمي نعى عليهم التمسك بالألقاب والنسب الطرقية، والتجافي عن اسم الإسلام، وتقديم غيره من النسب مما لا يخدم القضية الوطنية الراهنة⁽¹⁾. ومن جهة أخرى فقد امتد الخلافات حول بعض العوائد المتوارثة في تشييع الجنائز بوجدة، وكتبت المرشد منددة بمقال في جريدة الرأي العام المغربية بعنوان "أما أن لهذه الطوائف أن تنزجر"⁽²⁾. ومن المغرب يرد أحمد بن الصديق الغماري على شيخ الإسلام محمد العربي العلوي ويحشر معه ابن باديس والإبراهيمي: "والبشير الإبراهيمي وعبد الحميد بن باديس من بابة العربي العلوي في نشر معالم الوهابية ومحاربة الحق والفضيلة باسم الدين والسنة"⁽³⁾.

خلاصات الفصل:

يمكن إبراز أهم الخلاصات في العلاقات الإصلاحية الطرقية في الآتي:

1- انتقال الطرق من المقاومة العسكرية إلى الثقافية والدينية والاجتماعية:

وذلك منذ مطلع القرن، ولم تكن كل الطرق ولا الزوايا منخرطة في الأحداث، وإذا كان عقد الثلاثينيات هو عقد العلوية، فإن الصوت في الأربعينيات كان للهامل، وبدرجة أقل رحمانية الشرق مثل الحفيظية والحملوية، مع العلم أن كثيرا من الزوايا ملئت الخصومات والتزاعات والهيكلية الفارغة وانكفئت على نفسها في التعليم.

كما ظهر منها الابتعاد عن الشرنقة الإدارية: وهو ما لاحظته الإبراهيمي: "أن الحكومة أحست بإعراض من رجال الزوايا، وانصراف عما تريده منهم بطرقها القديمة، فأرادت أن تؤيد قوة القهر بقوة السحر، فكان عبد الحي الساحر العليم"⁽⁴⁾.

وفي استفصال ما سبق قال الإبراهيمي ذاته في أعقاب مؤتمر الزوايا ومجيئ عبد الحي الكتاني: "ويقال، في جواب ما شأنه، إنه الشأن كله، ونقسم بالله الذي خلق الحي وعبد الحي، أنه لولاه لما خطر مؤتمر الزوايا على بال واحد منهم، حاشا حوارى عبد الحي بتلمسان، وهو رجل ليس فيه من صفات الحواريين إلا الصيد، وليس هو من الزوايا في قبيل ولا دبير، ونحن أعرف بالجماعة من عبد الحي، وقد انصرفوا في السنوات الأخيرة إلى أعمالهم الخاصة وساروا في هوى الأمة، وشاركوا في مشاريعها العامة بقدر الاستطاعة؛ ولو سمعوا نصائحنا

(1) البصائر، ع 151 (16-4-1951)، ص 2، آثار الإبراهيمي، ج 2 ص 420.

(2) مجلة المرشد، "محاولة فاشلة"، ع 20 (1948)، تنبيه القراء، مرجع سابق، ج 1 ص 172.

(3) الغماري أحمد بن محمد بن الصديق، الجواب المفيد للسائل والمستفيد، مرجع سابق، ص 66.

(4) البصائر، ع 33 (26-4-1948)، ص 1، آثار الإبراهيمي، مرجع سابق، ج 3 ص 543.

لتولوا قيادتها من جديد ولكن بالعلم وإلى العلم، وعلى ما هم عليه فإن القسوة لم تبلغ بهم إلى حد معاكسة شعور الأمة، حتى يعرّسوا في مآتمها، لولا هذا المخلوق"⁽¹⁾.

2- اعتدال بعض الطرق:

وبراءتها من الدخيل على التصوف، وهجومها على الدجالين، كما جاء في نقد الشيخ عدة بن تونس لمدي التسليك ممن لم يأذن لهم المشائخ المربون بأن بعضهم "دجال كذاب يعمل لمصلحته الشخصية بطريق غير شريف لا يليق إلا بمثله ممن لا شرف لهم ولا خلق ولا دين"⁽²⁾.

3- شيوع الإصلاح وتراجع دور المرابطية:

وذلك بقلة النزاعات الدينية، وهو ما نلاحظه من انعطاف بعض الطرق نحو التعليم ومنافسة الجمعية في الابتعاث إلى تونس، ومن ذلك أنموذج الزوايا التجانية بتماسين وسوف، وفي هذا ذكر الشيخ بيوض عن خليفة تماسين الشيخ محمد العيد⁽³⁾، أنه كان أدبيا وذكيا، وكان يكره البدع ويغار على الإسلام، ويدعو إلى الهوض والتقدم. وقد أرسل أبناءه إلى تونس للتعلم. وكان ينصح ويوصي أبناء الزاوية بالاعتماد على النفس وقد جلبت الزاوية الشيخ محمد اللقاني من نفطة للتدريس⁽⁴⁾.

وكذا انعطاف بعض شيوخ الطرق للإصلاح، مثلما فعل أحمد بن عثمان المقدم السابق للرحمانية الذي رفض حضور دعوة من الزاوية البوعبدلية، وكتب مقالا منددا بالطرقية المساندة للباطل حسبه⁽⁵⁾.

4- التراجع النوعي للجدل العقدي والفقي بين الفريقين:

وقد سجل مالك بن نبي نقوده للحركة الإصلاحية، وعاب عليها تبديد طاقات جبارة في الجدل العقيم مع الطرقيين⁽⁶⁾.

5- انتشار التعليم الإصلاحي والطرقي والتطوعي⁽⁷⁾:

وهي ظاهرة لافتة للانتباه، بل وانخرطت فيها الأحزاب الأخرى، حيث انتشرت المدارس المدعومة من الأشخاص والجمعيات الخيرية التي يظاهرها الإصلاحيون والطرقيون، وهي ظاهرة بشرت بانقلاب الأوضاع الثقافية، وهيأتها للثورة المباركة.

6- ظهور المنافسين الجدد:

(1) البصائر، ع 33 (1948-4-26)، ص 2، آثار إبراهيمي، مرجع سابق، ج 3 ص 543.

(2) مجلة المرشد، ع 52 (سبتمبر 1951)، تنبيه القراء، ج 1 ص 19.

(3) محمد العيد بن البشير تولى الزاوية (1336) وهو تلميذ محمد الطاهر عمارة المؤمن بالإصلاح والتغيير في تقرت، توفي (1927) وخلفه عمه أحمد بن محمد بن محمد العيد الأول الذي توفي (1978)، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3 ص 226.

(4) دبوز، نهضة الجزائر، مرجع سابق، ج 1 ص 50. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3 ص 226.

(5) البصائر، جواب عن استدعاء من زاوية بطيوة، ع 166 (6-8-1951)، ص 8.

(6) بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين، دمشق، دار الفكر، د، ت، ص 59.

(7) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 3 ص 260.

ظهر على على الساحة منافسون آخرون، وهم البيان والانتصار والشيوعيين بعد أحداث ومجازر ماي التي سكنت الذاكرة وملئت المخيال بوجوب الانفصال والاستقلال. وهو ما أدى إلى تراجع منتسبي الطرق نتيجة التغيرات الثقافية والاجتماعية والعمرانية، وقد أشار بن تونس لهذا عقيب الحرب الثانية: "إن الهيئة الدينية قد أصبحت مهددة بالخطر والآفات، ولم يبق من أفرادها إلا عدد قليل، ورغم تلك الأقلية لم تزل الحرب ناشبة أظفارها بكل فرد منهم لا من المخالفين للدين الإسلامي فقط، بل حتى من أبناء ملتهم الذين يلعنون كل قديم ويتشبهون بكل جديد"⁽¹⁾

7-التغيرات الاجتماعية:

وذلك بين الريف والمدينة التي زحف عليها الإصلاح بحكم تغير البنى الذهنية التي ترنو للجديد، والتي احتكت بالحدثة الأوروبية، في حين ظلت الأرياف مأوى للتعليم التقليدي، والذهنيات القديمة. فعلي مراد وسعدا الله يعتبران " التطورات الحديثة قد جعلت المرباطية متخلفة، ففرنسا وجمعية العلماء أخذتا منها التعليم، والمجتمع الحضري أخذ منها الاحسان وأفعال البر، واستوعبت الحياة المادية لبناء الزوايا، وفقدت هذه المؤسسات زبائنها، وهكذا انعزلت المرباطية أمام قوى الحدثة والتقدم"⁽²⁾. كما أن الفكر الإصلاحي قد انتشر وزحف على مواقع التعليم في الثانويات "الفرنكو إسلامية" وحتى في الإذاعة الجزائرية، في البرامج الدينية، كما يتبين من ردود مجلة المرشد حول سؤال التصوف⁽³⁾.

8-الموقف الفرنسي:

لاحظت التقارير المتأخرة الفرنسية ضعف الطرق الصوفية وتراجع دورها بأسباب أربعة هي⁽⁴⁾: التطور العام في المناطق الحضرية، وتطور التعليم، وظهور جمعية العلماء، ونقص كفاءة المشايخ وعجزهم عن التطور. وفي هذا يقول سعد الله: "وكان النقد غالبا موجها للطرقية دون تمييز، أي إلى الظاهرة في حد ذاتها باعتبارها مؤثرا اجتماعيا سلبيا ومعرقلا في مسيرة الإصلاح المنشود، ونظرا لعلاقة الطرق الصوفية بالاستعمار الفرنسي منذ تجريدتها من سلاحها في فاتح هذا القرن وجعلها أداة في يد الإدارة، فإن الهجوم عليها كان كاسحا بالأولوية، وحتى الاستعمار نفسه، بقوانينه وتعسفاته، لم يحظ بمثل الهجوم الذي شن على الطرق الصوفية، ولعل الهجمة في الجزائر على هذه الظاهرة كانت أشد من غيرها في العالم الإسلامي نظرا لشراسة الاستعمار من جهة وسيطرة الطرق على عقول الناس أخرى، ففي غياب التعليم وفي ظل العزلة القاتلة حكم الفرنسيون على الجزائر بالإعدام المعنوي من خلال عدة ظواهر، ومن بينها توظيف الطرق الصوفية. ونادرا ما يذكر المهاجمون طريقة بعينها إلا العيساوية ربما، فقد انفردت أحيانا لشعوذتها وهيلوانيتها ومثلها العمارية، وكذلك التجانية لغموضها وضلالتها وإلحادها على حد تعبير ابن باديس"⁽⁵⁾.

(1) مجلة المرشد، ع 1 (أوت، 1946)، تنبيه القراء، ج 1 ص 127

(2) علي مراد، الحركة الإصلاحية، ص 75. تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 130.

(3) مجلة المرشد، "من جهل شينا عداه"، ع 49 (ماي 1951)، تنبيه القراء، مرجع سابق، ج 1 ص 15.

(4) بوكسية، نفسه، ص 241.

(5) تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 4 ص 339

وفي نقد الجميع وما آلوا إليه بسبب عجز مخلفات أمراض الثقافة الإسلامية الموروثة عن الوفاء بالتحديات يقول مالك بن نبي: "ومن يومها، أصبحت استفظع ثقافة الأزهر والزيتونة التي تقتل الضمائر والأرواح واعتبرها أسوأ كارثة يمكن أن تهدد العالم الإسلامي. وحتى يعيش الإسلام أو يبعث من جديد في الضمائر، يجب تخليصه مما يسمى اليوم (الثقافة الإسلامية)، هذه الثقافة التي تلوث الأرواح وتذل الطبائع وتضعف الضمائر وتخنت الفضائل. وعندي اليوم هذه القناعة أكثر من أي وقت مضى. وليس من قبيل الصدفة أن رجلا كحسن البنا ليس في تكوينه شيء يدين به للأزهر أو للزيتونة⁽¹⁾.

وكان على هذه الاتجاهات أن تنتظر قطف ثمرتها وجهدها الهائل من قبل تيارات أخرى رافقت مقتضيات اللحظة، وسارعت إلى ركوب مسار آخر، وهو المنازلة والمفاصلة بعد فشل كل البدائل المقدمة للمستعمر، واليأس من سياساته المعوجة، وهو ما تحقق في ثورة التحرير المباركة التي انبلج معها صبح جديد، فسكت الجميع، وتورات الخلافات والجدل السالف، وانخرط الأغلب في تحقيق مشروع الاستقلال عن المستعمر.

الخاتمة والنتائج.

ليس من مكرور القول ولا من معاد الكلام أن التاريخ الجزائري بحر متلاطم الأمواج، وخاصة تاريخه الحديث والمعاصر باعتبار شساعة الرقعة أولا، وكثافة الأحداث ثانيا، وتوتر القضايا ثالثا، وهو ما يوجب السير بتؤدة وبصيرة تقود إلى أفضل النتائج وأقرب الحقائق، وبما لا يضر بالمنهجية ولا الموضوعية التي حاول الباحث أن يتوخاها قدر الطاقة والاستطاعة، فلا يمكن البتة الانفصال عن الذاكرة الجماعية ولا الشعور الجمعي الذي يسكن أي جزائري اكتوى أهله بنيران الاستعمار البغيض ولهبه الحارق لحد الساعة.

(1) مالك بن نبي، رواية العفن، مرجع سابق، ص 156.

كما أن بناء المواقف وتشديد الصورة التاريخية يتطلب الأدوات اللازمة من توفر الشواهد والشهادات والمكتوبات والأرشيف، وهو ما يزال متعسرا جمعه كله لحد الساعة نتيجة الضرر الفادح الذي أصاب الذاكرة الوطنية سواء في عهد الاستعمار، أو في عهود الاستقلال التي تحيزت في جانب منها لأطاريح بعضها معاد للهوية الأصيلة، وبعضها يجتزئ منها ما وفي بحاجاته الإيديولوجية في الراهنية التي غلب فيها.

وسيطل التاريخ الثقافي الجزائري مكنزا مهما للباحثين، وخاصة الوضع الديني، وأثر المؤسسات الثقافية الدينية في تأطير المجتمع الجزائري، فقد ظلت الفاعل الأوحى طوال سبعين سنة في مقارعة الاستعمار وتأخير هيمنته العسكرية على باقي المناطق في الجنوب، حيث قامت الزوايا الفاعلة تباعا في رفع لواء المقاومة العسكرية، إما من شيوخها مباشرة، أو مظاهرتها وتحريضها لرجال القبائل وزعمائها في عدم التسليم للمحتل الغاصب.

وعند انصرام قرن المقاومة العسكرية، ومع مطلع القرن العشرين وفجر التغيرات الكبرى التي ظهرت فيه تأثرت الجزائر-المستعمرة الهادئة- بلغة الغالبين بموجات النهضة الإسلامية الحديثة حيث ولجت إليها أفكار الجامعة الإسلامية وتأثيرات الدعوة الوهابية وأصداء الحركة السنوسية، فبدأ العلماء المحافظون بتغيير استراتيجياتهم إلى المقاومة الثقافية وركزتها المهمة من التعليم، ثم بدأت الخطوات تتسارع لاكتساب وسائل العصر من الصحافة خاصة، وعندها بدأت الأفكار تتماوج وتتلاقح، وبرزت مكتوبات ومطبوعات، وتشكلت نوادي وجمعيات، واضطرت بعض الطرق الصوفية إلى تغيير خطابها ووسائلها، وكل هذا كان تحت لهيب القوانين الفرنسية الراصدة لذلك، والرافضة لأي نهضة تنقض هيمنتها الكلية على مقاليد الحياة الجزائرية.

انتهت الحرب العالمية الأولى، وولدت تيارات متفاوتة القوة والفعل، ومتناقضة الرؤية تجاه الهوية الجزائرية، فبعضها ركن إلى الحداثة الغربية ورام الاندماج فيها، وبعضها رام العودة إلى الأصالة بتجديدية أو محافظة، وهنا تمايز التيار الديني إلى حزبين متقابلين أحدهما التيار الإصلاحى، والآخر المحافظ الطرقي.

ومع العشرينيات تميزت الوجوهات، وتقابلت المقالات، فكان الميلاد الرسمي للعلاقات الوفاقية أو الصراعية بينهما، في حين لم يشهد العقدان السابقان ذلك بسبب الخروج المنهك للجميع من أحوال القهر الاستعماري. ومع نهاية العقد الثالث تمايز الصفوف، وعنّ للباحث القول بوجود حزبين دينيين مختلفين المنطلق والمصب، وكلاهما رام الحفاظ على الهوية الدينية واللغة العربية، ومقارعة الاستعمار والتنصير والتجهيل بالوسائل المتاحة والممكنة، وهو ما مهد لإنشاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

كانت ولادة الجمعية فتحة في جمع شمل العلماء من مختلف المشارب، وضمت كتبية قوية وكتلة حرجة للتغيير، ولكن ذلك الفتح والأمل انكسر بعد سنة واحدة بانقسامها، وعودة الكل إلى معاقله، لتبدأ صفحة

من الصراع الذي بدا عنيفا في أحيان كثيرة، وقد غدته الصحف والجمعيات والهيئات المتناسلة من التيارين، وزادت الإدارة الفرنسية الأمر ضغطا على إباله، فأبعدت الشقة بين الفريقين بغرض مزيد الهيمنة والإمساك بخناق الضحايا كلهم. ولم ينصرم عقد الثلاثينيات بما فيه حتى تعب الطرف الطرقي تاركا الساحة في أغلبها للإصلاح الذي اقترح معاقلهم في بلاد القبائل الصغرى والغرب الجزائري، وبدأ يدق الصحار الكبرى، ويتوطن في الجنوب الشرقي وشمال الصحراء، بفضل الجهود الجبارة التي بدلها في التعليم وتأسيس الجمعيات والنوادي والصحافة.

ولكن هذا التيار تعرض لعقبات الإدارة الفرنسية التي ركبت الصعب والدلول لقطع الطريق أمامه، فكانت القرارات تترى لمنع رجاله من المساجد، وإغلاق مدارس بفعّل الفانون المشؤوم لشوطان، ثم بدأت تنخر الجسد الإصلاحي وتهدم مشاريعه السياسية في المؤتمر لإسلامي، وما تلاه من اغتيال المفتي كحول، وما أعقبه من استقالة العقبي وانقلاب الزاهري، وتراجع العمودي، ثم جاءت الفاجعة بالوفاة المبكرة للإمام ابن باديس.

وفي الأربعينيات وبعد إفاقة الجميع من فواجع الحرب العالمية الثانية وسكرات المجازر الدامية في الثامن ماي عاد الجميع لترتيب أوراقه وبناء مؤسساته، فالتيار الطرقي بدا عليه التعب والتراجع البين، فسكتت أغلب أصواته وعادت لزواياها منتظرة الفرج، ولم نشهد له كبير نشاط إلا في تجديد بعض الزوايا أو الاستمرار في التعليم كما هو الأمر في المعهدين الحملاوي والقاسمي وبعض زوايا القبائل والغرب والجنوب، وقلت أحفاله وتجمعاته، إلا من بعض المناشط القليلة والتي كان بعضها مغاربيًا، ولكنها ظلت غير ذات جدوى في إعادة البناء كما كان، خاصة مع بروز أجسام سياسية جديدة نافست التيار وأكلت بعض منتسبيه كما هو الأمر مع حزب الشعب وواجهته السياسية حركة انتصار الحريات الديمقراطية، أو مع حزب البيان.

وأما التيار الإصلاحي فعلى الرغم من انطلاقته الجادة في التعليم بإنشاء عشرات المدارس والمعهد الباديبي، وإطلاق عقال صحفه العتيدة كالبصائر، ووجود علم عملاق علمي كبير هو الإبراهيمي، فقد ناله الانقسام بخروج العقبي وجماعته مما أوهى من صدقيته أمام الجميع، خاصة مع المهاترات والمنازعات التي دخل فيها رجال الدين الرسميون الذين ناصبوه العداء، وراموا احتكار تسيير الشأن الديني تحت العباءة الفرنسية.

لم تنته الفترة إلا بإعادة الاصطفاف، فقد نال الانقسام الجميع طرقيين وإصلاحيين ورسميين، وظلت الإدارة الفرنسية تلعب بالجميع في قضايا الأوقاف والتعليم والحج والمجلس الإسلامي الأعلى وفصل الدين عن الدولة، وجاءت لعبة الانتخابات المزورة لتصرف البعض عن المعركة الحقيقية، وصعد نجم حزب الشعب والبيان لتنصرف الأعين إلى حقول أخرى، فقد كلّ الجميع ومل من ذلك، وخابت الوعود المقطوعة في دستور الجزائر (1947)، فتسارعت الأحداث، وانصرفت الأعين لرصد الصراع العالمي، وبدايات تراجع الإمبراطورية الفرنسية والبريطانية، وصعود قوتين جديدتين هما أمريكا والاتحاد السوفياتي مما عجل بتغيير خارطة

الأحداث، وهو ما هيا الأمر لبروز كتلة حرجة جديدة قادت الثورة وأنجزت مشروع الاستقلال الذي هيا له الطرفان السابقان.

والذي نخلص إليه بعد هذا التطواف المنقوص في واقع التيارين الدينيين الإصلاحى والطرقى ما يأتى:

-أصالة التصوف والإصلاح فى التاريخ الثقافى الجزائرى، فكلا الخطين ظلا يتسايران، ويتغالبان منذ أيام معارك الفقهاء والمتصوفة، ولم يتمكن أى منهما من محو الآخر أو إخلاء الساحة منه، وهى ظاهرة تتجدد فى كل حين، وإن كان تجليها الأكبر فى الفترة المدروسة، نظرا لشروطها التاريخية المتميزة والمرتبطة بالأساس بالنهضة الإصلاحية التى عمت العالم للإسلام منذ صحيحة جمال الدين الأفغانى والأثر الكبير لمدرسة المنار العبدوية.

-قامت الزوايا والطرق الجزائرية فى الأغلب بأداء وظيفتها التاريخية فى مقاومة المستعمر، طوال سبعين سنة، وبعد انكسارها مارس أكثرها وظائف تحصين الأمة فى هويتها، والحفاظ على ذاكرتها، وإبقائها مشحونة متوترة ليوم الخلاص من المستعمر، والقليل منها انحرف لأدوار غير مقبولة، فمارس الدجل والشعوذة والفلكور، وعاكس حركة التاريخ، وتمسك بأسمال بالية من عصور الانحطاط. مما جعل من أعماله عرضة لرمى التيار كله عن قوس واحدة، فضلا عن كون مخازيه تكئة لدعاة الفرنجة والتغريب والاندماج، بل وحتى الإلحاد الذى نظر للدين الإسلام بهذه العين العوراء التى تراه مجسدا من هؤلاء الذين ألبسوا التصوف ما هو منه برئىء.

-عسر تتبع عمل الزوايا والطرق التى أطرت الحياة الاجتماعية الدينية لأغلب الجزائريين فى البوادي والأرياف والجبال وحتى المدن، ولكن ما ذكرناه يعطى بعض الضوء عن جهودهم، والتى وإن شأنها بعض النقائص، فقد أدت شيئا من الوظيفة التاريخية فى التعليم والتربية الجماعية، ولكن قصورها جاء من ارتهاؤها لأساليب المضى، فى وقت تعسر فيه الانكفاف عن الأخذ بالوسائل العصرية، وهو ما جدّ فيه الإصلاحيون والاندماجيون، ثم أعضاء التيار الاستقلالى المختلف المشارب.

- ليست كل الزوايا والطرق الصوفية سواء فى خدمة الإسلام والوطن، فمنها ما هو فى الطليعة، ومنها ما هو فى الذيل حسب تعبير أبى القاسم سعد الله، وهو مشهود من تفاوت الفعل الطرقى تجاه المستعمر، والأمر ذاته ينطبق على بعض من التيار الإصلاحى، الذى ظل يستبطن الثورة لغاية توفر شروطها، وبعضه القليل سلك المهادنة والرضا بالواقع، وانخرط فى المشاريع الاستعمارية راغبا أو راهبا، أو سالكا مسالك التقية والمداينة.

- وفاء التيار الإصلاحى واستجابته للتحديات المفروضة، وأداؤه المتميز لشروط النهضة فى اهتمامه بالتعليم الحديث، وبناء شبكة كبيرة من الجمعيات المختلفة الوظائف، والأذرع الثقافية والشبابية كالنوادي والكشافة، مما سهل تأطير مجموعات كبيرة من الشباب تشبعت بالهوية، وكانت وقود الثورة القادمة.

- النهضة الأدبية الكبيرة التي شهدتها الجزائر طوال ثلاثة عقود كاملة، مما لم يعهد منذ قرون كثيرة، وقد أسهمت العلاقات والمناقضات في ميلاد مدونات ومكتوبات رائقة مبينة منبئة عن عبقرية كامنة في العقل الجزائري التي تفجرت بتلك البدائع على الرغم من حلقة الوضع الاستعماري المناهض للعلم والتعليم.

- توطيد دعائم العلاقات العربية والإسلامية والمغربية مع الجزائريين بفضل الامتدادات وشبكة العلاقات التي أنشأتها واجهات التيارات الإصلاحية والطرقية، على الرغم من الحصار الاستعماري في قطع الجزائر عن حوضها الثقافي، وهو ما مكن من تسيير مئات الطلبة الذين انتسبوا لجامعات الزيتونة والقرويين والأزهر، وهياً ذلك كله لمد الحركة الوطنية الجزائرية بروافد قوية مكنتها من تجاوز العزلة المفروضة من فرنسا.

- تمكن رجال التيارات الإصلاحية والطرقية من تكسير مشاريع المستعمر في سلخ الجزائر عن دينها، وهو ما أراه أهم إنجاز حضاري، على الرغم من الشنآن الذي كان يرتفع بينهما، فتلك الطاحونة الثقافية بينهما ولدت حبا صلبا نمت منه السنبال الزكية التي سقت الوهاد والنجود بالدماء المدارة التي جاء بها سيل الثورة العارمة. وما مشروع الاستقلال إلا حصيلة حتمية لما بذله هؤلاء وغيرهم في تلك السنوات الحالكات في ليل الجزائر، ولكننا عصرنا منها غيثا كبيرا، نحيا جميعنا اليوم في ظلاله، فرحم الله الجميع، وتقبلهم شهداء في الصالحين.

التوصيات:

أ- ضرورة بناء التاريخ الثقافي الجزائري من المكتوبات الوطنية والبعد قدر الطاقة عن التفسيرات الاستعمارية التي أحدثت شرخا كبيرا في ذلك، نظرا لتحيزاتها الخطيرة ضد الهوية الإسلامية للجزائر.

ب- استثمار المدونات الفقهية والنوازلية والصوفية الجزائرية وغيرها في بناء الواقعة التاريخية.

ج- الاهتمام بالتاريخ المناطقي ودراسة آثار التحولات الفكرية فيه، من أجل استكشاف الأثر الثقافي والاجتماعي في المجتمع الجزائري، وترسيخ معالم الهوية الدينية، والانتماء القومي، والوحدة الوطنية.

د- دراسة ظاهرة التحولات الفكرية بين التيارين، فمن الإصلاح إلى الطريقة انتقال عمر بن قذور، أو الزاهري، قذور الحلوي، أو من الطريقة إلى الإصلاح مثل الحسن البغدادي، محمد بن مرزوق، وغيرهم كثير.

هـ- دراسة ظاهرة الجمع بين الإصلاح والتصوف (نماذج: المولود الحافظي، محمد العيد آل خليفة، الطيب المهاجي، عبد العزيز الهاشمي، أحمد التجاني، حسن بولحبال، محمد اللقاني السائحي.... إلخ).

- و-دراسة العلاقات الإصلاحية المحافظة داخل البيت الإباضي وعلاقاتها بتمثيلاتها بين التيارين المالكيين.
- ز- إنجاز دراسات معمقة حول العلاقات الإصلاحية الطرقية في مختلف العقود التاريخية في القرن العشرين.
- ح- إنجاز دراسات كفوة في الأدب الجزائري في تلك الفترة في حقول النقد والسرد وتحليل الخطاب.
- ط- العمل على دراسات جادة لمواقف الإدارة الاستعمارية والنخبة في الشأن الديني والعلاقات مع التيارين.
- ك- استكمال الدراسة المقارنة والنقدية لتلك العلاقات وأثرها على الشأن الديني والإسلامي في جزائر الاستقلال.

الملاحق

1-دعوة جَمْعِيَّةِ الْعُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ الْجَزَائِرِيِّينَ وَأَصُولِهَا

1. الإسلام هو دين الله الذي وضعه لهداية عباده، وأرسل به جميع رُسُلِهِ، وكَمَلَهُ على يَدِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ الذي لا نَبِيَّ مِنْ بَعْدِهِ.
2. الإسلام هو دينُ البشرية الذي لا تَسْعُدُ إلا به، وذلك لأنه:
أولاً: كما يدعو إلى الأخوة الإسلامية بَيْنَ جميع المسلمين. يُذَكِّرُ بِالْأُخُوَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ بَيْنَ الْبَشَرِ أَجْمَعِينَ.
ثانياً: يُسَوِّي في الكرامة البشرية والحقوق الإنسانية بَيْنَ جميع الأجناس والألوان.
ثالثاً: لَأَنَّهُ يَفْرِضُ الْعَدْلَ فَرَضًا عَامًا بَيْنَ جميع الناس بلا أدنى تمييزٍ.
رابعاً: يَدْعُو إلى الإحسان العام.
- خامساً: يُحَرِّمُ الظُّلْمَ بِجَمِيعِ وُجُوهِهِ وَبِأَقَلِّ قَلِيلِهِ مِنْ أَيِّ أَحَدٍ عَلَى أَيِّ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ.
- سادساً: يُمَجِّدُ الْعَقْلَ ويدعو إلى بناء الحياة كُلِّهَا على التفكير.
- سابعاً: يَنْشُرُ دَعْوَتَهُ بِالْحُجَّةِ وَالْإِقْنَاعِ لا بِالخَتْلِ وَالْإِكْرَاهِ.

- ثامناً: يترك لأهل كل دين دينهم يفهمونه ويطبقونه كما يشاءون.
- تاسعاً: شرك الفقراء مع الأغنياء في الأموال، وشرع مثل القراض والمزارعة والمغارسة مما يظهر به التعاون العادل بين العمال وأرباب الأراضي والأموال.
- عاشرًا: يدعو إلى رحمة الضعيف فيكف العاجز ويعلم الجاهل ويرشد الضال ويعاون المضطر ويعيث الملهوف ويُنصر المظلوم ويؤخذ على يد الظالم.
- حادي عشر: يحرم الاستعباد والجبروت بجميع وجوهه.
- ثاني عشر: يجعل الحكم شورى ليس فيه استبداد ولو لأعدال الناس.
3. القرآن هو كتاب الإسلام.
4. السنة. القولية والفعلية. الصحيحة تفسير وبيان للقرآن.
5. سلوك السلف الصالح. الصحابة والتابعين وأتباع التابعين. تطبيق صحيح لهدى الإسلام.
6. فهم أئمة السلف الصالح أصدق الفهم لحقائق الإسلام ونصوص الكتاب والسنة.
7. البدعة كل ما أحدث على أنه عبادة وقربة ولم يثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعله، وكل بدعة ضلالة.
8. المصلحة كل ما اقتضته حاجة الناس في أمر دنياهم ونظام معيشتهم وضبط شؤونهم وتقدم عمرانهم مما تُقره أصول الشريعة.
9. أفضل الخلق هو محمد صلى الله عليه وسلم لأنه:
- أولاً: اختاره الله لتبليغ أكمل شريعة إلى الناس عامة.
- ثانياً: كان على أكمل أخلاق البشرية.
- ثالثاً: بلغ الرسالة ومثل كمالها بذاته وسيرته.
- رابعاً: عاش مجاهدًا في كل لحظة من حياته في سبيل سعادة البشرية جمعاء حتى خرج من الدنيا ودرعه مَرْهُونَةً.
10. أفضل أمتيه بعده هم السلف الصالح لكمال اتباعهم له.
11. أفضل المؤمنين هم الذين آمنوا وكانوا يتقون، وهم الأولياء والصالحون، فحظ كل مؤمن من ولاية الله على قدر حظه من تقوى الله.
12. التوحيد أساس الدين، فكل شرك. في الاعتقاد أو في القول أو في الفعل. فهو باطل مردود على صاحبه.
13. العمل الصالح المبني على التوحيد؛ به وحده النجاة والسعادة عند الله، فلا النسب ولا الحسب ولا الحظ بالذي يُغني عن الظالم شيئاً.
14. اعتقاد تصرف أحد من الخلق مع الله في شيء ما؛ شرك وضلال، ومنه اعتقاد الغوث والديوان.
15. بناء القباب على القبور، ووقد السرج عليها والذبح عندها لأجلها والاستغاثة بأهلها، ضلال من أعمال الجاهلية ومضاهاة لأعمال المشركين، فمن فعله جهلاً يعلم ومن أقره ممن ينتسب إلى العلم فهو ضال مضل.

16. الأوضاعُ الطُّرفِيَّةُ بدعةٌ لم يَعْرِفْهَا السلفُ ومَبْنَاهَا كُلُّهَا على الغُلُوِّ في الشيخ والتَّحِيزِ لِاتِّبَاعِ الشيخ وخدمةِ دارِ الشيخ وأولادِ الشيخ، إلى ما هُنَالِكَ من استغلالٍ وإذلالٍ وإعانةٍ لأهل الإذلالِ..والاستغلالِ..ومن تَجْمِيدِ لِلْعُقُولِ وإماتةٍ لِهَيْمَمِ وَقْتِ لِلشُّعُورِ وغير ذلك من الشرورِ...

17. ندعو إلى ما دعا إليه الإسلامُ وما بَيَّنَّاهُ منه من الأحكامِ بالكتابِ والسنةِ وهدى السلفِ الصالحِ من الأئمةِ، مع الرحمةِ والإحسانِ دُونَ عداوةٍ أو عُداوَانِ.

18. الجاهلونَ والمَغْرُورُونَ أحقُّ الناسِ بالرحمةِ.

19. المُعَانِدُونَ المُسْتَغْلِبُونَ أحقُّ الناسِ بكلِّ مَشْرُوعٍ من الشدةِ والقسوةِ.

20. عِنْدَ المصلحةِ العامةِ من مصالحِ الأُمةِ، يَجِبُ تَنَاسِيُّ كُلِّ خِلَافٍ يُفَرِّقُ الكلمةَ ويصدعُ الوحدةَ ويُوجِدُ للشِّرِّ الثَّغْرَةَ. وَيَتَحَتَّمُ التَّأَزُّرُ والتَّكَاتُفُ حَتَّى تَنْفَرِحَ الأُزْمَةُ وتزولُ الشدةُ بإذنِ الله ثم بقوةِ الحقِّ وإِدْرَاعِ الصبرِ وسلاحِ العلمِ والعملِ والحكمةِ.

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (يوسف:108)

عبد الحميد بن باديس بقسنطينة بالجامع الأخضر إثر صلاة الجمعة 4 ربيع الأول 1356هـ.

2- قصيدة الدين الخالص للشيخ الطيب العقبي

أَيُّهَا الْأَقْوَامُ إِن تَبْغُوا الْهُدَى مَا لَكُمْ وَاللَّهِ غَيْرُ الْعِلْمِ هَادٍ
مَاتَتِ السُّنَّةُ فِي هَذِي الْبِلَادِ قُبِرَ الْعِلْمُ وَسَادَ الْجَهْلُ سَادَ
وَفَشَا دَاءُ اعْتِقَادٍ بَاطِلٍ فِي سُهُولِ الْقَطْرِ طُرًّا وَالتَّجَادُ
عَبَدَ الْكُلُّ هَوَاءَ شَيْخِهِ جَدَهُ ضَلُّوا وَضَلَّ الْعَتِيقَادُ
حَكَّمُوا عَادَاتِهِمْ فِي دِينِهِمْ دُونَ شَرْعِ اللَّهِ إِذْ عَمَّ الْفَسَادُ
لَسْتُ مِنْهُمْ لَا وَلَا مِنِّي هُمْ وَيْلَهُمْ يَا وَيْلَهُمْ يَوْمَ الْمَعَادِ
يَوْمَ يَأْتِي الْخَلْقُ فِي الْحَشْرِ وَقَدْ نُشِرُوا نُشْرَ فَرَاشٍ وَجَرَادِ
يَوْمَ لَا تَنْفَعُهُمْ مَغِيرَةٌ وَلَظَى مَاوَاهُمْ بِئْسَ الْمِهَادُ
يُصْهَرُ السَّاكِنُ فِي أَطْبَاقِهَا كُلَّمَا أُحْرِقَ مِنْهُ الْجِلْدُ عَادَ
وَكَلَّ اللَّهُ بِمَنْ حَلَّ بِهَا جَمْعَ أَمْلَاقٍ غِلَظٍ وَشِدَادِ
أَكْلُهُمْ فِيهَا ضَرِيعَ شُرْبِهِمْ مِنْ حَمِيمٍ لُبْسُهُمْ فِيهَا سَوَادُ
كُلَّمَا فَكَّرْتُ فِي أَمْرِهِمْ طَالَ حُزْنِي وَتَغَشَّانِي السُّهَادُ

أَيُّهَا الْأَقْوَامُ إِن تَبْغُوا الْهُدَى مَا لَكُمْ وَاللَّهُ غَيْرُ الْعِلْمِ هَذَا
إِنِّي أَنْصَحُكُمْ نُصَحَ امْرِئٍ مَا لَهُ غَيْرُ التَّقَى وَالْخَوْفِ زَادَ
كُلَّمَا يَنْقُصُ يَوْمًا عُمُرُهُ خَوْفُهُ مِنْ هَوْلِ يَوْمِ الْحَشْرِ زَادَ
مَا زَرَعْتُمْ فِي غَدٍ تَلْقَوْنَهُ لَيْسَ يُجِدِي نَدَمُ يَوْمِ الْحَصَادِ
أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ مُعْتَقِدِي يَبْتَغِي مَيِّ مَا يَحْوِي الْفُؤَادَ
إِنِّي لَسْتُ بِبِدْعِي وَلَا خَارِجِي دَابُّهُ طُولُ الْعِينَادِ
يُحْدِثُ الْبِدْعَةَ فِي أَقْوَامِهِ فَتَعُمُّ الْأَرْضَ نَجْدًا وَوَهَادَ
لَيْسَ يَرْضَى اللَّهُ مِنْ ذِي بِدْعَةٍ عَمَلًا إِلَّا إِذَا تَابَ وَهَادَ
لَسْتُ مِمَّنْ يَرْتَضِي فِي دِينِهِ مَا يَقُولُ النَّاسُ زَيْدٌ أَوْ زِيَادُ
بَلْ أَنَا مُتَّبِعُ نَهْجِ الْأَكْلِ صَدَعُوا بِالْحَقِّ فِي طُرُقِ الرَّشَادِ
حُجَّتِي الْقُرْآنُ فِيمَا قُلْتُهُ لَيْسَ لِي إِلَّا عَلَى ذَلِكَ اسْتِنَادُ
وَكَذَا مَا سَنَّهُ خَيْرُ الْوَرَى عُدَّتِي وَهُوَ سِلَاحِي وَالْعِتَادُ
بِذَا أَدْعُو إِلَى اللَّهِ وَلِي أَجْرُ مَشْكُورٍ عَلَى ذَلِكَ الْجِهَادُ
مِنْكُمْ لَا أَسْأَلُ الْأَجْرَ وَلَا أَتَبْغِي شُكْرَكُمْ بَلْهُ الْوَدَادُ
مَذْهَبِي شَرْعُ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى وَاعْتِقَادِي سَلَفِي ذُو سَدَادِ
خُطَّتِي عِلْمٌ وَفِكْرٌ نَظَرِي شُؤُونِ الْكَوْنِ بَحْثًا وَاجْتِهَادُ
وَطَرِيقُ الْحَقِّ عِنْدِي وَاحِدٌ مَشْرَبِي مَشْرَبٌ قُرْبٍ لَا ابْتِعَادُ
لَا أَرَى الْأَشْيَاخَ فِي قَبْضَتِهِمْ كُلُّ شَيْءٍ بَلْ هُمْ مِثْلُ الْعِبَادِ
وَعَلَى مَنْ يَدَّعِي غَيْرَ الَّذِي قُلْتُهُ إِثْبَاتُ دَعْوَى الْإِتِّحَادِ
قَالَ قَوْمٌ سَلِمَ الْأَمْرَ لَهُمْ تَكُنِ السَّابِقَ فِي يَوْمِ الطَّرَادِ
تَنَلِ الْمَقْصُودَ تَحْظِلِ بِالْمَتَى وَتَرَى خَيْلَكَ فِي الْخَيْلِ الْجِيَادِ
قُلْتُ إِنِّي مُسْلِمٌ يَا وَيْحَكُمْ لَيْسَ لِي إِلَّا إِلَى الشَّرْعِ انْقِيَادُ
قَوْلُكُمْ هَذَا هُرَاءُ أَصْلُهُ مَا رَوَتْ هِنْدُ وَمَا قَالَتْ سَعَادُ
أَنَا لَا أَسْلِمُ نَفْسِي لَهُمْ لَا وَلَا أَلْقِي إِلَيْهِمْ بِالْقِيَادِ
لَسْتُ أَدْعُوهُمْ كَمَا قُلْتُمْ وَقَدْ عَجَزُوا عَنْ طَرْدِ بَقِيٍّ أَوْ قَرَادِ
لَسْتُ مِنْ قَوْمٍ عَلَى أَصْنَامِهِمْ عَكُفُوا يَدْعُوْنَهَا فِي كُلِّ نَادِ

كُلَّمَا أُنشِدَ شَادٍ فِيهِمْ قَوْلَ شِرْكٍ ذَهَبُوا فِي كُلِّ وَادٍ
كَمْ بَنَوْا قُبُورًا وَشَادُوا هَيْكَلًا وَصُرُوحًا غَيِّ الْجَهْلِ تُشَادُ
غَرَّهُمْ مَنْ دَاهَنُوا فِي دِينِهِمْ وَارْتَضَوْا فِي سَيْرِهِمْ ذَرَّ الرَّمَادُ
إِنِّي أَلْعَنُهُمْ مِمَّا بَدَا حَاضِرٌ فِي إِفْكِهِ مِنْهُمْ وَبَادُ
وَأَنَا خَصَمٌ لَهُمْ أَنْكَرُهُمْ كَيْفَمَا كَانُوا جَمِيعًا أَوْ فِرَادُ
عَلَّمُونَا طُرُقَ الْعَجَزِ وَمَا مِنْهُمْ مَنْ لِسَوَى الشَّرِّ أَفَادُ
طَالَمَا جَدَّ الْوَرَى فِي سَيْرِهِمْ وَهُمْ كَمْ صَدَّهُمْ طَوْلُ الرُّقَادُ
إِنَّ سَادَاتِ الْوَرَى قَادَتْهُمْ بِعُلُومٍ مَا حَدَا بِالرَّكْبِ حَدُ
وَهُمْ رِدِّي وَعَوْنِي نُصْرَتِي وَوَقَائِي مَا اعْتَدَتْ تِلْكَ الْعَوَادُ
تِلْكَ السَّادَةُ مَا صَدَّهُمْ عَنْ هُدَى دِينِهِمْ فِي الْحَقِّ صَادُ

فيمز الاستفراك

٥٠	في القطر الخوازي عن سنة
٧٠	عن نصف السنة
٩٠	في تونس والشرق وطرالمس
١٠٠	في سائر الأقطار

الاصحاحات

يخلق في غناها مع الأديان

المريض

El-Merçad

المطبات

محررات: د.احمد عيسى الطويل

• محمد اعباسه الاغصري •

صاحب اختیارغا

جو کلا ری محمد الشریف

هــجـ عـصـاـفـاـلـمـ تـ فـيـ الجـزائـر

2. New Address — Address

الجزء الثاني — مجموع النظم والاشعار

« بهمن ماه و شبه ملیه العلاجه عصر کای یوم الجمعه »

الطرائق ٩٢ و٩٣ لسنة ١٩٧١

بسم الله الرحمن الرحيم

في راحة الشعب، استعصر في حاضنه الله
 علم اليقين في سر حقيقته، ان هاتين الرعايتين
 طلاقاً ما شجعتهم على عيوبهم في اربعة اشهر قبل
 من انتهاء تلك العاشقة والناموس. وفي القليل
 من بعد انقضاء الرعايتين من شعب هذا خليج
 من الحياه، والاعمال يقضي من صفوف الملتحقين
 طلاقاً، الله به يعلم، من الملحق في الامم
 طلاقاً، تلكه تلك القاريه ان بعد ليله الله
 في ارضه في العمل ان يدرج في باقي الخبير
 من حينه الله على عمله.

الحق لله والحق لله والحق لله

وتجاهلة لتدرك المحكمة ولائها
أن «المصادرة» ظريفي القرن الثاني من احتلال
قوة الجمهورية للظفر العرشين. وبهذا
في سنة ١٩٢٥ عندما كمل واحد وأطلق يد يمد
بصورة الحكام المستقلين وإن ساحة الأعمال
أن تشير على ما كانت تطوي في القرن الثالث
في توجيه العناية الخاصة للأوضاع الوطني للمدن

ولا يستطيعون حالت هذه المديونة من الذين
ون بعدة رموز إلى رجال القوميين لأحرار
على ما بعد التحرير هذه المديونة لعدم
من قبله واهتمام على العمل التابع ولا يتألف
تتبع الحكومة بهذه الشعب فيجب عليها
الإصلاح ولا يقدر من جانبها سوى الرقابة
التي

بحسب لامة الى الاجماع طبق ما يدر به
الام والمجودة بربها الحق
يسمو لامة الى احياء الله الحرية وكثيرا
الحرية، شتيه الدلائل المتتالية في
مدينة زينة عارة الجبل القلار
بالحو لامة الى الصلابة الفلاح حتى صبح
الافاعي الى بلاء الفلاح الفرنسي فسد
به الجوازي بدماءه واغوى القادة عواما
يسمو لامة الى حبه وبعث الصحيح وعلفها
حي حتى تصعب امة لامة الى من على الكتلة
المستعمرات وتخرج من كتلة الماريف
فها حطقت القطار العام

والحكومتين على علم من الله الإلهاميتين
تؤمن به الأرض فساد ليس لهم من الدين
ساحلي لا لا قتال بينه
بعضه الآخر إلى نفس السوء الفاحشة والحركات
الزعماء التي أصبحت تحت طاب الأمانة مقدرة
دين الإسلام وهو بهذه بها بعد الفروا من
أول مرة تروا مدبرة من الدول الإسلامية
على الاسم الإسلامي الذي أعاد عليها الحق
من بعد أن تسيبوا بقواعدهم هذا الذي
قد به كقولهم ولتؤمنوا

أم الذين اتلوا فيه سطرا سطورا
 على الحقائق ولا يروا، ثم اتوا الشك السلم
 فبنت العارضا بمنتهى في كل زمان ومكان
 في القرائن، وهو لطم حياء وقرى وهما
 في المراءى في جميع العارضا قريبا وسما
 هو روم عفا وقفا، ولا هو هوى وبها
 في إلى منحة القرائن في حكمة راسخ
 يصفى في الرضاء، الموض في التعمدات
 امة كما يصفى، المفاضات القرائن في لؤي
 التردد بين الاستغاب ليا لا يقع لآدميا

يكون في الدنيا. والرسالة التي أتتكم بطريق العلم
صالحات الطوائف العارضة، حتى بين الأمة
التي لا تأكل ولا تأكل حتى في القلوب ما تشاءه
من من العلم. وما تحتاجه من العلم. وكما
يعني في ذلك سوء التفاهل بين الأهل واليهود
يرى حتى يعيشوا حياة حرة من القلوب
التي لا تأكل ولا تأكل.

[illegible]

أخيه عليه من أولى المجتمع الإسلامي
أخيه عليه أفاضت عليه من أولى المجتمع الإسلامي
أخيه عليه أفاضت عليه من أولى المجتمع الإسلامي

[illegible]

من الاعراف تأسيس الشارع المهمة الخاصة
لكل كاتالان على قانون جميع العلماء المسلمين
هذه بما رجا، والاعانة على قوانين الجيوش
التي تعلم من يتكلم من البلديات
تية هذا كما يشترط المسلم العربي من لا
عزامة مع كاتالان المسلمين على لا كاتالان
على صالها وما يليها عند القوانين الدولية

من السعادة لأنح من جانيها، وبما القابل
منه من سعادته.

هذه حقا، جزائركم «الزواجر» أيضا التي
تدعوكم إلى أن تكونوا من الذين يمشون في
الطريق المستقيمة ولا يسهوا عن الله تعالى
واللهم بالانحاض ثم القية التي تيك من
الأمور العظيمة الشريفة والكرام المحمودة
والتي أفضى لك الله تعالى العزيز الذي
ذلك بكل ما يهديك عليه الإيمان الحق
والله اعلم ما لا يحيط به العقول ولا يعلمه
منه إلا أن تقوم طريق الله الذي يفرق
الخير

أراد أن يفتح في الصلاة، فلما نادى: «الله أكبر»
 به نادى معه المذبح في هذا القول
 عن الثالث: عواصي الآلة ومع الآلة في من
 أوجب الأوصاف لهم التمييز من جسد التوقيع
 مثل هذا الوجه وأن يحسنوا فهمهم للفرقة
 من حيث شمس الله في قال: «يعلمون خبر الله»
 عن قول الله: «الله أكبر» وهو من
 ذكر بولس بن تقي وأخيه
 قال: «الله أكبر» التي رمت إلى ما يحسبها
 صاحبها قادراً في ميل العبادية وكذلك التمام
 لأن مقام الله بالبرهان والحق من المصطفى
 في الله أكبر

وكان يلقى الآخرون والمعرفاء المأهولون من
العلماء فكانت تلتقيهم خلف حجاب على حدة على حدة
لكنهم كانوا يسوقون على شياطين الشياطين
التي لا يرى إلا الأمان ولكن قسامة الباطن والعمية
محيطة وشدة به يظن له وإن على شامخة
العلماء المأهولون الذين يكتبون ما يجدون
فردا يظنوا ويظن أن الأمان والعلم الباطن
يطلب الباطن ولكن قد أعمى مستحيلا من علمنا
العلم المأهول قسامة الباطن من الزمن مبدون في
قوة السكونة من قسامة الباطن والعمية
العلم المأهول قسامة الباطن والعمية

والطبيب اذا جرى ذكر يوم من مير السلف ما
عنه فليذكر على كل حقه كمال واجب واداء على ما
الواجبات البينات المتعددة من دستور والكتاب
حتى ينفذ الاشارة على هداية الصناد. ويمكن
الاطراف في مير السلف انه يصير أشد من شروط
بعضه وبخاصة الاجابية الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر. فلو ان هداية تشترط ولا رعاية ثبت لا
ما اقول الله رب العالمين وعلمكم الله

وقد تهم صكك من الجاهلدين والفرجين
تأين إلى ضرب جاحر يلعب يده مزين
بأنه كليل تدبها ولا نظر بصرها على الهداية
لا يشاء واستناروا من يد المسموم ما دولته لهم
تأين العيلة

تلقوا ما شاء الله وقابلوه وقالوا انما نحن الذين
 نريد ان نطرح الدماء ونستعيد الهداية فلا سبيل
 لنا الا ان نطلب ما نحتاجه ونطالع ان الدماء

EL-IKHLAS
 (LA LOYAUTÉ)
 Revue Modérée d'Union Franco-Indigène

الاشتركاك
 في إفريقيا الشمالية : عن سنة ٥٠ برنكا
 عن ستة شهور - ٢٥ برنكا
 في الخارج : ٥٠ برنكا
 الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة



لسان حال جمعية علماء السنة الجزائريين

المكاتب ترسل باسم المدير
Omar SMAIL
 9, Rue des Abderames
 Téléphone 48-13
 ALGER

Chèque Postal : 137.77
 تصدر يوم الاربعاء من كل اسبوع

مجلة علمية دينية ارشادية . اخبارية يحررها نخبة من العلماء العالمين المعتدلين . في (عاصمة الجزائر) تحت اشراف
 الاستاذ المولود ابن الصديق الحافظي الازهري . وادارة السيد عمر اسماعيل

الاخلاص في ثوبه الجديد

بسم الله الرحمن الرحيم

الاسباب التي يسرتها لنا اولا واخيرا على قدر الجهود والاخلاص
 فيها لكي تبرز هذه الطريقة «الاخلاص» في ثوبها الشيب
 تسر الناظرين وتغذي النهضة الجزائرية بما تحمله من روح
 الاخلاص في القول والعمل . واننا ما توصلنا الى هذه الغاية
 من الاتفاق في حجم الجريدة وموادها وبكرتها الدينية
 العلمية الا بفضل الاخلاص في جميع حركاتنا واننا لانالو جهدا
 في المضي في هذا السبيل الذي لا بد فيه من جهود وتضحيات
 حتى نبرهن بطريقة عملية على اننا ما سميناها بهذا الاسم
 الشريف الا على تبة جعل الاسم مطابقا للمسمى من جميع النواحي
 واليكم ايها القراء الكرام جريدتكم (الاخلاص) في
 ثوبها الجديد وتخذوا من روح ليجتها الصادقة ما يشجعكم
 على معاضدتها المادية والادبية كي تقطع في وقت وجيز جميع
 المراحل في سبيل تدرجها في سلم الرقي الى ان تحتل المنزلة
 اللائقة بمقامها وتترزى بذلك ارقى المجلات العربية الدينية
 فتكون بذلك قطب رحي النهضة الجزائرية وتساهم بشطرها

اللهم نحمدك باسمي ما حمدك به رسلك والنبياؤك والاولياؤك
 واصحابك على ما جدت وتوجد علينا بالهداية الى محبتك
 البيضاء واتارة طريق العمل امامنا . ونصل ونسلم على سيدنا
 ومولانا محمد رسولك الاعظم الذي بعثته رحمة للعالمين ونبراما
 تستضيء به المجموعة البشرية في حياتها الثانية التي هي دار
 الجزاء عن صالح الاعمال في الاولى . اللهم اننا نقدم اليك
 بما هو مهروض علينا من ذلك لاطلعا في جنتك ولا خروا
 من نارك واننا نستتر يدك العون على المضي في سبيل العمل
 الخالص المشمو الذي لا تريد به الارتفاع مستوى هذه الامرة
 المحمدية حتى تفوز بما قدرته انت من السودد والعيش الرغيد
 والعبور برضاك للعالمين الصالحين في هذا الكون العظيم .
 وكيف لا نستتر يدك الهون وقد عودتنا من ذلك ما بعث بيننا
 روح العمل في بداية حركتنا الى ان بانقنا - ولبك الحمد
 والشكر - قمة النجاح في مسعاها واخذنا اليوم في استعمال

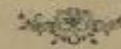
العدد ٥ - مسكرا يوم الجمعة ١٦ ي القوم سنة ١٢٤٤ (نفس السنة ١٢٤٤) الموافق ٢١ ماي سنة ١٩٢٦ - السنة الاولى

محل إدارة البريد في ميج روريت إسكوت
للرسائل

الرسالة الخامسة عشر في بيان ما ينبغي من التوبة
والاستغفار

علي مرسى العيسى

ولا تروا الامم عليها غلبت او امر تنقسم



Directeur-Gérant :

Okbi Ali Monsseu

نصارى الحب الوطنى والآباء

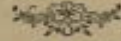
—

لا تدر، ان كان

من الطوائف والقبائل والمجتمعات	١٢	عرب
من قبائل العرب	١٣	عرب
من قبائل الشمال	١٤	عرب

الاعلانات

يتفق معنا مع كتابه



EL-HACK

Rue Nozette, 18

BISKHA (Algérie)

روز بروز اربعه من کی استوع



بسم الله الرحمن الرحيم

(جوهر الرسائل)

حابيه اب بعثت بالمرسل
 و اجعلنا من اهل الجنة
 ان الله لا يهدي القوم
 الضالين
 و اجعلنا من اهل الجنة
 ان الله لا يهدي القوم
 الضالين

[illegible]

1990

[illegible]

كل فرد من مرض الوباء
والنفس والوطنه وامامه الكلي
بالايد والاطمئنه جتفه
لا ياهو وعده اليوم هذا اقرب
من العبد وما يكلمكم كبير عباد
الوحى لا تروى قول كل ما تظنونه
من العاده كما شاهد ذلك منهم
صابعاه رجل استرمدونه
منهم والغير مصالحتهم والحرى
كل من له نصيب

إلى الرؤساء الروحانيين أو شيوخ الطرق

[illegible]

ايها الابناء! انكم تعلمون ان
 الخمر التي شربتموها اعتدلت
 واذ انتم قد تغفلون على ما كنتم
 ابداءا من منى، اياكم نكال
 واذ انتم تاتيتموه بالامم
 وشربوا من منى، انكم
 لا تعلمون انكم
 قد اخطيتموه بالامم
 واذ انتم تاتيتموه بالامم
 وشربوا من منى، انكم
 لا تعلمون انكم
 قد اخطيتموه بالامم

انقص على كل جرسى على
 وعرفان زمام عاهد المسلمين يد
 وساندوا اهل الطرق وان
 حرد صلاح لامتثال اصادها
 انصاركم لحدية تلك فضل الله
 وتيم من يشاء ان تاتي آياتهم
 ايجاد هم الذين اطاعوا الله فاجابوا
 هم كل شي بصلاح واصحابوا
 تلك ملوكوا رباب السوارو
 ارحمهم بنوا المساجد والزوايا
 واصحابوا العلم وبنوا كلياتهم
 اور الفقراء والمساكين وملكو
 القرآن والشعر وبنوا كازواجر
 وبنوا الاجل حتى صارت اشهرهم
 بدمعة الاخوان ورحمهم الله
 وحلفهم خلف لم ترعهم الا ان
 الا الانسب آياتهم والاجتار
 بكل آبي لعلوا ماشية لاداء
 وتركو العمل انكلا على الآباء
 تلدا برعهم

الشهاب وتأثيراته السيئة على الوطن

ظفرت هاته الصحيفة بذلك الاسم المشتهر منه ان تقابل الناس بمكنى
حسون الاسم ويثيرها مقدما من قول من يقول ان الامية تأثرت في سلبها
لاحتلال ان لا يكونوا الشقاق مطردا ، وعلى كل حال لم ينفع من حسن
القول القدر الذي اقيم ليتم الامال على سلوك هاته الصحيفة شغل من
يريد الحق لانه لا يلقى مثلها الجدية الا يكمل الحق وصنع الطريقة
عصمنا شرع المسئلة في شبه هذا القول الصلح لما يبعد اليها من
الم اعمال التي من شائلا لا تخرج مما يجده في الاثمة من حسن الروابط
وطريق في الحصول على تلك الغاية وهكذا يجب كل ما من شأنه ان يثير
زادنا عملا بقله تعالى (ولا تسلموا لغشوا وتذهب رصعكم) وكل هذا
لا يبع الصحيفة ان تترك في الجزئيات ما قد يفرق الكل والجل على
بديهة حسنة بالظفر لاحكام الشرعية فيكون لها في تغيير الفكر من الثبات
ما يفتيا من تبع ما يخفى من عورات المسلمين واخرى ان تعدد الصوف
من املة كما قلعت هاته الصحيفة ان تستلم حسيا يترامى من خلال
الحدود والاختلاف الذي نحن احرص اليه من احيائها لا تفاد الصوف
لوتزويله من املة وما ذا من سلبه من سلوك هذا السيل القوي
استكثر من سوء العقيدة بلسان الصالح وضف الحق بما وصل اليها من
الفتن والفساد . ولكن كل من فرق الا وهو يبعد السند
في مذهبه . ولو علم ان في سنده ما يجرح مقوله ما اتخذ سندا
وهل ترى انه من السهل ان يترك الاشياء بين ما يبعد لكن
تا بعد الناس . ان ليس من الجور ان يرم القبيح بجهاد آخره الدخول
تحت الشبهة . فكا هذا لان للناس لهاته الصحيفة رأيا له يرمي الى هاته
القائمة وهي الشرايع الناس من حيث قد في الصوف لما اعتلوه هو عقيدة
لنفسه بعد ما شاب على القبيح . وهكذا يستطيع الانسان (وهو اير
الصحاب) ان يظن في عقيدته شبه الله في ذاته . ولا يلبث فيها يخلص
الرجل في حد ذاته . اما الذي لربما يرجع غشاه هو القديح من
الافتدح اليه من بين الكتب لسلكه مع رؤيته ما في كتابه هذا الرجل
من الاعجاب الصبيح والظفر القوي الذي لا يصحح للسائل منه
اكثر من انه مغرب عن ارادة صاحبه من سكونه يريد البيت بقول
الكتاب زيادة على جهه بالعلم . زاده لمسكنا لم تصادم عارلهم
في مرسح صبيته ليشترق جانيه ضحكوا وامعجا بذلك الصبيح الذي
لم يبدعه اليه غيره . . .

هذا وقد جرت المحدث لغير ما ترجسنا له من سكونه جريدة
(الشباب) دبت تقريبا في المنع الى ان اعددت كقولها تأتيا سدا
في الروابط القوية والافروا القديية . وهو الامر الذي لا ينكر وجوده
الصنف ولا غير الصنف ايضا الا اذا كانت شيئا لغو جدير بلهيب
المقينة . وعلى كل حال رجاءنا في انه جليل ان يلهم صاحب هاته
الصحيفة من الرشاد القوي الذي يستطيع ان يندرك به الامر قبل تفاقمه

المذاهب . وهو دقيق طيبة . ولصيق . قسه في قلمه بقوده . وبقفته
وقوده . واخراده . واجتاعه
(البلاغ)
غير غشي في كون الفسك من غابة العمر الماخضر . وهل لا
يستطيع كتابا البناء على ما اعتبه هذا الكتاب الجليل في مسكنا به
ذات الهيئة القوية . والقيمة القوية . ومن اين لا يخله لا انت
يشاء الله

الجامعة الاسلامية

(نظرات القلوب)

انا لا احب انت احب اعدك قس من قس . ولا احب ان اعدك
الناس عدا
انا سلم قبل كل شيء . اي قبل ان احسن وطها او ساجيا او
بجسا . بل قبل ان اكون لسة حية في هذا الوجود
لو طعت انت . ما وب هذه الدنيا ولما احيا لا عمال الا يرك
شيرة من شائر الدين او البشر فبرقة عن فرائضه لطفعا واجتبهها
ولطعت بدى معنا وقتلت لها كما قال لها علي بن ابي طالب من قبل
اليك عن خري خري ما في بك حاجة
لو لم يكن من الامر الا ان اخرج من دارك فارح دنيائي او اخر
دنيائي فارح ديني لا تزلت اخرجها على اولاهي الا في العلم الي اشد
حسرت ديني قد حسرت كل شيء
لو طعت انت . القوية وهو اقل ما حصل امره بن جنينه من
خلال الخير تعرض دونك طريق الى اخرى . او قد حسنا ما بيني
وبينك ري خرجت معك اخرج من ردي . ثم خلعت الى شقة من
شعاف الجبال او غرة في منقطع الغمران اعطى فيها بنس من حيث
لا احسب دماء ليرد دماء القتل . او زاده غير نداء الله حتى عين
حين ويضئ اهل
ما ايفقت في حياتي شيئا يخلصي للكدب والقراء . قلنا ان الكون
سلا . فها هو دين الاسلام . وهذه ربه وقيوده . وصلااته وطها
لا يذيق الناس حشقة . واهلته لم اسرى . حتى يخلص من اسر
قس حتى ما علم منها
انا لا احداث في ذلك من قس خاصة بل من المسلم من حيث
كرهه سدا . اي معذرا بالله وسبوا له ويعد . وتوا به وطها
معتقد ان الحياة الدنيا غير الى الحياة الاخرة . وانه حساب في
اخره حسابا غير يسير على فرط ما اولاه . وان الله لا يقبل منه في موقف
الحساب من المصاير الا ما ارسل له فيه او دفعه من موته فلا
سبل له الا ان تلبس ثوب الاسلام . مطا . لا خاف ولا مرتيا . ولا
متعدرا ولا مستكبرا . ولا محظنا بقول اليسير او اليسوي له انت
متعب . ولا يقول المظلم او الجاحد انت تحرق . قد ليس مصيا بل
منسكا . ولا عرقا بل مستغنا . وان يعرف به جيرة في جميع مراحل
ومواقفه لا مصيا ولا عيلا . وقد اعتنى عبد الاسرار والاغلا من
تاريخ ذلك اليوم الذي اسلم فيه عمر بن الخطاب فتى الى السجدة
المطام حيث يجتمع كشار قريش واعل فيه اعلامه بن هياجه وتشم
ثم سر يرحع ابراهيم وقسامه بابا بابا . فاذا قصصا له حديثهم من
اسلامه فغفروا اليه في وجهه فيقا وحقا

النسك غير الصب . وقهاوت . غير الصباغ . وليس كل منسك
مصبا . وانت النسك مخالفة المرء على العمل بارامر الدين وتوا فيه
والصب يندع لحالته في دينة يشا يصد على عارلة النسكاية بهم
والصيت يا ستن من دماغم . ومان من اعراضهم واسوا لهم . وليس
كل متعاون متساعا . لان التعاون ترك المرء العمل يا قرض الدين
عليه ان يضل او يراق . وهما سحكاؤا من خلف الخالين له . بحيث
لا يند تلك القرى الدية التي يته ويديم ربة الى بنهم او ما خلفهم
لو نصب القرائل لم . او سدا سيل الفيش في وجوههم
ولقد اجرت الاراء والمذاهب مطرها ومروا . وسطيها وسويها
علم ار راي اضعف حية ولا اجد سبلا من راي الذي يقول ان
الدين لا يجر ان يجاور ربة السجدة . وكذا يستطيع السلم انت
فقد . بقسه عن دية في موطن من المواطنين . او مذهبه من

التعاليم الاسلامية

قد سكتنا قدما في العدد القارظ ما يعلق بالصالح الاسلامية
والآن نقول :

لا يكون بالمسرب لدا قلنا ان القريين من اعل لردا عموما
في حابة الكيدة للاعتلاج على ما تضمنه العالم الاسلامية من العقائ
الزامية التي تكل جهرية ايجابية بجهة الحق . وعلى ذلك السواد
لا عموما لردا
اذا انة قرا لا تكل حابة على غيرها ان لم تكل ان العاجة بها
انس . وذلك لاسباب اهمها كون جمهورية فرنسا يتألف بسما من
خاضع يبلغ يجمع عدهم الى نحو التسعين مليونا . ومن بين هذا
العدد للمل عليه نجد ما يزيد على النصف من دين بالاسلام عانها
لصالحه . ومما اثيرنا هذا العدد خبري الرجود فيها فتركب منه
مادية لجمهورية الفرنسية والبرنوا كما تحترق هي ياته الحق من كونه
بوا لا يتبرأ سكان حشيا بل توضع فيلقيا باقدر الذي لقدمه
في غيره من بقية ايمانها المحليين والفرود لقرها . والا لسان الجميع
على غير المظان لان قاول الحق بين المسلمين خبري الرجود لكل
قوس من الصبر . وهل هاته الحق هي حقيقة الرجود فيها بين الصبرين
على الوجه الاكل . وان لم توجد لغة في البس من العصر الاتريسي
بين شعهم وعلمهم من المسلمين فما هو السبب بئري ؟ فاني ما اراد
واله علم الا عدم اطلاع هذا البس مما تضمنه العالم الاسلامية
او كمن يجر الاسلام كما يجره المل من القريين من كونه جلة عن
جميع قريته ديدهم تلك الدماء وما في حداث معا سمحت لهم به
فرصة لا لطيفة فيهم بل ديم الذي يلزمهم بذلك . هذا ما روجه
اثناء الاسلام حتى اصبح كالمقر في قلب الادهان . ومما سكتنا
بيك الحق خبرنا ليرنا . بذكر لفته قيسا صعدا جدا . وهذا
سببنا مدهر ونحن نكل فيا القرون ما شئت ان نسله وهكذا
يقول الا اذا عفا على شر العالم الاسلامية ليا بين لبقها وشائلا
كتلا . ومع الانبياس . قاشا لكل ما من شأنه ان يوجب ربة
في الصالح الاسلامية . تلك الرية التي حلا سكتنا لما سدا منا من
استكر سواك العصر الفرنسي نحو المسلمين لستنا بيني عليه حسن
للظليل . وذا الحقنا ما قد سدا هذا الاجل تجد السلم في لفت حابة
الى هذا البس من ليرة . كل ذلك لستطيع انت . بين على تجربة مع
من يظه به رابطة المحكومة والوطن . ومن السلم بذلك . واداه القرع
لم من الاستعداد القوي الذي يسح لم بفس الحشية والا لكل يروج
بين القريين من متى الاسلام الا انه عدو للادوين . وهذا هو السلاح
الذي نفس على السلم من ان يعيش في ظل حكومته عينة الصنع بسا له
البي على حسن مستقبله . ويعد هذا بفس يندف الامل والصلال
الفرية . ولانها اجدر بالمسلمين معها . كما يردون ان يعيشوا مسلمين
من تدهم لرق ما قد يرم الصنف بعالم ديم بكية مسكينة بتحقيق
الامل برسلة من علمك لك من رجال القدرة العاليين بالقين القادرين
على المعال للمفاق ببعها القامسة حتى اذا انتج من تسالم الدين
ما كمن بها قيا بين الجور وتكن جليا من كون الاعتقاد في الاسلام
كان على خلاف الظفر بعدد كل يسن الصبرين ان يظنوا كل منها على
صاحبه بالغ لغة واكل المظان

وقد كمن يظهر قيا قبل ان هذا الشرع لس عاجة المسلمين من
ليرم . انا التامل لا يرى حابة احد القرين بل من حابة الاخر
لان تبادل الحق بين الصلادين ضروري لا يظن عنه ريس ولا
مزموس فكلما يراه من السكير كاله في مقابله
(البلاغ)

حزب التسعة

Rayon X

شرح الامراض الباطنة الجزائرية الفتاة



١٣٥١

ازالة ركة عجز وازالة ركة عجز

الدكتور هرمان مصطفى
الطبيب
تج. مسطبة رقم ٤٤ الجزائر. تليفون ١١١
44, Rue de Constantine - Alger.
الاشتراكات
عن سنة ١٥ وركاب. وإذ عطف عليه المساهمات
المبار لا تقبل اعلانات الاعمال التجارية
على الاشتراك

الزادى يوم ١١ جتنى ١٩٣٢

(جريدة أدبية ثقافية تعليمية - تصدر مرتين في الشهر)
(ولها مداخلات على الاشتراكات في آخر السنة)

الجزائر يوم الاحد ١٢ رمضان ١٣٥١

منامتي

أو

نظرة عميرة العرطاس



عاش صاحبنا عميرة العرطاس ويسمى تحك
الراس. ومن العلوم ان حلك الراس اما تسكين
هجان الملة الصاب نيا واما لشجرة العسكر
من جهة اخرى في اسمه كاسر اذناه. عليه ينشئ
الى علاج ريقه يصفه ومن حوله من جمهور
هذه الامة المسكنة الذين يتاركونه في تلك
العيشة الضيقة.
ودام على تلك العيشة بيزوالاسلي امير ما
اعتاده - حكما انه تلشش طيفات كثيرة من
الناس الذين كانت حياتهم عذبة من الهوم
والصناعة والشقاء لانه عاش عذلا وتاجرا وفلاحا
يصار لذلك يحن بها هم عليه ويشق عليهم. وانه
جدير بل يحن ويغضب اكثر ممن لم يعيش
تلك العيشة لان من ذات سارة الضيق في نفسه
لا يجد فيه ان يستشعر بها في غيره فكيف قال
الاشاذ عيده.

استمر يهكر في ال... ويبحث فيه ويضرب
المخلصة في اسناده عشاء يعثر على من يده من
(الذكارة) المثل الهني لهذا الشكل (اولها
الحق الشكل)
واحدث هذا التفكير الطويل العريض الغليظ
تأثيرا عظيما في نفسه فجاب على من يعسكر
لا حليم اكثر من الحواف على نفسه وصار ينتظر
المخرج من هذا العسكر النول ناجحا بجوارح
صبر.

وكاد الياس ان يمد يده عليه بعد ان خالط
جميع من يبال ان يذهبهم « علاج » هذه الامة
ولم يجد سوى من دجيز عن معالجة نفسه او من
هو نفسه. عكروب المرض لهذا الامة. لكنه
ذات ليلة رأى في نومه ما يراه الناس. أو صورة
ابكاره التي كان يعلم بها في بطنه. وهما هي
صورة المانة التي يقول فيها :
(من زاد بي مناسو زاد في عذابو)
مثل عبادي -
سارعت بعزيمة ثمة الى الطواب على الاماكن
التي تجمع تلك الطبقات العسبة التي من التفتت
والخضار وجمال التفتل و (الشهور) وماسو
عرات الترامواي وغيرهم. وطلبت منهم ان يعجلوا
بالسر معي الى قرية في الشرق - في الغرب -
في الصحراء - يقال لها : (بلاحة العود رقم ٩)
فيها اطياف كنت جادتهم هناك سابقا فبال ان لهم
ساعة في معالجة الامراض التي كثيرا ما تسكت
منها وعرجا جميعا ضررها وعائيتها الغريبة. وشكرا
في الامر وترددوا لكن شععت بالاساني تشجعا
محا من ادعيتهم سلب الشك في كل شيء. فقالوا :
ها نحن يا عميرة العرطاس. يناموا بالسيارات
والبيطروال والبنزين لانهم لا يريدون ان تعلت
منهم هذه العريضة بعد انتظارها فروننا. فبرنا على

ركبة الله في
سبحة (نوح) التي هي جلع الاشكال و
في هذا السير الطويل. اما الامراض الاخرى
التي التديتم لاجل معالمتها فهد البرء من مرض
الطن. النك بالاحلاق ومرض العفل الذي يسوي
الانسان بالعداوات بفالرا - وعلامة الشذوب
ظاهرة عليهم - : نعم الراي وانهم ما ارتابت يا
حضر العرطاس ويا زعيم العرطاس الذين لا يخلو
واحد منهم من النجاة. ويا ليتنا كشكا فراطيس
مثلك : (يا ليتنا كنا كنا ادين مثلك) كشكا
في المثل السائر ... وأسرعوا الى مقصورة المداولة
جسدا الشك بصيرت الى راس العرطاس من ذلك



السيارات تطوي القفار الموحشة والجبال
الشاهقة والسبل الوعرة. وما فريسا من السكان
المقصود. حتمت المراكب المظلم اصابتها في
ارض صحريسة وضع فيها ابو رؤس المعاسبة

(البالية) احجارا ولشوا كاثوبد الزاد والبيطروال
والبنزين وما يمكن معانا من الحق والعجين ...
ومرهم مرض الفرس (الفيرليس)
وفي الناس الذين معانا جباري من هذا
الحاوت الشؤوم. ولم اجد حلا لهذا الشكل
الذي هو اغند من ذنب الفس الا تسليبة القوم
بانه لا يبد من ورود ... وانظرونا ولم يصد
الانتظار وحيتف شععتهم وتلت ان القريلة قريب
منا وبالمنا بعد تردد وتخت وصاروا يسحبون
(سيقانهم) سحبا ليد اصاهم من العطف والوجع
والصب القاتل فويلنا على آخر رفق .
وما كشكا نذخل بيتهم رقم ٩ ... الواقع
في شارع من شوارع هذه القرية (الباجورة)
- بلاحة العود - حتى وجدنا على بابة كشكلا
تشبه كلاب الفس الجوبى فيذات تلح نباحا
مزيجا في « الحركة والدية » اللع ... ولا
التكبر من اساء تلك الكلاب المروطة في
الباب الا عطفة والرجيم بظ الحوش ومارجس
(الشير) الوهابي وشوك
la rue
وكشكا نصدنا من الدخول ولم تمكن من
ذلك الا بشق الفوس ودفع الفوس .
دخلنا البيت رقم (٩) وجدنا ارك الاطباء .
وعلى وجوههم طلاء رقيق من البشاشة والدية ...
والصباح وذلك يمدل على انهم متعودون للعمل
لنع الهدا والقضاء على امراضهم بهمة ونشاط وجدنا
الله على وصولنا بفلاحة وعلى استعداد اطباءنا
لعمل العبد .
وبادر سادتنا الاطباء ... الى ابعاد الادوية
واسيرتهم قاسلا : الا هم ايها الذكارة الان
اسمعوا القوم بعلاج البطن والعفل لانها مرضان
خطيران اصبوا بها في هذه العسكة التي لا توها
في هذا السير الطويل. اما الامراض الاخرى
التي التديتم لاجل معالمتها فهد البرء من مرض
الطن. النك بالاحلاق ومرض العفل الذي يسوي
الانسان بالعداوات بفالرا - وعلامة الشذوب
ظاهرة عليهم - : نعم الراي وانهم ما ارتابت يا
حضر العرطاس ويا زعيم العرطاس الذين لا يخلو
واحد منهم من النجاة. ويا ليتنا كشكا فراطيس
مثلك : (يا ليتنا كنا كنا ادين مثلك) كشكا
في المثل السائر ... وأسرعوا الى مقصورة المداولة
جسدا الشك بصيرت الى راس العرطاس من ذلك

الجواب البود والاشوار من تلك (الحارة) وصرت
ارباب اعاليهم من كوة هجان او من تحت العطار .
واغني ما رايت ! ماذا رايت ؟ رايهم طليبا من
(الدوك نور) المكل ... ان يجري الطليات
المطوية الا بعد ابعاف المرض صلاح الطين
والعفل هجان والفاي غالب عليه ... الا لا انتظر
ولا ارجع ... الا لا ارجع ... اما لا ارجع عليكم
كشكا هي عبيدي الوهابية ... واشتد الحسام
وعلا الصياح ولم تسع الاقوال للدم الهمار
دعنا من عذلتك دعنا من صراحت ... ونفاد
ولا تجري بعلم ذلك كشك ناهمو لاني لا اري
الاهسا ولرا واكرا وليسا ... ولها غاية الامر
ان التذكيرين فلرا طلي ونادوني فيرولت
بوجدتهم بذرا يكون الحز لعالج كلب الطوع
الناج ومعتنا بية ... اعالج العفل المضرب
وانبال ان الدم الساجرين الذين كشكا في
اجلهم الصاب وبابا وبابا فقلنا عبيدي. ارفعهم
من طرف حش .
لشكا يا لسول يا رايت !! بعد ذلك
التي - لن الحمة الفراطيس - رايت انهم وضعوا منا
طلي الاثر في الحز والفتك ومن عفاص
هذا الم تخدير العفل لاني اطلعنا نورا
الحياة تسديرا ثابا وهذا الذي كشكا
بام راسي جعلني افش عن شر امثال البادة
اليتكربين . فوصلت اخيرا الى حل تلك
الظلام وذلك انهم - المذكرين - اكف عجوم
الاجباء والاموات . ويريدون سداس الم في
الحز والفتك ليفضوا عن اريك المسكنين
الذين شدوا الراس لا شمس مرجهم ومعرفهم
اكشبت كل هذا زيادة على اكشابت شرم
آخر ... وهو ان الاطباء التي يعلم بها بعضهم
على البعض غير اسائهم الحقيفة وانني اطلعت على
الديوان المسلحة به هذه الاساء الشفة ... ومع
١ - اسدوك نور باليس الاختصاصي في
الايان المظاة بالكذب والتدليس
٢ - الدوك نور الاعرج الدوخ الاختصاصي
في الراوعة المضوحة جريح مدرسة الريان
الاميريكان
٣ - الدوك نور « القرية » الاختصاصي
في الثرة والزيادات وشر الوهابية .

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

بعد، لما رأينا إخواننا المسلمين وطائفة الموحدين الذين ذكرهم الله في كتابه العزيز: "كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر" وهذه الآية تهم الأولين وتبقى حجة على الآخرين، فإذا به رأينا وشهدنا خلاف ذلك تصديقا لقول الله تعالى: "ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك وتمت كلمات ربك للأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين"⁽¹⁾.

فهذا تحقق أن الأمر الخلقي لا يزول ولا يحول، فقد رأينا ذوو العلوم على هذه الحال، وذوو الولاية على هذا، ولا وجدنا لهذا الداء دواء تصديقا لكلامه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فقد أسأني كلام الشيخ سيدي أحمد بن المصطفى العلوي فيما شجر بينه وبين عالم المسلمين القابض على السنة والدين سيدي الشيخ ابن باديس، فتأملت تأمل نكير...على فكر كسكران من هذا الأمر الشنيع الذي لا يناسب أهل العلم ولا أهل التصوف، فهم أول من ينطق بالحق ويركنوا إليه، وأول من يمثل كلام الله ويجنح إليه، فقد نهانا الجبار العزيز في كتابه عن الغيبة -الغيبة- والنميمة والافتراق، فالمداعي- المدعي- إذا لم يبتدع وكان متبعا لما سبق فلا عيب ولا عار، فقد سئل الشيخ سيدي أحمد البداوي شيخ الطريقة الدرقاوية وغيره في عصورهم عن المدعي، فقالوا: لو وجدنا في كل شعبة وواد مدع يأمر بما أمر به الله ورسوله، وينهى عما نهى الله ورسوله، فما ذلك إلا زيادة في الدين وتنبيه للغافلين، فقد أمر الله بالنصيحة والتواصي، فيا معشر المدعين ويا معشر المتفقهين لماذا تسارع لمثل هذا قبل أن تنه عنه، وأنتم والله لو أتاكم أحد بمثل هذا لنهيتهم وأمرتهم، فما بال نفوسكم على هذا الحال حتى شفيتم -أضحكتهم وأشمتهم- فينا الأعداء، وطلعت على أموركم الأشقياء من كل فرق، فلماذا لا تجتمع -تجتمعون- في صعيد واحد، وتطلع -تطلعون- على أحوالكم، من وجدته على الحق نصرتموه، ومن هو على ضلال زجرتموه، ليستقيم دينكم وتصلح مفاسدكم"⁽²⁾.

(1) سورة هود، وفي النص الأصلي خطأ في الآية- وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا-أملن

(2) خليف: الطريقة الشيعية، ص 136. النص فيه أخطاء لغوية صححتها لتيسر القراءة.

الفهارس

فهرس الآيات			
الصفحة	رقم الآية	السورة	رأس الآية
355	11	البقرة	وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ
348	103	آل عمران	وَلَا تَفْرُقُوا
327-234	91	الأنعام	قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ
724	108	يوسف	قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ
472	125	النحل	ادْع إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ
404	21	الأحزاب	لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ
462	25	الأحزاب	وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا
405	18	الجاثية	ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا
473	14-13	الانفطار	إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفَجَارَ لَفِي جَحِيمٍ
فهرس الأحاديث والآثار			
254	إذا وسد الأمر لغير أهله فانتظر الساعة		
327	حديث رياض الجنة.		
395	صلوا كما رأيتموني أصلي		
420	لا تعلموهن الكتابة		
407	ليس بعزيز من ليس في قومه سفيه		
327	من ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منه		
404	من رغب عن سنتي فليس مني		

فهرس الأعلام- اعتمدنا اللقب أو النسبة أولا، ثم الاسم، مع عدم الاعتداد ب:ابن أبو،	
حرف الألف	
236	الألوسي محمود شكري
656	الإبراهيمي أحمد طالب
243	أبيض جورج
703-547-496-409-351-307	أتاتورك مصطفى كمال
74-73	بن إبراهيم محمد الدرقاوي
230	بن إبراهيم الهاشي القادري
510-222-208-155-87	ايبراهارت إيزابيل
73-63	ابن الأحرش الدرقاوي
322-183-168	الأحريزي السعيد
75-48	الأحول عبد القادر
53	الأخداشي محمد العربي
523-406-272-245-200-181-152-145-144-117-116-115-114-33-24-17	الأخضري عبد الرحمان
687-493-264	الأخضري عبد العلي
183	الأخلفي الحسن القرطسي
734-625-547-317-314-298-283-272-271-123	أرسلان شكيب
152	آرنو المستشرق
631-381-311-210	بن الأزعر عمار
151	أزيكيو إسماعيل
598	إسكندر الفضيل
91	بن إسماعيل محمد الشاعر
656	الأسمر مصطفى
656	الأشرف مصطفى
258-257	أشيل روبير
679-673-644-458	الأغواطي أبو بكر
554-542	الأغواطي قدور بن محمد لخضر
449	الأغواطي قويدر التجاني
758-272-247-196-135-5	الأفغاني جمال الدين
687-493	الأكحل أحمد بن يحي الأمين
201-64	أكنسوس محمد التجاني
239-112	بن الأمين علي المفتي
521-520	الأندلسي أبو حيان
662	آل الشيخ عمر بن حسن

.709	آل الشيخ محمد بن إبراهيم
67	آل نياس إبراهيم
528-198	انياس عبد الله
.113-24-23	الإشيلي عبد الحق
.62	الأعرج محمد الصالح بن سالم
.547-459-352-196-160-159-134	اطفيش أبو إسحاق
.683-261-129-104	اطفيش محمد بن يوسف
.549	الأمدي
.74	بن أميان الحبيب
.667	أوزقان عمار
.210-96	أوقاسي بلقاسم
.679-678-614-452	أولخيار علي
.517-514	أيت سالم بن يونس
.476	أيت سي أحمد عبد العزيز
444	إيراثي فاطمة
حرف الباء	
.723-700-689-683-618	بابا عمر المفتي
.205	بابصيل محمد سعيد
.456	بابكر صالح
.125-81	باجودة الحاج المهدي
.113	بن باحمد حمو مفتي ميزاب
.155	بن باديس احميدة
.200-116	ابن باديس بركات
50	ابن باديس الحسن بن أبي القاسم
.479-478	ابن باديس مصطفى
.261-160	الباروني سليمان
.54	باشتارزي السعيد بن أحمد
.276--61-54-53	باشتارزي عبد الرحمان
.230	باش تارزي عبد الكريم
450	باشتارزي محي الدين
.278-277	باشتارزي مصطفى
.687-679-673-661-649-648-644-540-440-434-432-2620263	باعزيز بن عمر
.645-642	باقي بوعلام
29	الباي حسن بن موسى

166	الباي علي بن يوسف
.687-154-146	الباي صالح
658	الباي المنصف
73	البدوي أحمد
699-450-262	البدوي جلول
.554	البدوي السيد أحمد
.110-25	ابن برجان
.74-59	البركاني
.88	برمنغهام إيميل
557	البرهاني محمد سعيد
.631-381	بن البرية محمد
.107	برني لويس
.88	بروسلار شارل
.292-204-103-70-52	بريهمات حسن
.692-991-495-491	بن بسام أحمد
.568-549-440-408-289-247	بن البسكري عمر
.725	بن بسكر عيسى
.53	البشري سليم
.678-262	بطحوش رشيد
.456	بغباغة أحمد
.647-549-515-513-512-511-395-312-311-307-302-172-95	البغداداي الحسن
.50	البغداداي محمد بن عبد الله
.648	بكاري الطاهر
.85-49	البكاي أحمد
.484-433	بن بكير باسعيد عدون
.567-448-345-306-270	بن بكير محمد اليزقني
.74	بلحاج سيدي الأزرق
.94-89-59-55-38	بلحاج الصادق
.368	البلغيثي أحمد
.673	بن بلة أحمد
.432	بله محمد
.750-737-679-656	بن منصور عبد الوهاب
.755-673-670-661-518-134-37	البنا حسن الإمام الشهيد
.406-118-122	ابن البنا المراكشي

.375	بهلوي الشاه
108	بوبرمة محمد أمزيان
.108-96-94-91-58	بونغلة الشريف
.121	بوتشنت محمد بن أحمد
-542-504-460-281-214-53	البوجليلي أبو القاسم
.691-604	البوجليلي محمد بن بلقاسم
.175	بوجمعة عبد المجيد
.547-352	بوجناح سليمان الفرقد
.220	بوحاجب سالم
.84	بوحاجة أحمد بن الكبير
.155-84	بوحجر بلقاسم
.555	بوحجر عبد الرحمان
.667	بوحميصة إبراهيم
.740	بودغن أحمد الشاوي
.504	بودويرة محمد مزيان
77	بن بودي عبد الرحمان
.615-258	بورديار
.656-505	بوزوز محمود
.91-54	بوزيان الشيخ
.84	بن بوزيان محمد بن عبد الرحمان
.76	البوزيدي محمد الحبيب
.198-163-50	بوسنة عمار
.678-675-653-638	بوشامة الربيع
-657-655-648-643-583-567-450-449-431-427-405-399-387-270-266 .679-673	بوشمال أحمد
.689-638-431	بوشوشي الطاهر
.210-124-59-55	بوشوشة الثائر
.401	بوصالح محمد الصغير
.322-63-50-38	البوصيري
.69-66	بوطيبة محمد الطاهر
.296-124-122-95-85-84-83-82-81-80-78-72-71-69	بوعمامة الشيخ
.691-678-606-573-565-484-348-320-177	البوعبدلي أبو عبد الله
.423-133	البوعوني أحمد
.643	بوغابة مصطفى

.444	بوفجي فتيحة
.509-395	بوفليح الصديق
.314-180-169-148-140-133-132	بوقندورة أحمد المفتي
.727	بلقايد محمد
.224	بوليفة السعيد
.349-286	بومدين هوارى
.95-86-85	بومعزة محمد الطيبي
.642-454	بوناب جلول
.751-646-638	بونار رابح
24	البوني أبو مروان
.675-653-639-453	البيبانى السعيد
.748-463	بيتان الجنرال
.227	بيرار فيكتور
.748-463	بيرتون الكاتب العام
.142	بيشون ستيفان
.525	البيضاوي حسن
.565	البيضاوي عبد الله التباع
.720-653	البيطار محمد بهجت
.187-92	بيكار أوريلي
.703-697-668-667-395-315-310-237-180-88	بيرك أوغسطين
.209-169	بيرم محمد الخامس
.754-730-729-725-680-678-667-536-484-477-456-249-113	بيوض إبراهيم
حرف التاء	
24	التادلي الزيات
.547-261	تاعموت عيسى
24	التاهرتي التميمي
.237	التاوتي محمد
.315-157-155	تابي عبد الحق
.461	التبسي مبروك
.551-518-506-439	التجاني محمد الحافظ
.71-68	التجاني محمد الحبيب
.71-68-64-27	التجاني محمد الكبير
.178	التجاني الحاج بن عمر
.656	التجاني الهاشي

660.	التجيني الطاهر
730-722-691-457-446-424-402.	التركي عباس
211-209-206-205.	التسولي
28.	التملساني أحمد بن ثابت
121.	التملساني عبد الله بن عزوز
107.	التملساني الغوثي بن محمد
698-466-187-71.	التماسيني الحاج علي
402-401-339-320.	التميمي معاوية
297.	التواتي الشيخ العربي
66.	التواتي محمد الأخضر
66.	التواتي محمد بن الفضيل
41.	التوجيني أبو مهدي
506-133.	التوزري إبراهيم البخري
28.	توزنيت أبو القاسم
743-698.	بن تونس محمد المهدي
107.	تيران ايفون
99-56.	تيرمان
91.	تيزين بيير
568-549-531-526-506-432-374-349-280-247.	ابن تيمية
حرف الثاء	
114-25-24-23.	الثعالي عبد الرحمان
586-298-235-160-135.	الثعالي عبد العزيز
53.	الثقابي محمد بن علي بن مالك
حرف الجيم	
667-666-664-262.	جابر أبو بكر
132.	جاويش عبد العزيز
218.	الجباس محمد
671-518-456-403-301-298-244-156-143.	الجزائري خالد الأمير
444.	الجزائري عادل بهيم
513-94.	الجزائري عبد الملك
281-247-210-160-151-132.	الجزائري طاهر السمعوني
138.	الجزولي سليمان
375.	الجزولي محمد
401-285-157.	الجزيري حسين

الجلابي سليمان	.125
جلواح مبارك	.665-509-441-432
الجليلي أبو بكر عبد السلام	180
الجليلي شعيب	.339-320-227-220-189-174-153-132
الجمالي علي بن محمد الملي	.357-202
جناح محمد علي	.540
الجنادي أحمد بن يوسف	.611-460
الجنان عبد الحفيظ	.584-518-461-435-273
الجنيدي خليفة	.449
جوردان أدولف	.153
جوصو عبد الكريم	.493-492-315-297
جوكلاري محمد شريف	.447-430-429-144
جونار شارل	.223-219-218-217-164-156-152-130-103
الجزواي أبو الفضل	.275
الجيطالي	113
جياكوبيتي الأب	.338
الجيلالي عبد الرحمان	.676-447-416-262-139
الجيلي عبد الكريم	.525
حرف الحاء	
ابن الحاج العبدري	.228-144-111
حافظ مصطفى	.494-489-339-307-301
حامد إسماعيل	.225-128
بن حبة عبد المجيد	.249-200
الحبيباتي أحمد	.700-675-620-558-517-423-323
الحجوي محمد الثعالبي	.700-608-554-533-528-527-491-169
الحداد سي عزيز	.412-60-52
الحداد الطاهر	.149
حدوني محمد	.308
الحرار مصطفى	.220-177-173-169-70
حرازم علي	.65-63
الحراق محمد التطواني	.73
الحراق الكريتلي	.303-76
بن الحرمة أحمد البرياني	.178
حسين طه	.660-316-251

213-135-134-133.	حسين محمد الخضر
.720-652	الحسيني محمد أمين
.405-399-215-177	حشلاف القاضي
.51	الحفناوي سالم
.23	الحلوي التلمساني
.148	ابن حمادوش عبد الرزاق
.686-685-662-649	الحمامي علي
.675-663-644-639-571	حماني الصادق
.154	بن حمانة عباس
.110	ابن حمدون
.784-638	حموتن حسن
.410-398-392-330-273	حمود رمضان
.679-678-442-322	حمودي يعي بن أحمد
.673-459	حميد الدين يعي الإمام
.683-507	حميدو محمد
.749-679-665-654-651-643-640-449	حوحو رضا
.398-372-340	حوحو محمد العزوزي
	بن حورة القاضي
.638-320	حويديق مصباح
.785-679-643-638-458-452	حيرش عبد المجيد
حرف الخاء	
.719-656-654	خالدي عبد العزيز
.662	خان إنعام الله
.581-401-372-371-345-332-309-255	خبشاش محمد الصالح
.498	خداوي موسى
.606	خران علي بن سعد
.112	الخروبي محمد بن علي
.269	خزندار الشاذلي
.64	الخضير محمد
.647-639	خطاب محمد
.28-27	ابن خلوف الشاعر
215	خمار سعد الدين بلقاسم
.118	خنجل علي المغربي
.699-234-176-94-61-53	الخنقي عبد الحفيظ

218-215-230-156-154-149-148-140-133-130	ابن الخوجة الكمال
696	خوسة عدة
حرف الدال	
.590	دالادي رئيس الوزراء
.262	دامرجي محمد علي
.281-52	الداي محمد عثمان باشا
.499-461-437-434-430-267	دبابش الحفناوي
.657	دباغين لمن
.585-554-549-536-490-135-131	الدجوي يوسف
.553-434-312-199	دحلان زيني
.440	الدراجي أحمد العقبي
.679-478-567-453-452-267-262	بن الدراجي فرحات
.174	الدراجي عبد الله
.720-653	دراز عبد اللطيف
.61	دردور الهاشمي بن علي
.134-72	بن غمان أحمد القماري
.659-459-199	الدكالي شعيب
.312	الدلسي إدريس بن محفوظ
.496	الدواجي الشيخ
.233	بن دوبة سيدي عمار
.97	دوبوش أنطوان أودلف
.82	دوبون أوكتاف
.88	دوتيه آدمون
.92-88	دو نوفو إدوارد
.88	دوفيري هنري
.196-124-107	دو فوكو شارل
89	دو هايدو ديبغو
.246	الدهلوي ولي الله
.675-416-249-15	الدهمة الأخضر
.168	بن أبي الديار عمارة
.101	دي بورمون
.758-722-668-667-675-280	ديغول شارل
.38	ديفوكس
.666	ديقر أبو القاسم

509-492.	بن ديمراد صالح
102.	دي طوكفيل
99	دي لاسال دي جوركي
186-168.	الديلي محمد بن عبد الله
186.	ديمونتي فكتور
373-125.	ابن الدين الشيخ
268-155.	ديني ناصر الدين
حرف الذال	
584-555.	الذبحاني سعيد سيف
643-616.	ابن ذياب أحمد
حرف الراء	
72.	ابن رابح الندرومي
209-123-27.	أبو راس المعسكري
651-618-403-387-385-362.	راسبوتين
724-703-437-304-255-244-220-215-170-142-141-139-130.	راسم عمر
196-159.	الراشدي عثمان
263.	الراشدي عبد القادر
131.	الرافعي مصطفى
107.	رامبو ألفرد
96-89-58.	راندون المارشال
76.	بن رجال حمزة
614-255-203-76.	بن رجال محمد
449-447-379-290.	رحموني محمد عبد المجيد
191-184.	الزراري محمد البخاري
245.	ابن رشد الحفيد
243.	رشدي فاطمة
656.	رضا مالك
533-526-355-248-216-199.	رضا محمد رشيد
209-177.	الرضوي محمد صالح
221.	الرفاعي أحمد
674-656-651-644-287-249.	رمضان محمد الصالح
357.	الرندي عبد الحميد
434-424-285-152.	رودوسي قدور ومراد
678-484.	رودوسي محمود بن قدور

.138	روزي ألبان
.370-223-205-92-68	روش ليون
.141	الروشفور هنري
.92	روفيقو الدوق
.292-209-103-100	ابن روبلة قدور
.527-575-285-209-202-170-122-66-65-55	الرياحي إبراهيم التجاني
.115	الرياحي سعادة الطولقي
.156	رياض جمانة
.185-88-76-68-59-53	رين لويس
.631-589	رينيه مارسيل
حرف الزاي	
.700-618-148-52	ابن زاكور عبد الرحمان
.624-532	الزاهري زهير
.674-643-453	الزاهي محمد الملي
.447	الزبايري مصطفى
.312	الزبيري عبد الله بن داود
.612-435-118-114-113-45-24	زروق أحمد
.638-612-610-504-441-435-324-322	الزروقي الهادي
.74	ابن زعموم الحاج
.640-461	الزغداني أبو القاسم
.388	زغليش محمد
.700-687-489-465-423	بن زقوطة الطاهر
.689-668-657	بن زكري أحمد
.320	بن زكري الصادق
-204-197-193-179-151-148-147-145-140-139-132-130-104-44-40-39 .319-300-281-254-227-226-220-216-214	ابن زكري محمد السعيد
.35	ابن أبي زمنين الألبيري
.750-747-679-652-643-641-637-478-468-442-438-264-182	الزموشي السعيد
424	الزميرلي محمد
.224	زنتار جوزيف
.456-282	الزهار محمد بن أحمد الشريف
.183	الزواوي محمد بن الصادق
.82	الزواوي المغازي علي بن محمد
.420	زويمر القس

.679-678-642-452-438	بن زيان عبد القادر
.680-320	بن زيان مصطفى
.700-189	بن زيدان عبد الرحمان
.222-178-94-56	زينب بنت محمد بن أبي القاسم
.73	الزيوشي عبد الله
حرف السين	
.651-485-430	السائي محمد الأخضر
.656	ساحلي محمد الشريف
.441	ساحلي محمد الطاهر
.106	بن السادات مصطفى
.53	السايزلي محمد بن عمر
.68	سانطارنو
.110-23	ابن سبعين
.351-143	السبكي محمود
.156	سبيلمان
.715-670-661-649-647-638-267-249	سحنون أحمد
23	سحنون التنوخي
.688-504-323-322-166	السحنوني محمد السعيد
.205	سراج عبد الرحمان بن عبد الله
.297	سرينو مريم
.489-442	اسطمبولي محمد
.736-630-499-465-451-446-437-431-430-402-322-267	سعدان أحمد الشريف
.152	السفطي الخطاط
.220-261	السكرلاوي المهدي
.669	السليماناني حسين
.644	السماتي محمد العابد
.64	السمان محمد
.574-556-521-322-281-126	السنوسي أحمد الشريف
.659	السنوسي إدريس الملك
.26-25-24	السنوسي محمد بن يوسف
.553-434	السهسواني محمد بشير
.189	بن سودة محمد العابد
.28	السوسي محمد بن أحمد
.656	سوفاري عطاء الله

399.	سويسي صالح القيرواني
54.	السياري محمد
380-203-141	السيوطي عبد الرحمان
775-399-84-63	سي الطيب بن بوعمامة
59.	سي زغود
402-297-243	سيسبان محمد الشريف
حرف الشين	
459-149	الشابي أبو القاسم
112-85	الشابي عرفة
85.	الشابي المسعود
28.	شارلكان الإمبراطور
549-520-489-335-245-215	الشاطبي أبو إسحاق
647.	الشافعي أبو مدين مول السهول
33.	شالر ويليام
210.	ابن الشاهد المفي
116-26	الشاوي يحي
435.	شبارو الأخضر
679-673-645-673-459	الشبوكي محمد
167-125	بن شبيرة أحمد
167-125	بن شبيرة عمار
106.	شربونو جاك أوغست
297-223-204	الشرشالي مصطفى
654-640-505	شرفاء محمد الأكل
626-442-324	شرفي بلقاسم
356.	الشرقاوي الشرقي
516-321-320-195-92	ابن الشرقي العطاقي
280-224-223-186	الشريف حسين
557-489-177	الشطي جميل
408-342-152	بن شعبان مصطفى
219.	شلي جلول المفي
203-183	الشمخي قاسم بن سعيد
59-55-51	ابن شهرة ناصر
123.	بن شهلة محي الدين
757-609-589-587-428	شوطان

شوقي أحمد	131-287.
الشوكاني محمد بن علي	246-247-335-549.
شيبان عبد الرحمان	504-517-643-644-645-655-661-751-752.
شيون فريخوف	493.
حرف الصاد	
بن صابر علي	134.
الصابري محمد بن أبي سيف البحيري	123.
الصالحى أرزقي	270.
صالحى السعيد	453-586-625-673-674-679.
الصباغ عبد الرحمان	45.
الصدىق محمد الصالح	206-212-536-596-609-610-648-688-699.
صفر بشير	154-485.
صل عباس	67.
صمادح إبراهيم	166-176-504.
الصيادى أبو الهدى	135-176-191-221-235.
حرف الطاء	
طاهري عبد الرحمان النائلي	196.
الطرطوشي	35-111-245-520.
طعيوج بلقاسم	322-341-346.
الطواش أحمد	64.
الطوريس عبد الخالق	659.
الطوطي عبد الرحمان العامري	74-206.
طياب المولود	248.
الطيبار سليمان	175.
الطيبار علي	56.
حرف العين	
عابدين الشيخ	48-49-85.
العامري ابن دهماء	29.
بن عبد السلام الطاهر	335.
بن عبد الوهاب سليمان	312.
بن عبد الوهاب محمد	434-520.
العبدوسي أبو القاسم	112.
العبيدي الطاهر	58-183-184-197-220-249-278-349-367.
عثماني عبد المجيد	531.

ابن عجيبة	.174-23
العربي إسماعيل	.719-676-653-644-453
ابن عربي الحاتمي	.529-525-493-380-347-337-209-110
ابن العربي المالكي	.355-350-280-272-248-245
ابن العريف	.110-25
عزام عبد الوهاب باشا	.685
ابن عزوز التبريزي بن الحفناوي	.691-690-626-573-510-502-236
العشماوي أحمد بن محمد	.192
العفيف التلمساني	.605-110
العقي الصادق بلهادي	.183
العقباني سعيد	.112
بن العقون عبد الرحمان	.323
عصمان الباي	.73
ابن عطاء الله السكندري	.25
العطوي عمار مهري	.617-599-558-323-231
ابن عطية العربي	.292-195-75-74-73
ابن علال محمد	.51
علالو علي سلال	.243
العلمي محمد	.303-273-269-144-143
علية عيسى	.549-449
عليش المالكي	.235-199-196-194-159-138-135-131-123
العمراني عبد السلام	.190
العمروسي محمد حرم	.115
عمروش الأخضر	.497-308
العنق الحاج عمر	.680-477-476-154
العنيزي محمد الطاهر	.687-273-242
عون الشريف	.205
العبدلي يحي	.183-114-45-24
بن عيشة الطاهر	.656
عيمش عمار	.670
حرف الغين	
الغالي محمد اللجائي	.211-209
بن غبريط قدور	.693-496-495-224-223-220-80
الغراموي محمد بلحاج	.701

431.	غريب عبد الرحمان
347-347-265.	الغزالي أمقران
708-472-335-316-110-50-23.	الغزالي أبو حامد
440.	الغسيري بلقاسم ميموني
753-556-343-342-272-221.	الغماري محمد بن الصديق
93.	الغمري الشيخ
103-88.	غوتيه إيميل
حرف الفاء	
678-673-443-442.	الفارسي الجيلالي
685-569-335-112-80.	ابن الفارض
130-107.	فخار ابن علي التلمساني
715-489-366.	فخار مصطفى
84.	الفرجيوي سعدون
657.	فرنسيس أحمد
196-148-136-132.	فريد محمد
186.	ابن فريحة عبد القادر
73-28.	الفليتي عبد القادر
149.	فواز زينب
519-206-122-85-69-67-49-22.	الفوتي عمر
82-71-70.	فورو الضابط
54.	بن فيالة عمار
106.	فيرو شارل
675-642-571-546-506-264.	الفيلاي محمد الأخضر
حرف القاف	
347-320-297-292-174-173-170.	ابن قارة عبد القادر
88.	قارو هنري
213.	القادري محمد بن قاسم
688.	القاسمي أحمد بن محمد بنعزوز
236.	القاسمي جمال الدين
408.	القباجي محمد
681-614-613.	القباطي محمد
312.	القباني أحمد بن علي البصري
120-144.	قدورة سعيد
169.	القديري مصطفى

القرطبي	.111-110
قريفي الوالي العام	.101
القسام عز الدين	.548
القشيري أبو القاسم	.520-235-172-23
قصيبة أحمد أبو زيد	.706-679-678-649-648-644-638-636-549-516-453
القصبي محمد المدني	.501-357-346-171
القصبي عبد الله	.434
قطب سيد	.655-134
قطرانجي المفتي	.194
قطوش سعد السطيفي	.193
القلاوي التهامي الباشا	.752-704-703-659
القلصادي	.520-245
القلي محمد الصالح	.53
القلي محمد بوجمعة	.183
قناذش محمد	.740-460-290
ابن قنفذ	.106-24
القهوجي محمد	.515
ابن القيم	.531-506-247
قينون روني	.493-492
حرف الكاف	
بن كابو بلقاسم بن الطيب	.581-515-494-489-340-323-237-173
كاترو الحاكم العام	.657
الكافي محمد بن يوسف التونسي	.213-183
كافي مسعود	.448
كامبون جول	.238-205-155-99-95-92-91-79-74
كامل مصطفى	.159-132
كاهية فاطمة	.645
الكيابطي مصطفى	.212-210-180-176-158-103-101-100
الكتاني إبراهيم	.658-613-459
الكتاني عبد الكبير	.179
بن دالي عبد الرحمان	.278-179
الكردي محمد	.64
الكرزازي موسى بن أحمد	.84-76
الكنتي المختار الكبير	.85-50-49-48

كلوزيل الجنرال	.109-104-67
الكواش صالح	.312
الكواكي عبد الرحمان	.725-332
بن كيران الطيب	.123
حرف اللام	
لافيجري الكاردينال	.98
اللقاني محمد بن السائح	.566-317-301-273-268-261-260-178-133
لبجاوي محمد	.656
لحمق حسني	.294-224
لانغر مارتن	.315-171
اللجاني بلقاسم	.679-452
اللقيط يوسف	.163-87
لوبو الحاكم العام	.631-628-589
لوتو شارل	.186
لوتورنو	.102-89
لوشاتليه ألفرد	.233-225-180-124-88
لوشيحة الحاج	.611
لوسيان دو مينيك	.281-204-193-157-156-151-132-86
لينين	.274
حرف الميم	
ماء العينين الشيخ	.221
ماسنيون لويس	.731-730-726
المانصالي محمد علي	.446-424-273-268
المبارك أحمد القسنطيني	.84
مبارك زكي	.316-310
بن المبارك معي الدين	.91
ابن المبارك عبد الله	.35
المازوني أبو طالب	.123
الماسي	.25
بن مالك الحبيب مفتي وهران	.496-324
المايني محمد الطاهر بن المختار	.183
المايني محمد بن راشد	.197
بن المليح أحمد	.134
المجاي سيدي امحمد بن علي	.77

144-120.	المجاوي عبد الرحمان أهلول
152-36.	المجدوب عبد الرحمان
80.	المجدوب سيد أحمد
676.	محبوب محمد بن بلقاسم
675.	محبوب محمد
40.	محرز بن خلف
505.	محفوظي محمد
120-26-17.	ابن أبي محلي
429-196.	المختار عمر الشهيد
74.	المدني محمد جعفر بن حمزة
170.	المدني محمد ظافر
726-24-22.	أبو مدين شعيب
505.	مرازقة محمد
599.	المرشد أبو الحسن
554.	المرافي شيخ الأزهر
440.	المرادي محمد الصادق
112-111.	ابن مرزوق الحفيد
513-494-488-302-301-	بن مرزوق محمد
25.	المرسي أبو العباس
212.	المزاري الأغا
729-673.	مزغنة أحمد
644.	مزهودي إبراهيم
613.	بن مزيان حموش الرحماني
320-210-84-76-17.	المستغاني قدور بن سليمان
324-202-84-76-72-13.	المستغاني محمد بن سليمان
23.	المسيلى أبو علي
583.	مشتح عبد القادر
192-72-63.	ابن المشري محمد
25.	ابن مشيش عبد السلام
165.	المشيثي موسى الشريف الحسني
323.	معاشو الشيخ
730-729-728-688-672-671-670-668-667-660-657-588-244-143.	مصالي الحاج
184-28.	بن مصباح محمد العربي
432.	مصطفاي عبد الرشيد

475.	مصطفاي الهادي
657.	مصطفوي الهادي
63.	المضاوي المبروك ابن أبي العافية
71-70.	ابن المظمطية محمد
323-175-70-66.	ابن المظمطية محمود
308-275-143.	المطيبي بخيت
52.	المعاتقي بلقاسم بن الحافظ
679-452-302-269.	معيزة أحمد
265.	معيزة عبد الحميد
52.	المغربي الحاج البشير
720-653-652.	المغربي عبد القادر
176-52.	المغربي علي بن عيسى
114-49-47.	المغيلي محمد بن عبد الكريم
696-320-233.	المغوفل أبو عبد الله
138.	المكناسي محمد بن عيسى
678-675-674-645-637-459-448-417.	المكي الشاذلي
605-340-308.	بن مناد قويدر
368-66-65.	مناشو محمد
394.	ميمان محمد الشريف
حرف النون	
213.	النابتي محمد الخرشي الأزهرى
446-275-100-58.	نابليون الثالث
133.	بن ناجي أحمد
54.	النائلي عطية
52.	نايت عنان محمد بن بلقاسم
530-323-237-232-192-184-135.	النهباني يوسف
266.	بن نبي عمر
-425-420-416-413-380-280-266-255-228-201-179-154-139-110- 755-754-719-717-656-654-640-635-620-619-616-470-469-465-447.	بن نبي مالك
402-339-275.	النجار بلحسن
184.	النجار محمد
570-493.	النجار محمد الحركاتي
643.	النجار مولود
42.	ابن النحوي أبو الفضل

النخلي محمد	402-339-279-275-346-184-275-130.
الندوي مسعود	720-653.
نسومر فاطمة	58.
نصيف محمد	720-653-514.
النعساني بدر الدين	274.
نيجلان	660.
حرف الهاء	
الهبري الشيخ البودالي	92.
الهبري محمد بن أحمد	701-193.
هراس مصطفى	556-498.
الهواري سيدي محمد	37-35-24.
الهولاندي الحاج محمد	434.
هيان بن بيان	190.
حرف الواو	
الوارزقي حسن	682-624-584-518-505-495-449-366.
الواسطي أبو الفتح	25.
الورجلاني	133.
الوزان عمر بن محمد	114.
الوزاني محمد المهدي العمراني	211-190-189-146-136-114.
الوكيلي محمد بن قدور	76.
بن ونيش محمود	457-446-424-268-
الوهراني ابن أبي جمعة المغراوي	208-207.
وهبي يوسف	
حرف الياء	
الياجوري السعيد	477.
الياجوري عبد القادر	674-673-643-606.
ابن ياسين عبد الله	35.
اليجري السعيد	680-678-489-487-477-460-367-319-138.
اليراتي محمد الفضيل	680-678-489-477-460.
أبو يعزى يلنور	25.
اليعلوي عبد الرحمان	676-675-673-653.
بن يلس محمد	701-213-211-193-177.
اليلولي سيدي عبد الرحمان	440-159-139-44-31-14.
يوسف علي	218-160-156.

فهرس الجماعات والشعوب والقبائل والطرق الصوفية والجمعيات.	
642-577-563-315-98	الآباء البيض
-577-558-547-546-490-484-456-440-433-410-392-261-214-113-22 .715-695-605-587	الإباضية
216	آت بترون
618	الاتحاد الشعبي الجزائري
668	الاتحاد العمومي للجمعيات الدينية الإسلامية
-135-132-125-122-121-75-74-73-71-68-66-63-60-52-41-30-29-28 .547-528-307-231-230-202-195-160-150	الأتراك
699-54	الأحناف
.274	إخوان من أطاع الله
.190-36	الأدارسة
496-178-124	الأرباع
.208-207-110-100-95-94-35-27-26-25	الإسبان
.703	الإسماعيلية
.552-522-573-472-335-214	الأشعرية
81	أولاد التاج الغرابة
.692-653-174	أولاد دراج
.83-82-81-78	أولاد سيد الشيخ الشراقة
.81-79-78	أولاد سيد الشيخ الغرابة
.287-74	أولاد إبراهيم
.69	أولاد زياد
.108-93-90-80-79-78-69	أولاد سيدي الشيخ
45	أولاد عبدي
84	أولاد عنتر
151	أولاد أوقاسي
48	أولاد قدور بن مسعودة
692-170	أولاد نايل
84	أولاد هلال
.394-355-354-332-272-110	الباطنية
.732-420-274-224-179-89	البربر
35	البرتغال
.338-314-257	البروتستانتية

186-85.	البكائية
410-355-354.	المهائية
176-60.	البوازيد
698-78-63.	البوشيخية
753-585-573-186-75-72.	البوعبدلية
168-85.	البوعلية
691-603-339-186-125-83-82-81.	البوعمامية
-82-78-72-71-70-69-68-67-66-65-64-60-50-47-41-33-32-30-16-14-13-198-187-174-173-169-161-155-143-139-124-122-121-95-93-88-85-340-329-324-323-301-286-283-280-237-234-230-205-203-202-201-515-506-500-491-472-466-465-457-439-408-381-368-367-357-343-627-620-619-598-590-574-571-555-554-550-533-528-526-519-518-754-753-751-750-697-694-690-646.	التجانية
618	التجمع الفرنسي الإسلامي
125	التكوكية
718-682-673-671-646-643-633-468-464	جبهة التحرير الوطني
673-468-134.	جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية
495	جمعية اتحاد الزوايا لشمال إفريقيا
451	جمعية الاتحاد الرياضي الإسلامي بوهرا
449	جمعية أحباب الفن
450	جمعية إخوان الأدب بوهرا
	جماعة الإخوان المسلمين
224	جمعية الأقباس والأماكن المقدسة الإسلامية
496-495	جمعية أقباس الحرمين الشريفين
302	جمعية إحياء العلوم الإسلامية بالعلمة
426-422-419-358	جمعية الإخاء العلمي
290	جمعية الأخوة الإسلامية
447	جمعية الإرشاد بلكور
494	جمعية الإرشاد والتهديب المحمدية
447	جمعية الإرشادية سطيف
447	الجمعية الإسلامية لمقاومة الكحول
453	الجمعية الإصلاحية وهران

465	جمعية إعانة الفقراء بسكرة
707	جمعية تحرير المرأة المسلمة
492	جمعية التذكير العالوية
689-643-642-637-620-609-750	جمعية التربية والتعليم الإسلامية
696	جمعية التنوير
493	جمعية التهذيب قسنطينة
449	جمعية التهذيب والمواصاة سيدي عيسى
448	جمعية تهذيب وتعليم مسلمي شمال إفريقيا
689	جمعية جامعة الزوايا للشمال الإفريقي
448-447	جمعية الحراسة الإسلامية بقسنطينة
447	جمعية حياة الشباب ميله
446	الجمعية الخيرية أفلو
446	الجمعية الخيرية الإسلامية بسكرة
.666-446-269-266-263	الجمعية الخيرية الإسلامية العاصمة
266	الجمعية الدينية الإسلامية تبسة
448	الجمعية الدينية الحروش
.722-689-58-562	الجمعية الدينية العاصمة
494	الجمعية الدينية للمسلمين السنين تلمسان
689	الجمعية الدينية للمسلمين المحافظين تلمسان
494	جمعية الرشاد
.606-443-441-182-153	الجمعية الرشيدية
491	جمعية رؤساء الطرق الدينية الجزائر
447-268	جمعية الزكاة
.494-302-301	جمعية السلام العاصمة
.597-570-493	جمعية السلام قسنطينة
514	الجمعية السنوسية الخيرية
451	جمعية شباب بجاية للرياضة
450	جمعية الشباب الفني
492	جمعية الشبان العالويين
.722-554-134	جمعية الشبان المسلمين

303	جمعية الشبيبة الإسلامية العاصمة
235	جمعية الشرفاء
649	جمعية الصادقية سالم باي
301	جمعية الصفاء
491	الجمعية الطرقية الدينية الإسلامية
.677-645-459-458	جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين
150	جمعية العائلات الكبيرة الإسلامية قسنطينة
-505-500-498-497-494-491-490-588-479-461-320-319-159-19-10 -623-611-608-607-599-596-592-584-579-568-566-562-536-531-511 737-696	جمعية علماء السنة الجزائريين
453	الجمعية الفرنسية الإسلامية للثقافة والتعاون
494	جمعية فقهاء الدين الإسلامي تلمسان
651-453	جمعية الفلاح وهران
651	جمعية الفلاح بئر خادم
.689-685	جمعية المحافظة بالهامل
492	جمعية محبي الإسلام
666	جمعية المقاصد الخيرية
447	جمعية مقاومة الكحول بعنابة
446	جمعية المؤاخاة سكيكدة
.450-449	جمعية المزهري البوني
559	جمعية المزهري القسنطيني
447	جمعية مستقبل الشباب حسين داي
451	جمعية مولودية العاصمة
448	جمعية النهضة بباريس
645	جمعية نهضة المرأة المسلمة تلمسان
650	جمعية نهضة المرأة المسلمة المرادية
697	جمعية النهوض العاصمة
734-689	جمعية الهداية ببوسعادة
609-515-494	جمعية الهداية بالبلدية
449	جمعية الهلال التمثيلي
450	جمعية الوتر الجزائري
243	الجمعية الودادية لطلبة شمال

	إفريقية
725	جمعية ودادية رجال الديانة الإسلامية
491	جمعية الوعظ والإرشاد
186-24	الجزولية
620-517-438-54	بني حبيبي
135	حزب الاتحاد والترقي
-681-672-670-669-656-646-641-633-628-625-621-617-614-479-470 .757-751-739-738-682	حزب الشعب
.723-633-625-621-616-592-244	حزب النجم
669	حزب الوحدة الجزائرية
.702-192-73-29	الحشم
.752-695-195-187-92-61-55	الحفيظية
408	الحمدوشية
.196-77-31	حميان (القبيلة)
.752-728-695-692-686-682-503-263-195-187-166-154-60-57	الحملوية
69	الحموية الطريقة
177	الحنابلة
.518-408-277-276-235-184-176-127-64-62-61-55-54-52-19	الخلوتية
26	الدلائية
	الدرقاوية
212-70	الدوائر
504-487-58	بني راتن
.503-45-36	زاوية أحمد بن إدريس
168	زاوية أحمد أويحي ببي كوفي
612-45	زاوية أحمد زروق
288	زاوية أولاد رشاش
94	زاوية أولاد العباس
57	زاوية أولاد عبد النور
75	زاوية أولاد الأكراد
.568-287-255-165-94-59	زاوية آيت علي الشريف
699	زاوية بوجملين
.501-495-278-177-168-41-32	زاوية بوقبرين (الحامة)
.690-322-41	زاوية بوقشابية
.691-125	زاوية بوقيراط الطكوكية

516	زاوية تجديت العلاوية
51	زاوية الحسين بن أعراب
.690-489-138	الزاوية الحنصالية
31	الزاوية الخيرانية
.181-166-56-46-45	زاوية ابن أبي داود
.695-187-94	الزاوية الدردورية
58	الزاوية السالمية
322	زاوية بن سعدان
.690-550-166	زاوية سيدي الحسين القشي
41	زاوية سيدي عبد الرحمان
.504-33	زاوية سيدي عمرو الشريف
.673-609-489-460-267-195-186-31	زاوية سيدي منصور
59	زاوية سيدي الموهوب
.319-206	زاوية الشريف الإفليسي
.183-45	زاوية الشيخ يحي العيدلي
.186-166	زاوية العموري
.606-570-510-439-49-47	زاوية عيمش
.322	زاوية فريحة
.32-31	زاوية الفكون
.728-41-32	الزاوية القاسمية
.32	الزاوية القشاشية
.49-47	زاوية قفصة
.187-49	زاوية الكاف
.71	زاوية بن نعمون
	زاوية الهامل
.573	الزاوية الهوارية
.737-691-690	زاوية وادي سقان
	الزاوية اليلولية
.212-209-70-29	الزماله
.72	بنو زروال
.696-692-51	الزناخرة
.26-24	الزيانيون
.120-30-26	السعديون
.274	السعوديون

.472-186-127-112—85-72	الشاببة
.26	الشرافة (اليوسفية)
.205-199-149	الشافعية
.425-210-124-84-83-82-81-74-71-70	الشعانية
.434-280-197-187-34	الشيعة
.742-683-228-617-615-451-326-313-285	الشيوعية
22	الصفريّة
.87-85-71-70-66-50-48	الطوارق
.620-613-438-54	قبائل الحدرّة
.125-74-73-29	فليّة
.702-288-74-29	بنو عامر
.758-604-578-560-480-472-410-335-310-248-214-203-196-140	العبودية
.113	العزابة
.38	العزفيون
.197-184-55-53-42	العزوزية
.757-690-619-532-402-291-198-163-50	العمارية
-570-556-526-509-506-472-403-402-329-227-186-163-138-34-30-24 .754-690-641-620-590	العيساوية
.691-186-75-72	الغلامية
.91-89-59-44-36	القداديش
.577-410-355-345-198	القاديانية
.332-228-37-34	قناوة
.721	الكتانية الطريقة
.723-458-451-314-257-98	الكاثوليكية
.456-268-150-54	الكراغلة
.186-84	الكرزازية الأحمدية
.90-85-49-48-47	كنتة
.365	الكنيسة الميثودية
.77	المجاديب
.29	بنو مجاهر
.124-98	المداقنات
.207	المورييسكيون
.306-212-211-68	بنو مزاب
.522	الماتريديّة

617-595-534-373-315-163	الماسونيون
281-223-107-45	المشاركة
661-659-651-190	المصريون
530	المعتزلة
50	المكاحلية
371-110-37-35-24-5	الموحدون
186-94-91-85-84-64	الناصرية (الطريقة)
735-705-572-562-559-458-314-219-35	النصرانية
409	النقشبندية
696-51-43	النوائل (أولاد نائل)
728	المصاليون
22	المهدية
584	النمامشة
700-691-690-641-570-514-335-186-75-72	الهيرية
568-528-305	الوهابيون
62	الهلاليون
186-121-120-26	اليوسفية
99	اليسوعية
فهرس البلدان والأماكن	
80-73-63-14	الأبيض سيدي الشيخ
580-574-438	الأجناح
14	أدرار
650-443	الأربعاء بني موسى
59	الأربعاء نات إيراتن
729	الأردن
489-468-216	أزفون
236	الأستانة
442-280-194-185-170-169-134-90	إسطنبول
367-275-210-158-149-132-35-25	الإسكندرية
459-274	أسيا الوسطى
723-690-680-672-654-641-611-569-516-505-445-359-320-94	الأصنام
689-640-562-400	أم البواقي
747-680-677-656-636-635-629-514-446-313-310-296-287-193-47	أفلو
654-640-609-565-545-509-442-404-373-327-319-302-201-186-166-46	أقبو

ألمانيا	.669-646-231-133-132
أمريكا	.757-493-364-299-242-50-98
إندونيسيا	.662
أنقرة	.673-468-150
أوزبكستان	.274
أولاد جلال	.690-676-576-322-286-187-54
أولاد ميمون	.642-641
أيت إسماعيل	.59-58-51
إيران	- .757-660-375-345-171
إيطاليا	.574-256-255
الباور	.59
باتنة	-577-562-566-451-442-439-438-437-402-324-286-271-266-243-206-176-133-60 .681-651-631-612
باكستان	.719-716-685-683-662-675-652-649-540-514-274
برج أم نائل	.438-437
برج الرحوية	.74
برج بن عزوز	.649-440-271-270-53
برج بوعريج	.681-653-644-582-501-442-403-394-362-308-307
برقة	.694-155-126-123
بريان	.291-178-74
بريطانيا	.694-676
بريكة	.687-680-644-445-420-196-60
بريزينة	.79
بشار	.673-263-231-200-76
بلعباس	.681-642-629-615-614-515-467-453-441-380-340-206-74-73
بلكور	.715-676-650-638-619-447-445-443-181
بني صاف	.680-673-642-539-453
بني يسقن	.306-256-229-160
بني يعلى	.536-315
بوجليل	.668-504-460-214-186-53
بوحنيقية	.200
بطيوة	.753-690-605-585-573-569-320
بوقاعة	.680-611-501-487-470-454-319
بولوغين	.715-425

354.	بور سعيد
729-715-638-536.	بوزريعة
-688-681-627-501-491-387-314-284-186-183-167-134-125-123-56-45-41-31 735-697-690.	بوسعادة
388-144.	بوفاريك
638-465-33.	البويرة
649-638.	بير خادم
183.	بير العاتر
595-323-268-209-208-135-35.	بيروت
570-64-58-35.	تازة
680-677-640.	تازمالت
166-46.	تاسلنت
581-570-510.	تاغزوت
68-50.	التافنة
59-45.	تبرماسين
371-365-126-124-81-22.	تشاد
512-468-281-195-73.	تطوان
222.	تعضميت
72.	تفيلالت
753-740-456-368-317-220-184-125-66.	تقرت
697-539-332-58.	التلاغمة
67-48.	تمبوكتو
573.	تملوكة
196-107.	تمنراست
627-558-472-165-125-116-114-86-82-66-31.	توات
202.	تولالة
697-506-330-310-133-125-44-42.	توزر
453.	تولوز
696-692-691-681-675-649-642-572-509-489-479-320-90-32.	تيارت
31.	تيديكلت
681-638-446-443-437-320-297-216-91.	تيزي وزو
168.	تيغنيف
696-692-613-316-166-158-95-62-31.	التيطري
446-296-78-77.	جبال القصور والعمور

.510-224-64-51-35	جرجرة
.699-612-610-504-501-395-394-315	الجعافرة
.125-123-91-90	الجغبوب
.699-697-584-445-405-399-338-321-222-186-96-74-56	الجلفة
.650	جمورة
.35	جنوة
.506-107-92-86-77	الجنوب الوهراني
.743-689-681-679-673-653-646-620-580-575-503-468-459-447-322-159	جيجل
.28	حاسي الأحرش
.707-690-501-495-287-143	الحامة
.638-212	حجوط
.506-107-92-86-77	الحراش
.448-323-276	الحروش
.638-447-443	حسين داي
.316-300-174-167-95-41	الحضنة
.25	حميثرا
.74	الحمومية
.722-441	خراطة
.90	الخرطوم
.704-617-613-597-323-302-112	الخروب
.638	خميس الخنشة
.738-699-692-691-690-688-681-562-535-442-324-256-229-85	خنشلة
.742-449-187-175-163-94-91-60-55-45	الخنقة
.51	دارفور
.638-288	دوار اسطح
.59	ذراع الميزان
.26	رأس الماء (سهل الشلف)
.582-508	الرواشد
.47	الرويسات
.695-669-512-507-174-76	الريف المغربي
,145	الزربية
.176-167-91-74-60-55-54	الزعاطشة
.584	الزنينة
.715-649-648-638	سالم باي

.69	سانت مرغريت
.558-167-120-107-78-77	الساورة
.110-38	سبتة
.641-516-513-302-69-50	سيدو
.120	سجلماصة
.79	السخونة
.739-691-681-505-76	سعيدة
.681-675-645-640-639-446-445-442-405-305-295-73	سكيكدة
.64-63	أبو سمغون
.76	بني سنان
.694-528-507-206-198	السنغال
.36-33	سهل حمزة
.138-123-106-71-65-51-22	السودان
63	سوسة
.640-500-135-133-94	سوق أهراس
.676-639-593	سويسرا
.532-404-200-178-54-39	سيدي خالد
.503-33	سيدي داود
.59	سيدي فرج
.600-677-531-529	سيدي عابد
.618-663-175	سيدي عاتي
.680-349-332	سيدي عيش
.653-640-293-266	سيدي مزغيش
.25	شاذلة
.645-606-443-223-204-90-59	شرشال
.653-629-214	شاطودان
.504-255-166-165-94-92-32-28	شلاطة
.501-77-76-63	الشلالة الظهرانية
.340-37	شنقيط
.49-47	صحن الشعانية
.698-543-186-54-52	صندوق
.286-35	صقلية
.688-610-504-503-455-440-183-35-24	الصومام
.186-71	الطاسيلي

.274	طشقند
.136-95-35	طنجة
.60	العامري
.720-684-663-652-647-522-514-453-226-158-103-50	العراق
.653-640-113	عزابة
.691-681-503-487-453-441-367-281	عزازقة
.516	العفرون
.681-653-302-286-265-191	العلمة
.692-491-400	عبي موسى
.696-195	عين بسام
.221-195-83	عين التركي
.681-680-645-642-611	عين تموشنت
.681-436	عين التوتة
.125-86-81-4	عين صالح
.209-75	عين طاقين
.681-613-198	عين عبيد
.271	عين فكرون
.681-653	عين قشرة
.698-681-640-613-612-466-448-375-199-286	عين مليلة
.442	عين ياقوت
.78	عوينة بوبكر
.699-676-675-642-546-456-410-352-351-338-249-213-178-160-98-79-47-15	غرداية
.124-91-71-49	غدامس
.676-215-207	غرناطة
.681-642-614-613-38	الغزوات
.323-209-168-121-49-48	غريس
.695-317	غزة
.750-681-582	فج أمزالة
.120-81-77-76	فجيج
.827-582-59	فرجيوة
.676-596-589-465-423-404-330-271-267-200	فرفار
.691-91	فرطاسة
.642-477	فرندة
.67	فوتاتور

.677-653	القرارم
.89	قرقور
.169-91	القرم
.681-600-539-502-489-437-392-340-335-285-195-84-76-32	قصر البخاري
.90	قلعة بني راشد
.681-674-612-609-442-441	قلعة بني عباس
.692-691-638-613-588-563-516-505-465-301-194-91	القليعة
.692-123-101-84	القنادسة
.681-678-640-611-542-468-454-435-270	قنزات
.681-677-639-613-589	القنطرة
.205-95	قورارة
.417-399-296-246-190-112-55-23	القيروان
.96-58	كاليدونيا
.804-691-186-123-84-76	كرزاز
.90	كلكوتا
.125-60-59	كورسيكا
.216	كوكو
.676-663-514-342-236	الكويت
.728-674-663-652-267-87	لبنان
.340	مارسليا
.696-567-376-223-220-187-168-123-90-84-75-46-32-29-27-14	مازونة
.67	ماسينة
.743-699-689-681-674-448-186-168	المسيلة
.692-501-74-58-36-26	متيجة
.675-642-425-249-210-152-98-91-81-80-78-74-59-55-51-50-47-15	متيلي
.193	مدغشقر
.45	مدوكال
.89	مدونة
.574-556-424-340-284-280-236-235-175-174-64-62-56	المدينة المنورة
.650-638	المرادية
.27	المرسى الكبير
.81-80	مغرار التحتاني
.691-681-641-509	مغنية
.157-74	متداس

.752-507-406-190-120-110-107-75-69	مراكش
.196-186-125-123-74	مسعد
.742	مشدالة
.29	المطمر
.370-280-223-205-176-125-124-123-90-65	مكة
.638-516-297-278-169-90-26	مليانة
.512-340	مليلية
.650-586-48-45	منعة
.642-124-98-82-79-78-77-59-51-47	المنيعه
.399	موريطانيا
.681-675-674-639-571-441-381-283-266	الميلية
.81-78	النعامه
.750-737-691-683-656-641-614-511-322-112-202-199-173-85-76	ندرومة
.110	نصيبين
-510-506-301-288-210-187-176-175-167-135-134-94-90-57-56-55-54-49-47-45 .754-573	نفطة
.118	نقاوس
.125	نقرين
.67	النيجر
.165-107-49-48	الهقار
.707-677-555-554-355-312-287-246-198-193-171-135	الهند
.689-507-454-368	وادي ريغ
.681-613-503-323-322-163	وادي الزناتي
.73	وادي الزهور
.605-536-456-265-262-261-130	وادي ميزاب
.33	وادي يسر
.753-602-542-468-401-340-199-121	وجدة
.696-688-610-504-435-333-322	بني وغيليس
.306-267-124-98-91-88-79-66-59-50-49-47	ورقلة
.240-95	الونشريس
.90-58	يافا
.48	يلل
.673-661-612-555-468-459-432-412-340-280-274-245-171	اليمن

المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم.

المصادر الإصلاحية:

- الإبراهيمي محمد البشير، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (جمع نجله أحمد طالب الإبراهيمي) ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1997.

-ابن باديس عبد الحميد، مجلة الشهاب، (تحرير عبد الحميد بن باديس)، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2001.

-ابن باديس عبد الحميد، آثار ابن باديس، جمع عمار طالبي، ط1، الجزائر، مكتبة الشركة الجزائرية، 1968.

-ابن باديس عبد الحميد، العقائد الإسلامية. تحقيق محمد الصالح رمضان، مكتبة الشركة الجزائرية، د.ت.

- ابن باديس عبد الحميد، التأفين لمنكر التأبين، ثلاث رسائل نادرة لابن باديس، نشرها بن علية، الجزائر، دار الهدى، 2005.

- ابن باديس عبد الحميد، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، جمع وتحقيق محمد الصالح رمضان وتوفيق محمد شاهين، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1995.

- ابن باديس عبد الحميد، جريدة المنتقد، 1925، بعناية وجمع الهادي قطش، الجزائر، دار الهدى، 2112.

-التبسي العربي، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، جمع أحمد شرفي الرفاعي، قسنطينة، دار البعث، 1981.

-جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، جريدة الشريعة النبوية المحمدية، ط1، دار الغرب الإسلامي، (الأعداد 1-7)، 1933. بإشراف ابن باديس، ورئاسة التحرير للشيخين العقبي والزاهري.

-جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، جريدة السنة النبوية المحمدية، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2003.

-جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، جريدة الصراط السوي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2003.

-جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، جريدة الشريعة النبوية المحمدية، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2003.

- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، جريدة البصائر، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2005.

- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المنعقد بالمركز العام بالجزائر سنة 1935، الجزائر، دار الكتب، 1982.

- حماني أحمد، صراع بين السنة والبدعة، قسنطينة، دار البعث، 1984.

- خير الدين محمد، مذكرات، ط2، برج الكيفان الجزائر، مؤسسة الضحى، 2002.

-الزواوي أبو يعلى، الإسلام الصحيح، مصر، مطبعة المنار، 1345.

-العقبي الطيب، الأعمال الكاملة، جمع كمال عجالي ومحمد زرمان، ط1، الجزائر، دار رواي، 2015.

-العقبي الطيب، قصيدة إلى الدين الخالص، د.ت-د.ط.

- طالبي عمار، ابن باديس حياته وآثاره، ط1، الشركة الجزائرية، 1968.

- آل خليفة محمد العيد، ديوان محمد العيد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

-الميلي مبارك بن محمد، رسالة الشرك ومظاهره، ط2، الجزائر، مكتبة النهضة، د.ت.

المصادر الطرقية العامة:

-ابن بكار الهاشي، مجموع النسب، تلمسان، المطبعة الخلدونية، 1381-1961.

-حشلاف عبد الله، شجرة الأصول في شجرة أبناء الرسول، الجزائر، دار الذاكر والمذكور، 2006.

-الخنقي عاشور، منار الإشراف على فضل عصاة الأشراف، تحقيق عبد الحليم بيثي، بوسعادة، دار الخليل القاسمي، 2022.

-ابن عبد الحكم الجليلي، المرأة الجليلة في ضبط ما تفرق من أولاد سيدي يعي بن صفية وفي التعريف بمشاهير العلماء ورجال المعاهد الصوفية، ط1، تلمسان، مطبعة ابن خلدون، 1372هـ. 1953.

-قشوط محمد العربي، كتاب الإرشاد إلى سبيل الرشاد، اعتناء عبد الرحمان دويب، ط2، الجزائر، دار كردادة، 2013.

-الندرومي محمد بن سليمان، النفحة الربانية في التلميزة المختارية (ضمن عرفانية الخطاب من خلال رسائل علماء المغرب الأقصى والأوسط) حمادو بن عمر، الجزائر، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2011.

مصادر ومراجع الطريقة العلوية:

-أضاميم المد الساري لصحيفة البلاغ الجزائري، تحقيق وجمع عبد السلام بن أحمد الكنوني، راجعه وأشرف عليه عدلان خالد بن تونس، ط1، طنجة، 1986.

- البحيصي عوض الله، من أعلام الإصلاح الديني الشيخ عدة بن تونس، ط1، مستغانم، المطبعة العلوية، 1995.

- البودليهي أبو علي المسيلي، إمطة اللثام عما نشأ في الحاضرة التلمسانية من الشكوك والأوهام والشقاق والخصام، ط1، مستغانم، المطبعة العلوية، 1939.

- البودليهي أبو علي المسيلي، الرسالة الديلمية في صيانة العائلات الإسلامية، الجزائر، مطبعة العرفان، 1947.

-الببضاوي عبد الله، مطالع اليقين في مدح الإمام المبين، ط2، مستغانم، المطبعة العلوية، 1992.

-التونسي محمد بن عبد الباري الحسني، الشهادت والفتاوي فيما صح لدى العلماء من أمر الشيخ العلاوي، ط1، المطبعة التونسية، 1925.

- بن عليوة أحمد، البحر المسجور في تفسير القرآن بمحض النور، مستغانم، المطبعة العلوية، 1982.

-ابن عليوة أحمد، الديوان، تحقيق عاصم الكيالي، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2006.

- بن عليوة أحمد، أعذب المناهل في الأجوبة والرسائل، ط2، مستغانم، المطبعة العلوية، ص 1993.

- بن عليوة أحمد، الناصر معروف في الذب عن مجد التصوف، ط1، دمشق، دمشق، مطبعة التوفيق، 1931.

- بن عليوة أحمد، القول المعروف في الرد على من أنكر التصوف، ط1، تونس، المطبعة التونسية، 1339.

-بن عدة تونس، تنبيه القراء إلى كفاح مجلة المرشد الغراء، مستغانم، المطبعة العلوية، 1990.

-بن تونس عدة، الروضة السنية في المآثر العلوية، ط1، مستغانم، المطبعة العلوية، 1936.

- بن تونس عدة، آيات المحبين في مقامات العارفين، ضمن ديوان الشيخ العلوي، جمعية الشيخ العلاوي، ط6، 2006.

- كاري مارسيل، ذكريات الشيخ أحمد بن مصطفى العلوي، مستغانم، المطبعة العلوية، 1987.

-لانغر مارتين، الشيخ أحمد العلوي، ترجمة موافي، بيروت، دار الكتاب الجديد، 1973.

- موهوب ناصر الدين، الشيخ العلاوي المستغاني حياته ومآثره، ط1، الجزائر، منشورات العالمين، 2015.

مصادر ومراجع الطريقة الدرقاوية:

- العشعاشي مصطفى، السلسلة الذهبية في التعريف برجال الطريقة الدرقاوية. تحرير وتعليق مصطفى يلس شاوش، تلمسان، مطبعة سقال، د، ت،

-ابن عطية مولاي العربي البوعبدلي الونشريسي، الاستمدادات الربانية فيما من الله علي من بحر الوحدانية، منشورات تلمسان، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2011.

مراجع ومصادر الطريقة التجانية:

- الأزمي أحمد، الطريقة التجانية في المغرب والسودان الغربي، ط1، المغرب، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2000.
- أكسسوس محمد بن أحمد، الجواب المسكت في الرد على من تكلم في طريقة الإمام التجاني بلا تثبت. سلسلة الكتاب التجاني، الجزائر، تغزوت، 1999.
- الحافظ محمد التجاني، الحاج عمر الفوتي سلطان الدولة التجانية لغرب إفريقيا، مصر، الزاوية التجانية، 1383هـ.
- الحجوي محمد، فتح الملك العلام بتراجم بعض علماء الطريقة التجانية الأعلام، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2018.
- السائح محمد العربي الشرقي العمري، بغية المستفيد لشرح منية المريد، بيروت، دار الفكر، 1973.
- سكيرج العياشي: كشف الحجاب عن تلاق مع الشيخ التجاني من الأصحاب، بيروت، المكتبة الشعبية، 2002.
- سكيرج أحمد العياشي، الرحلة الحببية الوهرانية الجامعة للطوائف العرفانية، تحقيق محمد الراضي كنون، الرباط، دار الأمان، 2011.
- سكيرج أحمد سكيرج، رسائل سكيرج، تحقيق محمد الرضي كنون، المغرب، د، ط، 1997.
- طالب عبد الرحمان، الشيخ سيدي أحمد التجاني ومنهجيته في التفسير والفتوى والتربية، وهران، 2004.
- عمر مسعود، تأثير الشمال الإفريقي على الحياة الفكرية في السودان الغربي، ليبيا، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، 2003.
- بن قدور عمر الجزائري، الإبداء والإعادة في مسلك سائق السعادة، تحقيق عبد الحليم بيثي، الجزائر، دار البصائر، 2011.
- مناشو محمد، رسالة فتح الأبصار على مواقع عثار صاحب المنار، الجزائر، تاغزوت، سلسلة الكتاب التجاني، 1999.
- مصادر ومراجع الطريقة الرحمانية:**
- جريدة الروح، أسبوعية جامعة يقوم بتحريرها الشباب القاسمي (1367هـ-1948)، دراسة وتعليق ماساتوشي كيسانيتشي ومحمد فؤاد القاسمي، ط1، بوسعادة، دار الخليل القاسمي، 2017.
- الحداد محمد أمزيان، التقييد المحل للتعقيد في التصوف، تحقيق عمار طالبي ومعه فريد زيداني وبراهم واعلي، الجزائر، دار البصائر الجديدة، 2014.
- الديسي عبد الرحمان، هدم المنار وكشف العوار، الأعمال الكاملة للديسي، دار كردادة، 2014.
- القاسمي عبد المنعم: الطريقة الرحمانية، بوسعادة، دار الخليل القاسمي، 2013.
- الطريقة الشيخية:**
- يوعمامة الشيخ، وصية بوعمامة، ضمن ذاكرة الجزائر، ج 5، الجزائر، دار كردادة، 2011.
- عبد القادر بن محمد سيدي الشيخ: الياقوتة التائية في التصوف، المغرب، وجدة، المطبعة المركزية.
- مطلق عمار، ديوان الشاعر الفحل أحمد بن الحرمة البرياني (1835-1924)، من غير بيانات.
- المراجع العامة:**
- الإبراهيمي أحمد طالب، مذكرات جزائري، أحلام ومحن (1932-1962)، الجزائر، دار القصة، 2006.
- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ط6، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ت.
- أبراهاردت إيزابيل، مذكرات على الرمل أثر، ترجمة عبد القادر ميهي، ط2، مطبعة الرمال، الوادي، 2015.
- أجرون شارل روبير، المسلمون الجزائريون وفرنسا (1871-1919) الجزائر، دار الرائد، 2007.
- أجرون شارل روبير، المجتمع الجزائري في مخبر الإيديولوجية الكولونيالية، مقاومة القبائل للإدماج والتفكيك وفشل مشاريع التنصير والتجنيس (ترجمة محمد العربي ولد خليفة) الجزائر، منشورات ثالة، 2004.

- أجرون شارل روبير، تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمة عيسى عصفور، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، 1983.
- أرنولد توماس، الدعوة إلى الإسلام. ترجمة حسن إبراهيم حسن وعبد المجيد عابدين وإسماعيل البجاوي، ط3، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1971.
- ألبير سوبول: تاريخ الثورة الفرنسية، ترجمة جورج كوسى، ط4، بيروت، منشورات عويدات، 1989.
- أمين أحمد، زعماء الإصلاح في العصر الحديث. ط3، مكتبة النهضة المصرية، 1971.
- أيغون تورين، المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة، المدارس والممارسات الطبية والدين، (1880-1832)، الجزائر، دار القصة، 2005.
- التليلي العجيلي، الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية (1881-1939)، تونس، منشورات كلية الآداب، منوبة، 2009.
- التليدي عبد الله، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، ط4، الأمان، 2004.
- إحدادن زهير: الصحافة المكتوبة في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية. د.ت.
- إحدادن زهير، الصحافة الإسلامية الجزائرية من بدايتها إلى 1930، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986.
- إحدادن زهير، أعلام الصحافة الجزائرية الأمير خالد والزهاري وأبو اليقظان، الجزائر، مؤسسة أهددن للنشر، 2002.
- ألفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، تحقيق عبد الرحمان بدوي، ط2، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1981.
- أوصديق الطاهر، ثورة (1871)، ترجمة حاح مسعود، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985.
- أوزقان عمار: الجهاد الأفضل، ط1، بيروت، دار الطليعة، بيروت، 1964.
- أيت علجت محمد الصالح، صحف التصوف الجزائرية (1920-1955م)، ديوان المطبوعات الجامعية، 2001.
- أيت علجت محمد الصالح، الشيخ المولود الحافظي حياته وآثاره، الجزائر، منشورات دار الكتب، 1998.
- بخيتي عيسى، جمهرة الرحلات الجزائرية الحديثة في الفترة الاستعمارية 1830-1962. ط1، أبو ظبي، دار السويدى، 2017.
- التسولي، أجوبة التسولي عن مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد، تحقيق عبد اللطيف أحمد الشيخ، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1996.
- بسكر محمد، أعلام الفكر الجزائري، الجزائر، دار كردادة، 2013.
- بشتاوي سعيد، الأمة الأندلسية الشهيدة، ط1، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2000.
- التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تحقيق علي عمر، ط1، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 2004.
- براهيم محمود، العلامة محمد بن علي السنوسي الجزائري مجتهدا ومجاهدا، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2009.
- بن إبراهيم الطيب، إمارة أولاد سيدي الشيخ (1580-1881)، ط1، الجزائر، متليلي، دار صبي، 2006.
- بن إبراهيم الطيب، الاستشراق الفرنسي، الجزائر، المجلس الإسلامي الأعلى، 2007.
- بن عمارة خليفة، سيرة البوبكرية، ترجمة محمد قندوسي، وهران، مكتبة جودي مسعود، 2002.
- البغدادي إسماعيل باشا، هدية العارفين بأسماء المؤلفين وآثار المصنفين، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت.
- بوتشيش إبراهيم القادري، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، المجتمع والذنهيات والأولياء.
- بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1997.
- بوداود بوداود، التصوف في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني، ومعه ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار لموسى بن عيسى المازوني، ط1 الجزائر، مكتبة الرشاد، 2015.
- بوداود عبيد، ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجري دراسة في التاريخ السوسيو-ثقافي، الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2003.

- بن علي محمد بوزيان، واحة فجيج تاريخ وأعلام، ط 1، المغرب، 1987.
- بوصفصاف عبد الكريم، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الوطنية الأخرى (1931-1945)، الجزائر، المتحف الوطني للمجاهد، 1996.
- بوعزيز يحي، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ط 1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1995.
- بوعزيز يحي، ثورات الجزائر في القرنين (19-20)، ط 2، الجزائر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1996.
- بوعزيز يحي، كفاح الجزائر من خلال الوثائق، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986.
- بوعزيز يحي، رحلة في فضاء العمر، الجزائر، دار البصائر، 2009.
- بوعزيز يحي، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، الجزائر، دار البصائر، 2009.
- بوعمران الشيخ، الكشف الإسلامية الجزائرية، (1935-1955)، الجزائر، دار الأمة، 1999.
- بوكسية محمود، التطور الثقافي والسياسي بزوايا الطريقة الرحمانية في عمالة قسنطينة (1870-1954)، الجزائر، دار الإرشاد، 2015.
- بعطيش يحي، دراسات في الخطاب الصوفي عند أقطاب الطريقة العلوية، المطبعة العلوية، 2009.
- بقطاش خديجة، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر (1830-1870)، الجزائر، منشورات دحلب، 1992.
- بلغيث محمد الأمين: تاريخ الجزائر المعاصر، ط 1، الجزائر، دار البلاغ، 2000.
- بلغيث محمد الأمين، الحياة الفكرية الأندلس في عصر المرابطين، ط 1، الجزائر، دار القافلة، 2014.
- بوعبدلي المهدي: الأعمال الكاملة، جمع عبد الرحمان دويب، ط 1، الجزائر، عالم المعرفة، 2013.
- البوعبدلي بوعبد الله البيطوي، الديوان، تحقيق العربي دحو، الجزائر، وزارة الأوقاف، 2011.
- بولحية نور الدين، جمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية وتاريخ العلاقة بينهما، ط 2، الجزائر، دار الأنوار، 2016.
- بن علجية لحسن، محمد حمدان بن أحمد الونيسي القسنطيني المدني، الجزائر، دار مساحات المعرفة، 2015.
- بهلولي سليمان، الدولة السليمانية والإمارات العلوية في المغرب الأوسط (173-342هـ) الجزائر، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2011.
- بوقلي جمال الدين، الإمام ابن يوسف السنوسي وعلم التوحيد، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985.
- البيومي محمد رجب، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، ط 1، دمشق، دار القلم، 1995.
- بيشي محمد عبد الحليم، قضايا الشرف والأشراف عند الإمام محمد الصالح بن مهن، الجزائر، دار البصائر، 2021.
- بيشي محمد عبد الحليم، تطور الثورة الجزائرية في ناحية غرداية، ط 2، الجزائر، عالم المعرفة، 2015.
- بيرم الخامس محمد، صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، تحقيق علي بن الطاهر الشنوفي، تونس، بيت الحكمة، 1999.
- التادلي ابن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق أحمد التوفيق، ط 2، الرباط، منشورات كلية الآداب، 1997.
- تركي راجح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية، ط 4، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984.
- تركي راجح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981.
- تيران ايفون، المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة، المدارس والممارسات الطبية والدين (1830-1880)، ترجمة أوزغلة، ط 1، الجزائر، دار القصبة، 2007.
- الجابري محمد صالح، النشاط العلمي للمهاجرين الجزائريين بتونس، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1983.
- الجابري محمد صالح، التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، ط 1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1990.
- الجبرتي عبد الرحمان، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، بيروت، دار الجيل، د. ت.

- الجرجاني الشريف: التعريفات، اسطنبول، مكتبة الفاتح، د.ت.
- الجزائري محمد باشا، تحفة الزائر، بيروت، المكتبة العلمية، 1998.
- الجندي أنور، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، القاهرة، دار الطباعة، 1965.
- الجيلالي عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام، الجزائر، دار الأمة، 2014.
- ابن الحاج العبدري، المدخل، بيروت، دار التراث، د.ت.
- الحاج سعيد يوسف بن بكير، تاريخ بني ميزاب ونضالهم من أجل الحق في التباين، ط1، غرداية، المطبعة العربية، 1992.
- بن حبيلس الشريف، الجزائر كما يراها أحد الأهالي، ترجمة فيصل الأحمر، الجزائر، دار لمسات، 2012.
- حجي محمد، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، الرباط، مطبعة فضالة، 1964.
- حربي محمد، الثورة الجزائرية، سنوات المخاض، موفم، 1994.
- حركات إبراهيم، السياسة والمجتمع في العهد السعودي، الدار البيضاء، دار الرشاد، 1987.
- حسين محمد الخضر، الرحلات، تحقيق علي الرضا الحسيني، تونس، 1976.
- الحسيني محمد علي الرضا، رسائل بن عزوز، ط1، د.ط، 1984.
- الحفناوي أبو القاسم، تعريف الخلف برجال السلف، الجزائر، موفم للنشر، 1991.
- الحفني عبد المنعم، الموسوعة الصوفية، ط1، القاهرة، دار الرشاد، 1992.
- حمادي عبد الله، السلطان السجلماسي الفقيه الصوفي المفتري عليه الإمام أحمد بن أبي محلي هدي وادي الساورة، ط1، الجزائر، دار بوسعادة، 2013.
- حمادي الرديسي وأسماء نيرة، الرد على الوهابية في القرن التاسع عشر، نصوص الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، دار الطليعة، 2008.
- حماني أحمد، محاضرات ومقالات أحمد حماني، جمعها عبد الرحمان دويب، الجزائر، عالم المعرفة، 2012.
- حماني أحمد، رسالة الدلائل البادية على ضلال البابية وكفر البهائية، باتنة، دار الشهاب، د.ت.
- الخالدي سهيل، الإشعاع المغربي بالشرق، ط1، الجزائر، دار الأمة، 1997.
- بن خدة بن يوسف، جذور أول نوفمبر، ترجمة حاج مسعود محمد، ط2، الجزائر، دار الشاطبية، 2012.
- الخرفي صالح: عمر بن قنبر الجزائري. الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984.
- الخرفي صالح، شعر المقاومة الجزائرية، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ت..
- ابن خلكان أبو العباس: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1998.
- الخطيب أحمد، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وأثرها الاصلاح في الجزائر، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985.
- الخطيب أسعد، البطولة والفداء عند الصوفية، ط3، دمشق، دار الفكر، د.ت.
- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، تحقيق خليل شحادة، ط2، بيروت، دار الفكر، 1988.
- خليفي عبد القادر، التعليم القرآني في الجنوب الغربي الجزائري قبل 1962، الجزائر، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2015.
- خليفي عبد القادر، الطريقة الشيعية، دار الأديب للنشر، وهران، 2006.
- خوجة حمدان، المرأة، تحقيق محمد العربي الزبيري، ط2، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982.
- ابن الخوجة مصطفى، عقود الجواهر في حلول الوفد المغربي بالجزائر، ضمن أعماله، الجزائر، منشورات جامعة الجزائر، 2012.
- ابن الخوجة مصطفى، اللباب، ضمن أعماله الكاملة، ضمن أعماله، الجزائر، منشورات جامعة الجزائر، 2012.

- خوجة علي رضا بن حمدان خوجة، ذكريات رحلة من مدينة الجزائر إلى قسنطينة عبر المناطق الجبلية، ترجمة علي تابليت، الجزائر، دار تالة، 2015.
- خيثر عبد النور، منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية (1830-1954)، وزارة المجاهدين، منشورات مركز الأبيار، 2007.
- داوود زكية، عبد الكريم ملحمة الذهب والدم، ترجمة محمد الشرقي، ط1، المغرب، دار المناهل، 2007.
- دبوز محمد علي، أعلام الإصلاح في الجزائر، ط1، قسنطينة، دار البعث، 1980.
- دبوز محمد علي، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، الجزائر، المطبعة التعاونية، 1965.
- دودو أبو العيد، الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان (1830-1855)، الجزائر، دار الأمة، 2009.
- دو نوفو إدوارد، الإخوان، دراسة سيوسولوجية حول الجماعات الدينية عند مسلمي الجزائر، ترجمة كمال فيلاي، الجزائر، دار الهدى، 2003.
- بن قينة عمر، الشيخ الديسي حياته وآثاره، الجزائر دار كردادة، 2014.
- الذهبي شمس الدين، سير أعلام النبلاء، ط1، القاهرة، مكتبة الصفا، 2003.
- الراشدي أحمد بن سحنون، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق المهدي بوعبدلي، الأعمال الكاملة، الجزائر، عالم المعرفة، 2013..
- أبو راس العسكري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار ط1، تحقيق محمد غانم، وهران، منشورات مركز البحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية، 2008.
- بن رحمون أبو بكر، الديوان، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981.
- رضا محمد رشيد، تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم) ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1999.
- ركيبي عبد الله، الشعر الديني الجزائري الحديث، ضمن الأعمال الكاملة، مج 1-الجزائر، دار الكتاب العربي، 2011.
- روش ليون، اثنان وثلاثون عاما في الإسلام، ترجمة محمد خير البقاعي، ط1، بيروت، دار جسور، 2011.
- رين لويس، تاريخ انتفاضة 1871. ترجمة مسعود حاج مسعود، الجزائر، دار الرائد، 2013.
- الزاهري محمد السعيد، الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير، ط2، الجزائر، دار الكتب، 1983.
- زبادة عبد القادر، الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية، الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب، 1998.
- الزبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة في الجزائر، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985.
- الزيري محمد العربي، الثورة الجزائرية في عامها الأول، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984.
- الزركلي خير الدين، الأعلام، ط15، بيروت، دار العلم للملايين، 2002.
- الزريبي المولود، علم الأخلاق، عناية عبد الرحمان دويب، الجزائر، دار كنوز الرشيد، 2015.
- الزريبي المولود، المقالات، عناية عبد الرحمان دويب، الجزائر، دار كنوز الرشيد، 2015.
- الزريبي المولود، بذور الأفهام وشموس الأحلام على عقائد ابن عاشر الحبر الهمام، عناية عبد الرحمان دويب، الجزائر، دار كنوز الرشيد، 2015.
- زكريا مفدي، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، منشورات مؤسسة مفدي زكريا، 2004.
- ابن زكري محمد السعيد، أوضح الدلائل على وجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل، تحقيق محمد عبد الحليم بيثي، الجزائر، دار البصائر، 2016.
- الزهار أحمد الشريف: مذكرات نقيب الأشراف 1754-1830، تحقيق أحمد توفيق المدني، ط2، الجزائر، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع، 1980.

- الزواوي أبو يعلى، تاريخ زواوة، تحقيق سهيل الخالدي، ط1، الجزائر، وزارة الثقافة، 2005.
- زوزو عبد الحميد، ثورة بوعمامة، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1983.
- زوزو عبد الحميد، الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ترجمة الحاج مسعود، الجزائر، دار هومة، 2005.
- زوزو عبد الحميد، محطات في تاريخ الجزائر، دراسة في الحركة الوطنية والثورة التحريرية على ضوء وثائق جديدة، الجزائر، دار هومة، 2004.
- زوزو عبد الحميد، الثقافة والتعليم الحر والرسمي في العهد الفرنسي. الجزائر، دار هومة، 2017.
- زوزو عبد الحميد، الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين، ط2، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985.
- زيادة خالد، ثلاث رحلات جزائرية إلى باريس. ط1، أبو ظبي، دار السويدي، 2005.
- الزباني محمد بن يوسف، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، ط1، الجزائر، عالم المعرفة، 2013.
- الزباني أبو القاسم، الترجمانة الكبرى، تحقيق عبد الكريم الفيلاي، الرباط، دار المعرفة، 1991.
- ساهي أحمد، ميراث المرأة بين المنع والشرع، الجزائر، جمعية الجاحظية، منشورات التبيين، 1995.
- ساهي أحمد، أعلام من زواوة، الجزائر، مطبعة الثورة الإفريقية، د.ت.
- السائحي محمد الأخضر، محمد الأمين العمودي الشخصية المتعددة الجوانب، ط2، الجزائر، دار هومة، 2001.
- سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930)، ط4، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1992.
- سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية (1930-1945)، ط4، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1992.
- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1998.
- سعد الله أبو القاسم، تجارب في الأدب والرحلة، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983.
- سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط3، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1990.
- سعد الله أبو القاسم، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982.
- سعد الله أبو القاسم، بحوث في التاريخ العربي والإسلامي، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2003.
- سعد الله أبو القاسم، خارج السرب، ط2، الجزائر، دار البصائر، 2009.
- سعد الله أبو القاسم، شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة، ط3، تونس، الدار العربية للكتاب، 1984.
- سعد الله أبو القاسم، على خطى المسلمين حراك في التناقض، ط1 الجزائر، عالم المعرفة، 2009.
- سعد الله أبو القاسم، حياتي، ط1 الجزائر، عالم المعرفة، 2015.
- سعد الله أبو القاسم، حصاد الخريف، ط1، الجزائر، دار المعرفة، 2011.
- سعد الله أبو القاسم، شيخ الإسلام عبد الكريم ابن الفكون داعية السلفية، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1986.
- سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2000.
- سعيدوني ناصر الدين، في الهوية والانتماء الحضاري، الجزائر، دار البصائر الجديدة، 2013.
- سعيدوني ناصر الدين، ذاكرة مدينة الجزائر من خلال النصوص التاريخية، الجزائر، دار البصائر، 2016.
- سعيدوني ناصر الدين، سعيدوني معاوية، ذاكرة مدينة قسنطينة الجزائر، دار البصائر الجديدة، 2016.
- سعيدي مزيان، السياسة الفرنسية في منطقة القبائل ومواقف السكان منها (1871-1914)، الجزائر، دار سنجاق الدين، 2010.

- السلاوي، الاستقصاء الأخبار دول المغرب الأقصى، ط2، بيروت، دار الكتب العلمية، 2010.
- بن سميحة محمد الباقر، تكملة ديوان محمد العيد آل خليفة، دار الغرب الإسلامي، 1997.
- السنوسي محمد الهادي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، إعداد عبد الله حمادي، ط2، قسنطينة، دار بهاء الدين، 2007.
- السنوسي، نصرة الفقير في الرد على أبي الحسن الصغير، ملحق بكتاب الإمام ابن يوسف السنوسي وعلم التوحيد، تحقيق جمال الدين بوقلي، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985.
- ابن سودة عبد السلام، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ط1، بيروت، دار الفكر، 1997.
- سي يوسف محمد، مقاومة القبائل للاستعمار الفرنسي، ثورة بوفيلة، الجزائر، دار الأمل، 2000.
- وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا بالجزائر (1816-1824م) تعريب وتعليق إسماعيل العربي، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982.
- شترة خير الدين، من أعلامنا المنسيين، سطيف، دار الصديق، 2015.
- شترة خير الدين، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة، ط1، الجزائر، دار البصائر، 2008.
- شترة خير الدين، إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية، الجزائر، دار البصائر، 2009.
- الشقراني أحمد بن عبد الرحمان الراشدي، القول الأوسط في أخبار من حل بالمغرب الأوسط، تحقيق ناصر الدين سعيدوني، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1991.
- شغيب محمد، أم الحواضر، قسنطينة، دار البعث، 1980.
- الشنقيطي أحمد بن الأمين، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط والكلام على تلك البلاد تحديدا وتخطيطا وعاداتهم وأخلاقهم الشنقيطي أحمد بن الأمين، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط والكلام على تلك البلاد تحديدا وتخطيطا وعاداتهم وأخلاقهم وما يتعلق بذلك، ط5، مصر، الشركة الدولية للطباعة، 2002.
- شنوف سهيل ولبيلي شكيب، الطيب العقبي وعبد الحميد بن باديس مراسلات وأحداث، الجزائر، منشورات تالة، 2014.
- شوقي أحمد، ديوان الشوقيات، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2007.
- ابن سعد، روضة النسر في التعريف بالأشياء الأربعة المتأخرين، تحقيق يحي بوعزيز، الجزائر، عالم المعرفة، 2011.
- صاري جيلالي، بروز النخبة المثقفة الجزائرية (1850-1950)، ترجمة عمر المعراجي، الجزائر، منشورات anep، 2007.
- سليمان الصيد، صالح بن مهنا القسنطيني حياته وتراثه، ط1، قسنطينة، دار البعث، 1983.
- الصديق محمد الصالح، أعلام من المغرب العربي، الجزائر، موفم، 2000.
- الصديق محمد الصالح، الشيخ أرزقي الشرفاوي، ط1، دار الأمة، 1998.
- صيد عبد الحليم، معجم أعلام بسكرة، الجزائر، دار النعمان، 2014.
- ضيف بشير، فهرست معلمة التراث الجزائري، الجزائر، دار تالة، 2007.
- الطمار محمد، تاريخ الأدب الجزائري، الجزائر، منشورات عاصمة الثقافة العربية، 2007.
- عباد صالح، المعمرون والسياسة الفرنسية في الجزائر (1870-1900)، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1983.
- عبد الوهاب محمد حلي، ولادة وأولياء السلطة والمتصوفة في إسلام العصر الوسيط، ط1، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2009.
- بن عبد الكريم محمد، ثلاث رسائل في الهجرة، الجزائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981.
- عثمان بن عبد القادر، الطريقة الخلوتية الرحمانية طريقة قرآن وعلم وجهاد، د.ط.
- بن عتيق محمد الصالح، أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية والحركة الوطنية بالجزائر
- عبد القادر نور الدين، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر جامعة الجزائر، نشر كلية الآداب، 1965.

- العجمي محمد، الرسائل المتبادلة بين جمال الدين القاسمي ومحمود شكري الألوسي، ط1، بيروت، دار البشائر الإسلامية، 2001.
- العدواني، تاريخ العدواني، تحقيق سعد الله، ط2، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2005.
- العربي إسماعيل: الصحراء الكبرى وشواطئها، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983.
- ابن عسكر الشفشاوني، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشائخ القرن العاشر، تحقيق محمد حجي، ط3، الدار البيضاء، مركز التراث الثقافي، 2003.
- العقبي صلاح مؤيد، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، بيروت، دار البراق 2002
- العقون عبد الكريم: الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر (1920-1936) المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984. ج3 (1847-1954) سنة 1986.
- العقون عبد الرحمان، مذكراتي، الجزائر، منشورات دحلب، 2000،
- العقيقي نجيب، المستشرقون، ط4، القاهرة، دار المعارف، 1980.
- علالي محمودي، الحركة الإصلاحية بالأغواط، الجزائر، دار اللواء، 2013.
- بن علجية لحسن، محمد حمدان بن أحمد الونيسي القسنطيني المدني، حياته وأثاره، الجزائر، دار مساحات المعرفة، 2015.
- العلمي محمد، الدليل التاريخي لمؤلفات المذهب المالكي، ط1، الرباط، الرابطة المحمدية للعلماء، 2012.
- عمر عبد العزيز، دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، القاهرة، دار النهضة العربية، 1990.
- ابن العنزي، مجاعات قسنطينة (1804-1876)، تحقيق رابح بونار، 1974
- ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د-ت.
- عميراي احميده، رسالة الطريقة القادرية في الجزائر، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، 2003.
- عنان محمد عبد الله، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين. ط3، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة، 1966.
- عويمر مولود، السجلات الفكرية في الجزائر (1936-1956) (جمع وتحقيق)، الجزائر، دار أيدكوم، 2013.
- عويمر مولود، تراث الحركة الإصلاحية، الجزائر، دار قرطبة، 2011.
- عويمر مولود، مالك بن نبي رجل الحضارة، الجزائر، دار الأمل، 2007.
- عيساوي أحمد، مدينة تبسة وأعلامها، الجزائر، مؤسسة البلاغ، 2013.
- العياشي أبو سالم، ماء الموائد (الرحلة العياشية للبقاع الحجازية)، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2011.
- عياض القاصي، تيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق محمد سالم هاشم، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1998.
- الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، ط1، الجزائر، دار البصائر، 2007.
- كمال غربي، المساجد والزوايا في مدينة قسنطينة الأثرية، الجزائر، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2011.
- الغماري أحمد بن محمد بن الصديق، الجواب المفيد للسائل والمستفيد، بيروت، الكتب العلمية، 2002.
- الفاسي علال: الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، تطوان، 1984.
- الفاسي عبد الحفيظ بن محمد الطاهر بن عبد الكبير، معجم الشيوخ، رياض الجنة أو المطرب المدهش، تحقيق عبد المجيد خيالي، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2003.
- فرحات عباس، ليل الاستعمار، ترجمة أبو بكر رحال، المغرب، مطبعة فضالة، د-ت.
- ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تحقيق محمد الأحمد أبو النور، ط2، القاهرة، مكتبة دار التراث، 2005.

- فراد محمد أرزقي، الأفكار الإصلاحية في كتابات أبي يعلى الزواوي، الجزائر، دار الأمل، 2009.
- الفرقان حسن، أدبيات الأوبئة في مغرب القرن 19، الرباط، دار التوحيد، 2014.
- فريد محمد بك، من مصر إلى مصر رحلة عام (1901)، القاهرة، مطبعة الموسوعات، 1319هـ.
- فضلاء محمد الحسن، المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر، ط1، الجزائر، دار الأمة، 2000.
- فضلاء محمد الحسن، من أعلام الإصلاح في الجزائر، دار هومة، 2010.
- فضلاء محمد الطاهر، دعائم النهضة الوطنية الجزائرية، ط1، دار البعث، قسنطينة، الجزائر.
- فضلاء محمد الطاهر، أعلام الجزائر الشيخ السعيد أهلول الورثاني في مجموعة من رسائله وفتاويه ومجالسه، دار هومة، 2004.
- ابن الفكون عبد الكريم، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تحقيق أبو القاسم سعد الله، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1987.
- فيلاي مختار، نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني، باتنة، دار الفن القرافيكي، د.ت.
- فيلاي عيد العزيز، ابن باديس مرحلة التحصين والتكوين، الجزائر، دار الهدى، 2014.
- القاسمي الحسني عبد المنعم، زاوية الهامل مسيرة قرن من العطاء والجهاد، ط1، بوسعادة، دار الخليل، 2009.
- القاسمي عبد المنعم، الطريقة الرحمانية، بوسعادة، دار الخليل القاسمي، 2015.
- القاسمي محمد فؤاد، فهرس مخطوطات المكتبة القاسمية بالهامل، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2006.
- بن القاضي المكتاسي، درة الحجال، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2002.
- القباج حماد، حياة شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي (1887-1964)، ط1، المغرب، دار نشر، 2014.
- قداش محفوظ، جزائر الجزائريين 1830-1954. ترجمة محمد المعراجي، الجزائر، منشورات المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، 2008.
- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1964.
- قنان جمال، نصوص ووثائق من تاريخ الجزائر الحديث (1500-1830)، الجزائر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1987.
- قنان جمال، دراسات في المقاومة والاستعمار، الجزائر، المتحف الوطني للمجاهد، د.ت.
- قنانش محمد، الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين (19-39)، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982.
- قوبع عبد القادر، الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان ووادي ميزاب بين سنتي (1920 و1954)، الجزائر، دار طليطلة، 2013.
- بن قينة عمر، صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1993.
- الكتاني عبد الحي، فهرس الفهارس والأبحاث، تحقيق إحسان عباس، ط2، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1982.
- الكتاني الشريف أبو عبد الله محمد بن جعفر: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقر من العلماء والصلحاء بفاس، ط1، الدار البيضاء، مكتبة الثقافة، 2004.
- ابن كثير أبو الفدا، البداية والنهاية، ط6، بيروت، دار المعارف، 1986.
- كحالة عمر رضا، معجم المؤلفين، ط1، بيروت، دار الرسالة، 1993.
- كركار جمال، العرف والعمل الجزائري وأثرهما في الفتاوى والأحكام، منطقة الزواوة خلال فترة الاحتلال أنموذجاً. الجزائر، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، 2013.
- كريستان فيلين، انتفاضة مارغريت (عين التركي)، ترجمة أحمد بكلي، الجزائر، دار القصة، 2012.
- لطيفة لخضر، الإسلام الطريقي، تونس، دار سراس، 1993.

- لوتروب ستودارد، حاضر العالم الإسلامي، ترجمة عجاج نويهض، بيروت، دار الفكر، د.ت.
- مارتى بول، كنتة الشرقيون تعريب وتعليق محمد محمود بن ودادي، مكتبة زيد بن ثابت. دمشق، سوريا 1985،
- المالكي أبو بكر، رياض النفوس في طبقات علماء إفريقية، تحقيق بشير البكوش، ط 2، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1994.
- المجاوي، اللمع في نظم البدع، ذاكرة الجزائر، ج 3. الجزائر، دار كردادة، 2011.
- المجاوي، إرشاد المتعلمين، تحقيق عادل همال، ط 1، بيروت، دار ابن حزم، 2008.
- محفوظ محمد، تراجم المؤلفين التونسيين، ط 1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1994.
- محفوظي عامر، تحفة السائل بباقة من تاريخ سيدي نائل، الجزائر، مطبعة النعمان، 2002.
- مخلوف محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، بيروت، دار الفكر، د. ت.
- المدني أحمد توفيق، حياة كفاح (1925-1954)، الجزائر، دار البصائر، 2010.
- المدني أحمد توفيق، هذه هي الجزائر، كتاب الجزائر، الجزائر، دار البصائر، 2009.
- مراد علي، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر (1925-1940)، ترجمة محمد يحياتن، الجزائر، دار الحكمة، 2007.
- المراكشي العباس بن إبراهيم، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط، المطبعة الملكية، 1978.
- ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1985.
- المساري محمد العربي، محمد بن عبد الكريم الخطابي من القبيلة إلى الوطن، ط 1، المغرب، المركز الثقافي العربي، 2012،
- مفتاح عبد الباقي، أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه، ط 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2008.
- مفتاح عبد الباقي، أضواء على الشيخ عبد القادر الجيلاني وانتشار طريقته، ط 1، الجزائر، دار الهدى، 2008.
- مفتاح عبد الباقي، نظرات حول الطريقة الرحمانية الخلوتية، ط 1، الأردن، عالم الكتب، 2016.
- ابن المفتي حسين شوايش، تقييد ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، تحقيق فارس كعوان، ط 1، الجزائر، بيت الحكمة، 2009.
- المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، ط 1، بيروت، دار الفكر، 1998.
- مرتاض عبد المالك، أدب المقاومة في الجزائر (1830-1962)، الجزائر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، 2009.
- مرتاض عبد المالك، نهضة الأدب العربي في الجزائر (1925-1954)، ط 2، الجزائر، ش و ن ت، 1983.
- مرتاض عبد المالك، معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين، ط 1، هومة، 2007.
- مرزوق خالد والمختار بن عامر، مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان، الجزائر، دار زمورة، 2013.
- مريوش أحمد، الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، ط 1، الجزائر، دار هومة، 2007.
- المزاوي الأغا بن عودة، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا، تحقيق يحي بوعزيز، ط 1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1990.
- مفلح محمد، أعلام من منطقة غليزان، الجزائر، دار المعرفة، 2009.
- مطبّقاني مازن، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية (1931-1939)، تقديم سعد الله، الجزائر، دار بني مزغنة، 2015.
- مناصرية يوسف، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب (1832-1847)، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1990.
- موساوي زروق، مسيرة مقاوم من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، منشورات الشهاب، 2015.

- موأعدة محمد، الخضر حسين حياته وآثاره، الدار التونسية للنشر، 1974.
- مومن العمري، الحركة الثورية في الجزائر (1926-1954)، قسنطينة، دار الطليعة، 2003.
- مياسي إبراهيم، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1999.
- المهاجي الطيب، أنفاس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي والحاضر، وهران، الشركة الجزائرية للطبع والأوراق. د.ت.
- الميساوي محمد الطاهر، جمهرة مقالات ورسائل الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور، ط 1، الأردن، دار النفائس، 2015.
- الميللي مبارك، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب.
- الميللي محمد، الشيخ مبارك الميللي حياته العلمية ونضاله الوطني، ط 1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2001.
- الميللي محمد، المؤتمر الإسلامي الجزائري، الجزائر، دار هومة، 2006.
- بن اسماعيلي محمد، مشايخ خالدون وعلماء عاملون، الجزائر، عين مليلة، دار الهدى، 2001.
- ناصر محمد، الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954، الجزائر، المطبعة العربية.
- ناصر محمد، المقالة الصحفية الجزائرية، نشأتها، تطورها، أعلامها (1903-1931)، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1978.
- بن نبي مالك، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، ط 2، دمشق، دار الفكر، 1986.
- بن نبي مالك، شروط النهضة، (عبد الصبور شاهين) دمشق، دار الفكر، 1985.
- بن نبي مالك، مذكرات شاهد القرن، بيروت، دار الفكر، 1985.
- بن نبي مالك، مذكرات العفن، (1932-1940)، ط 1، الجزائر، دار الأمة، 2007.
- بن نبي مالك، لبك-رواية، ترجمة زيدان خوليف، ط 1، دمشق، دار الفكر، 2009.
- بن نبي مالك، ميلاد مجتمع شبكة العلاقات الاجتماعية، ط 3، دمشق، دار الفكر، 1986.
- بن نبي مالك، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين، دمشق، دار الفكر، د.ت.
- نجمي عبد الله، التصوف والبدعة بالمغرب طائفة العكاكزة، ط 1، الرباط، منشورات كلية لأداب، 2000.
- الندوي أبو الحسن، مذكرات سائح في الشرق العربي، دمشق، دار ابن كثير، 2001.
- نسيب محمد، زوايا العلم والقرآن بالجزائر، الجزائر، دار الفكر، د.ت.
- نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط 2، بيروت، مؤسسة نويهض، 1980.
- هانوتو ولوتورنو، منطقة القبائل الكبرى العادات القبائلية التنظيم السياسي والإداري، ترجمة مزيان الحاج أحمد أقاسم، الجزائر، منشورات كرجا، 2013.
- الهرماسي عبد اللطيف، المجتمع والإسلام والنخب الإصلاحية في تونس والجزائر، ط 1، الدوحة، المركز العربي للأبحاث، 2018.
- هلال عمار، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830 - 1962)، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995.
- هلال عمار، العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية، فيما بين القرنين 9-20، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995.
- هلال عمار، هجرة الجزائريين إلى بلاد الشام، (1847-1919)، الجزائر، دار غرناطة، 2013.
- هلايلي حنفي، صفحات من تاريخ منطقة بلعباس، دار الأصول، بلعباس، 2013.
- واعلي محمد الطاهر، التعليم التبشيري في الجزائر، الجزائر، مطبعة دحلب، 1997.

- الوناس الحواس، نادي الترقى ودوره في الحركة الوطنية (1927-1954)، الجزائر، كنوز الحكمة، 2012.
- الورثاني الحسين، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، ط1، الجزائر، دار المعرفة الدولية، 2011.
- الورثاني الفضيل، الجزائر الثائرة، ط4، الجزائر، عين مليلة، دار الهدى، 2009.
- الوزاني المهدي، نوزل المعيار الجديد، تحقيق عمر بن عباد، ط1، المغرب، منشورات وزارة الأوقاف، 1996.
- الونشريسي أحمد بن يحيى، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس والمغرب تحقيق محمد حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1981.
- يسلي مقران، الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل، الجزائر، تيزي وزو، دار الأمل، 2006.
- يوهان كارل بيرنت، الأمير عبد القادر، ترجمة أبو العيد دودو، ط2، الجزائر، دار هومة، 1996.

كتب جماعية وموسوعات:

- دائرة المعارف الإسلامية (مجموعة المستشرقين)، بيروت، دار الفكر، 1988.
- مجموع إجازات علماء الجزائر ورسائل حديثة، بعناية عبد الرحمان دويب، الجزائر، دار التوفيقية، الجزائر 2011.
- محمد رشيد رضا، مجلة المنار، مصورة في المكتبة الشاملة.
- مرجعيات جمعية العلماء: إعداد عبد الرحمان حمادو، الجزء المتعلق بنشأة الجمعية، أخرج بعناية عبد الرحمان دويب، وذلك في أعقاب صدور مذكرات حياة كفاح للمدني، والذي تعقبه محمد الطاهر فضلاء بكتاب "التحريف والتزييف في كتاب حياة كفاح، والذي طبع بمطبعة البعث بقسنطينة سنة 1982.
- معجم أعلام الإباضية، ط1، القرارة، جمعية التراث، 1999.
- معجم مشاهير المغاربة، (تأليف مجموعة من الأساتذة بإشراف الشيخ أبو عمران)، جامعة الجزائر، طبع الملكية للطباعة والنشر، 1995.
- معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، عمل جماعي بإشراف عبد الكريم بوصفصاف، ط1 الجزائر، دار مداد، 2015.

-المخطوطات والأرشيف:

- الشيخ بوعمامة، وصية الشيخ بوعمامة، مخطوطة لدى الباحث من الزاوية الشيخة بعين السخونة.
- الجليلي شعيب، كناشة شعيب الجليلي التلمساني، الرباط، الخزنة العامة. مصور لدى الباحث
- الدهمة الأخضر، سيرة حياة، مخطوطة لدى الباحث.
- المشرف العربي، رسالة في البلدين، الرباط، الخزنة العامة. مصور لدى الباحث

-الجرائد المصورة:

- جريدة الإصلاح، مصورة على موقع غليكا - جريدة الإخلاص، مصورة على موقع غليكا
- جريدة الأمة، مصورة على موقع غليكا - جريدة البلاغ، مصورة على موقع غليكا
- جريدة الثبات، مصورة على موقع غليكا - جريدة الحق، مصورة على موقع غليكا.
- جريدة الرشاد، مصورة على موقع غليكا - جريدة الصديق. مصورة على موقع غليكا
- جريدة صدى الصحراء. مصورة على موقع غليكا. - جريدة صوت المسجد، مصورة على موقع غليكا
- جريدة الشعلة. مصورة على موقع غليكا - جريدة الفاروق. مصورة على موقع غليكا
- جريدة لسان الدين. مصورة على موقع غليكا - جريدة كوكب إفريقيا ع 199 (24 فيفري 1911م).
- جريدة كوكب إفريقيا ع 348، (2 جانفي 1914) - جريدة المرصاد مصورة على موقع غليكا

-جريدة المعيار مصورة على موقع غليكا - جريدة المغرب، مصورة على موقع غليكا
-جريدة الميدان مصورة على موقع غليكا. -جريدة النجاح مصورة على موقع غليكا.

الأرشيف الوطني:

العدد والسنة	المرجع من الأرشيف الوطني	الجريدة
ع 1 (1928) ع: 2-3-4-6-7-8-9 (1929)	JA1 77	الإصلاح للعقبي، السلسلة الأولى
ع 20 (1933)	JA 184	الإخلاص (جمعية علماء السنة)
ع 2 (1925)	JA 176	الجزائر (الزاهري)
ع: 7---10 (1934) ع: 58-59-61-67-74 (1936)	JA 43	الأمة
ع: 1 (1925)	JA 175	صدى الصحراء
ع: 19-26-40-41 (1937) ع: 44-45-48 (1938) ع: 72 (1939)	JA 185	لسان الدين (العلاوية)
ع: (1938)	JA 121	الوفاق
	JA 183	النجاح
ع: 188 (1930) ع: 28 (1932) ع: 292-296-316 (1933)	JA 182	البلاغ الجزائري

رسائل ومذكرات وأطاريح جامعية.

-بوغانم غزالة، الطريقة العلاوية في الجزائر ومكانتها الدينية والاجتماعية (1909-1934) ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف عبد الكريم بوصفصاف، جامعة منتوري قسنطينة، قسم التاريخ والآثار، 2008.

-بلمومن محمد فاضل، الشيخ الحسن البغدادي وجهوده لإصلاحية في الجزائر المعاصرة، مذكرة ماستر في التاريخ والحضارة، إشراف محمد عبد الحليم بيثي، جامعة الجزائر 1، كلية العلوم الإسلامية، 2018.

- تلمساني بن يوسف، الطريقة التجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر، الحكم العثماني، الأمير عبد القادر، الإدارة الاستعمارية (1782-1900)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، إشراف ناصر الدين سعيدوني، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 1997.

- حنفوق إسماعيل، الطرق الصوفية في الأوراس، ماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، تخصص تاريخ الأوراس، إشراف الدكتور صالح فركوس، جامعة باتنة، 2010.

-غنازية علي، مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى الثورة التحريرية (1882-1954)، دكتوراه في التاريخ الحديث، إشراف عمر بن خروف، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 2009.

- القاسمي ماجدة الحسني، الطريقة الرحمانية أركانها وأصولها، ماجستير عقيدة، إشراف عمار جبدل، كلية أصول الدين الجزائر جامعة الجزائر، كلية العلوم الإسلامية، 2000.

- بن قوية سامية، وقائع وأحكام الجهاد في الفقه الإسلامي، الاحتلال الفرنسي للجزائر نموذجا، رسالة دكتوراه في أصول الفقه، جامعة الجزائر1، كلية العلوم الإسلامية، 2010.
- مزار مليكة، جمعية علماء السنة الجزائريين، مذكرة ماستر تخصص تاريخ المغرب العربي المعاصر، بإشراف أحمد بلعجال، جامعة حمّة لخضر، الوادي، 2018.
- موسى بن موسى، الحركة الإصلاحية بوادي سوف نشأتها وتطورها (1900-1939)، رسالة ماجستير، إشراف أحمد صاري، جامعة قسنطينة، 2006.

مقالات علمية

- بوكوشة حمزة، شخصيات منسيّة الأمين العمودي، الجزائر، مجلة الثقافة، ع 6 (جانفي، 1972)،
- بسكر محمد، دور النخب المثقفة في مواجهة سياسة التعليم في عهد الاحتلال الفرنسي، جريدة البصائر، العدد 964، 10-16 جوان 2019.
- بلام إسلام، العامية الجزائرية في لسان العرب وجدل التاريخ، البصائر، ع 964، (10-19 جوان 2019).
- بليل حسني بليل، الزاوية الدرقاوية ودورها في الحركة الوطنية، أعمال الملتقى الوطني الأول والثاني حول دور الزوايا في المقاومة والثورة التحريرية، منشورات وزارة المجاهدين، 2007.
- بلمهدي علي بشير، علاقة الشيخ أحمد بت مصطفى بن عليوة بالشيخ محمد بن عبد الكريم الخطابي، مجلة المواقف للدراسات والبحوث في المجتمع والتاريخ، العدد 1، ديسمبر-جانفي 2007.
- المهدي البوعبدلي: جوانب مجهولة من آثار زيارة الشيخ محمد عبد للجزائر، مجلة الأصالة، العدد 54 سنة 1987.
- بيثي محمد عبد الحليم، جهود الجزائريين في العناية بالعقائد السنوسية، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جمعية كليات الشريعة، الجزائر، العدد 12، السنة التاسعة، 2017.
- بيثي محمد عبد الحليم بيثي، الدرس التفسيري في الجنوب، الأخضر الدهمة نموذجا، البصائر، 17-10-2018.
- بيثي محمد عبد الحليم، مكانة القاضي عياض وكتابه الشفا عند الجزائريين، مجلة الذخيرة، مج 1، ع 3، (جوان، 2019).
- التيمي عبد الجليل، حكومة الشريف حسين بالحجاز والبعثة السياسية والعسكرية الفرنسية بالجزيرة العربية 1916-1918. المجلة التاريخية المغربية، العددان 83-84، يوليو-تموز، 1996.
- حلوش عبد القادر، حركة التنصير في الجزائر، مركز الأبيار، مجلة الرؤية، ع 1، (1-2/1996).
- خرفي صالح، الشعر والانحراف الديني، الثقافة، ع 44 (أفريل-ماي، 1978)،
- خرفي صالح، الأبعاد التاريخية في الشعر الجزائري الحديث، مجلة الثقافة، ع 01، (مارس 1971)
- دراوي محمد، أحزاب جزائرية مغمورة في الحقبة الاستعمارية، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، جامعة الجبيلي بونعامة، خميس مليانة، مج 4 ع 2 (سبتمبر 2021)،
- الداودي رشيد، محمد عبده والمشهد الإصلاحي التونسي، الهداية، تونس العدد 106 أفريل 2004.
- بن ذياب أحمد، الشيخ فرحات الدراجي، مجلة الثقافة، ع 35 (أكتوبر-نوفمبر 1976)،
- رمضان محمد الصالح، محمد بن العابد الجلاي، مجلة الثقافة، ع 82 (جويلية-أوت، 1984)،
- رمضان محمد الصالح، الشيخ محمد الغسيري، الجزائر، مجلة الثقافة، ع 45 (جوان-جويلية 1976).
- الزرهوني محمد بن عمر، ذكرى الذاكر والمذكور الشيخ قدور بن عاشور مداح النبي المبرور، الجزائر، مجلة الثقافة، العدد 103 (يوليو-أغسطس 1994).

- السائح محمد الأخضر، قراءة جديدة في جريدة الجحيم، جريدة المجاهد الأسبوعي، ع 1666 في (10-7-1992)، ص 12، نقلا عن موقع أحمد حمدي.
- السحنوني علي أمقران، هذا الشيخ المجهول الشيخ أبو زكريا يحي العبدلي، مجلة الدراسات التاريخية، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، ع 4، 1988م.
- السحنوني علي أمقران، المعهد السحنوني، مجلة سيرتا، قسنطينة، معهد العلوم الاجتماعية، ع 5، السنة 3، 1981.
- سمراد سمير، أعلام منسية عبد الرحمان بوحجر، منشور بموقع راية الإصلاح منشور (4-4-2015)
- بن أبي شنب سعد الدين، النهضة العربية في الجزائر في النصف الأول من القرن الرابع عشر، مجلة كلية الآداب، العدد 1، 1964.
- بن أبي شنب محمد، الرجال الذين روى صحيح البخاري وبلغوه لأهل مدينة الجزائر" دراسة مصطفى حميداتو، جامعة الوادي، مجلة المهمل، المجلد 5، العدد 1، جوان 2019.
- قصيبة أحمد، الشيخ الإبراهيمي في منفاه بمدينة أفلو، الجزائر، مجلة الثقافة، ع 87 (ماي-جوان 1985)،
- القورصو محمد، الطرقيون يتصدون لانتشار الإصلاح في عمالة وهران (1931-1935)، أعمال الملتقى الوطني حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية، منشورات وزارة المجاهدين، 2007.
- عبيد مصطفى، جامعة الزوايا للشمال الإفريقي، الجزائر، مجلة الباحث، جامعة الوادي، ع 6، 2015.
- عثمان عبد القادر، الزوايا والتعليم الديني، مجلة الامام مالك بن أنس، ع 1، دار الهدى، 2002
- عويمر مولود، الشيخ محمد الخضر حسين مسار التواصل بين المشرق والمغرب، المجلة الخلدونية، العدد 8، سنة 2010
- عويمر مولود، الإمام حسن البنا وحركات التحرر المغاربية، مجلة المجتمع، العدد 1490، (23-2-2002).
- صاري أحمد، الجديد في زيارة محمد عبده إلى الجزائر وقسنطينة، جامعة الأمير، كلية الآداب، مجلة الأدب والعلوم الإنسانية، ع 2 (6-3-2003).
- صليبيا جميل، مقتطفات من مذكرات جميل صليبيا عن الشيخ الإبراهيمي، الثقافة، ع 87 (ماي-جوان)، 1985.
- فضلاء محمد الطاهر، من أعلام النهضة الوطنية الشيخ الطيب العقبي، مجلة الثقافة، ع 66 (نوفمبر-ديسمبر 1981).
- فغور دحو، بوكعب تقي الدين، رسالة الشيخ عبد الرحمان الديسي إلى الشيخ عبد الحميد بن باديس "مجلة العلوم الإنسانية، جامعة أحمد بن بلة، وهران، العدد 4، 2015
- كرسوليو آلان، حول بداية النهضة الجزائرية، كتيب لعبد القادر المجاوي، الجزائر، مجلة الثقافة، ع 46 (أوت-سبتمبر، 1978)
- مرحوم علي، نظرة على تاريخ الصحافة العربية الجزائرية، مجلة الثقافة، ع 42 (ديسمبر-جانفي، 1978).
- مرحوم علي، نظرة على تاريخ الصحافة العربية الجزائرية، مجلة الثقافة، ع 43 (فيفري، مارس، 1978)
- مرحوم علي، نظرة على تاريخ الصحافة العربية الجزائرية، مجلة الثقافة، ع 46 (أوت-سبتمبر، 1978).
- ناصر ناصر، عمر راسم المصلح الثائر، الجزائر، مجلة الثقافة، ع 30 (ديسمبر-جانفي 1976)،
- هلال عمار، أصداء الهجرة الجزائرية نحو بلاد المشرق في بعض التقارير الفرنسية، مجلة الثقافة، العدد (جوان-جويلية) 1985.
- هلال عمار، النوادي الثقافية، جامعة الجزائر، مجلة الدراسات التاريخية، ع 7، 1993.
- هلال عمار، الطلبة الجزائريون بالأزهر (1916)، مجلة الثقافة، ع 79 (فيفري 1984)،
- ولد أحمد عبد القادر، مقاومة الشيخ العامري عبد الرحمان الطوطي الدرقاوي بمنطقة سيدي بلعباس 1945، الجزائر، كلية العلوم الإسلامية، جامعة باتنة، مجلة الإحياء، المجلد 20، العدد 27، 2020.

المقابلات الشخصية والزيارات:

- الشيخ الدكتور مصطفى بن حمزة الوجدي، لقاء في دار الحديث الحسنية يوم 17 مارس 2022.
- المرحوم الطاهر ابن عيشة ببيته بالعاصمة يوم السبت 15-12-2012.
- الشيخ مراد بن تونس في جنة العارف بمستغانم، يوم 20 مارس 2016.
- الشيخ الأخضر الدهمة، مقابلة في مكتبته بمدينة متليلي، 20-8-2012.
- محمد الصالح الصديق، مقابلة في بيته بالقبة، يوم (11-3-2023)
- مهاتفة مع الشيخ محمد معاش إمام الزاوية يوم 13-7-22) إمام الزاوية الطاهرية في مسعد بالجلفة.
- حوار مع الشيخ بن يونس آيت سالم، جريدة الشروق، ع 3035 (24-8-2010).

مواقع إلكترونية:

- موقع جمعية الشيخ العلوي للتربية والثقافة الصوفية (<http://www.assoalawi.org>).
- موقع عبد الحميد بن باديس: <https://binbadis.net/>
- موقع مدونة ابن عزوز: <https://albordj.blogspot.com/>
- موقع الشاملة الجزائرية: <https://encyclopedia.ushmm.org/>
- موقع راية الإصلاح (<http://www.rayatalislah.com/article.php?id=10>).
- موقع رابطة أدباء الشام: <http://www.odabasham.net/show.php?sid=52591>
- موقع غالिका: <https://gallica.bnf.fr/accueil/fr/content/accueil-fr?mode=desktop>

المراجع باللغة الأجنبية:

- Addi lhouari: l'impasse de populisme d'Algérie collectivité politique et état en construction. e.n.a.l. 1990.
- Albert devoux: les édifices religieux de Lancien Alger. Revue africaine. pub o p u, n6, a 1862
- Berque Augustin. Un mystique moderniste Le cheik Benaliaua. Revue Africain. Vol.79. Année 1936.
- Ben jamin Stora : dictionnaire biographique et militants nationalistes algériens 1926-1954.
- Cartigny Jahan: Chikh Al Alawi. Documents et Témoignages. ED les Amis de L'islam. Paris. 1984.
- chachoua Kamel : l'islam kabyle religion, état et société en Algérie. Edition Maisonneuve et larose. Paris,2001.
- Charles robert ageron. Histoire de l'Algérie contemporaine. 1871-1954. t2,1ere. Paris.1979.
- CH.R. Ageron. Histoire de L'Algérien Contemporaine. Paris. P.U.F. T2.1979
- Charles robert ageron: histoire de l'Algérie contemporaine 1830-1973-que sais-je-presse universitaire de france. Paris. 1974
- Djghloul Abdelkader: Eléments Histoire Culturelle Algérienne -ENAL-Alger 1984.

- Ernet mercier : l'Algérie en 1880. Éditeur, challamel aine, paris,1880.
- J.andrie-j. Soustelle: contribution à l'étude des confréries religieuses musulmanes. ed: la maison des livres .Alger.
- lheddaen zohir:histoir de presse indigène en Algérie jusqu' en 1930. Entreprise nationale du livre. Alger.1986.
- lhaden Zohir : Histoire De La la presse indigène en Algérie de origines jusqu en 1930. Enal. Alger. 1983.
- G.marcais: la berberie musulmane et l'orient in moyen age. edition montage. Paris.1946.
- Louis Rinn: Marabouts Et Khouans, Etude sur L'Islam En Algérie. Alger. Alger, Adolphe Jourdan 1884.
- Mrcel carret: le cheikh el-alaoui. ed: l'imprimerie alaouia de mestghanem.1987.
- Octave dépont et Xavier Coppolani :Les confréries religieuses musulmanes. ed: Alger, Adolphe Jourdan. 1897.
- Victor Bernard : indicateur général de l'Algérie description géographique historique et statistique. Alger. Bastide. ed 1858.

فهرس المواضيع	
2	الإهداء.
3	الشكر والتقدير.
4	المقدمة.
20	الفصل التمهيدي: الواقع الديني في الجزائر خلال القرن التاسع عشر
21	المبحث الأول: الطرق الدينية مرجعياتها ومساراتها في الجزائر.
21	المطلب الأول: التصوف الجزائري الجذور والقناطر والنشأة.
21	أولا جذور التصوف الجزائري.
22	ثانيا: أهم قناطر التصوف الجزائرية.
22	1-الوارد المشرقي.
22	2-الوارد الأندلسي.
22	3-الوارد المغربي.
23	4- التصوف المحلي.
24	ثالثا: الفترة التأسيسية للمؤسسة الصوفية في العهد الزياني.
25	رابعا: أسباب قوة الطرق الصوفية في الجزائر.
25	1- ميراث الجزائر العثمانية.
25	2- التلاحم الفقهي الصوفي.
25	3- عدم مركزية الجامعة العلمية.
26	4- جهادية الطرق الصوفية.
26	5- الثورات ضد النظام العثماني.

27	6- رمزية الزعماء الشهداء.
82	المطلب الثاني: الطقوس الروحية الطرقية.
28	أولا: الأوراد.
28	ثانيا: التراتبية الصوفية.
29	المطلب الثالث: تصنيفات الزوايا والطرق الجزائرية
29	أولا- أنواع الزوايا من حيث العمران.
30	ثانيا- من حيث التعليم والتصوف.
30	ثالثا: من حيث مستوى التعليم.
31	رابعا- من حيث الدور والنظام.
32	المطلب الرابع: الرموز المختلفة للزوايا والطرق الصوفية.
32	أولا- الرموز الشخصية.
35	ثانيا- الرموز المكانية.
36	ثالثا- الرموز الزمانية.
37	المطلب الخامس: الوظائف المختلفة للزوايا والطرق الصوفية.
37	أولا- الوظائف القضائية والعدلية.
38	ثانيا- الوظائف العلمية والدينية.
40	ثالثا- الوظائف المالية والتمويلية.
41	المطلب السادس: المسار البيداغوجي للزوايا (طرائق التعليم والتلقين والإجازات)
41	أولا- نموذج الزاوية القرآنية المختصة.
43	ثانيا- نموذج الزوايا العلمية العالية المزوجة.
43	ثالثا- الزوايا العلمية الخالصة.
44	المبحث الثاني: أنواع الطرق الصوفية في الجزائر.
44	المطلب الأول: الطريقة القادرية.

44	أولا-مراكز القادرية في الجزائر.
45	ثانيا-أهم الشخصيات العلمية القادرية في الجزائر.
46	ثالثا-الأثار العلمية والأدبية للطريقة في الجزائر.
47	رابعا-الميراث السياسي والعسكري للقادرية.
48	المطلب الثاني: الطريقة الرحمانية.
48	أولا- زوايا القبائل الكبرى والصغرى.
50	ثانيا- الزاوية العزوزية بالزيبان.
50	ثالثا- الزاوية المختارية.
50	رابعا-الزاوية الباشتارزية.
51	خامسا- الزاوية الحفيظية بالخنقة.
51	سادسا- زاوية نفطة الرحمانية.
52	سابعا- زاوية الهامل ببوسعادة.
53	ثامنا- الزاوية العمرية بطولقة.
54	تاسعا- الزاوية الحملاوية.
54	عاشرا- الزاوية السالمية بوادي سوف.
54	حادي عشر- ثورات الرحمانيين.
57	ثاني عشر-الميراث الأدبي والعلمي للرحمانية
58	المطلب الثالث: الطريقة التجانية.
58	أولا-تأسيس الطريقة التجانية.
60	ثانيا- أسس الطريقة وميراثها الروحي الصوفي.
61	ثالثا-الأعلام الجزائريون الناشرون للطريقة في إفريقيا.
62	رابعا-الحضور التجاني في إفريقيا ومظاهره.
64	خامسا-التجانية ومواقفها المختلفة من الاستعمار الفرنسي.

64	1- مواقف الحياد.
56	2- موقف المقاومة.
66	سادسا-بعض رموز التجانيين في الجزائر.
66	سابعا-الميراث المادي والأدبي للتجانية.
66	1- الميراث المادي.
67	2- الميراث العلمي.
68	المطلب الرابع: الطريقة الدرقاوية.
68	أولا-ثورات الدرقاوية قبل الاحتلال
69	ثانيا-المسار السياسي للدرقاويين بعد الاحتلال.
70	ثالثا-الميراث الأدبي والعلمي للدرقاوية.
70	رابعا- انقسامات الطريقة.
71	1- الطريقة الغلامية.
71	2- الطريقة الهيرية.
72	المطلب الخامس: الطريقة الشيعية.
72	أولا-حياة سيدي الشيخ.
73	ثانيا-الأسرة البوشيخية وانقساماتها.
73	ثالثا- ثورة أولاد سيد الشيخ.
75	رابعا-الميراث الأدبي والاجتماعي للطريقة.
76	خامسا-الطريقة الشيعية البوعمامية.
76	سادسا-ثورة الشيخ بوعمامة.
78	سابعا-الإرث الاجتماعي والأدبي للبوعمامية.
78	المطلب السادس: بعض الطرق الصغيرة.
78	أولا-الشاذلية.

79	ثانيا- الطريقة الحنصالية.
79	ثالثا- الكرزازية الأحمدية
79	رابعا- البكائية.
90	خامسا- البوعلية.
80	سادسا- الشابية.
80	سابعا- الناصرية.
80	ثامنا- الطيبية.
81	المبحث الثالث: الفعل الفرنسي تجاه الوضعية الدينية.
81	المطلب الأول: الاكتشاف العلمي للطرق.
84	المطلب الثاني: محاصرة الطرق الصوفية.
84	1- الهدم والتدمير.
85	2- التدجين والقهر الفرنسي.
87	3- التفكيك وخلق النزاعات.
89	4- اقتراح استحداث زوايا وقيادات جديدة.
90	5- إغراءات التحضير الفرنسي.
91	المطلب الثالث: الوسائل الفرنسية في ضرب الرموز الإسلامية.
91	1- التنصير.
93	2- محاربة الحج.
93	3- القضاء على القضاء الشرعي.
95	4- الحرب على الأوقاف.
95	المطلب الرابع: الموقف الفرنسي من الوضعية التعليمية في الجزائر.
95	1- تقويض التعليم الإسلامي السابق.
96	2- التجهيل.

97	3-هيكلية التعليم الديني الجديد.
97	4- هيكلية الهيئة الدينية.
99	5- قهر اللغة العربية.
101	6- نشر التعليم الفرنسي.
103	المبحث الرابع: جذور الإصلاح الديني في الجزائر.
103	المطلب الأول: الجذور البعيدة للإصلاح الجزائري.
103	أولا: الملكية الإصلاحية.
104	ثانيا: المعارك الصوفية الفقهية.
105	ثالثا- المجاور الإباضي.
106	رابعا: نماذج الفقهاء المتصوفة المقتصدين.
106	1- عبد الحق الإشبيلي البجائي.
106	2- أحمد زروق الفاسي.
107	3- عبد الرحمان الثعالبي.
108	المطلب الثاني: إصلاحات الوضع الصوفي في العهد العثماني.
108	أولا- اللحظة الأخضرية.
109	ثانيا- اللحظة الفكونية.
112	ثالثا- لحظة ابن أبي محلي السجلماسي.
114	رابعا- اللحظة التجانية.
115	المطلب الرابع: إصلاحات الوضع الصوفي المؤسسي، الطريقة السنوسية.
115	أولا- حياة محمد بن علي السنوسي.
116	ثانيا- الميراث السياسي للسنوسية.
117	ثالثا- الميراث الأدبي للسنوسية.
119	الخلاصة.

120	الفصل الأول: العلاقات الإصلاحية الطرقية في العقدين الأولين (1900-1919).
121	المبحث الأول: الإصلاحيون المحافظون في العقدين الأولين (1900-1919).
121	المطلب الأول: نشأة الإصلاح الجزائري.
121	أولاً: الزيارات العلمانية الخارجية.
126	ثانياً: أصداء حركة الجامعة الإسلامية.
127	المطلب الثاني: أهم رجال الإصلاح المحافظين.
128	أولاً: عبد القادر بن عبد الله بن محمد المجاوي.
129	ثانياً: الصّالح ابن مَهَنّا القسنطيني.
130	ثالثاً: محمد السعيد بن زكري الجنادي.
130	رابعاً: الشيخ عبد الحليم بن سماية.
131	خامساً: محمد بن مصطفى ابن الخوجة الحنفي.
132	سادساً: محمد بن أبي شنب.
132	سابعاً: عمر راسم.
133	المطلب الثالث: الشخصيات الجزائرية العائدة من المشرق.
133	أولاً: عمر بن قدور الجزائري.
134	ثانياً: المولود الزريبي الأزهري.
136	المطلب الرابع: القضايا الإصلاحية الأولى مطلع القرن العشرين.
136	أولاً: الدعوة للترقي ومجافاة الجهل والبدع.
137	ثانياً: الموقف من إصلاح التعليم.
139	ثالثاً: الدعوة لإصلاح الصحة.
139	رابعاً: إصلاح المرأة.
140	خامساً: بناء اللحمة الوطنية.
141	سادساً: نشر التراث الجزائري.

142	المطلب الخامس: دواعم ووسائل الإصلاح والنهضة الجزائرية مطلع القرن.
143	أولا: نشأة المطابع. أ-الثعالبية، ب-فوناتنة الشرقية.
143	ثانيا: النوادي والمدارس والمعاهد.
143	1- النوادي الرائدة.
144	2-جامع الكتاني أو معهد الكتانية.
144	3- مدرسة تبسة.
145	ثالثا: الفرنسيون المهتدون.
146	رابعا: أهم الصحف الجزائرية في العقدين الأولين.
148	خامسا: المدد المشرقي (مصر نموذجا).
151	المبحث الثاني: الطريقون في الجزائري في العقدين الأولين (1900-1919)
152	المطلب الأول: وسائل فرنسا في التعامل مع الطرق الجزائرية.
152	1- تدجين الزوايا وتفكيكها.
153	2- دعم الزوايا والطرق البدعية.
154	3-مراقبة الأوقاف والتعليم.
155	المطلب الثاني: الزوايا النشطة في العقد الأول.
155	1- زاوية بن علي بشلاطة.
155	2- الزاوية السحنونية.
155	3- زاوية ابن أبي داوود.
156	4-زاوية العموري بالتيطري.
156	5- الحملاوية.
156	6-زاوية سيدي الحسين القشي بحاسي خليفة.
156	7- الزوايا الرحمانية في الجنوب.
156	8-زوايا الغرب الجزائري.

158	9-مساجد العاصمة.
158	المطلب الثالث: دواعم الطريقة مطلع القرن العشرين.
158	أولا-الزيارات العلمائية.
159	ثانيا- تأثيرات الجامعة الإسلامية.
159	ثالثا-نشأة الطريقة العلوية.
162	المطلب الرابع: أهم الشخصيات الطريقة.
162	أولا: الشيخ المنظرون والمؤطرون للتصوف الجزائري.
162	1- قدور بن محمد بن سليمان المستغاني.
163	2-علي بن عبد الرحمان الجزائري مفتي وهران.
163	3- عبد الله الدراجي الجزائري.
164	4- حمدان الونيسي.
165	5- عاشور الخنقي.
166	6- محمد بن يلس بن شاويش.
166	7- الحاج محمد بن الشرقي.
166	8-علي بن الحاج موسى.
16	9- أحمد بن الحرمة البرياني.
167	10-الحاج بن عمر التجاني.
167	11-محمد بن امحمد الهاملي.
168	ثانيا: رجال الدين الرسميون من المفاتي والقضاة والأئمة.
168	1-القاضي شعيب بن علي الجليلي.
169	2- أحمد بوقندورة.
169	3- المولود بن الموهوب.
170	4- محمود كحول بن دالي.

170	5- أبو القاسم الحفناوي.
171	ثالثا: الفقهاء المتصوفة المحافظون.
171	1- الشيخ العربي بن محمد الساسي بن قشوط.
172	2- محمد بن عبد الرحمان الديسي.
172	3- الإحريزي السعيد بن عبد الله السطوري.
172	4- الشيخ الطاهر العبيدي السوفي.
173	5- الشيخ محمد البخاري بن الصادق الزراري العقبي.
173	الخلاصات.
177	المبحث الثالث: الجدل الإصلاحي الطرقي في العقدين الأولين (1900-1919).
177	المطلب الأول: الجدل الفكري.
177	أولا: قضية الشرف والأشراف.
181	ثانيا: التجنيد الإجباري.
182	ثالثا: الموقف من الحرب العالمية الأولى والجهاد مع العثمانيين.
185	المطلب الثاني: الجدل الصوفي العقدي.
185	1- شرعية الطرق وانتقاد الطريقة.
186	2- دعوى الصلاح والنبوة.
186	3- النقاش مع التجانيين.
187	4- الردود على عقيدة التصريف.
188	5- نبوة خالد بن سنان العبسي.
188	6- الجدل حول الدروشة والخرافات.
189	7- الجدل حول تعدد المشيخة الصوفية.
190	8- شرعية الزيارة للأولياء.
191	المطلب الثالث: الجدل الفقهي.

191	1- الاجتهاد والتقليد.
191	2- تقنين الفقه الإسلامي.
192	3- شرعية الجهاد العسكري.
195	4- الهجرة من الجزائر.
199	5- قضايا الردة.
200	6- القبس والسدل.
201	7- الصلاة المبتدعة في آخر جمعة من رمضان.
201	8- ثبوت الهلال.
201	9- الكد والسعاية.
202	10- أشكال الذكر والقراءة.
202	11- العادات واللباس.
203	12- نقد الأعراف الفاسدة في ميراث المرأة.
204	المبحث الرابع: تجليات العلاقات الإصلاحية الطرقية في العقدين الأولين (1900-1919)
204	المطلب الأول: السياسة الفرنسية والوضعية الدينية بالجزائر.
206	المطلب الثاني: العلاقات الوفاقية بين المحافظين الإصلاحيين والطرقيين.
207	1- الثناء المبادل.
207	2- الدفاع عن التصوف المعتدل.
208	3- رفض القهر والإذلال.
209	4- نقد الافساد الاجتماعي.
209	5- الموقف من تسييس الحج.
211	6- رفض التجنيس.
212	7- رفض دعوات الاندماج.
212	8- هم التعليم.

213	المطلب الثالث: العلاقات والمواقف الخلافية.
213	1-نقد الوضع الطرقي.
214	2-نقد الفلكور والبدع الصوفية.
217	3- فتاوى الحرب والوقوف مع فرنسا.
218	4- الجدل حول جدوى مقاومة القديم.
218	5-نجاعة التعليم الحديث.
220	6-الخلافات الطرقية الطرقية.
221	7-التحولات الفكرية.
221	أ-التحول نحو السلفية، نموذج المكي بن عزوز.
223	ب-التحول نحو التصوف، نموذج عمر بن قنور.
223	8-نقد الوهابية.
223	المطلب الرابع: ملامح وخلصات العلاقات في مطلع القرن.
223	1-بدايات تراجع الطرق.
224	2-تأطير الهيئة الدينية وإغرائها.
225	3-الاختراق الفرنسي لمنظومة التعليم التقليدية.
225	4-الإحساس بالأزمة.
226	5-خفوت الخلافات الإصلاحية الطرقية.
226	6- حضور الإدارة الفرنسية.
227	الفصل الثاني: العلاقات الإصلاحية الطرقية في العشرينيات (1920-1931)
228	المبحث الأول: الإصلاحيون في العشرينيات (1920-1931).
228	المطلب الأول: أسباب صعود الإصلاح بعد الحرب العالمية الأولى.
231	المطلب الثاني: المرجعيات الفكرية للإصلاحيين.
231	1- الميراث المالكي.

231	2- النهضة الإسلامية الحديثة.
232	3- الحركة الوهابية.
233	4- السلفية الإصلاحية.
233	5- التوجه العبدوي.
234	المطلب الثالث: المنهاجيات العلمية للإصلاحيين.
234	1- العودة إلى الأصول.
236	2- تجديد الدرس العقدي.
237	3- الحملة على الشريكات والفلكور الصوفي.
237	4- إحياء الشخصية الإسلامية.
238	5- إحياء التاريخ الجزائري.
239	المطلب الرابع: تحديات الإصلاح في العشرينيات.
239	1- الثقافة الفرنسية المهيمنة.
240	2- ضعف الوسائل التعليمية.
241	3- القوانين الفرنسية.
242	4- تحدي التبشير المسيحي.
242	5- تشتت الجهود الإصلاحية.
243	المطلب الخامس: المؤسسات الصحفية والتربوية الإصلاحية في العشرينيات.
243	أولا: الجرائد الإصلاحية الخالصة والمرافقة.
247	ثانيا: المؤسسات التربوية والاجتماعية.
247	1- مؤسسات العاصمة.
248	2- مؤسسات عمالة قسنطينة.
251	3- مؤسسات الزيبان.
252	4- مدرسة الأغواط.

252	5- إنشاء نادي الترقى.
254	المطلب السادس: الوسائل المادية والأدبية عند الإصلاحيين.
254	أولا: الوسائل المادية.
254	1- تأسيس المطبعة الإسلامية.
254	2- الزيارات الميدانية.
255	ثانيا: الوسائل الأدبية العلمية للإصلاحيين.
255	1- بعث الحركة الأدبية (المقالية والشعرية).
256	2- تجديد الدرس التفسيري.
256	3- طبع الكتب.
256	4- التأليف الخالص.
258	5- الاستعانة بالمؤلفات والردود غير الجزائرية.
258	6- الاهتمامات الإسلامية والعالمية للإصلاحيين.
259	المطلب السابع: أهم رجالات الإصلاح في العشرينيات.
259	1- عبد الحميد بن باديس الحياة والمسار الفكري.
259	أولا- النشأة والتكوين.
260	ثانيا- المسار الفكري من المحافظة إلى الإصلاح.
260	أ- المرحلة المحافظة.
263	ب- الفترة الإصلاحية.
264	2- الطيب العقبي.
265	3- أبو يعلى محمد السعيد الزواوي.
265	4- الشيخ محمد بن أحمد الشريف الزهار.
267	5- محمد السعيد الزاهري.
267	6- مبارك الميلي الهلالي.

268	7-أحمد توفيق المدني.
270	8- أحمد بوشمال.
270	9-محمد العيد آل خليفة.
270	10- محمد بن العابد الجلاي.
270	11-محمد البشير الإبراهيمي.
271	12-محمد العربي بن بلقاسم التبسي.
272	-الصالح بن سعد بن العابد الهلالي القسنطيني.13
272	-عمر بن البسكري.14
273	المبحث الثاني: الطرقيون في العشرينيات (1920-1931).
273	المطلب الأول: وضع الطرق الصوفية وأذرعها.
276	المطلب الثاني: المؤسسات الطرقية ووسائلها.
277	1-الدعوة.
278	2- إنكار الانحرافات الأخلاقية.
279	3- السياحة والوفود.
279	4-التجمعات (الجمع).
280	5- المراسلات والكتابات.
280	6- الانتخابات.
280	7- الدعاية الإسلامية.
281	8- التعليم.
283	المطلب الثالث: المؤسسات التعليمية والجمعية للطرقين.
283	أولا: المؤسسات التعليمية.
284	ثانيا: الجمعيات الطرقية.
285	المطلب الرابع: المؤسسات الإعلامية الطرقية.

285	أولا- المطبعة العلوية.
286	ثانيا- الجرائد والمجلات الطرقية الرفيعة.
288	ثالثا- الصحف الطرقية الخالصة.
292	المطلب الخامس: التراث الأدبي والعلمي للطرقين في العشرينيات.
294	1- التأليف الخالص.
294	2- الاحتفاء بالردود على الإصلاحيين.
294	المطلب السادس: الاهتمامات والمشاكل الطرقية في العشرينيات.
294	1- نقد الأوضاع الاجتماعية والثقافية.
295	2- العناية بالأخلاق.
295	3- العوائد الموروثة.
296	4- محاربة التنصير.
297	5- الاهتمام بالشأن الديني.
298	6- الوضع الاجتماعي
298	7- الدعوة إلى الجامعة الإسلامية.
299	8- الإشادة بالطرق وشيوخها.
299	المطلب السابع: أهم رجالات الطرق الصوفية في العشرينيات.
299	1- الشيخ أحمد بن عليوة.
301	2- المولود الحافظي.
301	3- السعيد اليجري.
301	4- مامي إسماعيل بن علاوة.
301	5- قدور بن أحمد المجاجي.
302	6- عبد القادر بن عودة.
302	7- أبو عبد الله البوعبدلي.

302	8- القاضي عبد الله حشلاف.
303	9- محمد العربي بن عبد الله شنتوف.
303	10- الأكحل أحمد بن يحي الأمين.
303	11- الطيب المهاجي.
303	12- السعيد أهلول الورتلاني.
304	13- الحسن بن صالح بن الموفق القسنطيني.
304	14- الشيخ بلقاسم طعيوج.
304	15- عمار بن أحمد العطوي مهري.
304	16- الشيخ عبد الرحمان بن العقون.
304	17- محمود بن المطماطية.
304	18- الشيخ عبد الحفيظ الهاشي.
305	19- أحمد التجاني.
305	20- ابن كابو بلقاسم.
305	21- أحمد بن الحاج العياشي سكيرج.
305	22- حسن بولحبال.
306	المطلب الثامن: الفرنسيون والطرق الصوفية في العشرينيات.
309	المبحث الثالث: الجدل الإصلاحية الطرقي في العشرينيات.
309	المطلب الأول: القضايا الجدلية والانتاج الفكري.
310	1- نقد البدع الدينية.
311	2- نقد الرموز الشعائرية الصوفية.
311	3- نقد الفلكور الصوفي.
312	4- نقد الفرقة الطرقية.
312	5- نقد الانتفاعية الطرقية.

314	6- الهجوم على الإرث الطريقي الصوفي.
315	المطلب الثاني: الجدل العقدي.
316	1- نموذج القصيدة العاشورية.
318	2- عقيدة الاتحاد الصوفية.
319	3- دعوى الحط من مقام النبوة.
321	المطلب الثالث: الجدل الصوفي ومتعلقاته.
321	1- التصوف والإلحاد.
322	2- شرعية صلاح الفاتح.
323	3- المغالاة في الكشف.
324	4- الترويج للحلول.
324	المطلب الرابع: الجدل الفقهي.
324	1- التقليد والاجتهاد الفقهي.
326	2- الأذكار وتوقيتها.
327	3- تلقين الأذكار.
327	4- الذكر بالاسم المفرد.
328	5- التوسل.
328	6- دفع الزكاة للزوايا.
329	7- الزكاة في النقود الورقية.
329	8- لحوم أهل الكتاب.
329	9- الطلاق ثلاثاً.
330	10- القبض والسدل.
330	11- هلال رمضان.
330	12- الجدل حول اللحية.

331	13- آذان غرداية.
332	14-تعدد الجمعة.
332	المطلب الخامس: الجدل الفكري الاجتماعي.
332	1- ملف المرأة التعليم والسفور.
333	2- مشكلة التجنيس.
334	3- الترويج للفرق المنحرفة كالبهاية والقاديانية.
335	المطلب السادس: المؤلفات الحاوية للجدل الفكري والفقي.
336	1-الردود الطرقية.
336	2-الردود الإصلاحية.
337	3-الجدل والردود المغاربة.
338	المبحث الرابع: تجليات العلاقات الإصلاحية الطرقية في العشرينيات.
338	المطلب الأول: علاقات الوفاق والتقارب.
339	1-دعوات التأسيس لحزب ديني جامع.
340	2- دعوات التفاهم من الفريقين.
341	3- دعوات الحوار والاجتماع.
343	4- دعوات العمل المشترك.
345	5- الثناء المتبادل.
347	6- الزيارات المتبادلة.
348	المطلب الثاني: علاقات الخلاف في العشرينيات.
348	أولا: تهم الإصلاحيين للطرقين.
348	1-سبب التخلف هم الطريقون.
349	2- جدوى الطرقية.
350	3- ضرورة الإصلاح الداخلي.

351	4- منافاة الطرقية لضرورات النهضة.
352	5- مسخ الدين والتقارب بين العلويين والمسيحيين.
353	ثانيا: تهم الطرقيين للإصلاحين.
353	1- جلب الوهابية.
354	2- تمميع التدين والانخراط في الفرنجة.
355	3- إفساد التقاليد العلمية.
356	4- الحط من الإرث العلمي الصوفي.
357	المطلب الثالث: الخلافات الإصلاحية الإصلاحية.
357	1- خصومة العقبي والزيري.
357	2- العقبي وابن باديس.
358	3- ابن باديس والزاهري.
359	4- الشهاب والسنوسي الزاهري.
359	5- الملي وأبو يعلى الزواوي.
360	المطلب الرابع: مظاهر الخلافات الإصلاحية الطرقية.
360	1- الصراع والتموضع السياسي.
361	2- المرافعات القضائية.
361	3- التتموضع الاجتماعي.
363	المطلب الخامس: الأساليب الأدبية والدينية في علاقات الفريقين.
363	1- استدعاء الأساليب المقذعة.
363	2- اللغة التهمكية.
366	3- الشحن العاطفي.
367	4- استدعاء الوسائل الدينية (المباهلة أنموذجا).
368	5- لغة التكفير والتبديع.

369	6- المقالات المخفية الكائنة.
369	7-الشعر في المعركة.
372	المطلب السادس: ملابسات محاولة اغتيال ابن باديس (شتاء 1926).
373	أولا- رواية الإصلاحيين.
375	ثانيا- الرواية والردود العلوية.
376	ثالثا: أدب محاولة اغتيال ابن باديس.
377	المطلب السابع: تجليات علاقات الخلاف بين الإصلاحيين والطرقين.
377	1- دعوات التصفية والاغتيال.
379	2- الاستظهار بالصحافة المغربية.
380	3- الاستقطاب العلمي.
380	4- الاستقطاب النخبوي.
381	5- الاستعانة بالإدارة والنواب.
382	6- بدايات الهجوم على موظفي السلك الرسمي.
384	المطلب الثامن: آثار الصراع الإصلاحي الطرقي في العشرينيات.
384	1-تعديل المسار الطرقي نحو العلمية.
384	2- ظهور المعتدلين من الطرفين.
385	3- النهضة الأدبية.
386	4- التمايز والاصطفاف.
386	5- توسع الخلاف إلى أقطار المغرب العربي.
387	6- استدعاء الأوضاع الطرقية المماثلة في المشرق.
388	7- توسع الاهتمامات المذهبية.
388	المطلب التاسع: الموقف الفرنسي من الإصلاحيين والطرقين.
388	1- تجاه الإصلاحيين.

389	2- تجاه الطرفين.
390	نتائج الفصل.
392	الفصل الثالث: العلاقات الإصلاحية الطرقية في الثلاثينيات (1940-1931)
393	المبحث الأول: الإصلاحيون في الثلاثينيات (1940-1931).
393	المطلب الأول: الخطوط الفكرية للإصلاحيين.
393	1- المرجعية العقائدية.
394	2- الاعتناء بالأصول المصدرة.
395	3- البعد عن السياسة.
396	المطلب الثاني: المطلب الثاني: الإصلاحيون وتأسيس جمعية العلماء.
396	أولا- الدعوات المبكرة للتأسيس.
400	ثانيا- المحاولات التأسيسية السابقة.
401	ثالثا- الروايات الإصلاحية للتأسيس.
404	المطلب الثالث: الجرائد والمطبوعات الإصلاحية بعد تأسيس الجمعية.
404	أولا- جرائد الإصلاحيين الرسمية.
406	ثانيا- الجرائد الإصلاحية المرافقة.
410	ثالثا: المطبوعات الإصلاحية.
411	المطلب الرابع: وسائل انتشار الإصلاحيين في الثلاثينيات.
411	أولا: تأسيس شعب الجمعية.
412	ثانيا: تأسيس المساجد الحرة.
413	ثالثا: الوسائل الدعوية للإصلاحيين.
413	1- الخطابة الإصلاحية.
413	2- الزيارات الميدانية لنشر الإصلاح.
414	أ- الزيارات الوفدية المنظمة.

415	ب- الزيارات المناسبة.
415	ج- الزيارات الفردية
415	المطلب الخامس: المدارس الإصلاحية في الثلاثينيات.
416	1- مدارس الزيبان.
417	2- مدارس منطقة زواوة .
417	3-مدارس الشرق الجزائري.
419	4-مدارس الوسط الجزائري.
419	5- تأسيس دار الحديث.
420	6-تعليم البنات.
421	المطلب السادس: تأسيس النوادي والجمعيات الإصلاحية.
421	1-إنشاء النوادي.
422	2- الجمعيات الخيرية.
423	3-الجمعيات الأخلاقية.
423	4- الجمعيات التربوية الثقافية.
424	5- الجمعيات الدينية.
424	6- الجمعيات التربوية التعليمية.
425	7-الجمعيات الفنية.
427	8-الجمعيات الرياضية.
427	9- الكشف الإسلامية.
428	المطلب السابع: المناشط العامة للإصلاحيين في الثلاثينيات:
428	1-الأعمال الإدارية للجمعية.
429	2-الدخول للغرب الجزائري.
429	3- العمل في فرنسا.

430	المطلب الثامن: الاهتمامات السياسية والاجتماعية للإصلاحيين في الثلاثينيات.
430	1- العمل في ظل القوانين الفرنسية.
431	2- إيجاد الحلفاء الوطنيين.
432	3- الاهتمامات الوطنية للإصلاحيين.
432	4- الاهتمامات الاجتماعية.
433	5- مواجهة التبشير.
434	6- الاهتمامات المغاربية والإسلامية.
436	المطلب التاسع: الانقسام الإصلاحي الإصلاحي.
441	المطلب العاشر: رموز الإصلاحيين في الثلاثينيات.
444	خاتمة المبحث: تقييم واقع الإصلاحيين.
448	المبحث الثاني: الطرقيون في الثلاثينيات (1931-1940)
448	المطلب الأول: المرجعيات العلمية للطرقيين.
448	1- التصوف السني.
448	2- التصوف الجزائري.
448	3- المذهب المالكي.
449	4- العقيدة الأشعرية.
449	المطلب الثاني: الطرقيون وتأسيس جمعية العلماء.
449	أولا- الدعوات الطرقية المبكرة للتأسيس.
451	ثانيا- رواية الطرقيين للتأسيس.
452	ثالثا: التأسيس الفعلي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.
452	1- مجريات التأسيس الفعلي للجمعية.
453	2- القانون الأساسي والتنظيم.
454	3- رد الإدارة الفرنسية

455	المطلب الثالث: أسباب الانقسام وتأسيس جمعية علماء السنة.
455	أولا: الخلفيات الفكرية والآنية للانقسام.
455	1- التباين المنحجي والاختلاف الفكري.
455	2- الصوت النشاز للعقبي.
456	3- اضطراب الفعل الطرقي.
456	4- الضعف العلمي لبعض الطرقيين.
457	5- الجهاز الديني الرسمي الجزائري.
456	6- عودة الجدل الديني بين الفريقين.
457	7- الاستعجال الإداري قبل الميثاق الفكري.
458	8- عدم التوازن في المناصب
459	ثانيا: روايات انقسام جمعية العلماء.
459	1- الرواية الإصلاحية للانقسام.
460	2- الرواية الطرقية للانقسام
461	ثالثا: تعليقات الانقسام.
462	1- رؤية الإصلاحين.
463	2- رؤية الطرقيين.
464	المطلب الرابع: المؤسسات والجمعيات الطرقية.
464	أولا- الجمعيات الوطنية.
466	1- جمعية علماء السنة الجزائريين
466	2- جمعية رؤساء الطرق الدينية بالجزائر
470	ثانيا: الجمعيات الجهوية والمحلية.
470	ثالثا: جمعيات مغربية.
470	1- جمعية إتحاد الزوايا لشمال إفريقيا

470	2-جمعية أحباس الحرمين الشريفين.
471	المطلب الخامس: الجرائد الطرقية في الثلاثينيات.
475	المطلب السادس: الوسائل الدعوية للطرقين في الثلاثينيات.
475	1- السياحات واللقاءات والجمع الطرقي
477	2- المؤتمرات الوطنية
477	المطلب السابع: الوسائل التعليمية عند الطرقين.
480	المطلب الثامن: دواعم الطرقية في الثلاثينيات
481	1- الزيارات العلمية المغاربية.
481	2- الانتشار الإفريقي.
481	3- المؤتمرات الدينية المغاربية.
481	4- المنتج الطرقي في الثلاثينيات.
482	المطلب التاسع: الجوانب الإيجابية والسلبية للطرق في الثلاثينيات.
482	أولا-الجوانب الإيجابية.
482	1-الاهتمام بالتعليم والحفاظ على الهوية.
482	2- محاربة التبشير.
482	3- الحوار مع المستشرقين حول صلاحية الدين.
482	4-الانعطاف عن البدع والخرافات.
483	ثانيا- الجوانب السلبية للطرق.
483	1-التنافس المحموم والانقسامات.
483	أ-الانقسامات العلوية
484	ب-الخلافات الطرقية القادرية التجانية بوادي سوف.
485	ج-الانقسامات الرحمانية.
485	2-السلبية السياسية.

485	المطلب العاشر: أهم الشخصيات الطرقية الفاعلة.
494	المبحث الثالث: الجدل الإصلاحي الطريقي في الثلاثينيات.
494	المطلب الأول: النقد الإصلاحي للطريقين ومجالاته.
494	أولا- الجدل المنهجي.
494	1- شرعية التصوف.
496	2- شرعية علم الكلام.
496	3- شرعية المنطق.
497	4- شرعية التقليد.
498	ثانيا: الجدل المنهجي العقدي.
498	1- الدعوة إلى تنقية العقائد من الشوائب.
499	2- الهجوم على لغة الشطح.
499	3- النقاش حول الوهابية.
500	5- الموقف من بعض الطرق الصوفية.
503	المطلب الثاني: مسائل من الجدل العقدي والصوفي.
503	1- كرامة الأولياء.
504	2- التوسل.
505	3- زيارة الأولياء.
506	4- فضل صلاة الفاتح.
507	4- ضرورة الشيخ والتسليك.
508	5- البيعة الصوفية.
508	6- أشكال الذكر.
509	المطلب الثالث: مسائل من الجدل الفقهي.
509	1- ثبوت الهلال فلكيا.

510	2- ختم الصلوات بالأذكار.
510	4- القراءة على الأموات.
512	5- حمل الجنائز بالهيللة والذكر.
513	6- البناء على القبور.
513	7- الزردة والوعدة.
514	8- المولد النبوي الشريف.
515	9- الصلاة خلف الأئمة الرسميين.
516	10- تعدد صلاة العيد.
516	11- كراء الأسواق.
517	12- دفع الزكاة للزوايا والجمعية.
517	المطلب الرابع: الجدل الفكري.
517	1- نقد التاريخ الجزائري للميلي
517	2- التجنيس.
519	3- قضية آذان غرداية.
520	4- الموقف من إلغاء الخلافة الإسلامية.
521	5- الموقف من اليهود والصهيونية.
521	6- السفور والحجاب.
521	المطلب الخامس: آثار الجدل الإصلاحي الطرقي
521	1- تحريك الحركة العلمية.
522	2- العودة إلى الأصول وتجاوز التقليد.
522	3- فن المناظرات.
524	4- النقد والنقض المتبادل للمؤلفات.
526	5- الجدل والتواصل مع المشرق.

528	6- توسع الشقاق إلى تونس والمغرب.
530	المبحث الرابع: تجليات العلاقات الإصلاحية الطرقية في الثلاثينيات.
530	المطلب الأول: الاتهامات المتبادلة بين الإصلاحيين والطرقيين.
530	أولا: تهم الإصلاحيين للطرقيين.
531	1- الزيادة في الدين.
532	2- الجهل بالشريعة.
532	3- المتاجرة بالدين.
533	4- التحريض الإداري.
535	ثانيا: تهم الطرقيين للإصلاحيين.
535	1- تشتيت الأمة.
536	2- تميع الدين.
537	3- المبادأة بالعدوان.
538	4- معاداة المذاهب الفقهية.
540	المطلب الثاني: علاقات الوفاق الإصلاحية الطرقية.
540	1- الأصوات الوفاقية.
540	2- الزيارات المتبادلة.
542	3- الفتاوى والآراء المتقاربة.
543	4- التعاون المالي والمعنوي في تأسيس شعب الجمعية.
544	5- ترك المساحات للعمل الدعوي.
544	6- الثناء المتبادل.
545	المطلب الثالث: الأساليب الأدبية المستخدمة عند الإصلاحيين.
545	1- اللغة الحادة.
546	2- اللغة الاستهزائية.

547	3- اللغة العقدية.
548	4- هدم مرجعيات الطريقين.
549	المطلب الرابع: علاقات الصراع بين الإصلاح والطرقية (1933-1939).
549	1- الاستحواذ على سلطة القول في الدين.
551	2- الاتهامات الشخصية.
552	3- الاعتداءات الجسدية.
555	4- الاتهامات بالمسارعة للمناصب.
556	5- الاستقواء بالإدارة الفرنسية.
558	المطلب الخامس: مظاهر الصراع الإصلاحي الطرقي في الثلاثينيات.
558	1- القرارات الفرنسية المعرقة للتعليم العربي.
560	2- العرائض المقدمة والمرافعات العدلية.
561	3- الصراع الصحفي القلمي.
562	أ- نماذج الحرب القلمية عند الإصلاحيين.
564	ب- نماذج الحرب القلمية عند الطريقين.
565	4- المنازعات اللقبية.
568	5- الشعر والمناقضات في المعركة.
573	المطلب السادس: دعوات إلى الوفاق والوثام بين الإصلاحيين والطريقين.
573	1- الشيخ الطيب بن الشيخ بوعمامة.
573	2- محمد بن بلقاسم البوجليلي.
574	3- حسن بولحبال.
574	4- عدة بن تونس.
574	5- أحمد بن قويدر بن مناد.
574	6- السعيد الزاهري.

575	7- زاوية بطيوة.
575	8- إصلاحيو الإباضية.
575	9- عبد العزيز بن إبراهيم الهاشمي.
576	10- ابن باديس.
576	11- جريدة النجاح.
577	12- طلبة الأزهر.
577	13- أبو يعلى الزواوي.
577	14- المولود الحافظي.
577	15- الحجوي الثعالبي.
578	المطلب السابع: أثار العلاقات الإصلاحية الطرقية.
578	أولاً: الآثار الإيجابية.
578	1- تنشيط حركة التعليم.
568	2- تنشيط العمل الجمعي.
579	3- حركة التأليف والصحافة.
579	ثانياً- الآثار السلبية.
579	1- التنافس على مراكز التعليم.
581	2- الصراع على المساجد.
581	3- الانقسام المناطقي.
583	4- استعداد الهيئة الدينية الرسمية.
584	المطلب الثامن: الآثار السياسية للعلاقات في الثلاثينيات.
587	1- ضياع الفرص التاريخية (المؤتمر الإسلامي).
587	2- مقتل المفتي كحول وآثاره.
590	3- تباين الموقف من السلطة الاستعمارية.

591	4- تدخلات الإدارة الفرنسية.
592	5- انقسام مواقف النخبة الجزائرية من العلاقات السابقة.
594	6- الموقف من الحرب العالمية الثانية.
596	المطلب التاسع: دور الإدارة الفرنسية في هذه العلاقات.
596	1- حل جمعية علماء السنة.
597	2- أحداث اليهود في قسنطينة (أوت 1934).
598	3- سياسة فرق تسد.
599	4- تغير خطاب الإصلاحيين.
600	خلاصات الفصل
602	الفصل الرابع: العلاقات الإصلاحية الطرقية في الأربعينيات (1941-1954)
603	المبحث الأول: الإصلاحيون في الأربعينيات (1941-1954).
603	المطلب الأول: الجمعية بعد ابن باديس.
605	المطلب الثاني: الوسائل الإصلاحية بعد الحرب الثانية
605	أولا- التعليم والمدارس.
605	1- إحياء الدروس العلمية.
605	2- تشييد المدارس.
605	3- مدارس الوسط.
606	4- مدارس الشرق والزيان.
608	5- مدارس الغرب.
610	6- مدارس الجنوب.
610	7- معهد ابن باديس.
611	8- الهيئات التربوية للجمعية.
612	9- تعليم البنات.

613	10-البعثات العلمية.
614	المطلب الثالث: الوسائل المادية والأدبية لنشاط الإصلاحيين.
614	1-الوسائل المادية.
615	2-الوسائل الأدبية والمعنوية.
616	3-استكمال تأسيس الشعب والجمعيات المحلية.
617	3-النوادي الشبابية.
617	4- الفرق الفنية.
619	المطلب الرابع: الأعمال التنظيمية للجمعية.
619	1- تعديل القانون الأساسي.
620	2 العمل في فرنسا.
620	3-فتح مكتب القاهرة.
620	4- الزيارات الميدانية.
620	5- المرافعات القانونية والاحتجاجات.
621	6- العمل الإغاثي والاجتماعي.
621	7- تجمعات ومؤتمرات الإصلاحيين.
622	المطلب الخامس: الوسائل الإعلامية للجمعية.
623	المطلب السادس: الاهتمامات العامة للإصلاحيين في الأربعينيات.
623	1- التحالفات الحزبية.
623	2- المرافعة عن القضايا الوطنية.
624	3-التواصل المغاربي.
626	4- التواصل مع مصر.
628	5-التواصل المشرقي.
629	المطلب السابع: الخلافات الإصلاحية الإصلاحية في الأربعينيات.

629	1-ميلاد التيار العقبي.
630	2-أهم شخصيات التيار العقبي.
631	3-وسائل العقبيين الإعلامية.
632	4-المؤسسات والتنظيمات العقبية.
633	5--نشاطات العقبي الوطنية.
635	6- حزب الوحدة الجزائرية.
636	5-خلافات الزاهري.
638	8-الأزمة القيادة في غياب الإبراهيمي.
639	المطلب الثامن: أهم الإصلاحين في الأربعينيات.
647	المبحث الثاني: الطرقيون في الأربعينيات (1941-1954).
647	المطلب الأول: المواقف والاهتمامات الطرقية في الأربعينيات.
647	1- المواقف من أحداث الثامن ماي.
647	2- الحزبية الصاعدة.
648	3- الردود على الإصلاحيين.
648	4- المجالات الأخلاقية.
649	5- القضايا الإسلامية.
649	6- فلسطين.
650	المطلب الثاني: الصحافة الطرقية.
652	المطلب الثالث: المؤسسات الطرقية التعليمية.
654	المطلب الرابع: المؤسسات الجمعوية الطرقية.
658	المطلب الخامس: مناشط الطرقيين في الأربعينيات.
661	المطلب السادس: أهم الشخصيات الطرقية الفاعلة في الأربعينيات.
666	المبحث الثالث: الجدل الإصلاحي الطرقي في الأربعينيات.

666	المطلب الأول: الجدل الديني الفكري.
666	1- الحاجة إلى التصوف والتزكية.
666	2- صلاحية الأئمة الرسميين.
667	3- عودة الخلافة الإسلامية.
668	4- تمثيل الجماعة الإسلامية.
669	5- الأعراف القبائلية.
670	6- التقليد والتمذهب الفقهي.
670	7- نقد طرائق التدريس.
671	8- تعليم البنات.
673	9- الوهابية.
673	المطلب الثاني: الجدل الصوفي العقدي.
673	1- شرعية الطرق.
674	2- التحذير من التكفير.
675	3- أشكال الذكر.
675	4- شرعية الاحتفال بالمولد.
676	5- شرعية الزردة والولائم الطرقية.
677	المطلب الثالث: الجدل الفقهي الفروع.
677	1- الذكر عقب الصلوات.
677	2- القبض والسدل في الصلاة.
677	3- الصلاة خلف الأئمة الرسميين.
678	4- صلاة الجمعة في المدارس.
678	5- الفتوى.
679	6- الصيام بالهاتف وبرؤية الأقطار المجاورة.

680	7- الحج.
680	8- شرعية البناء على القبور.
681	9- بيع العنب لمن يعصره خمرا
681	المطلب الرابع: آثار هذا الجدل في الأربعينيات.
681	1- اعتدال الطرق الصوفية، وتحول بعضها إلى الفعل الإصلاحي.
681	2- الاهتمام بالإلحاد والتغريب.
682	3- التعليم الحديث.
682	4- الحركة الأدبية الصاعدة
683	4- العلائق الإسلامية.
684	المبحث الرابع: تجليات العلاقات الإصلاحية الطرقية (1941-1954)
684	المطلب الأول: علاقات الوفاق والتقارب.
685	1- أحداث ماي 1945.
685	2- فصل الدين عن الدولة.
687	3- تأسيس المجلس الإسلامي الأعلى.
689	4- الأوقاف.
690	5- التعليم العربي.
690	6- القضاء الإسلامي، إصلاحه وإلغاؤه.
691	7- المطالب الوطنية.
692	8- المشاركة في النشاطات وتبادل الزيارات.
692	9- قضية فلسطين.
692	أ-تشكيل الهيئة العليا لإغاثة فلسطين.
693	ب- مشاكل التبرعات.
694	10- النزعة البربرية.

697	المطلب الثاني: الخلافات الإصلاحية الطرقية.
697	1- الأوقاف والحج.
698	2- فصل الدين عن الدولة.
699	3- الموقف من الأئمة الرسميين.
700	4- مشيخة الإسلام في الجزائر.
700	5- التموضع والخلافات السياسية.
702	6- الانتخابات البرلمانية.
703	المطلب الثالث: تهم الإصلاحيين للطرقيين.
703	1- الاستقواء بالإدارة الفرنسية.
704	2- دعم التعليم العربي الضرار.
704	3- دعم المشاريع الفرنسية (النادي الفرنسي- الإسلامي).
705	4- إعاقة النهضة واستمرار التخريف.
705	المطلب الرابع: تهم الطرقيين للإصلاحيين.
705	1- نشر الوهابية.
706	2- التكسب بالجمعية وربح الأموال.
706	3- تعليم البنات.
707	4- الولوع بالجديد ومخاصمة تراث الأجداد.
708	5- معاداة العوائد الدينية الجزائرية.
709	المطلب الخامس: الأساليب الأدبية المتبادلة بين الطرفين.
709	1- الشعر.
710	2- النثر.
712	3- المسرح.
712	4- الصراعات المنطقية.

712	المطلب السادس: امتدادات الصراع إلى أقطار المغرب العربي.
712	1- تونس.
713	2- المغرب.
714	خلاصات الفصل.
718	الخاتمة والنتائج.
723	الملاحق.
738	فهرس الآيات والأحاديث.
739	فهرس الأعلام.
760	فهرس الجماعات والشعوب والقبائل والطرق الصوفية والجمعيات.
767	فهرس الأماكن والبلدان.
775	فهرس المصادر والمراجع.
794	فهرس المواضيع.